التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي
الكلبي الغرناطي المالكي
(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

أ. د. محمد بن سيدي محمد مولاي

الجزء الأول

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

دار الضياء
للنشر والتوزيع - الكويت
الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
ص.ب: ١٣٤٦ حولي
الرمز البريدي: ٣٢٠١٤
تلفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠ (٩٦٥+)
نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠ (٩٦٥+)
dar_aldheyaa@yahoo.com

دار الضياء
DAR ALDEYAA
للنشر والتوزيع - الكويت
For Printing & Publishing - KUWAIT

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

التجليد الفني
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد
بيروت

www.daraldheya.com

الموزعون المعتمدون

دولة الكويت:
- دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي — تلفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠ — نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠

المملكة العربية السعودية:
- دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة — هاتف: ٦٣١١٧١٠ — فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢
- دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض — هاتف: ٤٩٢٥١٩٢ — فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
- المكتبة المكية - مكة المكرمة — هاتف: ٥٣٤٠٨٢٢ — فاكس: ٥٣٦١٢٩٩٠
- مكتبة العبيكان - جميع فروعها في المملكة — هاتف: ٩٢٠٠٢٠٠٢٠٩

الجمهورية التركية:
- مكتبة الارشاد - اسطنبول — هاتف: ٠٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٢٤ — فاكس: ٠٢١٢٦٣٨١٧٠٠
- المكتبة الهاشمية - اسطنبول — هاتف: ٠٢١٢٥١٠٢٥٣٣ — فاكس: ٠٢١٢٥٢٠١٥٩٦

الجمهورية اللبنانية:
- دار إحياء التراث العربي - بيروت — هاتف: ٥٤٠٠٠٠ — فاكس: ٨٥٠٧١٧
- شركة دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان — هاتف: ٧٠٢٨٥٧ — فاكس: ٧٠٤٩٦٣
- شركة التمام - بيروت - كورنيش المزرعة — هاتف: ١٧٠٧٠٣٩

الجمهورية العربية السورية:
- دار الفجر - دمشق - حلبوني — هاتف: ٢٢٢٨٣١٦ — فاكس: ٢٤٥٣١٩٣
- دار الكلم الطيب - دمشق - حلبوني — هاتف: ٢٤٥١٢٣٦ — فاكس: ٢٢٢٧٦٠٢

جمهورية مصر العربية:
- دار البصائر - القاهرة - زهراء مدينة نصر — تلفاكس: ٠٢٢٤١١١٤٤١ — محمول: ٠١٠٠٢٤٣٦٢٦٢

المملكة الأردنية الهاشمية:
- دار الرازي - عمان - العبدلي — تلفاكس: ٤٦٤٦١١٦
- دار محمد دلدوس للنشر والتوزيع - عمان — هاتف: ٦٤٦٥٣٣٩٠ — تلفاكس: ٦٤٦٥٣٣٨٠

الجمهورية اليمنية:
- مكتبة تريم الحديثة - تريم — هاتف: ٤١٧١٣٠ — فاكس: ٤١٨١٣٠

الجمهورية الإسلامية الموريتانية:
- شركة الكتب الإسلامية - نواكشوط — هاتف: ٠٠٢٢٢٥٢٥٣٤٦١

مملكة البحرين:
- جمعية الإمام مالك بن أنس - المحرق — هاتف: ١٧٣٣٤٢٥٠ — فاكس: ١٧٣٣٤٣٦٠

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه وبأي شكل من الأشكال أو نسخه أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا يسمح بالاقتباس منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ
الكلبي الغرناطي المالكي
(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

أ.د. محمد بن سيدي محمد مولاي

الجزء الأول

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحابته أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد من الله علي بالعناية بتحقيق كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام الجليل محمد بن جزي الكلبي رحمه الله تعالى، هذا الكتاب الذي يعتبر كنزا ثمينا من كنوز التفسير جمع فوائد جمة لا يمكن حصرها، ففيه من القراءات والآثار والإعراب والنكات العلمية ما لا يوجد في المطولات، وقد تعرض للإهمال ردحا طويلا من الزمن، كما أشرت إلى بعض ذلك في مقدمة الطبعة الأولى، وقد بذلت جهدا كبيرا في تصحيحه وتوشيحه بالتعاليق المناسبة حتى يتمكن طلاب العلم من الاستفادة منه، وقد قامت دار الضياء في الكويت بطباعته طباعة جيدة، ومنذ وقت نفدت تلك الطبعة وكثر الطلب على الكتاب بشكل كبير، وخاصة من أهل العلم، فكان لا بد من إعادة طبعه مرة أخرى، وعلى هذا الأساس رجعت إلى الكتاب من جديد وبذلت فيه جهدا أكبر سوف يتضح للقارئ بحول الله، ومن أبرز ما تتميز به هذه الطبعة ما يلي:

أولاً: أنني أثبت النص بقراءة نافع من رواية قالون، وقد قال المؤلف:

وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع المدني لوجهين:

أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب.

والآخر: الاقتداء بالمدينة شرفها الله؛ لأنها قراءة أهل المدينة..

ثانياً: خرجت الأحاديث و الآثار الواردة في الكتاب حسب جهدي، ولا أدعي الإحاطة فالآثار في هذا الكتاب لا تنتهي كثرة.

ثالثاً: وثقت للقراءات التي وردت في الكتاب سواء كانت متواترة أو غير متواترة، وحاولت الإحاطة في ذلك.

رابعاً: وضعت تعاليق كثيرة مفيدة في مجالات عدة، زائدة على ما في الطبعة الأولى

خامساً: وضعت فهارس مهمة تلقي ظلالا على موضوعات الكتاب المختلفة.

سادساً: حصلت على نسخ جديدة من التسهيل وعرضت عليها النص، وتم إصلاح بعض الأخطاء.

وأخيرا فإنني أؤمل أن تلبي هذه الطبعة رغبة القراء في الحصول على التسهيل مصححا ومنقحا.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

أ.د. محمد بن سيدي محمد مولاي

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب المبين، وجعل له نقاداً ينفون عنه جهل الجاهلين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي كتاب نفيس في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، جمع العلوم والمعاني الكثيرة في عبارات وجيزة، وبأسلوب جميل وواضح، مع العناية بالنكات العلمية والإعراب والبلاغة وغير ذلك، وهو يحظى بعناية الكثيرين من طلاب العلم في العالم الإسلامي، ووجوده مصححاً ومدققاً يسدّ فراغاً في منظومة كتب التفسير المتنوعة.

وقد طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة، أولها حسب ما أعلم:

طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٥٥هـ ثم توالت الطبعات بعد ذلك.

فمنها: طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٣هـ وهذه الطبعة هي التي اعتمد عليها الدكتور/ علي محمد الزبيري في دراسته التي قدم عن ابن اجزي ومنهجه في التفسير.

ومنها: طبعة دار الكتاب العربي أيضاً ١٤٠٣هـ بتحقيق لجنة إحياء التراث في دار الكتاب العربي.

ومنها: طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي،

وإبراهيم عطوة عوض، بدون تاريخ.

ومنها: طبعة دار الأرقم ببيروت تاريخ ١٤١٦هـ، تحقيق: د. عبد الله الخالدي.

ومنها: طبعات أخرى هي في الغالب مصورة من طبعة المكتبة التجارية المتقدمة الذكر، وآخر طبعة لهذا الكتاب هي: طبعة المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٣هـ وكل هذه الطبعات التي عثرت عليها مليئة بالأخطاء الفادحة الشنيعة وينقصها الإشراف العلمي المطلوب.

وقد تتبعت آخر طبعة لهذا الكتاب وهي طبعة المكتبة العصرية ١٤٢٣هـ فأحصيت في المقدمتين صدر الكتاب مئات الأخطاء، والكثير من هذه الأخطاء يغير المعنى.

هذا، وإنني قد ارتبطت بهذا التفسير ارتباطاً وثيقاً، عندما كنت أكتب أطروحتي للدكتوراه والتي عنوانها: «التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط» فتطلب مني العمل الرجوع إلي التسهيل من وقت لآخر، لكثرة أخذ المفسرين الشناقطة منه، وأزعجني ما أجد فيه من الأخطاء الكبيرة.

ولهذا صرفت الهمة في الحصول على نسخ خطية منه، للاعتماد عليها في تصحيحه حسب الإمكان، وإخراجه على الحالة اللائقة به، فيسر الله لي بمنه وكرمه ما أملته فله الحمد والشكر.

فقد حصلت على نسخ خطية اعتمدت عليها في تصحيحه وإخراجه بالشكل الصحيح الذي وضعه عليه مؤلفه أو قريب من ذلك.

وفي هذه المقدمة لا أريد التعرض للأخطاء في هذه الطبعات تفصيلاً لأنها كثيرة جداً ومتنوعة كما أسلفت، ولكنني أذكر بخطأين وقعت فيهما كل المطابع التي طبعت الكتاب والتي وقفت عليها:

* الخطأ الأول: أن ابن جزي صدر كتابه بمقدمتين إحداهما تتعلق بمعاني اللغات ورتبها على حروف المعجم وذلك حسب ترتيب المغاربة، وهي طريقة ترتب الحروف كالتالي: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ كل من ص ض ع غ ف ق س ش هـ وي وهذه الطريقة غير مجهولة عندنا في الغرب الإسلامي، ووضعت على وفقها مؤلفات كثيرة، فمن أشهر هذه المؤلفات:

١ ـ التمهيد لما في الموطإ من المعاني والأسانيد، للفقيه العلامة الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي ت: ٤٦٣هـ.

٢ ـ ومنها: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للوزير الفقيه أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت: ٤٨٧هـ.

٣ ـ ومنها: المحتوى الجامع في رسم الصحابة وضبط التابع، للطالب عبد الله ابن الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي.

٤ ـ ومنها: الحملة في رسم القرآن، لسيدي عبد الرحمن بن سيدي أبي بكر الشنقيطي الأمسمي.

٥ ـ ومنها: كشف العمى في رسم القرآن وضبطه، للشيخ محمد العاقب الجكني الشنقيطي.

ومؤلفات أخرى كثيرة[١].

فابن عبد البر الذي رتب التمهيد على حروف المعجم، حسب الطريقة المغربية، أتى بترجمة طلحة ابن عبد الملك الأيلي، بعد ترجمة زياد بن سعد بن عبد الرحمن الخراساني؛ لأن الطاء يأتي في الترتيب بعد الزاي مباشرة وهكذا..

---

(١) ولقد أوضح الإمام الداني في كتابه القيم: (المحكم في نقط المصاحف) طريقة المغاربة في ترتيب الحروف، كما أوضح طريقة المشارقة ـ التي هي السائدة الآن ـ، بشكل مفصل. انظر: المحكم في نقط المصاحف تحقيق الدكتور/عزة حسن، ص: ٣٢.

وكان الأحرى بمن أراد أن يرتب هذه المقدمة على طريقة المشارقة في ترتيب الحروف أن يبين ذلك، وهذا ما فعله الأستاذ/ مصطفى السقا، فعندما أراد أن يرتب معجم ما استعجم حسب طريقة المشارقة، بين ذلك حيث قال: فإن من عملي في هذا المعجم أن غيرت وضع مادته ورتبتها على حسب ترتيب حروف الهجاء في المشرق...[(١)].

أما الذين قاموا بطباعة التسهيل فكلهم غيروا هذه المقدمة وجعلوها حسب ترتيب المشارقة، ولم يذكروا ما حصل في ذلك من التغيير، ويمكن أن يكون ما فعلوه عن غير عمد؛ لأنهم اعتمدوا المطبوع وليست عندهم مخطوطات للكتاب، يتبينون من خلالها الترتيب الصحيح.

والأدهى من ذلك أن بعض الطبعات جعلت المقدمات ملحقاً في نهاية الكتاب، وذلك تغيير شنيع لا مبرر له في نظري، فمن هذه الطبعات طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٣هـ.

* الخطأ الثاني: أن المؤلف قال في مقدمته: إنه بناه على قراءة نافع لأنها القراءة المستعملة في الأندلس وبلاد المغرب، واقتداء بالمدينة المنورة... إلخ.

ولم تلتزم أي طبعة بهذا، بل إنها كلها غيرت القراءة إلى قراءة عاصم من رواية حفص، ولم تعتذر عن ذلك.

هذا بالإضافة إلى الأخطاء المنتشرة التي تشوه جمال هذا الكتاب وتكدر صفاءه ورونقه وتنقص من مكانته.

فمن أجل ذلك تبين أن إعادة الكتاب على حالته مصححاً، مسألة في غاية الأهمية، وأن رغبة قراء التسهيل أكيدة في أن يروه صحيحاً منقى من التحريف والتصحيف، فكثيراً ما نرى من يثني على هذا التفسير ثناءً عطراً، ثم يضيف إنه

---

(١) مقدمة معجم ما استعجم للبكري ط: عالم الكتب بيروت: ١٤٠٣هـ.

يزهده فيه ما فيه من الأخطاء، والبعض يتمنى أن يجد هذا الكتاب من يعتني به ويخرجه في ثوب أنيق، وحلة قشيبة، ومن هؤلاء الدكتور/ علي محمد الزبيري رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي قدم دراسة مسهبة عن ابن جزي في مجلدين كبيرين، يقول: وأقترح بالنسبة للتسهيل بصفة خاصة أن يعاد طبعه وأن يحقق تحقيقاً علمياً نافعاً يبرزه للناس عموماً، ولطلبة العلم خصوصاً، في ثوب قشيب، بعد الرجوع إلى مخطوطاته الأصلية، ومقارنتها ببعض، وذلك لأن الطبعات الموجودة كلها مليئة بأخطاء فاحشة تحيل المعنى، وبعض المواضع منه تلاحظ فيها أن النص مبتور، كما أن بعض المواضع منه تحتاج إلى تعليق وتوضيح، أو استدلال أو توجيه، أو مقاربة ومقابلة، ولا تجد شيئاً من ذلك في عمل من نشر الكتاب وزعم تحقيقه[١].

*** *** ***

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ٢/٩٤٦.

وصف النسخ المخطوطة
من هذا الكتاب

١ ـ نسخة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية (الخزانة الحسنية) رقم المخطوطة (٢٣٩٠) عدد الأوراق ٢١٤ ورقة كتبت بتاريخ ١٠٢٤هـ الناسخ لم يعرف، لأن مكان الاسم فيه انطماس ومحو.

٢ ـ نسخة الخزانة الحسنية رقم: IIIII ز وهذه النسخة تبدأ من سورة مريم إلى نهاية الكتاب، عدد الأوراق ١١٥ ورقة.

٣ ـ نسخة الخزانة العامة بالمغرب الرقم د/٦٢٧ عدد الأوراق ٢٨١ ورقة الناسخ يحيى عزوزي، تاريخ النسخ محله غير واضح لأن فيه انطماساً وعليه أثر الرطوبة، ويبدو أن هذه النسخة قديمة جداً.

٤ ـ نسخة الخزانة العامة بالمغرب رقم د/٦٨٠ من بداية الكتاب إلى سورة التوبة عدد الصفحات و١٠٠

٥ ـ نسخة الخزانة الملكية ورقمها ١١١٩٧ وهي في الأصل من مكتبة مكناس. وعدد لوحاتها ١٩٥ لوحة، وهي بخط مغربي جميل وواضح، الناسخ لم يذكر اسمه ولا تاريخ النسخ.

٦ ـ نسخة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، وهي بخط مغربي واضح، وعدد صفحاتها ٥٤٤ صفحة، وعدد أسطر الصفحة ٢٨ سطرا، الناسخ إبراهيم المسعدي، تاريخ النسخ: مساء الخميس قبيل رمضان ١٢٦٥هـ ورقمها (١٨٠٩).

٧ ـ نسخة أهل أحمد الأفرم وهي نسخة مكتوبة بخط جميل وعدد صفحاتها ٦٢٢ صفحة وعدد الأسطر في الصفحة يتراوح بين ٣٢ و٣٣ سطراً وعلى غلاف هذه النسخة تمليكات قديمة فقد ملكها العلامة أحمد بن المختار لابن أخته وابن عمه محمد الأمين.

٨ ـ نسخة تيشيت، وهي نسخة واضحة سالمة من المحو والتقطيع إلا في حالات نادرة.

وتوجد نسخ كثيرة منتشرة بالعشرات في المغرب وفي موريتانيا، ولكنني اكتفيت بهذه النسخ واعتبرتها كافية في تصحيح الكتاب.

***

عملي في التحقيق

لقد قمت في تحقيق هذا الكتاب بعمل ما يلي:

* أولاً: تعرضت لذكر الحالة السياسة في عصر المؤلف.

* ثانيا: ترجمت للمؤلف ترجمة مفصلة.

* ثالثاً: ذكرت كلمة عن الكتاب تشمل: نسبته لمؤلفه، ومنهجه، وغير ذلك.

* رابعاً: أعدت ترتيب الكتاب كما وضعه المؤلف، وذلك في المقدمة الثانية المتعلقة باللغات كما سبق وأن أشرت إلى ذلك.

* خامساً: أثبت النص بقراءة نافع، كما وضعه المؤلف.

* سادساً: صححت الكتاب على نسخ خطية معتمدة، وتحريت الصواب في حال اختلاف النسخ، ولم أثبت الفروق بينها لكثرتها وعدم أهمية إثباتها إلا في بداية الكتاب، فالمهم تصحيح النص بدقة.

* سابعاً: خرجت الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب على الغالب.

* ثامناً: ترجمت للأعلام الذين وردت أسماؤهم، إذا كانوا يحتاجون إلى ترجمة.

* تاسعاً: علقت على بعض الموضوعات تعليقات خفيفة، وتعمدت أن تكون كذلك حتى لا يكبر حجم الكتاب، وذلك يتنافى مع رغبة المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: فهو يقول: ثم إنني عزمت على إيجاز العبارة وفرط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

فلهذا حرصت كل الحرص على أن لا أزيد من التعليقات زيادة تنافى رغبة المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

* عاشراً: أثبت النص كاملاً مع التفسير تتميماً للفائدة، وكذلك فعلت الطبعات السابقة، أثبته برواية حفص عن عاصم كما سبقت الإشارة إلى ذلك، بينما اقتصر المؤلف على المقاطع التي فسرها، ولقد حصلنا بفضل الله تعالى على رواية قالون عن نافع، وكان الحصول عليها بجهد مشكور من طرف الأستاذ الفاضل أحمد مزيد بن عبد الحق الجكني البوني فله مني كل الشكر والتقدير.

* حادي عشر: وضعت فهارس علمية في آخر الكتاب تشمل:

١ ـ فهرس الأحاديث والآثار.

٢ ـ فهرس الأعلام.

٣ ـ فهرس الشواهد الشعرية.

٤ ـ فهرس المراجع والمصادر.

٥ ـ فهرس الموضوعات.

والله أرجو أن يوفقنا جميعا لما يحب ويرضى، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

كتبه/

أ.د. محمد بن سيدي محمد مولاي

الحالة السياسية في عصر المؤلف

وتضمنت الكلام عن ملوك بني الأحمر الذين عاصرهم ابن جزي، وملامح نظامهم الداخلي(١).

* الحالة الدينية.
* الحالة الاجتماعية.
* الحالة العلمية.

عصر الإمام ابن جزي:

عاش ابن جزي في العقد الأخير من القرن السابع، وفي معظم العهد الأول من القرن الثامن الهجري، في دولة بني الأحمر بالأندلس الذين عرفوا أيضاً بملوك بني نصر، وقد حكم هؤلاء، وراثة خلال قرنين ونصف قرن، وتولى الحكم خلال هذه الفترة حوالي عشرين من الأمراء، وأطلق على كل واحد منهم أمير المسلمين، وأول ملوك بني الأحمر محمد (الأول) بن يوسف بن الأحمر المعروف بالغالب بالله مؤسس الدولة، حكم من ٦٣٥هـ إلى ٦٧١هـ وآخرهم أبو عبد الله محمد الحادي عشر المعروف بالغالب بالله، وبالملك الصغير، الذي سلم غرناطة آخر حصن إسلامي في الأندلس للملكين الكاتوليكيين: افراندو، وازابيل سنة ٨٩٧هـ(٢).

والمعروف أن الأندلس في زمنهم قد تقلصت تقلصاً واضحاً وأصبحت

---

(١) جل هذه المقدمة منقول من مقدمة صدرت بها تحقيقي للقوانين الفقهية، وأثبتها هنا لحاجة القراء إليها.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة: ٥٦٥/١، ونفح الطيب: ٥١١/٤.

محصورة في مملكة غرناطة، المكونة من ثلاث ولايات تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة (إيبيريا).

ولقد مرت الأندلس بأطوار عديدة منذ الفتح الإسلامي بقيادة طارق بن زياد، وموسى بن نصير سنة ٩٢هـ وحتى سقوط غرناطة، وانتهاء آخر سلطان سياسي للمسلمين بالأندلس سنة ٨٩٧هـ ترك أبو عبد الله في السنة الثانية الأندلس إلى فاس، وعند رحيله جرت له تلك القصة الشهيرة مع أمه عائشة الحرة، والتي من ضمنها قولها له لما بكى:

ابك مثل النساء ملكا مضاعا ... لم تحافظ عليه مثل الرجال[١]

وقد تعرض ابن جزي في كتابه القوانين لهذا التاريخ بشكل موجز[٢] حتى وصل إلى دولة بني الأحمر التي عاصرها، قال: ثم ظهر أمير المسلمين الغالب بالله محمد وملك حضرة غرناطة واستوطنها... وملك ما بقي من بلاد الأندلس وأورثها أهل بيته... واكتفينا بذلك عن الحديث عنه هنا.

وأهم ما يميز العقود الأخيرة للأندلس هو ظهور ما عرف بملوك الطوائف، حيث قسمت الأندلس إلى ست مناطق رئيسة، تضم كل منها إمارة أو أكثر حتى بلغت إماراتها نحو العشرين إمارة[٣].

۞ نبذة مختصرة عن ملوك بني الأحمر الذين عاصرهم ابن جزي:

لقد عاصر ابن جزي ستة من ملوك بني الأحمر، وهم:

١ ـ الملك الأول: محمد الثاني بن محمد بن يوسف بن الأحمر: ولد عام

---

(١) التاريخ الأندلسي، للدكتور الحجي، ص: ٣٩.

(٢) ذكر ذلك في الباب الثاني من كتاب الجامع بعنوان: ذكر فتح الأندلس وذكر من ملكها، ص: ٤٣٤، ط المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ.

(٣) انظر: نفح الطيب: ٣٥٢/٤، ت: الدكتور إحسان عباس، والتاريخ الأندلسي للحجي، ص: ٣٢٤.

٦٣٣هـ، تولى الحكم بعد وفاة أبيه عام ٦٧١هـ، وكان فارساً شجاعاً شاعراً. من أهم الأحداث في فترة حكمه: فتح مدينة (قيجاطة)(١) التابعة لولاية (جيَّان)(٢) عام ٦٩٥هـ، وحصار مدينة (القبذاق)(٣) التابعة لولاية (قرطبة)(٤) عام ٦٩٩هـ، حتى فتحت عنوة، وكانت من أقوى الحصون. وبقيت المدينتان محصنتين بقوات ترابط فيهما، وقد أبرم اتفاقيات مع النصارى ضد بعض الحكام للجهات الأخرى بالأندلس والمغرب، وقد وقعت اضطرابات داخلية في عهده مثل النزاع الذي وقع بينه وبين أشقيلولة «أصهاره»، وتوفي عام ٧٠١هـ بعد حكم ٣٠ عاماً(٥)، أدرك ابن جزي منها ثماني سنوات.

٢ ـ الملك الثاني: محمد (الثالث) بن محمد بن محمد بن يوسف: ولد عام ٦٥٥هـ، وبدأت فترة حكمه عام ٧٠١هـ بعد وفاة والده، فجرى على منواله.

ووصف أيامه ابن الخطيب فقال: خدمته السعود، وأملت بابه الفتوح، وسالمته الملوك، وكانت أيامه أعيادا، وكان الحظ محالفا له، وذكر من مآثره المسجد الجامع بالحمراء، وكان أول أمره غزا مدينة (المنطز) واستولى عليها عنوة، وملك من فيها، ثم قدم للوزارة كاتبه أبا عبد الله بن الحكيم في أواخر عام ٧٠٣هـ، وصرف إليه تدبير ملكه، ويقال: إن ذلك كان ناتجاً عن مرض عينيه

(١) في معجم البلدان (قيشاطة) بالشين بدل الجيم، انظره: ٤/٣٨٨.

(٢) جيان من مدن الأندلس الشهيرة، وتتبع لها قرى كثيرة، وانظر في أخبارها معجم البلدان: ٢/١٩٥.

(٣) مدينة أندلسية من نواحي قرطبة معجم البلدان: ٤/٣٠٤.

(٤) قرطبة غنية عن التعريف، وانظر في أخبارها معجم البلدان: ٤/٣٢٤.

(٥) له ترجمة في الإحاطة لابن الخطيب: ١/٥٥٦ ـ ٥٦٦، وانظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٥/١٠، الأعلام للزركلي: ٧/٣٢، نهاية الأندلس للأستاذ عنان، ص: ٩٤، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٥٥، ومقدمة الدكتور/محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين لتقريب الوصول، ص: ١١.

المزمن، فلم يلبث الوزير حتى تغلب على الأمور وتقلد جميع شؤون الملك، ولم يزل كذلك إلى أن خلع هذا الملك عام ٧٠٨هـ وقتل الوزير.

وكان محمد الثالث هذا يقول الشعر ويثيب عليه، وقد عاش بقية عمره موادعاً بأحد القصور في نواحي غرناطة حتى توفي عام ٧١٣هـ[١].

٣ ـ الملك الثالث: نصر بن محمد بن محمد بن يوسف: ولد عام ٦٨٦هـ، بويع بعد عزل أخيه في غرة شوال عام ٧٠٨هـ، وكان ميالاً إلى السلم والمهادنة، محباً للعلم وأهله، نازل طاغية قشتالة على الجزيرة الخضراء، ونازل طاغية أراغون في ثغر المرية[٢] فهزم النصارى في المرية وتغلبوا عليه في الجزيرة الخضراء، وسقط بأيديهم جبل طارق بعد حصار طويل، وفي عهده وعهد أخيه قبله حصل جفاء وعداء بينه وبين بني مرين حكام المغرب، فانتهز النصارى فرصة ذلك الخلاف فشددوا عليه حتى اضطروه إلى دفع ضريبة لهم، فثار الناس في وجهه وخلع عام ٧١٣هـ، ورشح بعده للملك أبو الوليد إسماعيل بن فرج حفيد إسماعيل بن يوسف أخي محمد بن يوسف رأس الأسرة النصرية ومؤسس دولتها[٣] واستقر في (وادي آش) حتى مات عام ٧٢٢هـ.

٤ ـ الملك الرابع: أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف: كان يدعى بالرئيس، وكان حاكماً (لمالقة)[٤] ولد عام ٦٧٧هـ، وبويع عام ٧١٣هـ وكان

---

(١) انظر ترجمته وافية في: الإحاطة: ١/٥٤٤ ـ ٥٥٦، والدرر الكامنة، لابن حجر: ٤/٣٥٢، والأعلام، للزركلي: ٧/٣٣، ونهاية الأندلس، للأستاذ عنان، ص: ١١٢ ـ ١١٤.

(٢) المرية بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء مدينة أندلسية كبيرة من مدن كورة البيرة، ولها خصوصيات وأخبار مذكورة في كتب التاريخ. انظر: معجم البلدان: ٥/١١٩.

(٣) انظر: الإحاطة: ٣/٣٣٤ فما بعدها، والدرر الكامنة: ٥/٦٥، والأعلام للزركلي: ٨/٢٨، ونهاية الأندلس، ص: ١١٤ فما بعدها، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٥٦.

(٤) مالقة بفتح اللام والقاف مدينة بالأندلس، وينسب إليها جماعة من أهل العلم معجم البلدان: ٥/٥٢.

حسن الخلق ذا عقل وحياء وتثبت وعفة، امتازت فترة حكمه بتوطيد الملك والاستقرار والجهاد في سبيل الله، فاستنجد ببني مرين في المغرب على النصارى، لكنهم لم يجيبوه بسبب سوء علاقتهم بسلفه، وفي بداية عهده غزا القشتاليون بمساعدة جيش نصر الذي خُلع غرناطة، فهزموا المسلمين في (وادي فرتونة) عام ٧١٦هـ واستولى النصارى على بعض المواقع والحصون[١]، وفي عام ٧١٩هـ تألب ملوك النصارى وأمراؤهم على (غرناطة) وكان عددهم خمسة وعشرين ملكا، جاءوا لاستئصال من بقي من المسلمين بالأندلس، وكانت خطة مدبرة من الكنيسة في (طليطلة)، وكان ضمن هذه الجيوش بعض المتطوعين الإنجليز بقيادة أمير منهم[٢].

وبعد أن يئس الأندلسيون من نصرة إخوانهم بالمغرب، رجعوا إلى الله ﷻ وأخلصوا نياتهم للجهاد، وكان قوام جيشهم ستة آلاف رجل، من ضمنهم ألف وخمسمائة فارس، وكان قائد الجيش أبا سعيد عثمان بن أبي العلاء، فدارت الدائرة على جيوش البغي والعدوان جيوش النصارى، وانتصرت الفئة القليلة المسلمة بنصر الله ﷻ: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٣]، وكانت خسائر الكفار هائلة، وخسائر المسلمين قليلة قدرت بحوالي (١٣) فارساً، وقدرت خسائر الكفار أكثر من خمسين ألفاً[٤].

وفي عام ٧٢٧هـ زحف أبو الوليد على مدينة (بياسة)[٥] الحصينة وحاصرها حتى نزل أهلها على حكمه، وفي رجب ٧٢٥هـ فتح (مرتش) عنوة، وكانت من

(١) الإحاطة: ١/٣٨٩، ونهاية الأندلس، ص: ١١٧، والدرر الكامنة: ٥/٦٥، والأعلام للزركلي: ٨/٢٨.

(٢) نفح الطيب: ١/٤٢٣، ونهاية الأندلس، ص: ١١٨.

(٣) سورة محمد الآية: ٧.

(٤) نفح الطيب: ١/٤٢٥، والعبر لابن خلدون: ٤/١٧٣، والإحاطة: ١/٣٧٧ ـ ٣٩٧.

(٥) بياسة بياء مشددة مدينة أندلسية، معجم البلدان: ١/٥١٨.

أعظم غزواته، وغنم منها المسلمون مغانم كثيرة، وعاد إلى (غرناطة) ظافراً، وبعد ثلاثة أيام اغتاله ابن عم له طعنه بخنجر فحمل جريحا وتوفي على أثر ذلك في اليوم التالي: وتقبل شهادته[١].

٥ ـ الملك الخامس: محمد (الرابع) بن إسماعيل بن فرج: ولد عام ٧١٥هـ وتولى في رجب عام ٧٢٥هـ بمساعدة حاجبه، واشتملت عليه الكفالة إلى أن بلغ وظهر، ففتك بوزيره الذي كان مسيطراً عليه، وذلك عام ٧٢٩هـ فهيب بعد ذلك وخيف من سطوته، وكان يعد من نبلاء الملوك، عذب الشمائل، يضرب به المثل في الشجاعة والإقدام والفروسية، وفقه الله في وقائع كثيرة مع الكفار، ففتح مدينة (قبرة)[٢] وهي من الحصون تقع شمال غربي غرناطة، ومدينة (باغة)[٣] وغيرهما. ومما يعد من أعظم مناقبه تحريره جبل الفتح (جبل طارق) بمساعدة سلطان المغرب عام ٧٣٣هـ بعد أن ظل بأيدي النصارى أربعا وعشرين سنة، وكان تحريره مهما، لأنه همزة الوصل بينهم وبين إخوانهم في المغرب، ولما كان عائداً إلى غرناطة بعد تحريره الجبل اغتاله متآمرون بتدبير بني أبي العلاء الذين كانوا يتمنعون بمشيخة الغزاة في الدولة النصرية، وكان لهم دور كبير في الأحداث، وكان اغتياله رابع أيام عيد الأضحى من عام ٧٣٣هـ[٤]. وكان يطمع في تحرير إشبيلية[٥].

٦ ـ الملك السادس: أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج: ولد

---

(١) نهاية الأندلس، ص: ١٢٠، والإحاطة: ١/٣٩٠ ـ ٣٩٢، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٥٨.

(٢) قبرة بلفظ تأنيث القبر قال ياقوت الحموي: أظنها عجمية رومية، معجم البلدان: ٤/٣٠٥.

(٣) باغة مدينة أندلسية بينها وبين قرطبة خمسون ميلا، ولها أخبار كثيرة، انظر: معجم البلدان: ١/٣٢٦.

(٤) الإحاطة: ١/٥٣٢، نهاية الأندلس، ص: ١٢١ ـ ١٢٥، الأعلام للزركلي: ٦/٣٦، اللمحة البدرية، ص: ٧٧.

(٥) انظر: الإحاطة: ٤/٣١٨، ونهاية الأندلس، ص: ١٢٥، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٥٩. ومعجم البلدان: ١/١٢٥.

سنة ٧١٨هـ، تولى الملك في أواخر سنة ٧٣٣هـ، وعمره (١٥ عاماً و٨ شهور) واستقل بالملك وقام بأعباء الدولة حتى أصبح من أعظم ملوك بني نصر وأبعدهم همة وأرفعهم شأناً، وكان عالماً أديباً أضاف إلى قصر الحمراء أعظم منشآته، وأنشأ مدرسة غرناطة الشهيرة وشيدها، وجعل لها أوقافاً تضمن استمرارها أطول مدة، وقد استمرت بالفعل إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وقام بإنشاء وإصلاح كثير من الحصون والأبراج بالأندلس للدفاع عنها، وقد تتبع بني أبي العلاء الذين قتلوا أخاه وجردهم من الوظائف، ومزق شملهم.

وفي عهده وقعت أعظم موقعة نشبت بين المسلمين بقيادته، والسلطان أبي الحسن علي بن عثمان المريني من جهة، وبين الفونس الحادي عشر ملك قشتالة من جهة ثانية، وكانت الدائرة فيها على المسلمين وهي موقعة (طريف)[1] بعد ما أبلوا بلاءً حسنا، وبعد حصار دام مدة أشهر قطع فيه العدو المؤن والمدد من جهة المغرب، وكان ذلك عام ٧٤١هـ وفي هذه المعركة وقعت محنة عظيمة لم يشهد المسلمون مثلها منذ وقعة (العقاب) سنة ٦٠٩هـ وكان لها أعمق الأسى في نفوس المسلمين في المغرب والأندلس، حيث استشهد الإمام ابن جزي واستشهد معه كوكبة عظيمة من قادة المسلمين وعلمائهم من المغاربة والأندلسيين، ثم حصلت بينهم وبين النصارى هدنة حتى قتل أبو الحجاج في أثناء صلاة عيد الفطر عام ٧٥٥هـ[2].

۞ ملامح النظام الداخلي لدولة بن الأحمر:

يحسن هنا التحدث باختصار عن هيكل النظام لدولة بني الأحمر النصرية وأهم المناصب فيها.

فأهم المناصب في هذه الدولة بعد الملك:

---

(١) طريف: شبه جزيرة تقع على مضيق جبل طارق وهي مقابلة لمدينة سبتة المغربية، بينهما مضيق جبل طارق، ونفح الطيب: ١/٢١٤، وابن جزي ومنهجه: ١/٧١ للدكتور علي الزبيري.

(٢) انظر: الإحاطة: ٤/٣١٨، ونهاية الأندلس، ص: ١٢٥.

أ ـ الوزارة: كانت الوزارة في عهد بني الأحمر تسند إلى أحد الأعلام ورجال الفكر والأدب، وتتلخص مهمة الوزير في تلقيه أوامر من سلطانه، والعمل على تنفيذها، فهو رأس السلطة التنفيذية في الدولة.

ب ـ قيادة الجيش في الدولة: وهذا المنصب من أهم المناصب في القديم والحديث، وكان ذا أهمية خاصة بالنسبة لدولة بني نصر بالأندلس، نظراً لكونها تواجه غزواً مستمراً لأراضيها من قبل أعدائها النصارى الأسبان(١).

جـ ـ القضاء: وأرفع المناصب القضائية في دولة غرناطة قاضي الجماعة، وكان الغالب أن يجمع القاضي بين منصبه هذا، وبين الخطابة أيام الجمع بمسجد الحمراء(٢).

ومن الوظائف التي كانت تتبع القضاء وظيفة الحسبة التي تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

۞ الحالة الدينية في الأندلس

ذكر المقري في نفح الطيب: أن الغالب عند أهل الأندلس إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتطبيقها، وقد يدخلون على السلطان في قصره المشيد، ولا يعبئون بخيله ورجله، حتى يخرجوه من بلدهم، إذا تساهل في أمر تطبيق الحدود، أو حصل منه أمر منكر مخالف للشرع، وهذا كثير في أخبارهم.

وأما الرجم بالحجر للقضاة، والولاة للأعمال إذا لم يعدلوا فكل يوم.

ومن يتعاطى الفلسفة أو التنجيم فإنه يكتم ذلك ولا يتظاهر به خوفا من العامة(٣).

---

(١) انظر: الإحاطة: ٤/٣١٩، والتاريخ الأندلسي، للحجي، ص: ٥٦٤.

(٢) تاريخ قضاة الأندلس للنباهي، ص: ٢١، ونهاية الأندلس لعنان، ص: ٤٤٤.

(٣) نفح الطيب: ١/٢٠٤.

وقد كان المذهب الفقهي السائد في الأندلس في بداية الفتح وبعده بقليل هو مذهب الإمام الأوزاعي، إمام أهل الشام في عصره ت١٥٨هـ ثم ما لبث المذهب المالكي أن ساد الأندلس، وخاصة بعد سفر يحيى بن يحيى الليثي من الأندلس إلى المدينة وتلقيه العلم عن الإمام مالك مباشرة، حيث عاد فروى الموطأ عنه.

وقد كان الأندلسيون من الناحية العقدية على مذهب السلف شأنهم شأن إخوتهم المغاربة، الذين يشتركون معهم في المذهب المالكي، حتى جاء محمد بن تومرت (المهدي) مؤسس دولة الموحدين في المغرب التي سيطرت على الأندلس فيما بعد، وورثت دولة المرابطين فنشر مذهب الأشعرية ومكن له، حتى أصبح جمهور علمائهم على مذهب الأشعري في العقيدة[١].

وهذا لا ينفي وجود علماء أخذوا بمذهب الأشعري قبل ابن تومرت مثل: القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ت: ٤٧٤هـ.

أما التصوف: فقد ظهر فيما يبدو متأخراً في الأندلس، وإن وجد في الأندلس كثير من العباد الزهاد منذ فجر الإسلام.

فلقد اشتهر موقف المرابطين من كتب الغزالي وأوامرهم المتالية بإحراقها، كما تصدى بعض علماء الأندلس للغزالي وكتبه، فألفوا رسائل في الرد عليه، أصبحت مما يتلقاه طلبة العلم عن مشايخهم[٢].

ومنذ ظهور الموحدين نما وازدهر الاتجاه الصوفي حتى صدرت الأندلس للمشرق بعض زعماء التصوف، من أشهرهم محي الدين ابن عربي الطائي الحاتمي صاحب الفتوحات المكية[٣].

---

(١) نفح الطيب: ٢/٢٧٥، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٧٨، وغيره.

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي، ص: ٢٣٦.

(٣) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي: ٣/١٠٨، والبداية والنهاية لابن كثير: ١٣/٥٦، والأعلام: ٦/٢٨.

وبجانب هذا الاتجاه كان يوجد اتجاه مخالف للاتجاه الصوفي يمكن أن نسميه الاتجاه السَّلفي الذي يحث على التزام مذهب السلف عقيدةً وسلوكاً، وقد كان ابن عبد البر وابن العربي، وغالب علماء الحديث في الأندلس من أنصار هذا الاتجاه[١].

۞ الحالة الاجتماعية في عصره

يتكون المجتمع الغرناطي من عدة طبقات كغيره من المجتمعات البشرية:

الطبقة الأولى: الملوك، والأمراء، ومن معهم من الأقرباء والأصهار، ولا يتولى الإمارة إلا من كان من الأسرة النصرية، أو من أصهارها[٢].

الطبقة الثانية: الوزراء والقضاة، ورؤساء الأجناد، والحجاب، والكتاب، ولهم ديوان له رئيس تصدر عنه الرسائل الحكومية والمراسيم[٣].

الطبقة الثالثة: العلماء، والمدرسون من أصحاب القراءات، والحديث، والفقه، وسائر العلوم الشرعية وغيرها، وطلاب العلم[٤].

الطبقة الرابعة: الصوفية، والزهاد، والفقراء[٥].

الطبقة الخامسة: التجار والمزارعون، وأصحاب الحرف والصناعات[٦].

أما العبيد فلا يشكلون طبقة؛ لقلتهم وعدم تأثيرهم في الحياة الاجتماعية.

وكما كان المجتمع في غرناطة يتكون من عدة طبقات، كان يتكون من عدة

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٨٢.
(٢) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٩٢.
(٣) المصدر السابق: ١/٦٢.
(٤) الإحاطة: ٣/٢٠، ١٥٦، ٤/١٩٦، والكتيبة الكامنة، ص: ٣١.
(٥) المصدر السابق: ٣/٢٢٩، ٤/١٩٦، والكتيبة الكامنة، ص: ٣١.
(٦) ابن جزي ومنهجه: ١/٩٣.

أجناس بعضها يكمل بعضا، فكان هناك مثلاً العرب بمختلف قبائلهم القحطانية، والعدنانية، كما يوجد فيهم الطائي، والغافقي، والكلبي، والأزدي، والمعافري، والفهري، والأموي، والحميري، والغساني، إلى غير ذلك من بطون العرب، ثم البربر كذلك بمختلف قبائلهم المرينية، والزناتية، والتيجانية، والمغراوية، والعجيسية[١]. ثم المولدون بمختلف أصنافهم من قشتاليين، وأرغونيين، وليونيين، وبرتغاليين[٢]. ومنهم ذميون معاهدون من نصارى ويهود، وأرقاء.

ومع تنوع أجناس هذا المجتمع، فقد كانت اللغة العربية تسوده حتى في أسبانيا التي تخضع للحكم النصراني، فضلاً عن اليهود والنصارى داخل الدولة الإسلامية، وكان السواد الأعظم من العرب في مملكة غرناطة، وكانت السمات العربية واضحة في أخلاقهم وصفاتهم البدنية وألسنتهم وعاداتهم[٣]، وكان هذا المجتمع يزاول عدة أنشطة من أهمها: الزراعة، والصناعة، وخاصة صناعات الأسلحة، كما كان لهم قصب السبق في الفن المعماري الإسلامي، ولا تزال شواهده قائمة مثل قصر الحمراء، وقد كان النشاط التجاري قائماً على قدم وساق داخل الدولة وخارجها مع الإيطاليين وغيرهم من الدول، وكانت هناك اتفاقات تجارية مع تلك الدول[٤].

الحالة العلمية في عصر ابن جزي

تقدمت الإشارة إلى الفترة التي عاشها ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذلك الحياة السياسية في الفترة التي سبقت عصره حيث كانت تتخللها فترات هدوء وفترات

(١) انظر: الإحاطة: ١/١٣٥ فما بعدها، وابن جزي ومنهجه: ١/٩٧.

(٢) المصدر السابق. ونهاية الأندلس، ص: ١٦٣، والمُغرِب في حلي المغرب: ١/٣٥٤.

(٣) انظر: نهاية الأندلس، ص: ٧٣، والإحاطة: ١/١٣٤، ٤/١٣٩.

(٤) نهاية الأندلس، ص: ٤٤٥، الإحاطة: ١/١٣٣، تاريخ العرب العام، ص: ٣١٦، غرناطة وآثارها الفائتة، ص: ٥٨، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٩٧.

اضطراب بسبب أحداث داخلية في الغالب وأحداث خارجية أحياناً أثرت على الحركة العلمية، حيث إن كثيراً من أساطين العلماء قد استشهد أثناء الجهاد في سبيل الله والذب عن الحياض الإسلامية، وخاصة في القرن السابع الهجري، ومنهم من هاجر من البلاد لما رأى عواصم الأندلس تسقط في أيدي النصارى، ورأى تمزق المسلمين مما جعلهم لقمة سائغة لعدوهم الذي كان يريد الحماية منهم في يوم من الأيام، ومن هؤلاء «القرطبي» صاحب التفسير (المتوفى عام ٦٧١هـ)، و«ابن خروف» القرطبي النحوي المشهور (المتوفى عام ٦٠٩هـ)، و«الشلوبيني» (المتوفى عام ٦٤٥هـ)، وهي السنة التي سقطت بعدها إشبيلية، وغير هؤلاء كثير.

أما القرن الثامن الذي عاش ابن جزي: في نصفه الأول وعلى الرغم من الاستقرار السياسي النسبي الذي حظيت به غرناطة، إلا أن العلماء في هذه الفترة مع علمهم وجلالتهم لم يكونوا مثل علماء القرن السابع، لا في العلم ولا في الورع إلا من شاء الله، حيث يتمثل النبوغ في هذه الفترة في الغالب في الجانب الأدبي، وخاصة الشعر، فمن فحول الشعراء في هذه الفترة: الوزير الكاتب «ابن الحكيم الرندي» (المتوفى عام ٧٠٨هـ)، و«ابن خميس» (المتوفى عام ٨٠٧هـ)، والرئيس «أبو الحسن بن الجياب» (المتوفى عام ٧٤٩هـ)، و«ابن خاتمة» (المتوفى عام ٧٧٦هـ)، وغيرهم[١].

وبعد هذا نذكر بعض العلماء الذين اشتهروا في عصر ابن جزي وكانت لهم مؤلفات مما يعطي القارئ تصوراً أفضل عن الحالة العلمية في هذا العصر:

١ ـ ابن أبي الأحوص الفهري (المتوفي عام ٦٩٩هـ) ألف في التفسير وفي القراءات، وشرح المستصفى، وله تأليف في الحديث[٢].

---

(١) انظر: ابن جزي ومنهجه: ١/١٠٦ ـ ١٠٨.

(٢) انظر ترجمته في: طبقات القراء، لابن الجزري: ١/٢٤٢، وطبقات المفسرين، للداودي: ١/١٥٠.

٢ ـ المالقي (المتوفى عام ٧٢٣هـ) له أكثر من ثلاثين مؤلفاً منها في التفسير والقراءات[١].

٣ ـ ابن الكماد (المتوفى عام ٧١٢هـ) كان إماماً في القراءات، وكان عالماً بالأصول[٢].

٤ ـ ابن الشاط الأنصاري (المتوفى عام ٧٢٣هـ) له حاشية على الفروق للقرافي[٣].

٥ ـ ابن سلمون (المتوفى عام ٧٧٦هـ) وله كتاب في الوثائق والأحكام[٤].

٦ ـ أبو القاسم السبتي الغرناطي (المتوفى عام ٧٦١هـ)[٥].

كل هؤلاء علماء في علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية والتاريخ، وغيرهم كثير، وهناك مهندسون وأطباء، منهم ابن الحاج المهندس (المتوفى عام ٧١٤هـ)، وابن السراج (المتوفى عام ٧٣٠هـ) طبيب السلطان، وأبو زكريا حكيم غرناطة وفيلسوفها (المتوفى عام ٧٥٣هـ)، وفي الجملة كانت المكتبات مزدهرة، العامة منها والخاصة، فكان العلماء والمؤلفون يؤلفون الكتب ويرفعونها للسلطان، فيثيبهم.

*** *** ***

(١) انظر ترجمته في: الديباج، لابن فرحون: ٢/٢٨٨، والإحاطة: ٣/٩١، وابن جزي ومنهجه: ١/١١٠.

(٢) انظر: الإحاطة: ٣/٦٠.

(٣) انظر: بروكلمان: ٢/٢٦٤.

(٤) انظر: نفح الطيب: ٧/١١٦، وابن جزي ومنهجه: ١/١١٥.

(٥) انظر: نفح الطيب: ٧/١١٦، والإحاطة: ٢/١٨١، وقضاة الأندلس، ص: ١٧١.

ترجمة المؤلف

۞ اسمه وكنيته:

اسمه: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ابن جزي الكلبي الغرناطي.

وكنيته: أبو القاسم.

۞ ولادته ونشأته:

ولد أبو القاسم ابن جزي يوم الخميس تاسع ربيع الثاني سنة ثلاث وتسعين وستمائة هجرية ٦٩٣هـ في مدينة غرناطة التي كانت حاضرة الأندلس، وقبلة علماء المغرب، وتعلم العلم منذ صغره؛ لأنه كان من بيت عريق في العلم والأصالة، والنبل والمجد، يقول المقري في نفح الطيب: وبيت بني جزي بيت كبير، مشهور بالمغرب والأندلس. فكانت لهذه البيئة العلمية الأصيلة أثر في عكوفه على طلب العلم منذ صباه، قال ابن الخطيب: كان على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاقتصار على الاقتيات من حر النشب، والاشتغال بالنظر والتقييد، والتدوين، وتشير المصادر إلى أنه كان يملك مكتبة ضخمة متنوعة، وأنه كان عاكفاً عليها مستفيداً منها حيث تضلع من المعارف المختلفة كالقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والأصول، وأصول الدين، والأدب، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن.

وقد كان إضافة إلى ذلك شاعراً أديباً.

تولى الخطابة في ريعان شبابه بالجامع الأعظم بغرناطة، فوفق في استمالة القلوب، وتوجيه الناس بالأسلوب الحسن، والبراعة والمنطق.

كان مشتغلاً بالعلم تحصيلاً وتأليفاً، وبالعمل حتى بلغ الغاية القصوى في العلم والعمل.

۞ نسبه:

أما نسبه: فاتفق جميع المترجمين له أنه من أقحاح[١] العرب، حيث أنه كلبي نسبة إلى قبيلة بني كلب، التي يرجع نسبها إلى حمير[٢].

ويعود تاريخ استقرار سلف ابن جزي بالأندلس إلى نهاية الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة حيث نزل أحد أجداده بثغر (ولبه) جنوب غرب إشبيلية بين سنة ١٢٥ وسنة ١٢٧هـ. ويظهر أن هذه الأسرة تنقلت بين عدة مدن أندلسية قبل استقرارها بغرناطة، وأن مدينة (جيان)[٣] كانت إحدى محطاتها في منتصف القرن السادس للهجرة، وذلك كما يشير هو نفسه في كتاب القوانين الفقهية أن أحد أجداده أبا بكر يحيى بن عبد الرحمن كان قاضياً بتلك المدينة سنة ٥٤٠ هـ.

۞ أولاده:

لقد كان لابن جزي ثلاثة أبناء، كلهم على درجة كبيرة من العلم والأدب. وقد قال المقري عنهم: ظاهرين بين القضاء والكتابة[٤] وسوف نتعرض لهم عند الكلام على تلاميذه بشيء من التفصيل.

---

(١) القح: الخالص من اللؤم.

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص: ٤٥٥، والأنساب للسمعاني: ١١/١٣٠.

(٣) جيان: من القواعد الأندلسية الهامة أيام الدولة الإسلامية وهي تقع شمال غرناطة وشرقي قرطبة.

(٤) نفح الطيب: ٥/٥١٥.

۞ مكانته العلمية وأخلاقه:

كان: نابغة زمانه في مختلف العلوم الإسلامية، حيث كان إماماً في التفسير والقراءات، والحديث، والفقه، والأصول، واللغة، والكلام، وكان أديباً، فاضلاً، عذب الشمائل، متواضعاً، عاكفاً على العلم، والاشتغال بالنظر، والتقييد والتدوين، والإفتاء، والجهاد، والقيام على التدريس، والمشاركة في جميع الفنون، على صغر سنه.

۞ شيوخه:

لقد أخذ ابن جزي عن جملة من العلماء، ولعله أخذ عن والده، وذلك أن لوالده طلبا وسماعا، قال ابن حجر: كان من أهل الأصالة والذكاء... وكان محمودا وله طلب وسماع[١]، وأخذ عن مجموعة كبيرة من العلماء غيره منهم:

١ ـ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الجياني الغرناطي ت: ٧٠٨هـ خاتمة المحدثين ورأس العلماء المقرئين[٢] قال عنه ابن جزي في تفسيره هذا: ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطةً في علمه، وقوة في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق[٣].

٢ ـ محمد بن أحمد بن داود بن موسى اللخمي، الكماد ت: ٧١٢هـ، من جلة الفقهاء، فائقا في الزهد والقناعة ودماثة الخلق ولين الجانب، إليه الرحلة في القراءات، محدث، حافظ، ضابط، ثبت، من تصانيفه الممتع في القراءات، وغيره[٤].

---

(١) الدرر الكامنة: ١/٢٩٤.

(٢) انظر ترجمته في الكتب التالية: الإحاطة: ١/١٨٨، والديباج: ١/١٨٨، والدرر الكامنة: ١/٨٩، وطبقات المفسرين، للداودي: ١/٢٧٠.

(٣) مقدمة هذا الكتاب، التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٩، المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ.

(٤) انظر ترجمته في: الديباج: ٢/٢٧٩، وطبقات القراء، لابن الجزري: ١/٦٣.

٣ ـ هبة الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري الغرناطي ت: ٧٢١ هـ، كان بحرا في علوم الإسناد والرواية، مع التمكن في الدراية، حافظاً، نظاراً، رحالة، متحلياً بالوقار، متضلعاً من العربية واللغة والأخبار، عرف بجمع الكتب وحسن الخلق والتواضع والوقار، من مصنفاته: ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة، وترجمان التراجم، ومؤلفات أخرى[(١)].

٤ ـ أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن محمد ابن الشاط الأنصاري ت: ٧٢٣هـ مؤلف «إدرار الشروق على أنواء الفروق»، تعليق على الفروق للقرافي، وله كتب أخرى قال عنه صاحب شجرة النور الزكية: «الإمام العالم الجليل وحيد دهره وفريد عصره الحافظ النظار، المؤلف المعروف بجودة الفكر والاختصار، والتحلي بالوقار»[(٢)].

٥ ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي المالقي (ت: ٧٢٤هـ) خطيب متفق على صلاحه ورفقه بالناس وعطفه عليهم، آخذا بسنن السلف سمتا وهديا وغضا للبصر، لا يتكلم إلا بذكر الله والعلم النافع، تولى الخطابة ببلده (مالقه) وكان مجاب الدعوة، واستسقى ذات يوم، فلم يبرحوا حتى سقوا، وتذكر عنه كرامات كثيرة[(٣)].

٦ ـ أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن علي بن برطال (ت: ٧٠٩هـ)، قال عنه لسان الدين ابن الخطيب شيخ القضاة وبقية المجتهدين[(٤)].

٧ ـ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن الربيع القرطبي (ت: ٧١٧ هـ)[(٥)].

---

(١) انظر ترجمته في: الإحاطة: ٣/٦٠، والديباج: ٢/٢٩٧، والفكر السامي: ٢/٢٤٦.

(٢) انظر ترجمته في: الإحاطة: ٤/٢٥٩، والديباج: ٢/١٥٢، وشجرة النور الزكية، ص: ٢١٧.

(٣) انظر: الإحاطة: ٣/٢٤٥، ونفح الطيب: ٣/٢٤٥.

(٤) انظر ترجمته في: الإحاطة: ١/١٧٩، ونفح الطيب: ٣/٤٤٩.

(٥) انظر ترجمته في: الإحاطة: ٣/٢٤٥، والدرر الكامنة: ٣/٤٦٢.

٨ ـ أبو المجد يوسف بن الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوط (ت: ٧٠٩هـ)[١].

وسمع من مشايخ آخرين غير هؤلاء منهم:

ـ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن المؤذن

ـ وأبو زكريا البرشاني

ـ وأبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري.

۞ تلاميذه:

أما تلاميذه فأهمهم أولاده الثلاثة:

١ ـ أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي[٢] الشاعر الفقيه القاضي الكاتب الخطيب ت٧٨٥هـ من مؤلفاته شرح على ألفية ابن مالك وتقييدات على القوانين الفقهية، ولما حفظ القرآن الكريم ألف له والده كتاباً في الحديث ليحفظه، وسيأتي الحديث عن الكتاب ضمن مؤلفات ابن جزي.

٢ ـ أبو عبد الله محمد بن جزي الفقيه الأصولي الكاتب الأديب الشاعر والعالم بالتاريخ والحساب واللغة والنحو والبيان[٣] نشأ بغرناطة في كنف والده، وكان يعيره العناية التامة من حيث التربية والتعليم، فقد ألف كتابه «تقريب الوصول» من أجله، قال في المقدمة: ولذا أحببت أن يضرب ابني محمد ـ أسعده الله ـ في هذا العلم بسهمه، فصنفت هذا الكتاب برسمه، ووسمته باسمه، لينشط لدرسه وفهمه، وعولت فيه على الاختصار والتقريب، مع حسن الترتيب والتهذيب[٤] (ت٧٥٧ هـ)

---

(١) مقدمة الأستاذ: عبد الكريم الفضيلي، للقوانين، ص: ١١.

(٢) انظر ترجمته في الكتب التالية: الإحاطة: ١/١٥٧، ونفح الطيب: ٨/٣١.

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة: ٢/٢٥٧، والدرر الكامنة: ٤/٢٨٣، ونفح الطيب: ٨/٤٠.

(٤) وانظر ص: ٨٨، تحقيق الدكتور/محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لتقريب الوصول إلى علم الأصول.

وأبو عبد الله هذا هو الذي دون رحلة ابن بطوطة الشهيرة، وله تقييدات في الحديث، وفوائد لطيفة، وأشعار رقيقة.

٣ ـ القاضي أبو محمد عبد الله بن جزي إمام في اللغة والشعر بحر في البيان والقراءات، ولم نعثر على تاريخ وفاته[١].

٤ ـ ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب الأديب الشاعر (ت: ٧٧٦هـ) ألف فيه المقري كتابه «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب[٢].

٥ ـ أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الخدامي الشهير بالنباهي، من أهل مالقة القاضي الفقيه الحسيب، الخطيب الكاتب من مؤلفاته تاريخ قضاة الأندلس وغيرها (ت: ٧٩٣هـ)[٣].

٦ ـ ابن عطية المحاربي عبد الحق بن محمد الفقيه القاضي الخطيب، من كبار أعيان الأندلس وسليل بيت العلماء[٤].

٧ ـ أبو القاسم بن الخشاب: (ت٧٧٤هـ) علامة عالم بالفقه والقراءات[٥].

٨ ـ أبو عبد الله محمد بن قاسم بن أحمد الشديد (ت: ٧٧٦ هـ) تقريبا[٦].

وتلاميذ الإمام ابن جزي غير هؤلاء كثيرون.

۞ مصنفاته:

١ ـ النور المبين، في قواعد عقائد الدين[٧].

---

(١) انظر: الإحاطة: ٣/٣٩٢، ونفح الطيب: ٨/٥٤.

(٢) انظر: الدرر الكامنة: ٣/٤٦٩، والقسم الثاني من نفح الطيب، للمقري، والبدر الطالع: ٢/٩١.

(٣) انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، ص: ٢٠٥، وأزهار الرياض: ٢/٥، وأعلام الأندلس.

(٤) انظر الإحاطة: ٣/٥٣٩، ونثير الجمان، لابن الأحمر، ص: ١٣٧.

(٥) انظر ترجمته في طبقات القراء، لابن الجزري: ٢/٨٣، والدرر الكامنة: ٥/٩.

(٦) انظر الإحاطة: ٣/١٩٦، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٢١١.

(٧) الديباج: ٢/٢٧٥.

٢ ـ المختصر البارع، في قراءة نافع[١].

٣ ـ أصول القراءات الستة غير نافع[٢].

٤ ـ الأنوار السنية في الألفاظ السنية، ألفه ابن جزي من أجل تسهيل حفظ بعض الأحاديث على ابنه أبي بكر كما قال في المقدمة: ولما يسر الله على ابني أحمد المكني أبا بكر.. حفظ القرآن الكريم أحببت أن يفوز بحظ من حفظ حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم فجمعت له في هذا الكتاب جملة صالحة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

٥ ـ التسهيل في علوم التنزيل[٤].

٦ ـ وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم[٥].

٧ ـ الدعوات والأذكار، المخرجة من صحيح الأخبار[٦].

٨ ـ تقريب الوصول، إلى علم الأصول[٧].

٩ ـ الفوائد العامة في لحن العامة[٨].

١٠ ـ الصلاة: كتاب في الفقه والترغيب[٩].

١١ ـ الضروري من علوم الدين[١٠].

---

(١) شجرة النور، ص: ٢١٣.

(٢) الديباج: ٢/٢٧٥.

(٣) الإحاطة: ٣/٢١، والأعلام: ٣/٣٤٥.

(٤) وهو هذا الكتاب الذي نقوم بتحقيقه بحول الله تعالى.

(٥) الديباج: ٢/٢٧٥.

(٦) الشجرة، ص: ٢١٣.

(٧) الديباج: ٢/٢٧٥، والشجرة، ص: ٢١٣.

(٨) الديباج: ٢/٢٧٥.

(٩) الإحاطة: ٣/٣٩٣.

(١٠) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٢١٨.

١٢ ـ فهرسة كبيرة اشتملت على كثير من أهل المشرق والمغرب[١].

١٣ ـ القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية طبع عدة مرات[٢].

وقد نسب الأستاذ/عبد الكريم الفضيلي في مقدمة تحقيقه للقوانين لابن جزي كتابا بعنوان: «الإشارات الصوفية» وذلك اعتمادا على نص محرف في هذا الكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل»، وهو: وقد ذكرنا هذا في كتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية.[٣]

والصواب الذي يوجد في المخطوطات الصحيحة، هو كالتالي: «وقد ذكرنا في كتابنا هذا ما يستحسن من الإشارات الصوفية...» ثم بدأ يوضح ذلك.

۞ شعره:

كان الإمام ابن جزي شاعراً مجيداً، حسن الشعر قوي الأسلوب، وكان دائماً ينسج الشعر في الأغراض النبيلة.

ومن شعره قوله في مدح النبي ﷺ:

أروم امتداح المصطفى ويردني ... قصوري عن إدراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ... ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب
ولو أن أعضائي غدت ألسنا إذاً ... لما بلغت في المدح بعض مآرب
ولو أن كل العالمين تسابقوا ... إلى مدحه لم يبلغوا بعض واجب

(١) الديباج: ٢/٢٧٥.

(٢) الديباج المذهب: ٢/٢٧٥، وشجرة النور الزكية، ص: ٢١٣.

(٣) وقد وقع في هذا الوهم كل من الأستاذ/عبد الحميد محمد ندا في رسالته: ابن جزي وجهوده في التفسير من خلال التسهيل، ص: ٨٦، والدكتور: أبو الريش في رسالته عن ابن جزي وأثره في الفقه الإسلامي، نقل ذلك كله الدكتور الزبيري في كتابه ابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٢٤.

فأمسكت عنه هيبة وتأدبا وعجزا وإعظاماً لأرفع جانب
ورب سكوتٍ كان فيه بلاغة ورب كلام فيه عتب لعاتب

ومن شعره أيضًا قوله:

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيسلي حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظري إليها محافظة على عرضي وديني

ومن نظمه أيضًا:

أيا من كففت النفس عنه تعففا وفي النفس من شوقي إليه لهيب
ألا إنما صبري كصبر وإنما على النفس من تقوى الإله رقيب(١)

۞ وفاته:

توفي: يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ٧٤١هـ في موقعة (طريف)(٢) مع النصارى حيث فقد وهو يحرض المؤمنين ويشحذ هممهم، وقد حقق الله له أمنية طالما تمناها، وهي الشهادة في سبيل الله، فمن شعره في هذا الموضوع قوله:

قصدي المؤمل في جهري وإسراري ومطلبي من إلهي الواحد الباري
شهادة في سبيل الله خالصة تمحو ذنوبي وتنجيني من النار
إن المعاصي رجسٌ لا يطهرها إلا الصوارم في أيمان كفار(٣)

وقد عاش المؤلف ٤٨ سنة فقط، ولكن الله جعل له البركة في عمره، فعمل أعمال المعمرين، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

---

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير للزبيري: ١/٢٣٦.
(٢) موقعة شهيرة وقعت بين المسلمين والنصارى، وطريف تقع في جنوب إسبانيا في المثلث الذي في رأسه جبل طارق، سميت باسم طريف بن مالك أول قائد مسلم عبر البحر إلى إسبانيا أرسله موسى بن نصير قبل طارق بن زياد.
(٣) نيل الابتهاج للتنبكتي، ص: ٢٣٨. بتصرف.

ثناء العلماء عليه:

ولقد أثنى كثير من العلماء على ابن جزي، فقد قال فيه ابن فرحون في الديباج المذهب: من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها، كان: على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاشتغال بالنظر، والتقييد والتدوين، فقيهاً قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون شتى، من عربية وأصول وقراءات، وحديث وأدب، حافظاً للتفسير، مستوعباً للأقوال، جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، صحيح الباطن، خطيباً مفوهاً في المسجد الأعظم بغرناطة، تولى الخطابة في سن مبكرة من عمره، فأمتع القلوب بحسن أسلوبه، وملك الأفئدة بوعظه وإرشاده وبراعة منطقه، فاتفق على فضله جرى على سنن أصالته(١).

وقال فيه الحضرمي: كان رجلاً ذا مروءة كاملة، حافظاً متقناً، ذا أخلاق فاضلة، وديانه وعفة وطهارة، وشهرته ديناً وعلماً أغنت عن التعريف به(٢).

وقال عنه محمد مخلوف في شجرة النور الزكية: من ذوي الأصالة والوجاهة والنباهة، والعدالة، الإمام، الحافظ، العمدة، المتفنن(٣).

وأقوال أهل العلم فيه غير ما تقدم كثيرةٌ.

ولكنه مع ما قيل فيه من الثناء العطر الجميل، لم ينل من الشهرة ما يناسب مكانته العلمية الرفيعة ونبوغه المتميز، وتفننه في المعارف المختلفة، ومنهجيته المحكمة، وطريقته المتفردة، بل ظلت ولفترة طويلة شهرته محدودة، ويكفي في التدليل على ذلك: أن علامة جماعة كالسيوطي لا يشير إليه في طبقات المفسرين،

---

(١) الديباج المذهب: ٢/٢٧٤، ومقدمة تقريب الوصول، ص: ٥٠.

(٢) نيل الابتهاج، ص: ٢٣٩ أحمد بابا التينبكتي.

(٣) شجرة النور الزكية، ص: ٢١٣.

حتى جاء تلميذه الداودي فترجم له في كتابه طبقات المفسرين، ويتساءل البعض: هل يمكن أن يكون السبب في عدم اشتهاره هو أنه أندلسي نشأ بعيدا عن المشرق؟، فأهل المغرب دائما يتهمون المشارقة بعدم الاهتمام اللازم بهم، كما قال العلامة أبو محمد علي ابن أحمد بن حزم الأندلسي ت: ٤٥٦هـ[١]:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع لجد على ما ضاع من ذكري النهب[٢]

قال الدكتور/علي محمد الزبيري: الحق أن الأمر ليس كذلك فعشرات ومئات الأعلام من الشرق والغرب من علماء الإسلام وقادته لا يزالون في طي النسيان[٣].

ومناقب ابن جزي كثيرة اكتفينا بهذا القدر منها مخافة التطويل.

۞ اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

اسم الكتاب بلا نزاع هو: «التسهيل لعلوم التنزيل» فقد أثبته المؤلف في مقدمة الكتاب، وكذلك جماهير غفيرة ممن ترجم له.

ومن الغريب أن ابن الخطيب وهو أشهر من ترجم لابن جزي وأقربهم إليه، لم يصرح باسم التسهيل مكتفيا بقوله: بعد أن سرد معظم مؤلفات ابن جزي... إلى غير ذلك من مما قيده في التفسير، والقراءات، وغير ذلك، وكذلك لم يصرح به ابن حجر في الدرر الكامنة، ولا ابن فرحون في الديباج المذهب، ولا المقري في نفح الطيب.

والسبب في ذلك كما يرى بعض الباحثين، هو أن التسهيل كما يبدو هو آخر كتب ابن جزي تأليفا، فلم يشتهر اسمه ولم ينتشر كما انتشرت كتبه الأخرى التي

(١) نفح الطيب: ٢/٢٨٦.
(٢) النهب: ضرب من الركض. انظر لسان العرب مادة: نهب.
(٣) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/١٥.

أخذها عنه تلامذته ودرسوا عليه فيها[١].

وأول من صرح بنسبته له هو: محمد بن عبد الملك ابن علي القيسي المنتوري الغرناطي (ت: ٨٣٤هـ) في مقدمة كتابه: «منهاج العلماء الأخيار» وهو من تلاميذ أحمد وعبد الله ابني أبي القاسم بن جزي صاحب التفسير، ثم نقل عنه سليمان الجمل (ت: ١٢٠٣ هـ) في حاشيته على الجلالين، وذكر التسهيل باسمه ثم توالى المترجمون له وخاصة في العصر الحديث[٢].

۞ منهجية ابن جزي وطريقته:

كان من أهم الأسس التي بنى عليها ابن جزي تفسيره، هو التفسير بالمأثور، ويشمل هذا الموضوع النقاط التالية:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن.

٢ ـ التفسير بالمأثور من السنة.

٣ ـ تفسيره بالمأثور من أقوال الصحابة.

٤ ـ تفسيره بأقوال التابعين.

❁ وفي الغالب لا يذكر ابن جزي سندا للروايات التي يوردها، وتارة يذكر الحديث مع الصحابي الذي رواه، وتارة لا يذكر الصحابي، وتارة يقول جاء ذلك مفسرا في الحديث فيذكره، وتارة يقول مباشرة، قال رسول الله ﷺ، ومن ذلك أن يقول: فسره رسول الله ﷺ، ثم يذكره، ومن ذلك أن يذكره بهذه الصيغة: ما ورد عن رسول الله ﷺ، أو ما روي عن رسول الله ﷺ ثم يسوقه.

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٢٢٠.

(٢) المصدر السابق: ١/٢٢١.

❊ وتارة يذكر الحديث مع الحكم عليه بالقبول أو الرد، وتارة لا يحكم عليه، ومن أمثلة الحكم على الحديث: لما أشار إلى ترتيب السور، هل هو من فعل الرسول ﷺ أو لا قال: وقيل: إنه من فعل رسول الله ﷺ وذلك ضعيف.

❊ وتارة يذكر الحديث ومن أخرجه ويستعمل لذلك العبارات التالية: ما أخرجه النسائي في سننه عن رسول الله ﷺ، ثم يسوقه.

❊ وتارة يكتفي بالإشارة للحديث أو يشير لمعنى الحديث، ومن صيغه: والصحيح التأويل الأول لوروده في الصحيح، دون أن يسوقه، أو يقول: والأول أصح لوروده في الحديث، أو يقول: وروي هذا المعنى من طرق كثيرة، أو يقول: وهذا معنى حديث وقع، أو حسبما ورد في الحديث، أو وقد جاء ذلك في الحديث.

❊ وكان يكثر من صيغ التمريض، مثل: روي ذلك في الحديث، وجاء في الحديث، وحسبما ورد.

❊ وتارة يذكر معنى أثر ثم ينسبه لعدة من الصحابة والتابعين.

❊ وتارة يذكر معنيين أو أكثر ثم يقول: وكلاهما مروي عن رسول الله ﷺ.

❊ وتارة يقول: قال بعض السلف، ثم يذكره.

❊ وعلى كثرة الأحاديث والآثار التي أورد ابن جزي في تفسيره فإنه لم يكرر منها إلا بضعة أحاديث[١] منها:

- «لا يحل دم امرئ مسلم».

- «أمرت أن أقاتل الناس».

---

(١) سامي الجهني تخريج الأحاديث والآثار في التسهيل، ص: ٢٩.

ـ «قول عائشة هذا لحن من القراء».

ـ «افترقت اليهود والنصارى».

ـ «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان».

ولقد أوضح ابن جزي منهجه في مقدمة كتاب التسهيل، وحاول أن يرسم صورة لعمله في التأليف المبارك إذ يقول:

قصدت به أربع مقاصد، تتضمن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم، في كتاب صغير الحجم، تسهيلاً على الطالبين، وتقريباً على الراغبين،... إلخ.

الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة، قلما توجد في كتاب، لأنها من بنات صدري، ونتائج فكري... إلخ.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات إما بحل العقد المقفلات، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين، والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح، إلى آخر ما سطره من منهج فريد متميز، واضح.

وقد نجح إلى حد كبير في تطبيق منهجه على هذا الكتاب، فهو ملتزم بما ألزم به نفسه من الإيجاز وعدم التطويل، كما أنه ملأ كتابه بالفوائد العلمية، والنكات العجيبة، التي لا تكاد توجد في غيره، كما أنه بذل جهدا كبيرا في إيضاح المبهمات، وبيان المجملات، وحل المقفلات، وأما الفائدة الرابعة التي تتعلق بأقوال المفسرين، والتميز بين الصحيح منها والسقيم، فهي مرتكز منهجه، ويتجلى من خلالها نبوغه، فقد أعطى فيها صورة دقيقة عن أقوال المفسرين، ومراتب تلك الأقوال، ثم وضع مصطلحا يعبر به عن كل قول، يقول: وإني جعلت لهذه الأقسام

عبارات مختلفة يعرف بها كل مرتبة، وكل قول، فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد، ثم ما أقول: إن غيره أرجح منه، أو أقوى، ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم... إلخ تلك المنهجية العلمية المباركة التي سطرها في مقدمة كتابه.

ويظهر من خلال هذه المقدمة أن ابن جزي مستوعب لموضوعه، مطّلع على كل جوانبه، لا تكاد تكل عنه شاردة ولا واردة. غير أنه في بعض الحالات النادرة القليلة يأتي بما يعتبر إخلالاً بهذا المنهج، فيسترسل في بعض الموضوعات بدون موجب، كما أنه قد يبالغ في الإيجاز حتى يجاوز الحد الذي يتمكن معه القارئ من فهم المراد.

فمن ذلك مثلاً: أنه أطال الكلام في بعض الحالات بشكل كبير، فانظر عند قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الآية: ١٥٧]، فقد أطال جداً.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج الآية: ٣]، فذكر هنا ستة عشر قولاً، لا داعي لذكر أكثرها.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [طه الآية: ٨٦]، ذكر عندها قصصاً واهية.

ومن بين الملحوظات على ابن جزي، هو كلامه عن النسخ، فقد اهتم به اهتماما كبيرا، فتعرض له في المقدمة وفي أثناء الشرح، ولكنه في المقدمة تناول ما نسخته آية السيف، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ...﴾ [التوبة الآية: ٥] بإيجاز شديد وبعبارة مختصرة جدا، تكاد تصل إلى حد الإخلال، ويصعب معها فهم المراد.

ويظهر للدارس أن ابن جزي من العلماء القائلين بوقوع النسخ بكثرة في

القرآن الكريم، والآيات المنسوخة عنده تبلغ ٢١٤ آية، فآية السيف وحدها نسخت ١١٤ آية، ولا يكلف نفسه الإتيان بدليل ولا برهان على النسخ، ودعوى النسخ في كثير مما أورده غير مسلم، ويحتاج إلى دليل، فالنسخ ليس مجرد دعوى تقال، وإنما هو النقل الصحيح عمن يملك حق النسخ، ألا وهو الله سبحانه وتعالى.

والمحققون من العلماء لا يكاد المكثر منهم تتجاوز آيات النسخ عنده العشرين آية، والمقل منهم جعلها خمس آيات.

قال الإمام السيوطي:

قد أكثر الناس في المنسوخ من عدد   وأدخلوا فيه آيا ليست تنحصر
فهاك تحرير آي لا مزيد لها   عشرين حررها الحذاق والكبر

وساق في نظمه هذه العشرين، مع مناقشة الأقوال في ذلك[1]

وبالنسبة لما أورده موجزا بشكل ملفت، فقد أوضحت المراد منه في محله، حيث رقمت الآيات التي يشير إلى الكلمة منها، فبإمكان من عرف رقم الآية أن يرجع إليها ويقرأها كاملة، ولم أر ضرورة لذكر الآية بكاملها.

ومما يؤخذ عليه مروره ببعض الموضوعات التي كثر فيها الجدل وتشعب الخلاف واختلط فيها الخطأ بالصواب ولم يبد رأيه فيها، وذلك مثل تعيين الذبيح في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات الآية: ١٠١، ١٠٢][2].

---

(١) الإتقان للسيوطي: ٢٣/١، وانظر مراقي السعود: ٧٢٧/١، والناسخ والمنسوخ للنحاس، ص: ٤، وما بعدها.

(٢) وقد ذكرت التحقيق عند أهل العلم، في تعيين الذبيح، وذلك في محله من هذا الكتاب، وانظر تفسير الماوردي: ٦٠/٥، وتفسير ابن كثير: ١٦/٤، وزاد المعاد: ٧١/١، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص: ٥٢.

وفي أسباب النزول ذكر الصحيح، وقد يذكر غير الصحيح، بل إنه في بعض الأحيان يذكر ما لا أصل له، وأي عالم تعرض للتفسير خلا عمله من هفوة أو عثرة.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

ولا أريد تتبع هذه المسائل في هذه المقدمة، ولكنني ربما أشير إلى بعضها في محله من الكتاب، أثناء التحقيق إن شاء الله، وفي الإشارة إلى البعض كفاية.

۞ الطريقة التي اتبعها في التفسير:

أما الطريقة التي اتبعها في التفسير فهي كالتالي: رتب تفسيره حسب ترتيب سور القرآن، ابتداء بسورة الفاتحة، وانتهاء بسورة الناس، وقد يترك تفسير الآية والآيتين، وذلك إما لأنه فسر آية بمعناها، أو شبهها، أو أنه يرى أنها من الواضح الذي لا يحتاج إلى تفسير، ويميل إلى الاختصار غالبا مع التلخيص والجمع للأقوال، لهذا هو يبتعد عن الاسترسال في القصص ويشير إليها إشارة، ولم يستطرد في الشواهد النحوية، ولم يستوف القراءات مع أنه أورد منها الكثير، ولم يستطرد في فروع الفقه، ولم يسر على طريقة واحدة في التفسير، فنجده مرة يقدم تفسير المفردات، وقد يقدم سبب النزول ومرة يقدم المعنى العام، ومرة يبدأ بذكر الإعراب ومرة بذكر الاشتقاق وهكذا.

ومما هو جدير بالذكر كثرة ورود السؤال والجواب في تفسير ابن جزي، وغالباً ما يكون ذالك دفعاً لإشكال، أو إيضاحاً لغموض، أو إبرازا لنكتة في السياق، أو لطيفة في المعني[١].

وقد استهل كتابه بمقدمة أوضح فيها منهجه بشكل لا لبس فيه، ثم أتبعها بمقدمتين مفيدتين:

---

(١) ابن جزي ومنهجه والتفسير: ١/٣٤٧.

إحداهما: تضمنت أبواباً متنوعة متعلقة بعلوم القرآن، وفيها من الفوائد واللطائف ما لا يكاد يوجد في غيرها، مع الإيجاز وجمال التعبير وكثرة المسائل.

والثانية: في تفسير معاني اللغات، وقد رتبها على الحروف الأبجدية حسب الطريقة المغربية، ولكنه راعى الحرف الأول فقط دون الذي يليه، فنجده مثلاً يقدم «أتى» قبل «أبي» و«إياب» قبل «إفك»، و«أيكة» قبل «أثاث»، بينما الطريقة المستعملة حالياً في المعاجم هي: مراعاة الحرف الأول، ثم ما يليه، وهكذا.

وبالعموم فإن منهج ابن جزي في جميع كتبه التي بأيدينا، كالقوانين الفقهية، وتقريب الوصول، والتسهيل، منهج فريد في الجمع، والعرض، والتنسيق، والتبويب، والوضوح، فهذه الكتب صالحة لأن توضع كمناهج دراسية، ولعله أرادها أن تكون كذلك، وقد صرح في بعض كتبه بهذا المعنى، لهذا لا نستغرب اهتمام الجماهير من العلماء المعاصرين بتدريس كتب ابن جزي لطلابهم وحرصهم على ذلك.

۞ مصادره:

لقد أورد ابن جزي في مقدمته باباً خاصاً بذكر المفسرين وطبقاتهم، ابتداء بعهد الصحابة وانتهاء بشيخه أبي جعفر ابن الزبير.

ويظهر للمتبع انه اعتمد بشكل أكبر على تفسيرين، هما: المحرر الوجيز لابن عطية، والكشاف للزمخشري.

وتفسير ابن عطية هو أهم مرجع له، فقد قال عنه: إنه أحسن التفاسير وأعدلها، وقد تأثر به كثيراً من بداية الكتاب إلى نهايته، وربما يتكرر ذكره في الصفحة الواحدة، وذلك التأثر ظاهر في مجالات عدة؛ كالتفسير بالمأثور واللغة والعقائد...

كما تأثر بالكشاف للزمخشري، ونقل عنه نقولات كثيرة، واستفاد منه واصطحبه من بداية الكتاب إلى نهايته، وخاصة في الإعراب واللغة والبلاغة، كما تأثر به في طريقة العرض وإيراد السؤال والجواب، وقد يقارن بين الاثنين ويرجح بينهما في بعض الأحيان.

وقد استفاد من السهيلي كثيراً في مبهمات القرآن، وذلك في كتابه: (التعريف والإعلام، بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام) وقد اعتمد على مراجع أخرى من كتب التفسير؛ كتفسير مجاهد، والطبري، والنقاش، والماوردي، ومكي بن أبي طالب، وذكر في مقدمته تفسير الرازي، والغزنوي، واستفاد من كتب القراءات؛ ككتب الداني، ومكي بن أبي طالب، والمهدوي، وغيرهم. واستفاد من كتب السنة، والفقه، وكتب السيرة، وغير ذلك[١].

القيمة العلمية لتفسير ابن جزي:

إن ابن جزي مفسر له مكانته العلمية الخاصة وشخصيته المستقلة التي تجمع بين الأصالة والتجديد، وتؤهله لأن يناقش كبار المفسرين ويزاحمهم بآرائه، لما يمتلك من معارف نقلية وعقلية، ومن قواعد الترجيح، فقد يورد أقوال المفسرين ويتعقبها بالنقد والملاحظة كابن جرير الطبري، وابن عطية، والزمخشري، وغيرهم، مما يكشف لنا جانباً من الشخصية التفسيرية المستقلة له.

ولهذا فإن كتابه هذا على صغر حجمه جمع بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، ويعتبر كنزاً ثميناً، جمع من الفوائد والنكات العلمية، ما تكل عنه الكتب الكبيرة، فهو عصارة لأقوال المفسرين، وفيه من فنون العلم ما تقر به أعين القارئين والمطالعين، وقد تميز بسمات تدل على التعمق والتفنن، والتمكن من المعارف المختلفة، فهو يهتم:

(١) انظر ابن جزي ومنهجه في التفسير، للزبيري: ١/٢٦٩.

بالقراءات، وبأسباب النزول، وباللغة، وبالأحكام الفقهية، وبالتفسير بالأثر، وبالاجتهاد، إلى غير ذلك.

وعلى كل حال ففي التسهيل إضافات تفسيرية كثيرة، يدركها من لازم الكتاب وقارنه بكتب التفسير الأخرى.

وقديماً قيل: يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر.

** ** **

صُوَرُ المَخْطُوطَاتِ المُسْتَعَانِ بِهَا

الصفحة الأولى من نسخة الخزانة الحسينية رقم ٢٣٩٠

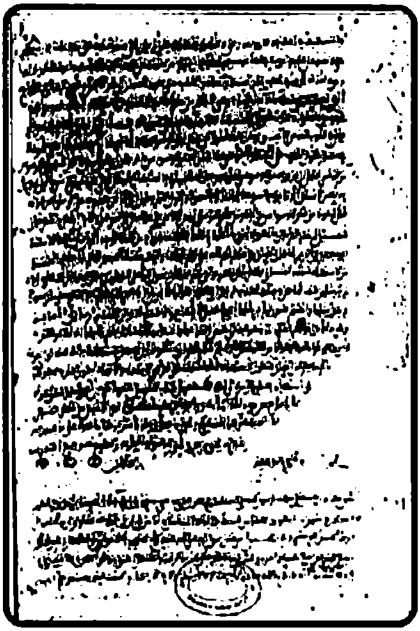

الصفحة الأخيرة من نسخة الخزانة الحسينية رقم ٢٣٩٠

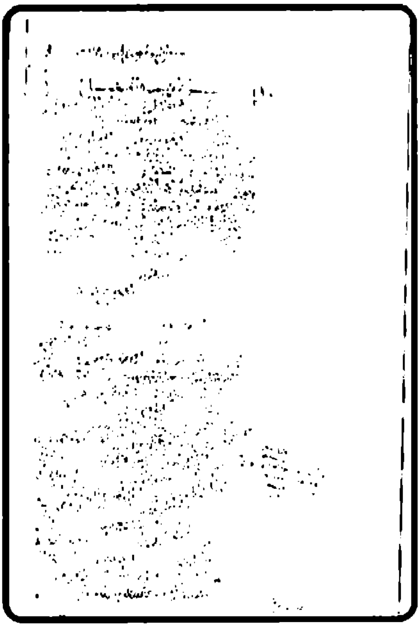

الصفحة الأولى من نسخة الخزانة الحسينية رقم ١١١١١

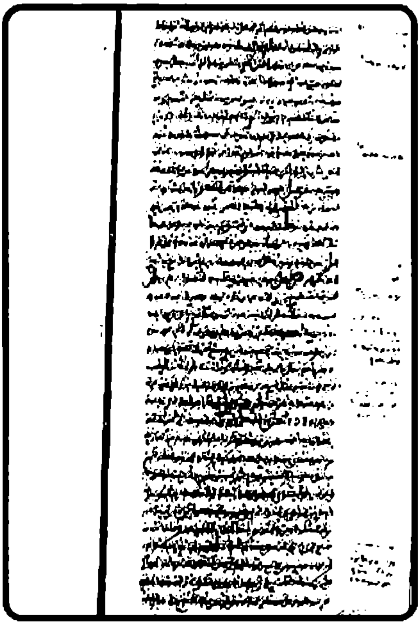

الصفحة الأخيرة من نسخة الخزانة الحسينية رقم ١١١١١

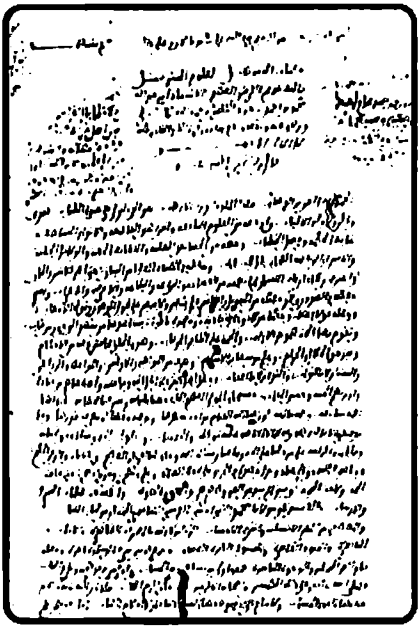

الصفحة الأولى من نسخة الخزانة العامة رقم ٦٢٧

الصفحة الأخيرة من نسخة الخزانة العامة رقم ٦٢٧

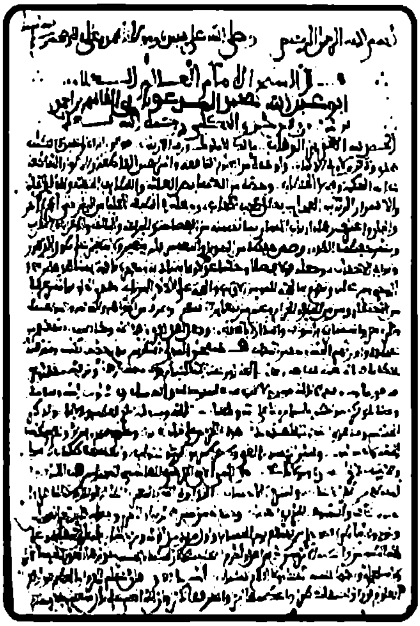

الصفحة الأولى من نسخة الخزانة العامة رقم ٦٨٠

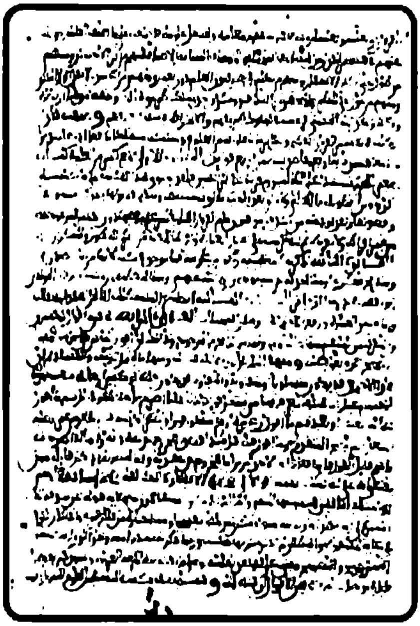

الصفحة الثانية من نسخة الخزانة العامة رقم ٦٨٠

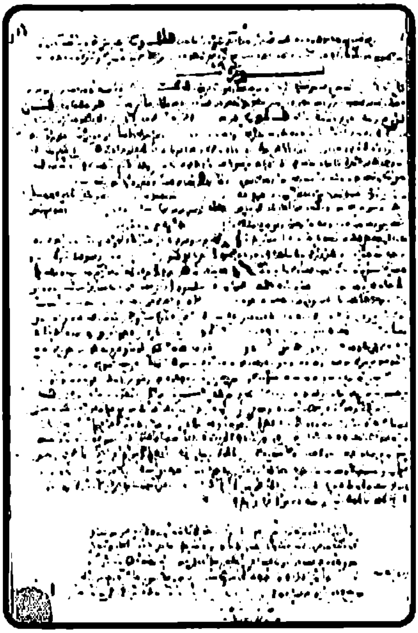

الصفحة الأخيرة من نسخة الخزانة العامة رقم ٦٨٠

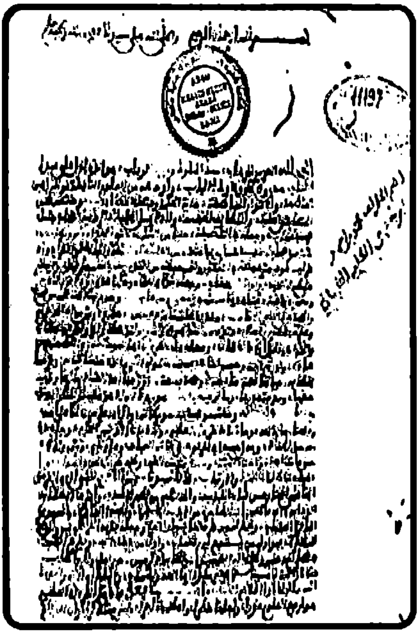

الصفحة الأولى من نسخة الخزانة الملكية ـ المملكة المغربية

الصفحة الثانية من نسخة الخزانة الملكية ـ المملكة المغربية

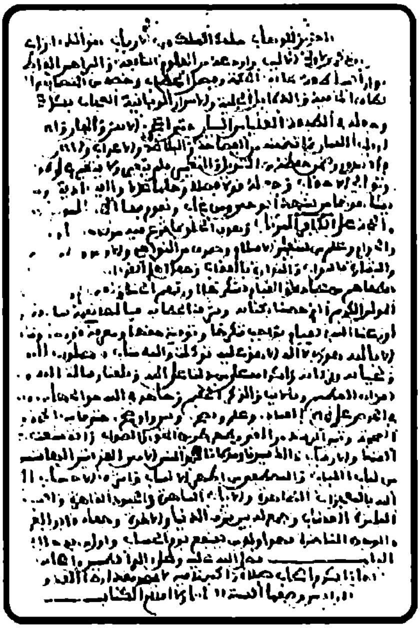

الصفحة الأولى من نسخة آل أحمد الأفرم في مدينة قرو

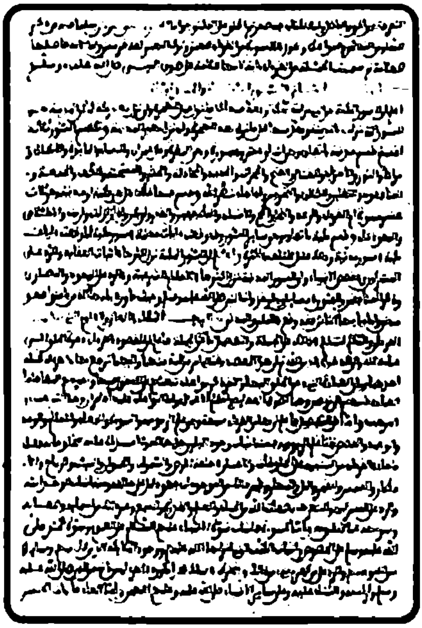

الصفحة الثانية من نسخة المعهد العالي بانواكشوط

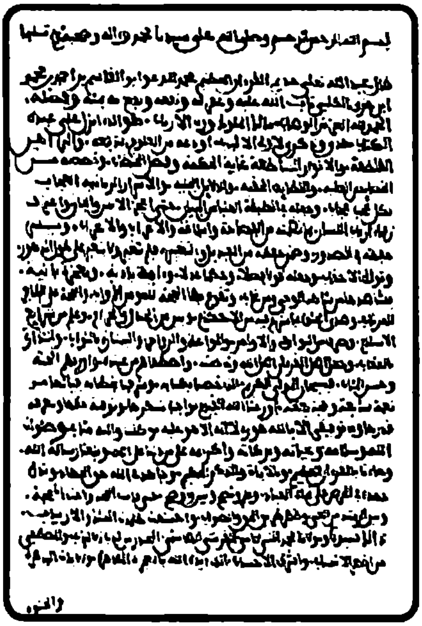

الصفحة الأولى من نسخة تيشيت

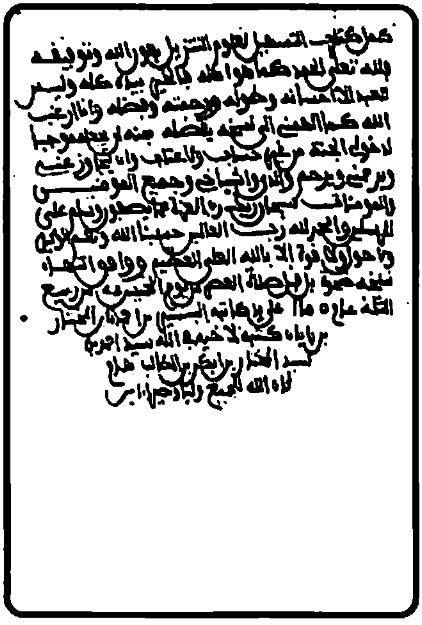

الصفحة الأخيرة من نسخة تيشيت

التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جُزَيّ
الكلبي الغرناطي المالكي
(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

أ. د. محمد بن سيدي محمد مولاي

[بسم الله الرحمن الرحيم]

الحمد لله العزيز الوهاب، ملك الملوك ورب الأرباب، هو الذي أنزل على عبده الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب، وأودعه من العلوم النافعة والبراهين القاطعة والأنوار الساطعة غاية الحكمة وفصل الخطاب، وخصه بالخصائص العلية واللطائف الخفية والدلائل الجلية والأسرار الربانية العجاب، بكل عجب عجاب، وجعله في الطبقة العليا من البيان، حتى أعجز الإنس والجان، واعترف زعماء أرباب اللسان بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب، ويسر حفظه في الصدور، وضمن حفظه من التبديل والتغيير، فلم يتغير ولا يتغير على طول الدهور وتوالي الأحقاب، وجعله قولا فصلا وحكما عدلا وآية بادية ومعجزة باقية يشاهدها من شهد(١) الوحي ومن غاب، وتقوم بها الحجة للمؤمن الأواب، والحجة على الكافر المرتاب، وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام، وبين من الحلال والحرام، وعلم من شعائر الإسلام، وصرف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر والبشارة بالثواب، والنذارة بالعقاب، وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته، واصطفاهم من عباده(٢) وأورثهم الجنة ونعيمها(٣) وحسن المآب، فسبحان المولى الكريم الذي خصنا بكتابه، وشرفنا بخطابه، فيا لها من نعمة(٤) سابغة، وحجة بالغة، أوزعنا الله الكريم(٥) القيام بواجب شكرها، وتوفية حقها، ومعرفة قدرها، وما توفيقي إلا بالله هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب،

(١) في (أ): (شاهد).
(٢) في (ف) زيادة: (والقيام بشكرها).
(٣) قوله: (ونعيمها) ساقط من (أ).
(٤) في (ف): (فيا لها نعمة).
(٥) قوله: (الكريم) ساقط من (ف).

وصلاة الله وسلامه وتحياته وبركاته وإكرامه على من دلنا على الله، وبلغنا رسالة الله، وجاءنا بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم، وجاهد في الله حق الجهاد، وبذل جهده في الحرص على نجاة العباد، وعلم ونصح، وبين وأوضح، حتى قامت الحجة، ولاحت المحجة، وتبين الرشد من الغي وظهر طريق الحق والصواب، وانقشعت ظلمة الشك والارتياب، ذلك سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي القرشي الهاشمي المختار من لباب اللباب، والمصطفى من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب، الذي أيده الله بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، والجنود القاهرة، والسيوف الباترة العضاب، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة وجعله قائدا للغر المحجلين والوجوه الناضرة، فهو أول من يشفع يوم الحساب، وأول من يدخل الجنة ويقرع الباب، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين، خير أهل وأكرم أصحاب، صلاة زاكية نامية لا يحصر مقدارها العد والحساب، ولا تبلغ إلى أدنى وصفها ألسنة البلغاء ولا أقلام الكتاب.

أما بعد؛ فإن علم القرآن العظيم هو أرفع العلوم قدرا، وأجلها خطرا، وأعظمها أجرا، وأشرفها ذكرا، وإن الله أنعم علي بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلمه وتعليمه، وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه، فاطلعت على ما صنفه العلماء رضي الله عنهم في تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف، المتباينة الأصناف، فمنهم من آثر الاختصار، ومنهم من طول حتى أكثر الأسفار، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض، ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس، ومنهم من عول على النظر والتحقيق والتدقيق، وكل أحد[١] سلك طريقا نحاه، وذهب مذهبا ارتضاه، وكلا وعد الله الحسنى، فرغبت في سلوك طريقهم، والانخراط في سلك فريقهم، وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت (به)[٢]

---

(١) في (ف): (وكل واحد).

(٢) قوله: (به) ساقطة من (أ).

مسلكا نافعا، إذ جعلته وجيزا جامعا، قصدت به أربعة مقاصد، تتضمن أربع[١] فوائد:

* الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلا على الطالبين، وتقريبا على الراغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها، ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه، من غير إفراط ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

* الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري ونتائج فكري، أو مما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

* الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إما بحل العقد المقفلات، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح. وذلك أن أقوال الناس على مراتب؛ فمنها: الصحيح الذي يعول عليه، ومنها: الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها: ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون: متساويا، أو متفاوتا. والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا.

وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة، يعرف بها مرتبة كل قول[٢] فأدناها: ما أصرح بأنه خطأ أو باطل، ثم ما أقول فيه: إنه ضعيف أو بعيد، ثم ما

---

(١) في (ف): (أربعة وهو خطأ).

(٢) في (أ): (كل مرتبة كل قول).

أقول إن غيره أرجح منه، أو أقوى، أو أظهر، أو أشهر، ثم: ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم، أو بالقول فيه[١] قيل: كذا، قصدا للخروج من[٢] عهدته.

وأما إذا صرحت باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين:

إما للخروج عن عهدته، وإما لنصرته، إذا كان قائله ممن يقتدى به، على أني لا أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلا، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم، أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم.

وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه، سواء كان من تلقاء نفسي، أو مما أختاره من كلام غيري، وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره تنزيها للكتاب عنه، وربما ذكرته تحذيرا منه، وهذا الذي ارتكبت من الترجيح والتصحيح مبني على القواعد العلمية، أو على ما تقتضيه اللغة العربية.

وسنذكر بعد هذا بابا في موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله تعالى.

وسميت هذا الكتاب: «كتاب التسهيل لعلوم التنزيل».

وقدمت في أوله مقدمتين:

* إحداهما: في أبواب نافعة وقواعد كلية جامعة.

* والأخرى: فيما كثر دوره من اللغات الواقعة في القرآن.

وأنا أرغب إلى الله العظيم الكريم أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا، وسعيا مشكورا، ووسيلة توصلني إلى جنات[٣] النعيم، وتنقذني من عذاب الجحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) في (ف): (أو ما أقول فيه).

(٢) في (ف): (عن).

(٣) في (ف): (جنة).

المقدمة الأولى
فيها اثنا عشر بابًا

الباب الأول
في نزول القرآن وجمعه في المصحف ونقطه وتحزيبه وتعشيره وذكر أسمائه

نزل القرآن على رسول الله ﷺ من أول ما بعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله، فكانت مدة نزوله عليه عشرين سنة، وقيل: كانت ثلاثا وعشرين سنة، على حسب الاختلاف في سنه ﷺ يوم توفي هل كان ابن ستين سنة؟ أو ثلاث وستين سنة؟[(١)] وكان ربما تنزل عليه سورة كاملة، وربما تنزل عليه آيات متفرقة فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة.

وأول ما نزل عليه من القرآن: صدر سورة العلق، ثم المدثر والمزمل، وقيل: أول ما نزل المدثر، وقيل: فاتحة الكتاب، والأول هو الصحيح لما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه: «جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني

(١) قال ابن عباس: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين فأقام بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشر سنين، فمات وهو ابن ثلاث وستين، مسند أحمد (٢١١٠)، وهو صحيح على شرط البخاري.

الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني وغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق ١ - ٥]. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فقال: «زملوني، زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه ما يجد من الروع»[1].

وفي رواية من طريق جابر بن عبد الله فقال رسول الله ﷺ: «زملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾»[2].

وأما آخر ما نزل من القرآن: فسورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر الآية: ١] وقيل: آية الربا التي في البقرة، وقيل: الآية التي قبلها[3].

---

(١) هذا حديث صحيح، وهو جزء من حديث عائشة الطويل في بدء الوحي، رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وفي كتاب أحاديث الأنبياء الحديث رقم: (٤٣٥٣)، وفي كتاب التفسير الحديث رقم: (٣٠٦١)، وفي مواضع أخرى منه. وأخرجه مسلم الحديث رقم: (١٦٠) كتاب الإيمان، والترمذي في سننه الحديث رقم (٣٢٤٨)، والمسند الحديث رقم (١٣٩٥٩).

(٢) الذي في البخاري الحديث رقم: (٤) كتاب بدء الوحي، وفي (٣٢٣٨) كتاب بدء الخلق، وفي مسلم في صحيحه رقم: (١٦١) كتاب الإيمان والنسائي الحديث رقم: (٣١٥٢) ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وليس في واحد منها حسب اطلاعي ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾.

(٣) معرفة آخر ما نزل فيه اختلاف كثير، فروى الشيخان عن البراء بن عازب قال: «آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، وآخر سورة نزلت: براءة»، وأخرج البخاري عن ابن عباس قال: «آخر آية نزلت آية الربا»، وروى البيهقي عن عمر مثله، والمراد بها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾، وعند أحمد وابن ماجه عن عمر من آخر ما نزل آية الربا، وعند ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر فقال: إن من آخر القرآن نزولا آية الربا، وأخرج النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: آخر شيء نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الآية، وأخرج ابن مردويه نحوه من طريق سعيد بن جبير=

وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ متفرقا في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير[1] ولكنه لم يوجد، فلما قتل جماعة من الصحابة[2] يوم اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن مخافة أن يذهب بموت القراء[3] فجمعه في صحف غير مرتب السور، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر الصديق ثم عند عمر بعده ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين[4]، وانتشرت في خلال ذلك صحف كتبت في الآفاق عن الصحابة، وكان بينها اختلاف، فأشار حذيفة بن اليمان[5]

= عن ابن عباس بلفظ آخر آية نزلت، وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي والضحاك عن ابن عباس، وقال الفريابي في تفسيره: حدثنا سفيان عن الكلبي عن ابن صالح عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله الآية وكان بين نزولها وبين موت النبي أحد وثمانون يوما. انظر لإتقان للسيوطي: ٨٢/١.

(١) هذا الأثر ضعيف، قال ابن كثير في فضائل القرآن: وفيه الفظائع، ص: ٨٨، وقال ابن حجر في الفتح: ٦٢٨/٨ إسناده ضعيف لانقطاعه. أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف رقم: (٣٢٣٦) عن محمد بن سيرين بلفظ: لو أصيب ذلك الكتاب كان فيه العلم، وأورده ابن عبد البر في التمهيد: ٣٠٠/٨، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥٤٥/١٠ كلهم من طريق ابن سيرين، وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص: ١٦٤. ولعله يقصد أن مصحف الإمام علي رضي الله عنه كان يذكر فيه أسباب النزول، والأحكام وغير ذلك، فهو بمثابة تفسير، وكان مرتبا حسب النزول.

(٢) قوله: (من الصحابة) ساقط من (ف).

(٣) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم (٤٦٧٩) كتاب التفسير، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣١٠٣) كتاب التفسير، والنسائي في فضائل القرآن، الحديث رقم: (١٣)، وابن حبان في صحيحه: ٣٥٩/١٠، وابن عبد البر في التمهيد: ٢٧٩/٨، والبيهقي في الكبير: ٤٠/٢، والمسند الحديث رقم: (٢٠٥٧)، والبزار في مسنده: ٨٨/١، والطيالسي في مسنده الحديث رقم: (٣).

(٤) هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ت: ٤٥ هـ. في خلافة معاوية، وقيل: توفيت في خلافة عثمان.

(٥) هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان بن جابر بن عمرو بن ربيعة ت: ٣٦هـ انظر الاستيعاب: ٣٤٤/١.

على عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجمع الناس على مصحف واحد خيفة من اختلافهم فانتدب لذلك عثمان وأمر زيد بن ثابت[١] بجمعه وجعل معه ثلاثة من قريش؛ عبد الله بن الزبير بن العوام[٢] وعبد الرحمن بن الحارث[٣] بن هشام[٤]، وسعيد بن العاص بن أمية[٥]، وقال لهم: إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إماما في هذا الجمع الأخير، وكان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتعهدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمل المصحف، نسخ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منه نسخا، ووجهها إلى الأمصار، وأمر بما سواها من المصاحف أن تخرق، أو تحرق، يروى بالحاء والخاء المنقوطة[٦].

فترتيب السور على ما هو الآن عليه من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف، وقد قيل: إنه من فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك ضعيف ترده الآثار الواردة في ذلك[٧].

---

(١) هو الصحابي الجليل زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي المقرئ الفرضي كاتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ت: ٤٨هـ.

(٢) هو الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن العوام تولى الخلافة بعد موت معاوية بن اليزيد وتوفي سنة: ٧٣هـ.

(٣) في (ف): (الحرث).

(٤) هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي كان عمره عشرين حين قبض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفي في خلافة معاوية الأعلام للزركلي: ٣/٣٠٣.

(٥) هو سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي ت: ٥٩هـ.

(٦) هذا حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، الحديث رقم: (٤٩٨٧) باب جمع القرآن والترمذي الحديث رقم: (٣١٠٤)، والنسائي الحديث رقم: (١٣)، وأبو عبيد في فضائل القرآن، ص: ٢٨٢.

(٧) من هذه الآثار: ما في صحيح مسلم الحديث رقم: (٧٧٢) عن حذيفة بن اليمان قال: صليت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مسترسلا...

وعن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نؤلف القرآن من الرقاع. أخرجه=

وأما نقط القرآن وشكله[١]، فأول من فعل ذلك: الحجاج بن يوسف[٢] بأمر عبد الملك بن مروان[٣]، وزاد الحجاج تحزيبه، وقيل: أول من نقطه[٤] يحيى بن يعمر[٥] وقيل: أبو الأسود الدؤلي[٦].

وأما وضع الأعشار فيه، فقيل: إن الحجاج فعل ذلك، وقيل: بل أمر به المأمون العباسي[٧].

وأما أسماؤه فهي أربعة؛ القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر. وسائر ما سمي به صفات لا أسماء، كوصفه بالعظيم، والكريم[٨]، والمبين، والعزيز،

= الحاكم في المستدرك: ٢/٢٢٩ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفيه البيان الواضح: أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث: هو في ترتيب السور، كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه. ووافقه الذهبي. وابن جزي هنا موافق ما لابن عطية: ١/٥٣، ونسب السيوطي القول بأنه اجتهاد من الصحابة للجمهور، الإتقان: ١/٦٢، وانظر البرهان: ١/٣٢٤.

(١) الصحيح أن أول من نقط أواخر الحروف للإعراب أبو الأسود الدؤلي في ولاية ابن زياد، وذلك في قصة مشهورة، أما نقط الحروف لإعجامها فأول من فعل ذلك يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم المتوفى قبل المائة وذلك بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي، وانظر المبسوط في المرسوم والمضبوط للشيخ الدنبجة بن معاوية الشنقيطي، ص: ٥٦.

(٢) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي أحد ولاة بني أمية، وسيرته أشهر من أن تذكر ت: ٩٥هـ.

(٣) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم أحد أشهر ملوك بني أمية ت: ٨٦هـ.

(٤) في (ف): (نقط القرآن).

(٥) هو يحيى بن يعمر القيسي، الجدلي العدواني البصري ت: ١٢٩هـ وقيل: توفي قبل التسعين بخراسان.

(٦) هو أبو الأسود الدؤلي واسمه: ظالم بن عمرو على الأشهر البصري من سادات التابعين وشهد مع علي وقعة صفين وهو أول من وضع النحو، وأول من نقط الحروف ت: ٦٩هـ.

(٧) هو عبد الله بن هارون الملقب بالمأمون أحد خلفاء بني العباس العظام ت: ٢١٧هـ.

(٨) قوله: (والكريم) ساقط من (ف).

والمجيد، وغير ذلك.

فأما القرآن: فأصله مصدر قرأ، ثم أطلق على المقروء.

وأما الفرقان: فمصدر أيضًا، معناه التفرقة بين الحق والباطل.

وأما الكتاب: فمصدر ثم أطلق على المكتوب.

وأما الذكر: فسمي القرآن به لما فيه من ذكر الله، ومن التذكير والمواعظ، ويجوز في السورة من القرآن الهمز، وترك الهمز لغة قريش.

وأما الآية: فأصلها العلامة، ثم سميت الجملة من القرآن آية؛ لأنها علامة على صدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❊❊ ❊❊ ❊❊

الباب الثاني

في السور المكيّة والمدنية

اعلم أن السور المكية هي التي نزلت بمكة، ويعد منها كل ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة، كما أن المدنية هي السور التي نزلت بالمدينة، ويعد منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

* وتنقسم السور ثلاثة أقسام:

قسم: مدنية باتفاق وهي اثنان وعشرون سورة، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، وإذا جاء نصر الله.

وقسم: فيها خلاف، هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاثة عشر سورة: أم القرآن، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففون، والقدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، وأرايت والإخلاص والمعوذتان.

وقسم: مكية باتفاق، وهي سائر السور، وقد وقعت آيات مدنية في سور مكية كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليل مختلف في أكثره.

واعلم: أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والرد على المشركين، وفي قصص الأنبياء. وأن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي ﷺ. وحيثما ورد: (يأيها الذين آمنوا) فهو مدني، وأما (يأيها الناس) فقد وقع في المكي والمدني.

الباب الثالث

في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن

ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل.

أما على الجملة: فاعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دين الله، ثم إن هذا المقصد يقتضي أمرين لا بد منهما وإليهما ترجع معاني القرآن كله؛

أحدهما: بيان العبادة التي دعي الخلق إليها.

والأخر: ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتقودهم إليها.

فأما العبادة: فتنقسم إلى نوعين وهما: أصول العقائد، وأحكام الأعمال.

أما البواعث عليها فأمران؛ وهما: الترغيب والترهيب.

وأما على التفصيل: فاعلم أن معاني القرآن سبعة؛ وهي: علم الربوبية، والنبوءة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقصص.

فأما علم الربوبية: فمنه: إثبات وجود الباري جل جلاله والاستدلال عليه بمخلوقاته، فكل ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات والاعتبار في خلق الأرض والسموات، والحيوان والنبات، والرياح والأمطار، والشمس والقمر والليل والنهار، وغير ذلك من الموجودات، فهو دليل على خالقه.

ومنه: إثبات الوحدانية والرد على المشركين والتعريف بصفات الله من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك من أسمائه وصفاته والتنزيه عما لا يليق به.

وأما النبوءة: فإثبات نبوءة الأنبياء عليهم الصلاة السلام على العموم ونبوءة محمد ﷺ على الخصوص، وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم، ووجود الملائكة الذين كان منهم وسائط بين الله وبينهم، والرد على من كفر بشيء من ذلك. وينخرط في سلك هذا ما ورد في القرآن من تأنيس النبي ﷺ وكرامته والثناء عليه، وسائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وأما المعاد: فإثبات الحشر وإقامة البراهين عليه، والرد على من خالف فيه، وذكر ما في الدار الآخرة من الجنة والنار والحساب والميزان، وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال وغير ذلك.

وأما الأحكام: فهي الأوامر والنواهي وتنقسم خمسة أنواع؛ واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح. ومنها ما يتعلق بالأبدان كالصلاة والصيام، وما يتعلق بالأموال كالزكاة، وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك.

وأما الوعد: فمنه وعد بخير الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك، ومنه وعد بخير الآخرة، وهو الأكثر كأوصاف الجنة ونعيمها.

وأما الوعيد: فمنه تخويف بالعقاب في الدنيا، ومنه تخويف بالعقاب في الآخرة، وهو الأكثر كأوصاف جهنم وعذابها، وأوصاف القيامة وأهوالها، وتأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد قد ذكر أحدهما على أثر ذكر الآخر ليجمع بين الترغيب والترهيب وليتبين أحدهما بالآخر، كما قيل: «فبضدها تتبين الأشياء».

وأما القصص: فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم؛ كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، فإن قيل: ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه ربما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره في سورة أخرى، ففي كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى.

الثاني: أنه ذكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب، وفي مواضع على طريقة الإيجاز، لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

الثالث: أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فيتعدد ذكرها بتعدد تلك المقاصد، فمن المقاصد بها: إثبات نبوءة الأنبياء المتقدمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من الإهلاك، ومنها: إثبات النبوءة لمحمد ﷺ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود الآية: ٤٩].

ومنها: إثبات الوحدانية، ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [هود الآية: ١٠١]. ومنها الاعتبار في قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر.

ومنها: تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام الآية: ٣٤].

ومنها: تسليته عليه السلام ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله.

ومنها: تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء: من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء وردهم على الكفار وغير ذلك، فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة ذكرت في مواضع كثيرة، ولكل مقام مقال.

*** *** ***

الباب الرابع

في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن

اعلم: أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنا من العلوم، وهي: التفسير، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان.

فأما التفسير: فهو المقصود لنفسه، وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه وتتعلق به أو تتفرع منه، ومعنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه، أو إشارته أو فحواه(١).

واعلم: أن التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه(٢) ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

※ أحدها: اختلاف في العبارة مع اتفاق المعنى(٣)، فهذا عده كثير من المؤلفين في التفسير خلافا وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه وجعلناه نحن قولا واحدا وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها.

---

(١) التفسير مشتق من الفسر وهو الإبانة وكشف المغطى، واصطلاحا عرف بتعريفات أهمها تعريف الزركشي وهو أنه: «علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه» انظر البرهان: ١/١٣.

(٢) وقد وضح هذا المعنى العلامة ابن تيمية في كتابه: مقدمة في أصول التفسير، ص: ٥٢، وما بعدها، والذي قسم فيه الاختلاف في التفسير إلى نوعين: النوع الأول: اختلاف تنوع، والنوع الثاني: اختلاف تضاد، وهو بحث نفيس.

(٣) في (أ) و(ب): (في المعنى).

* النوع الثاني: اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام الذي[1] تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، فهذا عده أيضا كثير من المؤلفين خلافا وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كل قول منها مثال للمراد وليس بكل المراد، ولم نعده نحن خلافا بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك الأقوال تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

* النوع الثالث: اختلاف في المعنى فهذا هو الذي عددناه خلافا ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب.

فإن قيل: ما الفرق بين التفسير والتأويل؟ فالجواب: أن في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنهما بمعنى واحد.

الثاني: أن التفسير للفظ والتأويل[2] للمعنى.

الثالث وهو الصواب: أن التفسير هو الشرح، والتأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه ظاهر اللفظ لموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج عن ظاهره.

وأما القراءات: فإنها في القرآن بمنزلة الرواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته، ثم إن القراءات على قسمين؛ مشهورة وشاذة، فالمشهورة: هي القراءات السبع وما جرى مجراها؛ كقراءة يعقوب[3] وابن محيصن[4].

---

(١) في (أ): (التي).

(٢) في (ف) و(ع): (وأن التأويل).

(٣) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد البصري، أحد الأيمة العشرة القراء، ت: ٢٠٥هـ.

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن محيصن كان شيخا لأبي عمرو بن العلاء وتوفي سنة: ١٣٢هـ.

والشاذة ما سوى ذلك(١).

وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع المدني لوجهين:

أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب.

والآخر: الاقتداء بالمدينة شرفها الله؛ لأنها قراءة أهل المدينة، وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سنة.

وذكرنا من سائر القراءات ما فيها فائدة في المعنى والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها. وقد صنفنا فيها كتبا نفع الله بها، وأيضا فإنا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه الضرورة، وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابا في قواعد أصول القراءات.

وأما أحكام القرآن: فهي ما ورد فيه من الأوامر والنواهي والمسائل الفقهية

---

(١) أريد أن أوضح هنا أن العلماء نصوا على أن القرآت السبع متواترة إجماعا، وقالوا: إن القرآت الثلاث المكملة للعشرة متواترة على الصحيح، أما القرآت الأربعة الزائدة عليها، وهي قراءة كل من:
- الحسن البصري ت: ١١٠هـ.
- وابن محيصن ت: ١٣٢هـ.
- ويحيى بن المبارك اليزيدي ت: ١٤٨هـ.
- والأعمش سليمان بن مهران ت: ١٤٨هـ.

فهي شاذة، وأفردها بعض العلماء بكتاب خاص، مثل ما فعل الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه: القرآت الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، وجمعها بعض العلماء مع العشرة في كتاب واحد مثل ما فعل الشيخ أحمد البنا الدمياطي ت: ١١١٧هـ في كتابه: إتحاف فضلاء البشر، في القرآت الأربعة عشر.

وعلى هذا فمن الخطإ عد قراءة ابن محيصن من القرآت المشهورة، بل هي شاذة، وقد فعل المؤلف مثل هذا عند كلامه على القرآت المشهورة كما سيأتي. وانظر نشر البنود: ١/٨٤ ط أولى، ومنجد المقرئين لابن الجزري، ص: ٩١، وغيث النفع للشيخ علي النوري، ص: ٧.

وقال بعض العلماء: إن آيات الأحكام خمسمائة آية، وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها في مواضعها.

وقد صنف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة، ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها: تأليف إسماعيل القاضي(١) وأبي الحسن(٢) الكيا(٣).

ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس تأليف القاضي الإمام أبي بكر بن العربي(٤) والقاضي الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس(٥).

وأما النسخ: فهو يتعلق بالأحكام؛ لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار، ولا بد من معرفة ما وقع في القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم: وهو ما لم ينسخ. وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة، وأحسنها: تأليف القاضي أبي بكر بن العربي، وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابا في قواعد

---

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد بن درهم الجهضمي البصري المالكي، تفقه بابن المعدل، وسمع من القعنبي والطيالسي وابن أبي شيبة وغيرهم، وكان يقول: أفخر على الناس برجلين بالبصرة؛ ابن المعدل يعلمني الفقه وابن المديني يعلمني الحديث. له مؤلفات كثيرة ومفيدة ت: ٢٠٢هـ الديباج المذهب: ١/٢٨٣، وطبقات المفسرين للداودي: ١/١٠٨.

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي: فقيه شافعي، مفسر. ولد في طبرستان، وسكن بغداد وكان شيخ الشافعية فيها ت: ٥٠٤هـ انظر الأعلام للزركلي: ٤/٣٢٩.

(٣) في (ف) و(ع): (كياه)، والصواب ما أثبتنا من النسخ الأخرى.

(٤) هو القاضي محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي أبو بكر بن العربي من أهل التفنن في العلوم، متقدما في المعارف كلها متكلما في أنواعها حريصا على نشرها، وكتبه شاهدة على مكانته، تولى القضاء بإشبيلية فقام بالقضاء خير قيام، وكان من حفاظ الحديث ويقال إنه بلغ درجة الاجتهاد ت: ٥٤٣هـ انظر شجرة النور الزكية، ص: ١٣٦.

(٥) هو محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن الفرج الإمام القاضي أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي ولي قضاء بلنسية وكان أحد حفاظ الأندلس ت: ٥٩٧هـ سير أعلام النبلاء: ٢١/٣٦٤.

النسخ، وذكر ما تقرر في القرآن من المنسوخ، وذكرنا سائره في مواضعه.

وأما الحديث: فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين:

الأول: أن كثيرا من آيات القرآن نزلت في قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي ﷺ من الغزوات والنوازل والسؤالات، فلا بد من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية، وفيما نزلت، ومتى نزلت، فإن الناسخ مبني على معرفة تاريخ النوازل؛ لأن المتأخر ناسخ للمتقدم.

والوجه الآخر: أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن، فتجب معرفته؛ لأن قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس.

وأما القصص: فهي من جملة العلوم التي تضمنها القرآن، فلا بد من تفسيره، إلا أن الضروري منه: ما يتوقف التفسير عليه، وما سوى ذلك زيادة مستغنى عنها.

وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح، حتى أنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه.

وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح.

وأما التصوف: فله تعلق بالقرآن؛ لما ورد في القرآن من المعارف الإلٰهية، ورياضة النفوس، وتنوير القلوب وتطهيرها، باكتساب الأخلاق الحميدة، واجتناب الأخلاق الذميمة.

وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن، فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني، ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية.

وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي[١] كلامهم في التفسير في كتاب سماه «الحقائق» وقال بعض العلماء: بل هو البواطل.

وإذا أنصفنا، قلنا: إن[٢] فيه حقائق وبواطل.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب[٣]: ما يستحسن من الإشارات الصوفية. دون ما يعترض أو يقدح فيه، وتكلمنا أيضا على اثني عشر مقاما من مقامات التصوف في مواضعها من القرآن.

فتكلمنا على الشكر في أم القرآن لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى، وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في البقرة. ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١].

وعلى الذكر: في قوله فيها: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١]. وعلى الصبر: في قوله تعالى فيها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. وعلى التوحيد: في قوله فيها: ﴿وَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٢]. وعلى المحبة[٤] في قوله فيها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٤]. وعلى التوكل: في قوله في آل عمران:

﴿فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وعلى المراقبة: في قوله في النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]. وعلى الخوف والرجاء: في قوله في الأعراف: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [الأعراف: ٥٦] وعلى التوبة: في قوله في

---

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري من علماء المتصوفة. قال الذهبي: شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، قيل: كان يضع الأحاديث للصوفية، بلغت تصانيفه مائة أو أكثر، منها: «حقائق التفسير» و«طبقات الصوفية» و«مناهج العارفين». وغيرها، ت: ٤١١ هـ.

(٢) قوله: (إن) ساقط من (ع) و(أ).

(٣) في النسخ المطبوعة: وقد ذكرنا هذا في كتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية، وهو خطأ، واغتر به بعض الباحثين فظن أن لابن جزي كتابا بهذا العنوان، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

(٤) في (ف): (وعلى محبة الله).

النور: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً﴾ [النور الآية: ٣١]، وعلى الإخلاص: في قوله في لم يكن: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة الآية: ٥].

وأما أصول الدين:

فيتعلق بالقرآن من طرفين:

أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها، والرد على أصناف الكفار.

والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن، وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن، وترد على من خالفها وتزعم أنه خالف القرآن، ولا شك أن منهم المحق والمبطل.

فمعرفة تفسير القرآن توصل في ذلك إلى التحقيق، مع التسديد والتأييد من الله والتوفيق.

وأما أصول الفقه: فإنها من أدوات تفسير القرآن على أن كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها، وإنها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسر إلى معرفة: النص(١)، والظاهر(٢)، والمجمل(٣)، والمبين(٤)، والعام(٥)،

(١) النص: هو ما دل عليه اللفظ ولم يحتمل غيره، وبعض العلماء يطلقه على ما تقدم وعلى الظاهر، نشر البنود: ١/٢٧٣.

(٢) الظاهر: هو اسم للكلام الذي ظهر المراد منه للسامع بنفس الصيغة، ويكون محتملا للتأويل. التعريفات، ص: ١٨٥، ونشر البنود: ١/٢٧٤.

(٣) المجمل: ما له دلالة غير واضحة، ويعرف بأنه: ما لا يفهم المراد به من لفظه ويفتقر في بيانه إلى غيره، نشر البنود: ١/٧٠١.

(٤) المبين: هو ما أفاد معناه إما بالوضع أو بضميمة تبينه، وعرف أيضا بأنه: اللفظ الدال بالوضع على معنى إما بالأصالة وإما بعد البيان. انظر تقريب الوصول، ص: ١٦٣، ونشر البنود: ١/٧١٢، وشرح تنقيح الفصول، ص: ٢٧٤.

(٥) العام: لفظ يستغرق الصالح له دفعة من غير حصر. نشر البنود: ١/٥١٣، والتعريفات، ص: ١٨٨.

والخاص[١]، والمطلق[٢]، والمقيد[٣]، وفحوى الخطاب[٤]، ولحن الخطاب[٥]، ودليل الخطاب[٦]، وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول.

وأما اللغة: فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها، وهي: غريب القرآن وهي فن من فنون التفسير، وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة وقد ذكرنا بعد هذه المقدمة مقدمة في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن؛ لئلا نحتاج أن نذكرها حيثما وقعت، فيطول الكتاب بكثرة تكرارها.

وأما النحو: فلا بد للمفسر من معرفته، فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى علم اللسان.

والنحو ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب، وهي: أحكام الكلام المركب.

والآخر: التصريف، وهو: أحكام الكلمات قبل تركيبها.

---

(١) الخاص كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد التعريفات، ص: ١٢٨.

(٢) المطلق ما يدل على واحد غير معين. التعريفات، ص: ٢٨٠.

(٣) المقيد: ما قيد ببعض صفاته التعريفات، ص: ٢٩٢، ونشر البنود: ١/٦٨٧.

(٤) فحوى الخطاب يسمى تنبيه الخطاب ومفهوم الموافقة انظر نشر البنود: ١/٢٩٢.

(٥) لحن الخطاب هو ما حذف من الكلام ولا يستقل المعنى إلا به، انظر تقريب الوصول، ص: ١٦٧، وانظر شرح تنقيح الفصول، ص: ٤٣٨، وذكر صاحب المراقي أن لحن الخطاب قسم من مفهوم الموافقة حيث قال:

وقيل ذا فحوى الخطاب والذي ... ساوى بلحنه دعاه المحتذي

قال سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي في نشر البنود: يعني أن بعضهم جعل الموافقة قسمين، أحدهما: فحوى الخطاب وهو ما كان المسكوت فيه أولى بالحكم من المنطوق، والآخر: هو ما كان مساويا له فيه وسمي هذا لحن الخطاب. ١/٢٩٢.

(٦) دليل الخطاب هو مفهوم المخالفة، وهو إثبات نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه. انظر تقريب الوصول، ص: ١٦٩.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل والمختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ، فإن ذلك تطويل بغير كبير فائدة.

وأما علم البيان: فهو علم شريف، تظهر به فصاحة القرآن، وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة، ونكتاً مستحسنة رائقة، وجعلنا في المقدمات بابا في أدوات البيان؛ ليفهم به ما يرد منها مفرقا في مواضعه من القرآن.

❊❊ ❊❊ ❊❊

الباب الخامس

في أسباب الخلاف بين المفسِّرين، والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم

فأما أسباب الخلاف فهي اثنا عشر:

الأول: اختلاف القراءات.

الثاني: اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءة.

الثالث: اختلاف اللغويين في معنى الكلمة.

الرابع: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

الخامس: احتمال العموم أو الخصوص.

السادس: احتمال الإطلاق أو التقييد.

السابع: احتمال الحقيقة أو المجاز.

الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال.

التاسع: احتمال كون الكلمة زائدة أو غير زائدة.

العاشر: احتمال كون[1] الكلام على الترتيب، أو على التقديم والتأخير.

الحادي عشر: احتمال أن يكون الحكم منسوخا أو محكما.

الثاني عشر: اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ، وعن السلف رضي الله عنهم.

(١) في (ف): (حمل).

وأما وجوه الترجيح وهي اثنا عشر:

الأول: تفسير بعض القرآن ببعض؛ فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.

الثاني: حديث النبي ﷺ؛ فإذا ورد عنه عليه الصلاة والسلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح.

الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه.

الرابع: أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس، لقول رسول الله ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[1].

الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب، أو التصريف، أو الاشتقاق.

السادس: أن يشهد لصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده.

السابع: أن يكون ذلك المعنى هو[2] المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه.

الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يصير أغلب استعمالا من الحقيقة، ويسمى مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة، وقد اختلف العلماء أيهما

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد في المسند، الحديث رقم: ١٨٥٢)، وابن حبان في صحيحه الحديث: ٥٣١/١٥ رقم: (٧٠٥٥)، وفي البخاري: «اللهم فقهه في الدين» الحديث رقم: (١٤٣)، وفي رواية أخرى اللهم علمه الحكمة. فتح الباري لابن حجر: ١٧٠/١، ومجمع الزوائد للهيثمي: ٢٧٦/٩.

(٢) هو ساقط من (أ).

يقدم؟ فمذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة لأنها الأصل، ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح لرجحانه، وقد يكون المجاز أفصح وأبرع، فيكون أرجح.

التاسع: تقديم العموم على الخصوص، فإن العموم أولى لأنه الأصل، إلا أن يدل دليل على التخصيص.

العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدل دليل على التقييد.

الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار.

الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه، إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير.

❊❊ ❊❊ ❊❊

الباب السادس

في ذكر المفسِّرين

اعلم أن السلف الصالح انقسموا على فرقتين، فمنهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه، وهم الأكثرون[(١)] ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطا، لما ورد من التشديد في ذلك؛ فقد قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما كان رسول الله ﷺ يفسر من القرآن إلا آيات تعد[(٢)]، علمه إياهن جبريل[(٣)] وقال ﷺ: «من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ»[(٤)].

وتأول المفسرون حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأنه في مغيبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيف من الله تعالى، وتأولوا الحديث الآخر: بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم، ونظر في أقوال العلماء

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يتناول هذا وهذا.، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا، انظر مقدمة في أصول التفسير، ص: ١٤، وقد عرض مجاهد القرآن جميعا على ابن عباس. انظر المصنف رقم (٢٩٩٢٠)، ومقدمة أصول التفسير، ص: ١٦.

(٢) في (ف) و(ع): (إلا الآيات بعد).

(٣) هذا الأثر لا يثبت كما قال الحافظ ابن كثير: إنه حديث منكر غريب، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/١٤.

(٤) ضعيف رواه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٥٢)، وفضائل القرآن للنسائي: ١/١٣٥، وكنز العمال رقم (٢٩٥٧)، والجامع الصغير، وضعفه الألباني انظر ضعيف الجامع الصغير (٥٧٣٦)، والطبري: ١/٥٨، والقرطبي: ١/٦٦.

المتقدمين، فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.

واعلم أن المفسرين على طبقات:

فالطبقة الأولى: الصحابة رضي الله عنهم، وأكثرهم كلاما في التفسير:

ابن عباس(١)، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢) يثني على تفسير ابن عباس ويقول: كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق(٣).

وقال ابن عباس: ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٤)، ويتلوهما: عبد الله بن مسعود(٥)، وأبي بن كعب،(٦) وزيد بن ثابت، ثم عبد الله بن عمر بن الخطاب(٧)، وعبد الله بن عمرو بن العاص(٨)، وكلما جاء

---

(١) هو حبر الأمة عبد الله بن عباس ت: ٦٨هـ بالطائف رضي الله عنه.

(٢) هو الخليفة الراشد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ت: ٤٠هـ.

(٣) انظر تفسير بن عطية: ١/٣٠ط أولى: ١٣٩٨هـ، وأثنى عليه غيره من الصحابة كابن مسعود الذي يقول فيه: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. انظر تفسير الطبري: ١/٦٥، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص: ٦٠.

(٤) ويقول ابن عطية عن الإمام علي: فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويتلوه عبد الله بن عباس، وهو تجرد للأمر وكمله، انظر المحرر الوجيز: ١/٢٩، وقال السيوطي: عن علي رضي الله عنه قال: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلبا عقولا، ولسانا صادقا ناطقا».

(٥) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح يكنى بأبي عبد الرحمن وكان يقال له ابن أم عبد، كان من أعلم الصحابة بالقرآن يقول: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته. البخاري رقم: (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٢)، ومقدمة في أصول التفسير، ص: ٦٠، توفي ابن مسعود: ٣٢هـ.

(٦) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد الأنصاري النجاري أبو المنذر كان من أصحاب العقبة الثانية وهو من كبار علماء الصحابة رضي الله عنهم ت: ٢٢هـ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/٣٨٩، والإصابة: ١/١٦.

(٧) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي الصحابي الجليل ت: ٨٤هـ.

(٨) هو عبد الله بن عمرو بن العاص كان من علماء الصحابة وفضلائهم قيل: توفي سنة: ٦٣هـ.

من التفسير عن الصحابة فهو حسن مقبول[١].

والطبقة الثانية: التابعون، وأحسنهم كلاما في التفسير: الحسن بن أبي الحسن البصري[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، ومجاهد[٤] مولى ابن عباس، وعلقمة[٥] صاحب عبد الله بن مسعود، ويتلوهم: عكرمة[٦]، وقتادة[٧]، والسدي[٨]، والضحاك بن مزاحم[٩]، ....

(١) قوله: (مقبول) ساقط من (أ).

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن البصري أبو سعيد مولى الأنصار وهو أحد كبار التابعين الأجلاء علما وعملا ت: ١١٠هـ.

(٣) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي وكنيته أبو عبد الله قرأ على ابن عباس وكان من كبار التابعين علما وفضلا وصدقا وعبادة وأعلمهم بالقرآن، ت: ٩٥هـ تقريبا. انظر ترجمته في حلية الأولياء: ٤/٢٧٢، وطبقات القراء: ١/٣٠.

(٤) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج القرشي المخزومي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، كان من أصحاب ابن عباس، قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم: (٣٠٢٧٨)، ومقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص: ٦٤، وقول المؤلف: مولى ابن عباس، إذا كان يقصد أنه تلميذه وناصره فذلك صحيح، وإذا كان يقصد أنه مولاه بمعنى معتقه فذلك غير صحيح، كما تقدم. توفي مجاهد سنة: ١٠٣هـ.

(٥) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك أبو شبل النخعي الكوفي كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم ت: ٦١هـ، وقيل: ٦٢.

(٦) هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني مولى ابن عباس كان ابن عباس يجتهد في تعليمه حتى بلغ الغاية القصوى ت: ١٠٧هـ.

(٧) هو قتادة بن دعامة السدوسي الأكمه أبو الخطاب عربي الأصل كان يسكن البصرة أحد علماء التابعين ت: ١١٧هـ.

(٨) السدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي مولى قريش أبو محمد الكوفي، كان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس ت: ١٢٨هـ.

(٩) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي مولاهم الخراساني يكنى أبا القاسم اشتهر بالتفسير ت: ١٠٥هـ.

وأبو صالح[١]، وأبو العالية[٢].

ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف[٣]، وألف الناس فيه: كالمفضل[٤] وعبد الرزاق[٥] وعبد بن حميد[٦] والبخاري[٧] وعلي بن أبي طلحة[٨] وغيرهم.

ثم إن محمد بن جرير الطبري[٩] جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها، وممن صنف في التفسير أيضا: أبو بكر النقاش[١٠] والثعلبي[١١] والماوردي[١٢] إلا

---

(١) هو ذكوان المدني أبو صالح السمان روى عن عائشة وأبي الدرداء وأبي هريرة وسمع عنه الأعمش ألف حديث ت: ١٠١هـ.

(٢) أبو العالية هو زياد، وقيل: رفيع بن مهران الرياحي مولاهم، مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، كان من ثقات التابعين، وأجمع عليه أصحاب الكتب الستة.

(٣) يشير إلى الحديث: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. التمهيد لابن عبد البر: ٥٩/١، ومجمع الزوائد: ٦٠١، وكنز العمال، الحديث رقم (٢٨٩١٨)، وتكلم بعض أهل العلم في بعض رجال هذا الحديث، ووصفه بعضهم بالحسن.

(٤) المفضل بن مهلهل السعدي أبو عبد الرحمن الكوفي مات سنة: ١٦٧هـ.

(٥) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري أبو بكر الصنعاني أحد الأيمة الأعلام الحفاظ ت: ٢١١هـ.

(٦) عبد بن حميد بن نصر الكشي أبو محمد الحافظ مؤلف المسند والتفسير ت: ٢٤٦هـ.

(٧) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي مولاهم، الإمام العلم صاحب الصحيح مات سنة: ٢٥٦هـ.

(٨) هو علي بن أبي طلحة روى التفسير عن ابن عباس ورواه عنه معاوية بن صالح، انظر الطبقات الكبرى: ٣١٧/٧.

(٩) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري أبو التفاسير ت: ٣١٠هـ.

(١٠) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي إمام أهل العراق في القرآت والتفسير ت: ٣٥١هـ.

(١١) الثعلبي هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري كان إماما كبيرا بارعا في العربية توفي سنة: ٤٢٧هـ.

(١٢) الماوردي هو علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي من تصانيفه الحاوي في الفقه، وتفسير للقرآن، والأحكام السلطانية وغيرها ت: ٤٥٠هـ.

أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح، وقد استدرك الناس على بعضهم.

وصنف أبو محمد بن قتيبة[١] في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه، وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين؛ كأبي إسحق[٢] الزجاج[٣] وأبي علي الفارسي[٤] وأبي جعفر النحاس[٥].

وأما أهل المغرب والأندلس: فصنف القاضي منذر بن سعيد البلوطي[٦] كتابا في غريب القرآن وتفسيره، ثم صنف المقرئ[٧] أبو محمد مكي بن أبي طالب[٨] كتاب الهداية في تفسير القرآن، وكتابا في غريب القرآن، وكتابا في ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتابا في إعراب القرآن، إلى غير ذلك من تواليفه فإنها نحو ثمانين تأليفا، أكثرها في علوم القرآن؛ من القراءات، والتفسير، وغير ذلك.

وأما أبو عمرو الداني[٩] فتآليفه تنيف على مائة وعشرين، إلا أن أكثرها في

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين من كتبه مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث، والمشتبه من الحديث والقرآن، وغير ذلك ت: ٢٧٦هـ.

(٢) في (ف): (والزجاج) بالعطف وهو خطأ والصواب ما أثبتنا من النسخ الأخرى.

(٣) هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، صنف كتاب معاني القرآن، وكتبا أخرى ت: ٣١١هـ.

(٤) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي النحوي المشهور مؤلف الحجة في القراآت، ت: ٣٧٧هـ.

(٥) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري أبو جعفر النحاس مفسر أديب، ت: ٣٣٧هـ.

(٦) هو المنذر بن سعيد البلوطي أبو الحكم الأندلسي الإمام المحدث الفقيه، كان خطيبا مفوها، وكان حاضر الجواب قوي البديهة له تآليف بارعة في أحكام القرآن ت: ٣٥٥هـ وهو يتولى القضاء وعمره: ٩٠ سنة.

(٧) في (ف): (المغربي).

(٨) مكي بن أبي طالب هو أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي النحوي المقرئ توفي سنة: ٤٣٧هـ.

(٩) هو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني الأموي الإمام العلامة الحافظ شيخ المقرئين صاحب التآليف الكثيرة في علوم القرآن ت: ٤٤٤هـ.

القراءات ولم يؤلف في التفسير إلا قليلاً.

وأما أبو العباس المهدوي[١] فمتقن التآليف، حسن الترتيب، جامع لفنون علوم القرآن.

ثم جاء القاضيان؛ أبو بكر بن العربي[٢] وأبو محمد عبد الحق بن عطية[٣] فأبدع كل واحد منهما وأجمل، واحتفل وأكمل.

فأما ابن العربي فصنف كتاب: «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن، فلما تلف تلافاه بكتاب: «قانون التأويل» إلا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه، وألف في سائر علوم القرآن تآليف مفيدة.

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن عمر المهدوي التميمي أحد كبار المفسرين وأئمة القرآت بإفريقية ومع ذلك لم يحظ بترجمة وافية، نشأ بالمهدية التي ينسب إليها واقتصر تكوينه الأساسي على علمائها، وأشهر شيوخه علي القابسي ت: ٤٠٣هـ كما تتلمذ على جده لأمه مهدي بن إبراهيم وغيرهما، هاجر إلى الأندلس بعد أن اكتمل نضجه العلمي. له مؤلفات كثيرة في القرآت والتفسير، فمن كتبه في التفسير «التفصيل الجامع لعلوم التنزيل» واختصره في كتاب «التحصيل لفوائد التفصيل» يقع في أربع مجلدات، ومن كتبه في القرآت: بيان السبب الموجب لاختلاف القرآت، وهجاء مصاحف الأمصار، وله نظم للطاآت في القرآن وشرحه، والمهدوي هو الذي ذكره الإمام الشاطبي في باب الاستعاذة بقوله:

وإخفاؤه فصل أباه وعاتنا وكم من فتى كالمهدوي فيه أعملا

كما ذكر ذلك الداودي في طبقات المفسرين: ٥٦/١، والوافي على الشاطبية، ص: ٣٣. من تلاميذه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأزدي، وأبو عبد الله محمد بن عيسى بن فرج الطليطلي وغيرهم. ت: نحو: ٤٤٠هـ كما قال الزركلي في الأعلام، وقال الذهبي توفي بعد الثلاثين وأربعمائة. انظر الأعلام: ١٨٤/١، وغاية النهاية في طبقات القراء: ٩٢/١، وطبقات المفسرين للداودي: ٥٦/١، والتفسير واتجاهاته بإفريقية للدكتورة وسيلة بلعيد من، ص: ١٤٩ ـ ٣٢١.

(٢) تقدمت ترجمته ص ٧٦.

(٣) ابن عطية هو الإمام القاضي والحافظ المجود أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي الغرناطي مؤلف كتاب: المحرر الوجيز، ولد سنة: ٤٨١هـ وتوفي سنة: ٥٤٦هـ وقيل: ٥٤١هـ.

وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التواليف وأعدلها، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر، محافظ على السنة.

ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبي جعفر بن الزبير(١) فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطة في علمه، وقوة في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق.

ومما بأيدينا من تآليف أهل المشرق تفسير أبي القاسم الزمخشري(٢)، وأبي الفضل الغزنوي(٣)، وأبي الفضل ابن الخطيب(٤).

فأما الزمخشري: فمسدد النظر، بارع في الإعراب، متقن في علم البيان؛ إلا أنه ملأ كتابه من مذاهب المعتزلة ونصرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرر حلوه، فخذ منه ما صفا، ودع ما كدر.

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير بن عاصم الإمام العلامة المقرئ المحدث الحافظ عالم الأندلس صاحب التصانيف المفيدة من كبار شيوخ ابن جزي وقد تقدمت ترجمته عند الكلام على شيوخ ابن جزي.

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري النحوي اللغوي المتكلم المفسر يلقب بجار الله لأنه جاور بمكة زمانا من تآليفه الكشاف وغير ذلك ت: ٥٣٨هـ.

(٣) الغزنوي نسبة إلى غزنة مدينة في أفغانستان وقد نسب إليها أكثر من مفسر، وقول المؤلف هنا «وفيه من التصوف نكت بديعة» تجعلنا نظن أنه أبو بكر بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى الغزنوي ت: ٥٢٠هـ طبقات المفسرين للداودي: ٣١/١، غير أن النقولات التي نقلها ابن جزي عن الغزنوي كلها في مجال اللغة فيحتمل أن يكون أبا علي عالي بن إبراهيم بن إسماعيل الملقب بتاج الشريعة توفي في حدود: ٥٨٢هـ ذكر هذا كله الدكتور الزبيري في كتابه ابن جزي ومنهجه في التفسير: ٢٩١/١، ٢٩٢.

(٤) ابن الخطيب هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي المعروف بابن الخطيب، وتفسيره المسمى بالتفسير الكبير، ويمفاتيح الغيب، شهير مطبوع في ثمان مجلدات ت: ٦٠٦هـ كشف الظنون: ٢٣١/١.

وأما الغزنوي: فكتابه مختصر جامع، وفيه من التصوف نكت بديعة.

وأما ابن الخطيب: فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري وزاد عليه: إشباع الكلام، في قواعد علم الكلام، ونمقه بترتيب المسائل، وتدقيق النظر في بعض المواضع، وهو على الجملة كتاب كبير الجرم، وربما يحتاج إلى تنخيل وتلخيص.

والله ينفع الجميع بخدمة كتابه، ويجزيهم أفضل ثوابه.

** ** **

الباب السابع

في الناسخ والمنسوخ

النسخ في اللغة: هو الإزالة، أو النقل. ومعناه في الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعد تقرره[(١)]، ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: نسخ اللفظ والمعنى[(٢)]، كقوله: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم»[(٣)].

والثاني: نسخ اللفظ دون المعنى، كقوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»[(٤)].

الثالث: نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير، وقع منه في القرآن على ما عده[(٥)] بعض العلماء مائتا موضع وثنتا عشرة[(٦)] مواضع منسوخة، إلا أنهم عدوا التخصيص

(١) هذا التعريف للنسخ جيد، ويضاف إليه قيد لازم وهو «بحكم متأخر عنه».

(٢) قول ابن جزي أن الحديث الآتي، معناه منسوخ فيه نظر، فانتساب الرجل لغير أبيه لم ينسخ، فلا زال من المقرر في الشريعة الإسلامية أن انتساب الابن لغير أبيه حرام، قال تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾، وقال ﷺ: «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر» رواه البخاري: ٢/٢٦٦، وفي الموضوع نصوص أخرى بهذا المعنى. والأولى التمثيل بحديث عائشة رضي الله عنها «كان فيما أنزل على محمد ﷺ: عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس...» صحيح مسلم انظر مسلم بشرح النووي: ١٠/٢٩.

(٣) البخاري الحديث رقم: (٦٤٤٢)، ومسند أحمد الحديث رقم: (٣٣١)، ومسند الطيالسي الحديث رقم: (٥٦)، والمعجم الكبير الحديث رقم: (٤٨٠٧)، والبزار الحديث رقم: (١٩٤).

(٤) البخاري: ٤/١٧٩، ومسلم: ٣/١٣١٧، ورواه مالك في الموطإ.

(٥) في (أ): (عد).

(٦) في (ف) و(ع): (وثنتان وعشرة).

والتقييد والاستثناء نسخا، وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروق معروفة، وسنتكلم على ذلك في مواضعه، ونقدم منها ما جاء من نسخ مسالمة الكفار، والعفو عنهم، والإعراض، والصبر على أذاهم، بالأمر بقتالهم ليغني ذلك عن تكراره في مواضعه، فإنه وقع منه في القرآن مائة آية وأربع عشرة آية، من أربع وخمسين سورة[(١)].

ففي البقرة: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [الآية ٨٢]. ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾ [الآية: ١٣٨]. ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [الآية: ١٨٩] أي لا تبدءوا بالقتال. ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ﴾ [الآية: ١٩٠]، ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [الآية: ٢١٥]. ﴿لَا إِكْرَاهَ﴾ [الآية: ٢٥٤].

وفي آل عمران: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الآية: ٢٠]. ﴿مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [الآية: ٢٨].

وفي النساء: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، في موضعين [الآية: ٦٢، ٨٠]. ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ [الآية: ٧٩]. ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [الآية: ٨٣]. ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ [الآية: ٨٩].

وفي المائدة: ﴿وَلَا آمِّينَ﴾ [الآية: ٣]. ﴿عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ﴾ [الآية: ٩٤ و١٠١]. ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: ١٠٧].

وفي الأنعام: ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: ٦٧]. ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٩٢]. ﴿عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الآية: ١٠٥]. ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٠٧]. ﴿عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ [الآية: ١٠٨]. ﴿وَلَا تَسُبُّوا﴾ [الآية: ١٠٩]. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ في موضعين [الآية: ١١٣، ١٣٨]. ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا﴾ [الآية: ١٣٦]. ﴿قُلِ انْتَظِرُوا﴾ [الآية: ١٥٩]. ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الآية: ١٦٠].

---

(١) لم يذكر هنا حسب النسخ التي بحوزتنا إلا اثنتين وخمسين سورة فقط، أما ابن حزم الذي يبدو أن ابن جزي متأثر به في باب النسخ فقد ذكر: ٤٨ سورة فقط، انظر الناسخ والمنسوخ لابن حزم بهامش الجلالين، ص: ٢٦٥.

وفي الأعراف: ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٩٩]. ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [الآية: ١٨٣].

وفي الأنفال: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ﴾ [الآية: ٧٢]، يعني المعاهدين[١].

وفي التوبة: ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [الآية: ٧].

وفي يونس: ﴿فَانتَظِرُوا﴾ [الآية: ٢٠]، ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ [الآية: ٤١]، ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [الآية: ٤٦]. ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية: ٦٥] لما يقتضي من الإمهال. ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ [الآية: ٩٩]، ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ [الآية: ١٠٨]، لأن معناه الإمهال، ﴿وَاصْبِرْ﴾ [الآية: ١٠٩].

وفي هود: ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [الآية: ١٢] أي تنذر ولا تجبر. ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الآية: ٩٣]. ﴿وَانتَظِرُوا﴾ [الآية: ١٢١].

وفي الرعد: ﴿عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الآية: ٤١].

وفي الحجر: ﴿ذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٣] ﴿فَاصْفَحِ﴾ [الآية: ٨٥] ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ [الآية: ٨٨] ﴿أَنَا النَّذِيرُ﴾ [الآية: ٨٩]، ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٩٤].

وفي النحل: ﴿إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الآية: ٣٥]. ﴿عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الآية: ٨٢]: ﴿وَجَادِلْهُم﴾ [الآية: ١٢٥]. ﴿وَاصْبِرْ﴾ [الآية: ١٢٧].

وفي الإسراء: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ [الآية: ٥٤].

وفي مريم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ [الآية: ٣٨] ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [الآية: ٧٤]. ﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾ [الآية: ٨٤]

وفي طه: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ [الآية: ١٣٤].

وفي الحج: ﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ [الآية: ٦٨].

---

(١) في (أ): (المجاهدين).

وفي المؤمنين: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٥٥]. ﴿ٱدْفَعْ﴾ [الآية: ٩٧].

وفي النور: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٥٢].

وفي النمل: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية: ٩٤].

وفي القصص: ﴿لَنَا أَعْمَٰلُنَا﴾ [الآية ٥٥].

وفي العنكبوت: ﴿أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ [الآية ٥٠]، لما يقتضي من عدم الإجبار.

وفي الروم: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٦٠].

وفي لقمان: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [الآية: ١١].

وفي السجدة: ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ [الآية: ٣٠].

وفي الأحزاب: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الآية: ٤٨].

وفي سبإ: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ﴾ [الآية: ٢٥].

وفي فاطر: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [الآية: ٢٣].

وفي يس: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾ [الآية: ٧٥].

وفي الصافات: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية: ١٧٣]، ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية: ١٧٧] وما يليهما.

وفي ص: ﴿ٱصْبِرْ﴾ [الآية: ١٦]. ﴿أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ [الآية: ٦٤].

وفي الزمر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: ٣]، لما فيه من الإمهال. ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم﴾ [الآية: ١٤] ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟﴾ [الآية: ٣٧]. ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية: ٣٨]. ﴿أَنتَ تَحْكُمُ﴾ [الآية: ٤٣]، لأن فيه تفويضا.

وفي المؤمن: ﴿فَاصْبِرْ﴾، في موضعين [الآية: ٥٥ والآية: ٧٧].

وفي فصلت: ﴿ادْفَعْ﴾ [الآية: ٣٤].

وفي الشورى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: ٦]. و﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ [الآية: ١٥]. ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ [الآية: ٤٨].

وفي الزخرف: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٨٣]. ﴿فَاصْفَحْ﴾ [الآية: ٨٩].

وفي الدخان: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ [الآية: ٥٩].

وفي الجاثية: ﴿يَغْفِرُوا﴾ [الآية: ١٤].

وفي الأحقاف: ﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٥].

وفي القتال: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ [الآية: ٤].

وفي ق: ﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٩]. ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [الآية: ٤٥].

وفي الذاريات: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية: ٥٤].

وفي الطور: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ [الآية: ٣١]. ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية: ٤٨]. ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾ [الآية: ٤٥].

وفي النجم: ﴿فَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٢٩].

وفي القمر: ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية: ٦].

وفي ن: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية: ٤٨]. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ [الآية: ٤٤].

وفي المعارج: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [الآية: ٥]. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٤٢].

وفي المزمل: ﴿وَاهْجُرْهُمْ﴾ [الآية: ١٠]. ﴿وَذَرْنِي﴾ [الآية: ١١].

وفي المدثر: ﴿ذَرْنِي﴾ [الآية: ١١].

وفي الإنسان ﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية: ٢٤].

وفي الطارق: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: ١٦].

وفي الغاشية: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الآية: ٢٢].

وفي الكافرين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الآية: ٦].

نسخ ذلك كله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة آية ٥][1]. و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٤].

** ** **

(١) الآية بكمالها هي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة الآية: ٥].

قال هبة الله بن سلامة بن نصر المقري:

قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ الآية مستثنى منها بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ ...

وهذه الآية من أعاجيب آي القرآن لأنها نسخت من القرآن مائة وأربعا وعشرين آية، ثم نسخها الله تعالى بعد، ثم استثنى من ناسخها فنسخه بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ وهي آية السيف نسخت من القرآن مائة وأربعا وعشرين آية، ثم صار آخرها ناسخا لأولها، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ الناسخ والمنسوخ ص/ ٩٩ المكتب الإسلامي ـ بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤.

الباب الثامن

في جوامع القراءات

وهي على نوعين؛ مشهورة، وشاذة.

فالمشهورة: القراءات السبع وهي: حرف نافع المدني[١] وابن كثير المكي[٢] وأبو عمرو بن العلاء البصري[٣] وابن عامر الشامي[٤] وعاصم[٥] وحمزة[٦] والكسائي[٧] الكوفيين.

ويجري مجراهم في الصحة والشهرة:

(١) هو نافع بن عبد الرحمن أبو رؤيم الليثي أصله من أصفهان وهو مولى جعونة أحد القراء السبعة والأعلام، ثقة صالح، قال مالك بن أنس: قراءة أهل المدينة سنة، قيل له: قراءة نافع؟ قال: نعم، وقال عبد الله بن أحمد: سألت أبي أي القراءة أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة. توفي نافع سنة: ١٦٩هـ انظر غاية النهاية: ٢/٣٣٠، ومعرفة القراء الكبار: ١/٢٩٧.

(٢) هو عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد أحد القراء السبعة، ت: ١٢٠هـ انظر النشر: ١/١٢٠.

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء البصري المازني التميمي أحد القراء السبعة ت: ١٥٤هـ انظر غاية النهاية: ١/٤٤٣.

(٤) هو عبد الله بن عامر اليحصبي أبو عمران مقرئ أهل الشام وأحد القراء السبعة ت: ١١٨هـ انظر النشر: ١/١٤٤، ومعرفة القراء الكبار: ١/٦٧.

(٥) هو عاصم بن أبي النجود أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي أحد القراء السبعة ت: ١٢٧هـ انظر غاية النهاية: ١/٣٤٦، ومعرفة القراء الكبار: ١/٧٣.

(٦) هو حمزة بن عمارة الكوفي أحد الأيمة السبعة ت: ١٥٤هـ انظر النشر: ١/١٦٦، ومعرفة القراء الكبار: ١/٩٣.

(٧) هو علي بن حمزة النحوي الكوفي أبو الحسن أحد القراء السبعة ت: ١٨٩هـ انظر معرفة القراء الكبار: ١/١٠٠، والنشر: ١/١٧٢.

يعقوب الحضرمي(١) وابن محيصن(٢) ويزيد بن القعقاع(٣).

والشاذة: ما سوى ذلك(٤).

وإنما سميت شاذة لعدم استفاضتها في النقل، وقد تكون فصيحة اللفظ وقوية المعنى.

ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاثة شروط:

- موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه.

- وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه، أو في بعض اللغات.

- ونقله نقلا متواترا أو مستفيضا(٥).

واعلم أن اختلاف القراء على نوعين؛ أصول، وفرش الحروف.

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق البصري أحد القراء العشرة المشهورين ت: ٢٠٥هـ انظر معرفة القراء الكبار: ١/١٣٠، والنشر: ١/١٨٦.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن محيصن كان شيخا لأبي عمرو بن العلاء من روايتي ابن شنبوذ والبزي توفي ابن محيصن سنة: ١٣٢هـ وعد ابن محيصن مع القراء العشرة غير صواب، فقراءته من القراآت الأربعة عشر والأربعة الزائدة على العشرة تعتبر من الشاذ عند أهل الفن على الصحيح، كما تقدم.

(٣) هو يزيد بن القعقاع المخزومي أبو جعفر المدني أحد القراء العشرة، تابعي جليل ت: ١٣٠ هـ انظر معرفة القراء الكبار: ١/٥٩، والنشر: ١/١٧٨.

(٤) أهمل المؤلف رحمه قراءة خلف بن هشام بن ثعلبة الأسدي البغدادي أبو محمد ت: ٢٢٩هـ وهي من القراآت العشرة المشهورة، التي يقرأ بها القرآن، انظر ترجمة خلف في غاية النهاية/٢٥٦، والأعلام: ٢/٣٦٠.

(٥) وإذا فقد ركن من هذه الأركان تكون القراءة شاذة، والقراءة الشاذة إذا جاءت بسند مقبول يحتج بها في الأحكام كخبر الواحد على المعتمد عند جمهور أهل العلم وخالف جمهور الشافعية وابن الحاجب في ذلك مستدلين على أن القراءة الشاذة لم تثبت قرآنيتها انظر البناني على جمع الجوامع: ١/٢٣٢، والإتقان: ١/٢٢٧، وروضة الناظر: ١/١٨١. أما الشنقيطي في أضواء البيان فإنه يقول: ولا نعتمد على البيان بالقراءة الشاذة الأضواء: ١/٥.

فأما الفرش: فهو ما لا يرجع إلى أصل مطرد، ولا قانون كلي، وهو على وجهين؛ اختلاف في القراءة باختلاف المعنى، وباتفاق المعنى.

وأما الأصول: فالاختلاف فيها لا يغير المعنى وهي ترجع إلى ثمان قواعد:

الأولى: المد، وهو في حروف المد الثلاثة، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمز، أو التقاء الساكنين.

الثانية: الهمز، وأصله التحقيق ثم قد يخفف على سبعة أوجه: إبداله واوا[١] أو ياء أو ألفا، وتسهيله بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف، وإسقاطه.

الثالثة: الإدغام والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثلين، أو المتقاربين، وفي كلمة، وفي كلمتين.

وهو نوعان[٢]: إدغام كبير انفرد به أبو عمرو؛ وهو إدغام المتحرك. وإدغام صغير لجميع القراء، وهو إدغام الساكن.

الرابعة: الإمالة وهي: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء. والأصل الفتح، ويوجب الإمالة: الكسر، أو الياء.

الخامسة: الترقيق والتفخيم، والحروف على ثلاثة أقسام:

- مفخم في كل حال، وهي حروف الاستعلاء السبعة[٣].

- ومفخم تارة ومرقق أخرى، وهي: الراء، واللام، والألف.

فأما الراء: فأصلها التفخيم، وترقق للكسر والياء.

---

(١) في (أ): (إبدال واو).

(٢) في (ف): (على نوعين).

(٣) يجمعها قولك: (قظ خص ضغط).

وأما اللام: فأصلها الترقيق، وتفخم لحروف الإطباق[١].

وأما الألف: فهي تابعة في التفخيم والترقيق لما قبلها.

ـ والمرقق على كل حال: سائر الحروف.

السادسة: الوقف، وهو على[٢] ثلاثة أنواع: سكون جائز في الحركات الثلاث، وروم في المضموم والمكسور، وإشمام في المضموم خاصة.

السابعة: مراعاة الخط في الوقف.

الثامنة: إثبات الياءات وحذفها، وتسكينها وفتحها.

*** *** ***

(١) أحرف الإطباق أربعة، هي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، لكن اللام تغلظ بعد ثلاثة منها فقط على الصحيح، وهي الصاد المهملة، والطاء، والظاء، ولم تغلظ بعد الضاد، قال ابن بري في الدرر اللوامع:

غلــظ ورش فتحــة الــلام يلــي طــاء وظــاء ولصــاد مهمــل

(٢) قوله: (على) ساقط من (ف).

الباب التاسع

في المواقف

وهي أربعة أنواع: موقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح. وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى.

فإن كان الكلام مفتقرا إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقرا إليه كذلك: لم يجز الفصل بينهما، والوقف على الكلام الأول قبيح، وذلك الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره، وبين كل ذي جواب وجوابه، وبين كل ذي موصول وصلته.

وإن كان الكلام الأول مستقلا يفهم دون الثاني، إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله: فالوقف على الأول كاف، وذلك في التوابع والفضلات؛ كالحال، والتمييز، والاستثناء، وشبه ذلك، إلا أن وصل المستثنى[١] المتصل آكد من المنقطع، ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مفردة آكد من وصلها[٢]، إذا كانت جملة.

وإن كان الكلام الأول مستقلا والثاني كذلك، فإن كانا في قصة واحدة: فالوقف على الأول حسن، وإن كانا في قصتين مختلفتين: فالوقف تام.

وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب، أو المعنى، ولذلك اختلف الناس في كثير من المواقف، ومن أقوالهم فيها راجح ومرجوح وباطل، وقد يوقف لبيان

(١) في (ف): (الاستثناء).

(٢) في (أ): (فصلها).

المراد، وإن لم يتم الكلام.

تنبيه: هذا الذي ذكرنا من رعي الإعراب والمعنى في المواقف، استقر عليه العمل، وأخذ به شيوخ المقرئين.

وكان الأوائل يراعون رؤوس الآيات، فيقفون عندها لأنها في القرآن كالفقر في النثر، والقوافي في الشعر.

ويؤيد ذلك ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها [(١)] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته، يقول: الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف[(٢)].

*** *** ***

(١) هي: هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، كنيتها أم سلمة توفيت بالمدينة سنة: ٦١هـ ودفنت بالبقيع كانت تعد من فقيهات الصحابيات. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/٢٠٣، والاستيعاب لابن عبد البر: ٢/٢٧٣.

(٢) صحيح أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٠٠١)، والترمذي في سننه واللفظ له الحديث رقم (٢٩٢٧)، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/٥٢٤، وأبو عمرو الداني في الوقف والابتداء، ص: ١١٠.

الباب العاشر

في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان

أما الفصاحة: فلها خمسة شروط:

الأول: أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون، ولا مما غلطت فيه العامة.

الثاني: أن تكون من الألفاظ المستعملة، لا من الوحشية المستثقلة.

الثالث: أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية له، لا قاصرة عنه.

الرابع: أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد[١].

الخامس: أن يكون الكلام سالما من الحشو الذي لا يحتاج إليه.

وأما البلاغة: فهي سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمقام من الإيجاز، والإطناب، ومن التهويل، والتعظيم، والتحقير، ومن التصريح، والكناية، والإشارة، وشبه ذلك بحيث يهز النفوس، ويؤثر في القلوب، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد.

وأما أدوات البيان: فهي صناعة البديع، وهي: تزيين[٢] الكلام كما يزين العلم الثوب.

وقد وجدنا في القرآن منها: اثنين وعشرين نوعا، ونبهنا على كل نوع في المواضع التي وقع فيها من القرآن، ونذكر هنا أسماءها، ونبين معانيها.

---

(١) في (أ): (التغير)، وفي (ع): (التقصير).

(٢) في (ف) و(ع): (تزين).

النوع الأول: المجاز، وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة بينهما وهو اثنا عشر نوعاً؛ التشبيه، والاستعارة، والزيادة، والنقصان، وتسمية المجاور باسم مجاوره، والملابس باسم ملابسه، وإطلاق اسم الكل على البعض، وعكسه، وتسمية السبب باسم المسبب، وعكسه، والتسمية باعتبار ما يستقبل، والتسمية باعتبار ما مضى، وفي هذا خلاف، هل هو مجاز، أو حقيقة؟.

واتفق أكثر أهل علوم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن؛ لأن القرآن نزل بلسان العرب، وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز، ولا وجه لمن منعه، لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى.

النوع الثاني: **الكناية**: وهي العبارة عن الشيء بما يلازمه، من غير تصريح.

الثالث: الالتفات، وهو: على ستة أنواع؛ خروج من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة، وخروج من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة، وخروج من الغيبة إلى التكلم، أو الخطاب.

الرابع: التجريد، وهو: ذكر شيء بعد اندراجه في لفظ عام متقدم، والقصد بالتجريد: تعظيم المجرد ذكره، أو تحقيره، أو رفع الاحتمال.

الخامس: الاعتراض، وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين، كالخبر والمخبر عنه، والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه، أو إدخاله في أثناء كلام متصل، والقصد به تأكيد الكلام الذي أدرج فيه.

السادس: التجنيس، وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى، ثم إن الاتفاق قد يكون في الحروف والصيغة، أو في الحروف خاصة، أو في أكثر الحروف لا في جميعها، أو في الخط لا في اللفظ، وهو تجنيس التصحيف.

السابع: المطابقة: وهي[1] ذكر الأشياء المتضادة؛ كالسواد والبياض، والحياة

---

(١) في (أ): (وهو).

والموت، والليل والنهار، وشبه ذلك[١].

الثامن: المقابلة، وهو: أن تجمع بين شيئين فصاعدا، ثم تقابلهما بأشياء أخر.

التاسع: المشاكلة، وهي: أن تذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته.

العاشر: الترديد، وهو: رد أول الكلام على آخره، ويسمى في الشعر: رد العجز على الصدر.

الحادي عشر: لزوم ما لا يلزم، وهو: أن تلتزم قبل حرف الروي[٢] حرفا آخر، وكذلك عند رؤوس الآيات.

الثاني عشر: القلب، وهو: أن يكون الكلام يصلح ابتداء قراءته من أوله وآخره، نحو: دعد، أو تعكس كلماته فتقدم[٣] المؤخر منها وتؤخر المقدم.

الثالث عشر: التقسيم، وهو: أن تقسم المذكور إلى أنواعه، أو أجزائه[٤].

الرابع عشر: التتميم، وهو: أن تزيد في الكلام ما يوضحه أو يؤكده، وإن كان مستقلا دون هذه الزيادة.

الخامس عشر: التكرار، وهو: أن تضع الظاهر موضع المضمر، فتكرر الكلمة على وجه التعظيم، أو التهويل، أو لمدح المذكور، أو ذمه، أو للبيان.

السادس عشر: التهكم، وهو: إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاء بالمخاطب، أو بالمخبر عنه، كذكر البشارة في موضع النذارة.

السابع عشر: اللف والنشر، وهو أن تلف في الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر

---

(١) في (ف) و(ع): (وغير ذلك).

(٢) في (أ): (حروف الروي).

(٣) في (ف): (فيقدم... ويؤخر).

(٤) في (ف) و(ع): (وأجزائه).

متعلقاتها وفيه طريقتان: أن تبدأ في ذكر المتعلقات بالأول، وأن تبدأ[١] بالآخر.

الثامن عشر: الجمع، وهو: أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبر واحد، وفي[٢] وصف واحد، وشبه ذلك.

التاسع عشر: الترصيع، وهو: أن تكون الألفاظ في آخر الكلام مستوية الوزن، أو متقاربة مع الألفاظ التي في أوله.

الموفي العشرين: التسجيع: وهو أن تكون كلمات الآية على روي حرف واحد.

الحادي والعشرون: الاستطراد: وهو أن تتطرق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل ما بينهما، ويكون الكلام الثاني هو المقصود، كخروج الشاعر من النسيب إلى المدح بمعنى يتعلق بالطرفين، مع أنه إنما قصد المدح.

الثاني والعشرون: المبالغة: وقد تكون بصيغة الكلمة نحو: صيغة فعال ومفعال. وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف، فإن اشتدت المبالغة فهي: غلو وإغراق، وذلك مستكره عند أهل هذا الشأن.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) في (ع): (أو تبدأ).
(٢) في (ع): (في).

الباب الحادي عشر

في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله ﷻ

ويدل على ذلك عشرة وجوه:

الأول: فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين.

الثاني: نظمه العجيب، وأسلوبه الغريب، من مقاطع آياته، وفواصل كلماته.

الثالث: عجز المخلوقين[١] في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله

الرابع: ما أخبر فيه[٢] من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ولم يكن النبي ﷺ تعلم ذلك ولا قرأه في كتاب.

الخامس: ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة فوقعت على حسب ما قال.

السادس: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله، وذكر صفاته وأسمائه وما يجوز عليه وما يستحيل عليه، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة البراهين القاطعة، والحجج الواضحة، والرد على أصناف الكفار وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحي من العليم الخبير. ولا يشك عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة، وعظم جلاله ذلك التعظيم، ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم.

السابع: ما شرع فيه من الأحكام، وبين فيه[٣] من الحلال والحرام، وهدى

(١) في (ف) و(ع): (الخلق).

(٢) قوله: (فيه) ساقط من (أ) و(ع).

(٣) قوله: (فيه) ساقط من (ف) و(ع).

إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم.

الثامن: كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان، محروسا عن التغيير والتبديل على تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب.

التاسع: تيسيره للحفظ وذلك معلوم بالمعاينة.

العاشر: كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد[1]، بخلاف سائر الكلام.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) في (ع) و(ف): (الترداد).

الباب الثاني عشر

في فضائل القرآن

وإنما نذكر منها: ما ورد في الحديث الصحيح.

فمن ذلك: ما ورد[(١)] عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه»**[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»**[(٣)].

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»**[(٤)].

---

(١) قوله: (ما ورد) ساقط من (ف).

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين الحديث رقم: (٥٥٣)، وأحمد في المسند: ٥/٢٤٩، وعبد الرزاق في المصنف: ٣/٣٦٥، والبيهقي في الكبرى: ٢/٣٩٥، وكنز العمال رقم: (٢٥٤٤)، والجامع الصغيروزياداته الحديث رقم: (٢٠٤٥)، وصحيح الترغيب الحديث رقم: (١٤٢٤).

(٣) البخاري في صحيحه الحديث رقم: ٤٦٥٣، وفي عدة مواضع منه، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٧٩٨، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٠٤)، والنسائي الحديث رقم: (٧٠)، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٧٧٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه في عدة مواضع، منها: الحديث رقم: (٤٧٣٢)، ومسلم الحديث رقم: (٧٩٧)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٨٢٩).

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا[١] من صدور الرجال من النعم بعقلها»[٢].

وعن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[٣].

وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به[٤] آخرين»[٥].

وعن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعدا عند النبي ﷺ، سمع نقيضا[٦] من فوقه، فرفع رأسه، قال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا

---

(١) التفصي: التخلص والتفلت، والعقل جمع عقال وهو حبل يعقل به البعير.

(٢) صحيح البخاري الحديث رقم: (٥٠٣٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٧٩١)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٤٢)، والنسائي في سننه: ١٥٤/٢، والمسند الحديث رقم: (٤٠٢٠)، وهذا الحديث فيه أمر بالمحافظة على الاستمرار على حفظ القرآن الكريم، وتبين سهولة نسيانه، وقد وردت أحاديث أخرى تحذر من نسيانه وتوعده بأنواع من الوعيد شديدة، فقد روى أبو داود وغيره عن النبي ﷺ: «عرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها». وروي أيضا «من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة أجذم» وفي إسناد ضعف، وقال بعض أهل العلم نسيان القرآن كبيرة، انظر فتح الباري: ٧٠/٩، وفضائل القرآن لابن كثير، ص: ٦٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٥٠٢٧)، وأبو داود الحديث رقم: (١٤٥٢)، والترمذي الحديث رقم: (٢٩٠٧)، والنسائي في سننه رقم: (٦١)، والمسند الحديث رقم: (٤١٢).

(٤) قوله: (به) ساقط من (ف).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٨١٧)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢١٨)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (٧٧٢)، وعبد الرزاق في المصنف: ٤٣٩/١١، وسنن الدارمي: ٥٣٦/٢، وكنز العمال الحديث رقم: (٢٤٨٢).

(٦) النقيض: هو الصوت من غير الفهم كفرقعة الأعضاء الأصابع وغيرها. الصحاح: ١١١/٣، والنهاية: ١٠٧/٥.

اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك؛ فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن[١] تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[٢].

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[٣].

وعن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: «اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة»[٤].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[٥].

وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري وقال: ليهنك العلم يا أبا المنذر»[٦].

---

(١) في (أ): (لم تقرأ).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٨٠٦)، والنسائي الحديث رقم: (٩٠٣)، وابن حبان في صحيحه رقم: (٧٧٨)، والحاكم في المستدرك: ٥٥٨/١، وانظر تخريج أحاديث الإحياء: ٣٠٤/١.

(٣) البخاري الحديث رقم: (٣٧٨٦)، ومسلم الحديث رقم: (٨٠٧)، والآيتان هما قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ...﴾ إلى آخر السورة، ومعنى كفتاه: حفظتاه من الشر.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٥٥٣)، وهو جزء من حديث أبي أمامة المتقدم.

(٥) مسلم الحديث رقم: (٧٨٠)، وصحيح ابن حبان: (٧٨٣)، والترمذي: (٢٨٧٧)، والمسند الحديث رقم: (٧٨٠٨).

(٦) صحيح مسلم الحديث رقم: (٨١٠)، وسنن أبي داود (١٤٦٠)، والترمذي الحديث رقم: (٢٨٧٧)، والنسائي الحديث رقم (٤٠)، والمسند الحديث رقم: (١٩٢٢٧)، والبغوي في شرح السنة (١١٩٢).

وعن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران ـ وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد ـ قال: كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق[١]، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»[٢].

وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»[٣].

وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «قل هو الله أحد[٤] تعدل ثلث القرآن»[٥].

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت علي لم ير مثلهن قط: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس»[٦].

** ** **

---

(١) شرق بفتح وسكون وبفتحتين: ضوء انظر اللسان: ٤/٢٢٤٥.

(٢) مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٣٣٨)، وأحمد في المسند: ٥/١٩٦، والبغوي في شرح السنة (١٢٠٤)، ومجمع الزوائد الحديث رقم: (١٠٨٢٨).

(٣) صحيح مسلم الحديث رقم: (٨٠٩)، وسنن أبي داود الحديث رقم: (٤٣٢٣)، والمسند الحديث رقم: (٢١٧٦٠).

(٤) في (أ): (سورة قل هو الله أحد).

(٥) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٨١١)، ومسلم الحديث رقم: (٨١١)، وأبو داود الحديث رقم: (١٤٦١)، والترمذي الحديث رقم: (٢٨٩٨)، والنسائي الحديث رقم: (٩٩٥)، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٧٨٩).

(٦) مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٨١٤)، والترمذي الحديث رقم: ٢٨٢٧)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٩٥٤).

المقدمة الثانية
في تفسير معاني اللغات

نذكر في هذه المقدمة الكلمات التي يكثر دورها في القرآن، أو تقع فيه في موضعين فأكثر، من الأسماء والأفعال والحروف.

وإنما جمعناها في هذا الباب لثلاث[١] فوائد:

إحداها: تيسيرها للحفظ، فإنها وقعت في القرآن متفرقة، فجمعها أسهل لحفظها.

والثانية: ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، كما أن تواليف القراءات جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدور.

والثالثة: الاختصار فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن خوف التطويل بتكرارها، وربما نبهنا على بعضها للحاجة إلى ذلك، ورتبناها في هذا الباب على حروف المعجم، فمن لم يجد تفسير كلمة في موضعها من القرآن فلينظرها في هذا الباب.

واعتبرنا في هذه الحروف الحرف الذي يكون فاء الكلمة وهو الأصلي، دون الحروف الزوائد في أول الكلمات.

---

(١) في (أ) و(ع): (لثلاثة)، وهو خطأ.

حرف الهمزة

آية: لها[١] معنيان؛ أحدهما: عبرة وبرهان، والثاني: آية من القرآن، وهي كلام متصل إلى الفاصلة، والفواصل هي رؤوس الآيات.

أتى: بقصر الهمزة معناه جاء ومضارعه يأتي ومصدره إتيان واسم الفاعل منه آت، واسم المفعول منه مأتي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [سورة مريم آية ٦٠].

وآتى بمد الهمزة: معناه أعطى، ومضارعه يؤتي، ومصدره إيتاء، واسم الفاعل مؤت، واسم المفعول مؤتى[٢]، ومنه: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ [سورة النساء آية ١٦١].

أبى يأبى[٣]: أي امتنع.

أثر: الشيء بقيته وأمارته، وجمعه آثار والأثر أيضا الحديث، و﴿أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [سورة الأحقاف آية ٣]: بقية ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ [الروم الآية: ٨]: حرثوها، وأثر الرجل الشيء يؤثره: فضله.

إثم: ذنب ومنه ﴿ءَاثِمٌ﴾ و﴿أَثِيمٍ﴾ أي مذنب.

أجر: ثواب وبمعنى الأجرة، ومنه: ﴿اسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص الآية: ٢٦] و﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ [القصص ٢٧] وأما ﴿اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: الآية: ٦] ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف الآية: ٣١] و﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن الآية: ٢٢]، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون الآية: ٨٩]، فذلك كله من الجوار بمعنى التأمين.

آمن: إيمانا أي صدق، والإيمان في اللغة التصديق مطلقا وفي الشرع:

---

(١) في (ف): (له).

(٢) قوله: (واسم المفعول مؤتى) زيادة من (أ).

(٣) قوله: (يأبى) ساقط من (أ).

التصديق بالله وملائكته وكتبه[١] ورسله واليوم الآخر، والمؤمن في الشرع المصدق بهذه الأمور، والمؤمن اسم الله تعالى أي المصدق لنفسه، وقيل: إنه من الأمن أي يؤمن أولياءه من عذابه.

وأمن: بقصر الهمزة وكسر الميم أمنا وأمنة ضد الخوف، وأمن أيضا من الأمانة، وأمن غيره من التأمين.

أليم: مؤلم أي موجع، ومنه: ﴿تَأْلَمُونَ﴾ [سورة النساء آية ١٠٣].

إمام: له أربعة معان؛ القدوة، والكتاب، والطريق، وجمع أم أي تابع ومنه: ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ [الفرقان الآية: ٧٤].

أمة: لها أربعة معان؛ الجماعة من الناس، والدين، والحين والإمام: أي القدوة.

أمي: لا يقرأ ولا يكتب ولذلك وصف العرب بالأميين.

أم: لها معنيان: الوالدة، والأصل، وأم القرى مكة.

أخرى: مؤنثة آخر وآخر.

آل: له معنيان؛ الأهل، ومنه: ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ [الحجر الآية: ٥٩]، والأتباع والجنود، ومنه: ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة البقرة آية ٤٩].

أمس: اليوم الذي قبل يومك، والزمن الماضي.

إناه: وقته، وجمعه آناء، ومنه: ﴿ءَانَآءَ الَّيْلِ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٣].

أمر: له معنيان:

أحدهما: طلب الفعل على الوجوب أو الندب أو الإباحة، وقد تأتي صيغة

(١) في (ف): (وكتابه).

الأمر لغير الطلب؛ كالتهديد، والتعجيز، والتعجب، والخبر.

والثاني: بمعنى الشأن والصفة، وقد يراد به العذاب، ومنه: ﴿جَا أَمْرُنَا﴾ [سورة هود آية ٤٠].

إسراءيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو والد الأسباط واليهود من ذريتهم.

إياب: رجوع ومنه: ﴿مَتَابِ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] أي مرجع، ورجل أواب كثير الرجوع إلى الله والتأويب التسبيح، ﴿يَاجِبَالُ أَوِّبِي﴾ [سورة سبأ آية ١٠].

إفك: أشد الكذب والأفاك الكذاب، وأفك الرجل عن الشيء أي صرف عنه ومنه ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الأنعام آية ٩٦].

أوى: الرجل إلى الموضع بالقصر وآواه غيره بالمد، ومنه: ﴿الْمَأْوَىٰ﴾ [سورة السجدة آية ١٩].

أف: كلمة شر.

آلاء الله: نعمه ومنه: ﴿ءَالَاءِ رَبِّكُمَا﴾ [سورة الرحمن آية ١١].

أسف: له معنيان الحزن والغضب ومنه ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف الآية: ٥٥].

إسوة: بكسر الهمزة وضمها: قدوة.

أسى: الرجل يأسى أسا أي حزن ومنه ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة المائدة آية ٢٨]، و﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ [سورة الأعراف آية ٩٢].

أذان: بالقصر إعلام بالشيء ومنه الأذان بالصلاة والآذان بالمد جمع أذن.

إذن الله: يأتي بمعنى: العلم، والأمر، والإرادة، والإباحة، وأذنت بالشيء: علمت[1] به بكسر الذال، وآذنت به غيري بالمد.

---

(١) في (أ): (أعلمت).

إصر: له معنيان؛ الثقل، والعهد.

أيد: قوة، ومنه: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ [سورة البقرة آية ٨٦]، و﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [سورة الذاريات آية ٤٧]، والأيدي جمع يد، فهمزتها زائدة.

أكل: بضم الهمزة اسم المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها، والأكل بفتح الهمزة المصدر.

أيكة: غيضة.

أثاث: متاع البيت.

أجاج: مر.

أرائك: أسرة، واحدها أريكة.

آنية: له معنيان؛ جمع إناء ومنه ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ [سورة الإنسان آية ١٥]، وشديدة الحر ومنه ﴿عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥] ووزن الأول أفعلة، ووزن الثاني فاعلة ومذكره آن، ومنه ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٣].

أحد: له معنيان؛ واحد، ومنه: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، واسم نفي، بمعنى إنسان.

أيان: معناه متى.

أنى: بمعنى كيف ومتى وأين.

إن: المكسورة المشددة للتأكيد، والمفتوحة المشددة مصدرية.

إنما: للحصر.

إن المكسورة المخففة أربعة أنواع؛ شرطية، ونافية، وزائدة، ومخففة من الثقيلة.

أن: المفتوحة المخففة أربعة أنواع؛ مصدرية، وزائدة، ومخففة من الثقيلة، وعبارة عن القول.

إذا: نوعان؛ ظرف زمان مستقبل ومعناها الشرط، وقد تخلو عن الشرط، وفجائية.

إذ: لها معنيان؛ ظرف زمان ماض، وسببية للتعليل.

أو: العاطفة لها خمسة معان؛ الشك، والإبهام، والإباحة، والتخيير، والتنويع[١] والناصبة للفعل بمعنى؛ إلى أن، أو، إلا أن، أو كي.

أم: استفهامية، وقد يكون فيها معنى الإنكار، أو الإضراب، وتكون متصلة للمعادلة بين ما قبلها وما بعدها، ومنفصلة مما قبلها.

إما: المكسورة المشددة للتنويع، والشك، والتخيير، وقد تكون مركبة من إن الشرطية وما الزائدة.

أما: المفتوحة المشددة للتقسيم، والتفصيل.

ألا المفتوحة المخففة للتنبيه، والاستفتاح، وللتوبيخ، والعرض، والتمني.

إلا: المكسورة المشددة استثناء، وتكون للإيجاب بعد غير الواجب، وتكون مركبة من إن الشرطية ولا النافية.

أي: المشددة سبعة أنواع؛ شرطية، واستفهامية، وموصولة، ومنادى، وصفة، وظرفية، إذا أضيفت إلى ظرف، ومصدرية إذا أضيفت إلى مصدر.

إي: المكسورة المخففة معناها التصديق.

إلى: معناه انتهاء الغاية وقيل: تكون بمعنى مع.

الهمزة: للاستفهام، أو التقرير، والتوبيخ، والتسوية، والنداء[٢] وللمتكلم، وأصلية، وزائدة للبناء.

---

(١) زيادة من (ف) و(ع).

(٢) قوله: (والنداء) ساقط من (أ).

حرف الباء

باريء: خالق ومنه: ﴿الْبَرِيَّةِ﴾ [سورة البينة آية ٦]، أي الخلق.

بعث: له معنيان؛ بعث الرسل، وبعث الموتى من القبور.

بسط الله الرزق وسعه، وضده قبض، وقدر الرزق أي ضيقه. ومن أسماء الله تعالى: القابض والباسط، وبسطة زيادة.

بشر: من البشارة وهي الإعلام بالخير قبل وروده، وقد يكون للشر إذا ذكر معها ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف، ومنه المبشر والبشير واستبشر بالشيء فرح به.

بعد: له معنيان ضد القرب، والفعل منه: بعد بضم العين. والهلاك، والفعل منه: بكسرها، ومنه ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [سورة هود آية ٩٥].

بلاء: له معنيان؛ العذاب، والاختبار. ومنه: ﴿ابْتَلَىٰ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٣]، ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ [سورة الأنبياء آية ٣٥].

بر: له معنيان؛ الكرامة، ومنه: بر الوالدين، و﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [سورة الممتحنة آية ٨]، والتقوى والجمع لخصال الخير، ومنه: ﴿الْبِرُّ مَنِ اتَّقَىٰ﴾ [سورة البقرة آية ١٨٨]، ورجل بار وبَرّ والجمع أبرار. والبَر من أسماء الله تعالى.

بات: معروف، ومصدره بيات، وبيت الأمر: دبره بالليل.

بغتة: فجأة.

بروج: جمع برج وهو الحصن، وبروج السماء منازل الشمس والقمر.

بين: ظرف، وبين يدي الشيء ما تقدم قبله، والبين الفراق والاجتماع؛ لأنه من الأضداد.

بينات: براهين من المعجزة[١] وغيرها، ومبينة من البيان.

يبين: من البيان وله معنيان؛ بين غير متعد ومبين لغيره.

بدا: يبدو بغير همز ظهر، وأبديته أظهرته والبادي أيضا من البادية ومنه ﴿بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ [سورة الأحزاب آية ٢٠].

بدأ: بالهمز من الابتداء، ويقال بدأ الخلق[٢] وأبداه، وقد جاء القرآن بالوجهين.

بغى: له معنيان؛ العدوان على الناس، والحسد. والبغاء بكسر الباء الزنا ومنه امرأة بغي أي زانية. وابتغى الشيء وبغاه أي طلبه.

بث: الحديث وغيره نشره، والمبثوث المنتشر. و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ [سورة الغاشية آية ١٦] متفرقة، والبث الحزن الشديد ومنه ﴿أَشْكُوا بَثِّي﴾ [سورة يوسف آية ٨٦].

بوأ: أنزل الرجل منزلا ومنه ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف آية ٧٣]، و﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ [النحل الآية: ٤١]، و﴿مُبَوَّأَ﴾ [يونس الآية: ٩٣].

بوار: هلاك ومنه: ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان الآية: ١٨] أي هلكى.

باء: بالشيء رجع به وقد يقال بمعنى اعترف.

بأساء: الفقر والبؤس والشدة[٣] والمحنة، والبائس الفقير من البؤس، والبأس القتال والشجاعة والمكروه، وبأس الله عذابه وبئس كلمة ذم.

برزخ: شيء بين شيئين، والبرزخ ما بين الموت والقيامة.

بديع: له معنيان جميل ومبدع أي خالق الشيء ابتداء.

---

(١) في (ف): (المعجزات).

(٢) في (ف): (بدأ الله الخلق).

(٣) في (ف): (الشدة).

بسر: عبس، ومنه: ﴿بَاسِرَةٌ﴾ [سورة القيامة آية ٢٣].

بصير: من أبصر[(١)] يقال أبصرته وبصرت به، والبصائر البراهين جمع بصيرة.

برز: ظهر ومنه: ﴿بَارِزَةً﴾ [سورة الكهف آية ٤٦]، و﴿بَـٰرِزُونَ﴾ [سورة غافر آية ١٥].

بطش: أخذ بشدة.

بخس: نقص.

بعل: له معنيان؛ زوج المرأة وجمعه بعولة، والبعل أيضا: الرب، وقيل: اسم صنم ومنه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ [الصافات: ١٢٥].

بهجة: حسن، وبهيج: حسن.

مبلسون: جمع مبلس وهو البائس، وقيل: الساكت الذي انقطعت حجته، وقيل: الحزين النادم، ومنه: ﴿يُبْلِسُ﴾ [سورة الروم آية ١١] ومنه: اشتق إبليس.

بهت: انقطعت حجته.

تبارك: من البركة وهي الكثرة والنماء، وقيل: تقدس.

بلى: جواب يقتضي إثبات الشيء.

بل: معناها الإضراب عما قبلها.

الباء: للإلصاق، ولنقل الفعل في التعدي، وللقسم، وللتعليل، وللمصاحبة، وللاستعانة، وظرفية، وزائدة.

*** *** ***

(١) في (ف): (من البصر).

حرف التاء

تلا: يتلو له معنيان: قرأ، وتبع.

تقوى: مصدر مشتق من الوقاية، فالتاء بدل من واو، ومعناه: الخوف والتزام طاعة الله وترك معاصيه، فهو جماع لكل[1] خير.

تاب: يتوب رجع توبة وتوبا فهو تائب وتواب كثير التوبة وتواب اسم الله تعالى أي كثير التوبة على عباده، وتاب الله على العبد ألهمه التوبة[2] أو قبل توبته.

تباب: خسران، وتب: خسر.

تبار: هلاك ومنه: ﴿مُتَبَّرٌ﴾ [سورة الأعراف آية ١٣٩].

أترفوا: أنعموا، والمترفون: المنعمون في الدنيا.

حرف الثاء

ثمود: قبيلة من العرب الأقدمين.

ثوى: في الموضع أقام فيه، ومنه: ﴿مَثْوَى﴾ [سورة آل عمران آية ١٥١].

ثبور: هلاك ومنه: ﴿مَثْبُوراً﴾ [الإسراء: ١٠٢] و﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ [الفرقان: ١٣] أي صاحوا: واهلكاه.

ثمر: ما يؤكل مما تنبت[3] الأرض، ويقال بالفتح والضم.

ثقفوا: أخذوا وظفر بهم ومنه: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ [سورة الأنفال آية ٥٨].

(١) في (ف): (جماع كل).
(٢) في (ف): (ألهمه للتوبة).
(٣) في (ف): (تنبته).

ثاقب: مضيء.

ثم: بالفتح ظرف، وبالضم: حرف عطف يقتضي الترتيب والمهلة، وقد يرد لغير الترتيب، كالتأكيد، وترتيب الأخبار.

حرف الجيم

جعل: لها أربعة معان؛ صير، وألقى، وخلق، وأنشأ يفعل كذا.

جناح: الطائر معروف، وجناح الإنسان إبطه، ومنه: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [سورة القصص آية ٣٢] ﴿لاَّ جُنَاحَ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٤] لا إثم، فمعناه: إباحة.

وجنح للشيء مال إليه.

لا جرم: لا بد.

اجتبى: اختار.

جدال: مخالفة، ومخاصمة، واحتجاج.

تجأرون: تصيحون بالدعاء.

جواري: جمع جارية وهي السفينة.

أجرم: فهو مجرم له معنيان: الكفر، والعصيان.

جن: الجنون، وقد جاء بمعنى الملائكة.

جان: له معنيان: الجن، والحية الصغيرة.

جنة: بالفتح البستان، وبالكسر الجنون، وبالضم الترس وما أشبهه مما يستتر به ومنه استعير: ﴿أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [سورة المجادلة آية ١٦].

جاثية: أي على ركبهم لا يستطيعون القيام مما هم فيه وقوله ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [سورة مريم آية ٦٧] جمع جاث.

الجرز: الأرض التي لا نبات فيها.

جاثمين: باركين على ركبهم.

جبار: اسم الله تعالى له معنيان: قهار، ومتكبر، وقد يكون من الجبر للكسير وشبهه، والجبار أيضا: الظالم.

أجداث: قبور.

جزى: له معنيان من الجزاء بالخير والشر، وبمعنى أغنى ومنه ﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة البقرة آية ٤٧]، وأما أجزأ بالهمز فمعناه: كفى.

جرح: له معنيان من الجروح وبمعنى الكسب والعمل ومنه ﴿جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [سورة الأنعام آية ٦١]، و﴿ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [سورة الجاثية آية ٢٠]، ولذلك سميت كلاب الصيد جوارح، لأنها كواسب لأهلها.

جنب: له معنيان من الجنابة وبمعنى البعد ومنه ﴿عَن جُنُبٖ﴾ [سورة القصص آية ١٠].

حرف الحاء

حمد: هو الثناء سواء كان جزاء على نعمة أو ابتداء، والشكر إنما يكون جزاء، فالحمد من هذا الوجه أعم، والشكر باللسان والقلب والجوارح ولا يكون الحمد إلا باللسان، فالشكر من هذا الوجه أعم.

حميد: اسم الله تعالى أي بمعنى محمود.

حكمة: عقل أو علم، وقيل: في الكتاب، والحكمة هي السنة.

حكيم: اسم الله تعالى من الحكمة، أو من الحكم بين العباد، أو من إحكام الأمور وإتقانها.

حليم: الحلم العقل، وقد يقال بمعنى العفو والأحلام العقول، والحليم من

أسماء الله تعالى، قيل: الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، وقيل: معناه العفو عن الذنوب، وأحلام النوم: ما يرى في المنام.

حبط: بطل، وأحبطه الله أبطله.

حنيف: مسلم وموحد لله، وقيل: حاج، وقيل: مختتن وجمعه حنفاء.

محصنين ومحصنات: الإحصان له أربع معان؛ الإسلام، والحرية، والعفاف، والتزوج، و﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [سورة الأنبياء آية ٧٩] يقيكم.

حجة: بالضم دليل وبرهان وحاج فلان فلانا جادله وحجه: غلبه بالحجة، والحج بالفتح والكسر: القصد، ومنه أخذ: ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [سورة آل عمران آية ٩٧]، وحجة بالكسر: سنة وجمعها حجج.

حطة: أي حط عنا ذنوبنا، وقيل: كلمة بالعبرانية تفسيرها «لا إله إلا الله».

حضر: بالضاد من الحضور، ومنه: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ [سورة الروم آية ١٥]، و﴿شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [سورة القمر آية ٢٨]، وبالظاء: من المنع، ومنه: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [سورة الإسراء آية ٢٠] و﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [سورة القمر آية ٣١] وبالذال: من الحذر وهو الخوف، ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [سورة الإسراء آية ٥٧].

حفظ: العلم وعيه، وحفظ الشيء حراسته، والحفيظ اسم الله تعالى، قيل: معناه العليم، وقيل: حافظ الخلق كالئهم من المهالك.

حاق بهم: أي حل بهم.

حبل من الله ومن الناس، أي عهد، وحبل الله القرآن وأصله: الحبل المعروف.

حسب: بكسر السين ظن مضارعه بالفتح والكسر وحسب بالفتح من العدد ومضارعه يحسب بالضم ومنه الحساب والحسبان و﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الكهف آية ٣٩] أي مرام، وإحداها حسبانة.

حساب: من الظن ومنه العدد و﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٠] يحتمل الوجهين وأن يكون من المحاسبة، أي لا يحاسب عليه، ومن التقدير: أي بغير تضييق و﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [سورة النبأ آية ٣٦] أي كافيا.

حسيب: اسم الله تعالى فيه أربعة أقوال؛ كاف، وعالم، وقادر، ومحاسب.

حسبك الله: أي كافيك.

حزن: تأسف على ماض أو حال، والخوف: توقع في المستقبل، ويقال حزن بكسر الزاي وحزنه غيره بفتحها وأحزنه أيضا.

حصير: محبس من الحصر وأحصر عن الشيء حبس عنه وحسير بالسين: كليل.

حصيد: هو ما يحصد من الزرع وغيره واستعير منه: ﴿قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [سورة هود آية ١٠٠] أي باق وذاهب.

حميم: له معنيان؛ الصديق، والماء الحار.

محيص: مهرب.

حجر: له أربعة معان الحرام والعقل ومنازل ثمود وحجر الكعبة.

حمل: بكسر الحاء ما على ظهر الدابة وغيرها ويستعار للذنوب وبالفتح ما في بطن المرأة وجمعه أحمال.

إحسان: له ثلاثة معان؛ فعل الحسنات، والإنعام على الناس، ومراقبة الله تعالى المشار إليها في قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»[1].

حق: له أربعة معان الصدق والعدل في الحكم والشيء الثابت والأمر

(١) رواه مسلم في الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان الحديث رقم: (١٠)، وهو جزء من الحديث المعروف المتداول.

الواجب، والحق اسم الله تعالى أي الواجب الوجود.

حاصب: ريح شديدة، سميت بذلك لأنها ترمى بالحصباء أي الحصا والحاصب أيضا الحجارة.

حلية: حلي.

حرج: ضيق أو مشقة.

حول: له معنيان؛ العام والحيلة، وحِوَلا بكسر الحاء انتقالا.

حرث: الأرض مصدر ثم استعمل بمعنى الأرض والزرع والجنات.

حس: بغير ألف قتل ومنه: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ [سورة آل عمران آية ١٥٢] وأحس من الحس.

حرم: بضمتين محرمون بالحج.

حقب: بضمتين وأحقاب جمع حقب وهو مدة من الدهر يقال إنها ثمانون سنة.

حف: الشيء بالشيء: أطاف به من جوانبه أي أحاط به[1]، ومنه: ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [سورة الكهف آية ٣٢]، ﴿الْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

حل: بالمكان يحل بالضم والكسر، وحل من إحرامه يحل بالكسر لا غير.

حطام: فتات، والحطام ما تحطم من عيون الزرع اليابس.

حرف الخاء

خلق: له معنيان؛ من الخلقة ومنه الخالق اسم الله والخلاق وخلق الرجل كذب ومنه: ﴿الْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ [سورة الزمر آية ٧٢] و﴿إِخْتِلَاقٌ﴾ [سورة ص آية ٦]: أي كذب.

(١) قوله: (أي أحاط به) ساقط من (ع) و(ف).

خلاق: نصيب.

خير: ضد الشر وله أربعة معان العمل الصالح والمال والخيرة والتفضيل بين شيئين.

خلا: له معنيان؛ من الخلوة وبمعنى ذهب وتقدم ومنه: ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [سورة البقرة آية ١٣٣].

خطيئة: ذنب وجمعه خطايا وخطيآت، والفعل منه خطئ، فهو خاطئ، وأما الخطأ بغير عمد فالفعل منه أخطأ.

خاسئين: مطرودين من قولك: خسأت الكلب، ومنه: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ [سورة المؤمنون آية ١٠٩].

خلف: بفتح الخاء وإسكان اللام، له معنيان؛ وراء، ومن يخلف[١] سلفه بشر، فإذا خلفه بخير، قيل: بفتح اللام.

خلاف: له معنيان؛ من المخالفة، وبمعنى بعد أو دون، ومنه: ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة آية ٨٢].

خول: أعطى.

خلة: بضم الخاء: مودة، ومنه: الخليل، وجمعه أخلاء.

خلال: له معنيان؛ وداد ومنه: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [سورة إبراهيم آية ٣٣]، وبمعنى بين ومنه: ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [سورة الإسراء آية ٥] و﴿خِلَٰلَكُمْ﴾ [سورة التوبة آية ٤٧].

خر: يخر: سقط على وجهه.

خامدون: هالكون[٢]، وأصله: من خمود النار.

---

(١) في (ف): (خلف).

(٢) في (ف): (خامدين ميتين هالكين).

خطب: خبر، والخطب أيضا: الأمر العظيم، وخطبة النساء بالكسر، وخطبة الخطيب بالضم.

خراصون: كذابون، ومنه: ﴿يَخْرُصُونَ﴾ [سورة الأنعام آية ١١٧]، والخرص أيضا: التقدير، وقيل إن يخرصون منه، أي يقولون بالظن من غير تحقيق.

خبال: شر.

خوان: كثير الخيانة.

مختال: من الخيلاء.

ختار: غدار، من ختر العهد.

مخمصة: من الخمص: وهو الجوع.

أخدان: جمع خدن وهو الخليل.

خراج: أي أجرة وعطية.

حرف الدال

دين: له خمسة معان؛ الملة، والعادة، والجزاء، والحساب، والقهر.

أدنى: له معنيان؛ أقرب فهو من الدنو، وأقل فهو من الدني[1] الحقير.

دأب: له معنيان عادة وجد وملازمة، ومنه: ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [سورة يوسف آية ٤٧] متابعة للزراعة من قولك دأبتُ على الشيء دمت عليه.

دار السلام: الجنة.

دوائر: صروف الدهر واحدها دائرة، ومنه: ﴿دَآئِرَةُ السَّوْءِ﴾ [سورة التوبة آية ٩٩].

دعاء: له خمسة معان؛ الطلب من الله، والعبادة، ومنه: ﴿تَدْعُونَ مِن

(١) في (أ): (الداني).

﴿دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة الأنعام آية ٥٧]، والتمني: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [سورة يس آية ٥٦]، والنداء: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾ [سورة البقرة آية ٢٢]، والدعوة إلى الشيء: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [سورة النحل آية ١٢٥].

دابة: كل ما يدب على الأرض[١] فتعم[٢] جميع الحيوان.

دحور: إبعاد، ومنه: المدحور المطرود.

دع: بتشديد العين يدع أي دفع بعنف ومنه: ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢] و﴿يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [سورة الطور آية ١٢].

درأ: دفع ومنه: ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ [سورة الرعد آية ٢٤].

مدرارا: من در المطر: إذا صب.

داخرين: صاغرين.

دكت: الأرض أي دقت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض ومنه ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي مستويا مع الأرض.

حرف الذال

ذكر: له أربعة معان ضد النسيان والذكر باللسان والقرآن ومنه: ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] والشرف، و﴿مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] مفتعل من الذكر.

ذنوب: بضم الذال جمع ذنب وبالفتح النصيب ومنه ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ [الذاريات الآية: ٥٩] أي نصيبا من العذاب والذنوب أيضا الدلو.

ذبح: بكسر الذال المذبوح، وبالفتح المصدر.

---

(١) قوله: (على الأرض) ساقط من (أ) و(ع).

(٢) في (أ): (فيجمع).

ذرأ: خلق وأنشأ[١].

ذلول: مذللة للعمل من الذل بكسر الذال، ومنه ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ [سورة يس آية ٧١] ورجل ذليل: من الذل بالضم، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ [سورة الإنسان آية ١٤] أدنيت.

أذقان: جمع ذقن.

حرف الراء

رب: له أربعة معان؛ الإله، والسيد، والمالك للشيء، والمصلح للأمر.

ريب: شك ومنه: ﴿ارْتَابُوا﴾ [سورة النور آية ٤٨] و﴿مُرِيبٍ﴾ [سورة هود آية ٦١] و﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [سورة الطور آية ٢٨] حوادث الدهر.

رجع: يستعمل متعديا بمعنى رد وغير متعد، والمرجع: اسم مصدر، أو زمان، أو مكان، من الرجوع.

رعى: له معنيان؛ من النظر ومن رعي الغنم.

روح: له أربعة معان؛ النفس التي بها الحياة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [سورة الإسراء آية ٨٥] والوحي ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ [سورة النحل آية ٢] وجبريل ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [سورة الشعراء آية ١٩٣]، وملك عظيم: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ [سورة القدر آية ٤] وروح بفتح الراء: رائحة طيبة، والريحان: الرزق، وقيل: الشجر المعروف.

ركام: بعضه فوق بعض ومنه: ﴿مَّرْكُومٌ﴾ [سورة الطور آية ٤٢] و﴿فَيَرْكُمَهُ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٧].

رجا: طمع وقد يستعمل في الخوف ومنه: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [سورة يونس آية ٧].

---

(١) في (ع) و(أ): (ونشر بدل أنشا).

رجال: جمع رجل وجمع راجل أي غير راكب ومنه: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [سورة الحج آية ٢٥]، ومثله: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [سورة الإسراء آية ٦٤].

رفث: له معنيان ؛ الجماع ، والكلام بهذا المعنى.

رجز: عذاب ، إلا ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [سورة المدثر آية ٥] فهي الأوثان.

والرجس: بالسين: النجس حقيقة ، أو مجازا ، وقد يستعمل بمعنى العذاب.

رهب: خوف ومنه: ﴿يَرْهَبُونَ﴾ [سورة الأعراف آية ١٥٤].

رءوف: من الرأفة وهي الرحمة إلا أن الرأفة في دفع المكروه، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل فهي أعم من الرأفة.

مرضاة: مفعلة من الرضا.

راسيات: ثابتات ومنه قيل للجبال رواسي ومنه: ﴿مُرْسَاهَا﴾ [سورة الأعراف آية ١٨٧]، أي ثبوتها.

رغدا: كثيرا.

ربوة: مكان مرتفع.

ربا: هو في اللغة الزيادة ومنه: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [سورة البقرة آية ٢٧٥] وربت الأرض: انتفخت.

أرحام: جمع رحم وهو فرج المرأة[1] ويستعمل أيضا في القرابة.

أرجه: أخره، ومنه: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾[2]

---

(١) الرحم بيت منبت الولد ووعاؤه، والقرابة. القاموس: والرحم بالكسر أسباب القرابة وأصلها الرحم الذي في منبت الولد، فتعبير المؤلف بفرج المرأة غير دقيق.

(٢) ساقط من (ع) و(ف).

[الأحزاب الآية: ٥١]، و﴿مُرْجَوْنَ﴾ [سورة التوبة آية ١٠٧] ويجوز فيه الهمز وتركه[1].

رأى: من رؤية العين[2] يتعدى إلي واحد، ومن رؤية القلب بمعنى العلم يتعدى إلى مفعولين.

تربص: انتظر.

رفات: فتات.

أرذل العمر: الهرم، والأرذلون: من الرذالة.

رقى: من الرقية بفتح القاف ومنه: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [سورة القيامة آية ٢٦]، ورقي في السلم بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل.

أرداكم: أهلككم والردى الهلاك ومنه: ﴿لَتُرْدِينِ﴾ [سورة الصافات آية ٥٦] و﴿تَرَدَّىٰ﴾ [سورة الليل آية ١١].

رجفة: زلزلة وشدة.

حرف الزاي

زبر: بضمتين كتب، والزبور: كتاب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

زخرف: زينة والزخرف أيضا الذهب.

زكاة: له في اللغة معنيان؛ الزيادة والطهارة، ثم استعمله الشرع[3] في إعطاء

---

(١) قال أبو زرعة في حجة القراآت ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وآخرون مرجون بغير همز وقرأ الباقون بالهمز وهما لغتان يقال أرجأت الأمر إذا أخرته وأرجيته أيضا. ١/٣٢٢، وقال في النشر: وأما ﴿مُرْجَوْنَ﴾ وهي في التوبة أيضاً ﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ و﴿تُرْجِي﴾ وهو في الأحزاب ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ فقرأهما بهمزة مضمومة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وأبو بكر، وقرأهما الباقون بغير همز. ١/٤٦١.

(٢) في (ف): (البصر فيتعدى).

(٣) في (ف): (الشارع).

المال وهو من الزيادة لأنه يبارك له فيه فيزيد، أو من الطهارة لأنه يطهره من الذنوب، وزكيت الرجل: أثنيت عليه، وزكا هو[١] مخففا: أي صار زكيا.

زوج: له ثلاث معان؛ الرجل، والمرأة وقد يقال فيها[٢] زوجة، وبمعنى الصنف والنوع، ومنه: ﴿أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ﴾ [سورة طه آية ٥٢]، و﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [سورة الشعراء آية ٦].

زل: له معنيان؛ زل القدم عن الموضع وفعل الزلل.

زاغ: عن الشيء زيغا مال عنه وأزاغه غيره أماله.

زلفى: قربى وأزلفت: قربت ﴿وَزُلَفاً مِّنَ الَّيْلِ﴾ [سورة هود آية ١١٤] ساعات.

زعم: أي ادعى ولم يوافقه غيره، قال ابن عباس[٣]: زعم كناية عن كذب.

زعيم: ضامن.

يزجي: يسوق.

زلزلة: الأرض: اهتزازها، وتستعمل بمعنى الشدة والخوف، ومنه: ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ [سورة الأحزاب آية ١١].

زجرة واحدة: صيحة بمعنى نفخة الصور، والزجرة الصيحة بشدة وانتهار وازدجر من الزجر.

* * *

(١) قوله: (هو) ساقط من (ف).

(٢) في (ف): (لها بدل فيها).

(٣) المؤلف نسب هذا القول في مكان آخر من هذا الكتاب لابن عمر قال في تفسير قوله تعالى ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ قال عبد الله بن عمر: زعم كناية عن كذب. سورة التغابن الآية: ٧.

حرف الطاء

طبع: ختم والخاتم الطابع.

طول: بفتح الطاء فضل أو غنى.

طائر: له معنيان؛ من الطيران ومن الطيرة.

طوى: قيل: اسم الوادي، وقيل: معناه مرتين، أي قدس الوادي مرتين.

طهارة: له معنيان؛ الطهارة بالماء ومنه: ﴿جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [سورة المائدة آية ٧] والماء الطهور وهو المطهر والطهارة من القبائح والرذائل ومنه: ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف آية ٨١].

طيب: له معنيان؛ اللذيذ، والحلال.

طوفان: سيل عظيم.

طاغوت: أصنام وشياطين ويكون مفردا أو جمعا والطاغوت أيضا رئيس النصارى على قول.

طباق: بعضها على بعض و﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [سورة الانشقاق آية ١٩] حالا بعد حال.

طور:[١] جبل وهو الطود.

طفق: يفعل كذا أي جعل يفعله.

طائفين: من الطواف وطيف من الشيطان: لمم، وطائف فاعل منه..

❊ ❊ ❊

(١) قوله: (بالضم) زيادة من (ف).

حرف الظاء

ظهر: الأمر بدا، وأظهره غيره أبداه، وظهير معين.

ظاهر: الرجل من امرأته وتظاهر وتظهر أي قال لها: أنت علي كظهر أمي، وهو الظهار.

ظهر البيت: أعلاه وظهرته أي ارتفعت عليه ومنه: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [سورة الكهف آية ٩٣].

ظلم: يقع في القرآن على ثلاثة معان: الكفر، والمعاصي، وظلم الناس، أي التعدي عليهم.

ظن: له ثلاثة معان التحقيق، وغلبة أحد الاعتقادين، والتهمة.

ظمئ: عطش.

ظلال: جمع ظل، وظلل بالضم جمع ظلة وهي ما كان من فوق، وظل بالنهار بمنزلة بات بالليل.

حرف الكاف

كافر: له معنيان؛ من الكفر وهو الجحود وبمعنى الزرع ومنه: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [سورة الحديد آية ١٩] أي الزراع، وتكفير الذنوب: غفرانها.

كافة: جميعا.

كرة: رجعة.

كبر: بكسر الباء: من السن يكبر بالفتح في المضارع، وكبر الأمر بالضم في المضارع والماضي، وكبر بضم الكاف وفتح الباء جمع كبرى، وكبار بالضم والتشديد:

كبير مبالغة، والكبر: التكبر، وكبر الشيء بكسر الكاف وضمها: معظمه، والكبرياء: الملك والعظمة، والمتكبر: اسم الله تعالى من الكبرياء، أو[١] بمعنى العظمة.

كفل: يكفل أي ضم الصبي وحضنه و﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ [سورة ص آية ٢٢] اجعلني كافلها

كفيل: نصيب[٢].

كلالة: هي أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد.

كاد: قارب الأمر ولم يفعله، فإذا نفي اقتضى الإثبات.

كريم: من الكرم، وهو الحسب والجلالة والفضل، وكريم: اسم الله تعالى أي محسن.

أكنة: أغطية، وأكنان جمع كن وهو[٣] ما وقى من الحر والبرد.

كهل: هو الذي انتهى شبابه.

أكمام: الثمر والنخل جمع كم، وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها.

أكب: الرجل على وجهه فهو مكب وكبه غيره بغير ألف.

كهف: غار.

كيد: هو من المخلوق احتيال، ومن الله مشيئة أمر ينزل[٤] بالعبد من حيث لا يشعر.

كسفا: بفتح السين جمع كسفة وهي القطعة من الشيء وبالسكون كذلك أو مفرد.

---

(١) قوله: (أو) ساقط من (ف).

(٢) قال المؤلف في سورة النحل، كفيل: رقيب.

(٣) قوله: (وهو) ساقط من (ف).

(٤) في (ف): (يقع).

كبتوا: أي أهلكوا، ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ [سورة آل عمران آية ١٢٧] يهلكهم، أو يخزيهم[١].

أكمه: هو الذي ولد أعمى.

كان: على نوعين تامة بمعنى حضر أو حدث أو وقع وهي ترفع الفاعل، وناقصة وهي[٢]: ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضي ثبوت الخبر للمخبر عنه في زمانها، وقد تأتي بمعنى الدوام في مثل قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [سورة النساء آية ٩٥] ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾ [سورة الفرقان آية ٥٤] وشبه ذلك، وهو كثير في القرآن، ومعناه لم يزل ولا يزال موصوفا بذلك الوصف[٣].

كأن: معناها التشبيه.

كي: معناها التعليل.

كم: معناها التكثير وهي خبرية واستفهامية.

كأين: بمعنى كم وهي عند سيبويه كاف التشبيه دخلت على أي.

كلا: حرف ردع وزجر، وقيل: إنها تكون للنفي أي ليس الأمر كما ظننت، وقيل: إنها استفتاح كلام بمعنى إلا.

الكاف: بمعنى التشبيه وبمعنى التعليل وقيل إنها تكون زائدة.

حرف اللام

لبس: الأمر أي خلطه[٤] بفتح الباء في الماضي وكسرها في المستقبل، ولبس

---

(١) في (ف): (أو خزيهم).

(٢) قوله: (وهي) ساقط من (ف) و(ع).

(٣) قوله: (الوصف) ساقط من (ف).

(٤) في (ع): (خلط).

الثوب: بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل.

ألباب: عقول، وهو جمع لب.

لبث: في المكان أقام فيه.

لمز: يلمز: أي عاب الشيء.

لؤلؤ: جوهر.

لغو الكلام: الباطل[١] منه والفحش، ولغو اليمين ما لا يلزم.

لها: بفتح الهاء من اللهو ومضارعه يلهو، ولهي عن الشيء بالكسر والياء يلهى بالفتح إذا أعرض عنه، وألهاه الشيء إذا[٢] أشغله، ومنه: ﴿لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [سورة المنافقون آية ٩].

لطيف: اسم الله تعالى، قيل: معناه رفيق، وقيل: خبير بخفيات الأمور.

لدى ولدن: معناهما عند.

ليت: معناها التمني.

لعل: معناها الترجي في المحبوبات، والتوقع للمكروهات، وأشكل ذلك في حق الله تعالى، فقيل: جاءت في القرآن على منهاج كلام العرب وبالنظر إلى المخاطب، أي ذلك مما يرتجى[٣] عندكم أو[٤] يتوقع، وقد يكون معناها[٥]: التعليل، أو مقاربة الأمر، فلا إشكال.

لو: لها معنيان؛ التمني، وامتناع شيء لامتناع غيره.

---

(١) في (ف): (الباطل الفحش).

(٢) قوله: (إذا) ساقط من (ف).

(٣) في (ف): (فيما يترجى).

(٤) في (أ) و(ع): (أي)، والصواب ما أثبتنا من (ف).

(٥) قوله: (معناها) ساقط من (ف).

لولا: لها معنيان؛ العرض، مثل لوما، وامتناع الشيء[1] لوجود غيره.

لما: لها معنيان؛ النفي، وهي الجازمة، ووجود شيء لوجود غيره. وأما

لما: بالتخفيف فهي لام التأكيد دخلت على ما، وقال الكوفيون: هي بمعنى إلا الموجبة بعد النفي.

لا: ثلاثة أنواع نافية وناهية وزائدة.

اللام: خمسة أنواع؛ لام الجر، ولام كي، ولام الجحود، ولام الأمر، ولام التأكيد في القسم وغيره وهي المفتوحة.

ثم إن لام الجر لها ثلاثة معان؛ الملك، والاستحقاق، والتعليل. وقد تأتي للتعدي إذا ضعف العامل[2]، وقد تأتي بمعنى عند نحو: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [سورة طه آية ١٣] و﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [سورة الإسراء آية ٧٨]، ولام كي معناها: السببية، والتعليل، وقد تأتي بمعنى الصيرورة في العاقبة، نحو: ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [سورة القصص آية ٧]، وقد تأتي بمعنى أن المصدرية، ومنه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [سورة النساء آية ٢٦].

حرف الميم

مرض: الجسد معروف، ومرض القلب: الشك في الإيمان، والبغضة في الدين.

المن: شبه العسل، وقيل: خبز النقي. والسلوى: طائر، والمن أيضا: الإنعام، والمن أيضا: العطية، والمن أيضا: القطع، ومنه: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [سورة فصلت آية ٧].

---

(١) في (ف): (شيء).

(٢) في (ف) للعامل.

أماني: جمع أمنية ولها ثلاثة معان: ما تتمناه النفس، والتلاوة، والكذب، وكذلك تمنى: له هذه المعاني الثلاثة.

ملأ: القوم أشرافهم وذوو الرأي منهم.

مثل: بفتح الميم والثاء له أربعة معان؛ الشبيه والنظير، ومن المثل المضروب وأصله من التشبيه، ومثل الشيء: حاله وصفته، والمثل: الكلام الذي يتمثل به. ومثل الشيء بكسر الميم: شبهه.

مرية: شك، ومنه: ﴿الْمُمْتَرِينَ﴾ [سورة البقرة آية ١٤٦] أي الشاكين، و﴿فَلَا تُمَارِ﴾ [سورة الكهف آية ٢٢] من المراء، وهو الجدال.

أملى لهم: أمهلهم وزادهم.

مهاد: فراش.

مد: يمد أي أملى، وقد تكون بمعنى زاد، مثل أمد بألف من المداد.

مضغة: قطعة لحم.

إملاق: فقر.

مريد: ومارد، من العتو والضلال.

مكانة: بمعنى مكان أو[١] من التمكين[٢] والعز ومنه: ﴿مَكِينٌ﴾ [سورة يوسف آية ٥٤].

مواخر: فواعل من المخر، يقال: مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء.

مجيد: من المجد وهو الكرم والشرف.

مقت: هو الذم، أو البغض، على فعل القبيح[٣].

(١) في (أ): (أي).
(٢) في (ف): (التمكن).
(٣) في (أ): (على ما فعل من القبيح).

معين: ماء جار كثير، وهو من قولك: معن الماء: أي كثر، وقيل: هو مشتق من العين ووزنه مفعول فالميم زائدة.

مريج: مختلط، والمارج: لهب النار من قولك: مرج الشيء إذا اضطرب، وقيل: من الاختلاط أي خلط نوعين من النار.

مرج: البحرين أي خلى بينهما، وقيل: خلطهما وقيل: أفاض أحدهما في الآخر.

مهل: فيه قولان؛ دردي الزيت، وما أذيب من النحاس.

منون: له معنيان؛ الموت والدهر.

مس: له معنيان؛ اللمس باليد وغيره، والجنون.

من: أربعة أنواع: شرطية، وموصولة، واستفهامية، ونكرة موصوفة.

ما: إذا كانت اسما فلها ستة أنواع: شرطية، وموصولة، واستفهامية، وموصوفة، وصفة، وتعجبية، وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع: نافية، ومصدرية، وزائدة، وكافة، ومبهمة[1].

من: لها ستة أنواع؛ لابتداء الغاية، ولجملة الغاية، وللتبعيض، ولبيان الجنس، وللتعليل، وزائدة.

مهما: اسم شرط.

حرف النون

نظر: له معنيان؛ من النظر ومن الانتظار فإذا كان من الانتظار[2] تعدى بغير حرف، ومن نظر العين يتعدى بإلى، ومن نظر القلب يتعدى بفي.

أنظر: بالألف أخر ومنه: ﴿أَنظِرْنِي﴾ [سورة الأعراف آية ١٣] و﴿مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [سورة الأعراف آية ١٤] و﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة آية ٢٧٩].

---

(١) في (ف): (مهيأة).

(٢) قوله: (فإذا كان من الانتظار) ساقط من (ف).

نضرة: بالضاد: من التنعم، ومنه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [سورة القيامة آية ٢١] [القيامة: ٢٢] أي ناعمة، وأما: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة آية ٢٢] فهو من النظر.

نعمة: بفتح النون: من النعيم، وبكسرها: من الإنعام.

أنعام: هي الإبل والبقر والغنم دون سائر البهائم ويجوز تذكيرها وتأنيثها ويقال لها أيضا نعم.

نعم: كلمة مدح ويجوز فيها كسر النون وفتحها وإسكان العين وكسرها.

نعم: بفتح العين والنون كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها من نفي أو إثبات، بخلاف بلى فإنها للإثبات خاصة ويجوز في نعم فتح العين وكسرها.

ند: هو المضاهي والمماثل والمعاند، وجمعه أنداد.

أنذر: أعلم بالمكروه قبل وقوعه، ومنه: ﴿نَذِيرٍ﴾ [سورة المائدة آية ٢١] و﴿مُنذِرٌ﴾ [سورة الرعد آية ٨] و﴿الْمُنذَرِينَ﴾ [سورة يونس آية ٧٣] و﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [سورة الملك آية ١٧] أي إنذاري فهو مصدر، ومنه: ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [سورة القمر آية ١٦] والنذر بغير ألف، ومنه: ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ [سورة البقرة آية ٢٦٩]، ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [سورة الحج آية ٢٧].

نكال: له معنيان؛ العقوبة، والعبرة.

نجى: بتشديد الجيم له معنيان؛ من النجاة ومن النجوة وهي[1] الموضع المرتفع، ومنه: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [سورة يونس آية ٩٢] على قول.

نجوى: معناه كلام خفي، ومنه: ناجى، ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [سورة مريم آية ٥١] وقيل: إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس في قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ [سورة الإسراء آية ٤٧] وقد يحمل ذلك على حذف مضاف تقديره: وإذ هم أصحاب نجوى.

نسيان: له معنيان؛ الذهول ومنه: ﴿إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٥]

(١) في (أ): (وهو).

والترك ومنه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [سورة التوبة آية ٦٧].

نسخ: له معنيان؛ الكتابة، ومنه: ﴿نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية آية ٢٨] والإزالة، ومنه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [سورة البقرة آية ١٠٥].

نصر: بالصاد المهملة[1] معروف، وبالسين: اسم صنم، ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [سورة نوح آية ٢٤] واسم طائر أيضا.

نشور: خروج الناس من القبور، يقال: أنشرهم الله فنشروا، والرياح: نشرا، لأنها تنشر السحاب.

نشوز: بالزاي له معنيان؛ شر بين الرجل والمرأة، وارتفاع، ومنه: ﴿انشُزُوا﴾ [سورة المجادلة آية ١١] أي قوموا من المكان.

نزل: بضمتين رزق وهو ما يطعم الضيف.

نأى: أي بعد ومنه: ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [سورة الأنعام آية ٢٧].

نكص: رجع إلى وراء.

نفر: نفورا عن الشيء ونفر ينفر بضم المضارع ومنه نفرت الدابة ونفر ينفر بكسر المضارع نفيرا: أي أسرع وجد ومنه: ﴿انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة آية ٣٨].

نبأ: خبر، ومنه اشتق النبيء بالهمز وترك الهمز تخفيفا، وقيل: إنه عند من ترك الهمز: مشتق من النبوة وهي الارتفاع.

نطفة: أي[2] نقطة من ماء، ومنه: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [سورة فاطر آية ١١] يعني من المني.

أناب: إلى الشيء رجع ومال إليه، ومنه: ﴿مُّنِيبٌ﴾ [سورة هود آية ٧٤].

---

(١) قوله: (المهملة) زيادة من (أ).

(٢) قوله: (أي) ساقط من (ا).

نفد: ينفد: أي تم وانقطع.

نهر: بفتح الهاء: الوادي ويجوز الإسكان، ﴿وَأَمَّا السَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى١٠]، فهو من الانتهار، وهو الزجر.

منير: من النور، وهو الضوء حسا أو معنى.

نصب: بضمتين وبضم النون وإسكان الصاد وبفتح النون وإسكان الصاد، بمعنى واحد وهو حجر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده وجمعه أنصاب.

نصب: بفتحتين تعب و﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ [سورة ص آية ٤٠]، أي بلاء وشر.

نقم: الشيء ينقمه: أي كرهه وعابه.

نضيد: أي منضود بعضه إلى بعض.

نكير: إنكار ويقال نكر الشيء وأنكره بمعنى.

نسل: بمعنى أسرع[١]، ومنه: ﴿يَنسِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء آية ٩٥]، من النسلان، وهو الإسراع في المشي مع قرب الخطا.

حرف الصاد

صراط: هو في اللغة الطريق، ثم استعمل في القرآن بمعنى الطريقة الدينية، وأصله السين ثم قلبت صادا لحرف الإطباق بعدها، وفيه ثلاث لغات بالصاد وبالسين وبين الصاد والزاي[٢]

(١) قوله: (نسل: بمعنى أسرع) ساقط من (ف).

(٢) قال محمد بن الجزري في تحبير التيسير: الصراط وصراط حيث وقعا بإشمام الصاد [الزاي] وخلاد بإشمامها الزاي في قوله تعالى: الصراط المستقيم ([هنا] خاصة، وقنبل ورويس: بالسين حيث وقعا، والباقون بالصاد، ص: ١٨٦، وانظر النشر: ١/٣١٠.

صلاة: إذا كانت من الله فمعناها رحمة وإذا كانت من المخلوق فلها معنيان؛ الدعاء والأفعال المعلومة.

صوم: أصله في اللغة الإمساك مطلقا، ثم استعمل شرعا في الإمساك عن الطعام والشراب وقد جاء بمعنى الصمت في قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [سورة مريم آية ٢٥]، لأنه إمساك عن الكلام.

صدقة: يطلق على الزكاة الواجبة وعلى التطوع، ومنه: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ [سورة الحديد آية ١٧] بالتشديد أي المتصدقين[1].

وأما ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: ٥٢] بالتخفيف فهو من التصديق.

صدقة: بضم الدال صداق المرأة، ومنه: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]، والصدق في القول ضد الكذب، والصدق في الفعل حسن النية فيه، والصدق في القصد: العزم الصادق.

صعد: يصعد أي ارتفع، وأصعد بالألف يصعد بالضم أي أبعد في الهروب، ومنه: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦]، أي ترابا، والصعيد وجه الأرض.

صد: له معنيان؛ فالمتعدي بمعنى منع غيره من شيء ومصدره صد ومضارعه بالضم، وغيره بمعنى أعرض ومصدره صدود.

صار: له معنيان؛ من الانتقال، ومنه: ﴿تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [سورة الشورى آية ٥٠]، والمصير ويمعنى ضم ومضارعه يصور، ومنه: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [سورة البقرة آية ٢٥٩].

صاعقة: لها[2] ثلاثة معان؛ الموت، وكل بلاء يصيب، وقطعة نار تنزل مع شدة الرعد والمطر وجمعها صواعق.

---

(١) قوله: (بالتشديد أي المتصدقين) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (له).

أصر: على الذنب يصر إصرارا دام عليه ولم يتب منه.

صواع: مكيال وهو السقاية والصاع، وسواع بالسين اسم صنم.

صابين: قوم يعبدون الملائكة ويقولون إنها بنات الله، وقيل: إنهم يرون تأثير الكواكب، وفيه لغتان الهمز وتركه من صبأ إلى الشيء إذا مال إليه.

تصطلون: تفتعلون من صلي بالنار إذا تسخن بها، والطاء بدل من التاء.

اصطفى: أي اختار وأصله من الصفا أي اتخذه صفيا.

صغار: بفتح الصاد ذلة، ومنه: ﴿صَٰغِرُونَ﴾ [سورة التوبة آية ٢٩]، والصغير ضد الكبير.

صدف: عن الشيء يصدف أعرض عنه.

صريخ: مغيث ومنه: ﴿مَّا أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [سورة إبراهيم آية ٢٥].

صلصال: طين يابس، فإذا مسته النار فهو فخار.

صرح: قصر، وهو أيضا البناء العالي.

حرف الضاد

ضرب: له أربعة معان؛ من الضرب باليد وشبهه، ومن ضرب الأمثال، ومن السفر، ومنه: ﴿ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النساء آية ١٠٠]، ومن الالتزام، ومنه: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [سورة البقرة آية ٦٠]، أي ألزموها و﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [سورة الكهف آية ١١]، أي ألقينا عليهم النوم، و﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ [سورة الزخرف آية ٤]: أي نمسك عنكم التذكير.

ضاعف: الشيء كثره ويجوز فيه التشديد، وضعف الشيء بكسر الضاد مثلاه،

وقيل: مثله. والضعف أيضا العذاب والضعف بالضم ويجوز[١] فيه الفتح.

ضر: بفتح الضاد وضمها بمعنى واحد[٢]، وكذلك الضير بالياء، ومنه: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ [سورة آل عمران آية ١٢٠]، والضراء: ما يصيب من المرض وشبهه.

ضحى: أول النهار والفعل منه أضحى وأما ضحى بكسر الحاء يضحى في المضارع: فمعناه برز للشمس وأصابه حرها، ومنه: ﴿لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [سورة طه آية ١١٦].

ضيف: يقال للواحد والاثنين والجماعة.

ضيق: بكسر الضاد: مصدر، وبفتحها مع إسكان الياء تخفيف من ضيق المشدد كميت وميت.

حرف العين

عاذ بالله يعوذ: أي استجار به ولجأ إليه ليدفع عنه ما يخاف، ويقال أيضا استعاذ يستعيذ ومنه: ﴿عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ [سورة غافر آية ٢٧]، و﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [سورة يوسف آية ٢٣].

العالمين: جمع عالم وهو عند المتكلمين: كل موجود سوى الله تعالى، وقيل: العالمين الإنس والجن والملائكة لجمعه جمع العقلاء، وقيل: الإنس خاصة، لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء آية ١٦٥].

يعمهون: يتحيرون في ضلالهم، والعمه: الحيرة.

عدل: يعدل عدلا ضد جار، وعدل عن الحق عدولا، وعدلت فلانا بفلان سويت بينهما ومنه: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأنعام آية ٢]، والعدل له ثلاثة معان؛

---

(١) في (ف): (يجوز).

(٢) قوله: (واحد) زيادة من (أ).

ضد الجور، والفدية، ومنه: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٢]، ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ [سورة الأنعام آية ٧٠]، ومثل[1] الشيء، ومنه: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [سورة المائدة آية ٩٧].

عزيز: اسم الله تعالى، معناه الغالب. وعز: غلب، ومنه: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [سورة ص آية ٢٢] أي غلبني، والغلبة ترجع إلى القوة والقدرة ومنه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [سورة يس آية ١٣]، أي قوينا وقيل العزيز العديم المثل.

عفا: له أربعة معان؛ عفا عن الذنب أي صفح عنه وعفا أسقط حقه ومنه[2]: ﴿إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٥]، وعفا القوم كثروا ومنه: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [سورة الأعراف آية ٩٤]، وعفا المنزل: درس.

عفو: له ثلاثة معان؛ الصفح عن الذنب، والإسقاط، والسهل من غير كلفة، ومنه: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٧، ٢١٨].

عين: له في القرآن معنيان؛ العين المبصرة وعين الماء، وله في غير القرآن معان كثيرة.

عين: بكسر العين واسعات العيون[3] وهو جمع عيناء.

عنت: معناه الهلاك، أو المشقة، ومنه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٨]، أي لأهلككم أو ضيق عليكم والعنت أيضا الزنا ومنه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ [سورة النساء آية ٢٥] وأما: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ [سورة طه آية ١٠٨] فليس من هذا لأن لامه واو، فهو من عنا يعنو إذا خضع[4].

---

(١) في (ف): (أو مثل).

(٢) قوله: (ومنه) ساقط من (ف).

(٣) في (ع) و(ف): (العين).

(٤) ومعنى عنت الوجوه: ذلت.

عاقب: له معنيان؛ من العقوبة على الذنب، ومن العقبى ومنه: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ [سورة الممتحنة آية ١١]، أي أصبتم عقبى.

أعجاز نخل: أصولها، أعجز الشيء: إذا فات ولم يقدر عليه، ومنه: ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [سورة الزمر آية ٤٨] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ﴾ [سورة فاطر آية ٤٤]، وأما ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ [سورة الحج آية ٤٩]، بالألف: فمعناه مسابقين.

عال: يعيل عيلة: أي افتقر، ومنه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [سورة التوبة آية ٢٨][(١)] ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [سورة الضحى آية ٨]، وعال يعول: عدل عن الحق، وعال يعول أيضا: كثر عياله، والأشهر أن يقال في هذا المعنى: أعال بالألف.

عرج: يعرج بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع صعد وارتقى، ومنه: المعارج، وعرج بالكسر في الماضي والفتح في المضارع صار أعرج.

عتبى: معناه الرضى ومنه: ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [سورة فصلت آية ٢٣]، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [سورة النحل آية ٨٤]، والعتاب: العذل.

أعد: بالألف يسر الشيء وهيأه، وعد بغير ألف من العدد.

عرش: سرير الملك ومنه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة يوسف آية ١٠٠] و﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [سورة النمل آية ٤٢] وعرش الله فوق السماوات، وتعرشون: تبنون، و﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [سورة البقرة آية ٢٥٨]، سقوفها.

عورة: أصل معناه الانكشاف فيما يكره كشفه، ولذلك قيل: عورة الإنسان و﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ﴾ [سورة النور آية ٥٦]، أي أوقات انكشاف و﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [سورة الأحزاب آية ١٣]، أي خالية معرضة للسراق.

---

(١) قوله: (﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾) ساقط من (ف) و(ع).

عاقر: له معنيان؛ المرأة العقيم، واسم فاعل من عقر الحيوان.

عبر: يعبر له معنيان؛ من عبارة الرؤيا ومنه: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [سورة يوسف آية ٤٣]، ومن الجواز على الموضع ومنه: ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [سورة النساء آية ٤٣].

عمون: جمع عم، وهو صفة على وزن فعل بكسر العين من العمى في البصر أو في البصيرة.

علا: يعلو تكبر، ومنه: ﴿قَوْماً عَالِينَ﴾ [سورة المؤمنون آية ٤٧]، و﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة القصص آية ٣]، والعلي: اسم الله والمتعالي والأعلى من العلو بمعنى الجلال والعظمة، وقيل: بمعنى التنزيه عما لا يليق به.

عزب: الشيء غاب، ومنه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ [سورة يونس آية ٦١] أي لا يخفى عنه.

عصبة: جماعة من العشرة إلى الأربعين.

علقة: واحدة العلق وهو الدم.

عاصف: ريح شديدة.

عصف: ورق الزرع.

حرف الغين

غشاوة: غطاء إما حقيقة أو مجاز.

غمام: هو السحاب.

غلف: جمع أغلف وهو كل شيء جعلته في غلاف، ومنه: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [سورة البقرة آية ٨٧][(١)]، أي قلوبنا محجوبة.

---

(١) قوله: (﴿قُلُوبُهُمْ وَجِلَتْ﴾) ساقط من (ف).

غرفة: بضم الغين لها معنيان؛ المسكن المرتفع والغرفة من الماء بالضم وبالفتح المرة الواحدة.

غادر: ترك ومنه: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ [سورة الكهف آية ٤٦].

غل: يغل من الغلول، وهو الخيانة، والأخذ من المغنم بغير حق، والغل: الحقد.

أغلال: جمع غل بالضم وهو ما يجعل في العنق، ومنه: مغلولة.

غلا: يغلو من الغلو وهو مجاوزة الحد والإفراط ومنه: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، أي لا تجاوزوا الحق.

غائط: المكان المنخفض ثم استعمل في حاجة الإنسان.

غشي: الأمر يغشى بالكسر في الماضي والفتح في المضارع معناه غطى حسا ومعنى ومنه: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [سورة الليل آية ١] لأنه يغطى بظلامه وينقل(١) بالهمزة والتشديد فيقال: غشى وأغشى، ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [سورة الأعراف آية ٤٠]، يعني ما يغشاهم من العذاب أو يصيبهم ومنه: ﴿غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [سورة يوسف آية ١٠٧]، والغاشية أيضا: القيامة، لأنها تغشى الخلق.

غبر:(٢) له معنيان؛ ذهب وبقي ومنه: ﴿عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾ [سورة الشعراء آية ١٧١] أي في الهالكين الذاهبين، أو في الباقين في العذاب.

غرور: بضم الغين: مصدر، وبفتحها: اسم فاعل مبالغة، ويراد به: إبليس.

غاض: الشيء نقص، ومنه: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [سورة هود آية ٤٤]، و﴿تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ [سورة الرعد آية ٩].

---

(١) في (ف): (ويقال).

(٢) في (ف): (غابر).

وغاظ: يغيظ، بالظاء المشالة: من الغيظ.

غور: أي غائر، من غار الماء إذا ذهب.

غرام: عذاب، ومنه: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [سورة الواقعة آية ٦٩]، والمغرم: غرم المال، ومنه: ﴿مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [سورة الطور آية ٣٨].

حرف الفاء

فرقان: مفرق بين الحق والباطل، ومنه: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [سورة الأنفال آية ٢٩] أي تفرقة، ولذلك سمي القرآن بالفرقان.

فئة: جماعة من الناس.

فصال: فطام من الرضاع.

فضل: له معنيان؛ الإحسان والربح في التجارة وغيرها، ومنه: ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [سورة المزمل آية ٢٠].

فسق: أصله الخروج، وتارة يرد بمعنى الكفر وتارة بمعنى العصيان

فتنة: لها ثلاثة معان؛ الكفر، والاختبار، والتعذيب.

فاء: يفيء أي رجع.

فلك: بضم الفاء: سفينة، ويستوي فيه المفرد والجمع.

فلك: بفتحتين القطب الذي تدور به الكواكب.

فزع: له معنيان؛ الخوف، والإسراع، ومنه: ﴿إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ [سورة سبا آية ٥١].

فرح: له معنيان؛ السرور، والبطر.

فاحشة: وفحشاء هي كل ما يقبح ذكره من المعاصي.

فرض: له معنيان؛ الوجوب، والتقدير.

فتح: له معنيان؛ فتح الأبواب ومنه فتح البلاد وشبهها، والحكم، ومنه: ﴿افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [سورة الأعراف آية ٨٨]، ويقال للقاضي فتاح، واسم الله تعالى الفتاح: قيل: الحاكم، وقيل: خالق الفتح والنصر.

انفضوا: أي[١] تفرقوا.

فطره: خلقه ابتداء، ومنه: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام آية ١٥]، ومنه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [سورة الروم آية ٢٩]، وفطرة الله الخلقة التي خلق الخلق عليها، وأفطر بالألف: من الطعام.

فطور: شقوق، ومنه: ﴿انفَطَرَتْ﴾ [سورة الانفطار آية ١]، أي انشقت، و﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ [سورة مريم آية ٩٠].

فج: طريق واسع، وجمعه فجاج.

فار التنور: يقال لكل شيء هاج وغلا حتى فاض، ومنه: ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ [سورة الملك آية ٧]، وقولهم: فارت القدر.

فوج: جماعة من الناس، وجمعه أفواج.

فاكهين: من التلذذ بالفاكهة، أو من الفكاهة[٢] وهي السرور واللهو.

فؤاد: هو القلب وجمعه أفئدة.

استفز: يستفز أي استخف.

فقه: فهم، ومنه: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأعراف آية ١٧٩] و﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا﴾ [سورة هود آية ٩١].

---

(١) قوله: (أي) ساقط من (ع) و(أ).

(٢) في (ف): (ومن المفاكهة)، وفي (ع): (الفاكهة).

في: حرف جر بمعنى الظرفية، وقد تكون للتعليل، وقد تكون بمعنى مع، وقيل بمعنى على.

الفاء:[١] ثلاثة أنواع: عاطفة، ورابطة، وناصبة للفعل بإضمار أن، ومعناها الترتيب والتعقيب والتسبب

حرف القاف

قرآن: له معنيان؛ القرآن العزيز ومصدره قرأ أي تلا، ومنه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة آية ١٦].

قنوت: له خمسة معان؛ العبادة، والطاعة، والقيام في الصلاة، والدعاء، والسكوت.

قضاء: له سبعة معان؛ الحكم، والأمر، والقدر السابق، وفعل الشيء، والفراغ منه، والموت، والإعلام بالشيء، ومنه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [سورة الحجر آية ٦٦].

قدر: له خمسة معان؛ من القدرة، ومن التقدير، ومن المقدار، ومن القدر والقضاء، وبمعنى التضييق، نحو: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [سورة الفجر آية ١٧]، وقد يشدد الفعل ويخفف، والقدر بفتح الدال وإسكانها: القضاء والمقدار، وبالفتح لا غير، من القضاء.

قام: له ثلاثة معان؛ من القيام على الرجلين، ومن القيام بالأمر بتدبيره وإصلاحه، ومنه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [سورة النساء آية ٣٤]، وقام الأمر: ظهر واستقام، ومنه: ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [سورة التوبة آية ٣٦] و﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة آية ٥].

أقام: له ثلاثة معان؛ أقام الرجل غيره من القيام ومن التقويم ومنه: ﴿جِدَارًا

(١) في (أ) و(ف) زيادة (لها)، وهي ساقطة من (ع).

يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [سورة الكهف آية ٧٦] وأقام في الموضع: سكن، ومنه: مقيم، أي دائم.

قيوم: اسم الله تعالى وزنه فيعول وهو بناء مبالغة من القيام على الأمور معناه: مدبر الخلائق في الدنيا والآخرة، ومنه: ﴿قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ [سورة الرعد آية ٣٤].

قيام: له معنيان؛ مصدر قام على اختلاف معانيه، وبمعنى قوام الأمر وملاكه. وقيم بغير ألف: جمع قيمة.

قرض: سلف والفعل منه أقرض يقرض.

أقسط: بالألف قسطا عدل في الحكم، ومنه: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة المائدة آية ٤٤]، وقسط بغير ألف جار، ومنه: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

مقاليد: فيه قولان: خزائن، ومفاتح.

قدس: يقدس من التنزيه والطهارة وقيل من التعظيم، والقدوس: اسم الله تعالى فعول من النزاهة عما لا يليق به.

قال: يقول من القول وقد يكون بمعنى الظن ومصدره قول وقيل(١) وقال يقيل من القائلة ومنه: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [سورة الأعراف آية ٣]، ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [سورة الفرقان آية ٢٤].

قفى: اتبع، وأصله من القفا، يقال: قفوته إذا جئت في أثره، وقفيته بالتشديد: إذا سقت شيئا في أثره، ومنه: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ [سورة البقرة آية ٨٦].

قرن: جماعة من الناس، وجمعه قرون.

قواعد: البيت أساسه، واحده قاعدة، والقواعد من النساء واحده قاعد، وهي العجوز.

---

(١) قوله: (قيل) ساقط من (أ).

قربان: ما يتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها وقربان أيضا من القرابة.

قلى: يقلي أبغض، ومنه: ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]، و﴿لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

اقترف: اكتسب حسنة، أو سيئة.

قصص: له معنيان؛ من الحديث، ومن قص الأثر، ومنه: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [سورة الكهف آية ٦٣]، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [سورة القصص آية ١٠].

قررت: به عينا أقر بالكسر في الماضي والفتح في المضارع، وقررت في المكان بالفتح في الماضي والكسر في المضارع.

قسطاس: ميزان.

قتر: وقترة غبار، وهو عبارة عن تغير الوجه، وقتور من التقتير.

قارعة: داهية وأمر عظيم.

قبس: شعلة نار.

قنط: يئس من الخير.

قرطاس: صحيفة وجمعه[1] قراطيس.

حرف السين

أسباط: جمع سبط وهم ذرية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان له اثنا عشر ولدا ذكرا، فأعقب كل واحد منهم عقبا، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب.

سبيل: هو الطريق وجمعه سبل ثم استعمل في طريق الخير والشر، وسبيل الله الجهاد، وابن السبيل الضيف، وقيل: الغريب.

(١) في (ف): (وجمعها).

سوى: بالتشديد له معنيان؛ من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء، وبمعنى أتقن وأحسن، ومنه: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [سورة الانفطار آية ٧].

سواء: بالفتح والهمز من التسوية بين الأشياء، و﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، وسطها و﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [سورة ص آية ٢١]، قصد الطريق.

سوى: بالكسر والضم مع ترك الهمز استثناء وقد يكون من التسوية.

سفهاء: جمع سفيه وهو الناقص العقل وأصل السفه الخفة ولذلك قيل لمبذر المال: سفيه، وللكفار والمنافقين: سفهاء.

سلوى: طائر يشبه السماني وكان ينزل على بني إسرائيل مع المن.

سأل: له معنيان؛ طلب الشيء، والاستفهام عنه، وسال بغير همز من المعنيين المذكورين، ومن السيل.

سبحان: تنزيه، وسبحت[1] الله: أي نزهته عما لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفات الحدوث، وجميع العيوب والنقائص.

سار: يسير مشى ليلا أو نهارا.

سرى: يسري مشى ليلا ويقال أيضا أسرى بالألف.

سخر: يسخر بالكسر في الماضي والفتح في المضارع أي استهزأ.

سخر: بالتشديد من التسخير.

سخريا: بضم السين من السخرة وهي تكليف الأعمال، وبالكسر من الاستهزاء.

سلطان: له معنيان؛ البرهان والقوة، ومنه: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [سورة الرحمن آية ٣١].

---

(١) في (أ): (سبحان).

سام: يسوم أي كلف الأمر وألزمه، ومنه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [سورة البقرة آية ٤٨]، وأصله من سوم السلعة في البيع.

سئم: يسأم أي مل، ومنه: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [سورة فصلت آية ٣٧].

سنة: أي عادة[١].

سلف: الأمر أي تقدم وأسلفه الرجل أي قدمه، ومنه: ﴿هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ [سورة الحاقة آية ٢٣].

سراء: فعلاء من السرور.

سارع: إلى الشيء: بادر إليه.

إسراف: إفراط، والمسرفون: أي المبذرون: أو المفرطون في الكفر والمعاصي.

سوءة: عورة والسوء ما يسوء بالفتح والضم والسوأى فعلى من السوء و﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [سورة هود آية ٧٦]، فعل بهم السوء.

سنة: بفتح السين عام ولامها محذوفة وجمعها سنين، وقد تقال بمعنى القحط والجدب.

سنة: بكسر السين ابتداء النوم وفاؤها واو محذوفة لأنها من الوسن.

سلك: يسلك له معنيان؛ أدخل، ومنه: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ [القصص: ٣٢]، و﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ [سورة الزمر آية ٢٠]، ومن: سلوك الطريق.

أسفار: جمع سفر بفتحتين وجمع سفر وهو الكتاب.

ساح: يسيح أي سار، ومنه: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة التوبة آية ٢]، و﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [سورة التوبة آية ١١٣] الصائمون.

---

(١) قوله: (سنة أي عادة) ساقط من (ف).

سول: بتشديد الواو: زين، ومنه: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨]

سرابيل: جمع سربال، وهو القميص.

سبأ: قبيلة من العرب.

سموم: شدة الحر.

سلام: له ثلاثة معان: التحية، والسلامة، والقول الحسن، ومنه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

سلام: اسم الله تعالى معناه ذو السلامة من كل نقص فهو من أسماء التنزيه، وقيل: مسلم[1] العباد من المهالك، وقيل: ذو السلام على المؤمنين في الجنة.

سلم: بفتحتين انقياد وإلقاء باليد وهو أيضا بيع.

سلم: بفتح السين وإسكان اللام صلح ومهادنة.

سلم: بكسر السين وإسكان اللام ومعناه الإسلام.

سلم: بضم السين وفتح اللام مشددة هو الذي يصعد فيه.

أسلم: يسلم[2] له ثلاثة معان؛ الدخول في الإسلام، والإخلاص لله، والانقياد، ومنه: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٣].

سعى: يسعى له ثلاثة معان؛ عمل عملا ومنه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [سورة النجم آية ٣٨] ومشى، ومنه: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الجمعة آية ٩] وأسرع في مشيه ومنه: ﴿رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [سورة يس آية ١٩].

سكن: يسكن له معنيان؛ من السكون ضد الحركة، ومن السكنى في الموضع.

---

(١) في (أ): (سلم).

(٢) قوله: (يسلم) ساقط من (أ).

سكينة: وقار وطمأنينة.

سائغ: سهل للشرب لا يغص به من شربه.

سابغات: دروع واسعات طوال[١].

أساطير الأولين: ما كتبه المتقدمون.

مصيطر: أي مسلط، و﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [سورة الطور آية ٣٥]، أي الأرباب.

سندس: وإستبرق ثياب حرير، وقيل: السندس رقيق الديباج، والإستبرق صفيقه.

سحقا: بعدا، ومنه: ﴿مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [سورة الحج آية ٢٩] أي بعيد.

سعير: جهنم، وسعرت: أوقدت.

سبب: وجمعه أسباب له خمسة معان؛ الحبل، ومنه: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [سورة الحج آية ١٥]، والاستعارة من الحبل في المودة والقرابة، ومنه: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة آية ١٦٥] والطريق، ومنه: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [سورة الكهف آية ٨٣]، والباب، ومنه: ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ [غافر: ٣٧]، وسبب الأمر موجبه.

حرف الشين

شعر: بالأمر يشعر أي علمه، والشعور: العلم من طريق الحس ومنه: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة آية ١١].

شهد: يشهد له معنيان؛ من الشهادة على الشيء، ومن الحضور.

شهداء: جمع شهيد وله ثلاثة معان؛ من الشهادة على الشيء ومن الحضور، ومن الشهادة في سبيل الله.

(١) قوله: (طوال) ساقط من (أ).

شكرا: قد تقدم في الحمد والشكر، والشكور: اسم الله المجازي لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب، وقيل: المثني على العباد.

شرى: أي باع وقد يكون بمعنى اشترى.

شقاق: عداوة ومعاندة، ومنه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة الأنفال آية ١٣].

شهاب: كوكب وقد يطلق على شعلة النار.

شجر: هو كل ما ينبت في الأرض و﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة النساء آية ٦٤]، أي اختلفوا فيه.

شنآن: عداوة وشر ويجوز فيه[1] فتح النون وإسكانها.

شرع الله: الأمر أي أمر به، والشريعة والشرعة الملة، وشرعت الدواب في الماء.

شعائر الله: معالم دينه، واحدها شعيرة أو شعارة.

شرك: له معنيان؛ من الإشراك وهو أيضا النصيب ومنه: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [سورة فاطر آية ٤٠].

شركاء: جمع شريك.

مشحون: أي مملوء.

حرف الهاء

الهدى: له معنيان؛ الإرشاد والبيان ومن البيان: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [سورة فصلت آية ١٦]، والإرشاد قد يكون إلى الطريق إلى الدين وبمعنى التوفيق والإلهام.

الهدى: بفتح الهاء وإسكان الدال: ما يهدى إلى الكعبة من البهائم.

---

(١) قوله: (فيه) ساقط من (ف).

هاد: يهود أي تاب، ومنه: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [سورة الأعراف آية ١٥٦]، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [سورة البقرة آية ٦١]، أي تهودوا أي صاروا يهودا وأصله من قولهم: هدنا إليك.

هود: له معنيان؛ اسم نبي عاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبمعنى اليهود، ومنه: ﴿كُونُوا هُودًا﴾ [سورة البقرة آية ١٣٤].

هوى: النفس مقصور وهو ما تحبه وتميل إليه، والفعل منه بكسر الواو في الماضي وفتحها في المضارع.

والهواء: بالمد والهمز ما بين السماء والأرض ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [سورة إبراهيم آية ٤٥] أي متحرقة لا تعي شيئا.

وهوى: يهوي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع وقع من علو ويقال أيضا بمعنى الميل، ومنه: ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة إبراهيم آية ٣٩].

هاجر: خرج من بلاده، ومنه: سمي المهاجرون.

هجر: من الهجران ومن الهجر أيضا، وهو: فحش الكلام وقد يقال في هذا أهجر بالألف.

أهل لغير الله به: أي صيح، والإهلال الصياح ثم استعمل في الكلام بغير صياح، ثم استعمل في النية: أي أريد به غير الله.

مهيمن عليه: أي شاهد، وقيل: مؤتمن. والمهيمن: اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم، وقيل: المشاهد(١)، وقيل: الرقيب.

هوان وهون: أي ذل.

مهين: بضم الميم مفعل مشتق من الهوان أي مذل.

وأما مهين بفتح الميم: فمعناه ضعيف أو ذليل.

---

(١) في (ف): (الشاهد).

حرف الواو

وقود: النار بفتح الواو ما توقد به من الحطب وشبهه والوقود بالضم المصدر.

وجه: له معنيان؛ الجارحة، والجهة، ومنه ﴿وِجْهَةٌ﴾ [سورة البقرة آية ١٤٧].

وأما وجه الله ففي قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة آية ٢٧١]، أي طلب رضاه، وفي قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص آية ٨٨]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [سورة الرحمن آية ٢٥] قيل: الوجه الذات، وقيل: صفة كاليدين، وهو من المتشابه.

وعد: يعد وعدا بالخير وقد يقال في الشر إذا قيد، وأوعد بالألف يوعد وعيدا بالشر لا غير.

ود: يود له معنيان؛ من المودة والمحبة، وبمعنى تمنى، نحو[١] ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة النساء آية ٨٨]، والود: بالضم: المحبة، وود: اسم صنم بضم الواو وفتحها.

ودود: اسم الله تعالى، أي محب لأوليائه، وقيل: محبوب.

ويل: كلمة شر، وقيل: إن الويل واد في جهنم.

وجب: له معنيان؛ من وجوب الحق، وبمعنى سقط كقولهم وجب الحائط إذا سقط، ومنه: ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [سورة الحج آية ٣٤].

وسط: وأوسط[٢] له معنيان؛ من التوسط بين الشيئين، وبمعنى الخيار والأحسن.

وسع: يسع سعة من الاتساع ضد الضيق والسعة الغنى والواسع اسم الله تعالى أي واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة، وقيل: واسع: جواد موسع غني أي

(١) قوله: (نحو) ساقط من (أ).

(٢) في (ف): (وواسط).

واسع الحال وهو ضد المقتر ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، قيل: أغنياء، وقيل: قادرون و﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة آية ٢٣١] طاقتها.

ولى: له معنيان؛ أدبر وجعل واليا وتولى له ثلاث معان أدبر وأعرض بالبدن أو بالقلب وصار واليا واتخذ وليا، ومنه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المائدة آية ٥٨].

ولي: ناصر، والوالي[1]: اسم الله قيل ناصر، وقيل: متولي أمر الخلائق.

مولى: له سبعة معان؛ السيد الأعظم، والناصر، والولي: أي القريب، والمالك، والمعتق، والمعتق، وبمعنى أولى، ومنه: ﴿اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ [سورة آل عمران آية ١٥٠].

ولج: يلج أي دخل ومنه: ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة سبا آية ٢]، وأولج يولج أدخل، ومنه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ [سورة الحج آية ٥٩].

وهن: يهن ضعف، ومنه: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ [سورة مريم آية ٣]، والوهن: الضعف.

ورد: الماء يرده إذا جاء إليه وأورده غيره و﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ [سورة يوسف آية ١٩] الذي يتقدمهم إلى الماء فيسقي لهم.

أوزعني: أي ألهمني ووفقني.

يوزعون: يدفعون.

وليد: صبي وجمعه ولدان.

وجل: يوجل وجلا: خاف، ومنه: ﴿لَا تَوْجَلْ﴾ [سورة الحجر آية ٥٣]، ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنفال آية ٢]، ﴿وَجِلُونَ﴾ [سورة الحجر آية ٥٢][2].

أوجس: وجد في نفسه وأضمر.

وارى: يواري أي ستر ومنه: ﴿يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [سورة المائدة آية ٣٣]،

---

(١) في (ف): (والولي).

(٢) قوله: (﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، ﴿وَجِلُونَ﴾) ساقط من (أ).

و﴿مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ [سورة الأعراف آية ١٩]، وتوارى: أي استتر واستخفى.

وطئ: يطأ له ثلاثة معان؛ جماع المرأة، ومن الوطء بالأقدام، ومنه: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [سورة الأحزاب آية ٢٧]، والإهلاك، ومنه: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ [سورة الفتح آية ٢٥].

وقر: بفتح الواو وهو الصمم والثقل في الأذن والوقر بكسر الواو الحمل، ومنه: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ٢].

ودق: هو المطر.

واصب: أي دائم.

وكيل: كفيل بالأمر، وقيل: كاف.

وزر: بكسر الواو وإسكان الزاي له معنيان؛ الذنب ومنه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام آية ١٦٦]، والحمل الثقيل، وهو الأصل، ومنه: ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ [سورة طه آية ٨٦] أي أحمالا.

وزر: بفتحتين: أي ملجأ.

وزير: أي معين وأصله من الوزر بمعنى الثقل؛ لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله.

وسوس: الشيطان إلى الإنسان ألقى في نفسه، والوسواس الشيطان.

أوحى: يوحي وحيا له ثلاثة معان: كلام الملك عن الله للأنبياء، ومنه قيل للقرآن وحي، وبمعنى الإلهام، ومنه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [سورة النحل آية ٦٨] وبمعنى الإشارة، ومنه: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [سورة مريم آية ١٠] أي أشار.

وعى: العلم يعني حفظه ومنه: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة آية ١١] وأوعى بالألف يوعي جمع المال في وعاء، ومنه: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ [المعارج: ١٨].

حرف الياء

يمين: له أربعة معان؛ اليد اليمنى، والجهة اليمنى، وبمعنى القوة وبمعنى الحلف، وأيمن: أي إلى الجهة اليمنى.

يسير: له معنيان؛ قليل، ومنه: ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥]. وهين، ومنه: ﴿ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج آية ٦٨]، واليسر: ضد العسر.

يئس: من الأمر ييئس يائس[1]: انقطع رجاؤه، ومنه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [سورة يوسف آية ٨٧] و﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ [سورة هود آية ٩] وأما ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [سورة الرعد آية ٣٢]، فمعناه: أفلم[2] يعلم.

يم: هو البحر.

ميسر: هو القمار في النرد والشطرنج وغير ذلك، وهو مأخوذ من يسر لي كذا إذا وجب، واليسر بفتح الياء والسين: الرجل الذي يشتغل بالميسر وجمعه أيسار، وميسر العرب أنهم كان لهم عشرة أقداح وهي: الأزلام لكل واحد منها نصيب معلوم من ناقة ينحرونها، وبعضها لا نصيب له ويجزءونها عشرة أجزاء ثم يدخلون الأزلام في خريطة ويضعونها على يدي عدل، ثم يدخل يده فيها فيخرج باسم رجل قدحا فمن خرج له قدح له نصيب أخذ ذلك النصيب، ومن خرج له قدح لا نصيب له غرم ثمن الناقة كلها.

ينبوع: أي عين من ماء والجمع ينابيع.

(١) قوله: (يائس) ساقط من (ف) و(ع).

(٢) في (ف) و(ع): (ألم يعلم).

الكلام على الاستعاذة

فيه عشر فوائد من فنون مختلفة:

الأولى: لفظ التعوذ على خمسة أوجه: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[(١)] وهو المروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمختار عند القراء.

و«أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، وهو مروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)] و«أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم»، و«أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي»، و«أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد»، وهي محدثة.

الثانية: يؤمر القارئ بالاستعاذة قبل القراءة سواء ابتدأ أول سورة أو جزء سورة والأمر بذلك[(٣)] على الندب.

الثالثة: يجهر بالاستعاذة عند الجمهور وهو المختار، وروي الإخفاء عن حمزة ونافع[(٤)].

الرابعة: لا يتعوذ في الصلاة عند مالك، ويتعوذ في أول ركعة عند الشافعي وأبي حنيفة، وفي كل ركعة عند قوم. فحجة مالك عمل أهل المدينة، وحجة قول غيره قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَٰنِ الرَّجِيمِ﴾

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف الحديث رقم: (٢٥٨٩)، وهو من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) سنن أبي داود الحديث رقم: (٧٨٥)، والترمذي الحديث رقم: (٢٩٢٢)، وأحمد: ٢٦/٥، والدارمي الحديث رقم: (٣٤٢)، وضعفه الألباني في الإرواء: ٥٨/٢، وضعيف أبي داود، ص: ٧٧.

(٣) قوله: (والأمر بذلك) ساقط من (ع) و(أ).

(٤) انظر النشر في القراآت العشر لابن الجزري: ١٥٢/١، وسراج القارئ المبتدي لابن القاصح، ص: ٣٧.

[النحل الآية: ٩٨] وذلك يعم الصلاة وغيرها.

الخامسة: إنما جاء أعوذ بالمضارع دون الماضي؛ لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل لأنها كالدعاء وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده[١] مشاكلة للأمر به في قوله: ﴿فَاسْتَعِذْ﴾ [سورة الأعراف آية ٢٠٠].

السادسة: الشيطان يحتمل أن يراد به الجنس فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين، أو العهد فتكون الاستعاذة من إبليس، وهو مشتق[٢] من شطن إذا بعد، فالنون أصلية والياء زائدة ووزنه فيعال، وقيل: من شاط إذا هاج فالنون زائدة والياء أصلية ووزنه فعلان، وإن سميت به لم ينصرف على الثاني لزيادة الألف والنون، وانصرف على الأول.

السابعة: الرجيم فعيل بمعنى مفعول، ويحتمل معنيين:

- أن يكون بمعنى لعين وطريد وهذا يناسب إبليس لقوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [سورة الحجر آية ٣٤].

- وأن يكون من الرجم بالنجوم، وهذا يناسب الجنس لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾ [سورة الملك آية ٥]، والأول أظهر.

الثامنة: من استعاذ بالله صادقا أعاذه، فعليك بالصدق، ألا ترى امرأة عمران لما أعاذت مريم وذريتها عصمها الله، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه»[٣].

---

(١) قوله: (وحده) ساقط من (ف).

(٢) قوله: (مشتق) زيادة من (ف).

(٣) البخاري في كتاب التفسير من صحيحه الحديث رقم: (٤٥٤٨)، ومسلم في كتاب الفضائل الحديث رقم: (٢٣٦٦)، والمسند الحديث رقم: (٧١٨٢)، ومصنف عبد الرزاق الحديث رقم: (٣١٤٩٦)، والجامع الصغير الحديث رقم: (١٠٧٢٤)، وانظر فتح الباري: ٦/٤٧٠،=

التاسعة: الشيطان عدو وحذر الله منه؛ إذ لا مطمع في زوال علة عداوته، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم، فيأمره أولا بالكفر ويشككه في الإيمان، فإن قدر عليه وإلا أمره بالمعاصي، فإن أطاعه وإلا ثبطه عن الطاعة، فإن سلم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب.

العاشرة: القواطع عن الله أربعة: الشيطان، والنفس، والدنيا، والخلق.

فعلاج الشيطان الاستعاذة والمخالفة له.

وعلاج النفس بالقهر.

وعلاج الدنيا بالزهد.

وعلاج الخلق بالانقباض والعزلة.

* * *

= وشرح مسلم للنووي: ١٥/١٢٠ قال: وظاهر الحديث اختصاصها بعيسى وأمه، واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها.

الكلام على البسملة

فيه عشر فوائد:

الأولى: ليست البسملة عند مالك آية من الفاتحة ولا من غيرها، إلا في النمل خاصة، وهي عند الشافعي آية من الفاتحة، وعند ابن عباس آية من أول كل سورة[(١)]، فحجة مالك ما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت علي سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، ثم قال: الحمد لله رب العالمين[(٢)] ولم يذكر البسملة، وكذلك ما ورد في الحديث الصحيح: إن الله يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، يقول العبد الحمد لله رب العالمين»[(٣)] فبدأ بها دون البسملة.

---

(١) أبو عبيد في فضائل القرآن، ص: ٢١٨، والحاكم في المستدرك: ١/٥٥٠ بإسناد حسن.

(٢) في سنن الترمذي أن رسول الله ﷺ قال لأبي بن كعب: تحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، قال: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: كيف تقرأ في الصلاة؟ قال: فقرأت أم القرآن... الترمذي الحديث رقم: (٢٨٧٥)، والمسند الحديث رقم: (٩٣٣٤)، (٨٦٦٧)، وهو بلفظ أتحب بهمزة الاستفهام، وكذلك في صحيح الترغيب والترهيب: ٢/٨٥

ومثل هذا الحديث حديث أبي سعيد بن المعلى، فقال: كنت أصلي في المسجد فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ثم قال: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته. رواه البخاري رقم: (٤٤٧٤)، وفي عدة مواضع منه. وأبو داود الحديث رقم: (١٤٥٨)، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٧٨٥).

(٣) هذا الحديث جزء من حديث طويل يرويه أبو هريرة، رواه مسلم في صحيحه بلفظ: فإذا قال=

وحجة الشافعي[(١)] ما ورد في الحديث «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين»[(٢)].

وحجة ابن عباس ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف.

الثانية: إذا ابتدأت أول سورة بسملت إلا براءة، وسنذكر علة سقوطها من براءة في موضعه، وإذا ابتدأت جزء سورة فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرو الداني، وتترك البسملة عند غيره، وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى[(٣)] فاختلف القراء في البسملة وتركها[(٤)]

الثالثة: لا يبسمل في الصلاة عند مالك، ويبسمل عند الشافعي جهرا في الجهر وسرا في السر، وعند أبي حنيفة سرا في الجهر والسر، فحجة مالك من وجهين:

أحدهما: أنها ليست عنده آية في الفاتحة حسبما ذكرنا.

والآخر: ما ورد في[(٥)] الحديث الصحيح عن أنس أنه قال: «صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون[(٦)] بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»[(٧)]، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة ولا في آخرها.

= العبد... إلخ الحديث رقم: (٣٩٥)، وأبو داود الحديث رقم: (٨٢١)، والترمذي الحديث رقم: (٢٩٥٣)، والنسائي الحديث رقم: (٩٠٩)، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٧٨٤)، والمسند الحديث رقم: (٧٢٨٩)، وغيرهم.

(١) هو محمد بن إدريس الإمام القرشي المعروف، أشهر من أن يعرف ت: ٢٠٤هـ.

(٢) حديث صحيح أخرجه الترمذي الحديث رقم: (٢٩٢٧)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٠٠١)، وأحمد في المسند: ٣٠٢/٦، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥٢٤/١٠، وأبو عبيد في الفضائل، ص: ١٥٦.

(٣) في (ع): (غيرها).

(٤) انظر النشر: ٢٥٩/١، وما بعدها.

(٥) قوله: (ما ورد في) ساقط من (ف).

(٦) في (ف) و(ع): (يفتتحون).

(٧) البخاري الحديث رقم: (١١٩)، ومسلم كتاب الصلاة الحديث رقم: (٦٠٥)، والترمذي الحديث رقم: (٢٢٩)، وأحمد في المسند: ٢٢٣/٣؛

وحجة الشافعي من وجهين:

أحدهما: أن البسملة عنده آية من الفاتحة

والأخر: ما ورد في الحديث من قراءتها حسبما ذكرنا[١].

الرابعة: كانوا يكتبون باسمك اللهم حتى نزلت[٢]: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾ [هود الآية: ٤١] فكتبوا بسم الله، حتى نزلت: ﴿أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [سورة الإسراء آية ١٠٩] فكتبوا بسم الله الرحمن، حتى نزل: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل الآية: ٣٠] فكتبوها، وحذفت الألف في[٣] بسم الله لكثرة الاستعمال.

الخامسة: الباء من بسم الله متعلقة باسم محذوف عند البصريين، والتقدير: ابتداء كائن بسم الله، فموضعها رفع، وعند الكوفيين تتعلق بفعل تقديره: أبدأ أو أتلو، فموضعها نصب، وينبغي أن يقدر متأخرا لوجهين:

أحدهما: إفادة الحصر والاختصاص.

والآخر: تقديم اسم الله اعتناء كما قدم[٤] في (بسم الله مجراها).

السادسة: الاسم مشتق من السمو عند البصريين فلامه واو محذوفة، وعند الكوفيين مشتق من السمة وهي العلامة، ففاؤه محذوفة ودليل البصريين التصغير والتكبير لأنهما[٥] يردان الكلمات إلى أصولها[٦]، وقول الكوفيين أظهر في المعنى

(١) عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته آية آية، يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين... المسند (٣٠٢/٦)، وسنن أبي داود برقم (٤٠٠١)، والشمائل للترمذي رقم (٢٩٩). وانظر تفسير ابن كثير: ٢٥٠/١.

(٢) في (أ): (نزل).

(٣) في (ف) و(ع): (من بدر في).

(٤) في (أ): (تقدم).

(٥) في (ع) و(ف): (فإنهما).

(٦) في (ف) زيادة: (في قول العرب: اسما وسمى دليل على أن الفاء هي السين وأن اللام حرف علة).

لأن الاسم علامة على المسمى.

السابعة: قولك (الله) اسم مرتجل جامد والألف واللام فيه لازمة لا للتعريف، وقيل: إنه مشتق من التأله وهو التعبد، وقيل: من الولهان وهي الحيرة لتحير العقول في شأنه، وقيل: أصله إله من غير ألف ولام ثم حذفت الهمزة من أوله على غير قياس ثم أدخلت الألف واللام عليه، وقيل: أصله الإله بالألف واللام ثم حذفت الهمزة ونقلت حركتها إلى اللام كما تنقل[(١)] في الأرض وشبهه فاجتمع لامان فأدغمت إحداهما في الأخرى وفخم للتعظيم إلا إذا كان قبله كسرة.

الثامنة: الرحمن الرحيم صفتان من الرحم ومعناهما الإحسان فهي صفة فعل، وقيل: إرادة الإحسان فهي صفة ذات.

التاسعة: الفرق بين[(٢)] الرحمن الرحيم على ما روي عن رسول الله ﷺ: «أن الرحمن في الدنيا والرحيم في الآخرة»[(٣)]، وقيل: الرحمن عام في رحمته[(٤)] المؤمنين والكافرين والرحيم خاص بالمؤمنين[(٥)] لقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب الآية: ٤٣]. فالرحمن أعم وأبلغ، وقيل: الرحيم أبلغ لوقوعه بعده على طريقة الارتقاء إلى الأعلى.

العاشرة: إنما قدم الرحمن لوجهين: اختصاصه بالله، وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات.

---

(١) في (أ): (نقلت).

(٢) قوله: (الفرق بين) ساقط من (أ).

(٣) الذي في الطبري: الرحمن رحمان الدنيا والآخرة، والرحيم: رحيم الآخرة. جامع البيان: ١٢٧/١، وابن عدي في الكامل: ٣٠٣/١، وأبو نعيم في الحلية: ٢٥١/٧، وابن الجوزي في الموضوعات: ٢٠٣/١ قال ابن كثير: ٤٠/١ هذا غريب جدا، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ﷺ، وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات.

(٤) في (أ): (رحمة).

(٥) قوله: (والرحيم خاص بالمؤمنين) ساقط من (أ).

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

سورة أم القرآن

وتسمى سورة الحمد، وفاتحة الكتاب، والواقية، والشافية، والسبع المثاني، وفيها عشرون فائدة سوى ما تقدم في اللغات من تفسير ألفاظها، واختلف هل هي مكية أو مدنية؟ ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات، إلا أن الشافعي يعد البسملة آية منها، ومالك[١] يسقطها ويعد ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية.

الفائدة[٢] الأولى: قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة عند مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة، وحجتهما قوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[٣]، وحجة أبي حنيفة قوله ﷺ للذي علمه الصلاة: «اقرأ ما تيسر من القرآن»[٤].

الفائدة الثانية: اختلف: هل أول الفاتحة على إضمار القول[٥] تعليما للعباد، أي قولوا الحمد لله، أو هو ابتداء كلام الله؟ ولا بد من إضمار القول في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما بعده.

---

(١) في (ف): (والمالكي).

(٢) قوله: (الفائدة) زيادة من (أ) وكذلك في البقية إلى العشرين.

(٣) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٧٢٣)، ومسلم الحديث رقم: (٣٩٧)، وأبو داود الحديث رقم: (٨٢٢)، والترمذي الحديث رقم: (٢٣٨)، والنسائي الحديث رقم: (٩١٩).

(٤) هذا الحديث جزء من حديث المسيء صلاته، أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٦٥٣)، وفي مواضع أخرى منه، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٣٥٤)، والترمذي الحديث رقم: (٢٨٦٧)، والنسائي الحديث رقم: (٩٢٧)، وأبو داود الحديث رقم: (١٢٦١).

(٥) في (ف): (قول).

الفائدة الثالثة: الحمد أعم من الشكر؛ لأن الشكر لا يكون إلا جزاء على نعمة، والحمد يكون جزاء كالشكر ويكون ثناء ابتداء، كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد؛ لأن الحمد باللسان، والشكر باللسان والقلب والجوارح، فإذا فهمت عموم الحمد علمت أن قولك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقتضي الثناء عليه لما هو أهله من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال والعلم والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات، ويتضمن معاني أسمائه الحسنى التسعة والتسعين، ويقتضي شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى، جميع خلقه في الآخرة والأولى، فيا لها من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات، وتقف دون مداه عقول الخلائق، ويكفيك أن الله جعلها أول كتابه، وآخر دعوى أهل الجنة.

الفائدة الرابعة: الشكر باللسان هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعم. قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعمة شكر»[1].

والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة، والعلم بأنها من الله وحده، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد.

واعلم أن النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام: نعم دنياوية[2] كالعافية والمال، ونعم دينية كالعلم والتقوى، ونعم أخراوية[3] وهي جزاؤه بالثواب الكثير، على العمل القليل، في العمر القصير.

---

(١) حديث ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر رقم: (٦٣)، والبيهقي في شعب الإيمان: ٥١٦/٦، والبغوي في معالم التنزيل: ٤٥٩/٨، وهو عند بعضهم أطول ولفظه: من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب، قال الحافظ ابن كثير: إسناده ضعيف، انظر تفسير القرآن العظيم: ٦٣٦/٤، والقرطبي: ١٠٢/٢٠.

(٢) في (أ): (دنيوية).

(٣) في (أ): (أخروية).

والناس في الشكر على مقامين: منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم.

والشكر على ثلاث درجات: فدرجة العوام الشكر على النعم، ودرجة الخواص الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم، قال رجل لإبراهيم بن أدهم:[1] الفقراء إذا أعطوا شكروا، وإذا منعوا صبروا، فقال إبراهيم بن أدهم: هذه أخلاق الكلاب، ولكن القوم[2] إذا منعوا شكروا، وإذا أعطوا آثروا.

ومن فضيلة الشكر أنه من صفات الحق ومن صفات الخلق فإن من أسماء الله الشاكر والشكور، وقد فسرتهما في اللغات[3].

الفائدة الخامسة: قولنا الحمد لله رب العالمين أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين:

أحدهما: ما خرجه النسائي عن رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله كتبت[4] له عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت[5] له ثلاثون حسنة»[6].

---

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور التيمي البلخي خديم المسلمين أبو إسحاق زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، ويقال كان إبراهيم سلطانا تفقه ورحل إلى بغداد وجال في العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علماء هذه الأقطار، وكان يعيش من العمل في الحصاد وحفظ البساتين، والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، كان يصوم في السفر والحضر، وكان لا يلحن، وما روي في زهده وتقشفه كثير ت: ١٦١هـ انظر للمزيد: البداية والنهاية لابن كثير: ١٠/١٣٥، وحلية الأولياء: ٧/٣٦٧، والأعلام: ١/٣١.

(٢) في (ف) و(ع): (ولكن الفقراء).

(٣) في (أ): (في اللغة).

(٤) في (أ): (كتب).

(٥) في (أ): (كتب).

(٦) حديث صحيح، ولفظه: «إن الله اصطفى من الكلام أربعا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله=

والثاني: أن التوحيد الذي تقتضيه لا إله إلا الله حاصل في قولك رب العالمين وزادت بقولك الحمد لله، وفيه من المعاني ما قدمنا.

وأما قول رسول الله ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله»[1] فإنما ذلك[2] للتوحيد الذي يقتضيه، وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين في ذلك وزادت عليها، وهذا لمؤمن يقولها لطلب الثواب، وأما لمن دخل في الإسلام فيتعين عليه لا إله إلا الله.

الفائدة السادسة: الرب وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم، ومعانيه أربعة: الإله، والسيد، والمالك، والمصلح، وكلها في رب العالمين إلا أن الأرجح معنى الإله لاختصاصه بالله تعالى، كما أن الأرجح في العالمين أن يراد به كل موجود سوى الله تعالى فيعم جميع المخلوقات.

الفائدة السابعة: ملك قراءة[3] الجماعة بغير ألف من الملك وقرأ عاصم والكسائي بالألف[4] والتقدير على هذا مالك مجيء يوم الدين، أو مالك الأمر يوم الدين، وقراءة الجماعة أرجح لثلاثة أوجه:

= والله أكبر، فمن قال: سبحان الله كتبت له عشرون حسنة، ومحيت عنه عشرون سيئة، ومن قال: لا إله إلا الله مثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وحط ثلاثون خطيئة». أخرجه النسائي من عمل اليوم والليلة رقم: (٨٤٠)، والحاكم في المستدرك: ٥١٢/١، وابن عبد البر في التمهيد: ٤٧/٦ قال الحاكم: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند: ١٦٦/٥، والألباني في صحيح الجامع الصغير: ٣٥٣/١.

(١) حديث صحيح الموطأ للإمام مالك الحديث رقم: (٨٤١)، والمصنف لعبد الرزاق الحديث رقم: (٨١٢٥)، وأخرجه الطبراني الحديث رقم: (٨٧٤)، وصححه الألباني بشواهده. سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٧/٤، وانظر التمهيد لابن عبد البر: ٤٠/٦.

(٢) في (ع): (فإن ذلك).

(٣) في (أ): (قرأه).

(٤) انظر النشر لمحمد بن الجزري: ٢٧١/١.

الأول: أن الملك أعظم من المالك؛ إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله، وأما الملك فهو سيد الناس.

والثاني: قوله ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [سورة الأنعام آية ٧٤].

والثالث: أنها لا تقتضي حذفا والأخرى تقتضيه؛ لأن تقديرها مالك الأمر أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل، وأما قراءة الجماعة فإضافة ملك إلى يوم الدين فهي على طريقة الاتساع وأجرى[١] الظرف مجرى المفعول به، والمعنى على الظرفية أي الملك في يوم الدين، ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين فيكون فيه حذف، وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله ﷺ[٢] وقد قرئ ملك بوجوه كثيرة إلا أنها شاذة.

الفائدة الثامنة: الرحمن الرحيم ملك[٣] صفات، فإن قيل: كيف جر ملك وملك صفة للمعرفة وإضافة اسم الفاعل غير محضة؟ فالجواب: أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، وأما هذا فهو مستمر دائم[٤] فإضافته محضة.

الفائدة التاسعة: يوم الدين هو يوم القيامة ويصلح هنا في معاني الدين الحساب والجزاء والقهر ومنه: ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [سورة الصافات آية ٥٣].

الفائدة العاشرة: إياك في الموضعين مفعول بالفعل الذي بعده، وإنما قدم ليفيد الحصر فإن تقديم المعمولات يقتضي الحصر فاقتضى قول العبد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أن يعبد الله وحده لا شريك له[٥]، واقتضى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اعترافا بالعجز والفقر وأنه لا نستعين إلا بالله وحده.

---

(١) في (أ): (وإجراء).
(٢) حديث صحيح رواه الترمذي الحديث رقم: (٢٩٢٧).
(٣) في (ف) و(ع): (وملك).
(٤) في (أ): (دائما).
(٥) قوله: (لا شريك له) زيادة من (أ).

الفائدة الحادية عشر: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا، وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية وأن الحق بين ذلك.

الفائدة الثانية عشر: ﴿اهْدِنَا﴾ دعاء بالهدى، فإن قيل: كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم؟ فالجواب: أن ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت أو الزيادة[١] منه؛ فإن الارتقاء في المقامات لا نهاية له.

الفائدة الثالثة عشر: قدم الحمد والثناء على الدعاء لأن تلك السنة في الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح وذلك أقرب للإجابة، وكذلك قدم الرحمن على ملك يوم الدين لأن رحمة الله سبقت غضبه، وكذلك قدم إياك نعبد على إياك نستعين؛ لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة.

الفائدة الرابعة عشر: ذكر الله تعالى في أول هذه السورة على طريق الغيبة ثم على الخطاب في إياك نعبد وما بعده وذلك يسمى الالتفات، وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه فصار من أهل الحضور فناداه.

الفائدة الخامسة عشر: الصراط في اللغة الطريق المحسوس الذي يمشى عليه، ثم استعير للطريق الذي[٢] يكون الإنسان عليها من الخير والشر، ومعنى المستقيم القويم الذي لا عوج فيه، فالصراط المستقيم: الإسلام[٣] وقيل: القرآن[٤]، والمعنيان متقاربان؛ لأن القرآن تضمن شرائع الإسلام، وكلاهما مروي عن النبي

(١) في (ف): (والزيادة).

(٢) في (ف): (التي).

(٣) صحيح من حديث النواس بن سمعان، أخرجه الترمذي في سننه، الحديث رقم: (٢٨٥٩)، وأحمد في المسند: ١٨٢/٤، والنسائي الحديث رقم: (١١٧١٤).

(٤) أخرجه الترمذي رقم: (٢٩٠٦) في فضائل القرآن وأحمد: ٩١/١، والبغوي: ٢٣٨/٤ قال أبو عيسى هذا حديث غريب، وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند: ٨٨/٢.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقرئ الصراط بالصاد[١] والسين[٢] وبين الصاد والزاي، وقد قيل: إنه قرئ بزاي خالصة، والأصل فيه السين، وإنما أبدلوا[٣] منها صادا لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق، وأما الزاي فلموافقة الطاء في الجهر.

الفائدة السادسة عشر: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: هم النبيئون والصديقون والشهداء والصالحون[٤]، وقيل: المؤمنون، وقيل: الصحابة، وقيل: قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا، والأول أرجح لعمومه ولقوله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة النساء آية ٦٨].

الفائدة السابعة عشر: إعراب ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بدل وببعد النعت لأن إضافته غير محضة، وهو قد جرى عن معرفة، وقرئ بالنصب[٥] على الاستثناء أو الحال.

الفائدة الثامنة عشر: أسند أنعمت عليهم إلى الله، والغضب لما لم يسم فاعله على وجه التأدب كقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [سورة الشعراء آية ٨٠] وعليهم الأول في موضع نصب والثاني في موضع رفع.

الفائدة التاسعة عشرة: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ النصارى، قاله ابن عباس وابن مسعود[٦] وغيرهما، وقد روي ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٧] وقيل:

---

(١) انظر النشر: ١/٢٧١.
(٢) في (ف): (وبالسين).
(٣) في (ف): (أبدل).
(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (١٨٨) عن الضحاك عن ابن عباس وهو أثر ضعيف لانقطاعه، فالضحاك لم يلق ابن عباس قط.
(٥) الكشاف: ١/٩، والمحرر الوجيز: ١/١٣.
(٦) أخرجه الطبري رقم: (٢٠١) بإسناد جيد، وأخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في تفسير ابن كثير: ١/٦٢.
(٧) الترمذي الحديث رقم: (٢٩٥٤)، والمسند الحديث رقم: (١٨٥٧٢)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٧٢٠٦)، والطبري: ١/١٨٥.

ذلك عام في كل مغضوب عليه وكل ضال، والأول أرجح لأربعة أوجه: روايته عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجلالة قائله، وذكر ولا في قوله ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ دليل على تغاير الطائفتين، وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن كقوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾ [سورة البقرة آية ٨٩] والضلال صفة النصارى لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولقول الله فيه ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة آية ٧٩].

الفائدة الموفية عشرين: هذه السورة جمعت معاني القرآن العظيم كله، فكأنها نسخة مختصرة منه، فتأملها بعد تحصيل الباب الثالث[1] من المقدمة الأولى تعلم ذلك، فالإلاهيات حاصلة في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ والدار الآخرة في قوله ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والشريعة كلها في قوله ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ والأنبياء وغيرهم في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وذكر طوائف الكفار في قوله ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

خاتمة: أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة للدعاء الذي فيها، وقولك: آمين اسم فعل معناه: اللهم استجب، وقيل: هو من أسماء الله، ويجوز فيه[2] مد الهمزة وقصرها، ولا يجوز تشديد الميم، وليؤمن في الصلاة المأموم والفذ والإمام إذا أسر، واختلفوا إذا جهر.

*** *** ***

---

(١) في (أ): (من الباب السادس) وهو خطأ.

(٢) قوله: (فيه) ساقط من (ف).

سُورَةُ البَقَرَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

سورة البقرة

﴿الٓمٓ﴾ اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل حروف السور وهي: ألمص، وألر، وألمر، وكهيعص، وطه، وطسم، وطس، ويس، وص، وق، وحم، وحم عسق، وق، ون، فقال قوم: لا تفسر لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، قال أبو بكر الصديق: لله في كل كتاب سر، وسره في القرآن فواتح السور(١) وقال قوم تفسر، ثم اختلفوا فيها، فقيل: هي أسماء للسور، وقيل: أسماء لله، وقيل: أسماء(٢) أقسم الله بها، وقيل: هي حروف مقطعة من كلمات، فالألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد ﷺ، ومثل ذلك في سائرها وورد في الحديث: أن بني إسرائيل فهموا أنها تدل بعدد حروف(٣) أبي جاد على السنين التي تبقي هذه الأمة، وسمع النبي ﷺ منهم ذلك فلم ينكره(٤) وقد جمع أبو القاسم السهيلي(٥) عددها على ذلك بعد أن أسقط المتكرر فبلغت تسعمائة وثلاثة(٦).

---

(١) انظر الطبري: ١/٨٨، ٩٣، والتفسير الكبير للرازي: ١/٦، ولم نجده مسندا.

(٢) في (أ): (أشياء).

(٣) في (أ): (بحروف).

(٤) هذا لا يثبت، ويذكر بعض المفسرين هنا بعض الروايات الواهية التي لا يثبت منها شيء فلا داعي للحديث عنها.

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي حافظ عالم باللغة والسير ضرير عمي وعمره: ١٧سنة، من كتبه الروض الأنف في شرح السيرة لابن هشام ت: ٥٨١هـ.

(٦) وبذلك يظهر بطلان تلك الروايات فنحن الآن في سنة: ١٤٣١ للهجرة والأمة باقية، وقد حكم=

وإعراب هذه الحروف يختلف بالاختلاف في معناها، فيتصور أن تكون في موضع رفع أو نصب أو خفض، فالرفع على أنها مبتدأ أو خبر ابتداء[1] مضمر. والنصب على أنها مفعول بفعل مضمر، والخفض على قول من جعلها مقسما بها كقولك: الله لأفعلن، وإنما سكنت لأنها لم يدخل عليها عامل يقتضي حركة، فسكونها للوقف لا للبناء كقولك: واحد، اثنان.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ هو هنا القرآن، وقيل: التوراة والإنجيل، وقيل: اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام، ويشهد له مواضع من القرآن، والمقصود منها[2] إثبات أن القرآن من عند الله كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة السجدة آية ١] يعني القرآن باتفاق، وخبر ذلك لا ريب فيه، وقيل: خبره الكتاب، فعلى هذا ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ جملة مستقلة فيوقف عليها.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك أنه من عند الله في نفس الأمر وفي اعتقاد أهل الحق، ولم يعتبر اعتقاد[3] أهل الباطل، ﴿فِيهِ﴾ خبر لا فيوقف عليه، وقيل: خبرها محذوف فيوقف على ريب[4]، والأول أرجح لتعينه في قوله ﴿لَا رَيْبَ﴾ في مواضع أخر.

فإن قيل: فهلا[5] قدم قوله فيه على الريب كقوله ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [سورة الصافات آية ٤٧]؟

فالجواب: أنه إنما قصد نفي الريب عنه ولو قدم فيه لكان إشارة إلى أن ثم كتاب آخر فيه ريب، كما أن ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [سورة الصافات آية ٤٧] إشارة إلى أن خمر

= العلماء على هذه الروايات بالبطلان، وانظر للتفصيل جامع البيان: ١/٩٣، وابن كثير: ١/٥٤.

(١) في (ف) و(ع): (مبتدإ).

(٢) في (ف): (المقصود فيها).

(٣) قوله: (اعتقاد) ساقط من (أ).

(٤) في (أ): (﴿لَا رَيْبَ﴾)، وفي (ع) و(ف): الاقتصار على ﴿رَيْبَ﴾.

(٥) في (ف) و(ع): (هلا).

الدنيا فيها غول، وهذا المعنى يبعد قصده فلا يقدم[١] الخبر.

﴿هُدىً﴾ هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين ولو كان بمعنى البيان لعم كقوله: ﴿هُدىً لِّلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة آية ١٨٤] وإعرابه خبر ابتداء أو مبتدأ وخبره فيه عند من يقف على لا ريب، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإشارة.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مفتعلين من التقوى وقد تقدم معناه في اللغات[٢] فنتكلم عن التقوى في ثلاثة فصول:

الأول: في فضائلها المستنبطة من القرآن وهي خمس عشرة:

الهدى لقوله: ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

والنصرة لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [سورة النحل آية ١٢٨].

والولاية لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الجاثية آية ١٨].

والمحبة لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة آية ٤].

والمعرفة[٣] لقوله: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ [سورة الأنفال آية ٢٩].

والمخرج من الغم والرزق من حيث لا يحتسب، لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾ [سورة الطلاق آية ٢].

وتيسير الأمور لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ [سورة الطلاق آية ٣].

وغفران الذنوب وإعظام الأجور، لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ [سورة الطلاق آية ٤].

وتقبل الأعمال لقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة آية ٢٩].

---

(١) في (ف) و(ع): (فلم يقدم).

(٢) في (أ) و(ع): (الكتاب).

(٣) في (أ): (والمغفرة)، وفي (ع): (والمعونة).

والفلاح لقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة آية ١٨٨].

والبشرى لقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة يونس آية ٦٤].

ودخول الجنة لقوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [سورة القلم آية ٣٤].

والنجاة من النار لقوله ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [سورة مريم آية ٧١].

※ الفصل الثاني: البواعث على التقوى وهي[(١)] عشرة:

ـ خوف العقاب الدنياوي.

ـ وخوف العقاب الأخراوي.

ـ ورجاء الثواب الدنياوي.

ـ ورجاء الثواب الأخراوي.

ـ وخوف الحساب.

ـ والحياء من نظر الله، وهو مقام المراقبة.

ـ والشكر على نعمه بطاعته.

ـ والعلم لقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر آية ٢٨].

ـ وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة.

ـ وصدق المحبة فيه[(٢)] لقول القائل[(٣)]:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

(١) قوله: (وهي) ساقط من (ع) و(ف).

(٢) قوله: (فيه) ساقط من (أ).

(٣) البيتان للإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولله در القائل[1]:

قالت وقد سألت عن حال عاشقها ... بـالله صـفه ولا تنقـص ولا تـزد

فقلت لو كان رهن الموت من ظمإ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

❋ الفصل الثالث: درجات التقوى خمس:

أن يتقي العبد الكفر وذلك مقام الإسلام.

وأن يتقي المعاصي والمحرمات وهو مقام التوبة.

وأن يتقي الشبهات وهو مقام الورع.

وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد.

وأن يتقي حضور غير الله على قلبه وهو مقام المشاهدة.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فيه قولان:

يؤمنون بالأمور المغيبات كالآخرة وغيرها، فالغيب على هذا بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر كعدل، وإما تخفيفا في فعيل كميت.

والآخر: يؤمنون في حال غيبهم[2] أي باطنا وظاهرا وبالغيب على القول الأول يتعلق بيؤمنون وعلى الثاني في موضع الحال، ويجوز في الذين أن يكون خفضا على النعت، أو نصبا على إضمار فعل، أو رفعا على أنه خبر مبتدإ[3].

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إقامتها عملها، من قولك قامت السوق وشبه ذلك، والكمال المحافظة عليها في أوقاتها، بالإخلاص لله في فعلها، وتوفية شروطها وأركانها

---

(١) القائل هو يزيد بن معاوية الأموي ت: ٦٣هـ من قصيدته التي مطلعها:

نالت على يدها ما لم تنله يدي ... نقشا على معصم أوهت به جلدي

انظر: تزيين الأسواق في أخبار العشاق ٢/٢٥٤، وموسوعة الشعر الإسلامي رقم ٥٢٢ ـ ٦٠.

(٢) في (أ): (غيبتهم).

(٣) في (ب): (ابتداء).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَآنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ (٥) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ
أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦) وَمِنَ النَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٧)
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ (٨) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يُكَذِّبُونَ (٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١٠)
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
ءَامِنُواْ كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَآءُ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٢) * وَإِذَا لَقُواْ
الَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُواْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ (١٣) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٤) أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلَٰلَةَ
بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ (١٥)

ثمن

وفضائلها وسننها، وحضور القلب والخشوع فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض، والإكثار من النوافل. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: الزكاة لاقترانها مع الصلاة.

والثاني: أنه التطوع.

والثالث: العموم وهو الأرجح؛ لأنه لا دليل على التخصيص.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ اختلف: هل هم المذكورون قبل، فيكون قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ من عطف الصفات؟ أو غيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب فيكون عطفا للمغايرة؟ أو مبتدأ وخبره الجملة بعده؟ ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبي جهل، فإن كان الذين للجنس فلفظها عام يراد به الخصوص، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم، وقد اختلف فيهم فقيل: المراد من قتل ببدر من كفار قريش، وقيل: المراد حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديان. ﴿سَوَآءٌ﴾ خبر إن، و﴿ءَآنذَرْتَهُمْ﴾ فاعل به لأنه في تقدير المصدر، أو سواء[1] مبتدأ وآنذرتهم خبره، أو العكس وهو أحسن و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على هذه الوجوه استئناف للبيان، أو للتأكيد، أو خبر بعد خبر، أو تكون الجملة اعتراضا، ولا يؤمنون الخبر، والهمزة في آنذرتهم لمعنى التسوية قد انسلخت من معنى الاستفهام.

(١) في (ع): (وسواء).

﴿خَتَمَ﴾ الآية تعليل لعدم إيمانهم وهو عبارة عن إضلالهم فهو مجاز، وقيل: حقيقة وأن القلب كالكف ينقبض[١] مع زيادة الضلال أصبعا أصبعا حتى يختم عليه، والأول أبرع. ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ معطوف على قلوبهم فيوقف عليه، وقيل: الوقف على قلوبهم والسمع راجع إلى ما، والأول أرجح لقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾. ﴿غِشَاوَةٌ﴾ مجاز باتفاق، وفيه دليل على وقوع المجاز في القرآن، خلافا لمن منعه، ووحد السمع لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أصل الناس أناس؛ لأنه مشتق من الإنس وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفا ﴿مَن يَقُولُ﴾ إن كان اللام في الناس للجنس فمن موصوفة، وإن جعلتها للعهد فمن موصولة، وأفرد الضمير في يقول رعياً للفظ من. ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ هم المنافقون وكانوا جماعة من الأوس والخزرج رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول يظهرون الإسلام ويسرون الكفر ويسمى الآن من كان كذلك زنديقا، وهم في الآخرة مخلدون في النار، وأما في الدنيا فإن[٢] لم تقم عليهم بينة فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم، وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان فمذهب مالك القتل دون الاستتابة، ومذهب الشافعي الاستتابة وترك القتل. فإن قيل: كيف جاء قولهم ﴿ءَامَنَّا﴾ جملة فعلية ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ جملة اسمية فهلا طابقتها؟ فالجواب: أن قولهم ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ أبلغ وأوكد في نفي الإيمان عنهم من لو قال: وما آمنوا. فإن قيل: لم جاء[٣] قولهم آمنا مقيدا بالله واليوم الآخر، وما هم بمؤمنين مطلقا؟ فالجواب: أنه يحتمل وجهين: التقييد فتركه لدلالة الأول عليه، والإطلاق وهو أعم في سلبهم من الإيمان.

﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ أي يفعلون فعل المخادع ويرومون الخداع[٤] بإظهار خلاف ما

---

(١) في (ف): (يقبض).
(٢) في (أ): (إن).
(٣) في (ف): (كيف جاء).
(٤) في (أ): (الخدع).

يسرون، وقيل: معناه يخدعون(١) رسول الله ﷺ، والأول أظهر. ﴿وَمَا يُخَٰدِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي وبال فعلهم راجع عليهم، وقرئ(٢) وما يخدعون بفتح الياء من غير ألف من خدع وهو أبلغ في المعنى؛ لأنه يقال خادع إذا رام الخداع وخدع إذا تم له. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ حذف معموله أي لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم.

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يحتمل أن يكون حقيقة وهو الألم الذي يجدونه من الخوف وغيره، وأن يكون مجازا بمعنى الشك أو الحسد ﴿فَزَادَهُمُ﴾ يحتمل الدعاء والخبر ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ بالتشديد أي يكذبون الرسول ﷺ وقرئ(٣) بالتخفيف أي يكذبون في قولهم آمنا.

﴿لَا تُفْسِدُوا۟﴾ أي بالكفر والنميمة وإيقاع الشر وغير ذلك ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يحتمل أن يكون جحودا للكفر لقولهم آمنا، أو اعتقاد أنهم على إصلاح ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ. والكاف يحتمل أن تكون(٤) للتشبيه أو للتعليل، وما يحتمل أن تكون كافة مهيأة(٥) كما هي في ربما، وأن تكون مصدرية. ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ إنكار منهم وتقبيح.

---

(١) في (ف): (يخادعون).

(٢) قال ابن الجزري: ﴿وَمَا يُخَٰدِعُونَ﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال والباقون بفتح الياء وإسكان الخاء بلا ألف وفتح الدال، وخلاف القراء إنما هو في الموضع الثاني المقيد بقوله تعالى ﴿وَمَا﴾ وأما الموضع الأول وهو يخادعون الله فاتفقوا على قراءته كقراءة نافع ومن معه في الموضع الثاني. النشر: ٢/٢٥.

(٣) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ فقرأ الكوفيون بفتح الياء وتخفيف الذال وقرأ الباقون بالضم والتشديد. النشر: ٢/٢٣٧، والبدور الزاهرة: ١/٢٦.

(٤) قوله: (أن تكون) ساقط من (ع).

(٥) قوله: (مهيأة) زيادة من (ف) و(ع).

﴿هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ رد عليهم وإناطة السفه بهم وكذلك هم المفسدون وجاء بالألف واللام ليفيد حصر السفه والفساد فيهم وأكده بإن وبألا التي تقتضي الاستئناف وتنبيه المخاطب.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ كذبوا خوفا من المؤمنين ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ هم رؤساء الكفر، وقيل: شياطين الجن وهو بعيد، وتعدى خلا بإلى لأنه ضمن معنى مشوا أو[1] ذهبوا أو ركنوا، وقيل: إلى بمعنى مع أو بمعنى الباء، وجاء قولهم ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بجملة اسمية مبالغة وتأكيدا[2] بخلاف قولهم آمنا فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: تسمية العقوبة باسم الذنب، كقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾، وقيل: يملي لهم بدليل قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾، وقيل: يفعل بهم في الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزأ[3] بهم كما جاء في سورة الحديد ﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾. ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يزيدهم، وقيل: يملي لهم وقد ذكر ﴿يَعْمَهُونَ﴾.

﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ عبارة عن تركهم الهدى مع تمكنهم منه ووقوعهم في الضلالة فهو[4] مجاز بديع. ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ ترشيح للمجاز[5]. لما ذكر الشر ذكر ما يتبعه من الربح والخسران. وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضا؛ لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ في هذا الشراء أو على الإطلاق، وقال الزمخشري: نفى الربح في قوله ﴿فَمَا رَبِحَت﴾، ونفى سلامة رأس المال في قوله

(١) في (أ): (وذهبوا).
(٢) قوله: (وتأكيدا) ساقط من (ع).
(٣) في (ف) و(ع): (استهزاء).
(٤) في (ع): (فهي).
(٥) في (ع): (ترجيح للمجاز) وهو خطأ.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ
بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ
ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ
حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ إن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه، وإن كان المثل بمعنى التشبيه فالكاف زائدة ﴿اسْتَوْقَدَ﴾ أي أوقد، وقيل: طلب الوقود على الأصل في استفعل ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ إن تعدى فما حوله مفعول به، وإن لم يتعد فما زائدة أو ظرفية ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي أذهبه. وهذه الجملة جواب لمحذوف تقديره: طفئت النار، و(ذهب الله بنورهم) جملة مستأنفة، والضمير عائد على المنافقين، فعلى هذا يكون الذي على بابه من الإفراد، والأرجح أنه أعيد ضمير الجماعة لأنه لم يقصد بالذي واحد بعينه إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة، ثم أعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبه لأنهم جماعة. فإن قيل: ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أن منفعتهم في الدنيا بدعوى الإيمان شبيه بالنور، وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده. والثاني: أن استخفاء[١] كفرهم كالنور وفضيحتهم بعده[٢] كالظلمة. والثالث: أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر، فإيمانه نور وكفره بعده ظلمة، ويرجح هذا قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾. فإن قيل: لم قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل ذهب الله بضوئهم مشاكلة لقوله ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾؟

(١) في (ف): (اختفاء).
(٢) قوله: (بعده) ساقط من (أ).

فالجواب: أن إذهاب النور أبلغ؛ لأنه إذهاب للقليل[١] والكثير، بخلاف الضوء فإنما[٢] يطلق على الكثير.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يحتمل أن يراد به المنافقون والمستوقد المشبه بهم، وهذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم، وليس المراد فقد الحواس ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إن أريد به المنافقون فمعناه لا يرجعون إلى الهدى، وإن أريد به أصحاب النار فمعناه أنهم متحيرون في الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون إلى الطريق.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ عطف على الذي استوقد والتقدير أو كصاحب صيب أو للتنويع لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين والصيب المطر وأصله صيوب ووزنه فعيل وهو مشتق من قولك صاب يصوب وفي قوله ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ إشارة إلى قوته وشدة انصبابه، قال ابن مسعود[٣]: إن رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك فعزما على الإيمان ورجعا إلى النبي ﷺ وحسن إسلامهما، فضرب الله ما أنزل فيهما مثلا للمنافقين، وقيل: المعنى تشبيه المنافقين في حيرتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق فضل عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه[٤]، وهذا التشبيه على الجملة، وقيل: إن التشبيه على التفصيل، فالمطر مثل للقرآن أو الإسلام، والظلمات مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين، والرعد مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم، والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة.

---

(١) في (ع): (بالقليل).

(٢) في (أ): (فإنه).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١/٣٤٧، وهو بإسناد حسن عن ابن عباس، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/١٩٠.

(٤) قوله: (على نفسه) ساقط من (ع) و(ف).

فإن قيل: لم قال رعد وبرق بالإفراد ولم يجمعه كما جمع ظلمات؟

فالجواب: أن الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع، ويحتمل أن يكونا اسمين وترك جمعهما لأنهما في الأصل مصدران.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَاعِقِ﴾ أي من أجل الصواعق قال ابن مسعود[1]: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي ﷺ فهو على هذا حقيقة في المنافقين، والصواعق على هذا ما يكرهون من القرآن والموت هو ما يتخوفونه فهما مجازان، وقيل: إنه راجع لأصحاب المطر المشبه بهم فهو حقيقة فيهم، والصواعق على هذا حقيقة وهي التي تكون من المطر من شدة الرعد ونزول قطعة نار، والموت أيضا حقيقة، وقيل: إنه راجع للمنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل أصابعه في آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد.

فإن قيل: لم قال أصابعهم ولم يقل أناملهم والأنامل هي التي تجعل في الآذان؟

فالجواب: أن ذكر الأصابع أبلغ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعها مع أن الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة.

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر على عقابهم.

﴿يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر وهم الذين شبه بهم المنافقين فهو بين في المعنى، وإن رجع إلى المنافقين فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين:

أحدهما: تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضيء البرق وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدم.

والآخر: يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار

---

(١) الطبري: ١/٣٤٧.

أصحاب المطر المشبه بهم.

﴿كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم. وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان. ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان ثبتوا على كفرهم. وقيل: إن المعنى كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا هذا دين مبارك، فهذا مثل الضوء، وإذا أصابتهم شدة أو مصيبة عابوا الدين وسخطوا فهذا مثل الظلمة.

فإن قيل: لم قال مع الإضاءة كلما ومع الظلام إذا؟

فالجواب: أنهم لما كانوا حراصا على المشي ذكر معه كلما؛ لأنها تقتضي التكرار والكثرة.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآية، إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة. وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم. والباء للتعدية كما هي في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الآية لما قدم اختلاف الناس في الدين وذكر ثلاث طوائف: المؤمنين والكافرين والمنافقين؛ أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله وجاء بالدعوة عامة للجميع لأن النبي ﷺ بعث إلى جميع الناس ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ يدخل فيه الإيمان به سبحانه، وتوحيده، وطاعته، فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحدا، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركا، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمنا. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يتعلق بخلقكم أي خلقكم لتتقوه كقوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أو بفعل مقدر من معنى الكلام أي دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم تتقون وهذا أحسن،

وقيل: يتعلق بقوله ﴿ٱعْبُدُواْ﴾ وهذا ضعيف وإن كانت لعل للترجي فتأويله أنه في حق المخلوقين جريا على عادة كلام العرب، وإن كانت للمقاربة أو التعليل فلا إشكال والأظهر فيها أنها لمقاربة الأمر نحو عسى فإذا قالها الله فمعناها إطماع العباد وهكذا القول فيها حيث ما وردت في كلام الله تعالى.

﴿ٱلْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفراش فهو مجاز وكذلك السماء بناء. ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ﴾ من للتبعيض أو لبيان الجنس لأن الثمرات هو المأكول من الفواكه وغيرها والباء في به للسببية أو كقولك: كتبت بالقلم لأن الماء سبب في خروج الثمرات بقدرة الله تعالى. ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ﴾ لا ناهية أو نافية وانتصب الفعل بإضمار أن بعد الفاء في جواب اعبدوا والأول أظهر. ﴿أَندَادًا﴾ يراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله جل وعلا. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أي وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق، ويتعلق قوله بلا تجعلوا بما تقدم من البراهين ويحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿ٱعْبُدُواْ﴾ والأول أظهر.

٭ فوائد ثلاث:

الأولى: هذه الآية تضمنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقين:

أحدهما: إقامة البراهين بخلقتهم وخلقة السموات والأرض والمطر والثمرات.

والآخر: ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام فذكر أولا ربوبيته لهم ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم؛ لأن الخالق يستحق أن يعبد، ثم ذكر ما أنعم الله به عليهم من جعل الأرض فراشا والسماء بناء ومن إنزال المطر وإخراج الثمرات لأن المنعم يستحق أن يعبد ويشكر، وانظر قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾ و﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ يدلك على ذلك لتخصيصه ذلك بهم في ملاطفة وخطاب بديع.

الثانية: المقصود الأعظم من هذه الآية الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه

لقوله في آخرها ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ وذلك هو الذي يترجم عنه بقولنا: لا إله إلا الله، فيقتضي ذلك الأمر بالدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد، وقول: لا إله إلا الله.

الثالثة: تكرر في القرآن ذكر المخلوقات، والتنبيه على الاعتبار في الأرض والسموات، والحيوان والنبات، والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار وذلك أنها تدل بالعقل على عشرة أمور وهي:

- أن الله موجود؛ لأن الصنعة دليل على الصانع لا محالة.

- وأنه واحد لا شريك له؛ لأنه لا خالق إلا هو ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ النحل الآية: ١٧.

- وأنه حي قدير عليم مريد؛ لأن هذه الصفات الأربع من شروط الصانع إذ لا تصدر صنعة عمن عدم صفة منها.

- وأنه قديم؛ لأنه صانع للمحدثات فيستحيل أن يكون مثلها في الحدوث.

- وأنه باق؛ لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه.

- وأنه حكيم؛ لأن آثار حكمته ظاهرة في إتقانه للمخلوقات وتدبيره للملكوت.

- وأنه رحيم؛ لأن في كل ما خلق منافع لبني آدم سخر لهم ما في السموات وما في الأرض.

وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على وجوده تعالى، أو على وحدانيته.

فإن قيل: لم قصر الخطاب بقوله لعلكم تتقون على المخاطبين دون الذين من قبلهم مع أنه أمر الجميع بالتقوى؟

فالجواب: أنه لم يقصره عليهم في المعنى[1] ولكنه غلب المخاطبين على

(١) قوله: (في المعنى) زيادة من (ف).

الغائبين في اللفظ والمراد الجميع، فإن قيل: هلا قال لعلكم تعبدون مناسبة لقوله اعبدوا؟ فالجواب: أن التقوى غاية العبادة وكمالها، فكان قوله لعلكم تتقون أبلغ وأوقع في النفوس.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الآية إثبات لنبوءة نبينا ومولانا[١] محمد ﷺ بإقامة الدليل على أن القرآن[٢] جاء به من عند الله، فلما قدم إثبات الألوهية أعقبها بإثبات النبوءة، فإن قيل: كيف قال إن كنتم في ريب ومعلوم أنهم كانوا في ريب وفي تكذيب؟ فالجواب: أنه ذكر حرف إن إشارة إلى أن الريب بعيد عند العقلاء في مثل هذا الأمر الساطع البرهان فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال في الأمر الواقع لبعد وقوع الريب وقبحه عند العقلاء وكما قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ هو النبي ﷺ والعبودية على وجهين:

عامة: وهي التي بمعنى الملك.

وخاصة: وهي التي يراد بها التشريف والتخصيص وهي من أوصاف أشراف العباد، ولله در القائل[٣]:

لا تدعني إلا بياعبدها فإنه أشرف أسمائي

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ أمر يراد به التعجيز ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ الضمير عائد على ما نزلنا[٤] وهو القرآن ومن لبيان الجنس، وقيل: يعود على النبي ﷺ فمن على هذا

---

(١) قوله: (نبينا ومولانا) ساقط من (أ) و(ف).

(٢) في (ف) و(ع) زيادة (الذي).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره: ١/٢٣٢، وقبله قوله:

يا قوم قلبي عند زهراء يعرفه السامع والرائي

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

وذكره جمع من المفسرين كابن كثير والألوسي وأبي حيان والخازن وغيرهم، ولم ينسبوه لأحد.

(٤) في (ف): (أنزلنا) والصواب ما أثبتناه.

لابتداء الغاية ومعناه من بشر مثله، والأول أرجح لتعيينه في يونس وهود، وبمعنى مثله في فصاحته وفيما تضمنه[١] من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة. ﴿شُهَدَآءَكُم﴾ آلهتكم أو أعوانكم أو من يشهد لكم[٢] ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غير الله، وقيل: هو من الدني الحقير فهو مقلوب اللفظ.

﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة وهو إخبار بغيب[٣] ظهر مصداقه في الوجود إذ لم يقدر أحد أن يأتي بمثل القرآن مع فصاحة العرب في زمان نزوله وتصرفهم في الكلام، وحرصهم على التكذيب، وفي الإخبار بذلك معجزة أخرى، وقد اختلف في عجز الخلق عنه على قولين:

أحدهما: أنه[٤] ليس في قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح.

والثاني: أنه كان في قدرتهم وصرفوا عنه[٥] والإعجاز حاصل على الوجهين، وقد بينا سائر وجوه إعجازه في المقدمة.

﴿فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ أي فآمنوا لتنجوا من النار وعبر باللازم[٦] عن ملازمه لأن ذكر النار أبلغ في التفخيم والتهويل والتخويف. ﴿وَقُودُهَا﴾ حطبها ﴿الحجارة﴾ قال ابن مسعود: هي حجارة الكبريت لسرعة اتقادها وشدة حرها وقبح رائحتها، وقيل: الحجارة المعبودة، وقيل: الحجارة على الإطلاق. ﴿أُعِدَّتْ﴾ دليل على أنها قد خلقت وهو مذهب الجماعة وأهل السنة خلافا لمن قال إنها تخلق يوم

---

(١) في (أ): (تضمن).

(٢) في (ع): (شهداءكم وأعوانكم...).

(٣) قوله: (بغيب) ساقط من (أ).

(٤) قوله: (أنه) ساقط من (ف).

(٥) القول بأن معارضة القرآن كانت في طوق البشر وصرفوا عنها قول في غاية الفساد، ولم يقل به إلا النظام من المعتزلة، وقد تكفل المحققون بالرد على هذا القول من أمثال أبي بكر الباقلاني وغيره فليرجع إليهم من أراد تحرير المسألة.

(٦) في (ف): (بالملازم).

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ
رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَٰبِهًا
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٥)
• إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا (ربع)
فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا
وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَٰسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَٰقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ (٢٧)
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ
الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى
السَّمَاءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)

القيامة وكذلك الجنة.

﴿وَبَشِّرِ﴾ يحتمل أن تكون خطابا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو خطابا لكل أحد ورجح الزمخشري هذا لأنه أفخم ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾ دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه خلافا لمن قال الإيمان اعتقاد وقول وعمل[(١)]، وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال خلافا للمرجئة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ﴾ أي تحت أشجارها وتحت مبانيها وهي أنهار الماء واللبن والخمر والعسل وهكذا تفسيره حيث وقع، وروي[(٢)] أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود ﴿مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ من الأولى للغاية أو للتبعيض أو لبيان الجنس، ومن الثانية لبيان الجنس. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي في الدنيا بدليل قولهم ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي في الدنيا؛ فإن ثمر الجنة أجناس ثمر الدنيا وإن كانت خيرا منها في المطعم والمنظر. ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَٰبِهًا﴾ أي يشبه ثمر الدنيا في جنسه، وقيل: يشبه بعضه بعضا في المنظر

---

(١) الصحيح أن الإيمان: اعتقاد، وقول، وعمل، وهو الذي تشهد له الآثار الصحيحة منها: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق...» مسلم الحديث رقم: (٥١)، والترمذي الحديث رقم: (٢٥٣٩)، وانظر الثمر الداني: ١/١٩.

(٢) في مصنف ابن أبي شيبة عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَجْرِي فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ، وَثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، كُلَّمَا نُزِعَتْ ثَمَرَةٌ عَادَتْ أُخْرَى، وَالْعَنْقُودُ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا. ١٣/٩٧.

ويختلف في المطعم، والضمير المجرور يعود على المرزوق الذي يدل عليه المعنى ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وأقذار النساء وسائر[١] الأقذار التي لا تختص بالنساء كالبول وغيره، ويحتمل أن يريد: طهارة الطيب وطيب الأخلاق[٢].

﴿لَا يَسْتَحْيِى﴾ تأول قوم أن معناه لا يترك؛ لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله؛ لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع في أمر، وليس كذلك وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب، ويرد عليهم قوله ﷺ: «إن الله حيي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا»[٣]. ﴿أَن يَضْرِبَ﴾ سبب الآية: أنه لما ذكر في القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار على ذلك، وقيل: لما ضرب المثلين المتقدمين في المنافقين تكلموا في ذلك فنزلت الآية[٤] ردا عليهم. ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إعراب بعوضة مفعول بيضرب ومثلا حال أو مثلا مفعول وبعوضة بدل منه أو عطف بيان أو هما مفعولان بيضرب؛ لأنها على هذا المعنى تتعدى إلى مفعولين وما صفة للنكرة أو زائدة ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الكبر، وقيل: في الصغر، والأول أصح ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ما شاء ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة وضرب أمثال وبيان للناس ولأن الصادق جاء بها من عند الله. ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾ لفظه الاستفهام ومعناه الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب. وفي إعراب ماذا وجهان: أن تكون ما مبتدأ وذا خبره وهي موصولة، وأن تكون كلمة مركبة في موضع نصب على المفعول بأراد ومثلا منصوب على الحال أو التمييز. ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ من كلام الله جوابا للذين قالوا: ماذا أراد الله بهذا مثلا، وهو أيضا تفسير لما أراد الله بضرب المثل من الهدى والضلال.

---

(١) في (ف): (ومن سائر).

(٢) في (ف): (طهارة الطباع مطهرة الأخلاق).

(٣) رواه الترمذي الحديث رقم: (٣٤٧٩)، وصححه الألباني رحمه الله تعالى.

(٤) تفسير الطبري: ١/٣٩٩، وابن أبي حاتم: ١/٦٩، وابن كثير: ١/٢٠٦.

﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ مطلق في العهود وكذلك ما بعده من القطع والفساد ويحتمل أن يشار بنقض عهد الله إلى اليهود لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم في الإيمان بمحمد ﷺ، ويشار بقطع ما أمر الله به أن يوصل إلى قريش لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين، ويشار بالفساد في الأرض إلى المنافقين لأن الفساد[١] من أفعالهم حسبما تقدم في وصفهم ﴿مِيثَاقِهِۦ﴾ الضمير للعهد أو لله تعالى.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ موضعها الاستفهام ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أي معدومين أي في أصلاب الآباء أو نطفا في الأرحام ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي أخرجكم إلى الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت المعروف ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء، وقيل: الحياة الأولى حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد، وقيل: في الحياة الثانية إنها في القبور والراجح القول الأول لتعينه في قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

❖ فوائد ثلاث[٢]:

الأولى: هذه الآية في معرض الرد على الكفار وإقامة البرهان على بطلان قولهم، فإن قيل: إنما يصح الاحتجاج عليهم بما يعترفون به فكيف يحتج عليهم بالبعث وهم منكرون له؟ فالجواب: أنهم ألزموا من ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت ثبوت البعث؛ لأن القدرة صالحة لذلك كله.

الثانية: قوله وكنتم أمواتا في موضع الحال، فإن قيل: كيف جاز ترك قد[٣] وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال؟ فالجواب: أنه قد جاء بعد

(١) في (ع) و(أ): (الإفساد).
(٢) قوله: (ثلاث) ساقط من (ع).
(٣) في (ف) و(ع): (جاء دون قد).

الماضي مستقبل والمراد مجموع الكلام كأنه يقول: وحالهم هذه فلذلك لم تلزم قد.

الثالثة: عطف فأحياكم بالفاء لأن الحياة أثر العدم ولا[١] تراخي بينهما وعطف ثم يميتكم وثم يحييكم[٢] بثم للتراخي الذي بينهما.

﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ دليل على إباحة الانتفاع بما في الأرض. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي قصد لها والسماء هنا جنس ولأجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة. ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ أي أتقن خلقهن كقوله: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾، وقيل: جعلهن سواء.

فائدة: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ ظاهره خلاف ذلك، والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الأرض خلقت قبل السماء ودحيت بعد ذلك فلا تعارض والآخر: أن[٣] تكون ثم لترتيب الإخبار.

﴿الملائكة﴾ جمع ملك واختلف في وزنه فقيل فعل فالميم أصلية ووزن ملائكة على هذا مفاعلة، وقيل: هي من الألوكة وهي الرسالة فوزنه مفعل ووزنه مألك ثم حذفت الهمزة ووزن ملائكة على هذا مفاعلة ثم قلبت وأخرت الهمزة فصار مفاعلة وذلك بعيد. ﴿خَلِيفَةً﴾ هو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأن الله استخلفه في الأرض، وقيل: ذريته لأن بعضهم يخلف بعضا والأول أرجح ولو أراد الثاني لقال خلفاء ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الآية سؤال محض؛ لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله من يعصيه وليس فيه اعتراض؛ لأن الملائكة منزهون عنه، وإنما علموا أن بني آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك، وقيل: كان في الأرض جن فأفسدوا فبعث الله

---

(١) في (ف): (لا).

(٢) قوله: (وثم يحييكم) ساقط من (ف).

(٣) قوله: (أن) ساقط من (أ).

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّيَ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٢٩﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيَ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٢﴾ ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ
﴿٣٣﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٣٤﴾
فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٦﴾

إليهم ملائكة فقتلتهم فقاس الملائكة بني آدم عليهم. ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ اعتراف والتزام للتسبيح لا افتخار ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي حامدين لك والتقدير نسبح متلبسين[1] بحمدك فهو في موضع الحال ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يحتمل أن تكون الكاف مفعولا ودخلت عليها اللام كقولك ضربت لزيدا وأن يكون المفعول محذوفا أي نقدسك على معنى ننزهك أو نعظمك وتكون اللام في لك للتعليل أي لأجلك أو يكون التقدير نقدس أنفسنا أي نطهرها لك. ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي ما يكون في بني آدم من الأنبياء والأولياء وغير ذلك من المصالح والحكمة.

﴿الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ أي أسماء بني آدم وأسماء أجناس الأشياء[2] كتسمية القمر والشجر وغير ذلك. ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي عرض المسميات وبين أشخاص بني آدم وأجناس الأشياء ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ أمر على وجه التعجيز. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي في قولكم: إن الخليفة يفسد في الأرض ويسفك الدماء، وقيل: إن كنتم صادقين في جواب السؤال والمعرفة بالأسماء.

﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ اعتراف.

---

(١) في (ع): (ملتبسين).
(٢) في (ف) زيادة ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ أمر على وجه التعجيز، ولكن هذا مكرر مع ما سيأتي قريبا.

﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ أي أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك أو بأسماء أجناس الأشياء.

﴿اسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ السجود له[1] على وجه التحية، وقيل: عبادة لله وآدم كالقبلة ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ روي[2] أن[3] أول من سجد إسرافيل ولذلك جازاه الله بولاية[4] اللوح المحفوظ. ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ استثناء متصل عند من قال إنه كان ملكا، ومنقطع عند من قال كان من الجن. ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ لقوله أنا خير منه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قيل: كفر بإبايته من السجود وذلك بناء على أن المعصية كفر، والأظهر أنه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم، وليس كفره كفر جحود لاعترافه بالربوبية.

﴿وَزَوْجُكَ﴾ هي حواء خلقها الله من ضلع آدم ويقال زوجة وزوج هنا أفصح ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ هي جنة الخلد عند الجماعة وعند أهل السنة خلافا لمن قال هي غيرها. ﴿لا تقربا﴾ النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة فهذا أصل في سد الذرائع ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾ قيل: هي شجرة العنب، وقيل: شجرة التين، وقيل: الحنطة وذلك مفتقر إلى نقل صحيح واللفظ مبهم ﴿فَتَكُونَا﴾ عطف على تقربا أو نصب بإضمار أن بعد الفاء في جواب النهي ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ متعد من زلل القدم، وأزالهما بالألف[5] من الزوال ﴿عَنْهَا﴾ الضمير

---

(١) قوله: (له) زيادة من (ف).

(٢) أخرجه ابن عساكر عن عمر بن عبد العزيز كما في البداية والنهاية: ١/٩٧، وفي الدر المنثور: ١/١٢٣ قال صاحب تخريج أحاديثه: إنه منكر لفظا منقطع معنى: ١/١١٥، وقال إسماعيل حقي في روح البيان: وقيل: أول من سجد إسرافيل فرفع رأسه وقد ظهر كل القرآن مكتوباً على جبهته كرامة له على سبقه إلى الائتمار. ١/٨١ دار إحياء التراث العربي. ولم يأت بسند على ما قال.

(٣) في (أ): (من أول).

(٤) في (ف): (بولايته).

(٥) ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ قرأ حمزة ﴿فأزالهما﴾ بألف بعد الزاي وتخفيف اللام وقرأ الباقون بالحذف والتشديد. ٢/٢٤١.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِيٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَٰتِي
ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ربع
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

عائد على الجنة أو على الشجرة فتكون عن سببية على هذا.

فائدة: اختلفوا في أكل آدم من الشجرة فالأظهر أنه كان على وجه النسيان لقوله تعالى ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْماً﴾، وقيل: سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تسكر، وقيل: أكل عمدا وهي معصية صغرى[1] وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر، وقيل: تأول آدم أن النهي كان عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها، وقيل: لما حلف له إبليس صدقه لأنه ظن أنه لا يحلف أحد بالله[2] كاذبا.

﴿ٱهْبِطُوا﴾ خطاب لآدم وزوجه وإبليس بدليل بعضكم لبعض عدو ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع استقرار وهو في مدة الحياة، وقيل: في بطن الأرض بعد الموت ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ ما يتمتع به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى الموت ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ أي أخذ وقبل على قراءة الجماعة، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات[3] فتلقى على هذا من اللقاء ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ بدليل ورودها في الأعراف، وقيل: غير ذلك ﴿ٱهْبِطُوا﴾ كرر ليناط به ما بعده، ويحتمل

---

(١) في (ف) و(ع) صغيرة.

(٢) في (أ): (لا يحلف أحد كذبا)، وفي (ع): (لا يحلف كاذبا).

(٣) قال الإمام أبو عمرو الداني في التيسير: ابن كثير ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمَ﴾ بالنصب ﴿كَلِمَٰتٌ﴾ بالرفع والباقون برفع ﴿ءَادَمُ﴾ وكسر التاء، ص: ٦٠.

أن يكون أحد الهبوطين من السماء، إلى الأرض[١] والآخر من الجنة، وأن يكون هذا الثاني لذرية آدم لقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ والأول أظهر لتناوله لآدم وزوجه وإبليس. وروي[٢] أن آدم نزل بسرنديب من أرض الهند ونزلت حواء بجدة وإبليس بالأبلة[٣].

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ إن شرطية وما زائدة للتأكيد والهدى هنا يراد به كتاب الله ورسالته. ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ شرط وهو جواب الشرط الأول، وقيل: فلا خوف جواب الشرطين.

﴿يَٰبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لما قدم دعوة الناس عموما وذكر مبدأهم دعا بني إسرائيل خصوصا وهم اليهود وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب سيقول السفهاء، فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتخويف وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم وذكر العقوبات التي عاقبهم بها[٤]، فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء وهي:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة البقرة آية ٤٨].

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [سورة البقرة آية ٤٩].

و﴿بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٥٥].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ [سورة البقرة آية ٥٦].

---

(١) قوله: (إلى الأرض) زيادة من (ف).

(٢) قال ابن عطية في تفسيره: وروي أن آدم نزل على جبل من جبال سرنديب وأن حواء نزلت بجدة، وأن الحية نزلت بأصبهان، وقيل: بميسان، وأن إبليس نزل على الأبلة. المحرر الوجيز: ١١٣/١، ولم يذكر لذلك سندا.

(٣) قوله: (﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ والأول أظهر لتناوله لآدم وزوجه... بجدة وإبليس) ساقط من (أ).

(٤) قوله: (بها) ساقط من (ف).

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [سورة البقرة آية ٥٦].

و﴿عَفَوْنَا عَنكُم﴾ [سورة البقرة آية ٥١].

و﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٥٣].

و﴿يَغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٥٧].

و﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة آية ٥٢].

﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [سورة البقرة آية ٥٩].

وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء، قولهم:

﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [سورة البقرة آية ٩٢].

و﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [سورة البقرة آية ٥٠].

وقالوا[1]: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة النساء آية ١٥٢].

و﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [سورة البقرة آية ٥٨].

و﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [سورة البقرة آية ٦٠].

و﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [سورة البقرة آية ٧٤].

و﴿تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [سورة البقرة آية ٦٣].

و﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [سورة البقرة آية ٧٣].

﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء آية ١٥٤].

﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [سورة آل عمران آية ١٨١].

وذكر من عقوبتهم[2] عشرة أشياء:

---

(١) في (ف): (وقولهم).

(٢) في (أ): (عقوباتهم).

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة آية ٦٠].

و﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [سورة التوبة آية ٢٩].

و﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٥٣].

و﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ [سورة البقرة آية ٦٤].

و﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ﴾ [سورة الأعراف آية ١٦٢].

﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [سورة البقرة آية ٥٤].

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [سورة المائدة آية ١٤].

و﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [سورة النساء آية ١٥٩].

وهذا كله جرى[١] لآبائهم المتقدمين، وخوطب به[٢] المعاصرون لمحمد ﷺ؛ لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم، وقد وبخ المعاندين[٣] لمحمد ﷺ بتوبيخات أخر، وهي عشرة:

- كتمانهم أمر محمد ﷺ مع معرفتهم به.
- و﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [سورة النساء آية ٤٥].
- و﴿يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة آية ٧٨].
- و﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٨٤].
- ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ﴾ [سورة البقرة آية ٨٤].
- وحرصهم على الحياة.

(١) في (أ): (جزاء).
(٢) قوله: (به) ساقط من (أ).
(٣) في (ع) و(ف): (المعاصرون) بالرفع على أن وبخ مبني للمفعول.

- وعداوتهم لجبريل.
- واتباعهم للسحر.
- وقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ [سورة المائدة آية ٢٠].
- وقولهم ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [سورة المائدة آية ٦٦].

﴿نِعْمَتِيَ﴾ اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع، ومعناه عام في جميع النعم التي على بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم أو اختصهم[١] به كالمن والسلوى، وللمفسرين فيه أقوال تحمل على أنها أمثلة واللفظ يعم النعم جميعا. ﴿بِعَهْدِيٓ﴾ مطلق في كل ما أخذ عليهم من العهود، وقيل: الإيمان بمحمد ﷺ وذلك قوي لأنه مقصود الكلام ﴿بِعَهْدِكُمْ﴾ دخول الجنة. ﴿وَإِيَّـٰىَ﴾ مفعول بفعل مضمر مؤخر لانفصال الضمير وليفيد الحصر يفسره فارهبون ولا يصح أن يعمل فيه فارهبون لأنه قد أخذ معموله وكذلك ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي مصدقا للتوراة وتصديق القرآن للتوراة وغيرها، وتصديق محمد ﷺ للأنبياء والمتقدمين له ثلاثة معان:

أحدها: أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم في الإخبار به

والآخر: أنه ﷺ أخبر أنهم أنبياء وأنزل عليهم الكتب فهو مصدق لهم أي شاهد بصدقهم

والثالث: أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك.

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ الضمير عائد على القرآن وهذا نهي عن المسابقة

(١) في (ف) و(ع): (اختصوا هم به).

إلى الكفر به، ولا يقتضي إباحة الكفر به[١] في ثاني حال لأن هذا مفهوم معطل، بل يقتضي الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به لما يجدون من ذكره ولما يعرفون من علامته[٢] ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الاشتراء هنا استعارة في الاستبدال كقوله: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [سورة البقرة آية ١٥] والآيات هنا هي الإيمان بمحمد ﷺ، والثمن القليل ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رياستهم وأخذ الرشا على تغيير أمر محمد ﷺ وغير ذلك، وقيل: كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك واحتج الحنفية بهذه الآية على منع الإجارة على تعليم القرآن.

﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ الحق هنا يراد به نبوءة محمد ﷺ، والباطل الكفر به، وقيل: الحق التوراة والباطل ما زادوا فيها ﴿وَتَكْتُمُوا﴾ معطوف على النهي أو منصوب بإضمار أن في جواب النهي والواو بمعنى الجمع والأول أرجح؛ لأن العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين بخلاف النصب بالواو فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين لا النهي عن كل واحد على انفراده. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تعلمون أنه حق.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يراد بها صلاة المسلمين وزكاتهم فهو يقتضي الأمر بالدخول في الإسلام. ﴿وَارْكَعُوا﴾ خصص الركوع بعد ذكر الصلاة؛ لأن صلاة اليهود بلا ركوع فكأنه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع، وقيل: اركعوا[٣] للخضوع والانقياد ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ مع المسلمين فيقتضي ذلك الأمر بالدخول في دينهم، وقيل: الأمر بالصلاة مع الجماعة.

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ تقريع وتوبيخ لليهود ﴿بِالْبِرِّ﴾ عام في كل[٤] أنواعه فوبخهم على

(١) قوله: (به) ساقط من (أ).

(٢) في (ع): (علاماته).

(٣) في (ف): (الركوع الخضوع).

(٤) قوله: (كل) ساقط من (أ).

أمر الناس وتركهم له، وقيل: كان الأحبار يأمرون من نصحوه في السر باتباع محمد ﷺ ولا يتبعونه، وقال ابن عباس: بل كانوا يأمرون باتباع التوراة ويخالفون في جحدهم منها صفة محمد ﷺ، ﴿تنسون﴾ أي تتركون وهذا تقريع ﴿تَتْلُونَ الْكِتَٰبَ﴾ حجة عليهم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ.

﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ﴾ قيل: معناه استعينوا بها على مصائب الدنيا، وقد روي أن رسول الله ﷺ: «كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة»[(١)] ونعي إلى ابن عباس أخوه فقام إلى الصلاة فصلى ركعتين وقرأ الآية، وقيل: استعينوا بهما على طلب الآخرة، وقيل: الصبر هنا الصوم، وقيل: الصلاة هنا الدعاء ﴿وَإِنَّهَا﴾ الضمير عائد على العبادة التي تضمنها الصبر والصلاة، أو على الاستعانة أو على الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي شاقة صعبة.

﴿يَظُنُّونَ﴾ هنا يتيقنون ﴿عَلَى الْعَٰلَمِينَ﴾ أي أهل زمانهم، وقيل: تفضيل من وجه ما هو كثرة الأنبياء وغير ذلك ﴿لَّا تَجْزِى﴾ لا تغني وشيئا مفعول به أو صفة لمصدر محذوف والجملة في موضع الصفة وحذف الضمير أي فيه.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ ليس نفي الشفاعة مطلقا؛ فإن مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد ﷺ[(٢)] وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد أنه لا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ ولقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ ولقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ وانظر ما ورد في الحديث[(٣)] «أن رسول الله ﷺ يستأذن في الشفاعة فيقال له: اشفع تشفع»[(٤)] فكل ما ورد في القرآن من

(١) رواه أبو داود في سننه الحديث رقم: (١٣١٩) كتاب الصلاة وأحمد في مسنده: ٣٨٨/٥، والطبري في جامع البيان: ٨٤٩، والبخاري في تاريخه: ١٧٢/١.
(٢) في (ف): (شفاعة النبي ﷺ).
(٣) قوله: (في الحديث) ساقط من (أ).
(٤) رواه البخاري في مواضع من صحيحه منها الحديث رقم: (٣٣٤٠) ومسلم في صحيحه=

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
• وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

نفي الشفاعة مطلقا يحمل على هذا لأن المطلق يحمل على المقيد، فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعة ﴿عَدْلٌ﴾ هنا فدية ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ جمع لأن النفس المذكورة يراد بها نفوس.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ تقديره اذكروا إذ نجيناكم أي نجينا آباءكم وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي ﷺ منهم؛ لأنهم ذريتهم وعلى دينهم ومتبعون لهم فحكمهم كحكمهم، وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم؛ لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء، ومن ذكر مساوئهم لأن ذريتهم راضون بها ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ المراد من فرعون وآله وحذف لدلالة المعنى وآل فرعون هم جنوده وأشياعه وآل دينه لا قرابته خاصة ويقال إن اسمه الوليد بن مصعب وهو من ذرية عمليق ويقال فرعون لكل من ولي مصر. وأصل آل أهل ثم أبدلت من الهاء[1] همزة وأبدل من الهمزة ألف

فائدة: كل ما ذكره في هذه السور من الأخبار معجزات للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلم.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي يلزمونهم به وهو استعارة من السوم في البيع وفسر سوء العذاب بقوله ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ولذلك لم يعطفه هنا، وأما حيث عطفه في سورة إبراهيم فيحتمل أن يراد بسوء العذاب غير

= الحديث رقم: (٤٩٥) وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (٦٤٦٤).

(١) في (ف): (أبدل من الهاء).

ذلك فيكون عطف مغايرة، أو أراد به ذلك وعطف لاختلاف اللفظ، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بني إسرائيل أن أخبره الكهان والمنجمون أن هلاكه على يد مولود ذكر[١] من بني إسرائيل، وقيل: إن آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذريته ملوكا وأنبياء فحسدوهم[٢] على ذلك، وروي[٣] أنه وكل بالنساء رجالا يحفظون من تحمل منهن، وقيل: بل وكل على ذلك القوابل ولأجل هذا قيل: معنى يستحيون يفتشون الحياء من كل امرأة وهو فرجها وهذا بعيد، والأظهر أنه من الحياة ضد الموت.

﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ فصلناه وجعلناه فرقا اثني عشر طريقا على عدد الأسباط، والباء سببية أو للمصاحبة والبحر المذكور هنا هو بحر القلزم.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ هي شهر ذي القعدة وعشر ذي الحجة وإنما خص الليالي بالذكر لأن التاريخ بها والأيام تابعة لها والمراد أربعين ليلة بأيامها. ﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ اتخذتموه إلها فحذف لدلالة المعنى.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد غيبته في الطور.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا التوراة ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ أي المفرق بين الحق والباطل وهو صفة للتوراة عطف عليها لاختلاف اللفظ، وقيل: الفرقان هنا فرق البحر، وقيل: المعنى[٤] آتينا موسى التوراة وآتينا محمدا الفرقان وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه.

﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي يقتل بعضكم بعضا كقوله ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾

---

(١) قوله: (ذكر) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (فحسدهم).

(٣) الروايات في هذا كثيرة ولكن الأولى الإعراض عنها لقلة ثبوتها وانظر المحرر الوجيز: ١/١٢٣.

(٤) قوله: (المعنى) ساقط من (أ).

وروي: أن من لم يعبد العجل قتل من غده، وروي[١] أن الظلام ألقي عليهم فقتل بعضهم بعضا حتى بلغ القتلى سبعون ألفا فعفا الله عنهم، وإنما خص هنا اسم البلد لأن فيه توبيخا للذين عبدوا العجل كأنه يقول: كيف عبدتم غير الذي برأكم؟ ومعنى الباري الخالق. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبله محذوف لدلالة الكلام عليه وهو فحوى الخطاب أي ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ تعدى باللام لأنه تضمن معنى الانقياد.

﴿جَهْرَةً﴾ عيانا ﴿الصَّاعِقَةُ﴾ الموت وكانوا سبعين وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور فسمعوا كلام الله ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا لسوء أدبهم وجراءتهم[٢] على الله ﴿وَظَلَّلْنَا﴾ أي جعلنا الغمام فوقهم كالظلة يقيهم حر الشمس وكان ذلك في التيه وكذلك أنزل عليهم[٣] فيه المن والسلوى تقدم في اللغات.

﴿كُلُوا﴾ معمول لقول محذوف ﴿هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس، وقيل: أريحاء، وقيل: قريب من بيت المقدس ﴿فَكُلُوا﴾ جاء هنا بالفاء التي للترتيب؛ لأن الأكل بعد الدخول فيها[٤] وجاء في الأعراف بالواو بعد قوله اسكنوا لأن الدخول لا يتأتى معه السجود، وقيل: متواضعين ﴿حِطَّةٌ﴾ تقدم في اللغات ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ أي نزيدهم أجرا إلى المغفرة.

﴿فَبَدَّلَ﴾ روي[٥] أنهم قالوا حنطة وروي حبة في شعرة ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني

---

(١) الطبري: ٢/٧٦، وابن أبي حاتم: ١/١١٠، وابن كثير: ١/٢٦٢.

(٢) في (ف): (وجرأتهم).

(٣) في (أ): (وكذا أنزل عليه).

(٤) قوله: (فيها) زيادة من (أ).

(٥) قال ابن عطية: روي أنهم لما جاؤوا الباب دخلوا من قبل أدبارهم القهقرى، وفي الحديث: أنهم دخلوا يزحفون على أستاههم وبدلوا فقالوا حبة في شعرة وقيل: قالوا حنطة حبة حمراء فيها شعرة، وقيل: شعيرة. المحرر الوجيز: ١/١٣١، ورواه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن مسعود الحديث رقم: (٩٠٢٧).

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ • وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ (ربع)
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

المذكورين وضع الظاهر موضع المضمر لقصد ذمهم بالظلم وكرره زيادة في تقبيح أمرهم ﴿رِجْزًا﴾ روي أنهم أصابهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا.

﴿اسْتَسْقَىٰ﴾ طلب السقي[1] لما عطشوا في التيه ﴿الْحَجَرَ﴾ كان مربعا ذراعا في ذراع تفجر من كل جهة ثلاث عيون، وروي[2] أن آدم كان أهبطه من الجنة، وقيل: هو جنس غير معين، وذلك أبلغ في الإعجاز ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ قبله محذوف تقديره فضربه فانفجرت ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ أي موضع شربهم وكانوا اثني عشر سبطا لكل سبط عين ﴿كُلُوا﴾ أي من المن والسلوى واشربوا من الماء المذكور.

﴿وَفُومِهَا﴾ هي[3] الثوم، وقيل: الحنطة ﴿أَدْنَىٰ﴾ من الدنيء الحقير، وقيل: أصله أدون ثم قلب بتأخير عينه وتقديم لامه ﴿مِصْرًا﴾ قيل: البلد المعروف وصرف لسكون وسطه، وقيل: هو غير معين فهو نكرة لما روي: أنهم نزلوا بالشام[4] والأول أرجح لقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني مصر ﴿ضُرِبَتْ﴾ أي قضى عليهم بها وألزموها وجعله الزمخشري استعارة من ضرب القبة لأنها تعلوا

---

(١) في (أ): (السقيا).

(٢) المحرر الوجيز: ١/١٧٢.

(٣) في (ف) و(ع): (يعني).

(٤) في (ف): (نزلوا الشام).

الإنسان وتحيط به ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ الفاقة، وقيل: الجزية ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والغضب والباء للتعليل ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ الآيات المتلوات أو العلامات ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ معلوم أنه لا يقتل نبي إلا بغير حق وإنما نص عليه تشنيعا لقبح فعلهم ولأنهم اجترؤوا على قتلهم مع معرفتهم أنه بغير حق وذلك أقبح[(١)].

فائدة: قال هنا بغير الحق بالتعريف باللام للعهد لأنه قد تقررت الموجبات لقتل النفس، وقال في الموضع الآخر من آل عمران ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بالتنكير لاستغراق النفي لأن تلك نزلت في المعاصرين لمحمد ﷺ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ يحتمل أن يكون تأكيدا للأول وتكون الإشارة بذلك إلى القتل والكفر، والباء للتعليل أي اجترؤوا على الكفر وقتل الأنبياء لما[(٢)] انهمكوا في العصيان والعدوان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ الآية، قال ابن عباس[(٣)]: نسختها[(٤)] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ وقيل: معناها أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيمانا صحيحا فله أجره فيكون في حق المؤمنين الثبات إلى الموت وفي حق غيرهم الدخول في الإسلام فلا نسخ، وقيل: إنها فيمن كان قبل بعث النبي ﷺ فلا نسخ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو من آمن بدل ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبر إن.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها فرفع الجبل فوقهم، وقيل لهم: إن لم تأخذوها وقع عليكم. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ جد في العلم بالتوراة أو العمل بها.

---

(١) قوله: (وإنما نص عليه تشنيعا لقبح فعلهم ولأنهم اجترؤوا على قتلهم مع معرفتهم أنه بغير حق وذلك أقبح) ساقط من (أ) هنا وفيها زيادة: (وذلك أفصح).

(٢) في (ف): (لأنهم).

(٣) الطبري في جامع البيان: ٢/١٥٥، وابن أبي حاتم في تفسيه: ١/١٩٨ بإسناد حسن.

(٤) في (ف) و(ع): (نسخها).

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٤) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ (٦٥) فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٦٧) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ (٦٩)

﴿اعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ اصطادوا فيه الحوت وكان محرما عليهم ﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾ عبارة عن مسخهم وخاسئين صفة أو خبر ثان. ومعناه مبعدين كما يخسأ الكلب. ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ الضمير للفعلة وهي المسخ.

﴿نَكَالًا﴾ أي[1] عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، وقيل: عبرة لمن تقدم ومن[2] تأخر.

﴿أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ قصتها: أن رجلا من بني إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادعى على قوم أنهم قتلوه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضرب[3] القتيل ببعضها ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ثم عاد ميتا ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾ جفاء وقلة أدب وتكذيب ﴿فَارِضٌ﴾ مسنة ﴿بِكْرٌ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾ متوسطة ﴿بَيْنَ ذَالِكَ﴾ أي بين ما ذكر ولذلك قال ذلك مع الإشارة إلى شيئين.

﴿صَفْرَاءُ﴾ من الصفرة المعروفة، وقيل: سوداء وهو بعيد، والظاهر صفراء كلها، وقيل: القرن والظلف فقط، وهو بعيد ﴿فَاقِعٌ﴾ شديد[4] الصفرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ لحسن لونها، وقيل: لسمنها ومنظرها كله.

---

(١) قوله: (أي) ساقط من (ف).
(٢) قوله: (من) ساقط من (ف).
(٣) في (أ): (ويضربوا).
(٤) في (ف): (شديدة).

﴿لاَّ ذَلُولٌ﴾ غير مذللة للعمل ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي تحرثها وهو داخل تحت النفي على الأصح ﴿وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ لا يسقى عليها ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العمل أو من العيوب ﴿لاَّ شِيَةَ﴾ لا لمعة غير الصفرة وهو من وشى ففاؤه واو محذوفة كعدة ﴿اءَلْئَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ العامل في الضرب جئت بالحق، وقيل: العامل فيه مضمر تقديره: الآن تذبحها والأول أظهر، فإن كان قولهم أتتخذنا هزؤا هكذا فهذا تصديق وإن كان غير ذلك فالمعنى الحق المبين[(١)] ﴿وَمَا كَادُواْ﴾ لعصيانهم وكثرة سؤالهم أو لغلاء البقرة؛ فقد جاء أنها كانت ليتيم وأنهم اشتروها بوزنها ذهبا، أو لقلة وجود تلك الصفة؛ فقد روي[(٢)]: أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة أجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد عليهم.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً﴾ هو أول قصة البقرة فمرتبته التقديم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ قال الزمخشري[(٣)]: إنما أخر لتعدد توبيخهم لقصتين وهما ترك المسارعة إلى الأمر

---

(١) في (ف): (البين).

(٢) ابن كثير: ١/٢٠٨، وفيه أثر ضعيف عن أبي هريرة.

(٣) قال الزمخشري: فإن قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها، وأن يقال: وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها؟

قلت: كل ما قص من قصص بني إسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها، ولما جدد فيهم من الآيات العظام، وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين:

فالأولى: لتقريعهم على الاستهزاء، وترك المسارعة إلى الامتثال، وما يتبع ذلك.

والثانية: للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة.

وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل؛ لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض في تثنية التقريع.

ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها، أن وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح، في قوله: ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع، وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة. الكشاف: ١/١٨٢.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا
الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

حزب

وقتل النفس ولو قدم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد. ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾ أي اختلفتم وهو من المدارأة أي المدافعة ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من[1] أمر القتيل ومن قتله.

﴿اضْرِبُوهُ﴾ القتيل أو قريبه ﴿بِبَعْضِهَا﴾ مطلق، وقيل: الفخذ، وقيل: اللسان، وقيل: الذنب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى حياة القتيل واستدلال بها على الإحياء للبعث وقبله محذوف لا بد منه (تقديره)[2]: ففعلوا ذلك فقام القتيل.

فائدة: استدل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول: فلان قتلني وهو ضعيف؛ لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة، وقصته معجزة لنبي فلا يتأتى أن يكذب المقتول بخلاف غيره، واستدلوا أيضا بها على أن القاتل لا يرث ولا دليل فيها على ذلك.

﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ خطاب لبني إسرائيل ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد إحياء القتيل وما جرى في القصة من العجائب وذلك بيان لقبح قسوة[3] قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات ﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ عطف على موضع الكاف أو خبر ابتداء أي هي أشد وأو هنا إما للإبهام[4]

---

(١) قوله: (من) ساقط من (ف).

(٢) في (ف): (وهو).

(٣) في (ف): (قساوة).

(٤) في (أ): (للإيهام).

أو للتخيير كأن من علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة أو بما هو أشد قسوة كالحديد، أو التفضيل أي فهم أقسى، مع أن فعل القسوة ينبني منه أفعل لكون أشد أدل على فرط القسوة ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ الآية تفضيل الحجارة على قلوبهم ﴿يَهْبِطُ﴾ أي يتردى من علو إلى أسفل والخشية عبارة عن انقيادها، وقيل: حقيقة، وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿أَن يُؤْمِنُوا۟﴾ يعني اليهود وتعدى باللام لما تضمن معنى[1] الانقياد ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ السبعون الذي يسمع كلام الله على الطور ثم حرفوه، وقيل: بنو إسرائيل حرفوا التوراة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بيان لقبح حالهم[2].

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود وقيل قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا إلى أخبارهم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ توبيخ ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه: بما حكم عليهم من العقوبات وبما في كتبهم من ذكر محمد ﷺ وبما فتح الله عليهم من الفتح والإنعام. وكل وجه حجة عليهم ولذلك قالوا ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ قيل: في الآخرة، وقيل: أي في حكم ربكم وما أنزل في كتابه فعنده بمعنى حكمه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ من بقية كلامهم توبيخا لقولهم.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية من كلام الله ردا عليهم وفضيحة لهم.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ أي الذين لا يقرؤون ولا يكتبون فهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ والمراد قوم من اليهود، وقيل: من المجوس وهذا غير صحيح؛ لأن الكلام كله مع اليهود ﴿إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ تلاوة بغير فهم، أو أكاذيب وما تتمناه النفوس.

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تحقيق لافترائهم ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرض الدنيا من الرياسة والرشوة

(١) في (ف): (من).
(٢) في (ف): (فعلهم).

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

وغير ذلك. ﴿يَكْسِبُونَ﴾ من الدنيا أو هي الذنوب.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أربعين يوما عدد عبادتهم العجل، وقيل: سبعة أيام. ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ الآية تقرير يقتضي إبطال قولهم.

﴿بَلَىٰ﴾ تحقيق لطول مكثهم في النار ولقولهم ما لا يعلمون ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الآية في الكفار لأنها رد على اليهود ولقوله بعدها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار.

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ جواب لقسم يدل عليه الميثاق، وقيل: خبر بمعنى النهي ويرجحه قراءة لا تعبدوا[1] وقيل: الأصل بأن لا تعبدوا ثم حذفت الباء وأن ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ يتعلق بـ ﴿إِحْسَانًا﴾ أو بمحذوف تقديره: أحسنوا وأكد بإحسانا ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ جمع يتيم وهو من فقد والده قبل البلوغ، واليتيم من سائر الحيوان من فقد أمه، وجاء الترتيب في هذه الآية بتقديم الأهم فقدم الوالدين لحقهما الأعظم، ثم القرابة لأن فيهم أجر الإحسان وصلة الرحم ثم اليتامى لقلة حيلتهم ثم المساكين.

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ لا يسفك بعضكم دم بعض، وإعرابه مثل لا تعبدون ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾ لا يخرج بعضكم بعضا ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق واعترفتم

(١) قال ابن عطية في قراءة أبي ﴿لا تَعْبُدُوا﴾ المحرر الوجيز: ١٥٣/١ ط دار الكتب العلمية ـ لبنان. ١٤١٣هـ الطبعة: الأولى تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

بلزومه ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بأخذ الميثاق عليكم.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ منصوب على التخصيص بفعل مضمر، وقيل: هؤلاء مبتدأ وخبره أنتم وتقتلون حال لازمة تم بها المعنى ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ كانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه وينفيه من موضعه إذا ظفر به ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ أي تتعاونون ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ قرئ بالألف وحذفها[1] والمعنى واحد، وكذلك أسارى بالألف[2] وحذفها جمع أسير ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الضمير للإخراج من ديارهم وهو مبتدأ وخبره محرم، وإخراجهم بدل والضمير للأمر والشأن وإخراجهم مبتدأ ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فداؤهم الأسارى موافقة لما في كتبهم ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ القتل والإخراج من الديار مخالفة لما في كتبهم. ﴿خِزْيٌ﴾ الجزية أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم أو مطلق.

﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي جئنا من بعده بالرسل وهو مأخوذ من القفا أي

(١) قال محمد بن الجزري: واختلفوا في ﴿تفدوهم﴾ فقرأ المدنيان وعاصم والكسائي ويعقوب ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ بضم التاء وألف بعد الفاء. وقرأ الباقون بفتح التاء وسكون الفاء من غير ألف. النشر: ٢/٢٤٨.

(٢) ﴿أُسَٰرَىٰ﴾ قرأ حمزة ﴿أسرى﴾ بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف وقرأ الباقون بضم الهمزة وألف بعد السين. المصدر السابق.

جاء بالثاني في قفا الأول ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك ﴿رُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل وقيل: الإنجيل، وقيل: الاسم الذي كان يحيي به الموتى والأول أرجح لقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ ولقوله ﷺ لحسان: «اللهم أيده بروح القدس»[1] ﴿تَقْتُلُونَ﴾ جاء مضارعا مبالغة لأنه أبد استحضاره في النفوس أو لأنهم حاولوا قتل محمد ﷺ لولا أن الله عصمه.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

ربع

﴿غُلْفٌ﴾ جمع أغلف أي عليها غلاف وهو الغشاء فلا تفقهه ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ رد عليهم وبيان أن عدم فقههم بسبب كفرهم ﴿فَقَلِيلًا﴾ أي إيمانا قليلا ﴿مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ما زائدة ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم أو على أصلها لأن من دخل منهم في الإسلام قليل، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض.

﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هو القرآن ﴿مُصَدِّقٌ﴾ تقدم أن له ثلاثة معان ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي ينتصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان، ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظل زمان نبي يخرج فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، وقيل: يستفتحون أي يعرفون الناس النبي ﷺ والسين على هذا للمبالغة كما[2] في استعجب واستسخر وعلى الأول للطلب ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ القرآن والإسلام ومحمد ﷺ، قال المبرد: كفروا جواب

(١) سنن النسائي الحديث رقم: (٧٠٩)، ومسند الإمام أحمد الحديث رقم: (٢٠٩٢٦).
(٢) في (ف): (كالسين).

لما الأولى والثانية، وأعيدت الثانية لطول الكلام ولقصد التأكيد، وقال الزجاج: كفروا جواب لما الثانية وحذف جواب الأولى للاستغناء عنه بذلك[١]، وقال الفراء: جواب لما الأولى فلما وجواب الثانية كفر ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي عليهم يعني اليهود ووضع الظاهر موضع المضمر ليدل أن اللعنة بسبب كفرهم واللام للعهد أو للجنس فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار.

﴿بِئْسَمَا﴾ فاعل بئس مضمر وما مفسرة له و﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ هو المذموم وقال الفراء بئسما مركب كحبذا، وقال الكسائي: ما مصدرية أي اشتراؤهم فهي فاعلة ﴿ٱشْتَرَوْاْ﴾ هنا بمعنى باعوا ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ في موضع خبر ابتداء أو مبتدأ كاسم المذموم في بئس أو مفعول من أجله أو بدل من الضمير في به ﴿بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن أو التوراة لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد ﷺ ﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ في موضع مفعول من أجله ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ القرآن والرسالة ﴿مَن يَشَآءُ﴾ يعني محمدا ﷺ والمعنى أنهم إنما كفروا حسدا لمحمد ﷺ لما تفضل الله عليه بالرسالة ﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ لعبادتهم العجل أو لقولهم عزير ابن الله أو لغير[٢] ذلك من قبائحهم.

﴿بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي بما بعده وهو القرآن. ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ رد عليهم فيما ادعوا من الإيمان بالتوراة وتكذيب لهم، وذكر الماضي بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته فكأنه دائم لما رضي هؤلاء به ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرطية بمعنى القدح في إيمانهم وجوابها يدل عليه ما قبل، أو نافية فيوقف قبلها، والأول أظهر.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني المعجزات كالعصا وفلق البحر وغير ذلك. ﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ ذكر هنا على وجه الذم لهم والإبطال لقولهم نؤمن بما أنزل علينا وكذلك

(١) في (أ): (لذلك).
(٢) في (ف): (ولغير ذلك).

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ
مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ
مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

رفع الطور وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم لقوله ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وعطفه بثم في الموضعين إشارة إلى قبح ما فعلوه من ذلك. ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ الضمير لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أي من بعد غيبته في مناجاة الله على جبل الطور.

﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي سمعنا قولك وعصينا أمرك ويحتمل أن يكونوا[1] قالوه بلسان المقال أو بلسان الحال ﴿وَأُشْرِبُوا﴾ عبارة عن تمكن حب العجل من قلوبهم فهو مجاز تشبيها بشرب الماء أو بشرب الصبغ في الثوب وفي الكلام محذوف أي أشربوا حب العجل، وقيل: إن موسى برد العجل بالمبرد ورمى برادته في الماء فشربوه فالشرب على هذا حقيقة، ويرد هذا قوله في قلوبهم ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ الباء سببية للتعليل أو بمعنى المصاحبة ﴿يَأْمُرُكُم﴾ إسناد الأمر إلى إيمانهم فهو مجاز على وجه التهكم فهو[2] كقوله ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ كذلك إضافة الإيمان إليهم. ﴿إِن كُنتُم﴾ شرط أو نفي.

﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ بالقلب واللسان أو باللسان خاصة وهذا أمر على وجه التعجيز والتبكيت؛ لأنه من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها، وروي أنهم لو تمنوا الموت لماتوا، وقيل: إن ذلك معجزة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دامت طول حياته.

(١) قوله: (يكونوا) ساقط من (ف).

(٢) قوله: (فهو) ساقط من (ف).

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ إن قيل: لم قال في هذه السورة ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ وفي سورة الجمعة ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥ﴾ فنفى هنا بلن وفي الجمعة بلا؟ فقال أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير، الجواب: أنه لما كان الشرط في المغفرة مستقبلا وهو قوله ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ جاءت جوابه بلن التي تخلص الفعل للاستقبال، ولما كان الشرط في الجمعة حالا وهو قوله ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ جاء جوابه بلا التي تدخل على الحال أو تدخل على المستقبل، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ أي لسبب ذنوبهم وكفرهم ﴿عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تهديد لهم ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون عطفا على ما قبله فيوصل به. والمعنى أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا فحمل على المعنى كأنه قال أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وخص الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبهم للحياة الدنيا.

والآخر: أن يكون من الذين أشركوا ابتداء كلام فيوقف على ما قبله والمعنى من الذين أشركوا قوم ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فحذف الموصوف وقيل: أراد به المجوس لأنهم يقولون لملوكهم عش ألف سنة، والأول أظهر لأن الكلام إنما هو في اليهود وعلى الثاني يخرج الكلام عنهم. ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ﴾ الآية فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون هو عائد على أحدهم وأن يعمر فاعل لمزحزحه.

والآخر: أن يكون هو للتعمير وأن يعمر بدل.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية سببها[1]: أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) صحيح من حديث ابن عباس أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣١١٧)، وأحمد في مسنده: ١/٢٧٤، والطبري في جامع البيان: ٢/٣٧٧، وابن كثير في تفسير: ١/٢٤٢.

جبريل عدونا لأنه ملك الشدائد والعذاب فلذلك لا نؤمن به ولو جاءك ميكائيل لآمنا بك لأنه ملك الأمطار والرحمة ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فإن الله نزل جبريل.

والآخر: فإن جبريل نزل القرآن وهذا أظهر لأن قوله ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من أوصاف القرآن، والمعنى: الرد على اليهود بأحد وجهين:

أحدهما: من كان عدوا لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديه لأنه نزله على قلبك فهو مستحق للمحبة ويؤكد هذا قوله ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾.

والثاني: من كان عدوا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزله على قلبك فكان هذا التعليل[١] لعداوتهم لجبريل.

﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ ذكرا بعد الملائكة تجديدا[٢] للتشريف والتعظيم.

﴿أَوَكُلَّمَا﴾ الواو للعطف، وقال[٣] الأخفش: زائدة. ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ نزلت[٤] في مالك بن الضيف اليهودي وكان قد قال والله ما أخذ علينا عهد أن نؤمن بمحمد رسول يعني محمدا ﷺ.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن أو التوراة لما فيها من ذكر محمد ﷺ.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ أي اليهود الذين في زمن النبي ﷺ أو المتقدمون. ﴿مَا تَتْلُوا۟﴾ هو من القراءة أو الاتباع[٥] ﴿عَلَىٰ مُلْكِ﴾ أي في ملك أو عهد ملك سليمان ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ تبرئة له مما نسبوه إليه وذلك أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ دفن السحر

---

(١) في (ف): (تعليلا).
(٢) في (ف): (تجريدا).
(٣) في (أ): (قال).
(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢/٤٠٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١/٢٥٩ بسند ضعيف.
(٥) في (ف): (والاتباع).

• وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ
وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا
وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا
انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

ليذهبه فأخرجوه بعد موته ونسبوه إليه وقالت اليهود إنما كان سليمان ساحرا، وقيل: إن الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنه فلما مات قالوا ذلك علم سليمان ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ بتعلم[1] السحر وبالعمل به أو بنسبته إلى سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ نفي أو عطف على السحر أو على ما تتلوا ﴿ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ إن كانت ما نافية فذلك تبرئة لهما من إنزال السحر عليهما، إلا أن ذلك يرده آخر الآية، وإن كانت معطوفة بمعنى الذي فالمعنى أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر ابتلاء من الله لعباده، أو ليعرف فيحذر وقرئ الملكين بكسر اللام[2]، وقال الحسن[3]: هما علجان فعلى هذا يتعين أن تكون ما غير نافية. ﴿بِبَابِلَ﴾ موضع معروف ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ اسمان علمان بدل من الملكين أو عطف بيان. ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ﴾ أي محنة وذلك تحذير من السحر.

﴿فَلَا تَكۡفُرۡ﴾ أي بتعليم[4] السحر، ومن هنا أخذ مالك أن الساحر يقتل

---

(١) في (ف): (بتعليم).

(٢) قال الزمخشري: وقرأ الحسن ﴿عَلَى ٱلۡمَلِكَيۡنِ﴾ بكسر اللام على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل الكشاف: ١/١٩٨.

(٣) تفسير بن أبي حاتم: ١/١٨٩، والجامع لأحكام القرآن: ٢/٥٢، والبحر المحيط: ١/٤٩٧.

(٤) في (ف): (أي فلا يتعلم).

كفرا[١] ﴿يُفَرِّقُونَ﴾ زوال العصمة أو المنع من الوطء ﴿يَضُرُّهُمْ﴾ أي في الآخرة ﴿عَلِمُواْ﴾ أن اليهود والشياطين أي اشتغلوا به وذكر الشري لأنهم كانوا يعطون الأجرة عليه ﴿شَرَوْاْ﴾ هنا بمعنى باعوا.

﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ من الثواب وهو جواب لو أنهم وإنما جاء جوابها بجملة اسمية وعدل عن الفعلية لما في ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره، وقيل: الجواب محذوف أي لأثيبوا ﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ في الموضعين نفي لعلمهم، فإن قيل: كيف نفاه وقد أثبته في قوله ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾؟ فالجواب: أنه لم ينفعهم علمهم فكأنهم لم يعلموا.

﴿لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ يا رسول الله راعنا، وذلك من المراعاة أي راقبنا وانظرنا فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذاية للنبي ﷺ، وربما كانوا يقولونها على معنى النداء فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون وما[٢] قصده اليهود، فالنهي سدا للذريعة وأمروا أن يقولوا انظرنا لخلوه عن ذلك الاحتمال المذموم فهو من النظر والانتظار، وقيل: إنما نهى الله المسلمين عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير ﴿وَاسْمَعُواْ﴾ عطف على قولوا لا على معمولها، والمعنى الأمر بالطاعة والانقياد.

﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جنس يعم نوعين أهل الكتاب والمشركين من العرب، ولذلك فسره بهما ومعنى الآية أنهم لا يحبون أن ينزل الله خيرا على المسلمين ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ من للتبعيض، وقيل: زائدة لتقدم النفي في قوله ما يود. ﴿بِرَحْمَتِهِ﴾ قيل: القرآن، وقيل: النبوءة والعموم أولى، ومعنى الآية الرد على من

---

(١) الاستذكار لابن عبد البر: ١٦١/٨، والمنتقى للباجي: ٢٨٠/٦.

(٢) قوله: (ما) ساقط من (أ).

ربع

مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨) وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا
وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
(١٠٩) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
(١١٠) وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)

كره الخير للمسلمين.

﴿مَا نَنسَخْ﴾ نزيل حكمه ولفظه أو أحدهما وقرئ بضم النون[١] أي نأمر بنسخه ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ من النسيان وهو ضد الذكر أي ينساها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإذن الله كقوله ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أو بمعنى الترك أي نتركها غير منزلة أي غير منسوخة. وقرئ بالهمز[٢] بمعنى التأخير أي نؤخر إنزالها أو نسخها ﴿بِخَيْرٍ﴾ في خفة العمل أو في الثواب ﴿قَدِيرٌ﴾ استدلال على جواز النسخ لأنه من المقدورات خلافا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله وهو جائز عقلا وواقع[٣] شرعا، فكما نسخت شريعتهم ما قبلها نسخها ما بعدها.

﴿تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ أي تطلبوا الآيات، ويحتمل السؤال عن العلم، والأول أرجح لما بعده فإنه شبهه بسؤالهم لموسى وهو قولهم له: أرنا الله جهرة.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي تمنوا ونزلت الآية[٤] في حيي بن أخطب

---

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ فقرأ ابن عامر من غير طريق الداجوني عن هشام بضم النون الأولى وكسر السين. وقرأ الباقون بفتح النون والسين. انظر النشر: ٢/٢٥٠.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿نُنسِهَا﴾ فقرأه ابن كثير وأبو عمرو بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بين السين والهاء. وقرأ الباقون ﴿نُنسِهَا﴾ بضم النون وكسر السين من غير همزة. المصدر السابق.

(٣) في (ف): (واقع).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢/٤٩٩ بسند ضعيف.

وأمية بن ياسر وأشباههما من اليهود الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام ﴿حَسَدًا﴾ مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال والعامل فيه ما قبله فيجب وصله معه، وقيل: هو مصدر والعامل فيه محذوف تقديره: يحسدونكم حسدا فعلى هذا يوقف على ما قبله. والأول أظهر وأرجح. ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ يتعلق بحسدا، وقيل: بيود ﴿فَاعْفُواْ﴾ منسوخ بالسيف ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ يعني إباحة قتالهم أو وصول آجالهم.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾ الآية أي قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ﴿هُودًا﴾ يعني اليهود وهذه الكلمة جمع هايد، أو مصدر وصف به، وقال الفراء: (أصله يهودي[١] فحذفت منه الياء على غير قياس) ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ أكاذيبهم أو ما يتمنونه ﴿هَاتُواْ﴾ أمر على وجه التعجيز والرد عليهم وهو من هاتى يهاتي ولم يُنطق به، وقيل: أصله آتوا وأبدل من الهمزة هاء.

﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما نفوا: أي يدخلها[٢] من ليس يهوديا ولا نصرانيا ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي دخل في الإسلام وأخلص وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية سببها[٣] اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة فذمت كل طائفة الأخرى ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ﴾ تقبيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه الاستفهام ومعناه لا أحد أظلم منه حيث وقع. ﴿مَسَاجِدَ

---

(١) قوله: (أصله يهودي) ساقط من (أ) وعبارة هذه النسخة: وقال الفراء حذفت منه ياء يهودا على غير قياس.

(٢) في (ف): (يدخلوها).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥١٣/٢، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٣٣٨/١ بسند ضعيف.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ
اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ
قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ
قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

اللَّهِ﴾ قريش منعت الكعبة أو النصارى منعوا بيت المقدس أو على العموم ﴿خَآئِفِينَ﴾ في حق قريش لقوله ﷺ: «لا يحج بعد هذا العام مشرك»[١] وفي حق النصارى ضربهم عند بيت المقدس أو الجزية ﴿خِزْيٌ﴾ في حق قريش غلبتهم وفتح مكة وفي حق النصارى فتح بيت المقدس أو الجزية.

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ في الحديث الصحيح أنهم صلوا ليلة في سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة فنزلت[٢] وقيل: هي في نفل المسافر حيث ما توجهت به دابته وقيل: هي راجعة إلى ما قبلها أي إن منعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم، وقيل: إنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة فهي كقوله بعد هذا ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية والقول الأول هو الصحيح، ويؤخذ منه أن من أخطأ القبلة فلا تجب عليه الإعادة وهو مذهب مالك. ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ المراد به هنا رضاه[٣] كقوله ﴿ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ أي رضاه، وقيل: معناه الجهة التي وجهه إليها وأما قوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف ويرد علمه إلى الله، وقال الأصوليون: هو عبارة عن الذات أو عن الوجود، وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع.

(١) روي بألفاظ قريبة من هذا اللفظ انظر الترمذي الحديث رقم: (١٩٨)، ومسند الإمام أحمد الحديث رقم: (٥٦٠)، ومصنف ابن أبي شيبة: ٤/٤٢٠.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٢/٥٣١ بسند ضعيف.

(٣) قوله: (رضاه) ساقط من (ف).

﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ﴾ قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقال[1]: الصابئون وبعض العرب الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيه له عن قولهم ﴿بَل لَّهُ﴾ الآية رد عليهم لأن الكل ملكه والعبودية تنافي البنوة ﴿قَانِتُونَ﴾ أي طائعون منقادون.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ﴾ أي مخترعها وخالقها ابتداء ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي قدره وأمضاه، قال ابن عطية[2]: يتحد في الآية المعنيان فعلى مذهب أهل السنة قدر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد.

قلت: لا يكون قضى هنا بمعنى قدر؛ لأن القدر قديم و(إذا) تقتضي الحدوث والاستقبال وذلك يناقض القدم، وإنما قضى هنا بمعنى أمضى أو فعل أو أوجد[3] كقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ وقد قيل: إنه بمعنى ختم الأمر وبمعنى حكم، والأمر هنا بمعنى الشيء وهو واحد الأمور، وليس بمصدر أمر يأمر ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ قال الأصوليون: إن هذا[4] عبارة عن نفوذ قدرة الله تعالى وليس بقول حقيقي لأنه إن كان قول كن خطابا للشيء في حال عدمه لم يصح؛ لأن المعدوم لا[5] يخاطب، وإن كان خطابا في حال وجوده لم يصح؛ لأنه قد كان وتحصيل الحاصل غير مطلوب، وحمله المفسرون على حقيقته وأجابوا عن ذلك بأربعة أجوبة[6]:

أحدها: أن الشيء الذي يقول الله[7] له كن فيكون هو موجود في علم الله،

---

(١) في (ف): (وقالت الصابئة).
(٢) المحرر الوجيز: ١/١٨٧.
(٣) في (أ): (وجد).
(٤) في (أ): (هذه).
(٥) في (أ): (لم).
(٦) في (ف): (بأربعة أوجه).
(٧) قوله: (اسم الجلالة) لا يوجد في (ف) و(ع).

وإنما يقول له كن ليخرجه إلى العيان لنا.

والثاني: أن قوله كن لا يتقدم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه قاله الطبري[١].

والثالث: أن ذلك خطاب لمن كان موجودا على حالة فيأمر بأن يكون على حالة أخرى كإحياء الموتى ومسخ الكفار، وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصص.

والرابع: أن معنى يقول له يقول من أجله فلا يلزم خطابه والأول أحسن هذه الأجوبة.

وقال ابن عطية[٢]: تلخيص المعتقد في هذه الآية أن الله ﷻ لم يزل آمرا للمعدومات بشرط وجودها، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن فيكون رفع على الاستئناء، قال سيبويه: معناه فهو يكون، وقال غيره: يكون عطف على يقول واختاره الطبري[٣]، وقال ابن عطية[٤]: وهو فاسد من جهة المعنى ويقتضي أن القول مع التكوين والوجود وفي هذا نظر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم هنا وفي الموضع الأول كفار العرب على الأصح، وقيل هنا[٥] هم اليهود والنصارى ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ لولا هنا عرض والمعنى: أنهم قالوا لن نؤمن حتى يكلمنا الله ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ أي دلالة من المعجزات كقولهم ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ وما بعده

---

(١) الطبري: ٢/٥٤٧.
(٢) المحرر الوجيز: ١/١٨٨.
(٣) جامع البيان: ٢/٥٤٩.
(٤) المحرر الوجيز: ١/١٨٧.
(٥) قوله: (هنا) ساقط من (أ).

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ يعني اليهود والنصارى على القول بأن الذين لا يعلمون كفار العرب، وأما على القول بأن الذين لا يعلمون اليهود والنصارى فالذين من قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الضمير للذين لا يعلمون وللذين من قبلهم وتشابه قلوبهم في الكفر أو في طلب ما لا يصح أن يطلب وهو كقولهم لولا يكلمنا الله ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ﴾ أخبر تعالى أنه قد بين الآيات الدالة على وحدانيته وصدق رسوله عليه الصلاة والسلام فكيف تطلب الآيات بعد بيانها ولكن إنما فهمها الذين يوقنون فلذلك خصهم بالذكر بخلاف الكفار المعاندين فإنهم لا تنفعهم الآيات[١] لعنادهم.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ خطاب للنبي ﷺ والمراد بالحق التوحيد وكل ما جاءت به الشريعة ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكافرين بالنار وهذا معنى حديث وقع ﴿وَلَا تَسْـَٔلْ﴾ بالجزم نهي، وسببها: أن النبي ﷺ سأل عن حال آبائه في الآخرة فنزلت[٢].

وقيل: إن ذلك على معنى التهويل كقولك لا تسأل عن فلان لشدة حاله، وقرأ غير نافع[٣] بضم التاء واللام أي لا تسأل في القيامة عن ذنوبهم.

(١) قوله: (الدالة على وحدانيته... فإنهم لا تنفعهم الآيات) ساقط من (أ).

(٢) قال أبو حيان في البحر المحيط: قال محمد بن كعب القرظي: قال النبي ﷺ: ليت شعري ما فعل أبواي؟ فنزلت، واستبعد في المنتخب هذا لأنه عالم بما آل إليه أمرهما، وقد ذكر عياض: أنهما أحيا له فأسلما، وقد صح أن الله أذن له في زيارتهما، واستبعد أيضا ذلك لأن سياق الكلام يدل على أن ذلك عائد على اليهود والنصارى ومشركي العرب الذين جحدوا نبوءته، وكفروا عنادا وأصروا على كفرهم، وكذلك جاء بعده: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ إلا إن كان ذلك على سبيل الانقطاع من الكلام الأول ويكون من تلوين الخطاب. وهو بعيد. انظر البحر المحيط: ٥٨٩/١.

(٣) قال ابن الجزري في النشر: ٢٥١/٢ ﴿وَلَا تَسْـَٔلْ﴾ قرأ نافع ويعقوب بفتح التاء وجزم اللام على النهي. وانظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه: ٨٧/١.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا
لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا
ربع شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ
فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

﴿مِلَّتَهُمْ﴾ ذكرت[1] مفردة وإن كانت ملتين لأنهما متفقتان في الكفر فكأنهما ملة واحدة ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[2] رد على[3] اليهود والنصارى والمعنى أن الذي أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقي؛ لأنه هدى من عند الله بخلاف ما يدعيه اليهود والنصارى ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ جمع هوى ويعني به ما هم عليه من الأديان الفاسدة والأقوال المضلة لأنهم اتبعوها بغير حجة بل بهوى النفوس والضمير لليهود والنصارى والخطاب لمحمد ﷺ، وقد علم الله أنه لا يتبع أهواءهم، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك فهو على معنى الفرض والتقدير، ويحتمل أن يكون خطابا له ﷺ والمراد غيره.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني المسلمين والكتاب على هذا القرآن، وقيل: هم من أسلم من بني إسرائيل والكتاب على هذا هو[4] التوراة، ويحتمل العموم ويكون الكتاب اسم جنس ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي يقرؤونه كما يجب من التدبر له والعمل به، وقيل: معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه

---

(١) في (أ): (ذكرها).

(٢) في (أ): (﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾).

(٣) في (أ): (لا ما عليه اليهود).

(٤) قوله: (هو) ساقط من (أ).

والأولى أظهر فإن التلاوة وإن كانت تقال بمعنى القراءة وبمعنى الاتباع فإنها[١] أظهر في معنى القراءة لا سيما إذا كانت تلاوة الكتاب، ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع خبر الذين فيتم الكلام فيوقف عليها ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع[٢] الحال ويكون الخبر أولئك يؤمنون وهذا أرجح؛ لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الآية تقدم الكلام على نظيرتها.

﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ﴾ أي اختبر، فالعامل في إذ فعل مضمر تقديره اذكروا، وقوله: ﴿بِكَلِمَٰتٖ﴾ قيل: مناسك الحج، وقيل: خصال الفطرة العشرة، وهي: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، وإعفاء اللحية، وقص الأظافر، ونتف الإبطين، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء، وقيل: هي ثلاثون خصلة عشر ذكرت في براءة من قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ وعشر في الأحزاب من قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ وعشر في المعارج من قوله ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾. ﴿فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ أي عمل بهن ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ استفهام أو رغبة ﴿عَهۡدِي﴾ الإمامة[٣].

﴿ٱلۡبَيۡتَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةٗ﴾ اسم مكان من قولك ثاب إذا رجع لأن الناس يرجعون إليه عاما بعد عام ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ بالفتح[٤] إخبار عن المتبعين لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وبالكسر إخبار لهذه الأمة وافق قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥] لو اتخذت من مقام

---

(١) في (أ): (فإنه).

(٢) قوله: (خبر الذين فيتم الكلام فيوقف عليها ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع) ساقط من (أ).

(٣) في (ع): (الأمانة).

(٤) قال ابن الجزري: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر وقرأ الباقون بكسرها على الأمر. النشر: ٢/٢٥٣.

(٥) صحيح ويرويه عنه أنس بن مالك ولفظه: قال وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ وآية الحجاب قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر=

إبراهيم مصلى، وقيل: أمر لإبراهيم وشيعته، وقيل: لبني إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ وهذا بعيد ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الحجر الذي صعد به حين بناء[1] الكعبة، وقيل: المسجد الحرام ﴿وَعَهِدْنَا﴾ عبارة عن الأمر والوصية ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ عبارة عن بنيانه بنية خالصة كقوله: ﴿أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾، وقيل: المعنى طهراه عن عبادة الأصنام ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ هم الذين يطوفون بالكعبة، وقيل: الغرباء القادمون المصلون، وقيل: المجاورون بمكة من الغرباء، وقيل: أهل مكة، والعكوف في اللغة اللزوم.

﴿بَلَدًا﴾ يعني مكة. ﴿آمِنًا﴾ أي مما يصيب غيره من الخسف والعذاب، وقيل: آمنا من إغارة الناس على أهله؛ لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض وكانوا لا يتعرضون لأهل مكة وهذا أرجح لقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ فإن قيل: لم قال في البقرة ﴿هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾، وفي إبراهيم ﴿هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾[2] فعرف في إبراهيم ونكر في البقرة أجيب عن ذلك بثلاثة[3] أجوبة:

الجواب الأول: قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير وهو أنه تقدم في البقرة ذكر البيت في قوله: ﴿الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه فلم يحتج إلى تعريف بخلاف آية إبراهيم فإنها لم يتقدم قبلها ما

= والفاجر فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ فنزلت هذه الآية. أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٠٢)، والترمذي الحديث رقم: (٢٩٦٠)، والطبري في جامع البيان: ٣٠/٣، وموافقات عمر أكثر من هذا وقد جمعها السيوطي في نظم سماه: «قطف الثمر في موافقات عمر» انظر الحاوي للفتاوي: ٥٨/٢.

(١) في (ف) و(ع): (بنى).

(٢) قوله: (وفي إبراهيم: ﴿هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾) ساقط من (أ).

(٣) في (ف): (فعن ذلك ثلاثة).

يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به فذكره بلام التعريف.

الجواب الثاني: قاله السهيلي، وهو: أن النبي ﷺ كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم لأنها مكية فلذلك[١] قال فيه البلد بلام التعريف التي للحضور كقولك: هذا الرجل وهو حاضر بخلاف آية البقرة فإنها مدنية ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور، وفي هذا نظر؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة.

الجواب الثالث: قاله بعض المشارقة أنه قال هذا بلدا آمنا قبل أن يكون بلدا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلدا آمنا، وقال هذا البلد بعد ما صار بلدا وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين والظاهر أنه مرة واحدة حكي لفظه فيها على وجهين ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل بعض من كل ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي قال الله وأرزق من كفر لأن الله يرزق في الدنيا المؤمن والكافر ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ على حذف القول أي يقولان ذلك.

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي[٢] علمنا موضع الحج، وقيل: العبادات ﴿فِيهِمْ﴾ أي في ذريتنا ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ؛ ولذلك قال ﷺ: «أنا دعوة أبي[٣] إبراهيم»[٤] والضمير المجرور لذرية إبراهيم وإسماعيل وهم العرب الذين هم[٥] من نسل عدنان وأما الذين من نسل[٦] قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا.

---

(١) في (أ): (فلهذا).

(٢) قوله: (أي) ساقط من (أ).

(٣) قوله: (أبي) ساقط من (ف) و(ع).

(٤) انظر تفسير الألوسي: ١٤/٢٥٥، والبغوي: ١/١٥١، والبحر المحيط: ٢/٢٠٤، وهو بلفظ قريب من هذا في الطبري: ١/٤٤٣.

(٥) قوله: (هم) ساقط من (ف) و(ع).

(٦) قوله: (نسل) ساقط من (أ).

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا
مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن
مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

ثمن

﴿ءَايَـٰتِكَ﴾ هنا القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ هنا[1] هي السنة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهرهم من الكفر والذنوب.

﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ منصوب على التشبيه بالمفعول به، وقيل: الأصل في نفسه ثم حذف الجار فانتصب، وقيل: تمييز.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ أي بالكلمة والملة ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بالرفع عطف على إبراهيم فهو موصي[2]، وقرئ[3] بالنصب عطف[4] على بنيه فهو موصَى.

﴿أَمْ كُنتُمْ﴾ أم هنا منقطعة معناها الاستفهام والإنكار وإسماعيل كان عمه والعم يسمى أبا.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟﴾ أي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى. ﴿بَلْ مِلَّةَ﴾ منصوب بإضمار فعل.

﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ أي لا نؤمن بالبعض دون البعض وهذا برهان لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبي؛ فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض.

---

(١) قوله: (هنا) ساقط من (ف).

(٢) بصيغة اسم الفاعل.

(٣) قال الزمخشري: ويعقوب عطف على إبراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا وقرئ ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ بالنصب عطفا على بنيه. الكشاف: ٢١٧/١.

(٤) في (أ): (عطفا بالنصب).

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ وعد ظهر مصداقه فقتل بني قريظة وأجلى بني النضير وغير ذلك.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي دينه، وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره، ونصبه على الإغراء وعلى المصدر من المعاني المتقدمة أو بدل من ملة إبراهيم.

﴿كَتَمَ شَهَادَةً﴾ هي[(١)] الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق بكتم أو كأن المعنى شهادة تخلصت له من الله.

﴿سَيَقُولُ﴾ ظاهره الإعلام بقولهم قبل وقوعه إلا أن ابن عباس قال[(٢)] نزلت بعد قولهم. ﴿السُّفَهَاءُ﴾ هنا اليهود أو المشركون أو المنافقون ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي ما ولى المسلمين ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ الأولى وهي بيت المقدس إلى لكعبة ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية[(٣)] رد عليهم لأن الله يحكم ما يريد ويولي عباده حيث شاء لأن الجهات كلها له.

---

(١) في (أ): (من).

(٢) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ: ١/٤٤٥، والطبري في جامع البيان: ٢/٥٢٧، والبيهقي في الكبرى: ٢/١٢ قال السيوطي في اللباب: ، ص: ١٦ إسناده قوي والمعنى أيضا يساعده، وضعفه أحمد شاكر بالانقطاع كما في تعليقه على الطبري: ٢/٥٢٨ ثم قال: لكن معناه ثابت عن ابن عباس من وجه صحيح.

(٣) قوله: (الآية) ساقط من (أ).

حزب

• سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا
عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا
جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ
هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ
آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ بعد ما هديناكم ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي خيارا ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي بأعمالكم قال[1] رسول الله ﷺ: أقول كما قال أخي عيسى ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾[2] الآية، فإن قيل: لم قدم المجرور في قوله ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وأخره في قوله ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؟

فالجواب: أن تقديم المعمولات يفيد الحصر فقدم المجرور في قوله ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ لاختصاص شهادة النبي ﷺ بأمته، ولم يقدمه في قوله ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ لأنه لم يقصد الحصر ﴿الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الكعبة وهو قول ابن عباس

والآخر: هو بيت المقدس وهو قول قتادة وعطاء والسدي وهذا مع ظاهر قوله ﴿كُنتَ عَلَيْهَا﴾ لأن النبي ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس ثم انصرف عنه إلى الكعبة وأما قول ابن عباس فتأويله بوجهين:

الأول: أن كنت بمعنى أنت.

---

(١) في (أ): (قال عليه الصلاة والسلام).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٣٤٩) كتاب الأنبياء ومسلم الحديث رقم: (٢٨٦٠)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٢٤٢٣)، وأحمد في مسنده: ١/٢٢٠.

والثاني: قيل: إن النبي ﷺ صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس[(١)] وإعراب التي كنت عليها مفعول بجعلنا أو صفة للقبلة ومعنى الآية على القولين اختبار وفتنة للناس بأمر القبلة، وأما على قول قتادة فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب لأنهم كانوا يعظمون الكعبة أو فتنة لمن أنكر تحويلها وتقديره على هذا: ما جعلنا صرف القبلة، أما على قول ابن عباس فإن الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود لأنهم يعظمون بيت المقدس وهم مع ذلك ينكرون النسخ فأنكروا صرف القبلة، أو فتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة.

﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي العلم الذي تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر في الوجود ما علمه الله ﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ عبارة عن الارتداد عن الإسلام وهو تشبيه بمن رجع يمشي إلى وراء ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ إن مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهي التحول عن القبلة ﴿إِيمَانَكُمْ﴾ قيل: صلاتكم إلى بيت المقدس واستدل به من قال إن الأعمال من الإيمان، وقيل: معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة.

﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ كان النبي ﷺ يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة. ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾ جهة.

﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ خبر يتضمن النهي. ووحدت قبلتهم وإن كانت جهتين لاستوائهما في البطلان. ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأن اليهود لعنهم الله يستقبلون المغرب والنصارى المشرق.

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي يعرفون القرآن، أو النبي ﷺ، أو أمر القبلة[(٢)] ﴿كَمَا

---

(١) قال ابن عبد البر: وقد ذكر ابن شهاب أن في صلاته بمكة اختلافا قيل كانت صلاته إلى الكعبة وقيل: إلى بيت المقدس. التمهيد: ٨/٤٩.

(٢) الطبري في جامع البيان: ١/٢٥٥ رقم: (٢٢٦١).

الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن
رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ۞ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا
اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ
يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَٰبَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي
أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ مبالغة في وصف المعرفة، وقال عبد الله بن سلام: معرفتي بالنبي ﷺ أشد من معرفتي بابني؛ لأن ابني قد يمكن فيه الشك[(١)].

﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي لكل أحد أو لكل طائفة ﴿وِجْهَةٌ﴾ أي جهة، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان، وقيل: إنه مصدر وثبت فيه الواو على غير قياس ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي موليها وجهه، وقرئ[(٢)] مولاها أي

(١) قال البغوي في معالم التنزيل: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ﴾يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يعني يعرفون محمدا ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ من بين الصبيان، قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام إن الله قد أنزل على نبيه ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ فكيف هذه المعرفة؟ قال عبد الله: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرفت ابني ومعرفتي بمحمد ﷺ أشد من معرفتي بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد إنه رسول الله حق من الله تعالى وقد نعته الله في كتابنا، ولا أدري ما تصنع النساء، فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت: ١/١٦٤، والبحر المحيط: ١/٦٠٩، وأخرجه الثعلبي من حديث ابن عباس. وفيه الكلبي وهو كذاب الفتح السماوي: ١/١٩٥. انظر: الوسيط للواحدي: ١/٢١٥، أسباب النزول له أيضا، ص: ٤٠.

(٢) قال ابن الجزري: قرأ ابن عامر ﴿مولاها﴾ بفتح اللام وألف بعدها أي مصروف إليها. وقرأ الباقون بكسر اللام وياء بعدها على معنى مستقبلها. النشر: ٢/٢٥٤، وقد روي عن ابن عباس وغيره أنهم قرؤوها: ﴿هو مُولاها﴾ بمعنى أنه مُوجَّهٌ نحوها. ويكون «الكل» حينئذ غير مسمًّى فاعله، ولو سُمي فاعله، لكان الكلام: ولكلّ ذي ملة وجهةٌ، اللهُ مولِّيه إياها، بمعنى: موجِّهه إليها. ٣/١٩٥، وانظر البدور الزاهرة: ١/٥٢ لعبد الفتاح القاضي.

ولاه الله إليها والمعنى أن الله جعل لكل أمة قبلة ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي بادروا إلى الأعمال الصالحات ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾ أي يبعثكم من قبوركم.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ الأمر كرر للتأكيد[١] أو ليناط به ما بعده ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ الآية معناها أن الصلاة إلى الكعبة تدفع حجة المعترضين من الناس فإن أريد اليهود فحجتهم أنهم يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ يتحول إلى الكعبة فلما صلى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين، وإن أريد قريش فحجتهم أنهم قالوا قبلة آبائه أولى به ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي من يتكلم بغير حجة ويعترض التحول إلى الكعبة والاستثناء متصل لأنه استثناء من عموم الناس، ويحتمل الانقطاع على أن يكون[٢] استثناء ممن له حجة، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ متعلق بمحذوف أي فعلت ذلك لأتم، أو معطوف على لئلا يكون.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بقوله لأتم أو بقوله فاذكروني والأول أظهر.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال سعيد بن المسيب[٣]: معناه اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، وقيل: اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك، وقد أكثر المفسرون ولا سيما المتصوفة في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معاني مخصوصة ولا دليل على التخصيص، وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله ﷺ فيما[٤] يرويه عن ربه: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير

(١) في (ف): (كرر الأمر تأكيدا).
(٢) في (ف): (على أنه).
(٣) لم نجده مسندا لابن المسيب، وهو مروي عن سعيد بن جبير، أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢١١/٣ بسند ضعيف.
(٤) في (أ): (كما).

منهم»[١] والذكر ثلاثة أنواع: ذكر بالقلب، وذكر[٢] باللسان، وبهما معا.

واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة وإن ورد في بعض الأحاديث[٣] تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها؛ فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى، والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه:

الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله»**[٤]، وسئل رسول الله ﷺ: **«أي الأعمال أفضل؟ قال: ذكر الله، قيل الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دما لكان الذاكر أفضل منه»**[٥].

الوجه الثاني: أن الله تعالى حيثما أمر بالذكر أو أثنى على الذاكرين[٦] اشترط

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٧٤٠٥)، ومسلم الحديث رقم: (٤٨٣٢)، والترمذي الحديث رقم: (٢٣١٠)، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٨١٢)، وأحمد في المسند: ١٩٥/٥، والبغوي في شرح السنة: ١٥/٥، وابن عبد البر في التمهيد: ٥٨/٦.

(٢) قوله: (ذكر) ساقط من (ف).

(٣) من تلك الأحاديث حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، فسكت عن رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني رواه البخاري الحديث رقم: (٥٢٧)، ومسلم الحديث: ١٨٩٨)، والنسائي: ٢٩٢/١، وأحاديث أخرى.

(٤) الترمذي كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل الذكر الحديث رقم: (٣٣٧٧)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٧٨٠)، والمستدرك الحديث رقم: (١٧٧٩) قال الحاكم: هذا إسناد صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٣٧٦)، والبغوي في شرح السنة: ١٧/٥، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، ص: ٤٤٢.

(٦) في (أ): (على الذكر).

فيه الكثرة فقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال.

الوجه الثالث: للذكر[١] مزية هي له خاصة وليست[٢] لغيره، وهي الحضور في الحضرة العلية والوصول إلى القرب الذي[٣] عبر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية، فإن الله تعالى يقول: «[٤] أنا جليس من ذكرني»، ويقول: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني»[٥].

وللناس في المقصد بالذكر مقامان: فمقصد العامة اكتساب الأجور، ومقصد الخاصة القرب والحضور، وما بين المقامين بون بعيد فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة فمنها: التهليل، والتسبيح، والتكبير، والتحميد[٦]، والحوقلة، والحسبلة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى، والصلاة على النبي ﷺ، والاستغفار، وغير ذلك.

ولكل ذكر خاصيته وثمرته.

فأما التهليل فثمرته: التوحيد أعني التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن.

وأما التكبير فثمرته: التعظيم والإجلال لذي الجلال.

وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم

(١) في (ف): (في الذكر).
(٢) في (ف) قوله: (ليست).
(٣) في (أ): (بالذي).
(٤) هذا الأثر لا أصل له انظر إتحاف السادة: ٦/٨٧.
(٥) جزء من حديث تقدم تخريجه وهو في الصحيحين.
(٦) في (ف): (والحمد).

والكريم والغفار وشبه ذلك فثمرتها: ثلاثة[١] مقامات، وهي: الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة، فإن المحسن محبوب لا محالة.

وأما الحوقلة والحسبلة فثمرتهما: التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والثقة بالله.

وأما الأسماء التي معانيها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك فثمرتها المراقبة.

وأما الصلاة على النبي ﷺ فثمرتها: شدة المحبة فيه والمحافظة على اتباع سنته[٢].

وأما الاستغفار فثمرته: الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة، مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

ثم إن ثمرة الذكر التي تجمع[٣] الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد، وهو قولنا: الله الله فهذا هو الغاية وإليه المنتهى[٤].

---

(١) في: (أ): (ثلاث مقامات)، وهو خطأ بين.

(٢) في (ف) و(ع): (السنة).

(٣) في (ف): (بجميع).

(٤) قال المؤلف في القوانين الفقهية: الفصل الثاني: في الذكر وهو ثلاثة أنواع: ذكر بالقلب واللسان وهو أعلاها. وذكر بالقلب خاصة. وذكر باللسان خاصة وهو أدناها. والذكر على نوعين: واجب، وفضيلة. فالواجب التلفظ بالشهادتين والصلاة على رسول الله ﷺ مرة في العمر، وقيل: متى ما ذكر. والفضيلة: ما عدا ذلك. وهي أنواع كثيرة؛ كالتهليل، والتكبير، والتسبيح، والتحميد، والحوقلة، والحسبلة، والبسملة، وأسماء الله تعالى كلها، والصلاة على رسول الله ﷺ.
ولكل ذكر معنى وفائدة مخصوصة توصل إلى مقام مخصوص، والمنتهى إلى الذكر الفرد وهو قولك: (الله) وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم. القوانين، ص: ٦٢٢ طبعة وزارة الأوقاف الكويتية.
ولكن بعض العلماء يرى خلاف ذلك، وأن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع. انظر النفراوي على الرسالة: ٢/٤٢٩، وابن تيمية في مجموع الفتاوى: ١٠/٢٢٦.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ربع
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي بمعونته ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ قيل: إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر وكانوا أربعة عشر رجلا لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم فنزلت الآية مبينة لمنزلة الشهداء عند الله ومسلية[1] لأقاربهم ولا يخصصها نزولها فيهم بل حكمها على العموم في الشهداء[2].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ أي نختبركم وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فمعناه أن يظهر في الوجود ما في[3] علمه لتقوم الحجة على العبد وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا؛ لأن الله يعلم ما كان وما يكون، والخطاب بهذا[4] الابتلاء للمسلمين، وقيل: لكفار قريش والأول أظهر لقوله بعد هذا: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ من الأعداء ﴿وَالْجُوعِ﴾ بالجدب ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالخسارة ﴿وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجوائح، وقيل: ذلك كله بسبب الجهاد.

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ اللام للملك والمالك يفعل في ملكه ما يشاء ﴿رَاجِعُونَ﴾ تذكروا الآخرة لتهون عليهم[5] مصائب الدنيا، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله

---

(١) في (ع): (وتسلية).

(٢) وذلك للقاعدة الأصولية الشهيرة: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

(٣) قوله: (في) ساقط من (ع) و(ف).

(٤) في (ع): (بهذه الآية).

(٥) قوله: (عليهم) ساقط من (ف).

ﷺ قال: «من أصابته مصيبة فقال إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها أخلف الله له خيرا مما أصابه قالت أم سلمة فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك فأبدلني الله به رسول الله ﷺ»[١].

فائدة: ورد ذكر الصبر في[٢] القرآن في أكثر من سبعين موضعا وذلك لعظمة موقعه في الدين، قال بعض العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف[٣]، إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة:

أولها: المحبة قال ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

والثاني: النصر[٤] قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

والثالث: غرفات الجنة قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾.

والرابع: الأجر الجزيل قال ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية ففيها البشارة قال ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ والصلاة والرحمة والهداية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

والصابرون على أربعة أوجه: صبر على البلاء وهو منع النفس من التسخط والهلع والجزع، وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر وعدم الطغيان وعدم التكبر

---

(١) الموطأ الحديث رقم: (٤٩٨)، ومسلم الحديث رقم: (١٥٢٦)، والترمذي الحديث رقم: (٨٩٩)، والنسائي الحديث رقم: (١٨٠٢)، وأبو داود الحديث رقم: (٢٧١٢)، وابن ماجه الحديث رقم: (١٤٣٧).

(٢) في (أ): (من القرآن).

(٣) قوله: (ضعف) ساقط من (أ).

(٤) في (ف): (النصرة).

بها، وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها، وصبر عن المعاصي بكف النفس عنها، وفوق الصبر التسليم: وهو ترك الاعتراض والتسخط ظاهرا وترك الكراهة باطنا، وفوق التسليم الرضا بالقضاء وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن[(١)] المحبة. وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ جبلان صغيران بمكة ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي معالم دينه واحدها شعيرة أو شعارة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إباحة للسعي بين الصفا والمروة والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي. وإنما جاء بلفظ يقتضي الإباحة لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنم يقال له أساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة فخافوا أن يكون السعي بينهما تعظيما للصنمين فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك. ثم إن السعي بينهما[(٢)] واجب[(٣)] بالسنة، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السعي بين الصفا والمروة وليس لأحد تركه»[(٤)]، وقيل: إن الوجوب يؤخذ من قوله ﴿شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ وهذا ضعيف لأن شعائر الله منها واجبة ومنها مندوبة، وقد قيل: إن السعي مندوب ﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصله يتطوف ثم أدغمت التاء في الطاء وهذا الطواف يراد به السعي سبعة أشواط ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ عام في أفعال البر أو خاص في السعي بين الصفا والمروة فيقتضي أن السعي بينهما تطوع، ويؤخذ الوجوب من السنة، أو معنى[(٥)] التطوع التطوع بحج بعد حجة الفريضة.

---

(١) في (ع): (على المحبة).

(٢) قوله: (بينهما) ساقط من (ع).

(٣) في (ف): (وجب).

(٤) ولفظه: «فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما». أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحج الحديث رقم: (١٦٤٣)، ومسلم في صحيحه (١٢٧٧)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٦٥)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (١٩٠١)، والنسائي: ٥/٢٣٧، والطبري في جامع البيان: ٣/٢٣٦.

(٥) في (ف): (ومعنى)، وفي (ع): (أو معنى).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ أمر محمد ﷺ ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ التوراة هنا ﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون، وقيل: المخلوقات إلا الثقلين وقيل: البهائم لما يصيبهم من الجدب لذنوب[1] الكاتمين للحق.

﴿وَبَيَّنُواْ﴾ إنما شرط[2] في توبتهم أن يبينوا لأنهم كتموا.

﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ هم المؤمنون فهو عموم يراد به الخصوص؛ لأن المؤمنين هم الذين يعتد بلعنهم للكافرين، وقيل: يلعنهم جميع الناس في الآخرة[3].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي في اللعنة وقيل في النار ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ من أنظر إذا أخر أي لا يؤخرون عن العذاب ولا يمهلون أو من نظر لقوله ﴿لَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ إلا أن يتعدى بإلى.

﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى:

أحدها: أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد.

والآخر: أنه لا شريك له.

والثالث: أنه لا يتبعض ولا ينقسم وقد فسر المراد به هنا بقوله[4]: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات:

الأولى: توحيد عامة المسلمين وهو الذي يعصم النفس والمال في الدنيا وينجي

(١) في (ف): (بسبب).
(٢) في (ع): (اشترط).
(٣) قوله: (في الآخرة) ساقط من (أ).
(٤) في (أ): (في قوله).

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ
بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ
ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾
۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ (ثمن)
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم
بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفي الشركاء والأنداد والصاحبة والأولاد والأشباه والأضداد.

الدرجة الثانية: توحيد الخاصة وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن وإنما مقام الخاصة في التوحيد يقين في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده، واطراح جميع الخلق فلا يرجو إلا الله ولا يخاف أحدا سواه، إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه ويرى جميع الخلق في قبضة القهر، ليس بيدهم شيء من الأمر، فيطرح الأسباب، وينبذ الأرباب.

والدرجة الثالثة: ألا يرى في الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات حتى كأنها عنده معدومة وهذا الذي تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه وعن توحيده أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية ذكر فيها ثمانية أصناف[1] من المخلوقات تنبيها على ما فيها من العبر والاستدلال على التوحيد المذكور قبلها في قوله ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾. ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي اختلاف وصفهما من

(١) في (ع): (أوصاف)، والصواب ما أثبت من النسخ الأخرى.

الضياء والظلام والطول والقصر، وقيل[١] المعنى: إن أحدهما يخلف[٢] الآخر ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من التجارة وغيرها ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ إرسالها من جهات مختلفة[٣] وهي الجهات الأربع وما بينهما وبصفات مختلفة فمنها: ملقحة بالشجر، وعقيم، وصر، وللنصر، وللهلاك.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين:

إحداهما: المحبة العامة التي لا يخلو منها كل مؤمن وهي واجبة

والأخرى: المحبة الخاصة التي ينفرد بها العلماء الربانيون والأولياء والأصفياء وهي أعلى المقامات وغاية المطلوبات[٤]، فإن سائر مقامات الصالحين كالخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك هي[٥] مبنية على حظوظ النفس ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه، وأن الراجي إنما يرجو منفعة نفسه، بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضات[٦].

واعلم أن سبب محبة الله معرفته، فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة، فإن الموجب للمحبة أحد أمرين أو كلاهما إذا اجتمعا، ولا شك أنهما في حق الله تعالى على غاية الكمال.

فالموجب الأول: الحسن والجمال.

والآخر: الإحسان والإجمال.

فأما الجمال: فهو محبوب بالطبع فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن.

---

(١) زيادة في (ع): (إن).
(٢) في (ع) و(ف): (يخلفه).
(٣) قوله: (مختلفة) ساقط من (ع).
(٤) في (ع): (المطلوب).
(٥) في (أ): (فهي).
(٦) في (أ): (المعاوضة).

ولا جمال[١]: مثل جمال الله في حكمته البالغة، وصنائعه البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، التي تروق العقول وتهيج القلوب، وإنما يدرك جمال[٢] الله تعالى بالبصائر لا بالأبصار.

وأما الإحسان: فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وإحسان الله إلى عباده متواتر، وإنعامه عليهم باطن وظاهر، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي وإلى[٣] المؤمن والكافر وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو في الحقيقة منه وهو المستحق للمحبة وحده.

واعلم: أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجد في طاعته، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات، وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كل ما يحبه الله وكل من يحب الله[٤]، وإيثار[٥] الله على كل من سواه، قال الحارث المحاسبي:[٦] المحبة تسليمك إلى المحبوب بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك

(١) في (أ): (والإجمال).

(٢) في (ف): (جماله تعالى).

(٣) قوله: (إلى) ساقط من (أ).

(٤) في (أ): (كل من يحبه الله).

(٥) في (أ): (وإيثاره).

(٦) هو الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مبكيا، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم، ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد، وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره، من كتبه: (آداب النفوس ـ خ) صغير، و(شرح المعرفة ـ خ) تصوف، و(المسائل في أعمال القلوب والجوارح ـ ط) رسالة، و(المسائل في الزهد وغيره ـ خ) رسالة و(البعث والنشور ـ خ) رسالة، و(مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه ـ خ) و(الرعاية لحقوق الله ﷻ ـ ط) و(الخلوة والتنقل في العبادة ـ ط) و(معاتبة النفس ـ خ) في الأزهرية، و(كتاب التوهم ـ ط) و(رسالة المسترشدين ـ ت: ٢٤٣ هـ انظر: الأعلام: ٢/١٥٣.

وروحك، ثم موافقته سرا وجهرا، ثم علمك بتقصيرك في حبه. ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ من رؤية العين والذين ظلموا مفعول وجواب لو محذوف وهو العامل في أن، والتقدير: لو ترى الذين ظلموا لعلمت أن القوة لله أو لعلموا أن القوة لله، والقوي بالياء وهو على هذه القراءة من رؤيا القلب والذين ظلموا فاعل و﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ مفعول يرى وجواب لو محذوف والتقدير: لو يرى الذين ظلموا أن القوة لله لندموا أو لاستعظموا[1] ما حل بهم.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدل من إذ يرون أو استئناف والعامل فيه محذوف وتقديره: اذكر ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ هم الآلهة أو الشياطين أو الرؤساء من الكفار والعموم أولى ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ هنا الوصلات من الأرحام والمودات.

﴿أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ أي سيئاتهم، وقيل: حسناتهم إذ[2] لم تقبل منهم أو ما عملوا لآلهتهم.

﴿كُلُواْ﴾ أمر محمول على الإباحة ﴿حَلَالاً﴾ حال مما في الأرض أو مفعول بكلوا أو صفة لمفعول محذوف أي شيئا حلالا ﴿طَيِّباً﴾ يحتمل أن يريد الحلال ﴿خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ﴾ ما يأمر به وأصله من خطوت الشيء، وقال المنذر بن سعيد[3] يحتمل أن يكون من الخطيئة ثم سهلت همزته وقرئ بضم الطاء[4] وإسكانها وهما لغتان.

---

(١) في (أ): (ولاستعظموا).

(٢) في (أ): (إذا).

(٣) منذر بن سعيد البلطي ت: ٣٥٥هـ تقدمت ترجمته في مقدمة الكتاب الباب السادس في ذكر المفسرين..

(٤) قال ابن الجزري: وأسكن الطاء من ﴿خُطُوَاتِ﴾ أين أتى: نافع وأبو عمرو وحمزة وخلف وأبو بكر. واختلف عن البزي فروى عنه أبو ربيعة الإسكان وروى عنه ابن الحباب الضم. النشر: ٢٤٦/٢.

وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه
ءاباءنا أولو كان ءاباؤهم لا يعقلون شيئا ولا
يهتدون ﴿١٧٠﴾ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق
بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون
﴿١٧١﴾ يا أيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴿١٧٢﴾ إنما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به
لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله
غفور رحيم ﴿١٧٣﴾ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من
الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون
في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة
ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴿١٧٤﴾ أولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما
أصبرهم على النار ﴿١٧٥﴾ ذلك بأن الله نزل الكتاب
بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴿١٧٦﴾

﴿بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ﴾ المعاصي ﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ الإشراك وتحريم الحلال كالبحيرة وغير ذلك.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ رد على قولهم بل نتبع والآية[1] في كفار العرب، وقيل في اليهود أنهم يتبعونهم ولو كانوا ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ فدخلت همزة الإنكار على واو الحال.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية في معناها قولان:

الأول: تشبيه الذين كفروا بالبهائم لقلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم ولا بد في هذا من محذوف وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المحذوف أول الآية والتقدير: مثل داعي الذين كفروا إلى الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ أي يصيح ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ وهي البهائم التي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ ولا تعقل معناه[2].

والآخر: أن يكون المحذوف بعد ذلك والتقدير: مثل الذين كفروا كمثل مدعو الذي ينعق ويكون دعاء ونداء على الوجهين مفعولا يسمع[3]، والنعيق هو زجر الغنم والصياح عليها، فعلى هذا القول شبه الكفار بالغنم وداعيهم بالذي يزجرها وهو يصيح عليها.

---

(١) في (أ): (الآية).

(٢) في (أ): (ولا يعقل معنى).

(٣) في (ف) و(ع): (بيسمع).

والقول الثاني: تشبيه الذين كفروا في دعائهم وعبادتهم لأصنامهم[(١)] بمن ينعق بما لا يسمع؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئا، ويكون دعاء ونداء على هذا منقطعا أي أن الداعي يتعب نفسه بالدعاء أو النداء لمن لم يسمعه من غير فائدة، فعلى هذا شبه الكفار بالناعق.

﴿صُمٌّ﴾ وما بعده راجع إلى الكفار وذلك غير التأويل الأول ورفعوا على إضمار مبتدإ.

﴿وَاشْكُرُواْ﴾ الآية دليل على وجوب الشكر لقوله ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿الْمَيْتَةَ﴾ ما مات حتف أنفه وهو عموم خص منه الحوت والجراد، وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت، ومنعه أبو حنيفة، ومنع مالك أكل[(٢)] الجراد حتى يسبب في[(٣)] موتها بقطع عضو منها أو وضعها في الماء أو غير ذلك، وأجازه ابن عبد الحكم دون ذلك. ﴿وَالدَّمَ﴾ يريد المسفوح لتقييده بذلك في سورة الأنعام، ولا خلاف في إباحة ما خالط اللحم من الدم ﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ هو حرام سواء ذكي أو لم يذك وكذلك شحمه بإجماع[(٤)]، وإنما خص اللحم بالذكر لأنه الغالب في الأكل ولأن الشحم تابع له، وكذلك من حلف لا يأكل لحما فأكل شحما حنث بخلاف العكس ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ﴾ أي صيح لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذبح له ثم استعمل في النية في الذبح ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ الأصنام وشبهها ﴿اضْطُرَّ﴾ بالجوع أو بالإكراه وهو مشتق من الضرورة ووزنه افتعل وأبدل من التاء طاء ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ﴾ قيل: باغ على المسلمين وعاد عليهم ولذلك لم يرخص مالك في رواية عنه للعاصي بسفره أن يأكل لحم الميتة، والمشهور عنه الترخيص له، وقيل: غير باغ

---

(١) في (ع) و(ف): (الأصنام).

(٢) قوله: (أكل) ساقط من (أ).

(٣) قوله: (في) ساقط من (ف).

(٤) قوله: (بإجماع) ساقط من (ف).

باستعمالها من غير إضرار، وقيل: باغ أي متزيد[١] على إمساك رمقه ولهذا لم يجز الشافعي للمضطر أن يشبع من الميتة، وقال مالك: بل يشبع ويتزود[٢] ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع للحرج ويجب على المضطر أكل الميتة لئلا يقتل نفسه بالجوع، وإنما تدل الآية على الإباحة ويؤخذ الوجوب من غيرها، وقد اختلف هل يباح له أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو أكل ما عدا الخنزير؟ وقد اختلف: هل يباح له أكل[٣] ميتة ابن آدم أم لا؟ فمنعه مالك وأجازه الشافعي لعموم الآية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود. ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ أي أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبب، وقيل: يأكلون النار في جهنم حقيقة ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن غضبه عليهم، وقيل: لا يكلمهم بما يحبون ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يثني عليهم.

﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ تعجب من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة، وقيل: إنه[٤] استفهام وأصبرهم بمعنى صبرهم وهذا بعيد وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله؛ لأنه استعظام خفي سببه وذلك لا يلزم فإنه في حق الله غير خفي السبب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى العذاب ورفعه بالابتداء أو بفعل مضمر ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ الباء سببية ﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن هنا ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالواجب أو بالأخبار الحق أي الصادق، والباء فيه سببية أو للمصاحبة ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى والكتاب على هذا التوراة والإنجيل، وقيل: الذين اختلفوا العرب والكتاب على هذا القرآن، ويحتمل جنس الكتاب في الموضعين ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾

---

(١) في (أ): (متزايد).

(٢) قوله: (وقال مالك بل يشبع) ساقط من (ف).

(٣) قوله: (أكل) ساقط من (أ).

(٤) في (أ): (إنها).

ربع ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ
ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ
وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ
بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ
إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ
وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا
سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

أي بعيد من الحق والاستقامة.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ الآية خطاب لأهل الكتاب؛ لأن المغرب قبلة اليهود والمشرق قبلة النصارى، أي إنما البر التوجه إلى الكعبة، وقيل: خطاب للمؤمنين أي ليس البر الصلاة خاصة بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا[1] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ لا يصح أن يكون خبرا عن البر، فتأويله: لكن صاحب البر من آمن أو لكن البر بر من آمن أو يكون البر مصدرا وصف به ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ صدقة التطوع وليست بالزكاة لقوله بعد ذلك ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير عائد على المال لقوله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية وهو الراجح من طريق المعنى، وعود الضمير على الأقرب وهو على هذا تتميم وهو من أدوات البيان، وقيل: يعود على مصدر آتى، وقيل: على الله ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وما بعده مرتب بتقديم الأهم والأفضل؛ لأن الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف من بعدهم، ثم اليتامى لصغرهم وحاجتهم، ثم المساكين للحاجة خاصة، وابن السبيل الغريب، وقيل: الضيف[2]، والسائلين وإن كانوا غير محتاجين، وفي الرقاب عتقها ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ أي العهد مع الله ومع الناس ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ نصب بإضمار فعل ﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ القتال ﴿صَدَقُوا۟﴾ في القول والفعل والعزيمة.

(١) في (ف) و(ع): (بعدها).

(٢) في (أ): (الضعيف).

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أي شرع لكم وليس بمعنى فرض لأن ولي المقتول مخير بين القصاص والدية والعفو، وقيل: بمعنى فرض، أي فرض على القاتل الانقياد للقصاص وعلى ولي المقتول أن لا يتعداه إلى غيره كفعل الجاهلية، وعلى الحاكم التمكين من القصاص. ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ ظاهره اعتبار التساوي بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية، وأن لا يقتل[(١)] حر بعبد ولا ذكر بأنثى إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى، وزاد[(٢)] قوم أن يعطى أولياؤها حينئذ نصف الدية لأولياء الرجل المقتص منه، خلافا لمالك والشافعي وأبي حنيفة.

وأما قتل الحر بالعبد فهو مذهب أبي حنيفة خلافا لمالك والشافعي، فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة بشيء من ظاهر الآية لا في الذكورية ولا في الحرية؛ لأنها عنده منسوخة، وأخذ مالك بظاهرها في الحرية كما في الذكورية، وتأويلها عنده أن قوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ عموم يدخل فيه الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرر[(٣)] قوله ﴿وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ تجريدا للتأكيد لأن بعض العرب كانوا[(٤)] إذا قتلت منهم أنثى قتلوا بها ذكرا تكبرا وعدوانا، وقد يتوجه قول مالك على نسخ جميعها ثم يكون عدم قتل الحر بالعبد من السنة، وهو قوله ﷺ: «لا يقتل حر بعبد»[(٥)] والناسخ لها[(٦)] على القول بالنسخ عموم قوله

(١) في (أ): (ولا يقتل).
(٢) في (ع) و(ف): (ورأى).
(٣) في (ف): (ذكر).
(٤) قوله: (كانوا) ساقط من (أ).
(٥) حديث ضعيف كما في التلخيص: ٢/٢٦٣ لضعف سنده وانقطاعه. أخرجه أبو داود الحديث رقم: (٣٩١٤) السنن الكبرى للبيهقي: ٨/٣٤، والدارقطني الحديث رقم: (٣٣٠٠)، وسنن الدارمي الحديث رقم: (٢٤١٣).
(٦) قوله: (لها) ساقط من (ف).

﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ على أن هذا ضعيف؛ لأنه إخبار عن حكم في[1] بني إسرائيل ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ﴾ الآية فيها تأويلان:

أحدهما: أن المعنى من قتل فعفي عنه فعليه أداء الدية بإحسان وعلى أولياء المقتول اتباعه بها بمعروف فعلى هذا (من) كناية عن القاتل، وأخوه هو المقتول أو وليه، وعفي من العفو عن القصاص وأصله أن يتعدى بعن وإنما تعدى هنا باللام لأنه كقولك تجاوزت لفلان عن ذنبه.

والثاني[2]: أن معناه[3] من أعطيته الدية فعليه اتباع بمعروف وعلى القاتل أداء بإحسان، فعلى هذا (من) كناية عن أولياء المقتول و(أخيه) هو القاتل أو على[4] عاقلته، وعفي بمعنى يسر كقوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ أي ما تيسر ولا إشكال في تعدي عفي باللام على هذا المعنى ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ﴾ إشارة إلى جواز أخذ الدية لأن بني إسرائيل لم يكن عندهم دية وإنما هو القصاص ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ﴾ أي قتل قاتل وليه بعد أن أخذ منه الدية ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ القصاص منه، وقيل: عذاب الآخرة.

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ بمعنى قولهم: القتل أنفى للقتل، أي أن القصاص يردع الناس عن القتل، وقيل: المعنى أن القصاص أقل قتلا لأنه قتل واحد بواحد بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتتال قبيلتي القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة.

﴿ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ كانت فرضا قبل الميراث ثم نسخها آية المواريث مع قوله ﷺ: «لا وصية لوارث»[5]، وبقيت الوصية مندوبة لمن لا

---

(١) قوله: (في) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (وعلى الثاني).

(٣) قوله: (معناه) ساقط من (أ).

(٤) قوله: (على) ساقط من (أ).

(٥) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه كتاب الوصايا الحديث رقم: (٢٢٠٣)، وأبو داود=

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ
يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ
لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ
رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

يرث من الأقربين، وقيل: معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض فلا تعارض بينها وبين المواريث ولا نسخ والأول أشهر.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي فرض ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ والقصد بقوله ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وبقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ تسهيل الصيام على المسلمين وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة جميلة، والذي كتب على الذين[(١)] من قبلنا الصيام مطلقا، وقيل: كتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه ﴿أَيَّامًا﴾ منصوب بالصيام أو بمحذوف وببعد انتصابه بتتقون ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآية إباحة للفطر مع المرض والسفر وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى فحوى الخطاب، والتقدير: فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعليه عدة من أيام أخر، ولم يقل الظاهرية بهذا المحذوف فرأوا أن صيام المسافر والمريض لا يصح وأوجبوا عليه عدة من أيام أخر وإن صام في رمضان، وهذا منهم جهل بكلام العرب وليس في الآية ما يقتضي تحديد السفر وبذلك قال الظاهرية، وحده في مشهور مذهب مالك أربعة برد ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ قيل: يطيقونه من غير مشقة فيفطرون

= الحديث رقم: (٢٨٧٠)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٧١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى: ٢١٢/٦، وعبد الرزاق في المصنف: ١٤٨/٤، وتمامه: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث» قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح..

(١) قوله: (الذين) ساقط من (ف) و(ع).

ويكفرون ثم نسخ جواز الإفطار بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وقيل: يطيقونه بمشقة كالشيخ الهرم فيجوز له الفطر فلا نسخ على هذا ﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾ أي صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة وذلك على القول بالنسخ، وقيل: تطوع بالزيادة في مقدار الإطعام وذلك على القول بعدم النسخ.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر أو بدل من الصيام ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ قال[1] ابن عباس:[2] أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ بطول عشرين سنة، وقيل: المعنى أنزل في شأنه القرآن كقولك أنزل القرآن في فلان، وقيل: المعنى ابتدئ فيه إنزال القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي أن القرآن هدى للناس ثم هو مع ذلك من مبينات الهدى، وذلك أن الهدى على نوعين: مطلق وموصوف بالبينات، فالهدى الأول هنا على الإطلاق، وقوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي وهو[3] من الهدى المبين فهو من عطف الصفات كقولك فلان عالم وجليل من العلماء. ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ أي كان حاضرا غير مسافر والشهر منصوب على الظرفية واليسر والعسر على الإطلاق، وقيل: اليسر الفطر في السفر والعسر الصوم فيه ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ متعلق بمحذوف تقديره شرع أو عطف على اليسر ﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ الأيام التي أفطر فيها ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟﴾ التكبير يوم العيد أو مطلق.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ مقيد بمشيئة الله وموافقة القدر وهذا[4] جواب من قال:

---

(١) قوله: (قال) ساقط من (ف).

(٢) صحيح أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن، ص: ٣٦٧، والنسائي في فضائل القرآن، ص: ٩٦، والبيهقي في الأسماء والصفات، ص: ٢٣٥، والدر المنثور: ١/٤٥٧، والطبري في جامع البيان: ١٥/١١٩، والحاكم في المستدرك: ٢/٢٢٢ قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) في (ف): (هو).

(٤) في (ف): (وهو).

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْـَٔـٰنَ بَاشِرُوهُنَّ
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ
إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ
تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم
بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْأَلُونَكَ ربع
عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ
الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ
اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة؟ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ أي امتثال ما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعة.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآية كان الأكل والجماع محرما بعد النوم في ليل رمضان فجرت لذلك قصة لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولصرمة بن مالك فأحلهما الله تخفيفا على عباده[1] ﴿الرَّفَثُ﴾ هنا الجماع وإنما تعدى بإلى لأنه في معنى الإفضاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ تشبيه بالثياب لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر، وهذا تعليل للإباحة ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي[2] تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ أي غفر ما وقعتم فيه من ذلك، وقيل: رفع عنكم ذلك الحكم ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ إباحة ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل: الولد يبتغى بالجماع، وقيل: الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض لا للأسود؛ لأن الفجر ليس له سواد والخيط هنا[3] استعارة يراد بالخيط الأبيض بياض الفجر وبالخيط الأسود سواد الليل،

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم الحديث رقم: (١٩١٥)، والترمذي في سننه كتاب التفسير، الحديث رقم: (٢٩٦٨)، وأبو داود كتاب الصيام الحديث رقم: (٢٣١٤)، والنسائي في سننه: ٤/١٤٧، والحاكم في المستدرك: ٤/٢٩٥، وابن خزيمة في صحيحه رقم: (١٩٠٤)، والطبري في جامع البيان: ٣/٤٩٥.

(٢) قوله: (أي) ساقط من (ف).

(٣) قوله: (هنا) ساقط من (ف).

وروي[1] أن قوله من الفجر نزل بعد ذلك بيانا لهذا المعنى؛ لأن بعضهم جعل خيطا أبيض وخيطا أسود عند وسادته وأكل حتى تبين له، فقال له النبي ﷺ: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»[2] ﴿إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ أي إلى أول الليل وهو غروب الشمس فمن أفطر قبل ذلك فعليه القضاء والكفارة، ومن شك هل غربت أم لا فأفطر فعليه القضاء والكفارة أيضا[3]، وقيل: القضاء فقط وقالت عائشة رضي الله عنها[4] ﴿إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ يقتضي المنع من الوصال، وقد جاء ذلك في الحديث[5] ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ تحريم للمباشرة حين الاعتكاف. قال الجمهور: المباشرة هنا الجماع فما دونه[6]، وقيل: الجماع فقط ﴿فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ دليل على جواز الاعتكاف في كل مسجد خلافا لمن قال لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وبيت المقدس، وفيه أيضا دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد لا في غيرها[7] خلافا

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له الحديث رقم: (١٩١٧) كتاب الصيام ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٠٩)، والطبري في جامع البيان: ٥١٣/٣، والبيهقي في السنن الكبرى: ٢١٥/٤، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٨٠/١، والواحدي في أسباب النزول، ص: ٤٣، والدر المنثور: ٤٧٠/١.

(٢) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٩١٦) كتاب التفسير، ومسلم الحديث رقم: (١٨٢٤) كتاب الصيام، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٧٠)، وأبو داود الحديث رقم: (٢٠٠٢)، والطبري في جامع البيان: ٥١١/٣، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٠٨/١..

(٣) في (ف): (أيضا القضاء والكفارة).

(٤) أثر عائشة هذا رواه الطبري في جامع البيان: ٥٣٤/٣ بسند ضعيف.

(٥) النهي عن الوصال ورد عن مجموعة من الصحابة منهم أنس بن مالك وأبو هريرة رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم: ١٩٦١، وفي عدة مواضع، ومسلم الحديث رقم: ٥٥، ورواه أحمد في مسنده: ١٧٣/٣، والطبري في جامع البيان: ٥٣٤/٣، والدر المنثور: ٤٨٣/١ عن عائشة، ومن أراد الوصال إلى السحر فله ذلك لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر»، قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله، قال: «إني لست كهيئتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني» الحديث رواه البخاري رقم: (١٩٦٣) ومسلم الحديث رقم: (٢٦٢٧) وغيرهما.

(٦) في (ف): (وما دونه).

(٧) قال ابن عبد البر: وأجمعوا أن الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد لقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ=

لمن أجازه في غيرها من مفهوم الآية ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أحكامه التي أمر بالوقوف عندها ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي لا تقربوا مخالفتها، واستدل بعضهم به[١] على سد الذرائع لأن المقصود النهي عن المخالفة للمحدود لقوله[٢] ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ ثم نهى هنا عن مقاربة المخالفة سدا للذريعة.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَالَكُم﴾ أي لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ كالقمار والغصب وجحد الحقوق وغير ذلك ﴿وَتُدْلُوا﴾ عطف على لا تأكلوا، أو نصب بإضمار أن وهو من أدلى الرجل بحجته إذا قام بها. والمعنى نهى عن أن يحتج بحجة باطلة ليصل بها إلى أكل مال الناس، وقيل: نهى عن رشوة الحكام[٣] بالأموال للوصول إلى أكل أموال الناس فالباء على الأول سببية، وعلى الثاني

= ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ في الآية المذكورة يعني في البقرة: ١٨٧ انظر الاستذكار: ٣/٣٨٥، وقال القرطبي: الثامنة والعشرون: أجمع العلماء على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد، لقول الله تعالى: ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ واختلفوا في المراد بالمساجد، فذهب قوم إلى أن الآية خرجت على نوع من المساجد، وهو ما بناه نبي كالمسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ ومسجد إيلياء، روي هذا عن حذيفة بن اليمان وسعيد بن المسيب، فلا يجوز الاعتكاف عندهم في غيرها. وقال آخرون: لا اعتكاف إلا في مسجد تجمع فيه الجمعة، لأن الإشارة في الآية عندهم إلى ذلك الجنس من المساجد، روي هذا عن علي بن أبي طالب وابن مسعود، وهو قول عروة والحكم وحماد والزهري وأبي جعفر محمد بن علي، وهو أحد قولي مالك. وقال آخرون: الاعتكاف في كل مسجد جائز، يروى هذا القول عن سعيد بن جبير وأبي قلابة وغيرهم، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة وأصحابهما. وحجتهم حمل الآية على عمومها في كل مسجد له إمام ومؤذن، وهو أحد قولي مالك، وبه يقول ابن علية وداود بن علي والطبري وابن المنذر. وروى الدارقطني عن الضحاك عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مسجد له مؤذن وإمام فالاعتكاف فيه يصلح». قال الدارقطني: والضحاك لم يسمع من حذيفة. الجامع لأحكام القرآن: ٢/٣٣٣.

(١) في (أ): (بها).
(٢) في (ف): (كقوله).
(٣) في (أ): (الحاكم).

للإلصاق ﴿بِالإِثْمِ﴾ الباء سببية أو للمصاحبة والإثم على القول الأول في تدلوا إقامة الحجة الباطلة كشهادة الزور والأيمان[١] الكاذبة، وعلى القول الثاني الرشوة.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ سببها[٢] أنهم سألوا عن الهلال وما فائدته ومخالفته لحال الشمس، والهلال ليلتان من أول الشهر، وقيل: ثلاث ثم يقال له قمر ﴿مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات لمحل الديون والأكرية والقضاء والعدد وغير ذلك ثم ذكر الحج اهتماما بذكره وإن كان قد دخل في المواقيت للناس ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ الآية كان قوم إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها وإنما يدخلون من ظهورها ويقولون لا يحول بيننا وبين السماء شيء فنزلت الآية إعلاما بأن[٣] ذلك ليس من البر[٤] وإنما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لأنه كان عندهم من تمام الحج، وقيل: المعنى ليس البر أن تسألوا عن الأهلة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه فتأتون الأمور على غير ما يجب، فعلى هذا البيوت وأبوابها وظهورها استعارة يراد بالبيوت المسائل، ويظهورها السؤال عما لا يفيد، وأبوابها السؤال عما يحتاج إليه ﴿الْبِرُّ مَنِ اتَّقَىٰ﴾ تأويله مثل البر من آمن.

﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ كان القتال غير مباح في أول الإسلام ثم أمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل وذلك مقتضى هذه الآية، ثم أمر بقتال جميع الكفار في قوله ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ فهذه الآية منسوخة، وقيل: إنها محكمة وأن المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم والأول أرجح وأشهر ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي

---

(١) في (ف): (واليمين).

(٢) أثر ضعيف عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣/٥٤٤.

(٣) في نسخة: (أن).

(٤) من حديث البراء بن عازب، صحيح أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير الحديث رقم: (٤٥١٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٠٢٦)، والطبري في جامع البيان: ٣/٥٥٦.

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ
فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

بقتال من لم يقاتلكم على القول الأول وبقتال النساء والصبيان على القول[1] الثاني.

﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي من مكة لأن قريشا أخرجوا منها المسلمين ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي فتنة المؤمن عن دينه أشد عليه من قتله، وقيل: كفر الكفار أشد من قتل المؤمنين لهم في الجهاد ﴿عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ منسوخ بقوله حيث وجدتموهم وهذا يقوي نسخ الذين يقاتلونكم.

﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الكفر فأسلموا بدليل قوله ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وإنما يغفر للكافر إذا أسلم.

﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي[2] لا يبقى دين كفر.

(﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ الآية نزلت[3] لما صد الكفار النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين[4] عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية في شهر ذي الحجة فدخلها في العام الذي[5] بعده في شهر ذي القعدة، أي الشهر الحرام الذي دخلتم فيه مكة

---

(١) قوله: (القول) ساقط من (ف).

(٢) قوله: (أي) ساقط من (ف).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣/٥٧٩ عن عطاء مرسلا.

(٤) قوله: (والمسلمين) ساقط من (ع) و(أ).

(٥) قوله: (الذي) ساقط من (ع).

بالشهر الحرام الذي صددتم فيه عن دخولها ﴿وَالْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ أي حرمة الشهر والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر والبلد حين صددتم عنها ﴿فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب أي قاتلوا من قاتلكم ولا تبالوا بحرمة من صدكم عن دخول[١] مكة.

﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال أبو أيوب الأنصاري[٢] المعنى: لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد[٣]، وقيل: لا تتركوا النفقة في الجهاد خوف العيلة، وقيل: لا تقنطوا من التوبة، وقيل: لا تقتحموا المهالك والباء في بأيديكم زائدة، وقيل: التقدير لا تلقوا أنفسكم بأيديكم.

﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما قال ابن عباس[٤]: إتمامهما إكمال[٥] المناسك، وقال علي[٦]: إتمامهما أن تحرم بهما من دارك ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة لأن الأمر إنما هو بالإتمام لا بالابتداء ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ المشهور في اللغة أحصره المرض بالألف وحصره العدو، وقيل:

---

(١) قوله: (دخول) ساقط من (ف).

(٢) هو الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري، واسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد ابن عوف بن غنم بن مالك بن النجار شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وتوفي بالقسطنطينية من أرض الروم سنة خمسين، وقيل سنة إحدى وخمسين في خلافة معاوية تحت راية يزيد. وقيل إن يزيد أمر بالخيل فجعلت تدبر وتقبل على قبره حتى عفا أثر قبره روي هذا عن مجاهد. وقد قيل إن الروم قالت للمسلمين في صبيحة دفنهم لأبي أيوب لقد كان لكم الليلة شأن عظيم فقالوا هذا رجل من أكابر أصحاب نبينا ﷺ وأقدمهم إسلاما وقد دفناه حيث رأيتم والله لئن نبش لا ضرب لكم ناقوس أبدا في أرض العرب ما كانت لنا مملكة. أسد الغابة: ٢٢/٦، والاستيعاب: ٥١٠/١، والأعلام للزركلي: ٣٦/٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥٩١/٣، وابن كثير في تفسيره: ٥٢٩/١.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٧/٤ بسند حسن.

(٥) في (أ): (كمال).

(٦) صحيح عن علي رواه البيهقي في السنن الكبرى: ٣٤/٤، والطبري في جامع البيان: ٨/٤.

بالعكس، وقيل: هما بمعنى واحد، فقال مالك: أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة فأوجب عليه الهدي ولم يوجبه على من حصره العدو، وقال الشافعي وأشهب: يجب الهدي على من حصره العدو وحملا الآية على ذلك واستدلا بنحر النبي ﷺ الهدي بالحديبية[1]، وقال أبو حنيفة: يجب الهدي على المحصر بعدو ويمرض ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ أي فعليكم ما استيسر من الهدي وذلك شاة ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾ خطاب للمحصر بالمرض عند مالك لأنه لا يتحلل بالحلق حتى يبلغ الهدي محله أي مو ضع نحره وهو مكة ومنى عند مالك وقال الشافعي: محله حيث أحصر، وقيل: هو خطاب للمحصر[2] وغيره ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً﴾ الآية نزلت في كعب بن عجرة[3] حين رآه النبي ﷺ فقال له: «**لعلك يؤذيك هوام رأسك احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو أنسك بشاة**»[4] فمعنى الآية أن من كان في الحج واضطره مرض أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نسك حسبما تفسر في الحديث، وقاس الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التي يمنع الحاج منها إلا الصيد والوطء، وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس ولا بد في الآية من مضمر لا يستقل الكلام عنه وهو المسمى فحوى الخطاب، وتقديرها فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ أي من المرض على قول مالك ومن العدو على قول غيره، والمعنى: إذا كنتم بحال أمن سواء تقدم مرض أو خوف عدو أو لم يتقدم ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ التمتع عند مالك وغيره هو أن يعتمر

---

(١) انظر الطبري في جامع البيان: ٣/٥٧٧.

(٢) قوله: (بالمرض عند مالك لأنه لا يتحلل بالحلق... للمحصر) ساقط من (أ).

(٣) حديث صحيح رواه كعب بن عجرة البخاري الحديث رقم: (١٨١٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٢٠١)، والطبري في جامع البيان: ٤/٣٣٤٦..

(٤) الموطأ الحديث رقم: (٨٣٤)، والبخاري الحديث رقم: (١٨١٤)، ومسلم الحديث رقم: (٢٠٨٤)، وأبو داود الحديث رقم: (١٥٨٦).

الإنسان في أشهر الحج ثم يحج من عامه فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة، وقال عبد الله بن الزبير[١]: التمتع هو أن يحصر عن الحج بعدو حتى يفوته الحج فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه ثم يحج من قابل قضاء لحجته، فهو قد تمتع بفعل الممنوعات من الحج في[٢] وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل، وقيل: التمتع هو قران الحج والعمرة ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ شاة ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ وقتها من إحرامه إلى يوم عرفة فإن فاته صام أيام التشريق ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى بلادكم أو في الطريق ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ فائدته أن السبع تصام بعد الثلاثة فتكون عشرة ورفع لئلا يتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة، وقيل: هو مثل الفذلكة وهو قول الناس بعد الأعداد فذلك كذا، وقيل: كاملة في الثواب ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني غير أهل مكة، وذي طوى بإجماع، وقيل: أهل الحرم كله وقيل: من كان دون الميقات، وقيل: ذلك إشارة إلى التمتع[٣]، وقوله ذلك إشارة إلى الهدي أو الصيام أي إنما يجب الهدي أو الصيام بدلا منه على الغرباء لا على أهل مكة، وقيل: ذلك إشارة إلى التمتع.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ التقدير: أشهر الحج أشهر أو الحج في أشهر وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة، وقيل: العشر الأول منه وينبني على ذلك أن من أخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي الحجة فعليه دم على القول بالعشر الأول ولا دم عليه على القول بجميع الشهر، واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر فأجازه مالك على كراهة ولم يجزه الشافعي وداود لتعيين هذا الاسم كذلك فكأنها كوقت الصلاة ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ أي ألزم بالحج[٤] نفسه ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ الرفث:

(١) صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤/٨٨.

(٢) في (ف): (من).

(٣) قوله: (وقيل: ذلك إشارة إلى التمتع) زيادة من (ف) هنا، ويأتي في النسخ الأخرى بعد قوله: أهل مكة.

(٤) في (ف): (ألزم الحج).

ثمن

۞ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ
خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

الجماع، وقيل: الفحش من الكلام والفسوق المعاصي والجدال المراء مطلقا، وقيل: المجادلة في مواقيت الحج، وقيل: النسيء الذي كانت العرب تفعله ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ قيل: احملوا زادا في السفر وقيل: تزودوا للآخرة بالتقوى وهو الأرجح[(١)] لما بعده ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ التجارة في أيام الحج أباحها الله تعالى[(٢)]، وقرأ ابن عباس: فضلا من ربكم في مواسم الحج[(٣)] ﴿أَفَضْتُم﴾ اندفعتم جملة واحدة ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ اسم علم للموقف والتنوين فيه في مقابلة النون في جمع المذكر لا تنوين صرف فإن فيه التعريف والتأنيث ﴿ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ المزدلفة والوقوف بها سنة ﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ الكاف للتعليل ﴿وَإِن كُنتُم﴾ إن مخففة من الثقيلة ولذلك جاء اللام في خبرها ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي من قبل الهدى.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أمر للحمس وهم قريش ومن تبعهم كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم ولا يقفون بعرفة مع سائر الناس لأنها حل ويقولون: نحن أهل الحرم لا نقف

---

(١) في (ف): (ارجح).

(٢) صحيح أخرجه رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٠٥٠)، والطبري في جامع البيان: ١٦٧/٤.

(٣) قال الزمخشري: وقرأ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فضلا من ربكم في مواسم الحج﴾، الكشاف: ٢٧٣/١.

إلا بالحرم، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس ويفيضوا منها وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقا من الله تعالى له.

والقول الثاني: أنها خطاب لجميع الناس ومعناها أفيضوا من المزدلفة إلى منى فثم على هذا القول على بابها من الترتيب، وأما على القول الأول فليست[1] للترتيب بل للعطف خاصة، قال الزمخشري: هي كقولك: أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم[2]، فإن[3] معناها التفاوت بين ما قبلها وما بعدها، وأن ما بعدها أوكد.

﴿قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ فرغتم من أعمال الحج ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ لأن الإنسان كثيرا ما يذكر آباءه، وقيل: كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرة عند الجمرة فأمروا بذكر الله عوضا من ذلك ﴿ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة لأنهم لا يؤمنون بالآخرة.

﴿حَسَنَةً﴾ قيل: العمل الصالح، وقيل المال[4] وقيل: المرأة[5] الصالحة ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ الجنة.

﴿نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ يحتمل أن تكون من سببية أي لهم نصيب من الحسنات التي اكتسبوها والنصيب على هذا الثواب ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد به سرعة مجيء يوم القيامة.

والآخر: أن يراد به سرعة وقوع الحساب يوم القيامة؛ لأن الله لا يحتاج إلى

(١) في (ف): (فبيس).

(٢) الكشاف: ١/٢٧٣.

(٣) في (ف) و(ع): (فإنما).

(٤) قوله: (وقيل المال) زيادة من (ف).

(٥) في (أ): (الزوجة).

• ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

حزب

مدة[١] ولا فكرة.

وقيل: لعلي رَضِوَاللَّهُعَنْهُ كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال: كما يرزقهم على كثرتهم[٢].

﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ ثلاثة بعد يوم النحر وهي أيام التشريق، والذكر فيها التكبير في أدبار الصلوات وعند رمي الجمار وغير ذلك ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ أي[٣] إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار، وأما المتعجل فقيل: يترك[٤] رمي جمار اليوم الثالث، وقيل: يقدمها في اليوم الثاني ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في الموضعين قيل: إنه إباحة للتعجل والتأخر، وقيل: إنه إخبار عن غفران الإثم وهو الذنب للحاج سواء تعجل أو تأخر ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ أما على القول بأن معنى فلا إثم عليه الإباحة[٥] فالمعنى أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما فقد أبيح له ذلك من غير إثم، وأما على القول بأن معنى فلا إثم عليه إخبار بغفران الذنوب فالمعنى أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله في حجه كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[٦]، فاللام متعلقة إما بالغفران

(١) في (ف): (عدة).
(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز بدون سند: ٢/١٣٢.
(٣) قوله: (أي) ساقط من (أ).
(٤) في (ف): (وأما التعجل فقيل: ترك).
(٥) في (ف): (أباحة).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٨١٩)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم:=

أو بالإباحة المفهومين من الآية.

﴿مَن يُعۡجِبُكَ﴾ الآية قيل: نزلت في الأخنس بن شريق[(١)] فإنه أظهر الإسلام ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعا، وقيل: في المنافقين، وقيل: عامة في كل من كان على هذه الصفة ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ متعلق بقوله يعجبك[(٢)] أي يعجبك ما يقول في أمر الدنيا، ويحتمل أن يتعلق بيعجبك ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾ أي يقول الله يعلم[(٣)] إنه لصادق ﴿أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ شديد الخصومة.

﴿تَوَلَّىٰ﴾ أدبر بجسده أو أعرض بقلبه، وقيل: صار واليا ﴿وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ﴾ على القول بأنها في الأخنس فإهلاك الحرث حرقه الزرع[(٤)]، وإهلاك النسل قتله الدواب[(٥)]، وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغته[(٦)] في الفساد، وعبر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل لأنهما قوام معيشة بني[(٧)] آدم فإن الحرث هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل.

﴿أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِ﴾ المعنى أنه لا يطيع من أمره بالتقوى تكبرا وطغيانا. والباء يحتمل أن تكون سببية أو بمعنى مع، وقال الزمخشري: هي كقولك أخذ الأمير الناس بكذا أي ألزمهم إياه فالمعنى: حملته العزة على الإثم.

= (٢٤٠٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٧٣٩)، والنسائي الحديث رقم: (٢٥٨٠)، وابن خزيمة في صحيحه الحديث رقم: (٢٥١٤)..

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤/٢٢٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢/٣٦٤.

(٢) قوله: (يعجبك) ساقط من (ف).

(٣) في (أ): (الله أعلم).

(٤) في (ف): (للزرع).

(٥) في (ف): (للدواب).

(٦) في (ف): (مبالغة).

(٧) في (أ): (ابن آدم).

﴿مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾ أي يبيعها، قيل: نزلت في صهيب[١]، وقيل: على العموم، وبيع النفس في الهجرة أو الجهاد، وقيل: في تغيير المنكر وأن الذي قبلها فيمن غير عليه فلم ينزجر.

﴿ٱلسِّلۡمِ﴾ بفتح السين المسالمة والمراد بها هنا عقد الذمة بالجزية والأمر على هذا لأهل الكتاب وخوطبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة، وقيل: هو[٢] الإسلام، وكذلك هو بكسر السين فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام، وقيل: إنها نزلت في قوم من اليهود[٣] أسلموا وأرادوا أن يعظموا السبت كما كانوا، فالمعنى على هذا: ادخلوا في الإسلام واتركوا سواه، ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى الأمر بالثبوت عليه أو الدخول[٤] في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي ﴿كَآفَّةً﴾ عموم في المخاطبين أوفى شرائع الإسلام.

﴿فَاعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديد لمن زل بعد البيان.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ أي ينتظرون ﴿يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ تأويله عند المتأولين يأتيهم عذاب الله في الآخرة أو أمره في الدنيا، وهي عند السلف الصالح من المتشابه يجب الإيمان بها من غير تكييف، ويحتمل أن لا تكون من المتشابه لأن قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم كقولهم: ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ ﴿فِي ظُلَلٖ﴾ جمع ظلة وهي[٥] ما علاك من فوق، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال وإن كان لله فهو من المتشابه ﴿ٱلۡغَمَامِ﴾

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢٩٨/٣ من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي.

(٢) قوله: (هو) ساقط من (ف).

(٣) أورده الطبري في جامع البيان: ٤/٢٥٥ عن عكرمة مرسلا بإسناد جيد.

(٤) في (أ): (والدخول).

(٥) في (ف): (وهو).

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾
۞ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ
أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ
مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

السحاب ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ فرغ منه وذلك كناية عن وقوع العذاب.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على وجه التوبيخ لهم وإقامة الحجة عليهم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ معجزات موسى أو الدلالات على نبوءة محمد ﷺ ﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾ وعيد.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ كفار قريش سخروا من فقراء المسلمين كبلال وصهيب ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم ﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي أحسن حالا منهم، ويحتمل فوقية المكان لأن الجنة في السماء ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ إن أراد في الآخرة فمن كناية عن المؤمنين والمعنى رد على الكفار أي إن رزق الله الكفار في الدنيا فإن المؤمنين يرزقون في الآخرة، وإن أراد في الدنيا فيحتمل أن يكون من كناية عن المؤمنين أي[1] سيرزقهم ففيه وعد لهم، وأن تكون كناية عن الكافرين أي أن رزقهم في الدنيا بمشيئة الله لا على وجه الكرامة لهم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إن كان للمؤمنين فيحتمل أن يريد بغير تضييق ومن حيث لا يحتسبون أو لا يحاسبون عليه، وإن كان للكفار فمن غير تضييق.

﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي متفقين في الدين، قيل[2]: كفار[3] في زمن نوح عليه السلام، وقيل: مؤمنون ما بين آدم ونوح، أو من كان مع نوح في السفينة، وعلى ذلك يقدر

(١) قوله: (والمعنى رد على الكفار... عن المؤمنين أي) ساقط من (ع).
(٢) في (أ): (وقيل).
(٣) في (أ): (كفارا) بالنصب وقيل: مومنين).

فاختلفوا بعد اتفاقهم ويدل عليه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ﴾ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا جنس، أو مع كل نبيء كتابه ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ الضمير المجرور يعود على الكتاب أو على الضمير المجرور المتقدم، وقال الزمخشري: يعود على الحق، وأما الضمير في أوتوه فيعود على الكتاب والمعنى تقبيح الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات ﴿بَغْيًا﴾ أي حسدا أو عدوانا وهو مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني أمة محمد ﷺ ﴿لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ أي للحق لما اختلفوا فيه فما بمعنى الذي وقبلها مضاف محذوف والضمير في اختلفوا لجميع الناس يريد اختلافهم في الأديان فهدى الله المؤمنين لدين الحق وتقدير الكلام: فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق ومن في قوله ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ لبيان الجنس أي[1] جنس ما وقع فيه الخلاف ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ قيل: بعلمه، وقيل: بأمره.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم والأمر بالصبر على الشدائد ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ أي لا تدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾ أي حالهم وعبر عنه بالمثل لأنه في شدته يضرب به المثل ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ بالتخويف والشدائد ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ يحتمل أن يكون جوابا للذين قالوا متى نصر الله وأن يكون إخبارا مستأنفا، وقيل: إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه متى نصر الله.

﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ إن أريد بالنفقة الزكاة فذلك منسوخ والصواب أن المراد التطوع فلا نسخ، وقدم في الترتيب الأهم فالأهم، وورد السؤال عن[2] المنفق والجواب عن مصرفه؛ لأنه كان المقصود بالسؤال، وقد حصل الجواب عن المنفق في قوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾.

---

(١) في (أ): (أعني).

(٢) في (أ): (على).

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ربع
اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا
أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴿٢١٩﴾ قُلِ
الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ إن كان على الأعيان فنسخه ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ فصار القتال فرض كفاية، وإن كان على الكفاية فلا نسخ ﴿كُرْهٌ﴾ مصدر كره[1] ذكر للمبالغة أو اسم مفعول كالخبز بمعنى المخبوز ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا﴾ حض على القتال.

﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ جنس وهو[2] أربعة أشهر: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل من الشهر وهو[3] مقصود السؤال ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي ممنوع ثم نسخه ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ وذلك بعيد فإن ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ عموم في الأمكنة لا في الأزمنة، ويظهر أن ناسخه ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ بعد ذكر الأشهر الحرم، فكان التقدير: قاتلوا فيها[4]، ويدل عليه ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال في الشهر الحرام أي إباحته حسبما استقر في الشرع فلا تكون الآية منسوخة، بل ناسخة لما كان في أول الإسلام من تحريم القتال في الأشهر الحرم ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ابتداء وما[5] بعده معطوف عليه و﴿أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾ خبر الجميع، أي أن هذه الأفعال القبيحة التي

(١) قوله: (كره) زيادة من (ف).
(٢) في (ف): (وهي).
(٣) في (ف): (وهذا).
(٤) في (أ): (فيهن).
(٥) في نسخة: (ما).

فعلها الكفار أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام الذي عير به الكفار المسلمين في سرية عبد الله بن جحش(١) حين قاتل في أول يوم من رجب، وقد قيل: إنه ظن أنه(٢) آخر يوم من جمادى(٣) ﴿وَالْمَسْجِدِ﴾ عطف على سبيل الله ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾ قال الزمخشري: حتى هنا للتعليل ﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ ذهب مالك إلى(٤) أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد سواء رجع إلى الإسلام أو مات على الارتداد، ومن ذلك انتقاض وضوئه، وبطلان صومه، وذهب الشافعي إلى أنه لا يحبط إلا إن مات كافرا لقوله ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ وأجاب المالكية: بأن قوله(٥) ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ جزاء على الردة، وقوله: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ جزاء على الموت على الكفر، وفي ذلك نظر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه(٦).

﴿الْخَمْرِ﴾ كل مسكر من العنب وغيره ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار، وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجزور، ثم يدخل في ذلك النرد والشطرنج وغيرهما، وروي(٧) أن السائل عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ نص في التحريم

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله بن جحش الأسدي أمه أحيحة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استشهد في معركة أحد سنة: ٣هـ، للمزيد ينظر الاستيعاب لابن عبد البر: ٣/١٤، والإصابة لابن حجر: ٢/٢٨٧، والأعلام للزركلي: ٤/٧٦.

(٢) في (ف): (وقد قيل: إنه ظنه).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ٣/١٠٣، والطبري في جامع البيان: ٢/٣٠٦، والطبراني في المعجم الكبير رقم: (١٦٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى: ٩/١١، وابن كثير في تفسيره: ١/٤٦٦، قال السيوطي في الدر المنثور: ١/٦٠٠ (بسند صحيح). وانظر الكشاف للزمخشري: ١/٢٥٥.

(٤) في (ف): (على).

(٥) في (أ): (بقوله).

(٦) صحيح الطبري الحديث رقم: (٤١٢٠٢)، وانظر السيرة لابن هشام: ٢/٢٥٢.

(٧) انظر الكشاف للزمخشري: ١/١١٠، وقال ابن عطية السائلون: هم المؤمنون. انظر المحرر الوجيز: ١/١٧٨.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾

وأنهما من الكبائر لأن الإثم حرام لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ خلافا لمن قال إنما حرمتها آية المائدة لا هذه الآية ﴿وَمَنَـٰفِعُ﴾ في الخمر التلذذ والطرب وفي القمار الاكتساب به ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة، قال ابن عباس: المنافع قبل التحريم، والإثم بعده[1]. ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ﴾ تغليبا للإثم على المنفعة، وذلك أيضا بيان للتحريم.

﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي السهل من غير مشقة، وقراءة الجماعة بالنصب[2] بإضمار فعل مشاكلة للسؤال، على أن يكون ما ذا مركبا مفعولا لينفقون وقرأ أبو عمرو بالرفع بالابتداء مشاكلة للسؤال على أن يكون ما مبتدءا وذا خبره ﴿تَتَفَكَّرُونَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي في أمرهما ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ كانوا قد تجنبوا اليتامى تورعا، فنزلت إباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم، فإن قيل: لم جاء ﴿يسألونك﴾ بالواو ثلاث مرات وبغير واو ثلاث مرات قبلها؟ فالجواب: أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأول وقع في أوقات مفترقة فلم يأت بحرف عطف، وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو لأنها كانت متناسقة. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ تحذير من الفساد وهو أكل أموال اليتامى ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم، قال ابن عباس[3]:

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٢٩/٤، والسيوطي في الدر المنثور: ٦٠٧/١ بإسناد ضعيف.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ فقرأ أبو عمرو بالرفع وقرأ الباقون بالنصب. النشر: ٢٥٩/٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٥٩/٤ بإسناد ضعيف وانظر الدر المنثور: ٦١٣/١.

لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى.

﴿وَلَا تَنكِحُوا﴾ أي لا تتزوجوا والنكاح مشترك بين الوطء والعقد ﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ عباد الأوثان من العرب فلا تتناول اليهود ولا النصارى المباح نكاحهن في المائدة فلا تعارض بين الموضعين ولا نسخ خلافا لمن قال آية المائدة نسخت هذه، ولمن قال هذه نسخت آية المائدة، فمنع نكاح الكتابيات ونزول الآية بسبب مرثد[1] الغنوي[2] أراد أن يتزوج امرأة مشركة[3] ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أي أمة لله حرة كانت أو مملوكة، وقيل: أمة مملوكة خير من حرة مشركة[4] ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ في الجمال والمال وغير ذلك ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي لا تزوجوهم نساءكم وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوج مسلمة سواء كان كتابيا أو غيره، واستدل المالكية على وجوب الولاية في النكاح بقوله ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال ﴿وَلَعَبْدٌ﴾ أي عبد لله، وقيل: مملوك ﴿أُولَٰئِكَ﴾ المشركات والمشركون ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي[5] إلى الكفر

---

(١) وقيل: في أبي مرثد، قال القرطبي: وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في أبي مرثد الغنوي، وقيل: في مرثد بن أبي مرثد، واسمه كناز بن حصين الغنوي، بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة سرا ليخرج رجلا من أصحابه، وكانت له بمكة امرأة يحبها في الجاهلية يقال لها «عناق» فجاءته، فقال لها: إن الإسلام حرم ما كان في الجاهلية، قالت: فتزوجني، قال: حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فأتى النبي ﷺ فاستأذنه فنهاه عن التزوج بها، لأنه كان مسلما وهي مشركة. ٣/٦٧ الجامع لأحكام القرآن.

(٢) هو مرثد بن أبي مرثد الغنوي واسم أبيه كناز بن حصين، هاجر إلى المدينة وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أوس بن الصامت، شهد هو وأبوه بدرا، واستشهد في غزوة الرجيع مع عاصم بن ثابت سنة: ٣هـ، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣/٤٧، والاستيعاب: ٤/١٧٠، والإصابة: ٤/١٧٧، وأسد الغابة: ١/١٠٠١. أسباب النزول: ١/٤٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٢/٣٩٨، والدر المنثور: ١/٦١٤، وهو بإسناد فيه انقطاع.

(٤) قوله: (﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أي أمة لله حرة كانت... مشركة) ساقط من (ف).

(٥) قوله: (أي) ساقط من (ف) و(ع).

الموجب للنار[1] ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي بإرادته أو علمه.

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾ سأل عن ذلك عباد بن بشر[2] وأسيد بن حضير[3] قالا

(١) في (أ): (النار).

(٢) هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصارى الأشهلي. قال الواقدي: يكنى أبا بشر. وقال ابن عمارة: يكنى أبا الربيع، وقال إبراهيم بن المنذر: عباد بن بشر يكنى أبا بشر ويكنى أبا الربيع، قال أبو عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يختلفون أنه أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير وذلك قبل إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودي وكان من فضلاء الصحابة وأبطالهم. روى أنس مالك أن عصاه كانت تضيء له إذ كان يخرج من عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته ليلا، وعرض له ذلك مرة مع أسيد بن حضير فلما افترقا أضاءت لكل واحد منهما عصاه، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبعثه إلى القبائل يصدقها (يجمع الصدقات) وجعله على مقاسم حنين، واستعمله على حرسه بتبوك. استشهد يوم اليمامة سنة: ١٢هـ. انظر: الاستيعاب: ٢٤١/١، وابن سعد، القسم الثاني من الجزء الثالث، ص: ١٧، وتهذيب التهذيب: ٥: ٩٠، والأعلام للزركلي: ٢٧٥/٣.

(٣) هو أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل... اختلف في كنيته فقيل فيها خمسة أقوال قيل يكنى أبا عيسى، روى معاذ بن هشام عن أبيه عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسيد بن حضير قال قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا أبا عيسى، وقيل: يكنى أبا يحيى، وقيل: يكنى أبا عتيك، وقيل: أبا الحضير، وقيل: أبا الحصين بالصاد والنون وأخشى أن يكون تصحيفا والأشهر أبو يحيى وهو كما يقول ابن إسحاق وغيره: أسلم قبل سعد بن معاذ على يدي مصعب بن عمير، وكان ممن شهد العقبة الثانية وهو من النقباء ليلة العقبة وكان بين العقبة الأولى والثانية سنة ولم يشهد بدرا كذلك ابن إسحاق وغيره يقول إنه شهد بدرا وشهد أحدا وما بعدهما من المشاهد، وجرح يوم أحد سبع جراحات وثبت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين انكشف الناس، ذكر له أبو أحمد الحاكم في كتابه في الكنى ثلاث كنى أبو الحصين وأبو الحضير وأبو عيسى وذكر له في موضع آخر خمس كنى وذكر له أبو الحسن علي ابن عمر الدارقطني كنية سادسة أبو عتيق فقال أسيد بن حضير: يكنى أبا يحيى وأبا عتيك وأبا عتيق

وكان أسيد بن حضير أحد العقلاء الكملة من أهل الرأي وآخى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين زيد بن حارثة وكان أسيد بن حضير من أحسن الناس صوتا بالقرآن وحديثه في استماع الملائكة قراءته حين نفرت فرسه حديث صحيح عن طرق صحاح من نقل أهل الحجاز والعراق

لرسول الله ﷺ: «ألا نجامع النساء في المحيض خلافا لليهود؟»[(١)] ﴿هُوَ أَذًى﴾ مستقذر وهذا تعليل لتحريم الجماع في المحيض ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ أي[(٢)] اجتنبوا جماعهن، وقد فسر ذلك الحديث بقوله: «لتشد عليها إزارها ثم شأنك بأعلاها»[(٣)] ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي ينقطع عنهن الدم ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي اغتسلن بالماء

= وذكر إسمعيل بن إسحاق قال حدثنا نصر بن علي قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا أبو عطارد ومات قبل ابن عون قال جاء عامر بن الطفيل وزيد إلى رسول الله ﷺ فسألاه أن يجعل لهما نصيبا من تمر المدينة فأخذ أسيد بن حضير الرمح فجعل يقرع رءوسهما ويقول: اخرجا أيها الهجرسان فقال عامر من أنت فقال أنا أسيد ابن حضير قال حضير الكتائب قال نعم قال كان أبوك خيرا منك قال بل أنا خير منك ومن أبي، مات أبي وهو كافر فقلت للأصمعي ما الهجرس قال الثعلب، وذكر البخاري عن عبد العزيز الأويسي عن إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا كلهم من بني عبد الأشهل: سعد ابن معاذ وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر

توفي أسيد بن حضير في شعبان سنة عشرين، وقيل: سنة إحدى وعشرين، وحمله عمر بن الخطاب بين العامودين من عبد الأشهل حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه وأوصى إلى عمر بن الخطاب فنظر عمر في وصيته فوجد عليه أربعة آلاف دينار فباع نخله أربع سنين بأربعة آلاف وقضى دينه، وقيل: إنه حمل نعشه بنفسه بين الأربعة الأعمدة وصلى عليه. الاستيعاب: ٣٠/١، والإصابة: ٤٨/١، وأسد الغابة: ١١١/١، وتهذيب الكمال: ١١٣/١.

(١) حديث صحيح من حديث أنس بن مالك ولفظه: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ...﴾ فقال ﷺ «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه... أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٠٢)، وأبو داود الحديث رقم: (٢٥٨)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٧٧)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (١٣٦٢)، وأحمد في المسند: ١٣١/٣.

(٢) قوله: (أي) ساقط من (أ).

(٣) مرسل صحيح رواه مالك في الموطإ: باب ما يحل للرجل من امرأته وهي حائض، الحديث رقم: (١١٤) قال ابن عبد البر في التمهيد: «لا أعلم أحدا روى هذا الحديث مسندا بهذا اللفظ ومعناه صحيح ثابت، التمهيد: ٢٦٠/٥، ويغني عنه الحديث وهو أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يباشر من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض» أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم:=

وتعلق الحكم بالغاية الأخيرة عند مالك والشافعي، فلا يجوز عندهما وطء حتى تغتسل، وبالغاية الأولى عند أبي حنيفة فأجاز الوطء عند انقطاع الدم وقبل الغسل، وقرئ حتى يطهرن بالتشديد[١] ومعنى هذه القراءة بالماء، فتكون القراءتان بمعنى واحد، وذلك حجة لمالك. ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ قبل المرأة ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء أو من الذنوب[٢].

﴿حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي موضع حرث وذلك تشبيه للجماع في إلقاء النطفة وانتظار الولد بالحرث في إلقاء البذر وانتظار الزرع ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي كيف شئتم من الهيئات أو متى شئتم لا أين شئتم لأنه يوهم الإتيان في الدبر، وقد افترى من نسب جوازه إلى مالك، وقد تبرأ هو من ذلك وقال: إنما الحرث في موضع الزرع[٣] ﴿وَقَدِّمُوا

= (٣٠٣)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٩٤)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢١٦٧)..

(١) ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء والباقون بتخفيفهما، وضم الهاء. النشر: ٢/٢٥٩، والتحبير: ١/٣٠٤.

(٢) في (ع): (ومن الذنوب).

(٣) قال القرطبي نقلا عن ابن العربي في قبسه: وقد حرم الله تعالى الفرج حال الحيض لأجل النجاسة العارضة. فأولى أن يحرم الدبر لأجل النجاسة اللازمة. وقال مالك لابن وهب وعلي بن زياد لما أخبراه أن ناسا بمصر يتحدثون عنه أنه يجيز ذلك، فنفر من ذلك، وبادر إلى تكذيب الناقل فقال: كذبوا علي، كذبوا علي، كذبوا علي! ثم قال: ألستم قوما عربا؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ وهل يكون الحرث إلا في موضع المنبت! وما استدل به المخالف من أن قوله ﷻ: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ شامل للمسالك بحكم عمومها فلا حجة فيها، إذ هي مخصصة بما ذكرناه، وبأحاديث صحيحة حسان وشهيرة رواها عن رسول الله ﷺ اثنا عشر صحابيا بمتون مختلفة، كلها متواردة على تحريم إتيان النساء في الأدبار، ذكرها أحمد بن حنبل في مسنده، وأبو داود والنسائي والترمذي وغيرهم. وقد جمعها أبو الفرج بن الجوزي بطرقها في جزء سماه «تحريم المحل المكروه». ولشيخنا أبي العباس أيضا في ذلك جزء سماه «إظهار إدبار، من أجاز الوطء في الأدبار». =

﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي الأعمال الصالحة.

﴿عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ أي لا تكثروا الحلف بالله فتبتذلوا[١] اسمه، وأن تبروا على هذا علة للنهي فهو مفعول من أجله، أي نهيتم عن كثرة الحلف كي تبروا، وقيل المعنى: لا تحلفوا على أن تبروا وتتقوا وافعلوا البر والتقوى دون يمين، فأن تبروا على هذا هو المحلوف عليه والعرضة على هذين القولين كقولك: فلان عرضة لفلان إذا أكثر التعرض له، وقيل: عرضة مانع من قولك: عرض له أمر حال بينه وبين كذا، أي لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى، ومن ذلك يمين أبي بكر الصديق أن لا ينفق على مسطح[٢] فأن تبروا على هذا علة لامتناعهم فهو مفعول

= قلت: وهذا هو الحق المتبع والصحيح في المسألة، ولا ينبغي لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج في هذه النازلة على زلة عالم بعد أن تصح عنه. وقد حذرنا من زلة العالم. وقد روي عن ابن عمر خلاف هذا، وتكفير من فعله، وهذا هو اللائق به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكذلك كذب نافع من أخبر عنه بذلك، كما ذكر النسائي، وقد تقدم. وأنكر ذلك مالك واستعظمه، وكذب من نسب ذلك إليه. وروى الدارمي أبو محمد في مسنده عن سعيد بن يسار أبي الحباب قال: قلت لابن عمر: ما تقول في الجواري حين أحمض بهن؟ قال: وما التحميض؟ فذكرت له الدبر، فقال: هل يفعل ذلك أحد من المسلمين! وأسند عن خزيمة بن ثابت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أيها الناس إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن». ومثله عن علي بن طلق. وأسند عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أتى امرأة في دبرها لم ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة» وروى أبو داود الطيالسي في مسنده عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تلك اللوطية الصغرى» يعني إتيان المرأة في دبرها. وروي عن طاوس أنه قال: كان بدء عمل قوم لوط إتيان النساء في أدبارهن. قال ابن المنذر: وإذا ثبت الشيء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استغني به عما سواه. القرطبي: ٣/٩٤.

(١) في المطبوع: (فتبدلوا).

(٢) هو مسطح بن أثاثة، بن عباد، بن المطلب، بن عبد مناف، بن قصي القرشي، المطلبي، يكنى أبا عباد. وقيل: أبا عبد الله، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وهي ابنة خالة أبي بكر الصديق، وقيل: أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها رائطة بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق شهد بدراً، ثم خاض في الإفك على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فجلده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن جلد في ذلك، وكان أبو بكر ينفق عليه فأقسم=

لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُوَاخِذُكُم بِمَا
كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ لِّلَّذِينَ يُولُونَ مِن
نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَإِنْ
عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ • وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي
أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُومِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ
فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن
تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ
بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن
يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝

من أجله أو مفعول بعرضة لأنها بمعنى مانع.

﴿بِاللَّغْوِ﴾ الساقط وهو عند مالك قولك: نعم والله، ولا والله، الجاري على اللسان من غير قصد[1] وفاقا للشافعي، وقيل: أن يحلف على الشيء بظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه[2]، وفاقا لأبي حنيفة، وقال ابن عباس[3]: اللغو الحلف حين الغضب، وقيل: اللغو اليمين على

= ألا ينفق عليه فنزلت: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ...﴾ [النور: ٢٢] الآية، ويقال: مسطح لقب واسمه عوف بن أثاثة. توفي سنة أربع وثلاثين وهو ابن ست وخمسين سنة، وقد قيل: شهد مسطح صفين وتوفي سنة سبع وثلاثين وقد ذكرناه في باب من اسمه عوف من العين في هذا الكتاب والحمد لله. الاستيعاب لابن عبد البر: ١/٤٦٣.

(١) ما ذكره المؤلف هنا ليس هو المشهور، قال ابن عبد البر في الاستذكار: قال مالك: أحسن ما سمعت في هذا أن اللغو حلف الإنسان على الشيء يستيقن أنه كذلك ثم يوجد على غير ذلك، فهو اللغو وليس فيه كفارة. ٥/١٩٠.

(٢) هذا هو المعروف في كتب المالكية قاطبة، وهو المشهور عن مالك، وقال المؤلف في قوانينه: الأيمان على ثلاثة أنواع؛ لغو، وغموس، وعقد.
فاللغو: لا كفارة فيه اتفاقا، وهو الحلف على شيء يظنه كما حلف ثم تبين له خلافه وفاقا لأبي حنيفة، وقيل هو: قول لا والله، ونعم والله، الجاري على اللسان، من غير قصد وفاقا للشافعي، وإسماعيل القاضي، وقال طاوس: هو أن يحلف الرجل وهو غضبان، وقال ابن عباس: هو أن يحلف على معصية، ص: ٢٧٩.

(٣) أخرجه ابن منصور في سننه: ٤/١٥٣٣، والبيهقي في السنن الكبرى: ١٠/٤٩، والطبري في جامع البيان: ٤/٤٣٨، وهو ضعيف من جهة السند.

المعصية والمؤاخذة العقاب أو وجوب الكفارة ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي قصدت فهو خلاف اللغو، وقال ابن عباس[١]: هو اليمين الغموس وذلك أن يحلف على الكذب متعمدا وهو حرام إجماعا وليس فيه كفارة عند مالك خلافا للشافعي.

﴿يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ يحلفون على ترك وطئهن، وإنما تعدى بمن لأنه تضمن معنى البعد منهن، ويدخل في عموم قوله ﴿الذين﴾ كل حالف حرا كان أو عبدا، إلا أن مالكا جعل مدة إيلاء العبد شهرين خلافا للشافعي، ويدخل في إطلاق الإيلاء اليمين بكل ما يلزم عنه حكم خلافا للشافعي في قصره[٢] الإيلاء على الحلف بالله ووجهه أنها اليمين الشرعية ولا يكون موليا عند مالك والشافعي إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر، وعند أبي حنيفة أربعة أشهر فصاعدا فإذا انقضت الأربعة الأشهر: وقف المولي عند مالك والشافعي فإما فاء وإلا طلق فإن أبى الطلاق طلق[٣] عليه الحاكم، وقال أبو حنيفة: إذا انقضت الأربعة الأشهر وقع الطلاق دون توقيف، ولفظ الآية يحتمل القولين، ﴿فَإِن فَآءُو﴾ رجعوا إلى الوطء وكفروا عن اليمين ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي يغفر ما في الأيمان من إضرار المرأة.

﴿عَزَمُواْ ٱلطَّلَاقَ﴾ العزيمة على قول مالك التطليق أو الإباية فيطلق عليه الحاكم وعند أبي حنيفة ترك الفيء حتى تنقضي الأربعة الأشهر، والطلاق في الإيلاء رجعي عند مالك بائن عند الشافعي وأبي حنيفة.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ بيان للعدة وهو عموم مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ واليائسة والصغيرة بقوله ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ الآية[٤] والتي لم يدخل بها بقوله ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤/٤٥٠ من طريق عبد الله بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) في (أ): (قصر).

(٣) قوله: (فإن أبى الطلاق طلق) ساقط من (ف).

(٤) قوله: (الآية) ساقط من (أ).

عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ فيبقى حكمها في المدخول بها وهي في سن من تحيض، وقد خص مالك منها الأمة فجعل عدتها قرأين، ويتربصن خبر بمعنى الأمر. ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ انتصب ثلاثة على أنه مفعول به هكذا قال الزمخشري[(١)]، وقروء جمع قرء وهو مشترك في اللغة بين الطهر والحيض فحمله مالك والشافعي على الطهر لإثبات التاء في ثلاثة فإن الطهر مذكر والحيض مؤنث ولقول عائشة: الأقراء هي الأطهار[(٢)]، وحمله أبو حنيفة على الحيض لأنه الدليل على براءة الرحم وذلك مقصود العدة، فعلى قول مالك تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة إذا طلقها في طهر لم يمسها فيه، وعند أبي حنيفة بالطهر منها ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ يعني الحمل والحيض، وبعولتهن جمع بعل وهو هنا[(٣)] الزوج ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي في زمان العدة ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ من الاستمتاع وحسن المعاشرة ﴿دَرَجَةٌ﴾ في الكرامة، وقيل: الإنفاق، وقيل: كون الطلاق بيده.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ بيان لعدد الطلاق الذي يرتجع منه دون زوج آخر، وقيل: بيان لعدد الطلاق الذي يجوز إيقاعه وهو طلاق السنة ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ ارتجاع وهو مرفوع بالابتداء أو بالخبر ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ حسن المعاشرة وتوفية الحقوق ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ هو تركها حتى تنقضي العدة فتبين منه ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ المتعة، وقيل: التسريح هنا الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وروي في ذلك حديث ضعيف[(٤)] وهو بعيد لأن قوله تعالى بعد ذلك ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ هو الطلقة الثالثة، وعلى ذلك يكون تكرارا، والطلقة الرابعة[(٥)] لا معنى

---

(١) قال الزمخشري في كشافه: فإن قلت فعلام انتصب ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ قلت: على انه مفعول به كقولك: المحتكر يتربص الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء...) ١/٣٠٠.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤/٥٠٦، وأبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٢/٣٠، والدر المنثور: ١/٦٥٦.

(٣) قوله: (هنا) ساقط من (ف).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤/٥٥٧.

(٥) في (ف) و(ع): (وطلقة رابعة).

لها. ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا﴾ الآية[١] نزلت بسبب ثابت بن قيس اشتكت منه[٢] امرأته لرسول الله ﷺ فقال لها: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، فدعاه فطلقها على ذلك[٣] وحكمها على العموم وهو[٤] خطاب للأزواج في حكم الفدية وهي الخلع، وظاهرها أنه لا يجوز الخلع إلا إذا خاف الزوجان ألا يقيما حدود الله، وذلك إذا ساء ما بينهما وقبحت معاشرتهما، ثم إن المخالعة على أربعة أحوال:

الأول: أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة فأجازها مالك وغيره لقوله تعالى ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً﴾ الآية[٥].

ومنعها قوم لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾.

والثاني: أن يكون الضرر منهما جميعا، فمنعه مالك في المشهور لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾، وأجازه الشافعي لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾.

والثالث: أن يكون الضرر من الزوجة خاصة فأجازه الجمهور لظاهر هذه الآية.

والرابع: أن يكون الضرر من الزوج خاصة فمنعه الجمهور لقوله تعالى ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾، وقد منع بعضهم الخلع مطلقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ

---

(١) قوله: (الآية) ساقط من (أ).

(٢) في (ف) و(ع): (به).

(٣) البخاري كتاب الطلاق باب الخلع الحديث رقم: (٥٢٧٣)، والنسائي في سننه: ١٦٩/٦ الحديث رقم: (٣٤٠٩)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٠٥٦)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٢٢٩)، وشرح السنة للبغوي الحديث رقم: (٢٣٤٩)..

(٤) في (ف) و(ع): (وهي).

(٥) قوله: (الآية) ساقط من (أ).

أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ الآية[(١)]، وأجازه أبو حنيفة مطلقا وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسنة.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب للحكام والمتوسطين في هذا الأمر[(٢)]. ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله: ﴿ٱلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُۥ﴾ أجمعت الأمة على أن النكاح هنا هو العقد مع الدخول والوطء لقوله ﷺ للمطلقة ثلاثا حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسها الزوج الآخر: «لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»[(٣)] وروي عن سعيد بن المسيب أن العقد يحلها دون وطء، وهو قول مرفوض لمخالفته للحديث[(٤)] وخرقه للإجماع، وإنما تحل عند مالك إذا كان النكاح صحيحا لا شبهة فيه، والوطء مباحا، في غير حيض، ولا إحرام، ولا اعتكاف، ولا صيام، خلافا لابن الماجشون في الوطء غير المباح، وأما نكاح المحلل فحرام ولا يحل الزوجة لزوجها عند مالك، خلافا لأبي حنيفة، والمعتبر في ذلك نية المحلل لا نية المرأة، ولا المحلل له، وقال قوم: من نوى التحليل منهم أفسد. ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعني هذا الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي على الزوجة والزوج الأول ﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي أوامره فيما يجب من حقوق الزوجية[(٥)].

---

(١) قوله: (وقد منع بعضهم الخلع مطلقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ الآية) ساقط من (أ).

(٢) قوله: (الأمر) ساقط من (ف).

(٣) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٦٣٩) كتاب الشهادات ومسلم الحديث رقم: (١٤٣٣)، والترمذي الحديث رقم: (١٠٣٧)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٣٣٥٦)، وابن ماجه الحديث رقم: (١٩٣٢)، والطبري في جامع البيان: ٥٩٠/٤..

(٤) قال ابن كثير: في تفسيره وفي صحته عنه نظر، ثم ساق روايات عنه عن ابن عمر بخلاف هذه الروايات: ٥١١/١ ثم علق بقوله: فبعيد أن يخالف ما رواه بغير سند، وحكى قول سعيد هذا الإمام النووي في شرحه على مسلم ونقله عن القاضي عياض. انظر شرح صحيح مسلم: ٣/١٠.

(٥) في (أ): (الزوجة).

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ربع
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ
رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ
وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا
آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية[١] خطاب للأزواج وهو[٢] نهي عن أن يطول الرجل العدة على المرأة مضارة منه لها بأن يرتجع قرب انقضاء العدة، ثم يطلق بعد ذلك، ومعنى ﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ في هذا الموضع: قاربن انقضاء العدة، وليس المراد انقضاءها لأنه ليس بيده إمساك حينئذ، ومعنى: أمسكوهن راجعوهن ﴿مَعْرُوفٍ﴾ هنا قيل: هو الإشهاد، وقيل: النفقة.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية هذه الأخرى خطاب للأولياء وبلوغ الأجل هنا انقضاء العدة ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي لا تمنعوهن ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي يراجعن الأزواج الذين طلقوهن، قال السهيلي: نزلت[٣] في معقل بن يسار كان له أخت فطلقها زوجها ثم أراد مراجعتها وأرادت هي مراجعته فمنعها أخوها، وقيل: نزلت[٤] في جابر بن عبد الله، وذلك أن رجلا طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها، ثم أراد ارتجاعها فمنعها جابر، وقال: تركتها وأنت أملك بها، لا زوجتكها أبدا، فنزلت الآية، والمعروف هنا العدل، وقيل: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا الإشهاد، وهذه الآية

---

(١) قوله: (الآية) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (وهي).

(٣) صحيح خرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير الحديث رقم: (٤٥٢٩)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٠٨٧)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٨١)، والطبري في جامع البيان: ١٧/٥.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢١/٥ بسند غير متصل، قال ابن كثير في تفسيره: ٥٢١/١ بعد أن أورد السببين، والصحيح الأول، يشير إلى نزولها في معقل بن يسار وأخته.

تقتضي ثبوت حق الولي في نكاح وليته، خلافا لأبي حنيفة. ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ خطاب للنبي ﷺ ولكل أحد على حدته، ولذلك وحد ضمير الخطاب ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين والإشارة إلى ترك العضل، ومعنى أزكى أطيب للنفس، ومعنى أطهر: أي[١] للدين والعرض.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ خبر بمعنى الأمر، وتقتضي الآية حكمين:

الحكم الأول: من يرضع الولد. فمذهب مالك أن المرأة يجب عليها إرضاع ولدها ما دامت في عصمة والده، إلا أن تكون شريفة لا يرضع مثلها فلا يلزمها ذلك، وإن كان والده قد مات وليس للولد مال لزمها رضاعه في[٢] المشهور، وقيل: أجرة رضاعه على بيت المال، وإن كانت مطلقة بائنا لم يلزمها إرضاعه لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ إلا أن تشاء هي فهي أحق به بأجرة المثل، فإن لم يقبل غيرها وجب عليها إرضاعه، ومذهب الشافعي وأبي حنيفة أنها لا يلزمها إرضاعه أصلا، والأمر في هذه الآية عندهما على الندب، وقال أبو ثور: يلزمها على الإطلاق لظاهر الآية، وحملها على الوجوب، وأما[٣] مالك فحملها في موضع على الوجوب[٤] وفي موضع على الندب، وفي موضع على التخيير، حسبما ذكر[٥] من التقسيم في المذهب.

الحكم الثاني: مدة الرضاع، وقد ذكرها في قوله ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وإنما وصفهما بكاملين لأنه يجوز أن يقال في حول وبعض آخر حولين[٦] فرفع ذلك الاحتمال وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾

---

(١) قوله: (أي) ساقط من (ف) و(ع).
(٢) في (ف): (على).
(٣) زاد في (ف): (مذهب).
(٤) قوله: (في موضع على الوجوب) ساقط من (ف).
(٥) في (ف): (ذكرنا).
(٦) في (ف) و(ع): (حولان).

واشترط أن يكون الفطام عن تراض الأبوين بقوله ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ الآية فإن لم يكن على الولد ضرر في الفطام فلا جناح عليهما، ومن دعا منهما إلى تمام الحولين فذلك له، وأما بعد الحولين فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له، وقال ابن عباس[١]: إنما يرضع حولين من مكث في البطن ستة أشهر، فإن مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا، وإن مكث تسعة فرضاعه إحدى وعشرون لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَالُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾. ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ في هذه النفقة والكسوة قولان:

أحدهما: أنها أجرة رضاع الولد أوجبها الله للأم على الوالد وهو قول الزمخشري[٢] وابن العربي[٣].

الثاني: أنها نفقة الزوجات على الإطلاق، قال[٤] منذر ابن سعيد[٥] البلوطي: هذه الآية نص في وجوب نفقة الرجل على زوجته، وعلى ذلك[٦] حملها ابن الفرس[٧].

---

(١) صحيح أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٧/٤٤٢، والحاكم في المستدرك: ٢/٢٨٥، والطبري في جامع البيان: ٥/٣٤ بإسناد صحيح وانظر الدر المنثور: ١/٦٨٨.

(٢) انظر الكشاف: ١/٣٠٧.

(٣) قال ابن العربي: الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: قَوْله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ نَفَقَةِ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ لِعَجْزِهِ وَضَعْفِهِ؛ فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَى يَدَيْ أَبِيهِ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِ؛ وَسَمَّى اللهُ تَعَالَى الْأُمَّ لِأَنَّ الْغِذَاءَ يَصِلُ إلَيْهِ بِوَسَاطَتِهَا فِي الرَّضَاعَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ لِأَنَّ الْغِذَاءَ لَا يَصِلُ إلَى الْحَمْلِ إلَّا بِوَسَاطَتِهِنَّ فِي الرَّضَاعَةِ؛ وَهَذَا بَابٌ مِنْ أُصُولِ الْفِقْهِ، وَهُوَ أَنَّ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إلَّا بِهِ وَاجِبٌ مِثْلُهُ. أحكام القرآن: ١/٤٠٢.

(٤) في (أ): (وقال).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) في (أ): (وعلى هذا).

(٧) تقدمت ترجمته.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي على قدر حال الزوج في ماله والزوجة في منصبها، وقد بين ذلك بقوله: ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾.

﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ قرئ[1] بفتح الراء لالتقاء الساكنين على النهي، وبرفعها[2] على الخبر ومعناه النهي، ويحتمل على كل واحد من الوجهين أن يكون الفعل مسندا إلى الفاعل فيكون ما قبل الآخر مكسورا قبل الإدغام، أو يكون مسندا إلى المفعول فيكون مفتوحا، والمعنى على الوجهين: النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد ويدخل في عموم النهي وجوه الضرر كلها والباء في قوله بولدها وبولده سببية والمراد بقوله ﴿وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ﴾ الوالد وإنما ذكره بهذا[3] اللفظ إعلاما بأن الولد ينسب[4] له لا للأم. ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَالِكَ﴾ اختلف في الوارث فقيل: وارث المولود له، وقيل: وارث الصبي لو مات، وقيل: هو الصبي نفسه، وقيل: من بقي من أبويه، واختلف في المراد بقوله ﴿مِثْلُ ذَالِكَ﴾ فقال مالك وأصحابه: عدم المضارة وذلك يجري مع كل قول في الوارث؛ لأن ترك الضرر واجب على كل أحد، وقيل: المراد أجرة الرضاع من النفقة والكسوة، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث، فأما على القول بأن الوارث هو الصبي فلا إشكال؛ لأن أجرة رضاعه في ماله، وأما على سائر الأقوال فقيل: إن الآية منسوخة فلا تجب أجرة الرضاع على أحد غير الوالد، وقيل: إنها محكمة فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبي لو مات[5] أو على وارث الوالد وهو قول قتادة والحسن

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿لاَ تُضَآرَّ﴾ فقرأ ابن كثير والبصريان برفع الراء وقرأ الباقون بفتحها. واختلف عن أبي جعفر في سكونها مخففة فروى عيسى من طريق ابن مهران عن ابن شبيب وابن جماز من طريق الهاشمي بتخفيف الراء مع إسكانها كذلك النشر: ٢/٢٦٠، والبدور الزاهرة، ص: ٦٢.

(٢) في (أ): (وبرفعه).

(٣) في (ف): (هذا).

(٤) قوله: (ينسب) ساقط من (ع).

(٥) قال ابن العربي: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَالِكَ﴾ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ،=

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
(٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا
ثمن وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥) ۞ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ
قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
(٢٣٦) وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا
الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)

البصري[1]. ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ﴾ إباحة لاتخاذ الظئر ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي دفعتم أجرة الرضاع.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآية عموم في كل متوفى عنها سواء توفي زوجها قبل الدخول أو بعده إلا الحامل فعدتها وضع حملها سواء وضعته قبل

= وَهَذَا كَلَامٌ تَشْمَئِزُّ مِنْهُ قُلُوبُ الْغَافِلِينَ، وَتَحَارُ فِيهِ أَلْبَابُ الشَّادِينَ، وَالأَمْرُ فِيهِ قَرِيبٌ؛ لِأَنَّا نَقُولُ: لَوْ ثَبَتَ مَا نَسَخَهَا إِلَّا مَا كَانَ فِي مَرْتَبَتِهَا، وَلَكِنَّ وَجْهَهُ أَنَّ عُلَمَاءَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ كَانُوا يُسَمُّونَ التَّخْصِيصَ نَسْخًا؛ لِأَنَّهُ رَفْعٌ لِبَعْضِ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْعُمُومُ وَمُسَامَحَةٌ، وَجَرَى ذَلِكَ فِي أَلْسِنَتِهِمْ حَتَّى أَشْكَلَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَهَذَا يَظْهَرُ عِنْدَ مَنْ ارْتَاضَ بِكَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ كَثِيرًا. وَتَحْقِيقُ الْقَوْلِ فِيهِ أَنَّ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ؛ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ رَدَّهُ إِلَى جَمِيعِهِ مِنْ إِيجَابِ النَّفَقَةِ وَتَحْرِيمِ الْإِضْرَارِ، مِنْهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَمِنْ السَّلَفِ قَتَادَةُ وَالْحَسَنُ، وَيُسْنَدُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَوْجَبُوا عَلَى قَرَابَةِ الْمَوْلُودِ الَّذِينَ يَرِثُونَهُ نَفَقَتَهُ إِذَا عَدِمَ أَبُوهُ فِي تَفْصِيلٍ طَوِيلٍ لَا مَعْنَى لَهُ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ لَا يَرْجِعُ إِلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ كُلِّهِ؛ وَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى تَحْرِيمِ الْإِضْرَارِ. الْمَعْنَى: وَعَلَى الْوَارِثِ مِنْ تَحْرِيمِ الْإِضْرَارِ بِالْأُمِّ مَا عَلَى الْأَبِ. وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ؛ فَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَرْجِعُ الْعَطْفُ فِيهِ إِلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ فَعَلَيْهِ الدَّلِيلُ؛ وَهُوَ يَدَّعِي عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَا لَيْسَ مِنْهَا، وَلَا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ فِيهَا. أحكام القرآن: ١/٢٠٦، وانظر القرطبي: ١٦٩/٣ ففيه تفصيل حسن.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان بأسانيد جيدة: ٥٤/٥، وعبد الرزاق في مصنفه: ٦٠/٧.

الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء، وقال علي[1] بن أبي طالب: عدتها أبعد الأجلين، وخص مالك من ذلك الأمة فعدتها في الوفاة شهران وخمس ليال، و﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ معناه عن التزوج[2]، وقيل: عن الزينة فيكون أمرا بالإحداد، وإعراب الذين مبتدأ وخبره يتربصن على تقدير أزواجهم يتربصن، وقيل: التقدير: وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن، وقال الكوفيون: الخبر عن الذين متروك والقصد عن الإخبار عن أزواجهم ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزوج والزينة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا إذا كان غير منكر، وقيل: معناه الإشهاد.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ﴾ الآية إباحة التعريض بخطبة المرأة المعتدة ويقتضي ذلك النهي عن التصريح ثم أباح ما يضمر في النفس بقوله: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي تذكرونهن في أنفسكم بألسنتكم لم يخف عليكم، وقيل: أي ستخطبونهن إن لم تنتهوا عن ذلك ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي لا تواعدوهن في العدة خفية[3] بأن تتزوجوهن بعد العدة، وقال مالك: فيمن يعد في العدة ثم يتزوج بعدها فراقها أحب إلي، ثم يكون خاطبا من الخطاب، وقال ابن القاسم: يجب فراقها ﴿إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ استثناء منقطع، والقول المعروف هو ما أبيح من التعريض كقوله: إنكم لأكفاء كرام، وقوله: إن الله سيفعل معك خيرا، وشبه ذلك ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ الآية نهي عن عقد النكاح قبل تمام العدة، والكتاب هنا القدر الذي

(١) أخرجه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٧٥/٢، والبيهقي في السنن الكبرى: ٤٣٠/٧، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢٠٦/١ لابن المنذر وهذا الأثر له طرق عدة، وقد صححه الحافظ في الفتح: ٣٨٤/٩.

(٢) في (أ): (التزويج).

(٣) في (ع): (خيفة أن).

شرع فيه[١] من المدة. ومن تزوج امرأة في عدتها يفرق[٢] بينهما اتفاقا، فإن دخل بها حرمت عليه[٣] على التأبيد عند مالك خلافا للشافعي وأبي حنيفة، واختلف عن مالك في تأبيد التحريم إذا لم يدخل بها، وإذا دخل بها ولم يطأها.

﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآية، قيل: إنها إباحة للطلاق قبل الدخول، ولما[٤] نهى عن التزويج[٥] بمعنى الذوق وأمر بالتزويج[٦] طلب العصمة ودوام الصحبة ظن قوم أن من طلق قبل البناء وقع في المنهي عنه فنزلت الآية رافعة للجناح في ذلك[٧]، وقيل: إنها في بيان ما يلزم من الصداق والمتعة في الطلاق قبل الدخول، وذلك أن من طلق قبل الدخول فإن كان لم يفرض لها صداقا وذلك في نكاح التفويض فلا شيء عليه من الصداق لقوله: ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآية والمعنى[٨]: لا طلب عليكم بشيء[٩] من الصداق ويؤمر بالمتعة لقوله تعالى ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ وإن كان قد فرض لها: فعليه نصف الصداق لقوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ ولا متعة عليه لأن المتعة إنما ذكرت لمن لم يفرض لها فقوله ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ﴾ أو فيه بمعنى الواو ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي أحسنوا إليهن وأعطوهن شيئا عند الطلاق، والأمر بالمتعة مندوب عند مالك، وواجب عند الشافعي. ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ أي يمتع كل واحد[١٠] على قدر ما يجد، والموسع

---

(١) قوله: (فيه) ساقط من (ف) و(ع).
(٢) في (ف) و(ع): (فرق).
(٣) قوله: (عليه) ساقط من (ف) و(ع).
(٤) في (ف) و(ع): (لما).
(٥) في (ف) و(ع) (التزوج).
(٦) في (ف) و(ع): (بالتزوج).
(٧) لم نعثر على هذا الأثر مسندا، وقال ابن حجر في الكافي الشافي: ١/٢٨٥ مع الكشاف لم أجده.
(٨) في (ف) و(ع): (فالمعنى).
(٩) في (ف) و(ع): (لشيء).
(١٠) في (ع) و(ف): (أحد).

الغني ﴿ٱلْمُقْتِرِ﴾ الضيق الحال. وقرئ[1] بإسكان دال قدره وفتحها وهما بمعنى واحد[2] وبالمعروف هنا: أي لا حمل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تعلق الشافعي في وجوب المتعة بقوله: حقا، وتعلق مالك بالندب في قوله: على المحسنين لأن الإحسان تطوع بما لا يلزم.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآية بيان أن المطلقة قبل الدخول[3] لها نصف الصداق إذا كان قد[4] فرض لها صداق مسمى، بخلاف نكاح التفويض. ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ النون فيه نون جماعة النسوة يريد المطلقات، والعفو هنا بمعنى الإسقاط أي للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق إلا أن يسقطنه، وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ قال ابن عباس[5] ومالك وغيرهما: هو الولي الذي تكون المرأة في حجره كالأب في ابنته المحجورة والسيد في أمته، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول، وأجاز شريح[6] إسقاط غير الأب من الأولياء، وقال علي بن أبي طالب[7] والشافعي: الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وعفوه أن يعطي النصف الذي سقط عنه من الصداق، ولا يجوز عندهما[8] أن يسقط الأب النصف الواجب لابنته، وحجة مالك أن قوله ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ في الحال،

(١) قال ابن الجزري: (قدره) الموضعين فقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وحفص بفتح الدال فيهما وقرأ الباقون بإسكانها منهما. النشر: ٢/٢٦٠..

(٢) قوله: (واحد) ساقط من (ف).

(٣) في (أ): (الدخول).

(٤) قوله: (قد) ساقط من (أ).

(٥) صحيح أخرجه عبد الرزاق: ٦/٢٨٣، وابن أبي شيبة في المصنف: ٤/٢٨٢، والطبري في جامع البيان: ٥/١٤٦، والدر المنثور: ١/٦٩٩.

(٦) أثر صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/١٤٨.

(٧) صحيح عن الإمام علي أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/١٥١.

(٨) في (ف) و(ع): (عندهم).

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢) ربع ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)

والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدة النكاح، وحجة الشافعي قوله تعالى ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذي لا يلزمه فذلك فضل، وأما إسقاط الأب لحق ابنته فليس فيه تقوى لأنه إسقاط حق الغير. ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ قيل: إنه يعني إسقاط المرأة نصف صداقها، أو دفع الرجل النصف الساقط عنه، واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ جرد[1] ذكرها بعد دخولها في الصلاة اعتناء بها، وهي الصبح عند مالك وأهل المدينة، والعصر عند علي بن أبي طالب[2] لقوله ﷺ: «اشغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»[3]، وقيل: هي[4] الظهر، وقيل: المغرب، وقيل: هي العشاء الآخرة، وقيل: الجمعة وسميت الوسطى لتوسطها في عدد الركعات على القول بأنها المغرب لأنها بين الركعتين والأربع، أو لتوسط وقتها، على القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار، وعلى القول

---

(١) في (أ): (جدد).

(٢) صحيح عن الإمام علي المصنف لابن أبي شيبة: ٢/٥٠٢، وابن حزم في المحلى: ٤/٣٧٠، وجامع البيان للطبري: ٥/١٧٠.

(٣) البخاري في صحيحه كتاب الجهاد باب الدعاء على المشركين بالهزيمة، الحديث رقم: (٢٩٣١)، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد واللفظ له، الحديث رقم: (٩٩٣)، والنسائي الحديث رقم: (٤٦٩)، وابن ماجه الحديث رقم: (٦٧٦)، والطبري في جامع البيان: ٥/١٨٥..

(٤) قوله: (هي) ساقط من (ع) و(ف).

بأنها الظهر أو الجمعة لأنها في وسط النهار، أو لفضلها من الوسط وهو الخيار، وعلى هذا يجري اختلاف الأقوال فيها ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ معناه في صلاتكم ﴿قَٰنِتِينَ﴾ هنا ساكتين وكانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت، قاله ابن مسعود[١] وزيد[٢] بن أرقم[٣]، وقيل: خاشعين، وقيل: هنا[٤] طول القيام.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي من عدو أو سبع أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس ﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجل أي على رجليه ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب أي صلوا كيفما كنتم من ركوب أو غيره وذلك[٥] في صلاة المسايفة، ولا ينقص فيها من ركعتين في السفر، وأربع في الحضر عند مالك ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ﴾ الآية، قيل المعنى: إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التي علمتموها وهي التامة، وقيل: إذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم هذه الصلاة التي تجزئكم في حال الخوف، فالذكر على القول الأول بمعنى الصلاة، وعلى الثاني بمعنى الشكر.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾ هذه[٦] الآية منسوخة ومعناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجه أن تقيم في منزله[٧] سنة وينفق

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العمل في الصلاة الحديث رقم: (١١٩٩)، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد الحديث رقم: (٥٣٨)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٩٢٣)، والنسائي في سننه: ١٨/٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب العمل في الصلاة الحديث رقم: (١٢٠٠)، ومسلم في كتاب المساجد الحديث رقم: (٥٣٩)، والطبري في جامع البيان: ٢٣٢/٥.

(٣) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة الأنصاري كنيته أبو عمر، غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي، ومات بالكوفة. سنة: ٦٨هـ له في كتب الحديث: ٧٠ حديثا. الإصابة: ٥٨٩/٢، والأعلام: ٥٦/٣.

(٤) قوله: (هنا) ساقط من (أ).

(٥) قوله: (وذلك) ساقط من (ف).

(٦) قوله: (هذه) ساقط من (ف) و(ع).

(٧) في (ف): (بيته).

عليها من ماله وذلك وصية لها، ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر، ونسخت النفقة بالربع أو الثمن الذي لها في[1] الميراث حسبما ذكر في سورة النساء، وإعراب وصية مبتدأ وخبره لأزواجهم، أو مضمر تقديره فعليهم وصية، وقرئت بالنصب[2] على المصدر تقديره ليوصوا وصية، ومتاعا نصب على المصدر ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي ليس لأولياء الميت إخراج المرأة ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ معناه إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جناح على أحد فيما فعلت في نفسها من تزوج وزينة.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ﴾ عام في إمتاع كل مطلقة، وبعمومه أخذ أبو ثور واستثنى الجمهور المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها بالآية المتقدمة منه[3]، واستثنى مالك المختلعة والملاعنة. ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يدل على وجوب المتعة وهي الإحسان للمطلقات لأن التقوى واجبة، ولذلك قال بعضهم: نزلت مؤكدة للمتعة لأنه نزل قبلها ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فقال رجل: فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع. فنزلت[4] ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ رؤية قلب ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ وهم قوم من بني إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك، فأماتهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء، وقيل: بل فروا من الطاعون ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جمع ألف قيل ثمانون ألفا، وقيل: ثلاثون ألفا، وقيل: ثمانية آلاف، وقيل: هو من الألفة وهذا[5] ضعيف ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ عبارة عن إماتتهم،

---

(١) في (ف) و(ع):: (من).

(٢) قال محمد بن الجزري ﴿وَصِيَّةٌ﴾ قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ﴿وَصِيَّةً﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. النشر: ٢/٢٦٠.

(٣) قوله: (منه) ساقط من (ف) و(ع).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/٢٦٤ بسند فيه انقطاع، وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف، انظر التهذيب: ٦/١٧٧.

(٥) في (أ) و(ع): (وهو).

وقيل: إن ملكين صاحا بهم موتوا فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ليستوفوا آجالهم.

﴿وَقَاتِلُوا۟﴾ خطاب لهذه الأمة، وقيل: للذين أماتهم الله ثم أحياهم.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق، وذكر لفظ القرض تقريبا للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف، وروي أن الآية نزلت في أبي الدحداح حين تصدق بحائط لم يكن له غيره[1] ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي خالصا طيبا من حلال من غير من ولا أذى ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ قرئ[2] بالتشديد والتخفيف وبالرفع على الاستئناف أو عطفا على يقرض وبالنصب في جواب الاستفهام ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ عشرة فما فوقها إلى سبعمائة ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ إخبار يراد به الترغيب في الإنفاق.

---

(١) روى الطبري في جامع البيان: ٥/٢٨٤، والبزار في مسنده: ٥/٤٠٢، وابن كثير في تفسيره: ١/٥٥١ عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو الدحداح: يا رسول الله إن الله يريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: أرني يدك، قال فناوله يده، قال: أقرضت ربي حائطي، وحائطه فيه ست مائة نخلة فجاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيها وعيالها فنادى يا أم الدحداح قالت لبيك فقال: أخرجي فقد أقرضت ربي، وهذا الأثر ضعفه أحمد شاكر في تعليقه على الطبري: ٥/٢٨٥، وأما ما قال ابن جزي: إن الآية نزلت في أبي الدحداح فلم نعثر عليه مسندا، لكن قال ابن عطية: (ويروى أن هذه الآية لما نزلت قال أبو الدحداح يا رسول الله أو إن الله يريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: فإني قد أقرضت الله حائطي لحائط فيه ستمائة نخلة، ثم جاء الحائط وفيه أم الدحداح فقال: اخرجي فإني قد أقرضت ربي حائطي هذا، قال فكان رسول الله ﷺ يقول: «كم من عذق مذلل لأبي الدحداح في الجنة»...) المحرر الوجيز: ١/٣٢٢.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ هنا والحديد؛ فقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب الفاء فيهما، وقرأ الباقون بالرفع، واختلفوا في حذف الألف وتشديد العين منهما ومن (يضعف، ومضعفة) وسائر الباب، فقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بالتشديد مع حذف الألف في جميع القرآن. وقرأ الباقون بالإثبات والتخفيف. النشر: ٢/٢٦٠.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَاءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا
لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا
قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ
يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا
تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾ رؤية قلب وكانوا قوما نالتهم الذلة من أعدائهم، فطلبوا الإذن في القتال، فلما أمروا به كرهوه ﴿لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾ قيل: اسمه شمويل، وقيل: شمعون ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي قاربتم وأراد النبي المذكور أن يتوثق منهم، ويجوز في السين من عسيتم الكسر والفتح وهو أفصح. ولذلك انفرد نافع بالكسر[1] وأما إذا لم يتصل بعسى ضمير فلا يجوز فيها إلا الفتح.

﴿طَالُوتَ مَلِكًا﴾ قال وهب بن منبه[2] أوحى الله إلى نبيهم: إذا دخل عليك

(١) قال ابن الجزري: ﴿عَسَيْتُمْ﴾ هنا والقتال قرأ نافع بكسر السين فيهما وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٢٦٢.

(٢) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير، ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، وكان يقول: سمعت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس، وعشرون في أيدي الناس لا يعلمها إلا قليل، ووجدت في كلها أن من أضاف إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر، ومن كلامه، وينسب إلى غيره: إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكوة! واتهم بالقدر، ورجع عنه، ويقال: ألف فيه «كتابا» ثم ندم عليه، وحبس في كبره وامتحن، قال صالح بن طريف: لما قدم يوسف بن عمر العراق، بكيت، وقلت: هذا الذي ضرب وهب بن منبه حتى قتله، وفي «طبقات الخواص» أنه صحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة، من كتبه: «ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم» رآه ابن خلكان في مجلد واحد، وقال: هو من الكتب المفيدة، وله «قصص الأنبياء ـ خ» و«قصص الأخيار» ذكرهما صاحب كشف الظنون. توفي سنة: ١١٤هـ الأعلام للزركلي: ٨/١٢٦.

رجل فنش[١] الدهن الذي في القرن[٢] فهو ملكهم[٣]، وقال السدي: أرسل الله إلى نبيهم عصا وقال له إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم فكان ذلك طالوت[٤] ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ روي[٥]: أنه كان دباغا ولم يكن من بيت الملك، والواو في قوله: ﴿وَنَحْنُ﴾ واو الحال والواو في قوله ﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾ لعطف الجملة على الأخرى ﴿بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ كان عالما بالعلوم، وقيل: بالحروب، وكان أطول رجل يصل إلى منكبه. ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رد عليهم في اعتقادهم أن الملك يستحق بالبيت أو المال.

﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع في البرية فبعث الله ملائكة حملته فجعلته[٦] في دار طالوت، وفيه قصص كثيرة غير ثابتة. ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ قيل: رمح فيه[٧] رأس ووجه كوجه الإنسان، وقيل: طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء، وقيل: رحمة وقيل: وقار ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ قال[٨] ....

(١) نش الماء ينش نشا، ونشيشا: صوت عند الغليان.

(٢) قال أحمد محمد شاكر في تعليقه على هذه الرواية في الطبري: ٥/٣٠٧ القرن: قرن الثور وغيره، وكأنه أراد هنا: القنينة التي يكون فيها الدهن والطيب، وكأنهم كانوا يتخذونها من قرون البقر وغيرها، وقد سموا المحجمة التي يحتجم بها «قرنا» ولم أجد هذا الحرف بهذا المعنى في كتب اللغة، ولكنه صحيح كما رأيت.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/٣٠٦ بسند ضعيف جدا، ولفظ الألوسي في تفسيره: انظر القرن الذي فيه الدهن في بيتك، فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي فيه، فهو ملك بني إسرائيل فادهن رأسه منه وملكه عليهم. روح المعاني: ٢/١٦٦.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/٣٠٩، وهو من الإسرائيليات وإسناده حسن إلى السدي وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١/٧٥٢ لابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/٣٠٦ عن وهب بن منبه بسند ضعيف.

(٦) في (ف) و(ع): (فجعلوه).

(٧) في (ف) و(ع): (فيها).

(٨) قوله: (قال) ساقط من (ف) و(ع).

> فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

ابن عباس[١]: هي عصى موسى ورضاض الألواح[٢]، وقيل: العصا والنعلان، وقيل: ألواح من التوراة ﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ يعني أقاربهما قال الزمخشري[٣]: يعني الأنبياء من بني إسرائيل، ويحتمل أن يريد موسى وهارون وأقحم الآل[٤].

﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أي خرج من موضعه إلى الجهاد ﴿بِنَهَرٍ﴾ قيل: هو نهر فلسطين ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ الآية اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غَرْفَةً﴾ رخص لهم في الغرفة باليد وقرئ[٥] بفتح الغين وهو المصدر، وبضمها هو الاسم، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيل: كانوا ثمانين ألفا فشربوا منه كلهم إلا ثلاثمائة[٦] وبضعة عشر عدد أصحاب بدر، فأما من شرب فاشتد عليه العطش، وأما من لم يشرب فلم يعطش. ﴿بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ كان كافرا عدوا

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٣١/٥، والسيوطي في الدر المنثور: ٧٥٨/١.

(٢) رضاض الألواح بضم الراء أي فتاتها.

(٣) قال الزمخشري: «فإن قلت: من آل موسى وآل هارون».

قلت: الأنبياء من بني يعقوب بعدهما؛ لأن عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان أولاد يعقوب آلهما، ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما. ٣٢١/١.

(٤) في (أ): (الأهل).

(٥) قال ابن الجزري: ﴿غَرْفَةً﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو بفتح الغين. وقرأ الباقون بضمها النشر: ٢٦٢/٢.

(٦) في (ف) و(ع): (ثمان مئة) وهو خطأ.

حزب

• تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ
مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا
شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ
مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

لهم وهو ملك العمالقة، ويقال[١] إن البربر من ذريته ﴿يَظُنُّونَ﴾ أي يوقنون وهم أهل البصائر من أصحابه.

﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ كان داود في جند طالوت فقتل جالوت فأعطاه الله ملك بني إسرائيل، وفي ذلك قصص كثيرة غير صحيحة[٢] ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا النبوءة والزبور ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ صنعة الدروع ومنطق الطيور[٣] وغير ذلك ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ﴾ الآية منة على العباد بدفع بعضهم ببعض وقرئ دفاع بالألف ودفع بغير ألف[٤] والمعنى متفق[٥].

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الإشارة إلى جماعتهم ﴿فَضَّلْنَا﴾ نص في التفضيل في الجملة من غير تعيين مفضول كقوله ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء»[٦]، و«لا

---

(١) في (ع): (وقيل).

(٢) في (ف) و(ع): (كثير غير صحيح).

(٣) في (ف) و(ع): (الطير).

(٤) قال ابن الجزري: ﴿دِفَاعُ اللَّهِ﴾ هنا والحج قرأ المدنيان ويعقوب بكسر الدال وألف بعد الفاء وقرأ الباقون ﴿دَفْعُ﴾ بفتح الدال وإسكان الفاء من غير ألف. النشر: ٢/٢٦٣..

(٥) قوله: (﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ﴾ الآية منة على العباد... والمعنى متفق) ساقط من (ف).

(٦) هو طرف من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا قال: «لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى». أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٤١٢) واللفظ له، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٣٩٨)، وأبو داود في سننه كتاب السنة الحديث رقم: (٤٦٦٨)، وابن حبان في صحيحه: ١٤/١٣٠، وأحمد: ٣/٣١.

تفضلوني على يونس بن متى»[1] فإن معناه النهي عن تعيين المفضول لأنه تنقيص له، وذلك غيبة ممنوعة، وقد صرح ﷺ بفضله على جميع الأنبياء بقوله: «أنا سيد ولد آدم»[2] لا بفضله على واحد بعينه، فلا تعارض بين الحديثين ﴿مِّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ هو[3] موسى عليه السلام. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ قيل: هو محمد ﷺ لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة، وقيل: هو إدريس لقوله ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فالرفعة على هذا في المسافة، وقيل: هو مطلق في كل من فضله الله منهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي من بعد الأنبياء والمعنى بعد كل نبيء لا بعد الجميع ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ كرره تأكيدا وليبني عليه ما بعده.

﴿أَنفِقُوا۟﴾ يعم الزكاة والتطوع ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ أي لا يتصرف أحد في ماله والمراد لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا ويدخل فيه نفي الفدية لأنها[4] شراء الإنسان نفسه ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ أي مودة نافعة لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه. ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي ليس في يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله فهي في الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه وكرامة للشافع ليس فيها تحكم على الله، وعلى هذا يحمل ما ورد من نفي الشفاعة في القرآن أعني أنها لا تقع إلا بإذن الله فلا تعارض بينه وبين إثباتها، وحيث ما كان سياق الكلام في أهوال يوم القيامة

---

(١) هذا اللفظ ليس محفوظا عند أهل العلم، ولكن الرسول ﷺ قال: لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى، أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٤١٦) كتاب الأنبياء ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل الحديث رقم: (٢٣٧٦)، وأبو داود كتاب السنة الحديث رقم: (٤٦٦٩).

(٢) جزء من حديث صحيح عن أبي هريرة وأنس، رواه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣٤٠)، ومسلم الحديث رقم: (٤٢٢٣)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٠٥٣)، والترمذي الحديث رقم: (٣٠٧٣).

(٣) قوله: (هو) ساقط من (أ).

(٤) في (أ): (لأنه).

والتخويف بها نفيت الشفاعة على الإطلاق مبالغة في التهويل، وحيث ما كان سياق الكلام تعظيم الله نفيت الشفاعة إلا بإذنه ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قال عطاء بن دينار[١]: الحمد لله الذي قال هكذا، ولم يقل: والظالمون هم الكافرون.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ هذه آية الكرسي وهي أعظم آية في القرآن حسبما ورد في الحديث[٢] وجاء فيها فضل كبير في الحديث الصحيح[٣] وفي غيره ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ تنزيه لله تعالى عن الآفات البشرية والفرق بين السنة والنوم أن السنة هي ابتداء النوم لا نفسه كقول القائل:

❊ في عينه سنة وليس بنائم[٤] ❊

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥ﴾ استفهام يراد[٥] به نفي الشفاعة إلا بإذن الله فهي في الحقيقة راجعة إليه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران عائدان[٦] على من يعقل ممن تضمنه قوله ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون[٧] بعدهم..............................

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٨٥/٥ بإسناد حسن.

(٢) روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: أبا المنذر أي آية معك أعظم في كتاب الله؟ قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري وقال: ليهن لك يا أبا المنذر العلم، أبو داود الحديث رقم: (١٢٤٨)، وفي سنن الترمذي ما خلق الله من شيء أعظم من آية الكرسي الحديث رقم: (٢٨٠٩)، وورد أنها ربع القرآن، كما في المسند، الحديث رقم: (١٢٨٣١).

(٣) البخاري الحديث رقم: (٢٣١١)، والحديث رقم: (٣٢٧٥)، وتقدم تخريجه.

(٤) هذا عجز بيت لعدي بن الرقاع العاملي، وهو من بحر (الكامل)، وتمامه:

وسنان أقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم

انظر الطبري: ٣٨٩/٥، والمحرر الوجيز: ٣٠٦/١، والكشاف: ٢٢٥/١، ولسان العرب مادة: (وسن) و(رنق).

(٥) في (أ): (مراد).

(٦) في (أ): (الضمير عائد).

(٧) قوله: (يكون) ساقط من (ع).

وقال مجاهد[١]: ما بين أيديهم الدنيا، وما خلفهم الآخرة ﴿مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ من معلوماته أي لا يعلم عباده من معلوماته إلا ما شاء هو أن يعلموه ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾ الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السموات والأرض وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء، وقيل: كرسيه علمه، وقيل: كرسيه ملكه ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي لا يثقله[٢] ولا يشق عليه[٣].

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ المعنى أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه بل يدخل فيه كل ذي عقل سليم من تلقاء نفسه دون إكراه، ويدل على ذلك قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ أي قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غي فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه، وقيل: معناها الموادعة وأن لا يكره أحد بالقتال على الدخول في الإسلام ثم نسخت بالقتال وهذا ضعيف لأنها مدنية، وإنما آيات[٤] المسالمة وترك القتال بمكة. ﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ العروة في الأجرام هي موضع الإمساك وشد الأيدي وهي هنا تشبيه واستعارة في الإيمان ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ لا انكسار لها ولا انفصال.

﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

﴿أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ جمع الطاغوت هنا وأفرد في غير هذا الموضع[٥] فكأنه اسم جنس لما عبد من دون الله، ولمن يضل الناس من الشياطين وبني آدم.

﴿ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ هو نمرود الملك وكان يدعي الربوبية فقال لإبراهيم

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/٣٩٦ بسند ضعيف.

(٢) في (أ): (يشغله).

(٣) قال ابن عطية: و﴿يَـُٔودُهُۥ﴾ معناه يثقله، يقال: آدني الشيء بمعنى أثقلني وتحملت منه مشقة، وبهذا فسر اللفظة ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم. المحرر الوجيز: ١/٣٣٦.

(٤) في (أ): (آية).

(٥) قوله: (الموضع) ساقط من (ع).

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿٢٥٧﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ • أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

من ربك؟ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فقال نمروذ ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فقال: قد أحييت هذا وأمت هذا، فقال له إبراهيم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ أي انقطع وقامت عليه الحجة، فإن قيل: لم انتقل إبراهيم عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثاني والانتقال علامة الانقطاع؟ فالجواب: أنه لم ينقطع ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء والإماتة كان له حقيقة وهو فعل الله ومجازا وهو فعل غيره فتعلق نمروذ بالمجاز غلطا منه أو مغالطة فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثاني لأنه لا مجاز له ولا يمكن الكافر عدول عنه أصلا(١).

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ تقديره: أو رأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة(٢) تعجب ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه يقول(٣): أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية، وهذا المار قيل: إنه عزير، وقيل: الخضر فقوله ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ﴾ ليس إنكارا للبعث ولا استبعادا ولكنه استعظام لقدرة الذي يحيي الموتى، أو سؤال عن كيفية الإحياء وصورته لا شك في وقوعه، وذلك مقتضى كلمة أنى، فأراه الله ذلك عيانا ليزداد بصيرة، وقيل: بل كان كافرا

---

(١) قوله: (أصلا) ساقط من (ف) و(ع).

(٢) في (أ): (كلمتا).

(٣) في (ف) و(ع) قيل.

وقالها إنكارا للبعث واستبعادا، فأراه الله الحياة بعد الموت في نفسه وذلك أعظم برهان ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي خالية من الناس، وقال السدي[١]: سقطت سقوفها[٢] وهي العروش ثم سقطت الحيطان على السقف ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ ظاهر هذا اللفظ إحياء هذه[٣] القرية بالعمارة بعد الخراب، ولكن المعنى إحياء أهلها بعد موتهم لأن ذلك هو الذي يمكن فيه الشك أو الإنكار، ولذلك أراه الله الحياة بعد موته، والقرية كانت بيت المقدس لما خربه بختنصر، وقيل: قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ سؤال على وجه التقرير[٤] ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقل مدة موته، قيل: أماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مائة عام فظن أنه يوم واحد، ثم رأى بقية من الشمس فخاف أن يكذب في قوله: ﴿يَوْمًا﴾ فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾. ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ قيل: كان طعامه تينا وعنبا وأن شرابه كان عصيرا ولبنا ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ معناه لم يتغير بل بقي على حاله طول مائة عام وذلك أعجوبة إلّهية، واللفظ يحتمل أن يكون مشتقا من السنه لأن لامها هاء فتكون الهاء في يتسنه أصلية أي لم تغيره السنون[٥] ويحتمل أن يكون مشتقا من قولك: تسنن الشيء إذا فسد، ومنه الحمأ المسنون ثم قلبت النون حرف علة كقولهم: قصيت أظفاري، ثم حذف حرف العلة للجازم، والهاء على هذا هاء السكت ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ قيل: بقي حماره حيا طول المائة عام دون علف ولا ماء، وقيل: مات ثم أحياه الله وهو ينظر إليه ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ التقدير فعلنا بك هذا لتكون آية للناس، وروي أنه قام شابا على حالته يوم مات

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/٤٤٦.

(٢) في (ف) و(ع): (سقط سقفها).

(٣) قوله: (هذه) ساقط من (ف) و(ع).

(٤) في (ف): (التعجيز).

(٥) قال الزمخشري: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم تمر عليه السنون التى مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة، الكشاف: ٢/٣٣٩، وقال البيضاوي: لم يتغير بمرور الزمان: ١/٢٩٠.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾
مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ
لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا (ربع)
أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا
صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

فوجد أولاده وأولادهم شيوخا ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ هي عظام نفسه، وقيل: عظام الحمار على القول بأنه مات ﴿نُنشِرُهَا﴾ بالراء نحييها[1] وقرئ بالزاي ومعناه نرفعها للإحياء ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ بهمزة قطع وضم الميم أي قال الرجل ذلك اعترافا وقرئ[2] بألف الوصل والجزم على الأمر أي قال له الملك ذلك.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ الآية[3]، قال الجمهور: لم يشك إبراهيم في إحياء الموتى وإنما طلب المعاينة لأنه رأى دابة قد أكلتها السباع والحيات فسأل ذلك السؤال ويدل على ذلك قوله: كيف فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته لا عن وقوعه ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي بالمعاينة ﴿أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قيل: هي الديك، والطاوس، والحمام، والغراب، فقطعها وخلط أجزاءها ثم جعل من المجموع جزءا على كل جبل وأمسك رؤوسها[4] بيده ثم قال: تعالين بإذن الله فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمت وبقيت بلا رؤوس ثم

(١) ﴿نُنشِرُهَا﴾ فقد قرأ ابن عامر والكوفيون بالزاي المنقوطة. وقرأ الباقون بالراء المهملة. النشر: ٢/٢٦٤..

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في وصل همزة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ والجزم فقرأ حمزة والكسائي بالوصل وإسكان الميم على الأمر، وإذا ابتدءا كسرا همزة الوصل. وقرأ الباقون بقطع الهمزة والرفع على الخبر. النشر: ٢/٢٦٤.

(٣) قوله: (الآية) ساقط من (ف).

(٤) في (أ): (رأسها).

كرر النداء فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤوسها وطارت بإذن الله ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ أي ضمهن، وقيل: قطعهن على كل جبل، قيل: أربعة جبال، وقيل: سبعة، وقيل: الجبال التي وصل إليها حينئذ من غير حصر بعدد.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ظاهره الجهاد وقد[1] يحمل على جميع وجوه البر. ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ كل ما يزرع ويقتات وأشهره القمح وفي الكلام حذف تقديره: مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة أو يقدر في آخر الكلام كمثل صاحب حبة ﴿أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ بيان أن الحسنة بسبعمائة كما جاء في الحديث أن رجلا جاء بناقة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة»[2]. ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي يزيده على سبعمائة، وقيل: هو تأكيد وبيان للسبعمائة، والأول أرجح لأنه ورد في الحديث[3] ما يدل عليه.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ الآية، قيل: نزلت في عثمان، وقيل: في علي، وقيل: في عبد الرحمن ابن عوف[4] ﴿مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ المن ذكر النعمة على معنى التعديد لها

---

(١) في (ف): (وقيل).

(٢) صحيح أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٨٩٢)، والنسائي في سننه: ٦/٤٩، والمسند: ٤/١٢١، وابن حبان في صحيحه: ١٠/٥٠٦ عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله، فقال له رسول الله ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»..

(٣) في سنن ابن ماجه ـ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا أبو معاوية ووكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: ـ قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف» الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله. يقول الله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به. يدع شهوته من أجلي. للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. الحديث رقم: (١٦٣٨). [وقوله: لخلوف أي تغير رائحة الفم]. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) الصحيح أنها نزلت في عثمان فعن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بألف دينار في جيش العسرة، وضعها في حجر رسول الله ﷺ فرأينا النبي ﷺ يدخل يده=

والتقريع بها والأذى السب.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ هو رد السائل بجميل من القول كالدعاء له والتأنيس ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي[١] عفو عن السائل إذا وجد منه جفاء، وقيل: مغفرة من الله بسبب[٢] الرد الجميل، والمعنى: تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف ومغفرة على العطاء الذي يتبعه أذى.

﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ عقيدة أهل السنة أن السيئات لا تبطل الحسنات، فقالوا في هذه الآية إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمن أو يؤذي لا تقبل منه، وقيل: إن المن والأذى دليل على أن نيته لم تكن خالصة فلذلك بطلت صدقته ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ﴾ تمثيل لمن يمن ويؤذي بالذي ينفق رياء[٣] وهو غير مؤمن ﴿فَمَثَلُهُ﴾ أي مثل المرائي في نفقته كحجر عليه تراب يظنه من يراه أرضا منبتة طيبة فإذا أنزل عليها المطر انكشف التراب فيبقى[٤] الحجر لا منفعة فيه، فكذلك المرائي يظن أن له أجرا فإذا كان يوم القيامة انكشف سره ولم تنفعه نفقته. ﴿صَفْوَانٍ﴾ حجر كبير ﴿وَابِلٌ﴾ مطر كثير ﴿صَلْدًا﴾ أملس. ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي لا يقدرون على الانتفاع بثواب شيء من إنفاقهم وهو كسبهم.

﴿وَتَثْبِيتًا﴾ أي تيقنا وتحقيقا للثواب لأن أنفسهم لها بصائر تحملهم على الإنفاق، ويحتمل أن يكون معنى التثبيت أنهم يثبتون أنفسهم على الإيمان باحتمال

= ويقلبها ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»، فأنزل الله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الترمذي الحديث رقم: (٣٧٠١) كتاب المناقب باب مناقب عثمان، وأحمد في المسند: ٥/٦٣ قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي: ٣/٢٠٩.

(١) قوله: (أي) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (لسبب).

(٣) في (ف): (زيادة الناس).

(٤) في (ف): (فبقي).

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

المشقة في بذل المال. وانتصاب ابتغاء على المصدر في موضع الحال، وعطف عليه وتثبيتا ولا يصح في تثبيتا أن يكون مفعولا من أجله لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو ابتغاء ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ تقديره: كمثل صاحب جنة، أو يقدر: أو[١] مثل نفقة الذين ينفقون[٢] ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ لأن ارتفاع موضع الجنة أطيب لتربتها وهوائها ﴿فَطَلٌّ﴾ الطل: المطر[٣] الرقيق الخفيف فالمعنى أنه[٤] يكفي هذه الجنة لكرم أرضها.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الآية مثل ضرب للإنسان يعمل عملا[٥] صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء، أو مثل للكافر أو المنافق أو المرائي المتقدم ذكره آنفا، أو ذي[٦] المن والأذى، فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله فإذا كان وقت حاجته[٧] إليه لم يجد شيئا، فشبههم الله بمن كانت له جنة ثم

---

(١) في (أ): (ولا مثل نفقة...).

(٢) قال أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس في تفسيره: ﴿كَمَثَلِ﴾: خبر، ولا بد من حذف مضاف، إما من المبتدإ أو الخبر، أي: مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة، أو مثل الذين ينفقون كمثل باذر حبة... إلخ. البحر المديد: ١/٣٣٩.

(٣) قوله: (المطر) ساقط من (أ).

(٤) قوله: (أنه) ساقط من (أ).

(٥) قوله: (عملا) ساقط من (أ).

(٦) في (ع): (ذكر).

(٧) في (أ): (حاجة).

أصابتها الجائحة المهلكة أحوج ما كان إليها لشيخوخته وضعف ذريته، قالوا فالواو[١] في قوله وأصابه الكبر للحال ﴿إِعْصَارٌ﴾ أي ريح فيها سموم محرقة.

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ والطيبات هنا عند الجمهور الجيد غير الرديء فقيل: إن ذلك في الزكاة فيكون واجبا، وقيل: في التطوع فيكون مندوبا لا واجبا؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالرديء ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا﴾ من[٢] النبات والمعادن وغير ذلك ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ أي لا تقصدوا الرديء ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ في موضع الحال ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾ الواو للحال، والمعنى أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم إلا أن تتسامحوا بأخذه[٣] و﴿تُغْمِضُوا﴾ من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا لم يستوفه، أو إذا غض بصره.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ الآية دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر، ففي ضمن ذلك حض على الإنفاق، ثم بين عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء وهي المعاصي، وقيل: الفحشاء البخل، والفاحش عند العرب البخيل، قال ابن عباس[٤]: في الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله، والفضل هو الرزق والتوسعة.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ قيل: هي المعرفة بالقرآن، وقيل: النبوءة، وقيل: الإصابة في القول والعمل.

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ الآية ذكر نوعين وهما ما يفعله الإنسان تبرعا، وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر، وفي قوله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ وعد بالثواب وفي قوله ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وعيد لمن يمنع الزكاة، أو ينفق لغير الله.

---

(١) قوله: (فالواو) ساقط من (أ).

(٢) قوله: (من) ساقط من (ف) و(ع).

(٣) في (ف) و(ع): (إلا بأن تتسامحوا في أخذه).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان بإسناد ضعيف.

وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَنُكَفِّرْ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ● لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

ربع

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ هي التطوع عند الجمهور لأنها يحسن إخفاؤها وإبداء الواجبة كالصلوات ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ثناء على الإظهار ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء، وما من نعما في موضع نصب تفسير للمضمر والتقدير فنعم شيء إبداؤها.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ قيل: إن المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الذمة فنزلت الآية[1] مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام وذلك في التطوع، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلا، فالضمير في هداهم على هذا القول للكفار[2]، وقيل: ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الإنفاق وترك المن والأذى والرياء والإنفاق من الخبيث، إنما عليك أن تبلغهم والهدى بيد الله، فالضمير على هذا للمسلمين ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ أي إن منفعته لكم لقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ قيل: إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله ففيه تزكية لهم وشهادة بفضلهم، وقيل: ما تنفقون نفقة تقبل منكم إلا ابتغاء

---

(١) لم نقف عليه مسندا، وجاء عن ابن عباس قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسبائهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية النسائي: ٣٠٥/٦، ولفظ البيهقي في السنن الكبرى: كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَرْضَخُوا لأَنسِبَائِهِمْ وَهُمْ مُشْرِكُونَ فَنَزَلَتْ (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) حَتَّى بَلَغَ (وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) قَالَ فَرُخِّصَ لَهُمْ. الحديث رقم: (٨٠٩٤)، وهذا الأثر بسند حسن. والرضخ: إعطاء شيء ليس بالكثير.

(٢) في (أ): (للكافر).

وجه الله ففي ذلك حض على الإخلاص.

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ متعلق بمحذوف تقديره الإنفاق للفقراء وهم هنا المهاجرون ﴿أُحْصِرُواْ﴾ حبسوا بالعدو وبالمرض ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل الجهاد أو الدخول في الإسلام ﴿ضَرْباً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هو التصرف في التجارة وغيرها ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ أي يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لقلة سؤالهم والتعفف هنا هو عن الطلب ومن سببية، وقال ابن عطية[١]: لبيان الجنس ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ علامة وجوههم وهي ظهور الجهد والفاقة وقلة النعمة، وقيل: الخشوع، وقيل: السجود ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً﴾ الإلحاف[٢] هو الإلحاح في السؤال، والمعنى: أنهم إذا سألوا يتلطفون ولا يلحون، وقيل: هو نفي السؤال والإلحاح معا، وباقي الآية وعد.

﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾ تعميم لوجوه الإنفاق وأوقاته، قال ابن عباس[٣]: نزلت في علي فإنه تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم سرا وبدرهم علانية، وقال أبو هريرة[٤]: نزلت في علف الخيل.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي ينتفعون به، وعبر عن ذلك بالأكل لأنه أغلب المنافع وسواء من أعطاه أو من أخذه، والربا في اللغة الزيادة ثم استعمل في

---

(١) قال ابن عطية هنا: ومن في قوله ﴿مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ لابتداء الغاية أي من تعففهم ابتدأت محسبته، وليست لبيان الجنس؛ لأن الجاهل بهم لا يحسبهم أغنياء غناء تعفف وإنما يحسبهم أغنياء غناء مال، ومحسبته من التعفف ناشئة، وهذا على أنهم متعففون عفة تامة عن المسألة، وهو الذي عليه جمهور المفسرين؛ لأنهم قالوا في تفسير قوله تعالى ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً﴾ المعنى لا يسألون البتة، وتحتمل الآية معنى آخر من فيه لبيان الجنس سنذكره بعد... المحرر الوجيز: ٣٦٦/١.

(٢) قوله: (الإلحاف) ساقط من (ف).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١٠٨/١، وابن كثير: ٦٠٠/١، والواحدي في أسبابه، ص: ٧٦ بأسانيد ضعيفة.

(٤) لم نجده مسندا، وهو في تفسير الدر المنثور منسوب لابن عباس: ١٠٠/٢.

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِے
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧٤) يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٥)
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٧) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ
فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٨) وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسُرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧٩) وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨٠)

الشريعة في بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة، فإن غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم: أتقضي أم تربي؟ فكان الغريم: يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه، ثم إن الربا على نوعين: ربا النسيئة وربا التفاضل وكلاهما يكون في الذهب والفضة وفي الطعام.

فأما النسيئة: فتحرم في بيع الذهب بالذهب، وفي[1] بيع الفضة بالفضة، وفي بيع الذهب بالفضة وهو الصرف، وفي الطعام بالطعام مطلقا.

وأما التفاضل: فإنما[2] يحرم في بيع الجنس الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام، ومذهب مالك أنه إنما[3] يحرم التفاضل في المقتات المدخر من الطعام، ومذهب الشافعي أنه يحرم في كل طعام، ومذهب أبي حنيفة أنه يحرم في المكيل والموزون من الطعام وغيره.

﴿لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِے يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أجمع المفسرون أن المعنى لا يقومون من قبورهم في البعث إلا كالمجنون ويتخبطه يتفعله من قولك خبط يخبط والمس الجنون ومن تتعلق بيقوم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ تعليل للعقاب الذي يصيبهم وإنما هذا للكفار لأن قولهم: إنما البيع مثل الربا رد على الشريعة وتكذيب لها، ثم قد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد، فإن قيل:

(١) قوله: (في) ساقط من (أ).
(٢) في (ف): (فيحرم).
(٣) قوله: (إنما) ساقط من (أ).

هلا[١] قيل: إنما الربا مثل البيع لأنهم قاسوا الربا على البيع؟ في الجواز[٢] فالجواب: أن هذا[٣] مبالغة فإنهم جعلوا الربا أصلا حتى شبهوا به البيع. ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ عموم يخرج منه البيوع الممنوعة شرعا، وقد عددناها في الفقه ثمانين نوعا ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ رد على الكفار وإنكار للتسوية بين البيع والربا، وفي ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليل الله وتحريمه ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي له ما أخذ من الربا أي لا يؤاخذ بما فعل منه قبل نزول التحريم ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الضمير عائد على صاحب الربا والمعنى أن الله يحكم فيه يوم القيامة فلا تؤاخذوه في الدنيا وقيل: الضمير عائد على الربا والمعنى: أن أمر الربا إلى الله في تحريمه أو غير ذلك ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ الآية[٤]، يعني من عاد إلى فعل الربا وإلى القول: إنما البيع مثل الربا، ولذلك حكم عليه بالخلود في النار؛ لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة؛ لكونها في الكفار.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ينقصه ويذهبه ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ ينميها في الدنيا بالبركة، وفي الآخرة بمضاعفة الثواب ﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ أي من يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا، وهذا يدل على أن الآية في الكفار.

﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا في الجاهلية فلما فتح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة قال في خطبته: «كل ربا كان في الجاهلية موضوع»[٥] ثم إن ثقيفا أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش

---

(١) في (ف) و(ع): (فهلا).

(٢) قوله: (في الجواز) ساقط من (ف) و(ع).

(٣) في (ف) و(ع): (هذه).

(٤) قوله: (الآية) ساقط من (أ).

(٥) مسند الإمام أحمد الحديث رقم: (١٩٧٧٤)..

فأبوا من دفعه[١] وقالوا: قد وضع الربا فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد[٢] أمير مكة فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية[٣] ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرط لمن خوطب به من ثقيف وغيرهم.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ﴾ أي إن لم تنتهوا عن الربا حوربتم، ومعنى فأذنوا اعلموا، وقرئ[٤] بالمد أي أعلموا غيركم ولما نزلت قالت ثقيف: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله[٥]. ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أي لا تظلمون بأخذ زيادة على رؤوس أموالكم، ولا تظلمون بالنقص منها.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ كان تامة بمعنى حضر ووقع، وقرئ[٦] ذا عسرة أي إن كان الغريم ذا عسرة ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ حكم الله للمعسر بالإنظار إلى أن يوسر وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه ونظرة مصدر معناه التأخير وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره: فالجواب نظرة، أو مبتدأ وميسرة أيضا مصدر وقرئ[٧] بضم السين وفتحها ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ندب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط

---

(١) في (ف): (فأبوا أن يدفعوه).

(٢) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الرحمن وال أمير قرشي مكي من الصحابة كان شجاعا عاقلا من أشراف العرب في صدر الإسلام أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبي ﷺ عليها عند مخرجه ت: ١٣هـ.
الاستيعاب: ١/١٢٨، والإصابة: ٦/٥٥١، والأعلام: ٤/١٩٩.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٣ عن ابن جريج مرسلا وهو بسند جيد والواحدي في أسباب النزول: ١/٥٨.

(٤) قال ابن الجزري: واختلفوا) في ﴿فَأْذَنُواْ﴾ فقرأ حمزة وأبو بكر بقطع الهمزة ممدودة وكسر الذال، وقرأ الباقون بفتحها ووصل الهمزة. النشر: ١/٢٧٠..

(٥) مفاتيح الغيب: ٣/٩٠، وروح البيان: ٣/٣٥٧.

(٦) قال الزمخشري: وقرأ عثمان رضي الله عنه: ﴿ذا عسرة﴾ على وإن كان الغريم ذا عسرة، وقرئ: ﴿ومن كان ذا عسرة فنظرة﴾ أي فالحكم، أو فالأمر: نظرة وهي الإنظار. الكشاف: ١/٣٥٠.

(٧) قال ابن الجزري: ﴿مَيْسُرَةٍ﴾ قرأ نافع بضم السين وقرأ الباقون بفتحه. النشر: ٢/٢٧٠.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

الدين عنه فذلك أفضل من إنظاره، وباقي الآية وعظ، وقيل: إن آخر آية نزلت آية الربا، وقيل: بل قول: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية[1]، وقيل: آية الدين المذكورة بعد.

﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ أي إذا عامل بعضكم بعضا بدين، وإنما ذكر الدين وإن كان مذكورا في تداينتم ليعود عليه الضمير في اكتبوه، وليزول الاشتراك الذي في تداينتم إذ قد[2] يقال لمعنى[3] الجزاء ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ دليل على أنه لا يجوز إلى أجل مجهول، وأجاز مالك البيع إلى الجذاذ والحصاد لأنه معروف عند الناس، ومنعه الشافعي وأبو حنيفة قال ابن عباس[4]: نزلت الآية في السلم خاصة، يعني أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها قال مالك: وهذا يجمع الدين كله[5] يعني أنه يجوز التأخير في السلم والسلف وغيرهما ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ ذهب قوم: إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية، وقال قوم: إنها منسوخة بقوله[6] ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾ وقال قوم: إنها على

(١) (الآية) زيادة من (ع).

(٢) (قد) ساقطة من (أ).

(٣) في (ف) و(ع): (بمعنى).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٤٤ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥) تهذيب مسائل المدونة المسمى «التهذيب في اختصار المدونة» تصنيف أبي سعيد خلف بن أبي القاسم القيرواني البراذعي تحقيق أحمد فريد المزيدي. ٢/٥١.

(٦) في (أ): (لقوله).

الندب ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ قال قوم: يجب على الكاتب أن يكتب، وقال قوم آخرون[١]: نسخ ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ وقال آخرون: يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه، وقال قوم: إن الأمر بذلك على الندب ولذلك جاز أخذ الأجرة على كتب الوثائق. ﴿بِالْعَدْلِ﴾ يتعلق عند ابن عطية بقوله ﴿وَلْيَكْتُب﴾ وعند الزمخشري بقوله ﴿كَاتِبٌ﴾ فعلى الأول تكون الكتابة بالعدل وإن كان الكاتب غير مرضي، وعلى الثاني يجب أن يكون الكاتب مرضيا في نفسه، قال مالك: لا يكتب الوثائق إلا عارف بها عدل في نفسه مأمون[٢] ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ نهى عن الإباية وهو يقوي الوجوب ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ يتعلق بقوله: ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ والكاف للتشبيه، أي يكتب مثل ما علمه الله، أو للتعليل: أي ينفع الناس بالكتابة كما علمه الله كقوله[٣]: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وقيل: يتعلق بقوله بعدها ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ﴾ يقال أمللت الكتاب وأمليته فورد هنا على اللغة الواحدة وفي قوله: ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ على الأخرى ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ لأن الشهادة إنما هي باعترافه فإن كتب الوثيقة دون إملائه ثم أقر بها جاز. ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ أمر الله بالتقوى فيما يملي ونهاه عن البخس وهو نقص الحق ﴿سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ السفيه الذي لا يحسن النظر في ماله، والضعيف: الصغير وشبهه، والذي لا يستطيع أن يمل الأخرس وشبهه ﴿وَلِيُّهُ﴾ أبوه أو وصيه والضمير عائد على الذي عليه الحق ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ شهادة الرجلين جائزة في كل شيء إلا في الزنا فلا بد من أربعة ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ نص في رفض شهادة الكفار والصبيان والنساء، وأما العبيد: فاللفظ يتناولهم ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم،

(١) (آخرون) ساقطة من (ف).

(٢) قال الألوسي في روح المعاني: استدل بعضهم بالآية على أنه لا يكتب الوثائق إلا عارف بها عدل مأمون ومن لم يكن كذلك يجب على الإمام أو نائبه منعه لئلا يقع الفساد ويكثر النزاع والله لا يحب المفسدين: ٣/٥٦.

(٣) في (أ): (لقوله).

ومنعها مالك والشافعي لنقص الرق ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ قال قوم: لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع عدم الرجال، وقال: معنى الآية إن لم يكونا أي إن لم يوجدا، وأجازه الجمهور: لأن المعنى[١]: إن لم يشهد رجلان فرجل وامرأتان وإنما يجوز عند مالك شهادة الرجل والمرأتين في الأموال لا في غيرها، وتجوز عنده[٢] شهادة المرأتين دون رجل فيما لا يطلع عليه الرجال: كالولادة، والاستهلال، وعيوب النساء، وارتفع[٣] رجل بفعل مضمر تقديره فليكن رجل فهو فاعل أو تقديره فليستشهد رجل فهو مفعول لم يسم فاعله أو بالابتداء تقديره فرجل وامرأتان يشهدون ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾ صفة للرجل والمرأتين وهو مشترط أيضا في الرجلين الشاهدين لأن الرضا مشترط في الجميع وهو العدالة ومعناها: اجتناب الذنوب الكبائر، وتوقي الصغائر مع المحافظة على المروءة ﴿أَن تَضِلَّ﴾ مفعول من أجله والعامل فيه هو المقدر العامل في رجل وامرأتان والضلال في الشهادة هو نسيانها أو نسيان بعضها، وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولا من أجله وليس هو المراد لأنه سبب لتذكير الأخرى لها وهو المراد، فأقيم السبب مقام المسبب، وقرئ[٤] إن تضل بكسر الهمزة على الشرط وجوابه الفاء في فتذكر ولذلك رفعه من كسر الهمزة ونصبه من فتحها على العطف وقرئ[٥] تذكر بالتشديد والتخفيف والمعنى واحد. ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَآءُ﴾ أي لا يمتنعون ﴿إِذَا مَا دُعُواْ﴾ إلى أداء الشهادة وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي ﷺ[٦] واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجب إذا دعي إليها، وقيل: إذا دعوا إلى تحصيل الشهادة وكتبها، وقيل: إلى الأمرين ﴿وَلَا

---

(١) في (أ): (وأجاز الجمهور أن).

(٢) قوله: (عنده) ساقط من (أ).

(٣) في (أ): (وارتفاع).

(٤) ﴿أَن تَضِلَّ﴾ قرأ حمزة بكسر الهمزة وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٢٧٠.

(٥) ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ قرأه ابن كثير والبصريان بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد. المصدر السابق.

(٦) أسنده النقاش إلى النبي ﷺ كما في المحرر الوجيز: ٢/٩٦٨.

تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ﴾ أي لا تملوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت سواء كان الحق صغيرا أو كبيرا ونصب صغيرا على الحال ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إشارة إلى الكتابة[1] ﴿أَقۡسَطُ﴾ من القسط وهو العدل ﴿وَأَقۡوَمُ﴾ بمعنى أشد إقامة وبني أفعل فيهما من الرباعي وهو قليل ﴿وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾ أي أقرب إلى عدم الشك في الشهادة ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ أن في موضع نصب على الاستثناء المنقطع لأن الكلام المتقدم في الدين المؤجل والمعنى إباحة ترك الكتابة في التجارة الحاضرة وهو ما يباع بالنقد[2] ﴿تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ﴾ يقتضي القبض والبينونة ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ﴾ ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع صغير أو كبير[3] وهم الظاهرية خلافا للجمهور، وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضًا﴾، وذهب قوم إلى أنه على الندب ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يحتمل أن يكون كاتب فاعلا على تقدير كسر الراء المدغمة من يضار والمعنى على هذا نهي للكاتب والشاهد[4] أن يضار صاحب الحق أو الذي عليه الحق بالزيادة فيه أو النقصان منه أو الامتناع من الكتابة أو الشهادة، ويحتمل أن يكون كاتب مفعولا لم يسم فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة ويقوي ذلك قراءة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[5] لا يضارر بالتفكيك وفتح الراء، والمعنى: النهي عن الإضرار بالكاتب والشهيد[6] بإذايتهما بالقول أو بالفعل ﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ﴾ أي إن وقعتم في الإضرار ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ﴾ حال ﴿بِكُمۡ﴾. ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ إخبار على وجه الامتنان، وقيل: معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألهمه وهذا المعنى صحيح ولكن لفظ الآية لا يعطيه لأنه لو كان

---

(١) في (ع): (الكتاب).

(٢) في (أ) زيادة: (وغيره).

(٣) في (أ): (صغيرا أو كبيرا).

(٤) في (ف) وللشهيد وفي (ع): (والشهيد).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٨٧ بسند صحيح.

(٦) في (أ): (والشاهد).

ربع • وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ
اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ
آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

كذلك لجزم يعلمكم في جواب اتقوا.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآية لما أمر الله تعالى بكتابة الديون[١] جعل الرهن توثيقا للحق عوضا عن[٢] الكتابة حيث تتعذر الكتابة في السفر، وقال الظاهرية: لا يجوز الرهن إلا في السفر، لظاهر الآية. وأجازه مالك وغيره في الحضر لأن النبي ﷺ رهن درعه بالمدينة[٣] ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ يقتضي بينونة المرتهن بالرهن وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله، وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل والقبض للرهن شرط في الصحة عند الشافعي وغيره لقوله تعالى: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ وهو عند مالك شرط كمال لا صحة[٤] ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ الآية أي إن أمن صاحب الحق المديان لحسن ظنه به، فليستغن عن الكتابة وعن الرهن، فأمر أولا بالكتابة ثم بالرهن ثم بالائتمان فللدين ثلاثة أحوال، ثم أمر المديان بأداء الأمانة ليكون عند ظن صاحبه به ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ محمول على الوجوب ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ معناه قد تعلق به

(١) في (أ): (بكتب الدين).

(٢) في (ف) و(ع): (من).

(٣) قصة رهن الدرع هذه ثابتة عن جماعة من الصحابة، منهم أنس، وعائشة، وابن عباس، أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٩١٦)، والترمذي الحديث رقم: (١١٢٦)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٤٥٣١)، وأحمد في المسند: ١٣٣/٣..

(٤) (لا صحة) زيادة من (أ).

الإثم اللاحق من[1] المعصية في كتمان الشهادة وارتفع آثم[2] بأنه خبر إن وقلبه فاعل به ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كانت[3] جملة الكاتم هي الآثمة؛ لأن الكتمان من فعل القلب إذ هو يضمرها ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان.

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ الآية مقتضاها المحاسبة على ما في نفوس العباد من الذنوب سواء أبدوه أو أخفوه، ثم المعاقبة على ذلك لمن يشاء الله، أو الغفران لمن شاء الله[4]، وفي ذلك إشكال لمعارضته لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها»[5] ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا: هلكنا إن حوسبنا بخواطر أنفسنا، فقال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قولوا سمعنا وأطعنا» فقالوها فأنزل الله بعد ذلك[6]: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فكشف الله عنهم الكربة ونسخ بذلك هذه الآية، وقيل: هي في معنى كتم الشهادة وإبدائها وذلك محاسب به، وقيل: يحاسب الله خلقه على ما في نفوسهم ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين، والصحيح التأويل الأول لوروده في الصحيح[7]، وقد ورد

---

(١) في (ف): (الملاحق عن).

(٢) في نسخة (سقوط آثم).

(٣) في (أ): (كان).

(٤) قوله: (لمن يشاء الله، أو الغفران لمن شاء الله) ساقط من (ع).

(٥) لفظ البخاري في صحيحه: «إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم» الحديث رقم: (٥٢٦٩)، ومسلم الحديث رقم: (١٢٧)، والترمذي الحديث رقم: (١١٨٣)، وأبو داود الحديث رقم: (١٨٨٨)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٠٣٠)..

(٦) صحيح أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٢٦)، والترمذي الحديث رقم: (٢٩٩٢)، وأحمد في المسند: ١/٢٣٣، والطبري في جامع البيان رقم: (٦٤٥٧)..

(٧) روى ابن أبي شيبة بسنده، عن سالم بن عبد الله أن أباه قرأ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ...﴾ الآية فدمعت عيناه، فبلغ صنيعه ابن عباس فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن=

أيضا عن ابن عباس وغيره، فإن قيل: الآية خبر[١] والأخبار لا يدخلها النسخ؟ فالجواب: أن النسخ إنما وقع في المؤاخذة والمحاسبة وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه فلفظ الآية خبر ومعناها حكم ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ﴾ قرئ[٢] بجزمهما عطفا على يحاسبكم وبرفعهما على تقدير فهو يغفر.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية سببها[٣] ما تقدم في حديث أبي هريرة لما قالوا سمعنا وأطعنا مدحهم الله بهذه الآية، وقدم ذلك قبل كشف ما شق عليهم ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على الرسول، أو مبتدأ، فعلى الأول يوقف على المؤمنون وعلى الثاني يوقف على من ربه، والأول أحسن ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ إن كان المؤمنون معطوفا فكل عموم في الرسول والمؤمنين، وإن كان مبتدءا فكل عموم في المؤمنين، ووحد الضمير في آمن على معنى أن كل واحد منهم آمن ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قرئ[٤] بالجمع أي كل كتاب أنزله الله، وقرئ بالتوحيد يريد القرآن أو الجنس ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ التقدير يقولون لا نفرق والمعنى لا نفرق بين أحد من الرسل وبين غيره في الإيمان بل نؤمن بجميعهم ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض

= لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله ﷺ حين نزلت فنسختها الآية التي بعدها: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾. هذا إسناد صحيح، روى مسلم في صحيحه، والترمذيّ والنسائي منه ما قاله ابن عباس دون ما قاله ابن عُمَر، من طريق آدم بن سليمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. المصنف الحديث رقم: (٣٦٦٧٧)، والطبري في جامع البيان: ١٠٦/٦، وابن كثير: ٦٢٤/١. قال ابن حجر في الفتح: ٢٠٦/٨: إسناده صحيح.

(١) في (أ): (إن الآية).

(٢) ﴿فَيَغْفِرُ﴾، ﴿وَيُعَذِّبُ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر يعقوب برفع الراء والباء منهما، والباقون بجزمها. النشر: ٢٧٠/٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٢٥)، وأحمد في المسند: ٤١٢/٢، وجامع البيان رقم: (٦٤٥٦)، وابن الجوزي في ناسخ القرآن ومنسوخه، ص: ٢٧٠.

(٤) ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿وكتابه﴾ على التوحيد وقرأ الباقون على الجمع. النشر. المصدر السابق.

﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ حكاية قول المؤمنين على وجه المدح لهم ﴿غُفْرَانَكَ﴾ مصدر والعامل فيه مضمر ونصبه على المصدرية تقديره اغفر غفرانك، وقيل: على المفعولية تقديره نطلب غفرانك ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ إقرار بالبعث مع تذلل وانقياد وهنا تمت حكاية كلام المؤمنين.

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ إخبار من الله تعالى برفع تكليف ما لا يطاق وهو جائز عقلا عند الأشعرية، ومحال عقلا عند المعتزلة، واتفقوا على أنه لم يقع في الشريعة ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي من الحسنات ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي من السيئات وجاءت العبارة بلها في الحسنات لأنها مما ينتفع العبد به وجاءت بعليها في السيئات لأنها مما يضر بالعبد، وإنما قال في الحسنات كسبت وفي الشر اكتسبت لأن في الاكتساب ضربا من الاعتمال والمعالجة حسبما تقتضيه صيغة افتعل، فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ويتعداه، بخلاف الحسنات فإنه فيها على الجادة من غير تكلف، أو لأن السيئات يجد في فعلها لميل النفس إليها فجعلت لذلك مكتسبة، ولما لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي قولوا ذلك في دعائكم، ويحتمل أن يكون ذلك[(١)] من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم سمعنا وأطعنا، والنسيان هنا هو الذهول الغالب على الإنسان، والخطأ غير العمد فذلك معنى[(٢)] قوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان»[(٣)] وقد كان يجوز

(١) : (ذلك) ساقط من (ف) و(ع).

(٢) : (معنى) ساقط من (ع).

(٣) قال الزيلعي في نصب الراية: وهذا لا يوجد بهذا اللفظ وإن كان الفقهاء كلهم لا يذكرونه إلا بهذا اللفظ: ٦٤/٢، والمحفوظ في الحديث هو: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، الطبراني: ٩٧/٢، وفي لفظ: «تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان...»، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٢٠٣٥) قال الهيثمي: فيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف، وانظر البغوي: ٣٥٧/١، وابن كثير: ٢٧٨/٣، والقرطبي: ٤٣١/٣.

أن يؤاخذ به لولا أن الله رفعه. ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ التكاليف الصعبة، وكانت قد كلفت لمن تقدم من الأمم كقتل أنفسهم، وقرض أبدانهم، ورفعت عن هذه الأمة، قال تعالى ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ وقيل: الإصر المسخ قردة وخنازير: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع، ثم إن الشرع رفع[1] وقوعه، وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق أربعة أنواع:

الأول: عقلي محض كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن، فهذا جائز وواقع بالاتفاق.

والثاني: عادي كالطيران في الهواء.

والثالث: عقلي وعادي كالجمع بين الضدين فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما، والاتفاق على عدم وقوعه.

والرابع: تكليف ما يشق ويصعب فهذا جائز اتفاقًا، فقد كلفه الله من تقدم من الأمم، ورفعه عن هذه الأمة.

﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو: ترك المؤاخذة بالذنب، والمغفرة: تقتضي مع ذلك الستر، والرحمة: تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام ﴿مَوْلَىٰنَا﴾ ولينا وسيدنا.

❁❁ ❁❁ ❁❁

(١) في (أ): (دفع).

سورة آل عمران

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ (١) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ (٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٦) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٧) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٨) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٩) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٠)

نزل صدرها(١) إلى نيف وثمانين آية، لما قدم نصارى نجران المدينة المنورة(٢) يناظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام(٣).

﴿الٓمٓ﴾ تقدم الكلام على حروف الهجاء، وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا في الوصل لالتقاء الساكنين نحو من الناس، وقال الزمخشري(٤): هي حركة الهمزة نقلت إلى الميم، وهذا ضعيف؛ لأنها ألف وصل

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/١٥١ بسند فيه انقطاع.

(٢) قوله: (المنورة) زيادة من (ب).

(٣) في (أ) و(ف): (بن مريم).

(٤) قال الزمخشري: ﴿الٓمٓ﴾ حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام، وأن يبدأ ما بعدها، كما تقول: واحد اثنان، وهي قراءة عاصم، وأما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف.

فإن قلت: كيف جاز إلقاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها؛ لأن ثبات حركتها كثباتها؟ قلت: هذا ليس بدرج لأن (م) في حكم الوقف والسكون، والهمزة في حكم الثابت، وإنما حذفت تخفيفا وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها، ونظيره قولهم: واحد اثنان، بإلقاء حركة الهمزة على الدال.

فإن قلت: هلا زعمت أنها حركة لالتقاء الساكنين؟ قلت: لأن التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك: هذا إبراهيم وداود وإسحاق، ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمين في ألف لام ميم لالتقاء الساكنين، ولما انتظر ساكن آخر.

فإن قلت: إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم؛ لأنهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق=

تسقط في الدرج. ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ رد على النصارى في قولهم: إن عيسى هو الله؛ لأنهم زعموا أنه صلب، فليس بحي وليس بقيوم[١].

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا هو[٢] القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها أو بالاستحقاق ﴿مُصَدِّقًا﴾ قد تقدم في مصدقا لما معكم ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الكتب المتقدمة ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أعجميان فلا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ يعني[٣] القرآن وإنما كرر ذكره ليصفه بأنه المفرق[٤] بين الحق والباطل، ويحتمل أن يكون ذكره أولا على وجه الإثبات لإنزاله لقوله:[٥] ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ثم ذكره ثانيا على وجه الامتنان بالهدى به كما قال في التوراة والإنجيل.

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ فكأنه قال: وأنزل الفرقان هدى للناس، ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه فلما اختلف قصد الكلام في الموضعين لم يكن ذلك تكرارا، وقيل: الفرقان هنا هو[٦] كل ما فرق بين الحق والباطل من كتاب وغيره، وقيل: هو الزبور، وهذا بعيد.

= بساكنين فإذا جاء ساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا. قلت: الدليل على أن الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا: واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا أصيم ومديق فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين.

فإن قلت: فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر؟ قلت: هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقولة. الكشاف: ١/٣٦١.

(١) في (أ): (ولا بقيوم).
(٢) قوله: (هو) زيادة من (ب).
(٣) في (أ) و(ف): (هو مكان يعني).
(٤) في (ب): (الفارق).
(٥) في (أ) و(ب): (بقوله).
(٦) قوله: (هو) زيادة من (أ) و(ف).

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ خبر عن إحاطة علم الله بجميع الأشياء على التفصيل وهذه صفة لم تكن لعيسى ولا لغيره، ففي ذلك رد على النصارى.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ برهان على إثبات علم الله المذكور قبل، وفيه رد على النصارى لأن عيسى لا يقدر على التصوير بل كان مصورا كسائر بني آدم ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من طول وقصر وحسن وقبح ولون وغير ذلك.

﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ المحكم من القرآن هو البين المعنى الثابت الحكم، والمتشابه هو الذي يحتاج إلى التأويل، أو يكون مستغلق المعنى كحروف الهجاء، قال ابن عباس[1]: المحكمات الناسخات والحلال والحرام، والمتشابهات المنسوخات والمقدم والمؤخر، وهذا تمثيل لما قلنا ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾ أي عمدة ما فيه ومعظمه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ نزلت في نصارى نجران[2] فإنهم قالوا للنبي ﷺ: «أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه؟ قال: نعم، قالوا: فحسبنا إذا. فهذا من المتشابه الذي اتبعوه»، وقيل: نزلت[3] في أبي ياسر بن أخطب اليهودي وأخيه حيي[4]، ثم يدخل في ذلك كل كافر، أو مبتدع، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن. ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي ليفتنوا به الناس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضي مذاهبهم، أو يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل إليه مخلوق ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ إخبار عن انفراد[5] الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن، وذم لمن طلب علم ذلك من الناس ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧٥/٦ بسند جيد عن ابن عباس. وأورده السيوطي في الدر المنثور: ١٤٢/٢.
(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٨٦/٦ بسند ضعيف..
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٦٣/٢ بسند حسن عن مقاتل بن حيان: يقول: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ يعني: حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود، وانظر تهذيب التهذيب: ٢٧٧/١٠.
(٤) في (ب): (وأخيه حكيم)، وهو خطأ.
(٥) في المطبوعة: (بانفراد).

ﭐلۡعِلۡمِ﴾ مبتدأ مقطوع مما قبله، والمعنى: أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه وإنما يقولون: آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته، وقيل: إنه معطوف على ما قبله، وأن المعنى: أنهم يعلمون تأويله وكلا القولين مروي عن ابن عباس[١]، والقول[٢] الأول قول أبي بكر الصديق[٣] وعائشة[٤] وعروة بن الزبير[٥] وهو أرجح، وقال ابن عطية[٦]: المتشابه نوعان: نوع انفرد الله بعلمه، ونوع يمكن وصول الخلق إليه، فيكون الراسخون ابتداء بالنظر إلى الأول، وعطفا بالنظر إلى الثاني ﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي المحكم والمتشابه من عند الله.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾ حكاية عن الراسخين، ويحتمل أن يكون منقطعا على وجه التعليم، والأول أرجح لاتصال الكلام، وأما قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ فهو من كلام الله تعالى لا حكاية قول الراسخين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ استدلال على البعث، ويحتمل أن يكون من تمام كلام الراسخين، أو منقطعا فهو من كلام الله.

﴿كَدَأۡبِ﴾ في موضع رفع أي دأب هؤلاء كدأب ﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ وفي ذلك تهديد ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ عطف على آل فرعون ويعني بهم قوم نوح وعاد وثمود

---

(١) صحيح أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/١١٦، والطبري في جامع البيان: ٦/٢٠٢، ويروي مجاهد عنه بسند صحيح: «أنا ممن يعلم تأويله» أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٠٣.

(٢) قوله: (القول) ساقط من (أ) و(ف).

(٣) لم أقف على قول أبي بكر الصديق في هذه المسألة. وهو مروي عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس. كما في المحرر الوجيز: ١/٤٠٤ بدون ذكر سند.

(٤) قالت عائشة: كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ولم يعلموا تأويله. أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٠٢، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢/٧٦.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٧٦ بسند ضعيف.

(٦) المحرر الوجيز: ١/٤٠٤، ٤٠٦.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم
مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ
وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ
لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي
الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ
أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

حزب

وغيرهم، والضمير عائد على آل فرعون ﴿بِآيَاتِنَا﴾ البراهين أو الكتاب[1].

﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ قرئ[2] بتاء الخطاب ليهود المدينة، وقيل: لكفار قريش، وقرئ بالياء إخبارا عن يهود المدينة، وقيل: عن قريش، وهو صادق على كل قول، أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففي بدر وغيرها، والأشهر أنها في بني قينقاع؛ لأن رسول الله ﷺ دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر فقالوا له: لا يغرنك[3] أنك قتلت نفرا من قريش لا يعرفون القتال فلو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، فنزلت الآية[4] ثم أخرجهم رسول الله ﷺ من المدينة.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ قيل: خطاب للمؤمنين، وقيل: لليهود، وقيل: لقريش والأول أرجح أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ ففيه تهديد لهم وعبرة كما جرى لغيرهم. ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ﴾ المسلمون والمشركون يوم بدر ﴿تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ قرئ[5] ترونهم بالتاء خطاب لمن خوطب بقوله: ﴿قَدْ كَانَ

(١) في (أ) و(ف): (والكتب).
(٢) قال ابن الجزري في تحبير التيسير: حمزة والكسائي وخلف: ﴿سيغلبون ويحشرون﴾ بالياء فيهما والباقون بالتاء، ص: ٣١٩.
(٣) في (أ) و(ف): (لا يغرك).
(٤) أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٠٠١)، والطبري في جامع البيان: ٢٢٧/٦ بسند ضعيف.
(٥) ﴿تَرَوْنَهُمْ﴾ قرأ المدنيان ويعقوب بالخطاب، وقرأ الباقون بالغيب. النشر: ٢٧١/٢.

لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ والمعنى ترون الكفار مثلي المؤمنين[١]، ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قلة[٢] عددهم، وقرئ بالياء، والفاعل في يرونهم هم[٣] المؤمنون والمفعول به هم المشركون، والضمير في مثليهم للمؤمنين والمعنى على حسب ما تقدم.

فإن قيل: إن الكفار كانوا يوم بدر أكثر من مثلي[٤] عدد المسلمين؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المسلمين؛ لأن الكفار كانوا قريبا من ألف والمؤمنون ثلاثمائة وثلاثة عشر، ثم إن الله تعالى قلل عدد الكفار[٥] في أعين المؤمنين حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين ليتجاسروا على قتالهم إذ[٦] ظهر لهم أنهم على ما أمروا[٧] به من قتال الواحد للاثنين، في قوله: ﴿فَإِن تَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾.

والآخر: أنه رجع[٨] قوم من الكفار حتى بقي منهم ستمائة وستة وعشرون رجلا، وذلك قدر عدد المسلمين مرتين، وقيل: إن الفاعل في يرونهم ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين، وأن الضمير في مثليهم يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للمشركين، والمعنى على هذا: أن الله كثر عدد المسلمين في أعين

---

(١) في (أ): (المسلمين).

(٢) قوله: (قلة) ساقط من المطبوعات.

(٣) زيادة من (أ) و(ف).

(٤) قوله: (مثلي) ساقط من المطبوع. وهي في المخطوطات.

(٥) في (أ): (الكافرين).

(٦) في (ب) والمطبوعة: (إذا).

(٧) في المطبوع: (أخبروا به).

(٨) في المطبوع: (يرجع).

المشركين حتى حسب الكفار المؤمنين مثلي الكافرين، أو مثلي المؤمنين، وهم أقل من ذلك، وإنما كثرهم الله في أعينهم ليرهبوهم، ويرد هذا قوله تعالى ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾. ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ نصب على المصدرية ومعناه معاينة ظاهرة لا شك فيها ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي أن النصر بمشيئة الله لا بالقلة ولا بالكثرة، فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين مع أنهم كانوا أكثر منهم.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ قيل: المزين هو الله، وقيل: الشيطان، ولا تعارض بينهما فتزيين الله بالإيجاد والتهيئة للانتفاع وإنشاء الجبلة على الميل إلى الدنيا، وتزيين الشيطان بالوسوسة والخديعة ﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾ جمع قنطار وهو ألف ومائتا أوقية، وقيل: ألف ومائتا مثقال[1] وكلاهما مروي عن النبي ﷺ[2] ﴿الْمُقَنطَرَةِ﴾ مبنية من لفظ القناطير للتأكيد، كقولهم: ألوف مؤلفة، وقيل: المضروبة دنانير أو دراهم. ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾ الراعية، من قولهم: سام الفرس وغيره إذا جال في المسارح، وقيل: المعلمة في وجوهها شيات، فهي من السيما بمعنى العلامة، وقيل: المعدة للجهاد ﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تحقير لها ليزهد فيها الناس.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ تفضيل للآخرة على الدنيا ليرغب فيها، وتم الكلام في قوله: من ذلكم، ثم ابتدأ قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ تفسير لذلك، فجنات على هذا مبتدأ، وخبره للذين اتقوا، وقيل: إن قوله: للذين اتقوا، متعلق بما قبله وتمام[3] الكلام في قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾، فجنات على هذا خبر مبتدإ[4] مضمر

(١) انظر المحرر الوجيز: ١/٤١٢..

(٢) الأول: ضعيف جدا أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٤٥ أما الثاني: فيروى بلفظ «ألف ومائتا دينار» بدلا من مثقال، والدينار هو المثقال، أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٤٥، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ص: ٦٠٤.

(٣) في (ف) و(أ): (ويتم الكلام).

(٤) في (أ) و(ف): (ابتداء).

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقَٰنِتِينَ
وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ
اللَّهِ الْإِسْلَٰمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ
اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَالْأُمِّيِّـۧنَ
ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ زيادة إلى نعيم الجنة وهو أعظم من النعيم حسبما ورد في الحديث(١).

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ نعت للذين اتقوا، أو رفع بالابتداء، أو نصب بإضمار فعل.

﴿وَالصَّٰدِقِينَ﴾ في الأقوال والأفعال ﴿وَالْقَٰنِتِينَ﴾ العابدين والمطيعين ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الاستغفار هو طلب المغفرة، قيل: لرسول الله ﷺ: كيف نستغفر؟ فقال: قولوا: «اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم»(٢). ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ جمع سحر وهو آخر الليل، يقال إنه الثلث الأخير وهو الذي ورد أن الله يقول حينئذ «من يستغفرني فأغفر له»(٣).

﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الآية، شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية، وقيل: معناها إعلامه لعباده بذلك ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ عطف على اسم الله، أي هم

---

(١) في الحديث الصحيح: «إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، يقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا» البخاري الحديث رقم: (٦٥٤٩)، ومسلم الحديث رقم: (٥٠٥٧)، والترمذي الحديث رقم: (٢٤٧٨)..

(٢) النسائي في سننه الكبرى الحديث رقم: (١٠٢٩٧)..

(٣) حديث صحيح متواتر ويعرف بحديث النزول: البخاري الحديث رقم: (١١٤٥)، ومسلم في صحيحه (٧٥٨)، ومالك في الموطأ: ١/٣٠، وغيرهم، وانظر الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة، ص: ١٢٤.

شهداء بالوحدانية، ويعني بأولي العلم العارفين بالله، الذين يقيمون البراهين على وحدانيته ﴿قَآيِمًا﴾ منصوب على الحال من اسم الله، أو من هو، أو منصوب على المدح ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إنما كرر التهليل لوجهين:

أحدهما: أنه ذكر أولا الشهادة بالوحدانية ثم ذكرها ثانيا بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة.

والآخر: أن ذلك تعليم لعباده؛ ليكثروا من قولها.

﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ بكسر الهمزة ابتداء وبفتحها بدل من أنه وهو بدل شيء من شيء؛ لأن التوحيد هو الإسلام. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ﴾ الآية إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البغي وهو الحسد، والآية في اليهود، وقيل: في النصارى، وقيل: فيهما ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قد تقدم معناه في البقرة، وهو هنا تهديد ولذلك وقع في جواب من يكفر.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ أي جادلوك في الدين والضمير لليهود ونصارى نجران ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ أي أخلصت نفسي وجملتي ﴿لِلَّهِ﴾ وعبر بالوجه عن الجملة، ومعنى الآية إقامة الحجة عليهم؛ لأن من أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك، فسقطت حجة من خالفه ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ عطف على التاء في أسلمت، ويجوز أن يكون مفعولا معه. ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ تقرير بعد إقامة الحجة عليهم، أي قد جاءكم من البراهين ما يقتضي أن تسلموا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَغُ﴾ أي إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك، فإذا بلغتها[١] فقد فعلت ما عليك، وقيل: إن فيها موادعة نسختها آية السيف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية نزلت[٢] في اليهود والنصارى توبيخا لهم ووعيدا

(١) في المطبوع: (أبلغتها).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٨٥، والبغوي في معالم التنزيل: ٢/٢١ بسند ضعيف.

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب
الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴿٢٣﴾
ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم
في دينهم ما كانوا يفترون ﴿٢٤﴾ فكيف إذا جمعناهم
ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون ﴿٢٥﴾ ۞ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل
من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴿٢٦﴾ تولج الليل
في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت
وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ﴿٢٧﴾
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن
يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم
تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴿٢٨﴾ قل
إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في
السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير ﴿٢٩﴾

ثمن

على قبح أفعالهم وأفعال أسلافهم.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود، والكتاب هنا التوراة أو جنس. ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: دخل رسول الله ﷺ على جماعة من اليهود فيهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد، فقالوا له: على أي دين أنت؟ فقال لهم: على دين إبراهيم، فقالوا إن إبراهيم كان يهوديا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «فهلموا إلي التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبوا عليه، فنزلت الآية»[١] فكتاب الله على هذا التوراة، وقيل: هو القرآن كان النبي ﷺ يدعوهم إليه فيعرضون عنه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله والباء سببية، والمعنى: أن كفرهم بسبب اعتراضهم وأكاذيبهم، والأيام المعدودات قد ذكرت في البقرة.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾ أي كيف يكون حالهم يوم القيامة، والمعنى: تهويل واستعظام لما أعد لهم.

﴿اللَّهُمَّ﴾ منادى، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين، ولذلك لا يجتمعان، وقال الكوفيون: أصله يا الله أمنا بخير، فالميم عندهم من أمنا[٢]. ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ منادى عند سيبويه، وأجاز الزجاج أن يكون صفة لاسم الله،

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٨٨ من طريق محمد بن إسحاق بسند ضعيف...

(٢) في المطبوع: (أما) والصواب ما في المخطوطات.

وقيل: إن الآية نزلت[١] ردا على النصارى في قولهم: إن عيسى هو الله ؛ لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى، وقيل: لما أخبر النبي ﷺ أن أمته يفتحون ملك كسرى وقيصر، استبعد ذلك المنافقون فنزلت الآية[٢] ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ قيل: المراد بيدك الخير والشر، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقيل: إنما خص الخير بالذكر لأن الآية في معنى دعاء ورغبة، فكأنه يقول: بيدك الخير فأجزل حظي منه.

﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ قال عبد الله بن مسعود[٣]: هي النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حي، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة، وقال عكرمة[٤]: هي إخراج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، وقيل: تخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن[٥]، فالحياة والموت على هذا استعارة، وفي ذكر الحي من الميت المطابقة وهي من أدوات البيان، وفيه أيضا القلب لأنه قدم الحي على الميت، ثم عكس ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تضييق، وقيل: بغير محاسبة.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية عامة في جميع الأعصار، وسببها[٦] ميل بعض الأنصار إلى بعض اليهود، وقيل: كتاب حاطب[٧] إلى مشركي قريش[٨] ﴿فَلَيْسَ مِنَ

---

(١) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤٨/٢.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول، ص: ٨٣، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٣/٢ قال ابن حجر في الكافي الشافي: لم أجد له إسنادا: ٣٥٠/١.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٠٦/٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٨٠/٢ بسند صحيح.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٠٦/٦، وابن أبي حاتم: ١٨٢/٢ بسند حسن مقطوع على عكرمة.

(٥) في المطبوع تقديم وتأخير «تخرج الكافر من المؤمن، والمؤمن من الكافر» والمعنى واحد.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣١٤/٦ بسند ضعيف.

(٧) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي: صحابي، شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ وكان من أشد الرماة، في الصحابة. وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية وكانت له تجارة واسعة. بعثه النبي ﷺ بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، ومات في المدينة. سنة: ٣٠هـ. الإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم: (١٥٤٠)، والأعلام للزركلي: ١٥٩/٢.

(٨) أخرجه البغوي في معالم التنزيل: ٢٥/١ معلقا، وكتاب حاطب نزل فيه قول الله تعالى:=

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ
ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ
فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ربع
وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا
وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآءَ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّآءُ ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ تبرؤ ممن فعل ذلك، ووعيد على موالاة الكفار، وفي الكلام حذف تقديره: ليس من التقرب إلى الله في شيء، وموضع في شيء نصب على الحال من الضمير في ﴿لَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ قاله ابن عطية[1] ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ﴾ إباحة لموالاتهم إن خافوا منهم، والمراد موالاة في الظاهر مع البغضاء في الباطن ﴿تُقَىٰةً﴾ وزنه فعلة بضم الفاء وفتح العين، وفاؤه واو أبدل منها تاء، ولامه ياء أبدل منها ألف، وهو منصوب على المصدرية، ويجوز أن ينصب على الحال من الضمير في تتقوا ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ تخويف.

﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ منصوب على الظرفية والعامل فيه فعل مضمر تقديره: اذكروا أو خافوا، وقيل: العامل فيه قدير، وقيل: المصير، وقيل: يحذركم ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ مبتدأ خبره تود، أو معطوف ﴿أَمَدًا﴾ أي مسافة ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌ﴾ ذكر بعد التحذير تأنيسا لئلا يفرط الخوف، أو لأن التحذير والتنبيه رأفة.

﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ جعل اتباع النبي ﷺ علامة على محبة العبد لله تعالى، وشرط في محبة الله للعبد ومغفرته له، وقيل: إن الآية خطاب لنصارى نجران، ومعناها على العموم في جميع الناس.

= ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، وسيأتي بيان ذلك فيما بعد.

(١) المحرر: ١/٤٢٥.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ﴾ الآية، لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران أخذ يبين لهم ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيفية ولادته، وبدأ بذكر آدم ونوح عليهما السلام تكميلا للأمر؛ لأنهما أبوان لجميع الأنبياء، ثم ذكر إبراهيم تدريجا إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: إن عمران هنا هو والد موسى وبينهما ألف وثمانمائة سنة، والأظهر أن المراد هنا والد مريم لذكر قصتها بعد ذلك ﴿وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ﴾ يحتمل أن يريد بآل القرابة أو الأتباع، وعلى الوجهين يدخل نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آل إبراهيم.

﴿ذُرِّيَّةً﴾ بدل مما تقدم، أو حال ووزنه فعلية منسوب إلى الذر؛ لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر، وغير أوله في النسب، وقيل: أصل ذرية ذرورة وزنها فعولة، ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء فصار ذروية ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت الراء فصارت ذرية.

﴿إِذْ قَالَتِ﴾ العامل فيه محذوف، تقديره: اذكروا، وقيل: عليم، وقال الزجاج: العامل فيه معنى الاصطفاء ﴿امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ اسمها حنة بالنون وهي أم مريم، وعمران هذا هو والد مريم ﴿نَذَرْتُ﴾ أي جعلت نذرا علي أن يكون هذا الولد في بطني حبسا على خدمة بيتك، وهو بيت المقدس ﴿مُحَرَّرًا﴾ أي عتيقا من كل شغل إلا خدمة المسجد.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الآية كانوا لا يحررون الإناث لخدمة المساجد فقالت ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ تحسرا وتلهفا على ما فاتها من النذر الذي نذرت ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرئ[1] وضعت بإسكان التاء وهو من كلام الله تعظيما لوضعها، وقرئ بضم التاء وإسكان العين وهو على هذا من كلامها. ﴿وَلَيْسَ

---

(١) ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب وأبو بكر بإسكان العين وضم التاء وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان التاء. النشر: ٢/٢٧٢.

ﵟالذَّكَرُ كَالۡأُنثَىٰۖﵞ يحتمل أن يكون من كلام الله، فالمعنى: ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لك وأن يكون من كلامها، فالمعنى: ليس الذكر كالأنثى في خدمة المساجد؛ لأن الذكور كانوا يخدمونها دون الإناث ﵟسَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَﵞ إنما قالت لربها سميتها مريم لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة، فأرادت بذلك التقرب إلى الله، ويؤخذ من هذا تسمية المولود يوم ولادته، وامتنع مريم من الصرف للتعريف والتأنيث، وفيه أيضا العجمة ﵟوَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَﵞ ورد في الحديث: «ما من مولود إلا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها»[1] لقوله: ﵟوَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَﵞ الآية.

ﵟفَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَاﵞ أي رضيها للمسجد مكان الذكر ﵟبِقَبُولٍ حَسَنٍﵞ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مصدرا على غير الصدر[2].

والآخر: أن يكون اسما لما يقبل به كالسعوط اسم لما يسعط به.

ﵟوَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗاﵞ عبارة عن حسن النشأة ﵟوَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآۖﵞ أي ضمها إلى إنفاقه وحضانته، والكافل هو الحاضن، وكان زكرياء زوج خالتها، وقيل: زوج أختها[3]، وقرئ كفلها[4] بتشديد الفاء ونصب زكرياء أي جعله الله كافلها ﵟالۡمِحۡرَابَﵞ في اللغة أشرف المجالس، وبذلك سمي موضع الإمام، ويقال إن زكرياء بنى لها غرفة في المسجد، وهي المحراب هنا، وقيل: المحراب موضع العبادة ﵟوَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖﵞ كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة

---

(١) في رواية إلا ومسه الشيطان. البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٤٨)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٤٣٦٤)، والمسند الحديث رقم: (٧٣٨٣).

(٢) قال ابن عطية: وقوله ﵟبِقَبُولٍﵞ مصدر جاء على غير الصدر، وكذلك قوله ﵟنَبَاتًاﵞ بعد أنبت. المحرر الوجيز: ١/٤٣٢، وانظر الكشاف: ١/٣٨٦..

(٣) قوله: (وقيل زوج أختها) ساقط من المطبوع.

(٤) ﵟوَكَفَّلَهَاﵞ قرأ الكوفيون بتشديد الفاء، وقرأ الباقون بتخفيفها. النشر: ٢/٢٧٢.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّآءُ رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَـٰرِ ﴿٤١﴾ ۞ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

الصيف في الشتاء، ويقال: إنها لم ترضع ثديا قط، وكان الله يرزقها. ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا﴾ إشارة إلى مكان أي كيف ومن أين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ﴾ يحتمل أن يكون من كلام مريم أو من كلام الله تعالى.

﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى مكان، وقد يستعمل في الزمان وهو الأظهر هنا، أي لما رأى زكرياء كرامة الله تعالى لمريم سأل من الله الولد.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ أنث رعيا[1] للجماعة، وقرئ بالألف[2] على التذكير، وقيل: إن الذي ناداه جبريل وحده، وإنما قيل الملائكة، كقولهم: فلان يركب الخيل أي جنس الخيل، وإن ركب[3] فرسا واحدا ﴿يَحْيَىٰ﴾ اسم سماه الله تعالى به قبل أن يولد، وهو اسم بالعبرانية صادف اشتقاقا وبناء في العربية، وهو لا ينصرف فإن كان في الإعراب أعجميا ففيه التعريف والعجمة، وإن كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل.

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي مصدقا بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مؤمنا به، وسمي عيسى كلمة الله لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله: كن، لا بسبب آخر وهو الوالد كسائر بني آدم ﴿وَسَيِّدًا﴾ السيد الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف والفضل ﴿وَحَصُورًا﴾ أي لا يأتي النساء، فقيل: خلقه الله كذلك، وقيل: كان

---

(١) في (م): (مراعاة).

(٢) ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿فناداه﴾ بألف على الدال ممالة على أصلهم، وقرأ الباقون بتاء ساكنة بعدها. النشر: ٢/٢٧٣.

(٣) في (م): (كان).

يمسك نفسه، وقيل: الحصور: الذي لا يأتي الذنوب.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته، ويقال كان له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون سنة، فاستبعد ذلك في العادة مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك، فسأله مع علمه بقدرة الله، واستبعده؛ لأنه نادر في العادة، وقيل: سأله وهو شاب وأجيب وهو شيخ، ولذلك استبعده ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ أي مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء، فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة، والإشارة بذلك إلى هبة الولد لزكرياء، واسم الله مرفوع بالابتداء وكذلك خبره، فيجب وصله معه، وقيل: الخبر يفعل ما يشاء، ويحتمل كذلك على هذا وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع الحال من فاعل يفعل.

والآخر: أن يكون في موضع خبر مبتدإ محذوف، تقديره: الأمر كذلك، أو أنتما كذلك، وعلى هذا يوقف على كذلك والأول أرجح لاتصال الكلام وارتباط قوله ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ مع ما قبله، ولأن له نظائر كثيرة في القرآن منها قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾.

﴿ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي علامة على حمل المرأة ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي علامتك أن لا تقدر على كلام الناس ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ بمنع لسانه عن ذلك مع إبقاء الكلام بذكر الله ولذلك قال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ وإنما حبس لسانه عن الكلام تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرا على استجابة دعائه، ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر. ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارة باليد أو بالرأس أو غيرهما فهو استثناء منقطع ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ من زوال الشمس إلى غروبها، والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة؟ والعامل في إذ مضمر ﴿ٱصْطَفَىٰكِ﴾ أولا حين تقبلك من أمك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من كل

عيب في خلق وخلق ودين ﴿وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَـٰلَمِينَ﴾ يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب فيكون على نساء العالمين عاما، أو يكون الاصطفاء عاما فيخص من نساء العالمين خديجة وفاطمة، أو يكون المعنى على نساء زمانها، وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق، وقيل: إنها كانت نبيئة؛ لتكليم الملائكة لها.

﴿اقْنُتِي﴾ القنوت هنا بمعنى الطاعة والعبادة، وقيل: طول القيام في الصلاة، وهو قول الأكثرين ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ أمرت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونها من هيئة الصلاة وأركانها، ثم قيل لها اركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين، أي في الجماعة فلا يقتضي الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع؛ لأنه لم يرد الركوع والسجود المنضمين في ركعة واحدة، وقيل: أراد ذلك وقدم السجود لأن الواو لا ترتب، ويحتمل أن تكون الصلاة في ملتهم بتقديم السجود على الركوع.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من القصص، وهو خطاب للنبي ﷺ، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ احتجاج على نبوءته ﷺ لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم ﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ أي أزلامهم وهي قداحهم، وقيل: الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اقترعوا بها على كفالة مريم حرصا عليها وتنافسا في كفالتها، وتدل الآية على جواز القرعة، وقد ثبتت أيضا من السنة[(١)] ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأ وخبر في موضع نصب بفعل تقديره: ينظرون أيهم ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يختلفون فيمن يكفلها منهم.

---

(١) فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب... إلى آخر الحديث، رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٥٩٣)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٧٠)، وأحمد في مسنده: ١٩٥/٦، والنسائي في تفسيره: ٩٩/١، والطبري في جامع البيان: ١٢٠/١٩، وغيرهم.

وَنُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٥﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ
﴿٤٦﴾ وَنُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
إِنِّيَ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٤٩﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥٠﴾ • فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥١﴾

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إذ بدل من إذ قالت، أو من إذ يختصمون، والعامل فيه مضمر. ﴿اسْمُهُ﴾ أعاد الضمير المذكر على الكلمة لأن المسمى بها ذكر ﴿الْمَسِيحُ﴾ قيل: هو مشتق من ساح في الأرض فوزنه مفعل، وقال الأكثرون من مسح لأنه مسح بالبركة فوزنه فعيل، وإنما قال عيسى ابن مريم والخطاب لمريم لينسبه إليها إعلاما بأنه يولد من غير والد ﴿وَجِيهاً﴾ نصب على الحال، ووجاهته في الدنيا النبوءة والتقديم على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة.

﴿فِي الْمَهْدِ﴾ في موضع الحال ﴿وَكَهْلًا﴾ عطف عليه والمعنى أنه يكلم الناس صغيرا آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود، وتدل على نبوءته ويكلمهم أيضا كبيرا ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة، وأوله ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: أربعون[1].

﴿وَنُعَلِّمُهُ﴾ عطف على يبشرك أو ويكلم ﴿الْكِتَابَ﴾ هنا جنس، وقيل: الخط باليد والحكمة هنا العلوم الدينية أو الإصابة في القول والفعل ﴿وَرَسُولًا﴾ حال معطوف على ويعلمه إذ التقدير ومعلما الكتاب أو يضمر له فعل تقديره: أرسل رسولا أو جاء رسولا ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ أي أرسل إليهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مبينا

(١) مذهب مالك أن الكهولة تبدأ من الأربعين إلى الستين، مواهب الجليل: ٦٦٧/٧، والدسوقي: ٩٤/٤، والتاج والإكليل: ٤٥/٦.

لحكم التوراة ﴿أَنِّي﴾ تقديره بأني ﴿أَخْلُقُ﴾ بفتح الهمزة بدل من أني الأولى أو من آية ويكسرها ابتداء كلام ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ ذكر هنا الضمير لأنه يعود على الطير أو على الكاف من كهيئة وأنث في المائدة لأنه يعود على الهيئة ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ قيل: إنه لم يخلق غير الخفاش، وقرئ: طيرا[1] بياء ساكنة على الجمع وبالألف وهمزة على الإفراد، ذكر ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رفعا لوهم من توهم في عيسى الربوبية. ﴿وَأُبْرِئُ﴾ روي: أنه كان يجتمع إليه جماعة من العميان والبرصاء فيدعو لهم فيبرؤون ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ روي:[2] أنه كان يضرب بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه، وروي أنه أحيى سام بن نوح ﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾ كان يقول: يا فلان أكلت كذا وادخرت في بيتك كذا.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطف على رسولا أو على موضع ﴿بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لأنه في موضع الحال وهو أحسن؛ لأنه من جملة كلام عيسى، فالتقدير: جئتكم بآية من ربكم، وجئتكم مصدقا ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ عطف على بآية من ربكم، وكانوا قد حرم عليهم الشحم ولحم الإبل وأشياء من الحيتان والطير، فأحل لهم عيسى بعض ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ رد على من نسب الربوبية لعيسى، وانتهى كلام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قوله: ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ وابتداؤه من قوله ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾ وكل ذلك يحتمل أن يكون مما ذكرت الملائكة لمريم حكاية عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سيقوله، ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع ثم استؤنف الكلام من قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾

---

(١) قال الشاطبي:

وَفِي طَائِراً طَيْراً بِهَا وَعُقُودِهَا (خُصُـ)ـوصاً وَيَاءٌ فِي نُوَفِّيهِمُ (عَـ)ـلاَ

أي قرؤوا طيرا في موضع طائرا هنا وفي المائدة دون غيرهما، وأشار إلى ذلك بقوله: خصوصا وهو مصدر والطائر مفرد والطير اسم جمع ويقع على المفرد وجمعه طيور وأطيار وجمع طائر أيضا أطيار كصاحب وأصحاب. إبراز المعاني من حرز الأماني: ١٨/٢، وانظر النشر: ٢٧٤/٢.

(٢) المحرر الوجيز: ٤٥٢/١.

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ
ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ
إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ
فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا
لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾
ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ
مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾
فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ
أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا
وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

على تقدير جاء عيسى رسولا بأني قد جئتكم بآية من ربكم، ثم استمر كلامه إلى آخره.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي علم علما ظاهرا كعلم ما يدرك بالحواس ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ طلب للنصرة والأنصار جمع ناصر ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ تقديره: من يضيف أنفسهم في نصرتي إلى الله فلذلك قيل: إلى هنا بمعنى مع، أو يتعلق بمحذوف تقديره: ذاهبا أو ملتجئا إلى الله ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ حواري الرجل صفوته وخاصته، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيء حواري وإن حواري الزبير»[1]، وقيل: إن الحواريين كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها ولذلك سماهم الحواريين.

﴿بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ يريدون الإنجيل والرسول هنا عيسى عليه السلام: ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي مع الذين يشهدون بالحق من الأمم، وقيل: مع أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون على الناس.

﴿وَمَكَرُوا۟﴾ الضمير لكفار بني إسرائيل، ومكرهم أنهم وكلوا بعيسى من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ أي رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل عوضا منه، وعبر عن فعل الله بالمكر مشاكلة لقوله: ﴿مَكَرُوا۟﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ» الحديث رقم: (٢٨٤٦)، ومسلم الحديث رقم: (٢٤١٥)، وابن ماجه الحديث رقم: (١٢٢)، والبغوي في شرح السنة: ١٤/١٢٢، والمستدرك: ٣/٣٠٧..

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أي أقواهم وهو فاعل ذلك بحق، والماكر من البشر فاعل بالباطل.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ العامل فيه فعل مضمر أو يمكر ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قيل: وفاة موت، ثم أحياه الله في السماء، وقيل: رفع حيا ووفاة الموت بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال، وقيل: يعني وفاة نوم، وقيل: المعنى قابضك من الأرض إلى السماء ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي إلى السماء ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ أي من سوء جوارهم ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ هم المسلمون وعلوهم على الكفرة بالحجة وبالسيف في غالب الأمر، وقيل: الذين اتبعوك النصارى والذين كفروا اليهود فالآية مخبرة عن عزة النصارى على اليهود وإذلالهم لهم.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأخبار ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ المتلوات أو المعجزات ﴿وَالذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ الناطق بالحكمة.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ الآية حجة على النصارى في قولهم كيف يكون ابن دون أب؟ فمثله الله بآدم الذي خلقه الله دون أم ولا أب، وذلك أغرب مما استبعدوه، فهو أقطع لقولهم ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ تفسير لحال آدم فيكون حكاية عن حال ماضية، والأصل لو قال: خلقه من تراب ثم قال له كن فكان، لكنه وضع المضارع موضع الماضي ليصور في نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم.

﴿الْحَقُّ﴾ خبر مبتدأ مضمر.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ أي في عيسى وكان الذي حاجه فيه وفد نجران من النصارى، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما السيد، والآخر العاقب، ﴿نَبْتَهِلْ﴾ نلتعن، والبهلة اللعنة، أي نقول: لعنة الله على الكاذب منا ومنكم، هذا أصل الابتهال، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن لعنة، ولما نزلت الآية

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
۞ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي
إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ
عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن
كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى
النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ
يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

أرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة، فخافوا أن يهلكهم الله، أو يمسخهم الله قردة وخنازير، فأبوا من الملاعنة وأعطوا الجزية[1].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ خطاب لنصارى نجران، وقيل: لليهود ﴿سَوَاءٍ﴾ أي عدل ونصف ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ بدل من كلمة أو رفع على تقدير هي، ودعاهم ﷺ إلى توحيد الله وترك ما عبدوه من دونه كالمسيح والأحبار والرهبان.

﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ قالت اليهود كان إبراهيم يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فنزلت الآية[2] ردا عليهم؛ لأن ملة اليهود والنصارى إنما وقعت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة.

﴿هَا أَنتُمْ﴾ ها تنبيه، وقيل: بدل من همزة الاستفهام، وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره، وحاججتم استئناف، أو هؤلاء منصوب على التخصيص وحاججتم الخبر ﴿فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ فيما نطقت به التوراة والإنجيل ﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ ما تقدم على ذلك من حال إبراهيم.

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٣٨٠)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٥٥)، وانظر الدر المنثور للسيوطي: ٢/٢٣٠.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٤٩٠، والبيهقي في دلائل النبوءة: ٥/٣٨٤، وهو بإسناد ضعيف.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا
بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ
الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ
عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
﴿٧٤﴾ • وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ ربع
يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا
مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا
خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ رد على اليهود والنصارى ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفي للإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإشراك الذي يتضمن دين اليهود والنصارى.

﴿وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾ عطف على الذين اتبعوه أي محمد ﷺ، ﴿أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ لأنه على دينه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أمة محمد ﷺ.

﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ﴾ هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ أي لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم.

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي تعلمون أن محمدا ﷺ نبيء.

﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ﴾ أي تخلطون، والحق نبوءة محمد ﷺ، والباطل الكفر به.

﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ﴾ كان قوم من اليهود لعنهم الله أظهروا الإسلام أول النهار ثم كفروا آخره ليخدعوا المسلمين، فيقولوا ما رجع هؤلاء إلا عن علم، وقال السهيلي: إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحارث بن عوف[1].

﴿أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ يحتمل أن يكون من تمام الكلام الذي أمر

(١) انظر المحرر الوجيز: ١/٤٦٧.

النبي ﷺ أن يقوله متصلا بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وأن يكون من كلام أهل الكتاب فيكون متصلا بقولهم ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ ويكون إن الهدى اعتراض بين الكلامين، فعلى الأول يكون المعنى: كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وقلتم ما قلتم ودبرتم ما دبرتم من الخداع، فموضع أن يؤتى مفعول من أجله، أو منصوب بفعل مضمر تقديره: فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوءة، وعلى الثاني: فيكون المعنى لا تؤمنوا أي لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ واكتموا ذلك على من لم يتبع دينكم لئلا يدعوهم إلى الإسلام فموضع أن يؤتى مفعول بتؤمنوا المضمن معنى تقروا، ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله، أي لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ عطف على أن يؤتى وضمير الفاعل للمسلمين وضمير المفعول لليهود. ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ رد على اليهود في قولهم: لم يؤت الله أحدا مثل ما أوتي بنو إسرائيل من النبوءة والشرف.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الآية إخبار أن أهل الكتاب على قسمين أمين وخائن وذكر القنطار مثالا للكثير، فمن أداه أدى ما دونه، وذكر الدينار مثالا للقليل، فمن منعه منع ما فوقه بطريق الأولى، ﴿قَآئِمًا﴾ يحتمل أن يكون من القيام الحقيقي بالجسد، أو من القيام بالأمر وهو العزيمة عليه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى خيانتهم والباء للتعليل ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ زعموا بأن أموال الأميين وهم العرب حلال لهم ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ هنا قولهم إن الله أحلها عليهم في التوراة، أو كذبهم على الإطلاق.

﴿بَلَىٰ﴾ عليهم سبيل وتباعة في أموال الأميين ﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ الضمير يعود على من أو على الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآية قيل: نزلت(١) في اليهود لأنهم تركوا عهد الله في

---

(١) الطبري في تفسيره: ٥٢٨/٦، والبغوي في معالم التنزيل: ٥٧/٢ بسند منقطع...

وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ
مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ
مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ
وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ
وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ
﴿٨٠﴾ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ
وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ
وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ
إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم
مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ۞ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾

التوراة لأجل الدنيا، وقيل: نزلت[1] بسبب خصومة بين الأشعث من قيس وآخر، فأراد خصمه أن يحلف كاذبا.

﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ﴾ الضمير عائد على أهل الكتاب ﴿يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم﴾ أي يحرفون اللفظ أو المعنى ﴿لِتَحۡسَبُوهُ﴾ الضمير يعود على ما دل عليه قوله يلوون ألسنتهم وهو الكلام المحرف.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآية هذا النفي متسلط على ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾ والمعنى: لا يدعي الربوبية من آتاه الله النبوءة، والإشارة إلى عيسى عَلَيۡهِ السَّلَامُ، رد على النصارى الذين قالوا إنه الله، وقيل: إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ لأن اليهود قالوا له يا محمد، تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى؟ فقال: معاذ الله ما بذلك أمرت ولا إليه دعوت[2] ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ جمع رباني وهو العالم، وقيل: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾ الباء سببية وما مصدرية ﴿تَعۡلَمُونَ﴾ بالتخفيف تعرفون وقرئ[3] بالتشديد من التعليم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٣٥٦)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٣٨)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٢٤٣)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٩٦).

(٢) الطبري في جامع البيان: ٥٣٩/٦)، وابن كثير في تفسيره: ٧٦/٢ من طريق ابن إسحاق بسند ضعيف.

(٣) ﴿تَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ قرأ ابن عامر والكوفيون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة. وقرأ الباقون بفتح التاء واللام وإسكان العين مخففاً. النشر: ٢٧٤/٢.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالرفع استئناف والفاعل الله أو البشر المذكور وقرئ[1] بالنصب عطف على أن يؤتيه أو على ثم يقول والفاعل على هذا البشر.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ معنى الآية أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبيء أن يؤمن بمحمد ﷺ وينصره إن أدركه وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء واللام في قوله ﴿لَمَا ءَاتَيْنَاكُم﴾ لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستخلاف، واللام في لتؤمنن جواب القسم، وما يحتمل أن تكون شرطية ولتؤمنن سد مسد جواب القسم والشرط، وأن تكون موصولة بمعنى الذي آتيناكموه ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ والضمير في به ولتنصرنه عائد على الرسول ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ أي اعترفتم ﴿إِصْرِي﴾ عهدي ﴿فَاشْهَدُوا﴾ أي على أنفسكم وعلى أممكم بالتزام هذا العهد ﴿وَأَنَا مَعَكُم﴾ تأكيد للعهد بشهادة رب العزة جل جلاله.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي من تولى عن الإيمان بهذا النبي ﷺ بعد هذا الميثاق فهو فاسق مرتد متمرد في كفره.

﴿أَفَغَيْرَ﴾ الهمزة للإنكار والفاء عطفت جملة على جملة، وغير مفعول قدم للاهتمام به أو للحصر ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ أي انقاد واستسلم ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ مصدر في موضع الحال، والطوع للمؤمنين والكره للكافر إذا عاين الموت، وقيل: عند أخذ الميثاق المتقدم، وقيل: إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها.

﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾ أمر النبي ﷺ أن يخبر عن نفسه وعن أمته بالإيمان ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ تعدى هنا بعلى مناسبة لقوله: قل وفي البقرة بإلى لقوله: قولوا لأن على حرف استعلاء يقتضي النزول من علو ونزوله على هذا المعنى مختص بالنبي ﷺ، وإلى حرف غاية وهو موصل إلى جميع الأمة.

---

(١) ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف ويعقوب بنصب الراء، وقرأ الباقون بالرفع. النشر: ٢/٢٧٤.

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْءَاخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ الآية إبطال لجميع الأديان غير الإسلام، وقيل: نسخت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ الآية.

﴿كَيْفَ﴾ سؤال والمراد به هنا استبعاد الهدى ﴿قَوْمًا كَفَرُواْ﴾ نزلت[١] في الحرث بن سويد وغيره، أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار، ثم كتبوا إلى أهلهم هل لنا من توبة؟ فنزلت الآية إلى قوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ فرجعوا إلى الإسلام، وقيل: نزلت[٢] في اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبي ﷺ وآمنوا به، ثم كفروا به لما بعث ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ عطف على إيمانهم؛ لأن معناه بعد أن آمنوا، وقيل: الواو للحال، وقال ابن عطية[٣]: عطف على كفروا، والواو لا ترتب.

﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ عموم بمعنى الخصوص في المؤمنين، أو على عمومه وتكون اللعنة في الآخرة.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ الضمير عائد على اللعنة، وقيل: على النار وإن لم تكن ذكرت؛ لأن المعنى يقتضيها.

(١) أخرجه النسائي الحديث رقم: (٨٥)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (١٠)، والواحدي في أسباب النزول، ص: ٩٦ قال الحاكم هذا إسناد صحيح وإن لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان الأثر رقم: (٧٣٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم: (٩١٥)، وهو بسند ضعيف.

(٣) المحرر الوجيز: ١/٤٨٦.

حزب

● لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي
إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ
التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ
إِبْرَاهِيمَ ﴿٩٧﴾ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾

﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ قيل: هم اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد ﷺ، وقيل: كفروا بمحمد ﷺ بعد أن كانوا مؤمنين قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفرا بعداوتهم له وطعنهم عليه، وقيل: هم الذين ارتدوا ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قيل: ذلك عبارة عن موتهم على الكفر، أي ليس لهم توبة فتقبل، وذلك في قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر، وقيل: لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر، فذلك عام.

﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ﴾ جزم بالعذاب لكل من مات على الكفر، والواو في قوله ﴿وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ قيل: زائدة، وقيل: للعطف على محذوف، كأنه قال: لن يقبل من أحدهم لو تصدق به ﴿وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ وقيل: نفي أولا القبول جملة على الوجوه كلها، ثم خص الفدية بالنفي كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلا ولو رغبت إلي.

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي لن تكونوا من الأبرار أو لن تنالوا البر الكامل ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم ولما نزلت قال أبو طلحة إن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة[١]، وكان ابن عمر يتصدق بالسكر ويقول: إني لأحبه[٢].

---

(١) أخرجه البخاري الحديث رقم: (١٤٦١)، ومسلم الحديث رقم: (٩٩٨)، وأبو داود الحديث رقم: (١٦٨٦)، والترمذي الحديث رقم: (٢٩٩٧).

(٢) المحرر الوجيز: ٣/١٥٨.

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾ الآية إخبار أن الأطعمة كانت حلالا لبني إسرائيل ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ﴾ أبوهم ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وهو لحم الإبل ولبنها، ثم حرمت عليهم أنواع من الأطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم، وفيها رد عليهم في قولهم: إنهم على ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن الأشياء التي هي محرمة كانت محرمة على إبراهيم، وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه لأن الله حرم عليهم تلك الأشياء بعد حلها، خلافا لليهود في قولهم: إن النسخ محال على هذه الأشياء، وفيها معجزة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإخباره بذلك من غير تعلم من أحد، وسبب تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه أنه مرض فنذر إن شفاه الله أن يحرم أحب الطعام إليه شكرا لله وتقربا إليه، ويؤخذ من ذلك أنه يجوز للأنبياء أن يحرموا على أنفسهم باجتهادهم ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ تعجيزا لليهود وإقامة حجة عليهم، وروي: أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة.

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ أي من زعم بعد هذا البيان أن الشحم وغيره كان محرما على بني إسرائيل قبل نزول التوراة، فهو الظالم المكابر بالباطل.

﴿صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ أي الأمر كما وصف لا كما تكذبون أنتم ففيه تعريض بكذبهم ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إلزام لهم أن يسلموا كما ثبت أن ملة الإسلام هي ملة إبراهيم التي لم يحرم فيها شيء مما هو محرم عليهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ أي أول مسجد بني في الأرض، وقد سأل أبو ذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي مسجد بني أول؟ قال: المسجد الحرام، ثم بيت المقدس[(١)]، وقال

---

(١) البخاري في صحيحه، ولفظه: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: (المسجد الحرام). قال قلت: ثم أي؟ قال: (المسجد الأقصى). قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد نصله، فإن الفضل فيه. الحديث رقم: (٣٣٦٦)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٥٢٠)، والنسائي في سننه: ٢/٣٢، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٧٥٣)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (١٥٩٨)، وابن خزيمة في صحيحه الحديث رقم: (٧٨٧)، وغيرهم.

علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، المعنى: أنه أول بيت وضع مباركا وهدى وقد كانت قبله بيوت ﴿بِبَكَّةَ﴾ قيل: هي مكة، والباء بدل من الميم، وقيل: مكة الحرم كله، وبكة المسجد وما حوله ﴿مُبَارَكًا﴾ نصب على الحال والعامل فيه على قول علي وضع ﴿مُبَارَكًا﴾ على أنه حال من الضمير الذي فيه، وعلى القول الأول: هو حال من الضمير المجرور، والعامل فيه العامل المجرور من معنى الاستقرار.

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ آيات البيت كثيرة منها: الحجر الذي هو مقام إبراهيم، وهو الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى أكمل البناء، وغرقت قدم إبراهيم في الحجر كأنها في طين وذلك الأثر باق إلى اليوم[٢].

ومنها: أن الطيور لا تعلوه.

ومنها: إهلاك أصحاب الفيل ورد الجبابرة عنه، ونبع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه، وحفر عبد المطلب لها[٣] بعد دثورها، وأن ماءها ينفع لما شرب له، إلى غير ذلك ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قيل: إنه بدل من الآيات أو عطف بيان وإنما جاز بدل الواحد من الجمع لأن المقام يحتوي على آيات كثيرة لدلالته على قدرة الله تعالى، وعلى نبوءة إبراهيم، وغير ذلك، وقيل: الآيات مقام إبراهيم، وأمن من دخله، فعلى هذا يكون قوله: ومن دخله عطفا، وعلى الأول استئنافا، وقيل: التقدير منهن مقام إبراهيم، فهو على هذا مبتدأ، والمقام هو الحجر المذكور، وقيل: البيت كله، وقيل: مكة كلها.

﴿كَانَ ءَامِنًا﴾ أي آمنا من العذاب، فإنه كان في الجاهلية إذا فعل أحد

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٩/٧، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: ٢٩٢/٢ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) في (أ): (إلى يوم القيامة).

(٣) قوله: (لها) زيادة من المخطوطات.

جريمة ثم لجأ إلى البيت لا يطلب ولا يعاقب.

فأما في الإسلام: فإن الحرم لا يمنع من الحدود ولا من القصاص، وقال ابن عباس[١] وأبو حنيفة ذلك الحكم باق في الإسلام، إلا أن من وجب عليه حد أو قصاص فدخل الحرم لا يطعم ولا يباع منه حتى يخرج، وقيل: آمنا من النار ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ بيان لوجوب الحج، واختلف هل هو على الفور أو على التراخي؟ وفي الآية رد على اليهود لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم، قيل: لهم إن كنتم صادقين فحجوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه.

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾ بدل من الناس، وقيل: فاعل بالمصدر وهو حج، وقيل: شرط مبتدأ أي من استطاع فعليه الحج، والاستطاعة عند مالك: هي القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن، إما راجلا وإما راكبا، مع الزاد المبلغ والطريق الآمن، وقيل: الاستطاعة الزاد والراحلة وهو مذهب الشافعي وعبد الملك بن حبيب، وروي في ذلك حديث ضعيف[٢].

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ قيل: المعنى من لم يحج، وعبر عنه بالكفر تغليظا، كقوله ﷺ: «من ترك الصلاة فقد كفر»[٣]، وقيل: أراد اليهود؛ لأنهم لا يحجون، وقيل: من زعم أن الحج ليس بواجب.

﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ توبيخ لليهود. ﴿لِمَ تَصُدُّونَ﴾ توبيخ أيضا، وكانوا يمنعون

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٧/٣٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢/٤١٤، وهو أثر صحيح.

(٢) هذا الحديث مروي عن ابن عمر وابن عباس وعائشة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن مسعود أخرجه الطبري في جامع البيان: ٧/٣٩، وغيره قال الألباني في إرواء الغليل: ٤/١٦٦، وخلاصة القول: إن طرق هذا الحديث كلها واهية...

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، الحديث رقم: (٢٦٢١)، وابن ماجه في سننه، الحديث رقم: (١٠٧٩)، وأحمد في المسند: ٥/٣٤٦، وابن أبي شيبة في المصنف: ١١/٣٤، وابن عبد البر في التمهيد: ٤/٢٣٠، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/١٧٨...

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
﴿١٠٣﴾ • وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا
تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ
وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ
اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

الناس من الإسلام ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هنا الإسلام ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ الضمير يعود على السبيل، أي تطلبون لها الاعوجاج ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي تشهدون أن الإسلام حق.

﴿إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً﴾ الآية لفظها عام والخطاب للأوس والخزرج إذ كان اليهود يريدون فتنتهم ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ إنكار واستبعاد.

﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قيل: نسخها فاتقوا الله ما استطعتم، وقيل: لا نسخ إذ لا تعارض فإن العباد أمروا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا تحرزا من الإكراه وشبهه.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي تمسكوا، والحبل هنا مستعار من الحبل الذي تشد عليه اليد، والمراد هنا القرآن، وقيل: الجماعة ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ نهي عن التدابر والتقاطع إذ قد كان الأوس هموا بالقتال مع الخزرج لما رام اليهود إيقاع الشر بينهم، ويحتمل أن يكون نهيا عن التفرق في أصول الدين، ولا يدخل في النهي الاختلاف في الفروع ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ كان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله بالإسلام ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ أي حرف حفرة وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم إلى النار.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ الآية دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر واجب، وقوله ﴿مِّنكُمْ﴾ دليل على أنه فرض كفاية لأن من للتبعيض، وقيل: إنها لبيان الجنس وأن المعنى: كونوا أمة، وتغيير المنكر يكون باليد واللسان وبالقلب، على حسب الأحوال.

﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ﴾ هم اليهود والنصارى نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم وورد في الحديث أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: ومن تلك الواحدة؟ قال: من كان على ما أنا وأصحابي عليه**»[1].

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ العامل فيه محذوف، وقيل: عذاب عظيم ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي يقال لهم أكفرتم، والخطاب لمن ارتد عن الإسلام، وقيل: للخوارج، وقيل: لليهود لأنهم آمنوا بصفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المذكورة في التوراة ثم كفروا به لما بعث.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ كان هنا هي التي تقتضي الدوام كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ وقيل: كنتم في علم الله، وقيل: كنتم فيما وصفتم به في الكتب المتقدمة، وقيل: كنتم بمعنى أنتم والخطاب لجميع المؤمنين، وقيل: للصحابة خاصة.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى﴾ أي بالكلام خاصة، وهو أهون المضرة ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلأَدْبَارَ﴾ إخبار بغيب ظهر في الوجود صدقه ﴿ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾ إخبار مستأنف غير معطوف على يولوكم وفائدة ذلك أن توليهم الأدبار مقيد بوقت القتال وعدم النصر

---

(١) الذي في كتب السنن هو «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» أخرجه أبو داود الحديث رقم: (٤٥٩٦) كتاب السنة، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٦٤٠) كتاب الإيمان، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن الحديث رقم: (٣٩٩٢)، وابن حبان في صحيحه: ١٤٠/١٤، قال الترمذي حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن
يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً ربع
مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا
مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

على الإطلاق، وعطفت الجملة على جملة الشرط والجزاء وثم لترتيب الأحوال؛ لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشد من توليهم الأدبار حين القتال.

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ الحبل هنا العهد والذمة.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي ليس أهل الكتاب مستوين في دينهم ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ أي قائمة بالحق، وذلك فيمن أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيد، وأخيه أسد، وغيرهم ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يدل أن تلاوتهم للكتاب في الصلاة ﴿فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ أي لن تحرموا ثوابه.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ الآية تشبيه لنفقة الكافرين بزرع أهلكته ريح باردة فلن ينتفع به أصحابه، فكذلك لا ينتفع الكفار بما ينفقون، وفي الكلام حذف، تقديره: مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح، أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح، وإنما احتيج لهذا لأن ما ينفقون ليس شبيها بالريح إنما هو شبيه بالزرع الذي أهلكته الريح ﴿صِرٌّ﴾ أي برد ﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ الضمير للكفار والمنافقين أو لأصحاب الحرث، والأول أرجح لأن قوله: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فعل حال يدل على أنه للحاضرين.

﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ أي أولياء من غيركم، فالمعنى: نهي عن استخلاص الكفار وموالاتهم، وقيل لعمر رضي الله عنه: إن هنا رجلا من النصارى لا أحد أحسن

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم
مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ
مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ
يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ۞ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

خطا منه، أفلا يكتب عنك؟ فقال: إذا أتخذ بطانة من دون المؤمنين[(١)]

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي لا يقصرون في إفسادكم، والخبال الفساد ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي تمنوا مضرتكم، وما مصدرية وهذه الجملة والتي قبلها صفة للبطانة أو استئناف.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي بكل كتاب أنزله الله واليهود لا يؤمنون بقرآنكم ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه، والأنامل جمع أنملة بضم الميم وفتحها ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ تقريع وإغاظة، وقيل: دعاء.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ الحسنة هنا الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك والسيئة ضدها. ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ من الضير بمعنى الضر.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ نزلت[(٢)] في غزوة أحد، وكان غدو رسول الله ﷺ للقتال صبيحة يوم السبت، وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة، وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزلهم وذلك يوم السبت حين حضر القتال، وقيل: ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٢/٥٠٠، وابن أبي شيبة في المصنف: ٨/٦٥٨، وهو أثر صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بإسناد حسن: ٢/٥١٣، والواحدي في أسباب النزول، ص: ١٠٢، ولباب النقول في أسباب النزول، ص: ٤٥.

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ
أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا
يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُسَوَّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ
لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ
ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

وذلك ضعيف ؛ لأنه لا يقال غدوت فيما بعد الزوال إلا على المجاز ، وقيل: ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس وذلك ضعيف ؛ لأنه لم يبوئ حينئذ مقاعد للقتال ، إلا أن يراد أنه بوأهم بالتدبير حين المشاورة ﴿مَقَاعِدَ﴾ مواضع وهو جمع مقعد.

﴿طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ هما بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج لما رأوا كثرة المشركين وقلة المسلمين هموا بالانصراف فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله ﷺ ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ الفشل في البدن هو الإعياء والفشل في الرأي هو العجز والحيرة وفساد العزم ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي مثبتهما[1] ، وقال جابر بن عبد الله[2]: ما وددنا أنها لم تنزل لقوله ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ الذلة هي قلة عددهم وضعف عددهم ، كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، ولم يكن لهم إلا فرس واحد ، وكان المشركون ما بين التسعمائة والألف ، وكان معهم مائة فرس ، فقتل من المشركين سبعون ، وأسر منهم سبعون ، وانهزم سائرهم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ متعلق بنصركم أو باتقوا ، والأول أظهر.

(١) في المخطوطات: (أي ثبتهما الله).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في المغازي الحديث رقم: (٤٠٥١)، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل الحديث رقم: (١٧١)، والطبري في جامع البيان: ٧/١٦٧.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان هذا القول يوم بدر، وقيل: يوم أحد، فالعامل في إذ على الأول محذوف، وعلى الثاني بدل من إذ غدوت ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ تقرير جوابه بلى، وإنما جاوب المتكلم لصحة الأمر وبيانه كقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾.

﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾ الضمير للمشركين، والفور السرعة أي من ساعتهم، وقيل المعنى: من سفرهم ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ﴾ بأكثر من العدد الذي يكفيكم ليزيد ذلك في قوتكم فإن كان هذا يوم بدر فقد قاتلت فيه الملائكة، وإن كان يوم أحد فقد شرط في قوله: ﴿إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بفتح الواو وكسرها أي معلمين أو معلمين أنفسهم أو خيلهم، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء، وقيل: كانوا بعمائم صفر، وكانت خيلهم مجزوزة الأذناب، وقيل: كانوا على خيل بلق.

﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ الضمير عائد على الإنزال أو الإمداد ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ معطوف على بشرى لأن هذا الفعل بتأويل المصدر، وقيل: يتعلق بفعل مضمر يدل عليه جعله.

﴿لِيَقْطَعَ﴾ يتعلق بقوله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أو بقوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ﴾.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ جملة اعتراضية بين المعطوفين، ونزلت لما دعا رسول الله ﷺ في الصلاة على أحياء من العرب فترك الدعاء عليهم[١] ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ معناه يسلمون.

﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ كانوا يزيدون فيه كل ما حل عاما بعد عام.

---

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٠٦٩)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٠٤)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (١٠٧٨)، والبيهقي في سننه: ٢/١٩٨، وابن خزيمة في صحيحه الحديث رقم: (٦٢٢).

ربع ● سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا
فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ
لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ
مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ
مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ
فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ
﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾
وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ
﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ
وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿سَارِعُواْ﴾ بغير واو[1] استئناف وبالواو عطف على ما تقدم ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ أي إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة ﴿عَرْضُهَا﴾ قال ابن عباس[2]: تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب، فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله، وقيل: ليس العرض هنا خلاف الطول، وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض.

﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ في العسر واليسر ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعوله، وتقديره: وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ خطاب للمؤمنين تأنيسا لهم، وقيل: للكافرين تخويفا لهم ﴿فَانظُرُواْ﴾ من نظر العين عند الجمهور، وقيل: هو بالفكر.

﴿وَلاَ تَهِنُواْ﴾ تقوية لقلوب المؤمنين ﴿وَأَنتُمُ ٱلأَعْلَوْنَ﴾ إخبار بعلو كلمة الإسلام.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الآية معناها: إن مسكم قتل أو جراح في أحد، فقد مس الكفار مثله في بدر، وقيل: قد مس الكفار يوم أحد مثل ما مسكم فيه، فإنهم نالوا منكم ونلتم منهم، وذلك تسلية للمؤمنين بالتأسي ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ تسلية أيضا عما جرى

(١) قرأ المدنيان وابن عامر بغير واو، وقرأ الباقون بالواو. النشر: ٢/٢٤٢.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٧/٢٠٧ أورده بسند جيد.

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَٰهَدُوا
مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن
قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ۞ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ
انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ
اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِ
مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا
وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ
إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ اللَّهُ
ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْءَاخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

يوم أحد ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متعلق بمحذوف، تقديره: أصابكم ما أصابهم يوم أحد ليعلم، والمعنى: ليعلم ذلك علما ظاهرا لكم تقوم به الحجة ﴿شُهَدَآءَ﴾ من قتل من المسلمين يوم أحد.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ﴾ أي يظهر، وقيل: يميز وهو معطوف على ما تقدم من التعليلات لقصة أحد، والمعنى: أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين، وأن نصر المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين أي يهلكهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أم هنا منقطعة مقدرة ببل والهمزة عند سيبويه، وهذه الآية وما بعدها معاتبة لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم أحد.

﴿تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ خوطب به قوم فاتتهم غزوة بدر فتمنوا حضور قتال الكفار مع النبي ﷺ ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد، فعلى هذا إنما تمنوا الجهاد وهو سبب الموت، وقيل: إنما تمنوا الشهادة في سبيل الله.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ المعنى: أن محمدا ﷺ رسول كسائر الرسل، قد بلغ الرسالة كما بلغوا، فيجب عليكم التمسك بدينه في حياته وبعد موته، وسببها:[1] أنه صرخ صارخ يوم أحد إن محمدا قد مات، فتزلزل بعض الناس ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء ودخلت الفاء لتربط

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٥٣/٧، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٣٣٤/٢، والسمعاني في تفسيره: ٣٦٣/١.

الجملة الشرطية بالجملة التي قبلها، والمعنى: أن موت رسول الله ﷺ أو قتله لا يقتضي انقلاب أصحابه على أعقابهم؛ لأن شريعته قد تقررت وبراهينه قد صحت، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو مات ﷺ أو قتل، وقد علم أنه لا يقتل، ولكن ذكر ذلك لما صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم. ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: الثابتون على دينهم.

﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ نصب على المصدر؛ لأن المعنى كتب الموت كتابا، وقال ابن عطية[2]: نصب على التميز ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ في ثواب الدنيا مقيد بالمشيئة بدليل قوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ﴾ الفعل مسند إلى ضمير النبيء، ومعه ربيون على هذا في موضع الحال، وقيل: إنه مسند إلى الربيين فيكون ربيون على هذا مفعولا لما لم يسم فاعله، فعلى الأول يوقف على قوله: قتل، ويترجح الأول بما صرخ به الصارخ يوم أحد: إن محمدا قد قتل، فضرب لهم المثل بنبيء قتل، ويترجح الثاني بأنه لم يقتل قط نبيء في محاربة[3]. ﴿رِبِّيُّونَ﴾ علماء مثل ربانيين، وقيل: جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ الضمير لربيون على إسناد القتل للنبيء، وهو لمن بقي منهم على إسناد القتال إليهم. ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ أي لم يذلوا للكفار، قال بعض النحاة: الاستكان مشتق من السكون، ووزنه افتعلوا مطلت فتحة الكاف فحدث عن مطلها ألف وذلك كالإشباع، وقيل: إنه من كان يكون فوزنه استفعلوا وقوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ وما بعده تعريض بما صدر من بعض الناس يوم أحد.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٧/٢٥٢ بسند ضعيف.

(٢) المحرر الوجيز: ١/٥٤٦.

(٣) قال القرطبي: قال ابن عباس والحسن: لم يقتل نبي قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نصر. الجامع لأحكام القرآن: ١/٤٣٢، وانظر اللباب: ٥/٥٨٥، والبحر المحيط: ١/٣٩٩.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩
بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠ سَنُلْقِى
فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم
مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم
مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
ربع ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥٢ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ
وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ
غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٥٣

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي في الحرب.

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ النصر ﴿ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الجنة.

﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم المنافقون الذين قالوا في قضية أحد ما قالوا، وقيل: مشركو قريش، وقيل: اليهود.

﴿ٱلرُّعْبَ﴾ قيل: ألقى الله الرعب في قلوب المشركين بأحد فرجعوا إلى مكة من غير سبب، وقيل: لما كانوا ببعض الطريق هموا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين، فألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا، والآية تتناول جميع الكفار لقوله ﷺ: «نصرت بالرعب»[1].

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ كان رسول الله ﷺ قد وعد المسلمين عن الله بالنصر فنصرهم الله أولا[2] وانهزم المشركون، وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا، وكان رسول الله ﷺ قد أمر الرماة أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا، فلما رأوا المشركين قد انهزموا طمعوا في الغنيمة واتبعوهم وخالفوا ما أمروا به من الثبوت في مكانهم، فانقلبت الهزيمة على المسلمين[3] ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ أي تقتلونهم قتلا

---

(١) رواه البخاري الحديث رقم: (٣٧٤٢)، ومسلم الحديث رقم: (٣٥٢٣)، والنسائي الحديث رقم: (٤٦٧٤)، وأبو داود الحديث رقم: (٣٩٧٩)، وأحمد الحديث رقم: (١١٨٥٤).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٧/٢٨١ بسند فيه انقطاع.

(٣) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٠٣٩)، وأحمد في المسند: ٤/٢٣٩، والطبري في جامع البيان: ٧/٢٨٢.

ذريعا، يعني في أول الأمر ﴿وَتَنَازَعْتُمْ﴾ وقع النزاع بين الرماة فثبت بعضهم كما أمروا ولم يثبت بعضهم ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أي خالفتم ما أمرتم به من الثبوت، وجاءت المخاطبة في هذا لجميع المؤمنين وإن كان المخالف بعضهم وعظا للجميع وسترا على من فعل ذلك، وجواب إذ محذوف تقديره: لانهزمتم. ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ الذين حرصوا على الغنيمة معه ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ معناه لينزل بكم ما نزل من القتل والتمحيص. ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم، فمعناه لقد أبقى عليكم، وقيل: هو عفو عن الذنب.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ العامل في إذ عفا، فيوصل إذ تصعدون مع ما قبله، ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمر ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾ مبالغة في صفة الانهزام ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان رسول الله ﷺ يقول: «إلي عباد الله» وهم يفرون[1] ﴿فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ في ساقتكم، وفيه مدح للنبي ﷺ فإن الأخرى هي موقف الأبطال ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ أي جازاكم ﴿غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ قيل: أثابكم غما بسبب الغم الذي أدخلتموه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين إذ عصيتم وتنازعتم، وقيل: أثابكم غما متصلا بغم، وأحد الغمين ما أصابهم من القتل والجراح.

والآخر: ما أرجف به من قتل رسول الله ﷺ. ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من النصر والغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من القتل والجراح والانهزام.

﴿نُّعَاسًا أَمَنَةً﴾ قال ابن مسعود[2]: نعسنا يوم أحد، والنعاس في الحرب أمان من الله. ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ هم المؤمنون المخلصون غشيهم النعاس تأمينا لهم ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ هم المنافقون كانوا خائفين من أن يرجع إليهم

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان بسند صحيح. ٣٠٢/٧.

(٢) قال عبد الله بن مسعود: النعاس في القتال أمنة، والنعاس في الصلاة من الشيطان. الطبري في جامع البيان: ٣١٩/٧، والبغوي في معالم التنزيل: ٣٣٤/٣، وابن كثير: ١٤٤/٢.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا
مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

أبو سفيان والمشركون ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ معناه يظنون أن الإسلام ليس بحق وأن الله لا ينصرهم و﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ بدل وهو على حذف موصوف، تقديره: ظن المدة الجاهلية، أو الفرقة الجاهلية[(١)] ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ قالها عبد الله بن أبي ابن سلول، والمعنى: ليس لنا رأي ولا يسمع قولنا، أو لسنا على شيء من الأمر الحق، فيكون قولهم على هذا كفرا ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يحتمل أن يريد الأقوال التي قالوها أو الكفر.

﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ قاله معتب بن قشير[(٢)]، ويحتمل من المعنى ما احتمل قول عبد الله بن أبي ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ الآية رد عليهم وإعلام بأن أجل كل إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يقتل يموت لأجله ولا يؤخر، وأن من

---

(١) قال ابن عطية: ذهب جمهور الناس إلى أن المراد مدة الجاهلية القديمة قبل الإسلام، وهذا كما قال: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ و ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ وكما تقول شعر الجاهلية... وذهب بعض المفسرين إلى أنه أراد في هذه الآية ظن الفرقة الجاهلية، والإشارة إلى أبي سفيان ومن معه. المحرر الوجيز: ٢/٢٩..

(٢) قال ابن عبد البر: معتب بن بشير، ويقال: معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري شهد بدراً وأحداً، وكان قد شهد العقبة، يقال: إنه الذي قال: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾. الاستيعاب: ١/٤٤٩، وقال ابن حجر: وقيل إنه كان منافقا وإنه الذي قال يوم أحد لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا، وقيل إنه تاب وقد ذكره بن إسحاق فيمن شهد بدرا. الإصابة: ٦/١٧٥.

كتب عليه القتل لا ينجيه منه شيء ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ يتعلق بفعل تقديره: فعل بكم ذلك ليبتلي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ﴾ الآية، فيمن فر يوم أحد[1] ﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾ أي طلب منهم أن يزلوا، ويحتمل أن يكون معناه أزلهم أي أوقعهم في الزلل ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ أي كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها بأن مكن الشيطان من استزلالهم ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي غفر لهم ما وقعوا فيه من الفرار.

﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي المنافقين ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ هي أخوة القرابة لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يقتل من المهاجرين إلا أربعة ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي سافروا، وإنما قال إذا التي للاستقبال مع قالوا لأنه على حكاية الحال الماضية ﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ جمع غاز وزنه فعل بضم الفاء وتشديد العين ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا﴾ اعتقاد منهم فاسد لأنهم ظنوا أن إخوانهن لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم، ويقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين ﴿لِيَجْعَلَ﴾ متعلق بقالوا أي قالوا ذلك فكان حسرة في قلوبهم، فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذي أوجب لهم الحسرة لأن الذي يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ رد على قولهم واعتقادهم.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ الآية إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قتلوا وماتوا في سبيل الله خير لهم مما يجمعون من الدنيا.

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ الآية إخبار أن من مات أو قتل فإنه يحشر إلى الله.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٢٨/٧.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) • إِن يَنصُرْكُمُ
ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن
يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ
ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
(١٦٢) هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣)
لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (١٦٤)
أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا
قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ ما زائدة للتأكيد ﴿لَٱنفَضُّوا۟﴾ أي تفرقوا ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما يختص بحق الله ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ المشاورة مأمور بها شرعا، وإنما يشاور النبي ﷺ الناس في الرأي في الحروب وغيرها، لا في الأحكام الشرعية، وقرأ ابن عباس: وشاورهم في بعض الأمر[1] ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع، أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرات، ورفعها بعد وقوعها، وهو من أعلى المقامات لوجهين:

أحدهما: قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

والآخر: الضمان الذي في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ وقد يكون واجبا لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فجعله شرطا في الإيمان، ولظاهر قوله جل جلاله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فإن الأمر محمول على الوجوب.

واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب:

الأولى: أن يعتمد العبد على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له وقيامه بمصالحه.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ٣٥٧/١ بسند صحيح كما في صحيح الأدب المفرد للألباني: ١١٤/١، وانظر المحرر الوجيز: ٥٦٥/١..

والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه، فإنه لا يعرف سواها ولا يلجأ إلا إليها.

والثالثة: أن يكون العبد مع ربه كالميت بين يدي الغاسل، قد أسلم نفسه إليه بالكلية.

فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه، بخلاف صاحب الثانية، وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار بخلاف صاحب الثالثة.

وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذي تكلمنا عليه في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فهي تقوى بقوته وتضعف بضعفه.

فإن قيل: هل يشترط في التوكل ترك الأسباب أم لا؟ فالجواب: أن الأسباب على ثلاثة أقسام:

أحدها: سبب معلوم قطعا قد أجراه الله تعالى، فهذا لا يجوز تركه كالأكل لدفع الجوع واللباس لدفع البرد.

والثاني: سبب مظنون كالتجارة وطلب المعاش وشبه ذلك، فهذا لا يقدح فعله في التوكل؛ لأن التوكل من أعمال القلب لا من أعمال البدن، ويجوز تركه لمن قوي عليه.

والثالث: سبب موهوم بعيد فهذا يقدح فعله في التوكل، ثم إن فوق التوكل التفويض، وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية، فإن المتوكل له مراد واختيار وهو يطلب مراده باعتماده على ربه، وأما المفوض: فليس له مراد ولا اختيار بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى، فهو أكمل أدبا مع الله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ هو من الغلول وهو أخذ الشيء خفية من المغانم وغيرها وقرئ بفتح الياء[1] وضم الغين ومعناه تبرئة النبي ﷺ من الغلول،

(١) ﴿أَن يَغُلَّ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين. النشر: ٢/٢٧٦.

وسببها[١] أنه فقدت من المغانم قطيفة حمراء فقال بعض المنافقين: «لعل رسول الله ﷺ أخذها». وقرئ: بضم الياء وفتح الغين، أي ليس لأحد أن يغل نبيئا أي يخونه في المغانم، وخص النبي بالذكر وإن كان ذلك محظورا مع الأمراء لشنعة الحال مع النبي؛ لأن المعاصي تعظم بحضرته، وقيل: معنى هذه القراءة: أن يوجد غالا، كما تقول: أحمدت الرجل إذا أصبته[٢] محمودا، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة إلى معنى فتح الياء. ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ وعيد لمن غل بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيء الذي غل، وقد جاء ذلك مفسرا في الحديث قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير، لا ألفين أحدكم على رقبته فرس، لا ألفين أحدكم على رقبته رقاع، لا ألفين أحدكم على رقبته صامت، لا ألفين أحكم على رقبته إنسان، فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك»[٣].

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ﴾ الآية، فقيل إن الذي اتبع رضوان الله من لم يغلل والذي باء بالسخط من غل، وقيل: الذي اتبع الرضوان من استشهد بأحد والذي باء بالسخط المنافقون الذين رجعوا عن الغزو.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ ذووا درجات والمعنى تفاوت ما بين منازل أهل الرضوان وأهل السخط، أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان فإن بعضهم فوق بعض فكذلك درجات أهل السخط.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ الآية إخبار بفضل الله على المؤمنين ببعث رسول الله ﷺ ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ معناه في الجنس واللسان فكونه من جنسهم يوجب

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان: ٧/٣٤٨، وأبو داود الحديث رقم: (٣٩٧٣)، والترمذي في سننه الحديث قم: (٣٠٠٩)، وصححه الألباني.

(٢) أي وجدته.

(٣) البخاري الحديث رقم: (٣٠٧٣)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٤١٢)، وأحمد في المسند: ٢/٤٢٦.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ
يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي
قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ
وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ
الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ
بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا
بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ حزب
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا
أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

الأنس به، وقلة الاستيحاش منه، وكونه بلسانهم يوجب حسن الفهم عنه، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته ﷺ، ويكون هو ﷺ أشفق عليهم وأرحم بهم من الأجنبيين.

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم﴾ الآية عتاب للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد، ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف، والجملة معطوفة على ما تقدم من قصة أحد، أو على محذوف ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ قتل يوم أحد من المسلمين سبعون، وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون، وأسر سبعون ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ قيل: معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله ﷺ، حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج إلى المشركين، فأبوا إلا الخروج، وقيل: بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبما تقدم.

﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أي جمع المسلمين والمشركين يوم أحد.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ الآية كان رأي عبد الله بن أبي بن سلول أن لا يخرج المسلمون إلى المشركين فلما طلب الخروج قوم من المسلمين فخرج رسول الله ﷺ غضب عبد الله وقال: أطاعهم وعصانا فرجع ورجع معه ثلاثمائة رجل، فمشى في أثرهم عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري، وقال لهم: ارجعوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، فقال له عبد الله بن أبي: ما أرى أن يكون قتال، ولو علمنا

أنه يكون قتال لكنا معكم ﴿أَوِ ادْفَعُواْ﴾ أي كثروا السواد وإن لم تقاتلوا[١].

﴿الَّذِينَ قَالُواْ﴾ بدل من الذين نافقوا، و﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في النسب لأنهم كانوا من الأوس والخزرج ﴿قُلْ فَادْرَءُواْ﴾ أي ادفعوا، والمعنى: رد عليهم.

﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء من التمتع بأرزاق الجنة، بخلاف سائر الأموات من المؤمنين فإنهم لا يتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم﴾ المعنى أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا في الدنيا من بعدهم لأنهم يرجون أن يستشهدوا مثلهم فينالوا مثل ما نالوا من الشهادة ﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ في موضع المفعول أو بدل من الذين.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كرر ليذكر ما تعلق به من النعمة والفضل.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ﴾ صفة للمؤمنين أو مبتدأ وخبره للذين أحسنوا الآية، ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في اتباع المشركين بعد غزوة أحد، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثة أيام، وكانوا قد أصابتهم جراحات وشدائد فتجلدوا وخرجوا فمدحهم الله بذلك[٢].

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ الآية لما خرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد بعد أحد بلغ ذلك أبا سفيان فمر عليه ركب من عبد القيس يريدون المدينة بالميرة، فجعل لهم حمل بعير من زبيب على أن يثبطوا المسلمين عن اتباع

---

(١) هذا قول ابن عباس، وطائفة من أهل العلم، وقال الحسن بن صالح: ادفعوا بالدعاء، وقال غيره رابطوا. الطبري في جامع البيان من طريق ابن إسحاق: ٣٧٨/٧، وابن كثير: ١٦٠/٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٢٧٤/١١، وابن كثير: ١٩٣/٢ عن ابن عباس بسند صحيح.

المشركين، فخوفوهم بهم فقالوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل» فخرجوا[1]، فالناس الأول ركب عبد القيس، والناس الثاني مشركو قريش، وقيل: نادى أبو سفيان يوم أحد: موعدنا ببدر في العام القابل، فقال رسول الله ﷺ: إن شاء الله، فلما كان العام القابل، خرج رسول الله ﷺ إلى بدر للميعاد، فأرسل أبو سفيان نعيم ابن مسعود[2] الأشجعي ليثبط المسلمين[3]، فعلى هذا الناس الأول نعيم، وإنما قيل له: الناس وهو واحد لأنه من جنس الناس، كقولك: ركبت الخيل إذا ركبت فرسا.

﴿فَزَادَهُمْ﴾ الفاعل ضمير المفعول وهو: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص، فمعناه هنا قوة يقينهم وثقتهم بالله ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ كلمة يدفع بها ما يخاف ويكره، وهي التي قالها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين ألقي في النار، ومعنى حسبنا الله: كافينا وحده فلا نخاف غيره، ومعنى ونعم الوكيل ثناء على الله وأنه خير من يتوكل العبد عليه ويلجأ إليه.

﴿فَانقَلَبُواْ﴾ أي رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر ﴿وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ ٱللَّهِ﴾ بخروجهم مع رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٠٦/٧، والبيهقي في دلائل النبوة: ٣١٥/٣ بسند غير متصل.

(٢) هذا قبل أن يسلم، ونعيم هو: نعيم بن مسعود بن عامر الاشجعي: صحابي من ذوي العقل الراجح، قدم على رسول الله ﷺ سرا أيام الخندق واجتماع الأحزاب، فأسلم، وكتم إسلامه، وعاد إلى الأحزاب المجتمعة لقتال المسلمين، فألقى الفتنة بين قبائل قريظة، وغطفان، وقريش، في حديث طويل، فتفرقوا، فكان نعيم، بعد ذلك، يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله ﷺ على سره. سكن المدينة. وكان رسول النبي ﷺ إلى «ابن ذي اللحية» كما في الاستيعاب. ومات في خلافة عثمان. وقيل: قتل يوم «الجمل» قبل قدوم علي إلى البصرة الاستيعاب: ١٩٤/١، والأعلام: ٤١/٨.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤١١/٧ بإسناد ضعيف...

فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَاتَّبَعُوا
رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَٰنُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾
وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ
شَيْـًٔا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا
اللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا
ثمن وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ۞ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا
أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ
فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا
لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ
وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

﴿ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَٰنُ﴾ المراد به هنا أبو سفيان، أو نعيم الذي أرسله أبو سفيان أو إبليس، وذلكم مبتدأ والشيطان خبره وما بعده مستأنف، أو الشيطان نعت وما بعده خبر ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي يخوفكم أيها المؤمنون أولياءه وهم الكفار، فالمفعول الأول محذوف ويدل عليه قوله ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود وابن عباس[1] يخوفكم أولياءه، وقيل: المعنى يخوف المنافقين وهم أولياؤه من كفار قريش، فالمفعول الثاني على هذا محذوف.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ تسلية للنبي ﷺ، وقرئ بفتح الياء وضم الزاي حيث وقع مضارعا من حزن الثلاثي، وهو أشهر في اللغة من أحزن[2] ﴿الَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ

(١) ابن عطية: نسب القراءة لابن عباس، قال: وقرأ ابن عباس فيما حكى أبو عمرو الداني «يخوفكم أولياءه» المعنى يخوفكم قريشا ومن معهم، وذلك بإضلال الشيطان لهم وذلك كله مضمحل، وبذلك قرأ النخعي وحكى أبو الفتح بن جني عن ابن عباس أنه قرأ «يخوفكم أولياءه» فهذه قراءة ظهر فيها المفعولان، وفسرت قراءة الجماعة ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ قراءة أبي بن كعب يخوفكم بأوليائه. المحرر الوجيز: ١/٥٧٩، وأما الزمخشري فنسب القراءة لهما (ابن مسعود وابن عباس). الكشاف: ١/٤٧١.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في: ﴿يَحْزُنكَ﴾ و﴿يَحْزُنُهُمُ﴾، و﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ﴾، و﴿لَيَحْزُنُنِيٓ﴾ حيث وقع، فقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من كله إلا حرف الأنبياء: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ﴾ فقرأ أبو جعفر فيه وحده بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاي في الجميع وكذلك أبو جعفر في غير الأنبياء ونافع في الأنبياء. النشر: ٢/٢٧٩.

﴿فِي ٱلْكُفْرِ﴾ أي يبادرون إلى أقواله وأفعاله وهم المنافقون والكفار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟﴾ الآية هم المذكورون قبل، أو على العموم في جميع الكفار.

﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي نمهلهم، وأن مفعول يحسبن، وما اسم أن فحقها أن تكتب منفصلة وخير الخبر ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ ما هنا كافة، والمعنى رد عليهم أي أن الإملاء لهم ليس خيرا لهم إنما هو استدراج ليكتسبوا الآثام.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية خطاب للمؤمنين، والمعنى: ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين، ولكنه ميز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر في غزوة أحد، من الأقوال والأفعال التي تدل على الإيمان أو على النفاق ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي ما كان الله ليطلعكم على ما في القلوب من الإيمان والنفاق، أو ما كان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أو تغلبون ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي﴾ أي يختار من رسله من يشاء فيطلعهم على ما شاء من غيبه.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ يمنعون الزكاة وغيرها ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ هو فصل وخيرا مفعول ثان، والأول محذوف، تقديره: لا يحسبن البخل خيرا لهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ أي يلزمون إثم ما بخلوا به، وقيل: يجعل ما بخلوا به حية يطوقها في عنقه يوم القيامة.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ الآية لما نزلت[1] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ قال بعض اليهود وهو فنحاص أو حيي بن أخطب أو غيرهما: إنما يستقرض الفقير من الغني فالله فقير ونحن أغنياء فنزلت هذه الآية، وكان ذلك القول منهم اعتراضا على القرآن أوجبه قلة فهمهم أو تحريفهم للمعاني، فإن كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر، وإن قالوه بغير اعتقاد فهو استخفاف وعناد ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ أي تكتبه الملائكة في

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار: ٥/٨٧، والطبري في جامع البيان: ٧/٤٤١، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٣/٨٢٨ بإسناد ضعيف.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ
وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ
عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
ربع إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

الصحف ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ أي قتل آبائهم للأنبياء، وأسند إليهم لأنهم راضون به ومتبعون لمن فعله من آبائهم.

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ صفة للذين وليس صفة للعبيد ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة أو غيرها جعلوه في مكان فتنزل نار من السماء فتحرقه، وإن لم تنزل فليس بمقبول، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ﴾ الآية رد عليهم بأن الرسل قد جاءتهم بمعجزات توجب الإيمان بهم وجاؤوهم أيضا بالقربان الذي تأكله النار، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم فذلك يدل على أن كفرهم عناد فإنهم كذبوا في قولهم إن الله عهد إلينا.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ بالتأسي بغيره.

﴿فَمَنْ زُحْزِحَ﴾ أي نحي وأبعد.

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ الآية خطاب للمسلمين والبلاء في الأنفس بالموت والأمراض وفي الأموال بالمصائب والإنفاق ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ الآية سببها[1] قول اليهود إن الله فقير، وسبهم للنبي ﷺ وللمسلمين.

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ قال ابن عباس: هي لليهود أخذ عليهم

---

(١) أخرجه أبو داود الحديث رقم: (٣٠٠٠)، والواحدي في أسباب النزول، ص: ١١٤ بسند صححه الألباني في صحيح أبي داود: ٢/٥٨٢.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ
بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

العهد في أمر محمد ﷺ فكتموه، وهي عامة في كل من علمه الله علما

﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ الآية قال ابن عباس[١]: نزلت في أهل الكتاب سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا إليه بذلك وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه، وقال أبو سعيد الخدري[٢]: نزلت في المنافقين كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، وإذا قدم النبي ﷺ اعتذروا إليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا[٣] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ بالتاء وفتح الباء خطاب

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٦٨)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٧٨)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠١٤)، وأحمد في مسنده: ١/٢٩٨، والطبري في جامع البيان (٨٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٦٧)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٧٧)، والطبري في جامع البيان: ٧/٤٦٥، والواحدي في أسبابه، ص: ١١٦، وانظر فتح الباري: ٨/٨٢ قال العلماء ويمكن أن تكون الآية نزلت في الفريقين.

(٣) قال ابن عطية: وقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ..﴾ الآية توبيخ لمعاصري النبي ﷺ، ثم هو مع ذلك خبر عام لهم ولغيرهم، والعامل في «إذ» فعل مقدر تقديره: اذكر وأخذ هذا الميثاق وهو على ألسنة الأنبياء أمة بعد أمة، وقال ابن عباس والسدي وابن جريج الآية في اليهود خاصة أخذ الله عليهم الميثاق في أمر محمد فكتموه ونبذوه قال مسلم البطين: سأل الحجاج بن يوسف جلساءه عن تفسير هذه الآية فقام رجل إلى سعيد بن جبير=

للنبي ﷺ وبالياء وضم الباء أسند الفعل للذين يفرحون[1] أي لا يحسبون أنفسهم بمفازة من العذاب، ومن قرأ: لا تحسبن بالتاء فهو خطاب للنبي ﷺ، والذين يفرحون مفعول به وبمفازة المفعول الثاني وكرر فلا تحسبنهم للتأكيد، ومن قرأ لا يحسبن بالياء من أسفل فإنه حذف المفعولين لدلالة مفعولي لا تحسبنهم عليهما.

﴿وَاخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذكر في البقرة.

﴿قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي يذكرون الله على كل حال فكأن هذه الهيآت حصر لحال بني آدم، وقيل: إن ذلك في الصلاة يصلون قياما فإن لم يستطيعوا صلوا قعودا فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم. ﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولون: ربنا ما خلقت هذا لغير فائدة، بل خلقته وخلقت البشر لينظروا فيه، فيعرفوك فيعبدوك.

﴿سَمِعْنَا مُنَادِياً﴾ هو النبي ﷺ.

﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي على ألسنة رسلك.

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ من لبيان الجنس، وقيل: زائدة لتقدم النفي ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ النساء والرجال سواء في الأجور والخيرات ﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ﴾ هم المهاجرون آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا منها ﴿ثَوَاباً﴾ منصوبا على المصدرية.

= فسأله فقال له نزلت في يهود أخذ الميثاق عليهم في أمر محمد فكتموه وروي عن ابن عباس أنه قرأ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لتبيننه فيجيء قوله «فنبذوه» عائدا على الناس الذين بين الأنبياء لهم وقال قوم من المفسرين الآية في اليهود والنصارى وقال جمهور من العلماء الآية عامة في كل من علمه الله علما وعلماء. المحرر الوجيز: ١/٥٨٧.

(١) ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمروا بالغيب وضم الباء، وقرأ الباقون بالخطاب وفتح الباء. ابن الجزري: ٢/٢٨١.

ثمن

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا
مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ أي لا تظنوا أن حال الكفار في الدنيا دائمة فتهتموا لذلك وأنزل لا يغرنك منزلة لا يحزنك.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ أي تقلبهم في الدنيا قليل بالنظر إلى ما فاتهم في الآخرة.

﴿نُزُلًا﴾ منصوب على الحال من جنات أو على المصدرية ﴿لِلْأَبْرَارِ﴾ جمع بار وبر ومعناه العاملون بالبر وهي غاية التقوى والعمل الصالح قال بعضهم الأبرار هم الذين لا يؤذون أحدا.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية قيل: نزلت[1] في النجاشي ملك الحبشة، فإنه كان نصرانيا فأسلم، وقيل[2]: في عبد الله بن سلام وغيره ممن أسلم من اليهود ﴿لَا يَشْتَرُونَ﴾ مدح لهم، وفيه تعريض لذم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا.

﴿وَصَابِرُوا﴾ أي صابروا عدوكم في القتال ﴿وَرَابِطُوا﴾ أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد، وقيل: هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله أي معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية، والأول أظهر وأشهر، قال ﷺ:

(١) روي ذلك عن أنس وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن الزبير أخرجه البزار في مسنده الحديث رقم (٨٣٢) والنسائي في تفسيره الحديث رقم: (١٠٨)، والواحدي في أسبابه، ص: ١١٩، وابن كثير في تفسيره: ٢/٢٢٦ بطرق صحيحة.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٧/٤٩٨ بأسانيد غير صحيحة.

«رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه»[١]، وأما قوله: في انتظار الصلاة «فذلكم الرباط»[٢] فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله، لعظم أجره. والمرابط عند الفقهاء: هو الذي يسكن الثغور ليرابط فيها وهي غير موطنه، فأما سكانها دائما بأهليهم لمعايشهم فليسوا مرابطين، ولكنهم حماة حكاه ابن عطية[٣].

*** *** ***

(١) رواه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٩١٢)، وبلفظ قريب منه أخرجه الترمذي الحديث رقم: (١٦٢١)، وأبو داود الحديث رقم: (٢٥٠٠)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٧٦٧)، والنسائي في سننه: ٦/٣٩، وأحمد: ٥/٤٤٠، وهو من حديث سلمان رضي الله عنه، وتمامه:.. ومن مات فيه وقي من فتنة القبر، ونمي له عمله إلى يوم القيامة...

(٢) حديث صحيح، روي بألفاظ متقاربة، رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب إسباغ الوضوء على المكاره، قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟، قالوا بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط»، وفي رواية مرتين. الحديث رقم: (٣٦٩)، والموطأ رقم: (٣٤٨)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٥١)، والنسائي الحديث رقم: (١٤٣)..

(٣) لفظه: والمرابط في سبيل الله عند الفقهاء، هو الذي يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما قاله ابن المواز ورواه، فأما سكان الثغور دائما بأهليهم الذين يعتمرون ويكتسبون هنالك، فهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين. المحرر الوجيز: ١/٥٩٨..

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا
زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ
بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ
وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ
كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ
مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ
فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ وَءَاتُواْ
ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ
هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ
قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٥ ۞ وَٱبۡتَلُواْ ربع
ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ
إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ
غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا
دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦

سورة النساء

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى في أول البقرة ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ هو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿زَوۡجَهَا﴾ هي حواء خلقت من ضلع آدم ﴿وَبَثَّ﴾ نشر ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ أي يقول بعضكم لبعض أسألك بالله أن تفعل كذا ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ بالنصب[1] عطف على اسم الله، أي اتقوا الأرحام فلا تقطعوها، أو على موضع الجار والمجرور وهو به لأن موضعه نصب وقرئ بالخفض، عطف على الضمير في به وهو ضعيف عند البصريين[2]؛ لأن

(١) ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ قرأ حمزة بخفض الميم وقرأ الباقون بنصبها. النشر: ٢/٢٨٢.

(٢) أنكر هذه القراءة وحرم القراءة بها: المبرد، حيث قال: لو صليت خلف إمام يقرأ بالكسر لحملت نعلي ومضيت. الكامل: ٢/٧٤٩، وضعفها الزمخشري بقوله: والجر على عطف الظاهر على المضمر ليس بسديد. الكشاف: ١/٤٩٣، وقال الزجاج: فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية. معاني القرآن وإعرابه: ٢/٦، وأنكرها ابن عطية كذلك، والواقع أن هذه القراءة ثابتة متواترة فلا سبيل إلى ردها وتضعيفها. فقد رد العلماء على من ضعفها. قال ابن مالك في ألفيته مخالفا رأي البصريين، ومؤيدا قراءة حمزة:

وَعَـودُ خَـافِضٍ لَـدَى عَطْـفٍ عَلَـى ... ضَـمِيرِ خَفْـضٍ لَازِمـاً قَـدْ جُعِـلا
وَلَـيْسَ عِنْـدِي لَازِمـاً إِذْ قَـدْ أَتَـى ... فِـي الـنَّظْمِ وَالنَّـثْرِ الصَّـحِيحِ مُثْبَتَـا

وأما أبو حيان فلا يكتفي بالرد على من ضعف هذه القراءة بل يرد عليهم عامة وعلى ابن عطية خاصة فيقول: فما ذهب إليه البصريون وتبعهم فيه الزمخشري وابن عطية من امتناع العطف على الضمير المجهول إلا بإعادة الجار غير صحيح. بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك وأنه=

الضمير المخفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة، وهو مقام شريف، أصله علم وحال، ثم يثمر حالين، أما العلم: فهو معرفة العبد بأن الله مطلع عليه ناظر إليه، يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر على باله، وأما الحال: فهي ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال، فإذا حصل العلم والحال كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين: الحياء من الله وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجد في الطاعات، وكانت ثمرتها عند المقربين: الشهادة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال، وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله ﷺ بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١) فقوله: أن تعبد الله كأنك تراه، إشارة إلى الثمرة الثانية وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم، كمن يشاهد ملكا عظيما فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة، وقوله: فإن لم تكن تراه فإنه يراك، إشارة إلى الثمرة الأولى، ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقربين فاعلم أنه يراك، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما

= يجوز، وأضاف: وأما قول ابن عطية: ويرد عندي هذه القراءة... إلى آخر كلامة فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه إذ عمد إلى قراءة متواتر عن رسول الله ﷺ قرأ بها السلف، واتصلت بأكابر الصحابة. عمد إلى ردها بشيء خطر له في ذهنه، هذه الجسارة لا تليق إلا بالمعتزلة كالزمخشري، فإنه كثيرا ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم. البحر المحيط: ١٤٦/٢، وقد شنع ابن حزم على النحاة اللذين يردون بعض القراءات لمخالفتها القياس بزعمهم ثم هم يثبتون اللغة بما هو دون القراءة. فقال: ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس أو لزهير أو لجرير أو الحطيئة أو الطرماح أو لأعرابي أسدي أو أسلمي أو تميمي ومن سائر أبناء العرب بوال على عقبيه لفظا في شعر أو نثر جعلها في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاما لم يلتفت إليه ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه، ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه، وإذا وجد لرسول الله ﷺ كلاما فعل به مثل ذلك. الفصل في الملل والنحل: ١٩٢/٣.

(١) تقدم تخريجه، وهو حديث معروف.

فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى رأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر.

واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى تتقدم قبلها المشارطة والمرابطة، وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة.

فأما المشارطة: فهي اشتراط العبد على نفسه التزام الطاعة وترك المعاصي، وأما المرابطة: فهي معاهدة العبد لربه على ذلك ثم بعد المشارطة والمرابطة أول الأمر تكون: المراقبة إلى آخره، وبعد ذلك: يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عهد عليه الله حمد الله، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة ونقض عهد المرابطة عاقب النفس عقابا بزجرها عن العودة إلى مثل ذلك، ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على المراقبة، ثم اختبر بالمحاسبة فهكذا يكون حتى يلقى الله تعالى.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ خطاب للأوصياء، وقيل: للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير أمروا أن يورثوهم، وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء فالمراد أن يعطوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم، فيكون اليتيم على هذا حقيقة، وقيل: المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا فيكون اليتيم على هذا مجازا؛ لأن اليتيم قد كبر. ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف فنهوا عن ذلك، وقيل: المعنى لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث وتدعوا مالكم وهو الطيب ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ المعنى نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم، وقيل: نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى، ثم أباح ذلك بقوله: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ وإنما تعدى الفعل بإلى لأنه تضمن معنى الجمع والضم، وقيل: بمعنى مع ﴿حُوبًا﴾ أي ذنبا.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ﴾ الآية قالت عائشة: نزلت[١] في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال أوليائهم فيريدون أن يتزوجوهن ويبخسوهن في الصداق مكان ولايتهم عليهم، فقيل لهم: أقسطوا في مهورهن فمن خاف أن لا يقسط فليتزوج بما طاب له من الأجنبيات اللاتي يوفهين حقوقهن، وقال ابن عباس: إن العرب كانت تتحرج في أموال اليتامى ولا تتحرج في العدل بين النساء، فنزلت الآية في ذلك[٢] أي كما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى، فكذلك خافوا النساء، وقيل: إن الرجل منهم كان يتزوج العشرة أو أكثر، فإذا ضاق ماله أخذ من مال اليتيم، فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فاقتصروا في النساء على ما طاب أي ما حل، وإنما قال ما ولم يقل من لأنه أراد الجنس، وقال الزمخشري[٣]: لأن الإناث من العقلاء يجري مجرى غير العقلاء ومنه قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾. ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾ لا ينصرف للعدل والوصف وهي حال من ما طاب وقال ابن عطية[٤]: بدل وهي عدوله عن أعداد مكررة، ومعنى التكرار فيها: أن الخطاب لجماعة، فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد، فتكررت الأعداد بتكرار الناس، والمعنى: أنكحوا اثنتين، أو ثلاثا، أو أربعا، وفي ذلك منع لما كان في الجاهلية من تزوج ما زاد على الأربع، وقال قوم: لا يعبأ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع؛ لأن مثنى وثلاث ورباع يتجمع منه تسعة، وهذا خطأ لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع، ولو أراد الجمع لقال: تسع ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقل بيانا، وأيضا قد انعقد الإجماع على

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٤٩٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٠١٨)، وعبد الرزاق في تفسيره: ١/١٤٥، والنسائي في تفسيره الحديث رقم: (٨٤٥٦).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٣/٨٥٧ بسند صحيح.

(٣) الكشاف: ١/٤٩٨.

(٤) المحرر الوجيز: ٢/٨، ولفظه: ﴿وَرُبَـٰعَ﴾ موضعها من الإعراب نصب على البدل من ﴿مَا طَابَ﴾ وهي نكرات لا تنصرف لأنها معدولة وصفة كذا قاله أبو علي...

تحريم ما زاد على الرابعة ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي إن خفتم أن لا تعدلوا بين الاثنين أو الثلاث أو الأربع فاقتصروا على واحدة أو على ما ملكت أيمانكم من قليل أو كثير رغبة في العدل، وانتصاب واحدة بفعل مضمر تقديره: فانكحوا واحدة ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة، والمعنى أن ذلك أقرب إلى أن لا تعولوا، ومعنى تعولوا تميلوا، وقيل: يكثر عيالكم.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ﴾ خطاب للأزواج، وقيل: للأولياء؛ لأن بعضهم كان يأكل صداق وليته، وقيل: هو نهي عن الشغار ﴿نِحْلَةً﴾ أي عطية منكم لهن أو عطية من الله، وقيل: معنى نحلة أي شرعة وديانة، وانتصابه على المصدر من معنى آتوهن أو على الحال من ضمير المخاطبين ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ﴾ الآية إباحة للأزواج والأولياء على ما تقدم من الخلاف أن يأخذوا ما دفعه النساء من صدقاتهن عن طيب أنفسهن، والضمير في منه يعود على الصداق أو على الإيتاء ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ عبارة عن التحليل ومبالغة في الإباحة، وهما صفتان من قولك: هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه، وهما وصف للمصدر أي أكلا هنيئا، أو حال من ضمير الفاعل، وقيل: يوقف على فكلوه، ويبدأ هنيئا مريئا على الدعاء.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ قيل: هم أولاد الرجل وامرأته أي لا تؤتوهم أموالكم للتبذير، وقيل: السفهاء المحجورون و﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ أموال المحجورين وأضافها إلى المخاطبين لأنهم ناظرون عليها وتحت أيديهم ﴿قِيَـٰمًا﴾ جمع قيمة، وقيل: بمعنى قياما بألف أي تقوم بها معايشكم ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ قيل: إنها فيمن تلزم الرجل نفقته من زوجته وأولاده، وقيل: في المحجورين يرزقون ويكسون من أموالهم ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي ادعوا لهم بخير، أو عدوهم وعدا جميلا، أي إن شئتم دفعنا لكم أموالكم.

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ أي اختبروا رشدهم ﴿بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ بلغوا مبلغ

الرجال ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً﴾ الرشد هو المعرفة بمصالحه وتدبير ماله وإن لم يكن من أهل الدين، واشترط قوم الدين، واعتبر مالك البلوغ والرشد، وحينئذ يدفع المال، واعتبر أبو حنيفة البلوغ وحده ما لم يظهر سفه، وقوله مخالف للقرآن ﴿وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ﴾ ومعناه مبادرة لكبرهم أي أن الوصي يستغنم أكل مال اليتيم قبل أن يكبر، وموضع أن يكبروا نصب على المفعولية ببدارا، أو على المفعول من أجله تقديره: مخافة أن يكبروا ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أمر الوصي الغني أن يستعفف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئا ﴿وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال عمر بن الخطاب[١]: المعنى أن يستسلف الوصي الفقير من مال اليتيم فإذا أيسر رده، وقيل: المراد أن يكون له أجرة بقدر عمله وخدمته، ومعنى بالمعروف من غير إسراف، وقيل: نسختها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً﴾. ﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ أمر بالتحرز والحزم، فهو ندب، وقيل: فرض.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الآية سببها:[٢] أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء فنزلت الآية ليرث الرجال والنساء. ﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ منصوب انتصاب المصدر المؤكد لقوله فريضة من الله، وقال الزمخشري[٣]: منصوب على التخصيص أعني بمعنى نصيبا.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ الآية خطاب للوارثين، أمروا أن يتصدقوا من الميراث

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥٨٢/٧، وابن سعد في الطبقات الكبرى: ٢٠٩/٣ بإسناد صحيح وهو بلفظ: «إنما أنزلت مال الله تعالى مني، منزلة مال اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٨٧٢/٣ بسند ضعيف.

(٣) قال الزمخشري: ﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ نصب على الاختصاص، بمعنى أعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من أن يحوزوه، ولا يستأثر به، ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ كأنه قيل: قسمة مفروضة. الكشاف: ٥٠٧/١.

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
(٨) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا
خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩)
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) ● يُوصِيكُمُ اللَّهُ
فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً
فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا
النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ
فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي
بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)

على قرابتهم، وعلى اليتامى، وعلى المساكين، فقيل: إن ذلك على الوجوب، وقيل: على الندب وهو الصحيح، وقيل: نسخ بآية المواريث.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ﴾ الآية معناها الأمر لأولياء اليتامى أن يحسنوا إليهم في نظير أموالهم، فيخافوا الله على أيتامهم كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا، ويقدروا ذلك في أنفسهم حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة، وقيل: الذين يجلسون إلى المريض فيأمروه أن يتصدق بماله حتى يجحف بورثته، فأمروا أن يخشوا على الورثة كما يخشوا على أولادهم، وحذف مفعول وليخش، وخافوا جواب لو ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ على القول الأول ملاطفة الوصي لليتيم بالكلام الحسن، وعلى القول الثاني أن يقول للموروث لا تسرف في وصيتك وأرفق بورثتك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ قيل: نزلت في الذين لا يورثون الإناث، وقيل: في الأوصياء ولفظها عام في كل من أكل مال اليتيم بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أي أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار، وقيل: يأكلون النار في جهنم.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ هذه الآية نزلت بسبب[1] بنات سعد بن الربيع،

(١) أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٨٩١)، والترمذي في سننه (٢٠٩٢)، وابن ماجه=

وقيل: بسبب جابر بن عبد الله[1] إذ عاده رسول الله ﷺ في مرضه، ورفعت ما كان في الجاهلية من ترك توريث النساء والأطفال، وقيل: نسخت الوصية للوالدين والأقربين، وإنما قال ﴿يُوصِيكُمُ﴾ بلفظ الفعل الدائم ولم يقل: أوصاكم تنبيها على ما مضى والشروع في حكم آخر، وإنما قال: يوصيكم الله بالاسم الظاهر، ولم يقل يوصيكم؛ لأنه أراد تعظيم الوصية، فجاء بالاسم الذي هو أعظم الأسماء، وإنما قال: في أولادكم ولم يقل في أبنائكم لأن الابن يقع على الابن من الرضاعة، وعلى ابن البنت وعلى الابن المتبنى، وليسوا من الورثة ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ هذا بيان للوصية المذكورة، فإن قيل: هلا قال للأنثيين مثل حظ الذكر، أو للأنثى نصف حظ الذكر؟ فالجواب: أنه بدأ بالذكر لفضله، ولأن القصد ذكر حظه، ولو قال للأنثيين مثل حظ الذكر لكان فيه تفضيل للإناث ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً﴾ إنما أنث ضمير الجماعة في كن؛ لأنه قصد الإناث، وأصله أن يعود على الأولاد لأنه يشمل الذكور والإناث، وقيل: يعود على المتروكات، وأجاز الزمخشري[2] أن تكون كان تامة والضمير مبهم، ونساء تفسير ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ ظاهره أكثر من اثنتين، ولذلك أجمع على أن للثلاث فما فوقهن الثلثان، وأما البنتان فاختلف فيهما، فقال ابن عباس[3]: لهما النصف كالبنت الواحدة، وقال الجمهور: الثلثان، وتأولوا فوق اثنتين أن المراد اثنتان فما فوقهما، وقال قوم: إن فوق زائدة

= في سننه (٢٧٢٠)، وأحمد: ٣٥٢/٣، والحاكم في المستدرك: ٣٤٢/٤ قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني في الإرواء: ١٢٢/٦.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٧٧)، ومسلم في صحيحه: ٢٣٥/٣، والنسائي في تفسيره: ٣٦٢/١، والطبري في جامع البيان: ٣٣/٨.

(٢) لفظه: فإن قلت: هل يصح أن يكون الضميران في ﴿كُنَّ﴾ و﴿كَانَتْ﴾ مبهمين ويكون ﴿نِسَاءً﴾ و﴿وَاحِدَةً﴾ تفسيرا لهما على أن كان تامة؟ قلت: لا أبعد ذلك. الكشاف: ٥١٢/١.

(٣) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٩/٢ بدون ذكر سند وكذا ذكره القرطبي في تفسيره: ٦٨/٥، وأورده الزمخشري في الكشاف: ٥١٢/١.

كقوله: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ وهذا ضعيف، وقال قوم: إنما وجب لهما الثلثان بالسنة[1] لا بالقرآن، وقيل: بالقياس على الأختين ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةٌ﴾ بالرفع[2] فاعل وكان تامة وبالنصب خبر كان وقوله تعالى: ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾ نص على أن للبنت النصف إذا انفردت، ودليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد؛ لأن للذكر مثل حظ الأنثيين ﴿إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ الولد: يقع على الذكر والأنثى، والواحد والاثنين والجماعة، سواء كان للصلب أو ولد ابن، وكلهم يرد الأبوين إلى السدس ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ لم يجعل الله للأم الثلث إلا بشرطين:

أحدهما: عدم الولد.

والآخر: إحاطة الأبوين بالميراث، ولذلك دخلت الواو لعطف أحد الشرطين على الآخر، وسكت عن حظ الأب استغناء بمفهومه؛ لأنه لا يبقى بعد الثلث إلا الثلثان، ولا وارث إلا الأبوان، فاقتضى ذلك أن الأب يأخذ بقية المال وهو الثلثان ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ أجمع العلماء على أن ثلاثة من الإخوة يردون الأم إلى السدس، واختلفوا في الاثنين فذهب الجمهور أنهما يردانها إلى السدس، ومذهب ابن عباس[3] أنهما لا يردانها إليه بل هما كالأخ الواحد، وحجته أن لفظ الإخوة لا يقع على الاثنين؛ لأنه جمع لا تثنية، وأقل الجمع ثلاثة، وقال غيره: إن لفظ الجمع قد يقع على الاثنين كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾. ﴿تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ واحتجوا بقوله ﷺ: «الاثنان فما فوقهما

---

(١) في البخاري: باب ميراث الولد من أبيه وأمه. وقال زيد بن ثابت: إذا ترك رجل أو امرأة بنتا فلها النصف، وإن كانتا اثنتين أو أكثر فلهن الثلثان، وإن كان معهن ذكر بدئ بمن شركهم، فيؤتى فريضته فما بقي فللذكر مثل حظ الأنثيين. البخاري الحديث رقم: (٦٣٥١)..

(٢) الرفع قراءة نافع، قال ابن الجزري: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةٌ﴾ قرأ المدنيان بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. النشر: ٢/٢٨٣، والتيسير، ص: ٧٢.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٤/٣٣٥، والبيهقي في السنن الكبرى: ٦/٢٢٧، والطبري في جامع البيان: ٨/٤٠ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

جماعة»[1] وقال مالك: مضت السنة أن الإخوة اثنان فصاعدا، ومذهبه أن أقل الجمع اثنان، فعلى هذا يحجب الأخوان فصاعدا الأم من الثلث إلى السدس، سواء كانا شقيقين أو لأب أو لأم أو مختلفين، وسواء كانا ذكرين أو أنثيين أو ذكرا وأنثى، فإن كان معهما أب ورث بقية المال ولم يكن للإخوة شيء عند الجمهور، فهم يحجبون الأم ولا يرثون، وقال قوم: يأخذون السدس الذي حجبوه عن الأم، وإن لم يكن أب ورثوا. ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ قوله من بعد يتعلق بالاستقرار المضمر في قوله: فلهن ثلثا ما ترك، أي استقر لهن الثلثان من بعد وصية، ويمتنع أن يتعلق بترك، وفاعل يوصي الميت وإنما قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة، اهتماما بها وتأكيدا للأمر بها، ولئلا يتهاون بها، وأخر الدين لأن صاحبه يتقاضاه فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه، وتخرج الوصية من الثلث والدين من رأس المال بعد الكفن وإنما ذكر الوصية والدين نكرتين ليدل على أنهما قد يكونان وقد لا يكونان فدل ذلك على سقوط وجوب الوصية ﴿أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ قيل: بالإنفاق إذا احتيج إليه، وقيل: بالشفاعة في الآخرة، ويحتمل أن يريد نفعا بالميراث من ماله، وهو أليق بسياق الكلام.

﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ الآية خطاب للرجال، وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تنفرد به إن كانت واحدة، ويقسم بينهن إن كن أكثر من واحدة، ولا ينقص عن ميراث الزوج والزوجة وسائر السهام إلا ما نقصه العول على مذهب جمهور العلماء، خلافا لابن عباس[2]: فإنه لا يقول بالعول، فإن قيل: لم كرر قوله من بعد وصية مع ميراث الزوج وميراث الزوجة، ولم يذكره قبل ذلك إلا مرة واحدة في ميراث الأولاد

(١) أخرجه الدارقطني في سننه: ١/٢٨١، وأحمد في المسند: ٥/٢٥٤، وابن سعد في الطبقات: ٧/٢٩١ بأسانيد ضعيفة...

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٤/٣٤٠، والبيهقي في السنن الكبرى: ٦/٢٦٣ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي الثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

ربع

والأبوين؟ فالجواب: أن الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة والموروث في ميراث الزوجة هو الزوج، وكل واحدة قضية على انفرادها، فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة، بخلاف الأولى فإن الموروث فيها واحد ذكر حكم ما يرث منه أولاده وأبواه وهي قضيه واحدة، فلذلك قال فيها من بعد وصية مرة واحدة.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ الكلالة هي انقطاع عمود النسب، وهو خلو الميت عن ولد ووالد، ويحتمل أن تطلق هنا على الميت الموروث، أو على الورثة، أو على القرابة، أو على المال، فإن كانت للميت فإعرابها: خبر كان، ويورث في موضع الصفة، أو يورث خبر كان، وكلالة حال من الضمير في يورث، أو تكون كان تامة ويورث في موضع الصفة، وتكون كلالة حال من الضمير، وإن كانت للورثة فهي خبر كان على حذف مضاف، تقديره: ذا كلالة، أو حال على حذف مضاف أيضا، وإن كانت للورثة فهي مصدر في موضع الحال، وإن كانت للقرابة فهي مفعول من أجله، تقديره: يورث من أجل القربى، وإن كانت للمال فهي مفعول ليورث، وكل وجه من هذه الوجوه على أن تكون كان تامة، ويورث في موضع الصفة، وأن تكون ناقصة ويورث خبرها ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ المراد هنا الأخ للأم والأخت للأم بإجماع، وقرأ سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت لأمه[1] وذلك تفسير للمعنى

(١) المحرر الوجيز: ٢/٢٣..

﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ إذا كان الأخ للأم واحدا فله السدس، وكذلك إذا كانت الأخت للأم واحدة ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ إذا كان الإخوة للأم اثنين فأكثر: فلهم الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى؛ لأن قوله ﴿شُرَكَآءُ﴾ يقتضي التسوية بينهم، ولا خلاف في ذلك ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ منصوب على الحال والعامل فيه يوصي ومضار اسم فاعل، قال ابن عباس: «الضرار في الوصية من الكبائر»[1] ووجوه المضار كثيرة، منها: الوصية لوارث، والوصية بأكثر من الثلث، أو بالثلث فرارا عن وارث محتاج، فإن علم أنه قصد بوصيته الإضرار رد ما زاد على الثلث اتفاقا، واختلف هل يرد الثلث على قولين في المذهب؟ والمشهور أنه ينفذ. ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ويجوز أن ينتصب بغير مصدر.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى ما تقدم من المواريث وغيرها.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية تعلق بها المعتزلة في قولهم: إن العصاة من المؤمنين يخلدون في النار، وتأولها الأشعرية على أنها في الكفار.

﴿يَأْتِينَ ٱلْفَاحِشَةَ﴾ هي هنا الزنا ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ أي من المسلمات؛ لأن المسلمة تحد حد الزنا، وأما الكافر أو الكافرة فاختلف: هل يحد أو يعاقب؟ ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ فَاسْتَشْهِدُواْأَرْبَعَةً عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً﴾ قيل: إنما جعل شهداء الزنا أربعة تغليظا على المدعي وسترا على العباد، وقيل: ليكون شاهدان على كل واحد من الزانيين ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾ كانت عقوبة الزنا الإمساك في البيوت، ثم نسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا، وهو السب والتوبيخ، وقيل: إن الإمساك في البيوت للنساء، والأذى للرجال، فلا نسخ بينهما، ورجحه ابن عطية[2] وابن الفرس بقوله في

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٨/٦٥، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٣/٨٨٩، والدر المنثور: ٢/٤٥٢، وعزاه للنسائي وابن أبي شيبة...

(٢) انظر المحرر الوجيز: ٢/٢٦.

وَالَّٰتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا
عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي
الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا
﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا
وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا
﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ
مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ
أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

الإمساك: ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ وفي الأذى: ﴿مِنكُمْ﴾ ثم نسخ الإمساك والأذى بالرجم للمحصن وبالجلد لغير المحصن، واستقر الأمر على ذلك. فأما الجلد: فمذكور في سورة النور، وأما الرجم: فقد كان في القرآن ثم نسخ لفظه وبقي حكمه، وقد رجم ﷺ ماعزا الأسلمي وغيره[1] ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ﴾ لما أمر بالأذى للزاني أمر بالإعراض عنه إذا تاب وهو ترك الأذى.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي إنما يقبل الله توبة من كان على هذه الصفة، وإذا تاب العبد توبة صحيحة بشروطها فيقطع بقبول الله لتوبته عند جمهور العلماء وقال أبو المعالي يغلب ذلك على الظن ولا يقطع به ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَالَةٍ﴾ أي بسفاهة وقلة تحصيل أدت إلى المعصية، وليس المعنى أنه يجهل أن يكون ذلك الفعل معصية، قال أبو العالية[2]: أجمع الصحابة على أن كل معصية فهي بجهالة سواء كانت عمدا أو جهلا ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ قيل: قبل المرض والموت، وقيل: قبل السياق ومعاينة الملائكة، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[3].

(١) رجم ماعز ثابت في الصحيح، رواه البخاري الحديث رقم: (٦٨٢٤)، ومسلم الحديث رقم: (١٦٩٥)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٤٤٢)، وأحمد في المسند: ٣٤٧/٥، والبغوي في شرح السنة: ٢٩٢/١٠، وغيرهم...

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٨٩/٨ بسند حسن وانظر الدر المنثور: ٤٥٩/٢.

(٣) الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٤٦٠)، وابن ماجه الحديث رقم: (٤٢٤٣)، وابن حبان في صحيحه=

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ الآية في الذين يصرون على الذنوب إلى حين لا تقبل التوبة، وهو معاينة الموت فإن كانوا كفارا فهم مخلدون في النار بإجماع، وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، فقوله: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ ثابت في حق الكفار ومنسوخ في حق العصاة من المسلمين بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ﴾ فعذابهم مقيد بالمشيئة.

﴿لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَآءَ﴾ قال ابن عباس[1]: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاؤوا تزوجها أحدهم، وإن شاؤوا زوجوها من غيرهم، وإن شاؤوا منعوها التزوج، فنزلت الآية في ذلك، فمعنى الآية على هذا لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يورثن عن الرجال كما يورث المال، وقيل: الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها، وقيل: الخطاب للأولياء الذين يمنعون ولياتهم من التزوج ليرثوهن دون الزوج. ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾ معطوف على أن ترثوا، أو نهي. والعضل المنع، قال ابن عباس[2]: هي أيضا في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوج بعد موته، إلا أن قوله: ﴿مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ على هذا معناه ما آتاها الرجل الذي مات، وقال ابن عباس[3] أيضا: «هي في الأزواج الذين يمسكون المرأة ويسيئون عشرتها حتى

= الحديث رقم: (٦٢٨)، وصححه أحمد شاكر في حاشية المسند: ١٧/٩، وصححه الألباني في المشكاة رقم: (٢٣٤٣).

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٧٩)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٠٨٩)، والنسائي في تفسيره الحديث رقم: (١١٤)، والطبري في جامع البيان رقم: (٨٨٦٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٠٢/٣، والواحدي في أسباب النزول، ص: ١٢٤.

(٢) صحيح وتخريجه في الأثر قبله.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١١/٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٠٣/٣.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا
غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ
النِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ الَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ الرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ الَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
الَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ الَّذِينَ
مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

تفتدي بصداقها» وهو ظاهر اللفظ في قوله ﴿مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ ويقويه قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فإن الأظهر فيه أن يكون في الأزواج وقد يكون في غيرهم، وقيل: هي للأولياء ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قيل: الفاحشة هنا الزنا، وقيل: نشوز المرأة وبغضها في زوجها فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صداق أو غير ذلك من مالها، وهذا جائز على مذهب مالك في جواز الخلع إذا كان الضرز من المرأة، والزنا أصعب على الزوج من النشوز، فيجوز له أخذ الفدية معه. ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ الآية معناها إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا عليه فعسى أن يجعل الله الخير في وجه آخر، وقيل: الخير الكثير الولد، والأحسن العموم، وهو معنى قوله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقا رضي منها آخر»[1].

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآية معناها المنع من أن يأخذ الرجل من المرأة فدية على الطلاق إن أراد أن يبدلها بأخرى، وعلى هذا جرى مذهب مالك وغيره في المنع من الفدية إذا كان الضرر، وأرادت الفراق من الزوج، وقال قوم: إن هذه الآية منسوخة بقوله في البقرة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ﴾ وقال قوم: هي ناسخة، والصحيح أنها غير ناسخة ولا منسوخة؛ فإن جواز الفدية على وجه ومنعها

(١) حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٦٧٢)، وأحمد في المسند الحديث رقم: (٨٠١٣)، والبيهقي في الكبرى: ٢٩٥/٧، ولا يفرك: بفتح الياء أي لا يبغضها...

على وجه، فلا تعارض ولا نسخ ﴿قِنطَارًا﴾ مثال على جهة المبالغة في الكثرة، وقد استدلت به المرأة على جواز المغالاة في المهور حين نهى عمر بن الخطاب عن ذلك فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: امرأة أصابت ورجل أخطأ كل الناس أفقه منك يا عمر(١).

﴿أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ كناية عن الجماع ﴿مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ قيل: عقدة النكاح، وقيل: قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، وقيل: الأمر بحسن العشرة.

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده، فنزلت الآية(٢) تحريما لذلك، فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ما سفلوا، سواء دخل بها أو لم يدخل، فالنكاح في الآية بمعنى العقد و﴿مَا نَكَحَ﴾ يعني النساء، وإنما أطلق عليهن ما وإن كن ممن يعقل؛ لأن المراد الجنس، فإن زنى رجل بامرأة فاختلف: هل يحرم تزوجها على أولاده أم لا؟ فحرمه أبو حنيفة وأجازه الشافعي، وفي المذهب قولان، واحتج من حرمه بهذه الآية، وحمل النكاح فيها على الوطء، وقال من أجازه إن الآية لا تتناوله؛ إذ النكاح فيها بمعنى العقد. ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي إلا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك وانقطع بالإسلام، فقد عفي عنه فلا تؤاخذون به، ويدل على هذا قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ بعد قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في المرة الأخرى في الجمع بين

---

(١) روى الحاكم في المستدرك بسنده عن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام على منبره فحمد الله وأثنى عليه فقال: ألا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما زيدت امرأة من نسائه ولا بناته على اثنتي عشرة أوقية، وذلك أربع مائة درهم وثمانين درهما، الأوقية أربعون درهما. فقد تواترت الأسانيد الصحيحة بصحة خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا الباب لي مجموع في جزء كبير ولم يخرجاه. المستدرك: ٢/١٩٢، وأخرجه الطبري في جامع البيان: ٨/١٣٢، وانظر تفسير ابن كثير: ٢/٢٨٨.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٨/١٣٢ بسند صحيح.

الأختين، قال ابن عباس[١]: كانت العرب تحرم كل ما حرمته الشريعة إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين، وقيل: المعنى إلا ما قد سلف فدعوه، وقال الزمخشري: المعنى إلا ما قد سلف فانكحوه إن أمكنكم وذلك غير ممكن، فالمعنى المبالغة في التحريم. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا﴾ كان في هذه الآية تقتضي الدوام كقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وشبه ذلك، وقال المبرد: هي زائدة وذلك خطأ لوجود خبرها منصوبا، وزاد هنا المقت على ما وصف به الزنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ دلالة على أن هذا أقبح من الزنا.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ الآية معناها تحريم نكاح من ذكر من النساء، والنساء المحرمات على التأبيد ثلاثة أصناف: بالنسب، وبالرضاع، وبالمصاهرة. فأما النسب: فيحرم به سبعة أصناف وهي المذكورة في هذه الآية، وضابطها: أنه يحرم على الرجل فصوله ما سفلت، وأصوله ما علت، وفصول أبويه ما سفلت، وأول فصل من كل أصل متقدم على أبويه. ﴿أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ يدخل فيه الوالدة والجدات من قبل[٢] الأم ومن الأب ما علون ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه البنت وبنت الابن وبنت البنت ما سفلن ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ يدخل فيه الأخت الشقيقة والأخت للأب والأخت للأم ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ يدخل فيه أخت الوالد، وأخت الجد ما علا، سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم. ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ يدخل فيه أخت الأم وأخت الجدة ما علت، سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ يدخل فيه كل من تناسل من الأخ الشقيق أو لأب أو لأم. ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ يدخل فيه كل من تناسل من الأخت الشقيقة أو لأب أو لأم. ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ذكر تعالى صنفين من الرضاعة وهما: الأم والأخت، وقال رسول الله ﷺ:

(١) صحيح سبق تخريجه.

(٢) قوله: (قبل) زيادة من (م).

«يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[١] فاقتضى ذلك تحريم الأصناف السبعة التي تحرم من النسب، وهي: الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، وبنت الأخ، وبنت الأخت، وتفصيل ذلك يطول، وفي الرضاع مسائل لم نذكرها لأنها ليس لها تعلق بألفاظ الآية. ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ المحرمات بالمصاهرة أربع، وهن: زوجة الأب، وزوجة الابن، وأم الزوجة، وبنت الزوجة.

فأما الثلاث الأول، فتحرم بالعقد دخل بها أم لم يدخل بها، وأما بنت الزوجة فلا تحرم إلا بعد الدخول بأمها، فإن وطئها حرمت عليه بنتها بالإجماع، وإن تلذذ بها بما دون الوطء فحرمها مالك والجمهور، وإن عقد عليها ولم يدخل بها لم تحرم بنتها إجماعا، وتحرم هذه الأربع بالرضاع كما تحرم بالنسب.

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ الربيبة هي بنت امرأة الرجل من غيره، سميت بذلك لأنه يربيها، فلفظها فعيلة بمعنى مفعولة، وقوله: ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ على غالب الأمر؛ إذ الأكثر أن تكون الربيبة في حجر زوج أمها، وهي محرمة سواء كانت في حجره أم لا، هذا عند الجمهور من العلماء، إلا ما روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أجاز نكاحها إن لم تكن في حجره[٢] ﴿ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ اشترط

---

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٦٤٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٤٤٧)، والنسائي الحديث رقم: (٣٢٤٩)، وابن ماجه الحديث رقم: (١٩٣٨)، وأحمد في المسند: ٢٧٥/١..

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٢٧٨/٦ قال ابن كثير: وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أنبأنا هشام ـ يعني ابن يوسف ـ عن ابن جريج، حدثني إبراهيم بن عبيد بن رفاعة، أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان قال: كانت عندي امرأة فتوفيت، وقد ولدت لي، فوجِدْت عليها، فلقيني علي بن أبي طالب فقال: مالك؟ فقلت: توفيت المرأة. فقال علي: لها ابنة؟ قلت: نعم، وهي بالطائف. قال: كانت في حجرك؟ قلت: لا هي بالطائف قال: فانكحها. قلت: فأين قول الله ﷻ: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ قال: إنها لم تكن في حجْرك، إنما ذلك إذا كانت في حجرك. =

الدخول في تحريم بنت الزوجة خاصة ولم يشترط في تحريم[١] غيرها، وعلى ذلك جمهور العلماء إلا ما روي[٢] عن علي بن أبي طالب أنه اشترط الدخول في تحريم الجميع، وقد انعقد الإجماع بعده على خلاف ذلك[٣] ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ الحلائل جمع حليلة وهي الزوجة ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ تخصيص ليخرج عنه زوجة الابن الذي يتبناه الرجل وهو أجنبي عنه كتزوج[٤] رسول الله ﷺ زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة الكلبي الذي كان يقال له: زيد بن محمد[٥] ﷺ ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ يقتضي تحريم الجمع بين الأختين، سواء كانتا شقيقتين أو لأب أو لأم وذلك في الزوجتين، وأما الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء

= هذا إسناد قوي ثابت إلى علي بن أبي طالب، على شرط مسلم، وهو قول غريب جدًّا، وإلى هذا ذهب داود بن علي الظاهري وأصحابه. وحكاه أبو القاسم الرافعي عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ واختاره ابن حزم، وحكى لي شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي أنه عَرَض هذا على الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فاستشكله، وتوقف في ذلك، والله أعلم. ابن كثير: ٢/٢٥٢، وصحح هذا الإسناد السيوطي في الدر المنثور: ٢/٤٧٤.

(١) قوله: (تحريم) زيادة من (أ) و(ف).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٨/١٤٤ بسند ضعيف قال القرطبي: وقالت طائفة من السلف: الأم والربيبة سواء، لا تحرم منهما واحدة إلا بالدخول بالأخرى. قالوا: ومعنى قوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ أي اللاتي دخلتم بهن ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾. وزعموا أن شرط الدخول راجع إلى الأمهات والربائب جميعا؛ رواه خلاس عن علي بن أبي طالب. وروي عن ابن عباس وجابر وزيد بن ثابت، وهو قول ابن الزبير ومجاهد. قال مجاهد: الدخول مراد في النازلتين، وقول الجمهور مخالف لهذا وعليه الحكم والفتيا، وقد شدد أهل العراق فيه حتى قالوا: لو وطئها بزنا أو قبلها أو لمسها بشهوة حرمت عليه ابنتها. وعندنا وعند الشافعي إنما تحرم بالنكاح الصحيح؛ والحرام لا يحرم الحلال على ما يأتي. وحديث خلاس عن علي لا تقوم به حجة، ولا تصح روايته عند أهل العلم بالحديث، والصحيح عنه مثل قول الجماعة. الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٠٦.

(٣) في (م): (وقد انعقد الإجماع بعده).

(٤) في (م): (تزويج).

(٥) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٧٤٢٠)، وله طرق وانظر الدر المنثور: ٢/٢١.

فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم، ورأوا أنه داخل في عموم لفظ الأختين، وأجازه الظاهرية لأنهم قصروا الآية على الجمع بالنكاح، وأما الجمع بين الأختين في الملك دون وطء فجائز باتفاق ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ المعنى: إلا ما فعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع بالإسلام، فقد عفي عنكم فلا تؤاخذون به، وهذا أرجح الأقوال حسبما تقدم في الموضع الأول.

حزب

• والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما ﴿٢٤﴾ ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم ﴿٢٥﴾ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ﴿٢٦﴾

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ المراد هنا ذوات الأزواج، وهو معطوف على المحرمات المذكورة قبله، والمعنى: أنه لا يحل نكاح المرأة إذا كانت في عصمة الرجل ﴿إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يريد السبايا في أشهر الأقوال، والاستثناء متصل، والمعنى: أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج ثم سبيت جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها، وسبب ذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا من العدو لهن أزواج من المشركين، فتأثم المسلمون من غشيانهن فنزلت الآية مبيحة لذلك[1] ومذهب مالك أن السبي يهدم النكاح سواء سبي الزوجان الكافران معا أو سبي أحدهما قبل الآخر، وقال ابن المواز: لا يهدم السبي النكاح. ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ منصوب على المصدرية، أي كتب الله عليكم كتابا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٤٥٦)، وأبو داود في سننه (٢١٥٥)، والترمذي الحديث رقم: (١١٣٢)، والنسائي الحديث رقم: (٣٣٣٣)، والطبري في جامع البيان: ١٥٢/٨، والواحدي في أسباب النزول، ص: ١٢٦.

وهو تحريم ما حرم وهو عند الكوفيين منصوب على الإغراء ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ معناه أحل لكم تزويج من سوى ما حرم من النساء، وعطف أحل على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله والفاعل هو الله، أي كتب الله عليكم تحريم من ذكر وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ مفعول من أجله أو بدل مما وراء ذلكم، وحذف مفعوله وهو النساء. ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ هنا أعفة[1] ونصبه على الحال من الفاعل في تبتغوا ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ أي غير زناة والسفاح هو الزنا. ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ قال ابن عباس[2]: وغيره معناها إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر وهو الصداق كاملا، وقيل[3]: إنها في نكاح المتعة، وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث، وكان جائزا في أول الإسلام فنزلت[4] هذه الآية في وجوب الصداق فيه، ثم حرم عند جمهور العلماء، فالآية على هذا منسوخة بالخبر الثابت في تحريم نكاح المتعة[5] وقيل: نسختها آية الفرائض لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه، وقيل: نسختها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ وروي عن ابن عباس جواز نكاح المتعة، وروي أنه رجع عنه[6]. ﴿وَلَا

---

(١) في (م): (العفة).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧٥/٨، وابن عبد البر في التمهيد: ١٠/١٢٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩١٩/٣.

(٣) يوجد في هذا المعنى أثر عن مجاهد، أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧٦/٨، وورد به كذلك أثر عن السدي وهما ضعيفان. وكذلك يروى عن ابن عباس، قال ابن عطية: وروي عن ابن عباس أيضا، ومجاهد، والسدي، وغيرهم أن الآية في نكاح المتعة. المحرر الوجيز: ٤٣/٢.

(٤) سبب النزول لم نجده مسندا.

(٥) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٨٢٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٤٨٠)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١١٢١)، والنسائي: ١٢٥/٦..

(٦) القول برجوعه ضعيف، أخرجه الترمذي في سننه (١١٣٦)، والطبراني في المعجم الكبير: ٣٢٠/١٠، والحازمي في الاعتبار، ص: ٤٢٩ قال الحافظ في الفتح إسناده ضعيف: ١٤٨/٩، وضعفه الألباني في الإرواء: ٣١٦/٦. فالحاصل أن ابن عباس له في المتعة ثلاثة أقوال:=

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ من قال إن الآية المتقدمة في مهور النساء، فمعنى هذه جواز ما يتراضون به من حط من الصداق أو تأخيره بعد استقرار الفريضة، ومن قال: إن الآية في نكاح المتعة فمعنى هذا جواز ما يتراضون به من زيادة في مدة المتعة، وزيادة في الأجر.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ معناها إباحة تزويج الفتيات وهن الإماء للرجل إذا لم يجد طولا للمحصنات، والطول هنا هو السعة في المال، والمحصنات هنا يراد بهن الحرائر غير المملوكات، ومذهب مالك وأكثر أصحابه أنه لا يجوز للحر نكاح أمة إلا بشرطين:

أحدهما: عدم الطول وهو ألا يجد ما يتزوج به حرة.

والآخر: خوف العنت وهو الزنا لقوله: بعد هذا ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ وأجاز ابن القاسم نكاحهن دون الشرطين على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر، واتفقوا على اشتراط الإسلام في الأمة التي تتزوج لقوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلا أهل العراق فلم يشترطوه، وإعراب طولا مفعول بالاستطاعة، وأن ينكح بدل منه وهو في موضع نصب، بتقدير: لأن ينكح، ويحتمل أن يكون طولا منصوبا[1] على المصدر والعامل فيه الاستطاعة لأنها بمعنى يتقارب، وأن ينكح على هذا مفعول بالاستطاعة أو بالمصدر ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ معناه أنه يعلم بواطن الأمور ولكم ظواهرها، فإذا كانت الأمة ظاهرة الإيمان فنكاحها صحيح وعلم باطنها إلى الله ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي إماؤكم منكم وهذا تأنيس

= الأول: إباحتها مطلقا، والثاني: الإباحة عند الضرورة. والثالث: التحريم مطلقا، وهذا لم يثبت عنه بخلاف القولين الأولين فهما ثابتان عنه. انظر الإرواء: ٣١٦/٦...

(١) في (أ) و(ف): (نصب).

بنكاح الإماء لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي بإذن ساداتهن المالكين لهن ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي صدقاتهن وهذا يقتضي أنهن أحق بصدقاتهن من ساداتهن وهو مذهب مالك ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي بالشرع على ما تقتضيه السنة ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ أي عفيفات غير زانيات وهو منصوب على الحال والعامل فيه فانكحوهن ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع خدن وهو الخليل، وكان من نساء الجاهلية من تتخذ خدنا تزني معه خاصة، ومنهن من كانت لا ترد يد لامس ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَٰتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ معنى ذلك أن الأمة إذا زنت بعد أن أحصنت فعليها نصف حد الحرة، فإن الحرة تجلد في الزنا مائة جلدة والأمة تجلد خمسين، فإذا أحصن هنا يريد به تزوجن، والفاحشة هنا الزنا والمحصنات هنا الحرائر، والعذاب هنا الحد فاقتضت الآية حد الأمة إذا زنت بعد أن تزوجت، ويؤخذ حد غير المتزوجة من السنة[(١)] وهو مثل حد المتزوجة، هذا على قراءة أحصن بضم الهمزة[(٢)] وكسر الصاد وقرئ بفتحهما، ومعناه أسلمن، وقيل: تزوجن. ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ الإشارة إلى تزوج الأمة أي إنما يجوز لمن خشي على نفسه الزنا، لا لمن يملك نفسه ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ المراد الصبر عن نكاح الإماء وهذا ندب إلى تركه، وعلته ما يؤدي إليه من استرقاق الولد.

---

(١) وهو من حديث علي وغيره، روى مسلم بسنده، قَالَ: خَطَبَ عَلِيٌّ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَقِيمُوا عَلَى أَرِقَّائِكُمُ الْحَدَّ مَنْ أَحْصَنَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يُحْصِنْ، فَإِنَّ أَمَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ زَنَتْ فَأَمَرَنِي أَنْ أَجْلِدَهَا فَإِذَا هِيَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِنِفَاسٍ، فَخَشِيتُ إِنْ أَنَا جَلَدْتُهَا أَنْ أَقْتُلَهَا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ «أَحْسَنْتَ». الحديث رقم: (٤٥٤٧)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤٤١).

(٢) قال الداني في التيسير: أبو بكر وحمزة والكسائي ﴿فَإِذَآ أَحْصَنَّ﴾ بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد، ص: ٧٢.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن
تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا
وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ
وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ
نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ قال الزمخشري[1]: أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين، كما زيدت في لا أبا لك[2]، وقال الكوفيون: اللام مصدرية مثل أن. ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرر توطئة لفساد إرادة الذين يتبعون الشهوات، وهم هنا الزناة عند مجاهد، وقيل: المجوس لنكاحهم ذوات المحارم، وقيل: عام في كل متبع شهوة وهو أرجح[3].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ يقتضي سياق الكلام التخفيف الذي وقع في إباحة نكاح الإماء وهو مع ذلك عام في كل ما خفف الله عن عباده، وجعل دينه يسرا ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ قيل: معناه لا يصبر عن النساء، وذلك مقتضى سياق الكلام، واللفظ أعم من ذلك.

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ يدخل فيه القمار والغصب

(١) الكشاف: ١/٥٣٣.

(٢) في (م) زيادة: (لتأكيد إضافة الأب).

(٣) قال ابن عطية: واختلف المتأولون في متبعي الشهوات، فقال مجاهد: هم الزناة، وقال السدي: هم اليهود والنصارى، وقالت فرقة: هم اليهود خاصة؛ لأنهم أرادوا أن يتبعهم المسلمون في نكاح الأخوات من الأب، وقال ابن زيد: ذلك على العموم في هؤلاء وفي كل متبع شهوة، ورجحه الطبري. المحرر الوجيز: ٢/٤٩.

والسرقة وغير ذلك ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ استثناء منقطع والمعنى لكن إن كانت تجارة فكلوها، وفي إباحة التجارة دليل على أنه يجوز للإنسان أن يشتري بدرهم سلعة تساوي مائة، والمشهور إمضاء البيع، وحكي عن ابن وهب أنه يرد إذا كان الغبن أكثر من الثلث، وموضع أن نصب وتجارة بالرفع[١] فاعل تكون وهي تامة وقرئ بالنصب خبر تكون وهي ناقصة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ أي اتفاق وبهذا استدل المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفرق، وقال الشافعي: إنما يتم بالتفرق بالأبدان لقوله ﷺ: «المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا»[٢]. ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال ابن عطية[٣]: أجمع المفسرون: أن المعنى لا يقتل بعضكم بعضا. قلت: ولفظها يتناول قتل الإنسان لنفسه، وقد حملها عمرو بن العاص على ذلك، ولم ينكره رسول الله ﷺ إذ سمعه[٤].

---

(١) ﴿تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ قرأه عاصم بالنصب فيهما، وقرأ الباقون برفعهما. النشر: ٢/٢٧٠.

(٢) لفظ البخاري: البيعان بالخيار الحديث رقم: (٢١١٤)، وكذلك في مسلم الحديث رقم: (٢٤٢١)، والمتبايعان في كتب السنن أبو داود الحديث رقم: (٢٩٩٧)، والنسائي الحديث رقم: (٤٣٩١)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٢٤٥).

(٣) لفظه: وقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قرأ الحسن ولا تقتلوا على التكثير، فأجمع المتأولون: أن المقصود بهذه الآية النهي عن أن يقتل بعض الناس بعضها، ثم لفظها يتناول أن يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل، أو بأن يحملها على غرر ربما مات منه، فهذا كله يتناوله النهي، وقد احتج عمرو بن العاص بهذه الآية حين امتنع من الاغتسال بالماء البارد خوفا على نفسه منه، فقرر رسول الله ﷺ احتجاجه. المحرر الوجيز: ٢/٥٢.

(٤) عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَشْفَقْتُ إِنِ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ، فَتَيَمَّمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ». فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الاغْتِسَالِ، وَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا. رواه أبو داود الحديث رقم: (٣٣٥)، والحاكم في المستدرك: ١/١٧٧ قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي...

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى القتل لأنه أقرب مذكور، وقيل: إليه وإلى أكل المال بالباطل، وقيل: إلى كل ما تقدم من المنهيات من أول السورة.

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ اختلف الناس في الكبائر ما هي؟ فقال ابن عباس:[1] الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب، وقال ابن مسعود[2]: الكبائر هي الذنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى أول هذه الآية، وقال بعض العلماء: كل ما عصي الله به فهو كبيرة، وعدها بعضهم سبعة عشر، وفي البخاري عن النبي ﷺ: «اتقوا السبع الموبقات: الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات»[3] فلا شك أن هذه من الكبائر للنص عليها في الحديث، وزاد بعضهم عليها أشياء ورد في الأحاديث النص على أنها كبائر، أو ورد في القرآن أو في الحديث وعيد عليها، فمنها: عقوق الوالدين، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والنهبة، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، ومنع ابن السبيل الماء، والإلحاد في البيت الحرام، والنميمة، وترك التحرز من البول، والغلول، واستطالة المرء في عرض أخيه، والجور في الحكم. ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وعد بغفران الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر ﴿مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ اسم مكان وهو هنا الجنة.

﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ﴾ الآية سببها[4] أن النساء قلن ليتنا استوينا مع الرجال في

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٩٢١٢/٨ بسند حسن.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٣٣/٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٣٣/٣.

(٣) أخرجه البخاري في باب الوصايا وأبواب أخرى منه الحديث رقم: (٢٧٦٦)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٢٩)، وأبو داود الحديث رقم: (٢٤٩٠)، والنسائي في سننه: ٢٥٧/٦، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٠٢/٢، ولفظ البخاري: اجتنبوا السبع الموبقات... إلخ.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٢٢)، والطبري في جامع البيان: ٩٢٣٦/٨)، وعبد الرزاق في مصنفه: ١٥٦/١، وابن كثير في تفسيره: ٢٣٨/٢.

الميراث، وشاركناهم في الغزو، فنزلت نهيا عن ذلك؛ لأن في تمنيهم ردا على حكم الشريعة، فيدخل في النهي تمني مخالفة الأحكام الشرعية كلها. ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا۟﴾ الآية أي من الأجر والحسنات، وقيل: من الميراث، ويرده لفظ الاكتساب.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ الآية في معناها وجهان:

أحدهما: لكل شيء من الأموال جعلنا موالي يرثونه، فمما ترك على هذا بيان لكل.

والآخر: لكل أحد جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والأقربون، فما ترك على هذا يتعلق بفعل مضمر، والموالي هنا الورثة والعصبة.

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ اختلف هل هي منسوخة أو محكمة، فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا معناها الميراث بالحلف الذي كان في الجاهلية، وقيل:[1] بالمؤاخاة التي آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، ثم نسخها ﴿وَأُو۟لُوا۟ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ فصار الميراث للأقارب، والذين قالوا إنها محكمة اختلفوا، فقال ابن عباس[2]: هي في المؤازرة والنصرة بالحلف لا في الميراث به، وقال أبو حنيفة: هي في الميراث وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر على أن يتوارثا صح ذلك وإن لم تكن بينهما قرابة.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ قوام بناء مبالغة من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه، قال ابن عباس[3]: الرجال أمراء على النساء. ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ الباء للتعليل وما مصدرية، والتفضيل بالإمامة، والجهاد، وملك الطلاق، وكمال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٢٩٢)، والطبري في جامع البيان رقم: (٩٢٧٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٣٧/٣.

(٢) تخريجه في الحديث السابق.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (٩٣٠٠) عن ابن عباس.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ
قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ
بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن
يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا
﴿٣٥﴾ ● وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ ربع
إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ
ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ
وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن
كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

العقل، وغير ذلك. ﴿وَبِمَا أَنفَقُوا﴾ هو الصداق والنفقة المستمرة على الزوجات. ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ أي النساء الصالحات في دينهن مطيعات لأزواجهن، أو مطيعات لله في حق أزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي تحفظ كلما غاب عن علم زوجها، فيدخل في ذلك صيانة نفسها، وحفظ ماله، وبيته، وحفظ أسراره ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ أي بحفظ الله ورعايته، أو بأمره للنساء أن يطعن الزوج ويحفظنه، فما مصدرية أو بمعنى الذي ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ قيل: الخوف هنا اليقين ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ هذه أنواع من تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها وهي على مراتب: بالوعظ في النشوز الخفيف، والهجران فيما هو أشد منه، والضرب فيما هو أشد. ومهما انتهت عن النشوز بوجه من التأديب لم يتعد إلى ما بعده، والهجران هنا هو ترك مضاجعتها، وقيل: ترك الجماع إذا ضاجعها والضرب غير مبرح. ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ أي إذا أطاعت المرأة زوجها فليس له أن يؤذيها بهجران ولا ضرب.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ الشقاق الشر والعداوة، وكان الأصل إن خفتم شقاقا بينهما ثم أضيف الظرف إلى الشقاق على طريق الاتساع، لقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وأصله مكر بالليل والنهار. ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا﴾ الآية ذكر تعالى الحكم في نشوز المرأة والحكم في طاعتها، ثم ذكر هنا حالة أخرى وهي ما إذا ساء ما بين الزوجين ولم يقدر على الإصلاح بينهما، ولا علم من الظالم منهما،

فيبعث حكمان مسلمان لينظرا في أمرهما وينفذا ما ظهر لهما من تطليق وخلع من غير إذن الزوج، وقال أبو حنيفة: ليس لهما الفراق إلا إن جعل لهما، وإن اختلفا لم يلزم شيء إلا باتفاقهما.

ومشهور مذهب مالك أن الحاكم هو الذي يبعث الحكمين، وقيل: يبعثهما الزوجان، وجرت عادة القضاة أن يبعثوا امرأة أمينة، ولا يبعثوا حكمين، قال بعض العلماء: هذا تغيير لحكم القرآن والسنة الجارية.

﴿مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ يجوز في المذهب أن يكون الحكمان من غير أهل الزوجين، والأكمل أن يكونا من أهلهما كما ذكر الله. ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ الضمير في يريدا للحكمين وفي بينهما للزوجين على الأظهر، وقيل: الضميران للزوجين، وقيل: للحكمين.

﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ قال ابن عباس[1]: الجار ذي[2] القربى هو القريب النسب، والجار الجنب هو الأجنبي، وقيل: ذو القربى القريب المسكن منك، والجنب البعيد المسكن عنك، وحد الجوار عند بعضهم أربعون ذراعا من كل ناحية. ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ قال ابن عباس[3]: الرفيق في السفر، وقال علي بن أبي طالب[4]: الزوجة. ﴿مُخْتَالًا﴾ اسم فاعل وزنه مفتعل من الخيلاء وهو الكبر وإعجاب المرء بنفسه ﴿فَخُورًا﴾ شديد الفخر.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من قوله: مختالا، أو نصب على الذم، أو رفع بخبر

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (٩٤٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٤٩/٣ بإسناد حسن.

(٢) في (أ): (ذو القربى).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (٩٤٥٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٤٩/٣ بإسناد حسن.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (٩٤٧١) بسند ضعيف.

وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا
يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ
وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ
الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ

ابتداء مضمر، أو مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: يعذبون، والآية في اليهود نزلت[1] في قوم منهم: كردم، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت، كانوا يقولون للأنصار: لا تنفقوا أموالكم في الجهاد والصدقات، وهي مع ذلك عامة في من قد فعل هذه الأفعال من المسلمين.

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ عطف على الذين يبخلون، وقيل: على الكافرين، والآية في المنافقين الذين كانوا ينفقون في الزكاة والجهاد رياء ومصانعة، وقيل: في اليهود، وقيل: في مشركي مكة الذين أنفقوا أموالهم في حرب المسلمين ﴿قَرِينًا﴾ أي ملازما له يغويه.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية استدعاء لهم كملاطفة، أو توبيخ على ترك الإيمان والإنفاق، كأنه يقول: أي مضرة عليهم في ذلك.

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي وزنها وهي النملة الصغيرة وذلك تمثيل بالقليل تنبيها على الكثير ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٌ﴾ بالرفع فاعل وتك تامة وبالنصب خبر على أنها ناقصة واسمها مضمر فيها ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ أي يكثرها واحدة بعشر إلى سبعمائة أو أكثر. ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ أي من عنده تفضلا وزيادة على ثواب العمل.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾ تقديره: كيف يكون الحال إذا جئنا ﴿بِشَهِيدٍ﴾ هو نبيهم

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (٩٥٠١) بإسناد ضعيف.

يشهد عليهم بأعمالهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ أي تشهد على قومك ولما قرأ ابن مسعود هذه الآية على رسول الله ﷺ ذرفت عيناه(١).

﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي يتمنون أن يدفنوا فيها ثم تسوى بهم كما تسوى بالموتى، وقيل: يتمنون أن يكونوا سواء مع الأرض كقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة. ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ استئناف إخبار أنهم لا يكتمون يوم القيامة عن الله شيئا، فإن قيل: كيف هذا مع قولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؟ فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أن الكتم لا ينفعهم لأنهم إذا كتموا تنطق جوارحهم فكأنهم لم يكتموا.

والآخر: أنهم طوائف مختلفة ولهم أوقات مختلفة، وقيل: إن قوله: ولا يكتمون عطف على تسوى أي يتمنون أن لا يكتموا لأنهم إذا كتموا افتضحوا.

﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ سببها:(٢) أن جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها ثم قاموا إلى الصلاة وأمهم أحدهم فخلط في القراءة، فمعناها النهي عن الصلاة في حال السكر، قال بعض الناس: هي منسوخة بتحريم الخمر وذلك لا يلزم؛ لأنها ليس فيها ما يقتضي إباحة الخمر، وإنما هي نهي عن الصلاة في حال السكر، وذلك الحكم ثابت في حين إباحة الخمر وفي حين تحريمها،

---

(١) حديث صحيح من حديث ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ لعبد الله: اقرأ، فقال: يا رسول الله، كيف أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، وافتتح عبد الله سورة النساء، وقرأ حتى بلغ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ ذرفت عيناه، وقال: حسبك. أخرجه البخاري الحديث رقم: (٤٧٦٣)، ومسلم الحديث رقم: (١٩٠٣)، والترمذي الحديث رقم: (٣٠٢٥)، وأبو داود الحديث رقم: (٣٦٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود عن علي بن أبي طالب الحديث رقم: (٣٦٧١)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٢٦)، والطبري في جامع البيان: ٨/٣٧٦ بسند صحيح...

وقال بعضهم: معناها: لا يكن منكم سكر يمنع قرب الصلاة؛ إذ المرء مأمور بالصلاة فكأنها تقتضي النهي عن السكر وعن سببه وهو الشرب، وهذا بعيد من مقتضى اللفظ. ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ أي حتى تعود إليكم عقولكم فتعلمون ما تقرؤون ويظهر من هذا أن السكران لا يعلم ما يقول، فأخذ بعض الناس من ذلك أن السكران لا يلزم طلاقه ولا إقراره ﴿وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ عطف ولا جنبا على موضع وأنتم سكارى إذ هو في موضع الحال، والجنب هنا غير الطاهر بإنزال أو إيلاج وهو واقع على جماعة، بدليل استثناء الجمع منه، واختلف في عابري السبيل، فقيل: إنه المسافر، ومعنى الآية على هذا نهى أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا في السفر فيصلي بالتيمم دون اغتسال، فمقتضى الآية إباحة التيمم للجنب في السفر، ويؤخذ إباحة التيمم للجنب في الحضر من الحديث[1]، وقيل: عابر السبيل المار في المسجد، والصلاة هنا يراد بها المسجد لأنها موضع الصلاة، فمعنى الآية على هذا النهي أن يقرب الجنب المسجد إلا خاطرا عليه، وعلى هذا أخذ الشافعي الآية؛ لأنه يجيز للجنب أن يمر في المسجد، ولا يجيز له أن يقعد فيه، ومنع مالك المرور والقعود، وأجازهما داود. ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآية سببها[2] عدم اصطحاب الصحابة الماء في غزوة المريسيع، فأبيح لهم التيمم في عدم الماء، ثم إن عدم الماء على ثلاثة أوجه:

أحدها: عدمه في السفر.

والثاني: عدمه في المرض، فيجوز التيمم في هذين الوجهين بإجماع، لأن الآية نص في المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما لقوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٤٤) كتاب التيمم ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٦٨٢)، وأحمد في المسند: ٤/٤٣٤، والدارقطني في سننه: ١/٢٠٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٣٤)، ومسلم الحديث رقم: (٣٦٧)، والنسائي في سننه: ١/١٦٣، وهو مشهور من حديث عمران بن حصين.

عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾

الوجه الثالث: عدم الماء في الحضر دون مرض، فاختلف الفقهاء فيه، فمذهب أبي حنيفة أنه لا يجوز فيه التيمم؛ لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر.

ومذهب مالك والشافعي أنه يجوز فيه التيمم، فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه فيؤخذ جوازه من السنة(١)، وإن قلنا إن الآية تقتضيه فيؤخذ جوازه منها، وهذا هو الأرجح إن شاء الله، وذلك أنه ذكر في أول الآية المرض والسفر ثم ذكر الإحداث دون مرض ولا سفر، ثم قال بعد ذلك كله ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ فيرجع قوله ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ إلى المرض وإلى السفر وإلى من أحدث في غير مرض ولا سفر، فيجوز التيمم على هذا لمن عدم الماء في غير مرض ولا سفر، فيكون في الآية حجة لمالك والشافعي، ويجوز التيمم أيضا في مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء ولم يقدر على استعماله لضرر بدنه، فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه فيؤخذ جوازه من السنة(٢)، وإن قلنا إن الآية تقتضيه فيؤخذ جوازه منهما، على أن يتناول قوله ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ أن معناه مرضى لا تقدرون على مس الماء. وحد المرض الذي يجوز فيه التيمم عند مالك هو: أن يخاف الموت أو زيادة المرض أو تأخر البرء، وعند الشافعي: خوف الموت لا غير، وحد السفر الغيبة عن الحضر كان مما

---

(١) حديث صحيح تقدم تخريجه.

(٢) يدل عليه حديث جابر، قال: «خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم، فقال لأصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ قالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك، قال: قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب على جرحه بخرقة، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده» أبو داود الحديث رقم: (٣٣٦)، والبيهقي في سننه: ٢٢٧/١، والدارقطني رقم: (١٨١)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود دون: إنما يكفيه. ٦٩/١، وله شواهد...

تقصر فيه الصلاة أم لا. ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ في أو هنا تأويلان:

أحدهما: أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها.

والآخر: أنها بمعنى الواو فعلى القول بأنها على بابها يكون قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ راجعا إلى المريض والمسافر، وإلى من جاء من الغائط، وإلى من لامس سواء كانا مريضين أو مسافرين أم لا حسبما ذكرنا قبل هذا، فيقتضي ذلك جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء وهو مذهب مالك والشافعي، فيكون في الآية حجة لهما، وعلى القول بأنها بمعنى الواو يكون قوله ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ راجعا إلى المريض والمسافر فيقتضي ذلك أنه لا يجوز التيمم إلا في المرض والسفر مع عدم الماء، وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر، والراجح أن تكون أو على بابها لوجهين:

أحدهما: أن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها وذلك ضعيف

والآخر: إن كانت على بابها كان فيها فائدة إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء على ما ظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنى الواو لم تفد هذه الفائدة، وحجة من جعلها بمعنى الواو أنه لو جعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء كالغائط لعطفه عليها، وهذا لا يلزم؛ لأن العطف بأو هنا للتنويع والتفصيل، ومعنى الآية كأنه قال: يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماء إن كنتم مرضى أو على سفر وأحدثتم في غير مرض ولا سفر ﴿ٱلْغَآئِطِ﴾ أصله المكان المنخفض، وهو هنا كناية عن الحدث الخارج من المخرجين وهو العذرة والريح والبول لأن من ذهب إلى الغائط تكون منه هذه الأحداث الثلاث، وقيل: إنما هو كناية عن العذرة، وأما البول والريح فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السنة[1]

(١) أما الدليل من السنة على أن البول والريح ينقضان الوضوء، فهو الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» البخاري=

وكذلك الودي[١] والمذي[٢].

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ اختلف في المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الجماع وما دونه من التقبيل واللمس باليد وغيرها، وهو قول مالك، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس الذي هو دون الجماع على تفصيل في المذهب، ويجب معه التيمم إذا عدم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمم.

والقول الثاني: أنها ما دون الجماع، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس ولا يجوز التيمم للجنب، وقد قال بذلك عمر بن الخطاب[٣] ويؤخذ جوازه عند من

= الحديث رقم: (٦٩٥٤)، ومسلم الحديث ر قم: (٢٢٥)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٦٠)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٧٦)..

(١) الودي بسكون الدال وبكسرها: البَلَلُ اللَّزِج الذي يَخْرُج من الذَّكر بَعْد البَوْل، والوَديّ بتشديد الياء: صِغَارُ النَّخْل، الواحدة: وَدِيَّة، وفي السنن الكبرى للبيهقي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْمَنِيُّ وَالْمَذِيُّ وَالْوَدْي، فَالْمَنِيُّ: مِنْهُ الْغُسْلُ، وَمِنْ هَذَيْنِ الْوُضُوءُ يَغْسِلُ ذَكَرَهُ وَيَتَوَضَّأُ، وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: الْوَدْيُ: الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ الْبَوْلِ فِيهِ الْوُضُوءُ. الحديث رقم: (٥٧٦)..

(٢) وأما المذي فكذلك صحيح، وهو من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت رجلا، مذاء فاستحييت أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: (فيه الوضوء) البخاري الحديث رقم: (١٣٢) كتاب العلم باب: من استحيا فأمر غيره بالسؤال. ومسلم الحديث رقم: (٣٠٣، وأبو داود الحديث رقم: (٢٠٦)، والترمذي الحديث رقم: (١١٤)، والنسائي في سننه: ١/٩٦.

(٣) عدم جواز التيمم للجنب ثابت عن عمر البخاري الحديث رقم: (٣٣٨)، ومسلم الحديث رقم: (٣٦٨)، والبغوي في شرح السنة: ٢/١٠٨، ولفظ الحديث: أَنَّ رَجُلاً أَتَى عُمَرَ فَقَالَ: إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً. فَقَالَ: لاَ تُصَلِّ. فَقَالَ عَمَّارٌ: أَمَا تَذْكُرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَنَا وَأَنْتَ فِي سَرِيَّةٍ فَأَجْنَبْنَا، فَلَمْ نَجِدْ مَاءً، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فِي التُّرَابِ وَصَلَّيْتُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدَيْكَ الأَرْضَ ثُمَّ تَنْفُخَ، ثُمَّ تَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ وَكَفَّيْكَ». فَقَالَ عُمَرُ: اتَّقِ اللهَ يَا عَمَّارُ، قَالَ: إِنْ شِئْتَ لَمْ أُحَدِّثْ بِهِ، وفي رواية: فَقَالَ: عُمَرُ نُوَلِّيكَ مَا تَوَلَّيْتَ. وهذا لفظ مسلم.

أجازه من الحديث[١].

والثالث: أنها الجماع لا غير، فعلى هذا يجوز التيمم للجنب ولا يكون ما دون الجماع ناقضا للوضوء وهو مذهب أبي حنيفة ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ هذا يفيد وجوب طلب الماء وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة، فإن وجده بثمن فاختلف هل يجوز له التيمم أم لا؟ وإن وهب له فاختلف هل يلزمه قبوله أم لا؟. ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ التيمم في اللغة القصد، وفي الفقه: الطهارة بالتراب وهو منقول من المعنى اللغوي ﴿صَعِيداً طَيِّباً﴾ الصعيد عند مالك هو وجه الأرض كان ترابا أو رملا أو حجارة، فأجاز التيمم بذلك كله وهو عند الشافعي التراب لا غير، والطيب هنا الطاهر، واختلف في التيمم بالمعادن كالذهب، وبالملح، وبالتراب المنقول، كالمجعول في طبق، وبالآجر، وبالجص المطبوخ، وبالجدار، وبالنبات الذي على وجه الأرض، وذلك كله على الاختلاف في معنى الصعيد.

﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ لا يكون التيمم إلا في هذين العضوين ويقدم الوجه على اليدين لظاهر الآية، وذلك على الندب عند مالك ويستوعب الوجه بالمسح، وأما اليدان فاختلف: هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين؟ ولفظ الآية محتمل لأنه لم يحد، وقد احتج من قال إلى المرفقين بأن هذا مطلق فيحمل على المقيد، وهو تحديدها في الوضوء بالمرفقين.

﴿الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود هنا[٢] وفي الموضع الثاني، قال السهيلي: في الموضع الأول: نزل في رفاعة بن زيد بن التابوت، وفي الثاني: نزل في كعب بن الأشرف[٣] ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ عبارة عن إيثارهم الكفر على

(١) حديث صحيح تقدم تخريجه، البخاري الحديث رقم: (٣٤٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٦٨٢).

(٢) الطبري في جامع البيان: ٤٢٧/٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٦٣/٣ بإسناد ضعيف.

(٣) روى ابن كثير: عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت قريش: ألا ترى هذا=

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ
وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ
أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ
ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ
وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا
مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

الإيمان، فالشراء مجاز كقوله ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ وفي تكرار قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ مبالغة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ من راجعة إلى الذين أوتوا نصيبا، أو إلى أعدائكم، فهي بيان، وقال الفارسي: هي ابتداء كلام، تقديره: من الذين هادوا قوم، وقيل: هي متعلقة بنصيرا، وهو ضعيف، ويتوقف على ﴿نَصِيرًا﴾ على قول الفارسي.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى، وقيل: الكلم هنا التوراة، وقيل: كلام النبي ﷺ ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ معناه لا سمعت ﴿وَرَٰعِنَا﴾ ذكر في البقرة ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ عوض من قولهم سمعنا وعصينا واسمع عوض من قولهم اسمع غير مسمع، وانظرنا عوض من قولهم راعنا وهو من النظر أو الانتظار، فهذه الأشياء الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمهم على قولها لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأخر عوضا عن تلك لكان خيرا لهم، فإن هذه ليس فيها سوء أدب.

﴿مُصَدِّقًا﴾ ذكر في البقرة. ﴿أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ قال ابن عباس[1]: طمسها

= الصنبور المنبتر من قومه؟ يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السقاية! قال: أنتم خير. قال فنزل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، ونزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى ﴿نَصِيرًا﴾ ابن كثير: ٣٣٤/٢، وأخرجه الإمام أحمد: ٤٠٢/٢، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥٣٤/٣، والطبري في جامع البيان: ٤٦٧/٨..

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٤٠/٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٦٨/٣ بإسناد ضعيف جدا.

أن تزال العيون منها وترد في القفا، فيكون ذلك ردا على الدبر، وقيل: طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب، حتى تصير كالأدبار في خلوها عن الحواس. ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ أي نمسخهم كما مسخ أصحاب السبت، وقد ذكر في البقرة أو يكون من اللعن المعروف، والضمير يعود على الوجوه والمراد أصحابها، أو يعود على ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ على الالتفات.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد، وهي المبينة لما تعارض فيها من الآيات وهي الحجة لأهل السنة، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة، وذلك أن مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، وحجتهم هذه الآية فإنها نص في هذا المعنى، ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولا بد، سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر، ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون على الكبائر ولا بد، ويرد على الطائفتين قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد، وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان ويرد عليهم قوله ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فإنه تخصيص لبعض العصاة، وقد تأولت المعتزلة الآية على مذهبهم فقالوا: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهو التائب، فإن التائب، لا خلاف أنه لا يعذب، وهذا التأويل بعيد، لأن قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ في غير التائب من الشرك وكذلك قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ في غير التائب من العصيان ليكون أول الآية وآخرها على نسق واحد، وتأولتها المرجئة على مذهبهم فقالوا لمن يشاء معناه: لمن يشاء أن يؤمن، وهذا أيضا بعيد لا يقتضيه اللفظ، وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد، فحملها المعتزلة على العصاة، وحملها المرجئة على الكفار، وحملها أهل السنة على الكفار وعلى من لا يغفر الله له من العصاة، كما حملوا آية الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا وعلى المذنبين التائبين، وعلى من يغفر الله له من العصاة غير التائبين، فعلى مذهب أهل السنة لا يبقى تعارض بين آيات الوعد

وآيات الوعيد، بل يجمع بين معانيها، بخلاف قول غيرهم فإن الآيات فيه تتعارض.

وتلخيص المذاهب: أن الكافر إذا تاب من كفره غفر له بإجماع، وإن مات على كفره: لم يغفر له وخلد في النار بإجماع، وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه.

﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ هم اليهود لعنهم الله، وتزكيتهم قولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ اللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُ﴾ وقيل: مدحهم لأنفسهم. ﴿فَتِيلًا﴾ الفتيل: هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، وقيل: ما يخرج بين أصبعيك وكفيك إذا فتلتهما؟؟ هو تمثيل، وعبارة عن أقل الأشياء، فيدل على الأكثر بطريق الأولى.

﴿يَفْتَرُونَ﴾ دليل على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل.

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ قال ابن عباس[1]: الجبت هنا حيي بن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف، وقال عمر بن الخطاب[2]: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان، وقيل: الجبت الكاهن، والطاغوت الساحر، وبالجملة هما كل ما عبد وأطيع من دون الله. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية سببها:[3] أن حيي بن أخطب وكعب ابن الأشرف أو غيرهما من اليهود قالوا لكفار قريش: أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ الهمزة للاستفهام مع الإنكار. ﴿نَقِيرًا﴾ النقير هو النقرة في ظهر النواة، وهو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء، والمراد وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك وأنهم حينئذ يبخلون بالنقير الذي هو

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٨/٤٦٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٣/٩٧٥ بسند ضعيف.
(٢) الطبري في جامع البيان رقم: (٥٤٣٤)، وفتح الباري: ٨/٢٥٢، قال: وإسناده قوي.
(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٨/٩٧٩٢ بسند ضعيف.

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥١﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٣﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٦﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٨﴾

ربع

أقل الأشياء ويبخلون بما هو أكثر منه من باب أولى.

﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ وصفهم بالحسد مع البخل والناس هنا يراد به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأمته، والفضل النبوءة، وقيل: النصر والعزة، وقيل: الناس العرب والفضل كون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ منهم. ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ المراد بآل إبراهيم ذريته من بني إسرائيل وغيرهم، ممن آتاه الله الكتب التي أنزلها والحكمة التي علمها، والمقصود بالآية الرد على اليهود في حسدهم لسيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ومعناها: إلزام لهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم فلأي شيء تخصون محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم؟ ﴿مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾ الملك في آل إبراهيم هو ملك يوسف وداود وسليمان.

﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ الآية قيل: المراد من اليهود من آمن بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أو بالقرآن المذكور في قوله تعالى ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم﴾ أو بما ذكر من حديث إبراهيم، فهذه ثلاثة أوجه في ضمير به، وقيل: منهم أي من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ومنهم من كفر، كقوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾.

﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم﴾ الآية، قيل: تبدل لهم جلود بعد جلود أخرى إذ نفوسهم هي المعذبة، وقيل: تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار، وقيل: الجلود

السرابيل وهو بعيد.

﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ذكر في البقرة ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ صفة من لفظ الظل للتأكيد أي دائما لا تنسخه الشمس، وقيل: نفي الحر والبرد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الآية، قيل: هي خطاب للولاة، وقيل: للنبي ﷺ حين أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة[1] ولفظها عام، وكذلك حكمها.

﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ هم الولاة، وقيل: العلماء ونزلت[2] في عبد الله بن حذافة[3] بعثه رسول الله ﷺ في سرية. ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الرد إلى الله هو النظر في كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو سؤاله في حياته والنظر في سنته بعد وفاته ﴿إِن كُنتُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الشرط راجعا إلى قوله: فردوه، أو إلى قوله: أطيعوا، والأول أظهر؛ لأنه أقرب إليه. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي مآلا وعاقبة، وقيل: أحسن نظرا منكم.

﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية نزلت في المنافقين، وقيل: في منافق ويهودي كان بينهما خصومة فتحاكما إلى كعب بن الأشرف اليهودي، وقيل: إلى كاهن.

﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر ليذمهم بالنفاق، ودل ذلك

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٨/٤٩١، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٣/٥٧٠، وابن كثير في تفسيره: ٢/٤١٠ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بسند ضعيف.

(٢) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٨٤)، ومسلم الحديث رقم: (١٨٤٣)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٦٢٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٦٧٢)، والطبري في جامع البيان: ٨/٤٩٧.

(٣) عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي القرشي، أبو حذافة: صحابي أسلم قديما، وبعثه النبي ﷺ إلى كسرى، وهاجر إلى الحبشة، وقيل: شهد بدرا، وأسره الروم في أيام عمر، ثم أطلقوه، وشهد فتح مصر، وتوفي بها في أيام عثمان، وكانت فيه دعابة، وله حديث، وعده الجمحي من شعراء مكة، ت: ٣٣هـ. الاستيعاب: ١/٢٦٨، والأعلام للزركلي: ٤/٧٨.

أَلَمْ تَرَ إِلَى اَ۬لذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمُۥٓ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَّتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى اَ۬لطَّٰغُوتِ
وَقَدُ اُمِرُوٓاْ أَن يَّكْفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ اُ۬لشَّيْطَٰنُ أَن يُّضِلَّهُمْ
ضَلَٰلاَۢ بَعِيداٗ ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَيٰ مَآ أَنزَلَ
اَ۬للَّهُ وَإِلَى اَ۬لرَّسُولِ رَأَيْتَ اَ۬لْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُوداٗ ﴿٦٠﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَ اَرَدْنَآ إِلَّآ
إِحْسَٰناٗ وَتَوْفِيقاً ﴿٦١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ اَ۬لذِينَ يَعْلَمُ اُ۬للَّهُ مَا
فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ
أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغاٗ ﴿٦٢﴾ • وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ اِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اِ۬للَّهِۖ وَلَوَ اَنَّهُمُۥٓ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ
جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اُ۬للَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اُ۬لرَّسُولُ
لَوَجَدُواْ اُ۬للَّهَ تَوَّاباٗ رَّحِيماٗ ﴿٦٣﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُومِنُونَ
حَتَّيٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ
فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجاٗ مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماٗ ﴿٦٤﴾

على أن الآية المتقدمة نزلت[1] في المنافقين.

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ الآية أي كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم. ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون هذا معطوفا على ما قبله، أو يكون معطوفا على قوله: ﴿يَصُدُّونَ﴾ ويكون قوله: فكيف إذا أصابتهم اعتراضا.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي عن معاقبتهم وليس المراد بالإعراض القطيعة لقوله: وعظهم.

﴿وَلَوَ اَنَّهُمُۥٓ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية، وعد بالمغفرة لمن استغفر، وفيه استدعاء للاستغفار والتوبة، ومعنى جاؤوك أتوك تائبين معتذرين من ذنوبهم يطلبون أن تستغفر لهم الله.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ لا هنا مؤكدة للنفي الذي بعدها. ﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي اختلط واختلفوا فيه، ومعنى الآية أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبي ﷺ، ونزلت بسبب[2] المنافقين الذين تخاصموا وقيل: بسبب خصام الزبير مع رجل من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٣/٩٩١، وله طرق يقوي بعضها بعضا.

(٢) قال ابن كثير: قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عبد الله بن لَهِيعة، عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب فقال رسول الله ﷺ: «انطلقا إليه» فلما أتيا إليه قال الرجل: يا ابن الخطاب، قضى لي رسول الله ﷺ على هذا، فقال: ردنا إلى عمر. فردنا إليك. فقال: أكذاك؟ فقال: نعم، فقال عمر: مَكَانَكُمَا حتى أخرج إليكما فأقضي=

الأنصار في الماء[١] وحكمها عام.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ معناها: لو فرض عليهم ما فرض على من كان قبلهم من المشقات لم يفعلوها لقلة انقيادهم إلا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقا، وقد روي[٢] أن من هؤلاء القليل: أبو بكر، وعمر، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وثابت بن قيس. ﴿إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ بالرفع بدل من المضمر وقرأ ابن عامر وحده بالنصب[٣] على أصل الاستثناء، أو على إلا فعلا قليلا. ﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من

= بينكما. فخرج إليهما مشتملا على سيفه، فضرب الذي قال رُدَّنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر فارا إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله قتل عُمَر والله صاحبي، ولولا أني أعجزتُه لقتلني، فقال رسول الله ﷺ: «ما كنت أظن أن يجترئ عُمَر على قتل مؤمن» فأنزل الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ الآية، فهدر دم ذلك الرجل، وبرئ عمر من قتله، فكره الله أن يسن ذلك بعد، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾. وكذا رواه ابن مَرْدُويه من طريق ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود به. وهو أثر غريب، وهو مرسل، وابن لهيعة ضعيف، والله أعلم. تفسير القرآن العظيم: ٢/٣٥١.

(١) صحيح عن عروة عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه حدثه: أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر فأبى عليه، فاختصما عند النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: (اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك). فغضب الأنصاري، فقال: أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: (اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر). فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ البخاري رقم: (٢٣٥٩)، ومسلم الحديث رقم: (٢٣٥٧)، والترمذي في سننه رقم: (١٣٦٣)، والطبري في جامع البيان: ٨/٩٩١٢

توضيح: (شراج) جمع شرج، وهو مسيل الماء من المرتفع إلى السهل، (الحرة): الأرض الصلبة، الغليظة ذات الحجارة السوداء، وفي المدينة حرتان. (سرح) أرسله وسيبه.

(٢) المحرر الوجيز: ٢/٩٠.

(٣) انظر النشر في القراآت العشر لابن الجزري: ٢/٢٥٠..

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن
دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن
لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾
وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم
مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ
أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن
مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن
لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ
فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ ربع
يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطاعته والانقياد له. ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ أي تحقيقا لإيمانهم.

﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم﴾ جواب لسؤال مقدر عن حالهم لو فعلوا ذلك.

﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ ثواب على الطاعة، أي هم معهم في الجنة، وهذه الآية مفسرة لقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ والصديق فعيل من الصدق ومن التصديق والمراد به المبالغة، والصديقون أرفع الناس درجة بعد الأنبياء. والشهداء: المقتولون في سبيل الله ومن جرى مجراهم من سائر الشهداء، كالغريق، وصاحب الهدم حسبما ورد في الحديث أنهم سبعة[1] ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ الإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة، والرفيق يقع على الواحد والجماعة كالخليط، وهو مفرد بين به الجنس، ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة التي ينال بها مرافقة هؤلاء.

﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ﴾ الإشارة إلى الثواب على الطاعة بمرافقة من ذكر في الجنة والفضل صفة أو خبر.

---

(١) روى مالك في الموطإ: الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد، الحديث رقم: (٥٥٤)، وأبو داود الحديث رقم: (٣١١١)، والنسائي في سننه: ٤/١٣، وابن ماجه في سننه رقم: (٢٧٠٣).

﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ أي تحرزوا من عدوكم واستعدوا له ﴿فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾ أي اخرجوا للجهاد جماعات متفرقين، وذلك كناية عن السرايا، وقيل: إن الثبتة ما فوق العشرة، ووزنها فعلة بفتح العين ولامها محذوفة. ﴿أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً﴾ أي مجتمعين في الجيش الكثيف فخيرهم في الخروج إلى الغزو في قلة أو كثرة.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ الخطاب للمؤمنين والمراد بمن المنافقين وعبر عنهم بمنكم إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين ويقولون آمنا واللام في ﴿لَمَن﴾ للتأكيد وفي ليبطئن جواب قسم محذوف ومعنى يبطئ غيره يثبطه عن الجهاد ويحمله على التخلف عن الغزو، وقيل: يبطئ يتخلف هو عن الغزو ويتثاقل. ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ أي قتل وهزيمة، والمعنى: أن المنافق تسره غيبته عن المؤمنين إذا هزموا، وشهيدا معناه حاضرا معهم.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي نصر وغنيمة، والمعنى أن المنافق يندم على ترك الغزو معهم إذا غنموا فيتمنى أن يكون معهم. ﴿كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ جملة اعتراض بين العامل ومعموله، فلا يجوز الوقف عليها، وهذه المودة في ظاهر المنافق لا في اعتقاده.

﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ أي يبيعون. ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ ذكر الحالتين للمقاتل ووعد بالأجر على كل واحدة منهما.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ تحريض على القتال وما مبتدأ والجار والمجرور خبر، ولا تقاتلون في موضع الحال، والمستضعفين هم الذين حبسهم مشركوا قريش بمكة ليفتنوهم عن الإسلام، وهو عطف على اسم الله أو مفعول معه. ﴿الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ هي مكة حين كانت للمشركين.

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وما بعده إخبار قصد به تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ
الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا (٧٤) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ
الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٥) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا
أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ
إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا
لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٦) ۞ أَيْنَمَا
تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ
عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا (٧٧) مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ
فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٨)

﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية، قيل: هي في قوم من الصحابة[1] كانوا قد أمروا بالكف عن القتال قبل أن يفرض الجهاد فتمنوا أن يؤمروا به فلما أمروا به كرهوه لا شكا في دينهم ولكن خوفا من الموت، وقيل: هي في المنافقين وهو أليق في سياق الكلام. ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ وما بعده تحقير للدنيا فتضمن الرد عليهم في كراهتهم للموت.

﴿فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ أي في حصون منيعة، وقيل: المشيدة المطولة، وقيل: المبنية بالشيد وهو الجص ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك من المحبوبات، والسيئة الهزيمة والجوع وشبه ذلك، والضمير في ﴿تُصِبْهُمْ﴾ وفي ﴿يَقُولُوا﴾ للذين قيل لهم كفوا أيديكم، وهذا يدل على أنها في المنافقين، لأن المؤمنين لا يقولون للنبي ﷺ: إن السيئات من عنده. ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ رد على من نسب السيئة إلى رسول الله ﷺ، وإعلام أن السيئة والحسنة والخير والشر من عند الله، أي بقضائه وقدره. ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ توبيخ لهم على قلة فهمهم.

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ خطاب

(١) النسائي في سننه الحديث رقم: (٣٠٨٦)، والطبري في جامع البيان: ٨/٥٤٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٣/١٠٠٥، وهو صحيح.

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ
عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ
مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا
﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا
فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ
أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي
الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾
فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ
عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا
وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ
نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا
بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

للنبي ﷺ والمراد به كل مخاطب على الإطلاق فدخل فيه غيره من الناس وفيه تأويلان:

أحدهما: نسبة الحسنة إلى الله والسيئة إلى العبد تأدبا مع الله في الكلام، وإن كان كل شيء منه في الحقيقة وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام: «والخير كله بيديك، والشر ليس إليك»[(١)] وأيضا فنسبة السيئة إلى العبد لأنها بسبب ذنوبه لقوله ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فهي من العبد بتسببه فيها، ومن الله بالخلق والاختراع.

والثاني: أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل، والتقدير: يقولون كذا فمعناها كمعنى التي قبلها.

﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ هذه الآية من فضائل رسول الله ﷺ، وإنما كانت طاعته كطاعة الله لأنه يأمر وينهى عن الله ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي من أعرض عن طاعتك فما أنت عليه بحفيظ تحفظ أعماله، بل حسابه وجزاؤه على الله، وفي هذا متاركة وموادعة منسوخة بالقتال.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أي أمرنا وشأننا طاعة لك وهي في المنافقين بإجماع ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ بيت أي تدبر الأمر بالليل، والضمير في تقول

---

(١) مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٢٩٠)، وأبو داود الحديث رقم: (٦٤٩)، والترمذي الحديث رقم: (٣٣٤٤)، والنسائي الحديث رقم: (٨٨٧).

للمخاطب وهو النبي ﷺ أو للطائفة ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي لا تعاقبهم.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ حض على التفكر في معانيه لتظهر أدلته وبراهينه ﴿اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ أي تناقضا كما في كلام البشر، أو تفاوتا في الفصاحة لكن القرآن منزه عن ذلك فدل على أنه كلام الله، وإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافا في شيء من القرآن فالواجب أن يتهم نظره ويسأل أهل العلم ويطالع تآليفهم حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ﴾ قيل: هم المنافقون، وقيل: قوم من ضعفاء المسلمين، كانوا إذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش أو غير ذلك أذاعوا به أي تكلموا به وشهروه قبل أن يعلموا صحته، وكان في إذاعتهم له مفسدة على المسلمين مع ما في ذلك من العجلة وقلة التثبت فأنكر الله ذلك عليهم.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي لو ترك هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذي بلغهم وردوه إلى رسول الله ﷺ وإلى أولي الأمر وهم كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم لعلمه القوم الذين يستنبطونه، أي يستخرجونه من الرسول وأولي الأمر، فالذين يستنبطونه على هذا طائفة من المسلمين يسألون عنه الرسول ﷺ وأولي الأمر.

وحرف الجر في قوله يستبطونه منهم لابتداء الغاية، وهو يتعلق بالفعل، والضمير المجرور يعود على الرسول وأولي الأمر، وقيل: ﴿الَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ هم أولو الأمر كما جاء في الحديث عن عمر رضي الله عنه: أنه سمع أن رسول الله ﷺ طلق نساءه فدخل عليه فقال: «أطلقت نساءك»؟ فقال: لا، فقام على باب المسجد فقال: «إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه فأنزل الله هذه القصة» قال: وأنا الذي استنبطته[1]، فعلى هذا يستنبطونه هم أولو الأمر، والضمير المجرور يعود

(١) جزء من حديث طويل يرويه ابن عباس أخرجه البخاري في صحيحه: الحديث رقم: (٧٩)،=

عليهم ومنهم لبيان الجنس، واستنباطه على هذا هو سؤالهم عنه النبي ﷺ، أو بالنظر والبحث، واستنباطه على التأويل الأول هو سؤال الذين أذاعوه للرسول عليه الصلاة والسلام ولأولي الأمر. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي هداه وتوفيقه أو بعثه للرسل وإنزاله للكتب، والخطاب في هذه الآية للمؤمنين. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي إلا اتباعا قليلا فالاستثناء من المصدر، والمعنى لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا في أمور قليلة كنتم لا تتبعونه فيها، وقيل: إنه استثناء من الفاعل في اتبعتم أي إلا قليلا منكم، وهو الذي يقتضيه اللفظ، وهم الذين كانوا قبل الإسلام غير متبعين للشيطان، كورقة بن نوفل، والفضل والرحمة على هذا: بعث الرسول وإنزال الكتاب، وقيل: إن الاستثناء من قوله ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾.

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ لما تثاقل بعض الناس عن القتال قيل هذا للنبي ﷺ، أي إن أفردوك فقاتل وحدك فإنما عليك ذلك. ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ليس عليك في شأن المؤمنين إلا التحريض ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قيل: عسى من الله واجبة والذين كفروا هنا قريش، وقد كفهم الله بهزيمتهم في بدر وغيرها وبفتح مكة ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي عقابا وعذابا.

﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ هي الشفاعة في مسلم لتفرج عنه كربة، أو تدفع مظلمة، أو يجلب إليه. خيرا، والشفاعة السيئة: بخلاف ذلك، وقيل: الشفاعة الحسنة هي الطاعة والشفاعة السيئة هي المعصية، والأول أظهر، والكفل هو النصيب ﴿مُّقِيتًا﴾ قيل: قديرا، وقيل: حفيظا، وقيل: الذي يقيت الحيوان أي يرزقهم القوت.

﴿فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ معنى ذلك الأمر برد السلام والتخيير بين أن يرد بمثل ما سلم عليه أو بأحسن منه، والأحسن أفضل مثل أن يقال له: سلام عليك،

= ومسلم الحديث رقم: (١٤٧٩)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٤٦١)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٥٢٠١)، وابن حبان في صحيحه رقم: (٤٢٦٨).

حزب

• اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

فيرد السلام ويزيد الرحمة، أو يزيد الرحمة والبركة، ورد السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعي، وقال بعض الناس: هو فرض عين، واختلف في الرد على الكفار، فقيل: يرد عليهم لعموم الآية، وقيل: لا يرد عليهم، وقيل: يقال لهم عليكم، حسبما جاء في الحديث[(١)] وهو مذهب مالك ولا يبتدؤون بالسلام.

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ جواب قسم محذوف وتضمن معنى الحشر ولذلك تعدى بإلى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ لفظه استفهام ومعناه لا أحد أصدق من الله.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ ما استفهامية بمعنى التوبيخ والخطاب للمسلمين، ومعنى فئتين أي طائفتين مختلفتين وهو منصوب على الحال، والمراد بالمنافقين هنا ما قال ابن عباس[(٢)] إنها نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات فاختلف المسلمون: هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتهم لأنهم لم يهاجروا أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنون؟ وقال زيد بن ثابت[(٣)]: نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٦٢٥٨)، ومسلم في صحيحه (٢١٦٣)، وأبو داود في سننه: ٥٢٠٧)، والترمذي في سننه: (٣٣٠١)، وابن ماجه في سننه: (٣٦٩٧)، وابن حبان في صحيحه: (٥٠٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٥٣/٣ بسند ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٨٨٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٣٨٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٢٨).

أحد فاختلف الصحابة في أمرهم، ويرد هذا قوله: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ ﴿أَرْكَسَهُم﴾ أي أضلهم وأهلكهم.

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ الضمير للمنافقين أي تمنوا أن تكفروا ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ يريد به الأسر ﴿إِلاَّ ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ الآية استثناء من قوله: فخذوهم واقتلوهم، ومعناها أن من وصل من الكفار غير المعاهدين إلى الكفار المعاهدين وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهد ومهادنة، فحكمه كحكمهم في المسالمة وترك قتاله، وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخ بالقتال في أول سورة براءة، قال السهيلي وغيره:

﴿ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ هم بنو مدلج بن كنانة ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ بنو خزاعة فدخل بنو مدلج في صلح خزاعة مع رسول الله ﷺ، فمعنى ﴿ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ ينتهون إليهم ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة، وقيل: معنى يصلون أي ينتسبون، وهذا ضعيف جدا بدليل قتال رسول الله ﷺ لقريش وهم أقاربه وأقارب المؤمنين، فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين؟ ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ عطف على يصلون أو على صفة قوم وهي ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ والمعنى يختلف على ذلك، والأول أظهر و﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ في موضع الحال بدليل قراءة يعقوب[1] ﴿حصرة﴾، ومعناه ضاقت عن القتال وكرهته، ونزلت الآية[2] في قوم جاؤوا إلى المسلمين وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين، وكرهوا أيضا أن يقاتلوا قومهم وهم أقاربهم الكفار، فأمر الله بالكف عنهم ثم نسخ أيضا ذلك بالقتال ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ أي إن سالموكم فلا تقاتلوهم، والسلم هنا الانقياد.

---

(١) ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ قرأ يعقوب بنصب التاء منونا ﴿حصرة﴾ وهو على أصله في الوقف عليه بالهاء. النشر: ٢/٢٥١..

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في ابن كثير: ٢/٤٤٨ بسند ضعيف.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ۞ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

ثمن

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ الآية نزلت[1] في قوم مخادعين وهم من أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا من المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا ليأمنوا قومهم، والفتنة هنا: الكفر على الأظهر، وقيل: الاختبار.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إلاَّ خَطَئاً﴾ نزلت بسبب[2] قتل عياش بن ربيعة للحارث بن زيد، وكان الحارث يعذبه على الإسلام ثم أسلم وهاجر ولم يعلم عياش بإسلامه فقتله، وقيل: إن الاستثناء هنا منقطع والمعنى: لا يحل لمؤمن أن يقتل مؤمنا بوجه، لكن الخطأ قد يقع، والصحيح أنه متصل، والمعنى: لا ينبغي لمؤمن ولا يليق به أن يقتل مؤمنا إلا على وجه الخطإ من غير قصد ولا تعمد؛ إذ هو مغلوب فيه، وانتصاب خطئا على أنه مفعول من أجله أو حال أو صفة لمصدر محذوف ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ﴾ هذا بيان ما يجب على القاتل خطئا، فأوجب الله عليه التحرير والدية، فأما التحرير: ففي مال القاتل، وأما الدية: ففي مال عاقلته، وجاء ذلك عن النبي ﷺ[3] وبيان للآية؛ إذ لفظها يحتمل ذلك

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (١٠٠٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٢٩/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٣١/٣، والطبري في جامع البيان رقم: (١٠٠٩١) بأسانيد يقوي بعضها بعضا.

(٣) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٥٧٥٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٦٨١)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٥٧٦)، وابن ماجه في سننه رقم: (٢٦٣٩).

أو غيره، وأجمع الفقهاء عليه، واشترط مالك في الرقبة التي تعتق أن تكون مؤمنة، ليس فيها عقد من عقود الحرية، سالمة من العيوب، فأما إيمانها فنص هنا، ولذلك أجمع العلماء عليه هنا، واختلفوا في رقبة الظهار وكفارة اليمين، وأما سلامتها من عقود الحرية فيظهر من قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ لأن ظاهره أنه ابتداء عتق عند التكفير بها، وأما سلامتها من العيب: فزعموا أن إطلاق الرقبة يقتضيه، وفي ذلك نظر، ولم يبين في الآية مقدار الدية، وهي عند مالك: مائة من الإبل على أهل الإبل، وألف دينار شرعية على أهل الذهب، واثنا عشر ألف درهم شرعية على أهل الورق، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب[1] ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ أي مدفوعة إليهم والأهل هنا الورثة، واختلف في مدة تسليمها، فقيل: هي حالة عليهم، وقيل: يؤدونها في ثلاث سنين، وقيل: في أربع، ولفظ التسليم مطلق وهو أظهر في الحلول لولا ما جاء من السنة في ذلك[2] ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ الضمير يعود على أولياء المقتول، أي إذا أسقطوا الدية سقطت، وإذا أسقطها المقتول سقطت أيضا عند مالك والجمهور، خلافا لأهل الظاهر، وحجتهم عود الضمير على الأولياء، وقال الجمهور: إنما هذا إذا لم يسقطها المقتول.

---

(١) أخرج أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كانت قيمة الدية على عهد رسول الله ﷺ ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم، ودية أهل الكتاب يومئذ النصف من دية المسلمين، وكان ذلك كذلك حتى استخلف عمر، فقام خطيبا فقال: إن الإبل قد غلت ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق اثني عشر ألفا وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاء ألفي شاة، وعلى أهل الحلل مائتي حلة، وترك دية أهل الذمة لم يرفعها فيما رفع من الدية. رواه أبو داود الحديث رقم: (٤٥٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى: ٨/٧٧، والمحلى لابن حزم: ٨/٧٧، وحسن الألباني إسناده في الإرواء: ٧/٣٠٥.

(٢) لم نعثر على أحاديث في الموضوع، قال الترمذي: وقد أجمع أهل العلم على أن الدية تؤخذ من ثلاث سنين، في كل سنة ثلث الدية الترمذي: ٤/١٠، وقال ابن العربي ما ملخصه: إن الدية على العاقلة في ثلاثة أعوام، على ما قضاه عمر وعلي، وكان النبي ﷺ يعطيها دفعة لأغراض، مِنْهَا: أَنَّهُ كَانَ يُعْطِيهَا صُلْحًا وَتَسْدِيدًا. وَمِنْهَا: أَنَّهُ كَانَ يُعَجِّلُهَا تَأْلِيفًا، فَلَمَّا وُجِدَ الْإِسْلَامُ قَرَّرَتْهَا الصَّحَابَةُ عَلَى هَذَا النِّظَامِ. ٢/٤٤٠.

﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ معنى الآية أن المقتول خطئا إن كان مؤمنا وقومه كفارا أعداء وهم المحاربون، فإنما في قتله التحرير خاصة دون الدية فلا تدفع لهم لئلا يتقووا بها على المسلمين، ورأى ابن عباس[1] أن ذلك إنما هو فيمن آمن وبقي في دار الحرب لم يهاجر، وخالفه غيره، ورأى مالك أن الدية في هذا لبيت المال، فالآية عنده منسوخة ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ الآية معناها أن المقتول خطئا إن كان قومه كفارا معاهدين ففي قتله تحرير رقبة والدية إلى أهله لأجل معاهدتهم، والمقتول على هذا مؤمن، ولذلك قال مالك: لا كفارة في قتل الذمي، وقيل: إن المقتول في هذه الآية كافر فعلى هذا تجب الكفارة في قتل الذمي، وقيل: هي عامة في المؤمن والكافر، ولفظ الآية مطلق إلا أن قيده قوله وهو مؤمن في الآية التي قبلها وقرأ الحسن هنا وهو مؤمن ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أي من لم يجد العتق ولم يقدر عليه فصيام الشهرين المتتابعين عوض منه ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدرية ومعناه رحمة منه وتخفيفا.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ الآية نزلت بسبب مقيس بن صبابة كان قد أخذ دية أخيه هشام المقتول خطئا ثم قتل رجلا من القوم الذين قتلوا أخاه وارتد مشركا، فأمر رسول الله ﷺ بقتله[2].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (١٠١١٣) عن ابن عباس بإسناد حسن.

(٢) الطبري في جامع البيان رقم: (١٠١٨٦)، وابن أبي حاتم بإسناد ضعيف إلى عكرمة وسعيد بن جبير، وقال الخازن: نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك فأرسل رسول الله ﷺ رجلاً من بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صبابة أن تدفعوه إلى أخيه مقيس فيقتص منه وإن لم تعلموه ادفعوا إليه ديته، فبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعاً وطاعة لله ولرسوله، ما نعلم له قاتلاً ولكن نؤدي إليه ديته فأعطوه مائة من الإبل، فانصرفا راجعين نحو المدينة، فأتى الشيطان مقيساً فوسوس إليه، فقال له: تقبل دية=

والمتعمد عند الجمهور: هو الذي يقصد القتل بحديدة أو حجر أو عصا أو غير ذلك، وهذه الآية معطلة على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول لا يخلد عصاة المؤمنين في النار، واحتج بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة في النار لقوله: ﴿خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ وتأولها الأشعرية بأربعة أوجه:

أحدها: أن قالوا إنها في الكافر إذا قتل مؤمنا

والثاني: قالوا معنى المتعمد هنا المستحل للقتل وذلك يؤول إلى الكفر.

والثالث: قالوا الخلود فيها ليس بمعنى الدوام الأبدي وإنما هو عبارة عن طول المدة.

والرابع: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

وأما المعتزلة: فحملوها على ظاهرها ورأوا أنها ناسخة لقوله ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ واحتجوا على ذلك بقول زيد بن ثابت[1]: نزلت الشديدة بعد الهينة، وبقول ابن عباس[2]: الشرك والقتل من مات عليهما خلد، وبقول رسول الله

= أخيك لتكون عليك سبة، أقتل الفهري الذي معك فتكون نفس (مكان أخيك) وأفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيراً من الإبل وساق بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً، وقال في ذلك:

قتلت به فهراً وحملت عقله ... سراة بني النجار أرباب فارع

وأدركت ثاري واضطجعت موسداً ... وكنت إلى الأصنام أول راجع

فنزلت فيه ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾ يعني قاصداً لقتله ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ يعني بكفره وارتداده، وهو الذي استثناه النبي ﷺ يوم فتح مكة عمن أمنه من أهلها، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة. ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ يعني لأجل كفره وقتله المؤمن متعمداً ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ يعني طرده عن رحمته. لباب التأويل: ١/٥٧٦، وانظر زاد المسير: ٢/١٦٦..

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٥/١٦٥، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ، ص: ٢٦٧، والبخاري في التاريخ: ٧/٥٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٣/١٠٣٧ بسند صحيح بشواهده.

(٢) معناه صحيح عن ابن عباس أخرجه الطبري في جامع البيان: ٩/٩٧، وقد جاءت آثار كثيرة عن ابن عباس تفيد أن قاتل المؤمن عمدا لا توبة له. انظر الدر المنثور: ٢/٦٢٣.

ﷺ: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا، أو الرجل يقتل المؤمن متعمدا»[١] وتقتضي الآية وهذه الآثار أن للقتل حكما يخصه من بين سائر المعاصي، واختلف الناس في القاتل عمدا إذا تاب هل تقبل توبته أم لا؟ وكذلك حكى ابن رشد الخلاف في القاتل إذا اقتص منه هل يسقط عنه العقاب في الآخرة أم لا؟ والصحيح أنه يسقط عنه لقول رسول الله ﷺ: «من أصاب ذنبا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة»[٢] وبذاك قال جمهور العلماء.

﴿ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي سافرتم في الجهاد ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من البيان وقرئ[٣] بالثاء المثلثة من الثبات، والتفعل فيها بمعنى الاستفعال، أي اطلبوا بيان الأمر وثبوته ﴿أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ بغير ألف[٤] أي انقاد وألقى بيده، وقرئ السلام بمعنى التحية ونزلت[٥] في سرية لقيت رجلا فسلم عليهم وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فحمل عليه أحدهم فقتله فشق ذلك على رسول الله ﷺ، وكان القاتل محلم بن جثامة[٦] والمقتول ....

(١) أبو داود الحديث رقم: (٣٧٢٤)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٣٩١٩)، وأحمد: ٤/٩٩، والحاكم: ٤/٣٥١ قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (٥١١)..

(٢) البخاري الحديث رقم: (١٨) كتاب الإيمان ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٧٠٩)، والترمذي في سننه: ١٤٣٩)، والنسائي في سننه: ٧/١٤١..

(٣) ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ الموضعين هنا وفي الحجرات فقرأ حمزة والكسائي وخلف في الثلاثة ﴿فتثبتوا﴾ من التثبت وقرأ الباقون في الثلاثة من التبين. النشر: ٢/٢٨٤..

(٤) ﴿أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ﴾ قرأ المدنيان وابن عامر حمزة وخلف بحذف ألف ﴿السلام﴾ وقرأ الباقون بإثباتها. النشر: ٢/٢٨٤.

(٥) أخرجه أحمد: ٦/١١، والطبري في جامع البيان رقم: (١٠٢١٢)، والواحدي في أسباب النزول، ص: ١٤٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٣/١٠٤٠ بسند حسن.

(٦) واسمه يزيد بن قيس، بن ربيعة، بن عبد الله، بن يعمر الشداخ،... الكناني الليثي أخو الصعب بن جثامة، وذكر الطبري: أن محلم بن جثامة توفي في حياة النبي ﷺ فدفنوه فلفظته الأرض مرة بعد أخرى فأمر به فألقي بين جبلين وجعل عليه حجارة وقال رسول الله ﷺ:=

عامر بن الأضبط[١]، وقيل: القاتل أسامة بن زيد[٢] والمقتول مرداس بن نهيك[٣] ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ يعني الغنيمة، وكان للرجل المقتول غنم ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ وعد وتزهيد في غنيمة من أظهر الإسلام ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ قيل: معناه كنتم كفارا فهداكم الله للإسلام، وقيل: كنتم تخفون إيمانكم من قومكم ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالعزة والنصر حتى أظهرتموه.

﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية معناها تفضيل المجاهدين على

= إن الأرض لتقبل من هو شر منه ولكن الله أراد أن يريكم آية في قتل المؤمن، قال أبو عمر: وقد قيل: إن هذا ليس محلم بن جثامة فإن محلما نزل حمص ومات بها في أيام ابن الزبير، أسد الغابة: ٩٧٨/١، والإصابة: ٧٨٥/٥.

(١) عامر بن الأضبط الأشجعي.. هو الذي قتلته سرية رسول الله ﷺ يظنونه متعوذاً يقول لا إله إلا الله فوداه رسول الله ﷺ وقال لقاتله قولاً عظيماً وقال: «فهلا شققت عن قلبه» الاستيعاب: ٢٣٧/١..

(٢) أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد: صحابي جليل. ولد بمكة، ونشأ على الإسلام (لأن أباه كان من أول الناس إسلاما) وكان رسول الله ﷺ يحبه حبا جما، وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين. وهاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة، وأمره رسول الله، قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مظفرا موفقا. ولما توفي رسول الله رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن، المزة، وعاد إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات بالجرف، في آخر خلافة معاوية. سنة: ٥٤هـ. الاستيعاب: ٢٤/١، والأعلام: ٢٩١/١.

(٣) مرداس بن نهيك الفزاري، فيه نزلت: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ الآية كان يرعى غنماً له فهجمت عليه سرية رسول الله ﷺ وفيها أسامة ابن زيد وأميرها سلمة بن الأكوع، فلقيه أسامة وألقى إليه السلام وقال: السلام عليكم أنا مؤمن فحسب أسامة أنه ألقى إليه السلام متعوذاً فقتله فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ الآية... فرفع رسول الله ﷺ رأسه إلى أسامة فقال له: «كيف أنت ولا إله إلا الله» فقال: يا رسول الله، إنما قالها متعوذاً. فقال رسول الله ﷺ: «هلا شققت عن قلبه، فنظرت إليه» الاستيعاب: ٤٣٣/١.

لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ
قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾
ربع ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً
وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن
يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

من لم يجاهد وهم القاعدون

﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ لما نزلت الآية[١] قام ابن أم مكتوم الأعمى فقال يا رسول الله هل من رخصة فإني ضرير البصر؟ فنزل ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ وقرئ[٢] غير بالحركات الثلاث بالرفع صفة للقاعدين وبالنصب على الاستثناء أو الحال وبالخفض صفة للمؤمنين ﴿دَرَجَةً﴾ قيل: هي تفضيل على القاعدين من أهل العذر والدرجات على القاعدين بغير عذر، وقيل: إن الدرجات مبالغة وتأكيد الدرجة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿أَجْرًا﴾ منصوب على الحال من درجات أو المصدرية من معنى فضل، وانتصب درجات على البدل من الأجر أو بفعل مضمر، وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعل، أي غفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآية نزلت[٣] في قوم أسلموا بمكة ولم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٩٥٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٣٢)، والنسائي في تفسيره: ٣٩٩/١، والطبري في جامع البيان رقم: (١٠٢٤١)، والطحاوي في مشكل الآثار: ١٤٩٦/٤.

(٢) ﴿غَيْرُ أُو۟لِى﴾ قرأ المدنيان وابن عامر والكسائي وخلف بنصب الراء، وقرأ الباقون برفعها. النشر: ٢٨٤/٢، وقال ابن عطية: وقرأ الأعمش وأبو حيوة غير بكسر الراء. المحرر الوجيز: ١١٥/٢..

(٣) البخاري في صحيحه رقم: (٤٥٩٦)، والنسائي في تفسيره: ٤٠١/١، والطبري في جامع البيان رقم: (١٠٢٥٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٤٥/٣)، والطبراني في المعجم الكبير رقم: (١١٥٠٥).

يهاجروا، فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار فقتلوا، منهم: قيس بن الفاكه، والحارث بن زمعة، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أمية بن خلف، ويحتمل أن يكون توفاهم ماضيا أو مضارعا، وانتصب ظالمي على الحال ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟.

﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ اعتذار عن التوبيخ الذي ويخهم به الملائكة، أي لا نقدر على الهجرة، وكان اعتذارا بالباطل ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ رد عليهم وتكذيب لهم في اعتذارهم.

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي الذين كان استضعافهم حقا، قال ابن عباس[١]: كنت أنا وأبي وأمي ممن عنى الله بهذه الآية:

﴿مُرَاغَمًا﴾ أي متحولا وموضعا يرغم عدوه بالذهاب إليه ﴿وَسَعَةً﴾ أي اتساع في الأرض، وقيل: في الرزق ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي ثبت وصح ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾ الآية حكمها على العموم، ونزلت في ضمرة بن القيس[٢] وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضا فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة، قال: أخرجوني، فهيئ له فراش فوضع عليه وخرج فمات في الطريق، وقيل: نزلت في خالد بن حزام[٣] فإنه هاجر إلى أرض الحبشة فنهشته حية في الطريق فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ

---

(١) صحيح دون قوله: وأبي، أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٥٨٨)، وعبد الرزاق في تفسيره: ١/١٧٢، والطبري في جامع البيان، رقم: (١٠٢٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٣/١٠٤٧).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ٥/٨١، والطبراني في الكبير رقم: (١١٧٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٣/١٠٥ بإسناد حسن بطرقه.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٣/١٠٥٠) قال ابن كثير في تفسيره: ٢/٤٧٤، وهذا الأثر غريب جدا، فإن هذه القصة مكية، والآية مدنية.

﴿خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ اختلف العلماء في تأوليها على خمسة أقوال:

أولها: أنها في قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين في السفر ولذلك لا يجوز إلا في حال الخوف على ظاهر الآية، وهو قول عائشة[(١)] وعثمان[(٢)] رضي الله عنهما.

الثاني: أن الآية تقتضي ذلك ولكن يؤخذ القصر في السفر دون الخوف من السنة، ويؤيد هذا حديث يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب إن الله يقول: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ وقد أمن الناس فقال: عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته[(٣)] وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قصر في السفر وهو آمن[(٤)].

الثالث: أن قوله ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ راجع إلى قوله ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ الآية التي بعد ذلك، والواو زائدة، وهذا بعيد.

الرابع: أنها في صلاة الخوف على قول من يرى أن تصلي كل طائفة ركعة خاصة، قال ابن عباس[(٥)]: فرضت الصلاة في الحضر أربعا، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (١٠٣١٧)... سمعت عائشة تقول في السفر: أتموا صلاتكم... إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في حرب، وكان يخاف، هل تخافون أنتم. وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه الطحاوي في المعاني: ١/٤٢٦، ومن طريقه ابن حزم في المحلى: ٥/٢، والبيهقي في الكبرى بإسناد حسن، أما السند إلى عثمان فصحيح بمنع الصلاة في غير حال الخوف. المحلى: ٥/٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٦٨٦)، وأبو داود الحديث رقم: (١١٩٩)، والترمذي في سننه رقم: (٣٠٣٤)، والنسائي في سننه: ٣/١١٦، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (١٠٦٥)، والمسند: ١/٢٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٠٨٣)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٦٩٦، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (١٩٦٥)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٨٨٢).

(٥) رواه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٦٨٧)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (١٢٤٧)، والنسائي في سننه: ١/٢٢٦، وابن ماجه الحديث رقم: (١٠٦٨).

الخامس: أنها في صلاة المسايفة فالقصر على هذا هو من هيأة الصلاة كقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ وإذا قلنا إنها في القصر في السفر فظاهرها أن القصر رخصة والإتمام أفضل وهو مذهب الشافعي، وقال مالك: القصر أفضل وقيل: إنهما سواء، وأوجب أبو حنيفة القصر.

وليس في لفظ الآية ما يدل على مقدار المسافة التي يقصر فيها؛ لأن قوله ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ معناه السفر مطلقا، ولذلك أجاز الظاهرية القصر في كل سفر طويل أو قصير، ومذهب مالك والشافعي أن مسافة القصر ثمانية وأربعون ميلا، واحتجوا بآثار عن ابن عمر[(١)] وابن عباس[(٢)].

وكذلك ليس في الآية ما يدل على تخصيص القصر بسفر القربة أو السفر المباح دون سفر المعصية، فإن لفظها مطلق في السفر ولذلك أجاز أبو حنيفة القصر في سفر القربة وفي المباح وفي سفر المعصية، ومنعه مالك في سفر المعصية ومنعه ابن حنبل في المعصية وفي المباح، وللقصر أحكام لا تتعلق بالآية فأضربنا عن ذكرها، والمراد بالفتنة في هذه الآية القتال أو التعرض بما يكره.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ الآية في صلاة الخوف وظاهرها يقتضي أنها لا تصلى بعد رسول الله ﷺ لأنه شرط كونه فيهم وبذلك قال أبو يوسف وأجازها الجمهور بعده ﷺ لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أمته وقد فعلها الصحابة بعده ﷺ، واختلف الناس في صلاة الخوف على عشرة أقوال لاختلاف الأحاديث فيها، ولسنا نضطر إلى ذكرها فإن تفسيرها لا يتوقف على ذلك، وكانت صلاة رسول الله ﷺ لصلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع[(٣)] ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف: ٢/٥٢٥، وهو صحيح، والاستذكار: ٢/٢٣٥.

(٢) ابن أبي شيبة في المصنف: ٢/٥٢٨، ومن طريقه أخرجه ابن حزم بسند صحيح: ٥/٥.

(٣) أبو داود في سننه الحديث رقم: (١٢٣٦)، وأحمد: ٤/٥٩، وعبد الرزاق في المصنف: ٢/٥٠٥، والحاكم: ١/٣٣٧ بأسانيد صحيحة، والطبري في جامع البيان: ٩/١٣١.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ
مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةًۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْۖ
وَخُذُواْ حِذْرَكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ
فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ۞ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ ثمن
بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

﴿مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ يقسم الإمام المسلمين على طائفتين فيصلي بالأولى نصف الصلاة وتقف الأخرى تحرس ثم يصلي بالثانية بقية الصلاة وتقف الأولى تحرس، واختلف هل تتم كل طائفة صلاتها وهو مذهب الجمهور أم لا؟ وعلى القول بالإتمام اختلف هل يتمونها في أثر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك؟ ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ اختلفوا في المأمور بأخذ الأسلحة فقيل: الطائفة المصلية، وقيل: الحارسة، والأول أرجح؛ لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ويدل ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم في الصلاة جاز لهم أن يقاتلوا من قاتلهم وإلا لم يكن لأخذ الأسلحة معنى إذا لم يدفعوا بها من قاتلهم ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ الضمير في قوله فإذا سجدوا للمصلين والمعنى إذا سجدوا معك في الركعة الأولى، وقيل: إذا سجدوا في ركعة القضاء والضمير في قوله:

﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحتمل أن يكون للذين سجدوا: أي إذا سجدوا فليقوموا وليرجعوا وراءكم، وعلى هذا إن كان السجود الركعة الأولى فيقتضي ذلك أنهم يقومون للحراسة بعد انقضاء الركعة الأولى، ثم يحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقية صلاتهم أو لا يقضونها، وإن كان السجود ركعة القضاء فيقتضي ذلك أنهم لا يقومون للحراسة إلا بعد القضاء، وهو مذهب مالك والشافعي، ويحتمل أن يكون الضمير في قوله: ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ للطائفة الأخرى، أي يقفوا وراء المصلين

يحرسونهم ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾ يعني الطائفة الحارسة ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية إخبار عما جرى في غزوة ذات الرقاع من عزم الكفار على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم، فنزل جبريل على النبي ﷺ وأخبره بذلك وشرعت صلاة الخوف[1] حذرا من الكفار، وفي قوله ﴿مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ مبالغة، أي مستأصلة لا يحتاج معها إلى ثانية.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ الآية نزلت بسبب عبد الرحمن ابن عوف[2] كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس، فرخص الله في وضع السلاح في حال المرض والمطر، ويقاس عليهما كل عذر يحدث في ذلك الوقت.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ إن قيل: كيف طابق الأمر بالحذر للعذاب المهين؟ فالجواب: أن الأمر بالحذر من العدو يقتضي توهم قوتهم وعزتهم فنفى ذلك الوهم بالإخبار أن الله يهينهم ولا ينصرهم لتقوى قلوب المؤمنين، قال ذلك الزمخشري، وإنما يصح ذلك إذا كان العذاب المهين في الدنيا، والأظهر أنه في الآخرة.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية أي إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله بألسنتكم، وذكر القيام والقعود على الجنوب ليعم جميع أحوال الإنسان، وقيل: المعنى إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قياما فإن لم تقدروا فقعودا فإن لم تقدروا فعلى جنوبكم.

﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة ﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ أي محدودا بالأوقات، وقال

---

(١) سبق تخريجه في الذي قبله.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٩٩)، والنسائي في تفسيره: ١/٤٠٤، والحاكم في المستدرك: ٢/٣٠٨، والطبري رقم: (١٠٣٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٠٥٨.

ابن عباس[١]: فرضا مفروضا.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي لا تضعفوا في طلب الكفار ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾ الآية معناها إن أصابكم ألم من القتال فكذلك يصيب الكفار ألم مثله، ومع ذلك فإنكم ترجون إذا قاتلتموهم النصر في الدنيا والأجر في الآخرة، وذلك تشجيع للمسلمين.

﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ يحتمل أن يريد بالوحي، أو بالاجتهاد، أو بهما، وإذا تضمنت الاجتهاد ففيها دليل على إثبات النظر والقياس، خلافا لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم.

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ نزلت هذه الآية[٢] وما بعدها في قصة طعمة ابن الأبيرق، إذ سرق طعاما وسلاحا لبعض الأنصار، وجاء قومه إلى النبي ﷺ وقالوا: إنه بريء ونسبوا السرقة إلى غيره، وظن رسول الله ﷺ أنهم صادقون، فجادل عنهم ليدفع ما نسب إليهم حتى نزل القرآن فافتضحوا، فالخائنون في الآية هم السراق بنو الأبيرق، وقال السهيلي: هم بشر وبشير ومبشر وأسيد، ومعناها لا تكن لأجل الخائنين مخاصما لغيرهم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٥٧/٤، والطبري في جامع البيان رقم: (١٠٣٩٥) بسند حسن.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه رقم: (٣٠٣٦)، والطبري في جامع البيان رقم: (١٠٤١١)، وابن كثير: ٤٩٣/٢، والحاكم في المستدرك: كان بشير: رجلا منافقا يقول الشعر يهجو به أصحاب النبي ﷺ، ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب النبي ﷺ قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث... فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية فأنزل الله ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ وهذا الحديث حسنه الألباني في صحيح الترمذي: ٤٢/٣.

وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّاناً أَثِيماً ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ
اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً
رَّحِيماً ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً
ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴿١١٣﴾

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي من خصامك عن الخائنين على أنه صلى الله عليه وسلم إنما تكلم على الظاهر، وهو يعتقد براءتهم.

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ أي يدبرون ليلا وإنما سمى التدبير قولا لأنه كلام النفس، وربما كان معه كلام باللسان.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً﴾ قيل: إن الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلا عن عمد، وقيل: هما بمعنى، وكرر لاختلاف اللفظ ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً﴾ كان القوم قد نسبوا السرقة إلى لبيد بن سهل.

﴿لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ هم الذين جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأبرؤوا ابن الأبيرق من السرقة، وهذه الآية وإن كانت إنما نزلت بسبب هذه القصة فهي أيضا تتضمن أحكام غيرها، وبقية الآية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتقرير لنعم الله عليه.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ إن كانت النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي فالاستثناء الذي بعد هذا منقطع، وقد يكون متصلا على حذف مضاف تقديره: إلا نجوى من أمر، وإن كانت النجوى بمعنى الجماعة فالاستثناء متصل.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ أي يعاديه والشقاق هو العداوة، ونزلت الآية[1] بسبب ابن الأبيرق؛ لأنه ارتد وسار إلى المشركين ومات على الكفر، وهي عامة

(١) سبق تخريجه قريبا.

ربع

۞ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا
إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ
اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾
وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ
ءَاذَانَ الْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن
يَتَّخِذِ الشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

فيه وفي غيره ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استدل الأصوليون بهذا على صحة إجماع المسلمين وأنه لا يجوز مخالفته لأن من خالفه اتبع غير سبيل المؤمنين، وفي ذلك نظر ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ أي نتركه مع اختياره الفاسد.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ قد تقدم الكلام على نظيرتها.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَٰثًا﴾ الضمير في يدعون للكفار ومعنى يدعون يعبدون، واختلف في الإناث هنا، فقيل: هي الأصنام لأن العرب كانت تسمي الأصنام بأسماء مؤنثة: كاللات والعزى، وقيل: المراد الملائكة لقول الكفار إنهم إناث وكانوا يعبدونهم فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد، وقيل: المراد الأصنام لأنها لا تعقل، فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث.

﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ يعني إبليس، وإنما قال: إنهم يعبدونه لأنهم يطيعونه في الكفر والضلال، والمريد: هو الشديد العتو والإضلال.

﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ صفة للشيطان ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ الضمير في قال للشيطان، أي فرضته لنفسي، من قولك: فرض للجند وغيرهم، والمراد بهم أهل الضلال.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ أي أعدهم الأماني الكاذبة ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَٰمِ﴾ أي يقطعونها والإشارة بذلك إلى البحيرة وشبهها ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ التغيير هو الخصاء وشبهه، وقد رخص جماعة من العلماء في خصاء البهائم إذا كان فيه

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ
اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ
اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ
بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

منفعة، ومنعه بعضهم لظاهر الآية، وقيل، التغيير هو الوشم وشبهه، ويدل على هذا الحديث الذي «لعن فيه الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله»[١].

﴿مَحِيصاً﴾ أي معدلا ومهربا.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّاً﴾ مصدران:

الأول: مؤكد للوعد الذي يقتضيه قوله ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ﴾.

والثاني: مؤكد لوعد الله.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ الآية، اسم ليس مضمر، تقديره: الأمر وشبهه، والخطاب للمسلمين، وقيل: للمشركين، أي لا يكون ما تتمنون ولا ما يتمنى أهل الكتاب، بل يحكم الله بين عباده ويجازيهم بأعمالهم ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءاً يُجْزَ بِهِۦ﴾ وعيد حتم في الكفار، ومقيد بمشيئة الله في المسلمين.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دخلت من للتبعيض رفقا بالعباد؛ لأن الصالحات على الكمال لا يطيقها البشر ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تقييد باشتراط الإيمان فإنه لا يقبل عمل إلا به.

﴿نَقِيراً﴾ هو النقرة التي في ظهر نواة التمرة، والمعنى: تمثيل بأقل الأشياء.

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي دين الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٤٨٨٦) كتاب التفسير، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢١٢٥)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٧٨٢)، والنسائي: ١٤٦/٨، وابن ماجه الحديث رقم: (١٩٨٩)، وأحمد: ٤٣٢/١.

﴿حَنِيفاً﴾ حال من المتبع، أو من إبراهيم.

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ أي صفيا، وهو مشتق من الخلة بمعنى المودة، وفي ذلك تشريف لإبراهيم وترغيب في اتباعه.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ أي يسئلونك عما يجب عليهم في أمر النساء ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ عطف على اسم الله أي يفتيكم الله، والمتلو في الكتاب يعني القرآن ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ كان الرجل من العرب يتزوج اليتيمة من أقاربه بدون ما تستحقه من الصداق، فقوله: ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ يعني ما تستحقه المرأة من الصداق وقوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ يعني لجمالهن، وما لهن، من غير توفيه حقوقهن، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك أول السورة في قوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ الآية، وهذه الآية هي التي تليت عليهم في يتامى النساء، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ عطف على يتامى النساء، والذي يتلى في المستضعفين من الولدان، وهو قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ﴾ لأن العرب كانت لا تورث البنت، ولا الابن الصغير، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث ﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ عطف على المستضعفين، أي والذي يتلى عليكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط، ويجوز أن يكون منصوبا، تقديره: ويأمركم أن تقوموا، أو الخطاب في ذلك للأولياء والأوصياء، أو للقضاة، وشبههم، والذي يتلي عليهم في ذلك هو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً﴾ الآية، وقوله ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ إلى غير ذلك.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً﴾ معنى الآية: إباحة الصلح بين الزوجين إذا خافت النشوز، أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف كذلك يجوز بعد وقوع النشوز أو الإعراض، وقد تقدم معنى النشوز.

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ
الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا
بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ
فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ۞ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا (ربع)
مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ
اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ
اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

وأما الإعراض: فهو أخف منه، ووجوه الصلح كثيرة منها: أن يعطيها الزوج شيئا، أو تعطيه هي، أو تسقط حقها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك، وسبب الآية[1] أن سودة بنت زمعة لما كبرت خافت أن يطلقها رسول الله ﷺ، فقالت له: «أمسكني في نسائك ولا تقسم لي، وقد وهبت يومي لعائشة»[2].

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما، وقيل: معناه صلح الزوجين خير من فراقهما، فخير على هذا للتفضيل واللام في الصلح للعهد

﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ معناه أن الشح جعل حاضرا مع النفوس لا يغيب عنها؛ لأنها جبلت عليه، والشح هو أن لا يسمح الإنسان لغيره بشيء من حظوظ نفسه، وشح المرأة من هذا هو طلبها لحقها من النفقة والاستمتاع، وشح الزوج هو منع الصداق، والتضييق في النفقة، وزهده في المرأة لكبر سنها، أو قبح صورتها.

---

(١) سبب النزول أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٢١٣٥)، والحاكم: ١٨٦/٢، والطبري في جامع البيان: ٢٧٢/٩، والبيهقي في السنن الكبرى: ٧٤/٧، وابن كثير: ٥١٩/٢ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في الإرواء: ٨٨/٧ هذا عن سبب النزول، [أما حديث أن سودة وهبت يومها لعائشة فهو في الصحيحين البخاري الحديث رقم: (٥٢١٢)، ومسلم الحديث رقم: (١٠٨٥)، وغيرهما].

(٢) حديث أن سودة وهبت يومها لعائشة فهو في الصحيحين البخاري الحديث رقم: (٥٢١٢)، ومسلم الحديث رقم: (١٠٨٥)، وغيرهما.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ معناه العدل التام الكامل في الأقوال والأفعال والمحبة وغير ذلك، فرفع الله ذلك عن عباده فإنهم لا يستطيعون وقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني بما لا أملك»(١) يعني ميله بقلبه، وقيل: إن الآية نزلت(٢) في ميله ﷺ بقلبه إلى عائشة، ومعناها اعتذار من الله تعالى عن عباده.

﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ أي لا ذات زوج ولا مطلقة.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ الآية، معناها إن تفرق الزوجان بطلاق أغنى الله كل واحد منهما من فضله عن صاحبه، وهذا وعد بخير وتأنيس.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ الآية إخبار أن الله وصى الأولين والآخرين بأن يتقوه.

﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ أي بقوم غيركم، وروي: أن النبي ﷺ لما نزلت ضرب بيده على كتف سلمان الفارسي وقال هم قوم هذا(٣).

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية تقتضي الترغيب في طلب ثواب الآخرة لأنه خير من ثواب الدنيا، وتقتضي أيضا أن يطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده؛

---

(١) أخرجه أبو داود الحديث رقم: (٢١٣٤)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (١٩٧١)، وأحمد في مسنده: ٦/١٤٤ قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وضعفه بعضهم...

(٢) ابن كثير: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعة، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا حسين الجُعْفِي، عن زائدة، عن عبد العزيز بن رُفَيع، عن ابن أبي مُلَيكة قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ في عائشة. يعني: أن النبي ﷺ كان يحبها أكثر من غيرها، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن، من حديث حمَّاد بن سلمة، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن عبد الله بن يزيد، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: «اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني: القلب. اللفظ لأبي داود، وهذا إسناد صحيح، تفسير القرآن العظيم: ٢/٤٣٠.

(٣) الطبري في جامع البيان: ٩/٢٩٩ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: ١/٣٦٤ فيه انقطاع فإن الطبري لم يسمع من شيخه...

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن
تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ
كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى
ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

فإن ذلك بيده لا بيد غيره، وعلى أحد هذين الوجهين يرتبط الشرط بجوابه، فالتقدير على الأول: من كان يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصة، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، وعلى الثاني: من كان يريد ثواب الدنيا فليطلبه من الله فعنده ثواب الدنيا والآخرة.

﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي مجتهدين في إقامة العدل.

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ معناه لوجه الله ولمرضاته ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يتعلق بشهداء وشهادة الإنسان على نفسه هي إقراره بالحق ثم ذكر الوالدين والأقربين إذ هم مظنة للتعصب والميل، فإقامة الشهادة على الأجنبيين من باب أولى وأحرى ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ جواب إن محذوف على الأظهر أي إن يكن المشهود عليه غنيا فلا تمتنع من الشهادة تعظيما له، وإن كان فقيرا فلا تمتنع من الشهادة عليه إشفاقا عليه، فإن الله أولى بالغني والفقير أي بالنظر إليهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ أن مفعول من أجله، ويحتمل أن يكون المعنى من العدل فالتقدير إرادة أن تعدلوا بين الناس، أو من العدل؟ فالتقدير كراهة أن تعدلوا عن الحق.

﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ قيل: إن الخطاب للحكام، وقيل: للشهود، واللفظ عام في الوجهين، واللي: هو تحريف الكلام، أي تلووا عن الحكم بالعدل، أو عن الشهادة بالحق، أو تعرضوا عن صاحب الحق، أو عن المشهود له بالحق، فإن الله يجازيكم فإنه خبير بما تعملون، وقرئ إن تلوا بضم اللام[1] من الولاية أي إن

(١) قرأ حمزة وابن عامر: تلوا بواو واحدة من الولاية، يعني أقيموا الشهادة إذا وليتم، وقرأ الباقون:=

وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عنها.

﴿ءَامِنُواْ بِاللَّهِ﴾ الآية، خطاب للمسلمين معناه الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكل ما ذكر، أو يكون أمرا بالدوام على الإيمان، وقيل: خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين، معناه الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد ﷺ، وقيل: خطاب للمنافقين، معناه: الأمر بأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ الآية، قيل: هي في المنافقين لترددهم بين الإيمان والكفر، وقيل: في اليهود والنصارى؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمحمد ﷺ، والأول أرجح؛ لأن الكلام هنا فيهم، والأظهر أنها فيمن آمن بمحمد ﷺ ثم ارتد، ثم عاد إلى الإيمان، ثم ارتد وازداد كفرا.

﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ذلك فيمن علم الله أنه يموت على كفره، وقد يكون إضلالهم عقابا لهم بسوء أفعالهم.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، إشارة إلى قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وغيرها، وفي الآية دليل على وجوب تجنب أهل المعاصي، والضمير في قوله ﴿مَعَهُمْ﴾ يعود على ما يدل عليه سياق الكلام من الكافرين والمنافقين.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ صفة للمنافقين أي ينتظرون بكم دوائر الزمان ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحمية ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ قال علي بن أبي طالب[1] وغيره: ذلك في الآخرة، وقيل: السبيل هنا الحجة البالغة.

= بواوين من التحريف، انظر النشر لابن الجزري: ٢٥٢/٢، وحجة القرآت، ص: ٢١٥، ٢١٦...

(١) قال ابن كثير: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب، فقال: كيف هذه الآية: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾؟ فقال علي رضي الله عنه: ادْنُه ادنه، ثم قال: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ قال: ذاك يوم القيامة. ابن كثير: ٤٢٦/٢.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ
نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴿١٤٠﴾
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا
قَلِيلاً ﴿١٤١﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلاً ﴿١٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ
أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٣﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٤﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٥﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٦﴾

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ ذكر في البقرة ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب؛ لأن وبال خداعهم راجع عليهم.

﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ أي مضطربين مترددين لا إلى المسلمين ولا إلى الكفار.

﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ أي حجة ظاهرة.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾ أي في الطبقة السفلى من جهنم، وهي سبع طبقات، وفي ذلك دليل على أنهم شر من الكفار.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ استثناء من المنافقين، والتوبة هنا الإيمان الصادق في الظاهر والباطن.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ المعنى أي حاجة ومنفعة لله بعذابكم وهو الغني عنكم، وقدم الشكر على الإيمان؛ لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها، ثم يؤمن بالمنعم فكأن الشكر سبب للإيمان متقدم عليه، ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدا واهتماما به، والشاكر: اسم الله، ذكر في اللغات.

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ أي إلا جهر المظلوم فيجوز له من الجهر أن يدعو على من ظلمه، وقيل: أن يذكر ما فعل به من الظلم، وقيل: أن يرد عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه.

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ
ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن
سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ
حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ
يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟
مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا
فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا
وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الآية ترغيب في فعل الخير سرا وعلانية، وفي العفو عن الظلم بعد أن أباح الله الانتصار؛ لأن العفو أحب إلى الله من الانتصار، وأكد ذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية[1] في اليهود لأنهم آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمحمد ﷺ وغيره، ومعنى التفريق بين الله ورسله الإيمان به والكفر برسله، وكذلك التفريق بين الرسل هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم، فحكم الله على من كان كذلك بحكم الكفر الحقيقي الكامل.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية في أمة محمد ﷺ؛ لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية روي[2] أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، وقيل: كتاب إلى فلان وكتاب إلى فلان بأنك رسول الله، وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت، فذكر الله سؤالهم من موسى وسوء أدبهم معه تسلية للنبي ﷺ بالتأسي بغيره، ثم ذكر أفعالهم القبيحة ليبين أن كفرهم إنما هو عناد، وقد تقدم في البقرة ذكر

(١) ذكره القاضي ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢/١٥٢.
(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٩/١٠٧٦٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١١٠٣ بأسانيد ضعيفة.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ
بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

ثمن

طلبهم للرؤيا، واتخاذهم العجل، ورفع الطور فوقهم، واعتدائهم في السبت، وغير ذلك مما أشير إليه هنا.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ ما زائدة للتأكيد والباء تتعلق بمحذوف، تقديره: بسبب نقضهم فعلنا بهم ما فعلنا، أو تتعلق بقوله ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ويكون ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ على هذا بدلا من قوله ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ ﴿بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ هو أن رموا مريم بالزنا مع رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ عدد الله في جملة قبائحهم قولهم: إنا قتلنا المسيح؛ لأنهم قالوها افتخارا وجرأة مع أنهم كذبوا في ذلك ولزمهم الذنب وهم لم يقتلوه لأنهم صلبوا الشخص الذي ألقي شبهه عليه، وهم يعتقدون أنه عيسى، وروي: أن عيسى قال للحواريين أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل ويكون رفيقي في الجنة؟ فقال أحدهم: أنا، فألقى عليه شبه عيسى فقتل على أنه عيسى، وقيل: بل دل على عيسى يهودي فألقى الله شبه عيسى على اليهودي فقتل اليهودي[(١)]، ورفع عيسى إلى السماء حيا، حتى ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ إن قيل: كيف قالوا فيه رسول الله وهم يكفرون به ويسبونه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

(١) كل هذه الروايات أشار إليها ابن عطية بدون الإسناد، المحرر الوجيز: ٤٥٧/١.

أحدها: أنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء.

والثاني: أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه، كأنهم قالوا: رسول الله عندكم أو بزعمكم.

والثالث: أنه من قول الله لا من قولهم فيوقف قبله، وفائدته: تعظيم ذنبهم وتقبيح قولهم: إنا قتلناه.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ رد عليهم وتكذيب لهم وللنصارى أيضا في قولهم: إنه صلب حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك، والعجب كل العجب من تناقضهم في قولهم: إنه الله أو ابن الله، ثم يقولون إنه صلب.

﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ما ذكرناه من إلقاء شبهه على الحواري أو على اليهودي

والآخر: أن معناه شبه لهم الأمر، أي خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله فإنهم قتلوا رجلا آخر وصلبوه ومنعوا الناس أن يقربوا منه حتى تغير بحيث لا يعرف، وقالوا للناس هذا عيسى ولم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم، وكانوا متعمدين للكذب.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ روي[1]: أنه لما رفع عيسى وألقي شبهه على غيره فقتلوه قالوا: إن كان هذا المقتول عيسى، فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟ فاختلفوا، فقال بعضهم: هو هو، وقال بعضهم: ليس هو، فأجمعوا أن شخصا قتل، واختلفوا من كان.

﴿إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع لأن العلم تحقيق والظن تردد، وقال ابن عطية: هو متصل إذ الظن والعلم يجمعهما جنس المعتقدات، فإن قيل: كيف

---

(١) لم أقف عليه مسندا.

وصفهم بالشك وهو تردد بين احتمالين على السواء ثم وصفهم بالظن وهو ترجيح أحد الاحتمالين؟ فالجواب: أنهم كانوا على الشك ثم لاحت لهم أمارات فظنوا قاله الزمخشري، وقد يقال الظن بمعنى الشك وبمعنى الوهم الذي هو أضعف من الشك.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ أي ما قتلوه قتلا يقينا فإعراب يقينا على هذا صفة لمصدر محذوف، وقيل: هو مصدر في موضع الحال، أي ما قتلوه متيقنين، وقيل: هو تأكيد للنفي الذي في قوله ﴿ما قتلوه﴾ أي يتيقن نفي قتله، وهو على هذا منصوب على المصدرية.

﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى سمائه وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية[(١)].

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: أن الضمير في موته لعيسى، والمعنى: أن كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قبل أن يموت عيسى وتصير الأديان كلها حينئذ دينا واحدا وهو دين الإسلام.

والثاني: أن الضمير في موته للكتاب الذي تضمنه قوله: وإن من أهل الكتاب، التقدير: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى ويعلم أنه نبيء قبل أن يموت هذا الإنسان، وذلك حين معاينة الموت وهو إيمان لا ينفعه، وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس[(٢)] وغيره، وفي مصحف أبي بن كعب: «قبل موتهم»[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٢٠٧)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٦٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٣٤٦)، والنسائي في سننه: ١/٢١٧، والطبراني في الكبير: ١٩/٥٩٩.

(٢) صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ٩/٣٨٣ الأثر رقم: (١٠٨١٥).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٩/٣٨٣ رقم: (١٠٨١٤) بسند ضعيف.

وفي هذه القراءة تقوية للقول الثاني، والضمير في به لعيسى على الوجهين، وقيل: هو لمحمد ﷺ.

﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الإعراض فيكون كثيرا صفة لمصدر محذوف تقديره: صدا كثيرا، أو بمعنى صدهم لغيرهم فيكون كثيرا مفعولا بالصد أي صدوا كثيرا من الناس عن سبيل الله.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ هو عبد الله ابن سلام ومخيرق[1] ومن جرى مجراهم.

﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾ منصوب على المدح بإضمار فعل وهو جائز كثيرا في الكلام، وقالت عائشة: هو من لحن كتاب المصحف[2]، وفي مصحف ابن مسعود[3]

---

(١) هو مخيرق النضري الإسرائيلي، أسلم واستشهد بأحد، يقال: إنه من بني قينقاع، ويقال من بني الفطيون. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر الترجمة رقم: (٧٨٥٦).

(٢) هذا الكلام صحيح عن بعض السلف، ولكنه لا يقدح في القراءة المتواترة، يقول محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) في رده على بعض الشبه التي يوردها أعداء الإسلام، على بعض القراآت القرآنية، الشبهة الثانية:

يقولون: روي عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ويقول هو من لحن الكتاب.

والجواب: على غرار ما سبق أن ابن جبير لا يريد بكلمة لحن: الخطأ. إنما يريد بها اللغة والوجه في القراءة، على حد قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾. والدليل على هذا التوجيه أن سعيد بن جبير نفسه كان يقرأ: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فلو كان يريد باللحن الخطأ ما رضي لنفسه هذه القراءة. وكيف يرضى ما يعتقد أنه خطأ؟

وهذه الكلمة في آية من سورة النساء ونصها: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُولَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فكلمة ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قرأها الجمهور بالياء منصوبا كما ترى. وقرأها جماعة بالواو منهم أبو عمرو في رواية يونس وهارون عنه. ولكل من القراءتين وجه صحيح فصيح في اللغة العربية فالنصب مخرج على المدح، والتقدير: وأمدح المقيمين الصلاة. والرفع مخرج على العطف والمعطوف عليه مرفوع كما ترى. مناهل العرفان في علوم القرآن: ١/٣٨٨ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. الطبعة الثالثة.

(٣) المحرر الوجيز: ٢/١٥٩، والكشاف: ١/٦٢٣، وانظر مناهل العرفان. ١/٣٨٨.

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِۦ
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ
وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ
تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٦٥﴾ ۞ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ربع
وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا
﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا
لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ
الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

والمقيمون على الأصل.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية رد على اليهود الذين سألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينزل عليهم كتابا من السماء، واحتجاج عليهم بأن الذي أتى به وحي، كما أتى من تقدم من الأنبياء بالوحي من غير إنزال الكتاب من السماء، ولذلك أكثر من ذكر الأنبياء الذين كان شأنهم هذا لتقوم بهم الحجة.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ﴾ منصوب بفعل مضمر، أي أرسلنا رسلا ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ تصريح بالكلام مؤكد بالمصدر، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة إن الشجرة هي التي كلمت موسى.

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر أو على البدل ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أي بعثهم الله ليقطع حجة من يقول لو أرسل إلي رسولا لآمنت.

﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ الآية معناها: أن الله يشهد بأن القرآن من عنده، وكذلك تشهد الملائكة بذلك، وسبب[1] الآية إنكار اليهود للوحي فجاء الاستدراك على تقدير أنهم قالوا لن نشهد بما أنزل إليك، فقيل: لكن الله يشهد بذلك، وفي الآية من أدوات البيان الترديد وهو ذكر الشهادة أولا ثم ذكرها في آخر الآية ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ في هذا دليل لأهل السنة على إثبات علم الله خلافا للمعتزلة في قولهم:

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٩/٤٠٩ من طريق ابن إسحاق بسند ضعيف.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى
ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ
وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ ۞ لَّن يَسۡتَنكِفَ ثمن
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ
إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا
١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ
فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾

إنه عالم بلا علم، وقد تأولوا الآية بتأويل بعيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطاب عام؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بعث إلى جميع الناس ﴿فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾ انتصب ﴿خَيۡرٗا﴾ هنا وفي قوله ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾ بفعل مضمر لا يظهر، تقديره: ائتوا خيرا لكم، هذا مذهب سيبويه، وقال الخليل: انتصب بقوله: آمنوا وانتهوا على المعنى، وقال الفراء: فآمنوا إيمانا خيرا لكم، فنصبه على النعت لمصدر محذوف، وقال الكوفيون: هو خبر كان المحذوفة تقديره: يكن الإيمان خيرا لكم.

﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي هو غني عنكم لا يضره كفركم.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ هذا خطاب للنصارى لأنهم غلوا في عيسى حتى كفروا، فلفظ أهل الكتاب عموم يراد به الخصوص في النصارى، بدليل ما بعد ذلك، والغلو هو الإفراط وتجاوز الحد ﴿وَكَلِمَتُهُۥ﴾ أي مكون عن كلمته التي هي كن من غير وساطة أب ولا نطفة ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ أي ذو روح من الله، فمن هنا لابتداء الغاية، والمعنى من عند الله وجعله من عند الله لأن الله أرسل به جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى مريم.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ
لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن
لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ
وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ
وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ
الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ نهي عن التثليث وهو مذهب النصارى، وإعراب ثلاثة خبر لمبتدإ مضمر.

﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ برهان على تنزيهه تعالى عن الولد لأنه مالك كل شيء.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾ لن يأنف وكذلك معناه حيث وقع.

﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فيه دليل لمن قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء؛ لأن المعنى لن يستنكف عيسى ولا من فوقه.

﴿قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ﴾ هو القرآن وهو أيضا النور المبين، ويحتمل أن يريد بالبرهان الدلائل والحجج، وبالنور النبي ﷺ؛ لأنه سماه سراجا.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي يطلبون منك الفتيا، ويحتمل أن يكون هذا الفعل طالبا للكلالة، ويفتيكم أيضا طالبا لها، فيكون من باب الإعمال، وأعمل العامل الثاني على اختيار البصريين، أو يكون يستفتونك مقطوعا عن ذلك فيوقف عليه، والأول أظهر، وقد تقدم معنى الكلالة في أول السورة والمراد بالأخت والأخ هنا الشقائق والذين للأب إذا عدم الشقائق، وقد تقدم حكم الإخوة للأم في قوله ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ الآية ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ﴾ ارتفع بفعل مضمر عند البصريين ولا إشكال فيما ذكر هنا من أحكام المواريث ﴿أَن تَضِلُّوا﴾ مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تضلوا.

سورة المائدة

﴿أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ قيل: إن العقود هنا عقدة الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعتق وشبه ذلك، وقيل: ما عقده مع ربه من الطاعات كالحج والصيام وشبه ذلك، وقيل: ما عقده الله عليهم من التحليل والتحريم في دينه، ذكر مجملا ثم فصل بعد ذلك في قوله:

﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾ وما بعده ﴿بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخص منه؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها، قال الزمخشري[١]: هي الإضافة التي بمعنى من كخاتم من حديد، أي البهيمة من الأنعام، وقيل: هي الوحش كالظباء وبقر الوحش، والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لا تقع إلا على الإبل والبقر والغنم، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ما عدا الإنسان ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يريد الميتة وأخواتها ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ نصب على الحال من الضمير في لكم ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ حال من محلي الصيد، وحرم جمع حرام وهو المحرم بالحج، فالاستثناء بإلا من البهائم المحللة، والاستثناء بغير من القوم المخاطبين.

﴿لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللَّهِ﴾ قيل: هي مناسك الحج، كان المشركون يحجون ويعتمرون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فقيل لهم: لا تحلوا شعائر الله أي لا تغيروا عليهم ولا تصدوهم، وقيل: هي الحرم وإحلاله الصيد فيه، وقيل: هي ما يحرم على الحاج من النساء والطيب والصيد وغير ذلك، وإحلاله فعله. ﴿وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ قيل: هو جنس الأشهر الحرم الأربعة، وهي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم. وقيل: أشهر الحج وهي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة. وإحلالها: هو القتال فيها، وتغيير حالها.

---

(١) الكشاف: ١/٦٣٥.

﴿وَلاَ الْهَدْىَ﴾ هو ما يهدى إلى البيت الحرام من الأنعام ويذبح تقربا إلى الله، فنهى الله أن يستحل بأن يغار عليه أو يصد عن البيت.

﴿وَلاَ الْقَلَآئِدَ﴾ قيل: هي التي تعلق في أعناق الهدي فنهى عن التعرض لها، وقيل: أراد ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وجددها بالذكر بعد دخولها في الهدي اهتماما بها وتأكيدا لأمرها.

﴿وَلاَ ءَآمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ أي القاصدين إلى البيت لحج أو عمرة، ونهى الله عن الإغارة عليهم أو صدهم عن البيت، ونزلت الآية على ما قال السهيلي بسبب الحطم البكري، واسمه شريح بن ضبيعة[1] أخذته خيل رسول الله ﷺ وهو يقصد إلى الكعبة ليعتمر، وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء عام في المسلمين والمشركين ثم نسخ النهي عن قتال المشركين بقوله: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ وبقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ وبقوله:

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (١٠٩٥٩) بإسناد ضعيف عن عكرمة والسدي، وملخص ما روي في كتب التفسير: أن هذه الآية نزلت بسبب الحطم بن هند البكري أخي بني ضبيعة بن ثعلبة وذلك أنه قال رسول الله ﷺ يوما لأصحابه (يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان) فجاء الحطم فخلف خيله خارجة من المدينة ودخل على رسول الله ﷺ، فلما عرض رسول الله ﷺ ودعاه إلى الله قال: أنظر، ولعلي أسلم، وأرى في أمرك غلظة، ولي من أشاوره، فخرج فقال النبي ﷺ (لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر) فمر بسرح من سرح المدينة فساقه وانطلق به وهو يقول:

هـذا أَوَانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّي زِيَمْ ... قد لَفَّها الليلُ بسَوّاق حُطَم

ليسَ براعِي إِبِلٍ ولا غَنَم ... ولا بَجَزّار على ظَهْرِ وَضَم

باتوا نِيَاماً وابنُ هِنْد لم ينم ... باتَ يُقَاسِيها غُلام كالزَّلَم

خَدَلَّجُ السَّاقَيْنِ خَفَّاقُ القَدَم ... . إلخ

ثم أقبل الحطم من عام قابل حاجا، وساق هديا، فأراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، وخف إليه ناس من أصحاب النبي ﷺ فنزلت هذه الآية... المحرر الوجيز: ٢/١٧١، والتحرير والتنوير: ٦/٨٤.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ اللَّهِ﴾.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ الفضل الربح في التجارة، والرضوان الرحمة في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي إذا حللتم من إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم، فالأمر هنا إباحة بإجماع.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ معنى لا يجرمنكم لا يكسبنكم، يقال جرم فلان فلانا هذا الأمر إذا أكسبه إياه وحمله عليه، والشنآن هو البغض والحقد، ويقال بفتح النون[1] وإسكانها، و﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ مفعول من أجله و﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ مفعول ثان ليجرمنكم، ومعنى الآية لا تحملنكم عداوة قوم على أن تعتدوا عليهم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام، ونزلت عام الفتح[2] حين ظفر المسلمون بأهل مكة، فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل؛ لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية، فنهاهم الله عن قتلهم لأن الله علم أنهم يؤمنون.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ وصية عامة والفرق بين البر والتقوى أن البر عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات وفي كل ما يقرب إلى الله، والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات، فالبر أعم من التقوى.

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الفرق بينهما أن الإثم كل ذنب بين العبد وبين الله، أو بينه وبين الناس، والعدوان على الناس.

---

(١) قال الداني: قرأ أبو عمرو وابن عامر ﴿شَنْـَٔانُ قَوْمٍ﴾ في الموضعين... بإسكان النون، والباقون بفتحها. التيسير، ص: ٧٤، والحجة في القرآت، ص: ٢١٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير: ١٩/٣ بسند ضعيف.

● حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ
بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ③
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ
الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
④ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ
لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ⑤

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ تقدم الكلام عليها في البقرة. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي التي تخنق بحبل وشبهه ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ هي المضروبة بعصا أو حجر وشبهه.

﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ هي التي تسقط من جبل أو شبه ذلك.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ هي التي نطحتها بهيمة أخرى.

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ أي أكل بعضه، والسبع كل حيوان مفترس كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ قيل: إنه استثناء منقطع وذلك إذا أريد بالمنخنقة وأخواتها ما مات من الاختناق والوقذ والتردية والنطح وأكل السبع، والمعنى: حرمت عليكم هذه الأشياء، لكن ما ذكيتم من غيرها فهو حلال، وهذا قول ضعيف؛ لأنها إن ماتت بهذه الأسباب فهي ميتة فقد دخلت في عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها، وقيل: إنه استثناء متصل وذلك إن أريد بالمنخنقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركت ذكاته، والمعنى على هذا: إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال، ثم اختلف أهل هذا القول هل يشترط أن تكون لم تنفذ مقاتلها أم لا؟ وأما إذا لم تشرف على الموت من هذه الأسباب، فذكاتها جائزة باتفاق.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ عطف على المحرمات المذكورة، والنصب حجارة كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها، وليست بالأصنام لأن الأصنام مصورة

والنصب غير مصورة، وهي الأنصاب والمفرد نصاب، وقد قيل: إن النصب بضمتين مفرد وجمعه أنصاب.

﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ عطف على المحرمات أيضا والاستقسام هو طلب ما قسم له، والأزلام هي السهام واحدها زلم بضم الزاي وفتحها، وكانت ثلاثة قد كتب على أحدها: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، والثالث: مهمل، فإذا أراد الإنسان أن يعمل أمرا جعلها في خريطة وأدخل يده وأخرج أحدها، فإن خرج له الذي فيه افعل فعل ما أراد، وإن خرج له الذي فيه لا تفعل تركه، وإن خرج المهمل أعاد الضرب.

﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الإشارة إلى تناول المحرمات المذكورة كلها، أو إلى الاستقسام بالأزلام، وإنما حرمه الله وجعله فسقا لأنه دخول في علم الغيب الذي انفرد الله به، فهو كالكهانة وغيرها، مما يرام به الاطلاع على الغيوب.

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ أي يئسوا أن يغلبوه ويطلبوه ونزلت[1] بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع، فذلك هو اليوم المذكور لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين، ويحتمل أن يكون المراد باليوم الزمان الحاضر لا اليوم بعينه.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذا الإكمال يحتمل أن يكون بالنصر والظهور، أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ راجع إلى المحرمات المذكورة قبل هذا أباحها الله عند الاضطرار.

﴿فِى مَخْمَصَةٍ﴾ في مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ هو بمعنى ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ وقد تقدم في البقرة. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قام مقام فلا جناح عليه

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (١١٠٧٧) بسند ضعيف.

وتضمن زيادة الوعد.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ سببها[١] أن المسلمين سألوا رسول الله ﷺ عما يحل لهم من المأكل، وقيل: لما أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب سألوه ماذا يحل لنا من الكلاب فنزلت مبينة للصيد بالكلاب[٢].

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ هي عند مالك الحلال وذلك مما لم يرد تحريمه في كتاب ولا سنة، وعند الشافعي الحلال المستلذ فحرم كل مستقذر كالخنافس وشبهها لأنها من الخبائث.

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ عطف على الطيبات على حذف مضاف، تقديره: وصيد ما علمتم أو مبتدأ وخبره ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا أحسن لأنه لا خلاف فيه، والجوارح هي الكلاب ونحوها مما يصطاد به وسميت جوارح لأنها كواسب لأهلها فهو من الجرح بمعنى الكسب، ولا خلاف في جواز الصيد بالكلاب، واختلف فيما سواها، ومذهب الجمهور الجواز للأحاديث[٣] الواردة في

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٤٣/٣ بسند ضعيف...

(٢) ولفظه عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ يستأذن عليه، فأذن له فقال: قد أذنًا لك يا رسول الله! قال: أجل، ولكنا لا ندخل بيتًا فيه كلب! قال أبو رافع: فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة، فقتلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها، فتركته رحمة لها، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فأمرني فرجعت إلى الكلب فقتلته. فجاؤوا فقالوا: يا رسول الله، ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ الطبري: ٥٤٥/٩، وابن كثير: ٤٤/٣، والواحدي في أسبابه ص: ١٦٠ قال الحاكم: هذا إسناد صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي: ٣١١/٢.

(٣) هو حديث عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي فقال: ما أمسك عليك فكل، أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤٦٧)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٨٥١)، وأحمد: ٢٥٧/٤، والبيهقي في الكبرى: ٢٣٨/٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير الحديث رقم: (١٠٤٩٠)، وفي غيره.

البازات وغيرها، ومنع بعض ذلك لقوله ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ فإنه مشتق من الكلب، ونزلت الآية(١) بسبب عدي بن حاتم(٢)، فإنه كان له كلاب يصطاد بها فسأل رسول الله ﷺ عما يحل من الصيد.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أي معلمين للكلاب الاصطياد، وقيل: معناه أصحاب كلاب وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل في علمتم، ويقتضي قوله: علمتم، ومكلبين أنه لا يجوز الصيد إلا بجارح معلم، لقوله: وما علمتم وقوله: مكلبين على القول الأول لتأكيده ذلك بقوله ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ وحد التعليم عند ابن القاسم أن يعلم الجارح الإشلاء والزجر، وقيل: الإشلاء خاصة، وقيل: الزجر خاصة، وقيل: أن يجيب إذا دعي.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ أي تعلمونهن من الحيلة في الاصطياد، وتأتي تحصيل الصيد، وهذا جزء مما علمه الله الإنسان فمن للتبعيض، ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية، والجملة في موضع الحال أو استئناف ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ الأمر هنا للإباحة، ويحتمل أن يريد مما أمسكن سواء أكلت الجوارح منه أو لم تأكل، وهو ظاهر إطلاق اللفظ وبذلك أخذ مالك، ويحتمل أن يريد مما أمسكن ولم يأكل، منه وبذلك فسره رسول الله ﷺ بقوله: «**فإن أكل منه فلا**

(١) السيوطي في الدر المنثور: ٣/٢٢، والذي في الطبري أن عدي بن حاتم الطائي قال: أتى رجل رسول الله ﷺ يسأله عن صيد الكلاب، فلم يدر ما يقول له، حتى نزلت هذه الآية: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ ٩/٥٥٣، وهو بسند ضعيف..

(٢) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، أبو وهب وأبو طريف: أمير، صحابي، من الأجواد العقلاء، كان رئيس طيئ في الجاهلية والإسلام، وقال ابن الأثير: خير مولود في أرض طيئ وأعظمه بركة عليهم. وكان إسلامه سنة: ٩ هـ، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة وشهد الجمل وصفين والنهروان مع علي وفقئت عينه. عاش أكثر من مائة سنة. وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل ت: ٦٨هـ. الاستيعاب: ١/٣٢٥، والإصابة: ٤/٤٦٩، والأعلام: ٤/٢٢٠.

تأكل»[١] فإنه إنما أمسك على نفسه، وقد أخذ بهذا بعض العلماء، وقد ورد في حديث آخر: «**إذا أكل فكل**»[٢] وهو حجة لمالك ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هذا أمر بالتسمية على الصيد ويجري الذبح مجراه، وقد اختلف الناس في حكم التسمية، فقال الظاهرية: إنها واجبة حملا للأمر على الوجوب، فإن تركت التسمية عمدا أو نسيانا لم تؤكل عندهم، وقال الشافعي: إنها مستحبة حملا للأمر على الندب، وتؤكل عنده سواء تركت التسمية عمدا أو نسيانا، وجعل بعضهم الضمير في عليه عائدا على الأكل فليس فيها على هذا أمر بالتسمية على الصيد، ومذهب مالك: أنه إن تركت التسمية عمدا لم تؤكل، وإن تركت نسيانا أكلت، فهي عنده واجبة مع الذكر، ساقطة مع النسيان.

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ معنى حل: حلال، والذين أتوا الكتاب: هم اليهود والنصارى، واختلف في نصارى بني تغلب[٣] من العرب، وفيمن كان مسلما ثم ارتد إلى اليهودية أو النصرانية، هل يحل لنا طعامهم أم لا؟

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٧٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٩٢٩)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٨٤٨)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤٦٧)، وأحمد: ٤/٢٥٦، والطبري في جامع البيان: ٩/١١٢٠٩.

(٢) منكر أخرجه أبو داود في سننه: ٢/١٢٢ الحديث رقم: (٢٧٥٢) قال ابن حزم: وهو حديث ساقط لا يثبت. المحلى: ٧/٤٧٠ قال الغماري: في تخريج أحاديث البداية: ٦/٢٦١ (لا شك في بطلان الحديث إما عن تعمد وإما عن وهم من الراوي، وانتقال ذهنه من قوله: ﷺ: «وإن قتل» إلى قوله هو (وإن أكله) وهذا كثيرا ما يصدر من الرواة، وإلا فمن الباطل المحقق أن يروي الثقات في حديث عدي بن حاتم: «وإن أكل فلا تأكل؛ فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه» وهذا هو الموافق للقرآن في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ ثم يروي الثقات حديث أبي ثعلبة ولا يتعرضون فيه لهذه الزيادة المنافية للقرآن والمحتاج إليها لكثرة وقوعها، ثم يتفرد واحد تكلم فيه بها وتكون صحيحة، بل هذا مما يقطع العقل ببطلانه إن شاء الله...

(٣) أخرج الطبري عن ابن عباس: لا تأكلوا ذبائح نصارى العرب، وذبائح نصارى أرمينية: ٩/١١٢٣٥، وهو ضعيف جدا.

ولفظ الآية يقتضي الجواز؛ لأنهم من أهل الكتاب، واختلف في المجوس والصابئين هل هم أهل كتاب أم لا؟ وأما الطعام فهو على ثلاثة أقسام:

أحدها: الذبائح وقد اتفق العلماء على أنها مرادة في الآية فأجازوا أكل ذبائح اليهود والنصارى، واختلفوا فيما هو محرم عليهم في دينهم هل يحل لنا أم لا؟ على ثلاثة أقوال: الجواز، والمنع، والكراهة، وهذا الاختلاف مبني على هل هو من طعامهم أم لا؟ فإن أريد بطعامهم: ما ذبحوه جاز وإن أريد به ما يحل لهم منع، والكراهة توسط بين القولين.

القسم الثاني: ما لا محاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جائز لنا باتفاق.

والثالث: ما فيه محاولة كالخبز وتعصير الزيت وعقد الجبن وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه، فمنعه ابن عباس[1] لأنه رأى أن طعامهم هو الذبائح خاصة[2] ولأنه يمكن أن يكون نجسا، وأجازه الجمهور لأنه رأوه داخلا في طعامهم، وهذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملا، فأما إذا تحققنا استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة فلا يجوز أصلا، وقد صنف الطرطوشي في تحريم جبن النصارى، وقال: إنه ينجس البائع والمشتري والآلة؛ لأنهم يعقدونه بأنفحة الميتة، ويجري مجرى ذلك الزيت إذا علمنا أنهم يجعلونه في ظروف الميتة ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ هذه إباحة للمسلمين أن يطعموا أهل الكتاب من طعامهم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ عطف على الطعام المحلل، وقد تقدم أن الإحصان له أربعة معان: الإسلام، والتزوج، والعفة، والحرية، فأما الإسلام فلا يصح هنا لقوله ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وأما التزوج فلا يصح أيضا؛ لأن ذات الزوج لا تحل لغيره، ويحتمل هنا العفة والحرية، فمن حمله على العفة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواء كانت حرة أو

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٩/١١٢٣٥ بسند ضعيف جدا.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٩/١١٢٤٨، والبيهقي في الكبرى: ٩/٢٨٢، وابن الجوزي في ناسخ القرآن ومنسوخه، ص: ٣٦٥، والأثر في الدر المنثور للسيوطي: ٣/٢٤.

• يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا
وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ
أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم
بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ
عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

أمة، ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأمة، وهو مذهب مالك ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ لأن هذه في الكتابيات والأخرى في المشركات من العرب، وقد جعل بعض الناس هذه ناسخة لتلك، وقيل: بالعكس وقد تقدم معنى ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ ومعنى الأخدان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾ الآية نزلت[1] في غزوة المريسيع حين انقطع عقد عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأقام الناس على التماسه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فنزلت الرخصة في التيمم، فقال أسيد بن حضير: ما هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر[2] ولذلك سميت الآية آية التيمم، وقد كان الوضوء مشروعا قبلها ثابتا بالسنة، وقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾ معناه: إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤوا، ويقتضي ظاهرها وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة، ومذهب الجمهور أنه لا يجب، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال:

الأول: أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٣٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٦٧)، والنسائي في سننه: ١/٢٢٣، والشافعي في المسند: ١/٤٣، والطبري في جامع البيان: ٨/٩٦٤١.

(٢) لفظ البخاري: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. الحديث رقم: (٣٤٦٩)، وفي لفظ له: «لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم» الحديث (٤٣٣٢).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد[١].

والثاني: أن ما تقتضيه الآية من التجديد يحمل على الندب.

والثالث: أن تقديرها إذا قمتم محدثين فإنما يجب على من أحدث.

والرابع: أن تقديرها: إذا قمتم من النوم.

﴿فَاغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ ذكر في هذه الآية أربعة أعضاء، اثنين محدودين، وهما: اليدان والرجلان، واثنين غير محدودين، وهما: الوجه والرأس.

أما المحدودان: فتغسل اليدان إلى المرفقين، والرجلان إلى الكعبين، وجوبا بإجماع فإن ذلك هو الحد الذي جعل الله لهما، واختلف: هل يجب غسل المرفقين مع اليدين وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا؟ وذلك مبني على معنى إلى، فمن جعل إلى بمعنى مع في قوله ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾، و﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ أوجب غسلهما، ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما، واختلف في الكعبين هل هما اللذان عند معقد الشراك، أو العظمان الناتئان في طرف الساق، وهو أظهر؛ لأنه ذكرهما بلفظ التثنية ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق لأنه على ذلك في كل رجل كعب واحد، وأما غير المحدودين: فاتفق على وجوب إيعاب الوجه، وحده طولا: من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية، وحده

---

(١) في صحيح مسلم: باب جَوَازِ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِى حدَّثَنا سُفْيَانُ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ ح وَحَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ سُفْيَانَ قَالَ حَدَّثَنِى عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَد عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الصَّلَوَاتِ يَوْمَ الْفَتْحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ. قَالَ «عَمْدًا صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ». الحديث رقم: (٦٦٤) والترمذي الحديث رقم: (٦٠) ورواه أبو داود الحديث رقم: (١٧٢) والترمذي في سننه الحديث رقم: (٦١) والنسائي ٨٦/١ وأحمد في المسند ٣٥٠/٥.

عرضا: من الأذن إلى الأذن، وقيل: من العذار إلى العذار. وأما الرأس: فمذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه، ومذهب كثير من العلماء جواز الاقتصار على بعضه، لما ورد في الحديث: «أن رسول الله ﷺ مسح على ناصيته»[(١)] ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يجزئ على أقوال كثيرة.

﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ اختلف في هذه الباء فقال قوم: إنها للتبعيض وبنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية.

وقال القرافي: إنها باء الاستعانة التي تدخل على الآلات، وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤوسكم وهذا ضعيف؛ لأن الرأس على هذا ماسح لا ممسوح، وذلك خلاف المقصود، وقيل: إنها زائدة وهو ضعيف؛ لأن هذا ليس موضع زيادتها، والصحيح عندي أنها باء الإلصاق التي توصل الفعل إلى مفعوله؛ لأن المسح تارة يتعدى بنفسه وتارة بحرف الجر كقوله: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ وكقوله ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ قرئ وأرجلكم بالنصب[(٢)] عطفا على الوجوه والأيدي، فيقتضي ذلك وجوب غسل الرجلين، وقرئ بالخفض فحمله بعضهم على أنه عطف على قوله برؤوسكم فأجاز مسح الرجلين، روي ذلك عن ابن عباس[(٣)] وقال

(١) حديث صحيح، فعن المغيرة بن شعبة: قَالَ: تَخَلَّفَ رَسُولُ الله ﷺ فَتَخَلَّفْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ، قَالَ: أَمَعَكَ مَاءٌ؟ فَأَتَيْتُهُ بِمِطْهَرَةٍ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَغَسَلَ وَجْهَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يَحْسُرُ عَنْ ذِرَاعَيْهِ فَضَاقَ كُمُّ الْجُبَّةِ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ وَمَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ، وَعَلَى الْعِمَامَةِ وَعَلَى خُفَّيْهِ. سنن النسائي بشرح السيوطي: ١/٨١، وأحمد في المسند: ٤/٢٤، وابن خزيمة في صحيحه رقم: (١٠٦٤)، والطحاوي في المعاني: ١/٣٠، والدارقطني: ١/١٩٢ أما المسح على الناصية دون العمامة فلم أجده مسندا.

(٢) ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص بنصب اللام، وقرأ الباقون بالخفض. النشر: ٢/٢٨٧..

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في ابن كثير: ٣/٦٩ عن ابن عباس، ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قال: هو المسح وهو بإسناد ضعيف...

الجمهور: لا يجوز مسحهما بل يجب غسلهما، وتأولوا قراءة الخفض بثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه خفض على الجوار، لا على العطف.

والآخر: أنه يراد به المسح على الخفين.

والثالث: أن ذلك منسوخ بالسنة.

والفرق بين الغسل والمسح أن المسح إمرار اليدين بالبلل الذي يبقى من الماء، والغسل عند مالك إمرار اليد بالماء، وعند الشافعي إمرار الماء وإن لم يدلك باليد.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في النساء ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي من ضيق ولا مشقة كقول رسول الله ﷺ: «دين الله يسر»[1] وباقي الآية تفضل من الله على عباده ورحمة، وفي ضمن ذلك ترغيب في الطهارة وتنشيط عليها.

﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾ هو ما وقع في بيعة العقبة وبيعة الرضوان، وكل موطن قال المسلمون فيه سمعنا وأطعنا.

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في النساء ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم.

﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ في سببها أربعة أقوال:

---

(١) مجمع الزوائد: ١/٧٤، وهو في الموطإ بلاغا: ٤/٢٤٩، وانظر القرطبي: ٢/٣٠١، والمحفوظ في كتب السنة هذا اللفظ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٩)، والنسائي في سننه: ٨/١٢١، وابن حبان في صحيحه: ٢/٦٣، والبيهقي في السنن الكبرى: ٣/١٨..

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَحِيمِ (١٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ربع ٱلْمُؤْمِنُونَ (١١) ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ
لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم
بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ
مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقْضِهِم
مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ
ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟
بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣)

الأول: أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير من اليهود فهموا أن يصبوا عليه صخرة يقتلونه بها، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان[١] ويقوي هذا القول ما ورد في الآيات بعد هذا في غدر اليهود.

والثاني: أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سل السيف على رسول الله ﷺ، حين وجده في سفر وهو وحده، وقال له: من يمنعك مني؟ قال: الله، فأغمد السيف وجلس[٢] واسمه غورث بن الحارث[٣] الغطفاني.

والثالث: أنها فيما هم به الكفار[٤] من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل، ص: ٤٢٢، وهو حديث ضعيف...

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل كما في الدر المنثور: ٣/٣٦، وقصة الأعرابي ثابتة في الصحيحين وقد أشار إلى هذا ابن كثير في تفسيره: ٣/٨٣..

(٣) قال ابن حجر في الإصابة: الترجمة رقم: (٦٩٢٨) ـ غورث بن الحارث، الذي قال من يمنعك مني؟ قال: الله، فوضع السيف من يده وأسلم، قاله البخاري من حديث جابر، هكذا استدركه الذهبي في التجريد على من تقدمه ونقلته من خطه، وليس في البخاري تعرض لإسلامه، قال: البخاري أخرجه من ثلاث طرق إحداها موصولة والأخرى معلقة، والأخرى مختصرة جدا، ثم يقول: وقد رويناه في المسند الكبير لمسدد بتمامه وفيه ما يصرح بعدم إسلام غورث... الإصابة: ٥/٣٢٨..

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/١٠٥، وهو حديث مرسل عن قتادة.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ
فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا
كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن
كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾
ثمن • لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

والرابع: أنها على الإطلاق في دفع الله الكفار عن المسلمين.

﴿اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ النقيب هو كبير القوم القائم بأمورهم.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي بنصري والخطاب لبني إسرائيل، وقيل: للنقباء.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ اختلف هل أريد تحريف الألفاظ أو المعاني؟

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي على خيانة فهو مصدر كالعاقبة، وقيل: على طائفة خائنة، وهو إخبار بأمر مستقبل.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف والجزية.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ أي ادعوا أنهم أنصار الله، وسموا أنفسهم بذلك ثم كفروا بالله، ووصفوه بما لا يليق به، وتتعلق ﴿من الذين﴾ بـ ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ والضمير عائد على النصارى.

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أي أثبتنا وألصقنا وهو مأخوذ من الإغراء.

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ في الموضعين يعم اليهود والنصارى، وقيل: إنها نزلت[1] بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة فإنهم كانوا يذكرون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويصفونه بصفته فلما حل بالمدينة كفروا به ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥٥/١٠ بإسناد ضعيف.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا
وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا
الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ
فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ
وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا
فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) • قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣)

الآية دلالة على صحة نبوءته لأنه بين لهم ما أخفوه مما في كتبهم وهو أمي لم يقرأ كتبهم ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ أي يتركه ولا يفضحكم به.

﴿نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقرآن.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الآية رد على الذين قالوا إن الله هو عيسى، وهم فرقة من النصارى. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ إشارة إلى خلقه عيسى من غير والد.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أي قالت كل فرقة عن نفسها إنهم أبناء الله وأحباؤه، والبنوة هنا بنوة الحنان والرأفة، وقال الزمخشري[(١)]: المعنى نحن أشياع أبناء الله عندهم، وهما: المسيح وعزير، كما يقول حشم الملوك: نحن الملوك ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ رد عليهم لأنهم قد اعترفوا أنهم يدخلون النار أياما معدودات، وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحب لا يعذب حبيبه، ففي ذلك بشارة لمن أحبه الله.

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قيل: جعل منكم ملوكا أي أمراء، وقيل: الملك من له

---

(١) الكشاف: ١/٦٥٢، ولفظه: وقالت اليهود والنصارى... ﴿أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ أشياع ابني الله عزير والمسيح، كما قيل لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير (الخبيبون) وكما كان يقول رهط مسيلمة: نحن أنبياء الله، ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه: نحن الملوك، ولذلك قال مؤمن آل فرعون: لكم الملك اليوم.

مسكن وامرأة وخادم.

﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ قيل: يعني المن والسلوى والغمام وغير ذلك من الآيات، وعلى هذا يكون العالمين خاصا بأهل زمانهم لأن أمة محمد ﷺ قد أوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم، وقيل: المراد كثرة الأنبياء فعلى هذا يكون عاما لأن الأنبياء في بني إسرائيل أكثر منهم في سائر الأمم.

﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ أرض بيت المقدس، وقيل: الطور، وقيل: دمشق.

﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي قضى أن تكون لكم.

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة والرجوع إلى الطريق الذي جاءوا منه، فإنه روي[1] أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها وهموا أن يقدموا على أنفسهم رئيسا ويرجعوا إلى مصر.

﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ هم العمالقة.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ هما يوشع وكالب ﴿يَخَافُونَ﴾ أي يخافون الله، وقيل: يخافون الجبارين، ولكن الله ﴿أنعم عليهما﴾ بالصبر والثبوت لصدق إيمانهما.

﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ أي باب المدينة.

﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ إفراط في العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله، وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله ﷺ: «لسنا

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل: ٣١/٣ الذي في الصحيح، روى البخاري بسنده، قال سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره. يعني قوله. البخاري الحديث رقم: (٣٩٥٢)، وغيره.

قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَٰسِقِينَ
﴿٢٦﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَٰبِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا الظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي
سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا
الْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

نقول لك كما قالت بنو إسرائيل، ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون»[1].

﴿لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾

قاله موسى عَلَيهِ السَّلَامُ ليتبرأ إلى الله من قول بني إسرائيل، ويبذل جهده في طاعة الله، ويعتذر إلى الله، وإعراب أخي عطف على نفسي لأن أخاه هارون كان يطيعه، وقيل: عطف على الضمير في لا أملك أي لا أملك أنا إلا نفسي ولا يملك أخي إلا نفسه، وقيل: مبتدأ وخبره محذوف، أي أخي لا يملك إلا نفسه. ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا﴾ أي فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة، وقيل: افصل بيننا وبينهم بحكم.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الضمير في قال لله تعالى، وحرم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة، وتركهم في هذه المدة يتيهون في الأرض، أي في أرض التيه وهو ما بين مصر والشام حتى مات كل من قال: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب، ومات هرون في التيه ومات موسى بعده في التيه أيضا، وقيل: إن موسى وهارون لم يكونا في التيه لقوله: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَٰسِقِينَ﴾ وخرج يوشع ببني إسرائيل بعد الأربعين سنة، وقاتل الجبارين وفتح المدينة، والعامل في ﴿أَرْبَعِينَ﴾ ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ على الأصح، فيجب وصله معه، وقيل: العامل فيه ﴿يَتِيهُونَ﴾ فعلى هذا يجوز الوقف على قوله ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا ضعيف؛ لأنه لا حامل على تقديم

(١) انظر المحرر الوجيز: ٢/١٧٦، ومعالم التنزيل: ٢/٢٥.

المعمول هنا مع أن القول الأول أكمل معنى؛ لأنه بيان لمدة التحريم والتيه معا.

﴿يَتِيهُونَ﴾ أي يتحيرون، وروي: أنهم كانوا يسيرون الليل كله فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه.

﴿فَلَا تَأْسَ﴾ أي لا تحزن والخطاب لموسى، وقيل: لمحمد ﷺ، ويراد بالفاسقين من كان في عصره من اليهود.

﴿نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ﴾ هما قابيل وهابيل ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ روي أن قابيل كان صاحب زرع فقرب أرذل زرعه، وكان هابيل صاحب غنم فقرب أحسن كبش عنده، وكانت العادة حينئذ أن يقرب الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلي فإذا نزلت نار من السماء وأكلت القربان فذلك دليل على القبول وإلا فلا قبول فنزلت النار فأخذت كبش هابيل ورفعته وتركت زرع قابيل فحسده قابيل فقتله ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ استدل بها المعتزلة وغيرهم على أن صاحب المعاصي لا يتقبل عمله وتأولها الأشعرية بأن التقوى هنا يراد بها تقوى الشرك.

﴿لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ الآية قيل معناها لئن بدأتني بالقتال لم أبدأك به، وقيل: إن بدأتني بالقتال لم أدافعك، ثم اختلف على هذا القول: هل تركه لدفاعه عن نفسه تورعا وفضيلة وهو الأظهر والأشهر؟ وكان واجبا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه وهو قول مجاهد[1]، وأما في شرعنا فيجوز دفع الإنسان عن نفسه بل يجب.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة وإنما هو تخير في أهون الشرين، كأنه قال: إن قتلتني فذلك أحب إلي من أن أقتلك كما ورد في الأثر: «كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل»[2] وأما قوله

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢١٤/١٠ بسند ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٢٩٢/٥، وهو ضعيف، وأخرج الترمذي بسنده: «أن رسول الله ﷺ قال: إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي،=

﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ فمعناه بإثم قتلي لك لو قتلتك، وبإثم قتلك لي، وإنما تحمل القاتل الإثمين لأنه ظالم، فذلك مثل قوله ﷺ: «المتسابان ما قالا فهو على البادئ»[١] وقيل: بإثمي أي تحمل عني سائر ذنوبي؛ لأن الظالم تجعل عليه في القيامة ذنوب المظلوم، وبإثمك أي في قتلك لي وفي غير ذلك من ذنوبك. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون من كلام هابيل أو استئنافا من كلام الله تعالى.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ الآية روي: أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر، ثم جعل القاتل يبحث عن التراب ويواري الميت، وقيل: بل كان غرابا واحدا يبحث ويلقي التراب على هابيل ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أي عورته وخصت بالذكر لأنها أحق بالستر من سائر الجسد، والضمير في أخيه عائد على ابن آدم ويظهر من هذه القصة أن هابيل كان أول من دفن من بني آدم ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ أصله يا ويلتي ثم أبدل من الياء ألف، وفتحت التاء وكذلك يا أسفي ويا حسرتي ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على ما وقع فيه من قتل أخيه، واختلف في قابيل هل كان كافرا أو عاصيا؟ والصحيح أنه لم يكن كافرا؛ لأنه قصد التقرب إلى الله بالقربان، ولأنه لم يكن في تلك المدة كافر، وأصبح هنا وفي الموضع الأول عبارة عن جميع الأوقات لا مختصة بالصباح.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ يتعلق بكتبنا، وقيل: بالنادمين وهو ضعيف.

= والماشي خير من الساعي، قال: أفرأيت إن دخل علي بيتي وبسط يده إلي ليقتلني؟ قال: كن كابن آدم» الحديث رقم: (٢١٩٤)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٢٥٧)..

(١) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٥٨٧)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٨٤٩)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٩٨١)، وأحمد في مسنده: ٢/٢٣٥، والبخاري في الأدب المفرد رقم: (٥٢٣)، وابن حبان في صحيحه: ١/٧٢٨، وتمامه: «ما لم يعتد المظلوم»..

ثمن

• مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ
نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعاً وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً
مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّمَا
جَزَٰٓؤُاْ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوٓاْ
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ
اتَّقُواْ اللَّهَ وَابْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ
لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٧﴾

﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ﴾ أي فرضنا عليهم أو كتبناه في كتبهم.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ معناه من غير أن يقتل نفسا يجب عليه به القصاص.

﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني الفساد الذي يجب به القتل كالحرابة

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يتصور من ثلاث جهات:

إحداها: القصاص فإن القصاص في قاتل الواحد والجميع سواء.

الثانية: انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان.

والثالثة: الإثم والعذاب الأخروي قال مجاهد[1]: وعد الله قاتل النفس بجهنم، والخلود فيها، والغضب، واللعنة، والعذاب العظيم، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك وهذا الوجه هو الأظهر؛ لأن القصد بالآية تعظيم قتل النفس والتشديد فيه لينزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كثواب إحياء الجميع لتعظيم الأمر والترغيب فيه، وإحياؤها هو إنقاذها من الموت كإنقاذ الحريق أو الغريق وشبه ذلك، وقيل: بترك قتلها، وقيل: بالعفو إذا وجب القصاص.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل والمعنى تقبيح أفعالهم وفي ذلك إشارة إلى ما هموا به من قتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان بسند فيه مجهول.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية سببها عند ابن عباس[١]: أن قوما من اليهود كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل، وقال جماعة: نزلت[٢] في نفر من عكل وعرينة أسلموا، ثم إنهم قتلوا راعي النبي ﷺ، وأخذوا إبله، ثم حكمها بعد ذلك في كل محارب.

والمحاربة عند مالك: هي حمل السلاح على الناس في بلد أو في خارج بلد، وقال أبو حنيفة: لا يكون المحارب إلى خارج البلد.

وقوله: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ تغليظ ومبالغة، وقال بعضهم: تقديره: يحاربون رسول الله ﷺ، وذلك ضعيف؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد ذكر بعد ذلك، وقيل: يحاربون عباد الله وهو أحسن.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بيان للحرابة وهي على درجات، أدناها: إخافة الطريق، ثم أخذ المال، ثم قتل النفس.

﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ الصلب مضاف إلى القتل، وقيل: يقتل ثم يصلب ليراه أهل الفساد فينزجروا، وهو قول أشهب، وقيل: يصلب حيا ويقتل على الخشبة وهو قول ابن القاسم ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ معناه أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى.

وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسغ، وقطع الرجل من المفصل، وذلك في الحرابة وفي السرقة.

﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ مشهور مذهب مالك أن ينفى من بلد إلى بلد آخر ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته، وروي عنه مطرف أنه يسجن في البلد بعينه، وبذلك

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/١١٨٠٣ بسند جيد.

(٢) صحيح أخرجه أبو داود في سننه، الحديث رقم: (٤٣٦٦)، والنسائي في سننه: ٩٤/٧، وأحمد في مسنده: ١٦٣/٣، والطبري: ١٠/١١٨٠٨، وابن كثير في تفسيره: ١٢٣/٣.

قال أبو حنيفة، وقيل: ينفى إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه، ومذهب مالك: أن الإمام مخير في المحارب بين أن يقتله ويصلبه، أو يقتله ولا يصلبه، أو يقطع يده ورجله، أو ينفيه، إلا أنه قال: إن كان قتل فلا بد من قتله، وإن لم يقتل فالأحسن أن يأخذ فيه بأيسر العقاب، وقال الشافعي وغيره: هذه العقوبات مرتبة: فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب، ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله، ومن أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ مالا نفي. وحجة مالك عطف هذه العقوبات بأو التي تقتضي التخيير.

﴿خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ هو العقوبة، وعذاب الآخرة النار، وظاهر هذا أن العقوبة في الدنيا لا تكون كفارة للمحارب بخلاف سائر الحدود، ويحتمل أن يكون الخزي في الدنيا لمن عوقب فيها، والعذاب في الآخرة لمن لم يعاقب.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ قيل: هي في المشركين وهو ضعيف؛ لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها، وقيل: هي في المحاربين من المسلمين وهو الصحيح، وهم الذين جاءت فيهم العقوبات المذكورة، فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه فقد سقط عنه حكم الحرابة لقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ واختلف: هل يطالب بما عليه من حقوق الناس في الدماء والأموال أم لا؟ فوجه المطالبة بها أنها زائدة على حد الحرابة التي سقطت عنه بالتوبة، ووجه إسقاطها إطلاق قوله ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي ما يتوسل به ويتقرب به إليه من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك.

﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ إن قيل: لم وحد الضمير وقد ذكر شيئين وهما ما في الأرض ومثله؟ فالجواب: أنه وضع المفرد في موضع الاثنين وأجرى الضمير مجرى اسم الإشارة، كأنه قال: ليفتدوا بذلك، أو تكون الواو بمعنى مع.

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٣٩﴾ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ • يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ
قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ
هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ
آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا
وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤٢﴾

ربع

﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي دائم وكذلك نعيم مقيم.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ عموم الآية يقتضي قطع كل سارق، إلا أن الفقهاء اشترطوا في القطع شروطا خصصوا بها العموم، فمن ذلك: من اضطره الجوع إلى السرقة لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له، وكذلك من سرق مال ولده أو سيده، أو من سرق من غير حرز، أو سرق أقل من النصاب، وهو عند مالك ربع دينار من الذهب، أو ثلاثة دراهم من الفضة، أو ما يساوي أحدهما، وأدلة التخصيص بهذه الأشياء في غير هذه الآية. وقد قيل: إن الحرز مأخوذ من هذه الآية؛ لأن ما أهمل بغير حرز أو ائتمن عليه فليس أخذه سرقة، وإنما هو اختلاس أو خيانة، وإعراب السارق عند سيبويه مبتدأ وخبره محذوف، كأنه قال: فيما يتلى عليكم السارق والسارقة، والخبر عند المبرد وغيره ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، ودخلت الفاء لتضمنها معنى الشرط.

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ الآية، توبة السارق هو أن يندم على ما مضى ويقلع فيما يستقبل ويرد ما سرق إلى من يستحقه، واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم: هل يسقط عنه القطع؟ وهو مذهب الشافعي لظاهر الآية، أو لا يسقط عنه وهو مذهب مالك؛ لأن الحدود عنده لا تسقط بالتوبة إلا عن المحارب للنص عليه.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ﴾ قدم العذاب على المغفرة لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ الآية خطاب للنبي ﷺ، على وجه التسلية.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ هم المنافقون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ يحتمل أن يكون عطفا على الذين قالوا آمنا ثم يكون ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾ استئناف إخبار عن الصنفين المنافقين واليهود، ويحتمل أن يكون من الذين هادوا استئنافا منقطعا مما قبله، وسماعون راجع إليهم خاصة.

﴿سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أي سماعون كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي ﷺ لإفراط البغضة والمجاهرة بالعداوة، فقوله: ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ صفة لقوم آخرين، والمراد بالقوم الآخرين يهود خيبر، والسماعون للكذب بنو قريظة.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أي يبدلونه من بعد أن يوضع في موضعه وقصدت به وجوهه القويمة، وذلك من صفة اليهود.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ﴾ نزلت بسبب أن يهوديا زنى بيهودية فسأل رسول الله ﷺ اليهود عن حد الزاني عندهم، فقالوا: نجلدهما ونحمم وجوههما، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن في التوراة الرجم، فأنكروا ذلك، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرؤوها فجعل أحدهم يده على آية الرجم، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع فإذا آية الرجم، فأمر رسول الله ﷺ باليهودي واليهودية فرجما»[1] فمعنى قولهم: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ﴾ إن أوتيتم الذي ذكرتم

---

(١) رجم اليهوديين ثابت في الصحيحين وغيرهما، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم). فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن=

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ۞ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

من الجلد والتحميم فخذوه واعملوا به، وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد ﷺ بغيره فاحذروا.

﴿فِتْنَتَهُ﴾ أي ضلالته في الدنيا، أو عذابه في الآخرة.

﴿فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الذلة والمسكنة والجزية.

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ إن كان الأول في اليهود فكررها هنا تأكيدا وإن كان الأول في المنافقين واليهود فهذا في اليهود خاصة.

﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ أي للحرام من الرشوة والربا وشبه ذلك. ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا تخيير للنبي ﷺ في أن يحكم بين اليهود أو يتركهم، وهو أيضا يتناول الحاكم، وقيل: إنه منسوخ بقوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ الآية استبعاد لتحكيمهم النبي ﷺ وهم لا يؤمنون به، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التي يدعون الإيمان بها، فمعنى ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي يتولون عن اتباع حكم الله في التوراة من بعد كون حكم الله فيها موجودا عندهم ومعلوما في قضية الرجم وغيرها.

﴿وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عليه السلام، وهذا إلزام لهم؛ لأن من خالف كتاب الله وبدله فدعواه الإيمان به باطلة.

= سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، قال عبد الله: فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة. البخاري الحديث رقم: (٣٤٣٦)، ومسلم الحديث رقم: (٤٥٣٣).

﴿النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ هم الأنبياء الذين بين موسى ومحمد ﷺ، ومعنى أسلموا هنا أخلصوا لله وهو صفة مدح أريد به التعريض باليهود؛ لأنهم بخلاف هذه الصفة، وليس المراد هنا الإسلام الذي هو ضد الكفر لأن الأنبياء لا يقال فيهم أسلموا على هذا المعنى لأنهم لم يكفروا قط، وإنما هو كقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾.

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ متعلق بيحكم أي يحكم الأنبياء بالتوراة للذين هادوا، ويحملونهم عليها، وقيل: يتعلق بقوله: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ أي كلفوا حفظه والباء هنا سببية قاله الزمخشري، ويحتمل أن تكون بدلا من المجرور في قوله ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾، ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ وما بعده خطاب لليهود، ويحتمل أن تكون وصية للمسلمين يراد بها التعريض باليهود؛ لأن ذلك من أفعالهم.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس[١]: نزلت الثلاثة في اليهود: الكافرون، والظالمون، والفاسقون، وقد روي[٢] في هذا أحاديث عن النبي ﷺ، وقال جماعة: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم إلا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان، وقال الشافعي: الكافرون في المسلمين، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ كتبنا بمعنى الكتابة في الألواح، أو بمعنى الفرض والإلزام والضمير في عليهم لبني إسرائيل، وفي قوله ﴿فِيهَا﴾ للتوراة.

﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي تقتل النفس إذا قتلت نفسا، وهذا إخبار عما في

---

(١) أخرجه أبو داود الحديث رقم: (٣٥٧٦)، وأحمد: ٢٤٦/١، والطبراني في المعجم الكبير رقم: (١٠٧٣٢) بإسناد حسن.

(٢) منها حديث مسلم في صحيحه رقم: (١٧٠٠)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٣٢٧)، والطبري في جامع البيان: ٣٤٦/١٠.

التوراة وهو حكم الله في شريعتنا بإجماع إلا أن هذا اللفظ عام، وقد خصص العلماء منه أشياء، فقال مالك: لا يقتل مؤمن بكافر للحديث الوارد في ذلك[1] ولا يقتل حر بعبد لقوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ وقد تقدم الكلام على ذلك في البقرة.

﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ وما بعده حكم القصاص في الأعضاء، والقراءة بنصب النون وما بعده عطف على النفس، وقرئ بالرفع[2] ولها ثلاثة أوجه:

أحدها: العطف على موضع النفس؛ لأن المعنى قلنا لهم النفس بالنفس.

والثاني: العطف على الضمير الذي في الخبر وهو بالنفس.

والثالث: أن يكون مستأنفا مرفوعا بالابتداء.

﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ بالنصب[3] عطف على المنصوبات قبله، وبالرفع على الأوجه الثلاثة التي في رفع العين، وهذا اللفظ عام يراد به الخصوص في الجراح التي لا يخاف على النفس منها.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ فيه تأويلان:

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٧٥١)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤١٣)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٦٨٥)، وأحمد في مسنده: ٢/٢١١، والبيهقي في السنن الكبرى: ٨/٢٩، وفي الصحيح عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي، هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر. البخاري الحديث رقم: (١١١)، و(٢٨٨٢)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤١٢)، والنسائي: ٨/٢٣.

(٢) قال الإمام الداني في التيسير: الكسائي: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ وما بعده بالرفع، ورفع ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ﴿وَٱلْجُرُوحَ﴾ فقط، والباقون كل ذلك بالنصب. التيسير، ص: ٧٤، وانظر إتحاف فضلاء البشر في القراآت الأربعة عشر للدمياطي: ١/٢٥٣، والمحرر الوجيز: ٢/٢٢٨.

(٣) المصادر السابقة.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
ربع فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

أحدهما: من تصدق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه فذلك كفارة له يكفر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه.

والثاني: من تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل والجارح بعفو الله عنه في ذلك لأن صاحب الحق قد عفا عنه فالضمير في له على التأويل الأول: يعود على (من) التي هي كناية عن المقتول أو المجروح أو الولي.

وعلى الثاني: يعود على القاتل أو الجارح وإن لم يجر له ذكر، ولكن سياق الكلام يقتضيه، والأول أرجح، لعود الضمير على مذكور، وهو ﴿من﴾ ومعناها واحد على التأويلين، والصدقة بمعنى العفو على التأويلين، إلا أن التأويل الأول بيان لأجر من عفا وترغيب في العفو، والتأويل الثاني بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عفي عنه.

﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قد تقدم معنى مصدقا في البقرة. و﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني التوراة لأنها قبله، والقرآن مصدق للتوراة والإنجيل لأنهما قبله،

﴿وَمُصَدِّقاً﴾ عطف على موضع قوله فيه هدى ونور؛ لأنه في موضع الحال.

﴿وَمُهَيْمِناً﴾ ابن عباس[1] شاهدا، وقيل: مؤتمنا. ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ تضمن الكلام معنى لا تنصرف أو لا تنحرف، ولذلك تعدى بعن. ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ ابن عباس[2]: سبيلا وسنة، والخطاب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٧٧/١٠، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٩٥/٣، وهو بسند حسن.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٨٥/١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١١٥١/٤، وهو بسند صحيح.

أو الأمم، والمعنى: أن الله جعل لكل أمة شريعة يتبعونها، وقد استدل بها من قال: إن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا، وذلك في الأحكام والفروع، وأما الاعتقاد فالدين فيها واحد لجميع العالم، وهو الإيمان بالله، وتوحيده، وتصديق رسله، والإيمان بالدار الآخرة. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ استدل بها قوم على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها، وهذا متفق عليه في العبادات كلها إلا الصلاة ففيها خلاف، فمذهب الشافعي أن تقديمها في أول وقتها أفضل، وعكس أبو حنيفة وفي مذهب مالك خلاف وتفصيل، واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم﴾ عطف على الكتاب في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أو على الحق في قوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ وقال قوم: إن هذا وقوله قبله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم﴾ ناسخ لقوله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي ناسخ للتخيير الذي في الآية، وقيل: إنه ناسخ للحكم بالتوراة، ونزلت الآية[1] بسبب قوم من اليهود طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم فأبى من ذلك ونزلت الآية تقتضي أن يحكم بينهم.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ توبيخ لليهود، وقرئ بالياء[2] إخبارا عنهم وبالتاء خطابا لهم. ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ قال الزمخشري: اللام للبيان أي هذا الخطاب لقوم يوقنون فإنهم الذين يتبين لهم أنه لا أحسن من الله حكما.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ سببها[3] موالاة عبد الله بن أبي ابن سلول ليهود بني قينقاع، وخلع عبادة بن الصامت الحلف الذي

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار: ١١/٤٥٤٠، والحاكم في المستدرك: ٢/٣١٢، والبيهقي: ٨/٢٤٨، والنسائي في الكبرى رقم: (٦٣٦٩)، وأبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٢/٢٩٤.

(٢) قال ابن الجزري: ﴿يَبْغُونَ﴾ فقرأ ابن عامر بالخطاب، وقرأ الباقون بالغيب. النشر: ٢/٢٨٧.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان بسند مرسل: ١٠/١٢١٥٧، وابن هشام في السيرة: ١/٤٢٨.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ
يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾
يَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ
إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

كان بينه وبينهم، ولفظها عام وحكمها باق، ولا يدخل فيه معاملتهم في البيع والشراء وشبهه. ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ تغليظ في الوعيد، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه، ومن خالفهم في اعتقادهم وأحبهم فهو منهم في المقت عند الله واستحقاق العقوبة.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم المنافقون والمراد هنا عبد الله بن أبي ابن سلول، ومن كان معه ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ كان عبد الله بن أبي يوالي اليهود ويستكثرهم، ويقول: إني رجل أخشى الدوائر. ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ الفتح هنا هو ظهور النبي ﷺ والمسلمين، والأمر من عنده هو هلاك الأعداء بأمراض عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق، أو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل اليهود. ﴿فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ الضمير في فيصبحوا للمنافقين، والذين أسروه هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين، وإضمار العداوة للمسلمين.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ قرئ يقول بغير واو[1] استئناف وإخبار، وقرئ بالواو والرفع وهو عطف جملة على جملة، وبالواو والنصب عطف على ﴿يَأْتِىَ ٱللَّهُ﴾ أو

(١) قال ابن الجزري: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر ﴿يَقُولُ﴾ بغير واو وكما هو في مصاحفهم وقرأ الباقون ﴿وَيَقُولُ﴾ بالواو وكذا هو في مصاحفهم وقرأ منهم البصريان بنصب اللام. وقرأ الباقون من القراء بالرفع. النشر: ٢/٢٨٨.

عطف على ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾. ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ﴾ الإشارة إلى المنافقين لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين، وانتصب ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ على المصدر المؤكد. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين أو من كلام الله، ويحتمل أن يكون دعاء أو خبرا.

﴿مَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ خطاب على وجه التحذير والوعيد، وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين، فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه، ثم وقع، فارتد في حياة رسول الله ﷺ: بنو حنيفة، قوم مسيلمة الكذاب، وبنو مدلج، قوم الأسود العنسي الذي ادعى النبوءة، وقتل في حياة رسول الله ﷺ، وبنو أسد، قوم طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوءة ثم أسلم وجاهد، ثم كثر المرتدون، وفشا أمرهم بعد موت رسول الله ﷺ، حتى كفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت القبائل التي ارتدت بعد وفاة رسول الله ﷺ سبع قبائل: بنو فزارة، وغطفان، وبنو سليم، وبنو يربوع، وكندة، وبنو بكر بن وائل، وبعض بني تميم، ثم ارتدت غسان في زمان عمر بن الخطاب، وهم قوم جبلة بن الأيهم الذي تنصر من أجل اللطمة[1] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾

---

(١) هو جبلة بن الأيهم الذي وفد مسلما على عمر رضي الله عنه في خلافته بخمس مائة فارس عليهم الديباج والذهب وعلى رأسه التاج وقرطا مارية المشهوران، ثم وطئ الفزاري إزاره في الطواف فلطمه، فقال له عمر رضي الله عنه: إما أن ترضيه أو تقيده، فلم يرض الفزاري إلا أن يقيده بلطمة مثلها، فقال: أتقيد مني وأنا ملك؟، فقال عمر رضي الله عنه: أنتما في حكم الإسلام سواء، فقال: أمهلني ثلاثة أيام، فأمهله فخرج ليلا إلى قيصر فملكه في بلاده وتنصر، ثم إن عمر رضي الله عنه أرسل صحابيا إلى قيصر فاجتمع بجبلة فرأى عنده من الخدم والحشم والجواهر وأواني الذهب والفضة ما أذهله، فسأل عن عمر وعن تلك الديار ثم تأوه وأنشد:

تنصرت الأشراف من أجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها لجاج ونخوة ... وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى القول الذي قاله عمر

توفي جبلة سنة: ٢٠هـ وهذه القصة شهيرة في التاريخ. البداية والنهاية: ٨/٧٠. وانظر إكمال الإكمال: ٢/٥١٥، والأعلام للزركلي: ٢/١١١، وغيرها.

روي[١]: أن رسول الله ﷺ قرأها، وقال: هم قوم هذا يعني أبا موسى الأشعري، والإشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن؛ لأن الأشعريين من أهل اليمن، وقيل: المراد أبو بكر الصديق[٢] وأصحابه، الذين قاتلوا أهل الردة، ويقوي ذلك ما ظهر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الجد في قتالهم والعزم عليه حين خالفه في ذلك بعض الناس، فاشتد عزمه حتى وافقوه وأجمعوا معه فنصرهم الله على أهل الردة، ويقوي ذلك أيضا أن الصفات التي وصف بها هؤلاء القوم هي أوصاف أبي بكر ألا ترى قوله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ وكان أبو بكر ضعيفا في نفسه قويا في الله، وكذلك قوله ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ إشارة إلى من خالف أبا بكر ولامه في قتال أهل الردة فلم يرجع عن عزمه. ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ وإنما تعدى أذلة بعلى لأنه تضمن معنى العطف والحنو، فإن قيل: أين الراجع من الجزاء إلى الشرط؟ **فالجواب**: أنه محذوف، تقديره: من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم، أو بقوم يقاتلونهم.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ ذكر الولي بلفظ المفرد إفرادا لله تعالى بها، ثم عطف على اسمه تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قال: إنما أولياؤكم، لم يكن في الكلام أصل وتبع. ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ قيل: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣] فإنه سأله سائل وهو راكع في الصلاة فأعطاه

---

(١) الطبري في جامع البيان: ١٠/١٢١٨٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١١٦٠ بسند ظاهره الحسن.

(٢) قال ابن عطية: وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الآية، قال فيها الحسن بن أبي الحسن ومحمد بن كعب القرظي والضحاك وقتادة: نزلت الآية خطابا للمؤمنين عامة إلى يوم القيامة، والإشارة بالقوم الذين يأتي الله بهم إلى أبي بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة، وقال هذا القول ابن جريج وغيره. المحرر الوجيز: ٢/٢٤١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١١٦٢، وابن منده: ٧/٨٠، وأخرجه الطبري: ٤/٦٢٨، وانظر المحرر الوجيز: ٢/٢٠٨، والدر المنثور: ٢/٢٥٠ قال ابن كثير: ٣/١٧٤، وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها...

ثمن

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ • قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا
بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾
قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا
وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ
﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ
السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا
بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا
اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

خاتمه، وقيل: هي عامة، وذكر الركوع بعد الصلاة لأنه من أشرف أعمالها، فالواو على القول الأول واو الحال وعلى الثاني للعطف.

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر معناه: فإنهم هم الغالبون.

﴿وَالْكُفَّارَ﴾ بالنصب[1] عطف على الذين اتخذوا وقرئ بالخفض، عطف على الذين أوتوا الكتاب، ويعضده قراءة ابن مسعود[2]: «ومن الكفار»، ويراد بهم المشركون من العرب».

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾ الآية روي[3] أن رجلا من النصارى كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الله الكاذب فوقعت النار في بيته فاحترق هو وأهله واستدل بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ جعل قلة عقولهم علة لاستهزائهم بالدين.

﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾ أي هل تعيبون علينا وتنكرون منا إلا إيماننا بالله، وبجميع كتبه ورسله وذلك أمر لا ينكر ولا يعاب، ونظير هذا في الاستثناء العجيب

---

(١) ﴿وَالْكُفَّارَ﴾ قرأ البصريان والكسائي بخفض الراء، وقرأ الباقون بنصبها، ومن خفض فهو على أصله في الإمالة والفتح وقفاً ووصلاً. النشر: ٢/٢٨٨.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ أبي بن كعب: «ومن الكفار» بزيادة من، فهذه تؤيد قراءة الخفض وكذلك في قراءة ابن مسعود: «من قبلكم من الذي أشركوا» المحرر الوجيز: ٢/٢٤٣.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٢١٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١١٦٣ بإسناد ضعيف.

قول النابغة:[1]

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

ونزلت الآية[2] بسبب أبي ياسر بن أخطب ونافع بن أبي نافع وجماعة من اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن الرسل الذين يؤمن بهم فتلا ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ إلى آخر الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به. ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ قيل: إنه معطوف على آمنا، وقيل: على ما أنزل وقيل: هو تعليل معطوف على تعليل محذوف تقديره: هل تنقمون منا إلا لقلة إنصافكم، ولأن أكثركم فاسقون، ويحتمل أن يكون وأن أكثركم مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: فسقكم معلوم أو ثابت.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ لما ذكر أن أهل الكتاب يعيبون المسلمين بالإيمان بالله ورسله، ذكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك ردا عليهم، فالخطاب في أنبئكم لليهود والإشارة بذلك إلى ما تقدم من حال المؤمنين.

﴿مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ هي من الثواب ووضع الثواب موضع العقاب تهكما بهم نحو قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ يعني اليهود، ومن في موضع رفع خبر مبتدإ مضمر، تقديره: هو من لعنه الله، أو في موضع خفض على البدل من شر، ولا بد في الكلام من حذف مضاف، تقديره: بشر من أهل ذلك، أو تقديره: دين من لعنه الله ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ مسخ قوم من اليهود قرودا حين اعتدوا في السبت، ومسخ قوم منهم خنازير حين كذبوا عيسى ابن مريم ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾

---

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص: ٨٥٠.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٢٢١٩/١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١١٦٤/٤ بإسناد ضعيف.

القراءة بفتح الباء[١] فعل معطوف على لعنه الله، وقرئ بضم الباء وخفض الطاغوت على أن يكون عبد اسما على وجه المبالغة أضيف إلى الطاغوت، وقرئ[٢] وعابد وعباد وهو في هذه الوجوه عطف على القردة والخنازير.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي منزلة ونسب الشر للمكان وهو في الحقيقة لأهله، وذلك مبالغة في الذم.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ نزلت[٣] في منافقين من اليهود ﴿وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ﴾ تقديره: متلبسين بالكفر، والمعنى: دخلوا كفارا وخرجوا كفارا. ودخلت قد على دخلوا وخرجوا تقريبا للماضي من الحال، أي ذلك حالهم في دخولهم وخروجهم على الدوام.

﴿فِى ٱلْإِثْمِ﴾ الكذب وسائر المعاصي ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلم ﴿ٱلسُّحْتَ﴾ الحرام.

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ﴾ عرض وتحضيض وتقريع

﴿لَبِئْسَ﴾ اللام في الموضعين للقسم.

---

(١) ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ قرأ حمزة بضم الباء من ﴿عبد﴾ وخفض ﴿الطاغوت﴾ وقرأ الباقون بالفتح والنصب. النشر: ٢/٢٨٨.

(٢) قال ابن عطية: وروى عكرمة عن ابن عباس وعابدوا الطاغوت بضمير جمع، وقد قال بعض الرواة في هذه الأخيرة إنها تجويز لا قراءة، وقرأ ابن بريدة: وعابد الطاغوت بفتح العين والدال وكسر الباء والتاء وقرأ بعض البصريين: وعباد الطاغوت بكسر العين وفتح الباء والدال وألف بينهما وكسر التاء، قال أبو الفتح: فيحتمل أن يكون ذلك جمع عابد كقائم وقيام وصائم وصيام، وقد يجوز أن يكون جمع عبد، وقل ما يأتي عباد مضافا إلى غير الله وأنشد سيبويه:

أتوعدني بقومك يا ابن حجل ... أشابات يخالون العبادا

المحرر الوجيز: ٢/٢٤٨.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٢٣٠ بسند صحيح إلى قتادة وهو أثر مرسل.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ غل اليد كناية عن البخل، وبسطها كناية عن الجود، ومنه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ أي لا تبخل كل البخل ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ أي لا تجد كل الجود، وروي[1]: أن اليهود أصابتهم سنة جهد فقالوا هذه المقالة الشنيعة، وكان الذي قالها فنحاص[2] ونسبت إلى جملة اليهود؛ لأنهم رضوا بقوله.

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يحتمل أن يكون دعاء أو خبرا، ويحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة، فإن كان في الدنيا فيحتمل أن يراد به البخل أو غل أيديهم في الأسر، وإن كان في الآخرة فهو جعل الأغلال في جهنم.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبارة عن إنعامه وجوده، وإنما ثنيت اليدان هنا وأفردت في قول اليهود يد الله مغلولة ليكون ردا عليهم ومبالغة في وصفه تعالى بالجود، كقول العرب: فلان يعطي بكلتا يديه إذا كان عظيم السخاء.

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ إيقاد النار عبارة عن محاولة الحرب، وإطفاؤها عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم، ويحتمل أن يراد بذلك أسلافهم أو يراد من كان معاصرا للنبي ﷺ منهم، ومن يأت بعدهم فيكون على هذا إخبارا بغيب وبشارة للمسلمين.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ الآية يحتمل أن يراد أسلافهم أو المعاصرون للنبي ﷺ، فيكون على هذا ترغيبا لهم في الإيمان والتقوى.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ إقامتها بالعلم والعمل، وذكر الإنجيل دليل على دخول النصارى في لفظ أهل الكتاب ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ قيل: من فوقهم عبارة عن المطر، ومن تحت أرجلهم عبارة عن النبات

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/٤٥٢ بسند ضعيف.

(٢) فنحاص حبر من أحبار اليهود. المحرر الوجيز: ١/٥٨٣.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَاتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟
التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن
تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
رُبع سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ
الْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ
﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَالَّذِينَ هَادُوا۟ وَالصَّٰبِـُٔونَ وَالنَّصَٰرَىٰ
مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا
لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

والزرع، وقيل: ذلك استعارة في توسعة الرزق من كل وجه.

﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ أي معتدلة ويراد به من أسلم منهم كعبد الله بن سلام، وقيل: من لم يعاد الأنبياء المتقدمين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أمر بتبليغ جميع ما أوحي إليه على الاستيفاء والكمال؛ لأنه كان قد بلغ وإنما أمر هنا ألا يتوقف عن شيء مخافة أحد ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ، وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان:

أحدهما: أن المعنى إن تركت منه شيئا فكأنك لم تبلغ شيئا، وصار ما بلغت لا يعتد به، فمعنى إن لم تفعل: إن لم تستوف التبليغ على الكمال.

والآخر: أن المعنى إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتمها، ووضع السبب موضع المسبب.

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وعد وضمان للعصمة، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاف أعداءه ويحترس منهم في غزواته وغيرها، فلما نزلت هذه الآية قال: «يا أيها الناس انصرفوا فإن الله قد عصمني وترك الاحتراس»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير الحديث رقم: (٢٩٧٢)، والطبري في جامع البيان: ١٢٢٧٦/١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١١٧٣/٤، والحاكم في المستدرك: ٣١٣/٢، وابن منصور في سننه: ١٥٠٤/٤، والبيهقي في سننه: ٨/٩ قال الحاكم: هذا صحيح الإسناد=

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآية أي لستم على دين يعتد به فيسمى شيئا ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ ومن إقامتها الإيمان بمحمد ﷺ وقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ قال ابن عباس[١] يعني القرآن ونزلت الآية[٢] بسبب رافع بن حارثة، وسلام بن مشكم، ورافع بن خزيمة، وغيرهم من اليهود، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها، ولا نؤمن بك ولا نتبعك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في البقرة ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ قراءة السبعة بالواو وهي مشكلة، حتى قالت: عائشة هي من لحن كُتّاب المصحف[٣] وإعرابها عند أهل البصرة: مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: والصابون كذلك، وهو مقدم في نية التأخير، وأجاز بعض الكوفيين أن يكون معطوفا على موضع اسم إن، وقيل: (إن) هنا بمعنى (نعم)، وما بعدها مرفوع بالابتداء، وهو ضعيف.

﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي بلاء واختبار وقرئ[٤] تكون بالرفع على أن تكون أن مخففة من الثقيلة، وبالنصب على أنها مصدرية ﴿فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: إن هذه التوبة رد ملكهم ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه ثم أخرجوا المرة الثانية فلم ينجبر حالهم

= ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وحسنه ابن حجر في الفتح: ٨٢/٦، والألباني في صحيح الترمذي: ٤٦/٣..

(١) لم نجده مسندا، وانظر المحرر الوجيز: ٢٥٥/٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٢٢٨٤/١٠ من طريق محمد بن إسحاق بسند ضعيف.

(٣) تقدم الكلام على هذا الموضوع، وتقدم أيضا أن القراءة المتواترة لا يمكن الطعن فيها من أي شخص كائنا من كان.

(٤) ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ قرأ البصريان وحمزة الكسائي وخلف برفع النون، وقرأ الباقون بنصبها. النشر: ٢٨٨/٢.

وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ
ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾
لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ
إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾
● مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ
ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ
ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

أبدا، وقيل: التوبة بعث عيسى عليه السلام، وقيل: بعث محمد صلى الله عليه وسلم ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل من الضمير أو فاعل على لغة: أكلوني البراغيث، والبدل أرجح وأفصح.

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ﴾ الآية رد على النصارى وتكذيب لهم.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المسيح أو من كلام الله.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية رد على من جعله إلها ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق، ووصفها بهذه الصفة دون النبوءة يدفع قول من قال إنها نبيئة.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ استدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء الذي لا يحتاج إليه إلا محدث مفتقر، ومن كان كذلك فليس بإله؛ لأن الإله منزه عن صفات الحدوث، وعن كل ما يلحق البشر، وقيل: إن قوله ﴿يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ عبارة عن الاحتياج إلى الغائط ولا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره لأن الحجة قائمة بالوجهين. ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ﴾ دخلت ثم لتفاوت الأمرين ولقصد التعجيب من كفرهم بعد بيان الأدلة.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية إقامة حجة على من عبد عيسى وأمه وهما لا يملكان ضرا ولا نفعا.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ خطاب للنصارى والغلو

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟
كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى
ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ
أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾
وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ
مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ
﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ
وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

الإفراط وسبب ذلك كفر النصارى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ﴾ قيل: هم أئمتهم في دين النصرانية، كانوا على ضلال في عيسى وأضلوا كثيرا من الناس، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد ﷺ، وقيل: هم اليهود والأول أرجح لوجهين:

أحدهما: أن الضلال وصف لازم للنصارى ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

والآخر: أنه يبعد نهي النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق.

﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ أي في الزبور والإنجيل.

﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا ﴿عَن مُّنكَرٍ﴾ فإن قيل: لم وصف المنكر بقوله ﴿فَعَلُوهُ﴾ والنهي لا يكون بعد الفعل؟ فالجواب: أن المعنى لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر إن أرادوا فعله.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ إن أراد أسلافهم فالرؤية بالقلب، وإن أراد المعاصرين للنبي ﷺ وهو الأظهر، فهي رؤية عين.

﴿وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني محمدا ﷺ: ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني ما اتخذوا الكفار أولياء.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾ الآية إخبار عن شدة عداوة اليهود وعبدة

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ
وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ
اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ
بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ
فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا
أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

الأوثان للمسلمين ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ الآية إخبار أن النصارى أقرب إلى مودة المسلمين، وهذا الأمر باق إلى آخر الدهر، فكل يهودي شديد العداوة للإسلام والكيد لأهله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ تعليل لقرب مودتهم، والقسيس: العالم، والراهب: العابد.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ الآية هي في النجاشي[(١)] وفي الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله ﷺ، وهم سبعون رجلا، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن فبكوا، كما بكى النجاشي حين قرأ عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه سورة مريم، وقال السهيلي: نزلت في وفد نجران[(٢)] وكانوا نصارى عشرين رجلا فلما سمعوا القرآن بكوا ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ من الأولى سببية، والثانية بيان للجنس. ﴿آمَنَّا﴾ أي بالقرآن من عند الله ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي مع المسلمين وكذلك مع القوم الصالحين.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ توقيف لأنفسهم أو محاجة لغيرهم ﴿وَنَطْمَعُ﴾ قال الزمخشري: الواو للحال، وقال ابن عطية: لعطف جملة على جملة لا لعطف فعل على فعل.

---

(١) أخرجه النسائي: ١/٤٤٣، والبزار في مسنده: ٦/١٤٢، والطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٣١٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١١٨٤ بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في السيرة: ١/٤١٨ بسند منقطع.

﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ سببها: أن قوما من الصحابة غلب عليهم خوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء، وبعضهم النوم بالليل، وبعضهم أكل اللحم، وهم بعضهم أن يختصوا أو يسيحوا في الأرض، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1] ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ أي لا تفرطوا في التشديد على أنفسكم أكثر مما شرع لكم.

﴿وَكُلُواْ﴾ أي تمتعوا بالمآكل الحلال وبالنساء وغير ذلك، وإنما خص الأكل بالذكر لأنه أعظم حاجات الإنسان.

﴿بِاللَّغْوِ﴾ تقدم في البقرة ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ أي بما قصدتم عقده بالنية، وقرئ[2] عقدتم بالتخفيف وعاقدتم بالألف ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ اشتراط المسكنة دليل على أنه لا يجزئ في الكفارة إطعام غني، فإن أطعمه جهلا لم يجزه على المشهور من المذهب، واشترط مالك أيضا أن يكونوا أحرارا مسلمين، وليس في الآية ما يدل على ذلك.

﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ اختلف في هذا التوسط هل هو في القدر أو في الصنف؟ واللفظ يحتمل الوجهين، فأما القدر: فقال مالك: يطعم بالمدينة مد بمد النبي ﷺ، وبغيرها وسط من الشبع، وقال الشافعي وابن القاسم: يجزئ المد في كل مكان، وقال أبو حنيفة: إن غداهم وعشاهم أجزأه.

وأما الصنف: فاختلف هل يطعم من عيش نفسه أو من عيش أهل بلده؟ فمعنى الآية على التأويل الثاني من أوسط ما تطعمون أيها الناس أهليكم على

---

(١) أخرجه البخاري بلفظ: «أما والله أني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» الحديث رقم: (٤٧٧٦)، ومسلم الحديث رقم: (١٤٠٤)، والنسائي رقم: (١٧٠)، وأخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/٥١٥.

(٢) ﴿عَقَدتُّمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ﴿عَقَدتُّمْ﴾ بالقصر والتخفيف، ورواه ابن ذكوان كذلك إلا أنه بالألف، وقرأ الباقون بالتشديد من غير ألف. النشر: ٢/٢٨٨..

الجملة، وعلى الأول يختص الخطاب بالمكفر.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال كثير من العلماء: يجزئ ثوب واحد لمسكين لأنه يقال فيه كسوة، وقال مالك: إنما يجزئ ما تصح به الصلاة، فللرجل ثوب واحد وللمرأة قميص وخمار.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ اشترط مالك فيها أن تكون مؤمنة لتقييدها بذلك في كفارة القتل، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيد، وأجاز أبو حنيفة هنا عتق الكافرة لإطلاق اللفظ هنا، واشترط مالك أيضا أن تكون سليمة من العيوب، وليس في اللفظ ما يدل على ذلك ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي من لم يملك ما يعتق، ولا ما يطعم، ولا ما يكسو: فعليه صيام ثلاثة أيام، فالخصال الثلاث على التخيير، والصيام مرتب بعدها لمن عدمها، وهو عند مالك من لم يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه زيادة.

﴿ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ معناه إذا حلفتم وحنثتم أو أردتم الحنث. واختلف: هل يجوز تقديم الكفارة على الحنث أم لا؟

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي احفظوها فبروا فيها ولا تحنثوا، وقيل: احفظوها بأن تكفروها إن حنثتم، وقيل: احفظوها أي لا تنسوها تهاونا بها.

﴿الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ ذكر في البقرة ﴿وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ﴾ مذكوران في أول هذه السورة ﴿رِجْسٌ﴾ هو في اللغة كل مكروه مذموم، وقد يطلق بمعنى النجس وبمعنى الحرام، وقال ابن عباس هنا: رجس سخط[١].

﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ نص في التحريم، والضمير يعود على الرجس الذي هو خبر عن جميع الأشياء المذكورة.

---

(١) المحرر الوجيز: ٢/٢٧٢.

ثمن

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ تقبيح للخمر والميسر وذكر لبعض عيوبها وتعليل لتحريمها، وقد وقعت في زمان الصحابة عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال إن ذلك كان سبب نزول الآية[1] ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ توقيف يتضمن الزجر والوعيد، ولذلك قال عمر لما نزلت: انتهينا انتهينا[2].

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ فيها تأويلان: أحدهما: أنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة: كيف بمن مات منا وهو يشربها؟ فنزلت الآية[3] معلمة أنه لا جناح على من شربها قبل التحريم؛ لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ.

والآخر: أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها، وعلى هذا أخذها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال لقدامة[4]: «إنك إذا

(١) الطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٥٢٢، والحاكم في المستدرك: ٤/١٤٢، والبيهقي في سننه: ٨/٢٨٥ قال الذهبي صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٦٧٠)، والترمذي في سننه رقم: (٣٠٤٩)، والنسائي: ٨/٢٨٦، والطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٥١٢.

(٣) معناه في البخاري الحديث رقم: (٤٣٤٤)، ومسلم الحديث رقم: (١٩٨٠)، والترمذي الحديث رقم: (٣٠٥١)، والطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٥٢٩، والواحدي في أسبابه، ص: ١٧٧.

(٤) هو قدامة بن مظعون بن حبيب الجمحي القرشي: صحابي، وال، من مهاجرة الحبشة. =

اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، وكان قدامة قد شربها، واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه، فقال عمر: أخطأت التأويل»[١].

﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّءَامَنُوا﴾ الآية، قيل: كرر التقوى مبالغة، وقيل: الرتبة الأولى اتقاء الشرك، والثانية اتقاء المعاصي، والثالثة اتقاء ما لا بأس به حذرا مما به البأس، وقيل: الأولى للزمان الماضي والثانية للحال والثالثة للمستقبل ﴿وَّأَحْسَنُوا﴾ يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس أو الإحسان في طاعة الله وهو المراقبة، وهذا أرجح؛ لأنه درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة: مقام الإسلام ثم مقام الإيمان، ثم مقام الإحسان.

﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ أي يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام وفي الحرم، وكان الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم فاختبروا بتركه كما اختبر بنو إسرائيل بالحوت في السبت، وإنما قلله في قوله بشيء من الصيد إشعارا بأنه ليس من الفتن العظام، وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ قال مجاهد[٢]: الذي تناله الأيدي الفراخ والبيض وما لا يستطيع أن يفر، والذي تناله الرماح كبار الصيد، والظاهر عدم هذا التخصيص ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ أي يعلمه علما تقوم به الحجة، وذلك إذا ظهر في الوجود ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ﴾ أي بقتل الصيد وهو محرم والعذاب الأليم هنا في الآخرة.

﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ معنى حرم داخلين في الإحرام أو في

= شهد بدرا وأحدا والخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستعمله عمر على البحرين، ثم عزله لشربه الخمر، وأقام عليه الحد في المدينة، ولم يحد في الخمر أحد من أهل بدر إلا قدامة. توفي سنة: ٣٦هـ وهو ابن ثمان وستين سنة. الاستيعاب: ٣٩٥/١، والأعلام: ١٩١/٥..

(١) صحيح، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٢٠٢/٤، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٧٥/٢.

(٢) الطبري في جامع البيان: ١٢٥٤٠/١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٢٠٣/٤بإسناد صحيح.

الحرم، والصيد هنا عام خصص منه الحديث: «الغراب، والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور»[١]، وأدخل مالك في الكلب العقور كل ما يؤذي الناس من السباع وغيرها، وقاس الشافعي على هذه الخمسة كل ما لا يؤكل لحمه، ولفظ الصيد يدخل فيه ما صيد وما لم يصد مما شأنه أن يصاد، وورد النهي هنا عن القتل قبل أن يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ مفهوم الآية يقتضي أن جزاء الصيد على المتعمد لا على الناسي وبذلك قال أهل الظاهر، وقال جمهور الفقهاء: المتعمد والناسي سواء في وجوب الجزاء، ثم اختلفوا في تأويل قوله ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المتعمد إنما ذكر ليناط به الوعيد الذي في قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ إذ لا وعيد على الناسي.

والثاني: أن الجزاء على الناسي بالقياس على المتعمد.

والثالث: أن الجزاء على المتعمد ثبت بالقرآن، وأن الجزاء على الناسي ثبت بالسنة[٢].

﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ المعنى فعليه جزاء، وقرئ[٣] بإضافة جزاء

---

(١) خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن بالحرم، البخاري الحديث رقم: (١٨٢٩)، ومسلم الحديث رقم: (١١٩٨)، والموطأ الحديث رقم: (٧٨٩)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٨٣٧)، وغيرهم.

(٢) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٩١/٥ قائلا، قال الزهري: نزل القرآن بالعمد، وجرت السنة في قتله خطئا أنهما يكفران، وقال بعض الناس: لا يلزم القاتل خطئا كفارة. وانظر المحلى: ٢١٤/٧.

(٣) ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلِ﴾ قرأ الكوفيون ويعقوب ﴿فجزاء﴾ بالتنوين ﴿مثل﴾ برفع اللام، وقرأ الباقون بغير تنوين وخفض اللام. النشر: ٢٨٨/٢.

إلى مثل، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به، وقيل: مثل زائدة كقولك: أنا أكرم مثلك أي أكرمك، وقرئ فجزاء بالتنوين ومثل بالرفع على البدل أو الصفة، والنعم: الإبل والبقر والغنم خاصة، ومعنى الآية عند مالك والشافعي أن من قتل صيدا وهو محرم أن عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيد في الخلقة والمنظر، ففي النعامة بدنة، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الغزالة شاة، فالمثلية على هذا هي في الصورة والمقدار، فإن لم يكن له مثل أطعم أو صام، ومذهب أبي حنيفة أن المثل القيمة، يقوم الصيد المقتول ويخير القاتل بين أن يتصدق بالقيمة أو يشتري بالقيمة من النعم ما يهديه.

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ﴾ هذه الآية تقتضي أن التحكيم شرط في إخراج الجزاء ولا خلاف في ذلك، فإن أخرج أحد الجزاء قبل الحكم عليه فعليه إعادته بالحكم إلا حمام مكة، فإنه لا يحتاج إلى حكمين قاله مالك، ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت فيه الصحابة وفيما لم يحكموا به لعموم لفظ الآية، وقال الشافعي: يكتفى في ذلك بما حكمت به الصحابة.

﴿هَدْيًۢا﴾ يقتضي ظاهره أن ما يخرج من النعم جزاء عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يهدى، وهو الجذع من الضأن والثني مما سواه، وقال الشافعي: يخرج المثل في اللحم ولا يشترط السن ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ لم يرد الكعبة بعينها وإنما أراد الحرم، ويقتضي أن يصنع بالجزاء ما يصنع بالهدي من سوقه من الحل إلى الحرم، وقال الشافعي وأبو حنيفة: إن اشتراه في الحرم أجزأه.

﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ عدد تعالى ما يجب في قتل المحرم للصيد، فذكر أولا الجزاء من النعم، ثم الطعام، ثم الصيام، ومذهب مالك والجمهور أنها على التخيير وهو الذي يقتضيه العطف بأو، ومذهب ابن عباس[1] أنها

---

(١) عن ابن عباس في قوله: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ قال: «إذا أصاب المحرم الصيد وجب=

على الترتيب، ولم يبين الله هنا مقدار الطعام، فرأى العلماء أن يقدر الجزاء من النعم، إلا أنهم اختلفوا في كيفية التقدير، فقال مالك: يقدر الصيد المقتول نفسه بالطعام أو الدراهم، ثم تقوم الدراهم بالطعام فينظر كم يساوي من طعام أو من دراهم وهو حي، وقال بعض أصحاب مالك: يقدر الصيد بالطعام، أي يقال كم كان يشبع الصيد من نفس؟ ثم يخرج قدر شبعهم طعاما، وقال الشافعي: لا يقدر الصيد نفسه وإنما يقدر مثله، وهو الجزاء الواجب على القاتل له.

﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ تحتمل الإشارة بذلك أن تكون إلى الطعام وهو أحسن لأنه أقرب، أو إلى الصيد، واختلف في صفة تعديل الصيام بالطعام، فقال مالك: يصوم مكان كل مد يوما، وقال أبو حنيفة: مكان كل مدين يوما، وقيل: مكان كل صاع يوما، ولا يجب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام إلا بقتل الصيد لا بأخذه دون قتل، لقوله ﴿مَن قَتَلَهُۥ﴾ وفي كل وجه يشترط حكم الحكمين، وإنما لم يذكره الله في الصيام والطعام استغناء بذكره في الجزاء، ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ الذوق هنا مستعار؛ لأن حقيقته بحاسة اللسان، والوبال سوء العاقبة وهو هنا ما لزمه من التكفير.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي عما فعلتم في الجاهلية من قتل الصيد في الحرم ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ أي من عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد النهي عن ذلك فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه، أو بعذابه في الآخرة.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ أحل الله بهذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم، والصيد هنا المصيد، والبحر هو الماء الكثير سواء كان مالحا أو عذبا،

= عليه جزاؤه، فإن كان عنده جزاؤه ذبحه، وتصدق بلحمه، وإن لم يكن عنده جزاؤه قوم جزاؤه دراهم، ثم قومت الدراهم طعاما، فصام مكان كل نصف صاع يوما، وإنما أريد بالطعام الصيام، وإنه إذا وجد الطعام، وجد جزاؤه» ابن منصور في سننه: ١٦٢٢/٤، والطبري في جامع البيان: ١٢٥٦٩/١١، والمحلى لابن حزم بسند حسن.

ربع

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ • جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا
عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

كالبرك ونحوها، وطعامه هو ما يطفو على الماء وما قذف به البحر؛ لأن ذلك طعام وليس بصيد، قاله أبو بكر الصديق[١] وعمر بن الخطاب[٢]، وقال ابن عباس: طعامه ما ملح منه وبقي[٣] ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ الخطاب بلكم للحاضرين في البحر والسيارة المسافرون أي هو متاع تأتدمون به.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ الصيد هنا يحتمل أن يراد به المصدر أو الشيء المصيد أو كلاهما، فنشأ من هذا أن ما صاده المحرم فلا يحل له أكله بوجه، ونشأ الخلاف فيما صاد غيره، فإذا اصطاد حلال فقيل: يجوز للمحرم أكله، وقيل: لا يجوز، وقيل: لا يجوز إن اصطاده لمحرم، والأقوال الثلاثة مروية عن مالك، وإن اصطاد حرام لم يجز لغيره أكله عند مالك خلافا للشافعي.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ أي أمرا يقوم للناس بالأمن والمنافع، وقيل: موضع قيام بالمناسك، ولفظ الناس هنا عام، وقيل: أراد العرب خاصة لأنهم الذين كانوا يعظمون الكعبة ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ يريد جنس الأشهر الحرم الأربعة؛ لأنهم كانوا يكفون فيها عن القتال ﴿وَالْهَدْيَ﴾ يريد أنه أمان لمن

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/١٢٦٨٦عن ابن عباس بسند ضعيف جدا.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه الحديث رقم: (١٦٢٨)، والطبري في جامع البيان: ١١/١٢٦٦٧ عن أبي هريرة بسند حسن.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/١٢٧٠٩ بسند ضعيف.

يسوقه؛ لأنه يعلم أنه في عبادة لم يأت لحرب.

﴿وَالْقَلَٰٓئِدَ﴾ كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد شيئا من السمر، وإذا رجع تقلد شيئا من أشجار الحرم ليعلم أنه كان في عبادة فلا يتعرض له أحد بشيء، فالقلائد هنا هو ما تقلده المحرم من الشجر، وقيل: أراد قلائد الهدي، قال سعيد ابن جبير(١): جعل الله هذه الأمور للناس في الجاهلية وشددها في الإسلام.

﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ﴾ الإشارة إلى جعل هذه الأمور قياما للناس، والمعنى: جعل الله ذلك لتعلموا أن الله يعلم تفاصيل الأمور.

﴿لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ لفظ عام في جميع الأمور من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك.

﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ قيل: سببها(٢) سؤال عبد الله بن حذافة من أبي؟ فقال له النبي ﷺ: أبوك حذافة، وقال آخر: أين أبي؟ قال: في النار(٣) وقيل: سببها أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب عليكم الحج فحجوا، فقالوا يا رسول الله أفي كل عام؟ فسكت، فأعادوا، قال: لا، ولو قلت نعم لوجبت»(٤) فعلى الأول تسؤكم بالإخبار بما لا يعجبكم، وعلى الثاني تسؤكم

(١) الطبري في جامع البيان: ٩٢/١١ بسند حسن.

(٢) صحيح من حديث أبي هريرة أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار: ١١٢/٤، والطبري في جامع البيان: ١٢٨٠٢/١١ قال ابن كثير في تفسيره: ٢٥٦/٣ عنه، إسناده حسن، وله شاهد من حديث أنس خرجه البخاري (٩٣)، ومسلم (٢٣٥٩)..

(٣) روى الطبري بسنده عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان محمارٌّ وجهه! حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل فقال: أين أبي؟ قال: في النار، فقام آخر فقال: من أبي؟ قال: أبوك حذافة! فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، وبالقرآن إمامًا، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشِرْك، والله يعلمُ من آباؤنا! قال: فسكن غضبه، ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (١٢٨٠٢)..

(٤) الترمذي الحديث رقم: (٨١٤)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٨٨٤)، والمسند الحديث رقم:=

بتكليف ما يشق عليكم، ويقوي هذا قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ أي سكت عن ذكرها ولم يطالبكم بها، كقوله ﷺ: «عفا الله عن الزكاة في الخيل»[1] وقيل: إن معنى عفا الله عنها عفا عنكم فيما تقدم من سؤالكم فلا تعودوا إليه.

﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ فيه معنى الوعيد على السؤال كأنه قال: لا تسألوا وإن سألتم أبدى لكم ما يسوؤكم، والمراد بحين ينزل القرآن زمان الوحي.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ الضمير في سألها راجع إلى المسألة التي دل عليها ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ﴾ وهي مصدر، ولذلك لم يتعدى بعن كما تعدى قوله ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا﴾ وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا، فالكفر هنا عبارة عن ترك ما أمروا به.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ لما سأل قوم عن هذه الأمور التي كانت في الجاهلية، هل تعظم لتعظيم الكعبة والهدي؟ أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئا من ذلك لعباده، أي لم يشرعه لهم وإنما الكفار جعلوا ذلك.

فأما البحيرة: فهي فعيلة بمعنى مفعولة من بحر إذا شق، وذلك أن الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقوا آذانها وتركوها ترعى ولا ينتفع بها.

وأما السائبة: فكان الرجل يقول إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في عدم الانتفاع بها.

= (٨٦٢)، والدارقطني: ٢٨٠/٨، والحاكم في المستدرك: ٢٩٣/٢، وجملة القول أن سبب النزول صحيح.

(١) لفظه عن علي مرفوعا «قد عفوت عن صدقة الخيل والرقيق، فهاتوا صدقة الرقة، من كل أربعين درهما درهم، وليس في تسعين ومائة شيء فإذا بلغت مائتين ففيها خمسة دراهم» الترمذي الحديث رقم: (٦٢٠)، وأبو داود الحديث رقم: (١٥٧٤)، وأحمد: ٩٢/١، وشرح السنة للبغوي: ٣٩٢/١، وهو حديث حسن...

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

ثمن

وأما الوصيلة: فكانوا إذا ولدت الناقة ذكرا وأنثى في بطن واحد، قالوا وصلت الناقة أخاها فلم يذبحوها.

وأما الحامي: فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا: قد حمى ظهره، فلا يركب ولا يحمل عليه شيء.

﴿وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي يكذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرم الله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الذين يفترون على الله الكذب هم الذين اخترعوا تحريم تلك الأشياء، والذين لا يعقلون: هم أتباعهم المقلدون لهم.

﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي يكفينا دين آبائنا ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ قال الزمخشري: الواو واو الحال دخلت عليها همزة الإنكار، كأنه قيل: أحسبهم هذا وآباؤهم لا يعقلون، قال ابن عطية: ألف التوقيف دخلت على واو العطف، وقول الزمخشري أحسن في المعنى.

﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيل: إنها خطاب للمسلمين من ذرية الذين حرموا البحيرة وأخواتها، كأنه يقول: لا يضركم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم والقول الصحيح فيها ما ورد عن أبي ثعلبة الخشني أنه قال: «سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر

عوامهم»[١] ومثل ذلك قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس هذا بزمان هذه الآية، قولوا الحق ما قبل منكم، فإذا رد عليكم فعليكم أنفسكم»[٢].

﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾ قال مكي: هذه الآية أشكل آية في القرآن: إعرابا، ومعنى، وحكما. ونحن نبين معناها على الجملة، ثم نبين أحكامها وإعرابها على التفصيل، وسببها[٣]: أن رجلين خرجا إلى الشام، وخرج معهما رجل آخر لتجارة، فمرض في الطريق فكتب كتابا قيد فيه كل ما معه وجعله في متاعه، وأوصى الرجلين أن يؤديا رحله إلى ورثته فمات فقدم الرجلان المدينة ودفعا رحله إلى ورثته فوجدوا فيه كتابه وفقدوا منه أشياء قد كتبها، فسألوهما فقالا لا ندري هذا الذي قبضناه، فرفعوهما إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستحلفهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبقي الأمر مدة، ثم عثر على إناء عظيم من فضة، فقيل: لمن وجد عنده من أين لك هذا؟ فقال: اشتريته من فلان وفلان يعني الرجلين، فارتفع الأمر في ذلك إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلين من أولياء الميت أن يحلفا فحلفا واستحقا، فمعنى الآية: إذا حضر الموت أحد في السفر فليشهد عدلين بما معه، فإن وقعت ريبة في شهادتهما حلفا أنهما ما كذبا ولا بدلا، فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت، وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما.

و﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ مرفوع بالابتداء وخبره اثنان، التقدير: شهادة بينكم شهادة اثنين أو مقيم شهادة بينكم اثنان، ﴿إِذَا حَضَرَ﴾ أي قارب الحضور، والعامل

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٥٨)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٣٤١)، وابن ماجه الحديث رقم: (٤٠١٤)، وهو حديث ضعيف وله شواهد.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/١٩٩، والطبري في جامع البيان: ١١/١٢٨٤٨ بإسناد حسن.

(٣) وهو من حديث ابن عباس وتميم الداري، أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٨٠)، وأبو داود الحديث رقم: (٣٦٠٥)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٦٠)، والطبري في جامع البيان: ١١/١٢٩٦٦.

في إذ المصدر الذي هو شهادة، وهذا على أن يكون إذا بمنزلة حين لا تحتاج جوابا، ويجوز أن تكون شرطية وجوابها محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها، فإن المعنى: إذا حضر أحدكم الموت فينبغي أن يشهد. ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ ظرف العامل فيه حضر، أو يكون بدلا من إذا. ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفة للشاهدين ﴿مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قيل: معنى منكم: من عشيرتكم وأقاربكم، ومن غيركم: أي من غير العشيرة والقرابة، وقال الجمهور: منكم أي من المسلمين، ومن غيركم من الكفار إن لم يوجد مسلم، ثم اختلف على هذا: هل هي منسوخة بقوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فلا تجوز شهادة الكفار أصلا؟ وهو قول مالك والشافعي والجمهور، أو هي محكمة، وأن شهادة الكفار جائزة على الوصية في السفر، وهو قول ابن عباس[1]. ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي سافرتم، وجواب إن محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها، والمعنى: إن ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت فشهادة بينكم شهادة اثنين ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ قال أبو علي الفارسي: هو صفة لآخران واعترض بين الصفة والموصوف بقوله ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ ليفيد أن العدول إلى آخرين من غير الملة إنما يجوز لضرورة الضرب في الأرض، وحلول الموت في السفر، وقال الزمخشري: تحبسونهما استئناف كلام.

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال الجمهور: هي صلاة العصر فاللام للعهد لأنها وقت اجتماع الناس، وبعدها أمر النبي ﷺ بالأيمان، وقال: «من حلف على سلعة بعد صلاة العصر...»[2] وكان التحليف بعدها معروفا عندهم[3]، وقال ابن

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/١٨١.

(٢) لفظ الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك» البخاري الحديث رقم: (٢٣٦٩)، ومسلم الحديث رقم: (١٨)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٤٧٤)، وابن حبان: ١١/٢٧٣.

(٣) انظر المحرر الوجيز: ٢/٣٥٣.

عباس[1]: هي صلاة الكافرين في دينهما لأنهما لا يعظمان صلاة العصر.

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي يحلفان، ومذهب الجمهور أن تحليف الشاهدين[2] منسوخ، وقد استحلفهما علي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري[3] ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ أي شككتم في صدقهما أو أمانتهما وهذه الكلمة اعتراض بين القسم والمقسوم عليه، وجواب إن محذوف يدل عليه يقسمان ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ هذا هو المقسوم عليه، والضمير في به للقسم وفي ﴿كَانَ﴾ للمقسم له أي لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا، أي لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريبا لنا، وهذا لأن عادة الناس الميل إلى أقاربهم. ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وأدائها وإضافتها إلى الله تعظيما لها.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي إن اطلع بعد ذلك على أنهما فعلا ما أوجب إثما، والإثم الكذب والخيانة، واستحقاقه الأهلية للوصف به ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي اثنان من أولياء الميت يقومان مقام الشاهدين في اليمين ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي من الذين استحق عليهم الإثم، أو المال، ومعناه: من الذين جني عليهم وهم أولياء الميت ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ تثنية أولى بمعنى أحق، أي الأحقان بالشهادة لمعرفتهما، أو الأحقان بالمال لقرابتهما، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء، تقديره: هما الأوليان، أو مبتدأ مؤخر تقديره: الأوليان آخران يقومان، أو بدل من الضمير في يقومان، ومنع الفارسي أن يسند استحق إلى الأوليان،

---

(١) الطبري في جامع البيان: ١١/١٧٥ بسند صحيح.

(٢) قال ابن حجر في الكافي الشافي: ١/٦٨٨ أما تحليف الشاهد فلم أجده، ولم يخرجه الزيلعي في تخريجه على الكشاف: ١/٤٢٩.

(٣) أبو داود الحديث رقم: (٣٦٠٥) قال الزيلعي: وهذا إسناد صحيح، وقال الألباني: في صحيح أبي داود صحيح الإسناد: ١/٦٨٧ إن كان الشعبي سمع من أبي موسى.

وأجازه ابن عطية[١]، وأما على قراءة استحق بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل، فالأوليان فاعل باستحق، ومعنى استحق على هذا أخذ المال وجعل يده عليه، والأوليان على هذا هما الشاهدان اللذان ظهرت خيانتهما أي الأوليان بالتحليف والتعنيف والفضيحة، وقرئ[٢] الأولين جمع أول وهو مخفوض على الصفة للذين استحق عليهم، أو منصوب بإضمار فعل، ووصفهم بالأولية لتقدمهم على الأجانب في استحقاق المال، وفي صدق الشهادة. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ أي يحلف هذان الآخران أن شهادتهما أحق أي أصح من شهادة الشاهدين الذين ظهرت خيانتهما ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي إن اعتدينا فإنا من الظالمين وذلك على وجه التبرئة، ومثله قول الأولين: ﴿إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ الإشارة بذلك إلى الحكم الذي وقع في هذه القضية، ومعنى أدنى أقرب، وعلى وجهها: أي كما وقعت من غير تغيير ولا تبديل، ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي يخافوا أن يحلف غيرهم بعدهم فيفتضحوا.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة، وانتصب الظرف بفعل مضمر: أي ماذا أجابكم به الأمم من إيمان وكفر وطاعة ومعصية؟ والمقصود بهذا السؤال توبيخ من كفر من الأمم، وإقامة الحجة عليهم، وانتصب ﴿مَاذَا﴾ بأجبتم انتصاب مصدره، ولو أريد الجواب لقيل: بماذا أجبتم ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إنما قالوا ذلك تأدبا مع الله، فوكلوا العلم إليه، قال ابن عباس[٣]: المعنى: لا علم لنا إلا ما

---

(١) المحرر الوجيز: ٢/٣٠٠.

(٢) ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ قرأ حمزة وخلف ويعقوب وأبو بكر الأولين بتشديد الواو وكسر اللام بعدها وفتح النون على الجمع، وقرأ الباقون بإسكان الواو وفتح اللام وكسر النون على التثنية. النشر: ٢/٢٨٩.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/٢١١، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٢٣٦ بإسناد حسن.

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ
لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا
بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ
الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ۞ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي ربع
وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

علمتنا، وقيل: معناه علمنا ساقط في جنب علمك، ويقوي ذلك قولهم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾؛ لأن من علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر، وقيل: ذهلوا عن الجواب لهول ذلك اليوم، وهذا بعيد؛ لأن الأنبياء في ذلك اليوم آمنون، وقيل: أرادوا بذلك توبيخ الكفار.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يكون إذ بدل من ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾ ويكون هذا القول يوم القيامة، أو يكون العامل في إذ مضمرا، ويحتمل على هذا أن يكون القول في الدنيا أو يوم القيامة، وإذا جعلناه يوم القيامة فقوله ﴿قَالَ﴾ بمعنى يقول وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية في آل عمران.

﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضمير المؤنث عائد على الكاف، لأنها صفة للهيئة، وكذلك الضمير في تكون، وكذلك الضمير المذكور في قوله في آل عمران ﴿فينفخ فيه﴾ عائد على الكاف أيضا لأنها بمعنى مثل، وإن شئت قلت هو في الموضعين عائد على الموصوف المحذوف الذي وصف بقوله ﴿كَهَيْئَةِ﴾ فتقديره في التأنيث صورة، وفي التذكير شخصا أو خلقا وشبه ذلك، وقيل: المؤنث يعود على الهيئة والمذكر يعود على الطير والطين، وهو بعيد في المعنى. ﴿بِإِذْنِي﴾ كرره مع كل معجزة ردا على من نسب الربوبية إلى عيسى. ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾ يعني اليهود، حين هموا بقتله فرفعه الله إليه.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ معطوف على ما قبله، فهو من جملة نعم الله على عيسى

والوحي هنا يحتمل أن يكون وحي إلهام أو وحي كلام. ﴿وَاشْهَدْ﴾ يحتمل أن يكون خطابا لله تعالى أو لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ نداؤهم له باسمه دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم كانوا لا ينادونه باسمه، وإنما يقولون يا رسول الله يا نبي الله، وقولهم ابن مريم دليل على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبته إلى أم دون والد، بخلاف ما اعتقده النصارى. ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ظاهر هذا اللفظ أنهم شكوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة، وعلى هذا أخذه الزمخشري(١)، وقال: ما وصفهم الله بالإيمان ولكن حكى دعواهم في قولهم آمنا، وقال ابن عطية(٢) وغيره: ليس كذلك لأنهم شكوا في قدرة الله لكنه بمعنى هل يفعل ربك هذا؟ وهل يقع منه إجابة إليه؟ وهذا

(١) قال الزمخشري: فإن قلت: كيف قالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بعد إيمانهم وإخلاصهم؟ قلت: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾ فآذن أن دعواهم كانت باطلة، وأنهم كانوا شاكين، وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لهم، معناه: اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه، ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة. الكشاف: ١/٧٢٤.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ جمهور الناس: هل يستطيع ربك، بالياء ورفع الباء من ربك، وهي قراءة السبعة حاشا الكسائي وهذا ليس لأنهم شكوا في قدرة الله على هذا الأمر كامنة بمعنى هل يفعل تعالى هذه وهل تقع منه إجابة إليه وهذا كما قال لعبد الله بن زيد هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوضأ، فالمعنى: هل يخف عليك؟ وهل تفعله؟، أما إن في اللفظة بشاعة بسببها قال عيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وبسببها مال فريق من الصحابة وغيرهم الى غير هذه القراءة، فقرأ علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير: هل تستطيع ربك بالتاء ونصب الباء من ربك، المعنى: هل تستطيع أن تسأل ربك؟ قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان الحواريون أعرف بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربك، قال القاضي أبو محمد: نزهتهم عائشة عن بشاعة اللفظ، وإلا فليس يلزمهم منه جهل بالله تعالى على ما قد تبين آنفا...) المحرر الوجيز: ٢/٣٠٦.

أرجح؟ لأن الله أثنى على الحواريين في مواضع من كتابه مع أن في اللفظ بشاعة تنكر، وقرئ تستطيع[1] بتاء الخطاب ربك بالنصب، أي هل تستطيع سؤال ربك، وهذه القراءة لا تقتضي أنهم شكوا وبها قرأت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقالت: كان الحواريون أعرف بربهم من أن يقولوا: هل يستطيع ربك[2]. ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ موضع أن مفعول بقوله يستطيع على القراءة بالياء، ومفعول بالمصدر وهو السؤال المقدر على القراءة بالتاء، والمائدة هي التي عليها طعام، فإن لم يكن عليها طعام فهي خوان ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فقوله لهم ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يحتمل أن يكون زجرا عن طلب المائدة واقتراح الآيات، ويحتمل أن يكون زجرا عن الشك الذي يقتضيه قولهم: هل يستطيع ربك على مذهب الزمخشري، أو عن البشاعة التي في اللفظ وإن لم يكن فيه شك، وقوله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ هو على ظاهره على مذهب الزمخشري، وأما على مذهب ابن عطية وغيره، فهو تقرير لهم كما تقول: افعل كذا إن كنت رجلا، ومعلوم أنه رجل، وقيل: إن هذه المقالة صدرت منهم في أول الأمر قبل أن يروا معجزات عيسى.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ أي أكلا نتشرف به بين الناس، وليس مرادهم شهوة البطن. ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ أي نعاين الآية فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة، فلا تعرض لنا الشكوك التي تعرض في الاستدلال. ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ ظاهره يقوي قول من قال إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكن إيمانهم، ويحتمل أن يكون المعنى نعلم علما ضروريا لا يحتمل الشك. ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي نشهد بها عند من لم يحضرها من الناس.

---

(١) ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قرأ الكسائي ﴿تَسْتَطِيعُ﴾ بالخطاب ﴿رَبَّكَ﴾ بالنصب وهو على أصله في إدغام اللام في التاء، وقرأ الباقون بالغيب وبالرفع. النشر: ٢/٢٨٩..

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/٢١٩ من طريق أبي مليكة ومن طريق القاسم بن محمد وهو صحيح عن عائشة.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ
لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ
فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ
صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أجابهم عيسى إلى سؤال المائدة من الله، وروي[1] أنه لبس جبة شعر، ورداء شعر، وقام يصلي ويدعو ويبكي. ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ قيل: نتخذ يوم نزولها عيدا يدور كل عام لأول الأمة ثم لمن بعدهم، وقال ابن عباس[2]: المعنى تكون مجتمعا لجميعنا أولنا وآخرنا في يوم نزولها خاصة لا عيدا يدور. ﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾ أي علامة على صدقي.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ أجابهم الله إلى ما طلبوا ونزلت المائدة عليها سمك وخبز، وقيل: زيتون وتمر ورمان، وقال ابن عباس[3]: كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا، وفي قصة المائدة قصص كثيرة غير صحيحة. ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ عادة الله ﷻ عقاب من كفر بعد اقتراح آية فأعطيته، ولما كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازير، قال عبد الله بن عمر: «أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون والمنافقون»[4].

---

(١) مروي عن سلمان أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٢٤٤ بسند ضعيف. والسيوطي في الدر المنثور: ٣/٢٣٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم: (٧٠٠٤)، وابن كثير في تفسيره: ٣/٢٨٢ بسند ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/٢٢٩، وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على الطبري.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/٢٣٣ بسند صحيح.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس[١] والجمهور: هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ليرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه، ويعلمون أنهم كانوا على باطل، وقال السدي[٢]: لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قالت وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك فسأل الله حينئذ عن ذلك، فقال: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ الآية فعلى هذا يكون إذ قال ماضيا في معناه كما هو في لفظه، وعلى قول ابن عباس يكون بمعنى المستقبل. ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ نفي يعضده دليل العقل لأن المحدث لا يكون إلها. ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ اعتذار وبراءة من ذلك القول، ووكل العلم إلى الله لتظهر براءته لأن الله علم أنه لم يقل ذلك. ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة، فقال: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ مقابلة لقوله ﴿فِي نَفْسِي﴾ وبقية قوله تعظيم لله وإخبار بما قال للناس في الدنيا.

﴿أَنِ اعْبُدُوا﴾ أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية بدل من الضمير في به.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيها سؤالان:

الأول: كيف قال وإن تغفر لهم وهم كفار، والكفار لا يغفر لهم؟ والجواب: أن المعنى تسليم الأمر إلى الله وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه؛ لأن الخلق عباده والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار، وإنما يقتضي جوازها في حكمة الله تعالى وعزته، وفرق بين الجواز والوقوع، وأما

(١) لم نجده مسندا من قول ابن عباس وإنما هو من قول قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢٠١/١، والطبري في جامع البيان: ٢٣٤/١١، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٢٥٣/٤، وهو بإسناد صحيح إلى قتادة.

(٢) الطبري: ٣٣٤/١١، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٢٥٣/٤، وهو بإسناد ضعيف.

على قول من قال إن هذا الخطاب لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين رفعه الله إلى السماء فلا إشكال؛ لأن المعنى إن تغفر لهم بالتوبة وكانوا حينئذ أحياء، وكل حي معرض للتوبة.

السؤال الثاني: ما مناسبة قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ لقوله ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ والأليق مع ذكر المغفرة أن لو قيل فإنك أنت الغفور الرحيم؟ والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: يظهر لي أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له كان قوله ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أليق فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له، فإن العزيز هو الذي يفعل ما يريد، ولا يغلبه غيره ولا يمتنع عليه شيء أراده، فاقتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة؛ لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته وأيهما فعل فهو جميل لحكمته.

الجواب الثاني: قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: إنما لم يقل الغفور الرحيم لئلا يكون في ذلك تعريض في طلب المغفرة لهم، فاقتصر على التسليم والتفويض دون الطلب، إذ لا تطلب المغفرة للكفار وهذا قريب من قولنا.

الثالث: حكى شيخنا الخطيب أبو عبد الله بن رشيد عن شيخه إمام البلغاء في وقته، حازم بن حازم أنه كان يقف على قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ويجعل: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ..﴾ استئنافا، وجواب إن في قوله ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ كأنه قال: إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال.

﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ عموم في جميع الصادقين وخصوصا في عيسى ابن مريم، فإن في ذلك إشارة إلى صدقه في الكلام الذي حكاه الله عنه، وقرأ غير نافع هذا يوم بالرفع[1] على الابتداء أو الخبر، وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان:

---

(١) ﴿هَٰذَا يَوْمُ﴾ قرأ نافع بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. النشر: ٢/٢٨٩.

أحدهما: أن يكون يوم ظرف لقال، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول وإنما معموله هذا خاصة، والمعنى: قال الله هذا القصص أو الخبر في يوم وهذا بعيد مزيل لرونق الكلام.

والآخر: أن يكون هذا مبتدأ ويوم في موضع خبره، والعامل فيه محذوف تقديره: هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم، ولا يجوز أن يكون يوم مبنيا على قراءة نافع لأنه أضيف إلى معرف، قاله الفارسي والزمخشري[١].

*** *** ***

(١) الكشاف: ١/٧٢٩.

سورة الأنعام

ترتيبها ٦ — سُورَةُ الأَنْعَامِ — آياتها ١٦٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثمن

• ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ
وَٱلنُّورَ ﴿١﴾ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٣﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٤﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ
ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا
لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٨﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٩﴾

قال كعب[1]: أول الأنعام هو أول التوراة ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ جعل هنا بمعنى خلق، والظلمات: الليل، والنور النهار، والضوء الذي في الشمس والقمر وغيرهما، وإنما أفرد النور لأنه أراد الجنس، وفي الآية رد على المجوس في عبادتهم للنار وغيرها من الأنوار، وقولهم: إن الخير من النور والشر من الظلمة؛ فإن المخلوق لا يكون إلهاً ولا فاعلاً لشيء من الحوادث.

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي يسوون ويمثلون من قولك: عدلت فلاناً بفلان، إذا جعلته نظيره وقرينه، ودخلت ثم لتدل على استبعاد أن يعدلوا بربهم بعد وضوح آياته في خلق السموات والأرض، والظلمات والنور وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه أحياهم وأماتهم، وفي ضمن ذلك تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هنا عام في كل مشرك. وقد يختص بالمجوس بدليل الظلمات والنور، وبعبدة الأصنام، لأنهم المجاورون للنبي ﷺ، وعليهم يقع الردّ في أكثر القرآن.

﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ أي خلق أباكم آدم من طين ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ الأجل الأول الموت، والثاني يوم القيامة وجعله عنده: لأنه استأثر بعلمه، وقيل: الأوّل النوم، والثاني: الموت، ودخلت ثم هنا لترتيب الأخبار، لا لترتيب

(١) صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٥٢/١١ عن كعب، بلفظ: فاتحة التوراة فاتحة الأنعام.

الوقوع لأن القضاء متقدم على الخلق.

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ يتعلق في السموات بمعنى اسم الله فالمعنى كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ كما يقال: أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب، ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر فيتعلق باسم فاعل محذوف، والمعنى على هذا قريب من الأول، وقيل: المعنى أنه في السموات والأرض بعلمه كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ والأول أرجح وأفصح؛ لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم، والقدرة، والحكمة، وغير ذلك فقد جمعها مع الإيجاز، ويترجح الثاني بأن سياق الكلام في اطلاع الله تعالى وعلمه لقوله بعدها: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ وقيل: يتعلق بمحذوف، تقديره: المعبود في السموات وفي الأرض، وهذا المحذوف صفة لله واسم الله على هذا القول وعلى الأول هو خبر المبتدإ، وأما إذا كان المجرور الخبر فاسم الله بدل من الضمير.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ من الأولى زائدة، والثانية للتبعيض، أو لبيان الجنس.

﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني ما جاء به محمد ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ الآية وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ حض للكفار على الاعتبار بغيرهم، والقرن مائة سنة، وقيل: سبعون، وقيل: أربعون. ﴿مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ الضمير عائد على القرن؛ لأنه في معنى الجماعة. ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من المؤمنين والكافرين. ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ السماء هنا المطر والسحاب أو السماء حقيقة، ومدرارا بناء مبالغة وتكثير، من قولك: در المطر إذا غزر. ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ التقدير: فكفروا وعصوا فأهلكناهم وهذا

تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ الآية إخبار أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات والمراد بقوله: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ لو بالغوا في تمييزه وتقليبه ليرتفع الشك لعاندوا بذلك، يشبه أن يكون سبب هذه الآية، قول بعضهم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا أومن بك حتى تأتي بكتاب من السماء يأمرني بتصديقك، وما أراني مع هذا أصدقك[1].

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ حكاية عن طلب بعض العرب، وروي[2]: أن العاصي بن وائل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود والأسود بن عبد يغوث قالوا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا محمد لو كان معك ملك.

﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ قال ابن عباس[3]: المعنى لو أنزلنا ملكا فكفروا بعد ذلك لعجل لهم العذاب، ففي الكلام على هذا حذف، وقضي الأمر على هذا تعجيل أخذهم، وقيل: المعنى: لو أنزلنا ملكا لماتوا من هول رؤيته، فقضي الأمر على هذا: موتهم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ أي لو جعلنا الرسول ملكا لكان في صورة رجل؛ لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته. ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم؛ فإنهم إذا رأوا الملك في صورة إنسان قالوا هذا إنسان وليس بملك.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية إخبار قصد به تسلية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما كان يلقى من قومه. ﴿فَحَاقَ﴾ أي أحاط بهم وفي هذا الإخبار تهديد للكفار.

---

(١) ضعيف ذكره الواحدي في أسباب النزول، ص: ١٨٠ عن الكلبي غير مسند.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٢٦٥ برواية فيها انقطاع.
(٣) الطبري في جامع البيان بلفظ قريب من هذا: ١١/٢٦٨ بسند ضعيف.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدِ اِسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِالذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿١١﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٢﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ
كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ الذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾
ربع
۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿١٤﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُۥ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٨﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٩﴾

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية حض على الاعتبار بغيرهم إذا رأوا منازل الكفار الذين هلكوا قبلهم. ﴿ثُمَّ انظُرُواْ﴾ قال الزمخشري[1]: إن قلت أي فرق بين قوله: فانظروا وبين قوله: ثم انظروا؟ قلت: جعل النظر سببا عن السير في قوله: ﴿فَانظُرُواْ﴾، كأنه قال: سيروا لأجل النظر، وأما قوله: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ﴾ فمعناه إباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في الهالكين رتبه على ذلك بثم، لتباعد ما بين الواجب والمباح.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ القصد بالآية إقامة البرهان على صحة التوحيد، وإبطال الشرك، وجاء ذلك بصفة الاستفهام لإقامة الحجة على الكفار، فسأل أولا لمن ما في السموات والأرض؟ ثم أجاب عن السؤال بقوله: قل لله؛ لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة، فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذي له ما في السموات والأرض، وإنما يحسن أن يكون السائل مجيبا عن سؤاله إذا علم أن خصمه لا يخالفه في الجواب الذي يقيم به الحجة عليه. ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي قضاها وتفسير ذلك بقول النبي ﷺ: «إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض، وفيه: إن رحمتي سبقت غضبي»[2]، وفي رواية:

(١) الكشاف: ٢/١٠.

(٢) البخاري الحديث رقم: (٦٩٨٦)، وهو في مسلم بلفظ: إن رحمتي تغلب غضبي الحديث رقم: (٢٧٥١)، وابن حبان الحديث رقم: (٦١٤٣)، والمسند الحديث رقم: (٩١٤٨)، وابن ماجه الحديث رقم: (١٨٩).

«تغلب غضبي».

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مقطوع مما قبله وهو جواب لقسم محذوف، وقيل: هو تفسير الرحمة المذكورة، تقديره: أن يجمعكم وهذا ضعيف لدخول النون الثقيلة في غير موضعها، فإنها لا تدخل إلا في القسم، أو في غير الواجب. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قيل: إلى هنا بمعنى في وهو ضعيف، والصحيح أنها للغاية على بابها. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الذين مبتدأ وخبره فهم لا يؤمنون، ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط قاله الزجاج وهو حسن، وقال الزمخشري[1]: الذين نصب على الذم أو رفع بخبر ابتداء مضمر، وقيل: هو بدل من الضمير في ليجمعنكم وهو ضعيف، وقيل منادى وهو باطل.

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ عطف على قوله: قل لله ومعنى سكن حل فهو من السكنى، وقيل: هو من السكون وهو ضعيف؛ لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة فلا يعم، والمقصود عموم ملكه تعالى لكل شيء.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ إقامة حجة على الكفار ورد عليهم بصفات الله الكريم التي لا يشاركه غيره فيها. ﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي من هذه الأمة؛ لأن النبي ﷺ سابق أمته إلى الإسلام. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ في الكلام حذف تقديره: وقيل لي: ولا تكونن من المشركين، أو يكون معطوفا على معنى أمرت فلا حذف، وتقديره: أمرت بالإسلام ونهيت عن الإشراك.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ أي من يصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله، وقرئ[2] يصرف بفتح الياء وفاعله الله. ﴿وَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى صرف

---

(١) الكشاف: ١/٥٤٢.

(٢) ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وأبو بكر ﴿يَصْرِفْ﴾ بفتح الياء وكسر الراء، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الراء. النشر: ٢/٢٩٠.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ
هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ
آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ
الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ
لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا
إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن
يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ
فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

العذاب أو إلى الرحمة.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ معنى يمسسك يصبك، والضر مرض وغيره على العموم في جميع المضرات، والخير: العافية وغيرها على العموم أيضا، والآية برهان على الوحدانية لانفراد الله تعالى بالضر والخير، وكذلك ما بعد هذا من الأوصاف براهين ورد على المشركين.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ سؤال يقتضي جوابا ينبني عليه المقصود، وفيه دليل على أن الله يقال عليه شيء ولكن ليس كمثله شيء.

﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الله مبتدءا وشهيد خبره.

والآخر: أن يكون تمام الجواب عند قوله: قل الله، بمعنى: أن الله أكبر شهادة، ثم يبتدئ على تقدير: هو شهيد بيني وبينكم، والأول أرجح؛ لعدم الإضمار، والثاني أرجح لمطابقة السؤال، فإن السؤال بمنزلة من يقول: من أكبر الناس؟ فيقال في الجواب: فلان، وتقديره: فلان أكبر الناس، والمقصود بالكلام استشهاد بالله الذي هو أكبر شهادة، على صدق رسول الله ﷺ، وشهادة الله بهذا هي علمه بصحة نبوءة سيدنا محمد ﷺ وإظهار معجزته الدالة على نبوءته.

﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ عطف على ضمير المفعول في لأنذركم والفاعل يبلغ ضمير

القرآن والمفعول محذوف يعود على من تقديره: ومن بلغه والمعنى أوحي إلي هذا القرآن لأنذر به المخاطبين وهم أهل مكة وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة، قال سعيد ابن جبير(١): من بلغه القرآن فكأنما رأى سيدنا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل المعنى: ومن بلغ الحلم وهو بعيد.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ الآية تقرير للمشركين على شركهم ثم تبرأ من ذلك بقوله: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ ثم شهد لله بالوحدانية، وروي(٢): أنها نزلت بسبب قوم من الكفار أتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا يا محمد: ما تعلم مع الله إلها آخر.

﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ تقدم في البقرة. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الذين مبتدأ، وخبره فهم لا يؤمنون، وقيل: الذين نعت للذين آتيناهم الكتاب وهو فاسد؛ لأن الذين أوتوا الكتاب استشهد بهم هنا ليقيم الحجة على الكفار.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: لا أحد أظلم. ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾ وذلك تنصل من الكذب على الله وإظهار لبراءة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما نسبوه إليه من الكذب، ويحتمل أن يريد بالافتراء على الله ما نسب إليه الكفار من الشركاء والأولاد. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي علاماته وبراهينه.

﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾ يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ. ﴿تَزْعُمُونَ﴾ أي تزعمون أنهم آلهة فحذفه لدلالة المعنى عليه، والعامل في ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ محذوف.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ الفتنة هنا تحتمل أن تكون بمعنى الكفر أي لم تكن عاقبة كفرهم إلا جحوده والتبرؤ منه، وقيل: فتنتهم معذرتهم وقيل: كلامهم،

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان عن محمد بن كعب القرظي: ١١/١٣١٢٠.
(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام: ٢/٢١٧، والطبري في جامع البيان: ١١/٢٩٣، وهو ضعيف.

وقرئ[1] فتنتهم بالنصب على خبر كان واسمها أن قالوا، وقرئ: بالرفع على اسم كان وخبرها أن قالوا. ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ جحود لشركهم فإن قيل: كيف يجحدونه، وقد قال الله ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾؟ فالجواب: أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن، فيكتم قوم ويقر آخرون، ويكتمون في موطن ويقرون في موطن آخر؛ لأن يوم القيامة طويل، وقد قال ابن عباس[2] لما سئل عن هذا السؤال: إنهم جحدوا طمعا في النجاة، فختم الله على أفواههم وتكلمت جوارحهم، فلا يكتمون الله حديثا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الضمير عائد على الكفار، وأفرد يستمع وهو فعل جماعة حملا على لفظ من. ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أكنة جمع كنان وهو الغطاء، وأن يفقهوه في موضع مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن يفقهوه، ومعنى الآية: أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه، وعبر بالأكنة والوقر مبالغة، وهي استعارة. ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي قصصهم وأخبارهم وهو جمع أسطار وأسطورة، قال السهيلي[3]: حيثما ورد في القرآن أساطير الأولين فإن قائلها هو النضر بن الحارث، وكان قد دخل بلاد فارس وتعلم أخبار ملوكهم، فكان يقول: حديثي أحسن من حديث محمد.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ هم عائد على الكفار، والضمير في عنه يعود على القرآن، والمعنى: وهم ينهون الناس عن الإيمان به وينأون هم عنه أي يبعدون، والنأي هو البعد، وقيل: الضمير في عنه يعود على النبي ﷺ، ومعنى ينهون عنه: ينهون الناس عن إذايته، وهم مع ذلك يبعدون عنه، والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومن كان معه يحمي النبي ﷺ ولا يسلم، وفي

---

(١) ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص برفع التاء، وقرأ الباقون بالنصب. النشر: ٢/٢٩٠.

(٢) المحرر الوجيز: ٢/٣٢٧.

(٣) انظر البحر المديد لابن عجيبة: ٢/٣٤٤.

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
(٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
(٣٢) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ
(٣٤) وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥)

قوله: ﴿يَنْهَوْنَ﴾ ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ جواب لو محذوف هنا، وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وإنما حذف ليكون أبلغ مما يقدره السامع أي لو ترى لرأيت أمرا شنيعا هائلا، ومعنى وقفوا حبسوا قاله ابن عطية، ويحتمل أن يريد بذلك إذا دخلوا النار وإذا عاينوها وأشرفوا عليها، ووضع إذ موضع إذا لتحقق وقوع الفعل حتى كأنه ماض. ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ﴾ قرئ[1] برفع نكذب ونكون على الاستئناف والقطع على التمني، ومثله سيبويه بقولك: دعني ولا أعود، أي وأنا لا أعود، ويحتمل أن يكون حالا تقديره: نرد غير مكذبين، أو عطف على نرد وقرئ: بالنصب بإضمار أن بعد الواو في جواب التمني.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ المعنى: ظهر لهم يوم القيامة في صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم، وقيل: هي في أهل الكتاب أي بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: هي في المنافقين أي بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر، وهذان القولان بعيدان، فإن الكلام من أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب، وقيل: إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم خافوا، وأخفوا ذلك الخوف لئلا يشعر بها أتباعهم فظهر لهم ذلك

---

(١) ﴿وَلَا نُكَذِّبَ، وَنَكُونَ﴾ قرأ حمزة ويعقوب وحفص بنصب الباء والنون فيهما، وافقهم ابن عامر في ﴿وَنَكُونَ﴾ وقرأ الباقون بالرفع فيهما. النشر: ٢/٢٩٠.

يوم القيامة. ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟﴾ إخبار بأمر لا يكون لو كان كيف كان يكون، وذلك مما انفرد الله بعلمه ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ يعني في قولهم ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولا يصح أن يرجع إلى قولهم: يا ليتنا نرد؛ لأن التمني لا يحتمل الصدق ولا الكذب.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ حكاية عن قولهم في إنكار البعث الأخروي.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ تقرير لهم وتوبيخ.

﴿قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ الضمير فيها للحياة الدنيا لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يجر لها ذكر، وقيل: الساعة أي فرطنا في شأنها والاستعداد لها والأول أظهر. ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ كناية عن تحمل الذنوب وقال على ظهورهم؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهور، وقيل: إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة، وروي[1] في ذلك أن الكافر يركبه عمله، بعد أن يتمثل له في أقبح صورة، وأن المؤمن يركب عمله، بعد أن يتصور له في أحسن صورة. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ إخبار عن سوء ما يفعلون من الأوزار.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ قرأ نافع[2] يحزن حيث وقع بضم الياء من أحزن إلى قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر، وقرأ الباقون بفتح الياء من حزن الثلاثي وهو أشهر في اللغة، والذي يقولون قولهم: إنه ساحر، شاعر، كاهن.

(١) روي عن السدي وعمرو بن قيس بإسناد حسن، أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٢٨/١١، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم: (٧٢٢٩).

(٢) قال محمد بن الجزري: واختلفوا في: ﴿يُحْزِنكَ﴾، و﴿يَحْزُنُهُمْ﴾، و﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ﴾، و﴿لَيَحْزُنُنِىٓ﴾ حيث وقع فقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من كله إلا حرف الأنبياء ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ﴾ فقرأ أبو جعفر فيه وحده بضم الياء وكسر الزاي وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاي في الجميع وكذلك أبو جعفر في غير الأنبياء ونافع في الأنبياء. النشر: ٢٧٩/٢.

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ من قرأ بالتشديد[١]، فالمعنى لا يكذبونك معتقدين لكذبك، وإنما هم يجحدون بالحق مع علمهم به، ومن قرأ بالتخفيف، فقيل: معناه لا يجدونك كاذبا، يقال أكذبت فلانا إذا وجدته كاذبا، كما يقال أحمدته إذا وجدته محمودا، وقيل: هي بمعنى التشديد، يقال كذب فلان فلانا وأكذبه بمعنى واحد وهو الأظهر لقوله بعد هذا يجحدون، ويؤيد هذا ما روي أنها نزلت[٢] في أبي جهل، فإنه قال لرسول الله ﷺ: إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به، وأنه قال للأخنس بن شريق: والله إن محمدا لصادق ولكني أحسده على الشرف[٣]. ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّٰلِمِينَ﴾ أي ولكنهم ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ وحض له على الصبر ووعد له بالنصر. ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ اللَّهِ﴾ أي لمواعيده لرسله، كقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ وفي هذا تقوية للوعد. ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾ أي من أخبارهم ويعني بذلك صبرهم ثم نصرهم، وهذا أيضا تقوية للوعد والحض على الصبر، وفاعل جاءك محذوف تقديره: نبأ أو خبر، وقيل: هو المجرور.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ الآية مقصودها حمل النبي ﷺ على الصبر، والتسليم لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر، فإنه ﷺ كان شديد الحرص على إيمانهم فقيل له: إن استطعت أن تدخل في الأرض أو تصعد إلى السماء فتأتيهم بآية يؤمنون بسببها: فافعل، وأنت لا تقدر على ذلك، فاستسلم

---

(١) ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وقرأ الباقون التشديد. النشر: ٢/٢٩١.

(٢) أخرجه الترمذي الحديث رقم: (٣٠٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٢٨٢/٤ بسند ضعيف.

(٣) حسن من أثر السدي أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣١٩٣/١١، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٢٨٣/٤، والدر المنثور: ٢٦٤/٣.

حزب

• إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه
يرجعون ﴿٣٦﴾ وقالوا لولا نزل عليه ءاية من ربه قل إن الله
قادر على أن ينزل ءاية ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿٣٧﴾ وما
من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم
ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴿٣٨﴾
والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشإ الله
يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴿٣٩﴾ قل
أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله
تدعون إن كنتم صادقين ﴿٤٠﴾ بل إياه تدعون فيكشف ما
تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴿٤١﴾ ولقد أرسلنا
إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون
﴿٤٢﴾ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴿٤٣﴾ فلما
نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء
حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴿٤٤﴾

لأمر الله، والنفق في الأرض معناه: منفذ تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض، وحذف جواب إن لفهم المعنى.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ حجة لأهل السنة على القدرية. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي من الذين يجهلون أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ المعنى: إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون. ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ فيه ثلاث تأويلات:

أحدها: أن الموتى عبارة عن الكفار بموت قلوبهم، والبعث يراد به الحشر يوم القيامة، فالمعنى: أن الكفار في الدنيا كالموتى في قلة سمعهم وعدم فهمهم، فيبعثهم الله في الآخرة، وحينئذ يسمعون. والآخر: أن الموتى عبارة عن الكفار والبعث عبارة عن هدايتهم للفهم والسماع.

والثالث: أن الموتى على حقيقته والبعث على حقيقته فهو إخبار عن بعث الموتى يوم القيامة.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الضمير في قالوا للكفار، ولولا عرض، والمعنى: أنهم طلبوا أن يأتي النبي ﷺ بآية على نبوءته.

فإن قيل: فقد أتى بآية ومعجزات كثيرة فلم طلبوا آية؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنهم لم يعتدوا بما أتى به فكأنه لم يأت بشيء عندهم؛ لعنادهم وجحدهم.

والآخر: أنهم إنما طلبوا آية تضطرهم إلى الإيمان من غير نظر ولا تفكر.

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ جواب على قولهم وقد حكي هذا القول عنهم في مواضع من القرآن وأجابوا عنه بأجوبة مختلفة.

منها: ما يقتضي الرد عليهم في طلبهم الآيات فإنه قد أتاهم بآيات وتحصيل الحاصل لا ينبغي كقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ﴾ وكقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.

ومنها: ما يقتضي الإعراض عنهم لأن الخصم إذا تبين عناده سقطت مكالمته، ويحتمل أن يكون من هذا قوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ ويحتمل أيضا أن يكون معناه قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعول يعلمون وهو يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يعلمون أن الله قادر

والآخر: لا يعلمون أن الله إنما منع الآيات التي تضطر إلى الإيمان لمصالح العباد؛ فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا لعوجلوا بالعذاب.

﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ تأكيد وبيان وإزالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة، فقد يقال: طائر السعد والنحس. ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ أي في الخلق والرزق والحياة والموت وغير ذلك، ومناسبة ذكر هذا لما قبله من وجهين:

أحدهما: أنه تنبيه على مخلوقات الله تعالى، فكأنه يقول: تفكروا في آياته أي مخلوقاته، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات.

والآخر: تنبيه على البعث، كأنه يقول: جميع الدواب والطير يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم، وهو أظهر لقوله بعده: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾. ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ أي ما أغفلنا، والكتاب هنا: اللوح المحفوظ، والكلام

على هذا عام، وقيل: هو القرآن، والكلام على هذا خاص، أي ما فرطنا فيه من شيء فيه هدايتكم والبيان لكم. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي تبعث الدواب والطيور يوم القيامة للجزاء والفصل بينها.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ الآية، لما ذكر قدرته على بعث الخلق كلهم أتبعه بأن وصف من كذب بذلك بالصمم والبكم وقوله: ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يقوم مقام الوصف بالعمى.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ معناه أخبروني والضمير الثاني للخطاب ولا محل له من الإعراب، وجواب الشرط محذوف تقديره: إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة من تدعون؟ ثم وقفهم على أنهم لا يدعون حينئذ إلا الله، ولا يدعون آلهتهم والآية احتجاج عليهم، وإثبات للتوحيد، وإبطال للشرك.

﴿إِن شَاءَ﴾ استثناء، أي يكشف ما نزل بكم إن أراد، ويصيبكم به إن أراد. ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ يحتمل أن يكون من النسيان أو الترك.

﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ كان ذلك على وجه التخفيف والتأديب.

﴿فَلَوْلَا﴾ هنا عرض وتحضيض، وفيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ الآية، أي لما تركوا الاتعاظ بما ذكروا به من الشدائد فتح عليهم أبواب الرزق والنعم ليشكروا عليها فلم يشكروا، فأخذهم الله. ﴿مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون من الخير.

﴿دَابِرُ الْقَوْمِ﴾ أي آخرهم، وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية. ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكر على هلاك الكفار، فإنه نعمة على المؤمنين، وقيل: إنه على ما تقدم من ملاطفة في أخذه لهم بالشر ليزدجروا، أو بالخير ليشكروا حتى وجب عليهم العذاب بعد الإنذار والإعذار.

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ
قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
ثمن يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا
إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ الآية احتجاج على الكفار أيضا. ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ الضمير عائد على المأخوذ. ﴿يَصْدِفُونَ﴾ أي يعرضون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ الآية وعيد وتهديد، والبغتة ما لم يتقدم لهم شعور به، والجهرة: ما بدت لهم مخايله، وقيل: بغتة بالليل، وجهرة بالنهار.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللَّهِ﴾ الآية أي لا أدعي شيئا ينكر، ولا يستبعد، إنما أنا نبيء رسول، كما كان غيري من الرسل. ﴿الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ مثال للضال والمهتدي.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الضمير في به يعود على ما يوحى، والإنذار عام لجميع الناس، وإنما خصص هنا بالذين يخافون لأنه قد تقدم في الكلام ما يقتضي اليأس من إيمان غيرهم فكأنه يقول: أنذر الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار، وأعرض عمن تقدم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون. ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ في موضع الحال من الضمير في يحشروا، أو استئناف إخبار. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يتعلق بأنذر.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية نزلت[1] في ضعفاء المؤمنين: كبلال،

---

(١) في صحيح مسلم: عَنْ سَعْدٍ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ، لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ،=

وعمار ابن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وخباب، وصهيب، وأمثالهم، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي ﷺ: لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء لشرفنا، فلو طردتهم لاتبعناك فنزلت هذه الآية. ﴿بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قيل: هي الصلاة بمكة قبل فرض الخمس، وكانت غدوة وعشية، وقيل: هي عبارة عن دوام الفعل، ويدعون هنا من الدعاء وذكر الله، أو بمعنى العبادة. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ إخبار عن إخلاصهم لله، وفيه تزكية لهم. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ الآية قيل: الضمير في حسابهم للذين يدعون، وقيل: للمشركين، والمعنى على هذا: لا تحاسب عنهم، ولا يحاسبون عنك، فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم، والأول أرجح لقوله: ﴿وَمَا أَنَا۠ بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ والمعنى على هذا: أن الله هو الذي يحاسبهم فلأي شيء تطردهم؟. ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ هذا جواب النفي في قوله: ما عليك. ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ﴾ هذا جواب النهي في قوله: ولا تطرد، أو عطف على فتطردهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي ابتلينا الكفار بالمؤمنين، وذلك أن الكفار كانوا يقولون: أهؤلاء العبيد والفقراء من الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا، ونحن أشراف أغنياء، وكان هذا الكلام منهم على جهة الاستبعاد لذلك. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّٰكِرِينَ﴾ رد على الكفار في قولهم المتقدم.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ هم الذين نهي النبي ﷺ عن طردهم أمر بأن يسلم عليهم إكراما لهم(١) وأن يؤنسهم بما بعد هذا. ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي حتمها، وفي الصحيح إن الله كتب كتابا

= فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ مسلم الحديث رقم: (٢٤١٣)، والنسائي في تفسيره (١٨٣)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٤١٢٨)، والطبري في جامع البيان: ١١/١٣٢٦٣، والمستدرك: ٣/٣١٩.

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول، ص: ١٨٤ مرسلا من قول عكرمة بدون إسناد.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ
أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾
ربع • وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي
ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

فهو عنده فوق العرش «إن رحمتي سبقت غضبي»[1]. ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا﴾ الآية وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح وهو خطاب للقوم المذكورين قبل وحكمه عام فيهم وفي غيرهم، والجهالة قد ذكرت في النساء، وقيل: نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب[2] أشار على رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء عسى أن يسلم الكفار، فلما نزلت لا تطرد ندم عمر على قوله وتاب منه، فنزلت الآية، وقرئ[3] أنه بالفتح على البدل من الرحمة، وبالكسر على الاستئناف، وكذلك فإنه غفور رحيم بالكسر على الاستئناف، وبالفتح خبر ابتداء مضمر، تقديره: فأمره أنه غفور رحيم، وقيل: تكرار للأولى لطول الكلام.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من النهي عن الطرد وغير ذلك، وتفصيل الآيات شرحها وبيانها. ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بتاء الخطاب ونصب السبيل على أنه مفعول به، وقرئ بتاء التأنيث[4] ورفع السبيل على أنه فاعل

---

(١) صحيح، تقدم تخريجه.

(٢) ضعيف وهو أثر عن عكرمة أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣٢٦٤/١١.

(٣) واختلفوا في ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ﴾، ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بفتح الهمزة فيهما، ووافقهم المدنيان في الأولى، وقرأ الباقون بالكسر فيهما. النشر: ٢٩١/٢.

(٤) قال ابن الجزري: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بالياء على التذكير، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث، أو الخطاب. و﴿سَبِيلَ﴾ قرأ المدنيان بنصب اللام، وقرأ الباقون بالرفع. المصدر السابق.

مؤنث بالياء، والرفع على تذكير السبيل لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث.

﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي تعبدون. ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً﴾ أي إن اتبعت أهواءكم ضللت.

﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ أي على أمر بين من معرفة ربي، والهاء في بينة للمبالغة أو للتأنيث. ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ الضمير عائد على الرب أو على البينة. ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ أي العذاب الذي طلبوه في قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وقيل: الآيات التي اقترحوها، والأول أظهر. ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ من القصص، وقرئ[1] يقضي بالضاد المعجمة من القضاء وهو أرجح، لقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ﴾ أي الحاكمين.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي لو كان عندي العذاب على التأويل الأول، والآيات المقترحة على التأويل الآخر، لوقع الانفصال وزال النزاع لنزول العذاب، أو لظهور الآيات.

﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ استعارة وعبارة عن التوصل إلى الغيب كما يتوصل بالمفاتح إلى ما في الخزائن، وهو جمع مفتح بكسر الميم بمعنى مفتاح، ويحتمل أن يكون جمع مفتح بالفتح وهو المخزون. ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ تنبيه بها على غيرها، لأنها أشد تغييبا من كل شيء. ﴿فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ اللوح المحفوظ، وقيل: علم الله.

﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي إذا نمتم وفي ذلك اعتبار واستدلال على البعث الأخروي. ﴿مَا جَرَحْتُم﴾ أي ما كسبتم من الأعمال. ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي يوقظكم

---

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿يقض الحق﴾ فقرأ المدنيان وابن كثير وعاصم ﴿يقص﴾ بالصاد مهملة مشددة من القصص وقرأ الباقون بإسكان القاف وكسر الضاد معجمة من القضاء، ويعقوب على أصله في الوقف بالياء كما تقدم في بابه. النشر: ٢/٢٩٢.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ
يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا
لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ
ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم
بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ
نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي
آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

من النوم، والضمير عائد على النهار؛ لأن غالب اليقظة فيه، وغالب النوم بالليل. ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت.

﴿حَفَظَةً﴾ جمع حافظ وهم الملائكة الكاتبون. ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي الملائكة الذين مع ملك الموت.

﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ خروج من الخطاب إلى الغيبة والضمير لجميع الخلق.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ الآية إقامة حجة، وظلمات البر والبحر عبارة عن شدائدهما وأهوالهما كما يقال لليوم الشديد مظلم.

﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قيل: الذي من فوق إمطار الحجارة، ومن تحت الخسف، وقيل: من فوقكم تسليط أكابركم، ومن تحت أرجلكم تسليط سفلتكم، وهذا بعيد. ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أي يخلطكم فرقا مختلفين. ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال، واختلف: هل الخطاب بهذه الآية للكفار، أو للمؤمنين؟ وروي: أنه لما نزلت ﴿أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك» فلما نزلت ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك»، فلما نزلت ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ قال النبي ﷺ: «هذا أهون، فقضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال، إلى يوم القيامة»(١)

---

(١) البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام، باب قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ الحديث رقم:=

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ • وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِ
أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ
كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ
يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ الضمير عائد على القرآن، أو على الوعيد المتقدم، وقومك هم قريش ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي بحفيظ ومتسلط، وفي ذلك متاركة نسخها القتال. ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي في غاية يعرف عندها صدق من كذبه.

﴿يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ في الاستهزاء بها والطعن فيها. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي قم ولا تجالسهم. ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة، والمعنى: إن أنساك الشيطان النهي عن مجالستهم فلا تقعد بعد أن تذكر النهي.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ الذين يتقون هم المؤمنون، والضمير في حسابهم للكفار والمستهزئين، والمعنى: ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفار على استهزائهم وضلالهم، وقيل: إن ذلك يقتضي إباحة جلوس المؤمنين مع الكافرين؛ لأنهم شق عليهم النهي عن ذلك، إذ كانوا لا بد لهم من مخالطتهم في طلب المعاش، وفي الطواف بالبيت، وغير ذلك، ثم نسخت بآية النساء، وهي: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وقيل: إنها لا تقتضي إباحة القعود. ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيه وجهان:

= (٤٣٢٥)، وفي رواية: هاتان أهون أو أيسر، والترمذي الحديث رقم: (٣٠٦٥)، والمسند الحديث رقم: (١٤٦٦)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٧٢٢٠)، والطبري في جامع البيان: ١١/١٣٣٦٥.

أحدهما: أن المعنى ليس على المؤمنين حساب الكفار ولكن عليهم تذكير لهم ووعظ، وإعراب ذكرى على هذا نصب على المصدر تقديره: يذكرونهم ذكرى، أو رفع على المبتدإ تقديره: عليهم ذكرى، والضمير في لعلهم عائد على الكفار، أي يذكرونهم رجاء أن يتقوا، أو عائد على المؤمنين أي يذكرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى الله.

الوجه الثاني: أن المعنى ليس نهي المؤمنين عن القعود مع الكافرين بسبب أن عليهم من حسابهم شيء، وإنما هو ذكرى للمؤمنين، وإعراب ذكرى على هذا خبر ابتداء مضمر، تقديره: ولكن نهيهم ذكرى أو مفعول من أجله، تقديره: إنما نهوا ذكرى والضمير في لعلهم على هذا للمؤمنين لا غير.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ﴾ قيل: إنها متاركة منسوخة بالسيف، وقيل: بل هي تهديد فلا متاركة ولا نسخ فيها. ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً﴾ أي اتخذوا الدين الذي كان ينبغي لهم لعبا ولهوا؛ لأنهم سخروا منه، واتخذوا الدين الذي يعتقدونه لعبا ولهوا؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فهم يلعبون ويلهون. ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦ﴾ الضمير عائد على الدين أو على القرآن. ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ قيل: معناه أن تحبس، وقيل: تفضح، وقيل: تهلك، وهو في موضع مفعول من أجله أي ذكر به كراهة أن تبسل نفس. ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ أي وإن تعط كل فدية لا يؤخذ منها.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية إقامة حجة وتوبيخ للكفار. ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ أي نرجع من الهدى إلى الضلال، وأصل الرجوع على العقب في المشي ثم استعير في المعاني وهذه جملة معطوفة على أندعوا والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ. ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الكاف في موضع نصب على الحال من الضمير في نرد، أي كيف نرجع مشبهين من استهوته الشياطين؟ أو نعت لمصدر محذوف، تقديره: ردا كرد الذي، ومعنى استهوته الشياطين ذهبت به في مهامه

الأرض، وأخرجته عن الطريق، فهو استفعال من هوى يهوي في الأرض إذا ذهب فيها، وقال الفارسي: استهوى بمعنى أهوى، مثل استزل بمعنى أزل. ﴿حَيْرَانَ﴾ أي ضال عن الطريق وهو نصب على الحال من المفعول في استهوته. ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ أي لهذا المستهوى أصحاب وهم رفقة يدعونه إلى الهدى، أي إلى أن يهدوه إلى الطريق يقولون له: ائتنا، وهو قد تاه وبعد عنهم فلا يجيبهم، وهذا كله تمثيل لمن ضل في الدين عن الهدى، وهو يدعى إلى الإسلام فلا يجيب، وقيل: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[1] حين كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام، ويبطل هذا قول عائشة[2] ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟﴾ عطف على لنسلم، أو على مفعول أمرنا.

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مرفوع بالابتداء، وخبره يوم يقول، وهو مقدم عليه، والعامل فيه معنى الاستقرار، كقولك: يوم الجمعة القتال، واليوم بمعنى الحين وفاعل يكون مضمر، وهو فاعل كن أي حين يقول لشيء كن فيكون ذلك الشيء. ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ ظرف لقوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾، كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، وقيل: في إعراب الآية غير هذا، مما هو ضعيف، أو تخليط. ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ خبر ابتداء مضمر.

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز: ٨/٦ حكى مكي وغيره أن المراد بالذي في هذه الآية عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وبالأصحاب أبوه وأمه، ولكن لم يذكر لذلك سندا. ويعارض هذا أثر عائشة الصحيح كما سيأتي قريبا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٨٢٧) كتاب التفسير... قال: «كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾. فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري».

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ
أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ
قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا
رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ
أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ۞ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ
سُلْطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

ربع

﴿لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو اسم أبي إبراهيم فإعرابه عطف بيان أو بدل، ومنع من الصرف للعجمة والعلمية لا للوزن، فإن وزنه فاعل نحو عابر وشالح، وقرئ(١) بالرفع على النداء، وقيل: إنه اسم صنم، لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تارح(٢)، فعلى هذا يحتمل أن يكون لقب به لملازمته، له أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد، ولا يبعد أن يكون له اسمان.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قيل: إنه فرج الله السموات والأرض حتى رأى ببصره الملك الأعلى والأسفل، وهذا يحتاج إلى صحة نقل، وقيل: رأى ما يراه الناس من الملكوت ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه. ﴿وَلِيَكُونَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره وليكون من الموقنين بفعلنا به ذلك.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ أي ستره يقال: جن عليه الليل وأجنه. ﴿رَءَا كَوْكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ يحتمل أن يكون هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف، وقد روي: أن أمه ولدته في غار خوفا من نمرود؛ إذ كان يقتل الأطفال لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبي، ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه وأنه قال ذلك لقومه على

(١) ﴿ءَازَرُ﴾ قرأ يعقوب برفع الراء وقرأ الباقون بنصبها. النشر: ٢/٢٩٣.
(٢) في المطبوع تارخ بالخاء وهو خطأ.

وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم وهذا أرجح لقوله بعد ذلك: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار لأن ذلك يقتضي محاجة وردا على قومه، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبين لهم الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحد منها إلها لقيام الدليل على حدوثها، وأن الذي أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأفولها وانتقالها هو الإله الحق وحده، فقوله: هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل؛ لأن ذلك أدعى إلى الحق وأقرب إلى رجوع الخصم، ثم أقام عليهم الحجة بقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ أي لا أحب عبادة المتغيرين؛ لأن التغير دليل على الحدوث والحدوث ليس من صفة الإله، ثم استمر على ذلك المنهاج في القمر وفي الشمس فلما أوضح البرهان وأقام عليهم الحجة جاهرهم بالبراءة من باطلهم فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ثم أعلن عبادته لله وتوحيده له فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ووصف الله تعالى بوصف يقتضي توحيده وانفراده بالملك.

فإن قيل: لم احتج بالأفول دون الطلوع، وكلاهما دليل على الحدوث؛ لأنهما انتقال من حال إلى حال؟ **فالجواب**: أن الأفول أظهر في الدلالة؛ لأنه انتقال مع اختفاء واحتجاب.

﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ أي في الإيمان بالله وفي توحيده، والأصل أتحاجونني بنونين وقرئ[1] بالتشديد على إدغام أحدهما في الآخر، وبالتخفيف على حذف أحدهما، واختلف هل حذفت الأولى أو الثانية؟ ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ ما هنا بمعنى الذي ويريد بها الأصنام، وكانوا قد خوفوه أن تصيبه أصنامهم بضر، فقال: لا أخاف منهم؛ لأنهم لا يقدرون على شيء. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾

(١) قال الإمام الداني في التيسير: «نافع وابن عامر بخلاف عن هشام ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِي﴾ بتخفيف النون، والباقون بتشديدها». ص: ٧٧.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَٰهَا إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
الْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَاجْتَبَيْنَٰهُمْ
وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَٰفِرِينَ
﴿٨٩﴾ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

استثناء منقطع بمعنى لكن أي إنما أخاف من ربي إن أراد بي شيئا.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ أي كيف أخاف شركاءكم الذين لا يقدرون على شيء وأنتم لا تخافون ما فيه كل خوف وهو إشراككم بالله؟ فأنتم تنكرون علي الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف، ثم أوقفهم على ذلك بقوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾: يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين، ثم أجاب عن السؤال بقوله:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية، وقيل: إن الذين آمنوا استئناف وليس من كلام إبراهيم. ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي ﷺ وقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك كما قال لقمان لابنه ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»[1].

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ إشارة إلى ما تقدم من استدلاله واحتجاجه.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ الضمير لإبراهيم أو لنوح عليهما السلام، والأول هو الصحيح لذكر لوط وليس من ذرية إبراهيم، ﴿دَاوُۥدَ﴾ عطف على نوحا أي وهدينا داود.

﴿وَعِيسَىٰ﴾ فيه دليل على أن أولاد البنات يقال لهم: ذرية؛ لأن عيسى ليس

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٢٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٥٠٦٢)، والنسائي في تفسيره رقم: (١٨٦٣)، وابن حبان في صحيحه رقم: (٢٥٣).

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ
تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا
أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾
وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ
مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ
وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ
كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ
وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ
لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

له أب فهو ابن ابنة نوح.

﴿وَمِنْ ءَابَآبِهِمْ﴾ في موضع نصب عطف على ﴿كُلًّا﴾ أي وهدينا بعض آبائهم.

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ﴾ أي أهل مكة. ﴿وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هم الأنبياء المذكورون، وقيل: الصحابة، وقيل: كل مؤمن، والأول أرجح لدلالة ما بعده على ذلك، ومعنى توكيلهم بها توفيقهم للإيمان بها والقيام بحقوقها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ إشارة إلى الأنبياء المذكورين. ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ اقْتَدِهْ﴾ استدل به من قال إن شرع من قبلنا شرع لنا، فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فاتفقت فيه جميع الشرائع. وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع، والخلاف هل يقتدي النبي ﷺ فيها بمن قبله أم لا؟ والهاء في اقتده للوقف فينبغي أن تسقط في الوصل، ولكن من أثبتها فيه[(١)] راعى ثبوتها في خط المصحف.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي ما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم إذ أنكروا بعثه للرسل وإنزاله للكتب والقائلون هم اليهود بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار نبوءة محمد ﷺ، وروي: أن الذي قالها منهم مالك بن الصيف[(٢)] فرد الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بد لهم من الإقرار به

(١) ﴿اقْتَدِهْ﴾ حذف الهاء منها لفظاً في الوصل وأثبتها في الوقف للرسم حمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وأثبتها الباقون في الحالين وكسر الهاء منها وصلا ابن عامر... النشر: ٢/١٦١.

(٢) انظر المحرر الوجيز: ٢/٣٧٨.

وهو إنزال التوراة على موسى، وقيل: القائلون قريش وألزموا ذلك؛ لأنهم كانوا مقرين بالتوراة. ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ الخطاب لليهود أو لقريش على وجه إقامة الحجة والرد عليهم في قولهم: ما أنزل الله على بشر من شيء فإن كان لليهود فالذي علموه التوراة، وإن كان لقريش فالذي علموه ما جاء به محمد ﷺ. ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب من أنزل واسم الله مرفوع بفعل مضمر تقديره: أنزله الله أو مرفوع بالابتداء.

﴿وَلِتُنذِرَ﴾ عطف على صفة الكتاب. ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ مكة، وسميت أم القرى لأنها مكان أول بيت وضع للناس، ولأنه جاء أن الأرض دحيت منها[1]، ولأنها يحج إليها أهل القرى من كل فج عميق.

﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ هو مسيلمة وغيره من الكذابين الذين ادعوا النبوءة. ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ هو النضر بن الحرث لأنه عارض القرآن، واللفظ عام فيه وفي غيره من المستهزئين. ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ جوابه محذوف، تقديره: لرأيت أمرا عظيما، والظالمون من تقدم ذكره من اليهود والكذابين والمستهزئين فتكون اللام للعهد،؟ وأعم من ذلك فتكون للجنس. ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي تبسط الملائكة أيديهم إلى الكفار يقولون لهم أخرجوا أنفسكم، وهذه عبارة عن التعنيف في السياق والشدة في قبض الأرواح. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يحتمل أن يريد ذلك الوقت بعينه، أو الوقت الممتد من حينئذ إلى الأبد. ﴿الْهُونِ﴾ الذلة.

﴿فُرَادَىٰ﴾ منفردين عن أموالكم وأولادكم أو عن شركائكم، والأول يترجح لقوله ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أي ما أعطيناكم من الأموال والأولاد، ويترجح الثاني بقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾. ﴿تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ تفرق شملكم،

(١) الطبري في جامع البيان: ١/١٠٨، وابن كثير في تفسير القرآن: ١/١٠٢، وأخبار مكة للفاكهاني: ٤/١٩١.

• إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٦﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ
وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٧﴾ وَهْوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا
بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٨﴾ وَهْوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٩﴾ وَهْوَ الَّذِي أَنزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ • وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠١﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهْوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾

ومن قرأه بالرفع[1] أسند الفعل إلى الظرف واستعمله استعمال الأسماء، ويكون البين بمعنى الفرقة، أو بمعنى الوصل، ومن قرأه بالنصب فالفاعل مصدر الفعل أو محذوف، تقديره: تقطع الاتصال بينكم.

﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ أي يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها، ويفلق النوى لخروج الشجر منها، وقيل: أراد الشقين الذين في النواة والحنطة، والأول أرجح لعمومه في أصناف الحبوب. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ تقدم في آل عمران. ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ معطوف على فالق.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ أي الصبح فهو مصدر سمي به الصبح، ومعنى فلقه إخراجه من الظلمة، وقيل: إن الظلمة: هي التي تنفلق عن الصبح، فالتقدير: فالق ظلمة الإصباح. ﴿سَكَنًا﴾ أي يسكن فيه عن الحركات ويستراح. ﴿حُسْبَانًا﴾ أي يعلم بهما حساب الأزمان والليل والنهار. ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ما أحسن ذكر هذين الاسمين هنا؛ لأن العزيز: يغلب كل شيء ويقهره، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخرهما كيف شاء، والعليم: لما في تقدير الشمس، والقمر، والليل، والنهار، من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة.

﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي في ظلمات الليل في البر والبحر، وأضاف

(١) ﴿تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ المدنيان والكسائي وحفص بنصب النون، وقرأ الباقون برفعها. النشر: ٢/٢٩٤.

الظلمات إليهما لملابستها لهما، أو شبه الطرق المشتبهة بالظلمات.

﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ من كسر القاف من مستقر[1] فهو اسم فاعل، ومستودع اسم مفعول، والتقدير: فمنكم مستقر ومستودع ومن فتحها فهو اسم مكان أو مصدر ومستودع مثله، والتقدير على هذا: لكم مستقر ومستودع، والاستقرار في الرحم والاستيداع في الصلب، وقيل: الاستقرار فوق الأرض، والاستيداع تحتها.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ الضمير يعود على الماء. ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ الضمير عائد على النبات. ﴿خَضِرًا﴾ أي أخضر غضا، وهو ما يتولد من أصل النبات من الفراخ. ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ الضمير عائد على الخضر. ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يعني السنبل؛ لأن حبه بعضه على بعض، وكذلك الرمان وشبهها. ﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قنو، وهو العنقود من التمر، وهو مرفوع بالابتداء وخبره من النخل، ومن طلعها بدل، والطلع: أول ما يخرج من التمر في أكمامه. ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي قريبة سهلة للتناول، وقيل: قريب بعضها من بعض. ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ بالنصب عطف على نبات كل شيء، وقرئ[2] في غير السبع بالرفع عطف على قنوان. ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ نصب على الحال من الزيتون والرمان، أو من كل ما تقدم من النبات، والمشتبه والمتشابه بمعنى واحد، أي من النبات ما يشبه بعضه بعضا في اللون والطعم والصورة، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضا، وفي ذلك دليل قاطع على الصانع المختار القدير العليم المريد. ﴿انظُرُوٓا إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ أي انظروا إلى ثمره أول ما يخرج ضعيفا لا منفعة فيه، ثم ينقل من حال إلى حال حتى يينع: أي ينضج ويطيب.

﴿شُرَكَآءَ الْجِنَّ﴾ نصب الجن على أنه مفعول أول لجعلوا وشركاء مفعول

---

(١) ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بكسر القاف، وقرأ الباقون بفتحها. النشر المصدر السابق.

(٢) قال ابن عطية:.. وقرأ الأعمش ومحمد بن أبي ليلى ورويت عن أبي بكر عن عاصم: وجنات بالرفع، على تقدير: ولكم جنات، أو نحو هذا وقال الطبري: وهو عطف على قنوان قال القاضي أبو محمد: وقوله ضعيف. المحرر الوجيز: ٢/٣٨٧.

ثان، وقدم لاستعظام الإشراك، أو شركاء مفعول أول والله في موضع المفعول الثاني والجن بدل من شركاء والمراد بهم هنا الملائكة، وذلك رد على من عبدهم، وقيل: المراد الجن، والإشراك بهم طاعتهم. ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ الواو للحال، والمعنى الرد عليهم أي جعلوا لله شركاء وهو خلقهم، والضمير عائد على الجن أو على الجاعلين، والحجة قائمة على الوجهين. ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ﴾ أي اختلقوا وزوروا والبنين قول النصارى في المسيح، وقول اليهود في عزير، والبنات: قول العرب في الملائكة. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي قالوا ذلك بغير دليل، بل مجرد افتراء.

﴿بَدِيعُ﴾ ذكر معناه في البقرة، ورفعه على أنه خبر ابتداء مضمر، أو مبتدأ وخبره ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾ أو فاعل تعالى، والقصد به الرد على من نسب لله البنين والبنات، وذلك من وجهين:

أحدها: أن الولد لا يكون إلا من جنس والده، والله تعالى متعال عن الأجناس لأنه مبدعها فلا يصح أن يكون له ولد.

والآخر: أن الله خلق السموات والأرض، ومن كان هكذا فهو غني عن الولد وعن كل شيء.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ مسبب عن مضمون الجملة، أي: من كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني في الدنيا، وأما في الآخرة فالحق: أن المؤمنين يرون ربهم بدليل قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وقد جاءت في ذلك أحاديث صحيحة[(١)] صريحة المعنى لا تحتمل التأويل، وقال الأشعرية: إن رؤية الله تعالى في الدنيا

---

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٨١)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٨٣)، وابن خزيمة في صحيحه: ٤٢١/٢، وأحمد في مسنده: ١٦/٣، والبيهقي في الشعب: ٢١٥/١، والبغوي في معالم التنزيل: ٥/٢٥٠.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ
فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾
قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِيَ
فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾
ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ
لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا
جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

جائزة عقلا لأن موسى سألها من الله ولا يسأل موسى ما هو محال، وقد اختلف الناس: هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء، أم لا؟. ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ قال بعضهم: الفرق بين الرؤية وبين الإدراك أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى غايته فلذلك نفى أن تدرك أبصار الخلق ربهم، ولا يقتضي ذلك نفي الرؤية وحسن على هذا قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ لإحاطة علمه تعالى بالخفيات. ﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ أي لطيف عن أن تدركه الأبصار، وهو الخبير بكل شيء، وهو يدرك الأبصار.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾ جمع بصيرة وهو نور القلب والبصر نور العين، وهذا الكلام على لسان النبي ﷺ لقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾.

﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ متعلق بمحذوف تقديره: ليقولوا صرفنا الآيات. ﴿دَرَسْتَ﴾ بإسكان السين وفتح التاء[1] أي درست العلم وقرأته ودارست بالألف أو دارست العلماء وتعلمت منهم ودرست بفتح السين وإسكان التاء بمعنى قدمت هذه الآيات ودبرت. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ الضمير للآيات وجاء مذكرا لأن المراد بها القرآن.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ إن كان معناه أعرض عما يدعونك إليه أو عن

---

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿دَرَسْتَ﴾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الدال وإسكان السين وفتح التاء، وقرأ ابن عامر ويعقوب بغير ألف وفتح السين وإسكان التاء، وقرأ الباقون بغير ألف وإسكان السين وفتح التاء. النشر: ٢/٢٩٤.

مجادلتهم فهو محكم وإن كان: أعرض عن قتالهم وعقابهم فهو منسوخ، وكذلك ما أنا عليكم بحفيظ، وبوكيل.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي لا تسبوا آلهتهم فيكون ذلك سببا لأن يسبوا الله واستدل المالكية بهذا على: سد الذرائع.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي هي بيد الله لا بيدي. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي ما يدريكم وهو من الشعور بالشيء، وما نافية أو استفهامية. ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ من قرأ بفتح أنها[1] فهو معمول يشعركم أي ما يدريكم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها، نحن نعلم ذلك وأنتم لا تعلمونه، وقيل: لا زائدة، والمعنى: ما يشعركم أنهم يؤمنون، وقيل: أن هنا بمعنى لعل فمن قرأ بالكسر فهي استئناف إخبار وتم الكلام في قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، أي ما يشعركم ما يكون منهم فعلى القراءة بالكسر يوقف على ما يشعركم، وأما على القراءة بالفتح فإن كانت أن مصدرية لم يوقف عليه لأنه عامل فيها وإن كانت بمعنى لعل فأجاز بعض الناس الوقف، ومنعه شيخنا أبو جعفر بن الزبير لما في لعل من معنى التعليل.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ أي نطبع عليها ونصدها عن الفهم فلا يفهمون. ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ الكاف للتعليل أي نطبع على أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، ويحتمل أن تكون للتشبيه أي نطبع عليها إذا رأوا الآيات مثل ما إذا طبعنا عليها أول مرة.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ الآية رد عليهم في قسمهم أنهم لو جاءتهم آية لآمنوا بها أي لو أعطيناهم هذه الآيات التي اقترحوها وكل آية لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله. ﴿قِبَلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء، أي: معاينة فنصبه على الحال،

---

(١) ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان وخلف بكسر الهمزة من أنها. المصدر السابق.

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قِبَلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَآءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
شَيَٰطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ
أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا
وَالَّذِينَ آتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَٰتُ رَبِّكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن
تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾
فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَٰتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

حزب

وقرئ(١) بضمتين ومعناه: مواجهة، كقوله: ﴿قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ وقيل: هو جمع قبيل بمعنى كفيل، أي كفلا بتصديق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ الآية تسلية للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتأسي لغيره. ﴿شَيَٰطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ أي المتمردين من الصنفين، ونصب شياطين على البدل من عدوا؛ إذ هو بمعنى الجمع، أو مفعول أول و﴿عَدُوًّا﴾ مفعول ثان. ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي يوسوس ويلقي الشر. ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ ما يزينه من القول. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الضمير عائد على وحيهم أو على عداوة الكفار. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد. ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ما في موضع نصب على أنها مفعول معه أو عطف على الضمير.

﴿وَلِتَصْغَىٰ﴾ أي تميل، وهو متعلق بمحذوف، واللام لام الصيرورة. ﴿إِلَيْهِ﴾ الضمير لوحيهم. ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ يكتسبوا.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ معمول لقول محذوف، أي قل لهم.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَٰتُ رَبِّكَ﴾ أي صحت، والكلمات: ما نزل على عباده من كتبه.

﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي صدقا فيما أخبر، وعدلا فيما حكم.

---

(١) قال ابن الجزري: ﴿قِبَلًا مَّا﴾ قرأ المدنيان وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقون بضمهما. النشر: ٢/٢٩٥.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ
بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٢٠﴾
• وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢١﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ
أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢٢﴾
أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٥﴾

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ القصد بهذا الأمر إباحة ما ذكر اسم الله عليه، والنهي عما ذبح للنصب وغيرها، وعن الميتة وهذا النهي يقتضيه دليل الخطاب من الأمر ثم صرح به في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ وقد استدل بذلك من أوجب التسمية على الذبيحة، وإنما جاء الكلام في سياق تحريم الميتة وغيرها، فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليل على وجوب التسمية في ذبائح المسلمين، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك، وقال عطاء[1]: وهذه الآية أمر بذكر الله على الذبح والأكل والشرب.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ المعنى: أي غرض لكم في ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه؟ وقد بين لكم الحلال من الحرام. ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ استثناء مما حرم.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ لفظ يعم أنواع المعاصي لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر، وقيل: الظاهر الأعمال، والباطن الاعتقاد.

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضمير لمصدر لا تأكلوا. ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ سببها: أن قوما من الكفار قالوا إنا نأكل ما قتلناه ولا نأكل

---

(١) صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/١٣٧٩٠.

ما قتل الله يعنون الميتة.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ الموت هنا عبارة عن الكفر والإحياء عبارة عن الإيمان، والنور نور الإيمان والظلمات الكفر، فهي استعارات وفي قوله ميتا فأحييناه مطابقة وهي من أدوات البيان، ونزلت الآية[1] في عمار بن ياسر، وقيل: في عمر بن الخطاب[2] والذي في الظلمات أبو جهل، ولفظها أعم من ذلك. ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ مثل هنا بمعنى صفة، وقيل: زائدة، والمعنى كمن هو.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ﴾ أي كما جعلنا في مكة أكابرها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية، وإنما ذكر الأكابر لأن غيرهم تبع لهم، والمقصود تسلية النبي ﷺ. ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ إعرابه مضاف إليه عند الفارسي وغيره، وقال ابن عطية وغيره: إنه مفعول أول بجعلنا وأكابر مفعول ثان مقدم وهذا جيد في المعنى ضعيف في العربية؛ لأن أكابر جمع أكبر وهو من أفعل، فلا يستعمل إلا بمن أو بالإضافة.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ﴾ الآية قائل هذه المقالة أبو جهل، وقيل: الوليد بن المغيرة، لأنه قال: أنا أولى بالنبوءة من محمد. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَـٰلَتَهُۥ﴾ رد عليهم فيما طلبوه، والمعنى: أن الله علم أن محمدا ﷺ أهل للرسالة فخصه بها، وعلم أنهم ليسوا بأهل لها فحرمهم إياها، وفي الآية من أدوات البيان: الترديد لكونه ختم كلامهم باسم الله، ثم رده في أول كلامه. ﴿صَغَارٌ﴾ أي ذلة.

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ شرح الصدر وضيقه وحرجه ألفاظ مستعارة، ومن قرأ حرجا بفتح الراء[3] فهو مصدر وصف به. ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ﴾ أي

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٢/١٣٨٣٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٣٨١ بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٣٨١، وهو بسند حسن لكنه مرسل.

(٣) نافع وأبو بكر ﴿حَرِجاً﴾ بكسر الراء والباقون بفتحها. التيسير، ص: ٧٨.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ
أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ
فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ ربع
وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم
مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ
أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ
أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

كأنما يحاول الصعود إلى السماء وذلك غير ممكن، فكذلك يصعب عليه الإيمان، وأصل يصعد المشدد يتصعد، وقرئ[1] بالتخفيف.

﴿دَارُ السَّلَٰمِ﴾ الجنة، والسلام هنا يحتمل أن يكون اسم الله فأضافها إليه لأنها ملكه وخلقه، أو بمعنى السلامة أو التحية.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ العامل في يوم محذوف، تقديره: اذكروا، أو تقديره: قلنا ويكون على هذا عاملا في يوم وفي ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أي أضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم أتباعكم، كما تقول: استكثر الأمير من الجيش. ﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ استمتاع الجن بالإنس طاعتهم لهم، واستمتاع الإنس بالجن كقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ فإن الرجل كان إذا نزل واديا قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي، يعني كبير الجن. ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا﴾ هو الموت، وقيل: الحشر. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: الاستثناء من الكاف والميم في مثواكم، فما بمعنى من لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس، والمستثنى على هذا: من آمن منهم، وقيل: الاستثناء من مدة الخلود وهو الزمان الذي بين حشرهم إلى دخول النار، وقيل: الاستثناء من النار وهو دخولهم الزمهرير، وقيل: ليس المراد هنا بالاستثناء

(١) ﴿يَصَّعَّدُ﴾ قرأ ابن كثير بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف، وروى أبو بكر بفتح الياء والصاد مشددة وألف وتخفيف العين، وقرأ الباقون بتشديد الصاد والعين من غير ألف. النشر: ٢٩٦/٢.

الإخراج، وإنما هو على وجه الأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ أي نجعل بعضهم وليا لبعض، وقيل: نتبع بعضهم بعضا في دخول النار، وقيل: نسلط بعضهم على بعض.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾ تقرير للجن والإنس، فقيل: إن الجن بعث فيهم رسل منهم لظاهر الآية، وقيل: إنما الرسل من الإنس خاصة، وإنما قال رسل منكم؛ لأنه جمع الثقلين في الخطاب. ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ لا تنافي بينه وبين قولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ لما تقدم هناك، فإن قيل: لم كرر شهادتهم على أنفسهم؟ فالجواب: أن قولهم ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ قول قالوه هم وقوله: ﴿شَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ذم لهم، وتقبيح لحالهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: الأمر ذلك، أو مفعول بفعل مضمر تقديره: فعلنا ذلك، والإشارة إلى بعث الرسل. ﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾ تعليل لبعث الرسل وهو في موضع مفعول من أجله، أو بدل من ذلك. ﴿بِظُلْمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الله لم يكن ليهلك القرى دون بعث الرسل إليهم فيكون إهلاكهم ظلما إذ لم ينذرهم فهو كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

والآخر: أن الله لا يهلك القرى بظلم إذا ظلموا دون أن ينذرهم، ففاعل الظلم على هذا أهل القرى وغفلتهم عدم إنذارهم

حكى الوجهين ابن عطية والزمخشري، والوجه الأول صحيح على مذهب المعتزلة، ولا يصح على مذهب أهل السنة؛ لأن الله لو أهلك عباده بغير ذنب لم يكن ظالما عندهم.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ أي منازل في الجزاء على أعمالهم من الثواب والعقاب.

﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ﴾ أي من ذرية أهل سفينة نوح، أو من كان قبلهم إلى آدم.

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ
أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا
تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿١٣٥﴾ ۞ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ ثمن
نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا
فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ
سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ
مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ
لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ
شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ الأمر هنا للتهديد والمكانة التمكن. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد. ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ﴾ يحتمل أن تكون من موصولة في موضع نصب على المفعولية، أو استفهامية في موضع رفع بالابتداء. ﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي الآخرة أو الدنيا، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ الضمير في جعلوا لكفار العرب، قال السهيلي: هم حي من خولان يقال لهم الأديم، كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم ومن أنعامهم نصيبا لله ونصيبا لأصنامهم، ومعنى ذرأ: خلق وأنشأ، ففي ذلك رد عليهم لأن الله الذي خلقها وذرأها هو مالكها لا رب غيره. ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع، وأكثر ما يقال الزعم في الكذب، وقرئ[(١)] بفتح الزاي وضمها وهما لغتان. ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، كانوا إذا هبت الريح فحملت شيئا من الذي لله إلى الذي للأصنام أقروه، وإن حملت شيئا من الذي للأصنام إلى الذي لله ردوه، وإذا أصابتهم سنة أكلوا نصيب الله، وتحاموا نصيب شركائهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ كانوا يقتلون أولادهم بالوأد ويذبحونهم قربانا إلى الأصنام، و﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ هنا هم

---

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ في الموضعين، فقرأ الكسائي بضم الزاي منهما، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٢٩٧، وانظر التيسير، ص: ٧٩.

الشياطين، أو القائمون على الأصنام، وقرأ الجمهور بفتح الزاي من زين على البناء للفاعل، ونصب قتل على أنه مفعول وخفض أولادهم بالإضافة ورفع شركاؤهم على أنه فاعل بـ ﴿زَيَّنَ﴾، والشركاء على هذه القراءة هم الذين زينوا القتل، وقرأ ابن عباس[1]: بضم الزاي على البناء للمفعول، ورفع قتل على أنه مفعول لم يسم

(١) وهذه هي قراءة ابن عامر، قال الإمام الداني في التيسير: ابن عامر: و﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ﴾ بضم الزاي وكسر الياء ﴿لكثير من المشركين قتل﴾ برفع اللام ﴿أولادهم﴾ بنصب الدال ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ بخفض الهمزة. والباقون بفتح الزاي ونصب اللام وخفض الدال ورفع الهمزة. التيسير، ص: ٧٩، والنشر: ٢/٢٩٧ قال: واختلفوا في ﴿زين لكثير قتل أولادهم شركاؤهم﴾ فقرأ ابن عامر بضم الزاي وكسر الياء من ﴿زين﴾ ورفع لام ﴿قتل﴾ ونصب دال ﴿أولادهم﴾ وخفض همزة ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ بإضافة ﴿قتل﴾ إليه، وهو فاعل في المعنى، وقد فصل بين المضاف وهو ﴿قتل﴾ وبين ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ وهو المضاف إليه بالمفعول وهو ﴿أولادهم﴾ وجمهور نحاة البصريين على أن هذا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر، وتكلم في هذه القراءة بسبب ذلك حتى قال الزمخشري: والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجر (الأولاد والشركاء)؛ لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة.
(قلت): والحق في غير ما قاله الزمخشري، ونعوذ بالله من قراءة القرآن بالرأي والتشهي، وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد في الكتابة من غير نقل؟ بل الصواب جواز مثل هذا الفصل وهو الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول في الفصيح الشائع الذائع اختياراً، ولا يختص ذلك بضرورة الشعر، ويكفي في ذلك دليلاً هذه القراءة الصحيحة المشهورة التي بلغت التواتر، كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان بن عفان وأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب، فكلامه حجة وقوله دليل؛ لأنه كان قبل أن يوجد اللحن ويتكلم به، فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن وروى وسمع ورأى؟؛ إذ كانت كذلك في المصحف العثماني المجمع على اتباعه، وأنا رأيتها فيه كذلك مع أن قارئها لم يكن خاملاً، ولا غير متبع ولا في طرف من الأطراف، ليس عنده من ينكر عليه إذا خرج عن الصواب، فقد كان في مثل دمشق التي هي إذ ذاك دار الخلافة وفيها الملك والمأتى إليها من أقطار الأرض في زمن خليفة هو أعدل الخلفاء وأفضلهم بعد الصحابة، الإمام عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أحد المجتهدين المتبعين المقتدى بهم من الخلفاء الراشدين، وهذا الإمام القارئ أعني ابن عامر مقلد في هذا الزمن الصالح قضاء دمشق ومشيختها وإمامة جامعها الأعظم=

= الجامع الأموي أحد عجائب الدنيا، والوفود به من أقطار الأرض لمحل الخلافة ودار الإمارة، هذا ودار الخلافة في الحقيقة حينئذ بعض هذا الجامع ليس بينهما سوى باب يخرج منه الخليفة، ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة، ولم يبلغنا عن أحد من السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على اختلاف مذاهبهم وتباين لغاتهم وشدة ورعهم أنه أنكر على ابن عامر شيئاً من قراءته، ولا طعن فيها ولا أشار إليها بضعف، ولقد كان الناس بدمشق وسائر بلاد الشام حتى الجزيرة الفراتية وأعمالها لا يأخذون إلا بقراءة ابن عامر، ولازال الأمر كذلك إلى حدود الخمسمائة، وأول من نعلمه أنكر هذه القراءة وغيرها من القراءة الصحيحة وركب هذا المحذور ابن جرير الطبري، بعد الثلاثمائة، وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير، حتى قال السخاوي: قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي: إياك وطعن ابن جرير على ابن عامر، ولله در إمام النحاة أبي عبد الله بن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال في كافيته الشافية:

وحجتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر

وهذا الفصل الذي ورد في هذه القراءة، فهو منقول من كلام العرب، من فصيح كلامهم جيد من جهة المعنى أيضاً، أما وروده في كلام العرب فقد ورد في أشعارهم كثيراً، أنشد من ذلك سيبويه والأخفش وأبو عبيدة وثعلب وغيرهم ما لا ينكر مما يخرج به كتابنا عن المقصود، وقد صح من كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» ففصل بالجار والمجرور بين اسم الفاعل ومفعوله مع ما فيه من الضمير المنوي، ففصل المصدر بخلوه من الضمير أولى بالجواز، وقرئ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥ﴾ وأما قوته من جهة المعنى فقد ذكر ابن مالك ذلك من ثلاثة أوجه:

(أحدها): كون الفاصل فضلة فإنه لذلك صالح لعدم الاعتداد به.

(الثاني): أنه غير أجنبي معنى لأنه معمول للمضاف هو والمصدر.

(الثالث): أن الفاصل مقدر التأخير لأن المضاف ليه مقدم التقديم لأنه فاعل في المعنى حتى أن العرب لو لم تستعمل مثل هذا الفصل لاقتضى القياس استعماله لأنهم قد فصلوا في الشعر بالأجنبي كثيراً فاستحق بغير أجنبي أن يكون له مزية فيحكم بجوازه مطلقاً وإذا كانوا قد فصلوا بين المضافين بالجملة في قول بضع العرب: هو غلام إن شاء الله أخيك، فالفصل بالمفرد أسهل.

ثم إن هذه القراءة قد كانوا يحافظون عليها ولا يرون غيرها، قال ابن ذكوان (شركائهم) بياء ثابتة في الكتاب والقراءة، قال: وأخبرني أيوب يعني ابن تميم شيخه، قال: قرأت على=

وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن
نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ
ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ
خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن
مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ
سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ
قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ
جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَٰبِهٍ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ
حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ
ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

ربع

فاعله، ونصب ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ على أنه مفعول بـ﴿قَتْلَ﴾، وخفض ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ على الإضافة إلى قتل إضافة المصدر إلى فاعله، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله: ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ وذلك ضعيف في العربية[1] وقد سمع في الشعر، والشركاء على هذه القراءة هم القاتلون للأولاد. ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي ليهلكوهم وهو من الردى بمعنى الهلاك.

﴿وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي حرام وهو فعل بمعنى مفعول نحو ذبح، فيستوي في الوصف به: المذكر، والمؤنث، والواحد، والجمع. ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ أي لا يأكلها إلا من شاؤوا وهم القائمون على الأصنام، أو الرجال دون النساء. ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ أي لا تركب، وهي: السائبة وأخواتها ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قيل: معناه لا يحج عليها فلا يذكر اسم الله

= أبي عبد الملك قاضي الجند ﴿زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ قال أيوب فقلت له إن في مصحفي وكان قديماً ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ فمحا أبو عبد الملك الياء وجعل مكان الياء واواً، وقال أيوب: ثم قرأت على يحيى بن الحارث ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ فرد على يحيى ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ فقلت له إنه كان في مصحفي بالياء فحكت وجعلت واواً فقال يحيى: أنت رجل محوت الصواب وكتبت الخطأ، فرددتها في المصحف على الأمر الأول، وقرأ الباقون (زين) بفتح الزاي والياء (قتل) بنصب اللام (أولادهم) بخفض الدال (شركاؤهم) برفع الهمزة.

(١) لقد بالغ ابن الجزري في الرد على من يضعف هذه القراءة. كما مر قريبا. ونقلت هذا الكلام بطوله لأهميته.

بالتلبية، وقيل: لا يذكر عليها إذا ذبحت. ﴿افْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ كانوا قد قسموا أنعامهم هذه الأقسام ونسبوا ذلك إلى الله افتراء وكذبا، ونصب على الحال، أو مفعول من أجله، أو مصدر مؤكد.

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ﴾ الآية، كانوا يقولون في أجنة البحيرة والسائبة ما ولد منها حيا فهو للرجال خاصة ولا يأكل منه النساء، وما ولد منها ميتا اشترك فيه الرجال والنساء، وأنث ﴿خَالِصَةٌ﴾ للحمل على المعنى، وهي الأجنة وذكر ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ حملا على لفظ ما، ويجوز أن تكون التاء للمبالغة.

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي البحيرة والسائبة وشبههما.

﴿جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مرفوعات على دعائم وشبهها. ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ متروكات على وجه الأرض، وقيل: المعروشات ما غرسه الناس في العمران، وغير معروشات ما أنبته الله في الجبال والبراري. ﴿مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾ في اللون والطعم والرائحة والحجم، وذلك دليل على أن الخالق مختار مريد. ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حِصَادِهِ﴾ قيل: حقه هنا الزكاة، وهو ضعيف لوجهين:

أحدهما: أن الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة.

والآخر: أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد وإنما تعطى يوم ضم الحبوب والثمار، وقيل: حقه ما يتصدق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجبا ثم نسخ بالعشر، وقيل: هو ما يسقط من السنبل، والأمر على هذا للندب.

﴿حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾ عطف على جنات، والحمولة الكبار والفرش الصغار، كالعجاجيل والفصلان، وقيل: الحمولة الإبل لأنها يحمل عليها، والفرش الغنم لأنها تفرش للذبح، ويفرش ما ينسج من صوفها.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ بدل من حمولة وفرشا، وسماها أزواجا؛ لأن الذكر زوج

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ
قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ • قُل لَّآ أَجِدُ
فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا
ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

للأنثى، والأنثى زوج الذكر. ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ يريد الذكر والأنثى وكذلك فيما بعده. ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ يعني الذكر من الضأن والذكر من المعز، ويعني بالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر. والهمزة للإنكار. ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ تعجيز وتوبيخ.

﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني في تحريم ما لم يحرم الله، وذلك إشارة إلى العرب في تحريمهم أشياء كالبحيرة وغيرها.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ الآية تقتضي حصر المحرمات فيما ذكر، وقد جاء في السنة(١) تحريم أشياء لم تذكر هنا كلحوم الحمر، فذهب قوم إلى أن السنة نسخت هذا الحصر، وذهب آخرون إلى أن الآية وردت على سبب فلا تقتضي الحصر، وذهب آخرون إلى أن ما عدا ما ذكر إنما نهى عنه على وجه الكراهة لا على وجه التحريم. ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ معطوف على المنصوبات قبله، وهو ما أهل به لغير الله سماه فسقا لتوغله في الفسق، وقد تقدم الكلام على هذه المحرمات في البقرة.

﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ هو ماله أصبع من دابة وطائر قاله الزمخشري، وقال ابن

---

(١) وهو ثابت من حديث أنس وغيره «لما كان يوم خيبر أمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا طلحة فنادى إن الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية فإنها رجس»، البخاري الحديث رقم: (٢٩٩١)، ومسلم الحديث رقم: (١٩٤٠)، وابن حبان في صحيحه: ٥٢٧٤/١٢.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ
فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ ربع
تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ
إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

عطية: يراد به الإبل والأوز والنعام ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الأصابع، أو له ظفر، وقال الماوردي مثله، وحكى النقاش عن ثعلب أن كل ما لا يصيد فهو ذو ظفر، وما يصيد فهو ذو مخلب، وهذا غير مطرد لأن الأسد ذو ظفر. ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ يعني ما في الظهور والجنوب من الشحم ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ هي المباعر، وقيل: المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوى في البطن، وواحد حوايا، حوية على وزن فعيلة فوزن حوايا على هذا فعائل كصحيفة وصحائف، وقيل: واحدها حاوية على وزن فاعلة فحوايا على هذا فواعل كضاربة وضوارب وهو معطوف على ما في قوله: إلا ما حملت ظهورهما فهو من المستثنى من التحريم، وقيل: عطف على الظهور، فالمعنى إلا ما حملت الظهور أو حملت الحوايا، وقيل: عطف على الشحوم فهو من المحرم. ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ يريد ما في جميع الجسد. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي فيما أخبرنا به من التحريم، وفي ذلك تعريض بكذب من حرم ما لم يحرم الله.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ أي إن كذبوك فيما أخبرت به من التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة إذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدة جرمكم، وهذا كما تقول عند رؤية معصية: ما أحلم الله! تريد لإمهاله عن مثل ذلك، ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي لا تغتروا بسعة رحمته فإنه لا يرد بأسه عن مثلكم، إما في الدنيا أو في الآخرة.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ الآية معناها أنهم يقولون إن شركهم وتحريمهم لما حرموا كان بمشيئة الله، ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، فاحتجوا على صحة ذلك بإرادة الله له وتلك نزعة جبرية، ولا حجة لهم في ذلك لأنهم مكلفون مأمورون ألا يشركوا بالله ولا يحللوا ما حرم الله ولا يحرموا ما حلل الله، والإرادة خلاف التكليف، ويحتمل عندي أن يكون قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قولا يقولونه في الآخرة على وجه التمني أن ذلك لم يكن، كقولك إذا ندمت على شيء: لو شاء الله ما كان هذا، أي تمنى أن ذلك لم يكن، ويؤيد هذا أنه حكى قوله بأداة الاستقبال وهي السين فذلك دليل على أنهم يقولونه في المستقبل، وهي الآخرة. ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ توقيف لهم وتعجيز.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ لما أبطل حجتهم أثبت حجة الله ليظهر الحق ويبطل الباطل.

﴿هَلُمَّ﴾ قيل هي بمعنى هات فهي متعدية، وقيل: بمعنى أقبل فهي غير متعدية، وهي عند بعض العرب فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث، وعند بعضهم اسم فعل فيخاطب بها الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حد سواء، ومقصود الآية تعجيزهم عن إقامة الشهداء. ﴿فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي إن كذبوا في شهادتهم وزوروا فلا تشهد بمثل شهادتهم.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أمر الله نبيه ﷺ أنه يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله عليهم، وذكر في هذه الآيات المحرمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تنسخ قط في ملة، وقال ابن عباس(١): هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى. ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ قيل: أن هنا حرف عبارة وتفسير فلا موضع لها من الإعراب، ولا ناهية

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢/٤٢٤ بدون ذكر سند.

جزمت الفعل، وقيل: أن مصدرية في موضع رفع تقديره: الأمر ألا تشركوا فلا على هذا نافية، وقيل: أن في موضع نصب بدلا من قوله: ﴿مَا حَرَّمَ﴾ ولا يصح ذلك إلا إن كانت لا زائدة، وإن لم تكن زائدة فسد المعنى؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراك، والأحسن عندي أن تكون أن مصدرية في موضع نصب على البدل، ولا نافية ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى، لأن قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ معناه: ما وصاكم به ربكم، بدليل قوله في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾، فضمن التحريم معنى الوصية، والوصية في المعنى أعم من التحريم؛ لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل ووجوب وندب، ولا ينكر أن يريد بالتحريم الوصية؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص، فإذا تقرر هذا فتقدير الكلام: قل تعالوا أتل ما حرم، وما صاكم به ربكم، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان فقال: أن لا تشركوا به شيئا، أي وصاكم ألا تشركوا به شيئا، ووصاكم بالإحسان بالوالدين، ووصاكم أن لا تقتلوا أولادكم، فجمعت الوصية: ترك الإشراك، وفعل الإحسان بالوالدين، وما بعد ذلك، ويؤيد هذا التأويل الذي تأولنا أن الآيات اشتملت على أوامر: كالإحسان بالوالدين، وقول العدل، والوفاء بالوزن، وعلى نواهي: كالإشراك، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، فلا بد أن يكون اللفظ المقدم في أولها لفظا يجمع الأوامر والنواهي؛ لأنها أجملت فيه ثم فسرت بعد ذلك، ويصلح لذلك لفظ الوصية لأنه جامع للأمر والنهي فلذلك جعلنا التحريم بمعنى الوصية، ويدل على ذلك ذكر لفظ الوصية بعد ذلك، وإن لم يتأول على ما ذكرناه: لزم في الآية إشكال، وهو عطف الأوامر على النواهي، وعطف النواهي على الأوامر، فإن الأوامر طلب فعلها، والنواهي طلب تركها، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ولا يصح ذلك إلا على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ ۝
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ۝ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ
وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَٰبُ
عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ
۝ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ
فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ۝

وتحتمل الآية عندي تأويلا آخر، وهو: أن يكون لفظ التحريم على ظاهره، ويعم فعل المحرمات وترك الواجبات؛ لأن ترك الواجبات حرام. ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ الإملاق الفاقة، ومن هنا للتعليل تقديرها: من أجل إملاق، وإنما نهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة لأن العرب كانوا يفعلون ذلك، فخرج مخرج الغالب فلا يفهم منه إباحة قتلهم بغير ذلك الوجه. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قيل: ما ظهر الزنا، وما بطن اتخاذ الأخدان، والصحيح أن ذلك عموم في جميع الفواحش. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فسره قول رسول الله ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زنى بعد إحصان، أو كفر بعد إيمان، أو قتل نفس بغير نفس»**[1].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النهي عن القرب يعم وجوه التصرف، وفيه سد الذريعة؛ لأنه إذا نهى عن أن يقرب المال فالنهي عن أكله أولى وأحرى، والتي هي أحسن منفعة اليتيم وتثمير ماله. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ هو البلوغ مع الرشد، وليس المقصود هنا السن وحده، وإنما المقصود معرفته بمصالحه. ﴿لَا

(١) روي هذا الحديث في الصحاح والسنن بألفاظ متقاربة البخاري الحديث رقم: (٦٤٨٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٦٧٦)، والترمذي الحديث رقم: (١٤٠٢)، والنسائي الحديث رقم: (٤٠١٦)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٥٣٤).

نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لما أمر بالقسط في الكيل والوزن وقد علم أن القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج ولا يتحقق الوصول إليه، أمر بما في الوسع من ذلك وعفا عما سواه ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فلا ينبغي أن يزيد ولا ينقص بل يعدل.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الإشارة بهذا إلى ما تقدم من الوصايا، أو إلى جميع الشريعة، وأن بفتح الهمزة والتشديد عطف على ما تقدم، أو مفعول من أجله، أي فاتبعوه؛ لأن هذا صراطي مستقيما، وقرئ[١] بالكسر على الاستئناف وبالفتح والتخفيف على العطف، وهي على هذا مخففة من الثقيلة. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية، وغيرها من الأديان الباطلة، ويدخل فيه أيضا البدع والأهواء المضلة، وفي الحديث أن النبي ﷺ خط خطا ثم قال: «هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه، وعن شماله، ثم قال: هذه كلها سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»[٢]. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي تفرقكم عن سبيل الله، والفعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة، ولذلك شدده البزي[٣].

﴿ثُمَّ آتَيْنَا﴾ معطوف على وصاكم به، فإن قيل: فإن إيتاء موسى الكتاب متقدم على هذه الوصية، فكيف عطفه عليها بثم؟ فالجواب: أن هذه الوصية قديمة

---

(١) ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، إلا أن يعقوب وابن عامر خففا النون، وقرأ الباقون بالتشديد. النشر: ٢/٣٠٠.

(٢) حديث صحيح، أخرجه النسائي الحديث رقم: (١٩٤)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (٦)، والمسند الحديث رقم: (٤١٤٢)، ومجمع الزوائد الحديث رقم: (١١٠٠٥)، والحاكم في المستدرك: ٢/٣١٨، والبغوي في شرح السنة (٩٧)، وابن كثير في تفسيره: ٣/٤٤٧، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨١٠٢) بسند صحيح.

(٣) التيسير، ص: ٦٦، والنشر: ٢/٢٦٥.

لكل أمة على لسان نبيها فصح الترتيب، وقيل: إنها هنا لترتيب الإخبار والقول، لا لترتيب الزمان. ﴿تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ فيه ثلاث تأويلات:

أحدها: أن المعنى تماما للنعمة على الذي أحسن من قوم موسى ففاعل أحسن ضمير يعود على الذي، والذي أحسن يراد به جنس المحسنين

والآخر: أن المعنى تماما أي تفضلا أو جزاء على ما أحسن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من طاعة ربه وتبليغ رسالته، فالفاعل على هذا ضمير موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والذي صفة لعمل موسى.

والثالث: تماما أي إكمالا على ما أحسن الله به إلى عباده، فالعامل على هذا ضمير الله تعالى.

﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره: كراهة أن تقولوا ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾ أهل التوراة والإنجيل. ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ أي لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف ما درسوا من الكتب فلا حجة علينا، وأن هنا مخففة من الثقيلة.

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ إقامة حجة عليهم. ﴿وَصَدَفَ﴾ أي أعرض.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ الآية تقدمت نظيرتها في البقرة. ﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها، فحينئذ لا يقبل إيمان كافر ولا توبة عاص، فقوله لا ينفع نفسا إيمانها، يعني أن إيمان الكافر لا ينفعه حينئذ وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْراً﴾ يعني أن من كان مؤمنا ولم يكسب حسنات قبل ظهور تلك الآيات ثم تاب إذا ظهرت لم ينفعه؛ لأن باب التوبة يغلق حينئذ. ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ وعيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ هم اليهود والنصارى، وقيل: أهل الأهواء والبدع،

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ
بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل يا رسول الله، ومن تلك الواحدة؟ قال: من كان على ما أنا وأصحابي عليه»[(١)] وقرئ: فارقوا[(٢)] أي تركوا. ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ جمع شيعة أي متفرقين كل فرقة تتشيع لمذهبها. ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي أنت بريء منهم.

﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فضل عظيم على العموم في الحسنات، وفي العاملين وهو أقل التضعيف للحسنات، فقد ينتهي إلى سبعمائة وأزيد.

﴿دِينًا قِيَمًا﴾ بدل من موضع إلى صراط مستقيم لأن أصله هداني صراطا بدليل ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ والقيم فيعل من القيام، وهو أبلغ من قائم، وقرئ[(٣)] قيما بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها وهو على هذا مصدر وصف به. ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ﴿فَرَّقُوا۟﴾ هنا والروم، قرأهما حمزة والكسائي: ﴿فارقوا﴾ الألف مع تخفيف الراء، وقرأ الباقون بغير ألف مع التشديد فيهما. النشر: ٢/٣٠١.

(٣) ﴿قِيَمًا﴾ قرأ ابن عامر والكوفيون بكسر القاف وفتح الياء مخففة، وقرأ الباقون بفتح القاف وكسر الياء مشددة. النشر: ٢/٣٠١.

بدل من دينا أو عطف بيان.

﴿وَنُسُكِي﴾ أي عبادتي وقيل: ذبحي للبهائم وقيل: حجي، والأول أعم وأرجح. ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي أعمالي في حين حياتي وعند موتي. ﴿لِلَّهِ﴾ أي خالصا لوجهه وطلب رضاه ثم أكد ذلك بقوله لا شريك له أي لا أريد بأعمالي غير الله فيكون نفيا للشرك الأصغر وهو الرياء ويحتمل أن يريد لا أعبد غير الله فيكون نفيا للشرك الأكبر.

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ الإشارة إلى الإخلاص الذي تقتضيه الآية قبل ذلك. ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ لأنه ﷺ سابق أمته.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ تقرير وتوبيخ للكفار، وسببها: أنهم دعوه إلى عبادة آلهتهم. ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ برهان على التوحيد ونفي الربوبية عن غير الله. ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ رد على الكفار لأنهم قالوا له: اعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وأخراك، فنزلت هذه الآية[1] أي ليس كما قلتم وإنما كسب كل نفس عليها خاصة. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا يحمل أحد ذنوب أحد وأصل الوزر الثقل ثم استعمل في الذنوب.

﴿خَلَائِفَ﴾ جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضا في السكنى في الأرض، أو خلائف عن الله في أرضه، والخطاب على هذا لجميع الناس، وقيل: لأمة محمد ﷺ لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ﴾ عموم في المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك، مما وقع فيه التفضيل بين العباد. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ ليختبر شكركم على ما أعطاكم وأعمالكم فيما مكنكم فيه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز: حكى النقاش أنه روي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: اعبد آلهتنا... فذكره بلفظه: ١٦٢/٧، وذكره الماوردي في النكت والعيون: ١٩٦/٢، وكذا القرطبي في الجامع للأحكام: ١٥٣/٧.

سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ جمع بين التخويف والترجية، وسرعة عقابه تعالى إما في الدنيا بمن عجل أخذه، أو في الآخرة؛ لأن كل آت قريب، ونسأل الله أن يغفر لنا، ويرحمنا بفضله ورحمته.

تم الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني وأوله سورة الأعراف

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
مقدمة التحقيق	٧
وصف النسخ المخطوطة من هذا الكتاب	١٢
عملي في التحقيق	١٤
الحالة السياسية في عصر المؤلف	١٧
الحالة السياسية في عصر الإمام ابن جزي	١٧
نبذة مختصرة عن ملوك بني الأحمر الذين عاصرهم ابن جزي	١٨
ملامح النظام الداخلي لدولة بني الأحمر	٢٣
الحالة الدينية في الأندلس	٢٤
الحالة الاجتماعية في عصره	٢٦
الحالة العلمية في عصر ابن جزي	٢٧
ترجمة المؤلف	٣١
صور المخطوطات	٥١

النص المحقق (التسهيل لعلوم التنزيل)

مقدمة المؤلف	٥٩
المقدمة الأولى: فيها اثنا عشر بابًا	٦٣

الموضوع	الصفحة
المقدمة الثانية: في تفسير معاني اللغات	١١٥
الكلام على الاستعاذة	١٧٠
الكلام على البسملة	١٧٣
سورة أم القرآن	١٧٧
سورة البقرة	١٨٥
سورة آل عمران	٣٣٦
سورة النساء	٣٩٣
سورة المائدة	٤٧٤
سورة الأنعام	٥٣٨

التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي

الكلبي الغرناطي المالكي

(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

أ. د. محمد بن سيدي محمد مولاي

الجزء الثاني

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

دار الضياء
للنشر والتوزيع - الكويت
الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
ص.ب: ١٣١٦ حولي
الرمز البريدي: ٣٢٠١٤
تلفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠ (٩٦٥+)
نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠ (٩٦٥+)
dar_aldheyaa@yahoo.com

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م
التجليد الفني
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد
بيروت
www.daraldheya.com

DAR ALDEYAA
للنشر والتوزيع - الكويت
For Printing & Publishing - KUWAIT

الموزعون المعتمدون

دولة الكويت:

دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي   تلفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠   نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠

المملكة العربية السعودية:

دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة   هاتف: ٦٣٢١١٧١٠   فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢
دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض   هاتف: ٤٩٢٥١٩٢   فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
المكتبة المكية - مكة المكرمة   هاتف: ٥٣٤٠٨٣٢   فاكس: ٥٣٦٦٢٩٩٠
مكتبة العبيكان - جميع فروعها في المملكة   هاتف: ٩٢٠٠٢٠٢٠٩

الجمهورية التركية:

مكتبة الإرشاد - اسطنبول   هاتف: ٠٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٣٤   فاكس: ٠٢١٢٦٣٨١٧٠٠
المكتبة الهاشمية - اسطنبول   هاتف: ٠٢١٢٥٢٠٢٥٣٣   فاكس: ٠٢١٢٥٢٠١٥٩٦

الجمهورية اللبنانية:

دار إحياء التراث العربي - بيروت   هاتف: ٥٤٠٠٠٠   فاكس: ٨٥٠٧١٧
شركة دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان   هاتف: ٧٠٢٨٥٧   فاكس: ٧٠٤٩٦٣
شركة التمام - بيروت - كورنيش المزرعة   هاتف: ١٧٠٧٠٣٩

الجمهورية العربية السورية:

دار الفجر - دمشق - حلبوني   هاتف: ٢٢٢٨٣١٦   فاكس: ٢٤٥٣١٩٣
دار الكلم الطيب - دمشق - حلبوني   هاتف: ٢٤٥١٢٣٦   فاكس: ٢٢٣٧٦٠٢

جمهورية مصر العربية:

دار البصائر - القاهرة - زهراء مدينة نصر   تلفاكس: ٠٢٢٤١١١١٤١   محمول: ٠١٠٠٢٤٣٦٢٦٣

المملكة الأردنية الهاشمية:

دار الرازي - عمان - العبدلي   تلفاكس: ٤٦٤٦١١٦
دار محمد دنديس للنشر والتوزيع - عمان   هاتف: ٦٤٦٥٣٣٩٠   تلفاكس: ٦٤٦٥٣٣٨٠

الجمهورية اليمنية:

مكتبة تريم الحديثة - تريم   هاتف: ٤١٧١٣٠   فاكس: ٤١٨١٣٠

الجمهورية الإسلامية الموريتانية:

شركة الكتب الإسلامية - نواكشوط   هاتف: ٠٠٢٢٢٥٢٥٢٤٦١

مملكة البحرين:

جمعية الإمام مالك بن أنس - المحرق   هاتف: ١٧٣٣٤١٥٠   فاكس: ١٧٣٣٤٣٦٠

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه وبأي شكل من الأشكال أو نسخه أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا يسمح بالاقتباس منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي
الكلبي الغرناطي المالكي
(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

أ.د. محمد بن سيدي محمد مولاي

الجزء الثاني

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المص ﴿١﴾ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ
﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾
وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

سورة الأعراف

﴿الٓمٓصٓ﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة. ﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي ضيق من تبليغه مع تكذيب قومك، وقيل: الحرج هنا الشك فتأويله كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾. ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بأنزل. ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ منصوب على المصدرية بفعل مضمر، تقديره: لتنذر وتذكر ذكرى؛ لأن الذكر بمعنى التذكير، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر، أو مخفوض عطفا على موضع لتنذر أي للإنذار والذكرى.

﴿قَلِيلاً﴾ انتصب قليلا بتذكرون أي تذكرون تذكرا قليلاً، وما زائدة للتوكيد.

﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ قيل: إنه من المقلوب تقديره: جاءها بأسنا فأهلكناها، وقيل: المعنى أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا؛ لأن مجيء البأس قبل الإهلاك فلا يصح عطفه عليه بالفاء، ويحتمل أن يكون: فجاءها بأسنا استئنافا على وجه التفسير للإهلاك، فلا يحتاج إلى تكلف، والمراد أهلكنا أهلها فجاءهم ثم حذف المضاف بدليل: أو هم قائلون. ﴿بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ بياتا مصدر في موضع الحال بمعنى بائتين أي بالليل وقائلون من القائلة أي بالنهار، وقد أصاب العذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل وبعضهم بالنهار، وأو هنا للتنويع.

﴿دَعْوَاهُمْ﴾ أي ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون، وقيل:

المعنى أن دعواهم هنا ما كانوا يدعونه من دينهم فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك.

﴿أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أسند الفعل إلى الجار والمجرور، ومعنى الآية: أن الله يسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم، ويسأل الرسل عما أجيبوا به.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ أي على الرسل والأمم.

﴿وَالْوَزْنُ﴾ يعني وزن الأعمال. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم يسئل الرسل وأممهم، وهو يوم القيامة.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أي يكذبون بها ظلما.

﴿خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾ قيل: المعنى أردنا خلقكم وتصويركم. ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ اسْجُدُواْ ءَلِادَمَ﴾ وقيل: خلقنا أباكم آدم ثم صورناه، وإنما احتيج إلى التأويل ليصح العطف.

﴿أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ لا زائدة للتوكيد. ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ استدل به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضي الوجوب والفور، ولذلك وقع العقاب على ترك المبادرة للسجود. ﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ تعليل علل به إبليس امتناعه من السجود، وهو يقتضي الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه، وبهذا الاعتراض كفر إبليس إذ ليس كفره كفر جحود.

﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي من السماء.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ الفاء للتعليل وهي تتعلق بفعل قسم محذوف، تقديره: أقسم بالله بسبب إغوائك لي لأغوين بني آدم، وما مصدرية وقيل استفهامية، ويبطله ثبوت الألف في ما مع حرف الجر. ﴿صِرَاطَكَ﴾ يريد طريق الهدى والخير وهو منصوب على الظرفية.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ۞ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن
تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية أي من الجهات الأربع، وذلك عبارة عن تسليطه على بني آدم كيفما أمكنه، وقال ابن عباس[1]: من بين أيديهم الدنيا، ومن خلفهم الآخرة، وعن أيمانهم الحسنات، وعن شمائلهم السيئات.

﴿مَذْءُومًا﴾ من ذأمه بالهمز إذا ذمه. ﴿مَّدْحُورًا﴾ أي مطرودا حيث وقع.

﴿فَوَسْوَسَ﴾ إذا تكلم كلاما خفيا يكرره، فمعنى وسوس لهما ألقى لهما هذا الكلام. ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾ أي ليظهر ما ستر من عوراتهما، واللام في قوله ليبدي للتعليل إن كان في انكشافهما غرض لإبليس، أو للصيرورة إن وقع ذلك بغير قصد منه إليه. ﴿الشَّجَرَةِ﴾ ذكرت في البقرة. ﴿إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أي كراهة أن تكونا ملكين، واستدل به من قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء، وقرئ[2] ملكين بكسر اللام ويقوي هذه القراءة قوله: ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي حلف لهما إنه لمن الناصحين وذكر قسم إبليس بصيغة المفاعلة التي تكون بين الاثنين؛ لأنه اجتهد فيه أو لأنه أقسم لهما وأقسما له أن يقبلا نصيحته.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٢/١٤٣٧٠ بسند حسن إلى ابن عباس.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ ابن عباس ويحيى بن أبي كثير والضحاك «ملكين» بكسر اللام، المحرر الوجيز: ٢/٤٥٠.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي
الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ
إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا
فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ • قُلْ ربع
أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ
أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ أي أنزلهما إلى الأكل من الشجرة. ﴿بِغُرُورٍ﴾ أي غرهما بحلفه لهما؛ لأنهما ظنا أنه لا يحلف كاذبا. ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ أي زال عنهما اللباس وظهرت عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما، ولا لأحدهما من الآخر، وقيل: كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النظر. ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي يصلان بعضه ببعض ليستترا به. ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء بواسطة ملك أو بغير واسطة.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة، وتلك هي الكلمات التي تاب الله عليه بها.

﴿اهْبِطُوا﴾ وما بعده مذكور في البقرة.

﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أي في الأرض.

﴿لِبَاسًا﴾ أي الثياب التي تستر، ومعنى أنزلنا خلقنا، وقيل: المراد أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة. ﴿وَرِيشًا﴾ أي لباس الزينة، وهو مستعار من ريش الطائر. ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ استعار للتقوى لباسا كقولهم: ألبسك الله قميص تقواه، وقيل: لباس

التقوى ما يتقي به في الحرب من الدروع وشبهها، وقرئ[1] بالرفع على الابتداء وخبره الجملة، وهي: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾. ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارة إلى ما أنزل من اللباس وهذه الآية واردة على وجه الاستطراد عقب ما ذكر من ظهور السوآت وخصف الورق عليهما وإنعامه على ما خلق من اللباس.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ أي كان سببا في نزع لباسهما عنهما. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ يعني في غالب الأمر، وقد استدل به من قال: إن الجن لا يرون، وقد جاءت في رؤيتهم أحاديث صحيحة[2]، فتحمل الآية على الأكثر جمعا بينها وبين الأحاديث.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ قيل هي ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة، الرجال والنساء، ويحتمل العموم في الفواحش. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتذروا بعذرين باطلين: أحدهما: تقليد آبائهم. والآخر: افتراؤهم على الله.

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ قيل: المراد إحضار النية والإخلاص لله، وقيل فعل

---

(١) ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قرأ المدنيان وابن عامر والكسائي بنصب السين، وقرأ الباقون برفعها. النشر: ٢/٣٠٣.

(٢) من ذلك ما جاء في صحيح مسلم: «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ «أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ». ثُمَّ قَالَ: «أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ». ثَلَاثًا. وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ. قَالَ: «إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي فَقُلْتُ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ». الحديث رقم: (١٢٣٩)، والنسائي في سننه: ١٣/٣، وابن خزيمة في صحيحه الحديث رقم: (٨٩١).

الصلاة والتوجه فيها. ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي في كل مكان سجود أو في وقت كل سجود والأول أظهر والمعنى إباحة الصلاة في كل موضع كقوله ﷺ: «اجعلت لي الأرض مسجدا»[1]. ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ احتجاج على البعث الأخروي بالبدأة الأولى ﴿فَرِيقاً﴾ الأول منصوب بهدى والثاني منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده.

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ
وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ
لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ
سُلْطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾
يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٞ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ
ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ قيل: المراد به الثياب الساترة، واحتج به من أوجب ستر العورة في الصلاة، وقيل: المراد به الزينة زيادة على الستر، كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب، وبالسواك، والطيب. ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ الأمر فيهما للإباحة لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المآكل. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ أي لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة، وقال الأطباء: إن الطب كله مجموع في هذه الآية، وقيل: لا تسرفوا بأكل الحرام.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ إنكار لتحريمها، وهي: ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل، وكان بعض العرب إذا حجوا يجردون الثياب ويطوفون عراة، ويحرمون الشحم واللبن فنزل ذلك ردا عليهم[2] ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي الزينة والطيب

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٤٢٧٣)، ومسلم الحديث رقم: (٨١٢)، وقد سبق تخريجه في آل عمران عند حديث نصرت بالرعب.

(٢) هو من حديث ابن عباس ولفظه: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون،=

في الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم، وفي الآخرة خالصة لهم دون غيرهم، وقرئ خالصة[(١)] بالنصب على الحال والرفع على أنه خبر بعد خبر، أو خبر ابتداء مضمر.

﴿وَالإِثْمَ﴾ عام في كل ذنب. ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي تفتروا عليه في التحريم وغيره.

﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد ولزمتها النون الشديدة المؤكدة وجواب الشرط ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ﴾ الآية.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ذكر في الأنعام. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أي يصل إليهم ما كتب لهم من الأرزاق وغيرها. ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي غابوا عنا.

﴿ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ﴾ أي ادخلوا النار في جملة أمم أي مع أمم. ﴿ادَّارَكُواْ﴾ تلاحقوا واجتمعوا. ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ﴾ المراد بأولاهم الرؤساء والقادة، وأخراهم الأتباع والسفلة، والمعنى: أن أخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم لأنهم أضلوهم، وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطابا لهم إنما هو

= فأنزل الله ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ...﴾ فأمروا بالثياب أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١١/١٢، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم: (٨٣٩١) بسند ضعيف.

وأخرج الحاكم في المستدرك:.. كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة وعلى فرجها خرقة وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله   وما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ...﴾ وعند ابن أبي حاتم فنزلت: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ و﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

والحديث في الصحيح وغيره إن الذي نزل هو قوله ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٠٢٨)، والنسائي الحديث رقم: (٢٩٥٦)، والطبري في جامع البيان: ١٤٥٠٣/١٢.

(١) ﴿خالصة يوم القيامة﴾ قرأ نافع بالرفع وقرأ الباقون بالنصب. النشر ٣٠٣/٢.

ثمن

۞ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ
فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ
تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ
وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

كقولك: قال فلان لفلان كذا، أي قاله عنه وإن لم يخاطبه به.

﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي لم يكن لكم علينا فضل في الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم، بل نحن وأنتم سواء. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ من قول أولاهم لأخراهم، أو من قول الله تعالى لجميعهم.

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يصعد عملهم إلى السماء.

والثاني: لا يدخلون الجنة فإن الجنة في السماء.

والثالث: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين.

﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة، والمعنى: لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدا فلا يدخلونها أبدا.

﴿مِهَادٌ﴾ فراش. ﴿غَوَاشٍ﴾ أغطية.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ جملة اعتراض بين المبتدإ والخبر ليبين أن ما يطلب من الأعمال الصالحة ما في الوسع والطاقة.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ أي من كان في صدره غل لأخيه في الدنيا

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا
حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ
أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ
وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ
ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا
صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ
ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم
بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ
تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ
ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ
أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ
كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

ربع

نتزعه منه في الجنة وصاروا إخوانا أحبابا، وإنما قال نزعنا بلفظ الماضي وهو مستقبل لتحقق وقوعه في المستقبل حتى عبر عنه بما يعبر عن الواقع، وكذلك كل ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية في اللفظ وهي تقع في الآخرة كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ وغير ذلك. ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ إشارة إلى الجنة أو إلى ما أوجبها من الإيمان والتقوى ﴿أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ﴾ و﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا﴾ و﴿أَن لَّعۡنَةُ﴾ و﴿أَن سَلَٰمٌ﴾: يحتمل أن تكون أن في كل واحدة منها مخففة من الثقيلة، فيكون فيها ضمير، أو حرف عبارة وتفسير لمعنى القول.

﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ حذف مفعول (وعد) استغناء عنه بمفعول وعدنا، أو لإطلاق الوعد فيتناول الثواب والعقاب. ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ﴾ أي أعلم معلم وهو ملك.

﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾ أي بين الجنة والنار أو بين أصحابهما وهو أرجح؛ لقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ﴾. ﴿ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ قال ابن عباس[1]: هو تل بين الجنة والنار، ومجاهد[2]: حجاب بين الجنة والنار، وقيل: سور الجنة. ﴿رِجَالٞ﴾ هم أصحاب

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٤٦٧٧/١٢ بسند حسن وتمامه: «حبس عليه ناس من أهل الذنوب».

(٢) ذكره الطبري: ٤٤٩/١٢ بصيغة التمريض، وذكره أبو حيان في البحر المحيط بدون سند: ٣٠٣/٤، وكذلك المحرر الوجيز: ٤٧٠/٢.

الأعراف، ورد في الحديث[١]: أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم يدخلوا الجنة ولا النار، وقيل:[٢] هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم فاستشهدوا فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم ونجوا من النار للشهادة. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أي يعرفون أهل الجنة بعلامتهم من بياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بعلامتهم من سواد وجوههم، أو غير ذلك من العلامات. ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي سلم أصحاب الأعراف على أهل الجنة. ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها من بعد.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ الضمير لأصحاب الأعراف أي إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لا يجعلهم منهم.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ يعني من الكفار الذين في النار قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ. ﴿جَمْعُكُمْ﴾ يحتمل أن يريد جمعهم للمال أو كثرتهم. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي استكباركم على الناس، أو استكباركم على الرجوع إلى الحق، فما ها هنا مصدرية وما في قوله ما أغنى استفهامية أو نافية.

﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ من كلام أصحاب الأعراف خطابا لأهل النار والإشارة بهؤلاء إلى أهل الجنة، وذلك أن الكفار كانوا في الدنيا يقسمون أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يعبأ بهم، فظهر خلاف ما قالوا، وقيل: هي من كلام الملائكة خطابا لأهل النار، والإشارة بهؤلاء إلى أصحاب الأعراف. ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ خطاب لأهل الجنة إن كان من كلام أصحاب الأعراف تقديره: قد قيل لهم ادخلوا الجنة، أو خطاب لأهل الأعراف إن كان من كلام الملائكة.

---

(١) الطبري في جامع البيان: ١٢/٤٥٣، وابن كثير في تفسيره: ٣/٥١١ بسند ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٢/٤٥٨، وابن كثير في تفسيره: ٣/٥١٢ بسند ضعيف.

وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ
الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل
لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا
نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي
سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ
يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾
ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا
سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ
الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ دليل على أن الجنة فوق النار. ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من سائر الأطعمة والأشربة.

﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ أي نتركهم. ﴿كَمَا نَسُوا﴾ الكاف للتعليل. ﴿وَمَا كَانُوا﴾ عطف على كما نسوا أي لنسيانهم وجحودهم.

﴿جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ﴾ يعني القرآن. ﴿فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي علمنا كيف نفصله.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي هل ينتظرون إلا عاقبة أمره، وما يؤول إليه من ظهور ما نطق به من الوعد والوعيد. ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي قد تبين وظهر الآن أن الرسل جاؤوا بالحق.

﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ حيث وقع، حمله قوم على ظاهره منهم ابن أبي زيد[1] وغيره، وتأوله قوم بمعنى قصد كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ ولو كان كذلك لقال ثم استوى إلى العرش وتأولها الأشعرية أن معنى استوى استولى بالملك والقدرة. والحق الإيمان به من غير تكييف، فإن السلامة في التسليم ولله در مالك بن أنس[2] في قوله للذي سأله عن ذلك: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة،

---

(١) انظر مقدمة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ص: ٥.

(٢) هذا الأثر مشهور عن الإمام مالك، أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٣٩٨/٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء: ٣٢٥/٦.

والسؤال عن هذا بدعة، وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة وجعفر الصادق والحسن البصري[(١)]، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء بل أمسكوا عنه، ولذلك قال مالك: السؤال عنه بدعة. ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي يلحق الليل بالنهار أو يلحق النهار بالليل، ويحتمل الوجهين هكذا قال الزمخشري، وأصل اللفظة من الغشاء أي يجعل أحدهما غشاء للآخر يغطيه، فتغطي ظلمة الليل ضوء النهار ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي سريعا والجملة في موضع الحال من الليل أي يطلب الليل النهار فيدركه. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ قيل: الخلق المخلوقات، والأمر مصدر أمر يأمر، وقيل: الخلق مصدر خلق والأمر واحد الأمور، كقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ والكل صحيح. ﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة وهو فعل غير منصرف ولم تنطق له العرب بمضارع.

﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ مصدر في موضع الحال، وكذلك ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ وخفية من الإخفاء، وقرئ[(٢)] خيفة من الخوف. ﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين للحد، وقيل: هنا هو رفع الصوت بالدعاء والتشطط فيه.

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، فإن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾، ومن عرف فضل الله رجاه، ومن عرف عذابه خافه، ولذلك جاء في الحديث: «ولو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا»[(٣)] إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه

---

(١) لم أعثر عليه.

(٢) ﴿وَخُفْيَةً﴾ روى أبو بكر بكسر الخاء، وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٢/٢٩٢.

(٣) هذا اللفظ لا أصل له في الحديث المرفوع كما قال السخاوي في المقاصد الحسنة، ولكنه ثابت عن بعض السلف، انظر كشف الخفاء للعجلوني: ٢/١١٢٧، ولكن المعنى وارد في الأحاديث=

الخوف، ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات، وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى»[١]، واعلم أن الخوف على ثلاث درجات:

الأولى: أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر فوجود هذا كالعدم.

والثانية: أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة.

والثالثة: أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز وخير الأمور أوسطها.

والناس في الخوف على ثلاث مقامات: فخوف العامة من الذنوب، وخوف الخاصة من الخاتمة، وخوف خاصة الخاصة من السابقة، فإن الخاتمة مبنية عليها.

والرجاء على ثلاث درجات:

الأولى: رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعته وترك معصيته، فهذا هو الرجاء المحمود.

والثانية: الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور.

والثالثة: أن يقوى الرجاء حتى يبلغ إلى الأمن فهذا حرام.

والناس في الرجاء على ثلاث مقامات: فمقام العامة رجاء ثواب الله، ومقام

= الصحيحة، ففي البخاري: أن رسول الله ﷺ قال: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»، رواه البخاري الحديث رقم: (٦١٢٣) قال العلماء: الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه، وإذا انتقص واحد منهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا جميعا صار الطائر في حد الموت. كشف الخفاء: ٢/١١٢٧.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٣١١٣).

الخاصة رجاء رضوان الله، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ حذفت تاء التأنيث من قريب وهو خبر عن الرحمة على تأويل الرحمة بالرحم، أو الترحم، أو العفو، أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي، أو لأنه صفة موصوف محذوف تقديره: شيء قريب، أو على تقدير النسب أي ذات قرب، وقيل: قريب هنا ليس خبرا عن الرحمة وإنما هو ظرف لها.

﴿ٱلرِّيَٰحَ نُشُرًۢا﴾ قرئ[١] الرياح بالجمع لأنها رياح المطر وقد اطرد في القرآن جمعها إذا كانت للرحمة وإفرادها إذا كانت للعذاب، ومنه ما ورد في الحديث: «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا»[٢]. وقرئ بالإفراد والمراد الجنس، وقرئ[٣] نشرا بفتح النون وإسكان الشين وهو على هذا مصدر في موضع الحال، وقرئ بضمها وهو جمع ناشر، وقيل: جمع منشور وقرئ: بضم النون وإسكان الشين وهو تخفيف

(١) ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ قرأ المكي والأخوان وخلف بإسكان الياء التحتية من غير ألف بعدها على الإفراد، والباقون بفتحها وألف بعدها على الجمع. النشر: ٢/٢٥٠.

(٢) ضعيف جدا وهو جزء من حديث ابن عباس يرويه عنه عكرمة: ما هبت الريح إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه وقال: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا، قال ابن عباس في كتاب الله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ فصلت: ١٦، وقال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ الذاريات: ٤١، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ الروم: ٤٦ المسند: ١/١٩٩، والبغوي في معالم التنزيل: ٤/٣٧٦، وفي رواية أخرى كان النبي ﷺ إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه وجثا على ركبتيه ويديه وقال: «اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا». الطبراني في الكبير: ١١/١٧٠، وكل هذه الروايات واهية، وأخرجه النووي في الأذكار: ١/٣١٤.

(٣) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿نُشُرًا﴾ هنا والفرقان والنمل فقرأ عاصم بالباء الواحدة وضمها إسكان الشين في المواضع الثلاثة، وقرأ ابن عامر بالنون وضمها إسكان الشين، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون وفتحها وإسكان الشين، وقرأ الباقون بالنون وضمها وضم الشين النشر: ٢/٣٠٤.

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا
لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ
لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

ربع

من الضم كرسل ورسل، وقرئ بالباء في موضع النون من البشارة. ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي قبل المطر. ﴿أَقَلَّتْ﴾ حملت. ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ لأنها تحمل الماء فتثقل به. ﴿سُقْنَاهُ﴾ الضمير للسحاب. ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ يعني لا نبات فيه من شدة القحط وكذلك معناه حيث وقع. ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ الضمير للسحاب أو البلد على أن تكون الباء ظرفية. ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ تمثيل لإخراج الموتى من القبور بإخراج الزرع من الأرض، وقد وقع ذلك في القرآن في مواضع منها: ﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ و﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ هو الكريم من الأرض الجيد التراب. ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ بخلاف ذلك كالسبخة ونحوها. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ عبارة عن السهولة والطيب، والنكد بخلاف ذلك، فيحتمل أن يكون المراد ما يقتضيه ظاهر اللفظ فتكون متممة للمعنى الذي قبلها في المطر، أو تكون تمثيلا للقلوب، فقيل: على هذا: الطيب قلب المؤمن، والخبيث قلب الكافر، وقيل: هما الفهم والبليد.

﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ قرأ الكسائي بالخفض[1] حيث وقع على اللفظ، وقرأ غيره بالرفع على الموضع. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة، أو يوم هلاكهم.

---

(١) ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ قرأ أبو جعفر والكسائي بخفض الراء وكسر الهاء بعدها، وقرأ الباقون برفع الراء وضم الهاء. النشر: ٢/٣٠٥.

﴿ٱلْمَلَأُ﴾ أشراف الناس.

﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ إنما قال ضلالة ولم يقل ضلال كقولهم؛ لأن الضلالة أخص من الضلال، كما إذا قيل لك: أعندك تمر؟ فنقول: ما عندي تمرة، فتعم بالنفي.

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ قرئ[1] بالتشديد والتخفيف والمعنى واحد وهو في موضع رفع صفة لرسول، أو استئناف. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي من صفاته ورحمته وعذابه.

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قال: أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾، أي على لسان رجل منكم.

﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يتعلق بمعه، والتقدير: استقروا معه في الفلك، ويحتمل أن يتعلق بأنجيناه. ﴿عَمِينَ﴾ جمع عم، وهو من عمى القلب.

﴿أَخَاهُمْ﴾ أي واحد من قبيلتهم وهو معطوف على ﴿نُوحًا﴾، و﴿هُودًا﴾ بدل منه، أو عطف بيان، وكذلك أخاهم صالحا وما بعده، وما هو مثله حيث وقع.

﴿ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قيد هنا بالكفر لأن في الملإ من قوم هود من آمن وهو مرثد بن سعيد، بخلاف قوم نوح فإنهم لم يكن فيهم مؤمن، فأطلق لفظ الملإ.

﴿أَمِينٌ﴾ يحتمل أن يريد أمانته على الوحي، أو أنهم كانوا قد عرفوه بالأمانة والصدق.

﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ كانوا عظام الأجسام فكان أقصرهم ستون ذراعا وأطولهم مائة ذراع ﴿ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نعمه حيث وقع.

---

(١) أبلغكم: قرأ أبو عمرو بإسكان الباء وتخفيف اللام، والباقون بفتح الباء وتشديد اللام. التيسير: ٨١.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾
أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ
بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ
اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ
وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن
كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن
رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَانتَظِرُوٓاْ
إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَالَّذِينَ مَعَهُۥ
بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا
كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ
يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ
اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ استبعدوا توحيد الله مع اعترافهم بربوبيته، ولذلك قال لهم هود: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ أي حق عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب. ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يعني الأصنام أي تجادلونني في عبادة مسميات أسماء، ففي الكلام حذف، وأراد بقوله: ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾: جعلتم لها أسماء، فدل ذلك على أنها محدثة فلا يصح أن تكون آلهة، أو سميتموها آلهة من غير دليل على أنها آلهة فقولكم باطل، فالجدال على القول الأول في عبادتها، وعلى القول الثاني في تسميتها آلهة، والمراد بالأسماء على القول الأول المسمى، وعلى القول الثاني التسمية.

﴿دَابِرَ﴾ ذكر في الأنعام.

﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي آية ظاهرة وهي الناقة، وأضيفت إلى الله تشريفا لها، أو لأنه خلقها من غير فحل، وكانوا قد اقترحوا على صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يخرجها لهم من صخرة وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك، فانشقت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون، ثم نتجت ولدا، فآمن به قوم منهم وكفر به آخرون. ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ أي معجزة تدل على صحة نبوءة صالح، والمجرور في موضع الحال من آية لأنه لو تأخر لكان صفة. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ أي لا تضربوها ولا تطردوها.

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

ثمن

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كانت أرضهم بين الشام والحجاز، وقد دخلها رسول الله ﷺ وأصحابه فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا وأنتم باكون مخافة أن يصيبكم مثل الذي أصابهم»(١).

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي تبنون قصورا في الأرض البسيطة ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ أي تنجرون بيوتا في الجبال، وكانوا يسكنون القصور في الصيف والجبال في الشتاء، وانتصب بيوتا على الحال وهو كقولك: خطت هذا الثوب قميصا.

﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من الذين استضعفوا.

﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ إنما لم يقولوا إنا بما أرسل به كما قال الآخرون؛ لئلا يكون اعترافا برسالته.

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ نسب العقر إلى جميعهم لأنهم رضوا به، وإن لم يفعله إلا واحد منهم، وهو الأحيمر(٢).

(١) البخاري الحديث رقم: (٤٢٣)، والحديث رقم: (٤١٥٨)، وهو في مسلم بلفظ «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم» الحديث رقم: (٢٩٨٠)، والمسند الحديث رقم: (٥٧٠٥)، وابن حبان الحديث رقم: (٦١٩٩).

(٢) وهو أشقى الأولين ففي الحديث، قال رسول الله ﷺ لعلي: من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك، المعجم الكبير رقم: (٧٣١١)، وكنز العمال رقم: (٣٦٤٢٩).

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

﴿الرَّجْفَةُ﴾ الصيحة حيث وقعت، وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحة بين السماء والأرض فماتوا منها. ﴿جَٰثِمِينَ﴾ حيث وقع أي: قاعدين لا يتحركون.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ الآية يحتمل أن يكون توليه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم، لأنه روي[1] أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم، أو يكون ذلك بعد أن هلكوا وهو ظاهر الآية، وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم، وقوله: ﴿لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ حكاية حال ماضية.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ العامل في إذ أرسلنا المضمر، أو يكون بدلا من لوط. ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم، ومن الأولى زائدة والثانية للتبعيض أو للجنس.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ الآية أي: أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله. ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي يتنزهون عن الفاحشة.

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي من الهالكين، وقيل: من الذين غبروا في ديارهم فهلكوا، أو من الباقين من أترابها، يقال: غبر بمعنى مضى وبمعنى بقي، وإنما قال من الغابرين بجمع المذكر تغليبا للرجال الغابرين.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ يعني الحجارة أصيب بها من كان منهم خارجا عن

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٩١.

۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

بلادهم وقلبت البلاد بمن كان فيها.

﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي آية ظاهرة، ولم تعين في القرآن آية شعيب. ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ كانوا ينقصون في الكيل والوزن فبعث شعيب ينهاهم عن ذلك، والكيل هنا بمعنى المكيال الذي يكال به مناسبة للميزان كما جاء في هود المكيال والميزان، ويجوز أن يكون الكيل والميزان مصدرين.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ قيل: هو نهي عن السلب وقطع الطريق، وكان ذلك من فعلهم، وقيل: كانوا يقعدون على الطريق يردون الناس عن اتباع شعيب، ويوعدونهم إن اتبعوه. ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ أي تمنعون الناس عن سبيل الله وهو الإيمان والضمير في به للصراط أو لله. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ ذكر في آل عمران.

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم أو عودكم إلى ملة الكفر، فإن قيل: إن العود إلى الشيء يقتضي أنه قد كان فعل قبل ذلك، فيقتضي قولهم لتعودن في ملتنا أن شعيبا ومن كان معه كانوا أولا على ملة قومهم، ثم خرجوا منها فطلب قومهم أن يعودوا إليها وذلك محال؛ فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوءة وبعدها، فالجواب: من وجهين:

أحدهما: قاله ابن عطية، وهو أن عاد قد تكون بمعنى صار فلا تقتضي تقدم ذلك الحال الذي صار إليه.

والثاني: قاله الزمخشري، وهو أن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب دون شعيب، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك كما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ﴾ فغلبوا في الخطاب بالعود الجماعة على الواحد، وبمثل ذلك يجاب عن قوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا﴾.

﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ الهمزة للاستفهام والإنكار، والواو للحال تقديره: أنعود في ملتكم وما يكون لنا أن نعود فيها ونحن كارهون.

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ أي إن عدنا فيها فقد وقعنا في أمر عظيم من الافتراء على الله، وذلك تبرأ من العود فيها ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأدب مع الله وإسناد الأمور إليه، وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه؛ فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء. فإن قلت: إن ذلك يصح في حق قومه وأما في حق نفسه فلا فإنه معصوم من الكفر، فالجواب: أنه قال ذلك تواضعا وتأدبا مع الله تعالى واستسلاما لأمره، كقول نبينا ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[1] مع أنه قد علم أنه يثبته ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾ أي احكم.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ أي كأن لم يقيموا في ديارهم.

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ أي كيف أحزن عليهم وقد استحقوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم.

﴿بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾ قد تقدم. ﴿بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي أبدلنا البأساء

(١) صحيح أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٥٢٢)، وأحمد: ٦/٢٩٤، والطبري في جامع البيان: ٦/رقم: (٦٦٥٠)..

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم
بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا
كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم
بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم
بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا
يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ • أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟
مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾
وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ
لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ
﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

والضراء بالنعيم اختبارا لهم في الحالتين. ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ أي كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم. ﴿وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ أي قد جرى ذلك لآبائنا ولم يضرهم فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار.

﴿بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي بالمطر والزرع.

﴿أَوْ أَمِنَ﴾ من قرأ[1] بإسكان الواو فهي أو العاطفة، ومن قرأ بفتحها فهي واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ، كما دخلت على الفاء في قوله:

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ أي استدراجه وأخذه للعبد من حيث لا يشعر.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أي أولم يتبين. ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي يسكنونها. ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾ هو فاعل أولم يهد، ومقصود الآية الوعيد. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ عطف على أصبناهم لأنه في معنى المستقبل، أو منقطع على معنى الوعيد، وأجاز الزمخشري أن يكون عطفا على يرثون الأرض، أو على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قال: يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ الضمير لأهل القرى، والمعنى وجدناهم ناقضين للعهود.

---

(١) ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ قرأ المدنيان والمكي والشامي بإسكان الواو، وورش على أصله من نقل حركة الهمزة إلى الواو مع حذف الهمزة. النشر: ٢/٣٠٥، والبدور الزاهرة في القراآت العشر المتواترة ص: ١٣٤، وانظر التيسير، ص: ٨١.

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ
بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ
فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ
﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾
يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ
وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟
سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ربع
﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ من قرأ[1] علي بالتشديد على أنها ياء المتكلم، فالمعنى ظاهر وهو أن موسى قال: حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق، وموضع أن لا أقول على هذا رفع على أنه خبر حقيق، وحقيق مبتدأ أو بالعكس، ومن قرأ على بالتخفيف فموضع أن لا أقول خفض بحرف الجر، وحقيق صفة لرسول، وفي المعنى على هذا وجهان:

أحدهما: أن على بمعنى الباء فمعنى الكلام رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق.

والثاني: أن معنى حقيق حريص، ولذلك تعدى بعلى.

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي بمعجزة تدل على صدقي وهي العصا، أو جنس المعجزات. ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي خلهم يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم، وذلك أنه لما توفي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ غلب فرعون على بني إسرائيل واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى، وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصر واليوم الذي دخلها فيه موسى أربعمائة عام.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ شديد الأدمة فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها وهي بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشد

(١) ﴿حقيق علي﴾ قرأ نافع بالياء المشددة المفتوحة بعد اللام، والباقون بألف بعد اللام. المصادر السابقة.

بياضا، وقيل: إنها كانت منيرة شفافة كالشمس، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه. ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ مبالغة في وصف يده بالبياض، وكان الناس يجتمعون للنظر إليها والتعجب منها.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ حكي هذا الكلام هنا عن الملإ، وفي الشعراء عن فرعون كأنه قد قاله هو وهم، أو قاله هو ووافقوه عليه كعادة جلساء الملوك في اتباعهم لما يقول الملك.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ أي: يخرجكم منها بالقتال أو بالحيل، وقيل: المراد إخراج بني إسرائيل، وكانوا خداما لهم فتخرب الأرض بخروج الخدام والعمار منها. ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من قول الملإ أو من قول فرعون وهو من معنى المؤامرة أي المشاورة، أو من الأمر وهو ضد النهي.

﴿أَرْجِهْ﴾ من قرأه[1] بالهمزة فهو من أرجأت الرجل إذا أخرته، فمعناه أخرهما حتى ننظر في أمرهما، وقيل: المراد بالإرجاء هنا السجن، ومن قرأ بغير همز فتحتمل أن تكون بمعنى المهموز وسهلت الهمزة، أو يكون بمعنى الرجاء أي أطمعه، وأما ضم الهاء وكسرها فلغتان، وأما إسكانها فلعله أجرى فيها الوصل مجرى الوقف. ﴿حَـٰشِرِينَ﴾ يعني الشرط، أي جامعين للسحرة.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هنا محذوف يدل عليه سياق الكلام، وهو أنه بعث إلى السحرة.

﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ من قرأه بهمزتين فهو استفهام، ومن قرأه[2] بهمزة واحدة

---

(١) قال الداني: ابن كثير وهشام ﴿أرجئه﴾ هنا وفي الشعراء بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وأبو عمرو بالهمز والضم من غير صلة، وابن ذكوان بالهمز وبكسر الهاء ولا يصلها بياء، وقالون بغير همز ويختلس الكسرة، وورش والكسائي بغير همز ويصلان الهاء بياء، وعاصم وحمزة بغير همز ويسكنان الهاء، والهاء في الوقف ساكنة بلا خلاف إلا في مذهب من ضمها سواء وصلها أو لم يصلها فإن الروم والإشمام جائزان فيها. التيسير، ص: ٨١.

(٢) قرأ المدنيان والمكي وحفص بهمزة واحدة مكسورة على الخبر والباقون بهمزتين الأولى=

فيحتمل أن يكون خبرا أو استفهاما حذفت منه الهمزة، والأجر هنا الأجرة طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى فأنعم لهم فرعون بها، وزادهم التقريب منه والجاه عنده.

﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عطف على معنى نعم كأنه قال: نعطيكم أجرا ونقربكم، واختلف في عدد السحرة اختلافا متباينا من سبعين رجلا إلى سبعين ألفا، وكل ذلك لا أصل له في صحة النقل.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدؤوا هم بإلقاء سحرهم، فأمرهم أن يلقوا، وانظر كيف عبروا عن إلقاء موسى بالفعل وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه.

﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي خوفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر.

﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ لما ألقاها صارت ثعبانا عظيما على قدر الحبل، وقيل: إنه طال حتى جاوز النيل. ﴿تَلْقَفُ﴾ أي تبتلع. ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي ما صوروا من إفكهم وكذبهم، وروي: أن الثعبان أكل ملء الوادي من حبالهم وعصيهم ومد موسى يده إليه فصار عصا كما كان، فعلم السحرة أن ذلك ليس من السحر، وليس في قدرة البشر فآمنوا بالله وبموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية وعيد من فرعون للسحرة، وليس في القرآن أنه أنفذ ذلك، لكن روي: أنه أنفذه عن ابن عباس[1] وغيره، وقد ذكر معنى من خلاف في العقود.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى ربنا.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا﴾ أي ما تعيب منا إلا إيماننا.

= مفتوحة والثانية مكسورة. البدور الزاهرة ص١٣٥.

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣/٣٤ رقم: (١٣٩٥٦).

قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٠﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢١﴾ قَالَ
فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ
مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
﴿١٢٢﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ
لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٣﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٤﴾
وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ
فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ
وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ
وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٧﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا
جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ
فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٩﴾

﴿لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي يخربوا ملك فرعون وقومه ويخالفوا دينه ﴿وَيَذَرَكَ﴾ معطوف على ليفسدوا، أو منصوب بإضمار أن بعد الواو ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ قيل: إن فرعون كان قد جعل للناس أصناما يعبدونها وجعل نفسه الإله الأكبر، فلذلك قال: أنا ربكم الأعلى، فآلهتك على هذا هي تلك الأصنام، وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس[1]: وإلهتك أي عبادتك والتذلل لك.

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ تعليل للصبر الذي أمرهم به يعني أرض الدنيا هنا وفي قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وقيل: يعني أرض فرعون فأشار لهم موسى أولا بالنصر في قوله: ﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ ثم صرح في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ الآية. ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ حض على الاستقامة والطاعة.

﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ أي الجدب والقحوط.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الآية إذا جاءهم الخصب والرخاء قالوا هذه لنا ويسعدنا ونحن مستحقون له، وإذا جاءهم الجدب والشدة تطيروا بموسى، أي قالوا

(١) صحيح عن ابن عباس الطبري في جامع البيان: ١٣/٣٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٥٣٨ أما قراءة علي وابن مسعود فذكرها ابن حيان في البحر المحيط، بدون سند: ٤/٣١٧، وقال: إنها قراءة جماعة من الصحابة، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٢/٥٠٨.

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَا إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٠﴾ ۞ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ
لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ
مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٢﴾ وَلَمَّا
وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا
عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ
مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٣﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ
فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا
غَٰفِلِينَ ﴿١٣٥﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ
مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ
رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٦﴾ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا
كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

هذا بشؤمه. فإن قيل: لم قال إذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة، وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة؟ فالجواب: أن وقوع الحسنة كثير والسيئة وقوعها نادر، فعرف الكثير الوقوع باللام التي للعهد وذكره بإذا لأنها تقتضي التحقيق وذكر السيئة بإن لأنها تقتضي الشك ونكرها للتعليل. ﴿أَلَا إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي إنما حظهم ونصيبهم الذي قدر لهم من الخير والشر عند الله وهو مأخوذ من زجر الطير، ثم سمى به ما يصيب الإنسان، ومقصود الآية الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم.

﴿مَهْمَا﴾ هي ما الشرطية ضمت إليها ما الزائدة، نحو: أينما، ثم قلبت الألف هاء، وقيل: هي اسم بسيط غير مركب والضمير في به عائد على مهما، وإنما قالوا من آية على تسمية موسى لها آية، أو على وجه التهكم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ روي[1] أنه كان مطرا شديدا دائما مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم، وكادوا يهلكون وامتنعوا من الزراعة، وقيل: هو الطاعون. ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ هو المعروف أكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم وأبوابهم وسقف بيوتهم. ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ قيل: هي صغار الجراد، وقيل: البراغيث، وقيل: السوس، وقرئ[2]

(١) أثر حسن أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٢/٦١، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٥٤٥.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ الحسن ﴿القمل﴾ بفتح القاف وسكون الميم فهي على هذا القمل المعروف. المحرر الوجيز: ٢/٥١١.

القمل بفتح القاف والتخفيف فهي على هذا القمل المعروف، وكانت تتعلق بلحومهم وشعرهم. ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ هي المعروفة كثرت عندهم حتى امتلأت بها فرشهم وأوانيهم، وإذا تكلم أحدهم وثب الضفدع إلى فمه. ﴿وَالدَّمَ﴾ صارت مياههم دما فكان يستقي من البئر القبطي والإسرائيلي في إناء واحد فيخرج ما يلي القبطي دما وما يلي الإسرائيلي ماء.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ أي العذاب وهي الأشياء المتقدمة وكانوا مهما نزل بهم أمر منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم، فلما كشفه عنهم نقضوا العهد وتمادوا على كفرهم. ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بدعائك إليه ووسائلك، والباء تحتمل أن تكون للقسم وجوابه لنؤمنن لك، أو يتعلق بادع لنا أي توسل إليه بما عهد عندك.

﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر حيث وقع.

﴿الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ هم بنو إسرائيل. ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ الشام ومصر. ﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أي بالخصب وكثرة الأرزاق. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي تمت لهم واستقرت والكلمة هنا ما قضى لهم في الأزل، وقيل: هي قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ أي يبنون، وقيل: هي الكروم وشبهها، فهو على الأول من العرش، وعلى الثاني من العريش.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا﴾ أي اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم. ولما تم خبر موسى مع فرعون ابتدأ خبره مع بني إسرائيل من هنا إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾.

﴿مُتَبَّرٌ﴾ من التبار وهو الهلاك.

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ
عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ
ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ
فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ
إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم
مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ
أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا ربع
بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ
لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ
رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ
ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي
فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا
فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وما بعده مذكور في البقرة.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ روي أن الثلاثين هي شهر ذي القعدة، وأن العشر بعدها هي العشر الأول من ذي الحجة، وذلك تفصيل الأربعين المذكورة في البقرة. ﴿مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ أي ما وقت له من الوقت لمناجاته في الطور. ﴿ٱخْلُفْنِي﴾ أي كن خليفتي على بني إسرائيل مدة مغيبي.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ﴾ لما سمع موسى كلام الله طمع في رؤيته فسألها كما قال الشاعر[(١)]:

وأبرح ما يكون الشوق يوما ... إذا دنت الديار من الديار

واستدل الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلا وأنها لو كانت محالا لم يسألها موسى، فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل عليه، وتأول الزمخشري طلب موسى للرؤية بوجهين:

أحدهما: أنه إنما سأل ذلك تبكيتا لمن خرج معه من بني إسرائيل الذين طلبوا

---

(١) نسبه أبو الفرج الأصبهاني لإسحاق الموصلي: ومعه هذا البيت:

حَنَنْتَ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغار ... وشاقك منهمُ قربُ المَزَارِ
وأَبرحُ ما يكون الشوقُ يوماً ... إذا دَنَتِ الدِّيارُ من الديار

الأغاني: ٤٥٣/١ ط دار الفكر.

الرؤية ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾، فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب في المنع فيتأدبوا.

والآخر: أن معنى أرني أنظر إليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا، وكلا الوجهين بعيد والثاني أبعد وأضعف؛ فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له: ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الآية.

﴿قَالَ لَن تَرَانِي﴾ قال مجاهد[1] وغيره: إن الله قال لموسى لن تراني؛ لأنك لا تطيق ذلك، ولكن سأتجلى للجبل الذي هو أقوى منك وأشد فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتي أمكن أن تراني أنت، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألا تطيق أنت، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالا لموسى، وقال قوم: المعنى: سأتجلى لك على الجبل، وهو ضعيف يبطله قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾.

فإذا تقرر هذا: فقوله تعالى: لن تراني نفي للرؤية وليس فيه دليل على أنها محال، فإنه إنما جعل علة النفي عدم إطاقة موسى الرؤية لا استحالتها، ولو كانت الرؤية مستحيلة لكان في الجواب زجر وإغلاظ، كما قال الله لنوح ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك، وأما في الآخرة فقد صرح بوقوع الرؤية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا ينكرها إلا مبتدع، وبين أهل السنة والمعتزلة في مسألة الرؤية نزاع طويل، وفي هذه القصة قصص كثيرة تركته لعدم صحته، ولما فيه من الأقوال الفاسدة.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي مدكوكا فهو مصدر بمعنى مفعول، كقولك: ضرب الأمير، والدك والدق: أخوان وهو التفتت. وقرئ[2]: دكاء بالمد والهمز أي أرضا دكاء، قيل: ذهب أعلى الجبل وبقي أكثره، وقيل: تفتت حتى صار غبارا، وقيل: ساخ في الأرض

(١) ضعيف جدا أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣/١٥٠٩٠.

(٢) الداني: الكوفيون ﴿جعله دكاء﴾ بالمد والهمز من غير تنوين والباقون بالتنوين من غير همز. التيسير، ص: ١٠١.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ۞ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

وأفضى إلى البحر ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ أي مغشيا عليه. ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ معناه تبت من سؤال الرؤية في الدنيا وأنا لا أطيقها. ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي أول قومه أو أول زمانه، أو على وجه المبالغة في السبق إلى الإيمان.

﴿ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ هو عموم يراد به الخصوص، فإن جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة، واختلف: هل كلم الله غيره من الرسل، أم لا؟ والصحيح أنه كلم نبينا محمدا ﷺ ليلة الإسراء. ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ تأديبا أي اقنع بما أعطيتك من رسالتي وكلامي ولا تطلب غير ذلك.

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ أي ألواح التوراة وكانت سبعة، وقيل: عشرة وقيل: اثنان وقيل: كانت من زمرد، وقيل: من ياقوت، وقيل: من خشب. ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه في دينهم، وكذلك تفصيلا لكل شيء، وموضع من كل شيء نصب على أنه مفعول كتبنا، وموعظة بدل منه. ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ أي بجد وعزم والضمير للتورية. ﴿يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ أي فيها ما هو حسن وأحسن منه، كالقصاص مع العفو، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات. ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي دار فرعون وقومه وهو مصر، والمعنى: أريكم كيف أقفرت منهم لما هلكوا، وقيل: منازل عاد وثمود ومن هلك

من الأمم المتقدمة ليعتبروا بها، وقيل: جهنم وقرأ ابن عباس[1] سأورثكم بالثاء المثلثة من الوراثة، وهي على هذا مصدر، لقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآيات يحتمل هنا أن يراد بها القرآن وغيره من الكتب، أو العلامات والبراهين، والصرف يراد به صدهم عن فهمها وعن الإيمان بها عقوبة لهم على تكبرهم، وقيل: الصرف: منعهم من إبطالها.

﴿وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ﴾ يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به، أي ولقاؤهم الآخرة، أو من إضافة المصدر إلى الظرف.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ هم بنو إسرائيل. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد غيبته في الطور. ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاء والتشديد جمع حلي، نحو ثَدي وثُدى، وقرئ[2] بكسر الحاء للإتباع، وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام، والحلي هو: ما يتزين به من الذهب والفضة. ﴿جَسَدًا﴾ أي جسما دون روح، وانتصابه على البدل. ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ الخوار هو صوت البقر، وكان السامري قد قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر، فقذفه في العجل فصار له خوار، وقيل: كان إبليس يدخل في جوف العجل فيصيح فيه فيسمع له الخوار. ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ رد عليهم وإبطال لمذهبهم الفاسد في عبادته. ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ أي اتخذوه إلها فحذف المفعول الثاني للعلم به، وكذلك حذف من قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾.

﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا، يقال: سقط في يد فلان إذا عجز عما يريد، أو وقع فيما يكره.

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ قسامة بن زهير «سأورثكم» قاله أبو حاتم، ونسبها المهدوي إلى ابن عباس. المحرر الوجيز: ٢/٥٢١.

(٢) ﴿حليهم﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء واللام وتشديد الياء وكسرها، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وإسكان اللام وكسر الياء مخففة، والباقون بضم الحاء وكسر اللام والياء مشددة. النشر: ٢/٣٠٦، وانظر التيسير، ص: ٨٢، والبدور، ص: ١٣٨.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا
خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ
ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا
تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى
وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ
تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾
وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا
هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ
قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ
شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ
إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ
وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن على ما فعلوه، وقيل: شديد الغضب، كقوله: فلما آسفونا. ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾ أي قمتم مقامي، وفاعل بئس مضمر يفسره ما، واسم المذموم محذوف، والمخاطب بذلك: إما القوم الذين عبدوا العجل مع السامري حيث عبدوا غير الله في غيبة موسى عنهم، أو رؤساء بني إسرائيل كهارون عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث لم يكفوا الذين عبدوا العجل. ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ معناه أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور فإنهم لما رأوا أن الأمر قد تم ظنوا أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد مات فعبدوا العجل. ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ طرحها لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله من عبادة العجل. ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي شعر رأسه. ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ لأنه ظن أنه فرط في كف الذين عبدوا العجل. ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ كان هارون شقيق موسى، وإنما دعاه بأمه لأنه أدعى إلى العطف والحنو وقرئ:[1] ابن أم بالكسر على الإضافة إلى ياء المتكلم وحذفت الياء، وبالفتح تشبيها بخمسة عشر جعل الاسمان اسما واحدا فبني. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي لا تظن أني منهم، أو لا تجد علي في نفسك ما تجد عليهم، يعني أصحاب العجل.

﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ أي غضب في الآخرة، وذلة في الدنيا.

---

(١) ﴿ابن أم﴾ قرأ ابن عامر وشعبة والأخوان وخلف بكسر الميم، والباقون بفتحها، ووقف عليه حمزة بالتحقيق فقط من طريق الحرز لفصل ابن عن أم. النشر ٢/٣٠٦.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ أي سكن، وكذلك قرأ بعضهم، وقال الزمخشري[١]: قوله سكت مثل، كأن الغضب كان يقول له: ألق الألواح، وجر برأس أخيك، ثم سكت عن ذلك. ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي فيما ينسخ منها والنسخة فعلة بمعنى مفعول. ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي يخافون، ودخلت اللام لتقدم المفعول كقوله: للرؤيا تعبرون، وقال المبرد: تتعلق بمصدر، تقديره: رهبتهم لربهم.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ أي من قومه. ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ حملهم معه إلى الطور فيسمعون كلام الله لموسى، فقالوا: أرنا الله جهرة، فأخذتهم الرجفة، عقابا لهم على قولهم، وقيل: إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل، أو لسكوتهم على عبادته والأول أرجح، لقوله: ﴿فَقَالُوٓا أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾، ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء، والأول أظهر، لقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾. ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾ يحتمل أن تكون لو هنا للتمني أي تمنوا أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك؛ لأنه خاف من تشغيب بني إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين، ويحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرع والاستسلام لأمر الله، كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت، فإنا عبيدك وتحت قهرك وأنت تفعل ما تشاء، ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرع والرغبة، كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت، لكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن ما وعدتنا، وأحي هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ أي أتهلكني وتهلك بني إسرائيل بما فعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية والذين عبدوا العجل، فمعنى هذا إدلاء بحجته وتبرؤ من فعل السفهاء، ورغبة إلى الله أن لا يعم الجميع بالعقوبة. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي الأمور كلها بيدك. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ ومعنى هذا اعتذار عن فعل السفهاء، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته.

---

(١) الكشاف: ٢/١٥٤. وأضاف هذه القراءة الشاذة لمعاوية بن قرة.

ربع

• وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيَ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيءَ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ
الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيءِ الْأُمِّيِّ
الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾
وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ أي تبنا وهذا الكلام الذي قاله موسى عليه السلام إنما هو كله استعطاف ورغبة إلى الله وتضرع إليه، ولا يقتضي شيئا مما توهم الجهال فيه من الجفاء في قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾، لأنا قد بينا أنه إنما قال ذلك استعطافا لله وبراءة من فعل السفهاء. ﴿قَالَ عَذَابِيَ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ قيل: الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة، والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم، وقرئ[1] من أساء بالسين وفتح الهمزة من الإساءة، وأنكرها بعض المقرئين وقال إنها تصحيف. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتمل أن يريد رحمته في الدنيا فيكون خصوصا في الرحمة وعموما في كل شيء، لأن المؤمن والكافر والمطيع والعاصي تنالهم رحمة الله ونعمته في الدنيا، ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة فيكون خصوصا في كل شيء لأن الرحمة في الآخرة مختصة بالمؤمنين، ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق، فيكون عموما في الرحمة وفي كل شيء. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة فهي بلا شك مختصة بهؤلاء الذين كتبها الله لهم وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإن كانت رحمة الدنيا فهي أيضا مختصة بهم لأن الله نصرهم على جميع الأمم وأعلى دينهم على جميع الأديان، ومكن لهم في الأرض ما لم يمكن لغيرهم،

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ الحسن وطاوس وعمرو بن فائد «من أساء» من الإساءة. المحرر الوجيز: ٢/٥٣٠.

وإن كانت على الإطلاق، فكقوله: سأكتبها، تخصيص للإطلاق. ﴿وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء، وليس ذلك لغير هذه الأمة.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ هذا الوصف خصص أمة محمد ﷺ قال بعضهم: لما قال الله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ طمع فيها كل أحد حتى إبليس، فلما قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يئس إبليس لعنه الله، وبقيت اليهود والنصارى، فلما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية: يئس اليهود والنصارى. ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ أي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وذلك من أعظم دلائل نبوءته ﷺ؛ لأنه أتى بالعلوم الجمة من غير قراءة ولا كتابة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ قال بعضهم: الأمي منسوب إلى الأم، وقيل: إلى الأمة. ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ ضمير الفاعل في يجدونه لبني إسرائيل، وكذلك الضمير في عندهم ومعنى يجدونه يجدون نعته وصفته، ولنذكر هنا ما ورد في التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا محمد ﷺ:

فمن ذلك: ما ورد في البخاري وغيره أن في التوراة من صفة النبي ﷺ: «**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، لا تجزي بالسيئة السيئة، ولكن تعفو وتصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به عيونا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا**»[1].

ومن ذلك: ما في التوراة، مما أجمع عليه أهل الكتاب وهو باق بأيديهم إلى الآن: إن الملك نزل على إبراهيم فقال له: في هذا العام يولد لك غلام اسمه:

(١) البخاري في صحيحه: (٢١٢٥)، والطبري في جامع البيان: ١٣/١٦٤، والبغوي في معالم التنزيل: ٣/٨٨.

إسحاق، فقال إبراهيم: يارب ليت إسماعيل يعيش يخدمك فقال الله لإبراهيم لك ذلك قد استجيب لك في إسماعيل، وأنا أباركه وأنميه وأكبره وأعظمه بماذ ماذ، وتفسير هذه الحروف محمد.

ومن ذلك: في التوراة: إن الرب تعالى جاء في طور سيناء، وطلع من صاعر، وظهر من جبال فاران، ويعني بطور سيناء: موضع مناجاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وصاعر: موضع عيسى، وفاران هي مكة موضع مولد نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومبعثه، ومعنى ما ذكر من مجيء الله وطلوعه وظهوره هو ظهور دينه على يد الأنبياء الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع، ويفسر ذلك ما في كتاب أشعيا خطابا لمكة: قومي فأزهري مصباحك، فقد دنا وقتك، وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخلل الأرض الظلام وغلا على الأمم المصاب، والرب يشرق عليك إشراقا ويظهر كرامة عليك تسير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك، ارفعي بصرك إلى ما حولك، وتأملي فإنهم مستجمعون عندك، وتحج إليك عساكر الأمم. وفي بعض كتبهم: لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود، وامتلأت الأرض من حمده، لأنه ظهر بخلاص أمته.

ومن ذلك: في التوراة أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك فقال لها: يا هاجر: أين تريدين؟ ومن أين أقبلت؟ فقالت: أهرب من سيدتي سارة، فقال لها: ارجعي إلى سارة وستحبلين وتلدين ولدا اسمه إسماعيل، وهو يكون عين الناس، وتكون يده فوق الجميع، وتكون يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع، ووجه دلالة هذا الكلام على نبوءة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن هذا الذي وعدها به الملك من أن يد ولدها فوق الجميع، وأن يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع، إنما ظهر بمبعث النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظهور دينه وعلو كلمته، ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا لغيره قبل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن ذلك في التوراة أيضا: أن الرب يقيم لهم نبيئا من إخوتهم، وأي رجل لم يسمع الكلام الذي يؤديه ذلك النبي عن الله فينتقم الله منه، ودلالة هذا الكلام

ظاهرة بأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد ﷺ: كبني قريظة، وبني قينقاع، وغيرهم.

ومن ذلك: في التوراة: إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: وقد أجبت دعاءك في إسماعيل وباركت عليه، وسيلد اثني عشر عظيما، وأجعله لأمة عظيمة.

ومن ذلك: في الإنجيل: أن المسيح قال للحواريين إني ذاهب عنكم وسيأتيكم الفارقليط الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنما يقول كما يقال له، وبهذا وصف الله سبحانه نبينا محمد ﷺ في قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، وتفسير الفارقليط: أنه مشتق من الحمد، واسم نبينا محمد ﷺ: محمد، وأحمد، وقيل: معنى الفارقليط الشافع المشفع.

ومن ذلك: في التوراة: أن مولده بمكة، ومسكنه بطيبة، وأمته الحمادون، وبيان ذلك: أن أمته يقرؤون الحمد لله في صلاتهم مرارا كثيرة في كل يوم وليلة.

وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأحبار، وهو من اليمن من حمير: أن كعبا أخبره بأمره وكيف كان ذلك، وقال: كان أبوه من مؤمني أهل التوراة برسول الله ﷺ، وكان من عظمائهم وخيارهم.

قال كعب:[1] وكان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة وبكتب الأنبياء، ولم يكن يدخر عني شيئا مما كان يعلم، فلما حضرته الوفاة دعاني فقال: يا بني قد علمت أني لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم إلا أني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث، وقد أظل زمانه، فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه، وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما في هذه الكوة التي ترى وطينت عليهما فلا تتعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا، وأقرهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي، فإذا خرج

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه: ١/١٦، ومعالم التنزيل: ٣/٢٨٩، وفي المصابيح: ٤/٤٦، وهو في الدر المنثور: ٣/٥٧٦.

فاتبعه وانظر فيهما فإن الله يزيدك بهذا خيرا، فلما مات والدي: لم يكن شيء أحب إلي من أن ينقضي المأتم حتى أنظر ما في الورقتين، فلما انقضى المأتم: فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيئين، لا نبي بعده مولده بمكة ومهاجره بطيبة، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف، وعلى كل حال، وتتذلل بالتكبير ألسنتهم، وينصر الله نبيئهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء، ويأتزرون على أوساطهم وأناجيلهم في صدورهم، ويأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم والأب، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، وهم السابقون المقربون والشافعون المشفع لهم، فلما قرأت هذا قلت في نفسي: والله ما علمني شيئا خيرا لي من هذا، فمكثت ما شاء الله حتى بعث النبي ﷺ وبيني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه، وبلغني أنه خرج في مكة فهو يظهر مرة ويستخفي مرة، فقلت: هو هذا، وتخوفت ما كان والدي حذرني وخوفني من ذكر الكذابين، وجعلت أحب أن أتبين وأتثبت فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه أتى المدينة، فقلت في نفسي: إني لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتمس السبيل إليه، فلم يقدر لي حتى بلغني أنه توفي رسول الله ﷺ، فقلت في نفسي: لعله لم يكن الذي كنت أظن، ثم بلغني أن خليفة قام مقامه، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده، فقلت في نفسي لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم: أهم الذين كنت أرجو وأنتظر، وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم، وإلى ما تكون عاقبتهم؟ فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأتبين وأتثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر، فحدثت نفسي بالدخول في دين الإسلام، فوالله إني ذات ليلة فوق سطح لي إذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ

ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾، فلما سمعت هذه الآية خشيت والله ألا أصبح حتى يحول وجهي في قفاي، فما كان شيء أحب إلي من الصباح، فغدوت على عمر فأسلمت حين أصبحت، وقال كعب لعمر عند انصرافهم إلى الشام: يا أمير المؤمنين إنه مكتوب في كتاب الله إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيل وكانوا أهلها مفتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين، سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره، وقوله لا يخالف فعله، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء، وأتباعه رهبان بالليل أسد بالنهار، متراحمون متواصلون متباذلون فقال له عمر: ثكلتك أمك، أحق ما تقول؟ قال: إي والذي أنزل التوراة على موسى، والذي يسمع ما تقول إنه لحق، فقال عمر: الحمد لله الذي أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد ﷺ برحمته التي وسعت كل شيء.

ومن ذلك[1] كتاب فروة بن عمر الجذامي إلى رسول الله ﷺ وكان من ملوك العرب بالشام فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله من فروة بن عمر إني مقر بالإسلام مصدق، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام، فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجنه، فقال: والله لا أفارق دين محمد أبدا فإنك تعرف إنه النبي الذي بشر به عيسى ابن مريم، ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقاءه، فقال قيصر: صدق والإنجيل.

ويشهد لهذا ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من كتاب رسول الله ﷺ إلى

---

(١) منقطع ذكره ابن هشام في السيرة: ٢٣٨/٤، وابن كثير في البداية والنهاية: ٩١/٥ عن ابن إسحاق بدون إسناد.

(٢) هو جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي الحديث رقم: (٥)، وفي مواضع أخرى منه، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٧٧٣)، وأبو داود الحديث رقم: (٥١٣٦)، وأحمد: ٢٦٢/١، وغيرهم.

هرقل، وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه ﷺ فلما أخبر بها علم أنه رسول الله، وقال: إنه يملك موضع قدمي ولو خلصت إليه لغسلت قدميه.

ومن حديث زيد بن أسلم[1] عن أبيه وهو عندنا بالإسناد: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج في زمان الجاهلية مع ناس من قريش في التجارة إلى الشام، قال: فإني لفي سوق من أسواقها إذا أنا ببطريق قد قبض على عنقي، فذهبت أنازعه فقيل لي: لا تفعل فإنه لا نصف لك منه، فأدخلني كنيسة فإذا تراب عظيم ملقى فجاءني بزنبيل ومجرفة فقال: أنقل ما هاهنا فجعلت أنظر كيف أصنع، فلما كان من الهاجرة وافاني وعليه ثوب أرى سائر جسده منه، فقال: أثنك على ما أرى ما نقلت شيئا، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغي فقلت: واثكل أمك يا عمر، أبلغت ما أرى؟ ثم وثبت إلى المجرفة فضربت بها هامته فنثرت دماغه ثم واريته في التراب وخرجت على وجهي لا أدري أين أسير، فسرت بقية يومي وليلتي من الغد إلى الهاجرة فانتهيت إلى دير فاستظللت بفنائه فخرج إلي رجل منه فقال لي: يا عبد الله ما يقعدك هنا، فقلت أضللت أصحابي فقال لي: ما أنت على طريق وإنك لتنظر بعيني خائف، فادخل فأصب من الطعام واسترح، فدخلت فأتاني بطعام وشراب وأطعمني ثم صعد في النظر وصوبه فقال: قد علم والله أهل الكتاب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب مني، وإني لأرى صفتك الصفة التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه، فقلت: يا هذا لقد ذهبت بي في غير مذهب، فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: عمر بن الخطاب، فقال: أنت والله صاحبنا فاكتب لي على ديري هذا وما فيه، فقلت: يا هذا إنك قد صنعت إلي صنيعة فلا تكدرها، فقال: إنما هو كتاب في رق فإن كنت صاحبنا فذلك، وإلا لم يضرك شيء، فكتب له على ديره وما فيه، فأتاني بثياب ودراهم فدفعها إلي ثم أوكف أتانا فقال لي: أتراها؟ فقلت: نعم، قال سر عليها فإنك لا تمر بقوم إلا سقوها وعلفوها وأضافوك فإذا بلغت مأمنك فاضرب

---

(١) ضعيف جدا أخرجه ابن عساكر كما في البداية والنهاية: ٦٤/٧.

وجهها مدبرة فانهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إلي، قال: فركبتها فكان كما قال، حتى لحقت بأصحابي وهم متوجهون إلى الحجاز فضربتها مدبرة وانطلقت معهم فلما وافى عمر الشام في زمان خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس فلما رآه عرفه فقال: قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه فلما فرغ منه أقبل على الراهب فقال: هل عندكم من نفع للمسلمين؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، قال: إن أضفتم المسلمين ومرضتموهم وأرشدتموهم فعلنا ذلك، قال: نعم يا أمير المؤمنين فوفى له عمر رضي الله عنه ورحمه.

وعن سيف يرفعه[1] إلى سالم بن عبد الله قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال: السلام عليك يا فاروق أنت صاحب إيلياء، والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء.

ومن ذلك[2] أن عمرو بن العاص قدم المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد أرسله إلى عمان واليا عليها، فجاءه يوما يهودي من يهود عمان فقال له: أنشدك بالله من أرسلك إلينا؟ فقال له رسول الله ﷺ فقال اليهودي والله إنك لتعلم أنه رسول الله، قال عمرو اللهم نعم، فقال اليهودي: لئن كان حقا ما تقول لقد مات اليوم، فلما سمع عمرو ذلك جمع أصحابه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودي: إن النبي ﷺ مات فيه. ثم خرج فأخبر بموت النبي ﷺ وهو في الطريق، ووجده قد مات في ذلك اليوم ﷺ وبارك وشرف وكرم.

ومن ذلك: أن وفد غسان[3] قدموا على رسول الله ﷺ فلقيهم أبو بكر

---

(١) ضعيف ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٧/٦٤.

(٢) الطبقات: ١/٢٦٢، وابن الأثير: ٢/٢٧٢.

(٣) لم أجده.

الصديق، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: رهط من غسان، قدمنا على محمد لنسمع كلامه فقال لهم: انزلوا حيث تنزل الوفود، ثم ائتوا رسول الله ﷺ فكلموه فقالوا: وهل نقدر على كلامه كما أردنا؟ فتبسم أبو بكر وقال: إنه ليطوف بالأسواق ويمشي وحده ولا شرطة معه ويرغب من يراه منه، فقالوا لأبي بكر: من أنت أيها الرجل؟ فقال: أنا أبو بكر بن أبي قحافة، فقالوا أنت تقوم بهذا الأمر بعده، فقال أبو بكر: الأمر إلى الله، فقال لهم كيف تخدعون عن الإسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء؟ ثم لقوا رسول الله ﷺ فأسلموا.

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ يحتمل أن يكون هذا من وصف النبي ﷺ في التوراة فتكون الجملة في موضع الحال من ضمير المفعول في يجدونه، أو تفسير لما كتب من ذكره، أو يكون استئناف وصف من الله تعالى غير مذكور في التوراة والإنجيل. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ مذهب مالك أن الطيبات هي الحلال، وأن الخبائث هي الحرام، ومذهب الشافعي أن الطيبات هي المستلذات إلا ما حرمه الشرع منها كالخمر والخنزير، وأن الخبائث هي المستقذرات كالخنافس والعقارب وغيرها. ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ وهو مثل لما كلفوا في شرعهم من المشقات، كقتل الأنفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة من الثوب، وكذلك الأغلال عبارة عما منعت منه شريعتهم كتحريم الشحوم، وتحريم العمل يوم السبت، وشبه ذلك. ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي منعوه بالنصر حتى لا يقوى عليه عدو. ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ هو القرآن أو الشرع كله ومعنى معه مع بعثه ورسالته.

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ تفسيره قوله ﷺ: «وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة»(١) فإعراب جميعا حال من الضمير

(١) جزء من حديث صحيح طويل أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٣٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٥٢١)، والنسائي: ١/٢٠٩، وأحمد: ٣/٣٠٤.

وَقَطَّعْنَٰهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً تُغْفَرْ لَكُمْ خَطِيئَٰتُكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ • وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

في اليكم ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ نعت لله أو منصوب على المدح بإضمار فعل أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر. ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِ﴾ هي الكتب التي أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ﴾ هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم في عصر موسى، أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ في عصره.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ أي فرقناهم. ﴿أَسْبَاطاً﴾ السبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب، وانتصابه على البدل من اثنتي عشرة لا على التمييز فإن تمييز اثنتي عشرة لا يكون إلا مفردا، وقال الزمخشري على التمييز لأن كل قبيلة أسباط لا سبط. ﴿فَانبَجَسَتْ﴾ أي انفجرت إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار، وقال القزويني: الانبجاس أول الانفجار. ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ وما بعده إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ مذكور في البقرة.

تنبيه: وقع الاختلاف في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين سورة البقرة في قوله: ﴿انفَجَرَتْ﴾ و﴿انبَجَسَتْ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا﴾ وقوله: ﴿وَكُلُوا﴾ بالواو و﴿فَكُلُوا﴾ بالفاء فقال الزمخشري: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض، وعللها شيخنا الأستاذ: أبو جعفر بن الزبير في كتاب «ملاك التأويل» وصاحب «الدرة» بتعليلات

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ
مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ
عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا
قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ
وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ
الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ
عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن
لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)

منها قوية وضعيفة، وفيها طول، فتركناها لطولها.

﴿وَسْئَلْهُمْ﴾ أي اسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ. ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ قيل: هي إيلياء، وقيل: هي طبرية، وقيل: مدين ﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قريبة منه أو على شاطئه. ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ أي يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم يوم السبت وقد نهوا عنه وموضع إذ بدل من القرية والمراد أهلها وهو بدل اشتمال أو منصوب بكانت أو بحاضرة. ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾ كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى تصل إلى بيوتهم ابتلاء لهم إذ كان صيدها عليهم حراما في يوم السبت، وتغيب عنهم في سائر الأيام وسبتهم مصدر من قولك: سبت اليهودي يسبت إذا عظم يوم السبت، ومعنى شرعا: ظاهرة قريبة منهم، يقال: شرع منا فلان إذا دنا وإذ في قوله إذ تأتيهم منصوب بيعدون، أو بدل من إذ يعدون.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً﴾ الآية افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق: فرقة عصت يوم السبت بالصيد، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت القوم، وفرقة سكتت واعتزلت فلم تنه ولم تعص، وأن هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيان العاصي، قالوا للفرقة الناهية: لم تعظون قوما يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم، فقالت الناهية ننهاهم معذرة إلى الله ولعلهم يتقون فهلكت الفرقة العاصية ونجت الناهية، واختلف في الثالثة هل هلكت لسكوتها أو نجت لاعتزالها وتركها العصيان.

﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ أي شديد، وقرئ[1] بالهمز وتركه وقرئ على وزن فعيل وعلى وزن فيعل وكلها من معنى البؤس.

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ أي لما تكبروا عن ما نهوا عنه. ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ ذكر في البقرة، والمعنى: أنهم عذبوا أولا بعذاب شديد فعتوا بذلك فمسخوا قردة، وقيل: فلما عتوا تكرار لقوله فلما نسوا، والعذاب البئيس هو المسخ.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ عزم وهو من الإيذان بمعنى الإعلام. ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ الآية أي يسلط عليهم ومن ذلك أخذ الجزية وهوانهم في جميع البلاد.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي فرقناهم في البلاد ففي كل بلدة فرقة منهم فليس لهم إقليم يملكونه. ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ هم من أسلم كعبد الله بن سلام، أو من كان صالحا من المتقدمين منهم ﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي بالنعم والنقم.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي حدث بعدهم قوم سوء، والخلف بسكون اللام ذم وبفتحها مدح، والمراد من حدث من اليهود بعد المذكورين، وقيل: المراد النصارى. ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي عرض الدنيا. ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ذلك اغترار منهم وكذب. ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم. ﴿مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ إشارة إلى كذبهم في قولهم سيغفر لنا، وإعراب أن لا يقولوا عطف بيان على ميثاق الكتاب أو تفسير له، أو تكون أن حرف عبارة وتفسير.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ قرئ[2] بالتشديد والتخفيف وهما بمعنى

---

(١) ﴿بعذاب بئيس﴾ قرأ المدنيان وزيد عن الدجواني عن هشام بكسر الباء وياء ساكنة بعدها من غير همز، وقرأ ابن عامر إلا زيداً عن الدجواني كذلك إلا همز الياء. النشر ٢/٣٠٧.

(٢) ﴿يمسكون﴾ فروى أبو جعفر بتخفيف السين وقرأ الباقون بتشديدها. النشر: ٢/٣٠٨.

حزب

• وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

واحد، وإعراب الذين عطف على الذين يتقون أو مبتدأ وخبره ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ وأقام ذكر المصلحين مقام الضمير؛ لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي اقتلعنا الجبل ورفعناه فوق بني إسرائيل وقلنا لهم خذوا التوراة حين أبوا من أخذها، وقد تقدم في البقرة تفسير ﴿الظُّلَّة﴾ و﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية في معناها قولان:

أحدهما: أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم فأقروا بذلك والتزموه، روي هذا المعنى عن النبي ﷺ[(١)] من طرق كثيرة، ....

(١) هذا حديث صحيح، وقد تضمن هذا الحديث قضيتين:

١ ـ استخراج ذرية آدم من صلبه.

٢ ـ الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم.

الأولى: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان، يعني عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟=

وقال به جماعة من الصحابة[1] وغيرهم.

والثاني: أن ذلك من باب التمثيل، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم في الدنيا، وأما إشهادهم فمعناه أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقال لهم: ألست بربكم فقالوا بلسان الحال: بلى أنت ربنا، والأول هو الصحيح لتواتر الأخبار به، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر، وإنما تطابقه بتأويل، وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم، والجمع بينهما أنه ذكر بني آدم في الآية والمراد آدم، كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ الآية، وعلى تأويل لقد خلقنا أباكم آدم من صورته، وقال الزمخشري: إن المراد ببني آدم أسلاف اليهود، والمراد بذريتهم من كان في عصر النبي ﷺ، والصحيح المشهور أن المراد جميع بني آدم حسبما ذكرنا.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ قولهم بلى إقرار منهم بأن الله ربهم فإن تقديره: أنت ربنا، فإن بلى بعد التقرير تقتضي الإثبات بخلاف نعم فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضي الإيجاب، وإذا وردت بعد التقرير تقتضي النفي، ولذلك قال ابن عباس[2] في هذه الآية: لو قالوا نعم لكفروا، وأما قولهم: شهدنا فمعناه شهدنا

= إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة الأعراف آية ١٧٢، ١٧٣]، وصححه الحاكم انظر المستدرك. ١/٢٧، والطبري في جامع البيان: ١٣/٢٢، وأحمد في المسند: ١/٢٧٢

الثانية: قال الحاكم في الموضع الثاني: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع: ٧/٢٥ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وصحح إسناده أحمد شاكر، والألباني في الصحيحة: ٤/١٨٤.

(١) ممن قال بذلك ابن عباس وابن عمرو وأبي بن كعب، الطبري في جامع البيان: ١٣/٢٣٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٦١٣.

(٢) لم أجده مسندا.

بربوبيتك فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عند الله، وقيل: إن شهدنا من قول الله والملائكة أي شهدنا على بني آدم باعترافهم. ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ في موضع مفعول من أجله أي فعلنا ذلك كراهية أن تقولوا فهو من قول الله لا من قولهم. وقرئ[1] بالتاء على الخطاب لبني آدم وبالياء على الإخبار عنهم.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال ابن مسعود[2] هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ملك مدين داعيا إلى الله، فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل، وأضل الناس بذلك، وقال ابن عباس[3]: هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء كان عنده اسم الله الأعظم فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون سألوا من بلعم أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى، فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا عليه موسى، فالآيات التي أعطيها على هذا القول هي: اسم الله الأعظم، وعلى قول ابن مسعود هي ما علمه موسى من الشريعة، وقيل: كان عنده من صحف إبراهيم، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص[4]: هو أمية بن أبي الصلت، وكان قد أوتي علما وحكمة وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ثم رجع عن ذلك ومات كافرا، وفيه قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم**»[5] فالآية على هذا ما كان عنده من العلم والانسلاخ عبارة

---

(١) أن تقولوا أو قولوا، فقرأ أبو عمرو بالغيب فيهما، وقرأ الباقون بالخطاب. النشر ٢/٣٠٨.

(٢) صحيح، عن ابن مسعود وهو من الإسرائيليات أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣/٢٥٣.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣/١٥٤١٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٦١٦ بإسناد حسن.

(٤) أخرجه النسائي في تفسيره: ١/٥١١، والطبري في جامع البيان: ١٣/٢٥٥.

(٥) صحيح، وهو من حديث أبي هريرة يرويه عنه أبو سلمة قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة الشاعر:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل...

وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم. البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٨٤١)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٢٥٦)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٨٤٩).

عن البعد والانفصال منها كالانسلاخ من الثياب والجلد.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ أي لرفعنا منزلته بالآيات التي كانت عنده. ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله. ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ أي صفته كصفة الكلب وذلك غاية في الخسة والرداءة. ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ اللهث هو التنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات مع الحر والتعب، وهي حالة دائمة للكلب ومعنى: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره، ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ دون أن تحمل عليه فهو يلهث على كل حال، ووجه تشبيه ذلك الرجل به: أنه إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال، فضلالته على كل حال كما أن لهث الكلب على كل حال، وقيل: إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب في صورته ولهثه حقيقة. ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي صفة المكذبين كصفة الكلب في لهثه أو كصفة الرجل المشبه به؛ لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا وإن تركوا لم يهتدوا، وشبههم بالرجل في أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم، كما أن الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ﴾ الآية قدم هذا المفعول للاختصاص والحصر.

﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ هم الذين علم الله أنهم يدخلون النار بكفرهم فأخبر أنه خلقهم لذلك كما جاء في قوله: «هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي»[(١)]. ﴿لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ ليس المعنى نفي السمع والبصر جملة وإنما المعنى

(١) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَلاَ أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الأُخْرَى: هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلاَ أُبَالِي، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ فَهُمْ=

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا
يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا
يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ
خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ
حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي
طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ
إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ
إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

نفيها عما ينفع في الدين.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾

قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة**»(١).

وسبب نزول الآية: أن أبا جهل لعنه الله سمع بعض الصحابة يقرأ فيذكر الله مرة، والرحمن أخرى، فقال: يزعم محمد أن الإله واحد، وها هو يعبد آلهة كثيرة، فنزلت الآية(٢) مبينة أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمى واحد، والحسنى مصدر وصف به، أو تأنيث أحسن، وحسن أسماء الله هي أنها صفات مدح وتعظيم وتحميد **﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾** أي سموه بأسمائه، وهذا إباحة لإطلاق الأسماء على الله تعالى، فأما ما ورد منها في القرآن أو الحديث فيجوز إطلاقه على الله إجماعا، وأما ما لم يرد وفيه مدح ولا تتعلق به شبهة فأجاز أبو بكر بن الطيب إطلاقه على الله ومنع ذلك أبو الحسن الأشعري

= يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الآنَ. مسند البزار الحديث رقم: (٣٠٣٢)، وبمعناه رواه أبو داود الحديث رقم: (٣٥٢٥)، وضعفه الألباني.

(١) صحيح البخاري الحديث رقم: (٢٧٣٦)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٦٧٧)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٥٠٦).

(٢) ضعيف جدا وروي بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال وهو ساجد يا الله يا رحمن فسمعه أبو جهل وهو لا يعرف الرحمن، فقال: محمد ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها مع الله آخر، يقال له الرحمن، فأنزل الله تعالى: **﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾** [سورة الإسراء آية ١٠٩] أخرجه أبو نعيم في الحلية رقم (٩٠).

وغيره ورأوا أن أسماء الله موقوفة على ما ورد في القرآن والحديث، وقد ورد في كتاب الترمذي عدتها أعني تعيين التسعة والتسعين[١] واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبي ﷺ؟ أو موقوفة على أبي هريرة؟ وإنما الذي ورد في الصحيح كونها تسعة وتسعين من غير تعيين ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قيل: معنى ذروا اتركوهم لا تحاجوهم ولا تتعرضوا لهم، فالآية على هذا منسوخة بالقتال، وقيل: معنى ذروا الوعيد والتهديد، كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾، وهو الأظهر لما بعده، وإلحادهم في أسماء الله هو ما قال أبو جهل، فنزلت الآية بسببه[٢]، وقيل: تسميته بما لا يليق به، وقيل: تسمية الأصنام باسمه كاشتقاقهم اللات من الله، والعزى من العزيز.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ﴾ الآية روي أن النبي ﷺ قال: «هذه الآية لكم، وقد تقدم مثلها لقوم موسى»[٣].

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ الاستدراج استفعال من الدرجة، أي نسوقهم إلى الهلاك شيئا بعد شيء وهم لا يشعرون، والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ سمى فعله بهم كيدا لأنه شبيه بالكيد في أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ يعني بصاحبهم النبي ﷺ، فنفى عنه ما نسب له المشركون من الجنون، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ معمولا لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيوصل به، والمعنى: أو لم يتفكروا فيعلمون أن ما بصاحبهم من جنة، ويحتمل أن يكون الكلام قد تم في قوله: أو لم

(١) ضعيف، الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٥٠٧).
(٢) ضعيف سبق تخريجه.
(٣) ضعيف أخرجه ابن مردويه، الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: ١/٤٧٧.

يتفكروا، ثم ابتدأ إخبارا مستأنفا بقوله: ما بصاحبهم من جنة، والأول أحسن.

﴿أَوَ لَمْ يَنظُرُوا﴾ يعني نظر استدلال. ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ عطف على الملكوت ويعني بقوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ يعني جميع المخلوقات، إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها. ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ أن الأولى مخففة من الثقيلة وهي عطف على الملكوت، وأن الثانية مصدرية في موضع رفع بعسى، وأجلهم يعني موتهم، والمعنى: لعلهم يموتون عن قريب، فينبغي لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ الضمير للقرآن.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ السائلون اليهود أو قريش، وسميت القيامة ساعة لسرعة حسابها كقوله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾. ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ معنى أيان متى، ومرساها وقوعها وحدوثها، وهي من الإرساء بمعنى الثبوت. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي استأثر الله بعلم وقت وقوعها، ولم يطلع عليه أحدا. ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ معنى يجليها يظهرها فهو من الجلاء ضد الخفاء، واللام في لوقتها ظرفية أي عند وقتها، والمعنى: لا يظهر الساعة عند مجيء وقتها إلا الله. ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في معناه ثلاثة أقوال:

الأول: ثقلت على أهل السموات والأرض لهيبتها عندهم وخوفهم منها.

والثاني: ثقلت على السموات والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض.

والثالث: معنى ثقلت أي ثقل علمها أي خفي.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ الحفي بالشيء: هو المهتبل به المعتني به، والمعنى: يسألونك عنها كأنك حفي بعلمها، وقيل: المعنى يسألونك عنها كأنك حفي بهم لقرابتك منهم، فعنها على هذين القولين يتعلق بيسئلونك، وقيل: المعنى يسألونك كأنك حفي بالسؤال عنها.

ربع

﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴿١٨٨﴾ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن ءاتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين ﴿١٨٩﴾ فلما ءاتاهما صالحا جعلا له شركا فيما ءاتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴿١٩٠﴾ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴿١٩١﴾ ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ﴿١٩٢﴾ وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ﴿١٩٣﴾ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ﴿١٩٤﴾ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم ءاذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ﴿١٩٥﴾

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ براءة من علم الغيب، واستدلال على عدم علمه. ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ عطف على لاستكثرت من الخير، أي لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير واحترست من السوء، ولكن لا أعلمه فيصيبني ما قدر لي من الخير والشر، وقيل: إن قوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ استئناف إخبار، و﴿السُّوءُ﴾ على هذا هو الجنون واتصاله بما قبله أحسن. ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يجوز أن يتعلق ببشير ونذير معا، أي أبشر المؤمنين وأنذرهم، وخص بهم البشارة والنذارة؛ لأنهم الذين ينتفعون بها، ويجوز أن يتعلق بالبشارة وحدها، ويكون المتعلق بنذير محذوف، أي نذير للكافرين، والأول أحسن.

﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم. ﴿زَوْجَهَا﴾ يعني حواء. ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ يميل إليها ويستأنس بها. ﴿تَغَشَّاهَا﴾ كناية عن الجماع. ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ أي خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الأذى والكرب، وقيل: الحمل الخفيف المني في فرجها. ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ قيل: معناه استمرت به إلى حين ميلاده، وقيل: معناه قامت وقعدت. ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَت﴾ أي ثقل حملها وصارت به ثقيلة. ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ أي ولدا صالحا سالما في بدنه.

﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شِرْكًا فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ أي لما آتاهما ولدا صالحا

كما طلبا جعل أولادهما له شركا، فالكلام على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك: ﴿فِيمَا ءَاتَنٰهُمَا﴾ أي فيما آتى أولادهما وذريتهما، وقيل: إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها: إن أطعتيني وسميت ما في بطنك عبد الحارث فسأخلصه لك، وكان اسم إبليس الحارث، وإن عصيتيني في ذلك قتلته فأخبرت بذلك آدم، فقال لها: إنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة، فلما ولدت مات الولد، ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك فعصته فمات الولد، ثم حملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث طمعا في حياته، فقوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَا ءَاتَنٰهُمَا﴾ أي في التسمية لا غير، لا في عبادة غير الله، والقول الأول أصح لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والثاني: أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته، لقوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بضمير الجمع.

والثالث: أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة.

وقيل: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هو قصي بن كلاب وزوجته، و﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ أي سموا أولادهما عبد العزى، وعبد الدار، وعبد مناف، وهذا القول بعيد لوجهين:

أحدهما: أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصي من قريش، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم.

والآخر: قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فإن هذا يصح في حواء لأنها خلقت من ضلع آدم، ولا يصح في زوجة قصي.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ هذه الآية رد على المشركين من بني آدم، والمراد بقوله: ﴿مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً﴾ الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله، والمعنى: أنها مخلوقة غير خالقة والله تعالى خالق غير مخلوق، فهو الإله وحده.

﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ المعني أن الأصنام لا ينصرون من عبدهم ولا ينصرون أنفسهم، فهم في غاية العجز والذلة، فكيف يكونون آلهة.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لاَ يَتَّبِعُوكُمْ﴾ المعني: أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدي، أو إلى أن تهتدي؛ لأنها جمادات. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ تأكيد وبيان لما قبلها، فإن قيل: لم قال: ﴿أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ فوضع الجملة الاسمية موضع الجملة الفعلية، وهلا قال: أو صمتم؟ فالجواب: أن صمتهم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة، فعبر عنها بجملة اسمية لتقتضي الاستمرار على ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ رد على المشركين بأن آلهتهم عباد، فكيف يعبد العبد مع ربه؟. ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾ أمر على جهة التعجيز.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ وما بعده، معناه: أن الأصنام جمادات عادمة للحس والجوارح والحياة والقدرة، ومن كان كذلك لا يكون إلها، فإن من وصف الإله: الإدراك، والحياة، والقدرة، وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام؛ لأن المشركين مقرون أن أصنامهم لا تمشي، ولا تبطش، ولا تبصر، ولا تسمع، فلزمتهم الحجة، والهمزة في قوله: ﴿أَلَهُمْ﴾ للاستفهام مع التوبيخ، وأم في المواضع الثلاثة تضمنت معنى الهمزة، ومعنى بل وليست عاطفة. ﴿قُلِ ادْعُواْ

شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ المعنى: استنجدوا أصنامكم لمضرتي والكيد علي ولا تؤخروني، فإنكم وأصنامكم لا تقدرون على مضرتي، ومقصد الآية: الرد عليهم ببيان عجز أصنامهم، وعدم قدرتها على المضرة، وفيها أيضا إشارة إلى أن التوكل على الله والاعتصام به وحده، وأن غيره لا يقدر على شيء، ثم أفصح بذلك في قوله:

إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ
أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ
وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ۞ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا
هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا
يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا
قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ
فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ﴾ الآية، أي هو حافظي وناصري منكم فلا تضروني ولو حرصتم أنتم وآلهتكم على مضرتي، ثم وصف الله بأنه الذي أنزل الكتاب وبأنه يتولى الصالحين، وفي هذين الوصفين استدلال على صدق النبي ﷺ بإنزال الكتاب عليه، وبأن الله تولى حفظه ومن تولى حفظه فهو من الصالحين، والصالح لا بد أن يكون صادقا في قوله، ولا سيما فيما يقوله على الله.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ الآية، رد على المشركين وقد تقدم معناه.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ﴾ يحتمل أن يريد الأصنام فيكون تحقيرا لها وردا على من عبدها فإنها جمادات موات لا تسمع شيئا فيكون المعنى كالذي تقدم، أو يريد الكفار ووصفهم بأنهم لا يسمعون يعني سماعا ينتفعون به لإفراط نفورهم، أو لأن الله طبع على قلوبهم. ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ إن كان هذا من وصف الأصنام، فقوله: ينظرون مجاز، وقوله: لا يبصرون حقيقة لأن

لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئا، وإن كان من وصف الكفار فينظرون حقيقة ولا يبصرون مجاز على وجه المبالغة كما وصفهم بأنهم لا يسمعون.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى خذ من الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما تيسر لا ما يشق عليهم؛ لئلا ينفروا فالعفو على هذا بمعنى السهل والسمح عنهم وهو ضد الجهل والتكليف كقول الشاعر: (خذي العفو مني تستديمي مودتي[١])

والآخر: أن المعنى خذ في الصدقات ما سهل على الناس من أموالهم، أو ما فضل لهم وذلك قبل فرض الزكاة، فالعفو على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة. ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ أي بالمعروف وهو فعل الخير، وقيل: العفو الجاري بين الناس من العوائد، واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي لا تكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم واحلم عنهم، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ جبريل عنها، فقال: لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يامحمد: إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك[٢]، وعن جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ فيها بمكارم الأخلاق[٣]، وهي على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح، وقيل: كانت مداراة

---

(١) هذا شطر بيت، وهو بتمامه كما يلي:

خـذي العفـو منـي تسـتديمي مـودتي ... ولا تنطقـي فـي سـورتي حـين أغضـب

نسبه ابن عطية لحاتم الطائي، كما في المحرر الوجيز: ٥٦٣/٢، وبعده:

فإني وجدت الحب في الصدر والأسى ... إذا اجتمعـا لـم يلبـث الحـب يـذهب

والبيتان ينسبان أيضا لأبي الأسود الدؤلي، كما ينسبان لشريح بن الحارث القاضي.

(٢) شرح السنة للبغوي: ٢٧٦/٦، ومصنف عبد الرزاق الحديث رقم: (٢٠٢٣٧)..

(٣) قال ابن حجر في الفتح: ١٥٦/٨، وروي عن جعفر الصادق قال ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها، وذكره القرطبي في تفسيره: ٣٤٥/٧.

للكفار ثم نسخت بالقتال.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ نزغ الشيطان وسوسته بالتشكيك في الحق والأمر بالمعاصي أو تحريك الغضب فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك كما ورد في الحديث أن رجلا اشتد غضبه فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»[1].

﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ معناه لمة منه، كما جاء: «**إن للشيطان لمة وللملك لمة**»[2] ومن قرأ[3] طائف بالألف فهو اسم فاعل، ومن قرأ طيف بياء ساكنة فهو مصدر، أو تخفيف من طيف المشدد كميت وميت ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ حذف مفعوله ليعم كل ما يتذكر من خوف عقاب الله، أو رجاء ثوابه، أو مراقبته، أو الحياء منه، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه، والنظر والاعتبار، وغير ذلك. ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ هو من بصيرة القلب.

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ الضمير في إخوانهم للشياطين وأريد بقوله: طائف من الشيطان الجنس، فلذلك أعيد عليه ضمير الجماعة، وإخوانهم هم الكفار ومعنى يمدونهم: يكونون مددا لهم، أي يعضدونهم وضمير المفعول في يمدونهم للكفار، وضمير الفاعل للشيطان، ويحتمل أن يريد بالإخوان الشياطين ويكون الضمير في إخوانهم للكفار، والمعنى على الوجهين: أن الكفار يمدهم الشيطان، وقرئ يمدونهم بضم الياء وفتحها والمعنى واحد، و﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾ يتعلق بيمدونهم، وقيل: يتعلق بإخوانهم كما تقول إخوة في الله أو في الشيطان. ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أي لا يقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم من الكفار، أو لا يقصر الكفار عن غيهم،

(١) صحيح رواه البخاري الحديث رقم: (٦١١٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٩٦١٠)، والبغوي في شرح السنة: ٥/١٣٣٣.

(٢) سنن الترمذي الحديث رقم: (٢٩٨٨)، والنسائي في السنن الكبرى الحديث رقم: (١١٠٥١)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٩٩٧).

(٣) (طائف) قرأ البصريان وابن كثير والكسائي بياء ساكنة والباقون بألف بعد الطاء النشر ٢/٣١٠.

وفي الآية من أدوات البيان: لزوم ما لا يلزم من التزام، الصاد قبل الراء في ﴿مُبْصِرُونَ﴾ و﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ الضمير في لم تأتهم للكفار ولولا هنا عرض وفي معنى اجتبيتها قولان:

أحدهما: اخترعتها من قبل نفسك، فالآية على هذا من القرآن وكان النبي ﷺ يتأخر عنه الوحي أحيانا فيقول الكفار: هلا جئت بقرآن من قولك.

والآخر: معناه طلبتها من الله وتخيرتها عليه، فالآية على هذا معجزة، أي يقولون: اطلب المعجزة من الله.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ معناه لا أخترع القرآن على القول الأول، ولا أطلب آية من الله على القول الثاني. ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ﴾ أي علامات وهدى، والإشارة إلى القرآن.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة.

والثاني: أنه الإنصات للخطبة.

والثالث: أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق وهو الراجح لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ عام، ولا دليل على تخصيصه.

والثاني: أن الآية مكية والخطبة إنما شرعت بالمدينة.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قال بعضهم: الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية.

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان، أو

الذكر باللسان سرا، فعلى الأول يكون قوله: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ عطف متغاير، أي حالة أخرى وعلى الثاني يكون بيانا وتفسيرا للأول. ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ أي في الصباح والعشي، والآصال جمع أصل والأصل جمع أصيل، قيل: المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل: صلاة المسلمين، وقيل: فرض الخمس، والأظهر الإطلاق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة عليهم السلام، وفي ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض بالكفار. ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ قدم المجرور لمعنى الحصر أي لا يسجدون إلا له وحده.

*** *** ***

سُورَةُ الأَنفَالِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ۞ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

ربع

سورة الأنفال

نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغنائمها[1].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والسائلون: هم الصحابة، والأنفال هي الغنائم وذلك أن الصحابة كانوا يوم بدر ثلاث فرق: فرقة مع النبي ﷺ في العريش تحرسه وتؤنسه، وفرقة اتبعوا المشركين يقتلونهم ويأسرونهم، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكره لما انهزموا، فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم فنزلت الآية، ومعناها: يسئلونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها، وقيل: الأنفال هنا ما ينفله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه، وقد اختلف الفقهاء: هل يكون هذا التنفيل من الخمس؟ وهو قول مالك، أو من الأربعة الأخماس؟ أو من رأس الغنيمة قبل إخراج الخمس؟. ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي الحكم فيهما لله وللرسول لا لكم. ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي اتفقوا وائتلفوا ولا تنازعوا وذات هنا بمعنى الأحوال قاله الزمخشري[2]، وقال ابن

(١) صحيح من حديث عبادة أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (١٥٦١)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٨٥٢)، وأحمد في مسنده: ٥/٣١٨، وقال ابن شاكر في تعليقه على الطبري: ١٣/٣٦٨، وهو خبر صحيح الإسناد.

(٢) قال الزمخشري: فإن قلت: ما حقيقة قوله: ﴿ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾؟ قلت: أحوال بينكم، يعني ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق، كقوله: ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]،=

عطية[1]: يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته، وقال الزبيدي: إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب. ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ يريد في الحكم في الغنائم، قال عبادة بن الصامت: نزلت فينا[2] أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسول الله ﷺ فقسمها على السواء، فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية، أي الكاملوا الإيمان فإنما هنا للتأكيد والمبالغة والحصر. ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي خافت، وقرأ أبي بن كعب[3] فزعت. ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي قوي تصديقهم ويقينهم، خلافا لمن قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وإن زيادته إنما هي بالعمل.

﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ يعني في الجنة.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون الكاف في موضع رفع على أنه خبر مبتدإ محذوف تقديره: هذه الحال كحال إخراجك، يعني أن حالهم في كراهة تنفيل الغنائم كحالهم في حالة خروجك للحرب.

والثاني: أن يكون في موضع الكاف نصب على أنه صفة لمصدر الفعل

= وهي مضمراتها. لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها: ذات البين، كقولهم: اسقني ذا إنائك، يريدون ما في الإناء من الشراب. الكشاف: ٢/١٨٥.

(١) قال ابن عطية: و﴿ذات﴾ في هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته، والذي يفهم من ﴿بينكم﴾ هو معنى يعم جميع الوصل والالتحامات والمودات، وذات ذلك هي المأمور بإصلاحها أي نفسه وعينه، فحض الله ﷻ على إصلاح تلك الأجزاء، فإذا صلحت تلك حصل إصلاح ما يعمها وهو البين الذي لهم.. المحرر الوجيز: ٢/٥٧٢.

(٢) قد مضى تخريجه قبل قليل.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢/٥٧٣.

المقدر في قوله الأنفال لله والرسول، أي استقرت الأنفال لله والرسول استقرارا مثل استقرار خروجك.

والثالث: أن تتعلق الكاف بقوله يجادلونك.

﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾ يعني مسكنه بالمدينة إذ أخرجه الله لغزوة بدر. ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ﴾ أي كرهوا قتال العدو، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها أموال عظيمة ومعها أربعون راكبا فأخبر بذلك جبريل النبي ﷺ فخرج بالمسلمين فسمع بذلك أهل مكة فاجتمعوا وخرجوا في عدد كثير ليمنعوا عيرهم فنزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا محمد إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريش، فاستشار النبي ﷺ أصحابه فقالوا العير أحب إلينا من لقاء العدو، فقال: إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل، فقال له سعد بن عبادة: امض لما شئت فإنا متبعوك[(١)]، وقال سعد بن معاذ: والذي بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك فسر بنا على بركة الله[(٢)].

﴿يُجَادِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ كان جدالهم في لقاء قريش بإيثارهم لقاء العير إذ كانت أكثر أموالا وأقل رجالا، وتبين الحق هو إعلام رسول الله ﷺ بأنهم ينصرون. ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ تشبيه لحالهم في إفراط جزعهم من لقاء قريش.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ يعني قريشا أو عيرهم، والعامل في إذ محذوف تقديره: اذكروا. ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل من إحدى الطائفتين. ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ

(١) قال الحافظ في الفتح: ٣٣٦/٧ سعد بن عبادة لم يشهد بدرا، وعليه فإن هذه المقالة لسعد بن معاذ، كما روي من طرق أخرجها البيهقي في دلائل النبوة: ٣١/٣، وتفسير ابن كثير: ٦٦٤/٣، وفيه: «ولئن سرت بنا حتى تأتي «بَرْك الغماد» من ذي يمن لنسيرن معك». الطبري في جامع البيان: ٣٩٩/١٣.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٤٠٠/١٣، وابن كثير في تفسيره: ١٧/٤.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ
رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
ثمن ● إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ
النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ
يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ
بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

﴿غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ الشوكة: عبارة عن السلاح، سميت بذلك لحدتها، والمعنى: تحبون أن تلقوا الطائفة التي لا سلاح لها، وهي العير. ﴿أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ يعني يظهر الإسلام بقتل الكفار وإهلاكهم يوم بدر.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك، وليس تكرارا للأول؛ لأن الأول مفعول يريد وهذا تعليل لفعل الله تعالى، ويحتمل أن يريد بالحق الأول الوعد بالنصرة وبالحق الثاني الإسلام، فيكون المعنى أنه نصرهم ليظهر الإسلام ويؤيد هذا قوله: ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أي يبطل الكفر.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ إذ بدل من إذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق أو بفعل مضمر واستغاثتهم دعاؤهم بالغوث والنصر. ﴿مُمِدُّكُم﴾ أي مكثركم. ﴿مُرْدَفِينَ﴾ من قولك ردفه إذا تبعه وأردفته إياه إذا أتبعته إياه، والمعنى: يتبع بعضهم بعضا، فمن قرأه[1] بفتح الدال فهو اسم مفعول، ومن قرأه بالكسر فهو اسم فاعل، وصح معنى القراءتين لأن الملائكة المنزلين يتبع بعضهم بعضا، فمنهم تابعون ومتبوعون.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ الضمير عائد على الوعد، أو على الإمداد بالملائكة.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ إذ بدل من إذ يعدكم، أو منصوب بالنصر، أو بما

(١) مردفين قرأ المدنيان ويعقوب بفتح الدال والباقون بكسرها. النشر ٢/٣١٠

عند الله من معنى النصر، أو بإضمار فعل تقديره: اذكر، ومن قرأ[١] يغشاكم بضم الياء والتخفيف فهو من أغشى، ومن قرأ بالضم والتشديد فهو من غشي المشدد، وكلاهما يتعدى إلى مفعولين، فنصب النعاس على أنه المفعول الثاني، والمعنى: يغطيكم به، فهو استعارة من الغشاء، ومن قرأ بفتح الياء والشين فهو من غشي المتعدي إلى واحد، أي ينزل عليكم النعاس. ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أي أمنا، والضمير المجرور يعود على الله تعالى، وانتصاب أمنة على أنه مفعول من أجله، قال ابن مسعود[٢]: النعاس عند حضور القتال علامة أمن من العدو. ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ تعديد لنعمة أخرى، وذلك أنهم عدموا الماء في غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر، وقيل: بعد وصولهم فأنزل الله لهم المطر حتى سالت الأودية. ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ كان منهم من أصابته جنابة فتطهر بماء المطر وتوضأ به سائرهم، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطهر ولا للوضوء. ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ كان الشيطان قد ألقى في نفوس بعضهم وسوسة بسبب عدم الماء، فقالوا: نحن أولياء الله وفينا رسوله، فكيف نبقى بلا ماء؟ فأنزل الله المطر، وأزال عنهم وسوسة الشيطان. ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي يثبتها بزوال ما وسوس لها الشيطان وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها. ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ الضمير في به عائد على الماء وذلك أنهم كانوا في رملة دعصة لا يثبت فيها قدم، فلما نزل المطر: تلبدت وترمت الطريق، وسهل المشي عليها والوقوف، وروى: أن ذلك المطر بعينه صعب الطريق على المشركين فتبين أن ذلك من لطف الله.

﴿إِذْ يُوحِى﴾ يحتمل أن يكون ذلك بدلا من إذ المتقدمة، كما أنها بدل من

---

(١) واختلفوا في ﴿يغشيكم النعاس﴾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والشين وألف بعدها لفظاً ﴿النعاس﴾ بالرفع وقرأ المدنيان بضم الياء وكسر الشين، وياء بعدها ﴿النعاس﴾ بالنصب وكذلك قرأ الباقون إلا أنهم فتحوا الغين وشددوا الشين. النشر: ٢/٣١٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ١/٢٢٦ كما في الزيلعي: ٢/١٥، والطبري في جامع البيان: ١٣/١٥٧٥٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٦٦٤ بإسناد ضعيف.

التي قبلها، أو يكون العامل فيه يثبت. ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يحتمل أن يكون التثبيت بقتال الملائكة مع المؤمنين، أو بأقوال مؤنسة مقوية للقلب قالوها إذ تصوروا بصور بني آدم، أو بإلقاء الأمن في نفوس المؤمنين. ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ يحتمل أن يكون من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر تكميلا لتثبيت المؤمنين أو استئناف إخبار عما يفعله الله في المستقبل. ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ يحتمل أيضا أن يكون خطابا للملائكة أو للمؤمنين، ومعنى فوق الأعناق: أي على الأعناق حيث المفصل بين الرأس والعنق؛ لأنه مذبح، والضرب فيها يطير الرأس، وقيل: المراد الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق، وقيل: المراد الأعناق، وفوق زائدة. ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ قيل: هي المفاصل، وقيل: الأصابع وهو الأشهر في اللغة، وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال، فأمكن أسره وقتله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الإشارة إلى ما أصاب الكفار يوم بدر، والباء للتعليل، وشاقوا من الشقاق، وهو العداوة والمقاطعة.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ الخطاب هنا للكفار، وذلكم مرفوع تقديره: ذلكم العقاب أو العذاب، ويحتمل أن يكون منصوبا بقوله: فذوقوه، كقولك: زيدا فاضربه. ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ عطف على ذلكم على تقدير رفعه أو نصبه، أو مفعول معه والواو بمعنى مع.

﴿زَحْفاً﴾ حال من الذين كفروا أو من الفاعل في لقيتم، ومعناه: متقابلي الصفوف والأشخاص، وأصل الزحف الاندفاع. ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ نهي عن الفرار مقيد بأن يكون الكفار أكثر من مثلي المسلمين حسبما نذكره في موضعه.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم اللقاء في أي عصر كان. ﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ﴾ هو الكر بعد الفر ليرى عدوه أنه منهزم، ثم يعطف عليه وذلك من الخداع في

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوَهِّنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ
شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ
وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ربع
سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ
ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ
خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ
لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ
وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

الحرب. ﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أي منحازا إلى جماعة من المسلمين، فإن كانت الجماعة حاضرة في الحرب فالتحيز إليها جائز باتفاق، واختلف في التحيز إلى المدينة والإمام والجماعة إذا لم يكن شيئا من ذلك حاضرا، وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: «أنا فئة لكل مسلم»[1]، وهذا إباحة لذلك. والفرار من الذنوب الكبائر، وانتصب قوله متحرفا على الاستثناء من قوله: ومن يولهم، وقال الزمخشري[2]: انتصب على الحال، وإلا لغو، ووزن متحيز متفيعل، ولو كان على متفعل لقال متحوز؛ لأنه من حاز يحوز.

﴿فَلَمْ تَقْتُلوهُمْ﴾ أي لم يكن قتلهم في قدرتكم؛ لأنهم أكثر منكم وأقوى، ولكن الله قتلهم بتأييدكم عليهم وبالملائكة. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ كان رسول الله ﷺ: «قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب وحصى ورمى بها وجوه الكفار فانهزموا»[3] فمعنى الآية أن ذلك من الله في الحقيقة. ﴿بَلَآءً حَسَناً﴾ يعني الأجر والنصر والغنيمة.

﴿مُوَهِّنُ﴾ من الوهن وهو الضعف وقرئ[4] بالتشديد والتخفيف،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٦٧١، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٢/٥٣٧، والبيهقي في الكبرى: ٩/٧٧.

(٢) الكشاف: ٢/١٩٠.

(٣) صحيح وهو من حديث حكيم بن حزام أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٣/٢٠٣.

(٤) ﴿موهن كيد﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو ﴿موهن﴾ بتشديد الهاء بالتنوين ونصب=

والمعنى واحد.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ الآية خطاب لكفار قريش وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحب الطائفتين إليه، وروي: أن الذي دعا بذلك أبو جهل فنصر الله المؤمنين وفتح لهم، ومعنى إن تستفتحوا: تطلبوا الفتح، ويحتمل أن يكون الفتح الذي طلبوه بمعنى النصر، أو بمعنى الحكم، وقيل: إن الخطاب للمؤمنين. ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ إن كان الخطاب للكفار فالفتح هنا بمعنى النصر، أو بمعنى الحكم أي قد جاءكم الحكم الذي حكم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر، وإن كان الخطاب للمؤمنين فالفتح هنا يحتمل أن يكون بمعنى الحكم؛ لأن الله حكم لهم، أو بمعنى النصر ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ أي ترجعوا عن الكفر وهذا يدل على أن الخطاب للكفار. ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ أي إن تعودوا إلى الاستفتاح أو القتال نعد لقتالكم والنصر عليكم.

﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ الضمير لرسول الله ﷺ، أو للآمر بالطاعة. ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي تسمعون القرآن والمواعظ.

﴿كَالَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ هم الكفار، أي: سمعوا بآذانهم دون قلوبهم، فسماعهم كلا سماع.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ﴾ أي كل من يدب، والمقصود أن الكفار شر الخلق، قال ابن قتيبة[1]: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار؛ فإنهم جدوا في القتال مع المشركين.

= (كيد) وروي بالتخفيف من غير تنوين وخفض كيد على الإضافة، وقرأ الباقون بالتخفيف وبالتنوين ونصب كيد. النشر ٢/٣١١.

(١) صحيح عن قتادة كما في الدر: ٤/٤٣، وجاء عن ابن عباس دون أنه سبب نزول، ففي البخاري: الحديث رقم: (٤٣٦٩) ـ حدثنا محمد بن يوسف حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾. قال: هم نفر من بني عبد الدار، والطبري في جامع البيان: ١٣/٤٦٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٦٧٧.

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن
يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ
وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ
وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ
أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ
﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ
نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ
عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ
اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي للطاعة، وقيل: للجهاد لأنه يحيا بالنصر. ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قيل: يميته، وقيل: يصرف قلبه كيف يشاء، فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان، وشبه ذلك.

﴿فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ أي لا تصيب الظالمين وحدهم بل تصيب معهم من لم يغير المنكر ولم ينه عن الظلم وإن كان لم يظلم، وحكى الطبري[1]: أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وطلحة والزبير، وأن الفتنة ما جرى لهم يوم الجمل، ودخلت النون في تصيبن لأنه بمعنى النهي.

﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ الآية أي حين كانوا بمكة وآواكم بالمدينة وأيدكم بنصره في بدر وغيرها.

﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ نزلت في قصة أبي لبابة[2] حين أشار إلى بني قريظة أن ليس عند رسول الله ﷺ إلا الذبح، وقيل: المعنى لا تخونوا بغلول الغنائم ولفظها عام. ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ عطف على لا تخونوا أو منصوب.

---

(١) ضعيف مرسل عن الحسن الطبري: ١٣/٤٧٣ قال الذهبي: ومن أوهى المراسيل عندهم مراسيل الحسن. الموقظة في مصطلح الحديث، ص: ٢٨.

(٢) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ٣/٢٠٧.

﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي تفرقة بين الحق والباطل، وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عطف على إذ أنتم قليل، أو استئناف، وهي إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدي الحديث بطوله. ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي ليسجنوك.

﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ قيل: نزلت[١] في النضر بن الحارث، كان قد تعلم من أخبار فارس والروم، فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال: لو شئت لقلت مثل هذا، وقيل: هي في سائر قريش. ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي أخبارهم المسطورة.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾ الآية، قالها النضر بن الحارث، أو سائر قريش لما كذبوا النبي ﷺ دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق، والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل رواه البخاري ومسلم في كتابيهما[٢] وانتصب الحق لأنه خبر كان، وقال الزمخشري[٣]: معنى كلامهم جحود، أي إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابا، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم، إنما مرادهم نفي العقوبة عن أنفسهم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ إكراما للنبي ﷺ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ

(١) حسن وهو من أثر ابن جريج وسعيد بن المسيب أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣/٥٠٢، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٦٨٩.

(٢) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٦٤٨)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٩٦)، والبغوي في معالم التنزيل: ٣/٣٥٢، والواحدي في أسبابه، ص: ١٩٨.

(٣) قال الزمخشري: وهذا أسلوب من الجحود بليغ، يعني: إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل، كما فعلت بأصحاب الفيل، أو بعذاب آخر. ومراده نفي كونه حقاً، وإذا انتفى كونه حقاً لم يستوجب منكره عذاباً فكان تعليق العذاب بكونه حقاً مع اعتقاد أنه ليس بحق، كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطل حقاً، فأمطر علينا حجارة. وقوله: (هُوَ الْحَقُّ) تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين: هذا هو الحق. الكشاف: ٢/٢٠٥.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ
تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ
الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ
جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ
سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ
لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

﴿مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمان من العذاب، قال بعض السلف[1]: كان لنا أمانان من العذاب، وهما: وجود النبي ﷺ، والاستغفار، فلما مات النبي ﷺ ذهب الأمان الواحد، وبقي الآخر، وقيل: الضمير في يعذبهم للكفار وفي وهم يستغفرون للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ المعنى: أي شيء يمنع من عذابهم وهم يصدون أي يمنعون المؤمنين من المسجد الحرام؟ والجملة في موضع الحال وذلك من الموجب لعذابهم. ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ الضمير للمسجد الحرام، أو لله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ المكاء: التصفير بالفم، والتصدية: التصفيق باليد، وكانوا يفعلونهما إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم.

﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ الآية نزلت[2] في اتفاق قريش في غزوة أحد، وقيل: إنها

(١) جاء هذا من أثر ابن عباس الطبري في جامع البيان: ٥١٢/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٦٩١/٥، وأبي موسى كما في الطبري: ١٣٥١٥، وأخرج الترمذي في سننه رقم: (٣٠٨٢) قال رسول الله ﷺ: «أنزل الله علي أمانين لأمتي ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة» قال الترمذي غريب، قال العلماء: له شواهد يصل بها إلى درجة الحسن.

(٢) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٣٢/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٦٩٨/٥،=

نزلت[١] في أبي سفيان بن حرب، فإنه استأجر العير من الأحباش فقاتل بهم النبي ﷺ يوم أحد. ﴿تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي يتأسفون على إنفاقها من غير فائدة، أو يتأسفون في الآخرة. ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ إخبار بالغيب.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ معنى يميز يفرق بين الخبيث والطيب، والخبيث هنا: الكفار والطيب: المؤمنون، وقيل: الخبيث ما أنفقه الكفار، والطيب ما أنفقه المؤمنون، واللام في ليميز على هذا تتعلق بيغلبون، وعلى الأول بيحشرون. ﴿فَيَرْكُمَهُ﴾ أي يضمه ويجعل بعضه فوق بعض.

﴿إِن يَنتَهُوا﴾ يعني عن الكفر إلى الإسلام؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، ولا تصح المغفرة إلا به. ﴿وَإِن يَعُودُوا﴾ يعني إلى القتال. ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ تهديد بما جرى لهم يوم بدر، وبما جرى للأمم السالفة.

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الفتنة هنا الكفر، فالمعنى: قاتلوهم حتى لا يبقى كافر وهو كقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»[٢].

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن المنذر: ٤/٦٣.

(١) ضعيف وهو عن سعيد بن جبير، قال نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بني كنانة فقاتل بهم النبي ﷺ وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك:

وجئنا إلى موج من البحر وسطه ... أحابيش منهم حاسر ومقنع

ثلاثة آلاف ونحن نصية ... ثلاث مئين إن كثرنا فأربع

الطبري في جامع البيان: ١٣/٥٣٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٦٩٧، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٤/٦٣.

(٢) صحيح متواتر أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٦٩٢٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٠)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (١٥٥٦)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٦٠٧)، والنسائي في سننه: ٥/١٤، وأحمد في المسند: ١/١١ قال السيوطي في الجامع الصغير: متواتر: ١/١٠٢، وقال المناوي: في الفيض: ٢/١٨٩ معلقا على كلام السيوطي: لأنه رواه خمسة عشر صحابيا.

• وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ
السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (٤١) إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ
الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ
فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا
(٤٢) لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ
وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٣) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ
قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي
الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٤)
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٦)

﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ لفظه عام يراد به الخصوص؛ لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار، منها: ما يخمس، وهو ما أخذ على وجه الغلبة بعد القتال.

ومنها: ما لا يخمس بل يكون جميعه لمن أخذه وهو ما أخذه من كان ببلاد الحرب من غير إيجاف، وما طرحه العدو خوف الغرق.

ومنها: ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته ويصرف سائره في مصالح المسلمين، وهو الفيء الذي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب. ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ الآية، اختلف في قسم الخمس على هذه الأصناف، فقال قوم: يصرف على ستة أسهم: سهم لله في عمارة الكعبة، وسهم للنبي ﷺ في مصالح المسلمين، وقيل: للوالي بعده، وسهم لذوي القربى الذين لا تحل لهم الصدقة، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل، وقال الشافعي: على خمسة أسهم ولا يجعل لله سهما مختصا، وإنما بدأ عنده بالله لأن الكل ملكه، وقال أبو حنيفة: على ثلاثة أسهم لليتامى، والمساكين، وابن السبيل خاصة، وقال مالك: الخمس إلى اجتهاد الإمام يأخذ منه كفايته ويصرف الباقي في المصالح. ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ﴾ راجع إلى ما تقدم، والمعنى: إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذكر الله لكم من قسمة الخمس، واعملوا بحسب ذلك ولا تخالفوه. ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني النبي ﷺ، والذي أنزل عليه القرآن والنصر. ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أي التفرقة بين الحق والباطل، وهو يوم

بدر. ﴿ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ يعني المسلمين والكفار.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ العامل في إذ التقى والعدوة شفير الوادي، وقرئ بالضم والكسر وهما لغتان[١]، والدنيا القريبة من المدينة، والقصوى البعيدة. ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني العير التي كان فيها أبو سفيان، وكان قد نكب عن الطريق خوفا من النبي ﷺ، وكان جمع قريش المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير. ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَادِ﴾ أي لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقلتكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم، أو لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي يموت من مات ببدر عن إعذار وإقامة الحجة عليه، ويعيش من عاش بعد البيان له، وقيل: ليهلك من يكفر ويحيى من يؤمن، وقرئ[٢] من حيى بالإظهار والإدغام وهما لغتان.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، كان رسول الله ﷺ قد رأى الكفار في نومه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فقويت أنفسهم[٣] ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾ أي جبنتم عن اللقاء.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ الآية، معناها: أن الله أظهر كل طائفة قليلة في عين الأخرى، ليقع التجاسر على القتال.

﴿رِيحُكُمْ﴾ أي قوتكم ونشاطكم، وذلك استعارة.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ يعني كفار قريش حين خرجوا

---

(١) قرأ ابن كثير والبصريان: (بالعدوة) بكسر العين فيهما، وقرأ الباقون بالضم فيهما. النشر: ٢/٢٧٤، وقرأ الحسن بن أبي الحسن وقتادة وعمرو: (بالعدوة) بفتح العين، المحرر الوجيز: ٢/٥٣٢.

(٢) ﴿من حيي﴾ قرأ المدنيان ويعقوب وخلف والبزي وأبو بكر بياءين ظاهرتين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة وهي رواية عن قنبل... وقرأ مجاهد عن قنبل بياء واحدة مشددة، وبه قرأ الباقون. النشر: ٢/٣١١.

(٣) انظر تفسير البغوي: ٢/١٨.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ • إِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ
إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

لبدر. ﴿بَطَرًا﴾ أي عتوا وتكبرا.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الآية لما خرجت قريش إلى بدر تصور لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك، فقال لهم: إني جار لكم من قومي، وكانوا قد خافوا من قومه ووعدهم بالنصر. ﴿نَكَصَ﴾ أي رجع إلى وراء. ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ رأى الملائكة تقاتل.

﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الذين كانوا بالمدينة، وقيل: الذين كانوا مع الكفار، وهم نفر من قريش منهم: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن ربيعة بن الأسود، وعلي بن أمية بن خلف، والعاصي بن أمية بن الحجاج، وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة. ﴿غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ أي اغتر المسلمون بدينهم، فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ ذلك فيمن قتل يوم بدر. ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أي أستاههم، وقيل: ظهورهم. ﴿وَذُوقُوا﴾ هذا من قول الملائكة لهم تقديره: ويقولون لهم ذوقوا، والقول المحذوف معموله معطوف على يضربون، ويحتمل أن يكون ما بعده من قول الملائكة، أو يكون مستأنفا.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ تقديره عند سيبويه الأمر ذلك، والباء سببية، والمعنى: أن الله لا يغير نعمة على عبيده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصي.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ
يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ كَدَأْبِ
آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ
كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ
فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ
فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ
مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ
﴿٥٩﴾ وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٦٠﴾
• وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ (ربع)
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ
فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٢﴾

﴿كَدَأْبِ﴾ ذكر في آل عمران.

﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ يريد بني قريظة.

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي افعل بهم من النقمة ما يزجر غيرهم.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي نقضا للعهد. ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي رد العهد الذي بينك وبينهم، والمفعول محذوف تقديره: فانبذ إليهم عهدهم. ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي على معادلة، وقيل: معناه أن تستوي معهم في العلم بنقض العهد.

﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ أي لا تظن أنهم فاتوا ونجوا بأنفسهم. ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي لا يفوتون في الدنيا، ولا في الآخرة.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم﴾ الضمير للذين ينبذ لهم العهد، أو للذين لا يعجزون، وحكمه عام في جميع الكفار. ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ألا إن القوة الرمي»[1]. ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ قال الزمخشري[2]: الرباط اسم للخيل التي تربط

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب فضل الرمي والحث عليه الحديث رقم: (١٩١٧)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٥١٤)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٨١٣)، وأحمد: ١٥٦/٤، والبغوي في معالم التنزيل: ٣٧١/٣، وابن حبان: ٧/٤، وأخرجه الطبري في جامع البيان: ٥٧٠/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٧٠٩/٥، وعبد الرزاق في تفسيره: ٢/١، ورجاله ثقات.

(٢) قال الزمخشري: ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى=

في سبيل الله، وقال ابن عطية[1]: رباط الخيل جمع ربط أو مصدر. ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يعني الكفار. ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ يعني المنافقين، وقيل: بني قريظة، وقيل: الجن لأنها تنفر من صهيل الخيل، وقيل: فارس، والأول أرجح لقوله: مردوا على النفاق. ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ قال السهيلي: لا ينبغي أن يقال فيهم شيء لأن الله تعالى قال: لا تعلمونهم فكيف يعلمهم أحد، وهذا لا يلزم؛ لأن معنى قوله: لا تعلمونهم لا تعرفونهم أي لا تعرفون آحادهم وأعيانهم، وقد يعرف صنفهم من الناس، ألا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين.

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ السلم هنا المهادنة، والآية منسوخة بآية القتال في براءة؛ لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قيل: المراد بين قلوب الأوس والخزرج؛ إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام، واللفظ عام.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على اسم الله وقال الزمخشري: مفعول معه والواو بمعنى مع أي حسبك وحسب من اتبعك الله.

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ الآية إخبار يتضمن وعدا بشرط الصبر

= به، كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وعن ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون؟ فقال: يشتري به الخيل، فترابط في سبيل الله ويغزي عليها، فقيل له: إنما أوصى في الحصون، فقال: ألم تسمع قول الشاعر: «إنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لاَ مَدَرُ الْقُرَى» الكشاف: ٢/٢٢٠.

(١) قال ابن عطية: ﴿رباط الخيل﴾ جمع ربط ككلب وكلاب، ولا يكثر ربطها إلا وهي كثيرة، ويجوز أن يكون الرباط مصدرا، من ربط كصاح صياحا ونحوه؛ لأن مصادر الثلاثي غير المزيد لا تنقاس، وإن جعلناه مصدرا من رابط فكأن ارتباط الخيل واتخاذها يفعله كل واحد لفعل آخر له، فترابط المؤمنون بعضهم بعضا، فإذا ربط كل واحد منهم فرسا لأجل صاحبه فقد حصل بينهم رباط، وذلك الذي حض في الآية عليه. المحرر الوجيز: ٢/٦٢٥.

وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ
بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ
بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا
مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ
اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم
مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا
أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن
يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ
اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا
مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

ووجود ثبوت الواحد للعشرة ثم نسخ بثبوت الواحد للاثنين.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي يقاتلون على غير دين ولا بصيرة فلا يثبتون.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ﴾ لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر بحياتهم، وأشار عمر بقتلهم[1]، فنزلت الآية عتابا على استبقائهم[2]. ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي

(١) أورده ابن كثير في تفسيره قال: استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليًّا وعمر فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه منهم قُوَّةً لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عَضُدا، فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمْكنَني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتُمكن عليًّا من عقيل فيضربَ عنقه، وتُمكن حمزة من فلان ـ أخيه ـ فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فَهَوِيَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد ـ قال عمر ـ غدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله، [أخبرني: ما يبكيك أنت وصاحبك؟، فإن وجدتُ بكاء بَكَيتُ، وإن لم أجد بكاء تَباكيتُ لبكائكما! قال النبي ﷺ: للذي عَرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، قد عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة ـ لشجرة قريبة، وأنزل الله ﷻ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ تفسير القرآن العظيم: ١٨/٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٧٦٣)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٦٩٠)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٨١)، وأحمد في المسند: ٣٠/١، والطبري في جامع البيان: ١٥٧٣٤/١٣، وابن حبان: ١١٤/١١، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٣٥/٢، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٧٣٠/٥، وغيرهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي
قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ
فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ
ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ
وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ
بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ
لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ
وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥

ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي يبالغ في القتل. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ عتاب لمن رغب في فداء الأسرى.

﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ الكتاب ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم، وقيل: ما قضاه الله من تحليل الغنائم لهم. ﴿فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾ يريد به الأسرى أو فداؤهم، ولما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ: «لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر»[1].

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ﴾ إباحة للغنائم ولفداء الأسارى.

﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ أي إن علم في قلوبكم إيمانا جبر عليكم ما أخذ منكم من الفدية، قال العباس[2]: في نزلت وكان قد افتدى يوم بدر، ثم أعطاه رسول الله ﷺ من المال ما لا يقدر أن يحمله، فقال: قد أعطاني الله خيرا مما أخذ مني، وأنا أرجو أن يغفر لي.

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾ الآية تهديد لهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى آخر السورة مقصدها بيان منازل المهاجرين والأنصار والذين آمنوا ولم يهاجروا والذين هاجروا بعد الحديبية، فبدأ أولا

(١) تأويل مختلف الحديث: ١/١٥٨، والروض الأنف: ٣/١٣٢.

(٢) صحيح عن ابن عباس الطبري في جامع البيان: ١٤/٧٣، والطبراني في المعجم الكبير: ١١/١٣٧، والحاكم في المستدرك: ٣/٣٢٤ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

بالمهاجرين ثم ذكر الأنصار وهم الذين آووا ونصروا وأثبت الولاية بينهم وهي ولاية التعاون والتناصر، وقيل: هو ولاية الميراث ثم نسخت بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ﴾ لما نفى الولاية بين المؤمنين الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا أمر بنصرهم إن استنصروا بالمؤمنين، إلا إذا استنصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد، فلا ينصرونهم عليهم.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ إلا هنا مركبة من إن الشرطية، ولا النافية والضمير في تفعلوه لولاية المؤمنين ومعاونتهم، أو لحفظ الميثاق الذي في قوله: إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق، أو النصر الذي في قوله: فعليكم النصر، والمعنى: إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ الآية، ثناء على المهاجرين والأنصار ووعد لهم، والرزق الكريم في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْ بَعْدُ﴾ يعني الذين هاجروا بعد الحديبية وبيعة الرضوان. ﴿وَأُوْلُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ قيل: هي ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار، وقال مالك: ليست في الميراث وقال أبو حنيفة: هي في الميراث وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوي الأرحام. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي القرآن، وقيل: في اللوح المحفوظ.

*** *** ***

سُورَةُ التَّوْبَةِ

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ
يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ
فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا
فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ربع
فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ
كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

سورة براءة

وتسمى سورة التوبة، وتسمى أيضا الفاضحة؛ لأنها كشفت أسرار المنافقين، واتفقت المصاحف والقراء على إسقاط البسملة من أولها، واختلف في سبب ذلك، فقال عثمان بن عفان[1]: اشتبهت معانيها بمعاني الأنفال وكانت تدعى القرينتين في زمان رسول الله ﷺ، فلذلك قرنت بينهما، ووضعتهما في السبع الطوال، وكان الصحابة قد اختلفوا: هل هما سورتان أو سورة واحدة؟ فتركت البسملة بينهما لذلك[2]، وقال علي بن أبي

---

(١) أخرجه أبو داود الحديث رقم: (٧٨٦)، والترمذي الحديث رقم: (٣٠٨٦)، والنسائي في الفضائل الحديث رقم: (٣٢)، وأحمد: ١/١/٥٧، وأبو عبيد في الفضائل (٢٨٥)، وابن حبان: ١/٢٣٠، والطبري في جامع البيان: ١/١٠٢، والبغوي في معالم التنزيل: ٤/٧ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند: ١/٣٩٩، وقال: في إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جدا، بل هو حديث لا أصل له، يدور إسناده في كل رواياته على يزيد الفارسي، وفيه تشكيك بمعرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي قراءة وسماعا وكتابة في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان ينفيها برأيه ويثبتها برأيه، وحاشاه من ذلك، فلا علينا إذا قلنا إنه حديث لا أصل له، تطبيقا للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها، بين أئمة الحديث قال السيوطي في تدريب الراوي، ص: ٩٩، في الكلام على أمارات الحديث الموضوع: أن يكون منافيا لدلالة الكتاب القطعية، أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي.

(٢) قال القاضي أبو محمد وهذا القول يضعفه النظر أن يختلف في كتاب الله هكذا، وروي عن=

طالب[1]: البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف، فلذلك لم تبدأ بالأمان.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ المراد بالبراءة التبرؤ من المشركين، وارتفاع براءة على أنه خبر ابتداء، أو مبتدأ. ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تقدير الكلام: براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فمن وإلى متعلقان بالمحذوف لا ببراءة، وإنما أسند العهد إلى المسلمين في قوله: عاهدتم لأن فعل الرسول ﷺ لازم للمسلمين فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين، وكان النبي ﷺ قد عاهد المشركين[2] إلى آجال محدودة فمنهم من وفى فأمر الله أن يتم عهده إلى مدته، ومنهم من نقض أو قارب النقض فجعل له أجل أربعة أشهر، وبعدها لا يكون له عهد.

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي سيروا آمنين أربعة أشهر وهي الأجل الذي جعل لهم، واختلف في وقتها، فقيل: هي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم؛ لأن السورة نزلت حينئذ وذلك عام تسعة، وقيل: هي من عيد الأضحى إلى تمام العشر الأول من ربيع الآخر؛ لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ وذلك أن رسول الله ﷺ بعث تلك السنة أبا بكر الصديق فحج بالناس، ثم بعث بعده علي بن أبي طالب[3] فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة، وقيل: يوم النحر. ﴿غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي لا تفوتونه.

= أبي بن كعب أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بوضع بسم الله الرحمن الرحيم» المحرر الوجيز: ٣/٣.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/٣٣٠ بسند ضعيف.

(٢) صحيح أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٨٧١)، والطبري في جامع البيان: ١٤/١٠٧، وأحمد في المسند: ١/٧٩، والدارمي في سننه الحديث رقم: (١٩٢٥) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال الألباني في الإرواء: ٤/٣٠٣ رجاله كلهم ثقات رجال البخاري فهو صحيح.

(٣) صحيح رواه أحمد: ١/١٠٠، والطبري في جامع البيان: ١٤/١٠٦، وقد سبق.

﴿وَأَذَانٌ﴾ أي إعلام بتبرؤ الله تعالى ورسوله من المشركين. ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ جعل البراءة مختصة بالمعاهدين من المشركين، وجعل الإعلام بالبراءة عاما لجميع الناس، من عاهد ومن لم يعاهد وللمشركين وغيرهم. ﴿ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ هو يوم عرفة، أو يوم النحر، وقيل: أيام الموسم كلها، وعبر عنها بيوم كقولك يوم صفين والجمل، وكانت أياما كثيرة. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تقديره: أذان بأن الله بريء وحذفت الباء تخفيفا، وقرئ[1] إن الله بالكسر لأن الأذان في معنى القول. ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ ارتفع بالعطف على الضمير في بريء، أو بالعطف على موضع اسم إن، أو بالابتداء وخبره محذوف، وقرئ[2] بالنصب عطف على اسم إن، وأما الخفض فلا يجوز فيه العطف على المشركين لأنه معنى فاسد، ويجوز على الجوار أو على القسم، وهو مع ذلك بعيد، والقراءة به شاذة. ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ يعني التوبة من الكفر.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ يريد الذين لم ينقضوا العهد.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ يعني الأشهر الأربعة التي جعلت لهم، فمن قال إنها: شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فهي الحرم المعروفة زاد فيها شوال ونقص رجب، وسميت حرما تغليبا للأكثر، ومن قال: إنها إلى ربيع الثاني فسميت حرما لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ. ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ ناسخة لكل موادعة في القرآن، وقيل: إنها نسخت أيضا ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾، وقيل: بل نسختها هي، فيجوز المن والفداء. ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ معناه

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ جمهور الناس ﴿أن الله بريء﴾ بفتح الألف، على تقدير بأن الله، وقرأ الحسن والأعرج: ﴿إن الله﴾ بكسر الألف على القطع إذ الأذان في معنى القول. المحرر الوجيز: ٣/٨.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بن عرم ﴿رسوله﴾ بالنصب عطفا على لفظ المكتوبة. المحرر الوجيز: ٣/٨.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا
لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ
وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا
ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن
سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠)
فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
(١١) • وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا
فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ
لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢) أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ
وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣)

الأسر، والأخيذ: هو الأسير. ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كل طريق، ونصبه على الظرفية. ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ يريد من الكفر، ثم قرن بالإيمان الصلاة والزكاة فذلك دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة كما فعل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، والآية في معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**»[2]. ﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ تأمين لهم.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ هو من الجوار، أي استأمنك فأمنه حتى يسمع القرآن ليرى: هل يسلم أم لا؟ ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ أي إن لم يسلم فرده إلى موضعه، وهذا الحكم ثابت عند قوم، وقال قوم: نسخ بالقتال.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ لفظه استفهام ومعناه استنكار واستبعاد. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قيل: المراد قريش، وقيل: قبائل بني بكر. ﴿فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ ما ظرفية.

﴿كَيْفَ﴾ تأكيد للأولى، وحذف الفعل بعدها للعلم به، تقديره: كيف يكون لهم عهد. ﴿لَا يَرْقُبُوا۟﴾ أي لا يراعوا. ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ الإل: القرابة، وقيل: الحلف، والذمة العهد. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ استثنى من قضى له بالإيمان.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ
اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن
تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا
مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ
شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ
﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (ربع)
كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا
يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ
آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

﴿أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ أي رؤساء أهله، قيل: إنهم أبو جهل لعنه الله، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وحكى ذلك الطبري[1] وهو ضعيف؛ لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة، والأحسن أنها على العموم. ﴿لَا أَيْمَانَ﴾ أي لا أيمان لهم يوفون بها، وقرئ[2] لا إيمان بكسر الهمزة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ يتعلق بقاتلوا.

﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ قيل: يعني إخراجه من المدينة حين قاتلوه بالخندق وأحد، وقيل: يعني إخراجه من مكة إذ تشاوروا فيه بدار الندوة، ثم خرج هو بنفسه. ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني إذايتهم للنبي ﷺ والمسلمين بمكة.

﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يريد بالقتل والأسر، وفي ذلك وعد للمسلمين بالظفر. ﴿قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قيل: إنهم خزاعة، والإطلاق أحسن.

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ استئناف إخبار بأن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار فيسلم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ الآية معناها أن الله لا يتركهم دون تمحيص يظهر فيه الطيب

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٦٢/١٤ الأثر رقم: (١٦٢٩٤)..

(٢) ﴿لا أيمان لهم﴾ قرأ ابن عامر بكسر الهمزة على أنه مصدره، وقرأ الباقون على أنه جمع: ٣١٢/٢.

من الخبيث، وأم هنا بمعنى بل والهمزة. و﴿يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ أي يعلم ذلك موجبا لتقوم به الحجة. ﴿وَلِيجَةً﴾ أي بطانة.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ أي ليس لهم ذلك بالحق والواجب، وإن كانوا قد عمروها تغليبا وظلما، ومن قرأ مساجد[1] بالجمع أراد جميع المساجد، ومن قرأ بالتوحيد أراد المسجد الحرام. ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ أي أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر، وقيل: الإشارة إلى قولهم في التلبية لا شريك لك إلا شريكا هو لك[2].

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية سببها[3] أن قوما من قريش افتخروا بسقاية الحاج وبعمارة المسجد الحرام فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك، ونزلت الآية[4] في علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن شيبة افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت وعندي مفاتحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية، وقال علي: لقد أسلمت قبل الناس وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ﴾ الآية، قيل: نزلت فيمن ثبط عن الهجرة[5]، ولفظها عام، وكذلك حكمها.

---

(١) ﴿أن يعمروا مساجد الله﴾ قرأ البصريان وابن كثير ﴿مسجد الله﴾ على التوحيد، وقرأ الباقون بالجمع، واتفقوا على الجمع بالحرف الثاني: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ لأنه يريد جميع المساجد. النشر: ٢/٣١٢ المصدر السابق.

(٢) المحرر الوجيز: ٣/١٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٨٧٩)، وأحمد: ٤/٢٦٩، وابن حبان في صحيحه: ١٠/٤٥١، والبغوي في تفسيره: ٤/٢٢، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٠٤، والطبراني في الأوسط: ١/٢٦٦.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٤/١٦٥٦٣ بسند ضعيف.

(٥) ضعيف علقه الواحدي في أسبابه، ص: ٢٠٦، وعلقه البغوي في تفسيره: ٤/٢٤، وعزاه ابن حجر في الكافي الشافي: ٢/٢٥٦ للثعلبي في تفسيره.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ وعيد لمن آثر أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد. ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ قيل: يعني فتح مكة، وقيل: هو إشارة إلى عذاب أو عقاب.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ عطف على مواطن، أو منصوب بفعل مضمر، وهذا أحسن لوجهين:

أحدهما: أن قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ مختص بحنين، ولا يصح في غيره من المواطن فيضعف عطف يوم حنين على المواطن للاختلاف الذي بينهما في ذلك.

والآخر: أن المواطن ظرف مكان ويوم حنين ظرف زمان، فيضعف عطف أحدهما على الآخر، إلا أن يريد بالمواطن الأوقات، وحنين اسم علم لموضع عرف برجل اسمه حنين، وانصرف لأنه مذكر.

﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ كانوا يومئذ اثنا عشر ألفا، فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة[1]، فأراد الله إظهار عجزهم ففر الناس عن رسول الله ﷺ، حتى بقي على بغلته في نفر قليل، ثم استنصر بالله وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار، وقال: «شاهت الوجوه»[2] ونادى بأصحابه فرجعوا

---

(١) البيهقي في الدلائل: ٥/١٢٣، والطبري في جامع البيان: ١٤/١٨٠ بسند حسن وفيه إرسال.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٧٧٧)، وأحمد في مسنده: ١/٢٠٧، وفي فضائل الصحابة رقم: (١٧٧٥)، والنسائي في الكبرى رقم: (٥١٣٤)، وابن جرير الطبري في جامع البيان: ١٤/١٦٥٧٧.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا
وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ
شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ
﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى
الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

إليه، وهزم الله الكفار، وقصة حنين مذكورة في السير. ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي ضاقت على كثرة اتساعها، وما هنا مصدرية.

﴿وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين.

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قيل: إن نجاستهم بكفرهم، وقيل: بالجنابة. ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ نص على منع المشركين وهم عبدة الأوثان من المسجد الحرام، فأجمع العلماء على ذلك، وقاس مالك على المشركين سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، وقاس على المسجد الحرام سائر المساجد، فمنع جميع الكفار من جميع المساجد، وجعلها الشافعي عامة في جميع الكفار خاصة بالمسجد الحرام، فمنع جميع الكفار دخول المسجد الحرام خاصة، وأباح لهم دخول غيره، وقصرها أبو حنيفة على موضع النص فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة، وأباح لهم دخول سائر المساجد، وأباح دخول أهل الكتاب في المسجد الحرام وغيره. ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ يريد عام تسعة من الهجرة، حين حج أبو بكر بالناس، وقرأ عليهم علي سورة براءة. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي فقرا، كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة فخاف الناس قلة القوت بها إذا منع المشركون منها، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله، فأسلمت العرب كلها وتمادى جلب الأطعمة إلى مكة، ثم فتح المسلمون سائر الأمصار.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أمر بقتال أهل الكتاب، ونفى عنهم الإيمان بالله، لقول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر؛ لأن اعتقادهم فيه فاسد، فإنهم لا يقولون بالمعاد والحساب. ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير، وغير ذلك. ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ أي لا يدخلون في الإسلام. ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بيان للذين أمر بقتالهم، وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك لقتال النصارى[1]. ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ اتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى، ويلحق بهم المجوس[2] لقوله ﷺ: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»[3] واختلفوا في قبولها من عبدة الأوثان والصابئين، ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين، وقدرها عند مالك أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهما على أهل الورق، ويؤخذ ذلك من كل رأس. ﴿عَن يَدٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: دفع الذمي لها بيده لا يبعثها مع أحد ولا يمطل بها، كقولك: يدا بيد.

---

(١) مرسل أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٠٠/١٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٧٧٨/٦، والدر المنثور: ١٦٧/٤، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٢) المجوس: عبدة النار.

(٣) أخرجه مالك في الموطإ: ٢٧٨/١، ومن طريقه الشافعي في المسند: ١٣٠/٢، وأبو عبيد في الأموال، ص: ٤٢، والبيهقي: ٨٩/٩، والبغوي: ٣٤/٤، وعبد الرزاق في المصنف: ٦٨/٦ قال ابن عبد البر في التمهيد: ١١٤/٢ هذا حديث منقطع. ولكن يعضده حديث أن عبد الرحمن بن عوف شهد أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر. البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣١٥٦)، وأبو داود الحديث رقم: (٣٠٣٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٥٨٦)، وأحمد في مسنده: ١٩٠/١

و (هجر) اسم بلد في البحرين، يذكر فيصرف وهو الأكثر، ويؤنث فيمنع من الصرف. [المصباح].

الثاني: عن استسلام وانقياد، كقولك: ألقى فلان بيده.

﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أذلاء.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس[1]: إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود، وهم: سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف. وقيل: لم يقلها إلا فنحاص، ونسب ذلك إلى جميعهم؛ لأنهم متبعون لمن قالها، والظاهر أن جماعتهم قالوها؛ إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم. وكان سبب قولهم ذلك أنهم فقدوا التوراة فحفظها عزير وحده فعلمها لهم، فقالوا ما علم الله عزيرا التوراة إلا أنه ابنه، وعزير مبتدأ وابن الله خبره، ومنع عزير التنوين لأنه أعجمي لا ينصرف، وقيل: بل هو منصرف وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وهذا ضعيف، وأما من نونه فجعله عربيا. ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قال أبو المعالي: أطبقت النصارى على أن المسيح إله وابن إله، وذلك كفر شنيع. ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يتضمن معنيين:

أحدهما: إلزامهم هذه المقالة والتأكيد في ذلك.

والثاني: أنهم لا حجة لهم في ذلك، وإنما هو مجرد دعوى كقولك لمن تكذبه: هذا قولك بلسانك.

﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ معنى يضاهون يشابهون، فإن كان الضمير لليهود والنصارى فالإشارة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ للمشركين من العرب إذ قالوا الملائكة بنات الله وهم أول كافر، أو للصابئين، أو لأمم متقدمة، وإن كان الضمير للمعاصرين للنبي ﷺ من اليهود والنصارى، فالذين كفروا من قبل هم أسلافهم المتقدمون. ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاء عليهم، وقيل: معناه لعنهم الله. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ تعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب.

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة: ١/٥٧٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٧٨١.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

حزب

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ أي أطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم. ﴿وَٱلْمَسِيحَ﴾ معطوف على الأحبار والرهبان. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ أي أمرهم بذلك عيسى ومحمد ﷺ.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي يريدون أن يطفئوا نبوءة محمد ﷺ وما جاء به من عبادة الله وتوحيده. ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ إشارة إلى أقوالهم كقولهم: ساحر وشاعر، وفيه أيضا إشارة إلى ضعف حيلتهم فيما أرادوا.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ﴾ الضمير للرسول ﷺ أو للدين وإظهاره جعله أعلى الأديان وأقواها حتى عم المشارق والمغارب، وقيل: ذلك عند نزول عيسى ابن مريم حين لا يبقى دين إلا دين الإسلام.

﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ هو الرشا على الأحكام وغير ذلك. ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ ورد في الحديث: «أن كل ما أديت زكاته فليس بكنز، وما لم تؤد زكاته فهو كنز»[1]، وقال أبو ذر[2] وجماعة من الزهاد: كلما فضل

---

(١) ضعيف جدا أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٨٢/٤، وابن عدي في الكامل: ٤٢٦/٣، والطبراني في الأوسط: ١٠/٣.

(٢) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٤٠٦)، والنسائي: ١١٩١٦/٩، والطبري في جامع البيان: ١٧٦٦١/١٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٧٨٩/٦، وابن سعد في الطبقات: ١٦٦/١٤، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٠٦.

عن حاجة الإنسان فهو كنز. ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ الضمير للأموال والكنوز التي يتضمنها المعنى، وقيل: هي الفضة واكتفى في ذلك بالذهب إذ الحكم فيهما واحد.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ﴾ العامل في الظرف ﴿أَلِيمٍ﴾ أو محذوف. ﴿عَلَيْهَا﴾ الضمير يعود على ما يعود عليه ضمير ينفقونها.

﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ هي الأشهر المعروفة، أولها: المحرم وآخرها ذو الحجة، وكان الذي جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي في اللوح المحفوظ، وقيل: في القرآن، والأول أرجح لقوله: ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾. ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ هي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم. ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ يعني أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب قد تمسكت به حتى غيره بعضهم. ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ الضمير في قوله فيهن للأشهر الحرم تعظيما لأمرها وتغليظا للذنوب فيها وإن كان الظلم ممنوعا في غيرها، وقيل: الضمير للاثنى عشر شهرا وهي الزمان كله والأول أظهر. ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ أي قاتلوهم في الأشهر الحرم، فهذا نسخ لتحريم القتال فيها، وكافة حال من الفاعل أو المفعول.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ وهو تأخير حرمة الشهر إلى الشهر الآخر، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات وكانت محرمة عليهم في الأشهر الحرم فيشق عليهم تركها فيجعلونها في شهر حرام ويحرمون شهرا آخر بدلا منه، وربما أحلوا المحرم وحرموا صفر حتى يكملوا في العام أربعة أشهر محرمة. ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ أي تارة يحلون وتارة يحرمون، ولم يرد العام حقيقة. ﴿لِّيُوَاطِئُوا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في تاريخ المدينة: ٧٥٨/٢ فتح الباري: ٣١٥/٧ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

إِنَّمَا النَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ● إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

ثمن

﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي ليوافقوا عدد الأشهر الحرم وهي أربعة. ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ يعني إحلالهم القتال في الأشهر الحرم.

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا﴾ عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك. ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ عبارة عن تخلفهم وأصل اثاقلتم تثاقلتم.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ﴾ شرط وجزاء وهو العذاب في الدنيا وفي الآخرة.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ شرط وجواب والضمير لرسول الله ﷺ، فإن قيل: كيف ارتباط هذا الشرط مع جوابه؟ فالجواب: أن المعنى إن لم تنصروه أنتم فسينصره الله الذي نصره حين كان ثاني اثنين، فدل بقوله نصره الله على نصره في المستقبل. ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني خروجه من مكة مهاجرا إلى المدينة، وأسند إخراجه إلى الكفار لأنهم فعلوا معه من الأذى ما اقتضى خروجه. ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ هو أبو بكر الصديق. ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ يعني أبا بكر. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يعني بالنصر واللطف. ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ الضمير للرسول ﷺ، وقيل: لأبي بكر؛ لأن النبي ﷺ لم تزل معه السكينة، ويضعف ذلك بأن الضمائر بعدها للرسول ﷺ. ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة يوم بدر وغيره. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾ يريد إذلالها ودحضها. ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ قيل: هي لا إله إلا الله، وقيل: الدين كله.

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم
في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون
﴿٤١﴾ لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك
ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو
استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم
إنهم لكاذبون ﴿٤٢﴾ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين
لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴿٤٣﴾ لا يستأذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ﴿٤٤﴾ إنما
يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ﴿٤٥﴾ * ولو أرادوا ربع
الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴿٤٦﴾ لو خرجوا فيكم
ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم
الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين ﴿٤٧﴾

﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ أمر بالتنفير إلى الغزو، والخفة: استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة، والثقل: من يمكنه بصعوبة، وقال بعض العلماء: الخفيف الغني والثقيل الفقير، وقيل: الخفيف الشاب والثقيل الشيخ، وقيل: الخفيف النشيط والثقيل الكسلان، وهذه الأقوال أمثلة في الثقل والخفة، وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَآءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ الآية.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً﴾ الآية نزلت[1] هي وكثير مما بعدها في هذه السورة في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة وكانت في شدة الحر وطيب الثمار والظلال فثقلت عليهم، فأخبر الله في هذه الآية أن السفر لو كان لعرض من الدنيا، أو إلى مسافة قريبة لفعلوه. ﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ أي الطريق والمسافة. ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إخبار بغيب، وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة يحلفون. ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذبة، أو تخلفهم عن الغزو.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ الآية، كان بعض المنافقين قد استأذن النبي ﷺ في التخلف عن غزوة تبوك فأذن لهم، فعاتبه الله تعالى على إذنه لهم،

(١) ذكره الواحدي في أسبابه، ص: ٢٠٨ بدون سند أنها نزلت في النافقين وكذا البغوي في تفسيره دون إسناد: ٤/٥٤.

وقدم العفو على العتاب إكراما له ﷺ، وقيل: إن قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ ليس لذنب ولا عتاب ولكنه استفتاح كلام، كما تقول: أصلحك الله. ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ كانوا قد قالوا لنستأذنه في القعود فإن أذن لنا قعدنا، وإن كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم، فحينئذ كان يقعد العاصي والمنافق ويسافر المطيع.

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية لا يستأذنك في التخلف عن الغزو لغير عذر من يؤمن بالله واليوم الآخر.

﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي شكت، ونزلت الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ الآية أي لو كانت لهم نية في الغزو لاستعدوا له قبل أوانه. ﴿انبِعَاثَهُمْ﴾ أي خروجهم. ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي كسر عزمهم وجعل في قلوبهم الكسل. ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾ يحتمل أن يكون القائل لهم اقعدوا هو الله تعالى، وذلك عبارة عن قضائه عليهم بالقعود، ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض. ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ أي مع النساء والصبيان وأهل الأعذار، وفي ذلك ذم لهم لاختلاطهم في القعود مع هؤلاء.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي شرا وفسادا. ﴿وَلَأَوْضَعُوا﴾ أي أسرعوا السير، والإيضاع: سرعة السير، والمعنى: أنهم يسرعون للفساد والنميمة. ﴿خِلَالَكُمْ﴾ أي بينكم. ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي يحاولون أن يفتنوكم. ﴿سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ قيل: يسمعون كلامهم، وقيل: يسمعون أخبارهم وينقلونها إليهم.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي طلبوا الفساد، وروي أنها نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه من المنافقين[1]. ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي دبروها من

(١) المحرر الوجيز ٣/٤٢.

لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم
مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ
تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن
قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا
كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ
بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا
طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا
فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ • وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا
أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا
وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

كل وجه، فأبطل الله سعيهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ لما دعا النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك قال الجد بن قيس: ـ وكان من المنافقين ـ ائذن لي في القعود[1] ولا تفتني برؤية بني الأصفر؛ فإني لا أصبر عن النساء. ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي وقعوا في الفتنة التي فروا منها.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك. ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قد حذرنا وتأهبنا من قبل.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أي ما قدر وقضى وهذا رد على المنافقين.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ أي هل تنظرون بنا إلا إحدى أمرين إما الظفر والنصر، وإما الموت في سبيل الله، وكل واحد من الخصلتين حسن. ﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ المصائب وما ينزل من السماء، أو عذاب الآخرة. ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني القتل. ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديد.

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ تضمن الأمر هنا معنى الشرط فاحتاج إلى

---

(١) ضعيف جدا وهو من حديث ابن عباس، الطبراني في الكبير: ٢/٢٧٥، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، الحديث رقم: (٩٦٠٠)، والدر: ٤/١٣، وفيه: أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الجد بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتن ولكن أعينك بمالي، قال: ففيه نزلت: ﴿قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم﴾ قال: لقوله أعينك بمالي: ٤/٢١٧.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ۞ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

ربع

جواب، والمعنى: لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعا أو كرها، والطوع والكره عموم في الإنفاق، أي لن يتقبل على كل حال.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ تعليل لعدم قبول نفقاتهم بكفرهم، ويحتمل أن يكون إنهم كفروا فاعل ما منعهم، أو في موضع مفعول من أجله والفاعل الله.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ قيل: عذابهم في الدنيا بالمصائب، وقيل: ما ألزموا من أداء الزكاة. ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ إخبار بأنهم يموتون على الكفر.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي من المؤمنين. ﴿يَفْرَقُونَ﴾ أي يخافون.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ أي ما يلجأ إليه من المواضع. ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ هي الغيران في الجبال. ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ وزنه مفتعل من الدخول، ومعناه نفق أو سرب في الأرض. ﴿يَجْمَحُونَ﴾ أي يسارعون.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي يعيبك على قسمتها، والآية في المنافقين كالتي قبلها وبعدها، وقيل: هي في ذي الخويصرة الذي قال: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل، فقال رسول الله ﷺ: «ويلك إن لم أعدل فمن يعدل»[1] الحديث.

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٣٤٤)، ومسلم في صحيحه الحديث=

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ﴾ الآية ترغيب لهم فيما هو خير لهم، وجواب لو محذوف، تقديره: لكان ذلك خيرا لهم.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية إنما هنا تقتضي حصر الصدقات وهي الزكاة في هذه الأصناف الثمانية، فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم، ومذهب مالك أن تفريقها في هؤلاء الأصناف إلى اجتهاد الإمام، فله أن يجعلها في بعض دون بعض، ومذهب الشافعي أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء، واختلف العلماء: هل الفقير أشد حاجة من المسكين، أو بالعكس؟ فقيل: هما سواء، وقيل: الفقير الذي يسأل الناس ويعلم حاله، والمسكين ليس كذلك. ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي الذين يقبضونها ويفرقونها. ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ كفار يعطون ترغيبا في الإسلام، وقيل: هم مسلمون يعطون ليتمكن إيمانهم، واختلف: هل بقي حكمهم، أو سقط؛ للاستغناء عنهم؟ ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ يعني العبيد يشترون ويعتقون. ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ يعني من عليه دين، ويشترط أن يكون استدان في غير فساد، ولا إسراف. ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني الجهاد، فيعطى منها المجاهدون ويشترى منها آلات الحرب، واختلف: هل تصرف في بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل؟ ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو الغريب المحتاج. ﴿فَرِيضَةً﴾ أي حقا محدودا ونصبه على المصدر، فإن قيل: لم ذكر مصرف الزكاة في تضاعيف ذكر المنافقين؟ فالجواب: أنه حصر مصرف الزكاة في تلك الأصناف ليقطع طمع المنافقين فيها فاتصلت هذه الآية في المعنى بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ الآية.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ يعني من المنافقين وإذايتهم للنبي ﷺ بالأقوال والأفعال. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي يسمع كل ما يقال له ويصدقه، وروي:

= رقم: (١٠٦٤)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٧٦٤)، والطبري في جامع البيان: ١٤/١٦٨١٧، ومعالم التنزيل: ٤/٦٠، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٠٩، وأحمد في مسنده: ٣/٤.

أن قائل هذه المقالة هو تنبل بن الحارث[1]، وكان من مردة المنافقين، وقيل: عتاب بن قيس. ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي هو يسمع الخير والحق. ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يصدقهم، يقال: آمنت لك إذا صدقتك ولذلك تعدى هذا الفعل باللام، وتعدى يؤمن بالله بالباء ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع عطف على أذن وبالخفض على خير.

﴿يَحْلِفُونَ﴾ يعني المنافقين.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ
مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا
فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن
تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا
إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ
إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ
كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ
طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ
وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ
فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ تقديره: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك، فهما جملتان حذف الضمير من الثانية لدلالة الأولى عليها، وقيل: إنما وحد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحد.

﴿مَن يُحَادِدِ اللَّهَ﴾ يعني: من يعادي ويخالف. ﴿فَأَنَّ لَهُ﴾ أن هنا مكررة تأكيدا للأولى، وقيل: هي بدل منها، وقيل: التقدير فواجب أن له، فهي في موضع خبر مبتدإ محذوف.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني تنزل في شأنهم سورة على النبي ﷺ، والضمائر في عليهم وتنبئهم وقلوبهم، تعود على المنافقين، وقال الزمخشري: إن الضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين، وفي قلوبهم للمنافقين، والأول أظهر. ﴿قُلِ اسْتَهْزِءُوا﴾ تهديد. ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ صنع ذلك بهم في هذه

(١) ذكرها الطبري في جامع البيان ٣٢٥/١٤ بصيغة التمريض، وابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٣٠٥/٧ والمحرر الوجيز ٥٩/٣، ونبتل بن الحارث حرفت فكتبت تنبل، وهو خطأ فلتصحح.

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم
بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم
بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَثَمُودَ ﴿٧٠﴾ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ
أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧١﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى
جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

السورة؛ لأنها فضحتهم.

﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ نزلت[1] في وديعة بن ثابت بلغ النبي ﷺ أنه قال: هذا يريد أن يفتح قصور الشام، هيهات هيهات! فسأله عن ذلك، فقال: إنما كنا نخوض ونلعب.

﴿إِن يُعْفَ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ كان رجل منهم اسمه مخشن تاب ومات شهيدا.

﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ نفي لأن يكونوا من المؤمنين. ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ كناية عن البخل. ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ أي غفلوا عن ذكره. ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من رحمته وفضله.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ الأصل في الشر أن يقال أوعد، وإنما يقال فيه وعد إذا صرح بالشر. ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ يعني المجاهرين بالكفر.

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ خطاب للمنافقين والكاف في موضع نصب، والتقدير: فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم، أو في موضع خبر مبتدإ تقديره: أنتم كالذين من قبلكم. ﴿وَخُضْتُمْ﴾ أي خلطتم وهو مستعار من الخوض في الماء، ولا يقال إلا في الباطل من الكلام. ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ تقديره: كالخوض الذي خاضوا، وقيل: كالذين خاضوا فالذي هنا على هذا بمعنى: الجمع.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾ الآية تهديد لهم بما أصاب الأمم المتقدمة.

---

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٤/٣٣١، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٨٣ إسناده صحيح لكنه مرسل.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

ربع

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ يعني مدائن قوم لوط. ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالمعجزات.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في مقابلة قوله: المنافقون بعضهم من بعض، ولكنه خص المؤمنين بالوصف بالولاية.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ قيل: عدن هي مدينة الجنة وأعظمها، وقال الزمخشري: هو اسم علم. ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي رضوان من الله أكبر من كل ما ذكر، وذلك معنى ما ورد في الحديث: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة، أتريدون شيئا أزيدكم فيقولون يا ربنا أي شيء تزيدنا؟ فيقول: رضواني فلا أسخط عليكم أبدا»[1].

﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان ما لم يظهر ما يدل على كفرهم، فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم كحكم الزنديق، وقد اختلف: هل يقتل، أم لا؟ ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ الغلظة ضد الرحمة والرأفة، وقد تكون بالقول والفعل وغير ذلك.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ نزلت في الجلاس بن سويد[2] فإنه قال: إن كان ما

(١) البخاري الحديث رقم: (٦٥٤٩)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٨٢٩)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٥٥٥)، وأحمد في مسنده: ٨٨/٣، والطبري في جامع البيان: ٣٥٦/١٤، والبغوي في شرح السنة: ٢٣١/١٥.

(٢) صحيح من حديث بن عباس وكعب بن مالك، وزعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير. أخرجه ابن لأبي حاتم في تفسيره: ١٨٤٣/٦، وانظر الدر المنثور: ٢٤١/٤.

يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقرره عليه، فحلف أنه ما قاله. ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ يعني ما تقدم من قول الجلاس؛ لأن ذلك يقتضي التكذيب. ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ لم يقل بعد إيمانهم لأنهم كانوا يقولون بألسنتهم آمنا ولم يدخل الإيمان في قلوبهم. ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ هم الجلاس بقتل من بلغ تلك المقالة عنه، وقيل: هم بقتل النبي ﷺ، وقيل: الآية نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول[1] وكلمة الكفر التي قالها قوله: «سمن كلبك يأكلك»[2] وهمه بما لم ينله قوله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾، ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي ما عابوا إلا الغنى الذي كان حقه أن يشكروا عليه، وذلك في الجلاس أو في عبد الله بن أبي. ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟﴾ فتح الله لهم باب التوبة فتاب الجلاس وحسن إسلامه.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب، وذلك أنه قال: يا رسول الله ادع الله أن يكثر مالي، فقال له رسول الله ﷺ: قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فأعاد عليه حتى دعا له، فكثر ماله فتشاغل به حتى ترك الصلوات، ثم امتنع من أداء الزكاة فنزلت فيه الآية، فجاء بزكاته إلى النبي ﷺ فأعرض عنه ولم يأخذها منه، وقال: إن الله أمرني أن لا آخذ زكاتك، ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان[3].

---

(١) مرسل أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٦٤/١٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٨٤٣/٦ إسناده صحيح ورجاله ثقات إلا أنه مرسل.

(٢) ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٨٤٤/٦، والطبري في جامع البيان: ٣٦٤/١٤.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٧٠/١٤، وابن الأثير في أسد الغابة: ٢٨٣/١، وابن عبد البر في الاستيعاب: ٢٠١/١، وابن حزم في المحلى: ٢٠٨/١١، وقال: لا يصح... وهذا باطل لا شك فيه، وضعفه ابن حجر جدا في تخريج أحاديث الكشاف: ٧٧/٤، وفي الفتح: ٢٢٦/٣، وقال الذهبي في تجريد أسماء الصحابة: ٦٦/١ حديث طويل منكر بمرة، وقال الألباني في الضعيفة: رقم: (٤٠٨١) هذا إسناد ضعيف.

﴿بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ إشارة إلى منعه الزكاة.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ عقوبة على العصيان بما هو أشد منه. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ حكم بوفاته على النفاق.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ نزلت في المنافقين[١] حين تصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف، فقالوا: ما هذا إلا رياء، وأصل المطوعين المتطوعين والمراد به هنا من تصدق بكثير. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ هم الذين لا يقدرون إلا على القليل فيتصدقون به، نزلت في أبي عقيل[٢] تصدق بصاع من تمر، فقال المنافقون: إن الله غني عن صدقة هذا. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ أي يستخفون بهم. ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب.

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون لفظه أمر ومعناه الشرط، بمعنى: إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة المنافقين.

والآخر: أن يكون تخيير، كأنه قال: إن شئت فاستغفر لهم وإن شئت فلا تستغفر لهم، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم وهذا أرجح لقول رسول الله ﷺ: «إن الله خيرني فاخترت»[٣] وذلك حين قال عمر: أتصلي على عبد الله بن أبي وقد نهاك الله عن الصلاة عليه؟

﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ذكرها على وجه التمثيل للعدد الكثير.

---

(١) مرسل من مراسيل مجاهد وقتادة أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٤/٣٨٤ بإسناد رجاله كلهم ثقات.

(٢) الحديث أصله في الصحيحين البخاري الحديث رقم: (١٤١٥)، ومسلم الحديث رقم: (١٠١٨).

(٣) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٣٦٦)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٩٧)، والنسائي: ٤/٦٧، وأحمد: ١/١٦، والطبري في جامع البيان: ١٤/٤٠٨.

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا
يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ
رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ
كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن
تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟
مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ۞ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا
تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾
وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ
أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ أي الذين خلفهم الله عن بدر وأقعدهم عنه وفي هذا تحقير وذم لهم، ولذلك لم يقل المتخلفون. ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي بقعودهم. ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ أي بعده حين خرج إلى تبوك فخلاف على هذا ظرف، وقيل: هو مصدر من خلف فهو على هذا مفعول من أجله. ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ قال هذه المقالة: رجل من بني سلمة[1] ممن صعب عليه السفر إلى تبوك في الحر.

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ أمر بمعنى الخبر فضحكهم القليل في الدنيا مدة بقائهم فيها، وبكاؤهم الكثير في الآخرة، وقيل: هو بمعنى الأمر أي يجب أن يكونوا يضحكون قليلا ويبكون كثيرا في الدنيا لما وقعوا فيه.

﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ إنما لم يقل إليهم لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف. ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ عقوبة لهم فيها خزي وتوبيخ. ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني في غزوة تبوك. ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ أي مع القاعدين وهم النساء والصبيان.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ نزلت في شأن عبد الله بن أبي بن سلول وصلاة رسول الله ﷺ عليه حين مات[2]، وروي: أنه صلى عليه

---

(١) الطبري في جامع البيان: ١٤/٤٠٠.

(٢) صحيح البخاري رقم: (١٣٦٦)، والترمذي الحديث رقم: (٣٠٩٧)، وتقدم قبل قليل.

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾
وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ
كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ
وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ
وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ
مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا
أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى
الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ
الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

حزب

فنزلت الآية[1]، وروي: أنه ﷺ لما تقدم ليصلي عليه جاءه جبريل فجبذ ثوبه وتلا عليه ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية، فانصرف رسول الله ﷺ ولم يصل عليه[2].

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ قيل: يعني براءة، والأرجح أنه على الإطلاق. ﴿أَنْ ءَامِنُوا﴾ أن هنا مفسرة. ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ أي أولوا الغنى والمال الكثير.

﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ﴾ الآية أي إن تخلف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومن معه. ﴿الْخَيْرَاتُ﴾ تعم منافع الدارين، وقيل: هي الحور العين لقوله: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ هم المعتذرون ثم أدغمت التاء في الذال ونقلت حركتها إلى العين، واختلف: هل كانوا في اعتذارهم صادقين، أو كاذبين؟ وقيل: هم المقصرون من عذر في الأمر إذا قصر فيه ولم يجد، فوزنه على هذا المفعلون، وروي: أنها نزلت في قوم من غفار[3]. ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ هم

---

(١) في صحيح البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي بعد ما أدخل حفرته، فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه. الحديث رقم: (١٢٨٥)، وانظر الطبري في جامع البيان: ١٤/٤٠٧.

(٢) الطبري في جامع البيان: ١٤/٤٠٧ بسند ضعيف، والأحاديث الصريحة ترد ذلك. كما تقدم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٨٦٠ عن ابن إسحاق بسند ضعيف.

قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم، فكذبوا في دعواهم الإيمان. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ أي من المعذرين.

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ هذا رفع للحرج عن أهل الأعذار الصحيحة، من ضعف البدن والفقر، إذا تركوا الغزو، وقيل: إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان وهذا بعيد. ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ قيل: نزلت في بني مقرن[1] وهم ستة إخوة صحبوا النبي ﷺ، وقيل: في عبد الله بن مغفل المزني[2]. ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ﴾ يعني بنياتهم وأقوالهم وإن لم يخرجوا للغزو. ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ وصفهم بالمحسنين لأنهم نصحوا لله ورسوله، ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ قيل: هم بنو مقرن، وقيل: ابن مغفل، وقيل: سبعة نفر من بطون شتى وهم البكاؤون، ومعنى لتحملهم على الإبل وجواب إذا يحتمل أن يكون: ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ﴾ أو ﴿تَوَلَّوا﴾.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ يعني من غزوة تبوك. ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم. ﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ نعت لمحذوف وهو المفعول الثاني تقديره: قد نبأنا الله جملة من أخباركم.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ هم أهل البوادي من العرب. ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ يعني أنهم أحق أن لا يعلموا الشرائع لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم.

---

(١) في الطبري: ٤٢١/١٤، وابن أبي حاتم: ١٨٦٢/٦ عن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ هم بنو مقرن من مزينة فجعل الآية التي فيهم هي: ﴿ولا على الذين...﴾

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٢٠/١٤ بسند ضعيف.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن
نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ
إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ
رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾
يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا
وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا
وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ
لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ أي تثقل عليهم الزكاة والنفقة في سبيل الله ثقل المغرم الذي ليس بحق عليه. ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ أي ينتظر بكم مصائب الدنيا. ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ خبر، أو دعاء.

﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أي دعواته لهم وهو عطف على قربات، أي يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغتنام دعاء الرسول لهم، وقيل: نزلت في بني مقرن.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ قيل: هم من صلى القبلتين، وقيل: من شهد بدرًا، وقيل: من حضر بيعة الرضوان. ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم﴾ سائر الصحابة ويدخل في ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم القيامة، بشرط الإحسان.

﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ أي اجترؤوا عليه، وقيل: أقاموا عليه. ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ العذاب العظيم هو النار، وأما المرتان قبله فالثانية منهما: عذاب القبر، والأولى: عذابهم بإقامة الحدود عليهم، وقيل: بفضيحتهم بالنفاق.

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية قيل: إنها نزلت في أبي لبابة[1] فعمله

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٥١/١٤، والبيهقي في الدلائل: ٢٧١/٥، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٨٧٣/٦ عن مجاهد مرسلا قال: نزلت في أبي لبابة إذ قال لبني قريظة ما قال وأشار إلى حلقه: أن محمدا ذابحكم إن نزلتم على حكم الله. بسند جيد.

وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ثمن ۞ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ
أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ
سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ
اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ
أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ
صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ
سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ
التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ
إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

الصالح الجهاد، وعمله السيئ نصيحته لبني قريظة، وقيل: هو لمن تخلف عن تبوك من المؤمنين، فعملهم الصالح ما سبق لهم، وعملهم السيئ تخلفهم عن تبوك، وروي: أنهم ربطوا أنفسهم إلى سواري المسجد وقالوا لا نحل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل: هي عامة في الأمة إلى يوم القيامة، قال بعضهم: ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ قيل: نزلت في المتخلفين[1] الذين ربطوا أنفسهم لما تاب الله عليهم قالوا يا رسول الله: إنا نريد أن نتصدق بأموالنا فنزلت هذه الآية، وأخذ ثلث أموالهم، وقيل: هي الزكاة المفروضة، فالضمير على العموم لجميع المسلمين. ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ خطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موضع صفة لصدقة، أو حال من الضمير في خذ. ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي ادع لهم. ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي تسكن به نفوسهم فهو عبارة عن صحة الاعتقاد أو عن طمأنينة نفوسهم إذا علموا أن الله تاب عليهم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ الضمير في يعلموا للتائبين من التخلف، وقيل: للذين تخلفوا ولم يتوبوا، وقيل: عام وفائدة الضمير المؤكد تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَٰتِ﴾ قيل: معناه يأمر

(١) حديث حسن أخرجه البيهقي في الدلائل: ٥/٢٧١، والطبري في جامع البيان: ١٤/٤٥٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٨٧٤.

الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ
أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ
فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ
أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا
جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا
رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ربع
وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ
وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ
الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

بها، وقيل: يقبلها من عباده.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ قيل: هم الثلاثة الذين خلفوا قبل أن يتوب الله عليهم، وقيل: هم الذين بنوا مسجد الضرار، وقرئ[(١)] مرجئون بالهمز وتركه وهما لغتان ومعناه التأخير.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً﴾ قرئ الذين بغير واو صفة لقوله: وآخرون مرجون، أو على تقدير: هم الذين، وهذه القراءة جارية على قول من قال في المرجون لأمر الله هم أهل مسجد الضرار، وقرئ[(٢)] والذين بالواو عطفا على: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ وهذه القراءة جارية على قول من قال في المرجئين أنهم الثلاثة الذين خلفوا. ﴿ضِرَاراً وَكُفْراً﴾ كان بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء، وكان رسول الله ﷺ يأتيه ويصلي فيه، فحسدهم على ذلك قومهم بنو غنم بن عوف، وبنو سالم بن عوف، فبنوا مسجدا آخر مجاورا له ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قباء، وذلك هو الضرار الذي قصدوا وسألوا من رسول الله ﷺ أن يأتيه ويصلي لهم فيه، فنزلت عليه فيه هذه الآية[(٣)]. ﴿وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أرادوا أن يتفرق المؤمنون عن مسجد قباء.

---

(١) ﴿مرجون﴾ قرأها بهمز مضمومة ابن كثير وأبو عمرو ابن العلاء ويعقوب والباقون بغير همز. النشر ١/٤٦١.

(٢) ﴿والذين اتخذوا﴾ قرأ المدنيان وابن عامر (الذين) بغير واو وكذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون بالواو وكذا هي في مصاحفهم. النشر: ٢/٣١٦.

(٣) مرسل أخرجه الطحاوي في المشكل: ١٢/١٧٣، والطبري في جامع البيان: ١٤/٤٧٢، ورجاله رجال الصحيح.

﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ أي انتظارا لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الراهب الذي سماه رسول الله ﷺ الفاسق، وكان من أهل المدينة فلما قدمها رسول الله ﷺ جاهر بالكفر والنفاق، ثم خرج إلى مكة فحزب الأحزاب من المشركين، فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بقيصر فهلك هناك[1]، وكان أهل مسجد الضرار يقولون: إذا قدم أبو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد، والإشارة بقوله من قبل إلى ما فعل مع الأحزاب. ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ﴾ أي الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله، فأكذبهم الله في ذلك.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ نهي عن إتيانه والصلاة فيه، فكان رسول الله ﷺ لا يمر بطريقه. ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾ قيل: هو مسجد قباء، وقيل: مسجد النبي ﷺ بالمدينة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ[2]. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ كانوا يستنجون بالماء، ونزلت في الأنصار على قول من قال إن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد المدينة، ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصة[3] على قول من قال إن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ الآية استفهام بمعنى التقرير، والذي أسس على التقوى والرضوان مسجد المدينة أو مسجد قباء، والذي أسس على شفا جرف هار هو مسجد الضرار، وتأسيس البناء على التقوى والرضوان: هو بحسن النية فيه، وقصد وجه الله، وإظهار شرعه، والتأسيس على شفا جرف هار: هو بفساد النية، وقصد

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل: ٥/٢٥٩ من طريق ابن إسحاق بسند منقطع.

(٢) الطبري في جامع البيان: ١٤/٤٧٦.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١١/رقم: (١١٠٦٥)، والحاكم في المستدرك: ١/١٨٧، وقال الحاكم: وهذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

الرياء، والتفريق بين المؤمنين، فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البارع، ومعنى شفا جرف: طرف حفرة، ومعنى هار: ساقط، أو واه بحيث أشفى على السقوط، وأصل هار هائر فهو من المقلوب؛ لأن لامه جعلت في موضع العين. ﴿فَانْهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي طاح في جهنم، وهذا ترشيح للمجاز؛ فإنه لما شبه بالجرف وصف بالانهيار الذي هو من شأن الجرف، وقيل: إن ذلك حقيقة وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه، والصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بهدمه فهدم[١].

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي لا يزال في قلوب أهل مسجد الضرار ريبة من بنيانه، أي شك في الإسلام بسبب بنيانه لاعتقادهم صواب فعلهم، أو غيظ بسبب هدمه. ﴿إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي إلا أن يموتوا.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ قيل: إنها نزلت في بيعة العقبة[٢]، وحكمها عام في كل مؤمن مجاهد في سبيل الله إلى يوم القيامة، قال بعضهم: ما أكرم الله؛ فإن أنفسنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي، فإنها لصفقة رابحة. ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جملة في موضع الحال بيان للشراء. ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ قال بعضهم: ناهيك عن بيع البائع فيه رب العلى، والثمن جنة المأوى، والواسطة محمد المصطفى ﷺ.

---

(١) ضعيف أخرجه البيهقي في الدلائل: ٥/٢٥٩.

(٢) روى الطبري بسنده عن محمد بن كعب القرظي وغيره، قالوا: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت! قال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك، فماذا لنا؟ قال: الجنة! قالوا: ربح البيعُ، لا نُقيل ولا نستقيل! فنزلت: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين﴾ الآية. الطبري في جامع البيان: ١٤/٤٩٩، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٢٠ بسند ضعيف جدا..

التَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ
ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا
كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ
وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ
أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ
لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ
عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا
كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم
مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ۞ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ
فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ وما بعده أوصاف للمؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم تقديره: هم التائبون. ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ قيل: معناه الصائمون، ويقال ساح في الأرض أي ذهب.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ نزلت في شأن أبي طالب فإنه لما امتنع أن يقول: لا إله إلا الله عند موته، قال له رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية»[1] وقيل: إن النبي ﷺ استأذن ربه أن يستغفر لأمه فنزلت الآية[2]، وقيل: إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين فنزلت الآية[3].

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ المعنى لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم لأبيه، فإن ذلك لم يكن إلا لوعد تقدم وهو قوله:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٣٦٠)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٤)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٢٠٣٥)، والطبري في جامع البيان: ١٤/٥١٠، وأحمد في مسنده: ٥/٤٣٣، والبغوي في معالم التنزيل: ٤/١٠٠.

(٢) صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/٣٣٦، والطحاوي في المشكل: ٦/٢٨٥، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٢٢، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٨٩٣ قال الحاكم: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال: فيه أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٤/٥١٣، والطحاوي في المشكل: ٦/٢٨٢، وأحمد في المسند: ١/٩٩، والحاكم في المستدرك: ٢/٣٣٥ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾. ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ قيل: تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر، وقيل: لأنه نهي عن الاستغفار له. ﴿لَأَوَّٰهٌ﴾ قيل: كثير الدعاء، وقيل: موقن، وقيل: فقيه، وقيل: كثير الذكر لله، وقيل: كثير التأوه من خوف الله.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا﴾ الآية نزلت في قوم من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن فخافوا على أنفسهم من ذلك فنزلت الآية[1] تأنيسا لهم أي ما كان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبين لكم المنع من ذلك.

﴿فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ يعني حين محاولة غزوة تبوك والساعة هنا بمعنى الحين والوقت وإن كان مدة، والعسرة الشدة وضيق الحال ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني تزيغ عن الثبات على الإيمان أو عن الخروج في تلك الغزوة؛ لما رأوا من الضيق والمشقة، وفي كاد ضمير الأمر والشأن أو ترتفع بها القلوب. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني على هذا الفريق أي رجع بهم عما كادوا يقعون فيه.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر، ومن غير نفاق، ولا قصد للمخالفة، فلما رجع رسول الله ﷺ عتب عليهم وأمر أن لا يكلمهم أحد، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم فبقوا على ذلك مدة إلى أن أنزل الله توبتهم، وقد روي: حديثهم في البخاري ومسلم[2] والسير، ومعنى خلفوا هنا: أي عن الغزوة، وقال كعب بن مالك: معناه خلفوا عن قبول العذر، وليس بالتخلف عن الغزو، يقوي

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣/١٠٤ بدون سند، وانظر معالم التنزيل: ٤/١٠٣.

(٢) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٥٧)، وفي عدة مواضع منه، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٦٤)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٢٠٢)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣١٠٢)، والنسائي في سننه: ٦/١٥٢، وأحمد في مسنده: ٣/٤٥٤، والطبري في جامع البيان: ١٤/٥٥٧.

وَعَلَى الثَّلَٰثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ
إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ
﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ
أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن
نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا
مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ
وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ
نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ
لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾
وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن
كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا
قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

ذلك كونه جعل: ﴿إِذَا ضَاقَتْ﴾ غاية للتخلف. ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ عبارة عما أصابهم من الغم والخوف من الله. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا﴾ أي رجع بهم ليستقيموا على التوبة.

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ﴾ يحتمل أن يريد صدق اللسان إذ كان هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب، فنفعهم الله بذلك، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان، وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم، والمراد بالصادقين المهاجرون لقول الله في الحشر للفقراء المهاجرين إلى قوله: هم الصادقون، وقد احتج بها أبو بكر الصديق[1] على الأنصار يوم السقيفة فقال: نحن الصادقون وقد أمركم الله أن تكونوا معنا أي تابعين لنا.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ الآية عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب. ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي لا يمتنعوا من اقتحام المشقات التي تحملها هو ﷺ. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ تعليل لما يجب من عدم التخلف. ﴿ظَمَأٌ﴾ أي عطش. ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي تعب. ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي جوع. ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ﴾ أي بأرجلهم أو بدوابهم. ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ عموم في كل ما يصيب الكفار.

---

(١) ذكره القرطبي في أحكام القرآن: ٢٦٨/٨، والقاضي أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم، ص: ٤٣، ولم نجده مسندا.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ قال ابن عباس[1]: هذه الآية في البعوث إلى الغزو والسرايا، أي لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله ﷺ بنفسه، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمة على التخلف عنه، فالآية الأولى في الخروج معه ﷺ، وهذه في السرايا التي كان يبعثها، وقيل: هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع، فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين، وقيل: هي في طلب العلم، ومعناها أنه لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع بل على البعض لأنه فرض كفاية. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ تحضيض على نفر بعض المؤمنين للجهاد أو لطلب العلم. ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ إن قلنا إن الآية في الخروج إلى طلب العلم فالضمير في يتفقهوا للفرقة التي تنفر أي ترحل، وكذلك الضمير في ينذروا وفي رجعوا أي ليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة، وإن قلنا إن الآية في السرايا فالضمير في يتفقهوا للفرقة التي تقعد في المدينة ولا تخرج مع السرايا، وأما الضمير في رجعوا فهو للفرقة التي خرجت مع السرايا. ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الضمير للقوم.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ أمر بقتال الأقرب فالأقرب على تدريج، وقيل: إنها إشارة إلى قتال الروم بالشام لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب وكانت أرض العرب قد عمها الإسلام وكانت العراق حينئذ بعيدة.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا﴾ أي من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه إيمانا على وجه الاستخفاف بالقرآن، كأنهم يقولون أي عجب في هذا وأي دليل في هذا. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل سورة.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥٦٧/١٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٩١٢/٦ بإسناد حسن والسيوطي في الدر المنثور: ٣٢٢/٤، ونسبه لابن المنذر وابن مردويه.

ربع

• يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ
الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ
أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ
إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ
﴿١٢٦﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ
بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ
اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٨﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٠﴾

سُورَةُ يُونُسَ

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ المرض عبارة عن الشك والنفاق والمعنى زادتهم رجسا إلى رجسهم أو زادتهم كفرا ونفاقا إلى كفرهم ونفاقهم.

﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾ قيل: يفتنون أي يختبرون بالأمراض والجوع، وقيل: بالأمر بالجهاد، واختار ابن عطية[1] أن يكون المعنى يفضحون بما يكشف من سرائرهم.

﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي تغامزوا وأشار بعضهم إلى بعض على وجه الاستخفاف بالقرآن، ثم قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد فينقل عنكم هذا الاستخفاف، فقوله: هل يراكم من أحد كان بسبب خوفهم أن ينقل عنهم ذلك، وقيل: معنى نظر بعضهم إلى بعض على وجه التعجب مما ينزل في القرآن من كشف أسرارهم، ثم قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي هل رأى أحوالكم فنقلها عنكم، أو علمت من غير نقل فهذا أيضا على وجه التعجب. ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ يحتمل أن يراد الانصراف بالأبدان، أو الانصراف بالقلوب عن الهدى. ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ دعاء أو خبر. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ تعليل لصرف قلوبهم.

---

(١) قال ابن عطية: والذي يظهر مما قبل الآية ومما بعدها أن الفتنة والاختبار إنما هي بكشف الله تعالى أسرارهم، وإفشائه عقائدهم، فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجة برؤيته... المحرر الوجيز: ٣/١١٣.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني النبي ﷺ، والخطاب للعرب أو لقريش خاصة، أي من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته، أو لبني آدم كلهم أي من جنسكم، وقرئ[1] ﴿مِنْ أَنْفَسِكُمْ﴾ بفتح الفاء أي من أشرفكم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يشق عليه عنتكم، والعنت: هو ما يضرهم في دينهم أو دنياهم، وعزيز صفة للرسول، وما عنتم فاعل بعزيز، وما مصدرية، أو ما عنتم مبتدأ وعزيز خبر مقدم، والجملة في موضع الصفة. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي حريص على إيمانكم وسعادتكم. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سماه الله هنا باسمين من أسمائه.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي إن أعرضوا عن الإيمان بك فاستعن بالله وتوكل عليه، وقيل: إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة[2].

*** *** ***

(١) قال القاضي أبو محمد عبد الحق ابن عطية: وقرأ عبد الله بن قسيط المكي من أنفسكم بفتح الفاء من النفاسة، ورويت عن النبي ﷺ وعن فاطمة رضي الله عنها ذكر أبو عمرو أن ابن عباس رواها عن النبي ﷺ. المحرر الوجيز: ٣/١١٤.

(٢) قال ابن عطية: هذه السورة مدنية إلا آيتين ﴿لقد جاءكم رسول﴾ إلى آخرها. المحرر الوجيز: ٣/٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر تلك ءايات الكتاب الحكيم ﴿١﴾ أكان للناس عجبا
أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين ءامنوا
أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لسحر
مبين ﴿٢﴾ إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض
في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من
شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه
أفلا تذكرون ﴿٣﴾ إليه مرجعكم جميعا وعد الله
حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين
ءامنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون
﴿٤﴾ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق
نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴿٥﴾ إن في اختلاف الليل والنهار
وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون ﴿٦﴾

سورة يونس عليه السلام

﴿الٓر﴾ تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء التي في أوائل السور. ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب هنا القرآن. ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ من الحكمة أومن الحكم أو من الإحكام للأمر، أي أحكمه الله.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ الهمزة للإنكار، و﴿عَجَبًا﴾ خبر كان، و﴿أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ﴾ اسمها، و﴿أَنۡ أَنذِرِ﴾ تفسير للوحي، والمراد بالناس هنا كفار قريش وغيرهم، و﴿إِلَىٰ رَجُلٖ﴾ هنا رسول الله ﷺ، ومعنى الآية الرد على من استبعد النبوءة أو تعجب من أن يبعث الله رجلا. ﴿قَدَمَ صِدۡقٍ﴾ أي عمل صالح قدموه، وقال ابن عباس[1]: السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ. ﴿قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٌ﴾ يعنون ما جاء به من القرآن وقرئ[2] لساحر يعنون به النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسيرا لما ذكر قبل من تعجبهم من النبوءة ويكون خبرا مستأنفا.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ تعريف بالله وصفاته ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه رد على

(١) الطبري في جامع البيان: ١٤/١٥، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٩٢٢ بسند حسن.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ جمهور الناس ﴿لسحر مبين﴾ وقرأ سعيد بن جبير والأعمش «لساحر مبين». المحرر الوجيز: ٣/١٥٠.

من أنكر النبوءة كأنه يقول: إنما أدعوكم إلى عبادة ربكم الذي خلق السموات والأرض، فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين؟ ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ أي ما يشفع إليه أحد إلا بعد أن يأذن له في الشفاعة، وفي هذا رد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ نصب وعد على المصدر المذكور المؤكد للرجوع إلى الله، ونصب حقا على المصدر المؤكد لوعد الله. ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي يبدؤه في الدنيا ويعيده في الآخرة، والبداءة دليل على العودة. ﴿لِيَجْزِىَ﴾ تعليل للعودة وهي البعثة. ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بعدله في جزائهم أو بقسطهم في أعمالهم الصالحة.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ وصف أفعال الله وقدرته وحكمته، والضياء أعظم من النور. ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ الضمير للقمر، والمعنى قدر سيره في منازل. ﴿وَٱلْحِسَابَ﴾ يعني حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي. ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي ما خلقه عبثا، والإشارة بذلك إلى ما تقدم من المخلوقات.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قيل: معنى يرجون هنا يخافون، وقيل: لا يرجون حسن لقائنا، فالرجاء على أصله، وقيل: لا يرجون لا يتوقعون أصلا ولا يخطر ببالهم. ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي قنعوا أن تكون حظهم ونصيبهم. ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ أي سكنت أنفسهم عن ذكر الانتقال عنها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ﴾ يحتمل أن تكون هي الفرقة الأولى فيكون من عطف الصفات، أو تكون غيرها.

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ﴾ أي يسددهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة، أو

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا
بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾
ربع ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ
لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي
طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ
أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ
يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا
وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ
فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يهديهم في الآخرة إلى طريق الجنة، وهذا أرجح لما بعده.

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ أي دعاؤهم. ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ أي لو يعجل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعا، ونزلت الآية[1] عند قوم في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده، وقيل: نزلت[2] في الذين قالوا: ﴿إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ عتاب في ضمنه نهي لمن يدعو الله عند الضر، ويغفل عنه عند العافية. ﴿لِجَنْبِهِ﴾ أي مضطجعا، وروي: أنها نزلت[3] في أبي حذيفة بن المغيرة لمرض كان به.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ إخبار ضمنه وعيد للكفار.

﴿لِنَنْظُرَ﴾ معناه ليظهر في الوجود فتقوم عليكم الحجة.

---

(١) هذا من أثر مجاهد وقتادة بدون ذكر سبب النزول أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/٣٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٩٣٢، وهو بإسناد حسن.

(٢) ضعيف أخرجه القرطبي في أحكام القرآن: ٨/٢٩٣، وقال ابن إسحاق ومقاتل: هو قول النضر بن الحارث: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، فلو عجل لهم هذا لهلكوا»، وأورده البغوي في معالم التنزيل: ٤/١٢٤، وكذا ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣/١٢٣.

(٣) لم أجده مسندا وذكره القرطبي في أحكام القرآن: ٨/٢٩٥.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا
ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ
مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيَ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّيَ أَخَافُ
إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ اللَّهُ
مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ
أَتُنَبِّـُٔونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ • وَمَا كَانَ
النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَٰحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا
الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني على قريش.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ أي ما تلوته إلا بمشيئة الله لأنه من عنده وما هو من عندي. ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي ولا أعلمكم به. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي بقيت بينكم أربعين سنة قبل البعث ما تكلمت في هذا حتى جاءني من عند الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ تنصل من الافتراء على الله، وبيان لبراءته ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب، وإشارة إلى كذبهم على الله في نسبة الشركاء له. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ بيان لظلمهم في تكذيبهم رسول الله ﷺ.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ الضمير في يعبدون لكفار العرب وما لا يضرهم ولا ينفعهم هي الأصنام. ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم. ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ رد عليهم في قولهم بشفاعة الأصنام، والمعنى: أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومة لله الذي هو عالم بما في السموات والأرض، وكل ما ليس بمعلوم لله فهو عدم محض ليس بشيء، فقوله: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ اللَّهَ﴾ تقرير لهم على وجه التوبيخ والتهكم، أي كيف تعلمون الله بما لا يعلم؟.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ تقدم في البقرة في قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي
ءَايَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ
(٢١) هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي
الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا
اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ
الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)
إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ
الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا
أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ
كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ
دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥)

أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني القضاء.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ كانوا يطلبون آية من الآيات التي اقترحوها، ولقد نزل عليه آيات عظام فما اعتدوا بها لعنادهم وشدة ضلالهم. ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، لا يطلع على ذلك أحد. ﴿فَانتَظِرُوا﴾ أي انتظروا نزول ما اقترحتموه. ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ أي منتظر لعقابكم على كفركم.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ هذه الآية في الكفار وتضمنت النهي لمن كان كذلك من غيرهم، والمكر هنا: الطعن في آيات الله وترك شكره، ومكر الله الموصوف بالسرعة هو عقابه لهم سماه مكرا مشاكلة لفعلهم وتسمية للعقوبة باسم الذنب.

﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ الضمير المؤنث في جرين للفلك، والضمير في بهم للناس، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة وهو الذي يسمى: الالتفات، وجواب ﴿إِذَا كُنتُمْ﴾ قوله: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ وقوله: دعوا الله، قال الزمخشري[1]: هو بدل من ظنوا ومعناه دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه.

﴿مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ رفع على أنه خبر ابتداء مضمر، تقديره: وذلك متاع

(١) قال الزمخشري: فإن قلت: ما جواب ﴿إذا﴾؟ قلت: ﴿جاءتها﴾. فإن قلت: فدعوا؟ قلت: بدل من ظنوا؛ لأنّ دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك، فهو ملتبس به. الكشاف: ٢/٣٢٣.

حزب

• لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا
ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ
كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ
اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ
فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾
فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ
لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ
مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن
يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ
فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

أو يكون خبر إنما بغيكم، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ معنى الآية: تحقير الدنيا وبيان سرعة فنائها، وشبهها بالمطر الذي يخرج به النبات ثم تصيب ذلك النبات آفة عند حسنه وكماله. ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كالزرع والفواكه. ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ يعني المرعى التي ترعاها من العشب وغيره. ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ تمثيل بالعروس إذا تزينت بالحلي والثياب. ﴿قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي متمكنون من الانتفاع بها. ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ أي بعض الجوائح؛ كالريح، والصر، وغير ذلك. ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي جعلنا زرعها كالذي حصد، وإن كان لم يحصد. ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كأن لم تنعم.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ إلى الجنة، وسميت دار السلام أي دار السلامة من العناء والتعب، وقيل: السلام هنا اسم الله، أي يدعو إلى داره. ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ ذكر الدعوة إلى الجنة عامة مطلقة والهداية خاصة بمن يشاء.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله[1]، وقيل: الحسنى جزاء الحسنة بعشر أمثالها، والزيادة: التضعيف فوق ذلك

(١) صحيح أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٨١)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٥٥٣)، وأحمد في المسند: ٤/٣٣٢، والطبري في جامع البيان: ١٥/٦٩.

إلى سبعمائة، والأول أصح لوروده في الحديث وكثرة القائلين به ﴿قَتَرٌ﴾ أي غبار يغير الوجه.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ مبتدأ على حذف مضاف تقديره: جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، أو على تقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها، أو معطوف على الذين أحسنوا ويكون جزاء سيئة مبتدأ وخبره بمثلها. ﴿مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي لا يعصمهم أحد من عذاب الله. ﴿قِطَعاً مِّنَ الَّيْلِ مُظْلِماً﴾ من قرأ بفتح الطاء[1] فهو جمع قطعة، وإعراب مظلما على هذه القراءة حال من الليل، ومن قرأ قطعا بإسكان الطاء فمظلما صفة له، أو حال من الليل.

﴿مَكَانَكُمْ﴾ تقديره: الزموا مكانكم، أي لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل الله بكم. ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي فرقنا.

﴿تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ أي تختبر بما قدمت من الأعمال، وقرئ[2] تتلو بتاءين بمعنى تتبع، أو تقرؤه في المصاحف.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم﴾ الآية احتجاج على الكفار بحجج كثيرة واضحة، لا محيص لهم عن الإقرار بها. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ مذكور في آل عمران.

﴿رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ أي الثابت الربوبية بخلاف ما تعبدون من دونه. ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلَلُ﴾ أي عبادة غير الله ضلال بعد وضوح الحق، وتدل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات، إذ الحق فيها في طرف واحد بخلاف مسائل الفروع.

﴿كَذَالِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ المعنى كما حق الحق

---

(١) ﴿قطعا﴾ قرأ ابن كثير ويعقوب والكسائي بإسكان الطاء، وقرأ الباقون بفتحها. النشر ٢/٣١٨.

(٢) ﴿تبلو﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بتائين من التلاوة، وقرأ الباقون بالتاء والباء من البلوى. النشر المصدر السابق.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُاْ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن
يَهْدِيٓ إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ
أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ
﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ
اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ۞ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن
دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ
وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ
كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم
بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

في الاعتقادات كذلك حقت كلمة ربك على الذين عتوا وتمردوا في كفرهم أنهم لا يؤمنون، والكلمة يراد بها القدر والقضاء.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ الآية احتجاج على الكفار، فإن قيل: كيف يحتج عليهم بإعادة الخلق وهم لا يعترفون بها؟ فالجواب أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون على الابتداء ولا على الإعادة، وفي ذلك إبطال لربوبيتهم، وأيضا فوضعت الإعادة هنا موضع المتفق عليه لظهور برهانها.

﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ بتشديد الدال معناه لا يهتدي في نفسه فكيف يهدي غيره وقرئ[1] بالتخفيف بمعني يهدي غيره والقراءة الأولى أبلغ في الاحتجاج. ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ ما استفهامية، معناها تقرير وتوبيخ، ولكم خبرها ويوقف عليه. ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي تحكمون بالباطل في عبادتكم لغير الله.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي غير تحقيق؛ لأنه لا يستند إلى برهان.

---

(١) قال الداني في التيسير: ابن كثير وورش وابن عامر ﴿أمن لا يهدى﴾ بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وقالون وأبو عمرو كذلك إلا أنهما يخفيان حركة الهاء، والنص عن قالون بالإسكان، وقال اليزيدي عن أبي عمرو: كان يشم الهاء شيئا من الفتح، وأبو بكر بكسر الياء والهاء، وحفص بفتح الياء وكسر الهاء، وحمزة والكسائي بفتح الياء وإسكان الهاء، وتخفيف الدال، ص: ٨٧، وانظر النشر: ٢/٣١٩، والبدور الزاهرة، ص: ١٦٠.

﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ ذلك في الاعتقادات إذ المطلوب فيها اليقين بخلاف الفروع.

﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مذكور في البقرة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أم هنا بمعنى بل والهمزة. ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ تعجيز لهم وإقامة حجة عليهم. ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ يعني من شركائكم وغيرهم من الجن والإنس. ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غير الله.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي سارعوا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره. ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي علم تأويله ويعني بتأويله الوعيد الذي لهم فيه.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ الآية فيها قولان:

أحدهما: إخبار بما يكون منهم في المستقبل وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى على الكفر.

والآخر: أنها إخبار عن حالهم وأن منهم من هو مؤمن به ويكتم إيمانه ومنهم من هو مكذب.

﴿فَقُل لِّى عَمَلِى﴾ الآية موادعة منسوخة بالقتال.

﴿مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ أي يستمعون القرآن وجمع الضمير بالحمل على معنى من. ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ المعنى أتريد أن تسمع الصم وذلك لا يكون لا سيما إذا انضاف إلى الصمم عدم العقل.

﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ المعنى أتريد أن تهدي العمي وذلك لا يكون لا سيما إذا انضاف إلى عدم البصر عمى البصيرة، والصمم والعمي عبارة عن قلة فهمهم.

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا
يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ
اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ
نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
﴿٤٨﴾ ● قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ
أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ
﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ
مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ
كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ
الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنبِئُونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

ربع

﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ تقليل لمدة بقائهم في الدنيا أو في القبور ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني يوم الحشر فهو على هذا حال من الضمير في يلبثوا.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ شرط جوابه: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ والمعنى: إن أريناك بعض عذابهم في الدنيا فذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا مرجعهم. ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ ذكرت ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الأمر قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب فالترتيب على هذا صحيح.

﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ قيل مجيئه في الآخرة للفصل، وقيل: مجيئه في الدنيا وهو بعثه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ كلام فيه استبعاد واستخفاف.

﴿بَيَاتًا﴾ أي بالليل. ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ المعنى أي شيء يستعجلون من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به، وقوله: ماذا جواب إن أتاكم والجملة متعلقة بأرأيتم.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ﴾ دخلت همزة التقرير على ثم العاطفة، والمعنى إذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به الآن، وذلك لا ينفعكم؛ لأنكم كنتم تستعجلونه ومكذبين به.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ
اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ
رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾
قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ
مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾
وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾
ثمن ۞ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ
مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا
يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي يسألونك: هل الوعيد حق؟، أو هل الشرع والدين حق؟ والأول أرجح لقوله: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي لا تفوتون من الوعيد. ﴿قُلْ إِي﴾ أي نعم.

﴿ظَلَمَتْ﴾ صفة لنفس أي لو ملك الظالم الدنيا لافتدى بها من عذاب الآخرة. ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أي أخفوها في نفوسهم وقيل: أظهروها.

﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني القرآن. ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي يشفي ما فيها من الجهل والشك.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ يتعلق بفضل بقوله فليفرحوا، وكرر الباء في قوله فبذلك تأكيدا والمعنى: الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بغيرهما، والفضل والرحمة عموم، وقد قيل: الفضل الإسلام والرحمة القرآن. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ الآية مخاطبة لكفار العرب الذين حرموا البحيرة والسائبة وغير ذلك. ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ متعلق بأرأيتم وكرر قل للتأكيد، ولما قسم الأمر إلى إذن الله لهم وافترائهم ثبت افتراؤهم؛ لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم في ذلك.

﴿وَمَا ظَنُّ﴾ وعيد للذين يفترون. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ظرف منصوب بالظن،

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ
لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا
يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾
قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ
لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

والمعنى أي شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم؟.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ﴾ الشأن الأمر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد هو وجميع الخلق، ولذلك قال في آخرها: ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ﴾ بمخاطبة الجماعة ومعنى الآية إحاطة علم الله بكل شيء. ﴿وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ﴾ الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدم ذكره لدلالة ما بعده عليه كأنه قال: ما تتلوا شيئا من القرآن، وقيل: يعود على الشأن، والأول أرجح لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشيء. ﴿إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ يقال أفاض الرجل في الأمر إذا أخذ فيه بجد. ﴿وَمَا يَعۡزُبُ﴾ ما يغيب. ﴿مِثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ وزنها، والذرة: صغار النمل، قال الزمخشري: إن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف سورة سبإ؟ فالجواب: أن السماء تقدمت في سبإ لأن حقها التقديم، وقدمت الأرض هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض. ﴿وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ﴾ من قرأهما بالفتح[1] فهو عطف على لفظ مثقال، ومن قرأهما بالرفع فهو عطف على موضعه، أو رفع بالابتداء.

﴿أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ اختلف الناس في معنى الولي اختلافا كثيرا، والحق فيه ما فسره الله بعد هذا، بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي، وإعراب الذين آمنوا صفة للأولياء، أو منصوب على

---

(١) ﴿ولا أصغر ولا أكبر﴾ قرأ يعقوب وحمزة وخلف برفع الراء فيهما وقرأ الباقون بالنصب، (واتفقوا) على رفع الحرفين في سبأ لارتفاع (مثقال). انظر: النشر: ٢/٣٢١.

التخصيص، أو مرفوع بإضمار: هم الذين، ولا يكون ابتداء مستأنفا؛ لئلا ينقطع مما قبله.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أما بشرى الآخرة فهي الجنة اتفاقا، وأما بشرى الدنيا فهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، روي ذلك عن رسول الله ﷺ[(١)] وقيل: محبة الناس للرجل الصالح[(٢)]، وقيل: ما بشر به في القرآن من الثواب. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ اللَّهِ﴾ أي لا تغيير لأقواله ولا خلف لمواعيده، وقد استدل ابن عمر[(٣)] على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدله.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني ما يقوله الكفار من التكذيب. ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ إخبار في ضمنه وعد للنبي ﷺ بالنصر وتسلية له.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون ما نافية وأوجبت بقوله إلا الظن، وكرر إن يتبعون توكيدا، والمعنى: ما يتبع الكفار إلا الظن.

---

(١) في الصحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السِّتْرَ وَرَأْسُهُ مَعْصُوبٌ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: «اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا يَرَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ» أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٤٧٩)، ومالك في الموطإ الحديث رقم: (١٧١٥)، وأبو داود الحديث رقم: (٨٧٦)، والنسائي في سننه: ١٨٩/٢، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٨٩٩)، وأحمد في مسنده: ٢١٩/١.

(٢) في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض» البخاري الحديث رقم: (٧٠٤٧)، ومسلم الحديث رقم: (٦٨٧٣)، ومالك في الموطإ الحديث رقم: (١٧١٠)، وغيرهم...

(٣) صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣٣٩/٢، والطبري في جامع البيان: ١٤١/١٥ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ربع

• وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ
عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ
فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ
غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)
فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣)
ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ
قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٥)
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٦) قَالَ
مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)

والوجه الثاني: أن تكون ما استفهامية ويتم الكلام عند قوله ﴿شُرَكَآءَ﴾ والمعنى: أي شيء يتبعون على وجه التحقير لما يتبعونه ثم ابتدأ الإخبار بقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ والعامل في شركاء على الوجهين يدعون.

﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ من السكون وهو ضد الحركة. ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ أي مضيئا تبصرون فيه الأشياء.

﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ الضمير للنصارى ولمن قال: إن الملائكة بنات الله. ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ وصف يقتضي نفي الولد والرد على من نسبه لله؛ لأن الغني المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ بيان وتأكيد للغني، وباقي الآية توبيخ للكفار ووعيد لهم.

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ تقديره: لهم متاع في الدنيا.

﴿نُوحٍ﴾ روي أن اسمه: عبد الغفار وإنما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه، من خوف الله. ﴿كَبُرَ عَلَيْكُم﴾ أي صعب وشق. ﴿مَّقَامِي﴾ أي قيامي لوعظكم والكلام معكم، وقيل: معناه مكاني يعني نفسه كقولك فعلت ذلك لمكان فلان. ﴿فَأَجْمِعُواْ﴾ بقطع الهمزة من أجمع الأمر إذا عزم عليه وقرئ[1] بألف وصل من الجمع ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ أي ما تعبدون من دون الله، وإعرابه مفعول معه، أو مفعول

---

(١) هو طريق عن رويس. النشر: ٢/٣٢٢.

بفعل مضمر، تقديره: ادعوا شركاءكم وهذا على القراءة بقطع الهمزة، وأما على الوصل فهو معطوف. ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي لا يكون قصدكم إلى هلاكي مستورا ولكن مكشوفا تجاهرونني به، وهو من قولك: غم الهلال إذا لم يظهر، والمراد بقوله أمركم في الموضعين إهلاككم لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي لا تقصروا في إهلاكي إن قدرتم على ذلك. ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي انفذوا فيما تريدون، ومعنى الآية أن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: إن صعب عليكم دعائي لكم إلى الله فاصنعوا بي غاية ما تريدون، فإني لا أبالي بكم لتوكلي على الله وثقتي به سبحانه.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ أي يخلفون من هلك بالغرق.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا﴾ يعني هودا وصالحا وإبراهيم وغيرهم.

﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ قيل: إنه معمول ﴿أَتَقُولُونَ﴾ فهو من كلام قوم فرعون وهذا ضعيف؛ لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر لقولهم إن هذا لسحر مبين فكيف يستفهمون عنه، وقيل: إنه من كلام موسى تقريرا وتوبيخا لهم فيوقف على قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ ويكون معمول أتقولون محذوف تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر، ويدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم: إن هذا لسحر مبين، فلما تم الكلام ابتدأ موسى توبيخهم بقوله: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر بن الزبير رحمه الله:

﴿لِتَلْفِتَنَا﴾ أي لتصرفنا وتردنا عن دين آبائنا. ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ أي الملك والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام.

﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ ما موصولة مرفوعة بالابتداء، والسحر الخبر وقرئ[1] آلسحر بالاستفهام فما على هذا استفهامية والسحر خبر ابتداء مضمر.

(١) ﴿ما جئتم به السحر﴾ قرأ أبو عمرو وحده بالمد على الاستفهام، وكلهم قرأ السحر بغير مد على لفظ الخبر. السبعة لابن مجاهد، ص: ٣٢٨، والعنوان لابن خلف المقرئ ص: ١٧.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ
ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟
قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ
كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ۞ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ
عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى
ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن
كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾
فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ
مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟
بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى أو إخبار من الله تعالى.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ الضمير عائد على موسى ومعنى الذرية شبان وفتيان من بني إسرائيل، آمنوا به على خوف من فرعون، وقيل: إن الضمير عائد على فرعون فالذرية على هذا من قوم فرعون وروي[1] في هذا أنها امرأة فرعون وخازنه وامرأة خازنه، وهذا بعيد؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور. ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ﴾ الضمير يعود على الذرية أي آمنت الذرية من بني إسرائيل على خوف من فرعون وملإ من بني إسرائيل لأن الأكابر من بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان خوفا من فرعون، وقيل: يعود على فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له. ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ بدل من فرعون. ﴿لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي متكبر قاهر.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي لا تمكنهم من عذابنا فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما عذبناهم فيفتنون بذلك.

﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ أي اتخذ لهم بيوتا للصلاة والعبادة،

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/١٦٤، وإسناده ضعيف جدا.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ
فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ
ءَامَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَآءِيلَ وَأَنَا مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ
﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ
ربع كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي
إِسْرَآءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا
حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا
إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ
الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾
وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

وقيل: إنه أراد الإسكندرية ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي مساجد، وقيل: موجهة إلى جهة القبلة، فإن قيل: لم خص موسى وهارون بالخطاب في قوله أن تبوآ، ثم خوطب معهما بنو إسرائيل في قوله: واجعلوا؟ فالجواب: أن قوله: تبوآ من الأمور التي يختص بها الأنبياء وأولوا الأمر. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أمر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ دعاء بلفظ الأمر، وقيل: اللام لام كي وتتعلق بقوله آتيت. ﴿اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي أهلكها. ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي اجعلها شديدة القسوة. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ جواب للدعاء الذي هو اشدد ودعاء بلفظ النفي.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ الخطاب لموسى وهارون على أنه لم يذكر الدعاء إلا عن موسى وحده لكن كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه. ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ أي اثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ أي لحقهم، يقال: تبعه حتى أتبعه هكذا قال الزمخشري[١]، وقال ابن عطية[٢]: أتبع بمعنى تبع وأما اتبع بالتشديد فهو طلب

(١) الكشاف: ٢/٣٤٨.

(٢) المحرر الوجيز: ٣/١٥٧، وقرأ جمهور الناس ﴿فأتبعهم﴾ لأنه يقال تبع وأتبع بمعنى واحد، وقرأ قتادة والحسن فاتبعهم بشد التاء، قال أبو حاتم: القراءة أتبع بقطع الألف لأنها تتضمن الإدراك، واتبع بشد التاء هي طلب الأثر سواء أدرك أو لم يدرك...

الأثر سواء أدرك أو لم يدرك. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني الله ﷻ، وفي لفظ فرعون مجهلة وتعنت لكونه لم يصرح باسم الله.

﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ أي قيل له أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار وذلك لا يقبل منك.

﴿نُنَجِّيكَ﴾ أي نبعدك مما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر، وقيل: نلقيك على نجوة من الأرض، أي على موضع مرتفع. ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أي بجسدك جسدا بدون روح، وقيل: بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها، والمحذوف في موضع الحال والباء للمصاحبة. ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ أي لمن وراءك آية وهم بنو إسرائيل.

﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزلا حسنا وهو مصر والشام. ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ قيل: يريد اختلافهم في دينهم، وقيل: اختلافهم في أمر محمد ﷺ.

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ قيل: الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره، وقيل: ذلك كقول القائل لابنه: إن كنت ابني فبرني، مع أنه لا يشك أنه ابنه، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم، فأمره بسؤالهم، قال ابن عباس[1]: لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل، وقال الزمخشري: إن ذلك على وجه الفرض والتقدير، أي إن فرضت أن تقع في شك فاسأل. ﴿مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ قيل: يعني القرآن أو الشرع بحملته وهذا أظهر، وقيل: يعني ما تقدم من أن بني إسرائيل ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم الحق. ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني الذين يقرؤون التوراة والإنجيل، قال السهيلي: هم عبد الله بن سلام، ومخيرق، ومن أسلم من الأحبار، وهذا بعيد لأن الآية مكية وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة، فحمل

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٩٨٦/٦، والطبري في جامع البيان: ٢٠٢/١٥ رقم: (١٧٨٩٠)، وسعيد بن منصور في سننه: ٣٣٢/٥، وهو ضعيف جدًا.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا
ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ
كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
(٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ
عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠) قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١)
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا
إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣) قُلْ يَٰأَيُّهَا
النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّٰلِمِينَ (١٠٦)

الآية على الإطلاق أولى. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره.

﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي قضى أنهم لا يؤمنون.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ لولا هنا للتحضيض بمعنى هلا وقرئ[1] في الشاذ هلا، والمعنى: هلا كانت قرية من القرى المتقدمة آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها، إذ لا ينفع الإيمان بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون. ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناء من القرى لأن المراد أهلها وهو استثناء منقطع، بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب، ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى النفي كأنه قال: ما آمنت قرية إلا قوم يونس، وروى في قصصهم: أن يونس عليه السلام أنذرهم بالعذاب فلما رأوه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم فتابوا وتضرعوا إلى الله تعالى فرفعه الله عنهم. ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يريد إلى آجالهم المكتوبة في الأزل.

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الهمزة للإنكار، أي أتريد أنت أن تكره الناس في إدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله، وقيل: المعنى أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا، وكان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد، ثم نسخت بالسيف.

﴿انظُرُوا﴾ أمر بالاعتبار والنظر في آيات الله. ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَٰتُ وَالنُّذُرُ عَن

(١) قال ابن عطية: في مصحف أبي وابن مسعود (فهلا) والمعنى فيهما واحد: ٣/١٦١.

قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني من قضى الله عليه أنه لا يؤمن وما نافية أو استفهامية يراد بها النفي.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ الآية تهديد. ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراض بين العامل ومعموله له وهما كذلك وننج المؤمنين.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ الوجه هنا بمعنى القصد والدين.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ منسوخ بالقتال وكذلك قوله: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ وعد بالنصر والظهور على الكفار.

*** *** ***

وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ
فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ
فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ
وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

ترتيبها ١١ — سُورَةُ هُودٍ — آياتها ١٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ
﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ
اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ
ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

سورة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾ يعني القرآن وهو خبر ابتداء مضمر. ﴿أُحْكِمَتْ﴾ أي أتقنت فهو من الإحكام للشيء. ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ قيل: معناه بينت، وقيل: قطعت سورة سورة، وثم هنا ليست للترتيب في الزمان وإنما هي لترتيب الأحوال كقولك: فلان كريم الأصل، ثم كريم الفعل.

﴿أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ ٱللَّهَ﴾ أن مفسرة، وقيل: مصدرية في موضع مفعول من أجله أو بدل من الآيات، أو يكون كلاما مستأنفا منقطعا عما قبله على لسان رسول الله ﷺ، ويدل على ذلك قوله: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ أي استغفروه مما تقدم من الشرك والمعاصي، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها. ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً﴾ أي ينفعكم في الدنيا بالأرزاق والنعم والخيرات، وقيل: هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه؛ لأن الكافر قد يتمتع في الدنيا بالأرزاق. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني إلى الموت. ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ أي يعطي في الآخرة كل ذي عمل جزاء عمله والضمير يحتمل أن يعود على الله تعالى أو على ذي فضل. ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ خطاب للناس وهو فعل مستقبل حذفت منه إحدى التاءين. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يعني يوم القيامة أو غيره كيوم بدر.

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ قيل: كان الكفار[1] إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يردون إليه ظهورهم لئلا يرونه من شدة البغض والعداوة، والضمير في منه على هذا يعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: إن ذلك عبارة عما تنطوي عليه صدورهم من البغض والغل، وقيل: هو عبارة عن إعراضهم؛ لأن من أعرض عن شيء انثنى عنه وانحرف، والضمير في منه على هذا يعود على الله تعالى، أي يريدون أن يستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله ولا المؤمنون على ما في قلوبهم. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي يجعلونها أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن، والعامل في حين ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾، وقيل: المعنى يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم فيوقف عليه، على هذا، ويكون يعلم استئنافا.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وعد وضمان صادق، فإن قيل: كيف قال على الله بلفظ الوجوب، وإنما هو تفضل لأن الله لا يجب عليه شيء؟ فالجواب: أنه ذكره كذلك تأكيدا في الضمان لأنه لما وعد به صار واقعا لا محالة لأنه لا يخلف الميعاد. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ المستقر: صلب الأب،

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٣٣/١٥، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٩٩٩/٦، وسعيد بن منصور في سننه: ٣٣٧/٥ بإسناد صحيح إلى عبد الله بن شداد وهو تابعي فالأثر مرسل وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤٠٠/٤ لابن المنذر.

والمستودع: بطن الأم، وقيل: المستقر المكان في الدنيا، والمستودع القبر.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ دليل على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي ليختبركم اختبارا تقوم به الحجة عليكم لأنه كان عالما بأعمالكم قبل خلقكم ويتعلق ليبلوكم بخلق. ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يحتمل أن يشيروا إلى القرآن أو إلى القول بالبعث، يعنون أنه باطل كبطلان السحر.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ يحتمل أن يريد عذاب الدنيا أو الآخرة. ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي إلى وقت محدود. ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أي أيُّ شيء يمنع هذا العذاب الموعود به؟ وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا﴾ الآية ذم لمن يقنط عند الشدائد، ولمن يفتخر ويتكبر عند النعم، والرحمة هنا والنعماء يراد بهما الخيرات الدنيوية، والإنسان عام يراد به الجنس، والاستثناء على هذا متصل، وقيل المراد بالإنسان الكافر فالاستثناء على هذا منقطع.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ الآية كان الكفار يقترحون على رسول الله ﷺ أن يأتي بكنز أو يأتي معه ملك، وكانوا يستهزئون بالقرآن فقال الله تعالى له: لعلك تترك أن تلقى إليهم بعض ما أنزل إليك ويثقل عليك تبليغهم من أجل استهزائهم، أو لعلك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك، والمقصود بالآية تسلية النبي ﷺ عن قولهم، حتى يبلغ الرسالة ولا يبالي بهم، وإنما قال ﴿وَضَآئِقٌۢ﴾ ولم يقل ضيق؛ ليدل على اتساع صدره ﷺ وقلة ضيقه. ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ والله هو الوكيل الذي يقضي بما شاء من إيمانهم أو كفرهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة، والضمير في افتراه لما يوحى إليه. ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ تحداهم أولا بعشر سور فلما بان

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَادْعُوا
مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ
يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ • مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْاَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا
صَنَعُوا فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْاَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

عجزهم تحداهم بسورة واحدة، فقال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ والمماثلة المطلوبة في فصاحته وعلومه. ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ صفة لعشر سور وذلك مقابلة لقولهم افتراه وليست المماثلة في الافتراء. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ أي استعينوا بمن شئتم.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون مخاطبة من الله للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللمؤمنين، أي إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله، وهذا على معنى دوموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقينا به.

والثاني: أن يكون خطابا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للكفار، أي إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شيء من المعارضة، ولا قدر جميعكم عليه فاعلموا أنه من عند الله وهذا أقوى من الأول، لقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، ومعنى بعلم الله بإذنه أو بما لا يعلمه إلا الله من الغيوب، وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لفظه استفهام ومعناه استدعاء إلى الإسلام، وإلزام للكفار أن يسلموا؛ لما قام الدليل على صحة الإسلام لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية نزلت في الكفار[1] الذين

(١) مرسل أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور: ٤/٤٠٧، وأخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/٢٦٥ عن الضحاك.

يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة إذ هم لا يصدقون بها، وقيل: نزلت في أهل الربا من المؤمنين[١] الذين يريدون بأعمالهم الدنيا حسبما ورد في الحديث في القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك: «إنهم أول من تسعر بهم النار»[٢]، والأول أرجح؛ لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن، فإنما قصد بهذه الآية أولئك ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي نوف إليهم أجور أعمالهم بما يغبطهم فيها من الصحة والرزق والضمير في فيها يعود على الدنيا والمجرور متعلق بقوله: نوف أو بأعمالهم.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ الضمير في فيها هنا يعود على الآخرة إن تعلق المجرور بحبط، ويعود على الدنيا إن تعلق بصنعوا.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ الآية معادلة لما تقدم والمعنى أفمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه، والمراد بمن كان على بينة من ربه النبي ﷺ والمؤمنون لقوله بعد ذلك: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ومعنى البينة البرهان العقلي والأمر الجلي. ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الضمير في يتلوه للبرهان وهو البينة أو لمن كان على بينة من ربه والضمير في منه للرب تعالى ويتلوه هنا بمعنى يتبعه والشاهد يريد به القرآن، فالمعنى: يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القرآن فيزيد وضوحه وتعظم دلالته، وقيل: إن الشاهد المذكور هنا هو علي بن أبي طالب. ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ أي ومن قبل ذلك الكتاب الشاهد كتاب موسى وهو أيضا دليل آخر متقدم وقد قيل أقوال كثيرة في معنى هذه الآية وأرجحها ما ذكرنا. ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أي من أهل مكة.

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد كأصحاب، ويحتمل أن يكون من الشهادة

---

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/٢٦٦ بسند رجاله ثقات لكن فيه انقطاع.

(٢) صحيح أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٩٠٥)، والنسائي في سننه: ٦/٢٣، وأحمد في المسند: ٢/٣٢٢، والبيهقي: ٩/١٦٨.

أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا
يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ • مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ ربع
وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾
فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا
وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ
لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ
أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ
فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾

فيراد به الملائكة والأنبياء، أو من الشهود بمعنى الحضور فيراد به كل من حضر الموقف.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي يطلبون اعوجاجها أو يصفونها بالاعوجاج.

﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ أي لا يفلتون. ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ إخبار عن تشديد عذابهم وليس بصفة لأولياء. ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ الآية ما نافية والضمير للكفار والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون، كقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، وقيل: غير ذلك وهو بعيد.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لا بد ولا شك.

﴿وَأَخْبَتُوا﴾ أي خشعوا، وقيل: أنابوا.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ يعني المؤمنين والكافرين. ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ شبه الكفار بالأعمى وبالأصم، وشبه المؤمنين بالبصير والسميع، فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين، وتمثيل للكافرين بمثالين، وقيل: التقدير كالأعمى الأصم والبصير السميع فالواو لعطف الصفات، فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثال واحد وهو من جمع بين السمع والبصر، وتمثيل للكفار بمثال واحد وهو من جمع بين العمى والصم.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ وصف اليوم بالأليم على وجه المجاز لوقوع الألم فيه.

﴿أَرَاذِلُنَا﴾ جمع أرذل وهم سفلة الناس، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم واعتقاد أن الشرف هو بالمال، والجاه، وليس الأمر كما اعتقدوا بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم في الدنيا، وقيل: إنهم كانوا حاكة وحجامين، واختار ابن عطية أنهم أرادوا أنهم أراذل في أفعالهم لقول نوح ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ أي أول الرأي من غير نظر ولا تدبير، وبادي منصوب على الظرفية أصله وقت حدوث أول رأيهم، والعامل فيه اتبعوك على أصح الأقوال، والمعنى اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت، وقيل: هو صفة لـ ﴿بَشَرًا﴾ مثلنا أي غير مثبت في الرأي. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي من مزية وشرف، والخطاب لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه.

﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي على برهان وأمر جلي، وكذلك في قصة صالح وشعيب. ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ يعني النبوءة. ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي خفيت عليكم، والفاعل على هذا البينة أو الرحمة. ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي أنكرهكم على قبولها قهرا، وهذا هو جواب أرأيتم، ومعنى الآية أن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: أرأيتم إن هداني الله وأضلكم أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون.

﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ الضمير في عليه عائد على التبليغ. ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقتضي أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء. ﴿إِنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ المعنى أنه يجازيهم على إيمانهم.

﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ أي من يدفع عني عقاب الله إن ظلمتهم بالطرد.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ الآية أي لا أدعي ما ليس لي فتنكرون

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠
بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا
تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ
ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ
لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا
فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا
يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ
نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن
يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ
قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا
تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾

قولي. ﴿تَزۡدَرِيٓ﴾ أي تحتقر، من قولك: زريت الرجل إذا قصرت به، والمراد بالذين تزدري أعينهم ضعفاء المؤمنين. ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي إن قلت للمؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا والخير هنا يحتمل أن يريد به خير الدنيا والآخرة.

﴿جَٰدَلۡتَنَا﴾ الجدال هو المخاصمة والمراجعة في الحجة. ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي بالعذاب.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾ الآية جزاء قوله إن أردت أن أنصح لكم هو ما دل عليه قوله نصحي، وجزاء قوله إن كان الله يريد أن يغويكم هو ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي، فتقديرها إن أراد الله أن يغويكم لن ينفعكم نصحي إن نصحت لكم، ثم استأنف قوله هو ربكم، ولا يجوز أن يكون هو ربكم جواب الشرط.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ الآية الضمير في يقولون لكفار قريش، وفي افتراه لمحمد ﷺ، هذا قول جميع المفسرين واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فيكون الضمير في يقولون لقوم نوح، وفي افتراه لنوح لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها وهذا بعيد. ﴿إِجۡرَامِي﴾ أي ذنبي.

﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ أي فلا تحزن. ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ أي تحت نظرنا وحفظنا. ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ أي وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك. ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي لا تشفع لي فيهم فإني قد قضيت عليهم بالغرق.

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ
قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَا أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن
كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ
وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ ربع
مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ
فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ
ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ
جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن
رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾
وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ
وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا
لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي
مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

﴿وَكُلَّمَا﴾ يحتمل أن يكون جوابها سخروا منه، أو قال إن تسخروا.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد و﴿مَن يَأْتِيهِ﴾ منصوب بتعلمون. ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو الغرق والعذاب المقيم عذاب النار.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَا أَمْرُنَا﴾ غاية لقوله: واصنع الفلك. ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ أي فار بالماء وجعل الله تلك علامة لنوح ليركب حينئذ في السفينة، والمراد بالتنور الذي يوقد فيه عند ابن عباس(١) وغيره.

وروي(٢): أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح، وقيل: التنور وجه الأرض. ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ المراد بالزوجين الذكر والأنثى من الحيوان، وقرئ(٣) من كل بغير تنوين فعمل احمل في اثنين، ومن قرأ بالتنوين عمل احمل في زوجين وجعل اثنين نعت له على جهة التأكيد. ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي قرابتك وهو معطوف على ما عمل فيه احمل. ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي من قضى عليه بالعذاب فهو مستثنى من أهله، والمراد بذلك ابنه الكافر وامرأته. ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ معطوف على أهلك أي احمل أهلك ومن آمن من غيرهم. ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/٣٣٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/٢٠٢٩.
(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/٣٢٠ بسند ضعيف.
(٣) ﴿من كل زوجين اثنين﴾ هنا والمؤمنون فروى حفص ﴿كل﴾ بالتنوين فيهما، وقرأ الباقون بغير تنوين على الإضافة. النشر: ٢/٣٢٥.

قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ثمانين، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ الضمير في قال لنوح، والخطاب لمن كان معه، والضمير في فيها للسفينة، وروي: أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب واستقرت على الجودي يوم عاشوراء. ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ اشتقاق مجراها من الجري واشتقاق مرساها من الإرساء وهو الثبوت أو من وقوف السفينة، ويمكن أن يكونا ظرفين للزمان أو المكان، أو مصدرين ويحتمل الإعراب من وجهين:

أحدهما: أن يكون اسم الله في موضع الحال من الضمير في اركبوا، والتقدير: اركبوا متبركين باسم الله، أو قائلين بسم الله فيكون مجراها ومرساها على هذا ظرفين للزمان بمعنى وقت إجرائها وإرسائها، أو ظرفين للمكان ويكون العامل فيهما في قوله بسم الله من معنى الفعل في موضع خبر، ويكون قوله بسم الله متصلا مع ما قبله والجملة كلام واحد.

والوجه الثاني: أن يكون كلامين فيوقف على اركبوا فيها، ويكون بسم الله في موضع خبر ومجراها ومرساها مبتدأ بمعنى المصدر، أي إجراؤها وإرساؤها، ويكون بسم الله على هذا مستأنفا غير متصل بما قبله ولكنه من كلام نوح حسبما روي أن نوحا كان إذا أراد أن يجري بالسفينة قال بسم الله فتجري، وإذا أراد وقوفها قال بسم الله فتقف[١].

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ روي أن الماء طبق ما بين السماء والأرض فصار الكل كالبحر قال ابن عطية[٢]: وهذا ضعيف وأين كان الموج كالجبال على هذا وصوبه الزمخشري[٣]، وقال: كانت تجري في موج كالجبال قبل التطبيق، وقبل أن يغمر الماء الجبال. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كان اسمه كنعان، وقيل:

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/٣٣٠.

(٢) المحرر الوجيز: ٣/١٨٨.

(٣) الكشاف: ٢/٣٧٤.

يام وكان له ثلاثة بنون سواه، وهم: سام، وحام، ويافث، ومنهم تناسل الخلق. ﴿فِي مَعْزِلٍ﴾ أي في ناحية.

﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون عاصم اسم فاعل، ومن رحم كذلك بمعنى الراحم، فالمعنى: لا عاصم إلا الراحم وهو الله تعالى.

والثاني: أن يكون عاصم بمعنى ذي عصمة أي معصوم، ومن رحم بمعنى مفعول، أي من رحمه الله فالمعنى لا معصوم إلا من رحمه الله، والاستثناء على هذين الوجهين متصل.

والثالث: أن يكون عاصم اسم فاعل، ومن رحم بمعنى المفعول، والمعنى: لا عاصم من أمر الله لكن من رحمه الله فهو المعصوم.

والرابع: عكسه والاستثناء على هذين منقطع.

﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ عبارة عن جفوف الأرض من الماء. ﴿أَقْلِعِي﴾ أي أمسكي عن المطر، وروي أنها أمطرت من كل موضع منها. ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ أي نقص. ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي تم وكمل. ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ أي استقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل. ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ أي هلاكا وانتصب على المصدر.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء قبل الغرق فيكون العطف من غير ترتيب أو يكون بعده. ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ أي وقد وعدتني أن تنجي أهلي.

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم؛ لأنه كافر، وقال الحسن[1]: لم يكن ابنه ولكنه خانته أمه وكان لغير

---

(١) الطبري في جامع البيان: ١٥/٣٤١.

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

رشده، وهذا ضعيف؛ لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم، ولقوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾. ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ فيه ثلاث تأويلات على قراءة الجمهور:

أحدها: أن يكون الضمير في إنه لسؤال نوح نجاة ابنه.

والثاني: أن يكون الضمير لابن نوح وحذف المضاف من الكلام تقديره إنه ذو عمل غير صالح

والثالث: أن يكون الضمير لابن نوح وعمل مصدر وصف به مبالغة كقولك رجل صوم، وقرأ[1] الكسائي عمل بفعل ماض، غير صالح بالنصب، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال.

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي لا تطلب مني أمرا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه، فإن قيل: لم سمي نداءه سؤالا، ولا سؤال فيه؟ فالجواب: أنه تضمن السؤال وإن لم يصرح به. ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أن في موضع مفعول من أجله تقديره: أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين، وليس في ذلك وصف له بالجهل بل فيه ملاطفة وإكرام.

﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ أي اهبط من السفينة بسلامة. ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ أي ممن معك في السفينة، واختار الزمخشري أن يكون المعنى من ذرية من معك، ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة، فمن على هذا لابتداء الغاية، والتقدير على أمم

(١) التيسير، ص: ٨٨.

ناشئة ممن معك، وعلى الأول تكون من لبيان الجنس. ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ يعني نمتعهم متاع الدنيا وهم الكفار إلى يوم القيامة.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ﴾ إشارة إلى القصة، وفي الآية دليل على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن يعلم ذلك قبل الوحي.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾ يعني في عبادتهم لغير الله.

﴿يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ السماء هنا المطر ومدرارا بناء تكثير من الدر، يقال: در المطر واللبن وغيره، وفي الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار، وروي[1] أن عادا كان حبس عنهم المطر ثلاث سنين فأمرهم بالتوبة والاستغفار ووعدهم على ذلك بالمطر، والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الكفر ثم عن الذنوب؛ لأن التوبة من الذنوب لا تصح إلا بعد الإيمان.

﴿قَالُواْ يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي بمعجزة وذلك كذب منهم وجحود، أو يكون معناه بآية تضطرنا إلى الإيمان بك وإن كان قد أتاهم بآية نظرية. ﴿عَن قَوْلِكَ﴾ أي بسبب قولك.

﴿إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ معناه ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون لما سببتها ونهيتنا عن عبادتها. ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾ هذا أمر بمعنى التعجيز أي لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شيء، ثم ذكر سبب قوته في نفسه وعدم مبالاته بهم فقال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾ الآية.

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ أي هي في قبضته وتحت قهره، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله، وعدم

---

(١) لم أجده مسندا ولكن ذكره النحاس في معاني القرآن: ٣/٣٥٧، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٥/٨، وأبو حيان في البحر المحيط: ٥/٢٣٣، والقرطبي في جامع الأحكام: ٩/٥٤، والبغوي في معالم التنزيل: ٤/١٨٣.

إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا
ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ
إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن
تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي
قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا
فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا
بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
ربع ﴿٦١﴾ ۞ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن
نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

مبالاته بالخلق. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يريد أن أفعال الله جميلة وقوله صدق، ووعده حق، فالاستقامة تامة ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم﴾ أصل تولوا هنا تتولوا؛ لأنه فعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة، فإن قيل: كيف وقع الإبلاغ جوابا للشرط وقد كان الإبلاغ قبل التولي؟ فالجواب: أن المعنى إن تتولوا فلا عتب علي لأني قد أبلغتكم رسالة ربي.

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ أي لا تنقصونه شيئا أي إذا أهلككم واستخلف غيركم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ إن قيل: لم قال هنا وفي قصة شعيب ولما بالواو، وقال في قصة صالح ولوط فلما بالفاء؟ فالجواب: على ما قال الزمخشري أنه وقع ذلك في قصة صالح ولوط بعد الوعيد فجيء بالفاء التي تقتضي التسبيب، كما تقول: وعدته فلما جاء الميعاد، بخلاف قصة هود وشعيب فإنه لم يتقدم ذلك فيهما فعطف بالواو. ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يحتمل أن يريد به عذاب الآخرة، ولذلك عطفه على النجاة الأولى التي أراد بها النجاة من الريح، ويحتمل أن يريد بالثاني أيضا الريح وكرره إعلاما بأنه عذاب غليظ، وتعديدا للنعمة في نجاتهم.

﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ في جمع الرسل هنا وجهان:

أحدهما: أن من عصى رسولا واحدا لزمه عصيان جميعهم فإنهم متفقون على الإيمان بالله وعلى توحيده.

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٢﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٣﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٥﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٦﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٧﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٦٩﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٠﴾

والثاني: أن يراد الجنس، كقولك: فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسا واحدا.

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ هذا تشنيع لكفرهم وتهويل بحرف التنبيه وبتكرار اسم عاد. ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ أي هلاكا، وهذا دعاء عليهم، وانتصابه بفعل مضمر، فإن قيل: كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلكوا؟ فالجواب أن المراد أنهم أهل لذلك. ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ بيان لأن عادا اثنان إحداهما قوم هود، والأخرى إرم ذات العماد.

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ لأن آدم خلق من تراب. ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي جعلكم تعمرونها، فهو من العمران للأرض، وقيل: هو من العمر نحو استبقاكم من البقاء.

﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ أي كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ما قلت، وقيل: معناه: كنا نرجو أن تدخل في ديننا.

﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي بلدكم. ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ قيل: إنها الخميس والجمعة والسبت؛ لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء، وأخذهم العذاب يوم الأحد.

﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾ معطوف على نجينا أي نجيناهم من خزي يومئذ.

﴿جَٰثِمِينَ﴾ ذكر في الأعراف.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ﴾ أي كأن لم يقيموا فيها والضمير للديار وكذلك في قصة شعيب.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَا﴾ الرسل هنا الملائكة. ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ بشروه بالولد. ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ نصب على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر تقديره: سلمنا عليكم سلاما. ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ تقديره عليكم سلام، أو سلام عليكم، وهذا على أن يكون بمعنى التحية، وإنما رفع جوابه ليدل على إثبات السلام فيكون قد حياهم بأحسن مما حيوه، ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة، ونصب الأول لأنه بمعنى الطلب، ورفع الثاني لأنه في معنى الخبر. ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾ أي ما لبث مجيئه بل عجل، وما نافية وأن جاء فاعل لبث. ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي مشوي، وفعيل هنا بمعنى مفعول.

﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي أنكرهم ولم يعرفهم، يقال: نكر وأنكر بمعنى واحد ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قيل: إنه لم يعرفهم فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه، وقيل: عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا بما يخاف، فأمنوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾.

﴿وَامْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ قيل: قائمة خلف الستر، وقيل: قائمة في الصلاة، وقيل: قائمة تخدم القوم، واسمها سارة. ﴿فَضَحِكَتْ﴾ قيل: معناه حاضت وهو ضعيف، وقال الجمهور: هو الضحك المعروف، واختلفوا من أي شيء ضحكت؟ فقيل: سرورا بالولد الذي بشرت به، ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير، وقيل: سرورا بالأمن بعد الخوف، وقيل: سرورا بهلاك قوم لوط ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى لأنها كانت بأمره. ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ أي من بعده وهو ولده، وقيل: الوراء ولد الولد، ويعقوب بالرفع مبتدأ وبالفتح معطوف على إسحاق.

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ۞ فَلَمَّا
ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ
﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ
هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ
﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ
هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ
لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا
نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ
﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ
بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم، وكذلك في يا لهفي ويا أسفي ويا عجبا، ومعناه التعجب من الولادة، وروى: أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة.

﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يحتمل الدعاء والخبر. ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي أهل بيت إبراهيم، وهو منصوب بفعل مضمر على الاختصاص، أو منادى. ﴿حَمِيدٌ﴾ أي محمود. ﴿مَّجِيدٌ﴾ من المجد، وهو العلو والشرف.

﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ هذا جواب لما على أن يكون المضارع في موضع الماضي، أو على تقدير: ظل أو أخذ يجادلنا، أو يكون يجادلنا مستأنفا، والجواب محذوف، ومعنى جداله كلامه مع الملائكة في رفع العذاب عن قوم لوط، وقد ذكر في اللغات.

﴿لَحَلِيمٌ﴾ وفي براءة أواه. ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ أي قلنا: يا إبراهيم أعرض عن هذا، يعني عن المجادلة فيهم فقد نفذ القضاء بعذابهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾ الرسل هم الملائكة، ومعنى سيء بهم أصابه سوء وضجر لما ظن أنه من بني آدم وخاف عليهم من قومه. ﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي شديد.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي يسرعون، وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم

بنزول الأضياف عنده، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث. ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي كانت عادتهم إتيان الفواحش في الرجال. ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ المعنى: فتزوجوهن[1]، وإنما قال ذلك ليقي أضيافه ببناته، وقيل: اسم بنته الواحدة زينا، والأخرى رغوتا، وأن اسم امرأته الهالكة والهة، واسم امرأة نوح والقة.

﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أي مالنا فيهن أرب. ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ يعنون نكاح الذكور.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾ جواب لو محذوف تقديره لو كانت لي قدرة على دفعكم لفعلت ويحتمل أن تكون لو للتمني. ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ معنى آوى ألجأ والمراد بالركن الشديد ما يلجأ إليه من عشيرة وأنصار يحمونه من قومه وقال رسول الله ﷺ: «**يرحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد**»[2] يعني إلى الله وملائكته.

﴿قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ الضمير في قالوا للملائكة والضمير في لن يصلوا لقوم لوط وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذ. ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أي

---

(١) قال ابن عطية موضحا هذا المعنى: فقالت فرقة: أشار إلى بنات نفسه وندبهم في هذه المقالة إلى النكاح، وذلك على أن كانت سنتهم جواز نكاح الكافر المؤمنة، أو على أن في ضمن كلامه أن يؤمنوا... وقالت فرقة: أشار بقوله ﴿بناتي﴾ إلى النساء جملة إذ نبي القوم أب لهم، ويقوي هذا أن في قراءة ابن مسعود «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم» وأشار أيضا لوط في هذا التأويل إلى النكاح. المحرر الوجيز: ٣/٢٠٩..

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٣٧٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٥١)، والنسائي في الكبرى: ٩/١٢٩٣، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٤٠٢٦)، وأحمد في مسنده: ٢/٣٢٦، والطبري في جامع البيان: ١٥/٤١٩، والطحاوي في المشكل: ١/٢٩٧، وابن حبان في صحيحه: ١٤/٨٨، والبغوي في معالم التنزيل: ١/٣٢٣.

اخرج بهم بالليل فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن وقرئ[١] فاسر بوصل الألف وقطعها وهما لغتان يقال: سرى وأسرى. ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي قطعة منه. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ نهوا عن الالتفات لئلا تتفطر أكبادهم على قريتهم وقيل يلتفت معناه يلتوي. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ قرئ[٢] بالنصب والرفع، فالنصب استثناء من قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ فيقتضي هذا أنه لم يخرجها مع أهله، والرفع بدل من ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ وروي على هذا أنه أخرجها معه وأنها التفتت وقالت: يا قوماه! فأصابها حجر فقتلها. ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ أي وقت عذابهم الصبح. ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ذكر أنهم لما قالوا إن موعدهم الصبح قال لهم لوط هلا عذبوا الآن، فقالوا له: أليس الصبح بقريب؟.

﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ الضمير للمدائن روي: أن جبريل أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط واقتلعها، فرفعها حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ أي على المدائن والمراد أهلها، روى: أنه من كان منهم خارج المدائن أصابته الحجارة من السماء، وأما من كان في المدائن فهلك لما قلبت. ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ قيل: معناه من ماء وطين، وإنها كانت من الآجر المطبوخ، وقيل: من سجله إذا أرسله، وقيل: هو لفظ أعجمي. ﴿مَّنضُودٍ﴾ أي مضموم بعضه فوق بعض.

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ معناه معلمة بعلامة، روي: أنه كان فيها بياض وحمرة، وقيل: كان في كل حجر اسم صاحبه. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ الضمير

---

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿فاسر بأهلك﴾ هنا والحجر، وفي الدخان (فأسر بعبادي) وفي طه والشعراء ﴿أن أسر﴾ فقرأ المدنيان وابن كثير بوصل الألف في الخمسة ويكسرون النون من أن للساكنين وصلاً ويبتدئون بكسر الهمزة وقرأ الباقون بقطع الهمزة مفتوحة وهم في السكت والوقف على أصولهم. النشر: ٢/٣٢٧.

(٢) قال الداني: ابن كثير وأبو عمرو ﴿إلا امرأتك﴾ بالرفع، والباقون بالنصب. التيسير، ص: ٨٩.

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨١﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٢﴾ • وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٣﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٤﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَآؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

للحجارة والمراد بالظالمين كفار قريش، فهذا تهديد لهم أي ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم، وقيل: الضمير للمدائن، فالمعنى: ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها كقوله: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾، وقيل: إن الظالمين على العموم.

﴿إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ يعني رخص الأسعار وكثرة الأرزاق. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ يوم القيامة أو يوم عذابهم في الدنيا.

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي ما أبقاه الله لكم من رزقه ونعمته.

﴿أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ الصلوات هي المعروفة، ونسب الأمر إليها مجازا كقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ﴾ والمعنى: أصلاتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان، وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء. ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَآؤُاْ﴾ يعنون ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان وأن نفعل عطف على أن نترك. ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قيل: إنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء، وقيل: معناه الحليم الرشيد عند نفسك.

﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً﴾ أي سالما من الفساد الذي أدخلتم أنتم في أموالكم، وجواب أرأيتم محذوف يدل عليه المعنى، وتقديره: أرأيتم إن كنت على بينة من ربي أيصلح لي ترك تبليغ رسالته؟. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا
تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ
وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم
مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي
عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ ۞ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ثمن
نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن
لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ يقال: خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه، وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ أي لا يكسبنكم عداوتي أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة، وشقاقي فاعل وأن يصيبكم مفعول. ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ يعني في الزمان لأنهم كانوا أقرب الأمم الهالكين إليهم، ويحتمل أن يراد ببعيد في البلاد.

﴿مَا نَفْقَهُ﴾ أي ما نفهم. ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي ضعيف الانتصار والقدرة، وقيل: ناحل البدن، وقيل: أعمى. ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ الرهط القرابة والرجم بالحجارة أو بالسب.

﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هذا توبيخ لهم، فإن قيل: إنما وقع كلامهم فيه وفي رهطه وأنهم هم الأعزة دونه فكيف طابق جوابه كلامهم؟ فالجواب: أن تهاونهم به وهو رسول الله تهاون بالله فلذلك قال: أرهطي أعز عليكم من الله؟. ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ الضمير في اتخذتموه لله تعالى أو لدينه وأمره، والظهري ما يطرح وراء الظهر ولا يعبأ به وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديد، ومعنى مكانتكم تمكنكم في الدنيا وعزتكم فيها. ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ عذاب الدنيا والآخرة. ﴿وَٱرْتَقِبُوٓا﴾ تهديد.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ
﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ
﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ
﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ
ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا
زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ
وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ
خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ
يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾
۞ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ربع
﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ
﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا
مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي بالمعجزات. ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي برهان بين.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ﴾ أي يتقدم قدامهم في النار كما كانوا في الدنيا يتبعونه على الضلال والكفر. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ الورود هنا بمعنى الدخول، وذكره بلفظ الماضي لتحقق وقوعه.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ عطف على ﴿فِى هَٰذِهِۦ﴾ فإن المراد به في الدنيا. ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ أي العطية المعطاة.

﴿قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ باق ودائر.

﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ حجة على التوحيد ونفي الشريك. ﴿تَتْبِيبٍ﴾ أي تخسير.

﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ أي يجمعون فيه للحساب والثواب والعقاب، وإنما عبر باسم المفعول دون الفعل ليدل على ثبوت الجمع لذلك اليوم؛ لأن لفظ مجموع أبلغ من لفظ يجمع. ﴿يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ أي يحضره الأولون والآخرون.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ العامل في الظرف لا تكلم أو فعل مضمر وفاعل يأت ضمير يعود على يوم مشهود، وقال الزمخشري: يعود على الله تعالى كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ ويعضده عود الضمير عليه في قوله بإذنه. ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ الضمير يعود على أهل الموقف الذين دل عليهم قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٖ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٖ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٞ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكّٖ مِّنْهُ مُرِيبٖ ﴿١١٠﴾
وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٞ
﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ
ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ
﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ
ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾
فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ
وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾
وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٖ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

﴿زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ﴾ الزفير إخراج النفس والشهيق رده وقيل: الزفير صوت المحزون، والشهيق صوت الباكي، وقيل: الزفير من الحلق والشهيق من الصدر.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد بها سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة أبدا.

والآخر: أن يكون عبارة عن التأبيد كقول العرب: ما لاح كوكب، وما ناح الحمام، وشبه ذلك مما يقصد به الدوام.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال؛ قيل: إنه على طريق التأدب مع الله، كقولك إن شاء الله وإن كان الأمر واجبا، وقيل: المراد به زمان خروج المذنبين من النار ويكون ﴿ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ على هذا يعم الكفار والمذنبين، وقيل: استثنى مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ، وأما الاستثناء في أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث دون الثاني.

﴿غَيْرَ مَجْذُوذٖ﴾ أي غير مقطوع.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٖ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المرية الشك، والإشارة إلى عبدة الأصنام أي لا تشك في فساد دين هؤلاء. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ أي هم متبعون لآبائهم تقليدا من غير برهان. ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ يعني من العذاب.

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني القدر، وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة فلا يفصل في الدنيا.

﴿وَإِن كُلًّا﴾ قرئ[١] بتشديد إن وبتخفيفها وإعمالها عمل الثقيلة والتنوين في كل عوض من المضاف إليه يعني كلهم، واللام في لما موطئة للقسم وما زائدة، وليوفينهم خبر إن وقرئ[٢] ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد على أن تكون إن نافية ولما بمعنى إلا. ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي جزاء أعمالهم.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني الكفار، وقيل: إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم. ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ مستأنف غير معطوف، وإنما ذكر بثم لبعد النصرة.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ الآية يراد بها الصلوات المفروضة، فالطرف الأول الصبح، والطرف الثاني الظهر والعصر، والزلف من الليل المغرب والعشاء. ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ لفظه عام وخصصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل، روي: أن رجلا قبل امرأة ثم ندم فذكر ذلك للنبي ﷺ وصلى معه الصلاة فنزلت الآية، فقال النبي ﷺ: أين السائل؟ فقال: ها أنذا فقال: قد غفر لك، فقال الرجل: ألي خاصة أو للمسلمين عامة؟ فقال: بل للمسلمين عامة[٣] والآية على هذا مدنية، وقيل: إن الآية كانت

---

(١) قال الداني: الحرميان وأبو بكر: ﴿وإن كلا﴾ باسكان النون والباقون بتشديدها. التيسير، ص: ٨٩.

(٢) قرأعاصم وابن عامر وحمزة ﴿لما ليوفينهم﴾ بتشديد الميم، والباقون بتخفيفها. التيسير المصدر السابق...

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٥٢٦)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٦٣)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣١١٤)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (١٣٩٨)، والنسائي في تفسيره الحديث رقم: (٥٢٤٠)، وأحمد في مسنده: ٣٨٥/١، وابن خزيمة في صحيحه: ٣/٢، والطبري في جامع البيان: ٥١٩/١٥، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٠٥/٤.

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن
رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ
ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٨﴾ • وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ
ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ
وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ
مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢٠﴾ وَٱنتَظِرُوٓا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢١﴾
وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ
فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا
عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ
عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

قبل ذلك وذكرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للرجل مستدلا بها، والآية على هذا مكية كسائر السورة، وإنما تذهب الحسنات عند الجمهور الصغائر إذا اجتنبت الكبائر. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الصلوات أو إلى كل ما تقدم من وعظ ووعد ووعيد.

﴿فَلَوْلَا﴾ تحضيض بمعنى هلا. ﴿أُوْلُوا بَقِيَّةٍ﴾ أي أولو خير ودين بقي لهم دون غيرهم. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد في الأرض، وقيل: هو متصل فإن الكلام الذي قبله في حكم النفي، كأنه قال: ما كان فيهم من ينهى عن الفساد في الأرض إلا قليلا، على أن الوجه في مثل هذا البدل ويجوز فيه النصب. ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني الذين لم ينهوا عن الفساد.

﴿بِظُلْمٍ﴾ هذا المجرور في موضع الحال من ربك، والمعنى: أنه لا يهلك أهل القرى ظالما لهم، تعالى الله عن ذلك.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يعني مؤمنة لا خلاف بينهم في الإيمان. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني في الأديان والملل والمذاهب. ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قيل: الإشارة إلى الاختلاف، وقيل: إلى الرحمة وقيل: إليهما.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ﴾ انتصب كلا بنقص، وما بدل من كلا. ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ الإشارة إلى السورة.

﴿ٱعْمَلُوا﴾ ﴿وَٱنتَظِرُوٓا﴾ تهديد لهم وإقامة حجة عليهم.

سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ﴾ يعني القرآن والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين فيكون غير متعد، أو يكون متعديا بمعنى أنه أبان الحق أي أظهره.

﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يتعلق بأنزلناه أو بعربيا.

﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يعني قصة يوسف، أو قصص الأنبياء على الإطلاق، والقصص يكون مصدرا أو اسم مفعول بمعنى المقصوص، فإن أريد به هنا المصدر فمفعول نقص محذوف؛ لأن ذكر القرآن يدل عليه. ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ الْغَٰفِلِينَ﴾ الضمير في قبله للقصص أي من الغافلين عن معرفته، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله لكونه جاء به من غير تعليم.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ العامل فيه اذكر المضمر أو القصص. ﴿يَٰأَبَتِ﴾ أي يا أبي والتاء للمبالغة، وقيل: للتأنيث وكسرت دلالة على ياء المتكلم، والتاء عوض من ياء المتكلم. ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ كرر الفعل لطول الكلام وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء في ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل وهو السجود، وتأويل الكواكب في المنام إخوته والشمس والقمر أبواه، وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك.

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته فخاف عليه من الحسد.

﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك. ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قيل: هي عبارة الرؤيا واللفظ أعم من ذلك. ﴿ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يعني ذريته.

قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ
كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ
عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ
إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَّقَدْ كَانَ فِى
يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ
وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ
أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ۞ قَالَ قَآئِلٌ
مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ
ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا
عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ
وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟
بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟
لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

ربع

﴿ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي لمن سأل عنها، روي[1] أن اليهود سألوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قصة يوسف، أو أمروا قريشا أن يسألوه عنها، فهم السائلون على هذا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ هو بنيامين وهو أصغر من يوسف، ويقال إنه شقيق يوسف، وكان أصغر أولاد يعقوب. ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي جماعة نقدر على النفع والضر بخلاف الصغيرين والعصبة العشرة فما فوقها إلى الأربعين. ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي في خطإ وخروج عن الصواب بإفراط حبه ليوسف وأخيه.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي لا يشارككم غيره في محبته لكم وإقباله عليكم. ﴿قَوْمًا صَـٰلِحِينَ﴾ أي بالتوبة والاستقامة، وقيل: هو صلاح حالهم مع أبيهم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا، وقيل: روبيل. ﴿غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ غوره وما غاب منه. ﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾ جمع سيار وهم القوم الذين يسيرون في الأرض للتجارة وغيرها. ﴿إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ أي هذا هو الرأي إن فعلتموه.

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي لم تخاف عليه منا؟ وقرأ السبع تأمنا

---

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٢١٧/٤، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٣٤/٩، والواحدي في الوسيط: ٦٠١/٢، ولم أجده مسندا.

بالإدغام والإشمام[١] لأن أصله بضم النون الأولى.

﴿يَرْتَعِ﴾ من قرأه بكسر العين[٢] فهو من الرعي أي من رعى الإبل، أو من رعي بعضهم لبعض وحراسته، ومن قرأه بالإسكان فهو من الرتع وهو الإقامة في الخصب والتنعم، والتاء على هذا أصلية، ووزن الفعل يفعل ووزنه على الأول نفتعل، ومن قرأ يرتع ويلعب بالياء فالضمير ليوسف، ومن قرأ بالنون فالضمير للمتكلمين وهم إخوته، وإنما قالوا نلعب لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء، أوكان اللعب من المباح لتعلم القتال كالمسابقة بالخيل.

﴿وَأَجْمَعُواْ﴾ أي عزموا وجواب لما محذوف، وقيل: إنه ﴿وَأَجْمَعُواْ﴾، أو ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ على زيادة الواو. ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ يحتمل أن يكون هذا الوحي بواسطة ملك أو بإلهام والضمير في إليه ليوسف، وقيل: ليعقوب والأول هو الصحيح. ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ في موضع الحال من لتنبئنهم، أي لا يشعرون حين تنبئهم فيكون خطابا

(١) قال الإمام الداني: وكلهم قرأ ﴿مالك لا تأمنا﴾ بادغام النون الاولى في الثانية واشمامها الضم. التيسير، ص: ٩٠، وقال إمام القراآت في عصره، الشيخ عبد الفتاح القاضي ت: ١٤٠٣هـ ﴿تأمنا﴾ أصله بنونين مظهرتين: الأولى مرفوعة، والثانية مفتوحة، وقد أجمع العشرة على عدم جواز الإظهار في الأولى. واختلفوا بعد ذلك في كيفية القراءة، فقرأ أبو جعفر بإدغامها في الثانية إدغاما محضا، من غير روم ولا إشمام، وقرأ كل من الباقين بوجهين: الأول: إدغامها في الثانية مع الإشمام. والثاني: اختلاس ضمتها، وحينئذ لا يكون فيها إدغام مطلقا؛ لأن الإدغام لا يتأتى إلا بتسكين الحرف المدغم والنون هنا متحركة وإن كانت حركتها غير كاملة فلا تكون مدغمة. والوجهان صحيحان مقروء بهما لجميع القراء إلا أبا جعفر فليس له إلا الإدغام المحض كما سبق. البدور الزاهرة في القراآت العشر المتواترة، ص: ١٧٩، وقال ابن عطية: وقرأ الزهري وأبو جعفر ﴿لا تأمنا﴾ بالإدغام دون إشمام، ورواها الحلواني عن قالون. المحرر الوجيز: ٢٣٦/٣، ونقلت هذه المادة بطولها لكثرة ما يخطأ الناس في قراءة هذا الحرف.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿نرتع ونلعب﴾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما وقرأ الباقون فيهما بالياء وكسر العين من ﴿نرتع﴾ المدنيان وابن كثير وأثبت قنبل فيها من الحالين بخلاف كما تقدم وأسكن الباقون العين. النشر: ٢٣١/٢.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ
وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾
وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا
نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ
كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ
مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَىٰهُ
مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ
وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن
تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ۞ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ
حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو من أوحينا أي لا يشعرون حين أوحينا إليه، فيكون خطابا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿نَسْتَبِقُ﴾ أي نجري على أقدامنا لننظر أينا يسبق. ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي بمصدق لمقالتنا. ﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ أي لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق فكيف وأنت تتهمنا، وقيل معناه لا تصدقنا وإن كنا صادقين في هذه المقالة فذلك على وجه المغالطة منهم والأول أظهر.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة، وروي[1] أنهم لطخوا قميصه بدم جدي وقالوا ليعقوب هذا دمه في قميصه، فقال لهم: ما بال الذئب أكله ولم يخرق قميصه؟ فاستدل بذلك على كذبهم. ﴿سَوَّلَتْ﴾ أي زينت. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وعد من نفسه بالصبر، وارتفاعه على أنه مبتدأ تقديره: صبر جميل أمثل، أو خبر مبتدإ تقديره شأني صبر جميل.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ روي أن هؤلاء السيارة من مدين، وقيل: هم أعراب. ﴿وَارِدَهُمْ﴾ الوارد هو الذي يستقي الماء لجماعة، ونقل السهيلي: أن اسم هذا الوارد مالك بن دعر من العرب العاربة، ولم يكن له ولد، فسأل يوسف أن يدعو له بالولد فدعا له فرزقه الله اثني عشر ولدا أعقب كل واحد منهم قبيلة. ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾ أي نادى بالبشرى، كقولك: يا حسرة وأضافها إلى نفسه

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/٥٨١ عن الشعبي وهو صحيح عن الشعبي إلا أنه مرسل.

وقرئ[1] يا بشرى بحذف ياء المتكلم والمعنى كذلك وقيل: على هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى، وهذا بعيد، ولما أدلى الوارد الحبل في الجب تعلق به يوسف فحينئذ قال يا بشراي هذا غلام. ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ ضمير الفاعل للسيارة وضمير المفعول ليوسف، أي أخفوه من الرفقة أو قالوا لهم دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر.

﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي باعوه، والضمير أيضا للذين أخذوه، وقيل: الضمير لإخوة يوسف، وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة هذا عبدنا ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي ناقص عن قيمته، وقيل: البخس هنا الظلم. ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عبارة عن قلتها. ﴿وَكَانُوا﴾ الضمير للذين أخذوه، أو لإخوته.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾ يعني العزيز، وكان حاجب الملك وخازنه وقال السهيلي: اسمه قطفير. ﴿مِن مِّصْرَ﴾ هو البلد المعروف ولذلك لم ينصرف، وكان يوسف قد سيق إلى مصر فنودي عليه في السوق حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا، وقيل: فضة فاشتراه العزيز. ﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قد تقدم. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ في عود الضمير وجهان:

أحدهما: أن يعود على الله، فالمعنى: أنه يفعل ما يشاء لا راد لأمره.

والثاني: أنه يعود على يوسف، أي يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قيل: الأشد البلوغ، وقيل: ثمان عشرة سنة، وقيل: ثلاث وثلاثون، وقيل: أربعون. ﴿حُكْمًا﴾ هي الحكمة والنبوءة.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ أي طلبت منه ما يكون من الرجل إلى المرأة، وهي زليخا امرأة العزيز. ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ روي: أنها كانت سبعة

---

(١) ﴿يا بشراي﴾ قرأ الكوفيون ﴿يا بشرى﴾ بغير إضافة، وقرأ الباقون بياء مفتوحة بعد الألف. النشر: ٢/٢٣١.

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ
لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن
رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ
إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ
وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ
مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ
أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ
وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ
إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ
أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ
ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ
فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

أبواب. ﴿هِيتَ لَكَ﴾ اسم فعل معناه تعال وأقبل، وقرئ[1] بفتح الهاء وكسرها، وبفتح التاء وكسرها وضمها، والمعنى في ذلك كله واحد، وحركة التاء للبناء، وأما من قرأ بالهمز فهو فعل من تهيأت كقولك: جئت. ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ منصوب على المصدرية، والمعنى أعوذ بالله. ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ يحتمل أن يكون الضمير لله تعالى أو للذي اشتراه؛ لأن السيد يقال له رب، فالمعنى: لا ينبغي لي أن أخونه. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن، ويحتمل ذلك في الأول؟ أي الضمير؟.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ أكثر الناس الكلام في هذه الآية حتى ألفوا فيها التآليف، فمنهم مفرط ومفرط، وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف من حيث الفعل الذي أرادته، وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجليها، وحله التكة، وغير ذلك، مما لا ينبغي أن يقال به، لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله، ومنهم من جعل أنها همت به لتضربه على امتناعه، وهم بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها، وهو بعيد يرده قوله: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، ومنهم من جعل همها به من حيث مرادها وهمه به ليدفعها، وهذا أيضا بعيد لاختلاف سياق الكلام،

---

(١) قال الداني: نافع وابن ذكوان ﴿هيت لك﴾ بكسر الهاء من غير همز وفتح التاء، وهشام كذلك إلا أنه يهمز، وقد روي عنه ضم التاء، وابن كثير بفتح الهاء وضم التاء، والباقون بفتحهما. التيسير، ص: ٩٠.

والصواب إن شاء الله أنها همت به من حيث مرادها، وهم بها كذلك؛ لكنه لم يعزم على ذلك، ولم يبلغ إلى ما ذكر من حل التكة وغيرها، بل كان همه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة، حتى محاها من قلبه، لما رأى برهان ربه، ولا يقدح هذا في عصمة الأنبياء؛ لأن الهم بالذنب ليس بذنب، ولا نقص عليه في ذلك فإنه من هم بذنب ثم تركه كتبت له حسنة. ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِۦ﴾ جوابه محذوف، تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها، وإنما حذف لأن قوله هم بها يدل عليه وقد قيل إن هم بها هو الجواب، وهذا ضعيف؛ لأن جواب لولا لا يتقدم عليها، واختلف في البرهان الذي رآه، فقيل: ناداه جبريل يا يوسف، أتكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء؟، وقيل: رأى يعقوب ينهاه، وقيل: تفكر فاستبصر، وقيل: رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياء منه، فقال: أنا أولى أن أستحيي من الله. ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ﴾ الكاف في موضع نصب متعلقة بفعل مضمر، التقدير: ثبتناه مثل ذلك التثبيت، أو في موضع رفع تقديره: الأمر مثل ذلك. ﴿السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ﴾ خيانة سيده والوقوع في الزنا. ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ قرئ[1] بفتح اللام حيث وقع أي الذين أخلصهم الله لطاعته وبالكسر أي الذين أخلصوا دينهم لله.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ معناه سابق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب فقصد هو الخروج والهروب عنها وقصدت هي أن ترده، فإن قيل: كيف قال هنا الباب بالإفراد وقد قال بالجمع وغلقت الأبواب؟ فالجواب: أن المراد هنا الباب البراني الذي هو المخرج من الدار. ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ أي قطعته من وراء وذلك أنها قبضت قميصه من خلفه لترده فتمزق القميص والقد القطع بالطول والقطع بالعرض. ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ أي وجدا زوجها عند الباب. ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ

(١) ﴿المخلصين﴾ حيث وقع، قرأ المدنيان والكوفيون بفتح اللام، وقرأ الباقون بكسر اللام. النشر: ٢/٣٣٢..

بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ لما رأت الفضيحة عكست القضية وادعت أن يوسف راودها عن نفسها فذكرت جزاء كل من فعل ذلك على العموم ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله في العموم وبناء على أن الذنب ثابت عليه بدعواها. ﴿مَا جَزَآءُ﴾ يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية.

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ برأ نفسه من دعواها. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ قيل: هو ابن عمها، وقيل: كان طفلا في المهد فتكلم، وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وكونه لم يتكلم قط ثم تكلم بذلك كرامة ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتقدير: شهد شاهد فقال، أو ضمنت الشهادة معنى القول. ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ لأنها كانت تدافعه فتقد قميصه من قبل.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ لأنها جذبته إلى نفسها حين فر منها فقدت قميصه من دبر.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ فاعل رأى زوجها، أو الشاهد. ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ الضمير للأمر أو لقولها ما جزاء.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ أي اكتمه ولا تحدث به ويوسف منادى حذف منه حرف النداء؛ لأنه قريب وفي حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته. ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ خطاب لها وذلك من كلام زوجها، أو من كلام الشاهد. ﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ جاء بلفظ التذكير ولم يقل من الخاطئات تغليبا للذكور.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي في مصر، روي[1] أنهن خمس نسوة: امرأة الساقي، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب. ﴿فَتَاهَا﴾ أي خادمها، والفتى يقال بمعنى الشاب، وبمعنى الخادم.

---

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٤/٢٣٦ بدون سند.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا
وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا
رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ
هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ
وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ
لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ
أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ
إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ
كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا
رَأَوُا الْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ
قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ
أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

ربع

﴿شَغَفَهَا﴾ بلغ شغاف قلبها وهو غلافه، وقيل: السويداء منه، وقيل: الشغاف داء يصل إلى القلب.

﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي بقولهن، وسماه مكرا لأنه كان في خفية، وقيل: كانت قد استكتمتهن سرها فأفشينه عليها. ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ أي أعدت لهن ما يتكأ عليه من الفرش ونحوها، وقيل: المتكأ طعام وقرئ[1] في الشاذ متكا بسكون التاء وتنوين الكاف وهو الأترج، وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج، وقيل: كان لحما. ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ أمر ليوسف وإنما أطاعها لأنه كان مملوك زوجها. ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أي عظمن شأنه وجماله، وقيل: معنى أكبرن حضن والهاء للسكت، وهذا بعيد جدا. ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي اشتغلن بالنظر إليه وبهتن من جماله حتى قطعن أيديهن، وهن لا يشعرن كما يقطع الطعام. ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ معناه براءة وتنزيه، أي تنزيه لله وتعجب من قدرته على خلقه مثله، وحاش في باب الاستثناء تخفض على أنها حرف، وأجاز المبرد النصب بها على أن تكون فعلا، وأما هنا قال أبو علي الفارسي: إنها فعل والدليل على ذلك من وجهين:

أحدهما: أنها دخلت على لام الجر وهو اللام في قوله: لله، ولا يدخل الحرف على حرف.

---

(١) ذكرها الزمخشري في الكشاف: ٢/٤٣٨.

والآخر: أنها حذفت منها الألف على قراءة الجماعة، والحروف لا يحذف منها شيء، وقرأها أبو عمرو بالألف[١] على الأصل، وإنما يحذف من الأفعال كقولك: لم يك، ولا أدر، والفاعل بحاش ضمير يعود على يوسف، تقديره: بعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله، وقال الزمخشري: إن حاش وضع موضع المصدر، كأنه قال: تنزيها، ثم قال: لله، ليبين من ينزه، قال: وإنما حذف منه التنوين مراعاة لأصله، من الحرفية. ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ أخرجنه من البشر وجعلنه من الملائكة مبالغة في وصف الحسن. ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۞ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ توبيخ لهن على اللوم.

﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ أي طلب العصمة، وامتنع مما أرادت منه.

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي أميل وكلامه هذا تضرع إلى الله.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ أي ظهر والفاعل محذوف، تقديره: رأي والضمير في لهم لزوجها وأهلها، أو من تشاور معه في ذلك. ﴿رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ أي الأدلة على براءته.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ أي شابان، وقيل: هنا محذوف لا بد منه، وهو فسجنوه وكان يوسف قد قال لأهل السجن إني أعبر الرؤيا، فلذلك سأله الفتيان عن منامهما، وقيل: إنهما استعملاها ليجرباه، وقيل: رأيا ذلك حقا. ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ قيل فيه: سمى العنب خمرا بما يؤول إليه، وقيل: هي لغة. ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قيل معناه في تأويل الرؤيا وقيل إحسانه إلى أهل السجن.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ الآية تقتضي أنه وصف لهما نفسه بكثرة العلم ليجعل ذلك وصلة إلى دعائهما لتوحيد الله، وفيه وجهان:

---

(١) التيسير للداني، ص: ٩٠.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَٰصَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَٰصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ۞ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣)

أحدهما: أنه قال أنه يخبرهما بكل ما يأتيهما في الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما، وذلك من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزة الأنبياء.

والآخر: أنه قال لا يأتيكما طعام في المنام إلا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا.

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ روي: أنهما قالا له من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم؟ فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلا لما قبله من قوله: علمني ربي أو يكون استئنافا.

﴿يَٰصَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ نسبهما إلى السجن إما لأنهما سكناه، أو لأنهما صاحباه في السجن، كأنه قال: يا صاحبي في السجن. ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ الآية دعاهما إلى توحيد الله وأقام عليهما الحجة رغبة في إيمانهما.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَآءً﴾ أوقع الأسماء هنا موقع المسميات، والمعنى سميتم آلهة ما لا يستحق الإلهية، ثم عبدتموها. ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي حجة وبرهان.

﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ يعني الملك.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ الظن هنا يحتمل أن يكون بمعنى اليقين؛ لأن قوله: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ يقتضي ذلك، أو يكون على بابه؛ لأن عبارة الرؤيا ظن.

﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملك. ﴿فَأَنسَىٰهُ الشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ قيل: الضمير ليوسف أي نسي في ذلك الوقت أن يذكر الله، ورجا غيره، فعاقبه الله على ذلك بأن لبث في السجن، وقيل: الضمير للذي نجا منهما، وهو الساقي أي نسي ذكر يوسف عند ربه فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده، والرب على هذا التأويل الملك. ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾ البضع من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى التسعة، وروي[1]: أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ سجن خمس سنين أولا، ثم سجن بعد قوله ذلك سبع سنين.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ هو ملك مصر الذي كان العزيز خادما له، واسمه ريان بن الوليد، وقيل: مصعب بن الريان، وكان من الفراعنة، وقيل: إنه فرعون موسى، عمر أربعمائة سنة حتى أدركه موسى، وذلك بعيد. ﴿إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ يعني في المنام. ﴿عِجَافٌ﴾ أي ضعاف في غاية الهزال. ﴿يَٰٓأَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ خطاب لجلسائه وأهل دولته. ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي تعرفون تأويلها، يقال: عبرت الرؤيا بتخفيف الباء، وأنكر بعضهم التشديد، وهو مسموع من العرب، وأدخلت اللام على المفعول به لما تقدم عن الفعل.

﴿قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر، وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات، واحده ضغث، فإن قيل: لم قال أضغاث أحلام بالجمع وإنما كانت الرؤيا واحدة؟ فالجواب: أن هذا كقولك: فلان يركب الخيل، وإن ركب فرسا واحدا.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة، أو تأويل الأحلام على الإطلاق، وهو الأظهر.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ هو ساقي الملك. ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي بعد حين.

(١) أخرجه ابن مردويه كما في الدر النثور في التفسير بالمأثور: ٤/٥٤٢، وهو ضعيف جدا.

قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم
بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ
بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾
قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى
بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا
عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ
ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ يقدر قبله محذوف لا بد منه، وهو: فأرسلوه فقال يا يوسف، وسماه صديقا لأنه كان قد جرب صدقه في تعبير الرؤيا وغيرها، والصديق مبالغة في الصدق. ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ﴾ أي فيمن رأى سبع بقرات وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف، فتعجب كيف غلبتهن، وكيف وسعت في بطونهن، ورأى سبع سنبلات خضر، وقد التفت بها سبع يابسات، حتى غطت خضرتها.

﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ هذا تعبير للرؤيا، وذلك أنه عبر البقرات السمان بسبع سنين مخصبة، وعبر البقرات العجاف بسبع سنين مجدبة، فكذلك السنبلات الخضر واليابسة ﴿دَأَبًا﴾ بسكون الهمزة وفتحها، مصدر دأب على العمل إذا داوم عليه، وهو مصدر في موضع الحال. ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦ﴾ هذا رأي أرشدهم يوسف إليه، وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين فعلمهم حيلة يبقى بها من السنين المخصبة إلى السنين المجدبة، وهي أن يتركوه في سنبله غير مدروس، فإن الحبة إذا بقيت في غشائها انحفظت. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي لا تدرسوا منه إلا ما يحتاج للأكل خاصة.

﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ يعني سبع سنين ذات شدة وجوع. ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي تأكلون فيهن ما اخترنتم من الطعام في سنبله وأسند الأكل إلى السنين مجازا. ﴿مِّمَّا

تُحْصِنُونَ﴾ أي تخزنون وتخبئون.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾ هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا، وهو الإخبار بالعام الثامن. ﴿يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يحتمل أن يكون من الغيث أي يمطرون، أو من الغوث أي يفرج الله عنهم. ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي يعصرون الزيتون والعنب والسمسم، وغير ذلك مما يعصر.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ قيل: هنا محذوف، وهو: فرجع الرسول إلى الملك فقص عليه مقالة يوسف فرأى علمه وعقله، فقال: ائتوني به. ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ﴾ لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه أراد يوسف أن يبرئ نفسه مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها، وأن يعلم الملك وغيره أنه سجن ظلما، فذكر طرفا من قصته لينظر الملك فيها، فيتبين له الأمر، وكان هذا الفعل من يوسف صبرا وحلما، إذ لم يجب إلى الخروج من السجن ساعة دعي إلى ذلك بعد طول المدة، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز، رعيا لذمام زوجها وسترا لها، بل ذكر النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ الآية، جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن فسألهن عن قصة يوسف، وأسند المراودة إلى جميعهن لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هي التي راودته وحدها. ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تبرئة ليوسف أو تبرئة لأنفسهن من مراودته، وتكون تبرئة ليوسف بقولهن: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾. ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ أي تبين وظهر، ثم اعترفت على نفسها بالحق.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قيل: إنه من كلام امرأة العزيز متصلا بما قبله، والضمير في يعلم وأخنه على هذا ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي ليعلم يوسف أني لم أكذب عليه في حال غيبته، والإشارة بذلك إلى توبتها وإقرارها، وقيل: إنه من كلام يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، والضمير للعزيز أي لم أخنه في زوجته في غيبته، بل تعففت

۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي
فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ
ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ
ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا
تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي
بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَٰوِدُ
عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا بِضَٰعَتَهُمْ
فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا
ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

عنها، والإشارة بذلك إلى توقفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ اختلفت أيضا: هل هو من كلام امرأة العزيز، أو من كلام يوسف؟ فإن كان من كلامها فهو اعتراف بعد الاعتراف، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما هم به على وجه خطوره على قلبه، لا على وجه العزم والقصد، أو قاله في عموم الأحوال على وجه التواضع. ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوٓءِ﴾ النفس هنا للجنس، والنفوس ثلاثة أنواع: أمارة بالسوء، ولوامة: وهي التي تلوم صاحبها، ومطمئنة ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ استثناء من النفس إذ هي بمعنى النفوس، أي النفس المرحومة وهي المطمئنة، فما على هذا بمعنى الذي، ويحتمل أن تكون ظرفية أي إلا حين رحمة الله.

﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أي أجعله خاصتي وخلاصتي، قال أولاً: ائتوني به فلما تبين له حاله قال: أستخلصه لنفسي. ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي فلما رأى حسن كلامه، وعرف وفور عقله وعلمه ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، المكين من التمكين، والأمين من الأمانة.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ لما فهم يوسف من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به، قال له ذلك، وإنما طلب منه الولاية رغبة منه في العدل وإقامة الحق والإحسان، وكان هذا الملك كافرا، ويستدل بذلك على أنه يجوز

للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال، وقيل: إن الملك أسلم وأراد بقوله ﴿خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر، إذ لم يكن للملك غيرها، والخزائن كل ما يخزن من طعام ومال وغير ذلك. ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ صفتان تعمان وجوه المعرفة والضبط للخزائن، وقيل: حفيظ للحساب عليم بالألسن، واللفظ أعم من ذلك، ويستدل بذلك أنه يجوز للرجل أن يعرف بنفسه، ويمدح نفسه بالحق، إذا جهل أمره، وإذا كان في ذلك فائدة.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ الإشارة بذلك إلى ما تقدم من جميل صنع الله به، وروي[1] أن الملك ولاه في موضع العزيز، وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلب على أمره، وأن امرأة العزيز شاخت وافتقرت فتزوجها يوسف ودعا الله فرد عليها جمالها وشبابها، وأنه باع من أهل مصر في أعوام القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى، حتى لم يبق لهم شيء منها ثم بالحلي ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم حتى تملكهم جميعا ثم أعتقهم ورد عليهم أملاكهم. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ الرحمة هنا يراد بها الدنيا وكذلك الأجر في قوله: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بدليل قوله بعد ذلك:

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ فأخبر تعالى أن رحمته في الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاص، وأن المحسن لا بد له من أجره في الدنيا، فالأول: في المشيئة، والثاني: واقع لا محالة، ثم أخبر أن أجر الآخرة خير من ذلك كله للذين آمنوا وكانوا يتقون، وفي الآية إشارة إلى أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ كان سبب مجيئهم أنهم أصابتهم مجاعة في بلادهم

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥١/١٦ عن ابن إسحاق وهو ضعيف، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٦٥/٣.

فخرجوا إلى مصر ليشتروا بها من الطعام الذي ادخره يوسف. ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ إنما أنكروه لبعد العهد به وتغيير سنه أو لأنه كان متلثما، وروي[1] أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك، وأنه سألهم عن أحوالهم وأخبروه أنهم تركوا أخا لهم، فحينئذ قال لهم: ائتوني بأخ لكم من أبيكم، وهو بنيامين شقيق يوسف.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ الجهاز ما يحتاج إليه المسافر من زاد وغيره والمراد به هنا الطعام الذي باع منهم. ﴿خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ أي خير المضيفين.

﴿وَإِنَّا لَفَـٰعِلُونَ﴾ أي نفعل ذلك لا محالة.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ﴾ جمع فتى وهو الخادم سواء كان حرا أو عبدا. ﴿ٱجْعَلُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ أمر أن يجعلوا البضاعة التي اشتروا منه بها الطعام في أوعيتهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾ أي لعلهم يعرفون اليد والكرامة في رد البضاعة إليهم وليس الضمير للبضاعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع وقصد برد البضاعة إليهم مع الطعام استئلافهم بالإحسان إليهم.

﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾ فهو خوف من المنع في المستقبل. ﴿نَكْتَلْ﴾ وزنه نفتعل من الكيل.

﴿مَا نَبْغِى﴾ ما استفهامية ونبغي بمعنى نطلب، والمعنى أي شيء نطلبه بعد هذه الكرامة وهي رد البضاعة مع الطعام، ويحتمل أن تكون ما نافية ونبغي من البغي أي لا نتعدى على أخينا ولا نكذب على الملك. ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي نسوق لهم الطعام. ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ يريدون بعير أخيهم إذ كان يوسف لا يعطي إلا كيل بعير من الطعام لإنسان فأعطاهم عشرة أبعرة ومنعهم الحادي عشر لغيبة

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥٣/١٦ بسند ضعيف.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى
هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا
وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ
مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ
بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾
۞ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ
أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ
إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى
عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا
وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ
إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

صاحبه حتى يأتي، والبعير الجمل.

﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ إن كانت الإشارة إلى الأحمال فالمعنى أنها قليلة لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير وإن كانت الإشارة إلى كيل بعير فالمعنى أنه يسير على يوسف أي قليل عنده أو سهل عليه فلا يمنعهم منه.

﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أراد أن يحلفوا له، ولتأتنني به جواب اليمين. ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ أي إلا أن تغلبوا فلا تطيقون الإتيان به.

﴿يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين؛ إذ كانوا أهل جمال وهيئة.

﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم﴾ جواب لما، والمعنى أن ذلك لا يدفع ما قضى الله.

﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناء منقطع والحاجة هنا هي شفقته عليهم ووصيته لهم.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي ضمه. ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ أخبره بأنه أخوه واستكتمه ذلك. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي لا تحزن، وهو من البؤس. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الضمير لإخوة يوسف ويعني ما فعلوا بيوسف وأخيه، ويحتمل أن يكون لفتيانه أي لا تبالي بما تراه من تحيلي في أخذك.

﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ السقاية هي الصواع وهي إناء يشرب بها الملك ويكال بها الطعام، وكان من فضة، وقيل: من ذهب، وقصد بجعله في رحل

> فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
> أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟
> عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
> وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
> لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ
> ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟
> جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ
> نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ
> ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ
> مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
> نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾
> ربع • قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا
> يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ
> أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا
> كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

أخيه أن يحتال على إمساكه معه إذ كان شرع يعقوب أن من سرق استعبده المسروق له. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي نادى مناد. ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ أي أيتها الرفقة. ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ خطاب لإخوة يوسف، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة لما في ذلك من المصلحة من إمساك أخيه، وقيل: إن حافظ السقاية نادى إنكم لسارقون بغير أمر يوسف، وهذا بعيد؛ لتفتيش الأوعية.

﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي لمن جبره ورده حمل بعير من طعام على وجه الجعل. ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ أي ضامن لحمل البعير لمن رد الصواع، وهذا من كلام المنادي.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي استشهدوا بعلمهم لما ظهر لهم من ديانتهم في دخولهم أرضهم حتى أنهم كانوا يجعلون الأكمة في أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس.

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ أي قال فتيان يوسف ما جزاء آخذ الصواع إن كنتم كاذبين في قولكم ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ فالضمير في قوله ﴿جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ يعود على الأخذ المفهوم من الكلام.

﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ المعنى أن إخوة يوسف أفتوا فيما سئلوا عنه، فقالوا: جزاء السارق أن يستعبد ويؤخذ في السرقة، وأما الإعراب

فيحتمل وجهين:

الأول: أن يكون جزاؤه الأول مبتدأ، ومن مبتدأ ثان وهي شرطية أو موصولة، وخبرها فهو جزاؤه، والجملة خبر جزاؤه الأول.

والوجه الثاني: أن يكون من خبر المبتدإ الأول على حذف مضاف، وتقديره: جزاؤه أخذ من وجد في رحله وتم الكلام، ثم قال: فهو جزاؤه أي هذا الحكم جزاؤه.

و﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من كلام إخوة يوسف أي هذا حكمنا في السراق، وقد كان هذا الحكم في أول الإسلام، ثم نسخ بقطع الأيدي.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ هذا تمكين للحيلة ورفع للتهمة. ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ ليصح له بذلك إمساكه معه، وإنما أنث الصواع في هذا الموضع؛ لأنه سقاية، أو لأن الصواع يذكر ويؤنث. ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي صنعنا له هذا الصنع. ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ أي في شرعه أو عادته لأنه إنما كان جزاء السارق عنده أن يضرب ويضاعف عليه الغرم، ولكن حكم في هذه القضية بحكم آل يعقوب. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ يعني الرفعة بالعلم بدليل ما بعده. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أي فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر، أو الله ﷻ.

﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ الضمير في قالوا لإخوة يوسف، وأشاروا إلى يوسف، ومعنى كلامهم إن يسرق بنيامين فقد سرق أخوه يوسف من قبل، فهذا الأمر إنما صدر من ابني راحيل[1] لأمنا، وقصدوا بذلك رفع المعرة عن

(١) قال الزمخشري: روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء، وأقبلوا عليه وقالوا له: ما الذي صنعت؟ فضحتنا وسوّدت وجوهنا، يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء، متى أخذت هذا الصاع؟ فقال: بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء، ذهبتم=

أنفسهم ورموا بها يوسف وشقيقه واختلف في السرقة التي رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال:

الأول: أن عمته ربته فأراد والده أن يأخذه منها وكانت تحبه ولا تصبر عنه فجعلت عليه منطقة لها ثم قالت إنه أخذها فاستعبدته بذلك وبقي عندها إلى أن ماتت.

والثاني: أنه أخذ صنما لجده والد أمه فكسره.

والثالث: أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين.

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ﴾ قال الزمخشري: الضمير للجملة التي بعد ذلك، وهي قوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾ والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكانا، وقال ابن عطية: الضمير للحرارة التي وجد في نفسه من قولهم: فقد سرق أخ له من قبل، وأسر كراهية مقالتهم ثم جاهرهم بقوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾ أي لسوء أفعالكم. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ إشارة إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة.

﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ استعطافا وكانوا قد أعلموه بشدة محبة أبيه فيه. ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ على وجه الضمان والاسترهان والانقياد، وهذا هو الأظهر لقوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُۥٓ﴾. ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي أحسنت إلينا فيما فعلت معنا من قبل، أو على الإطلاق.

﴿اسْتَيْـَٔسُوا﴾ أي: يئسوا. ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ أي انفردوا عن غيرهم يناجي

= بأخي فأهلكتموه، ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم. واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة، فقيل: كان أخذ في صباه صنماً لجدّه أبي أمّه فكسره وألقاه بين الجيف في الطريق. وقيل: دخل كنيسة فأخذ تمثالاً صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه. وقيل: كانت في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل. الكشاف: ٤٦٤/٢، وقال ابن منظور: وراحِيلُ: اسم أُمِّ يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام. لسان العرب: ٢٦٥/١١.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُۥٓ
إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ
عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ
فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى
وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟
يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا
وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا
فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ
بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ
أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾
وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ
فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ
حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟
بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

بعضهم بعضا، والنجي يكون بمعنى المناجي أو مصدرا. ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ قيل: كبيرهم في السن وهو روبيل، وقيل: كبيرهم في الرأي وهو شمعون، وقيل يهوذا. ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ تحتمل ما وجوها:

الأول: أن تكون زائدة.

والثاني: أن تكون مصدرية ومحلها الرفع بالابتداء تقديره وقع من قبل تفريطكم في يوسف.

والثالث: أن تكون موصولة ومحلها أيضا الرفع كذلك، والأول أظهر.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ يريد الموضع الذي وقعت فيه القصة.

﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ﴾ من قول كبيرهم، وقيل: من قول يوسف، وهو بعيد. ﴿إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ قرأ الجمهور بفتح الراء والسين، وروي عن الكسائي سرق بضم السين وكسر وتشديد الراء، أي نسبت له السرقة. ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ أي قولنا لك إن ابنك سرق: إنما هي شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ أي لا نعلم الغيب هل ذلك حق في نفس الأمر أم لا؟ إذ يمكن أن يدس الصواع في رحله من غير علمه، وقال الزمخشري: المعنى ما شهدنا إلا بما علمنا من سرقته وتيقناه؛ لأن الصواع استخرج من وعائه. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ أي: ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق، وقراءة سرق بالفتح

تعضد قول الزمخشري والقراءة بالضم[(١)] تعضد القول الأول.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ تقديره: واسأل أهل القرية، وكذلك أهل العير يعنون الرفقة هذا قول الجمهور، وقيل: المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها، ولا يبعد أن تخبره الجمادات لأنه نبي، والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز والقرية هنا هي مصر.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾ قبله محذوف، تقديره: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام، فقال: بل سولت الآية. ﴿بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يعني يوسف وأخاه بنيامين وأخاهم الكبير الذي قال لن أبرح الأرض.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ لما لم يصدقهم أعرض عنهم ورجع إلى التأسف ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ تأسف على يوسف دون أخيه الثاني والثالث الذاهبين؛ لأن حزنه عليه كان أشد لإفراط محبته، ولأن مصيبته كانت السابقة. ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ أي من البكاء الذي هو ثمرة الحزن فقيل إنه عمي، وقيل: إنه كان يدرك إدراكا ضعيفا، وروي عن النبي ﷺ أن يعقوب حزن حزن سبعين ثكلى[(٢)] وأُعطي أجر مائة شهيد، وما ساء ظنه بالله قط. ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ قيل: إنه فعيل بمعنى فاعل، أي كاظم لحزنه لا يظهره لأحد ولا يشكو إلا لله، وقيل: بمعنى مفعول كقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي مملوء القلب بالحزن، أو بالغيظ على أولاده، وقيل: الكظيم الشديد الحزن.

﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟﴾ أي لا تفتؤ، والمعنى لا تزال وحذف حرف النفي لأنه لا

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ ابن عباس وأبو رزين «سرق» بضم السين وكسر الراء وتشديدها، وكأن هذه القراءة فيها لهم تحر ولم يقطعوا عليه بسرقة، وإنما أرادوا جعل سارقا بما ظهر من الحال، ورويت هذه القراءة عن الكسائي، وقرأ الضحاك: «إن ابنك سارق» بالألف وتنوين القاف. المحرر الوجيز: ٢٧٨/٣.

(٢) المحرر الوجيز ٢٧٩/٣.

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ
مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ
﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا
وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ
وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ
عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾
قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ
قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ
عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ
بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ
﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتا لكان مؤكدا باللام والنون. ﴿حَرَضًا﴾ أي مشرفا على الهلاك.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ رد عليهم في تفنيدهم له، أي إنما أشكو إلى الله لا إليكم ولا لغيركم، والبث أشد الحزن. ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي أعلم من لطفه ورأفته ورحمته ما يوجب حسن ظني به وقوة رجائي فيه.

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ﴾ يعني إلى الأرض التي تركتم بها أخويكم. ﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي تعرفوا خبرهما، والتحسس طلب الشيء بالحواس السمع والبصر وإنما لم يذكر الولد الثالث لأنه بقي هناك اختيارا منه ولأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه. ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ أي من رحمة الله. ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ إنما جعل اليأس من صفة الكافر لأن سببه تكذيب بالربوبية أو جهل بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ أي على يوسف، وقيل: هذا محذوف تقديره فرجعوا إلى مصر. ﴿ٱلضُّرُّ﴾ يريدون به المجاعة أو الهم على إخوتهم. ﴿بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾ يعنون الدراهم التي جاؤوا بها لشراء الطعام والمزجاة القليلة، وقيل: الرديئة، وقيل: الناقصة، وقيل: إن بضاعتهم كانت عروضا فلذلك قالوا هذا. ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾ قيل: يعنون بما بين الدراهم الجياد وبين دراهمهم، وقيل: أوف لنا الكيل

الذي هو حقنا وزدنا على حقنا، وسموا الزيادة صدقة، ويقتضي هذا أن الصدقة كانت حلالا للأنبياء قبل محمد ﷺ، وقيل: تصدق علينا برد أخينا إلينا. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ قال النقاش: هو من المعاريض؛ ذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه كافر لأنهم لم يعرفوه فظنوا أنه على دين أهل مصر، فلو قالوا إن الله يجزيك بصدقتك كذبوا، فقالوا لفظا يوهم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ لما شكوا إليه رق لهم وعرفهم بنفسه، وروي: أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لثام[١]، ثم أزال اللثام ليعرفوه، وأراد بقوله: ﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ التفريق بينهما في الصغر، ومضرتهم ليوسف وإذايتهم أخيه من بعده فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه. ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ اعتذار عنهم، فيحتمل أن يريد الجهل بقبح ما فعلوه، أو جهل الشباب.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ قرئ[٢] بالاستفهام والخبر، فالخبر على أنهم عرفوه، والاستفهام على أنهم توهموا أنه هو ولم يحققوه ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ قيل إنه أراد من يتق في ترك المعصية ويصبر على السجن واللفظ أعم من ذلك.

﴿ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي فضلك. ﴿لَخَٰطِـِٔينَ﴾ أي عاصين وفي كلامهم استعطاف واعتراف.

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ عفو جميل والتثريب التعنيف أو العقوبة وقوله: اليوم راجع إلى ما قبله فيوقف عليه وهو يتعلق بالتثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار، قيل: إنه يتعلق بيغفر وذلك بعيد؛ لأنه تحكم على الله، وإنما يغفر دعاء

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٦/٢٢٧، وروي أنه كان يكلمهم وعلى وجهه اللثام، وهو منقطع، علقه البغوي في معالم التنزيل: ٤/٢٧٣.

(٢) ﴿أينك لأنت يوسف﴾ قرأه بهمزة واحدة على الخبر ابن كثير وأبو جعفر، والباقون بهمزتين على الاستفهام. النشر: ١/٤٢١.

فكأنه أسقط حق نفسه بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾ روي[1] أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أخرج من النار، وكان من ثياب الجنة ثم صار لإسحاق، ثم ليعقوب ثم دفعه يعقوب ليوسف، وهذا يحتاج إلى سند يوثق به، والظاهر أنه كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كل أحد. ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ الظاهر أنه علم ذلك بوحي من الله.

﴿فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أي خرجت من مصر متوجهة إلى يعقوب. ﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ كان يعقوب ببيت المقدس ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة. ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ أي تلومونني أو تردون على قولي، وقيل: معناه تقولون ذهب عقلك؛ لأن الفند هو الخرف.

﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ أي في ذهابك عن الصواب بإفراط محبتك في يوسف قديما.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ روي: أن البشير كان يهوذا لأنه كان جاء بقميص الدم، فقال لإخوته: إني ذهبت إليه بقميص الترحة فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ وعدهم بالاستغفار لهم، فقيل: سوفهم إلى السحر؛ لأن الدعاء يستجاب فيه، وقيل: إلى ليلة الجمعة.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ هنا محذوفات يدل عليها الكلام، وهي: فرحل

---

(١) ضعيف جدا، علقه البغوي في معالم التنزيل: ٤/٢٧٥، قال ابن عطية في المحرر الوجيز: وهذا كله يحتاج إلى سند والظاهر أنه قميص يوسف الذي هو منه بمنزلة قميص كل أحد، وهكذا تبين الغرابة في أن وجد ريحه من بعد، ولو كان من قمص الجنة لما كان في ذلك غرابة، ولوجده كل أحد. ٣/٢٨٥.

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ
ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا
وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا
وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ
ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ
رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ربع
۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ
فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى
مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ
يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أي ضمهما وأراد بالأبوين أباه وأمه، وقيل: أباه وخالته؛ لأن أمه كانت قد ماتت وتسمى الخالة على هذا أما. ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ راجع إلى الأمن الذي في قوله آمنين.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي على سرير الملك. ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ كان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة. ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ يعني حين رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له، وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عاما، وقيل: أربعون. ﴿أَحْسَنَ بِىٓ﴾ يقال أحسن إليه وبه. ﴿إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ إنما لم يقل أخرجني من الجب لوجهين: أحدهما: أن في ذكر الجب خزي لإخوته وتعريفهم بما فعلوه، فترك ذكره توقيرا لهم.

والآخر: أنه خرج من الجب إلى الرق، ومن السجن إلى الملك، فالنعمة به أكثر.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ أي من البادية وكانوا أصحاب إبل وغنم، فعد من النعم مجيئهم للحاضرة ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي أفسد وأغوى ﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ أي لطيف التدبير لما يشاء من الأمور.

﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ من للتبعيض لأنه لم يعطه إلا بعض ملك الدنيا، بل بعض

وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ
اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ
يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿١٠٩﴾ • حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ
كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ
الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي
الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ
يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

ملك مصر. ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً﴾ لما عدد النعم التي أنعم الله بها عليه اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم، فدعا بالموت، وقيل: ليس ذلك دعاء بالموت، وإنما دعا أن الله يتم عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ﴾ احتجاج على صحة نبوءة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بإخباره بالغيوب. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأكيدا لحجته، والضمير لإخوة يوسف. ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓاْ﴾ أي عزموا. ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ يعني فعلهم بيوسف.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ عموم لأن الكفار أكثر من المؤمنين، وقيل: أراد أهل مكة. ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ اعتراض أي لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم.

﴿وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي لست تسألهم أجرا على الإيمان فيثقل عليهم بسبب ذلك، وهكذا معناه حيث وقع.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ﴾ يعني المخلوقات والحوادث الدالة على الله سبحانه.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ نزلت في كفار العرب[1] الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره، وقيل: في أهل الكتاب لقولهم عزير ابن الله،

---

(١) أورده البغوي في معالم التنزيل: ٤/٢٨٣ بدون سند وأورد الطبري في هذا المعنى آثارا مرسلة: ٦/٢٨٦، ولم يذكر أنها سبب نزول.

والمسيح ابن الله.

﴿غَاشِيَةٌ﴾ هي ما يغشى ويعم.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ إشارة إلى شريعة الإسلام. ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي أدعو الناس إلى عبادة الله، وأنا على بصيرة من أمري وحجة واضحة. ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ أنا تأكيد للضمير في أدعو، ومن اتبعني معطوف عليه، و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ في موضع الحال، وقيل: أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبره، فعلى هذا يوقف على قوله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وهذا ضعيف. ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تقديره: وأقول سبحان الله.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ رد على من أنكر أن يكون النبي من البشر، وقيل: فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسول من النساء. ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أي من أهل المدن لا من أهل البوادي، فإن الله لم يبعث رسولا من أهل البادية لجفائهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ متصل في المعنى بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ إلى قوله ﴿عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ويأسهم يحتمل أن يكون من إيمان قومهم، أو من النصر، والأول أحسن. ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا۟﴾ قرئ[1] بتشديد الذال وتخفيفها، فأما التشديد فالضمير في ظنوا وفي كذبوا للرسل، والظن يحتمل أن يكون على بابه أو بمعنى اليقين أي علم الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيئسوا من إيمانهم، وأما التخفيف فالضميران فيه للقوم المرسل إليهم أي ظنوا أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من الرسالة أو من النصرة عليهم.

﴿فِى قَصَصِهِمْ﴾ الضمير للرسل على الإطلاق، أو ليوسف وإخوته. ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يعني القرآن. ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدم معناه في البقرة.

---

(١) ﴿قد كذبوا﴾ قرأ أبو جعفر والكوفيون بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد. النشر: ٢/٣٣٣.

سُورَةُ الرَّعۡدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ
ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ (١) ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ
ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ
ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ
ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ
فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ
وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ
بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
(٤) ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ
جَدِيدٍۗ (٥) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ
أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٦)

ربع

سورة الرعد

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي آيات هذه السورة، ويحتمل أن يريد آيات الكتب على الإطلاق، ويحتمل أن يريد آيات القرآن، وهذا بعيد لتكرار القرآن بعد ذلك.

﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ يعني القرآن، وإعرابه مبتدأ وخبره الحق.

﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ﴾ أي بغير شيء تقف عليه، إلا قدرة الله. ﴿تَرَوۡنَهَا﴾ قيل: الضمير للسموات فترونها على هذا في موضع الحال أو استئناف، وقيل: الضمير للعمد أي ليس لها عمد مرئية، فيقتضي المفهوم من أن لها عمدا لا ترى، وقيل: إن عمدها هو جبل قاف المحيط بالدنيا، وقال الجمهور: لا عمد لها البتة، فالمراد نفي العمد ونفي رؤيتها. ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ ثم هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب وقوع الأمر، فإن العرش كان قبل خلق السموات، وتقدم الكلام على الاستواء في الأعراف. ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ يعني أمر الملكوت. ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ يعني آيات كتابه.

﴿مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾ يقتضي أنها بسيطة لا كورة وهو ظاهر الشريعة، وقد يترتب لفظ البسط والمد مع التكوير؛ لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدتها، وإنما التكوير لجملة الأرض. ﴿رَوَٰسِيَ﴾ يعني الجبال الثابتة. ﴿زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ يعني صنفين من الثمر كالأسود والأبيض والحلو والحامض، فإن قيل: تقتضي الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين، وقد خلق من كثير من الثمرات أصنافا كثيرة؟

فالجواب: أن ذلك زيادة في الاعتبار وأعظم في الدلالة على القدرة، فذكر الاثنين؛ لأن دلالة غيرهما من باب أولى، وقيل: إن الكلام تم في قوله: ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ثم ابتدأ بقوله: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾ يعني الذكر والأنثى والأول أحسن. ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي يلبسه إياه فيصير له كالغشاء وذلك تشبيه.

﴿قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾ يعني قرى متلاصقة، ومع تلاصقها فإن أرضها تتنوع إلى طيب ورديء وصلب ورخو وغير ذلك، وكل ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر. ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ الصنوان هي النخلات الكثيرة ويكون أصلها واحد، وغير الصنوان المفترق فردا فردا، وواحد الصنوان صنو. ﴿تُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ حجة وبرهان على أنه تعالى قادر مريد؛ لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء الذي تسقى به دليل على القدرة والإرادة وفي ذلك رد على القائلين بالطبيعة.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي إن تعجب يا محمد فإن إنكارهم للبعث حقيق أن يتعجب منه، فإن الذي قدر على إنشاء ما ذكرنا من السموات والأرض والثمرات وغير ذلك، قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم. ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث، واختلف القراء في هذا الموضع وفي سائر المواضع التي فيها استفهامان، وهي أحد عشر موضعا، أولها: هذا، وفي الإسراء موضعان، وفي المؤمنين موضع، وفي النمل موضع، وفي العنكبوت موضع، وفي ألم السجدة موضع، وفي الصافات موضعان، وفي الواقعة موضع، وفي النازعات موضع، فمنهم من قرأ بالاستفهام في الأول والثاني، ومنهم من قرأ بالاستفهام في الأول فقط، وهو نافع، ومنهم من قرأ بالاستفهام في الثاني فقط، وأصل الاستفهام في المعنى، إنما هو عن الثاني في مثل هذا الموضع، فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقا جديدا ولم ينكروا أن يكونوا ترابا، فمن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط فهو على الأصل، ومن قرأ بالاستفهام في

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ
عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا
تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ
الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم
مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ
بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ
بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

الأول فإنما القصد بالاستفهام الثاني، ومن قرأ بالاستفهام فيهما فذلك للتأكيد.

﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد الأغلال في الآخرة فيكون حقيقة، أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ فيكون مجازا يجري مجرى الطبع والختم على القلوب.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي بالنقمة قبل العافية، والمعنى أنهم طلبوا العذاب على وجه الاستخفاف. ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ جمع مثلة على وزن سمرة، وهي العقوبة العظيمة التي تجعل الإنسان مثلا، والمعنى: كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوبات الأمم الذين كانوا قبلهم، أفلا يخافون من مثل ذلك؟. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ يريد ستره وإمهاله في الدنيا للكفار والعصاة، وقيل: يريد مغفرته لمن تاب، والأول أظهر هنا.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية اقترحوا نزول آية على النبي ﷺ، من نزول ملك معه، أو شبه ذلك، ولم يعتدوا[1] بالقرآن ولا بغيره من الآيات العظام التي جاء بها، وذلك منهم معاندة. ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ أي إنما عليك إنذارهم، وليس عليك أن تأتيهم بآية، إنما ذلك إلى الله. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

(١) في (أ) ولم يعتبروا.

أحدها: أن يراد بالهادي الله تعالى، فالمعنى: إنما عليك الإنذار والله هو الهادي لمن يشاء إذا شاء.

والوجه الثاني: أن يريد بالهادي النبي ﷺ، فالمعنى: إنما أنت نبي منذر، ولكل قوم هاد من الأنبياء ينذرهم، فليس أمرك ببدع ولا مستنكر.

الثالث: روي أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذر وأنت يا علي الهادي»[1].

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ كقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ وهي من الخمس التي لا يعلمها إلا الله، ويعني: يعلم هل هو ذكر أو أنثى، تام أو مخدج، أو حسن أو قبيح، أو غير ذلك. ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ معنى تغيض تنقص، ومعنى تزداد من الزيادة، وقيل: إن الإشارة بدم الحيض فإنه يقل ويكثر، وقيل: للولد، فالغيض: السقط أو الولادة لأقل من تسعة أشهر، والزيادة: إبقاؤه أكثر من تسعة أشهر، ويحتمل أن تكون ما في قوله: ﴿مَا تَحْمِلُ﴾ ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ موصولة أو مصدرية.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ المعنى: إن الله يسمع كل شيء، فالجهر والإسرار عنده سواء، وفي هذا وما بعده تقسيم وهو من أدوات البيان، فإنه ذكر أربعة أقسام، وفيه أيضا مطابقة ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ المعنى: سواء عند الله المستخفي بالليل وهو في غاية الاختفاء، مع السارب بالنهار وهو في غاية الظهور، ومعنى السارب المتصرف في سربه بالفتح أي في طريقه ووجهه، والسارب والمستخفي اثنان قصد التسوية بينهما في اطلاع الله عليهما مع تباين حالهما، وقيل: إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار صفتان

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٥٧/١٦ قال ابن كثير في تفسيره: ٥٠٢/٢ (هذا الحديث فيه نكارة شديدة).

لموصوف واحد يستخفي بالليل ويظهر بالنهار، ويعضد هذا كونه قال: وسارب فعطفه عطف الصفات ولم يقل ومن هو سارب بتكرار من كما قال: ﴿مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ إلا أن جعلهما اثنين أرجح ليقابل من أسر القول ومن جهر به، فيكمل التقسيم إلى أربعة على هذا، ويكون قوله وسارب عطف على الجملة وهو قوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ لا على مستخف وحده.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ المعقبات هنا جماعات الملائكة، وسميت معقبات لأن بعضهم يعقب بعضا، والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ يعود على من المتقدمة، كأنه قال: لمن أسر ومن جهر، ولمن استخفى، ولمن ظهر، معقبات، وقيل: يعود على الله، وهو قول ضعيف؛ لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق. ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ صفة للمعقبات، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به حفظ أعماله، أو حفظه وحراسته من الآفات. ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ صفة للمعقبات، أي معقبات من أجل أمر الله، أي أمرهم بحفظه، وقرئ[1] بأمر الله، وهذه القراءة تعضد ذلك، ولا يتعلق من أمر الله على هذا بـ ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾، وقيل: يتعلق به على أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ والمعنى: أن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعم حتى يغيروا هم ما بأنفسهم بالمعاصي، فيقتضي ذلك أن الله لا يسلب النعم ولا يترك النقم إلا بالذنوب.

﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الخوف يكون مع البرق من الصواعق والأمور الهائلة، والطمع في المطر الذي يكون معه. ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ وصفها بالثقل؛ لأنها تحمل الماء.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ الرعد اسم ملك، وصوته المسموع تسبيح، وقد

---

(١) قرأ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة: «يحفظونه بأمر الله» المحرر الوجيز: ٣/٣٠٧، والكشاف: ٢/٤٨٧.

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ
إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ
ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ (١٥) ۞ قُلْ مَن رَّبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا
يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ
أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ (١٦) أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟
كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ
ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦) أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا
فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ
أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ
لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟
بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١٨)

جاء في الأثر أن صوته زجر للسحاب، فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك. ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ قيل: إنه إشارة إلى الصاعقة التي نزلت على أربد الكافر[1] وقتله حين هم بقتل النبي ﷺ هو وأخوه عامر بن الطفيل، واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ يعني الكفار والواو للاستئناف أو للحال. ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ أي شديد القوة، والمحال مشتق من الحيلة، فالميم زائدة ووزنه مفعل، وقيل: معناه شديد المكر، من قولك: محل بالرجل إذا مكر به، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فعال وتأويل المكر على هذا القول كتأويله في المواضع التي وردت في القرآن.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ قيل هي لا إله إلا الله والمعنى أن دعوة العباد بالحق لله ودعوتهم بالباطل لغيره. ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ يعني بالذين ما عبد من دون الله من الأصنام وغيرها، والضمير في يدعون للكفار، والمعنى: أن المعبودين لا يستجيبون لمن عبدهم. ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ شبه إجابة الأصنام لمن عبدهم بإجابة الماء لمن بسط إليه كفيه وأشار إليه بالإقبال إلى فيه، ولا يبلغ فمه على هذا أبدا؛ لأن الماء جماد لا يعقل المراد، فكذلك الأصنام، والضمير في قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٣١٢/١٠ بسند ضعيف وقال الهيثمي في المجمع: ٤٢/٧ (في إسناده عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف).

للماء، وفي ﴿بِبَالِغِهِۦ﴾ للفم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ من لا تقع إلا على من يعقل، فهي هنا يراد بها الملائكة والإنس والجن، فإذا جعلنا السجود بمعنى الانقياد لأمر الله وقضائه، فهو عام في الجميع، من شاء منهم ومن أبى، ويكون: طوعا لمن أسلم ورضي، وكرها لمن كره وسخط، وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد فيكون لسجود الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن طوعا، وأما الكره فهو سجود المنافق وسجود ظل الكافر. ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ معطوف على من، والمعنى أن الظلال تسجد غدوة وعشية، وسجودها انقيادها للتصرف بمشيئة الله، وقيل: سجودها فيئها بالعشي.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب عن السؤال المتقدم وهو: من رب السموات والأرض؟ وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة؛ لأنه أمر واضح لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه، ولذلك أقام به الحجة على المشركين، بقوله: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الأعمى تمثيل للكافر، والبصير تمثيل للمؤمن. ﴿ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر. ﴿وَٱلنُّورُ﴾ الإيمان وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل.

﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أم هنا بمعنى بل والهمزة، وخلقوا صفة لشركاء، والمعنى أن الله وقفهم هل خلق شركاؤهم خلقا كخلق الله؟ فحملهم ذلك واشتباهه بما خلق الله على أن جعلوا إلها غير الله، ثم أبطل ذلك بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فحصل الرد عليهم.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ الآية، هذا مثل ضربه الله للحق وأهله، والباطل وحزبه، فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية وينتفع به الأرض، وبالذهب والفضة والحديد والصفر وغيرها من

المعادن التي ينتفع بها الناس، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بالزبد الذي يرمي به السيل، وبزبد تلك المعادن التي يطفو فوقها إذا أذيبت، وليس في الزبد منفعة وليس له دوام. ﴿بِقَدَرِهَا﴾ يحتمل أن يريد ما قدر لها من الماء، ويحتمل أن يريد بقدر ما تحتمله على قدر صغرها وكبرها. ﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ الزبد ما يحمله السيل من غثاء ونحوه، والرابي المنتفخ الذي ربا، ومنه الربوة. ﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ﴾ المجرور في موضع خبر مقدم، والمبتدأ ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ أي ينشأ من الأشياء التي يوقد عليها زبد مثل زبد السيل. ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ الذي يوقد عليه ابتغاء الحلي هو الذهب والفضة، والذي يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والرصاص والنحاس والصفر، وشبه ذلك، والمتاع ما يستمتع به في مرافقهم وحوائجهم. ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي يضرب أمثال الحق والباطل. ﴿جُفَاءً﴾ يجفوه السيل أي يرمي به. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد الخالص من الماء ومن تلك الأحجار.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ الذين استجابوا هم المؤمنون، وهذا استئناف كلام، والحسنى الجنة، وإعرابها مبتدأ وخبرها ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ مبتدأ، وخبره ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، فيوقف على ﴿الْأَمْثَالَ﴾ وعلى ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ وقيل: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ يتعلق بيضرب، و﴿الْحُسْنَىٰ﴾ مصدر من معنى ﴿اسْتَجَابُوا﴾، أي استجابوا الاستجابة الحسنى، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ معطوف على ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾، والمعنى يضرب الله الأمثال للطائفتين، وعلى هذا إنما يوقف على ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾. ﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أي المناقشة والاستقصاء.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾ تقرير، والمعنى: أسواء من آمن ومن لم يؤمن؟ والأعمى هنا من لم يؤمن بالنبي ﷺ، وقيل: إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب

حزب

﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب (١٩) الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق (٢٠) والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب (٢١) والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار (٢٢) جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (٢٤) والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار (٢٥) الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع (٢٦) ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب (٢٧) الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٢٨)﴾

رضي الله عنه[1]، وأبي جهل لعنه الله.

﴿يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ القرابات وغيرها.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قيل: يدفعون الشرك بقول لا إله إلا الله، وقيل: يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن، والأظهر يفعلون الحسنات فيدرؤون بها السيئات، كقوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ وقيل: إن هذه الآية نزلت في الأنصار[2] ثم هي عامة في كل من اتصف بهذه الصفات. ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ يعني الجنة، ويحتمل أن يريد بالدار: الآخرة، وأضاف العقبى إليها لأنها فيها، ويحتمل أن يريد بالدار: الدنيا، وأضاف العقبى إليها لأنها عاقبتها.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من عقبى الدار، أو خبر ابتداء مضمر تفسيرا لعقبى الدار. ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ أي من كان صالحا. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ أي يقولون لهم سلام عليكم. ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ يتعلق بمحذوف، تقديره: هذا بما صبرتم، ويجوز أن يتعلق بسلام، أي يسلم عليكم بما صبرتم.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية: أوصاف مضادة لما تقدم، وقيل: إنها في الخوارج، والأظهر أنها في الكفار. ﴿سُوءُ الدَّارِ﴾ يحتمل أن يراد بها الدنيا والآخرة.

---

(١) علقه الواحدي في الوسيط: ٣/١٣، وكذا أبو حيان في البحر المحيط: ٥/٣٨٤، وذكره البغوي: ٤/٣٠٩، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٣/٣١٣.

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣/٣١٤ بدون سند.

الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾
۞ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟
عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا
سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل
لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ
لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا
صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ
فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾
أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ
شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وهذا تفسيره حيث وقع. ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إخبار في ضمنه ذم وتسفيه لمن فرح بالدنيا، لذلك حقرها بقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ أي قليل بالنظر إلى الآخرة.

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ خرج به مخرج التعجب منهم لما طلبوا آية، أي قد جاءكم محمد ﷺ بالقرآن، وآيات كثيرة فعميتم عنها، وطلبتم غيرها، وتماديتم على الكفر؛ لأن الله يضل من يشاء مع ظهور الآيات، وقد يهدي من يشاء دون ذلك.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ بدل من ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ أو خبر ابتداء مضمر و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بدل ثان أو مبتدأ.

﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر من طاب كبشرى، ومعناها أصبت خيرا وطيبا، وقيل: هي شجرة في الجنة، وإعرابها مبتدأ.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ الكاف تتعلق بالمعنى الذي في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ مَن يَشَآءُ﴾. ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قيل: إنها نزلت في أبي جهل[1] وقيل: نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية، فكتب

(١) ضعيف ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٤/٣١٨، والقرطبي في جامعه: ٩/٣٢٧.

الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال قائلهم: نحن لا نعرف الرحمن[1]، وهذا ضعيف؛ لأن الآية نزلت قبل ذلك، ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط، ومعنى الآية أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم. ﴿مَتَابِ﴾ مفعل من التوبة وهو اسم مصدر.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الآية جواب لو محذوف، تقديره: لو أن قرآنا على هذه الصفة من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى لم يؤمنوا به، فالمعنى كقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ وقيل: تقديره: ولو أن قرآنا على هذه الصفة لكان هذا القرآن الذي هو غاية في التذكير ونهاية في الإنذار، كقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ وقيل: هو متعلق بما قبله، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال. ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ معناه أفلم يعلم، وهي لغة هوازن. ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني كفار قريش. ﴿قَارِعَةٌ﴾ يعني مصيبة في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، أو غزوات المسلمين إليهم. ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ الفاعل ضمير القارعة، والمعنى: إما أن تصيبهم وإما أن تقرب منهم، وقيل: التاء للخطاب والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي ﷺ، والأول أظهر. ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ هو فتح مكة، وقيل: قيام الساعة.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ﴾ الآية مقصدها تأنيس وتسلية النبي ﷺ، وهكذا حيث وقع. ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أي أمهلتهم.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ هو الله تعالى أي حفيظ رقيب على عمل كل أحد، والخبر محذوف، تقديره: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يعبد أم غيره؟ ويدل على ذلك قوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾. ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي اذكروا أسماءهم. ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ المعنى: أن

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣/٣١٦ عن قتادة. بدون سند.

ربع

۞ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى
الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ
أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ
وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ
أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا
تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾

الله لا يعلم لنفسه شركاء، وإذا لم يعلمهم هو فليسوا بشيء، فكيف تفترون الكذب في عبادتهم وتعبدون الباطل؟ وذلك كقولك: قل لي من زيد؟ أم هو أقل من أن يعرف فهو كالعدم. ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ المعنى: أتسمونهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني بالقتل والأسر والخوف وغير ذلك.

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ هنا وفي القتال صفتها وليس بضرب مثل لها، والخبر عند سيبويه محذوف مقدم، تقديره: فيما يتلى عليكم صفة الجنة، وقال الفراء: الخبر مؤخر، وهو: تجري من تحتها الأنهار ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ يعني ما يؤكل فيها من الثمرات وغيرها، والأكل بضم الهمزة المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها والأكل بفتح الهمزة المصدر.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني من أسلم من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام والنجاشي وأصحابه، وقيل: يعني المؤمنين، والكتاب على هذا القرآن. ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ قيل: هم بنو أمية وبنو المغيرة من قريش، والأظهر أنها في سائر كفار العرب، وقيل: هم اليهود والنصارى؛ لأنهم لا ينكرون القصص والأشياء التي في كتبهم، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو مما حرفوه. ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ وجه اتصاله بما قبله أنه جواب

للمنكرين ورد عليهم، كأنه قال: إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده فكيف تنكرون هذا؟ ﴿مَتَابِ﴾ مفعل من الأوب وهو الرجوع أي مرجعي في الآخرة أو مرجعي بالتوبة.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً﴾ رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر، أو يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر، من النساء والذرية، فالمعنى: لست ببدع في ذلك بل أنت كمن تقدم من الرسل. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رد على الذين اقترحوا الآيات. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ قال الفراء: المعنى لكل كتاب أجل بالعكس، وهذا لا يلزم بل المعنى صحيح من غير عكس، أي لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ.

﴿يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ قيل: يعني ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام ويثبت منها ما يشاء، وقيل: هي في آجال بني آدم، وذلك أن الله تعالى قدر في ليلة القدر، وقيل: في ليلة النصف من شعبان بكتب أجل من يموت في ذلك العام فيمحوه من ديوان الأحياء، ويثبت من لا يموت في ذلك العام، وقيل: إن المحو والإثبات على العموم في جميع الأشياء، وهذا ترده القاعدة المتقررة: أن القضاء لا يبدل وأن علم الله لا يتغير، فقال بعضهم: المحو والإثبات في كل شيء، إلا في السعادة والشقاوة الأخروية، والآجال. ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ إن شرط دخلت عليها ما المؤكدة، وجوابها ﴿فَإِنَّمَا﴾.

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الإتيان هنا بالقدرة والأمر، والأرض أرض الكفار، ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين منها، والمعنى: أولم يروا ذلك فيخافوا أن نمكنك منهم، وقيل: الأرض جنس، ونقصها بموت الناس، وهلاك الثمرات وخراب البلاد، وشبه ذلك ﴿لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ المعقب الذي يكر على الشيء فيبطله.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ
لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ
اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ
اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب. ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ تهديد والمراد بالكافر الجنس بدليل قراءة الكفار[1] بالجمع، وعقبى الدار الدنيا والآخرة.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أمره الله أن يستشهد الله على صحة نبوءته عليه الصلاة والسلام، وشهادة الله له هي علمه بذلك وإظهاره الآيات الدالة على ذلك. ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ معطوف على اسم الله على وجه الاستشهاد به، فقيل: المراد عبد الله بن سلام ومن أسلم من اليهود والنصارى، الذين يعلمون صفته ﷺ من التوراة والإنجيل، وقيل: المراد المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن ودلالته على النبوءة، وقيل: المراد الله تعالى فهو الذي عنده علم الكتاب، ويضعف هذا؛ لأنه عطف صفة على موصوف، ويقويه قراءة[2] «ومن عنده» بمن الجارة وخفض عنده.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) ﴿وسيعلم الكفار﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو ﴿الكافر﴾ على التوحيد، وقرأ الباقون على الجمع. ٢/٣٣٥.

(٢) نسب ابن عطية هذه القراءة لسعيد بن جبير، المحرر الوجيز: ٣/٣٢٣.

سورة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الخطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والظلمات الكفر والجهل، والنور الإيمان والعلم.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي بأمره. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ بدل من النور.

﴿ٱللَّهِ﴾ قرئ[1] بالرفع وهو مبتدأ، أو خبر مبتدإ مضمر وبالخفض بدل.

﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ أي يؤثرون. ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ قد ذكر.

﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أي بلغتهم وكلامهم.

﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي عقوبته للأمم المتقدمة، وقيل: إنعامه على بني إسرائيل، واللفظ يعم النعم والنقم وعبر عنها بالأيام؛ لأنها كانت في أيام، وفي ذلك تعظيم لها كقولهم: يوم كذا ويوم كذا.

﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ ذكر هنا بالواو ليدل على أن سوء العذاب غير الذبح، أو أعم من ذلك ثم جرد الذبح كقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ وذكر في البقرة بغير واو تفسير للعذاب.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ من كلام موسى، وتأذن بمعنى أذن أي أعلم، كقولك: توعد وأوعد، وإعلام الله مقترن بإنفاذ ما أعلم به. ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ هذا معمول تأذن لأنه يتضمن معنى قال، ويحتمل أن تكون الزيادة من خير الدنيا أو من الثواب في الآخرة أو منهما. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ يحتمل أن يريد كفر النعم أو الكفر

(١) ﴿الله الذي﴾ قرأ المدنيان وابن عامر برفع الهاء في الحالين، وافقهم رويس في الابتداء خاصة، وقرأ الباقون بالخفض في الحالين. المصدر السابق.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٨) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٩) وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٠) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ (١١) وَالَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (١٢) ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٣)

ربع

بالإيمان، والأول أرجح لمقابلته بالشكر.

﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ عبارة عن كثرتهم كقوله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾. ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الضمائر لقوم الرسل والمعنى أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم غيظا من الرسل كقوله: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أو استهزاء أو ضحكا كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه.

والثاني: أن الضمائر لهم، والمعنى: أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم إشارة على الأنبياء بالسكوت.

والثالث: أنهم ردوا أيديهم في أفواه الأنبياء تسكيتا لهم ودفعا لقولهم.

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ المعنى: أفي وجود الله شك؟ أو أفي إلهيته شك؟، وقيل: في وحدانيته والهمزة للتقرير والتوبيخ؛ لأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة، ولذلك وصفه بعد بقوله: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: إن من زائدة ومنع سيبويه زيادتها في الواجب، وهي عنده للتبعيض، ومعناه أنه يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدم من ذنبه قبل الإسلام، ويبقى ما يذنب بعده في المشيئة فوقعت المغفرة في البعض ولم يأت في القرآن غفران بعض الذنوب إلا للكافر، كهذا

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن
نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا
سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم
مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ
لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ
ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ
عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ
كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

الموضع، والذي في الأحقاف(١)، وسورة نوح(٢)، وجاء للمؤمنين بغير من كالذي في الصف(٣).

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال الزمخشري(٤) وأهل مذهبه من المعتزلة معناه: يؤخركم إن آمنتم إلى آجالكم، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت، وهذا بناء على قولهم بالأجلين، وأهل السنة يأبون هذا، فإن الأجل عندهم واحد محتوم. ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ يحتمل أن يكون قولهم استبعادا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوءة، أو يكون إحالة لنبوءة البشر، والأول أظهر لطلبهم البرهان في قولهم: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾. ولقول الرسل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، أي بالتفضيل بالنبوءة.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ والمعنى أي شيء يمنعنا من التوكل على الله؟ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إن قيل: لم كرر الأمر بالتوكل؟ فالجواب عندي أن قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ راجع إلى ما تقدم من طلب

---

(١) الذي في الأحقاف ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٣١].

(٢) الذي في سورة نوح: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة نوح آية ٣، ٤].

(٣) ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ...﴾ [سورة الصف آية ١٢].

(٤) الكشاف: ٤/٦١٨ في تفسير سورة نوح.

الكفار بسلطان مبين، أي حجة ظاهرة فتوكل الرسل في ورودها على الله، وأما قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فهو راجع إلى قولهم: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا﴾ أي نتوكل على الله في دفع أذاكم، وقال الزمخشري[1]: إن هذا الثاني في معنى الثبوت على التوكل.

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أو هنا بمعنى إلا أن، أو على أصلها لوقوع أحد الشيئين، والعود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب، ولا يقتضي أن الرسل كانوا في ملة الكفار قبل ذلك.

﴿خَافَ مَقَامِي﴾ فيه ثلاثة أوجه هنا وفي ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ في الرحمن:

فالأول: أن معناه مقام الحساب في القيامة.

والثاني: أن معناه قيام الله على عباده بأعمالهم.

والثالث: أن معناه خافني وخاف ربه على إقحام المقام، أو على التعبير به عن الذات.

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ الضمير للرسل أي استنصروا بالله، وأصله طلب الفتح وهو الحكم. ﴿جَبَّارٍ﴾ أي قاهر أو متكبر. ﴿عَنِيدٍ﴾ مخالف لا ينقاد.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ في الموضعين، الوراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان، وقيل: معناه هنا أمامه وهو بعيد. ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ معطوف على محذوف، تقديره: من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى، وإنما ذكر هذا السقي تجريدا بعد ذكر جهنم؛ لأنه من أشد عذابها.

---

(١) لفظه فإن قلت: كيف كرّر الأمر بالتوكل؟ قلت: الأول لاستحداث التوكل، وقوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدّم. الكشاف: ٢/٥١١.

• أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
(20) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ
اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ
عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (21) وَقَالَ الشَّيْطَانُ
لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا
أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا
أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ
بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
(22) وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَامٌ (23) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً
طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أي يتكلف جرعه وتصعب عليه إساغته، ونفي كاد يقتضي وقوع الإساغة بعد جهد، ومعنى يسيغه يبتلعه. ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي يجد ألما مثل ألم الموت وكربته من جميع الجهات. ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي لا يراح بالموت.

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مذهب سيبويه والفراء فيه كقولهما في مثل الجنة التي في الرعد والقتال، والخبر عند سيبويه محذوف، تقديره: فيما يتلى عليكم، والخبر عند الفراء الجملة التي بعد، والمثل هنا بمعنى الشبيه. ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ شبهها بالرماد في ذهابها وتلاشيها. ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ أي شديد الريح، والعصوف في الحقيقة من صفة الريح. ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي لا يرون له منفعة.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ أي ظهروا ومعنى الظهور هنا خروجهم من القبور، وقيل: معناه صاروا بالبراز وهي الأرض المتسعة. ﴿تَبَعًا﴾ جمع تابع، أو مصدر وصف به مبالغة، أو على حذف مضاف. ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ من الأولى للبيان، والثانية للتبعيض، ويجوز أن يكونا للتبعيض معا، قاله الزمخشري[1] والأظهر أن الأولى للبيان والثانية زائدة، والمعنى: هل أنتم دافعون أو متحملون عنا شيئا من عذاب الله؟ ﴿مَّحِيصٍ﴾ أي مهرب حيث وقع، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسم مكان.

(١) الكشاف: ٢/٥١٥.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يعني إبليس الأقدم روي[1] أنه يقوم خطيبا بهذا الكلام يوم القيامة، أو في النار يقوله لأهلها. ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ إن كان كلام إبليس في القيامة بمعنى قضي الأمر تعين قوم للنار وقوم للجنة، وإن كان في النار فمعنى قضي الأمر حصل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة. ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ استثناء منقطع. ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ أي ما أنا بمغيثكم وما أنتم مغيثين لي. ﴿بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ ما مصدرية أي بإشراككم لي مع الله في الطاعة. ﴿مِن قَبْلُ﴾ يتعلق بأشركتمون، ويحتمل أن يتعلق بكفرتم والأول أظهر وأرجح. ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ استئناف من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون حكاية عن إبليس.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ يتعلق بأدخل أو بخالدين والأول أحسن.

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ ابن عباس[2] وغيره هي لا إله إلا الله، وقيل: كل حسنة. ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة في قول الجمهور، واختار ابن عطية: أنها شجرة غير معينة إلا أنها كل ما اتصف بتلك الصفات. ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي في الهواء وذلك عبارة عن طولها. ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ الحين في اللغة وقت غير محدود، وقد تقترن به قرينة تحده، وقيل: في كل حين، كل سنة لأن النخلة تطعم كل سنة، وقيل: غير ذلك.

(١) الدر المنثور: ١٨/٤ عن ابن المبارك في الزهد بسند ضعيف. والطبري في جامع البيان: ٥٦٢/١٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٢٤٠/٧، والبغوي في معالم التنزيل: ٣٤٥/٤.

(٢) قال ابن جرير حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (كلمة طيبة)، شهادةُ أن لا إله إلا الله (كشجرة طيبة)، وهو المؤمن (أصلها ثابتٌ)، يقول: لا إله إلا الله، ثابتٌ في قلب المؤمن (وفرعها في السماء)، يقول: يُرْفَع بها عملُ المؤمن إلى السماء. جامع البيان: ٥٦٧/١٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٢٤١/٧ بإسناد حسن.

تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ
خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾
ربع ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا
قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ
﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ
الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ
﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ
لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر، وقيل: كل كلمة قبيحة. ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظلة عند الجمهور، واختار ابن عطية أنها غير معينة. ﴿اجْتُثَّتْ﴾ أي اقتلعت، وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة وهذا في مقابلة قوله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾.

﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هو لا إله إلا الله، والإقرار بالنبوءة. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي إذا فتنوا لم يزلوا. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ هو عند السؤال في القبر عند الجمهور.

﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ نعمة الله هنا هو محمد ﷺ ودينه، أنعم الله به على قريش فكفروا النعمة ولم يقبلوها، والتقدير: بدلوا شكر نعمة الله كفرا. ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾ أي من أطاعهم واتبعهم. ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ فسرها بقوله جهنم.

﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا﴾ هي جواب شرط مقدر يتضمنه قول قل، تقديره: إن تقل لهم أقيموا يقيموا، ومعمول القول على هذا محذوف، وقيل: جزم بإضمار لام الأمر، تقديره: ليقيموا. ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ من الخلة وهي المودة.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ يريد الجنس.

﴿الْبَلَدَ آمِنًا﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَاجْنُبْنِي﴾ أي امنعني والماضي منه جنب، يقال جنب وجنب بالتشديد وأجنب بمعنى واحد. ﴿وَبَنِيَّ﴾ يعني بنيه من صلبه،

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ
لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ
الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾
رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ
النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ
عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ ۞ الْحَمْدُ لِلَّهِ ثمن
الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ
الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي
رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

وفيهم أجيبت دعوته، وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام.

﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ يريد: من عصاه بغير الكفر وبالكفر ثم تاب منه فهو الذي يصح أن يدعى له بالمغفرة، ولكنه ذكر اللفظ بالعموم لما كان عَلَيْهِ السَّلَامُ من الرحمة للخلق وحسن الخلق.

﴿أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ يعني ابنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما ولدته أمه هاجر، غارت منها سارة زوجة إبراهيم، فحمله مع أمه من الشام إلى مكة. ﴿بِوَادٍ﴾ يعني مكة، والوادي ما بين جبلين وإن لم يكن فيه ماء. ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ يعني الكعبة، فإما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم على ما جاء في بعض الروايات، وإما أن يكون إبراهيم قد علم أنه سيبني هناك بيتا. ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ اللام يحتمل أن تكون لام الأمر بمعنى الدعاء، أو لام كي وتتعلق بأسكنت، وجمع الضمير يدل على أنه قد كان علم أن ابنه يعقب هناك نسلا. ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ أي تسير بجد وإسراع، ولهذه الدعوة حبب الله حج البيت إلى الناس، على أنه قال من الناس بالتبعيض، قال بعضهم: لو قال أفئدة الناس، لحجته فارس والروم. ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي ارزقهم في ذلك الوادي مع أنه غير ذي زرع، وأجاب الله دعوته، فجعل مكة تجبى إليها ثمرات كل شيء.

﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ الآية يحتمل أن تكون من كلام الله تعالى أو حكاية عن إبراهيم.

﴿وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ روي[1] أنه ولد له إسماعيل وهو ابن مائة وسبع عشرة عاما، وروي أقل من هذا، وإسماعيل أسن من إسحق.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ إن أراد بالدعاء الطلب والرغبة فمعنى القبول الاستجابة، وإن أراد بالدعاء العبادة فالقبول على حقيقته.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ قيل: إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما، والصحيح أنه دعا لهما قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله، حسبما ورد في براءة.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا﴾ هذا وعيد للظالمين وهم الكفار هنا على الأظهر، فإن قيل: لمن هذا الخطاب هنا وفي قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾؟ فالجواب: أنه يحتمل أن يكون خطابا للنبي ﷺ أو لغيره، فإن كان لغيره فلا إشكال، وإن كان له فهو مشكل لأن النبي ﷺ لا يحسب أن الله غافل، وتأويل ذلك بوجهين:

أحدهما: أن المراد الثبوت على علمه بأن الله غير غافل وغير مخلف وعده.

والآخر: أن المراد إعلامه بعقوبة الظالمين فقصد الكلام الوعيد لهم.

﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي تحد النظر من الخوف.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ قيل: الإهطاع الإسراع، وقيل: شدة النظر من غير أن يطرف. ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قيل: الإقناع هو رفع الرأس، وقيل: خفضه من الذلة. ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي لا يطرفون بعيونهم من الحذر والجزع. ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي منحرفة لا تعي شيئا من شدة الجزع فشبهها بالهواء في تفرغه من الأشياء، ويحتمل أن يريد مضطربة في صدورهم.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٧ بإسناد ضعيف.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ
فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ
دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ
الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ
اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾
يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ
الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي
الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ
النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا
أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يعني يوم القيامة، وانتصاب يوم على أنه مفعول ثان لأنذر، ولا يجوز أن يكون ظرفا. ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا﴾ تقديره: يقال لهم أولم تكونوا الآية. ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ هو المقسم عليه، ومعنى من زوال أي من الأرض بعد الموت أي حلفتم أنكم لا تبعثون.

﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي جزاء مكرهم. ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ إن هنا نافية واللام لام الجحود والجبال يراد بها الشرائع والنبوءات شبهت بالجبال في ثبوتها، والمعنى: تحقير مكرهم لأنه لا تزول منه تلك الجبال الثابتة الراسخة، وقرأ الكسائي[1] لتزول بفتح اللام ورفع تزول، وإن على هذه القراءة مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد، والمعنى تعظيم مكرهم، أي أن مكرهم من شدته تزول منه الجبال، ولكن الله عصم ووقى منه.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ يعني وعد النصر على الكفار، فإن قيل: هلا قال مخلف رسله وعده، ولم قدم المفعول الثاني على الأول؟ فالجواب: أنه قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا على الإطلاق، ثم قال: ﴿رُسُلَهُ﴾ ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه؟ فقدم الوعد أولا بقصد الإطلاق، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص.

---

(١) قال الإمام الداني: الكسائي ﴿لَتَزُولُ مِنْهُ﴾ بفتح اللام الأولى، ورفع الثانية، والباقون بكسر الأولى ونصب الثانية. التيسير، ص: ٩٥.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ العامل في الظرف ذو انتقام أو محذوف، وتبديل الأرض بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي، هكذا ورد في الحديث الصحيح[1] ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ تبديلها بانشقاقها وانتشار كواكبها وخسوف شمسها وقمرها، وقيل: تبدل أرضا من فضة وسماء من ذهب، وهذا ضعيف.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني الكفار. ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أي مربوطين في الأغلال.

﴿سَرَابِيلُهُم﴾ أي قمصهم والسربال القميص. ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ متعلق بمحذوف أي جعل الله فيه ذلك وهو الذي تهنأ به الإبل، وللنار فيه اشتعال شديد فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ يتعلق بمحذوف أي فعل الله ذلك ليجزي.

﴿هَٰذَا بَلَاغٌ﴾ إشارة إلى القرآن أو إلى ما تضمنته هذه السورة. ﴿وَلِيُنذَرُوا﴾ معطوف على محذوف تقديره لينصحوا به ولينذروا ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي هذا الذكر لأولي العقول، وهم أهل العلم رضي الله عنهم.

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٦٥٢١)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير: ٥٨٣١/١٦)، وابن حبان في صحيحه: ٣١٢/١٦، والطبري في جامع البيان: ٤٧/١٧، وقوله: كقرصة النقي بفتح النون وكسر القاف: أي الدقيق النقي من الغش والنخال قاله الخطابي. وعفراء بالعين المهملة والمد: أي بيضاء إلى حمرة. فتح الباري: ٣٧٥/١١، والديباج على مسلم: ١٤٩/٦..

سُورَةُ الْحِجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حزب
الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا
وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا
وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا
يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَٰأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ
لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ
﴿٧﴾ مَا تَنَزَّلُ الْمَلَٰٓئِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ
﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ
إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ
الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَآءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سورة الحجر

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ يحتمل أن يريد بالكتاب الكتب المتقدمة وعطف القرآن عليها، والظاهر أنه القرآن وعطفه عطف الصفات.

﴿رُبَمَا﴾ قرئ[1] بالتخفيف والتشديد، وهما لغتان وما حرف كافة لرب، ومعنى رب التقليل وقد تكون للتكثير، وقيل: إن هذه منه، وقيل: إنما عبر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكم كقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ﴾، و﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾، وقيل: إن معنى التقليل في هذه أنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودونه مرارا كثيرة، ولا تدخل رب إلا على الفعل الماضي، وإنما دخلت هنا على المضارع لأنه في التحقيق كالماضي. ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ قيل: إن ذلك عند الموت، وقيل: في القيامة، وقيل: إذا خرج عصاة المسلمين من النار، وهذا هو الأرجح لحديث[2] روي في ذلك.

﴿ذَرْهُمْ﴾ وما بعده تهديد.

---

(١) قال الداني: قرأ نافع وعاصم ﴿رُبَمَا﴾ بتخفيف الباء، والباقون بتشديدها. التيسير، ص: ٩٥.

(٢) حديث صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/٢٤٢، والطبراني كما في تفسير ابن كثير: ٢/٥٤٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٢٥٥، والطبري في جامع البيان: ١٧/٦١ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وله عدة شواهد تقويه.

﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي وقت محدود.

﴿وَقَالُواْ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ الضمير في قالوا لكفار قريش، وقولهم نزل عليه الذكر يعنون على وجه الاستخفاف، أي بزعمك ودعواك.

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ لو ما عرض وتحضيض، والمعنى أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بالملائكة معه.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ رد عليهم فيما اقترحوا، والمعنى: أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحي والمصالح التي يريدها الله، لا باقتراح مقترح ولا باختيار كافر معترض، وقيل: الحق هنا العذاب. ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذاً مُّنظَرِينَ﴾ إذا جواب وجزاء، والمعنى: لو أنزل الملائكة لم يؤخر عذاب هؤلاء الكفار الذين اقترحوا نزولهم؛ لأن من عادة الله أن من اقترح آية فرآها ولم يؤمن، أنه يعجل له العذاب، وقد علم الله أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ الذكر هنا هو القرآن، وفي قوله إنا نحن نزلنا الذكر رد لإنكارهم واستخفافهم في قولهم: ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ ولذلك أكده بنحن واحتج عليه بحفظه، ومعنى حفظه حراسته عن التبديل والتغيير، كما جرى في غيره من الكتب، فتولى الله حفظ القرآن فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه ولا تبديله، بخلاف غيره من الكتب فإن حفظها موكول إلى أهلها لقوله: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾.

﴿فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الشيع جمع شيعة، وهي الطائفة التي تتشيع لمذهب أو رجل.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ معنى نسلكه ندخله، والضمير في نسلكه يحتمل أن يكون للاستهزاء الذي دل عليه قوله: ﴿بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أو يكون للقرآن أي نسلكه في قلوبهم فيستهزئوا به، ويكون قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ تشبيها للاستهزاء المتقدم، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ تفسير لوجه إدخاله في قلوبهم، والضمير في به للقرآن.

﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي تقدمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء حتى هلكوا بذلك، ففي الكلام تهديد لقريش.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ الضمائر لكفار قريش المعاندين المختوم عليهم بالكفر، وقيل: الضمير في ظلوا وفي يعرجون للملائكة، وفي قالوا للكفار، ومعنى يعرجون يصعدون، والمعنى: أن هؤلاء الكفار لو رأوا أعظم آية لقالوا إنها تخييل أو سحر، وقرئ[1] سكرت بالتشديد والتخفيف، ويحتمل أن يكون مشتقا من السكر فيكون معناه أجبرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته، أو من السكر وهو السد فيكون معناه منعت أبصارنا من النظر.

﴿بُرُوجًا﴾ يعني المنازل الاثني عشر.

﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ استثناء من حفظ السموات فهو في موضع نصب.

﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ أي مقدر بقصد وإرادة، فالوزن على هذا استعارة، وقيل: المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والأطعمة والأول أظهر وأحسن.

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ يعني البهائم والحيوانات، ومن معطوف على معايش، وقيل: على الضمير في لكم وهذا ضعيف في النحو لأنه عطف على

---

(١) ﴿سُكِّرَتْ﴾ قرأ ابن كثير بتخفيف الكاف، وقرأ الباقون بتشديدها، النشر: ٢/٢٣٨.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (16)
وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (17) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (18) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20) وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا
خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (21) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ
فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ
(22) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (23) وَلَقَدْ عَلِمْنَا
الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (24) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (25) • وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن
صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
السَّمُومِ (27) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن
صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31)

الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض، وهو قوي في المعنى، أي جعلنا في الأرض معايش لكم وللحيوانات.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ قيل: يعني المطر، واللفظ أعم من ذلك، والخزائن المواضع الخازنة، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت، وقيل: ذلك تمثيل، والمعنى: وإن من شيء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه. ﴿بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي بمقدار محدود.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ يقال لقحت الناقة والشجرة إذا حملت فهي لاقحة، وألقحت الريح الشجر فهي ملقحة، ولواقح جمع لاقحة لأنها تحمل الماء، أو جمع ملقحة على حذف الميم الزائدة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الآية، يعني الأولين والآخرين من الناس، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذي ذكر بعد ذلك في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ لأنه إذا أحاط بهم علما لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم، وقيل: يعني من استقدم ولادة وموتا، ومن تأخر، وقيل: من تقدم إلى الإسلام ومن تأخر عنه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ﴾ الإنسان هنا: آدم عليه السلام، والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل أي يصوت، وهو غير مطبوخ فإذا طبخ فهو فخار. ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ الحمأ الطين الأسود، والمسنون المتغير المنتن، وقيل: إنه من أسن

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ
أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ
(٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ
إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦)
قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨)
قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَٰذَا
صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ
أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ
(٤٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ
آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ
مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ
(٤٨) • نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي ربع
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١)

الماء إذا تغير، والتصريف يرد هذا القول، وموضع من حمإ صفة لصلصال أي صلصال كائن من حمإ.

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ﴾ يراد به جنس الشياطين، وقيل: إبليس الأول، وهذا أرجح لقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ وتناسلت الجن من إبليس، وهو للجن كآدم للناس.

﴿السَّمُومِ﴾ شدة الحر.

﴿خَالِقٌ بَشَرًا﴾ يعني آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ يعني الروح التي في الجسد، وأضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافة ملك إلى مالك، أي من الروح الذي هو لي وخلق من خلقي، وتقدم الكلام على سجود الملائكة في البقرة.

﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة أو من السماء.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ يقتضي إقراره بالربوبية وأن كفره كان بوجه غير الجحود، وهو اعتراضه على الله في أمره بالسجود لآدم.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ اليوم الذي طلب إبليس أن ينظر إليه هو يوم القيامة، ويوم الوقت المعلوم الذي أنظر إليه هو يوم النفخ في الصور النفخة الأولى، حين يموت من في السموات ومن في الأرض، وكان سؤال إبليس الإنظار إلى يوم القيامة جهلا منه ومغالطة إذ سأل ما لا سبيل إليه؛ لأنه لو أعطي ما سأل لم يمت أبدا لأنه لا يموت أحد بعد البعث، فلما سأل ما لا سبيل إليه أعرض الله عنه

وأعطاه الانتظار إلى النفخة الأولى.

﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للسببية أي لأغوينهم بسبب إغوائك لي، وقيل: للقسم كأنه قال: بقدرتك على إغوائي لأغوينهم، والضمير لذرية آدم.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ القائل لهذا هو الله تعالى، والإشارة بهذا إلى نجاة المخلصين من إبليس، وأنه لا يقدر عليهم أو إلى تقسيم الناس إلى غوي ومخلص.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يحتمل أن يريد بالعباد جميع الناس، فيكون قوله إلا من اتبعك استثناء متصلا، أو يريد بالعباد المخلصين فيكون الاستثناء منقطعا.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير للغاوين.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ روي[1] أنها سبعة أطباق في كل طبقة باب، فأعلاها للمذنبين من المسلمين، والثاني: لليهود، والثالث: للنصارى، والرابع: للصابئين، والخامس: للمجوس، والسادس: للمشركين، والسابع: للمنافقين.

﴿ادْخُلُوهَا﴾ تقديره: يقال لهم ادخلوها، والسلام يحتمل أن يكون التحية أو السلامة.

﴿إِخْوَانًا﴾ يعني أخوة المودة والإيمان. ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ أي يقابل بعضهم بعضا في الأسرة.

﴿نَصَبٌ﴾ أي تعب. ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾ الآية أي أعلمهم والآية آية ترجية وتخويف.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ضيف هنا واقع على جماعة وهم الملائكة

---

(١) أوله صحيح عن علي موقوفا، أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/١٠٦، والبيهقي في الشعب، وأما آخره فهو ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٢٦٥.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾
قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي
عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ
بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا
لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ
﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾
وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا
حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ
مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

الذين جاءو إلى إبراهيم بالبشرى.

﴿وَجِلُونَ﴾ أي خائفون، والوجل: الخوف.

﴿لَا تَوْجَلْ﴾ أي لا تخف.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق[1].

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ المعنى أبشرتموني بالولد مع أنني قد كبر سني وكان حينئذ ابن مائة سنة وقيل أكثر.

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ قال ذلك على وجه التعجب من ولادته في كبره أو على وجه الاستبعاد لذلك، وقرئ[2] تبشرون بتشديد النون وكسرها على إدغام نون الجمع في نون الوقاية، وبالكسر والتخفيف على حذف إحدى النونين وبالفتح وهي نون الجمع.

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي باليقين الثابت فلا تستبعده ولا تشك فيه.

﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ دليل على تحريم القنوط وقرئ[3] يقنط بفتح النون وكسرها، وهما لغتان.

---

(١) الصحيح أنه إسماعيل. وقد جئنا بدليل ذلك في موضعه.

(٢) ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونِ﴾ فقرأ نافع وابن كثير بكسر النون وفتحها الباقون وشددها ابن كثير، وقرأ الباقون بتخفيفها. النشر: ٢/٣٣٩.

(٣) ﴿يَقْنَطُ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي وكذا يعقوب وخلف بكسر النون وافقهم اليزيدي والحسن والأعمش، والباقون بفتحها. إتحاف فضلاء البشر للدمياطي، ص: ٣٨٧.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي ما شأنكم وبأي شيء جئتم.

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ يحتمل أن يكون استثناء من قوم لوط فيكون منقطعا لوصف القوم بالإجرام ولم يكن آل لوط مجرمين، ويحتمل أن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كأنه قال: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط فلم يجرموا.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ استثناء من آل لوط فهو استثناء من استثناء، وقال الزمخشري: إنما هو استثناء من الضمير المجرور في قوله: ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾ وذلك هو الذي يقتضيه المعنى. ﴿قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الغابر يقال بمعنى الباقي وبمعنى الذاهب، وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم وهو لله وحده لما لهم من القرب والاختصاص بالله لا سيما في هذه القضية كما يقول خاصة الملك: دبرنا كذا، ويحتمل أن يكون حكاية عن الله.

﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي لا نعرفهم.

﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي جئناك بالعذاب لقومك ومعنى يمترون يشكون فيه.

﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ أي كن خلفهم وفي ساقتهم حتى لا يبقى منهم أحد وليكونوا قدامه فلا يشتغل قلبه بهم ولو كانوا وراءه لاشتغل لخوفه عليهم. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ تقدم في هود. ﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قيل: هي مصر، وقيل: حيث هنا للزمان إذ لم يذكر مكان.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ هو من القضاء والقدر، وإنما تعدى بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا، وقيل: معناه أعلمناه بذلك الأمر. ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ هذا تفسير لذلك الأمر، ودابر القوم أصلهم، والإشارة إلى قوم لوط. ﴿مُّصْبِحِينَ﴾

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي
سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾
فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ
لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ • وَلَقَدۡ
كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا
فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا
ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا
كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ
إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي
وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا
مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ
إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

في الموضعين أي إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح.

﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ المدينة هي سدوم، واستبشار أهلها بالأضياف طمعا أن ينالوا منهم الفاحشة. ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ كانوا قد نهوه أن يضيف أحدا.

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ دعاهم إلى تزويج بناته ليقي بذلك أضيافه.

﴿لَعَمۡرُكَ﴾ قسم، والعمر الحياة ففي ذلك كرامة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الله أقسم بحياته، أو قيل هو من قول الملائكة للوط وارتفاعه بالابتداء وخبره محذوف تقديره لعمرك قسمي واللام للتوطئة. ﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ الضمير لقوم لوط وسكرتهم ضلالهم وجهلهم ويعمهون أي يتحيرون.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ أي صيحة جبريل وهي أخذه لهم. ﴿مُشۡرِقِينَ﴾ أي داخلين في الشروق وهو وقت بزوغ الشمس، وقد تقدم تفسير ما بعد هذا من قصتهم في هود.

﴿لِلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ أي للمتفرسين، ومنه فراسة المؤمن، وقيل: للمعتبرين وحقيقة التوسم النظر إلى السيمة.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ﴾ أي بطريق ثابت يراه الناس، والضمير للمدينة المهلكة.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ أصحاب الأيكة قوم شعيب، والأيكة: الغيضة من الشجر لما كفروا أضرمها الله عليهم نارا.

﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ الضمير في إنهما قيل: إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب، فالإمام على هذا الطريق أي إنهما بطريق واضح يراه الناس، وقيل: الضمير للوط وشعيب، أي إنهما على طريق من الشرع واضح، والأول أظهر.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾ هم ثمود قوم صالح، والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام. ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحدا منهم، وفي ذلك تأويلان:

أحدهما: أن من كذب واحدا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع لأنهم جاءوا بأمر متفق من التوحيد.

والثاني: أنه أراد الجنس كقولك فلانا يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسا واحدا.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ يعني الناقة، وما كان فيها من العجائب.

﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ النحت: النقر بالمعاويل وشبهها، في الحجر والعود وشبه ذلك، وكانوا ينقرون بيوتهم في الجبال.

﴿ءَامِنِينَ﴾ يعني آمنين من تهدم بيوتهم لوثاقتها، وقيل: آمنين من عذاب الله.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ يعني أنها لم تخلق عبثا. ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ قيل: إن الصفح الجميل هو الذي ليس معه عقاب ولا عتاب، وفي الآية مهادنة للكفار منسوخة بالسيف.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ قيل: يعني أم القرآن لأنها سبع آيات، وقيل: يعني السور السبع الطوال؛ وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع براءة، والأول أرجح لوروده في

الحديث[١]، والمثاني: مشتق من التثنية وهي التكرير؛ لأن الفاتحة تكرر قراءتها في الصلاة ولأن غيرها من السور تكرر فيها القصص وغيرها، وقيل: هو مشتق من الثناء، لأن فيها ثناء على الله، ومن يحتمل أن تكون للتبعيض، أو لبيان الجنس، وعطف القرآن على السبع المثاني لأنه يعني ما سواها من القرآن فهو عموم بعد الخصوص.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي لا تنظر إلى ما متعناهم به في الدنيا ومعنى الآية تزهيد في الدنيا، كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم فلا تنظر إلى الدنيا فإن الذي أعطيناك أعظم منها. ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ يعني أصنافا من الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا تأسف لكفرهم. ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي تواضع ولن. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ والجناح هنا استعارة.

﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ الكاف من كما متعلقة بقوله: أنا النذير أي أنذر قريشا عذابا مثل العذاب الذي أنزل على المقتسمين، وقيل متعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك كتابا كما أنزلنا على المقتسمين. واختلف في المقتسمين فقيل هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه فاقتسموا إلى قسمين، وقيل هم قريش اقتسموا أبواب مكة في الموسم فوقف كل واحد منهم على باب يقول أحدهم هو شاعر ويقول الآخر هو ساحر وغير ذلك.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أي أجزاء وقالوا فيه أقوالا مختلفة. وواحد عضين عضة، وقيل: هو من العضه وهو السحر والعاضه الساحر والمعنى على هذا قالوا أنه سحر، والكلمة محذوفة اللام ولامها على القول الأول واو وعلى الثاني هاء.

---

(١) صحيح في البخاري وغيره، وقد تقدم تخريجه من حديث أبي هريرة، وحديث أبي سعيد بن المعلى في المقدمات.

ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ
يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع ۞ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾
وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إن قيل: كيف يجمع بين هذا وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان؟ فالجواب: أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ وأن السؤال المنفي هو على وجه الاستفهام المحض لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي صرح به وأنفذه.

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ يعني قوما من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعي النبي ﷺ وكانوا خمسة؛ الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن غيطلة، وقصة هلاكهم مذكورة في السير[1]، وقيل هم: الذين قتلوا ببدر؛ كأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعقبة بن معيط أي وغيرهم والأول أرجح لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تسلية للنبي ﷺ وتأنيس.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ أي الموت.

*** *** ***

(١) ابن كثير: ٢/٦٩١.

سورة النحل

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قيل: يعني القيامة، وقيل: النصر على الكفار، وقيل: عذاب الكفار في الدنيا ووضع الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوع الأمر ولقربه، وروي[١] أنها لما نزلت وثب رسول الله ﷺ قائما، فلما قال: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ سكن.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ أي بالنبوءة، وقيل: بالوحي.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي من نطفة المني والمراد جنس الإنسان. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه.

والثاني: يخاصم في ربه ودينه وهذا في الكفار والأول أعم.

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ أي ما يتدفأ به، يعني ما يتخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب، ويحتمل أن يكون قوله لكم متعلقا بما قبله أو بما بعده، ويختلف الوقوف باختلاف ذلك. ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ يعني شرب ألبانها، والحرث بها، وغير ذلك. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يحتمل أن يريد بالمنافع ما عدا الأكل فيكون الأكل أمرا زائدا عليها، أو يريد بالمنافع الأكل وغيره ثم جرد ذكر الأكل لأنه أعظم المنافع.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ الجمال حسن المنظر، وحين تريحون يعني حين تردونها بالعشي إلى المنازل، وحين تسرحون حين تردونها

---

(١) أورده الواحدي في أسبابه معلقا، ص: ٢٣٤، والبغوي في معالم التنزيل: ٥/٧ بدون إسناد عن ابن عباس.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا
بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ
وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ
شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ
﴿١٠﴾ نُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ
وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ
الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

بالغداة إلى الرعي، وإنما قدم تريحون على تسرحون لأن جمال الأنعام بالعشي أكثر لأنها ترجع وبطونها ملأى وضروعها حافلة.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ يعني الأمتعة وغيرها، وقيل: أجساد بني آدم. ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ أي إلى أي بلد توجهتم، وقيل: يعني مكة. ﴿بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ أي بمشقة.

﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ استدل بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير[١]، لكونه علل خلقتها بالركوب والزينة دون الأكل، ونصب زينة على أنه مفعول من أجله وهو معطوف على موضع لتركبوها. ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عبارة على العموم، أي أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها، وكل من ذكر في هذه الآية شيئا مخصوصا فهو على وجه المثال.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي على الله تقويم طريق الهدى بنصب الأدلة وبعث الرسل، والمراد بالسبيل هنا الجنس، ومعنى القصد: القاصد الموصل، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة إلى الموصوف. ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ الضمير في منها يعود على السبيل، إذ المراد به الجنس، ومعنى الجائر الخارج عن الصواب، أي ومن الطريق جائر كطريق اليهود والنصارى وغيرهم.

---

(١) وهو استنباط حسن لولا الحديث الصحيح، فقد ذهب الشافعية والحنابلة، وقول للمالكية: إلى إباحة أكل لحم الخيل، لحديث جابر، قال: «نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، ورخص في لحوم الخيل». فتح الباري: ٩/٦٤٨.

۞ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ
وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ
رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ
كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ
عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿مَّآءً لَّكُم﴾ يحتمل أن يتعلق لكم بأنزل أو يكون في موضع خبر لشراب أو صفة لماء. ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يعني ما ينبت بالمطر من الشجر. ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي ترعون أنعامكم.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك. ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي أصنافه وأشكاله.

﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني الحوت. ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني الجواهر والمرجان. ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ جمع ماخرة، يقال: مخرت السفينة، والمخر شق الماء، وقيل: صوت جرى الفلك بالرياح. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ يعني في التجارة، وهو معطوف على لتأكلوا.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ الرواسي الجبال، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت، وأن تميد في موضع مفعول من أجله، والمعنى أنه ألقى الجبال في الأرض لئلا تميد الأرض، وروي(١) أن الله لما خلق الأرض جعلت تميد، فقالت الملائكة لا يستقر على ظهر هذه أحد، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال. ﴿وَأَنْهَارًا﴾ قال ابن عطية: أنهارا منصوب بفعل مضمر، تقديره: وجعل أو خلق أنهارا، قال وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على أن ألقى أخص من جعل وخلق، ولو كانت ألقى بمعنى خلق لم يحتج إلى هذا الإضمار. ﴿وَسُبُلًا﴾ يعني الطرق.

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ يعني ما يستدل به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك،

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/١٨٣، وهو حديث ضعيف.

وهو معطوف على أنهارا وسبلا، قال ابن عطية: هو نصب على المصدر أي لعلكم تعتبرون وعلامات أي عبرة وأعلاما. ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني الاهتداء بالليل في الطرق، والنجم هنا جنس، وقيل: المراد الثريا والفرقدان، فإن قيل: قوله ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ مخرج عن سنن الخطاب، وقدم فيه النجم كأنه يقول: وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون، فمن المراد بهم؟ فالجواب: أنه أراد قريشا؛ لأنهم كان لهم في الاهتداء بالنجوم في سيرهم علم لمن يكن لغيرهم، فكان الاعتبار ألزم لهم فخصصوا قال ذلك الزمخشري.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ تقرير يقتضي الرد على من عبد غير الله، وإنما عبر عنهم بمن لأن فيهم من يعقل ومن لا يعقل أو مشاكلة لقوله: أفمن يخلق.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ﴾ ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته، ولذلك أعقبها بقوله: أفمن يخلق كمن لا يخلق، وفيها أيضا تعداد لنعمه على خلقه، ولذلك أعقبها بقوله: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي يغفر لكم التقصير في شكر نعمه.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ نفى عن الأصنام صفات الربوبية، وأثبت لهم أضدادها، وهي أنهم مخلوقون غير خالقين، وغير أحياء، وغير عالمين بوقت البعث، فلما قام البرهان على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده، فقال: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ أي لم تكن لهم حياة قط ولا تكون، وذلك أغرق في موتها ممن تقدمت له حياة ثم مات ثم يعقب موته حياة. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ الضمير في يشعرون للأصنام، وفي يبعثون للكفار الذين عبدوهم، وقيل: إن الضميرين للكفار.

﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ أي تنكر وحدانية الله ﷻ .

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لا بد ولا شك، وقيل: إن (لا) نفي لما تقدم، وجرم معناه وجب أو حق، وأن فاعلة بجرم.

﴿أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي ما سطره الأولون، وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتب تواريخ، وكان يقول: إنما يحدث محمد بأساطير الأولين، وحديثي أجمل من حديثه، و﴿مَّاذَآ﴾ يجوز أن يكون اسما واحدا مركبا من ما وذا ويكون منصوبا بأنزل، أو أن تكون ما استفهامية في موضع رفع بالابتداء، وذا بمعنى الذي، وفي أنزل ضمير محذوف.

﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ﴾ اللام لام العاقبة والصيرورة، أي قالوا أساطير الأولين، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم ويحتمل أن تكون للأمر. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من المفعول في يضلونهم أو من الفاعل.

﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ الآية، قيل: المراد بالذين من قبلهم نمروذ، فإنه بنى صرحا ليصعد فيه إلى السماء بزعمه، فلما علا فيه فرسخين هدمه الله وخر سقفه عليه، وقيل: المراد بالذين من قبلهم كل من كفر من الأمم المتقدمة ونزلت به عقوبة الله، فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل.

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ توبيخ للمشركين وأضاف الشركاء إلى نفسه، أي على زعمكم ودعواكم وفيه تهكم بهم. ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ أي تعادون من أجلهم، فمن قرأ[1] بكسر النون فالمفعول ضمير المتكلم وهو الله ﷻ ، ومن قرأ بفتحها فالمفعول محذوف، تقديره: تعادون المؤمنين من أجلهم. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ هم الأنبياء والعلماء من كل أمة، وقيل: يعني الملائكة، واللفظ أعم من ذلك.

---

(١) ﴿تُشَٰٓقُّونِ فِيهِمْ﴾ قرأ نافع بكسر النون وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٣٤١.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ
تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ
وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾
ربع • وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا
لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ
خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي
اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ
عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن
تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ حال من الضمير المفعول في تتوفاهم. ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ أي استسلموا للموت. ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ أي قالوا ذلك، ويحتمل قولهم لذلك أن يكونوا قصدوا الكذب اعتصاما به، كقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ أو يكونوا أخبروا على حسب اعتقادهم في أنفسهم فلم يقصدوا الكذب، ولكنه كذب في نفس الأمر. ﴿بَلَىٰ﴾ من قول الملائكة للكفار، أي قد كنتم تعملون السوء.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين، قابل ذلك بمقالة المؤمنين، **فإن قيل**: لم نصب جواب المؤمنين وهو قولهم خيرا، ورفع جواب الكافرين وهو أساطير الأولين؟ **فالجواب**: أن قولهم خيرا منصوب بفعل مضمر، تقديره: أنزل خيرا، ففي ذلك اعتراف بأن الله أنزله، وأما أساطير الأولين فهو خبر ابتداء مضمر، تقديره: هو أساطير الأولين، فلم يعترفوا بأن الله أنزله، فلا وجه لنصبه ولو كان منصوبا لكان الكلام متناقضا؛ لأن قولهم أساطير الأولين يقتضي التكذيب بأن الله أنزله، والنصب بفعل مضمر يقتضي التصديق بأن الله أنزله؛ لأن تقديره: أنزل، **فإن قيل**: يلزم مثل هذا في الرفع؛ لأن تقديره: هو أساطير الأولين، فهو غير مطابق للسؤال الذي هو ماذا أنزل ربكم؟، **فالجواب**: أنهم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين ولم ينزله الله. ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ ارتفع حسنة بالابتداء وللذين خبره،

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن
شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ
كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ
عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ● وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ
جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ
حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ
الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ
كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

والجملة بدل من خيرا وتفسير للخير الذي قالوه، وقيل: هي استئناف كلام الله تعالى لا من كلام الذين قالوا خيرا.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بنعم فيكون مبتدءا، وخبره فيما قبله، أو خبر ابتداء مضمر، ويحتمل أن يكون مبتدءا وخبره يدخلونها، أو مضمر تقديره: لهم جنات عدن.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي ينتظرون والضمير للكفار و﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني لقبض أرواحهم. ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ يعني قيام الساعة، أو العذاب في الدنيا.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي أصابهم جزاء سيئات ما عملوا. ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي أحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون، وهذا تفسيره حيث وقع.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم، أي أن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه، والرد عليهم بأن الله نهى عن الشرك ولكنه قضاه على من يشاء من عباده، ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك في الآخرة على وجه التمني فإن لو تكون للتمني، والمعنى على هذا: أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غيره، ولم يحرموا ما أحل الله من البحيرة وغيرها.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ قرئ[1] بضم الياء من يهدي وفتح الدال على البناء للمفعول، أي لا يهدي غير الله من يضله الله وقرئ يهدي بفتح الياء وكسر الدال والمعنى على هذا لا يهدي الله من قضى بإضلاله. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ الضمير عائد على من يضل لأنه في معنى الجمع.

﴿بَلَىٰ﴾ رد على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت أي أنه يبعثه.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ اللام تتعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم وهذا برهان على البعث فإن الناس مختلفون في أديانهم ومذاهبهم فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ﴾ الآية برهان أيضا على البعث لأنه داخل تحت قدرة الله تعالى.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾ يعني الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعد هذا، وقيل: نزلت[2] في أبي جندل بن سهيل، وخبره مذكور في السير في قصة الحديبية، وهذا بعيد؛ لأن السورة نزلت قبل ذلك. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وعد أن ينزلهم بقعة حسنة وهي المدينة التي استقروا بها، وقيل: إن حسنة صفة لمصدر أي نبوئنهم تبوئة حسنة، وقرئ[3] لنثوينهم بالثاء من الثواء.

(١) ﴿لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر: لا يهدى برفع الياء وفتح الدال، وقرأ عاصم وحمزة والكسائى ﴿لَا يَهْدِى﴾ بفتح الياء وكسر الدال، ولم يختلفوا في يضل أنها مرفوعة الياء مكسورة الضاد. السبعة لابن مجاهد، ص: ٣٧٢..

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/٣٥٦، والطبري في جامع البيان: ١٧/٢٠٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٢٨٣.

(٣) قال ابن عطية: وقرأ الجمهور ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود، ونعيم بن ميسرة، والربيع بن خثيم، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، «لنثوينهم»، وهاتان اللفظتان معناهما التقرير.. المحرر الوجيز: ٣/٣٩٤.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا
إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي
تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ
يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ
إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا
كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ وصف للذين هاجروا، ويحتمل إعرابه أن يكون نعتا أو على تقدير: هم الذين، أو أمدح الذين.

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ رد على من استبعد أن يكون الرسول من البشر. ﴿فَسْـَٔلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني أحبار اليهود والنصارى، أي لأن جميعهم يشهدون أن الرسول من البشر.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ يتعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ الذي في أول الآية على التقديم والتأخير في الكلام، أو بأرسلنا مضمرا أو بـ ﴿يُوحَىٰ﴾ أو بـ ﴿تَعْلَمُونَ﴾. ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ يعني القرآن. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يحتمل أن يريد لتبين القرآن بسردك نصه، وتعليمه للناس، أو لتبين معانيه بتفسير مشكله، فيدخل في هذا ما بينته السنة من الشريعة.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يعني كفار قريش عند جمهور المفسرين، والسيآت تحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد به الأعمال السيئات أي المعاصي فيكون ﴿مَكَرُوا﴾ يتضمن معنى عملوا.

والآخر: أن يريد بمكر السيئات أي مكرهم بالنبي ﷺ، فيكون المكر على بابه.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ يعني في أسفارهم. ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي

بمفلتين حيث وقع.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه على تنقص، أي ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئا بعد شيء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة، ولهذا أشار بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لأن الأخذ هكذا أخف من غيره، وقد كان عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التخوف في الآية(١) حتى قال له رجل من هذيل: التخوف التنقص في لغتنا.

والوجه الثاني: أنه من الخوف، أي يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا هم ذلك فيأخذهم بعد أن توقعوا العذاب وخافوه، وذلك خلاف قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ معنى الآية اعتبار بانتقال الظل، ويعني بقوله: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ الأجرام التي لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان وغير ذلك، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلها إلى جهة، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى، ثم يمتد الظل ويعم بالليل إلى طلوع الشمس، وقوله يتفيأ من الفيء، وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غدوة، وقال رؤبة بن العجاج: يقال بعد الزوال ظل وفيء، ولا يقال قبله إلا ظل، ففي لفظة يتفيأ هنا تجوز ما لوقوع الخصوص في موضع العموم؛ لأن

(١) رُوي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: توقف في معناها، فقال على المنبر: ما تقولون فيها؟ فسكتوا، فقام شيخ من هذيل، فقال: هذه لغتنا، التخوف: التنقص. فقال: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فقال: نعم. قال شاعرنا أبو كثير يصف ناقته:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبعةِ السَّفَنُ

فقال عمر: عليكم بديوانكم؛ لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم. هـ. اللباب: ١٢/٦٥، وتفسير أبي السعود: ٥/١١٧، والبيضاوي: ١/٤٠٠.

المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره، فوضع يتفيأ موضع ينتقل أو يميل، والضمير في ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾ يعود على ما أو على شيء. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ يعني عن الجانبين أي يرجع الظل من جانب إلى جانب، واليمين بمعنى الأيمان، واستعار هنا الأيمان والشمائل للأجرام، فإن اليمين والشمائل إنما هما في الحقيقة للإنسان. ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ حال من الظلال، وقال الزمخشري: حال من الضمير في ظلاله، إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ فعلى الأول يكون السجود من صفة الظلال، وعلى الثاني يكون من صفة الأجرام، واختلف في معنى هذا السجود، فقيل: عبر به عن الخضوع والانقياد، وقيل: هو سجود حقيقة. ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أي صاغرون، وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ يحتمل أن يكون من دابة بيان لما في السموات وما في الأرض معا؛ لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب، ويحتمل أن يكون بيانا لما في الأرض خاصة، وإنما قال ما في السموات وما في الأرض ليعم العقلاء وغيرهم، ولو قال من في السموات لم يدخل في ذلك غير العقلاء، قاله الزمخشري. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إن كان قوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ بيانا لما في السموات والأرض فقد دخل الملائكة في ذلك، وكرر ذكرهم تخصيصا لهم بالذكر وتشريفا، وإن كان من دابة لما في الأرض خاصة فلم تدخل الملائكة في ذلك فعطفهم على ما قبلهم.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ هذا إخبار عن الملائكة، وهو بيان نفي الاستكبار، ويحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة، أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها، وقيل: معناه يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم.

﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ وصف إلهين باثنين تأكيدا وبيانا للمعنى، وقيل: إن اثنين مفعول أول، وإلهين مفعول ثان، فلا يكون في الكلام تأكيد. ﴿فَإِيَّٰىَ

لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾
وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ
كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ
عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا
تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ
أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا
جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ • تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ ثمن
أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ
لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

﴿فَٱرْهَبُونِ﴾ خرج من الغيبة إلى التكلم لأن الغائب هو المتكلم، وإياي مفعول بفعل مضمر، ولا يعمل فيه فارهبون؛ لأنه قد أخذ معموله.

﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي واجبا وثابتا، وقيل: دائما وانتصابه على الحال من الدين.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن تكون الواو للاستئناف أو للحال، فيكون الكلام متصلا بما قبله، أي كيف تتقون غير الله وما بكم من نعمة فمنه وحده؟. ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ اللام لام الأمر على وجه التهديد، لقوله بعدها: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فعلى هذا يبتدأ بها، وقيل: هي لام العاقبة فعلى هذا توصل بما قبلها؛ لأنها في الأصل لام كي وذلك بعيد في المعنى، والكفر هنا يحتمل أن يريد به كفر النعم لقوله: ﴿بِمَا ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أو كفر الجحود والشرك، لقوله: ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾. ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ يريد التمتع في الدنيا وذلك أمر على وجه التهديد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ الضمير في يجعلون لكفار العرب فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبا من ذبائحهم وغيرها، والمراد بقوله لما لا يعلمون للأصنام، والضمير في لا يعلمون للكفار، أي لا يعلمون ربوبيتهم

ببرهان ولا بحجة، وقيل: الضمير في لا يعلمون للأصنام أي لأشياء غير عالمة، وهذا بعيد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ إشارة إلى قول الكفار: إن الملائكة بنات الله، ثم نزه تعالى نفسه عن ذلك بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ المعنى: أنهم يجعلون لأنفسهم ما يشتهون، يعني بذلك الذكور من الأولاد، وأما الإعراب فيجوز أن يكون ما يشتهون مبتدءا وخبره المجرور قبله، وأن يكون مفعولا بفعل مضمر، تقديره: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون، وأن يكون معطوفا على البنات، على أن هذا يمنعه البصريون؛ لأنه من باب ضربتني[1] وكان يلزم عندهم أن يقال لأنفسهم.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ إخبار عن حال العرب في كراهتهم البنات، وظل هنا يحتمل أن تكون على بابها أو بمعنى صار، والسواد عبارة عن العبوس والغم، وقد يكون معه سواد حقيقة وكظيم قد ذكر في يوسف.

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي يستخفي من أجل سوء ما بشر به. ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ المعنى: يدبر وينظر هل يمسك الأنثى التي بشر بها على هوان وذل لها، أو يدفنها في التراب حية، وهي الموءودة وهذا معنى يدسه في التراب.

﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي صفة السوء من الحاجة إلى الأولاد وغير ذلك من صفة الافتقار والنقص. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ أي الوصف الأعلى من الغنى عن كل شيء والنزاهة عن صفات المخلوقين.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ﴾ يعني لو يعاقبهم في الدنيا. ﴿بِظُلْمِهِم﴾ أي بكفرهم ومعاصيهم. ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ الضمير للأرض. ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ يعني بني آدم وغيرهم،

---

(١) المحرر الوجيز: ٣/٤٠٢.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً
نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا
لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا
وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى
ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ
﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ
مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم
مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ
قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ۞ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ ربع
فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ
أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

وهذا يقتضي أن تهلك الحيوانات بذنوب بني آدم، وقد ورد ذلك في الأثر، وقيل: يعني بني آدم خاصة.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ يعني البنات. ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أن بدل من الكذب، والحسنى هنا قيل هي الجنة، وقيل: ذكور الأولاد. ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرِطُونَ﴾ بكسر الراء[1] والتخفيف من الإفراط أي متجاوزون الحد في المعاصي، أو بفتح الراء والتخفيف من الفرط أي معجلون إلى النار وبكسر الراء والتشديد من التفريط.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ يحتمل أن يريد باليوم وقت نزول الآية أو يوم القيامة.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على موضع لنبين وانتصبا على أنهما مفعول من أجله أي لأجل البيان والهدى والرحمة.

﴿نَّسْقِيكُم﴾ بفتح النون وضمها لغتان يقال: سقى، وأسقى. ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ الضمير للأنعام وإنما ذكر لأنه مفرد بمعنى الجمع كقولهم ثوب أخلاق لأنه اسم جنس وإذا أنث فهو جمع نعم. ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ الفرث: هي ما في الكرش من الغدد، والمعنى: أن الله يخلق اللبن متوسطا بين الفرث والدم يكتنفانه ومع ذلك فلا يغيران له لونا ولا طعما ولا رائحة، ومن في قوله ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾

---

(١) ﴿مُفْرِطُونَ﴾ قرأ المدنيان بكسر الراء، وقرأ الباقون بفتحها، وشددها أبو جعفر، وخففها الباقون.
النشر: ٢/٣٤٢.

للتبعيض قوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ﴾ لابتداء الغاية. ﴿سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ يعني سهلا للشرب حتى قيل: لم يغص أحد قط باللبن.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾ المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره: نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرها، ويدل عليه نسقيكم الأول، أو يكون من ثمرات معطوف على مما في بطونها أو يتعلق من ثمرات بتتخذون وكرر منه توكيدا أو يكون تتخذون صفة لمحذوف تقديره شيئا تتخذون. ﴿سَكَرٗا﴾ يعني الخمر ونزل ذلك قبل تحريمها فهي منسوخة بالتحريم، وقيل: إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التي في الخمر ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم فلا نسخ، وقيل: السكر المائع من هاتين الشجرتين كالخل والرب، والرزق الحسن العنب والتمر والزبيب.

﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ الوحي هنا بمعنى الإلهام فإن الوحي على ثلاثة أنواع: وحي كلام، ووحي منام، ووحي إلهام. ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾ أن مفسرة للوحي الذي أوحى إلى النحل وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع إما في الجبال وكواها وإما في متجوف الأشجار وإما فيما يعرش بنو آدم من الأجباح والحيطان ونحوها، ومن في المواضع الثلاثة للتبعيض لأن النحل إنما تتخذ بيوتا في بعض الجبال وبعض الشجر وبعض الأماكن، وعرش: معناه هيأ أو بنى، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ عطف كلي على اتخذي ومن للتبعيض، وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار، وقيل: المعنى من كل الثمرات التي تشتهيها. ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ يعني الطرق في الطيران وأضافها إلى الرب لأنها ملكه وخلقه. ﴿ذُلُلٗاۚ﴾ أي مطيعة منقادة، ويحتمل أن يكون حالا من السبل، قال مجاهد[1]: لم

(١) صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٤٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٢٩٠.

يتوعر قط على النحل طريق أو حالا من النحل أي منقادة لما أمرها الله به. ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾ يعني العسل. ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ أي منه أبيض وأصفر وأحمر. ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ الضمير للعسل؛ لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل، كالمعاجين، والأشربة النافعة من الأمراض، وكان ابن عمر يتداوى به من كل شيء[١] فكأنه أخذه على العموم، وعلى ذلك الحديث عن النبي ﷺ أن رجلا جاء إليه فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: اسقه عسلا، فذهب ثم رجع، فقال: قد سقيته فما نفع، قال: فاذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فشفاه الله ﷻ[٢].

﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أي إلى أخسه وأحقره وهو الهرم، وقيل: حده خمسة وسبعون عاما، وقيل: ثمانون، والصحيح أنه لا يحصر إلى مدة معينة، وأنه يختلف بحسب الناس. ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ اللام لام الصيرورة، أي يصير إذا هرم لا يعلم شيئا بعد أن كان يعلم قبل الهرم، وليس المراد نفي العلم بالكلية بل ذلك عبارة عن قلة العلم لغلبة النسيان، وقيل: المعنى لئلا يعلم زيادة على علمه شيئا.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ الآية في معناها قولان:

أحدهما: أنها احتجاج على الوحدانية كأنه يقول أنتم لا تسوون بين أنفسكم وبين مماليككم في الرزق ولا تجعلونهم شركاء لكم، فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي؟.

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ١٤٥/٥ عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان لا يشكو قرحة ولا شيئا إلا جعل عليه عسلا فقلنا له: تداوي الدمل بالعسل؟ قال: أليس يقول الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

(٢) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٥٦٨٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٢١٧)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٠٨٢)، والنسائي في الكبرى: ١٦٣/٤، وأحمد في مسنده: ١٩/٣، والطبري في جامع البيان: ٢٥٠/١٧.

والآخر: أنها عتاب وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه حتى يرد ما رزقه الله عليه كما جاء في الحديث: «أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون»[١] والأول أرجح

﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الجحد هنا على المعنى الأول إشارة إلى الإشراك بالله وعبادة غيره، وعلى المعنى الثاني إشارة إلى بخس[٢] المماليك فيما يجب لهم من الإنفاق.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾ يعني الزوجات، ومن أنفسكم يحتمل أن يريد من نوعكم وعلى خلقتكم، أو يريد أن حواء خلقت من ضلع آدم، وأسند ذلك إلى بني آدم لأنهم من ذريته. ﴿وَحَفَدَةً﴾ جمع حافد قال ابن عباس[٣]: هم أولاد البنين، وقيل: الأصهار، وقيل: الخدم، وقيل: البنات، إلا أن اللفظ لا يدل عليهم، والحفدة في اللغة الخدمة.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية توبيخ للكفار، ورد عليهم في عبادتهم للأصنام وهي لا تملك لهم رزقا، وانتصب رزقا لأنه مفعول بيملك، ويحتمل أن يكون

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٠) و(٢٥٤٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٦٦١)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٥١٥٧)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٩٤٥)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٣٦٩٠)، وأحمد في مسنده: ١٥٨/٥ من طريق: المعرور بن سويد، قال: مررنا بأبي ذر بالربذة عليه برد وعلى غلامه مثله، قال...: فسألته عن ذلك، فذكر أنه ساب رجلا على عهد رسول الله ﷺ فعيره بأمه، فأتى الرجل النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليكسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه...

(٢) في المطبوعات و(ف): (جنس).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٥٧/١٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٢٩١/٧ بإسناد صحيح.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ
أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم
مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾
أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

مصدرا أو اسما لما يرزق، فإن كان مصدرا فإعراب ﴿شَيْئاً﴾ مفعول به؛ لأن المصدر ينصب المفعول، وإن كان اسما فإعراب شيئا بدل منه. ﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ الضمير عائد على ما لأن المراد به الإلهية، ونفي الاستطاعة بعد نفي الملك لأن نفيها أبلغ في الذم.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً﴾ الآية مثل لله تعالى وللأصنام، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك وبيده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام؟ وإنما قال: ﴿لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾؛ لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور، كالمكاتب والمأذون له. ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ﴾ من هنا نكرة موصوفة والمراد بها من هو حر قادر، كأنه قال: وحرا رزقناه ليطلق عبدا، ويحتمل أن تكون موصولة. ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي هل يستوي العبيد والأحرار، الذين ضرب لهم المثل. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكر لله على بيان هذا المثال ووضوح الحق. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ يعني الكفار.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ الآية مثل لله تعالى وللأصنام كالذي قبله، والمقصود منهما إبطال مذاهب المشركين وإثبات الوحدانية لله تعالى، وقيل: إن الرجل الأبكم أبو جهل، والذي يأمر بالعدل عمار بن ياسر، والأظهر عدم التعيين. ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاَهُ﴾ الكل الثقيل، يعني أنه عيال على وليه، أو سيده وهو مثل للأصنام، والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ
حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ
الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ
نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا
فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ
ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ
وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ
قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ
فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى
اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بيان لقدرة الله على إقامتها، وأن ذلك يسير عليه، كقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، وقيل: المراد سرعة إتيانها.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الأمهات جمع أم زيدت فيه الهاء فرقا بين من يعقل ومن لا يعقل، وقرئ[1] بضم الهمزة وبكسرها إتباعا للكسرة قبلها.

﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ أي في الهواء البعيد من الأرض.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ السكن مصدر يوصف به، وقيل: هو فعل بمعنى مفعول ومعناه ما يسكن فيه كالبيوت أو يسكن إليه. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ يعني الأدم من القباب وغيرها. ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي تجدونها خفيفة. ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ يعني في السفر والحضر واليوم هنا بمعنى الوقت ويقال ظعن الرجل إذا رحل وقرئ[2] ظعنكم بفتح العين وإسكانها تخفيفا. ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ الأصواف للغنم، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز والبقر. ﴿أَثَاثًا﴾ الأثاث متاع البيت من البسط وغيرها،

(١) ﴿بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ كسر حمزة الهمز والميم من ﴿بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وصلا والكسائي الهمزة فقط. إتحاف فضلاء البشر، ص: ٣٥٢.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿ظَعَنِكُمْ﴾ بفتح العين، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ﴿ظَعْنِكُمْ﴾ بسكون العين، وهما لغتان وليس بتخفيف. التيسير، ص: ٩٦.

وانتصابه على أنه مفعول بفعل مضمر، تقديره: جعل. ﴿وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي إلى وقت غير معين، ويحتمل أن يريد إلى أن تبلى وتفنى، أو إلى أن تموت.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالاً﴾[١] نعمة عددها الله عليهم بالظل؛ لأن الظل مطلوب في بلادهم محبوب لشدة حرها، ويعني بما خلق من الشجر وغيرها. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً﴾ الأكنان جمع كن وهو ما يقي من المطر والريح وغير ذلك، ويعني بذلك الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ السرابيل هي الثياب من القمص وغيرها، وذكر وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد؛ لأن وقاية الحر أهم عندهم لحرارة بلادهم، وقيل: لأن ذكر أحدهما يغني عن ذكر الآخر. ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يعني دروع الحديد.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إشارة إلى ما ذكر من النعم من أول السورة إلى هنا والضمير في يعرفون للكفار وإنكارهم لنعم الله إشراكهم به وعبادة غيره، وقيل: نعمة الله هنا نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ أي يشهد عليهم بإيمانهم وكفرهم ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي لا يؤذن لهم في الاعتذار. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي لا يسترضون وهو من العتبى بمعنى الرضى.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى التأخير أو بمعنى النظر أي لا ينظر الله إليهم.

﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الضمير في القول للمعبودين والمعنى: أنهم كذبوهم في قولهم أنهم كانوا يعبدونهم كقولهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا

---

(١) قال ابن عطية هنا: نعم عددها الله عليهم بحسب أحوالهم وبلادهم، وأنها الأشياء المباشرة لهم لأن بلادهم من الحرارة وقهر الشمس بحيث للظل غناء عظيم ونفع ظاهر.. المحرر الوجيز: ٤١٦/٣.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا
مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ
أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ
بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

ربع

﴿تَعْبُدُونَ﴾ فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟ فالجواب: أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركاء لله لا في العبادة.

﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي استسلموا له وانقادوا.

﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ روي[1]: أن الزيادة في العذاب هي حيات وعقارب كالبغال تلسعهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ يعني بالعدل فعل الواجبات وبالإحسان المندوبات وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين، قال ابن مسعود[2]: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى. ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الإيتاء مصدر آتى بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك في العدل والإحسان، ولكنه جرده بالذكر اهتماما به. ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ قيل: يعني الزنا واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ هو أعم من الفحشاء لأنه يعم جميع المعاصي. ﴿وَالْبَغْيِ﴾ يعني الظلم.

﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾ هذا في الأيمان التي في الوفاء بها خير، وأما ما كان

---

(١) في تفسير ابن مسعود ﴿عذابا فوق العذاب﴾ حيات وعقارب لها أنياب مثل النخل الطوال. تفسير ابن أبي حاتم ص٣٥٠.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٣٢/٩، وعبد الرزاق في المصنف: ٣٧٠/٣، والحاكم في المستدرك: ٣٥٦/٢، والطبري في جامع البيان: ٢٨٠/١٧، والبخاري في الأدب المفرد: ٥٧٠/١ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

تركه أولى فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير منه كما جاء في الحديث[١] أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان في حق غيره أو معاهدة لغيره. ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ أي رقيبا ومتكفلا بوفائكم بالعهد، وقيل: إن هذه الآية نزلت[٢] في بيعة النبي ﷺ، وقيل[٣]: فيما كان بين العرب من حلف في الجاهلية.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ شبه الله من يحلف ولم يف بيمينه بالمرأة التي تغزل غزلا قويا ثم تنقضه، وروى[٤]: أنه كان بمكة امرأة حمقاء تسمى ربطة بنت سعد، كانت تفعل ذلك وبها وقع التشبيه، وقيل: إنما شبه بامرأة غير معينة. ﴿أَنكَاثًا﴾ جمع نكث وهو ما ينكث أي ينقض وانتصابه على الحال. ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ الدخل الدغل، وهو قصد الخديعة. ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أن في موضع المفعول من أجله، أي بسبب أن تكون أمة، ومعنى أربى أكثر عددا أو أقوى، ونزلت الآية[٥] في العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية، وقيل: الإشارة بالأربى هنا إلى كفار قريش، إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ الضمير للأمر بالوفاء أو لكون أمة هي أربى من أمة، فإن بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أولا.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استعارة في الرجوع عن الخير إلى الشر، وإنما أفرد القدم ونكرها لاستعظام الزلل في قدم واحدة، فكيف في أقدام كثيرة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٦٦٢٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٦٥٢)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٢٧٧)، والنسائي في سننه: ٧/١٠، وأحمد في مسنده: ٥/٦٢، والبيهقي: ١٠/٥٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٨١ بسند ضعيف.

(٣) مرسل أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٨٢ عن مجاهد بإسناد صحيح لكنه مرسل.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٨٥ بسند ضعيف. وابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٣٠٠.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٨٤ بسند مرسل.

وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني في الدنيا. ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يدل على أن الآية فيمن بايع النبي ﷺ. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني في الآخرة.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الثمن القليل عرض الدنيا، وهذا نهي لمن بايع النبي ﷺ أن ينكث لأجل ضعف الإسلام حينئذ وقوة الكفار، ورجاء الانتفاع في الدنيا إن رجع عن البيعة.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ أي يفنى. ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ يعني في الدنيا، قال ابن عباس(١): هي الرزق الحلال، وقيل: هي القناعة، وقيل: هي حياة الآخرة.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة؛ لأن الفاء تقتضي الترتيب، وقد شذ قوم فأخذوا بذلك، وجمهور الأمة على أن الاستعاذة قبل القراءة، وتأويل الآية إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، أو إذا أخذت في قراءة القرآن فاستعذ بالله.

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي ليس له عليهم سبيل، ولا يقدر على إضلالهم.

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ أي يتخذونه وليا. ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ

---

(١) صحيح أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/٣٦٠، والطبري في جامع البيان: ١٧/٢٩٠، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥/١٦٢ لابن المنذر وابن أبي حاتم.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ
ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ
(١٠٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٠٥) مَن كَفَرَ
بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ
بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ
غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ
ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا
يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٠٧) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْغَٰفِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ
(١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ
جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠)

مُشْرِكُونَ﴾ الضمير لإبليس والباء سببية.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ التبديل هنا النسخ، كان الكفار إذا نسخت آية يقولون هذا افتراء ولو كان من عند الله لم يبدل. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ جملة اعتراض بين الشرط وجوابه، وفيها رد على الكفار أي الله أعلم بما يصلح للعباد في وقت، ثم ما يصلح لهم بعد ذلك.

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني جبريل. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي مع الحق في أوامره ونواهيه وأخباره، ويحتمل أن يكون قوله بالحق بمعنى حقا أو بمعنى أنه واجب النزول.

﴿أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ كان بمكة غلام أعجمي اسمه يعيش(١)، وقيل: كانا غلامين(٢) اسم أحدهما جبر والآخر يسار، فكان النبي ﷺ يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام، فقالت قريش: هذان يعلمان محمدا. ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ اللسان هنا بمعنى اللغة والكلام، ويلحدون من ألحد إذا مال، وقرئ(٣) بفتح الياء من لحد وهما بمعنى واحد، وهذا رد عليهم فإن الشخص

---

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٩٩.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٣٠٠، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٣٧، والبيهقي في الشعب: ١/٩٥ قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: ٤/٤١٩ سنده صحيح.

(٣) حمزة والكسائي ﴿يَلْحَدُونَ﴾ هنا بفتح الياء والحاء، والباقون بضم الياء وكسر الحاء. التيسير، ص: ٩٦.

الذي أشاروا إليه أنه يعلمه أعجمي اللسان، وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة، فلا يمكن أن يأتي به أعجمي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ هذا في حق من علم الله منه أنه لا يؤمن كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فاللفظ عام يراد به الخصوص، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ الآية وقال ابن عطية: المعنى: إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بآياته، ولكنه قدم في هذا الترتيب وأخر تهكما بتقبيح أفعالهم.

﴿يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ رد على قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، يعني: إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن؛ لأنه لا يخاف الله، وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه. ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله، أي هم الذين عادتهم الكذب؛ لأنهم لا يبالون بالوقوع في المعاصي، ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ الآية من شرطية في موضع رفع بالابتداء، وكذلك من في قوله: ﴿مَّن شَرَحَ﴾ لأنه تخصيص من الأول، وقوله: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ جواب عن الأولى والثانية؛ لأنهما بمعنى واحد، أو يكون جوابا للثانية وجواب الأولى محذوف، يدل عليه جواب الثانية، وقيل: من كفر بدل من الذين لا يؤمنون، أو من المبتدإ في قوله: ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ أو من الخبر. ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ استثناء من قوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾ وذلك أن قوما ارتدوا عن الإسلام فنزلت فيهم الآية[1] وكان فيهم من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر وهو يعتقد الإيمان، منهم: عمار بن ياسر، وصهيب، وبلال، فعذرهم الله، روي[2]: أن عمار بن ياسر شكا إلى رسول

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٥/١٧٠ بسند ضعيف.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/٣٦٠، وعنه عبد بن حميد كما في الفتح: ١٢/٣٢٧،=

الله ﷺ ما صنع به من العذاب وما تسامح به من القول، فقال له رسول الله ﷺ: كيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئنا بالإيمان، قال: فأجبهم بلسانك، فإنه لا يضرك. وهذا الحكم فيمن أكره على النطق بالكفر، وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم، فاختلف: هل تجوز الإجابة إليه أم لا؟ فأجازه الجمهور، ومنعه قوم، وكذلك قال مالك: لا يلزم المكره يمين، ولا طلاق، ولا عتق، ولا شيء فيما بينه وبين الله، ويلزمه ما كان من حقوق الناس، ولا تجوز الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد، أو أخذ ماله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ الإشارة إلى العذاب والباء للتعليل فعلل عذابهم بعلتين: إحداهما: إيثارهم الحياة الدنيا. والأخرى: أن الله لا يهديهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ قرأه الجمهور فتنوا بضم الفاء أي عذبوا، فالآية على هذا في عمار وشبهه من المعذبين على الإسلام، وقرأ ابن عامر(١) بفتح الفاء أي عذاب المسلمين فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين ثم هاجر وجاهد كالحضرمي وأشباهه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ كرر إن ربك توكيدا والضمير في بعدها يعود على الأفعال المذكورة وهي الهجرة والجهاد والصبر.

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ يحتمل أن يتعلق بغفور رحيم أو بمحذوف تقديره: اذكر، وهذا أظهر. ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ النفس هنا بمعنى الجملة، كقولك: إنسان، والنفس في قوله: ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾ بمعنى الذات المعينة التي نقيضها الغير، أي تجادل عن ذاتها لا عن غيرها، فهي كقولك: جاء زيد نفسه وعينه. ﴿تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ أي تحتج

= والطبري في جامع البيان: ١٧/٣٠٤، وابن سعد في الطبقات: ٣/١٨٩، وأبو نعيم في الحلية: ١/١٤٠ قال الحافظ في الفتح مرسل ورجاله ثقات.

(١) قال ابن الجزري: ﴿فُتِنُوا﴾ قرأ ابن عامر بفتح الفاء والتاء، وقرأ الباقون بضم الفاء وكسر التاء. النشر: ٢/٣٤٣.

ربع

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ
مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً
كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ
مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ
وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ
رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ
﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا نِعْمَتَ
ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ
ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ
ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا
تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا
حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

وتعتذر، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون؟ فالجواب: أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ الآية، قيل: إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التي ذكرها الله. ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ يعني بنبوءة محمد ﷺ فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبي ﷺ إليهم، وقيل: إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلا لمكة، وهذا أظهر لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم، والضمائر في قوله: ﴿كَفَرَتْ﴾ و﴿أَذَاقَهَا﴾ يراد بها أهل القرية بدليل قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ الإذاقة هنا واللباس مستعاران، أما الإذاقة فقد كثر استعمالها في البلايا حتى صارت كالحقيقة، وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتمالهما على اللباس ومباشرتهما له كمباشرة الثوب.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ إن كان المراد بالقرية مكة فالرسول هنا محمد ﷺ، والعذاب الذي أخذهم القحط وغيره، وإن كانت القرية غير معينة، فالرسول من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما، والعذاب ما أصابهم من الهلاك.

﴿كُلُوا﴾ وما بعده مذكور في البقرة.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ هذه

الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء وحرموا أشياء كالبحيرة وغيرها مما ذكر في سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل فيها كل من قال هذا حلال أو حرام بغير علم، وانتصب الكذب بلا تقولوا أو يكون قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب، وما في قوله: ﴿لِمَا تَصِفُ﴾ موصولة ويجوز أن ينتصب الكذب بقوله: ﴿تَصِفُ﴾ وتكون ما على هذا مصدرية، ويكون قوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ معمول لا تقولوا.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ يعني عيشهم في الدنيا أو انتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ يعني قوله في الأنعام حرمنا كل ذي ظفر إلى آخر الآية فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود ليعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراء على الله، كما فعلت العرب.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ هذه الآية تأنيس لجميع الناس وفتح باب إلى التوبة.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه كان وحده أمة من الأمم بكماله وجمعه لصفات الخير، كقول الشاعر[1]:

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

---

(١) القائل هو الحسن بن هانئ (أبو نواس) كما في ديوانه، ص: ٢٨٨، وقبله:

(قولا لهارونَ إمامَ الهدَى ... عند احتفالِ المجلس الحاشدِ)
(نصيحةُ الفضلِ، وإشفاقهُ ... أخلى له وجهك من حاسِدِ)
(بصادقِ الطّاعةِ، ديّانِها ... وواحدِ الغائبِ والشّاهدِ)
(أنتَ على ما بكَ من قُدْرَةٍ ... فلستَ مثلَ الفضل بالواجدِ)
(أوْجدَهُ الله، فما مثلُه ... لطالبِ ذاك، ولا ناشدِ)
(وليسَ لله بمستَنْكَرٍ ... أن يجمعَ العالَم في واحدِ)

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْءَاخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

والآخر: أن يكون أمة بمعنى إمام كقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال ابن مسعود[1]: والأمة معلم الناس الخير، وقد ذكر معنى القانت والحنيف.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يعني لسان الصدق، وأن جميع الأمم متفقون عليه، وقيل: يعني المال والأولاد ﴿لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ أي من أهل الجنة.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفي عنه الشرك لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون إليه.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أمر موسى بني إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصا للعبادة فرضي بعضهم بذلك، وقال أكثرهم بل يكون يوم السبت فألزمهم الله يوم السبت، فاختلافهم فيه هو ما ذكر، والسبت على هذا هو اليوم، وقيل: اختلافهم فيه هو أن منهم من حرم الصيد فيه ومنهم من أحله فعاقبهم الله بالمسخ قردة، فالمعنى: إنما جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه والسبت، على هذا مصدر من سبت إذا عظم يوم السبت، قاله الزمخشري، وتقتضي الآية أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ المراد بالسبيل هنا

---

(١) صحيح أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/٣٦٠، والحاكم في المستدرك: ٢/٣٥٨، والطبراني في الكبير: ١٠/٥٩، والطبري في جامع البيان: ١٧/٣١٧ قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الإسلام والحكمة هي الكلام الذي يظهر صوابه والموعظة هي الترغيب والترهيب والجدال هو الرد على المخالف وهذه الأشياء الثلاثة يسميها أهل العلوم العقلية بالبرهان، والخطابة، والجدال، وهذه الآية تقتضي مهادنة نسخت بالسيف، وقيل: إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطف والرفق غير منسوخ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفار، وأما العصاة فهي في حقهم محكمة إلى يوم القيامة باتفاق.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ المعنى: إن صنع بكم صنع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ، ويحتمل أن يكون عاقبتم بمعنى أصبتم كقوله في الممتحنة ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ بمعنى غنمتم، فيكون في الكلام تجنيس، وقال الجمهور: إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب لما بقر المشركون بطنه يوم أحد قال النبي ﷺ: «والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم»[1] فنزلت الآية، فكفر النبي ﷺ عن يمينه وترك ما أراد من المثلة، ولا خلاف أن المثلة حرام، وقد وردت الأحاديث[2] بذلك، ويقتضي ذلك أن الآية مدنية، ويحتمل أن تكون الآية عامة، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال، وتكون على هذا مكية كسائر السورة، واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه؟ فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية، ومنعه مالك[3]

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ١٩٧/٣، والطبراني في الكبير: ١٥٦/٣، والبزار في مسنده: ٣٢٦/٢، والبيهقي في الدلائل: ٢٨٨/٣، والحديث حسن بشواهده.

(٢) البخاري في صحيحه: ١٧٧/٣، ومسلم الحديث رقم: (١٧٣١)، وأبو داود: ٢٦/٢، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤٠٨)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٨٥٨)، وابن أبي شيبة كما في الإرواء: ٢٩١/٧، وأحمد في مسنده: ٣٠٧/٤.

(٣) «في هذه المسألة أربعة أقوال في مذهب مالك، والمشهور منها عند أئمة المذهب أن له الأخذ بقدر حقه، إن أمن العقوبة والرذيلة». جامع الأمهات ٣٤٢/١، والشرح الكبير ٤٣١/٣.

لقوله ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[1]. ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ هذا ندب إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك، فإن العقوبة مباحة وتركها أفضل، والضمير راجع للصبر، ويحتمل أن يراد بالصابرين هنا العموم أو يراد به المخاطبون، كأنه قال: خير لكم.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ هذا عزم على النبي ﷺ في خاصته على الصبر، ويروى[2]: أنه قال لأصحابه: أما أنا فأصبر كما أمرت، فماذا تصنعون؟ قالوا: نصبر كما ندبنا، ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بمعونة الله، وقد قيل إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف وكذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التي فعل مثلها بحمزة فذلك غير منسوخ. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا تتأسف لكفرهم. ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي لا يضيق صدرك بمكرهم، والضيق: بفتح الضاد تخفيف من ضيق كميت وميت، وقرئ[3] بالكسر وهو مصدر، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدران.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ يريد أنه معهم بمعونته ونصره. ﴿وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ الإحسان هنا يحتمل أن يراد به فعل الحسنات، والمعنى الذي أشار له النبي ﷺ بقوله: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه[4] وهذا هو الأظهر؛ لأنه رتبة فوق التقوى.

---

(١) صحيح وهو من حديث أبي هريرة، رواه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٥٣٥)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٢٦٤)، والدارقطني في سننه: ٣/٣٥، والبيهقي في سننه: ١٠/٢٧١، والطحاوي في مشكل الآثار: ٥/٩١، والحاكم: ٢/٤٦.

(٢) هذا الحديث لم أجد له سندا، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣/٤٤٠، والثعالبي: ٢/٣٢٧.

(٣) ﴿ضَيْقٍ﴾ قرأ ابن كثير بكسر الضاد، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٣٤٤.

(٤) صحيح سبق تخريجه.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا
(٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)
وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ
عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا
(٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧)

سورة الإسراء

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ معنى سبحان تنزيه وهو مصدر غير منصرف، وأسرى وسرى لغتان، وهو فعل غير متعد، واختار ابن عطية[1] أن يكون أسرى هنا متعديا، أي أسرى الملائكة بعبده، وهذا بعيد، والعبد هنا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما وصفه بالعبودية تشريفا له وتقريبا.

﴿لَيْلًا﴾ إن قيل: ما فائدة قوله ليلا مع أن السرى هو السير بالليل؟ فالجواب: أنه أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل مسيرة أربعين ليلة، وذلك أبلغ في الأعجوبة. ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ يعني بالمسجد الحرام مسجد مكة المحيط بالكعبة، وقد روي في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل[2]، وقيل: كان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء في بيته، فالمسجد الحرام على هذا مكة، أي بلد المسجد الحرام، وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس الذي بإيلياء، وسمي الأقصى لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، ويحتمل أن يريد بالأقصى الأبعد فيكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة، واختلف العلماء في كيفية الإسراء، فقال الجمهور: كان بجسد النبي صلى الله عليه وسلم وروحه،

(١) المحرر الوجيز: ٤٤١/٣.

(٢) سبق تخريجه.

وقال قوم: كان بروحه خاصة، وكانت رؤيا نوم حقا، فحجة الجمهور أنه لو كان مناما لم تنكره قريش، ولم يكن في ذلك ما يكذب به الكفار، ألا ترى قول أم هانئ له: «لا تخبر بذلك فيكذبك قومك»[١]، وحجة من قال إن الإسراء كان مناما، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ وإنما تقال الرؤيا في المنام، ويقال فيما يرى بالعين رؤية، وفي الحديث أنه ﷺ قال: بينما أنا بين النائم واليقظان، وذكر الإسراء، وقال في آخر الحديث: فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام[٢]، وجمع بعض الناس بين الأدلة، فقال: إن الإسراء كان مرتين: إحداهما: بالجسد والروح، والأخرى: بالروح، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس، وهو الذي أنكرته قريش، وأن الإسراء بالروح كان إلى السموات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس، ولقي الأنبياء في السموات. ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ صفة للمسجد الأقصى، والبركة حوله بوجهين:

أحدهما: ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء.

والآخر: كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خص الله بها الشام.

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ أي لنري محمدا ﷺ تلك الليلة من العجائب، فإنه رأى السموات، والجنة والنار، وسدرة المنتهى، والملائكة، والأنبياء، وكلمه الله تعالى حسبما ورد في أحاديث الإسراء[٣]، وهي في مصنفات الحديث، فأغنى ذلك عن ذكرها هنا.

﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ يحتمل أن يعود الضمير على الكتاب، أو على موسى ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ أي ربا تكلون إليه أمركم، وأن يحتمل أن تكون مصدرية أو مفسرة.

---

(١) أخرجه الطبراني: ٤٣٢/٢٤ بسند ضعيف جدا.

(٢) صحيح سبق تخريجه، وهو جزء من حديث الإسراء.

(٣) البخاري الحديث رقم: (٧٥١٥)، ومسلم الحديث رقم: (١٦٢)، وغيرهما.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ منادى، وفي ندائهم بذلك تلطف وتذكير بنعمة الله، وقيل: هي مفعول تتخذوا، ويتعين معنى ذلك على قراءة من قرأ[1] يتخذوا بالياء، ويعني بمن حملنا مع نوح أولاده الثلاثة، وهم: سام، وحام، ويافث، ونساؤهم، ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أي كثير الشكر، كان يحمد الله على كل حال، وهذا تعليل لما تقدم، أي كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: إن قضينا هنا بمعنى علمنا وأخبرنا، كما قيل في ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ والكتاب على هذا التوراة، وقيل: قضينا إليه من القضاء والقدر، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه مقادير الأشياء، وإلى بمعنى على. ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ هذه الجملة بيان للمقضي وهي في موضع جواب قضينا إذا كان من القضاء والقدر لأنه جرى مجرى القسم، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره: والله لتفسدن، والجملة في موضع معمول قضينا، والمرتان المشار إليهما، إحداهما: قتل زكرياء، والأخرى: قتل يحيى عليهما السلام ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ من العلو وهو الكبر والتجبر.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ معناه أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولى بعث الله عليهم عبادا له لينتقم منهم على أيديهم، واختلف في هؤلاء العبيد، فقيل: يعني جالوت وجنوده، وقيل: بختنصر ملك بابل. ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ أي ترددوا بينها بالفساد، وروي[2]: أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة، وخربوا المساجد، وسبوا منهم سبعين ألفا.

---

(١) ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ قرأ أبو عمرو بالغيب، وقرأ الباقون بالخطاب. النشر: ٢/٣٤٤.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٣٥٧ بسند ضعيف.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم، ويعني رجوع الملك إلى بني إسرائيل واستنقاذ أسراهم وقتل بختنصر، وقيل: قتل داود لجالوت. ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي أكثر عددا وهو مصدر من قولك نفر الرجل إذا خرج مسرعا أو جمع نفر.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أحسنتم الأول بمعنى فعل الحسنات، والثاني بمعنى الإحسان، كقولك: أحسنت إلى فلان ففيه تجنيس، واللام فيه بمعنى إلى، وكذلك اللام في قوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ يعني إذا أفسدوا في المرة الآخرة بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم، فالآخرة صفة للمرة، ومعنى يسوءوا وجوهكم يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء، كقوله: ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ واللام لام كي وهي تتعلق ببعثنا المحذوف لدلالة الأول عليه، وقيل: هي لام الأمر. ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يعني بيت المقدس. ﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾ من التبار وهو الإهلاك وشدة الفساد. ﴿مَا عَلَوْا﴾ ما مفعول ليتبروا أي يهلكوا ما غلبوا عليه من البلاد، وقيل: إن ما ظرفية أي يفسدوا مدة علوهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ خطاب لبني إسرائيل، ومعناه ترجية لهم بالرحمة إن تابوا بعد الرحمة الثانية ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ خطاب لبني إسرائيل أي إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى عقابكم، وقد عادوا فبعث الله عليهم محمدا ﷺ وأمته يقتلونهم ويذلونهم إلى يوم القيامة. ﴿حَصِيرًا﴾ أي سجنا وهو من الحصر، وقيل: أراد به ما يفرش ويبسط كالحصير المعروف.

﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي الطريقة والحالة التي هي أقوم، وقيل: يعني لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ
لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ
وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا
﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
• وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا
﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ
ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ
طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا
﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾
مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا
﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ
عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ
مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ المعنى: ذم وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأولادهم وأموالهم، وأنهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما يدعون بالخير في وقت التثبت، وقيل: إن الآية نزلت في النضر بن الحارث[1] حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية، وقد تقدم أن الصحيح في قائلها إنه أبو جهل.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ الإنسان هنا وفي الذي قبله اسم جنس، وقيل: يعني هنا آدم، وهو بعيد.

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار، كقولك: مسجد الجامع أي الآية التي هي الليل والآية التي هي النهار، ومحو آية الليل على هذا كونه مظلما.

والوجه الثاني: أن يراد بآية الليل القمر، وآية النهار الشمس، ومحو آية الليل على هذا كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس.

﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ يحتمل أن يريد النهار بنفسه، أو الشمس، ومعنى مبصرة تبصر فيها الأشياء. ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي لتتوصلوا بضوء

(١) لم أقف عليه مسندا.

النهار إلى التصرف في معايشكم. ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ باختلاف الليل والنهار أو بمسير الشمس والقمر: ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ الأشهر والأيام. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ انتصب كل بفعل مضمر، والتفصيل البيان.

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ انتصب كل بفعل مضمر والطائر هنا العمل، والمعنى: أن عمله لازم له، وقيل: إن طائره ما قدر عليه وله من خير وشر، والمعنى على هذا أن كل ما يلقى الإنسان قد سبق به القضاء وإنما عبر عن ذلك بالطائر؛ لأن العرب كانت عادتها التيمن والتشاؤم بالطير، وقوله: ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ أي هو كالقلادة، أو الغل لا ينفك عنه. ﴿كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً﴾ يعني صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات.

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ تقديره: يقال له اقرأ. ﴿حَسِيباً﴾ أي محاسبا، أو من الحساب بمعنى العدد.

﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ معناه حيث وقع لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، والوزر في اللغة: الثقل والحمل، ويراد به هنا الذنوب، ومعنى ﴿تَزِرُ﴾ تحمل ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي وزر نفس أخرى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ قيل: إن هذا في أحكام الدنيا، أي أن الله لا يهلك أمة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم، وقيل: هو عام في الدنيا والآخرة، وأن الله لا يعذب قوما في الآخرة إلا وقد أرسل إليهم رسولا فكفروا به وعصوه، ويدل على هذا قوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلا من الشرع لا من مجرد العقل.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ في تأويل أمرنا هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون في الكلام حذف، تقديره: أمرنا مترفيها بالخير والطاعة، فعصوا وفسقوا.

والثاني: أن يكون أمرنا عبارة عن القضاء عليهم بالفسق، أي قضينا عليهم بالفسق ففسقوا.

والثالث: أن يكون أمرنا بمعنى كثرنا، واختاره أبو علي الفارسي، وأما على قراءة آمرنا[١] بمد الهمزة فهو بمعنى كثرنا، وأما على قراءة أمرنا بتشديد الميم[٢] فهو من الإمارة أي جعلناهم أمراء ففسقوا، والمترف الغني المنعم في الدنيا.

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ أي القضاء الذي قضاه الله.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ القرن مائة سنة، وقيل: أربعون.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ الآية في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يؤمنون بالآخرة، على أن لفظها أعم من ذلك، والمعنى أنهم يعجل الله لهم حظا من الدنيا بقيدين:

أحدهما: تقييد المقدار المعجل بمشيئة الله.

والآخر: تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله، و﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدل من ﴿لَهُ﴾ وهو بدل بعض من كل.

﴿مَّدْحُوراً﴾ أي مبعدا أو مهانا.

---

(١) ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ قرأ يعقوب بمد الهمزة، وقرأ الباقون بقصرها. النشر: ٢/٣٤٤.

(٢) قال ابن مجاهد: لم يختلفوا في قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أنها خفيفة الميم... إلى أن يقول: وحدثني موسى بن إسحق القاضي، قال: حدثنا هرون بن حاتم، قال: حدثنا أبو العباس ختن ليث، قال: سمعت أبا عمرو يقرأ (أمّرنا) مشددة الميم. السبعة، ص: ٣٧٩، وقال ابن عطية: وقرأ الجمهور أمرنا على صيغة الماضي من أمر ضد نهى وقرأ نافع وابن كثير في بعض ما روي عنهما (آمرنا) بمد الهمزة بمعنى كثرنا ورويت عن الحسن. المحرر الوجيز: ٣/٤٥٥.

مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

ربع

• وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي عمل لها عملها.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾ انتصب ﴿كُلًّا﴾ بـ﴿نُّمِدُّ﴾ وهو من المدد، ومعناه نزيدهم من عطائنا. ﴿هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾ والإشارة إلى الفريقين المتقدمين. ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ يعني رزق الدنيا، وقيل: من الطاعات لمن أراد الآخرة ومن المعاصي لمن أراد الدنيا، والأول أظهر. ﴿مَحْظُورًا﴾ أي ممنوعا.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني في رزق الدنيا.

﴿لَّا تَجْعَلْ﴾ خطاب لواحد والمراد به جميع الخلق؛ لأن المخاطب غير معين. ﴿مَذْمُومًا﴾ أي يذمه الله وخيار عباده. ﴿مَّخْذُولًا﴾ أي غير منصور.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي حكم وألزم وأوجب، أو أمر، ويدل على ذلك ما في مصحف ابن مسعود[1] ووصى ربك. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا. ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما المؤكدة، وجوابها: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ والمعنى الوصية ببر الوالدين إذا كبرا أو كبر أحدهما، وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما

---

(١) قال ابن عطية: وفي مصحف ابن مسعود ووصى ربك وهي قراءة أصحابه وقراءة ابن عباس والنخعي وسعيد بن جبير وميمون بن مهران وكذلك عند أبي بن كعب المحرر الوجيز: ٣/٤٥٩.

لضعفهما، ومعنى عندك أي في بيتك وتحت كنفك. ﴿أُفٍّ﴾ حيث وقعت اسم فعل معناها قول مكروه يقال عند الضجر ونحوه، وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، فأولى وأحرى ألا يقال لهما ما فوق ذلك، ويجوز في ﴿أُفٍّ﴾ الكسر والفتح والضم، وهي حركات بناء[١] وأما تنوينها فهو للتنكير. ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ من الانتهار وهو الإغلاظ في القول.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ استعارة في معنى التواضع لهما والرفق بهما فهو كقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وأضافه إلى الذل مبالغة في المعنى كأنه قال الجناح الذليل ومن في قوله من الرحمة للتعليل أي من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما.

﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾ قيل معناه الصالحين وقيل المسبحين وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع فحقيقته الراجعين إلى الله.

﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ خطاب لجميع الناس بصلة قرابتهم والإحسان إليهم، وقيل: هو خطاب خاص بالنبي ﷺ أن يؤتي قرابته حقهم من بيت المال، والأول أرجح.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ الآية معناه إن أعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيهم فقل لهم كلاما حسنا، «وكان النبي ﷺ إذا سأله أحد فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه حياء منه»[٢] فأمر بحسن القول مع ذلك، وهو أن يقول: رزقكم الله، أو أعطاكم الله، وشبه ذلك، والميسور مشتق من اليسر

---

(١) واختلفوا في ﴿أُفٍّ﴾ هنا والأنبياء والأحقاف، فقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بفتح الفاء من غير تنوين في الثلاثة، وقرأ المدنيان وحفص بكسر الفاء مع التنوين، وقرأ الباقون بكسر الفاء من غير تنوين فيهن. النشر: ٢/٣٤٥.

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٥/٨٩ بدون سند.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ
قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا
﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ
إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ
فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا
بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى
ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ
أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا
﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ
ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا
تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ
طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ مفعول من أجله يحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ والمعنى على هذا أنه يعرض عنهم انتظارا لرزق يأتيه فيعطيه إياهم، فالرحمة على هذا هو ما يرتجيه من الرزق، أو يتعلق بقوله: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ أي ابتغ رحمة ربك بالقول الميسور، والرحمة على هذا هي الأجر والثواب.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ استعارة في معنى غاية البخل، كأن البخيل حبست يده عن الإعطاء وشدت إلى عنقه ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ استعارة في معنى غاية الجود، فنهى الله عن الطرفين، وأمر بالتوسط بينهما كقوله: ﴿إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾. ﴿مَلُومًا﴾ أي يلومك صديقك عن كثرة عطائك وإضرارك بنفسك، أو يلومك من يستحق العطاء لأنك لم تترك ما تعطيه، أو يلومك سائر الناس على التبذير في العطاء ﴿مَّحْسُورًا﴾ أي منقطعا بك لا شيء عندك وهو من قولهم: حسر السفر البعير إذا أتعبه حتى لم تبقَ له قوة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، فلا تهتم بما تراه من ذلك فإن الله أعلم بمصالح عباده.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ ذكر في الأنعام.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الحق الموجب لقتل النفس هو

ما ورد في الحديث، من قوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس أخرى»[١] وتتصل بهذه الأشياء أشياء أخر لأنها في معناها كالحرابة، وترك الصلاة ومنع الزكاة ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ المظلوم هنا من قتل بغير حق، والولي هو ولي المقتول وسائر العصبة، وليس النساء من الأولياء عند مالك، والسلطان الذي جعل الله له هو القصاص، أو تخييره بين العفو والقصاص. ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾ نهى عن أن يسرف ولي المقتول بأن يقتل غير قاتل وليه، أو يقتل اثنين بواحد، أو غير ذلك من وجوه التعدي، وقرئ[٢] فلا تسرف بالتاء خطابا للقاتل، أو لولي المقتول ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُوراً﴾ الضمير للمقتول، أو لوليه ونصره هو القصاص.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ﴾ ذكر في الأنعام قال بعضهم: لا تقربوا ولا تقتلوا معطوفان على ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ وذلك خطأ، والظاهر أنهما مجزومان بالنهي، بدليل قوله بعدها ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ ﴿وَلَا تَمْشِ﴾ ويصح أن تكون معطوفات إذا جعلنا: لا تعبدوا مجزوما على النهي، وأن مفسرة. ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ﴾ عام في العهود مع الله ومع الناس. ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون في معنى الطلب، أي يطلب الوفاء به.

والثاني: أن يكون المعنى يسأل عنه يوم القيامة هل وفى به أم لا؟

﴿وَزِنُواْ بِالْقِسْطَاسِ﴾ قيل: القسطاس الميزان، وقيل: العدل وقرئ[٣] بكسر

---

(١) صحيح سبق تخريجه.

(٢) قال الداني: حمزة والكسائي ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ بالتاء والباقون بالياء.. التيسير، ص: ٩٧.

(٣) قال ابن عطية: وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر القسطاس بضم القاف، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم القسطاس بكسر القاف، وهما لغتان، واللفظة منه للمبالغة من القسط، والمراد بها في الآية جنس الموازين المعدلة على أي صفة كانت. المحرر الوجيز: ٣/٤٦٨.

القاف وهي لغة. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ أي أحسن عاقبة ومآلا، وهو من آل إذا رجع.

﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ المعنى: لا تقل ما لا تعلم من ذم الناس وشبه ذلك، واللفظ مشتق من قفوته إذا اتبعته. ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً﴾ أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد، وإنما عاملها معاملة العقلاء في الإشارة بأولئك؛ لأنها حواس لها إدراك والضمير في عنه يعود على كل، ويتعلق عنه بمسئولا، والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده، وقيل: الضمير يعود على ما ليس لك به علم، والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هي التي تسأل عما ليس لها به علم، وهذا بعيد.

﴿وَلاَ تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحاً﴾ المرح الخيلاء والكبر في المشية، وقيل: هو إفراط السرور بالدنيا، وإعرابه مصدر في موضع الحال ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها، والخرق هو القطع، وقيل: معناه لا تقدر أن تستوفي جميعها بالمشي، والمراد بذلك تعليل النهي عن الكبر والخيلاء، أي إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض ولا على مطاولة الجبال، فكيف تتكبر وتختال في مشيك؟ وإنما الواجب عليك التواضع.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات، والمكروه هنا بمعنى الحرام لا على اصطلاح الفقهاء في أن المكروه دون الحرام، وإعراب مكروها نعت لسيئة، أو بدل منها، أو خبر ثان لكان.

﴿أَفَأَصْفَٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، والمعنى كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات، ومعنى أصفاكم خصكم ﴿قَوْلاً عَظِيماً﴾ أي عظيم النكر والشناعة.

ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم
بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَٰئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا
نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ
ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا
﴿٤٣﴾ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ
إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا
عَلَىٰ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ
إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا
﴿٤٧﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ هذا احتجاج على الوحدانية، وفي معناه قولان:

أحدهما: أن المعنى لو كان مع الله آلهة لابتغوا سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته، فيكون من جملة عباده.

والآخر: لابتغوا سبيلا إلى إفساد ملكه ومعاندته في قدرته، ومعلوم أن ذلك لم يكن فلا إله إلا هو.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾ الآية اختلف في كيفية هذا التسبيح، فقيل: هو تسبيح بلسان الحال، أي بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة، وقيل: إنه تسبيح حقيقة، وهذا أرجح لقوله: ﴿لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أن الله أخبر نبيه ﷺ أنه يستره من الكفار، إذا أرادوا به شرا ويحجبه منهم.

والآخر: أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن، وهذا أرجح لما بعده والمستور هنا قيل معناه مستور عن أعين الخلق؛ لأنه من لطف الله وكفايته، فهو من المغيبات، وقيل: معناه ساتر.

﴿أَكِنَّةً﴾ جمع كنان وهو الغطاء و﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ مفعول من أجله، تقديره:

كراهة أن يفقهوه، وهذه استعارات في إضلالهم. ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ﴾ معناه إذا ذكرت في القرآن وحدانية الله تعالى فر المشركون من ذلك، لما فيه من رفض آلهتهم وذمها، ونفورا مصدر في موضع الحال.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء، والضمير في به عائد على ما أي نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء. ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ أي جماعة يتناجون أو ذو نجوى، والنجوى كلام السر. ﴿رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ قيل: معناه جن فسحر، وقيل: معناه ساحر، وقيل: هو من السحر بفتح السين وهي الرئة، أي بشرا ذا سحر مثلكم، وهذا بعيد.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي مثلوك بالساحر والشاعر والمجنون. ﴿فَضَلُّوا﴾ عن الحق. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ إلى الهدى، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة[1] وأصحابه من الكفار.

﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً﴾ الآية، معناها إنكار للبعث، واستبعادهم أن يخلقهم الله خلقا جديدا بعد فنائهم، والرفات الذي بلي حتى صار غبارا، أو فتاتا، وقد ذكر في الرعد اختلاف القراء في الاستفهامين.

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ المعنى: لو كنتم حجارة أو حديدا لقدرنا على بعثكم وإحيائكم، مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التي في الحياة، فأولى وأحرى أن يبعث أجسادكم ويحيي عظامكم البالية، فذكر الحجارة والحديد تنبيها بهما على ما هو أسهل في الحياة منهما، ومعنى قوله: كونوا أي كونوا في الوهم والتقدير، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم في ذلك.

---

(١) أخرجه الطبري ي جامع البيان: ٤٦٤/١٧، وعزاه في الدر: ٢٩٨/٥ لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

ربع

• قل كونوا حجارة أو حديدا ﴿٥٠﴾ أو خلقا مما يكبر
في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة
فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون
قريبا ﴿٥١﴾ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن
لبثتم إلا قليلا ﴿٥٢﴾ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن
الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا
﴿٥٣﴾ ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ
يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا ﴿٥٤﴾ وربك أعلم بمن
في السماوات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
وآتينا داوود زبورا ﴿٥٥﴾ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ﴿٥٦﴾ أولئك
الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴿٥٧﴾
وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو
معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا ﴿٥٨﴾

﴿أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قيل: يعني السموات والأرض والجبال، وقيل: بل أحال على فكرتهم عموما في كل ما هو كبير عندهم، أي لو كنتم حجارة أو حديدا أو شيئا أكبر عندكم من ذلك وأبعد عن الحياة لقدرنا على بعثكم. ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي يحركونها تحريك المستبعد للشيء والمستهزئ. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ أي متى يكون البعث.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ الدعاء هنا عبارة عن البعث بالنفخ في الصور، والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين، وبحمده في موضع الحال أي حامدين له، وقيل: معنى بحمده بأمره. ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً﴾ يعني لبثتم في الدنيا أو في القبور.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العباد هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلاما لينا طيبا، وقيل: أن يقولوه للمشركين، ثم نسخ بالسيف، وإعراب يقولوا كقوله: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ في إبراهيم وقد ذكر ذلك.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ قيل: يعني الملائكة، وقيل: عيسى وأمه وعزير، وقيل: نفر من الجن كان العرب يعبدونهم والمعنى: أنهم لا يقدرون على كشف الضر عنكم فكيف تعبدونهم؟.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ المعنى: أن أولئك الآلهة

الذين يدعون من دون الله يبتغون القربة إلى الله ويرجونه ويخافونه، فكيف تعبدونهم معه؟ وإعراب أولئك مبتدأ والذين يدعون صفة له ويبتغون خبره والفاعل في يدعون ضمير للكفار، وفي يبتغون للآلهة المعبودين، وقيل: إن الضمير في يدعون ويبتغون للأنبياء المذكورين قبل في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ والوسيلة: هي ما يتوسل به ويتقرب. ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدل من الضمير في يبتغون أي يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم فكيف بغيره أو ضمن يبتغون معنى يحرصون فكأنه قال: يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله، بالاجتهاد في طاعته، ويحتمل أن يكون المعنى: أنهم يتوسلون بأيهم أقرب إلى الله. ﴿مَحْذُورًا﴾ من الحذر وهو الخوف.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يحتمل هذا الهلاك وجهين:

أحدهما: أن يكون بالموت والفناء الذي لا بد منه.

والآخر: أن يكون بأمر من الله يأخذ المدينة دفعة فيهلكها، وهذا أظهر؛ لأن الأول معلوم لا يفتقر إلى الإخبار به، والهلاك والتعذيب المذكوران في الآية هما في الحقيقة لأهل القرى أي مهلكو أهلها أم معذبوهم، وروي: أن هلاك مكة بالحبشة، والمدينة بالجوع، والكوفة بالترك، والأندلس بالخيل، وسئل الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة فقال: أصابها العذاب يوم قتل الموحدين بها في ثورة ابن هود، وأما هلاك قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغيرها فأخذ الروم لها. ﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾ يعني اللوح المحفوظ.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الآيات هنا يراد بها التي يقترحها الكفار، فإذا رأوها ولم يؤمنوا أهلكهم الله، وسبب الآية[1] أن

---

(١) صحيح أخرجه أحمد: ٢٥٨/١، والنسائي في تفسيره رقم: (٣١٠)، والطبري في جامع البيان: ٤٧٦/١٧، والحاكم في المستدرك: ٣٦٢/٢، والبيهقي: ٢٧١/٢.

وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
• وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا
الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ
مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا
﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ
وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ
لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

قريشا اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا بها فيهلكوا، وعبر بالمنع عن ترك ذلك، وأن نرسل في موضع نصب، وأن كذب في موضع رفع، ثم ذكر ناقة ثمود تنبيها على ذلك؛ لأنهم اقترحوها فكانت سبب هلاكهم، ومعنى مبصرة بينة واضحة الدلالة.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ إن أراد بالآيات هنا المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من العذاب العاجل وهو الإهلاك، وإن أراد المعجزات غير المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من عذاب الآخرة ليراها الكافر فيؤمن، وقيل: المراد بالآيات هنا الرعد والزلازل والكسوف وغير ذلك من المخاوف.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ المعنى اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش، يعني: بشرناك بقتلهم يوم بدر، وذلك قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ وإنما قال أحاط بلفظ الماضي وهو لم يقع لتحققه وصحة وقوعه بعد، وقيل: المعنى أحاط بالناس في منعك وحمايتك منهم كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ اختلف في هذه الرؤيا، فقيل: إنها الإسراء فمن قال إنه كان في اليقظة فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين، ومن قال إنه كان في المنام فالرؤيا منامية، والفتنة على هذا تكذيب الكفار بذلك وارتداد بعض المسلمين حينئذ، وقيل: إنها رؤيا النبي ﷺ في منامه هزيمة الكفار

وقتلهم ببدر، والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك وقيل: إنه رأى أنه يدخل مكة فعجل في سنة الحديبية فرد عنها، فافتتن بعض المسلمين بذلك، وقيل: رأى في المنام أن بني أمية يصعدون على منبره فاغتم بذلك. ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾ يعني شجرة الزقوم، وهي معطوفة على الرؤيا، أي جعلنا الرؤيا والشجرة فتنة للناس، وذلك أن قريشا لما سمعوا أن في جهنم شجرة الزقوم سخروا من ذلك وقالوا: كيف تكون شجرة في النار والنار تحرق الشجر؟ وقال أبو جهل: ما أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد، فإن قيل: أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن؟ فالجواب: أن المراد لعنة آكلها، وقيل: اللعنة هنا بمعنى الإبعاد والكراهة لأنها في أصل الجحيم. ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ الضمير لكفار قريش.

﴿طِينًا﴾ تمييز، أو حال من «من»، أو من مفعول خلقت.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ الكاف من أرأيتك للخطاب لا موضع لها من الإعراب وهذا مفعول بأرأيت، والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي أي فضلته وأنا خير منه، فاختصر الكلام بحذف ذلك، وقال ابن عطية أرايتك هنا بمعنى: أتأملت ونحوه لا بمعنى أخبرني. ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ معناه لأميلنهم وأقودهم وهو مأخوذ من تحنيك الدابة، وهو أن يشد على حنكها بحبل فتنقاد.

﴿قَالَ اذْهَبْ﴾ قال ابن عطية اذهب وما بعده من الأوامر صيغة أمر على وجه التهديد، وقال الزمخشري: ليس المراد الذهاب الذي هو ضد المجيء إنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا له وتخلية، ويحتمل عندي أن يكون معناه الطرد والإبعاد. ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ كان الأصل أن يقال جزاؤهم بضمير الغيبة ليرجع إلى من اتبعك، ولكنه ذكره بلفظ الخطاب تغليبا للمخاطب على الغائب، وليدخل إبليس معهم. ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ مصدر في موضع الحال والموفور المكمل.

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ أي اخدع واستخف. ﴿بِصَوْتِكَ﴾ قيل: يعني الغناء والمزامير، وقيل: الدعاء إلى المعاصي. ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ أي هول وهو من الجلبة وهي الصياح. ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ الخيل هنا يراد بها الفرسان الراكبون على الخيل، والرجل جمع راجل وهو الذي يمشي على رجليه، وقيل: هو مجاز واستعارة بمعنى افعل جهدك، وقيل: إن له من الشياطين خيلا ورجلا، وقيل: المراد فرسان الناس ورجالهم المتصرفون في الشر. ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ مشاركته في الأموال هي بكسبها من الربا وإنفاقها في المعاصي وغير ذلك، ومشاركته في الأولاد هي بالاستيلاد بالزنا وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك. ﴿وَعِدْهُمْ﴾ يعني المواعدة الكاذبة من شفاعة الأصنام وشبه ذلك.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يعني المؤمنين الذين يتوكلون على الله بدليل قوله بعد ذلك: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ونحوه، ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ أي يجريها ويسيرها، والفلك هنا جمع، وابتغاء الفضل في التجارة وغيرها.

﴿الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ يعني خوف الغرق. ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ضل هنا بمعنى تلف وفقد، أي تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده، فلجأتم إليه حينئذ دون غيره، فكيف تعبدون غيره وأنتم لا تجدون في تلك الشدة إلا إياه؟ ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ أي كفورا بالنعم، والإنسان هنا جنس.

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ الهمزة للتوبيخ والفاء للعطف، أي أنجوتم من البحر فأمنتم الخسف في البر. ﴿حَاصِبًا﴾ يعني حجارة أو ريحا شديدة ترمي بالحصباء. ﴿وَكِيلًا﴾ أي قائما بأموركم وناصرا لكم.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا
نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾
أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ
فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم
بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ربع
كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ
نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ
فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ
فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾
وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا
غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ
كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ
الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

﴿قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ﴾ يعني الذي يقصف ما يلقى أي يكسره. ﴿تَبِيعاً﴾ أي مطالبا بثأركم: أي فلا تجدون من ينصركم منا كقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ يعني فضلهم على الجن وعلى سائر الحيوان، ولم يفضلهم على الملائكة، ولذلك قال: ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ وأنواع التفضيل كثيرة لا تحصى، وقد ذكر المفسرون منها: كون الإنسان يأكل بيده، وكونه منتصب القامة، وهذه أمثلة.

﴿بِإِمَامِهِمْ﴾ قيل: يعني بنبيهم، يقال يا أمة فلان، وقيل: يعني كتابهم الذي أنزل عليهم، وقيل: كتابهم الذي فيه أعمالهم. ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ الفتيل: هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، والمعنى أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلا ولا كثيرا، فعبر بأقل الأشياء تنبيها على الأكثر.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ الإشارة بهذه إلى الدنيا، والعمى يراد به عمى القلب، أي من كان في الدنيا أعمى عن الهدى والصواب فهو في يوم القيامة أعمى أي حيران يائس من الخير، ويحتمل أن يريد بالعمى في الآخرة عمى البصر كقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ وإنما جعل الأعمى في الآخرة أضل سبيلا؛ لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء، ويجوز في أعمى الثاني أن يكون صفة كالأول، وأن يكون من أفعل التي للتفضيل، وهذا أقوى لقوله: وأضل سبيلا، فعطف أضل الذي هو من أفعل من كذا على ما هو شبيهه، قال سيبويه: لا يجوز أن

يقال هو أعمى من كذا، ولكن إنما يمتنع ذلك في عمى البصر لا عمى القلب.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآية سببها[1] أن قريشا قالوا للنبي ﷺ: اقبل بعض أمرنا ونقبل بعض أمرك، وقيل[2]: إن ثقيفا طلبوا من النبي ﷺ أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزى، والآية على هذا القول مدنية. ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ الافتراء هنا يراد به المخالفة لما أوحي إليه من القرآن أو في غيره. ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي لو فعلت ما أرادوا منك لاتخذوك خليلا.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ لولا تدل على امتناع شيء لوجود غيره، فدلت هنا على امتناع مقاربة النبي ﷺ الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته، وكدت تقتضي أيضا نفي الركون لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أي أنه لم يفعله فانتفى الركون إليهم ومقاربته، فليس في ذلك نقص من جانب النبي ﷺ؛ لأن التثبيت منعه من مقاربة الركون، ولو لم يثبته الله لكانت مقاربته للركون إليهم شيئا قليلا، وأما مع التثبيت فلم يركن قليلا ولا كثيرا، ولا قارب ذلك.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ أي ضعف عذابهما لو فعل ذلك.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الضمير لقريش كانوا قد هموا أن يخرجوا النبي ﷺ من مكة، وذلك قبل الهجرة فالأرض هنا يراد بها مكة لأنها بلده. ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك من مكة إلا قليلا، فلما خرج النبي ﷺ مهاجرا من مكة إلى المدينة

(١) أخرجه ابن إسحاق وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس كما في الدر المنثور: ٣١٨/٥.

(٢) لم أجده مسندا وذكره ابن حجر في الكافي الشافي: ٦٨٤/٢ بدون سند.

وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لَّا
يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن
رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ
الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ
مَشْهُوداً ﴿٧٨﴾ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ
رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ
وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰناً نَّصِيراً
﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَٰطِلُ إِنَّ الْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقاً
﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ الظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَٰنِ
أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَـُٔوساً ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ
يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ
سَبِيلاً ﴿٨٤﴾ • وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا
أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴿٨٦﴾

من أجل إذاية قريش له ولأصحابه لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلا وقتلوا يوم بدر.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ انتصب سنة على المصدر ومعناه العادة، أي هذه عادة الله مع رسله.

﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة، فدلوك الشمس زوالها، والإشارة إلى الظهر والعصر، وغسق الليل ظلمته وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء، وقرآن الفجر صلاة الصبح، وانتصب قرآن الفجر بالعطف على موضع اللام في قوله: ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ فإن اللام فيه ظرفية بمعنى عند، وقيل: هو عطف على الصلاة، وقيل: مفعول بفعل مضمر، تقديره: اقرأ قرآن الفجر، وإنما عبر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر؛ لأن القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها لأنها تصلى بسورتين طويلتين. ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ أي تشهده ملائكة الليل والنهار، فيجتمعون فيه إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار.

﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل، ومن للتبعيض والضمير في به للقرآن، والتهجد: السهر وهو ترك الهجود، ومعنى الهجود النوم، فالتفعل هنا للخروج عن الشيء، كالتحرج والتأثم: في الخروج عن الإثم والحرج. ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ يعني الشفاعة يوم القيامة، وانتصب مقاما على الظرف.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِی مُدۡخَلَ صِدۡقٍ﴾ الآية، المدخل: دخوله إلى المدينة، والمخرج خروجه من مكة، وقيل: المدخل في القبر والمخرج إلى البعث، واختار ابن عطية أن يكون على العموم في جميع الأمور. ﴿سُلۡطَـٰنࣰا نَّصِیرࣰا﴾ قيل: معناه حجة تنصرني بها وتظهر بها صدقي، وقيل: قوة ورياسة تنصرني بها على الأعداء وهذا أظهر.

﴿وَقُلۡ جَاۤءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَـٰطِلُۚ﴾ الحق الإيمان والباطل الكفر.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَاۤءࣱ﴾ من لبيان الجنس، أو للتبعيض، والمراد بالشفاء أنه يشفي القلوب من الريبة والجهل، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقيا به والتعويذ.

﴿وَإِذَاۤ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَـٰنِ﴾ الآية، المراد بالإنسان الجنس؛ لأن ذلك من سجية الإنسان، وقيل: إنما يراد الكافر؛ لأنه هو الذي يعرض عن الله. ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أي بعد وذلك تأكيد وبيان للإعراض، وقرئ[1] ﴿ناء﴾ وهما بمعنى واحد.

﴿قُلۡ كُلࣱّ یَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي مذهبه وطريقته التي تشاكله.

﴿وَیَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ السائلون اليهود، وقيل: قريش بإشارة اليهود، والروح هنا عند الجمهور هو الذي في الجسم، وقد يقال فيه النفس، وقيل: الروح هنا جبريل، وقيل: القرآن، والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك. ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّی﴾ أي من الأمور التي استأثر الله بها ولم يطلع عليها خلقه، وكانت اليهود قد قالت لقريش: اسألوه عن الروح فإن لم يجبكم فيه بشيء فهو نبيء، وذلك أنه كان عندهم في التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه، وقال ابن بريدة:

---

(١) ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ هنا وفي فصلت قرأ أبو جعفر وابن ذكوان بألف قبل الهمزة مثل: وناء، في الموضعين، وقرأهما الباقون بألف بعد الهمزة.. النشر: ٢/٣٤٦.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾
قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا
﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ
أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ
تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن
نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ
السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ
وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ
رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ
جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ
كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم
مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

لقد مضى النبي ﷺ وما يعرف الروح، ولقد كثر اختلاف الناس في النفس والروح، وليس في أقوالهم في ذلك ما يعول عليه.

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ خطاب عام لجميع الناس؛ لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله، وقيل: خطاب لليهود خاصة والأول أظهر؛ لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي إن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحوناه من الصدور والمصاحف، وهذه الآية متصلة المعنى بقوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي في قدرتنا أن نذهب بالذي أوحينا إليك فلا يبقى عندك شيء من العلم. ﴿وَكِيلًا﴾: أي من يتوكل برده وإعادته بعد ذهابه.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون استثناء متصلا بمعنى أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لو ذهب، أو استثناء منقطعا بمعنى أن رحمة ربك تمسكه عن الذهاب.

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ عجز الخلق عن الإتيان بمثله لما تضمنه من العلوم الإلٰهية، والبراهين الواضحة، والمعاني العجيبة، التي لم يمكن الناس يعلمونها ولا يصلون إليها ثم جاءت فيه على الكمال، وقال أكثر الناس: إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه، ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجها. ﴿ظَهِيرًا﴾ أي معينا.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي بينا لهم كل شيء من العلوم النافعة، والبراهين القائمة، والحجج الواضحة، وهذا يدل على أن إعجاز القرآن بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا. ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الكفور الجحود، وانتصب بقوله: ﴿أَبَىٰ﴾ لأنه في معنى النفي.

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ الذين قالوا هذا القول هم أشراف قريش، طلبوا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنواعا من خوارق العادات، وهي التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية، وقيل: إن الذي قاله عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وكان ابن عمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أسلم بعد ذلك، والينبوع العين، قالوا له إن مكة قليلة الماء ففجر لنا فيها عينا من ماء.

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كسفا بفتح السين جمع كسفة، وهي: القطعة، وقرئ[1] بالإسكان أي قطعا واحدا. ﴿قَبِيلًا﴾ قيل: معناه مقابلة ومعاينة، وقيل: ضامنا شاهدا بصدقك والقبالة في اللغة: الضمان.

﴿بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ أي من ذهب. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب من اقتراحاتهم أو تنزيه لله عن قولهم تأتي بالله وعن أن يطلب منه هذه الأشياء التي طلبها الكفار لأن ذلك سوء أدب. ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أي إنما أنا بشر فليس في قدرتي شيء مما طلبتم، وأنا رسول فليس علي إلا التبليغ.

﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ المعنى: أن الذي منع الناس من الإيمان إنكارهم لبعث الرسول من البشر.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ الآية معناها: أنه لو كان أهل الأرض ملائكة لكان الرسول إليهم ملكا، ولكنهم بشر فالرسول إليهم بشر من جنسهم،

(١) نافع وعاصم وابن عامر ﴿كِسَفًا﴾ بفتح السين والباقون باسكانها. التيسير، ص: ٩٨.

وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ
مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا
وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا
﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا
عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا
أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي
لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ
إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ
مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن
مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا
الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

ومعنى مطمئنين ساكنين في الأرض.

﴿شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ذكر في الأنعام.

﴿عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً﴾ قيل: هي استعارات بمعنى: أنهم يوم القيامة حيارى، وقيل: هي حقائق وأنهم يكونون عميا وبكما وصما حين قيامهم من قبورهم. ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ معناه في اللغة سكن لهبها، والمراد هنا كلما أكلت لحومهم فسكن لهبها بدلوا أجسادا أخر، ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت.

﴿وَقَالُواْ أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً﴾ استبعاد للحشر، وقد تقدم معنى الرفات والكلام في الاستفهامين.

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ﴾ الآية، احتجاج على الحشر، فإن السموات والأرض أكبر من الإنسان، فكما قدر الله على خلقتها فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فنائه، والرؤية في الآية رؤية قلب. ﴿أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ القيامة أو أجل الموت.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ لو حرف امتناع، ولا يليها إلا الفعل ظاهرا أو مضمرا فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها، تقديره: تملكون، ثم فسره بتملكون الظاهر، و﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد للضمير الذي في تملكون المضمر. ﴿خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيَ﴾ أي الأموال والأرزاق. ﴿إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ﴾ أي لو ملكتم الخزائن

لأمسكتم عن العطاء خشية الفقر، فالمراد بالإنفاق عاقبة الإنفاق وهو الفقر، ومفعول أمسكتم محذوف، وقال الزمخشري: لا مفعول له؛ لأن معناه بخلتم من قولهم للبخيل ممسك، ومعنى الآية وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى.

﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ الخمس منها: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والأربع: انقلاب العصا حية، وإخراج يده بيضاء، وحل العقدة من لسانه، وفلق البحر، وقد عد فيها رفع الطور فوقهم، وانفجار الماء من الحجر، على أن يسقط اثنان من الأخر، وقد عد فيها أيضا: السنون والنقص من الثمرات.

وروى[(١)]: أن بعض اليهود سألوا النبي ﷺ عنها فقال: «هي ألا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تفروا يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا في السبت».

﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقينا، والآية على هذا خطاب لمحمد ﷺ، وقال الزمخشري[(٢)]: إن المعنى: قلنا لموسى اسأل بني إسرائيل من فرعون، أي: اطلب منه أن يرسلهم معك، فهو كقوله: أن أرسل معي بني إسرائيل، فالأمر في قوله: اسأل لموسى على إضمار القول، وقال أيضا: يحتمل أن يكون المعنى: اسأل بني

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٧٣٣)، والنسائي في سننه: ١١١/٧، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٣٧٠٥)، وأحمد في مسنده: ٢٣٩/٣، والطبري في جامع البيان: ٥٦٦/١٧، والحاكم في المستدرك: ٩/١ قال الحاكم: هذا حديث صحيح لا نعرف له علة بوجه من الوجوه ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم: (٣٩١)، والزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: ٢٩٣/٢، وقال ابن كثير في تفسيره: ٦٣/٣، وهو حديث مشكل.

(٢) الكشاف: ٦٥١/٢.

إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك، وهذا أيضا على أن يكون الخطاب لموسى والأول أظهر. ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل والمراد آباؤهم الأقدمون، والعامل في إذ على القول الأول آتينا موسى، أو فعل مضمر والعامل فيه على قول الزمخشري القول المحذوف. ﴿مَسْحُوراً﴾ هنا وفي الفرقان أي سحرت واختلط عقلك، وقيل: ساحر.

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً
﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَاناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ
تَنزِيلاً ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ
سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿١٠٧﴾ وَيَخِرُّونَ
لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ۩ ﴿١٠٨﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ
ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيّاً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ
بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٠٩﴾ وَقُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي
الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴿١١٠﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

• الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ
عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ
فِيهِ أَبَداً ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴿٤﴾

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بفتح التاء خطاب لفرعون، والمعنى: أنه علم أن الله أنزل الآيات ولكنه كفر بها عنادا، كقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ والإشارة بهؤلاء إلى الآيات. ﴿مَثْبُوراً﴾ أي مهلكا، وقيل: مغلوبا، وقيل: مصروفا عن الخير، قابل موسى قول فرعون: إني لأظنك يا موسى مسحورا، بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي أرض مصر.

﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ يعني أرض الشام. ﴿لَفِيفاً﴾ أي جميعا مختلطين.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ الضمير للقرآن، وبالحق معناه في الموضعين بالواجب من المصلحة والسداد، وقيل: معنى الأول كذلك، ومعنى الثاني ضد الباطل، أي بالحق في إخباره وأوامره ونواهيه.

﴿وَقُرْءَاناً فَرَقْنَاهُ﴾ انتصب بفعل مضمر يدل عليه فرقناه ومعناه بيناه

وأوضحناه. ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ قيل: معناه على تمهل وترتيل في قراءته، وقيل: على طول مدة نزوله شيئا شيئا، من حين بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى وفاته وذلك عشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ أمر باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم، كأنه يقول: سواء آمنتم أو لم تؤمنوا لأنكم لستم بحجة، وإنما الحجة أهل العلم من قبله، وهم المؤمنون من أهل الكتاب. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ يعني المؤمنين من أهل الكتاب، وقيل: الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة كزيد بن عمرو بن نوفل، وورقة بن نوفل، والأول أظهر، وهذه الجملة تعليل لما تقدم، والمعنى: إن لم تؤمنوا أنتم به فقد آمن به من هو أعلم منكم.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي لناحية الأذقان، كقولهم: خر لليدين وللفم، والأذقان جمع ذقن وهو أسفل الوجه حيث اللحية، وإنما كرر يخرون للأذقان؛ لأن الأول للسجود والآخر للبكاء.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ سببها[1] أن الكفار سمعوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو: يا الله يا رحمن، فقالوا: إن كان محمد ليأمرنا بدعاء إله واحد، وها هو يدعو إلهين فنزلت الآية، مبينة أن قوله: الله أو الرحمن اسمان لمسمى واحد، وأنه مخير في الدعاء بأي الاسمين شاء، والدعاء في الآية بمعنى التسمية، كقولك: دعوت ولدي زيدا لا بمعنى النداء. ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أيا اسم شرط منصوب بتدعوا والتنوين فيه عوض من المضاف إليه، وما زائدة للتأكيد، والضمير في له لله تعالى، وهو المسمى لا الاسم، والمعنى: أي هذين الاسمين تدعو فحسن؛ لأن الله له الأسماء الحسنى فموضع قوله لله الأسماء الحسنى موضع الجواب وهو في المعنى تعليل للجواب لأنه إذا حسنت أسماؤه

(١) ضعيف سبق تخريجه.

كلها حسن هذان الاسمان. ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ المخافتة هي الإسرار، وسبب الآية[١] أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة فسمعه المشركون، فسبوا القرآن ومن أنزله فأمر رسول الله ﷺ بالتوسط بين الجهر والإسرار ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركين، وقيل: المعنى لا تجهر بصلواتك كلها ولا تخافت بها كلها واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السنة، وقيل: الصلاة هنا الدعاء.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ أي ليس لله ناصر يمنعه من الذل؛ لأنه تعالى عزيز فلا يفتقر إلى ولي يحميه فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غني عنها ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده، وحكى الطبري[٢] أن قوله لم يتخذ ولدا رد على النصارى واليهود والذين نسبوا لله ولدا، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ﴾ رد على المشركين، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ رد على الصابئين في قولهم: لو لا أولياء الله لذل الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. ﴿وَكَبِّرْهُ﴾ معطوف على قل، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم، أو باللسان، وهو أن يقول: الله أكبر، مع قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾.

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٧٢٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٤٤٦)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤٥)، والنسائي في سننه: ٢/١٧٧، وأحمد: ١/٢٣، والطبري في جامع البيان: ١٧/٥٨٣.

(٢) ... عن القُرَظي، أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾... الآية. قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدا، وقالت العرب: لبيك، لبيك، لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذلّ الله، فأنزل الله ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ﴾ أنت يا محمد على ما يقولون ﴿تَكْبِيرًا﴾ الطبري في جامع البيان: ١٧/٥٩٠.

سورة الكهف

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ العبد هنا هو النبي ﷺ، ووصفه بالعبودية تشريفا له وإعلاما باختصاصه وقربه، والكتاب القرآن. ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ العوج بكسر العين في المعاني التي لا تحس، وبالفتح في الأشخاص كالعصا ونحوها، ومعناه عدم الاستقامة، وقيل فيه هنا معناه: لا تناقض فيه ولا خلل فيه، وقيل: لم يجعله مخلوقا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿قَيِّمًا﴾ أي مستقيما، وقيل: قيما على الخلق بأمر الله تعالى، وقيل: قيما على سائر الكتب بتصديقها، وانتصابه على الحال من الكتاب، والعامل فيه أنزل، ومنع الزمخشري ذلك للفصل بين الحال وذي الحال، واختار أن العامل فيه فعل مضمر، تقديره: جعله قيما[1]. ﴿لِّيُنذِرَ﴾ متعلق بأنزل، أو بقيما، والفاعل به ضمير الكتاب، أو النبي ﷺ، والبأس العذاب وحذف المفعول الثاني وهو الناس كما حذف المفعول الآخر من قوله: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ﴾ لدلالة المعنى على المحذوف. ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي من عنده، والضمير عائد على الله تعالى. ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ يعني الجنة.

﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ﴾ أي دائمين وانتصابه على الحال من الضمير في لهم.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ هم النصارى لقولهم في عيسى، واليهود لقولهم في عزير، وبعض العرب لقولهم في الملائكة.

﴿مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ الضمير عائد على قولهم، أو على الولد. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ انتصب على التمييز، وقيل: على الحال ويعني بالكلمة قولهم: اتخذ الله ولدا، وعلى هذا يعود الضمير في ﴿كَبُرَتْ﴾.

(١) الكشاف: ٢/٦٥٧.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ
ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا
عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا
لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ
ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ
إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ
أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا
﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾
نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ
وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا
شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ
عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي قاتلها بالحزن والأسف، والمعنى تسلية النبي ﷺ عن عدم إيمانهم. ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمْ﴾ استعارة فصيحة كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم، وانتصب ﴿أَسَفًا﴾ على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه باخع نفسك.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ يعني ما يصلح للتزين كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك. ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي لنختبرهم أيهم أزهد في زينة الدنيا.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ المعنى إخبار بفناء الدنيا وزينتها، والصعيد هو التراب والجرز الأرض التي لا نبات فيها، أي سيفنى ما على الأرض من الزينة وتبقى كالأرض التي لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء بهجة.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ أم هنا استفهام، والمعنى: أحسبت أنهم عجب بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب، والكهف الغار الواسع، والرقيم اسم كلبهم، وقيل: هو لوح رقمت فيه أسماؤهم على باب الكهف، وقيل: كتاب فيه شرعهم ودينهم، وقيل: هو القرية التي كانت بإزاء الكهف، وقيل: الجبل الذي فيه الكهف، وقال ابن عباس[1]: لا أدري ما الرقيم.

---

(١) صحيح، أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٦٠٦.

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ نذكر من قصتهم على وجه الاختصار ما لا غنى عنه، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوا، وذلك أنهم كانوا قوما مؤمنين وكان ملك بلادهم كافرًا يقتل كل مؤمن، ففروا بدينهم ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه ويستخفوا من الملك وقومه، فأمر الملك باتباعهم فانتهى المتبعون لهم إلى الغار، فوجدوهم وعرفوا الملك بذلك، فوقف عليه في جنده، وأمر بالدخول إليهم فهاب الرجال ذلك، وقالوا له دعهم يموتوا جوعا وعطشا، وكان الله قد ألقى عليهم قبل ذلك نوما ثقيلا، فبقوا على ذلك مدة طويلة ثم أيقظهم الله، وظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما بدراهم كانت لهم، فعجب لها البائع[١] وقال هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان، من أين جاءتك؟ وشاع الكلام بذلك في الناس، فقال الرجل: إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس، فأوينا إلى الكهف، فقال الناس: هؤلاء هم الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم، فمشوا إليهم فوجدوهم موتى.

وأما موضع كهفهم فقيل: إنه بمقربة من فلسطين، وقال قوم: إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لوشة من جهة غرناطة، وفيه موتى ومعهم كلب، وقد ذكر ابن عطية ذلك[٢]، وقال: إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء يقال له: الرقيم قد بقي بعض جدرانه، وروى[٣]: أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه: دقيوس، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها: مدينة دقيوس، والله أعلم.

ومما يبعد ذلك ما روي: أن معاوية مر عليهم وأراد الدخول إليهم[٤] ولم

(١) المحرر الوجيز: ٣/٥٢٩.

(٢) المحرر الوجيز: ٣/٥٣٥.

(٣) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٥/٣٦٨.

(٤) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة كما في تخريج الزيلعي لأحاديث الكشاف: ٢/٣٠١، وهو بسند متصل إلى ابن عباس وانظر الدر المنثور: ٤/٣٦٦.

يدخل معاوية الأندلس قط، وأيضا فإن الموتى التي في غار لوشة يراهم الناس ولم يدرك أحدا منهم الرعب الذي ذكر الله في أصحاب الكهف.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ﴾ عبارة عن إلقاء النوم عليهم، وقال الزمخشري[1]: المعنى: ضربنا على آذانهم حجابا ثم حذف هذا المفعول. ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي كثيرة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ﴾ أي أيقظناهم من نومهم. ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ أي لنعلم علما يظهر في الوجود لأن الله قد كان علم ذلك، والمراد بالحزبين الذين اختلفوا في مدة لبثهم، فالحزب الواحد أصحاب الكهف والحزب الآخر القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف في مدتهم، وقيل: إن الحزبين معا أصحاب الكهف إذ كان بعضهم قد قال لبثنا يوما أو بعض يوم، وقال بعضهم: ربكم أعلم بما لبثتم، وأحصى فعل ماض، وأمدا مفعول به، وقيل: أحصى اسم للتفضيل وأمدا تمييز، وهذا ضعيف؛ لأن أفعل من التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي قوينا عزمهم وألهمناهم الصبر. ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾ يحتمل أن يريد قيامهم من النوم أو قيامهم بين يدي الملك الكافر لما آمنوا ولم يبالوا به. ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ أي لو دعونا من دونه إلها لقلنا قولا شططا والشطط الجور والتعدي.

﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ تحضيض بمعنى التعجيز، أي: أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطاب من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم. ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ عطف على المفعول في اعتزلتموهم، أي تركتموهم وتركتم

(١) الكشاف: ٢/٦٥٩.

ربع

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ
لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا
﴿١٦﴾ • وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ
ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي
فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ
وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم
بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا
بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا
أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا
أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

ما يعبدون. ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ أي ما يعبدون من دون الله، وإلا هنا بمعنى غير وهذا استثناء متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله وفي مصحف ابن مسعود: «وما يعبدون من دون الله»[1]. ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ هذا الفعل هو العامل في ﴿إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ والمعنى: أن بعضهم قال لبعض: إذا فارقنا الكفار فلنجعل الكهف لنا مأوى ونتكل على الله فهو يرحمنا ويرفق بنا. ﴿مِّرْفَقًا﴾ بفتح الميم وكسرها[2] ما يرتفق به وينتفع.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قيل: هنا كلام محذوف، تقديره: فآوى القوم إلى الكهف ومكثوا فيه، وضرب الله على آذانهم، ومعنى تزاور تميل وتزوغ، ومعنى تقرضهم تقطعهم أي تبعد عنهم، وهو من القرض بمعنى القطع، وذات اليمين والشمال أي جهته، ومعنى الآية أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرها، فقيل: إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة، وقيل: كان باب الكهف شماليا يستقبل

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦١٧/١٧ بإسناد صحيح، وهو عند ابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٣٥١/٧ معلقا. عن قتادة لم يذكر سنده.

(٢) ﴿مِّرْفَقًا﴾ قرأ المدنيان وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الباقون بكسر الميم وفتح الفاء. النشر: ٣٤٨/٢.

بنات نعش، فلذلك لا تصيبهم الشمس والأول أظهر لقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾. ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي في موضع واسع وذلك مفتح لإصابة الشمس ومع ذلك حجبها الله عنهم. ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة، وإن كان لكون بابهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بجملته.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أيقاظا جمع يقظ وهو المنتبه، كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون فيحسبهم من يراهم أيقاظا، وفي قوله: ﴿أَيْقَاظًا﴾ و﴿رُقُودٌ﴾ مطابقة وهي من أدوات البيان. ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ أي نقلبهم من جانب إلى جانب، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض، وكان هذا التقليب من فعل الله وملائكته وهم لا ينتبهون من نومهم، وروي[١] أنهم كانوا يقلبون مرتين في السنة، وقيل: من سبع سنين إلى مثلها. ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ قيل: إنه كان كلبا لأحدهم يصيد به، وقيل: كان كلبا لراع فمروا عليه فصحبهم وتبعه كلبه، وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لأنه حكاية حال. ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي بباب الكهف، وقيل: عتبته، وقيل: البناء. ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم، وقيل: لوحشة مكانهم وعن معاوية[٢] أنه غزا الروم فمر بالكهف فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس: لا تستطيع ذلك، قد قال الله لمن هو خير منك: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ فبعث ناسا إليهم فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأخرجتهم[٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ أي كما أنمناهم كذلك بعثناهم ليسأل بعضهم بعضا، واللام في ليتساءلوا لام الصيرورة. ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم: ٧/٢٣٥٢، وعزاه في الدر: ٥/٣٧٢ لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٢) صحيح سبق تخريجه.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٩/١٨٧.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا
عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ
لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ
كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ
ثمن وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا
يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ
فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ
غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ
أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا
فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ
بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ
أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا
مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة، فأنكر على من قال يوما أو بعض يوم، ولكنه لم يعلم مقدارها فأسند علمها إلى الله.

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ الورق الفضة، وكانت دراهم تزودوها حين خروجهم إلى الكهف، ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه، ويستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة، فإن قيل: كيف اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم؟ فالجواب: أنهم كانوا قالوا ربكم أعلم بما لبثتم، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم، فابعثوا أحدكم. ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ قيل: إنها طرسوس[1]. ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ قيل: أكثر، وقيل: أحل، وقيل: إنه أراد شراء زبيب، وقيل: تمر. ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في اختفائه وتحيله.

﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة، وقيل: المعنى يرجموكم بالقول، والأول أظهر.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي كما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم. ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف أي أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة ليستدلوا بذلك على صحة البعث من

(١) طرسوس: مدينة جليلة، بين انطاكية وحلب، سميت بطرسوس بن الروم بن اليفن بن سام بن نوح، عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قالوا: لما وصل الرشيد إليها جدد عماراتها وشق نهرها. ولها سور وخندق. انظر آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني: ١/٨٦، ومعجم البلدان: ٤/٢٨.

القبور. ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ العامل في إذ أعثرنا أو مضمر، تقديره: اذكر والمتنازعون هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء؟ وقيل: تنازعوا هل تحشر الأجساد أو الأرواح بلا أجساد، فأراهم الله حال أصحاب الكهف ليعلموا أن الأجساد تحشر. ﴿فَقَالُواْ ابْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَاناً﴾ أي على باب كهفهم إما ليطمس آثارهم أو ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذهم أو أخذ تربتهم تبركا، وإما ليكون علما على كهفهم ليعرف به. ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ قيل: يعني الولاة، وقيل: يعني المسلمين؛ لأنهم كانوا أحق بهم من الكفار، فبنوا على باب الكهف مسجدا لعبادة الله.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضمير لمن كان في زمان النبي ﷺ من اليهود أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف. ﴿رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾ أي ظنا وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي. ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قال قوم: إن الواو واو الثمانية لدخولها هنا وفي قوله: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾، وفي قوله في أهل الجنة ﴿وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ وفي قوله في براءة ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، وقال البصريون: لا تثبت واو الثمانية وإنما الواو هنا كقوله: جاء زيد وفي يده سيف، قال الزمخشري: وفائدتها التوكيد، والدلالة على أن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم صدقوا وأخبروا بحق، بخلاف الذين قالوا ثلاثة ورابعهم كلبهم، والذين قالوا خمسة وسادسهم كلبهم، وقال ابن عطية: دخلت الواو في آخر إخبار عن عددهم لتدل على أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصح الكلام وكذلك دخلت السين في قوله: سيقولون الأول، ولم تدخل في الثاني والثالث استغناء بدخولها في الأول. ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ أي لا يعلم عدتهم إلا قليل من الناس، وهم من أهل الكتاب قال ابن عباس[1]: أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم؛ لأنه قال في الثلاثة

(١) صحيح عن ابن عباس، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/٤٠٠، والطبري في جامع البيان: ١٧/٦٤٢.

والخمسة رجما بالغيب ولم يقل ذلك في سبعة وثامنهم كلبهم. ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآءً ظَاهِراً﴾ لا تمار من المراء وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج، والمعنى: لا تمار أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف، إلا مراء ظاهرا، أي غير متعمق فيه من غير مبالغة ولا تعنيف في الرد عليهم ﴿وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً﴾ أي لا تسأل أحدا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف؛ لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك عن السؤال.

﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْىءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَالِكَ غَداً ۝ إِلاَّ أَنْ يَّشَآءَ اللَّهُ﴾ سببها[(١)]: أن قريشا سألوا اليهود عن أمر رسول الله ﷺ، فقالوا لهم: اسألوه عن فتية ذهبوا في الزمان الأول وهم أصحاب الكهف، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو ذو القرنين، وعن الروح، فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي، فسألوه فقال: غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله، فأمسك عنه الله الوحي خمسة عشر يوما، فأوجف به كفار قريش وتكلموا في ذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف، فقص عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذي القرنين، وأنزل الله عليه هذه الآية تأديبا لهم وتعليما، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل، وقوله: ﴿غَداً﴾ يريد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي بعد يومه خاصة، وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى، وتقديره: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله، أو تقول: إلا أن يشاء الله، والمعنى: أن يعلق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته ويبرأ هو من الحول والقوة، وقيل: إن قوله إلا أن يشاء الله يتعلق بقوله: لا تقولن، والمعنى: لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله، بأن يأذن لك فيه، فالمشيئة على هذا راجعة إلى القول لا إلى الفعل، ومعناها: إباحة القول بالإذن فيه حكى ذلك الزمخشري[(٢)]

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٥٩٢، والبيهقي في الدلائل: ٢/٢٦٩، وعزاه في الدر لابن إسحاق: ٥/٣٥٧.

(٢) الكشاف: ٢/٦٦٨.

وحكاه أيضا ابن عطية، وقال: إنه من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكى[١].

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن عباس[٢]: الإشارة بذلك إلى الاستثناء، أي استثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولا وذلك على مذهبه فإن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة، وأما مذهب مالك والشافعي فإنه لا ينفع إلا أن يكون متصلا باليمين، وقيل: معنى الآية اذكر ربك إذا غضبت، وقيل: اذكره إذا نسيت شيئا ليذكرك ما نسيت، والظاهر أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت ذكره، أي: ارجع إلى الذكر إذا غفلت عنه واذكره في كل حال، ولذلك قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الله على كل أحيانه»[٣]. ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ هذا كلام أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقوله، والإشارة بهذا إلى خبر أصحاب الكهف، أي: عسى الله أن يؤتيني من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة على نبوءتي من خبر أصحاب الكهف، واللفظ يقتضي أن المعنى: عسى أن يوفقني الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب أهل الكهف وأقرب إلى الله، وقيل: إن الإشارة بهذا إلى المنسي أي إذا نسيت شيئا فقل عسى أن يهديني الله لشيء آخر هو أرشد من المنسي.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ في هذا قولان:

أحدهما: أنه حكاية عن أهل الكتاب يدل على ذلك ما في قراءة ابن مسعود:

---

(١) المحرر الوجيز: ٣/٥٣٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٦٤٥، والطبراني في الكبير: ١١/٦٨، والحاكم في المستدرك: ٤/٣٠٣ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٧٢)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (١٨٩)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٣٨٤)، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٠٢)، وأحمد: ٦/٧٠.

«وقالوا لبثوا في كهفهم»[١]، وهو معطوف على ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ﴾ فقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾، رد عليهم في هذا العدد المحكي عنهم.

والقول الثاني: أنه من كلام الله تعالى، وأنه بيان لما أجمل في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾.

ومعنى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ على هذا: أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم، وقد أخبر بمدة لبثهم، فإخباره هو الحق لأنه أعلم من الناس، وكان قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ احتجاجا على صحة ذلك الإخبار، وانتصب ﴿سِنِينَ﴾ على البدل من ثلاثمائة، أو عطف بيان، أو على التمييز، وذلك على قراءة التنوين في ثلاثمائة، وقرئ[٢] بغير تنوين على الإضافة، ووضع الجمع موضع المفرد. ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ أي: ما أبصره وما أسمعه، لأنه تعالى يدرك الخفيات كما يدرك الجليات. ﴿مَا لَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق، أو للمعاصرين للنبي ﷺ. ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ هو خبر على القراءة بالياء والرفع وقرئ بالتاء[٣] والجزم على النهي.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ يحتمل أن يراد بالكلمات هنا القرآن، فالمعنى لا يبدل أحد القرآن ولا يغيره، ويحتمل أن يريد بالكلمات القضاء والقدر. ﴿مُلْتَحَدًا﴾

(١) ضعيف أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/٤٠٢، وعنه الطبري في جامع البيان: ١٧/٦٤٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٣٥٦.

(٢) ﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بغير تنوين على الإضافة؛ وقرأ الباقون بالتنوين. النشر: ٢/٣٤٨، وقال ابن عطية: وقرأ الجمهور ثلاثمائة سنين بتنوين مائة ونصب سنين على البدل من ثلاثمائة وعطف البيان، وقيل: على التفسير والتمييز، وقرأ حمزة والكسائي ويحيى وطلحة والأعمش بإضافة مائة إلى سنين، وترك التنوين، وكأنهم جعلوا سنين بمنزلة سنة إذ المعنى بهما واحد... المحرر الوجيز: ٣/٥٣٤.

(٣) ﴿ولايشرك﴾ قرأ ابن عامر بالخطاب وجزم الكاف على النهي، وقرأ الباقون بالغيب ورفع الكاف على الخبر. النشر: ٢/٣٤٨.

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ
الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ
وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن
وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ
سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ
بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن
ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا
عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَاضْرِبْ لَهُم ربع
مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ
تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

أي ملجئا تميل إليه.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي احبسها صابرا. ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ هم فقراء المسلمين، كبلال وخباب وصهيب، وكان الكفار قد قالوا له: اطرد هؤلاء نجالسك نحن فنزلت الآية[1]. ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قيل المراد الصلوات الخمس، وقيل: الدعاء على الإطلاق. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا، وقال الزمخشري: يقال عداه إذا جاوزه، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف، وإنما تعدى هنا بعن لأنه تضمن معنى: نبت عينه عن الرجل إذا احتقره. ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ جملة في موضع الحال فهي متصلة بما قبلها، وهي في معنى تعليل الفعل المنهي عنه في قوله ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا. ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ أي جعلناه غافلا، أو وجدناه غافلا، وقيل: إنه يعني عيينة بن حصن الفزاري، والأظهر أنها مطلقة من غير تعيين. ﴿فُرُطًا﴾ من التفريط والتضييع، أو من الإفراط والإسراف.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي هذا هو الحق. ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن﴾ لفظه أمر وتخيير، ومعناه: أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه إما الحق الذي ينجيه، وإما الباطل الذي يهلكه، ففي ضمن ذلك تهديد. ﴿سُرَادِقُهَا﴾ السرادق في اللغة ما

(١) ضعيف أخرجه الواحدي في أسبابه، ص: ٢٥٠، وعزاه في الدر: ٣٨٢/٥ لعبد بن حميد عن سلمان الفارسي.

أحاط بالشيء كالسور والجدار، وأما سرادق جهنم فقيل: حائط من نار، وقيل: دخان. ﴿كَالْمُهْلِ﴾ وهو دردي الزيت إذا انتهى حره، روي ذلك عن النبي ﷺ[١] وقيل: ما أذيب من الرصاص وشبهه. ﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي شيئا يرتفق به، فهو من الرفق، وقيل: يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾ خبر إن، وإنا لا نضيع اعتراض، ويجوز أن يكونا خبرين، أو يكون إنا لا نضيع الخبر وأولئك كلام مستأنف، ويقوم العموم في قوله ﴿مَنْ أَحْسَنَ﴾ مقام الضمير الرابط، أو يقدر من أحسن عملا منهم، وروي[٢]: أن النبي ﷺ قال: إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. ﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أسوار وسوار، وهو ما يجعل في اليد، وقيل: أساور جمع أسورة، وأسورة جمع سوار. ﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: الغليظ منه. ﴿الْأَرَائِكِ﴾ الأسرة والفرش.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم﴾ الضمير للكفار الذين قالوا اطرد فقراء المسلمين، وللفقراء الذين أرادوا طردهم، أي مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين، وهما أخوان من بني إسرائيل، أحدهما: مؤمن، والآخر كافر، ورثا مالا عن أبيهما فاشترى الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر، فعيره الكافر بفقره فأهلك الله مال الكافر، وروي: أن اسم المؤمن تمليخ، واسم الكافر فرطوس[٣]، وقيل:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٥٨١)، والبغوي في شرح السنة: ١٥/٢٤٥، والطبري في جامع البيان: ١٨/١٢، وابن حبان في صحيحه قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) لم أجده مسندا، قال ابن عطية في المحرر الوجيز: وحكى مكي والزهراوي وغيرهما حديثا مضمنه أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم سأل أعرابي رسول الله ﷺ عن الآية فقال النبي ﷺ للأعرابي: أعلم قومك أنها نزلت في هؤلاء الأربعة وهم حضور: ٣/٥٤٩.

(٣) لم أجده مسندا، وإنما ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٥/١٧٠ بدون سند.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا
﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا
مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ
بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾
لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا
وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا
حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا
غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ
كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ
خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ
هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

كانا شريكين اقتسما المال، فاشترى أحدهما بماله جنتين، وتصدق الآخر بماله. ﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الهمزة اسم لما يؤكل ويجوز ضم الكاف[1] وإسكانها. ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي لم تنقص.

﴿وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ﴾ بضم الثاء والميم أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك قاله ابن عباس[2] وقتادة[3]، وقيل: هو الذهب والفضة خاصة، وهو من ثمر ماله إذا كثره، ويجوز إسكان الميم تخفيفا، وأما بفتح الثاء والميم: فهو المأكول من الشجر، ويحتمل المعنى الآخر. ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ﴾ أي يراجعه في الكلام. ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني الأنصار والخدم.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ أفرد الجنة هنا، لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن دخولهما معا في دفعة واحدة. ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ إما بكفره وإما بمقابلته لأخيه فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه. ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات فيكون قائلا ببقاء هذا الوجود كافرا بالآخرة، أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطا في الاغترار وقلة التحصيل.

---

(١) ﴿أُكُلَهَا﴾ أسكن الكاف نافع وأبو عمرو والباقون بضمها. النشر: ٢/٢٤٦.
(٢) حسن أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٨/٢، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٣٦.
(٣) صحيح عن قتادة أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٨/٢١.

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخي لأجدن في الآخرة خيرا من جنتي في الدنيا، وقرئ[1] خيرا منهما بضمير الاثنين للجنتين وبضمير الواحد للجنة. ﴿مُنقَلَبًا﴾ أي مرجعا.

﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافرا بالله لشكه في البعث. ﴿سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ كما تقول سواك إنسانا، ويحتمل أن يقصد الرجولية على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أنثى.

﴿لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ الجمهور بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل، والأصل على هذا لكن أنا، ثم ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت، ثم أدغمت النون في النون، وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقف[2] ويتوجه ذلك بأن تكون لكن لحقتها نون الجماعة التي في خرجنا وضربنا ثم أدغمت النون في النون.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية وصية من المؤمن للكافر ولولا تحضيض.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ يحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة. ﴿حُسْبَانًا﴾ أي أمرا مهلكا كالحر والبرد ونحو ذلك. ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الصعيد وجه الأرض، والزلق: الذي لا يثبت فيه قدم، يعني: أنه تذهب أشجاره ونباته.

﴿غَوْرًا﴾ أي غائرا ذاهبا وهو مصدر وصف به.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ عبارة عن هلاكها. ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يريد أن السقف وقعت وهي العروش،

---

(١) ﴿خيراً منها﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر منهما بميم بعد الهاء على التثنية، وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ الباقون بحذف الميم على الإفراد، وكذلك في مصاحفهم. النشر: ٢/٣٤٩.

(٢) النشر: ٢/٣٤٨.

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ
وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧)
وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ
فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا
الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا
عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١)
وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا (٥٢) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ
النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)

ثم تهدمت الحيطان عليها، فالحيطان على العروش، وقيل: إن كرومها المعروشة سقطت على عروشها ثم سقطت الكروم عليها. ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ﴾ قال ذلك على وجه التمني لما هلك بستانه، أو على وجه التوبة من الشرك.

﴿هُنَالِكَ﴾ ظرف يحتمل أن يكون العامل فيه منتصرا أو يكون في موضع خبر الولاية. ﴿الْوَلَايَةُ﴾ بكسر الواو بمعنى الرياسة والملك، وبفتحها من الموالاة والمودة. ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي عاقبة.

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ الباء سببية، والمعنى: صار به النبات مختلطا، أي ملتفا بعضه ببعض من شدة تكاثفه. ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ أي متفتتا وأصبح هنا بمعنى صار. ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ﴾ أي تفرقه، ومعنى المثل تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فنائه بعد خضرته.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ الآية هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد وذلك من أدوات البيان، وقرئ[1] زينتا بالتثنية لأنه خبر عن اثنين، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة لأنها مصدر. ﴿وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي: سبحان الله والحمد لله

(١) قال السيوطي: وقرئ شاذاً «زينتا الحياة» على التثنية، وسقطت ألفها لفظاً لالتقاء الساكنين فيُتَوَهَّمُ أنه قرئ بنصب «زينة الحياة» الدر المنثور: ١/٣٠٨٨.

ولا إله إلا الله والله أكبر، هذا قول الجمهور، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ[١] وقيل: الصلوات الخمس، وقيل: الأعمال الصالحة على الإطلاق.

﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ أي نحملها ومنه قوله وهي تمر مر السحاب وبعد ذلك تصير هباء ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي ظاهرة لزوال الجبال عنها ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ قال الزمخشري[٢]: إنما جاء حشرناهم بلفظ الماضي بعد قوله: ﴿نُسَيِّرُ﴾ للدلالة على أن حشرناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا تلك الأهوال. ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ أي لم نترك.

﴿صَفًّا﴾ أي صفوفا فهو إفراد تنزل منزلة الجمع وقد جاء في الحديث: «إن أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا»[٣] ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ. ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي حفاة عراة غرلا.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني صحائف الأعمال فالكتاب اسم جنس. ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ كلام مستأنف جرى مجرى التعليل لإباية إبليس عن السجود، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع، فإن الجن صنف غير الملائكة، وقد يجيب عن ذلك من قال إنه كان من الملائكة بأن كان هنا بمعنى صار أي خرج عن صنف الملائكة إلى صنف الجن، أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من نار.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي خرج عن ما أمر به، والفسق في اللغة الخروج. ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ هذا توبيخ ووعظ، وذرية إبليس هم الشياطين،

---

(١) صحيح وهو من حديث أبي هريرة أخرجه الحاكم: ٥٤١/١، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٨٤٨)، والطبراني في الصغير: ٢٤٩/١ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) الكشاف: ٦٧٨/٢.

(٣) صحيح أخرجه أحمد: ٤٥٣/١، والحاكم: ٨٢/١، والطحاوي في المشكل: ٣٣٧/١، وهو ثابت صحيح بشواهده.

ربع

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قِبَلًا (٥٤) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (٥٥) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٦) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٧) وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٨) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٥٩) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦٠)﴾

واتخاذهم أولياء بطاعتهم في عصيان الله والكفر به.

﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ﴾ الضمير للشياطين على وجه التحقير لهم أو للكفار أو لجميع الخلق، فيكون فيه رد على المنجمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرصة. ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي معينا ومعنى المضلين الذين يضلون العباد وذلك يقوي أن المراد الشياطين.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم وقد بين هذا بقوله: ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾. ﴿مَّوْبِقًا﴾ أي مهلكا وهو اسم موضع أو مصدر من وبق الرجل إذا هلك، وقد قيل إنه واد من أودية جهنم، والضمير في بينهم للمشركين وشركائهم.

﴿فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ الظن هنا بمعنى اليقين. ﴿مَصْرِفًا﴾ أي معدلا ينصرفون إليه.

﴿جَدَلًا﴾ أي مخاصمة ومدافعة بالقول، ويقتضي سياق الكلام ذم الجدل، وسببها[1] فيما قيل: مجادلة النضر بن الحارث، على أن الإنسان هنا يراد به الجنس.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا﴾ الآية معناها أن المانع للناس من الإيمان

(١) لم أجده مسندا وذكره البغوي في معالم التنزيل: ٥/١٨١، والواحدي في الوسيط: ٢/١٥٤.

والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة وهي الإهلاك في الدنيا أو يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة، ومعنى قبلا معاينة، وقرئ[1] بضمتين وهو جمع قبيل أي أنواعا من العذاب.

﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي ليبطلوا. ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ يعني العذاب، وما موصولة، والضمير محذوف تقديره: أنذروه أو مصدرية.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ هذه عقوبة على الإعراض المحكي عنهم أو تعليل لهم والأكنة جمع كنان وهو الغطاء، والوقر الصمم وهما على وجه الاستعارة في قلة فهمهم للقرآن، أو عدم استجابتهم للإيمان. ﴿فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ يريد به من قضى الله أنه لا يؤمن.

﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ الضمير لكفار قريش أو لسائر الناس لقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾ والجملة خبر المبتدإ، والغفور ذو الرحمة صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة ويحتمل أن يكون الغفور وهو الخبر: بيان لمغفرته ورحمته والأول أظهر. ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ قيل: هو الموت وقيل عذاب الآخرة وقيل يوم بدر. ﴿مَوْئِلًا﴾ أي ملجئا يقال وئل للرجل إذا لجأ.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ يعني عادا وثمود وغيرهم من المتقدمين، والمراد هنا أهل القرى ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ وفي ضمن هذا الإخبار تهديد لكفار قريش. ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ أي وقتا معلوما، والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر من أهلك فالمصدر على هذا مضاف للمفعول؛ لأن الفعل متعد، وقرئ[2] بفتح الميم من هلك فالمصدر على هذا مضاف للفاعل.

---

(١) قال الداني: الكوفيون ﴿قبلا﴾ بضمتين والباقون بكسر القاف وفتح الباء. التيسير، ص: ٩٩.

(٢) ﴿لمهلكهم﴾ روى أبو بكر بفتح الميم واللام التي بعد الهاء، وروى حفص بفتح الميم وكسر اللام، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام. النشر: ٢/٣٥٠.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر وهو موسى بن عمران نبي الله، وقال قوم: هو موسى آخر، وذلك باطل رده ابن عباس[1] وغيره ويدل الحديث على بطلانه، وفتاه هو يوشع بن نون، وهو ابن أخت موسى، وهو من ذرية يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، والفتى هنا بمعنى الخديم، وسبب القصة فيما روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح[2] أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خطب يوما في بني إسرائيل فقيل له: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحى الله إليه بلى عبدنا الخضر، فقال: يا رب دلني على السبيل إلى لقائه، فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا في مكتل، ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، فإذا فقد الحوت فإن الخضر هنالك، ففعل موسى ذلك حتى لقيه. ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ قال موسى هذا الكلام وهو سائر أي لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين فحذف خبر لا أبرح اختصارا لدلالة المعنى عليه، ومعنى لا أبرح هنا لا أزال لأن حقيقة لا أبرح تقتضي الإقامة في الموضع، وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة، ومجمع البحرين عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه، وهو بحر الأندلس، وقيل: هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق. ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي زمانا طويلا، والحقب بضم القاف وإسكانها ثمانون سنة، وقيل: زمان غير محدود، وقيل: هي جمع حقبة وهي السنة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ الضمير في بلغا لموسى وفتاه، والضمير في بينهما للبحرين. ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسب النسيان إليهما وإنما كان النسيان من الفتى وحده كما تقول فعل بنو فلان كذا إذا فعله واحد منهم، وقيل: نسي الفتى أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء. ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ فاعل اتخذ

---

(١) أخرجه البخاري الحديث رقم: (٢٣٨٠)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣١٤٩)، والنسائي في تفسيره: ٢/٢١٨، والطبري في جامع البيان: ١٨/٦٤.

(٢) صحيح وهو ضمن الحديث الذي تقدم تخريجه.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ۞ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ
ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ
صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ
ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾
فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى
عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ
نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

الحوت والمعنى أنه سار في البحر، فقيل: إن الحوت كان ميتا مملوحا ثم صار حيا بإذن الله ووقع في الماء فسار فيه، وقال ابن عباس[(١)]: إنما حيي الحوت لأنه مسه ماء عين، يقال لها: عين الحياة ما مست قط شيئا إلا حيي، وفي الحديث: «إن الله أمسك جرية الماء عن الحوت فصار مثل الطاق وبقي موضع سلوكه في الماء فارغا من الماء فسار مثل السرب»[(٢)] وهو المسلك في جوف الأرض، وذلك معجزة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: اتخذ الحوت سبيله في البحر سربا حتى وصل إلى البحر، فعام على العادة ويرد هذا ما ورد في الحديث.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي جاوزا الموضع الذي وصف له وهو الصخرة التي نام عندها فسار الحوت في البحر بينما كان موسى نائما وكان ذهاب الحوت أمارة لقائه للخضر فلما استيقظ موسى أصابه الجوع فقال لفتاه آتنا غداءنا. ﴿نَصَبًا﴾ أي تعبا.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ قال الزمخشري: أرأيت هنا بمعنى

---

(١) قال ابن عطية: ومن غريب ما روي في البخاري عن ابن عباس من قصص هذه الآية أن الحوت إنما حيي لأنه مسه ماء عين هنالك، تدعى عين الحياة ما مست قط شيئا إلا حيي، ومن غريبه أيضا أن بعض المفسرين ذكر أن موضع سلوك الحوت عاد حجرا طريقا، وأن موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى أفضى ذلك الطريق إلى الجزيرة في البحر وفيها وجد الخضر. المحرر الوجيز: ٥٥٥/٣.

(٢) صحيح مضى تخريجه.

أخبرني؟ ثم قال فإن قلت: ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من ﴿أَرَأَيْتَ﴾ و﴿إِذْ أَوَيْنَا﴾ و﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ لا متعلق له؟ فالجواب: أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه، وما اعتراه من نسيانه فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك، فكأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت؟ فحذف بعض الكلام. ﴿نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ أي نسيت أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه في البحر، وتقديره: نسيت ذكر الحوت. ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بدل من الهاء في أنسانيه وهو بدل اشتمال. ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا للناس، ويكون إخبارا من الله تعالى، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا للناس، أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبا، أي تعجب هو منه وإعراب عجبا مفعول ثان لاتخذ مثل سربا، وقيل: إن الكلام تم عند قوله: في البحر، ثم ابتدأ التعجب فقال: عجبا، وذلك بعيد.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي فقد الحوت هو ما كنا نطلب لأنه أمارة على وجدان الرجل. ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي رجعا في طريقهما يقصان أثرهما الأول لئلا يخرجا عن الطريق.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ هو الخضر. ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾ يعني النبوة على قول من قال إن الخضر نبي وقيل إنه ليس بنبي ولكنه ولي وتظهر نبوته من هذه القصة؛ لأنه فعل أشياء لا يعملها إلا بوحي، واختلف أيضا هل مات أو هو حي إلى الآن؟ ويذكر كثيرا من الصلحاء أنهم يرونه ويكلمهم. ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ في الحديث[١] أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه، فقال له السلام عليك فرفع رأسه وقال: وأني بأرضك السلام؟ قال له: من أنت؟ قال أنا موسى قال موسى بني

(١) مضى تخريجه في الحديث السابق.

إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أولم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا، قال: بلى، ولكني أحببت لقاءك وأن أتعلم منك، قال له: إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه أنا.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ الآية مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه. ﴿رُشْدًا﴾ قرئ[1] بضم الراء وإسكان الشين وبفتحها والمعنى واحد وانتصب على أنه مفعول ثان بتعلمن، أو حال من الضمير في أتبعك.

﴿فَانطَلَقَا﴾ الضمير لموسى والخضر وفي الحديث أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة فعرفها الخضر فحملا فيها بغير نول أي بغير أجرة. ﴿خَرَقَهَا﴾ روي: أن الخضر أزال لوحين من ألواحها. ﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي عظيما، وقيل: منكرا.

﴿فَانطَلَقَا﴾ يعني بعد نزولهما من السفينة فمرا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضيء الصورة فاقتلع الخضر رأسه، وقيل: ذبحه، وقيل: أخذ صخرة فضرب بها رأسه، والأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح وروي أن اسم الغلام جيسور[2]، بالجيم، وقيل: بالحاء المهملة، قال الزمخشري: إن قلت: لم قال خرقها بغير فاء وقال فقتله بالفاء؟ والجواب: أن خرقها جواب الشرط وقتله من جملة الشرط معطوف عليه، والخبر ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ فإن قيل: لم خولف بينهما؟ فالجواب: أن خرق السفينة لم يتعقب الركوب، وقد تعقب القتل لقاء الغلام. ﴿نَفْسًا زَاكِيَةً﴾ قيل: إنه كان لم يبلغ فمعنى زكية ليس له ذنب، وقيل: إنه كان بالغا، ولكنه لم ير له موسى ذنبا. ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان قد قتل نفسا

---

(١) ﴿رشدا﴾ قرأ البصريان بفتح الراء والشين، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الشين. النشر: ٢/٣٥٠.

(٢) سبق تخريجه.

● قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ● وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

لم يكن بقتله بأس على وجه القصاص، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغا، فإن غير البالغ لا يقتل وإن قتل نفسا. ﴿شَيْئاً نُّكْراً﴾ أي منكرا وهو أبلغ من قوله: ﴿إِمْراً﴾ ويجوز ضم الكاف وإسكانها.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ بزيادة لك فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس في قوله أولا ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

﴿بَعْدَهَا﴾ الضمير للقصة وإن لم يتقدم لها ذكر، ولكن سياق الكلام يدل عليها. ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً﴾ أي قد أعذرت إلي فأنت معذور عندي، وفي الحديث[1]: «كانت الأولى من موسى نسيانا».

﴿أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قيل هي أنطاكية وقيل برقة وقال أبو هريرة وغيره هي بالأندلس ويذكر أنها الجزيرة الخضراء وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة. ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ أي طلبا منهم طعاما. ﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ﴾ أن يسقط، وإسناد الإرادة إلى الجدار مجاز ومثل ذلك كثير في كلام العرب وحقيقته أنه قارب أن ينقض ووزن ينقض ينفعل وقيل يفعل بالتشديد كيحمر. ﴿فَأَقَامَهُ﴾ قيل: إنه هدمه ثم بناه، وقيل: مسحه بيده وأقامه فقام. ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ أي قال موسى للخضر لو شئت لاتخذت عليه أجرا أي طعاما نأكله.

---

(١) البخاري الحديث رقم: (١٢٢)، ومسلم الحديث رقم: (٦٣١٣)، وابن حبان الحديث رقم: (٦٢٢٠).

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ إنما قال له هذا لأجل شرطه في قوله: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ على أن قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ليس بسؤال ولكن في ضمنه أمر بأخذ الأجرة عليه؛ لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام والبين هنا ليس بظرف وإنما معناه الوصلة والقرب، وقال الزمخشري[(١)]: الأصل هذا فراق بيني وبينك بتنوين فراق ونصب بيني على الظرفية ثم أضيف المصدر إلى الظرف والإشارة بقوله هذا إلى السؤال الثالث الذي أوجب الفراق.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ قيل: إنهم تجار ولكنه قال فيهم مساكين على وجه الإشفاق عليهم لأنهم كانوا يغصبون سفينتهم أو لكونهم في لجج البحر، وقيل: كانوا عشرة إخوة، منهم خمسة عاملون بالسفينة، وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم، وقرئ مساكين[(٢)] بتشديد السين أي يمسكون السفينة. ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ قيل: معناه قدامهم، وقرأ ابن عباس[(٣)] أمامهم وقال ابن عطية: إن وراءهم على بابه[(٤)] ولكن روعي به الزمان فالوراء هو المستقبل، والأمام هو الماضي.

---

(١) الكشاف: ٢/٦٩١.

(٢) قال ابن عطية: قرأ الجمهور ﴿لمساكين﴾ بتخفيف السين جمع مسكين، واختلف في صفتهم فقالت فرقة: كانت لقوم تجار، ولكنهم من حيث هم مسافرون على قلة وفي لجة بحر وبحال ضعف عن مدافعة غصب جائر عبر عنهم بـ ﴿مساكين﴾ إذ هم في حالة يشفق عليهم بسببها. قال القاضي أبو محمد: وهذا كما تقول لرجل غني إذا وقع في وهدة وخطب: مسكين، وقالت فرقة: كانوا عشرة إخوة أهل عاهات خمسة منهم عاملون بالسفينة لا قدرة بهم على العمل، وقرأت فرقة «لمساكين» بتشديد السين واختلف في تأويل ذلك، فقالت فرقة: أراد (بـ) المساكين ملاحي السفينة، وذلك أن المساك هو الذي يمسك رجل المركب وكل الخدمة يصلح لإمساكه فسمي الجميع مساكين، وقالت فرقة أراد المساكين دبغة المسوك وهي الجلود، واحدها مسك. المحرر الوجيز: ٣/٥٦٤.

(٣) قال ابن عطية المحرر الوجيز: ٣/٥٦٤، وقرأ ابن جبير وابن عباس «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة».

(٤) المحرر الوجيز المصدر السابق.

﴿كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ عموم يراد به الخصوص في الجياد والصحاح من السفن ولذلك قرأ ابن مسعود يأخذ كل سفينة صالحة[١]، وقيل: إن اسم هذا الملك هدد بن يدد، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح، وفي الكلام تقديم وتأخير؛ لأن قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، مؤخر في المعنى عن ذكر غصبها لأن خوف الغصب سبب في أنه عابها، وإنما قدم للعناية به.

﴿وَأَمَّا الْغُلَٰمُ﴾ روي: أنه كان كافرا، وروي: أنه كان يفسد في الأرض. ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ المتكلم بذلك الخضر وقيل إنه من كلام الله وتأويله على هذا فكرهنا وقال ابن عطية[٢]: إنه من نحو ما وقع في القرآن من عسى ولعل وإنما هو في حق المخاطبين. ومعنى ﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾ يكلفهما ذلك، والمعنى: أن يحملهما حبه على اتباعها، أو يضر بهما لمخالطته مع مخالفته لهما.

﴿خَيْراً مِّنْهُ﴾ أي غلاما آخر خيرا من الغلام المقتول. ﴿زَكَوٰةً﴾ أي طهارة وفضيلة في دينه. ﴿وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾ أي رحمة وشفقة، فقيل المعنى: أن يرحمهما، وقيل: يرحمانه.

﴿لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ اليتيم من فقد أباه قبل البلوغ، وروي: أن اسم الغلامين أصرم وصريم، واسم أبيهما كاشح، وهذا يفتقر إلى صحة نقل. ﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قيل: مال عظيم، وقيل: كان علما في صحف مدفونة، والأول أظهر. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾ قيل: إنه الأب السابع، وظاهر اللفظ أنه الأقرب. ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ أسند الإرادة هنا إلى الله لأنها في أمر مغيب مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله،

---

(١) قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا». البخاري الحديث رقم: (٤٤٤٨).

(٢) لفظه: وقرأ ابن مسعود: «فخاف ربك» وهذا بين في الاستعارة، وهذا نظير ما يقع في القرآن في جهة الله تعالى من لعل وعسى، فإن جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية إنما هو بحسبكم أيها المخاطبون. المصدر السابق.

إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا
حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد
عندها قوما ﴿٨٣﴾ قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ
فيهم حسنا ﴿٨٤﴾ قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه
فيعذبه عذابا نكرا ﴿٨٥﴾ وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء
الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ﴿٨٦﴾ ثم أتبع سببا حتى إذا
بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترا ﴿٨٧﴾ كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ﴿٨٨﴾ ثم أتبع سببا
حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون
يفقهون قولا ﴿٨٩﴾ قالوا يا ذا القرنين إن ياجوج وماجوج
مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا
وبينهم سدا ﴿٩٠﴾ قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل
بينكم وبينهم ردما ﴿٩١﴾ آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين
الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه
قطرا ﴿٩٢﴾ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴿٩٣﴾

وأسند الخضر إلى نفسه في قوله: فأردت أن أعيبها، لأنها لفظة عيب، فتأدب بأن لا يسندها إلى الله وذلك كقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. فأسند المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله تأدبا، واختلف في قوله: فأردنا أن يبدلهما، هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله؟ ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ هذا دليل على نبوءة الخضر؛ لأن المعنى: أنه فعل ما فعل بأمر الله، أو بوحي.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ السائلون اليهود أو قريش بإشارة اليهود وذو القرنين هو الإسكندر الملك وهو يوناني، وقيل: رومي وكان رجلا صالحا، وقيل: كان نبيا، وقيل: كان ملكا بفتح اللام، والصحيح أنه ملك بكسر اللام، واختلف: لم سمي ذو القرنين؟ فقيل: كان له ضفيرتان من شعر هما قرناه فسمي بذلك، وقيل: لأنه بلغ المشرق والمغرب، وكأنه حاز قرني الدنيا.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي الْأَرْضِ﴾ التمكين له أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي علما وفهما يتوصل به إلى معرفة الأشياء والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك. ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقا يوصله. ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرئ[1] بالهمز على وزن فعلة

(١) قال الداني: ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي ﴿فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ﴾ بألف من غير همز، والباقون بغير ألف مع الهمز. التيسير، ص: ١٠٠، والنشر: ٢/٣٥٤.

أي ذات حمأة، وقرئ بالياء على وزن فاعلة، وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس، فقال ابن عباس: حمئة، وقال معاوية: حامية فبعثا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر فقال: أما العربية فأنتما أعلما بها مني، ولكن أجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين فوافق ذلك قراءة ابن عباس، ومعنى حامية: حارة، ويحتمل أن يكون بمعنى حمية ولكن سهلت همزته ويتفق معنى القراءتين، وقد قيل: يمكن أن يكون فيها حمئة وتكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للموضعين فيجتمع معنى القراءتين.

﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ استدل بهذا من قال إن ذا القرنين نبي؛ لأن هذا القول وحي، ويحتمل أن يكون بإلهام فلا يكون فيه دليل على نبوءته. ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ كانوا كفارا فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام فيحسن إليهم، وقيل: الحسن هنا هو الأسر وجعله حسنا بالنظر إلى القتل.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ اختار أن يدعوهم إلى الإسلام فمن تمادى على الكفر قتله ومن أسلم أحسن إليه والظلم هنا الكفر والعذاب القتل وأراد بقوله عذابا نكرا عذاب الآخرة.

﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ المراد بالحسنى الجنة، أو الأعمال الحسنة. ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ وعدهم بأن ييسر عليهم.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ هؤلاء القوم هم الزنج وهم أهل الهند ومن وراءهم، ومعنى لم نجعل الآية: أنهم ليس لهم بنيان إذ لا تحمل أرضهم البناء، وإنما يدخلون من حر الشمس في أسراب تحت الأرض، وقال ابن عطية[1]: الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم، وقيل: الستر اللباس،

(١) المحرر الوجيز: ٣/٥٧٢.

فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي أمر ذي القرنين كذلك، أي كما وصفناه تعظيما لأمره، وقيل: إن كذلك راجع لما قبله، أي لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من المباني والثياب، وقيل: المعنى وجد عندها قوما كذلك، أي مثل القوم الذين وجد عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله.

﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ أي الجبلين وهما جبلان في طرف الأرض وقرئ[1] بالضم والفتح وهما بمعنى واحد، وقيل: ما كان من خلقة الله فهو مضموم وما كان من فعل الناس فهو مفتوح. ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً﴾ قيل: هم الترك. ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾ عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس فهم لا يفقهون القول إلا بالإشارة أو نحوها.

﴿يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ﴾ قبيلتان من بني آدم في خلقهم تشويه منهم مفرط الطول ومفرط القصر. ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر، وقيل: كانوا يأكلون بني آدم. ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾ هذا استفهام في ضمنه عرض ورغبة والخرج الجباية ويقال فيه خراج، وقد قرئ[2] بهما فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالا ليقيم بها السد.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ أي ما بسط الله لي من الملك خير من خرجكم فلا حاجة لي به ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي. ﴿رَدْماً﴾ أي

(١) ﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بفتح السين وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٣٥٤/٢، والتيسير، ص: ١٠٠.

(٢) ﴿سَدّاً﴾ هنا وفي الموضعين من يس، فقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بفتح السين في الثلاثة وافقهم ابن كثير وأبو عمرو هنا، وقرأ الباقون بضم السين في الثلاثة. النشر المصدر السابق...

ربع

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ
رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ
إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ
رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

حاجزا حصينا والردم أعظم من السد.

﴿سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ أي بين الجبلين. ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ يريد نفخ الكير أي أوقدوا النار على الحديد. ﴿قِطْرًا﴾ أي نحاسا مذابا، وقيل: هو الرصاص، وروي[1]: أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل البنيان من زبر الحديد حتى ملأ به ما بين الجبلين، ثم أفرغ عليه النحاس المذاب.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أصل اسطاعوا استطاعوا حذفت التاء تخفيفا والضمير في يظهروه للسد، ومعنى يظهروه يعلوه ويصعدوا على ظهره فالمعنى أن يأجوج ومأجوج لا يقدرون أن يصعدوا على السد لارتفاعه ولا ينقبوه لقوته.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ القائل ذو القرنين وأشار إلى الردم. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني القيامة جعله دكا أي مبسوطا مسوى بالأرض.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ الضمير في تركنا لله ﷻ، ويومئذ يحتمل أن يريد به يوم القيامة؛ لأنه قد تقدم ذكره، فالضمير في قوله بعضهم على هذا لجميع الناس أو يريد بقوله يومئذ يوم كمال السد والضمير في قوله بعضهم على هذا ليأجوج ومأجوج والأول أرجح لقوله بعد ذلك: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ فيتصل الكلام ويموج عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الصور هو القرن

(١) لم أجده مسندا ويذكر المفسرون هنا ذلك، انظر الكشاف: ٢/٦٩٧.

الذي ينفخ فيه يوم القيامة حسبما جاء في الحديث[1]: ينفخ فيه إسرافيل نفختين إحداهما للصعق والأخرى للقيام من القبور[2].

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي أظهرناها.

﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ﴾ عبارة عن عمي بصائرهم وقلوبهم وكذلك لا يستطيعون سمعا.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم أنهم يقولون: أنت ولينا من دونهم، والعباد هنا من عبد مع الله ممن لا يريد ذلك كالملائكة وعيسى ابن مريم. ﴿أَعْتَدْنَا﴾ أي يسرنا. ﴿نُزُلًا﴾ ما ييسر للضيف والقادم عند نزوله والمعنى أن جهنم لهم بدل النزل كما أن الجنة نزل في قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ ويحتمل أن يكون النزل موضع النزول.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ الآية في كفار العرب كقوله: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ وقيل: في الرهبان؛ لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم وهي لا تقبل منهم، وفي قوله: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ تجنيس وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف. ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ أي ليس لهم حسنة توزن؛ لأن أعمالهم قد حبطت.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٧٤٢)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٤٣٠)، والنسائي في تفسيره الحديث رقم: (٤٠١)، وأحمد: ١٦٢/١، والطبري في جامع البيان: ٢٤/١٦، والحاكم في المستدرك: ٤٣٦/٢، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٢٤٥)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٤٢٧٤)، وأحمد: ٤٥٠/٢، والطبري في جامع البيان: ٣١/٢٤، والبغوي في شرح السنة رقم: (٤٣٠١) قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ هي أعلى الجنة حسبما ورد في الحديث[1] ولفظ الفردوس أعجمي معرب.

﴿حِوَلًا﴾ أي تحولا وانتقالا. ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ الآية إخبار عن اتساع علم الله تعالى والكلمات هي المعاني القائمة بالنفس وهي المعلومات فمعنى الآية لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفد علم الله، وكذلك لو جيء ببحر آخر مثله؛ وذلك لأن البحر متناه، وعلم الله غير متناه. ﴿بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ أي زيادة والمدد هو ما يمد به الشيء أي يكثر.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ إن كان الرجاء هنا على بابه، فالمعنى: يرجو حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، وإن كان الرجاء بمعنى الخوف، فالمعنى: يخاف سوء لقاء ربه. ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ يحتمل أن يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره فيكون راجعا إلى قوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أو يريد الرياء لأنه الشرك الأصغر، واللفظ يحتمل الوجهين، ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٩٠)، وأحمد: ٣٣٥/٢، والحاكم: ٨٠/١، وابن حبان: ٤٧١/١٠، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٧١/٢، وأبو نعيم في صفة الجنة: ٦١/٢.

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكرياء ﴿١﴾
إذ نادى ربه نداء خفيا ﴿٢﴾ قال رب إني وهن
العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب
شقيا ﴿٣﴾ وإني خفت الموالي من وراءي وكانت امرأتي
عاقرا فهب لي من لدنك وليا ﴿٤﴾ يرثني ويرث من
ءال يعقوب واجعله رب رضيا ﴿٥﴾ يا زكرياء إنا
نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل
سميا ﴿٦﴾ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي
عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ﴿٧﴾ قال كذلك قال
ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك
شيئا ﴿٨﴾ قال رب اجعل لي ءاية قال ءايتك ألا
تكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴿٩﴾ فخرج على قومه من
المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴿١٠﴾

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قد تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء، وقيل في هذا: إن الكاف من كريم أو كبير أو كاف، والهاء من هادي، والياء من علي، والعين من عزيز أو عليم، والصاد من صادق، وكان علي[1] بن أبي طالب يقول في دعائه: يا كهيعص، فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسما من أسماء الله تعالى، أو ينادي بالأسماء التي اقتطعت منها هذه الحروف. ﴿ذِكْرُ﴾ تقديره هذا ذكر. ﴿عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآءَ﴾ وصفه بالعبودية تشريفا له، وإعلاما له بتخصيصه وتقريبه، ونصب عبده على أنه مفعول لرحمة فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل ونصب المفعول، وقيل: هو مفعول بفعل مضمر، تقديره: رحمة عبده، وعلى هذا يوقف على ما قبله، وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه، وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ يعني دعاه. ﴿نِدَآءً خَفِيّاً﴾ أخفاه لأنه يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء، ولئلا يلومه الناس على طلب الولد.

﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾ أي ضعف. ﴿وَٱشْتَعَلَ﴾ استعارة للشيب من اشتعال النار. ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ أي قد سعدت بدعائي لك فيما تقدم فاستجب لي

(١) لم أجده مسندًا، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/٣.

في هذا، فتوسل إلى الله بإحسانه القديم إليه.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ يعني الأقارب، قيل: خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل: خاف أن يضيعوا الدين من بعده. ﴿مِن وَرَآءِى﴾ أي من بعدي. ﴿عَاقِرًا﴾ أي عقيما. ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يعني وارثا يرثني، قيل: يعني وراثة المال، وقيل: وراثة العلم والنبوءة وهو أرجح لقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»[1] وكذلك.

﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ العلم والنبوءة، وقيل: الملك، ويعقوب هنا هو يعقوب بن إسحاق على الأصح. ﴿رَضِيًّا﴾ أي مرضيا، فهو فعيل بمعنى مفعول.

﴿سَمِيًّا﴾ يعني من سمي باسمه، وقيل: مثيلا ونظيرا، والأول أحسن هنا.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته فسأل ذلك أولا لعلمه بقدرة الله عليه وتعجب منه لأنه نادر في العادة وقيل: سأله وهو في سن من يرجوه، وأجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ. ﴿عُتِيًّا﴾ قيل يبسا في الأعضاء والمفاصل وقيل: مبالغة في الكبر.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف في موضع رفع أي الأمر كذلك تصديقا له فيما ذكر من كبره وعقم امرأته وعلى هذا يوقف على قوله كذلك ثم يبتدأ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾، وقيل: إن الكاف في موضع نصب بقال، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾.

﴿اجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ أي علامة على حمل امرأته. ﴿سَوِيًّا﴾ أي سليما غير

(١) أما قوله ﷺ: «لا نورث» فهو في الصحيحين وغيرهما، البخاري الحديث رقم: (٢٦٢٤)، وفي عدة مواضع أخرى منه، وفيه زيادة: «ما تركناه صدق»، ومسلم الحديث رقم: (١٧٥٩)، ومواضع أخرى منه، وبقية الحديث في السنن. الترمذي الحديث رقم: (١٦٠٨)، والنسائي الحديث رقم: (٤١٤٨)، والمسند الحديث رقم: (١٧٢) قال ابن كثير في تفسيره إسناده صحيح.

يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ
وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ
رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا
وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا
قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ
يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا
مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

ربع

أخرس، وانتصابه على الحال من الضمير في ﴿تُكَلِّمَ﴾ والمعنى: أنه لا يكلم الناس مع أنه سليم من الخرس، وقيل: إن سويا يرجع إلى الليالي أي مستويات.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي أشار، وقيل: كتبه في التراب إذ كان لا يقدر على الكلام ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾ قيل: معناه صلوا، والسبحة في اللغة الصلاة، وقيل: قولوا سبحان الله.

﴿يَـٰيَحْيَىٰ﴾ التقدير: قال الله ليحيى بعد ولادته يا يحيى. ﴿خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني التوراة. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي في العلم به، والحفظ له، والعمل به. ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قيل: الحكم معرفة الأحكام، وقيل: الحكمة، وقيل: النبوءة.

﴿وَحَنَانًا﴾ قيل: معناه رحمة، وقال ابن عباس[1]: لا أدري ما الحنان. ﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي طهارة، وقيل: ثناء كما يزكي الشاهد.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، والكتاب القرآن.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥٧/١٨ بإسناد صحيح، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٤٠٠/٧ معلقا عن ابن عباس. وفي الدر المنثور: أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال: ما أنزل شيء من القرآن إلا وأنا أعلمه إلا أربع آيات: إلا ﴿الرقيم﴾ الكهف الآية: ٩ فإني لا أدري ما هو فسألت كعبا؟ فزعم أنها القرية التي خرجوا منها، ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ قال: لا أدري ما الحنان؟ ولكنها الرحمة. ﴿مِنْ غِسْلِينٍ﴾ لا أدري ما هو؟ ولكني أظنه الزقوم، قال الله ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ قال و﴿الأواه﴾ هو الموقن بالحبشية. الدر المنثور: ٣٠٧/٤.

﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ أي اعتزلت منهم وانفردت عنهم. ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ أي إلى جهة الشرق، ولذلك يصلي النصارى إلى المشرق.

﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ يعني جبريل، وقيل: عيسى، والأول هو الصحيح؛ لأن جبريل هو الذي تمثل لها باتفاق، وعليه فالتقدير: فتمثل هو لها، ومن قال إنه عيسى قدر الكلام: فتمثل الملك لها، قاله ابن عطية[١].

﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ لما رأت الملك الذي تمثل لها في صورة البشر قد دخل عليها، خافت أن يكون من بني آدم، فقالت له هذا الكلام، ومعناه إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني فإني أعوذ بالله منك، وقيل: إن تقيا اسم رجل معروف بالشر عندهم، وهذا ضعيف وبعيد.

﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ الغلام الزكي هو عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وقرئ[٢]: لأهب بالياء، والفاعل فيه هو ضمير الرب سبحانه وتعالى وقرئ بهمزة التكلم وهو جبريل، وإنما نسب الهبة إلى نفسه لأنه هو الذي أرسله الله بها، أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى.

﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ البغي: هي المرأة المجاهرة بالزنا، ووزن بغي فعول.

﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ﴾ الضمير للولد واللام تتعلق بمحذوف، تقديره: لنجعله آية فعلنا ذلك.

﴿فَحَمَلَتۡهُ﴾ يعني في بطنها وكانت مدة حملها ثمانية أشهر، وقال ابن عباس[٣]: حملته وولدته من ساعة ﴿مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾ أي بعيدا، وإنما بعدت حياء

---

(١) المحرر الوجيز: ٤/١١.

(٢) ﴿لأهب لك﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب وورش بالياء بعد اللام، والباقون بالهمز. ينظر النشر: ٢/٣٥٧.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٨/١٧٠، وابن كثير: ٥/٢٢٢، وقد أشار إلى إعلال الأثر من حيث المعنى بقوله: «وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل صفتين أربعين يوما...».

من قومها أن يظنوا بها الشر.

﴿فَأَجَآءَهَا﴾ معناه ألجأها وهو منقول من جاء بهمزة التعدية. ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ أي النفاس. ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ روي: أنها احتضنت الجذع لشدة وجع النفاس. ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ﴾ إنما تمنت الموت خوفا من إنكار قومها وظنهم بها الشر ووقوعهم في دمها، وتمني الموت جائز في مثل هذا وليس هذا من تمني الموت لضر نزل بالبدن فإنه منهي عنه. ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ النسي: الشيء الحقير الذي لا يؤبه له، ويقال بفتح النون وكسرها(١).

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ قرئ من بفتح الميم وكسرها وقد اختلف على كلتا القراءتين هل هو جبريل أو عيسى؟ وعلى أنه جبريل، قيل: إنه كان تحتها كالقابلة، وقيل: كان في مكان أسفل من مكانها ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾ تفسير للنداء فأن مفسرة. ﴿سَرِيًّا﴾ جدولا، وهي ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة، وروي(٢): أن النبي ﷺ فسره بذلك، وقيل: يعني عيسى فإن السري الرجل الكريم.

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ كان جذعا يابسا فخلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيسا، وقد استدل بعض الناس بهذه الآية على أن الإنسان ينبغي له أن يتسبب في طلب الرزق؛ لأن الله أمر مريم بهز النخلة، والباء في بجذع زائدة كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾. ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ الفاعل بتساقط النخلة وقرئ(٣) بالياء والفاعل على ذلك الجذع ورطبا تمييز والجني معناه الذي

(١) قرأ حمزة وحفص بفتح النون وقرأ الباقون بكسرها. المصدر السابق.

(٢) هو مرفوع ضعيفا أخرجه الطبراني في المعجم الصغير: ٢/١١، وابن عدي في الكامل: ٦/٤٠٢، وهو موقوف صحيحا، وعلقه البخاري في صحيحه: ٢/٤٨٥.

(٣) ﴿تساقط﴾ قرأ حمزة بفتح التاء والقاف وتخفيف السين، ورواه حفص بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين أيضاً، وقرأ يعقوب بالياء على التذكير وفتحها وتشديد السين وفتح القاف، واختلف عن أبي بكر فرواه العليمي كقراءة يعقوب، وكذا رواه أبو الحسن الخياط عن شعيب عن يحيى عنه=

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا
﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ
بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا
شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ
حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ
﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

طاب وصلح لأن يجتني.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ أي كلي من الرطب واشربي من ماء الجدول وهو السري. ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي طيبي نفسا بما جعل الله لك من ولادة نبي كريم، أو من تيسير المأكول والمشروب. ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد، وترين فعل خوطبت به المرأة ودخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد. ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي صمتا عن الكلام، وقيل: يعني الصيام لأن من شرطه في شريعتهم الصمت، وإنما أمرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها، ولأن عيسى تكلم عنها فإخبارها بأنها نذرت الصمت بهذا الكلام، وقيل: بالإشارة، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ لما رأت الآيات علمت أن الله سيبين عذرها فجاءت به من المكان القصي إلى قومها. ﴿شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي شنيعا، وهو من الفرية.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ كان هارون عابدا من بني إسرائيل شبهت به مريم في كثرة العبادة، فقيل لها: أخته بمعنى أنها شبهه، وقيل: كان أخاها من أبيها وكان رجلا صالحا، وقيل: هو هارون النبي أخو موسى وكانت من ذريته فأخت على هذا كقولك أخو بني فلان أي واحد منهم، ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من

= ورواه سائر أصحاب يحيى بن آدم عنه عن أبي بكر كذلك، إلا أنه بالتأنيث وبذلك قرأ الباقون. النشر: ٢/٣٥٧.

النسب حقيقة، فإن بين زمانهما دهرا طويلا.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى ولدها ليتكلم وصمتت هي كما أمرت. ﴿كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ كان بمعنى يكون والمهد هو المعروف، وقيل: المهد هنا حجرها.

﴿ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ يعني الإنجيل أو التوراة والإنجيل.

﴿مُبَارَكًا﴾ من البركة، وقيل: نفاعا، وقيل: معلمًا للخير واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ﴾ هما المشروعتان، وقيل: الصلاة هنا الدعاء والزكاة التطهير من العيوب.

﴿وَبَرًّا﴾ معطوف على مباركا، روي: أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو في المهد، ثم عاد إلى حالة الأطفال على عادة البشر، وفي كلامه هذا رد على النصارى لأنه اعترف أنه عبد الله، ورد على اليهود لقوله ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف هنا لتقدم السلام المنكر في قصة يحيى فهو كقولك: رأيت رجلا فأكرمت الرجل، وقال الزمخشري[1]: الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلغة من اتهم مريم كأنه قال: السلام كله علي لا عليكم، بل عليكم ضده.

﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ بالرفع خبر مبتدأ تقديره: هذا قول الحق أو بدل أو خبر بعد خبر وبالنصب على المدح بفعل مضمر أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدم. ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي يختلفون فهو من المراء أو يشكون فهو من المرية، والضمير لليهود والنصارى.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ من كلام عيسى وقرئ[2] بفتح الهمزة تقديره: ولأن الله ربي

(١) الكشاف: ٣/١٨.

(٢) ﴿وأن الله ربي﴾ قرأ الكوفيون وابن عامر وروح بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٣٥٨.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ
﴿٤٠﴾ ۞ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا
﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي
عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ
فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ
الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ
عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾
قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا
أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم
مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي
الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

وربكم فاعبدوه، ويكسرها لابتداء الكلام، وقيل: هو من كلام النبي ﷺ، والمعنى: يا محمد قل لهم ذلك عيسى ابن مريم، وأن الله ربي وربكم، والأول أظهر.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ هذا ابتداء إخبار والأحزاب اليهود والنصارى لأنهم اختلفوا في أمر عيسى اختلافا شديدا، فكذبه اليهود وعبده النصارى، والحق خلاف أقوالهم كلها. ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ معناه من تلقائهم ومن أنفسهم، وأن الاختلاف لم يخرج عنهم. ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة على أنهم في الدنيا في ضلال مبين.

﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح، ثم يقال يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت[1]، وقيل: هو يوم القيامة،

---

(١) في الصحيحين: عن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ: يؤتى بالموت كهيئة كبشٍ أملح فينادي منادٍ يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت ويا أهل النار خلودٌ فلا موت، ثم قرأ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ ـ أهل الدنيا ـ ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

صحيح البخاري رقم (٤٧٣٠)، وصحيح مسلم رقم (٢٨٤٩)، وغيرهما.

وانتصاب يوم على المفعولية لا على الظرفية. ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ يعني في الدنيا فهو متعلق بقوله: ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أو بأنذرهم.

﴿صِدِّيقاً﴾ بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق، ووصفه بأنه صديق قبل الوحي نبيء بعده، ويحتمل أنه جمع الوصفين.

﴿مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ﴾ يعني الأصنام. ﴿صِرَاطاً سَوِيّاً﴾ أي قويما.

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قيل: يعني الرجم بالحجارة، وقيل: الشتم. ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ أي حينا طويلا، وعطف اهجرني على محذوف، تقديره: احذر رجمي لك.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ هو وداع مفارقة، وقيل: مسالمة لا تحية لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز. ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ وعد وهو الذي أشير إليه بقوله: ﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ قال ابن عطية: معناه سأدعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك، وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز، وقيل: وعده أن يستغفر له مع كفره، ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه بذلك، ويقوي هذا القول قوله: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِيَ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ومثل هذا قول النبي ﷺ لأبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»[1] ﴿حَفِيّاً﴾ أي بارا متلطفا.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي ما تعبدون.

﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هما ابنه وابن ابنه وهبهما الله له عوضا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم.

﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ النبوءة، وقيل: المال والولد، واللفظ أعم من ذلك، ﴿لَهُمْ لِسَانَ﴾ يعني الثناء الباقي عليهم إلى آخر الدهر.

---

(١) البخاري الحديث رقم: (١٢٩٤)، ومسلم الحديث رقم: (٢٤)، والنسائي الحديث رقم: (٢٠٣٥)، وهذا الحديث سبق تخريجه.

وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ
مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ
إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ
أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي
الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا
عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ
آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ
هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا
وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا ربع سجدة
الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي
وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ
فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ
الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ
مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

﴿مُخْلِصاً﴾ بكسر اللام[1] أي أخلص نفسه وأعماله لله ويفتحها أي أخلصه الله للنبوءة والتقريب. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ النبي أعم من الرسول؛ لأن النبي كل من أوحى الله إليه، ولا يكون رسولا حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوءة، فكل رسول نبيء وليس كل نبيء رسولا.

﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ هو تكليم الله له. ﴿الطُّورِ﴾ وهو الجبل المشهور بالشام. ﴿الْأَيْمَنِ﴾ صفة للجانب، وكان على يمين موسى حين وقف عليه، ويحتمل أن يكون من اليمن. ﴿نَجِيًّا﴾ النجي فعيل وهو المنفرد بالمناجاة، وقيل: هو من النجاة، والأول أصح.

﴿مِن رَّحْمَتِنَا﴾ من سببية أو للتبعيض، وأخاه على الأول مفعول وعلى الثاني بدل.

﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ روي[2]: أنه وعد رجلا إلى مكان فانتظره فيه سنة، وقيل: الإشارة إلى صدق وعده في قصة الذبح في قوله ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، وهذا يدل على قول من قال إن الذبيح هو إسماعيل.

﴿إِدْرِيسَ﴾ هو أول نبيء بعث إلى أهل الأرض بعد آدم، وهو أول من خط

---

(١) ﴿مخلصاً﴾ قرأ الكوفيون بفتح اللام، وقرأ الباقون بكسر اللام. النشر: ٢/٣٣٢.

(٢) ضعيف أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٤١١ معلقا عن سفيان الثوري قال: بلغني أن إسماعيل وصاحبا له إلى آخر القصة.

بالقلم، ونظر في علم النجوم، وخاط الثياب، وهو من أجداد نوح عليه السلام.

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال ابن عباس: رفعه الله إلى السماء وهناك مات، وفي حديث الإسراء: وإنه في السماء الرابعة، وقيل: يعني رفعة النبوءة تشريف منزلته، والأول أشهر ورجحه الحديث.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى كل من ذكر في هذه السورة من زكرياء إلى إدريس. ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ من هنا للبيان، والتي بعدها للتبعيض. ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ يعني نوحا وإدريس. ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ يعني إبراهيم. ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يعني إسماعيل وإسحاق ويعقوب. ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكرياء ويحيى. ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يحتمل العطف على من الأولى أو الثانية. ﴿وَبُكِيًّا﴾ جمع باك ووزنه فعول.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ يقال في عقب الخير خلف بفتح اللام، وفي عقب الشر خلف بالسكون، وهو المعنى هنا، واختلف فيمن المراد بذلك فقيل: النصارى لأنهم خلفوا اليهود، وقيل: كل من كفر وعصى من بعد بني إسرائيل ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قيل: تركوها، وقيل: أخرجوها عن أوقاتها. ﴿يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ الغي: الخسران، وقد يكون بمعنى الضلال فيكون على حذف مضاف، تقديره: يلقون جزاء غي.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم. ﴿مَأْتِيًّا﴾ وزنه مفعول، فقيل: إنه بمعنى فاعل لأن الوعد هو الذي يأتي، وقيل: إنه على بابه؛ لأن الوعد هو الجنة وهم يأتونها.

﴿لَغْوًا﴾ يعني ساقط الكلام. ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ استثناء منقطع. ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾

رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ
هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ
أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ
يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ
حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ
عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا
صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا
مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا
﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ
مَن كَانَ فِي الضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴿٧٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا
رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ
شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى
وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

قيل: المعنى أن زمانهم يقدر بالأيام والليالي، إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل، وقيل: المعنى أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه، وعبر عن ذلك بالبكرة والعشي على عادة الناس في أكلهم.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي ﷺ، فقال له: أبطأت عني واشتقت إليك، فقال: إني كنت أشوق، ولكني عبد مأمور، إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست، ونزلت هذه الآية ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي له ما قدامنا، وما خلفنا، وما نحن فيه، من الجهات والأماكن فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله، وقيل: ما بين أيدينا الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور، وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين، وقيل: ما مضى من أعمارنا وما بقي منها والحال التي نحن فيها والأول أكثر مناسبة لسياق الآية. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول، وقيل: بمعنى الترك، والأول أظهر.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي مثيلا ونظيرا فهو من المسامي والمضاهي، وقيل: من تسمى باسمه لأنه لم يتسم باسم الله غير الله تعالى.

﴿وَيَقُولُ الْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور، والإنسان هنا جنس يراد به الكفار، وقيل: إن القائل لذلك أبي بن خلف، وقيل: أمية بن خلف، والهمزة التي دخلت على أئذا ما مت للإنكار

والاستبعاد، واللام في قوله: لسوف سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى والإخراج يراد به البعث.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ احتجاج على صحة البعث، ورد على من أنكره لأن النشأة الأولى دليل على الثانية.

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ يعني قرناءهم من الشياطين الذين أضلوهم والواو للعطف أو بمعنى مع فيكون الشياطين مفعول معه. ﴿جِثِيًّا﴾ جمع جاث ووزنه مفعول من قولك جثا الرجل إذا جلس جلسة الذليل الخائف.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة: الطائفة من الناس التي تتفق على مذهب أو اتباع إنسان، ومعنى الآية أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار. وقال بعضهم المعنى نبدأ بالأكبر جرما فالأكبر جرما. ﴿أَيُّهُمْ﴾ اختلف في إعرابه، فقال سيبويه: هو مبني على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة، وكأن التقدير: أيهم هو أشد فوجب البناء، وقال الخليل: هو مرفوع على الحكاية، تقديره: الذي يقال له اشد، وقال يونس: علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء.

﴿أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ الصلي: مصدر صلى النار، ومعنى الآية أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ خطاب لجميع الناس عند الجمهور، فأما المؤمنون فيدخلونها ولكنها تخمد فلا تضرهم، فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ و﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ وقيل: الورود بمعنى القدوم عليها، كقوله: ﴿وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ والمراد بذلك جواز الصراط، وقيل: الخطاب للكفار، فلا إشكال. ﴿حَتْمًا﴾ أي أمرا لا بد منه.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ إن كان الورود بمعنى الدخول فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم بردا وسلاما، ثم بالخروج منها، وإن كان بمعنى المرور على

الصراط فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها.

﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ الفريقان هم المؤمنون والكفار، والمقام اسم مكان من قام، وقرئ[1] بالضم من أقام والندي المجلس ومعنى الآية أن الكفار قالوا للمؤمنين نحن خير منكم مقاما أي أحسن حالا في الدنيا وأجمل مجلسا فنحن أكرم على الله منكم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ كم مفعول بأهلكنا ومعنى الآية رد على الكفار في قولهم المذكور أي ليس حسن الحال في الدنيا دليلا على الكرامة عند الله لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالا منكم في الدنيا. ﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ قال الزمخشري: هذه الجملة في موضع نصب صفة لكم. ﴿أَثَاثًا﴾ أي متاع البيت، وقال ابن عطية: هو اسم عام في المال العين، والعروض والحيوان، وهو اسم جمع، وقيل: هو جمع واحده أثاثه. ﴿وَرِءْيًا﴾ بهمزة ساكنة قبل الياء معناه منظر حسن، وهو من الرؤية والرئي: اسم المرئي وقرئ[2] بتشديد الياء من غير همز وهو تخفيف من الهمز فالمعنى متفق، وقيل: هو من ري الشارب أي التنعم بالمشارب والمآكل وقرأ ابن عباس[3] زيا بالزاي.

﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ أي يمهله ويملي له، واختلف: هل هذا الفعل دعاء أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيدا؟.

﴿حَتَّىٰ﴾ هنا غاية للمد في الإضلال. ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ يعني عذاب الدنيا. ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ في مقابلة قولهم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ ذكر في الكهف. ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي مرجعا وعاقبة.

---

(١) ﴿مقاما﴾ قرأ ابن كثير بضم الميم، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٣٥٨.

(٢) ﴿وريّا﴾ بتشديد الياء غير مهموز، ابن ذكوان وقالون. العنوان، ص: ٢٢.

(٣) قال ابن عطية: قرأ سعيد بن جبير ويزيد البربري وابن عباس أيضا «وزيا» بالزاي وهو بمعنى الملبس وهيئته، تقول: زييت بمعنى زينت: ٤/٣٦.

● أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾
أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا
يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟
لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ
ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ
أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ
ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ
جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ
ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾
وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ هو العاصي بن وائل. ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ كان قد قال لئن بعثت كما يزعم محمد ليكونن لي هناك مال وولد.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ الهمزة للإنكار، والرد على العاصي في قوله.

﴿كَلَّآ﴾ رد له عن كلامه. ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ إنما جعله مستقبلا لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل. ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي نزيد له فيه.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي نرث الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة وهي المال والولد ووراثتها هي بأن يهلك العاصي ويتركها، وقد أسلم ولداه هشام وعمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي بلا مال ولا ولد ولا ولي ولا نصير.

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ قيل: إن الضمير في يكفرون للكفار وفي عبادتهم للمعبودين، فالمعنى كقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقيل: إن الضمير في يكفرون للمعبودين، وفي عبادتهم للكفار، فالمعنى كقولهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾. ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ معناه يكون لهم خلاف ما أملوه منهم، فيصير العز الذي أملوه ذلة، وقيل: معناه أعداء.

﴿أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ تضمن معنى سلطانا ولذلك تعدى بعلى. ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي تزعجهم إلى الكفر والمعاصي.

﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أي لا تستبطئ عذابهم وتطلب تعجيله. ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا﴾ أي نعد مدة بقائهم في الدنيا، وقيل: نعد أنفاسهم.

﴿وَفۡدٗا﴾ قيل: معناه ركبانا، ومعنى الوفد لغة القادمون وعادتهم الركوب فلذلك قيل ذلك، وقيل: مكرمون لأن العادة إكرام الوفود.

﴿وِرۡدٗا﴾ معناه عطاشا؛ لأن من يرد الماء لا يرده إلا للعطش.

﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ الضمير يحتمل أن يكون للكفار، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا لهم، ويكون ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ استثناء منقطعا بمعنى لكن، أو يكون الضمير للمتقين فالاستثناء متصل، والمعنى: لا يملكون أن يشفعوا إلا لمن اتخذ عهدا، أو لا يملكون أن يشفع منهم إلا من اتخذ عهدا، أو يكون الضمير للفريقين؛ إذ قد ذكروا قبل ذلك، فالاستثناء أيضا متصل، و﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ يحتمل أن يراد به الشافع أو المشفوع له. ﴿عَهۡدٗا﴾ يريد به الإيمان والأعمال الصالحة، ويحتمل أن يريد به الإذن في الشفاعة، وهذا أرجح لقوله: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيدنا محمد ﷺ في الموقف، حين ينفرد بها، ويقول غيره من الأنبياء: «نفسي نفسي»[(1)].

﴿شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾ أي شيئا صعبا.

﴿يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ أي يتشققن من قول الكفار اتخذ الله ولدا. ﴿هَدًّا﴾ أي انهداما.

﴿أَن دَعَوۡاْ﴾ أي من أجل أن دعوا. ﴿لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ وقرئ[(2)] ولدا بضم

---

(1) صحيح وقد مضى تخريجه.

(2) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿ولداً﴾ جميع ما في هذه السورة وهو ﴿مالاً وولداً﴾. ﴿الرحمن ولداً﴾، ﴿دعوا للرحمن ولداً﴾، ﴿أن يتخذ ولداً﴾ أربعة أحرف، وفي الزخرف ﴿إن كان للرحمن ولد﴾ فقرأ حمزة والكسائي بضم الواو وإسكان اللام في الخمسة، وقرأ الباقون بفتح الواو واللام فيهن، ونذكر حرف نوح في موضعه إن شاء الله. النشر: ٢/٣٥٨.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَٰنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (٩٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)

سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ (١) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن
يَخْشَىٰ (٢) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَٰوَٰتِ الْعُلَى (٣)
الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (٤) لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ (٥) وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٦) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَىٰ (٧) وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (٨) إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ
لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (٩) فَلَمَّا أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰ (١٠)
إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١١)

الواو وإسكان اللام وهي لغة.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ رد على مقالة الكفار، والمعنى: أن الكل عبيده، فكيف يكون أحد منهم ولدا له؟ وإن نافية، وكل مبتدأ وخبره ﴿ءَاتِي الرَّحْمَٰنِ﴾.

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ هي المحبة والقبول الذي يجعله الله في القلوب لمن شاء من عباده، وقيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

﴿يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ الضمير للقرآن، وبلسانك أي بلغتك. ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾ جمع ألد وهو الشديد الخصومة والمجادلة، والمراد بذلك قريش، وقيل: معناه فجارا.

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ هو الصوت الخفي، والمعنى: أنهم لم يبق منهم أثر وفي ذلك تهديد لقريش.

** ** **

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/٤٤.

سورة طه

قيل في طه: إنه من أسماء النبي ﷺ، وقيل: معناه يا رجل، وانظر الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة.

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ﴾ قيل: إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورمت قدماه[1]، فنزلت الآية[2] تخفيفا عنه، فالشقاء على هذا إفراط التعب في العبادة، وقيل: المراد به التأسف على كفر الكفار، واللفظ عام في ذلك كله، والمعنى: أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة؛ لأنه أنزل عليه القرآن الذي هو سبب السعادة.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ نصب على الاستثناء المنقطع وأجاز ابن عطية[3] أن يكون بدلا من موضع لتشقى؛ إذ هو في موضع مفعول من أجله، ومنع ذلك الزمخشري[4] لاختلاف الجنسين، ويصح أن ينتصب بفعل مضمر، تقديره: أنزلناه تذكرة.

﴿تَنزِيلًا﴾ نصب على المصدرية، والعامل فيه مضمر، أو ﴿مَا أَنزَلْنَا﴾ وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله: ﴿مَا أَنزَلْنَا﴾ ثم رجع إلى الغيبة في قوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ الآية، وذلك هو الالتفات. ﴿وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ جمع عليا.

﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ تكلمنا عليه في الأعراف.

﴿الثَّرَىٰ﴾ هو في اللغة التراب الندي، والمراد به هنا الأرض.

﴿وَإِن تَجْهَرْ﴾ مطابقة هذا الشرط لجوابه، كأنه يقول: إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك؛ لأنه يعلم السر وأخفى. ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ السر الكلام الخفي والأخفى

---

(١) البخاري الحديث (٤٨٣٦) وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم (١١٨٣). أما سبب النزول فضعيف.

(٢) ضعيف أخرجه ابن مردويه كما في تخريج الزيلعي على الكشاف. ٣٤٨/٢.

(٣) المحرر الوجيز: ٤٦/٤.

(٤) الكشاف: ٥٣/٣.

ما في النفس، وقيل: السر ما في نفوس البشر، والأخفى ما انفرد الله بعلمه.

﴿الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ﴾ تكلمنا عليها في الأعراف.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ لفظه استفهام والمراد به التنبيه.

﴿إِذْ رَءَا﴾ العامل في إذ حديث لأن فيه معنى الفعل، وكان من قصة موسى أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر، فسار بالليل واحتاج إلى نار، فقدح بزناده فلم ينقدح، فرأى نارا فقصد إليها فناداه الله وأرسله إلى فرعون. ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أي رأيت. ﴿بِقَبَسٍ﴾ هو الجذوة من النار تكون على رأس العود والقصبة ونحوها. ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ يعني هدى إلى الطريق من دليل أو غيره.

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قيل: إنما أمر بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلع النجاسة، واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب ويعظم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله، وهذا أحسن. ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أي المطهر. ﴿طُوًى﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه اسم للوادي، وإعرابه على هذا بدل، ويجوز تنوينه على أنه مكان وترك صرفه على أنه بقعة.

والثاني: أن معناه مرتين فإعرابه على هذا مصدر، أي قدس الوادي مرة بعد مرة، أو نودي موسى مرة بعد مرة.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ قيل: المعنى لتذكرني فيها، وقيل: لأذكرك بها فالمصدر على الأول مضاف للمفعول، وعلى الثاني مضاف للفاعل، وقيل: معنى لذكري عند ذكري، كقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي عند دلوك الشمس، وهذا أرجح لأن النبي ﷺ استدل بالآية على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها[1].

---

(١) ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ سَارَ لَيْلَهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ=

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا
أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا
يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا
تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ
جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾
۞ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ
عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ
أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ
فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ
سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ اضطرب الناس في معناه، فقيل: أخفيها بمعنى أظهرها وأخفيت على هذا من الأضداد، وقال ابن عطية: هذا قول مختل وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال أخفى بالألف من الإخفاء، وخفي بغير ألف بمعنى أظهر، فلو كان بمعنى الظهور لقال أخفيها بفتح همزة المضارع، وقد قرئ[1] بذلك في الشاذ، وقال

= الكَرَى عَرَّسَ وَقَالَ لِبِلاَلٍ «اكْلأْ لَنَا اللَّيْلَ». فَصَلَّى بِلاَلٌ مَا قُدِّرَ لَهُ وَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَلَمَّا تَقَارَبَ الفَجْرُ اسْتَنَدَ بِلاَلٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ مُوَاجِهَ الفَجْرِ فَغَلَبَتْ بِلاَلاً عَيْنَاهُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلاَ بِلاَلٌ وَلاَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوَّلَهُمُ اسْتِيقَاظًا فَفَزِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ «أَيْ بِلاَلُ». فَقَالَ بِلاَلٌ أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ - بِنَفْسِكَ قَالَ «اقْتَادُوا». فَاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَ بِلاَلاً فَأَقَامَ الصَّلاَةَ فَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ قَالَ «مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا فَإِنَّ اللهَ قَالَ ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾. قَالَ يُونُسُ: وَكَانَ ابْنُ شِهَابٍ يَقْرَؤُهَا لِلذِّكْرَى.. مسلم الحديث رقم: (١٥٩٢)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٣٥)، والترمذي الحديث رقم: (٣١٦٣)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٢٩٢٦)، وابن ماجه الحديث رقم: (٦٩٧)، وابن حبان: ٥/٤٢٢.

(١) قال ابن عطية: وقرأ ابن كثير والحسن وعاصم أكاد أخفيها بفتح الهمزة بمعنى أظهرها أي أنها من صحة وقوعها وتيقن كونها تكاد تظهر لكن تنحجب إلى الأجل المعلوم. المحرر الوجيز ٤/٤٩ وقال أبو حيان: ولكن تأخرت إلى الأجل المعلوم، وتقول العرب: خفيت الشيء أي أظهرته. وقال الشاعر:

خفـاهن مـن إيقـانهن كأنما خفـاهن ودق مـن عشـي مجلـب

تفسير البحر المحيط ٦/٢١٨.

الزمخشري: قد جاء في بعض اللغات أخفي بمعنى خفي أي أظهر فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة، وقيل: أكاد بمعنى أريد فالمعنى أريد إخفاءها، وقيل: المعنى إن الساعة آتية أكاد، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال: أخفيها، وقيل: المعنى أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم، وهذه الأقوال ضعيفة، وإنما الصحيح أن المعنى: أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحدا، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه، وهذا المعنى هو اختيار المحققين. ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ يتعلق بآتية. ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ أي بما تعمل.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ الضمير للساعة أي لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها، وقيل: الضمير للصلاة وهو بعيد، والخطاب لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك بعيد. ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ معناه تهلك والردى هو الهلاك، وهذا الفعل منصوب في جواب لا يصدنك.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية، فمعنى السؤال تقرير أنها عصى ليتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها وبعد أن قلبها، وقيل: إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام.

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ معناه أضرب بها الشجر لينتشر الورق للغنم. ﴿مَـَٔارِبُ﴾ أي حوائج.

﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ أي تمشي. ﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني أنه لما أخذها عادت عصى كما كانت أول مرة، وانتصب سيرتها على أنه ظرف أو مفعول بإسقاط حرف الجر.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ الجناح هنا الجنب أي تحت الإبط وهو

استعارة من جناح الطائر. ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ روي[1] أن يده خرجت وهي بيضاء تضيء كالشمس. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يريد من غير برص ولا عاهة.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ يحتمل أن تكون الكبرى مفعول لنريك، وأن تكون صفة للآيات، ويختلف المعنى على ذلك.

﴿ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ إن قيل: لم قال اشرح لي ويسر لي مع أن المعنى يصح دون قوله لي؟ فالجواب: أن ذلك تأكيد وتحقيق للرغبة.

﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ العقدة هي التي اعترته بالجمرة حين جعلها في فيه وهو صغير، حين أراد فرعون أن يجرّبه، وإنما قال عقدة بالتنكير لأنه طلب حل بعضها ليفقهوا قوله، ولم يطلب الفصاحة الكاملة.

﴿وَزِيرًا﴾ أي معينا، وإعراب هارون بدل أو مفعول أول.

﴿أَزْرِى﴾ أي ظهري والمراد القوة، ومنه: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي قواه.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أي قد أعطيناك كل ما طلبت من الأشياء المذكورة.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ يحتمل أن يكون وحي كلام بواسطة ملك، أو وحي إلهام، كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾. ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ إبهام يراد به تعظيم الأمر.

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ الضمير الأول لموسى والثاني للتابوت، أو لموسى، واليم البحر، والمراد به هنا النيل، وكان فرعون قد ذكر له أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بني إسرائيل، فأمر بذبح كل ولد ذكر يولد لهم، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه في التابوت، وتلقي التابوت في البحر،

(١) أخرج ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور: ٥/٥٦٥، والبغوي في معالم التنزيل: ٥/٢٧٠، والواحدي في الوسيط: ٣/٢٠٤، والمحرر الوجيز: ٤/٥٢ بدون سند.

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ
فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ
وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ
تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ
إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ
ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ
قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ
بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾
فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا
نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ
أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ
ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

ففعلت ذلك، وكان فرعون في موضع يشرف على النيل، فرأى التابوت فأمر به فسيق إليه وامرأته معه، ففتح فأشفقت عليه امرأته، وطلبت أن تتخذه ولدا، فأباح لها ذلك. ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ هو فرعون. ﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي أحببتك، وقيل: أراد محبة الناس فيه؛ إذ كان لا يراه أحد إلا أحبه، وقيل: أراد محبة امرأة فرعون ورحمتها له، وقوله: ﴿مِّنِّي﴾ يحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ أو يكون صفة لمحبة فيتعلق بمحذوف.

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ أي تربى ويحسن إليك بمرأى مني وحفظ، والعامل في لتصنع محذوف.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ ﴿تُصْنَعَ﴾ أو ﴿أَلْقَيْتُ﴾ أو فعل مضمر، تقديره: ومننا عليك. ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ كان لا يقبل ثدي امرأة فطلبوا له مرضعة فقالت أخته ذلك ليرد إلى أمه. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني القبطي الذي وكزه فقضى عليه. ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعني الخوف من أن يطلب بثأر المقتول. ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ أي اختبرناك اختبارا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوءة والرسالة، وقيل: خلصناك من محنة بعد محنة؛ لأنه خلصه من الذبح، ثم من البحر، ثم من القصاص بالقتل، والفتون: يحتمل أن يكون مصدرا، أو جمع فتنة ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ يعني الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب. ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾

أي بميقات محدود قدره الله لنبوءتك.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ عبارة عن الكرامة والتقريب، أي استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني. ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ أي لا تضعفا ولا تقصرا، والوني هو الضعف عن الأمور، والتقصير فيها.

﴿أَن يَفْرُطَ﴾ أي يعمل بالشر.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ أي سرحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله، وتسريح بني إسرائيل. ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ كان يعذبهم بذبح أبنائهم وتسخيرهم في خدمته، وإذلالهم. ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ يعني قلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وإنما وحدهما وهما آيتان؛ لأنه أراد إقامة البرهان وهو معنى واحد. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ يحتمل أن يريد التحية أو السلامة.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه لأنه الأصل في النبوءة وأخوه تابع له.

﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ المعنى أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه، فخلقه على هذا بمعنى المخلوقين، وإعرابه مفعول أول، وكل شيء مفعول ثان، وقيل المعنى: أعطى كل شيء خلقته وصورته، أي أكمل ذلك وأتقنه، فالخلق على هذا بمعنى الخلقة، وإعرابه مفعول ثان، وكل شيء مفعول أول، والمعنى الأول أحسن. ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم وعلمهم كيف ينتفعون به.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى محاجة ومناقضة لموسى، أي ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى؟ أو ما بالها لم

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥١﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَٰدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٢﴾ كُلُوا
ربع وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٣﴾ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٤﴾
وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٥﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا
لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٦﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ
مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ
مَكَانًا سِوًى ﴿٥٧﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ
ضُحًى ﴿٥٨﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٥٩﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ
وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦٠﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا
النَّجْوَىٰ ﴿٦١﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ
أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٢﴾ فَأَجْمِعُوا
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٣﴾

تكن على دين موسى؟ أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾؟ ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعا للكلام الأول، وروغانا عنه وحيرة لما رأى أنه مغلوب بالحجة، ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ ثم عاد إلى وصف الله رجوعا إلى الكلام الأول.

﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ أي فراشا، وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها؟ لا على وجه الحقيقة، ولا على وجه المجاز، ولو قال: هو القادر أو الرازق وشبه ذلك لأمكن فرعون أن يغالطه ويدعي ذلك لنفسه. ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي نهج لكم فيها طرقا تمشون فيها. ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى على تقدير: يقول الله ﷻ فأخرجنا، ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ثم ابتدأ كلام الله. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي أصنافا مختلفة.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ المعنى أنها تصلح لأن تؤكل وترعاها الأنعام، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر لأنه أذن في ذلك فكأنه أمر به. ﴿لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ أي العقول واحدها نهية.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الضمير للأرض، يريد خلقة آدم من تراب. ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني بالدفن عند الموت. ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يعني عند البعث.

﴿أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني الآيات التي رآها فرعون، وهي تسع آيات، وليس يريد جميع آيات الله على العموم، فالإضافة في قوله آياتنا تجري مجرى التعريف بالعهد، أي آياتنا التي أعطينا موسى كلها، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفا لها.

﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ يحتمل أن يكون الموعد اسم مصدر أو اسم زمان أو اسم مكان، ويدل على أنه اسم مكان قوله: ﴿مَكَانًا سِوًى﴾، ولكن يضعف بقوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾؛ لأنه أجاب بظرف الزمان، ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله: ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ ولكن يضعف بقوله: ﴿مَكَانًا سِوًى﴾ ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد قوله: ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾ لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد، لا الزمان ولا المكان، ولكن يضعف ذلك بقوله: ﴿مَكَانًا﴾ وبقوله: ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ فلا بد على كل وجه من تأويل أو إضمار، ويختلف إعراب قوله: ﴿مَكَانًا﴾ باختلاف تلك الوجوه، فأما إن كان الموعد اسم مكان فيكون قوله: ﴿مَوْعِدًا﴾ و﴿مَكَانًا﴾ مفعولين لقوله: ﴿فَاجْعَلْ﴾ ويطابقه قوله: ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ من طريق المعنى، لا من طريق اللفظ، وذلك أن الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورة، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله: ﴿مَكَانًا﴾ على أنه ظرف زمان، والتقدير: موعدا كائنا في مكان، وإن كان الموعد اسم مصدر فينتصب مكانا على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد، أو بفعل من معناه، ويطابقه قوله: ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ على حذف مضاف، تقديره: موعدكم وعد يوم الزينة، وقرأ الحسن[1] يوم الزينة بالنصب وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف.

---

(١) قال ابن عطية: قرأ الحسن والأعمش والثقفي يوم بالنصب على الظرف. المحرر الوجيز: ٤/٦١.

﴿مَكَانًا سُوًى﴾ معناه مستو في القرب منا ومنكم، وقيل: معناه مستو الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع، وقرئ[(١)] بكسر السين وضمها، والمعنى متفق.

﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ يوم عيد لهم، وقيل: يوم عاشوراء. ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ﴾ عطف على الزينة فهو في موضع خفض أو على اليوم فهو في موضع رفع، وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤوس الأشهاد؛ لتظهر معجزته ويستبين الحق للناس.

﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ معناه يهلككم، ويقال سحت وأسحت، وقد قرئ[(٢)] بفتح الياء وضمها والمعنى متفق.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ قرئ[(٣)] إن هذين بالياء ولا إشكال في ذلك وقرئ بتخفيف إن وهي مخففة من الثقيلة وارتفع بعدها هذان بالابتداء، وأما قراءة

---

(١) قال الداني في التيسير: عاصم وابن عامر وحمزة ﴿مكانا سوى﴾ بضم السين والباقون بكسرها.، ص: ١٠٣.

(٢) ﴿فيسحتكم﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ورويس بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتحهما. النشر: ٢/٣٦٠.

(٣) قال ابن عطية: قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي: إن مشددة النون ﴿هذان﴾ بألف ونون مخففة للتثنية، وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿إن هذين لساحران﴾ وقرأ ابن كثير: ﴿إن هذان﴾ بتخفيف نون إن وتشديد نون هذان لسحران، وقرأ حفص عن عاصم إن بالتخفيف هذان خفيفة أيضا لساحران، وقرأت فرقة: «إن هذان إلا ساحران» وقرأت فرقة: «إن ذان لساحران» وقرأت فرقة: «ما هذان إلا ساحران» وقرأت فرقة: «إن هذان» بتشديد النون من هذان، فأما القراءة الأولى: فقالت فرقة قوله إن بمعنى نعم، كما روي أن رسول الله ﷺ قال في خطبته: إن الحمد لله فرفع الحمد، وقال ابن الزبير: إن وراكبها حين، قال له الرجل: فأبعد الله ناقة حملتني إليك، ويلحق هذا التأويل أن اللام لا تدخل في خبر الابتداء، وهو مما يجوز في الشعر ومنه قول الشاعر: (الرجز)

أم الحليس لعجوز شهربه ترضى من اللحم بعظم الرقبه)

انظر المحرر الوجيز: ٤/٦٢.

قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا
تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟
كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ
سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ
أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ
وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا
جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي
هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ
أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ
مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا
قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

نافع وغيره بتشديد إن ورفع هذان فقيل: إن هنا بمعنى نعم فلا تنصب ومنه ما روي في الحديث: إن الحمد لله بالرفع، وقيل: اسم إن ضمير الأمر والشأن، تقديره: إن الأمر وهذان لساحران مبتدأ وخبر في موضع خبر إن، وقيل: جاء القرآن في هذه الآية بلغة بني الحارث بن كعب وهي: إبقاء التثنية بالألف في حال النصب والخفض. وقالت عائشة رضي الله عنها[1]: هذا مما لحن فيه كتاب المصحف. ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ أي يذهب بسيرتكم الحسنة.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي اعزموا وأنفذوه.

﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ استدل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخييل لا حقيقة، وقال بعضهم: إن حيلة السحرة في سعي الحبال والعصي هي أنهم حشوها بالزئبق وأوقدوا تحتها نارا وغطوا النار لئلا يراها الناس، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيهم، وقيل: جعلوها للشمس فلما أحس الزئبق بحر النار أو الشمس سال وهو في حشو الحبال والعصي فحملها، فتخيل للناس أنها تمشي فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا فابتلعتها.

---

(١) ضعيف جدا، فهذه الرواية لم تثبت عن عائشة رضي الله عنها. ومن المعروف أن كتاب المصحف كتبوه بأمر من أمير المؤمنين عثمان، ثم أجمع المسلمون على ذلك الرسم ولم يقبلوا أي تغيير فيه ولا تبديل، فلا يوجد خطأ في الرسم ، وليس محل شك واحتمال. وانظر أحكام القرآن ٤/٢٣١ وإعراب القرآن للنحاس ص/٤٤

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي
الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٦﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا
هَدَىٰ ﴿٧٧﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ
وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ
وَالسَّلْوَىٰ ﴿٧٨﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ
فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٧٩﴾
وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٠﴾
● وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨١﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي
وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٢﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ
وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٣﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴿٨٤﴾
قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ
الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ
مَوْعِدِي ﴿٨٥﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا
أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٦﴾

ربع

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ ما هنا موصولة وهي اسم إن وكيد خبرها.

﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ قدم هارون لتعادل رؤوس الآي، ويكون على الألف.

﴿مِّنْ خِلَافٍ﴾ أي قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ معطوف على ما جاءنا من البينات، وقيل: هي واو القسم. ﴿هَٰذِهِ الْحَيَوٰةَ﴾ نصب على الظرفية أي إنما قضاؤك في هذه الدنيا.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ قيل: إن هذا وما بعده من كلام السحرة لفرعون على وجه الموعظة، وقيل: هو من كلام الله.

﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ يعني ببني إسرائيل وأضافهم إلى نفسه تشريفا لهم، وكانوا فيما قيل: ستمائة ألف. ﴿يَبَسًا﴾ أي يابسا وهو مصدر وصف به. ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ أي لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه ولا تخشى الغرق في البحر.

﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ إبهام لقصد التهويل. ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ إن قيل: إن قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ يغني عن قوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ فالجواب: أنه مبالغة وتأكيد، وقال الزمخشري: هو تهكم بفرعون في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خطاب لهم بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون،

وقيل: هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ، والأول أظهر.
﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ﴾ لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبني إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء ليكلم فيه ربه، والطور هو الجبل، واختلف هل هذا الطور هو الذي رأى فيه موسى النار في أول نبوءته أو هو غيره؟
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ ذكر في البقرة.

﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي هلك وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفل.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد، والمغفرة للمؤمن الذي لم يتب في مشيئة الله عند أهل السنة، وقالت المعتزلة: لا يغفر إلا لمن تاب.
﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح، ويحتمل أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله في قلب من تاب وآمن وعمل صالحا.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ قصص هذه الآية أن موسى عليه السلام لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور تقدم هو وحده مبادرة إلى أمر الله وطلبا لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده واستخلف عليهم أخاه هارون فأمرهم السامري حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ وإنما سأل الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثره، فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل، وقيل: إنما سأله على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه فاعتذر موسى بعذرين:

أحدهما: أن قومه على أثره أي قريب منه فلم يتقدم عليهم بكثير فيوجب العتاب.

والثاني: أنه إنما تقدم طلبا لرضا الله.

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ كان السامري رجلا من بني إسرائيل يقال إنه ابن خال موسى، وقيل: لم يكن منهم وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها سامرة وكان ساحرا منافقا.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ يعني رجع من الطور بعد إكمال الأربعين يوما التي كلمه الله فيها. ﴿أَسِفًا﴾ ذكر في الأعراف.

﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ يعني ما وعدهم من الوصول إلى الطور. ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ يعني المدة وهذا الكلام توبيخ لهم.

﴿بِمَلْكِنَا﴾ قرئ بالفتح[1] والضم والكسر، ومعناه ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا، ولكن غلبنا بكيد السامري، فيحتمل أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقتهم، ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم، أو اعتذروا بقلة ملكهم لأنفسهم في النظر وعدم توفيقهم للرأي السديد، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر. ﴿حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ الأوزار هنا الأحمال، سميت أوزارا لثقلها، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار أي الذنوب، وزينة القوم هي حلي القبط قوم فرعون كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم، وقيل: أخذوه بعد هلاكهم فقال لهم السامري: اجمعوا هذا الحلي في حفرة حتى يحكم الله فيه ففعلوا ذلك وأوقد السامري نارا على الحلي وصاغ منه عجلا، وقيل: بل خلق الله منه العجل من غير أن يصنعه السامري ولذلك قال الله لموسى قد فتنا قومك من بعدك. ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي قذفنا أحمال الحلي في الحفرة. ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ كان السامري قد رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخذ من وطء فرسه قبضة من تراب، وألقى الله في نفسه أنه إذا جعلها على شيء مواتا صار حيوانا، فألقاها على العجل فخار العجل، أي صاح

(١) قرأ نافع وعاصم ﴿بملكنا﴾ بفتح الميم، وحمزة والكسائي بضمها، والباقون بكسرها. التيسير، ص: ١٠٤.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟
أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٢﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى
وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٣﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٤﴾
قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ
أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٥﴾
قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ
لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٦﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

صياح العجول، فالمعنى أنهم قالوا كما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامري قبضة التراب.

﴿جَسَدًا﴾ أي جسما بلا روح، والخوار صوت البقر.

﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ أي قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض.

﴿فَنَسِىَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من كلام بني إسرائيل، والفاعل موسى، أي نسي موسى إلهه هنا وذهب يطلبه في الطور، والنسيان على هذا بمعنى الذهول.

والوجه الثاني: أن يكون من كلام الله تعالى، والفاعل السامري أي نسي دينه وطريق الحق، والنسيان على هذا المعنى الترك.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ معناه لا يرد عليهم كلاما إذا كلموه وذلك رد عليهم في دعوى الربوبية، وقرئ[1] يرجع بالرفع وأن مخففة من الثقيلة، وبالنصب وهي مصدرية.

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ لا زائدة للتأكيد، والمعنى: ما منعك أن تتبعني في المشي إلى الطور، أو تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر لمن عبد العجل وقتالهم بمن لم يعبده.

---

(١) قال ابن عطية: وقرأت فرقة أن لا يرجع برفع العين وأن على هذه القراءة مخففة من الثقيلة، والتقدير: أنه لا يرجع، وقرأت فرقة أن لا يرجع وأن على هذه القراءة هي الناصبة. المحرر الوجيز: ٤/٧٤.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ ذكر في الأعراف. ﴿لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِيَ﴾ كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدة غضبه، لما وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل. ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ أي لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلت فرقت جماعتهم وأدخلت العداوة بينهم، وهذا على أن يكون معنى قوله تتبعني في الزجر والقتال، أو لو اتبعتك في المشي إلى الطور لاتبعني بعضهم دون بعض فتفرقت جماعتهم، وهذا على أن يكون معنى تتبعني في المشي إلى الطور. ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ يعني قوله له: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَامِرِيُّ﴾ أي قال موسى: ما شأنك؟ ولفظ الخطب يقتضي الانتهار لأنه يستعمل في المكاره.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ أي رأيت ما لم يروه، يعني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وفرسه. ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود: «من أثر فرس الرسول»[(١)] وإنما سمي جبريل بالرسول لأن الله أرسله إلى موسى، والقبضة مصدر قبض، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير، ويقال قبض بالضاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه، وبالصاد المهملة إذا أخذ بأطراف الأصابع وقد قرئ كذلك في الشاذ[(٢)]. ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي ألقيتها على الحلي فصار عجلا، أو على العجل فصار له خوار.

﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ﴾ عاقب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ السامري بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ومكالمته، وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته لا مساس أي لا مماسة ولا إذاية، وروي: أنه كان إذا مسه أحد أصابت

---

(١) لم أجده مسندا وهو في الكشاف: ٨٥/٣.

(٢) المصدر السابق.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٧﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿٩٨﴾
خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿٩٩﴾ يَوْمَ يَنفُخُ
فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٠﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠١﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ
يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٣﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٤﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ
لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٥﴾
يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا
﴿١٠٦﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا
﴿١٠٧﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ربع
﴿١٠٨﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا
وَلَا هَضْمًا ﴿١٠٩﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ
مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٠﴾

الحمى له وللذي مسه[1]، فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه. ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ يعني العذاب في الآخرة، وذلك تهديد ووعيد. ﴿ظَلْتَ﴾ أصله ظللت حذفت إحدى اللامين، والأصل في معنى ظل أقام بالنهار، ثم استعمل في الدأب على الشيء ليلا ونهارا. ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ من الإحراق بالنار، وقرئ[2] بفتح النون وضم الراء بمعنى نبرده بالمبرد، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار، والصحيح أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته، فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك. ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ أي نلقيه في البحر، والنسف تفريق الغبار ونحوه، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية من كلام موسى لبني إسرائيل.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ مخاطبة من الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ وأنباء ما قد سبق: أخبار المتقدمين. ﴿ذِكْرًا﴾ يعني القرآن.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٨/٣٦٣ عن قتادة بسند حسن وذكره البغوي في معالم التنزيل: ٥/٢٩٢، والقرطبي في أحكامه: ١١/٢٤١، وابن الجوزي في زاد المسير: ٥/٣١٩.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿لنحرقنه﴾ فقرأ أبو جعفر بإسكان الحاء وتخفيف الراء، وقرأ الباقون بفتح الحاء وتشديد الراء، وروى ابن وردان عنه بفتح النون وضم الراء، وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وانفرد ابن سوار بهذا عن ابن جماز، كما انفرد ابن مهران بالأولى عن ابن وردان، والصواب كما ذكرناه. وقرأ الباقون بضم النون وكسر الراء. النشر: ٢/٣٦٢.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعني إعراض تكذيب به. ﴿وِزْراً﴾ الوزر في اللغة الثقل، ويعني هنا العذاب لقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ أو الذنوب لأنها سبب العذاب.

﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾ شبه الوزر بالحمل لثقله، قال الزمخشري: ساء تجري مجرى بئس، ففاعلها مضمر يفسره. ﴿حِمْلاً﴾ وقال غيره فاعلها مضمر يعود على الوزر.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي ينفخ الملك في القرن، وقرئ[1] ننفخ بالنون أي بأمرنا ﴿زُرْقاً﴾ أي زرق الألوان كالسواد وقيل زرق العيون من العمى.

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إن لَّبِثْتُمْ إلاَّ عَشْراً﴾ أي يقول بعضهم لبعض في السر إن لبثم في الدنيا إلا عشر ليال وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا وقيل يعنون لبثهم في القبور.

﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إن لَّبِثْتُمْ إلاَّ يَوْماً﴾ أي يقول أعلمهم بالأمور، فالإضافة إليهم، إن لبثم إلا يوما واحدًا، فاستقل المدة أشد مما استقلها غيره.

﴿يَنسِفُهَا رَبِّي﴾ أي يجعلها كالغبار ثم يفرقها.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً﴾ الضمير في يذرها للجبال، والمراد موضعها من الأرض، والقاع الصفصف: المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه. ﴿لاَّ تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً﴾ المعروف في اللغة أن العوج بالكسر في المعاني، وبالفتح في الأشخاص، والأرض شخص، فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه، فإن الذي في المعاني أدق من الذي في الأشخاص، فنفاه ليكون غاية في نفي العوج من كل وجه. ﴿وَلاَ أَمْتاً﴾ الأمت: هو الارتفاع اليسير.

(١) ﴿ينفخ في الصور﴾ قرأ أبو عمرو بالنون وفتحها وضم الفاء، وقرأ الباقون بالياء وضمها وفتح الفاء. النشر المصدر السابق.

﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾ يعني الذي يدعو الخلق إلى الحشر. ﴿لاَ عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي لا يعوج أحد عن اتباعه والمشي نحو صوته، أو لا عوج لدعوته لأنها حق. ﴿هَمْساً﴾ هو الصوت الخفي.

﴿لاَّ تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا ومن في موضع نصب بـ ﴿تَنفَعُ﴾ وهي واقعة على المشفوع له، فالمعنى لا تنفع الشفاعة أحد إلا من أذن له الرحمن في أن يشفع له، وأن يكون الاستثناء منقطعا، ومن واقعة على الشافع، والمعنى لكن من أذن له الرحمن يشفع. ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلاً﴾ إن أريد بمن أذن له الرحمن المشفوع فيه فاللام في له بمعنى لأجله، أي رضي قول الشافع لأجل المشفوع فيه، وإن أريد الشافع فالمعنى رضي له قوله في الشفاعة.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران للخلق، والمعنى ذكر في آية الكرسي. ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْماً﴾ قيل: المعنى لا يحيطون بمعلوماته، كقوله: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦ إِلاَّ بِمَا شَآءَ﴾، والصحيح عندي أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته، إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله، ولو أراد المعنى الأول لقال: ولا يحيطون بعلمه، ولذلك استثني إلا بما شاء هناك ولم يستثن هنا.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ أي ذلت يوم القيامة.

﴿وَلاَ هَضْماً﴾ أي بخسا ونقصا لحسناته.

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ أي تذكرا، وقيل: شرفا وهو هنا بعيد.

﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي إذا أقرأك جبريل فاستمع إليه واصبر حتى يفرغ، وحينئذ تقرؤه أنت، فالآية كقوله: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦ﴾، وقيل: كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوحي إليه القرآن يأمر

فَتَعَٰلَى اَ۬للَّهُ اُ۬لْمَلِكُ اُ۬لْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُّقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴿١١١﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا
إِلَىٰ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْماً ﴿١١٢﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اِ۟سْجُدُواْ لِأدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٣﴾ فَقُلْنَا
يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ اَ۬لْجَنَّةِ
فَتَشْقَىٰ ﴿١١٤﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٥﴾ وَإِنَّكَ
لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٦﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ اِ۬لشَّيْطَٰنُ
قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ اِ۬لْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ
﴿١١٧﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَٰنِ
عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ اِ۬لْجَنَّةِ وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١١٨﴾
ثُمَّ اَ۪جْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١١٩﴾ قَالَ اَ۪هْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعاًۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً ﴿١٢٠﴾
فَمَنِ اِ۪تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢١﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِے فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ اَ۬لْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ
﴿١٢٢﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيَ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ﴿١٢٣﴾

بكتبه[١] في الحين، فأمر بأن يتأنى حتى تفسر له المعاني، والأول أشهر.

﴿عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ﴾ أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة.

﴿فَنَسِيَ﴾ يحتمل أن يكون النسيان الذي هو ضد الذكر فيكون ذلك عذرا لآدم، أو يريد الترك، وقال ابن عطية: لا يمكن غيره لأن الناسي لا عقاب عليه، وقد تقدم الكلام على قصة آدم وإبليس في البقرة.

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ اَ۬لْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ أي لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة، فجعل المسبب موضع السبب، وخص آدم بقوله: ﴿فَتَشْقَىٰ﴾ لأنه كان المخاطب أولا والمقصود بالكلام، وقيل: لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختص بالرجال.

﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ الظمأ هو العطش، والضحى هو البروز للشمس.

﴿يَخْصِفَٰنِ﴾ ذكر في الأعراف، وكذلك الشجرة وأكل آدم منها، ذكر ذلك في البقرة.

﴿اَ۪هْبِطَا﴾ خطاب لآدم وحواء. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة وجوابها فمن اتبع.

﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ أي لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

(١) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز ٨٢/٤ بدون سند.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي
النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ
مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ
لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ
زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾
وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ
وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ
تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ
مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ
مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي ضيقة، فقيل: إن ذلك في الدنيا، فإن الكافر ضيق المعيشة لشدة حرصه، وإن كان واسع الحال، وقد قال بعض الصوفية: لا يعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته، وتكدر عليه عيشه. وقيل: إن ذلك في البرزخ، وقيل: في جهنم بأكل الزقوم، وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة. ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي يعني أعمى البصر.

﴿فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ من الترك لا من الذهول.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ أي عذاب جهنم أشد وأبقى من العيشة الضنك ومن الحشر أعمى.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ معناه أفلم يتبين لهم، والضمير لقريش، والفاعل بـ ﴿يَهْدِ﴾ مقدر، تقديره: أولم يهد لهم الهدى، أو الأمر، وقال الزمخشري: الفاعل الجملة التي بعده، وقيل: الفاعل ضمير الله ﷻ، ويدل عليه قراءة[1] أفلم نهد بالنون، وقال الكوفيون: الفاعل ﴿كَمْ﴾. ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ يريد أن قريشا يمشون في مساكن عاد وثمود، ويعاينون آثار هلاكهم. ﴿لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ أي ذوي العقول.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ الكلمة هنا القضاء السابق، والمعنى: لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزاما أي واقعا بهم.

---

(١) قال ابن عطية: وقرأت فرقة نهد بالنون وهذه القراءة تناسب تأويل من قال في التي قبلها الفاعل الله تعالى. المحرر الوجيز: ٤/٨٦.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على كلمة، أي لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزاما، وإنما أخره لتعتدل رؤوس الآي، والمراد بالأجل المسمى يوم بدر، وبذلك ورد تفسيره في البخاري[1] وقيل: المراد به أجل الموت، وقيل: القيامة.

﴿وَسَبِّحْ﴾ يحتمل أن يريد بالتسبيح الصلاة، أو قول سبحان الله، وهو ظاهر اللفظ. ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال، أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح، ويحتمل أن يكون المعنى سبح تسبيحا مقرونا بحمد ربك، فيكون أمرا بالجمع بين قوله: سبحان الله، وقوله: الحمد لله، وقد قال رسول الله ﷺ: «وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»[2]. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال إن معنى فسبح الصلاة، فالتي قبل طلوع الشمس الصبح، والتي قبل غروبها الظهر والعصر ﴿وَمِنْ ءَانَآءِ الَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء الآخرة ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المغرب والصبح، وكرر الصبح في ذلك تأكيدا للأمر بها، وسمى الطرفين أطرافا لأحد وجهين: إما على نحو ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، وإما أن يجعل النهار للجنس، فلكل يوم طرف، وآناء الليل ساعاته واحدها إنى.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ ذكر في الحجر ومد العينين هو تطويل النظر، ففي ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفو عنه. ﴿زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ شبه نعم الدنيا بالزهر وهو النوار لأن الزهر له منظر حسن ثم يذبل ويضمحل، وفي نصب زهرة خمسة أوجه: أن ينتصب بفعل مضمر على الذم، أو يضمن متعنا معنى أعطينا،

---

(١) في البخاري الحديث رقم (٤٧٧٤)، و﴿لزامًا﴾ يوم بدر، وانظر الطبري ١٨/٣٩٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٢٣)، والترمذي: ٥/٣٤٢، والدارمي رقم: (٦٥٩)، وهو بتمامه: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا».

ويكون زهرة مفعولا ثانيا له، أو يكون بدلا من موضع الجار والمجرور، أو يكون بدلا من أزواجا على تقدير: ذوي زهرة، أو ينتصب على الحال.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي لنختبرهم.

﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن نرزقك، وكان بعض السلف[1] إذا أصاب أهله خصاصة، قال: قوموا فصلوا بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية.

﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ البينة هنا البرهان والصحف الأولى هي التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، والضمير في ﴿قَالُواْ﴾ وفي ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ لقريش لما اقترحوا آية على وجه العناد والتعنت أجابهم الله بهذا الجواب، والمعنى: قد جاءكم برهان ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد ﷺ، فلأي شيء تطلبون آية أخرى؟، ويحتمل أن يكون المعنى قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص ما في الصحف الأولى فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ الآية: معناها لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد ﷺ لاحتجوا على الله بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا، ولولا هنا عرض فقامت عليهم الحجة ببعثه ﷺ.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي قل كل واحد منا ومنكم منتظر لما يكون من هذا الأمر. ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ تهديد. ﴿ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ المستقيم.

*** *** ***

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: ١/٤٨٧، وأبو نعيم في الحلية: ٨/١٧٦ عن عبد الله بن سلام وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور: ٤/٦١٣، وعزاه لأبي عبيد وابن منصور وابن المنذر والبيهقي في الشعب.

سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١)
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ
وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ
وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ
بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥)
مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦)
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا
يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩) لَقَدْ
أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠)

سورة الأنبياء عليهم السلام

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ الناس لفظ عام، وقال ابن عباس[(١)] المراد هنا المشركون من قريش بدليل ما بعد ذلك، فإنه من صفاتهم وإنما أخبر عن الساعة بالقرب لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقي لها، ولأن كل آت قريب.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ يعني بالذكر القرآن، ومحدث أي محدث النزول.

﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الواو في أسروا ضمير فاعل يعود على ما قبله، والذين ظلموا بدل من الضمير، وقيل: الفاعل هو الذين ظلموا، وجاء ذلك على لغة من قال: أكلوني البراغيث[(٢)] وهي لغة بني الحارث بن كعب وقال سيبويه لم تأت هذه اللغة في القرآن، ويحتمل أن يكون الذين ظلموا منصوبا بفعل مضمر على الذم، أو خبر ابتداء مضمر، والأول أحسن. ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ هذا الكلام في موضع نصب بدل من النجوى لأنه هو الكلام الذي تناجوا به، والبشر المذكور في الآية هو محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿قُل رَّبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ إخبار بأنه سمع ما تناجوا به على أنهم أسروه فإن

---

(١) لم أجده مسندا ومعناه في المحرر الوجيز غير منسوب لابن عباس. ٤/ ٨٩.

(٢) أصحاب هذه اللغة يلحقون الفعل المسند إلى ظاهر، مثنى أو مجموع، علامة كضميره. فيقولون: قاما الزيدان، وقاموا الزيدون، وقمن الهندات. فالألف والواو والنون في ذلك حروف، لا ضمائر، لإسناد الفعل إلى الاسم الظاهر، فهذه الأحرف عندهم كتاء التأنيث في نحو: قامت هند، وقد تكلم بهذه اللغة النبي ﷺ، قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار».

قيل هلا قال يعلم السر مناسبة لقوله أسروا النجوى؟ فالجواب: أن القول يشمل السر والجهر فحصل به ذكر السر وزيادة.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي أخلاط منامات، وحكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة، ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم. ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا محمد بآية فالتشبيه في الإتيان بالمعجزة.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ لما قالوا فليأتنا بآية، أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات، فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكوا: ثم قال: ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي أن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال من قبلهم، ويحتمل أن يكون المعنى أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك، ولا يكون على هذا جوابا لقولهم ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ بل يكون إخبارا مستأنفا على وجه التهديد، وأهلكناها في موضع الصفة لقرية والمراد أهل القرية.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ رد على قولهم ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ والمعنى: أن الرسل المتقدمين رجال من البشر، فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا؟ ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ يعني أحبار أهل الكتاب.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ أي ما جعلنا الرسل أجسادا غير طاعمين، ووحد الجسد لإرادة الجنس، و﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ صفة لجسد، وفي الآية رد على قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾.

﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ يعني المؤمنين. ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي شرفكم، وقيل: تذكيركم.

﴿قَصَمْنَا﴾ أي أهلكنا وأصله من قصم الظهر أي كسره. ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ يريد أهل القرية، قال ابن عباس[1]: هي قرية باليمن يقال لها حضور، بعث الله إليهم

(١) أخرجه السيوطي بسند ضعيف كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٤/٦١٧.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا
تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت
تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ * وَمَا
خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن
نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا
تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ
الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ
اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ
وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

نبيا فقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل، وظاهر اللفظ أنه على العموم؛ لأن كم للتكثير، فلا يريد قرية معينة.

﴿يَرْكُضُونَ﴾ عبارة عن فرارهم، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب وركضوها لتسرع الجري، أو شبهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة.

﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ أي قيل لهم: لا تركضوا، والقائل لذلك هم الملائكة قالوه تهكما بهم، أو رجال بختنصر إن كانت في القرية المعينة قالوا ذلك لهم خداعا ليرجعوا فيقتلوهم. ﴿أُتْرِفْتُمْ﴾ أي نعمتم. ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ تهكم بهم وتوبيخ، أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون عما جرى عليكم، ويحتمل أن يكون تسئلون بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم، وهذا أيضا تهكم.

﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا﴾ الآية اعتراف وندم حين لم ينفعهم.

﴿حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ شبهوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى خامدين موتى وهو تشبيه بخمود النار.

﴿لَاعِبِينَ﴾ حال منفية أي ما خلقنا السموات والأرض لأجل اللعب بل للاعتبار بها، والاستدلال على صانعها.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ اللهو في لغة اليمن: الولد، وقيل: المرأة، و﴿مِن لَّدُنَّا﴾ أي من الملائكة، فالمعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ

ولدا لاتخذناه من الملائكة لا من بني آدم، فهو رد على من قال إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله، والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب لاتصاله بقوله: ﴿لَٰعِبِينَ﴾ وقال الزمخشري: المعنى على هذا: لو أردنا أن نتخذ لهوا لكان ذلك في قدرتنا، ولكن ذلك لا يليق بنا لأنه مناقض للحكمة، وفي كلا القولين نظر. ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ يحتمل أن تكون إن شرطية وجوابها فيما قبلها، أو نافية والأول أظهر.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الحق عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، والباطل عام في أضداد ذلك. ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ أي يقمعه ويبطله، وأصله من إصابة الدماغ.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ يعني الملائكة. ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي لا يعيون ولا يملون.

﴿أَمِ اتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ أم هنا للإضراب عما قبلها، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها، من الأرض يتعلق بينشرون، والمعنى أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدرون أن ينشروا الموتى من الأرض، فليست بآلهة في الحقيقة؛ لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير في قوله فيهما للسموات والأرض، وإلا الله صفة لآلهة وإلا بمعنى غير فاقتضى الكلام أمرين:

أحدهما: نفي كثرة الآلهة ووجوب أن يكون الإله واحدا.

والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودل على ذلك قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وأما الأول فكانت الآية تدل عليه لو لم تذكر هذه الكلمة، وقال كثير من الناس في معنى الآية إنها دليل على التمانع[1] الذي أورده الأصوليون، وذلك أنا لو

(١) التمانع اصطلاح المتكلمين: هو اقتضاء كل من دليلين عدم مقتضى الآخر، وتفسير برهان التمانع: هو=

فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئا وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما وذلك محال؛ لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما وذلك أيضا محال؛ لأن النقيضين لا يرتفعان معا، ولأن ذلك يؤدي إلى عجزهما وقصورهما، فلا يكونان إلهين، وإما أن ينفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذي تنفذ إرادته هو الإله، والذي لا تنفذ إرادته ليس بإله، فالإله واحد، وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة، ولا وليان لخطة واحدة.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه مالك كل شيء، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم فأفعاله كلها جارية على الحكمة. ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ لفقد العلتين.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ كرر هذا الإنكار استعظاما للشرك ومبالغة في تقبيحه؛ لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده، وليناط به ما ذكر بعده من تعجيز المشركين وأنهم ليس لهم على الشرك برهان لا من جهة العقل ولا من جهة الشرع. ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيز لهم، وقد تكلمنا على هاتوا في البقرة. ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ رد على المشركين، والمعنى هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي ليس فيهما ما يقتضي الإشراك بالله بل كلها متفقة على التوحيد.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ الآية رد على المشركين، والمعنى أن كل رسول إنما أتى بلا

= أن افتراض وجود إلهين اثنين يعني جواز اختلاف الداعي في تعلق الإرادة بإيجاد مقدور بعينه، أو عدمه، وذلك محال؛ لأنه يؤدي إما إلى اجتماع النقيضين، أو ارتفاعهما، وإما إلى وصفهما أو وصف أحدهما بالعجز، وانظر حواشي على أم البراهين الكبرى للسنوسي لإسماعيل الحامدي، ص: ٣٠٩ ط الحلبي: ١٣٥٤هـ.

إله إلا الله.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ
مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ
﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ
ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ
إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ • أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ
حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾
وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا
مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ
ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ
ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

ربع

﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ يعني الملائكة وهم الذين قال فيهم بعض الكفار: إنهم بنات الله، فوصفهم بالعبودية لأنها تناقض البنوة، ووصفهم بالكرامة لأن ذلك هو الذي غر الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي لا يتكلمون حتى يتكلم هو تأدبا معه.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أي لمن ارتضى أن يشفع له، ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة في الآخرة أو في الدنيا، وهي استغفارهم لمن في الأرض. ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي خائفون.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الآية على فرض أن لو قالوا ذلك، ولكنهم لا يقولونه، وإنما مقصد الآية الرد على المشركين، وقيل: إن الذي قال إني إله هو إبليس لعنه الله.

﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ الرتق مصدر وصف به، ومعناه الملتصق بعضه ببعض، الذي لا صدع فيه ولا فتح، والفتق الفتح، فقيل: كانت السموات ملصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء، وقيل: كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والأرضون كذلك ففتقهما الله سبعا سبعا، والرؤية في قوله أولم ير على هذا رؤية قلب، وقيل: فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، فالرؤية على هذا عين.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي خلقنا من الماء كل حيوان ويعني بالماء المني، وقيل: الماء الذي يشرب لأنه سبب لحياة الحيوان، ويدخل في ذلك النبات باستعارة.

﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿أَن تَمِيدَ﴾ تقديره كراهية أن تميد. ﴿فِجَاجاً﴾ يعني الطرق الكبار، وإعرابه عند الزمخشري حال من السبل لأنه صفة تقدمت على النكرة. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني في طرقهم وتصرفاتهم.

﴿سَقْفاً مَّحْفُوظاً﴾ أي حفظ من السقوط ومن الشياطين. ﴿عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ يعني الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك.

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ التنوين في كل عوض عن الإضافة أي كلهم في فلك يسبحون يعني الشمس والقمر دون الليل والنهار، إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح في الفلك، فالجملة في موضع حال من الشمس والقمر أو مستأنفا.

فإن قيل: لفظ كل ويسبحون جمع فكيف يعني الشمس والقمر وهما اثنان؟ **فالجواب**: أنه أراد جنس مطالعها كل يوم وليلة وهي كثيرة قاله الزمخشري، وقال الغزنوي: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة وعبر عنهما بضمير الجماعة العقلاء في قوله ﴿يَسْبَحُونَ﴾ لأنه وصفهم بفعل العقلاء وهو السبح.

فإن قيل: كيف قال في فلك وهي أفلاك كثيرة؟ **فالجواب**: أنه أراد كل واحد يسبح في فلكه وذلك كقولهم: كساهم الأمير حلة، أي كسا كل واحد منهم حلة، ومعنى الفلك جسم مستدير، وقال بعض المفسرين: إنه من موج وذلك بعيد، والحق أنه لا يعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع وذلك غير موجود، ومعنى يسبحون يجرون أو يدورون وهو مستعار من السبح بمعنى العوم في الماء، وقوله: كل في فلك من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ سببها[1] أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت، وقيل[2]: إنهم تمنوا موته ليشمتوا به، وهذا أنسب لما

(١) لم أجده مسندا وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/ ٩٨.

(٢) لم أجده مسندا وذكره البغوي في معالم التنزيل: ٥/ ٣١٨، وابن الجوزي في زاد المسير:=

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا
ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ
كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي
فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا
يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ
يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ
رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ
مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ
بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ • قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ
وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ
﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ
نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا
هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ
أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

بعده. ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ موضع دخول الهمزة فهم الخالدون، وقد تقدمت، لأن الاستفهام له صدر الكلام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي كل نفس مخلوقة لا بد لها أن تذوق الموت، والذوق هنا استعارة. ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ أي نختبركم بالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك من أحوال الدنيا، ليظهر الصبر على الشر والشكر على الخير، أو خلاف ذلك. ﴿فِتْنَةً﴾ مصدر من معنى نبلوكم.

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي يذكرهم بالذم دلت على ذلك قرينة الحال، فإن الذكر قد يكون بذم أو مدح، والجملة تفسير للهزء أي يقولون أهذا الذي. ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ الجملة في موضع الحال، أي كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحق بالملامة، وقيل: معنى بذكر الرحمن تسميته بهذا الاسم لأنهم أنكروها، والأول أغرق في ضلالهم.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ خلق شديد الاستعجال وجاءت هذه العبارة للمبالغة، كقولهم: خلق حاتم من جود، والإنسان هنا جنس، وسبب الآية[1]: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها، والعذاب الذي طلبوه فذكر الله هذا توطئة

= ٣٥٠/٥ قال البغوي: نزلت هذه الآية حين قالوا: نتربص به ريب المنون.

(١) قال البغوي في معالم التنزيل: ٣١٩/٥ نزل هذا في المشركين كانوا يستعجلون العذاب ويقولون: أمطر علينا حجارة من السماء.

لقوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾، وقيل: المراد هنا آدم لأنه لما وصلت الروح إلى صدره أراد أن يقوم، وهذا ضعيف، وقيل: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أي من طين، وهذا أضعف. ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ وعيد وجواب على ما طلبوه من التعجيل.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ الآية تفسير لاستعجالهم. ﴿الْوَعْدُ﴾ القيامة، وقيل: نزول العذاب بهم.

﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ جواب لو محذوف. ﴿حِينَ﴾ مفعول به ليعلموا، أي لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ الضمير الفاعل للنار، وقيل: للساعة. ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي تفجؤهم. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي لا يؤخرون عن العذاب.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ﴾ الآية تسلية بالتأسي. ﴿فَحَاقَ﴾ أي أحاط.

﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ أي من يحفظكم من أمر الله ومن استفهامية، والمعنى تهديد وإقامة حجة؛ لأنهم لو أجابوا على هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ ثم جاء قوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ بمعنى أنهم إذا سئلوا عن ذلك السؤال لم يجيبوا عنه؛ لأنهم تقوم عليهم الحجة إن أجابوا ولكنهم يعرضون عن ذكر الله، أي عن الجواب الذي فيه ذكر الله، وقال الزمخشري: معنى الإضراب هنا أنهم معرضون عن ذكره فضلا عن أن يخافوا بأسه.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ أي تمنعهم من العذاب وأم هنا للاستفهام، والمعنى الإنكار والنفي وذلك أنه لما سألهم عمن يكلؤهم أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم، ثم احتج عن ذلك بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره. ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ الضمير للكفار أي لا يصحبون منا بنصر ولا حفظ.

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ إِذَا مَا
يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ
يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ
أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ
الْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا
ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ • وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ
﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ
أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾
وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

ربع

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ أي متعناهم بالنعم والعافية في الدنيا فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله، والإضراب ببل عن معنى الكلام المتقدم أي لم يحملهم على الكفر والاستهزاء نصر ولا حفظ، بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآباءهم. ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ذكر في الرعد.

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ﴾ إشارة إلى الكفار، والصم استعارة في إفراط إعراضهم.

﴿نَفْحَةٌ﴾ أي خطرة وفيها تقليل العذاب، والمعنى أنهم لو رأوا أقل شيء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ أي العدل وإنما أفرد القسط وهو صفة للجمع لأنه مصدر وصف به كالعدل والرضا، وعلى تقدير ذوات القسط ومذهب أهل السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الأعمال، والخفة والثقل متعلقة بالأجسام إما صحف الأعمال، أو ما شاء الله، وقالت المعتزلة: إن الميزان عبارة عن العدل في الجزاء ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وقال ابن عطية: تقديره لحساب يوم القيامة، أو لحكمة فهو على حذف مضاف، وقال الزمخشري: هو كقولك: كتبت الكتاب لست خلون من الشهر. ﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ أي وزنها، والرفع[1] على أن كان تامة، والنصب على أنها ناقصة، واسمها مضمر.

(١) ﴿مثقال﴾ قرأ المدنيان برفع اللام، وقرأ الباقون بالنصب. النشر: ٢/٣٦٣.

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾
قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ
كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟
إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟
عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾
قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ
أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾
قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟
بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا
إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ
إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ هنا التوراة، وقيل: التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ﴾ يعني القرآن. ﴿رُشْدَهُۥ﴾ أي إرشاده إلى توحيد الله وكسر الأصنام وغير ذلك. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل موسى وهارون، وقيل: آتيناه رشده قبل النبوءة. ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي علمناه أنه يستحق ذلك.

﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ يعني الأصنام، وكانت على صورة بني آدم.

﴿وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا﴾ اعتراف بالتقليد من غير دليل.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: هل الذي تقول جد، أم مزاح؟ وانظر كيف عبر عن الحق بالفعل وعن اللعب بالجملة الاسمية؛ لأنه أثبت عندهم!؟.

﴿فَطَرَهُنَّ﴾ أي خلقهن والضمير للسموات والأرض، أو التماثيل وهذا أليق بالرد عليهم.

﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ يعني خروجهم إلى عيدهم.

﴿جُذَٰذًا﴾ أي فتاتا، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح وهو من الجذ بمعنى القطع. ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلق القدوم في يده. ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الضمير للصنم الكبير أي يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء، وقيل: الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام،

أي يرجعون إليه فيبين لهم الحق.

﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾ قبله محذوف، تقديره: فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة، فقالوا من فعل هذا؟.

﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي يذكرهم بالذم وبقوله لأكيدن أصنامكم. ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ قيل: إن إعراب إبراهيم منادى، وقيل: خبر ابتداء مضمر، وقال الأعلم: هو رفع على الإهمال، والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله، فيقال: لأن المراد الاسم لا المسمى، وهذا اختيار ابن عطية والزمخشري.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي يشهدون عليه بما فعل أو يحضرون عقوبتنا له.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ قصد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا القول تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم، كأنه يقول إن كان إلها فهو قادر على أن يفعل وإن لم يقدر فليس بإله، ولم يقصد الإخبار المحض لأنه كذب.

فإن قيل: فقد جاء في الحديث[1]: إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات، أحدها: قوله: فعله كبيرهم؟ فالجواب: أن معنى ذلك أنه قال قولا ظاهره الكذب، وإن كان القصد به معنى آخر، ويدل على ذلك قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ لأنه أراد به أيضا تبكيتهم وبيان ضلالهم.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي رجعوا إليها بالفكرة والنظر، أو رجعوا إليها بالملامة. ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي الظالمون لأنفسكم في عبادتكم مالا ينطق ولا يقدر على شيء، أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه: إنه لمن الظالمين، وفي تعنيفه على أعين الناس.

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٣١٧٩)، ومسلم الحديث رقم: (٢٣٧١)، والترمذي الحديث رقم: (٣١٤٨)، وأبو داود الحديث رقم: (٢٢١٢)، وابن حبان في صحيحه: ٤٥/١٣، والمسند الحديث رقم: (٢٥٤٦).

﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة. ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ أي فكيف تأمرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال في فعلهم وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم، ويحتمل أن يكون نكسوا على رءوسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع، فإن قولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ اعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة، ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على رءوسهم حقيقة أي أطرقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة.

﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ تقدم الكلام على أف في الإسراء.

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾ لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه بالظلم.

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ أي ذات برد وسلام وجاءت العبارة هكذا للمبالغة، واختلف كيف بردت النار؟ فقيل: أزال الله عنها ما فيها من الحر والإحراق، وقيل: دفع عن جسم إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها، وقيل: خلق بينه وبينها حائلا، ومعنى السلام هنا السلامة، وقد روي[١] أنه لو لم يقل سلاما لهلك إبراهيم من البرد، وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام خرج إليها من العراق وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها.

﴿نَافِلَةً﴾ أي عطية، والتنفيل العطاء، وقيل: سماه نافلة لأنه عطاء بغير سؤال، فكأنه تبرع، وقيل: الهبة إسحاق والنافلة يعقوب؛ لأنه سأل إسحاق بقوله: ﴿هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فأعطي يعقوب زيادة على ما سأل، واختار بعضهم على

---

(١) ضعيف أخرجه أحمد في الزهد، ص: ١٠١، والطبري في جامع البيان: ١٨/٤٦٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٨/٢٤٥٦، والبغوي في معالم التنزيل: ٥/٣٢٨.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ ۞ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾

هذا الوقف على إسحاق لبيان المعنى، وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي يرشدون الناس بإذننا.

﴿وَلُوطاً﴾ قيل: إنه انتصب بفعل مضمر يفسره آتيناه، والأظهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون، أو إبراهيم وانتصب ونوحا وداود وسليمان وما بعدهم بالعطف أيضا، وقيل: بفعل مضمر، تقديره: اذكر. ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْماً﴾ أي حكما بين الناس أو حكمة. ﴿مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ هي سدوم من أرض الشام.

﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ﴾ أي في الجنة أو في أهل رحمتنا.

﴿نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي دعا قبل إبراهيم ولوط. ﴿مِنَ الْكَرْبِ﴾ يعني من الغرق.

﴿وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ تعدى نصرناه بمن لأنه مطاوع انتصر المتعدي بمن أو تضمن معنى نجيناه أو أجرناه.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ كان داود نبيا ملكا، وكان ابنه سليمان حينئذ ابن أحد عشر عاما. ﴿فِي الْحَرْثِ﴾ قيل: زرع، وقيل: كرم والحرث يقال فيهما. ﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ رعت فيه بالليل ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ الضمير لداود وسليمان والمتخاصمين، وقيل: لداود وسليمان خاصة على أن يكون أقل الجمع اثنان.

﴿فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ﴾ تخاصم إلى داود رجلان دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته، فقضى داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم، ووجه هذا

الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة الغنم، فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب فأخبراه بما حكم به أبوه فدخل عليه وقال: يا نبي الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع. قال: وما هو؟ قال: يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان ويأخذ صاحب الزرع الغنم لينتفع بألبانها وصوفها ونسلها فإذا أكمل الزرع ردت الغنم إلى صاحبها والأرض بزرعها إلى ربها. فقال له داود: وفقت يا بني وقضى بينهما بذلك، ووجه حكم سليمان أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان، ويحتمل أن يكون ذلك إصلاحا لا حكما، واختلف الناس هل كان حكمهما بوحي أو اجتهاد؟ فمن قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد للأنبياء. وروي[1]: أن داود رجع عن حكمه، لما تبين له أن الصواب خلافه، وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء[2] وعلى القول بالجواز اختلف هل وقع أم لا؟ وظاهر قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ أنه كان باجتهاد خص الله به سليمان ففهم القضية، ومن قال: كان بوحي جعل حكم سليمان ناسخا لحكم داود. وأما حكم إفساد المواشي الزرع في شرعنا: فقال مالك والشافعي: يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون النهار، للحديث الوارد في ذلك[3] وعلى هذا يدل حكم داود

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان عن ابن عباس بسند ضعيف: ٤٧٥/١٨.

(٢) الراجح عند علماء الأصول جواز الاجتهاد ووقوعه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال ابن عاصم في مرتقى الوصول:

وراجح أن الرسول اجتهدا ... في غير ما الوحي به تأيدا

وفي عفا الله دليل قاطع ... ومن لو استقبلت ذاك شايع

(٣) صحيح.. ففي سنن أبي داود: عن حَرَامِ بْنِ مُحَيِّصَةَ الأَنْصَارِيِّ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ ضَارِيَةٌ، فَدَخَلَتْ حَائِطًا فَأَفْسَدَتْ فِيهِ، فَكُلِّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهَا فَقَضَى أَنَّ حِفْظَ الْحَوَائِطِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَهْلِهَا، وَأَنَّ حِفْظَ الْمَاشِيَةِ بِاللَّيْلِ عَلَى أَهْلِهَا، وَأَنَّ عَلَى أَهْلِ الْمَاشِيَةِ مَا أَصَابَتْ مَاشِيَتُهُمْ بِاللَّيْلِ. الحديث رقم: (٣٥٧٠)، والنسائي في الكبرى: ١٤٢/٢، والحاكم في المستدرك: ٤٧/٢، والطحاوي في معاني الآثار: ٢٠٣/٣ قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود: ٦٨١/٢.

وسليمان؛ لأن النفش لا يكون إلا بالليل، وقال أبو حنيفة: لا يضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار لقوله ﷺ: «العجماء جرحها جبار»[(١)]. ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قيل يعني في هذه النازلة وأن داود لم يخطئ فيها ولكنه رجع إلى ما هو أرجح، ويدل على هذا القول أن كل مجتهد مصيب، وقيل: بل يعني حكما وعلما في غير هذه النازلة، وهذا على القول بإنه أخطأ فيها وأن المصيب واحد من المجتهدين. ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كان هذا التسبيح قول سبحان الله، وقيل: الصلاة معه إذا صلى، وقدم الجبال على الطير لأن تسبيحها أغرب إذ هي جماد. ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي قادرين على أن نفعل هذا، وقال ابن عطية: معناه كان ذلك في حقه لأجل أن داود استوجب ذلك منه.

﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ يعني دروع الحديد، وأول من صنعها: داود عليه السلام، وقال ابن عطية: اللبوس في اللغة السلاح، وقال الزمخشري: اللبوس اللباس. ﴿لِيُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ أي لتقيكم في القتال، وقرئ[(٢)] بالياء والتاء والنون، فالنون لله تعالى، والتاء للصنعة، والياء لداود أو للبوس. ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ لفظه استفهام ومعناه استدعاء إلى الشكر.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ عطف الريح على الجبال، والعاصفة هي الشديدة، فإن قيل: كيف قال عاصفة وقال في ص: ﴿رُخَاءً﴾ أي لينة؟ فالجواب: أنها كانت في نفسها لينة طيبة وكانت تسرع في جريها كالعاصف فجمعت الوصفين، وقيل: كانت رخاء في ذهابه، وعاصفة في رجوعه إلى وطنه؛ لأن عادة المسافرين الإسراع في الرجوع، وقيل: كانت تشتد إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته. ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني أرض الشام، وكانت مسكنه وموضع

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٦٥١٤)، ومسلم الحديث رقم: (١٧١٠)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٥٩٣)، والترمذي الحديث رقم: (١٣٧٧)، والمسند الحديث رقم: (٧٢٥٣).

(٢) ﴿ليحصنكم﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص بالتاء على التأنيث، ورواه أبو بكر ورويس بالنون، وقرأ الباقون بالياء على التذكر. النشر: ٢/٣٦٤.

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ ۞ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

ربع

ملكه فخص في الآية الرجوع إليها فإنه يدل على الانتقال منها.

﴿يَغُوصُونَ لَهُ﴾ أي يدخلون في الماء ليستخرجوا له الجواهر من البحار. ﴿عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أقل من الغوص كالبنيان والخدمة. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أي نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه، وقيل: معناه عالمين بعددهم.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ كان أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيًا من الروم، وقيل: من بني إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير، فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك الأولاد فصبر، ثم سلط البلاء على جسمه فصبر، إلى أن مر به قوم فشمتوا به فحينئذ دعا الله تعالى، على أن قوله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ليس تصريحا بالدعاء ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه، فكان في ذلك من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب.

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ لما استجاب الله له أنبع له عينا من ماء فشرب منه واغتسل فبرئ من المرض والبلاء. ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ روي: أن الله أحيا أولاده الموتى ورزقه مثلهم معهم في الدنيا، وقيل: في الآخرة، وقيل: ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى ومثلهم معهم، وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله. ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي رحمة لأيوب وذكرى لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر، ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معا للعابدين.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ قيل: هو إلياس، وقيل: زكرياء، وقيل: نبي بعث إلى رجل واحد، وقيل: رجل صالح غير نبي، وسمي ذا الكفل أي ذا الحظ من الله، وقيل: لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر من بعده.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ هو يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ والنون، هو الحوت نسب إليه لأنه التقمه.
﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً﴾ أي مغاضبا لقومه إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ ولا يصح قول من قال مغاضبا لربه. ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي ظن أن لن نضيق عليه، فهو من معنى قوله: ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ وقيل: هو من القدر والقضاء، أي ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة، ولا يصح قول من قال إنه من القدرة. ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قبل هذا الكلام محذوف، لبيانه في غير هذه الآية، وهو أنه لما خرج ركب السفينة فرمي في البحر فالتقمه الحوت، فنادى في الظلمات وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت، ويحتمل أنه عبر بالظلمة عن بطن الحوت لشدة ظلمته، كقوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾. ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أن مفسرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن، والظلم الذي اعترف به كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعني من بطن الحوت وإخراجه إلى البر. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون مطلقا، أو يكون لمن دعا بدعاء يونس ولذلك قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دعوة أخي يونس ذي النون ما دعا بها مكروب إلا استجيب له»[(١)].

﴿لَا تَذَرْنِي فَرْداً﴾ أي بلا ولد ولا وارث. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ إن لم ترزقني وارثا فأنت خير الوارثين، فهو استسلام لله.

---

(١) صحيح أخرجه الترمذي في سننه، الحديث رقم: (٣٥٠٥)، والمسند الحديث رقم: (١٤٦٢)، والمستدرك الحديث رقم: (١٨٦٢) قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي...

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ
كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا
فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ
﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ
الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ
كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ
آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا
زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ۞ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ ثمن
لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ يعني ولدت بعد أن كانت عقيما واسم زوجته أشياع قاله السهيلي. ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ والضمير للأنبياء المذكورين. ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ الرغب الرجاء والرهب الخوف، وقيل: الرغب أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي، والرهب أن ترفع ظهورها.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هي مريم بنت عمران، ومعنى أحصنت من العفة أي أعفته عن الحرام والحلال، كقولها لم يمسسني بشر. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلى نفسه؛ لأنه كان بأمره، والروح هنا هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلى نفسه للتشريف أو للملك. ﴿آيَةً﴾ أي دلالة، ولذلك لم يثن.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أي ملتكم ملة واحدة وهو خطاب للناس كافة، أو للمعاصرين لسيدنا محمد ﷺ، أي إنما بعث الأنبياء المذكورون بما أمرتم به من الدين؛ لأن جميع الأنبياء متفقون في أصول العقائد.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم﴾ أي اختلفوا فيه وهو استعارة من جعل الشيء قطعا، والضمير للمخاطبين، قيل: فالأصل تقطعتم.

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي لإبطال ثواب عمله. ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي نكتب عمله في صحيفته.

﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قرئ[1] حرم بكسر الحاء وهو بمعنى حرام، واختلف في معنى الآية، فقيل: حرام بمعنى ممتنع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة، أو ممتنع على قرية قد أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا، ولا زائدة في الوجهين، وقيل: حرام بمعنى حتم واقع لا محالة، ويتصور فيه الوجهان، وتكون لا نافية فيهما أي حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة، أو حتم رجوعهم إلى الدنيا، وقيل: المعنى ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة، ولا على هذا نافية أيضا، ففيه رد على من أنكر البعث.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ حتى هنا حرف ابتداء أو غاية متعلقة بيرجعون، وجواب ﴿إِذَا﴾ ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ وقيل: الجواب ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ لأن تقديره: يقولون يا ويلنا، وفتحت يأجوج ومأجوج، أي فتح سدها فحذف المضاف. ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ الحدب المرتفع من الأرض، و﴿يَنسِلُونَ﴾ أي يسرعون، والضمير ليأجوج ومأجوج، أي يخرجون من كل طريق لكثرتهم وقيل: لجميع الناس.

﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ يعني القيامة. ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ إذا هنا للمفاجأة، والضمير عند سيبويه ضمير القصة وعند الفراء للأبصار، وشاخصة من الشخوص وهو إحداد النظر من الخوف.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هذا خطاب للمشركين والحصب: ما توقد به النار كالحطب، وقرأ علي[2] بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حطب جهنم» والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها تحرق في النار توبيخا لمن عبدها. ﴿وَارِدُونَ﴾ الورود هنا الدخول.

---

(١) ﴿وحرام﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿وحرم﴾ بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف، والباقون بفتح الحاء والراء وألف بعدها. النشر: ٢/٣٦٤.

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٥/٣٥٦ عن علي بدون إسناد.

﴿زَفِيرٌ﴾ ذكر في هود. ﴿لاَ يَسْمَعُونَ﴾ قيل: يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون شيئا، وقيل: يصمهم الله كما يعميهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ سبقت أي قضيت في الأزل، والحسنى السعادة، ونزلت هذه الآية[١] لما اعترض ابن الزبعري[٢] على قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فقال إن عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا، فالمعنى إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد، واللفظ مع ذلك على عمومه في كل من سبقت له السعادة.

﴿حَسِيسَهَا﴾ أي صوتها. ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ أهوال القيامة على الجملة، وقيل: ذبح الموت، وقيل: النفخة الأولى في الصور، لقوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَٰبِ﴾ السجل الصحيفة، والكتاب مصدر أي كما يطوي السجل ليكتب فيه، أو ليصان الكتاب الذي فيه، وقيل: السجل رجل كاتب، وهذا ضعيف، وقيل: هو ملك في السماء الثانية ترفع إليه الأعمال، وهذا أيضا ضعيف. ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ أي كما قدرنا على البداءة نقدر على

---

(١) صحيح أخرجه الطحاوي في المشكل: ١٥/٣، والطبراني في الكبير: ١١٨/١٢، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٥٦.

(٢) هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس السهمي القرشي، أبو سعد: شاعر قريش في الجاهلية، كان شديدا على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه حسان أبياتا، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم، واعتذر إلى رسول الله ﷺ فقبل عذره، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة، ثم شهد ما بعد الفتح من المشاهد، ومن قوله بعد إسلامه للنبي عليه السلام معتذراً:

يا رسول المليك، إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور
إذ أجاري الشيطان في سنن الغـ ... ـي أنا في ذاك خاسر مثبور
يشهد السمع والفؤاد بما قلـ ... ـت ونفسي الشهيد وهي الخبير
إن ما جئتنا به حق صدق ... ساطع نوره مضيء منير
جئتنا باليقين والصدق والبـ ... ـر وفي الصدق واليقين السرور
أذهب الله ضلة الجهل عنا ... وأتانا الرخاء والميسور

توفي سنة: ١٥ هـ انظر الاستيعاب: ٢٧٣/١، والأعلام: ٨٧/٤.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ
﴿١٠١﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٢﴾ يَوْمَ نَطْوِي
السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٣﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي
الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٤﴾
إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ
يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠٩﴾ وَإِنْ أَدْرِي
لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١٠﴾ قُل رَّبِّ احْكُم
بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١١﴾

سُورَةُ الحَجِّ

الإعادة، فهو كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وقيل: المعنى نعيدهم على الصورة التي بدأناها كما جاء في الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا، ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾»[1] والكاف متعلقة بقوله: نعيده. ﴿فَاعِلِينَ﴾ تأكيدا لوقوع البعث.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ في الزبور هنا قولان:

أحدهما: أنه كتاب داود، والذكر هنا على هذا المعنى: التوراة التي أنزل الله على موسى، وما في الزبور من ذكر الله تعالى.

والقول الثاني: أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء، والذكر على هذا هو اللوح المحفوظ، أي كتب الله هذا في الكتاب الذي أفرد له بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها، والأول أرجح؛ لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهر وأكثر استعمالا، ولأن الزبور مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع، ولأن النص قد ورد في زبور داود: بأن الأرض يرثها الصالحون.

﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأرض هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها، وقيل: الأرض المقدسة، وقيل: أرض الجنة، والأول أظهر، والعباد الصالحون أمة محمد ﷺ، ففي الآية ثناء عليهم وإخبار بظهور غيب مصداقه في الوجود، إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ هذا خطاب لسيدنا محمد ﷺ، وفيه

---

(١) صحيح وهو طرف من حديث ابن عباس الذي سبق تخريجه.

تشريف عظيم، وانتصب رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول والمعنى على هذا: أن النبي ﷺ هو الرحمة، ويحتمل أن يكون مصدرا في موضع الحال من ضمير الفاعل، تقديره: أرسلناك راحمين للعالمين، أو يكون مفعولا من أجله، والمعنى على كل وجه أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد ﷺ؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلالة، فإن قيل: رحمة للعالمين عموم والكفار لم يرحموا به؟، فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا، فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم.

والآخر: أنهم رحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان، والصيحة، وشبه ذلك.

﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي أعلمتكم بالحق على استواء في الإعلام وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون آخر. ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ إن هنا وفي الموضع الآخر نافية، وأدري فعل علق عن معموله؛ لأنه من أفعال القلوب وما بعده في موضع المعمول من طريق المعنى، فيجب وصله معه والهمزة في قوله: أقريب للتسوية لا لمجرد الاستفهام، وقيل: يوقف على إن أدري في الموضعين، ويبتدأ بما بعده وهذا خطأ لأنه يطلب ما بعده.

﴿لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ﴾ الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم. ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي الموت أو القيامة.

﴿ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب.

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث
وأوله سورة الحج

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
سورة الأعراف	٥٨٧
سورة الأنفال	٦٤٨
سورة براءة	٦٦٨
سورة يونس عليه السلام	٧٠٥
سورة هود عليه السلام	٧٢٥
سورة يوسف عليه السلام	٧٥٠
سورة الرعد	٧٧٩
سورة إبراهيم عليه السلام	٧٩٣
سورة الحجر	٨٠٤
سورة النحل	٨١٦
سورة الإسراء	٨٤٧
سورة الكهف	٨٧٧
سورة مريم	٩٠٩
سورة طه	٩٢٦
سورة الأنبياء عليهم السلام	٩٤٩

*** *** ***

التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي

الكلبي الغرناطي المالكي

(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

أ. د. محمد بن سيدي محمد مولاي

الجزء الثالث

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

دار الضياء
للنشر والتوزيع - الكويت
الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
ص. ب : ١٣٤٦ حولي
الرمز البريدي : ٣٢٠١٤
تلفاكس : ٢٢٦٥٨١٨٠ (٩٦٥+)
نقال : ٩٩٣٩٦٤٨٠ (٩٦٥+)
dar_aldheyaa@yahoo.com

دار الضياء
DAR ALDEYAA
للنشر والتوزيع - الكويت
For Printing & Publishing - KUWAIT

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م
التجليد الفني
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد
بيروت
www.daraldheya.com

الموزعون المعتمدون

دولة الكويت:
دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي — تليفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠ — نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠

المملكة العربية السعودية:
دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة — هاتف: ٦٣١١٧١٠ — فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢
دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض — هاتف: ٤٩٢٥١٩٢ — فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
المكتبة المكية - مكة المكرمة — هاتف: ٥٣٤٠٨٣٢ — فاكس: ٥٣٦٦٢٩٩٠
مكتبة العبيكان - جميع فروعها في المملكة — هاتف: ٩٢٠٠٢٠٠٢٠٩

الجمهورية التركية:
مكتبة الإرشاد - اسطنبول — هاتف: ٠٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٣٤ — فاكس: ٠٢١٢٦٣٨١٧٠٠
المكتبة الهاشمية - اسطنبول — هاتف: ٠٢١٢٥٢٠٢٥٣٣ — فاكس: ٠٢١٢٥٢٠١٥٩٦

الجمهورية اللبنانية:
دار إحياء التراث العربي - بيروت — هاتف: ٨٥٠٠٠٠ — فاكس: ٨٥٠٧١٧
شركة دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان — هاتف: ٧٠٢٨٥٧ — فاكس: ٧٠٤٩٦٣
شركة التمام - بيروت - كورنيش المزرعة — هاتف: ١٧٠٧٠٣٩

الجمهورية العربية السورية:
دار الفجر - دمشق - حلبوني — هاتف: ٢٢٢٨٣١٦ — فاكس: ٢٤٥٣١٩٢
دار الكلم الطيب - دمشق - حلبوني — هاتف: ٢٤٥١٢٣٦ — فاكس: ٢٢٢٧٦٠٢

جمهورية مصر العربية:
دار البصائر - القاهرة - زهراء مدينة نصر — تليفاكس: ٠٢٢٤١١١٤٤١ — محمول: ٠١٠٠٢٤٣٦٣٦٣

المملكة الأردنية الهاشمية:
دار الرازي - عمان - العبدلي — تلفاكس: ٤٦٤٦١١٦
دار محمد دنديس للنشر والتوزيع - عمان — هاتف: ٦١٦٥٢٣٩٠ — تلفاكس: ٦٤٦٥٢٣٨٠

الجمهورية اليمنية:
مكتبة تريم الحديثة - تريم — هاتف: ٤١٧١٣٠ — فاكس: ٤١٨١٣٠

الجمهورية الإسلامية الموريتانية:
شركة الكتب الإسلامية - نواكشوط — هاتف: ٠٠٢٢٢٥٢٥٢٤٦١

مملكة البحرين:
جمعية الإمام مالك بن أنس - المحرق — هاتف: ١٧٣٣٤٢٥٠ — فاكس: ١٧٣٢٤٣٦٠

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه وبأي شكل من الأشكال أو نسخه أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا يسمح بالاقتباس منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي

الكلبي الغرناطي المالكي

(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

أ. د. محمد بن سيدي محمد مولاي

الجزء الثالث

دار الضياء

للنشر والتوزيع

الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حزب • يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ
﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ
وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ
مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ
إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي
رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ
لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن
يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

سورة الحج

﴿اتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ تكلمنا على التقوى في أول البقرة. ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي شدتها وهولها كقوله: ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ أو تحريك الأرض حينئذ كقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ والجملة تعليل للأمر بالتقوى، واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك في الدنيا بين يدي القيامة أو بعد أن تقوم القيامة؟ والأرجح أن ذلك قبل القيامة لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ العامل في الظرف تذهل والضمير للزلزلة، وقيل: الساعة وذلك ضعيف لما ذكرنا إلا أن يريد ابتداء أمرها. ﴿تَذْهَلُ﴾ الذهول هو الذهاب عن الشيء مع دهشة. ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ إنما لم يقل مرضع لأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها للصبي، والمرضع: التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به فقال مرضعة ليكون ذلك أعظم في الذهول إذ تنزع ثديها من فم الصبي حينئذ. ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ تشبيه بالسكارى من شدة الغم. ﴿وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾ نفي لحقيقة السكر وقرئ[1] سكرى والمعنى متفق.

---

(١) ﴿سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿سكري﴾ بفتح السين وإسكان الكاف من غير ألف فيهما، وقرأ الباقون بضم السين وفتح الكاف وألف بعدها وهم في الإمالة على أصولهم. النشر: ٢/٣٦٥.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ نزلت[1] في النضر بن الحارث، وقيل: في أبي جهل[2] وهي تتناول كل من اتصف بذلك. ﴿شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ أي شديد الإغواء، ويحتمل أن يريد شيطان الجن أو الإنس.

﴿كُتِبَ﴾ تمثيل لثبوت الأمر كأنه مكتوب، ويحتمل أن يكون بمعنى قضى كقولك: كتب الله ﴿أَنَّهُۥ﴾ في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله وفي ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ عطف عليه، وقيل: تأكيد. ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي تبعه أو اتخذه وليا والضمير في عليه وفي أنه في الموضعين وفي تولاه للشيطان وفي يضله ويهديه للمتولي له، ويحتمل أن تكون تلك الضمائر أولاً لمن يجادل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ الآية معناها إن شككتم في البعث الأخروي فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خلقتكم فتعلموا أن الذي قدر على أن خلقكم أول مرة قادر على أن يعيدكم ثاني مرة، وأن الذي قدر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها قادر على أن يخرجكم من قبوركم. ﴿خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ إشارة إلى خلق آدم، وأسند ذلك إلى الناس لأنهم من ذريته وهو أصلهم. ﴿مِنْ عَلَقَةٍ﴾ العلقة قطعة من دم جامدة. ﴿مِن مُّضْغَةٍ﴾ أي قطعة من لحم. ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ المخلقة التامة الخلقة، وغير المخلقة الغير التامة كالسقط، وقيل: المخلقة المسواة السالمة من النقصان. ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ اللام تتعلق بمحذوف، تقديره: ذكرنا ذلك لنبين لكم قدرتنا على البعث. ﴿وَنُقِرُّ﴾ فعل مستأنف. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني وقت وضع الحمل، وهو مختلف، وأقله ستة أشهر إلى ما فوق ذلك. ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أفرده لأنه أراد الجنس أو أراد نخرج كل واحد منكم طفلا ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ هو كمال القوة والعقل والتمييز، وقد

---

(١) مرسل أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٤٧٤/٨، واللباب، ص: ١٣٤، ويورده المفسرون بدون سند.

(٢) لم أجده مسندا، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٢٩/٤.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ
مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا
هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾
ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ • وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ
وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن
يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ
ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

نصف

اختلف فيه من ثماني عشرة سنة إلى خمس وأربعين. ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ ذكر في النحل. ﴿هَامِدَةً﴾ يعني لا نبات فيها. ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنبات وتخلخلت أجزاؤها لما دخلها الماء. ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت. ﴿زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي صنف عجيب.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ذلك المذكور من أمر الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق. هكذا قدره الزمخشري والباء على هذا سببية وبهذا المعنى أيضا فسره ابن عطية، ويلزم على هذا أن لا يكون قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ معطوفًا على ذلك؛ لأنه ليس بسبب لما ذكر فقال ابن عطية قوله: أن الساعة ليس بسبب لما ذكر، ولكن المعنى أن الأمر مرتبط بعضه ببعض، أو على تقدير: والأمر أن الساعة، وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان أما قوله: إن الأمر مرتبط بعضه ببعض فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف والعطف لا يصح، وأما قوله على تقدير الأمر أن الساعة فذلك استئناف وقطع للكلام الأول، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول هو إثبات الساعة فكيف يجعل ذكرها مقطوعا مما قبله، والذي يظهر لي أن الباء ليست بسببية وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ويقتضيه المعنى وذلك أن يكون التقدير ذلك الذي تقدم من خلقة الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق، وأنه يحي الموتى وبأن الساعة آتية فيصح عطف «وأن الساعة» على ما قبله بهذا التقدير، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله ذلك مما استدل عليها بخلقة الإنسان والنبات.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلت فيمن نزلت فيه الأولى، وقيل: في الأخنس بن شريق.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ كناية عن المتكبر المعرض. ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ إن كانت في النضر بن الحارث فالخزي أسره ثم قتله، وكذلك قتل أبي جهل.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي يقال له ذلك بما فعلت وبعدل الله لأنه لا يظلم العباد.

﴿مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ نزلت في قوم من الأعراب كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال هذا دين حسن، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به وارتد عن الإسلام، فالحرف هنا كناية عن المقصد وأصله من الانحراف عن الشيء، أو من الحرف بمعنى الطرف أي أنه في طرف من الدين لا في وسطه. ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ خسارة الدنيا بما جرى عليه فيها وخسارة الآخرة بارتداده وسوء اعتقاده.

﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ يعني الأصنام ويدعو بمعنى يعبد في الموضعين.

﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ فيها إشكالان:

الأول: في المعنى وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع ثم وصفها بأن ضرها أكثر من نفعها فنفى الضر ثم أثبته، والجواب: أن الضر المعني أولا يراد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئا، والضر الثاني يراد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره.

والإشكال الثاني: دخول اللام على من وهي في الظاهر مفعول واللام لا تدخل على المفعول وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه:

أحدها: أن اللام مقدمة على موضعها، كأن الأصل أن يقال يدعو من لضره

أقرب من نفعه فموضعها الدخول على المبتدإ.

وثانيها: أن يدعو هنا كرر تأكيدا ليدعو الأول وتم الكلام عنده ثم ابتدأ قوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥ﴾ فمن مبتدأ وخبره ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾.

وثالثها: أن معنى يدعو يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرة الأصنام فدخلت اللام على مبتدإ في أول الكلام.

﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هنا بمعنى الولي. ﴿ٱلْعَشِيرُ﴾ الصاحب فهو من العشيرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية لما ذكر أن الأصنام لا تنفع من عبدها قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع وهو دخول الجنة.

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ السبب هنا الحبل والسماء هنا سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تعلق فيها الحبال، والقطع هنا يراد به الاختناق بالحبل، يقال قطع الرجل إذا اختنق، ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد ربط الحبل في العنق وربطه في السقف، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله من اشتد غيظه وحسرته، أو طمع فيما لا يصل إليه كقوله للحسود: مت كمدا أو اختنق، فإنك لا تقدر على غير ذلك، وفي معنى الآية قولان:

الأول: أن الضمير في ينصره لسيدنا محمد ﷺ والمعنى على هذا: من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمدا فليختنق بحبل فإن الله ناصره ولا بد على غيظ الكفار، فموجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد ﷺ.

والقول الثاني: أن الضمير في ينصره عائد على من، والمعنى على هذا من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله فليختنق وليمت بغيظه فإنه لا يقدر على غير ذلك، فموجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى ييئس من نصره، ولذلك فسر بعضهم أن لن ينصره الله بمعنى أن لن يرزقه وهذا القول أرجح من الأول لوجهين:

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّٰبِينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ
لَهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ
وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ
ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ
مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ
ٱخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ
مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ
مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿١٩﴾
كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا
عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا
مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢١﴾

ربع

أحدهما: أن هذا القول مناسب لمن يعبد الله على حرف لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط حتى ظن أن الله لن ينصره فيكون هذا الكلام متصلا بما قبله ويدل عليه قوله قبل هذه الآية: إن الله يفعل ما يريد أي الأمور بيد الله فلا ينبغي لأحد أن يتسخط من قضاء الله ولا ينقلب إذا أصابته فتنة.

والوجه الثاني: أن الضمير في ينصره على هذا القول يعود على ما تقدمه وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله لأن النبي ﷺ لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة.

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ الكيد هنا يراد به اختناقه وسمي كيدا لأنه وضعه موضع الكيد إذ هو غاية حيلته، والمعنى إذا خنق نفسه فلينظر هل يذهب ذلك ما يغيظه من الأمر أي ليس يذهبه.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الضمير للقرآن، أي مثل هذا أنزلنا القرآن كله. ﴿ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ قال ابن عطية: أن في موضع خبر الابتداء، والتقدير: الأمر أن الله، وهذا ضعيف لأن فيه تكلف إضمار وقطع للكلام عن المعنى الذي قبله، وقال الزمخشري: التقدير: لأن الله يهدي من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات، فجعل أن تعليلا للإنزال، وهذا ضعيف للفصل بينهما بالواو والصحيح عندي أن قوله (وأن الله) معطوف على آيات بينات لأنه مقدر بالمصدر، فالتقدير: أنزلناه آيات بينات وهدى لمن أراد الله أن يهديه.

﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ ذكر في البقرة وكذلك الذين هادوا. ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار ويقولون إن الخير من النور والشر من الظلمة. ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ هذه الجملة هي خبر إن الذين آمنوا والذين هادوا الآية وكررت مع الخبر للتأكيد، وفصل الله بينهم بأن يبين لهم أن الإيمان هو الحق وسائر الأديان باطلة وبأن يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار.

﴿يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ دخل في هذا من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الملائكة والجن ولم يدخل الناس في ذلك لأنه ذكرهم في آخر الآية إلا أن يكون ذكرهم في آخرها على وجه التجريد وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما وإنما المراد به الانقياد، ثم إن الانقياد يكون على وجهين:

أحدهما: الانقياد لطاعة الله طوعا.

والآخر: الانقياد لما يجري الله على المخلوقات من أفعاله وتدبيره شاؤوا أو أبوا.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لطاعة الله فيكون كثير من الناس معطوفا على ما قبله من الأشياء التي تسجد ويكون قوله وكثير حق عليه العذاب مستأنفا يراد به من لا ينقاد للطاعة ويوقف على قوله وكثير من الناس وهذا القول هو الصحيح وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدبيره فلا يصح تفصيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى، وقيل: إن قوله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ معطوف على ما قبله، ثم عطف عليه كثير حق عليه العذاب فالجميع على هذا يسجد، وهذا ضعيف لأن قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ يقتضي ظاهره أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود، وتأوله

الزمخشري على هذا المعنى بأن إعراب ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فاعل بفعل مضمر، تقديره: يسجد سجود طاعة، أو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف، تقديره: مثاب وهذا تكلف بعيد.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم، ويدل على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم، وهو قول ابن عباس[١] وقيل: نزلت[٢] في علي ابن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث، حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات، والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة، والمراد به هنا الجماعة والإشارة بهذان إلى الفريقين. ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي في دينه وفي صفاته، والضمير في اختصموا لجماعة الفريقين. ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية حكم بين الفريقين بأن جعل للكفار النار وللمؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا. ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أي فصلت على قدر أجسادهم وهو مستعار من تفصيل الثياب. ﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ الماء الحار. ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ أي يذاب، وذلك أن الحميم إذا صب على رؤوسهم وصل حره إلى بطونهم فأذاب ما فيها، وقيل: معنى يصهر ينضج. ﴿مَّقَٰمِعُ﴾ جمع مقمعة أي مقرعة. ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ يضربون بها، وقيل: هي السياط.

﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدل من المجرور قبله. ﴿وَذُوقُوا۟﴾ التقدير يقال لهم ذوقوا.

﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ من لبيان الجنس أو للتبعيض وفسرنا الأساور في الكهف. ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب[٣] مفعول بفعل مضمر أي يعطون لؤلؤا، أو معطوف

---

(١) الطبري في جامع البيان: ١٨/٥٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٧٤٧).

(٣) ﴿ولؤلؤا﴾ قرأ المدنيان وعاصم ويعقوب بنصب الهمزة الثانية، وغيرهم بخفضها، وأبدل الهمزة=

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ
وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ
بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ
بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن
فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن
كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ
ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ
فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ
تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾
۞ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ ثمن
رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ
فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

على موضع من أساور إذ هو مفعول، وبالخفض معطوف على أساور، أو على ذهب.

﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ قيل: هو لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك. ﴿صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ أي صراط الله، فالحميد اسم الله، ويحتمل أن يريد الصراط الحميد، وأضاف الصفة إلى الموصوف، كقولك: مسجد الجامع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ خبره محذوف يدل عليه قوله: ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ وقيل: الخبر يصدون على زيادة الواو، وهذا ضعيف، وإنما قال يصدون بلفظ المضارع ليدل على الاستمرار على الفعل. ﴿سَوَآءً﴾ بالرفع مبتدأ أو خبره مقدر، والجملة في موضع المفعول الثاني، لجعلنا وقرئ[1] بالنصب على أنه المفعول الثاني والعاكف فاعل به. ﴿ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِ﴾ العاكف: المقيم في البلد، والبادي: القادم عليه من غيره، والمعنى: أن الناس سواء في المسجد الحرام لا يختص به أحد دون أحد، وذلك إجماع، وقال أبو حنيفة: حكم سائر مكة في ذلك كالمسجد الحرام، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء، وليس لأحد فيها ملك، والمراد عنده بالمسجد الحرام جميع مكة، وقال مالك وغيره: ليست الدور في ذلك كالمسجد بل هي متملكة. ﴿بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾

= الأولى واوا ساكنة مدية وصلا ووقفا شعبة والسوسي وأبو جعفر، وفي الوقف حمزة. البدور الزاهرة ص: ٢٣٧.

(١) ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ﴾ روى حفص بنصب (سواء) وقرأ الباقون بالرفع. النشر: ٢/٣٦٦.

الإلحاد الميل عن الصواب، والظلم هنا عام في المعاصي من الكفر إلى الصغائر؛ لأن الذنوب بمكة أشد منها في غيرها، وقيل: هو استحلال الحرام، ومفعول يرد محذوف، تقديره: من يرد أحدا أو من يرد شيئا، وبإلحاد بظلم حالان مترادفان، وقيل: المفعول قوله: ﴿بِإِلْحَادٍۭ﴾ على زيادة الباء.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ العامل في إذ مضمر، تقديره: اذكر وبوأنا أصله من باء بمعنى رجع، ثم ضوعف ليتعدى واستعمل بمعنى أنزلنا في الموضع، كقوله: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إلا أن هذا المعنى يشكل هنا لقوله ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ لتعدي الفعل باللام، وهو يتعدى بنفسه، حتى قيل: اللام زائدة، وقيل: معناه هيأنا، وقيل: جعلنا، والبيت هنا الكعبة، وروي أنه كان آدم يعبد الله فيه، ثم درس بالطوفان، فدل الله إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ على مكانه، وأمره ببنيانه. ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ أن مفسرة، والخطاب لإبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، وإنما فسرت تبوئة البيت بالنهي عن الإشراك والأمر بالتطهير؛ لأن التبوئة إنما قصدت لأجل العبادة التي تقتضي ذلك. ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ عام في التطهير من الكفر والمعاصي والأنجاس وغير ذلك. ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ يعني المصلين.

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ خطاب لإبراهيم، وقيل: لسيدنا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والأول هو الصحيح، روي[1] أنه لما أمر بالأذان بالحج صعد على جبل أبي قبيس ونادى: أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحجوا، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة، وهم في أصلاب آبائهم، وأجابه في ذلك الوقت كل شيء من جماد وغيره، لبيك اللهم لبيك، فجرت التلبية على ذلك. ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ جمع راجل أي ماشيا على رجليه. ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الضامر يراد به: ما يركب من فرس وناقة وغير ذلك، وإنما وصفه بالضمور؛ لأنه لا يصل إلى البيت إلا بعد

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور: ٦/٣٢، وبنحوه أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٨/٣٢ عن ابن عباس إلا أن فيه الحجر، لا جبل أبي قبيس.

ضموره، وقوله: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حال معطوف على حال كأنه قال: رجالا وركبانا، واستدل بعضهم بتقديم الرجال في الآية على أن المشي إلى الحج أفضل من الركوب، واستدل بعضهم بسقوط ذكر البحر بهذه الآية، على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر. ﴿يَأْتِينَ﴾ صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع. ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي طريق بعيد.

﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ أي بالتجارة، وقيل: أعمال الحج وثوابه، واللفظ أعم من ذلك ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ يعني التسمية عند ذبح البهائم ونحرها وفي الهدايا والضحايا، وقيل: يعني الذكر على الإطلاق وإنما قال اسم الله لأن الذكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء. ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي عند مالك: يوم النحر، وثانيه، وثالثه خاصة؛ لأن هذه هي أيام الضحايا عنده، ولم يجز ذبحها بالليل لقوله: في أيام، وقيل: الأيام المعلومات عشر ذي الحجة ويوم النحر والثلاثة بعده، وقيل: عشر ذي الحجة خاصة، وأما الأيام المعدودات فهي الثلاثة بعد يوم النحر فيوم النحر من المعلومات لا من المعدودات، واليومان بعده من المعلومات والمعدودات، ورابع النحر من المعدودات لا من المعلومات. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ ندب أو إباحة ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا ويتصدق بالأكثر. ﴿الْبَائِسَ﴾ الذي أصابه البؤس، وقيل: هو المتكفف، وقيل: الذي يظهر عليه أثر الجوع.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ التفث في اللغة: الوسخ، فالمعنى: ليقضوا إزالة تفثهم بقص الأظفار والاستحداد وسائر خصال الفطرة والتنظف بعد أن يحلوا من الحج، وقيل: التفث أعمال الحج، وقرئ[1] بكسر اللام وإسكانها وهي لام الأمر، وكذلك

(١) ﴿ثم ليقضوا﴾ قرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش ورويس بكسر اللام فيهما، وافقهم قنبل في ﴿ليقضوا﴾ وانفرد ابن مهران بكسر اللام فيهما عن روح وكذلك انفرد فيهما الخبازي عن أصحابه عن الهاشمي عن ابن جماز عن أبي جعفر فخالفا سائر الناس في ذلك وقرأ الباقون بإسكان اللام فيهما. النشر: ٢/٣٦٥.

وليوفوا وليطوفوا. ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ المراد هنا طواف الإفاضة عند جميع المفسرين وهو الطواف الواجب. ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس، وقيل: العتيق الكريم كقولهم فرس عتيق، وقيل: أعتق من الجبابرة أي منع منهم، وقيل: العتيق هو الذي لم يملكه أحد قط.

﴿ذَٰلِكَ﴾ هنا وفي الموضع الثاني مرفوع على تقدير الأمر ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه، ثم يقول: هذا وقد كان كذا وأجاز بعضهم الوقف على قوله: ذلك، في ثلاثة مواضع من هذه السورة وهي هنا: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ اللَّهِ﴾ و﴿ذلك ومن يشرك بالله﴾ لأنها جملة مستقلة أو هو خبر ابتداء مضمر، والأحسن وصلها بما بعدها عند شيخنا أبي جعفر بن الزبير، لأن ما بعدها ليس كلاما أجنبيا، ومثلها: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ و﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ في الأنفال، و﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ في ص. ﴿حُرُمَٰتِ اللَّهِ﴾ جمع حرمة وهو ما لا يحل هتكه من جميع الشريعة، فيحتمل أن يكون هنا على العموم، أو يكون خاصا بما يتعلق بالحج لأن الآية فيه. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ أي التعظيم للحرمات خير. ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني ما حرمه في غير هذا الموضع كالميتة. ﴿الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ من لبيان الجنس كأنه قال: الرجس الذي هو الأوثان والمراد النهي عن عبادتها، أو عن الذبح تقربا إليها، كما كانت العرب تفعل. ﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي الكذب، وقيل: شهادة الزور.

﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَآءِ﴾ الآية تمثيل للمشرك بمن أهلك نفسه أشد الهلاك. ﴿سَحِيقٍ﴾ أي بعيد.

﴿شَعَآئِرَ اللَّهِ﴾ قيل: هي الهدايا في الحج وتعظيمها بأن تختار سمانا عظاما غالية الأثمان، وقيل: مواضع الحج كعرفات ومنى والمزدلفة وتعظيمها إجلالها وتوقيرها والقصد إليها، وقيل: الشعائر أمور الدين على الإطلاق وتعظيمها القيام

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ
﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾
لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ
﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا
رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟
وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا
خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا
فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ربع
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ
عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

بها وإجلالها. ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ الضمير عائد على الفعلة التي يتضمنها الكلام وهي مصدر يعظم، وقال الزمخشري: التقدير: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ من قال إن شعائر الله هي الهدايا فالمنافع بها شرب لبنها وركوبها لمن اضطر إليها، والأجل المسمى نحرها، ومن قال إن شعائر الله مواضع الحج فالمنافع التجارة فيها أو الأجر، والأجل المسمى الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة. ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ من قال إن شعائر الله الهدايا فمحلها موضع نحرها وهي منى ومكة، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدي، وثم على هذا القول ليست للترتيب في الزمان لأن محلها قبل نحرها وإنما هي لترتيب الجمل، ومن قال إن الشعائر مواضع الحج فمحلها مأخوذ من إحلال المحرم أي آخر ذلك كله الطواف بالبيت يعني طواف الإفاضة إذ به يحل المحرم من إحرامه ومن قال إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق فذلك لا يستقيم مع قوله محلها إلى البيت.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أي لكل أمة مؤمنة والمنسك اسم مكان أي موضعها لعبادتهم، ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى عبادة والمراد بذلك الذبائح لقوله: ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقربا إلى الأصنام. ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ في وجه اتصاله بما قبله وجهان:

أحدهما: أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبها بقوله: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي هو الذي شرع المناسك لكم ولمن تقدم قبلكم.

والثاني: أنه إشارة إلى الذبائح أي إلهكم إله واحد فلا تذبحوا تقربا لغيره.

﴿الْمُخْبِتِينَ﴾ الخاشعين، وقيل: المتواضعين، وقيل: نزلت[1] في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكذلك قوله بعد ذلك ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ واللفظ فيهما أعم من ذلك.

﴿وَجِلَتْ﴾ خافت. ﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع بدنة وهو ما أشعر من الإبل، واختلف هل يقال للبقرة بدنة وانتصابه بفعل مضمر ﴿مِّن شَعَآئِرِ اللَّهِ﴾ واحدها شعيرة ومن للتبعيض، واستدل بذلك من قال إن شعائر الله المذكورة، أو على العموم في أمور الدين. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قيل: الخير هنا المنافع المذكورة قبل، وقيل: الثواب والصواب العموم في خير الدنيا والآخرة. ﴿صَوَآفَّ﴾ معناه قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، وهي منصوبة على الحال من الضمير المجرور، ووزنه فواعل وواحده صافة. ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي سقطت إلى الأرض عند موتها، يقال وجب الحائط وغيره إذا سقط. ﴿الْقَانِعَ﴾ معناه السائل وهو من قولك: قنع الرجل بفتح النون إذا سأل، وقيل: معناه المتعفف عن السؤال، فهو على هذا من قولك: قنع بالكسر إذا رضي بالقليل. ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بغير سؤال، ووزنه مفتعل يقال اعتررت بالقوم إذا تعرضت لهم، فالمعنى أطعموا من سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله، وأطعموا من تعفف عن السؤال بالكلية ومن تعرض للعطاء. ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ أي كما أمرناكم بهذا كله سخرناها لكم، وقال الزمخشري: التقدير: مثل التسخير الذي علمتم سخرناها لكم.

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ المعنى: لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم

(١) لم أجده مسندا وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/١٥٠ بصيغة التمريض.

ولا بالدماء، وإنما تصلون إليه بالتقوى، أي بالإخلاص لله وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا، فعبر عن هذا المعنى بلفظ ينال مبالغة وتأكيدا، كأنه قال: لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله، وإنما تصل إليه بالتقوى منكم، فإن ذلك هو الذي طلب منكم وعليه يحصل لكم الثواب، وقيل: كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بالدماء فأراد المسلمون فعل ذلك فنهوا عنه ونزلت الآية[(١)]. ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كرر للتأكيد. ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ قيل: يعني قول الذابح بسم الله والله أكبر، واللفظ أعم من ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم، وحذف مفعول يدافع ليكون أعظم وأعم وقرئ[(٢)] يدافع بالألف ويدفع بسكون الدال من غير الألف وهما بمعنى واحد[(٣)] أجريت فاعل مجرى فعل كقولك: عاقبت اللص، وقال الزمخشري: يدافع معناه يبالغ في الدفع عنهم لأنه للمبالغة وفعل المغالبة أقوى. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الخوان مبالغة في خائن والكفور مبالغة في كافر قال الزمخشري هذه الآية عليه لما قبلها.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال ونسخت الموادعة مع الكفار، وكان نزولها عند الهجرة وقرئ[(٤)] أذن بضم الهمزة على البناء

---

(١) أخرجه ابن المنذر وابن مردويه كما في الدر المنثور: ٦/٥٥ عن ابن عباس.

(٢) وقرأ نافع والحسن وأبو جعفر ﴿يدافع﴾ ﴿ولولا دفاع﴾ وقرأ أبو عمرو وابن كثير ﴿يدفع ولولا دفع﴾ وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿يدافع ولولا دفع﴾ المحرر الوجيز: ٤/١٥٢، وينظر النشر: ٢/٣٦٦.

(٣) قال ابن عطية: قال أبو علي أجريت دافع في هذه القراءة مجرى دفع كعاقبت اللص وطابقت النعل فجاء المصدر دفعا قال أبو الحسن والأخفش أكثر الكلام أن الله يدفع ويقولون دافع الله عنك إلا أن دفع أكثر. المحرر الوجيز: ٤/١٥٢.

(٤) ﴿أذن للذين﴾ قرأ المدنيان والبصريان وعاصم بضم الهمزة، واختلف عن إدريس عن خلف=

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ
﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا
ٱللَّهُ وَلَوْلَا دِفَٰعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ
وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا
وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ
إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ
ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ
مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ
لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

لما لم يسم فاعله، وبالفتح على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه وقرئ[(١)] يقاتلون بفتح التاء وكسرها. ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ أي بسبب أنهم ظلموا.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ يعني الصحابة فإن الكفار آذوهم وأضروا بهم حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة، ومنهم من هاجر إلى المدينة، ونسب الإخراج إلى الكفار لأن الكلام في معرض إلزامهم الذنب ووصفهم بالظلم. ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ قال ابن عطية: هو استثناء منقطع لا يجوز فيه البدل عند سيبويه، وقال الزمخشري: أن يقولوا في محل الجر على الإبدال من حق. ﴿وَلَوْلَا دِفَٰعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ الآية تقوية للإذن في القتال، وإظهار للمصلحة التي فيه، كأنه يقول: لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين، وقيل: المعنى لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة، والأول أليق بسياق الآية، وقرئ[(٢)] دفاع بالألف مصدر دافع وبغير ألف مصدر دفع. ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ قرئ[(٣)]

= فروى عنه الشطي كذلك وروى الباقون بفتحها، وكذلك قرأ الباقون. النشر: ٢/٣٦٦.

(١) ﴿يقاتلون بأنهم﴾ قرأ المدنيان وابن عامر وحفص بفتح التاء مجهلاً، وقرأ الباقون بكسرها مسمى. المصدر السابق.

(٢) تقدم قبل قليل عند ﴿يدافع﴾.

(٣) ﴿لهدمت صوامع﴾ قرأ المدنيان وابن كثير بتخفيف الدال، وقرأ الباقون بتشديدها. النشر: ٢/٣٦٦.

بالتخفيف والتشديد للمبالغة. ﴿صَوَامِعُ﴾ جمع صومعة بفتح الميم وهي موضع العبادة، وكانت للصابئين ولرهبان النصارى، ثم سمي بها في الإسلام موضع الأذان، والبيع جمع بيعة بكسر الباء وهي كنائس النصارى، والصلوات كنائس اليهود، وقيل: هي مشتركة لكل أمة، والمراد بها مواضع الصلوات، والمساجد للمسلمين، فالمعنى لولا دفع الله لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة في أزمانهم، ولاستولى المشركون على هذه الأمة فهدموا مواضع عباداتهم. ﴿يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ﴾ الضمير لجميع ما تقدم من المتعبدات، وقيل: للمساجد خاصة. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ أي من ينصر دينه وأولياءه، وهو وعد تضمن الحض على القتال.

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ﴾ الآية، قيل: يعني أمة سيدنا محمد ﷺ، وقيل: الصحابة، وقيل: الخلفاء الأربعة؛ لأنهم الذين مكنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية ضمير الفاعل لقريش، والخطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له، والوعيد لهم.

﴿نَكِيرِ﴾ مصدر بمعنى الإنكار.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ العرش: السقف، فإن تعلق الجار بخاوية فالمعنى أن العروش سقطت ثم سقطت الحيطان عليها فهي فوقها، وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال، فالمعنى: أنها خاوية مع بقاء عروشها. ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي لا يستقى الماء منها لهلاك أهلها، وروي: أن هذه البئر هي الرس[1]، وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود، والأظهر أنه لم يرد التعيين لقوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وهذا اللفظ يراد به التكثير. ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ أي مبني بالشيد وهو الجص، وقيل: المشيد المرفوع البنيان.

---

(١) لم أجده مسندا.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾
• قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾
فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ
﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا
إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا
يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ
لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

نصف

﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ﴾ دليل على أن العقل في القلب، خلافا للفلاسفة في قولهم: إنه في الدماغ. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ أي لا تعمى الأبصار عمى يعتد به، وإنما العمى الذي يعتد به عمى القلوب، وإن هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم ولكن عميت قلوبهم، فالمعنى الأول لقصد المبالغة، والثاني خاص بهؤلاء القوم. ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ مبالغة كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير لكفار قريش. ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إخبار يتضمن الوعيد بالعذاب، وسماه وعدا لأن المراد به مفهوم. ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ المعنى أن يوما من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا، ولذلك قال ﷺ: «**يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وذلك خمسمائة سنة**»[1] وقيل المعنى: إن يوما واحدا من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب، فإن أيام البؤس طويلة وإن كانت في الحقيقة قصيرة، وفي كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب، إلا أن الأول أرجح؛ لأن الألف سنة فيه حقيقة، وقيل: إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ ذكر أولا القرى التي أهلكها بغير إملاء، وذكر هنا التي

---

(١) صحيح أخرجه الترمذي الحديث رقم: (٢٣٥٣)، وابن ماجه الحديث رقم: (٤١٢٢)، والنسائي في تفسيره رقم: (٣٦٨)، وأحمد: ٢/٢٩٦، وابن حبان في صحيحه: ٢/٢٩٦.

أهلكها بعد الإملاء، والإملاء هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد، وعطف هذه الجملة بالواو على الجمل المعطوفة قبلها بالواو، وقال في الأولى فكأين لأنه بدل من قوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿سَعَوْا فِي ءَايَٰتِنَا﴾ أي سعوا فيها بالطعن عليها وهو من قولك: سعى في الأمر إذا جد فيه لقصد إصلاحه أو إفساده. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ بالألف أي مغالبين لأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي عجزهم فصارت مفاعلة وقرئ[1] بالتشديد من غير ألف ومعناه أنهم يعجزون الناس عن الإسلام أي يثبطونهم عنه.

﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ النبيء أعم من الرسول، فكل رسول نبيء وليس كل نبيء رسولا، فقدم الرسول لمناسبته لقوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ وأخر النبي لتحصيل العموم، لأنه لو اقتصر على رسول لم يدخل في ذلك من كان نبيئا غير رسول ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ سبب هذه الآية[2] أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين، فلما بلغ إلى قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ألقى الشيطان: تلك الغرانيق العلى، منها الشفاعة ترتجى، فسمع ذلك لمشركون ففرحوا به، وقالوا هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد. واختلف في كيفية إلقاء الشيطان، فقيل: إن الشيطان هو الذي تكلم بذلك، وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به؛ لأنه قرب صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين، وقيل: إن النبي ﷺ هوالذي تكلم بذلك على وجه الخطإ والسهو؛ لأن الشيطان أنساه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد، والقول الثاني أشهر عند المفسرين

---

(١) ﴿معاجزين﴾ هنا وفي الموضعين من سبإ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الجيم من غير ألف في الثلاثة، وقرأ الباقون بالتخفيف والألف فيهن. النشر: ٢/٣٦٧.

(٢) أخرجه الكلبي في تفسيره كما في فتح الباري ٨/٦٦ بسند ضعيف، وهذا الأثر باطل رواية ودراية عند أهل التحقيق، وألف العلماء تآليف كثيرة في رده.

والناقلين لهذه القصة، والقول الأول أرجح لأن النبي ﷺ معصوم في التبليغ، فمعنى الآية أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان. واختلف في معنى تمنى وأمنيته في هذه الآية، فقيل: تمنى بمعنى تلا، والأمنية التلاوة، أي إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده في تلاوته، وقيل: هو من التمني بمعنى حب الشيء، وهذا المعنى أشهر في اللفظ، أي تمنى النبي ﷺ مقاربة قومه واستئلافهم، وألقى الشيطان ذلك في هذه الأمنية ليعجبهم ذلك. ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي يبطله كقولك: نسخت الشمس الظل.

﴿لِّيَجْعَلَ﴾ متعلق بقوله ينسخ ويحكم. ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي أهل الشك. ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المكذبون، وقيل الذين في قلوبهم مرض عامة الكفار والقاسية قلوبهم أشدهم كفرا وعتوا، كأبي جهل. ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ يعني بالظالمين المذكورين قبل، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمر ليقضي عليهم بالظلم، والشقاق العداوة ووصفه ببعيد لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ قيل: يعني الصحابة، واللفظ أعم من ذلك. ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الضمير عائد على القرآن، قال الزمخشري: هو لتمكين الشيطان من الإلقاء. ﴿فَتُخْبِتَ﴾ أي تخشع.

﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ الضمير للقرآن أو للنبي ﷺ، أو إلقاء الشيطان. ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يعني يوم بدر، ووصفه بالعقيم لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم، لأنهم يقتلون فيه، وقيل: هو يوم القيامة والساعة مقدماته ويقوي ذلك قوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ ثم قسم الناس إلى قسمين: أصحاب الجحيم، وأصحاب النعيم.

﴿قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟﴾ روي: أن قوما قالوا يا رسول الله قد علمنا ما أعطى الله لمن قتل من الخيرات فما لمن مات معك فنزلت الآية[١] معلمة أن الله يرزق من

(١) لم أقف عليه.

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

ربع

قتل ومن مات معا، ولا يقتضي ذلك المساواة بينهم؛ لأن تفضيل الشهداء ثابت. ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ يحتمل أن يريد به الرزق في الجنة بعد يوم القيامة، أو رزق الشهداء في البرزخ، والأول أرجح؛ لأنه يعم الشهداء والموتى.

﴿مُّدْخَلًا﴾ يعني الجنة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديره هنا الأمر ذلك، كما يقول الكاتب: هذا وقد كان كذا إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر.

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ سمى الابتداء عقوبة باسم الجزاء عليها تجوزا كما تسمى العقوبة أيضا باسم الذنب ووعد بالنصر لمن بغي عليه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ إن قيل: ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن في ذكر هذين الوصفين إشعارا بأن العفو أفضل من العقوبة فكأنه حض على العفو.

والثاني: أن في ذكرهما إعلاما بعفو الله عن المعاقب، حين عاقب ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ أي ذلك النصر بسبب أن الله قادر، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في اليل، ومعنى الإيلاج هنا: أنه يدخل ظلمة هذا في مكان ضوء هذا، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا، وقيل:

الإيلاج هو ما ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي ذلك الوصف الذي وصف الله به، هو بسبب أنه الحق.

﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ تصبح هنا بمعنى تصير وفهم بعضهم أنه أراد صبيحة ليلة المطر فقال لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة والبلاد الحارة، وأما على معنى تصير فذلك عام في كل بلد، والفاء للعطف وليست بجواب، ولو كانت جوابا لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لنصبت الفعل وكان المعنى نفي خضرتها، وذلك خلاف المقصود، وإنما قال تصبح بلفظ المضارعة ليفيد بقاءها كذلك مدة. ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك. ﴿أَن تَقَعَ﴾ في موضع مفعول على تقدير عن أن تقع، وقال الزمخشري: كراهة أن تقع فهو مفعول من أجله. ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة، فجعل طي السماء كوقوعها أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء.

﴿أَحْيَاكُمْ﴾ أي أوجدكم بعد العدم، وعبر عن ذلك بالحياة لأن الإنسان قبل ذلك تراب فهو جماد بلا روح، ثم أحياه بنفخ الروح. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ يعني الموت المعروف. ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني البعث. ﴿لَكَفُورٌ﴾ أي جحود للنعمة.

﴿مَنسَكًا﴾ هو اسم مصدر لقوله: ﴿نَاسِكُوهُ﴾ ولو كان اسم مكان لقال ناسكون فيه. ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾ ضمير الفاعل للكفار، والمعنى أنهم لا ينبغي لهم منازعة النبي ﷺ لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي والمراد غير النهي. وقيل: المعنى لا تنازعهم فينازعوك، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، ويحتمل أن يكون نهيا لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ. ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي في الدين والشريعة، أو في الذبائح. ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي ادع الناس إلى عبادة ربك.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي
الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ
إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٤﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ
جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ
رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٥﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٧﴾ • أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٦٨﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ
سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ
﴿٦٩﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ
يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ
النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٠﴾

﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ الآية تقتضي موادعة منسوخة بالقتال.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ، والإشارة بذلك إلى معلومات الله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة بذلك إلى كتب المعلومات في الكتاب، أو إلى الحكم في الاختلاف، والأول أظهر.

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يعني الأصنام والسلطان هنا الحجة والبرهان ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾ قيل: إنه يعني ما ليس لهم به علم ضروري فنفى أولا البرهان النظري، ثم العلم الضروري، وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى، بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظري معا.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ﴾ أي الإنكار لما يسمعون فالمنكر مصدر كالمكرم بمعنى الإكرام، ويعرف ذلك في وجوههم بعبوسها وإعراضها. ﴿يَسْطُونَ﴾ من السطوة وهي سرعة البطش. ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ يحتمل أن تكون النار مبتدإ ووعدها الله خبره أو يكون النار خبر ابتداء، كأن قائلا قال: ما هو؟ فقيل: هو النار ويكون وعدها الله استئنافا وهذا أظهر.

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ أي ضربه الله لإقامة الحجة على المشركين. ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى، والمعنى أن الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره، فكيف تعبدون من دون الله الذي خلق كل شيء، ثم أوضح عجزهم بقوله: ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي لو تعاونوا على

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن
يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ
ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟
ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ
جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ
حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ
وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ
عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟
بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُون

خلق الذباب لم يقدروا عليه. ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ بيان أيضا بعجز الأصنام بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه، وقد قيل: إن المراد بما يسلب الذباب منهم: الطيب الذي كانت تجعله العرب على الأصنام واللفظ أعم من ذلك. ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ المراد بالطالب الأصنام وبالمطلوب الذباب؛ لأن الأصنام تطلب من الذباب ما سلبته منها، وقيل: الطالب الكفار والمطلوب الأصنام؛ لأن الكفار يطلبون الخير منهم.

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي ما عظموه حق تعظيمه.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر.

﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره، للحديث الصحيح[(١)] الوارد في ذلك، خلافا للمالكية. ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ عموم في العبادة بعد ذكر الصلاة التي عبر عنها بالركوع والسجود، وإنما قدمها لأنها أهم العبادات. ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ قيل: المراد صلة الرحم، وقال ابن عطية: هي في

---

(١) ولفظه: قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سُورَةِ الْحَجِّ سَجْدَتَانِ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْهُمَا فَلَا يَقْرَأْهُمَا». أبو داود الحديث رقم: (١٤٠٤)، والترمذي الحديث رقم: (٥٧٨)، وأحمد: ٤/١٥١، والدارقطني في سننه: ١/٤٠٨. الحديث صححه أحمد شاكر كما في حاشيته على سنن الترمذي: ٢/٤٧١، وحسنه الألباني كما في تعليقه على سنن أبي داود: ١/٥٣٠.

الندب مما[1] عدا الواجبات، واللفظ أعم من ذلك كله.

﴿وَجَاهِدُواْ فِي اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد جهاد الكفار أو جهاد النفس والشيطان أو الهوى أو العموم في ذلك. ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ قيل إنه منسوخ كنسخ ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بقوله ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وفي ذلك نظر وإنما أضاف الجهاد إلى الله ليبين بذلك فضله واختصاصه بالله. ﴿اجْتَبَاكُمْ﴾ أي اختاركم من بين الأمم. ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ أي مشقة، وأصل الحرج الضيق. ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ انتصب ملة بفعل مضمر، تقديره: أعني بالدين ملة إبراهيم، أو التزموا ملة إبراهيم، وقال الفراء: انتصب على تقدير حذف الكاف، كأنه قال كملة، وقال الزمخشري: انتصب بمضمون ما تقدم كأنه قال: وسع عليكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف، فإن قيل: لم يكن إبراهيم أبا للمسلمين كلهم، فالجواب: أنه أبا لرسول الله ﷺ، وكان أبا لأمته لأن أمة الرسول في حكم أولاده، ولذلك قرئ[2]: (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم)، وأيضا: فإن قريشا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم، وهم أكثر الأمة، فاعتبرهم دون غيرهم. ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ﴾ الضمير لله تعالى، ومعنى من قبل في الكتب المتقدمة. ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي في القرآن، وقيل: الضمير لإبراهيم والإشارة إلى قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ ومعنى ﴿مِن قَبْلُ﴾ على هذا من قبل وجودكم، وهنا يتم الكلام على هذا القول، ويكون قوله ﴿وَفِي هَذَا﴾ مستأنفا، أي وفي هذا إبلاغ، والقول الأول أرجح وأقل تكلفا، ويدل عليه قراءة أبي بن كعب «الله سماكم المسلمين»[3]. ﴿شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾ تقدم معنى هذه الشهادة في البقرة. ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ﴾ الظاهر أنها المكتوبة به لاقترانها مع الزكاة. ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ معناه هنا وليكم وناصركم بدلالة ما بعد ذلك.

---

(١) في نسخة (ف) والمطبوع (فيما).

(٢) هذه القراءة تعزى لابن مسعود، وابن عباس وغيرهما. الطبري في جامع البيان: ٢٠٩/٢٠، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٤٢٥/٤، والكشاف للزمخشري: ٥٣٢/٣.

(٣) لم أجده مسندا، وفي الطبري بسنده عن عطاء بن أبي رباح، أنه سمع ابن عباس يقول: «الله سماكم المسلمين من قبل». ٦٩١/١٨.

سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ
(٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ
لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥)
إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ
(٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ
هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ
صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ
يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ
(١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ
(١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧)

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ الخشوع: حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع، وقد عد بعض الفقهاء الخشوع في فرائض الصلاة؛ لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث: «لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها»[١] والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب، فقد يحضر القلب ولا يخشع.

﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ اللغو هنا الساقط من الكلام، كالسب واللهو والكلام بما لا يعني وعدد أنواع المنهي عنه من الكلام عشرون نوعا، ومعنى الإعراض عنه: عدم الاستماع إليه والدخول فيه، ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى.

﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي مؤدون فإن قيل: لم قال ﴿فَاعِلُونَ﴾ ولم يقل

---

(١) لم أقف على هذا اللفظ مرفوعا، وفي سنن أبي داود عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلاَّ عُشْرُ صَلاَتِهِ تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا» الحديث رقم: (٦٩٦)، والنسائي في الكبرى: ٢/٢٨١، وأحمد: ٤/٣١٩.

وفي حلية الأولياء: عن سفيان: يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها، ٧/٦١، وهو في مدارج السالكين: ١/٢٥٩ باللفظ الذي أورده المؤلف، لكنه لم ينسبه للحديث.

مؤدون؟ فالجواب: أن الزكاة لها معنيان:

أحدهما: الفعل الذي يفعله المزكي أي أداء ما يجب على المال.

والآخر: المقدار المخرج من المال كقولك: هذه زكاة مالي، والمراد هنا الفعل لقوله: ﴿فَٰعِلُونَ﴾ ويصح المعنى الآخر على حذف تقديره، هم لأداء الزكاة فاعلون.

﴿عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله: ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ أي لا يلامون على أزواجهم، ويمكن أن يتعلق بقوله: ﴿حَٰفِظُونَ﴾ على أن يكون على بمعنى عن. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ يعني النساء المملوكات، قال الزمخشري: إنما قال ما ملكت ولم يقل من لأن الإناث يجرين مجرى غير العقلاء.

﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ يعني ما سوى الزوجات والمملوكات.

﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد أمانة الناس وعهدهم، أو أمانة الله وعهده في دينه، أو العموم، والأمانة أعم من العهد؛ لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد متقدم. ﴿رَٰعُونَ﴾ أي حافظون لها قائمون بها.

﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ المحافظة عليها هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها، فإن قيل: كيف كرر ذكر الصلوات أولا وآخرا؟ فالجواب: أنه ليس بتكرار لأنه قد ذكر أولا الخشوع فيها، وذكر هنا المحافظة عليها، فهما مختلفان، وأضاف الصلاة في الموضعين إليهم دلالة على ثبوت فعلهم لها.

﴿الْوَٰرِثُونَ﴾ أي المخلصون للجنة فالميراث استعارة، وقيل: إن الله جعل لكل إنسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار، فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة.

﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ مدينة الجنة، وهي جنة الأعناب، وأعاد الضمير عليها مؤنثا على معنى الجنة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ اختلف: هل يعني آدم، أو جنس بني آدم؟ ﴿مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ السلالة هي ما يسل من الشيء أي ما يستخرج منه، ولذلك قيل: إنها الخلاصة، والمراد بها هنا القطعة التي أخذت من الطين وخلق منها آدم، فإن أراد بالإنسان آدم فالمعنى: أنه خلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين، ولكن قوله بعد هذا: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً﴾ لا بد أن يراد به بنو آدم، فيكون الضمير يعود على غير مذكور، ولكن يفسره سياق الكلام وإن أراد بالإنسان ابن آدم فيستقيم عود الضمير عليه، ويكون معنى خلقه من سلالة من طين أي خلق أصله وهو أبوه آدم، ويحتمل عندي أن يراد بالإنسان الجنس الذي يعم آدم وذريته، فأجمل ذكر الإنسان أولا، ثم فصله بعد ذلك إلى الخلقة المختصة بآدم وهي من طين وإلى الخلقة المختصة بذريته وهي النطفة، فإن قيل: ما الفرق بين من ومن؟ فالجواب على ما قال الزمخشري: أن الأولى للابتداء، والثانية للبيان، كقوله: ﴿مِنَ الْأَوْثَانِ﴾.

﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني رحم الأم ومعنى مكين متمكن وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقرة لا من صفة المحل المستقر فيه، ولكنه كقولك طريق سائر أي يسير الناس فيه، وقد تقدم تفسير النطفة والمضغة والعلقة في أول الحج.

﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قيل: هو نفخ الروح فيه، وقيل: خروجه إلى الدنيا، وقيل: استواء الشباب، وقيل: على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ هو مشتق من البركة، وقيل: معناه تقدس. ﴿أَحْسَنُ الْخَـٰلِقِينَ﴾ أي أحسن الخالقين خلقا، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه، وفسر بعضهم الخالقين بالمقدرين فرارا من وصف المخلوق بأنه خالق، ولا يجب أن ينفى عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع، كقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ وإنما الذي يجب أن ينفى عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم فهذا هو الذي انفرد الله به.

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سِينَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ (٢٠) • وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧)

﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ يعني السموات، وسماها طرائق؛ لأن بعضها طورق[1] فوق بعض، كمطارقة النعل، وقيل: يعني الأفلاك؛ لأنها طرق للكواكب.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ يحتمل أن يريد بالخلق المخلوقين أو المصدر.

﴿بِقَدَرٍ﴾ يعني المطر الذي ينزل من السماء فتكون منه العيون والأنهار في الأرض، وقيل: يعني أربعة أنهار، وهي: النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان، ولا دليل على هذا التخصيص، ومعنى بقدر بمقدار معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص منه.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ يعني الزيتون، وإنما خص النخيل والأعناب والزيتون بالذكر؛ لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع، وطور سيناء جبل بالشام وهو الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وينسب الزيتون إليه؛ لأنها فيه كثيرة، وسيناء اسم جبل أضافه إليه، كقوله: جبل أحد وقرئ[2] بفتح السين ولم ينصرف للتأنيث اللازم، وقرئ بالكسر ولم ينصرف للعجمة أو للتأنيث مع التعريف؛ لأن فعلاء بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث، وقيل: معناه مبارك، وقيل: ذو شجرة، ويلزم على ذلك صرفه. ﴿تَنۢبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ يعني الزيت، وقرئ[3] تنبت بفتح

---

(١) في المطبوع طرق.

(٢) ﴿طور سيناء﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٣٦٨.

(٣) ﴿تنبت بالدهن﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بضم التاء وكسر الباء، وقرأ الباقون بفتح التاء وضم الباء. النشر المصدر السابق.

التاء فالمجرور على هذا في موضع الحال، كقولك: جاء زيد بسلاحه، وقرئ بضم التاء وكسر الباء وفيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن أنبت بمعنى نبت.

والثاني: حذف المفعول، تقديره: تنبت ثمرتها بالدهن.

والثالث: زيادة الباء.

﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ الصبغ الغمس في الإدام.

﴿فِي الْأَنْعَامِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، والمقصود بالذكر الإبل لقوله ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ وقد تقدم في النحل ذكر المنافع التي فيها وتذكيرها وتأنيثها.

﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ﴾ استبعدوا أن تكون النبوءة لبشر فيا عجبا منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر. ﴿يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ﴾ أي يطلب الفضل والرياسة عليكم. ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ أي بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله، أو بمثل الكلام الذي قال لهم، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة.

﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي جنون فانظر اختلاف قولهم فيه فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة وتارة إلى الجنون. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي إلى وقت لم يعينوه، ولكن أرادوا وقت زوال جنونه على قولهم، أو وقت موته.

﴿انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ تضمن هذا دعاء عليهم لأن نصرته إنما هي بإهلاكهم وقد تقدم في هود تفسير: بأعيننا، ووحينا، وفار التنور، ولا تخاطبني.

﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ أي أدخل فيها، وقد تقدم تفسير زوجين اثنين.

﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ إن مخففة من الثقيلة ومبتلين اسم فاعل من ابتلى، ويحتمل أن يكون بمعنى الاختبار أو إنزال البلاء.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى
نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا
وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ
ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ
مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ
إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ربع
﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ
﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ
﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ
نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا
لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ قيل: إنهم عاد، ورسولهم هود؛ لأنهم الذين يلون قوم نوح، وقيل: إنهم ثمود ورسولهم صالح، وهذا أصح لقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ وثمود هم الذين أهلكوا بالصيحة، وأما عاد فأهلكوا بالريح.

﴿مِن قَوْمِهِ﴾ قدم هذا المجرور على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لئلا يوهم أنه متصل بقوله: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بخلاف قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ في غير هذا الموضع. ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ أي نعمناهم. ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يحتمل أنهم قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبي من البشر، أو قالوه أنفة من اتباع بشر مثلهم، وكذلك قال قوم نوح.

﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد. ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ كرر أن تأكيدا للأولى، ومخرجون خبر عن الأولى.

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ هذا من حكاية كلامهم وهيهات اسم فعل بمعنى بعد، وقال الغزنوي: هي للتأسف والتأوه، ويجوز فيه الفتح[1] والضم والكسر، والإسكان، وتارة يجيء فاعله دون لام كقوله[2]:

---

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿هيهات هيهات﴾ فقرأ أبو جعفر بكسر التاء منهما، وقرأ الباقون بفتحها فيهما. النشر: ٢/٣٦٨، وباقي الأوجه ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/١٧٤.

(٢) القائل جرير، والبيت بكماله هو:

فهيهات هيهات العقيق وأهله … وهيهات خل بالعقيق نواصله

اللباب في علوم الكتاب: ١٤/٢٠٦، والمحرر الوجيز: ٤/١٧٤.

فهيهات هيهات العقيق وأهله...

وتارة يجيء باللام كهذه الآية قال الزجاج في تفسيره: البعد لما توعدون، فنزله منزلة المصدر، قال الزمخشري: وفيه وجه آخر وهي أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به.

﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ أي ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، فوضع هي موضع الحياة لدلالة الخبر عليها. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي يموت بعض ويولد بعض، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر ومرادهم إنكار البعث.

﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ ما زائدة، وقيل: صفة للزمان، والتقدير: عن زمان قليل يندمون.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَآءً﴾ يعني هالكين كالغثاء، والغثاء ما يحمله السيل من الورق وغيره مما يبلى ويسود، فشبه به الهالكين. ﴿فَبُعْداً﴾ مصدر وضع موضع الفعل بمعنى بعدوا أي هلكوا، والعامل فيه مضمر لا يظهر.

﴿تَتْرَا﴾ مصدر ووزنه فعلى ومعناه التواتر والتتابع، وهو موضوع موضع الحال أي متواترين واحدا بعد واحد، فمن قرأه بالتنوين[1] فألفه للإلحاق ومن قرأه بغير تنوين فألفه للتأنيث فلم ينصرف، وتأنيثه لأن الرسل جماعة والتاء الأولى فيه بدل من واو هي فاء الكلمة. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي يتحدث الناس بما جرى عليهم، ويحتمل أن يكون جمع حديث أو جمع أحدوثة، وهذا أليق لأنها تقال في الشر.

﴿قَوْماً عَالِينَ﴾ أي متكبرين.

---

(١) ﴿تترا﴾ قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين. النشر: ٢/٣٦٨.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا
كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
هَارُونَ ﴿٤٥﴾ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ
مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا
الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾
فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾
فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ
مِن مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾
● إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ أي حامدون متذللون.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الضمير لبني إسرائيل لا لقوم فرعون لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة.

﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ الربوة الموضع المرتفع من الأرض، ويجوز فيها فتح الراء[١] وضمها وكسرها، واختلف في موضع هذه الربوة فقيل بيت المقدس، وقيل بغوطة دمشق، وقيل بفلسطين.

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ القرار المستوي من الأرض فمعناه أنها بسيطة يمكن فيها الحرث والغراسة، وقيل: إن القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين الماء الجاري، فقيل: إنه مشتق من قولك: معن الماء إذا كثر، فالميم على هذا أصلية ووزنه فعيل، وقيل: إنه مشتق من العين فالميم زائدة ووزنه مفعول.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ هذا النداء ليس على ظاهره؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة، وإنما المعنى أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك، وقيل: الخطاب لسيدنا محمد ﷺ، وأقامه مقام الجماعة وهذا بعيد. ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب، أو من المستلذات فالأمر للإباحة. ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قرئ[٢] إن بالكسر على الاستئناف، وبالفتح على معنى لأن

(١) ﴿ربوة﴾ قرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء، وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٢/٢٦٨، وقال ابن عطية: وقرأ ابن عباس ونصر عن عاصم: بكسرها. المحرر الوجيز: ٤/١٧٦.

(٢) قال الداني: الكوفيون: ﴿وإن هذه﴾ بكسر الهمزة، والباقون بفتحها، وخفف ابن عامر النون وشددها الباقون. التيسير، ص: ١٠٧.

وهي متعلقة بقوله آخرا.

﴿فَاتَّقُونِ﴾ وقيل: تتعلق بفعل مضمر، تقديره: واعلموا، والأمة هنا الدين وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره.

﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم﴾ أي افترقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم. ﴿زُبُرًا﴾ جمع زبور وهو الكتاب، والمعنى أنهم افترقوا في اتباع الكتب فاتبعت طائفة التوراة وطائفة الإنجيل وغير ذلك، ووضعوا كتابا من عند أنفسهم.

﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ الضمير لقريش، والغمرة الجهل والضلال وأصلها من غمرة الماء. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هنا يوم بدر أو يوم موتهم.

﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ الآية رد عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم، وأنهم سبب لرضا الله عنهم.

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ هذا خبر أن والضمير الرابط محذوف، تقديره: نسارع به. ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم ففيه معنى التهديد.

﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ قيل: معناه يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات، وقيل: إنه عام في جميع أفعال البر أي يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم، وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي[1] ﷺ إلا أنها قرأت: «يأتون ما أتوا»[2]

---

(١) الترمذي الحديث رقم: (٣١٧٥)، وأحمد في مسنده: ٦/١٥٩، والحاكم في المستدرك: ٢/٣٩٣، والطبري في جامع البيان: ١٩/٤٦، والبغوي في معالم التنزيل: ٥/٤٢١.

(٢) أخرجه أحمد: ٦/٩٥، والسيوطي في الدر المنثور: ٦/١٠٦، والحاكم في المستدرك: ٢/٢٣٥، وصححه، وتعقبه الذهبي. قال ابن عطية: وقرأت عائشة أم المؤمنين وابن عباس وقتادة والأعمش: يأتون ما أتوا ومعناه يفعلون ما فعلوا، ورويت هذه القراءة عن النبي ﷺ. المحرر الوجيز: ٤/١٧٩.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ
(٦٠) أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١) وَلَا
نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ
ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ (٦٣) حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا
هُمْ يَجْـَٔرُونَ (٦٤) لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥) قَدْ
كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ
(٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ
جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ
فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ
وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ (٧٠) وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ
لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ
عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ (٧١) أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٣)
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ (٧٤)

بالقصر، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيرا لهذه القراءة، وقيل: إنه عام في الحسنات والسيئات، أي يفعلونها وهم خائفون من الرجوع الى الله. ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ أن في موضع المفعول من أجله أو في موضع المفعول بوجلت إذ هي في معنى خائفة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فيه معنيان:

أحدهما: أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات.

والآخر: أنهم يتعجلون ثواب الخيرات وهذا مطابق للآية المتقدمة؛ لأنه أثبت فيهم ما نفي عن الكفار من المسارعة.

﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ فيه المعنيان المذكوران في يسارعون للخيرات، وقيل: معناه سبقت لهم السعادة في الأزل.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني أن هذا الذي وصف به الصالحون غير خارج عن الوسع والطاقة، وقد تقدم الكلام على تكليف ما لا يطاق في البقرة. ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ يعني صحائف الأعمال، ففي الكلام تهديد وتأمين من الظلم والحيف.

﴿فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي في غفلة من الدين بجملته، وقيل: من القرآن، وقيل: من الكتاب المذكور، وقيل: من الأعمال التي وصف بها المؤمنون. ﴿وَلَهُمْ

أعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي لهم أعمال سيئة دون الغمرة التي هم فيها، فالمعنى: أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال، والإشارة بذلك على هذا إلى الغمرة، وإنما أشار إليها بالتأكيد لأنها في معنى الكفر، وقيل: الإشارة إلى قوله: ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ أي لهم أعمال سيئة غير المشار إليه حسبما اختلف فيه. ﴿هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ﴾ قيل: هي إخبار عن أعمالهم في الحال، وقيل: عن الاستقبال، وقيل: المعنى أنهم يتمادون على عملها حتى يأخذهم الله فجعل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ غاية لقوله: عاملون.

﴿مُتْرَفِيهِم﴾ أي أغنياؤهم وكبراؤهم. ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ أي يستغيثون ويصيحون، فإن أراد بالعذاب قتل المترفين يوم بدر، فالضمير في يجأرون لسائر قريش، أي صاحوا وناحوا على القتلى، وإن أراد بالعذاب شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة، فالضمير لجميعهم.

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ تقديره: يقال لهم يوم العذاب لا تجأروا، ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة وأن يكون بلسان الحال، ولفظه نهي ومعناه أن الجؤار لا ينفعهم.

﴿عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ أي ترجعون إلى وراء، وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهي القرآن.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ قيل: إن الضمير عائد على المسجد الحرام، أو على الحرم وإن لم يذكر؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام، والمعنى: أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام لأنهم أهله وولاته، وقيل: إنه عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات، والمعنى على هذا أن القرآن يحدث لهم عتوا وتكبرا، وقيل: إنه يعود على النبي ﷺ، وهو على هذا متعلق بسامراً. ﴿سَـٰمِرًا﴾ مشتق من السمر وهو الجلوس بالليل للحديث، وكانت قريش تجتمع بالليل في المسجد فيتحدثون، وكان

أكثر حديثهم سب النبي ﷺ، وسامراً مفرد بمعنى الجمع، وهو منصوب على الحال، فمن جعل الضمير في به للنبي ﷺ، فالمعنى: أنهم سامرون بذكره وسبه. ﴿تُهْجِرُونَ﴾ من قرأ بضم التاء[1] وكسر الجيم فمعناه تقولون الهجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام، ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم فهو من الهجر بفتح الهاء أي تهجرون الإسلام والنبي ﷺ والمؤمنين، أو من قولك: هجر المريض إذا هذى، أي تقولون اللغو من القول.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ يعني القرآن وهذا توبيخ لهم. ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ معناه أن النبوءة ليست ببدع فينكرونها، بل قد جاءت آباءهم الأولين، فقد كانت النبوءة لنوح وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ﴾ المعنى: أم لم يعرفوا محمدا ﷺ ويعلموا أنه أشرفهم حسبا، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأرجحهم عقلا، فكيف ينسبونه إلى الكذب، أو إلى الجنون، أو غير ذلك من النقائص، مع أنه جاءهم بالحق الذي لا يخفى على كل ذي عقل سليم، وأنه عين الصواب.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ الاتباع هنا استعارة، والحق هنا يراد به الصواب والأمر المستقيم، فالمعنى: لو كان الأمر على ما تقتضي أهواءهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وقيل: إن الحق في الآية هو الله تعالى، وهذا بعيد في المعنى، وإنما حمله عليه أن جعل الاتباع حقيقة ولم يفهم فيه الاستعارة، وإنما الحق هنا هو المذكور في قوله: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ يحتمل أن يكون بتذكيرهم ووعظهم أو بفخرهم وشرفهم وهذا أظهر.

---

(١) ﴿تهجرون﴾ قرأ نافع بضم التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بفتح التاء وضم الجيم. النشر: ٢/٣٦٨.

ربع

• وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ
شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي
ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٨٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨١﴾ بَلْ قَالُوا
مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٣﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا
مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٤﴾ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ
وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا
تَذَّكَّرُونَ ﴿٨٦﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ ﴿٨٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٨﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٩٠﴾

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً﴾ الخرج هو الأجرة، ويقال فيه خراج، والمعنى واحد وقرئ[1] بالوجهين في الموضعين فهو كقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ أي لست تسألهم أجرا فيثقل عليهم اتباعك. ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي رزق ربك خير من أموالهم، فهو يرزقك ويغنيك عنهم.

﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ أي عادلون ومعرضون عن الصراط المستقيم.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾ الآية قال الأكثرون: نزلت هذه الآية[2] حين دعا رسول الله ﷺ على قريش بالقحط، فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها، فالمعنى: لو رحمناهم بالخصب، وكشفنا ما بهم من ضر الجوع والقحط، لتمادوا على طغيانهم، وفي هذا عندي نظر، فإن الآية مكية باتفاق، وإنما دعا النبي ﷺ على قريش بعد الهجرة حسبما ورد في الحديث[3]، وقيل المعنى: لو رحمناهم

---

(١) ﴿خراجا﴾ هنا والحرف الأول من المؤمنون، فقرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الراء وألف بعدها في الموضعين، وقرأ االباقون بإسكان الراء من غير ألف فيهما، وقرأ ابن عامر ﴿فخرج ربك﴾ ثاني المؤمنين بإسكان الراء وقرأ الباقون بالألف. النشر: ٢/٣٥٤..

(٢) أخرجه النسائي: ٢/٩٨، والطبراني في المعجم الكبير: ١١/٣٧٠، وابن حبان في صحيحه: ٣/٢٤٧، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير: ٣/٢٥١، وحسنه ابن حجر في الفتح: ٦/٥١٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٠٠٧)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٩٨)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٢٥٤)، والنسائي في تفسيره: ١/٥١٩، وأحمد: ١/٣٨٠، وابن حبان في صحيحه: ١٤/٥٤٨.

بالرد إلى الدنيا بعد موتهم، لعادوا لما نهوا عنه، وهذا القول لا يلزم عليه ما يلزم على الآخر، ولكنه خارج عن معنى الآية.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِالْعَذَابِ﴾ قيل: إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر، وهذا مردود بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر، وقيل: إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر والباب المتوعد به هو القحط، وقيل: الباب ذو العذاب الشديد عذاب الآخرة، وهذا أرجح، ولذلك وصفه بالشدة لأنه أشد من عذاب الدنيا، وقال: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي يائسون من الخير، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾. ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا۟﴾ أي ما تذللوا لله ﷻ، وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة في آخر آل عمران. ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ إن قيل: هلا قال فما استكانوا وما تضرعوا، أو فما يستكينون وما يتضرعون باتفاق الفعلين في الماضي أو في الاستقبال؟ فالجواب: أن ما استكانوا عند العذاب الذي أصابهم، وما يتضرعون حتى يفتح عليهم باب عذاب شديد، فنفى الاستكانة فيما مضى ونفى التضرع في الحال والاستقبال.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ما زائدة وقليلا صفة لمصدر محذوف، تقديره: شكرا قليلا تشكرون، وذكر السمع والبصر والأفئدة وهي القلوب لعظم المنافع التي فيها، فيجب شكر خالقها، ومن شكره توحيده واتباع رسوله ﷺ، ففي ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة.

﴿ذَرَأَكُمْ فِى الْأَرْضِ﴾ أي نشركم فيها.

﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي هو فاعله ومختص به فاللام على هذا للاختصاص، وقد ذكر في البقرة معنى اختلاف الليل والنهار.

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة،

ثم فسر قولهم بإنكارهم البعث وإليه الإشارة بقولهم: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ وقد ذكر الاستفهامان في الرعد، وأساطير الأولين في الأنعام.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ هذه الآيات توقيف لهم على أمور لا يمكنهم الإقرار بها، وإذا أقروا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرئ[1] في الأول لله باللام بإجماع جوابا لقوله ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ﴾ وكذلك قرأ الجمهور الثاني والثالث، وذلك على المعنى لأن قوله: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في معنى لمن هي؟ وقرأ أبو عمرو الثاني والثالث بالرفع على اللفظ.

﴿مَلَكُوتُ﴾ مصدر وفي بنائه مبالغة. ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ الإجارة المنع من الإهانة، يقال: أجرت فلانا على فلان إذا منعته من مضرته وإهانته، فالمعنى أن الله تعالى يغيث من شاء ممن شاء، ولا يغيث أحد منه أحدا.

﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي تخدعون عن الحق، والخادع لهم الشيطان، وذلك تشبيه بالسحر في التخليط والوقوع في الباطل، ورتب هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج، فقال أولا: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ثم قال ثانيا: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وذلك أبلغ لأن فيه زيادة تخويف، ثم قال ثالثا: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ يعني فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد، ولذلك رد عليهم بنفي ذلك.

﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ هذا برهان على الوحدانية، وبيانه أن يقال: لو كان مع الله إلها آخر لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر،

---

(١) انظر النشر في القراآت العشر لابن الجزري: ٢/٣٦٩.

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۢ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا
تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ
﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ اِدْفَعْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ • وَقُل رَّبِّ ثمن
أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ الشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ
﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ
قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي
الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن
ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ
مَوَٰزِينُهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ
﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

واستبد كل واحد منهما بملكه وطلب غلبة الآخر والعلو عليه، كما ترى حال ملوك الدنيا، ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كله كرة واحدة علمنا أن مالكه ومدبره واحد لا إله غيره، وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية وغيره بل هو دليل آخر.

فإن قيل: إذاً لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب، فكيف دخلت هنا ولم يتقدم قبلها شرط ولا سؤال سائل؟ فالجواب: أن الشرط محذوف، تقديره: لو كان معه آلهة، وإنما حذف لدلالة قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ وهو جواب للكفار الذين وقع الرد عليهم.

﴿عَٰلِمُ الْغَيْبِ﴾ بالرفع خبر ابتداء وبالخفض صفة لله.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ الآية معناه أن الله أمر نبيه ﷺ أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قضي أن يرى ذلك، وفيها تهديد للظالمين وهم الكفار، وإن شرطية وما زائدة وجواب الشرط ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾ وكرر قوله رب مبالغة في الدعاء والتضرع.

﴿اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ قيل: التي هي أحسن: لا إله إلا الله، والسيئة: الشرك، والأظهر أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق، وهو محكم غير منسوخ، وإنما نسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار.

﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ يعني نزغاته ووساوسه، وقيل: يعني الجنون، واللفظ أعم من ذلك.

﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ معناه أن يكونوا معه، وقيل: يعني حضورهم عند الموت.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ قال ابن عطية: حتى هنا حرف ابتداء أي ليست غاية لما قبلها، وقال الزمخشري: حتى تتعلق بـ ﴿يَصِفُونَ﴾ أي لا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت. ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ يعني الرجوع إلى الدنيا، وخاطب به مخاطبة الجماعة للتعظيم، قال ذلك الزمخشري وغيره، ومثله قول الشاعر:

* ألا فارحمون يا آل محمد *

وقيل: إنه نادى ربه ثم خاطب الملائكة.

﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قيل: يعني فيما تركت من المال، وقيل: فيما تركت من الإيمان، فهو كقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾، والمعنى أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحا في الإيمان الذي تركه أول مرة. ﴿كَلَّا﴾ ردع له عما طلب. ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يعني قوله: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ فسمى هذا الكلام كلمة، وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يقول هذه الكلمة لا محالة لإفراط ندمه وحسرته فهو إخبار بقوله.

والثاني: أن المعنى أنها كلمة يقولها، ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئا.

والثالث: أن يكون المعنى أنه يقولها كاذبا فيها ولو رجع إلى الدنيا لم يعمل صالحا.

﴿وَمِن وَرَائِهِم﴾ أي: فيما يستقبلون من الزمان، والضمير للجماعة المذكورين في قوله: ﴿جَاءَ أَحَدَهُمُ﴾. ﴿بَرْزَخٌ﴾ يعني المدة التي بين الموت والقيامة، وهي

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾
قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَـُٔوا فِيهَا وَلَا
تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا
فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ
﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾
قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا
أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ الْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ
أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ • أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا
وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا
بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الْكَٰفِرُونَ
﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

ربع

سورة النور

تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا، وأصل البرزخ الحاجز بين شيئين.

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ المعنى أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة لاشتغال كل أحد بنفسه، كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾، فتكون الأنساب كأنها معدومة. ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل واحد بنفسه، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾؟ فالجواب أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ثم يتساءلون بعد ذلك، فإن يوم القيامة يوم طويل، فيه مواقف كثيرة.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ أي تصيبهم بالإحراق. ﴿كَٰلِحُونَ﴾ الكلوح: انكشاف الشفتين عن الأسنان، وكثيرا ما يجري ذلك للكلاب، وقد يجري للكباش إذا شويت رؤوسها، وفي الحديث[١] إن شفة الكافر ترتفع في النار حتى تبلغ وسط رأسه، وفي ذلك عذاب وتشويه.

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي ما قدر عليهم من الشقاء وقرئ[٢] شقاوتنا والمعنى واحد.

---

(١) ضعيف أخرجه الترمذي في سننه، الحديث رقم: (٣١٧٦)، وأحمد في المسند: ٣/٨٨، والحاكم في المستدرك: ٢/٣٩٥، والبغوي في معالم التنزيل: ٥/٤٣٠.

(٢) ﴿شقوتنا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الشين والقاف وألف بعدها، وقرأ الباقون بكسر الشين وإسكان القاف من غير ألف. النشر: ٢/٣٦٩.

﴿قَالَ اخْسَئُوا﴾ كلمة تستعمل في زجر الكلاب، ففيها إهانة وإبعاد. ﴿وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾ أي لا تكلمون في رفع العذاب فحينئذ ييئسون من ذلك أعاذنا الله من ذلك برحمته.

﴿سُخْرِيّاً﴾ بضم السين من السخرة بمعنى التخديم وبالكسر من السخر بمعنى الاستهزاء وقد يقال هذا بالضم وقرئ[١] هنا بالوجهين لاحتمال المعنيين على أن معنى الاستهزاء هنا أليق لقوله: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ يعني في جوف الأرض أمواتا وقيل أحياء في الدنيا فأجابوا بأنهم لبثوا يوما أو بعض يوم لاستقصارهم المدة، أو لما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئا.

﴿فَسْئَلِ الْعَآدِّينَ﴾ أي: اسأل من يقدر على أن يعد وهو من عوفي مما ابتلوا به، أو يعنون الملائكة.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ معناه أنه قليل بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين أبدا.

﴿عَبَثاً﴾ أي باطلا، والمعنى: إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب.

﴿لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ أي لا حجة ولا دليل، والجملة صفة لقوله: ﴿إِلَهاً ءَاخَرَ﴾ وجواب الشرط. ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن، وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين، ليبين البون بين الفريقين؟ والله أعلم.

*** *** ***

(١) ﴿سخريا﴾ قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها. المصدر السابق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
(١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا
تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ
وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً
أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ (٣) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا
أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦)
وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ
عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨)
وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

سورة النور

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ السورة خبر ابتداء مضمر، أو مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: فيما أنزل عليكم سورة وأنزلناها صفة للسورة. ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي فرضنا الأحكام التي فيها، وقرئ[1] بالتشديد للمبالغة. ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال، وقيل: معنى ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ هنا ليس فيها مشكل.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الزانية والزاني يراد بهما الجنس، وقدم الزانية لأن الزنا كان حينئذ في النساء أكثر، فإنه كان منهن إماء وبغايا يجاهرن بذلك، وإعراب الزاني والزانية كإعراب السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما، وقد ذكر في المائدة، وهذه الآية ناسخة بإجماع لما في سورة النساء من الإمساك في البيوت في الآية الواحدة، ومن الأذى في الأخرى، ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومه، فإن جلد المائة إنما هو حد الزاني والزانية إذا كانا مسلمين حرين غير محصنين، فيخرج منها الكفار فيردون إلى أهل دينهم، ويخرج منها العبد والأمة، والمحصن والمحصنة.

فأما العبد والأمة فحدهما: خمسون جلدة سواء كانا محصنين أو غير

(١) ﴿وفرضناها﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بتشديد الراء، وقرأ الباقون بتخفيفها. النشر: ٢/٣٧٠، والتيسير، ص: ١٠٨.

محصنين، وأما المحصنان الحران فحدهما: الرجم، هذا على مذهب مالك.

وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب، فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم في المسلمين والكافرين، وفي الأحرار والعبيد والإماء، وفي المحصن وغير المحصن، ثم إن العلماء خصصوا من هذا العموم أشياء منها باتفاق ومنها باختلاف.

فأما الكفار: فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدهم جلد مائة أحصنوا أو لم يحصنوا أخذا بعموم الآية، ورأى الشافعي أن حدهم كحد المسلمين الجلد إن لم يحصنوا والرجم إن أحصنوا أخذا بالآية، ويرجم النبي ﷺ لليهودي واليهودية إذ زنيا[1] ورأى مالك أن يردوا إلى أهل دينهم، لقوله تعالى في سورة النساء ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ فخص نساء المسلمين على أنها قد نسختها هذه، ولكن بقيت في محلها.

وأما العبد والأمة: فرأى أهل الظاهر أن حد الأمة خمسون جلدة، لقوله تعالى: ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ وأن حد العبد الجلد مائة لعموم الآية، وقال غيرهم: يجلد العبد خمسين بالقياس على الأمة، إذ لا فرق بينهما.

وأما المحصن: فقال الجمهور: حده الرجم فهو مخصوص من هذه الآية، وبعضهم يسمي هذا التخصيص نسخا، ثم اختلفوا في المخصص أو الناسخ، فقيل: الآية التي ارتفع لفظها وبقي حكمها، وهي قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»[2]، وقيل: الناسخ لها السنة الثابتة في الرجم، وقال أهل الظاهر وعلي بن أبي طالب: يجلد المحصن بالآية، ثم يرجم بالسنة[3]

(١) تقدم تخريجه، في سورة المائدة.

(٢) رواه البخاري: ٦/٢٦٢٢، ومسلم الحديث رقم: (١٤٥٢)، والمسند الحديث رقم: (٢١٢٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٧/٣٢٨.

فجمعوا عليه الحدين ولم يجعلوا الآية منسوخة ولا مخصصة، وقال الخوارج: لا رجم أصلا، فإن الرجم ليس في كتاب الله، ولا يعتد بقولهم، وظاهر الآية الجلد دون تغريب، وبذلك قال أبو حنيفة، وقال مالك: الجلد والتغريب سنة للحديث، وهو قوله ﷺ: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»[1] ولا تغريب على النساء، ولا على العبيد عند مالك، وصفة الجلد عند مالك في الظهر والمجلود جالس، وقال الشافعي: يفرق على جميع الأعضاء والمجلود قائم، وتستر المرأة بثوب لا يقيها الضرب، ويجرد الرجل عند مالك، وقال قوم: يجلد على قميص.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قيل: يعني في إسقاط الحد أي أقيموه ولا بد، وقيل: في خفيف الضرب، وقيل: في الوجهين، فعلى القول الأول يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرح، وهو مذهب مالك والشافعي، وعلى القول الثاني والثالث يكون الضرب في الزنا أشد، واختلف هل يجوز أن يجمع مائة سوط يضرب بها مرة واحدة؟ فمنعه مالك وأجازه أبو حنيفة، لما ورد في قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ[2] وأجازه الشافعي للمريض لورود ذلك في الحديث[3]. ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد بذلك توبيخ الزناة والغلظة عليهم، واختلف في أقل ما يجزئ من الطائفة، فقيل: أربعة اعتبارا بشهادة الزنا وهو قول ابن أبي

---

(١) رواه البخاري الحديث رقم: (٢٥٠٦)، ومسلم الحديث رقم: (١٦٩٨)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٤٤٥)، والنسائي الحديث رقم: (٥٤١٠)، والترمذي الحديث رقم: (١٤٣٣)، والطبري في جامع البيان: ٧٨/٨.

(٢) صحيح عن قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١٦٧/٢، والطبري في جامع البيان: ٢١٣/٢١.

(٣) ولفظه: ... عن سعيد بن سعد بن عبادة، قال: كان بين أبياتنا رجل مخدج ضعيف، فلم يرع إلا وهو على أمة من إماء الدار يخبث بها، فرفع شأنه سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ، فقال: «اجلدوه ضرب مائة سوط، قالوا يانبي الله هو أضعف من ذلك، لو ضربناه مائة سوط مات، قال: فخذا له عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه ضربة واحدة» أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٥٧٤)، وأحمد في مسنده: ٢٢٢/٥، والنسائي في الكبرى: ٥١/٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: ٨٥/٢.

زيد، وقيل: عشرة، وقيل: اثنين وهو مشهور في مذهب مالك، وقيل: واحد.

﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية معناها ذم الزناة وتشنيع الزنا، وأنه لا يقع فيه إلا زان أو مشرك، ولا يوافقه عليه من النساء إلا زانية أو مشركة، وينكح على هذا بمعنى يجامع، وقيل: معناها لا يحل لزان أن يتزوج إلا زانية أو مشركة، ولا يحل لزانية أن تتزوج إلا زانيا أو مشركا، ثم نسخ هذا الحكم وأبيح لهما التزوج ممن شاؤوا، والأول هو الصحيح. ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الإشارة بذلك إلى الزنا، أي حرم الزنا على المؤمنين، وقيل: الإشارة إلى تزوج المؤمن غير الزاني بزانية، فإن قوما منعوا أن يتزوجها، وهذا على القول الثاني في الآية قبلها وهو بعيد، وأجاز تزويجها مالك وغيره، وروي عنه كراهته.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ هذا حد القذف وهو الفرية التي عبر الله عنها بالرمي، والمحصنات يراد بهن هنا العفائف من النساء، وخصهن بالذكر لأن قذفهن أكثر وأشنع من قذف الرجال، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى إذ لا فرق بينهم، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد، وقيل: إن المعنى: يرمون الأنفس المحصنات فيعم اللفظ على هذا النساء والرجال، ويحتاج هنا إلى الكلام في القذف، والقاذف، والمقذوف، والشهادة في ذلك.

فأما القذف: فهو الرمي بالزنا اتفاقا، أو بفعل قوم لوط عند مالك والشافعي، لعموم لفظ الرمي في الآية، خلافا لأبي حنيفة، أو النفي من النسب، ومذهب مالك أن التعريض بذلك كله كالتصريح، خلافا للشافعي وأبي حنيفة، وأما القاذف فيحد سواء كان مسلما أو كافرا لعموم الآية، وسواء كان حرا أو عبدا، إلا أن العبد والأمة إنما يحدان أربعين عند الجمهور، فنصفوا حدهما قياسا على تنصيفه في الزنا خلافا للظاهرية، ولا يحد الصبي ولا المجنون لكونهما غير مكلفين.

وأما المقذوف: فمذهب مالك أنه يشترط فيه الإسلام والعقل والبلوغ والحرية

والبراءة عما رمي به والتمكن من الوطء تحرزا من المجبوب وشبهه فلا يحد عنده من قذف صبيا أو كافرا أو مجبوبا أو عبدا ومن لا يمكنه الوطء وقد قيل يحد من قذف واحدا منهم لعموم الآية، واتفقوا على اشتراط البراءة مما رمي به.

وأما الشهادة: التي تسقط حد القذف، فهي: أن يشهد شاهدان عدلان بأن المقذوف عبدا أو كافرا، أو يشهد أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قذف به كالمرود في المكحلة، ويؤدون الشهادة مجتمعين.

﴿إِلاَّ ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ تقدم قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام، وهي: الحد، ورد شهادة القاذف، وتفسيقه، فاتفق على أن الاستثناء راجع إلى التفسيق وأن ذلك يزول عنه بالتوبة، واتفق على أنه لا يرجع إلى الحد وأنه لا يسقط عنه بالتوبة، واختلف هل يرجع إلى رد الشهادة أم لا؟ فقال مالك: إذا تاب قبلت شهادته خلافا لأبي حنيفة، وتوبته هو صلاح حاله في دينه، وقيل: إكذاب نفسه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ﴾ هذه الآية في قذف الرجل لامرأته فيجب اللعان بذلك، وسببها[1]: أن رجلا قال يا رسول الله، الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فسكت عنه نبي الله ﷺ، ثم عاد فقال: مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك فأتني بها، فتلاعنا وفرق رسول الله ﷺ بينهما، وموجب اللعان عند مالك شيئان:

أحدهما: أن يدعي الزوج أنه رأى امرأته تزني.

والآخر: أن ينفي حملها ويدعي الاستبراء قبله، فإذا تلاعن الزوج تعلقت به ثلاثة أحكام:

---

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٥٣٠٨)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٤٩٢)، والنسائي في سننه: ٦/١٧٠، وأحمد في مسنده: ٥/٣٣٧، والبغوي في معالم التنزيل: ٦/١٢.

نفي حد القذف عنه، وانتفاء نسب الولد منه، ووجوب حد الزنا عليها إن لم تلاعن، فإن تلاعنت سقط الحد عنها، ولفظ الآية عام في الزوجات الحرائر، والمماليك، والمسلمات، والكافرات، والعدول، وغيرهم، وبذلك أخذ مالك، واشترط في الزوج الإسلام، واشترط أبو حنيفة أن يكونا مسلمين حرين عدلين.

﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعَ شَهَـٰدَاتٍۭ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ أي يقول الزوج أربع مرات: أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني، أو أشهد بالله ما هذا الحمل مني ولقد زنت، وإني في ذلك لمن الصادقين، ثم يقول في الخامسة: لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين، وزاد أشهب أن يقول: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو، وانتصب ﴿أَرْبَعَ شَهَـٰدَاتٍۭ بِاللَّهِ﴾ على المصدرية، والعامل فيه شهادة أحدهم وقرئ[1] بالرفع، وهو خبر شهادة أحدهم، وقوله: ﴿بِاللَّهِ﴾ و﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ من صلة ﴿أَرْبَعَ شَهَـٰدَاتٍۭ﴾ أو من صلة ﴿شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾.

﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَـٰذِبِينَ﴾ قرئ بنصب الخامسة هنا[2] وفي الموضع الثاني، وانتصب بفعل مضمر، تقديره: ويشهد الخامسة، أو بالعطف على أربع شهادات على قراءة النصب، وقرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على أربع شهادات بقراءة الرفع، وقرئ[3] أن لعنة وأن غضب بتشديد أن ونصب اسمها وتخفيفها ورفع اللعنة والغضب على الابتداء.

---

(١) حفص وحمزة والكسائي ﴿أربع شهادات﴾ الأول برفع العين، والباقون بالنصب ولا خلاف في الثاني. التيسير، ص: ١٠٨.

(٢) ﴿والخامسة﴾ الأخيرة، رواه حفص بالنصب، والباقون برفعها. النشر: ٢/٣٧٠ قال الداني: حفص ﴿والخمسة أن غضب الله﴾ بنصب التاء والباقون برفعها، ولا خلاف في الأول. ص: ١٠٨ فلعل ما في الأصل هنا سبق قلم.

(٣) قال الداني: نافع ﴿أن لعنت الله﴾ و﴿أن غضب الله﴾ بتخفيف النون فيهما ورفع التاء وكسر الضاد من ﴿غضب﴾ ورفع الهاء من اسم الله ﷻ، والباقون بتشديد النون، ونصب التاء، وفتح الضاد، وجر الهاء. التيسير، ص: ١٠٨.

● إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي
تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ
الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾
لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ
عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ
تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ العذاب هنا حد الزنا أي يدفعه التعان المرأة وهي أن تقول أربع مرات: اشهد بالله ما زنيت وإنه في ذلك لمن الكاذبين ثم تقول في الخامسة: غضب الله عليها إن كان من الصادقين ويتعلق بالتعانها ثلاثة أحكام: دفع الحد عنها، والتفريق بينها وبين زوجها، وتأبيد الحرمة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ جواب لولا محذوف هنا وفي الموضع الآخر تقديره لولا فضل الله عليكم لآخذكم أو نحو هذا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الإفك أشد الكذب، ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ست عشرة آية، في شأن سيدتنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفي براءتها مما رماها به أهل الإفك، وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة؛ برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها، وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه، وبرأ مريم بكلام ولدها في حجرها، وبرأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن في شأنها.

ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية العظمى في الاعتناء بها والكرامة لها والتشديد على من قذفها، وقد خرج حديث الإفك البخاري[1] ومسلم وغيرهما،

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٥٩٣)، وفي مواضع أخرى منه ومسلم الحديث رقم: (٢٧٧٠)، وأحمد في مسنده: ١٩٥/٦، والنسائي في تفسيره: ٥٩٩/١، والطبري في جامع البيان: ١٢٠/١٩، وابن حبان في صحيحه: ١٣/١٠.

واختصاره: أن عائشة خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فضاع لها عقد، فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل[١] فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: ما بال رجال رموا أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وسأل جارية عائشة فقالت: والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، والعصبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، ولم يذكر في الحديث من أهل الإفك إلا أربعة، وهم: عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، وحمنة بنت جحش، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وقيل: إن حسانا لم يكن منهم، وارتفاع عصبة لأنه خبر إن، واختار ابن عطية[٢] أن يكون عصبة بدلا من الضمير في جاؤوا، ويكون الخبر ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ على تقدير: إن حديث الذين جاؤوا بالإفك، والأول أظهر. ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خطاب المسلمين والخير في ذلك من خمسة أوجه؛ تبرئة أم المؤمنين، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها، وموعظة المؤمنين، والانتقام من المفترين. ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾ هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، وقيل: الذي بدأ بهذه الفرية غير معين، والعذاب العظيم هنا يحتمل أن يراد به الحد أو عذاب الآخرة.

﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ لولا هنا عرض والمعنى: أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على

(١) هو صفوان بن المعطل، بن رحضة السلمي الذكواني، أبو عمرو: صحابي، شهد الخندق والمشاهد كلها. وحضر فتح دمشق، واستشهد بأرمينية، وقيل: في سميساط، وهو الذي قال أهل الإفك فيه وفي عائشة ما قالوا، روى عن النبي ﷺ حديثين ت سنة: ١٩ هـ الاستيعاب: ٢١٨/١، والأعلام: ٢٠٦/٣.

(٢) المحرر الوجيز: ٢٠٥/٤.

أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد في حقهم فهو في حق عائشة أبعد لفضلها، وروي[1] أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري فقال لزوجته: أكنت أنت تفعلين ذلك؟ قالت: لا والله، قال: فعائشة أفضل منك، قالت: نعم. فإن قيل: لم قال سمعتموه بلفظ الخطاب ثم عدل إلى لفظ الغيبة في قوله ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ولم يقل: ظننتم؟ فالجواب: أن ذلك التفات قصد به المبالغة والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدق المؤمن على المؤمن شرا.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ لولا هنا عرض والضمير في جاءوا لأهل الإفك ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء. ﴿أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ يقال أفاض في الحديث وخاض فيه إذا أكثر الكلام فيه. ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ العامل في إذ قوله: مسكم أو أفضتم، ومعنى تلقونه يأخذه بعضكم من بعض، وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم في حديث الإفك وإن كانوا لم يصدقوه، فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والترك له بالكلية، فعاتبهم على ثلاثة أشياء، وهي: تلقيه بالألسنة، أي السؤال عنه، وأخذه من المسؤول، والثاني: قولهم ذلك، والثالث: أنهم حسبوه هينا وهو عند الله عظيم، وفائدة قوله: ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ و﴿بِأَفْوَاهِكُم﴾ الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ أي: كان الواجب أن يبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعهم له، ولولا أيضا في هذه الآية عرض وكان حقها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما، ولكنه فصل بينهما بقوله: ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ لأن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، والقصد بتقديم هذا الظرف الاعتناء به، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار الكلام في

(١) ضعيف أخرجه ابن إسحاق كما في تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٣، ومن طريقه الطبري: ١٢٩/١٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٥٤٦/٨.

أول وقت سمعتموه، ومعنى ﴿مَّا يَكُونُ لَنَا﴾ ما ينبغي لنا ولا يحل لنا أن نتكلم بهذا. ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيه لله عن أن تكون زوجة رسول الله ﷺ على ما قال أهل الإفك، وقال الزمخشري: هو بمعنى التعجب من عظم الأمر والاستبعاد له، والأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجائب. ﴿بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ البهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغيبة أن يقال ما فيه.

﴿أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾ تقديره: يعظكم كراهة أن تعودوا لمثله، ثم عظم الأمر وأكده بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك، ثم هو عام في غيرهم ممن اتصف بصفتهم، والعذاب في الدنيا الحد، وأما عذاب الآخرة فقد ورد في الحديث[١]: «أن من عوقب في الدنيا على ذنب لم يعاقب عليه في الآخرة» فأشكل اجتماع الحد مع عذاب الآخرة في هذا الموضع، فيحتمل أن يكون القاذف يعذب في الآخرة ولا يسقط الحد عنه عذاب الآخرة بخلاف سائر الحدود، أو يكون هذا مختصا بمن قذف عائشة، فإنه روي عن ابن عباس أنه قال[٢]: من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته، إلا من خاض في أمر عائشة، أو يكون لمن مات مصرا غير تائب، أو يكون للمنافقين. ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ذكر في البقرة [آية ١٦٧]. ﴿بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ ذكر في النحل [آية ٩٠]. ﴿زَكَىٰ﴾ أي تطهر من الذنوب وصلح دينه.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾ معنى يأتل يحلف فهو من قولك: آليت إذا حلفت، وقيل: معناه يقصر فهو من قولك: ألوت

(١) صحيح وقد مضى تخريجه.

(٢) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٩/١٣٩، وابن منصور كما في الدر المنثور: ٦/١٦٥، وانظر تخريج الزيلعي لأحاديث الكشاف. ٢/٤٢٤.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

أي قصرت، ومنه: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ والفضل هنا يحتمل أن يريد به الفضل في الدين، أو الفضل في المال، وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه، والسعة: هي اتساع المال، ونزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حلف أن لا ينفق على مسطح لما تكلم في حديث الإفك، وكان ينفق عليه لمسكنته ولأنه قريبه، وكان ابن بنت خالته، فلما نزلت[1] الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان، وكفر عن يمينه، قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن؛ لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف، ثم إن لفظ الآية على عمومه، في أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح.

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي كما تحبون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم، ولما نزلت قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إني لأحب أن يغفر الله لي، ثم رد النفقة إلى مسطح»[2].

﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ معنى المحصنات هنا العفائف ذوات الصون، ومعنى الغافلات السليمات الصدور، فهو من الغفلة عن الشر. ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ هذا الوعيد للقاذفين لعائشة، ولذلك لم يذكر فيه توبة، قال ابن عباس[3]: كل مذنب

(١) مضى ضمن حديث الإفك.

(٢) البخاري الحديث رقم: (٦٣٠١) ومسلم الحديث رقم: (٧١٩٦) وغيرهما.

(٣) سبق تخريجه قبل قليل.

تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض في حديث عائشة، وقيل: الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يحتمل أن يراد به الحد، أو عذاب الآخرة.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ العامل فيه ﴿يُوَفِّيهِمُ﴾ وكرر يومئذ توكيدا، وقيل: العامل فيه عذاب أو فعل مضمر. ﴿دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي جزاؤهم الواجب لهم. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ هذه الآية تدل على أن ما قبلها في المنافقين لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين، ومعنى المبين الظاهر الذي لا شك فيه.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية معناها أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، ففي ذلك رد على أهل الإفك؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أطيب الطيبين، فزوجته أطيب الطيبات، وقيل: المعنى أن الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس، ففيه أيضا رد على أهل الإفك، لأن عائشة لا يليق بها إلا الطيبات من الأعمال، بخلاف ما قاله أهل الإفك، وقيل: إن المعنى: الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك، أي أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم. ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ الإشارة بأولئك إلى الطيبين والطيبات، والضمير في يقولون للخبيثات والخبيثين، والمراد تبرئة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مما رميت به.

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ هذه الآية أمر بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعم بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث[1] الأمر بالاستئذان على الأم خيفة أن يراها عريانة، ومعنى تستأنسوا: تستأذنوا، وهو مأخوذ من قولك: آنست الشيء إذا علمته، فالاستئناس أن

---

(١) أخرجه مالك في الموطإ وأبو داود في المراسيل، ص: ١٩، والطبري في جامع البيان: ١٩/١٤٨ قال ابن عبد البر في التمهيد: ١٦/٢٢٩ لا أعلم بسند من وجه صحيح بهذا اللفظ وهو مرسل صحيح مجتمع على صحة معناه.

فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن
قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما
تعملون عليم (٢٨) ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا
غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما
تكتمون (٢٩) • قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم
ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما
يصنعون (٣٠) وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن
ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها
وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا
لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء
بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو
نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة
من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا
إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون (٣١)

يستعلم: هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟ وقيل: مأخوذ من الأنس ضد الوحشة، وقرأ ابن عباس[١]: «حتى تستأذنوا»، والاستئذان واجب، وأما السلام: فلا ينتهي إلى الوجوب، واختلف أيهما يقدم؟، فقيل: يقدم السلام ثم يستأذن، فيقول: السلام عليكم، ثم يقول: أأدخل؟ وقيل: يقدم الاستئذان لتقديمه في الآية، وليس في الآية عدد الاستئذان، وجاء في الحديث: أن يستأذن ثلاث مرات[٢] وهو تفسير للآية.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ سبب هذه الآية[٣] أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمق قوم فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون، فأباحت هذه الآية دخولها بغير استئذان، واختلف في البيوت غير المسكونة في هذه الآية، فقيل: هي الفنادق التي في الطرق ولا يسكنها أحد، بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل، والمتاع على هذا التمتع

---

(١) غريب أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣٩٦/٢، والطبري في جامع البيان: ١٤٥/١٩ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في تفسيره: ٢٨٠/٣، وهذا غريب جدا عن ابن عباس.

(٢) أخرجه مسلم الحديث رقم: (٥٧٥٣)، والموطأ الحديث رقم: (٣٥٣٩)، ومصنف ابن أبي شيبة: ٤٩٤/٨، ومشكل الآثار للطحاوي: ١١٤/٤، ومعرفة السنن والآثار للبيهقي: ١٢/١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٥٧٠/٨، ولباب النقول في أسباب النزول، ص: ١٤٣، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٧٢، والبغوي في معالم التنزيل: ٣١/٦.

بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك، وقيل: هي الخرب التي تدخل للبول والغائط، والمتاع على هذا حاجة الإنسان، وقيل: هي حوانيت القيسارية[1]، والمتاع على هذا الثياب والبسط وشبهها، وهذا القول خطأ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ إعرابها كإعراب ﴿يُقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ﴾ في إبراهيم وقد ذكر، و﴿مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ للتبعيض، والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل، وقيل: معنى التبعيض فيه أن النظرة الأولى لا حرج بها ويمنع ما بعدها، وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة، وقيل: هي لابتداء الغاية؛ لأن البصر مفتاح القلب، والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورة، أو إلى ما لا يحل من النساء، أو إلى كتب الغير، وشبه ذلك مما يستر، وحفظ الفروج المأمور به هو عن الزنا، وقيل: أراد ستر العورة، والأظهر أن الجميع مراد.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ تؤمر المرأة بغض بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعا، واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا؟ وعن سائر جسد المرأة أم لا؟ فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه، والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ نهي عن إظهار الزينة بالجملة، ثم استثنى الظاهر منها، وهو ما لا بد من النظر إليه عند حركتها أو إصلاح شأنها وشبه ذلك، فقيل: إلا ما ظهر منها، يعني: الثياب، فعلى هذا يجب ستر جميع جسدها، وقيل: الثياب والوجه والكفان، وهو مذهب مالك؛ لأنه أباح كشف وجهها وكفيها في الصلاة،

---

(١) القيسارية: كلمة مستعملة بالمغرب في كل مدينة على الخصوص، وتعني السوق الذي تحيط به الأسوار، حيث يتجمع معظم التجار على اختلاف بضاعتهم من لباس أو ما شابه، والكلمة كما هو معروف من أصل يوناني. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد: ٩٥ ص: ٢٠.

وزاد أبو حنيفة القدمين. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الجيوب هي التي يقول لها العامة أطواق، وسببها أن النساء كن في ذلك الزمان يلبسن ثيابا واسعات الجيوب يظهر منها صدورهن، وكن إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة سدلها من وراء الظهر فيبقى الصدر والعنق والأذنان لا ستر عليها، فأمرهن الله بلبس الأخمرة على الجيوب ليستر جميع ذلك. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ الآية المراد بالزينة هنا الباطنة فلما ذكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذوي المحرم من الزينة الظاهرة، وذكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج وذوي المحارم من الزينة الباطنة، وبدأ بالبعولة وهم الأزواج؛ لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا، ثم ثنى بذوي المحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب، والمراد بالآباء كل من له ولادة من والد وجد، وبالأبناء كل من عليه ولادة من ولد وولد ولد، ولم يذكر في هذه الآية من ذوي المحارم العم والخال، ومذهب جمهور العلماء جواز رؤيتهما للمرأة؛ لأنهما من ذوي المحارم، وكره ذلك قوم، وقال الشافعي: إنما لم يذكر العم والخال لئلا يصفا زينة المرأة لأولادهما. ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني جميع المؤمنات، فكأنه قال: أو صنفهن ويخرج عن ذلك نساء الكفار. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يدخل في ذلك الإماء المسلمات والكتابيات، وأما العبيد ففيهم ثلاثة أقوال: منع رؤيتهم لسيدتهم وهو قول الشافعي، والجواز وهو قول ابن عباس[١] وعائشة[٢]، والجواز بشرط أن يكون العبد وغدا، وهو

(١) الذي ورد عن ابن عباس جواز رؤية شعرها فقط أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: ٦/١٨٣ عن ابن عباس: قال: لا بأس أن يرى العبد شعر سيدته.

(٢) صحيح عن عائشة، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: سُلَيْمَانُ؟ فَقُلْتُ: سُلَيْمَانُ، فَقَالَتْ: أَدَّيْت مَا بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ كِتَابَتِكَ التي قَاطَعْت أهلك عَلَيْهَا، قُلْتُ: نَعَمْ، إلاَّ شَيْئًا يَسِيرًا قَالَتْ: ادْخُلْ فَإِنَّكَ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْكَ شَيْءٌ. مختصر صحيح البخاري: ٢/٩٣٩، ومصنف ابن أبي شيبة: ٦/١٤٦.

مذهب مالك، وإنما أخذ جوازه من قوله: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ﴾ واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبي أم لا؟ على قولين. ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ شرط في رؤية غير ذوي المحارم شرطين:

أحدهما: أن يكونا تابعين ومعناه أن يتبع لشيء يعطاه، كالوكيل والمتصرف ولذلك قال بعضهم: هو الذي يتبعك وهمته بطنه.

والآخر: أن لا يكون لهم إربة في النساء كالخصي، والمخنث، والشيخ الهرم، والأحمق، فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين، وقيل: بأحدهما ومعنى الإربة الحاجة إلى الوطء.

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أراد بالطفل الجنس ولذلك وصفه بالجمع، ويقال طفل ما لم يراهق الحلم، ويظهروا معناه يطلعون بالوطء على عورات النساء، فمعناه الذين لم يطؤوا النساء، وقيل: الذين لا يدرون ما عورات النساء، وهذا أحسن. ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ روي: أن امرأة كان لها خلخالان فكانت تضرب بهما ليسمعهما الرجال فنهى الله ﷺ عن ذلك[1] قال الزجاج: إسماع صوت الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها. ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة واجبة على كل مكلف بدليل الكتاب والسنة، وإجماع الأمة.

وفرائضها ثلاث: الندم على الذنب من حيث عصي به ذو الجلال، لا من حيث أضر ببدن أو مال، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان، من غير

(١) روى ابن جرير: عن ابن عباس: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ فهو أن تقرع الخَلْخَال بالآخر عند الرجال، ويكون في رجليها خلاخل، فتحرّكهنّ عند الرجال، فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك؛ لأنه من عمل الشيطان، حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ قال: هو الخَلْخَال، لا تضرب امرأة برجلها ليسمع صوت خلخالها. الطبري: ١٩/١٦٤.

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ
إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا
تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ
خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ربع
وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى
زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ
مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ
ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن
تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ

تأخير ولا توان، والعزم أن لا يعود إليها أبدا، ومهما قضي عليه بالعود أحدث عزما مجددا.

وآدابها ثلاثة: الاعتراف بالذنب مقرونا بالانكسار، والإكثار من التضرع والاستغفار، والإكثار من الحسنات، لمحو ما تقدم من السيئات.

ومراتبها سبع: فتوبة الكفار من الكفر، وتوبة المخلطين من الذنوب الكبائر، وتوبة العدول من الصغائر، وتوبة العابدين من الفترات، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات، وتوبة أهل الورع من الشبهات، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات.

والبواعث على التوبة سبعة؛ خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم بالمقام وشكر الإنعام.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ الأيامى جمع أيم، ومعناه الذين لا أزواج لهم رجالا كانوا أو نساء، أبكارا أو ثيبا، والخطاب هنا للأولياء والحكام، أمرهم الله بتزويج الأيامى، فاقتضى ذلك النهي عن عضلهن من التزويج، وفي الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح واشتراط الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي، خلافا لأبي حنيفة. ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ يعني الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم، (وقال الزمخشري: الصالحين بمعنى الصلاح في الدين، قال: وإنما خصهم الله بالذكر ليحفظ عليهم صلاحهم،)[1] والمخاطبون هنا

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ).

ساداتهم، ومذهب الشافعي أن السيد يجبر على تزويج عبيده لهذه الآية، خلافا لمالك، ومذهب مالك: أن السيد يجبر عبده وأمته على النكاح، خلافا للشافعي. ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وعد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضاء الله، ولذلك قال ابن مسعود[١]: «التمسوا الغنى في النكاح».

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد في طلب العفة من الحرام لمن لا يقدر على التزوج، فقوله ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ معناه لا يجدون استطاعة على التزوج بأي وجه تعذر التزوج، وقيل معناه: لا يجدون صداقا للنكاح، والمعنى الأول أعم، والثاني أليق بقوله ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾. ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ الكتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة، وهي مقاطعة العبد على مال منجم، فإذا أداه خرج حرا وإن عجز بقي رقيقا، وقيل: إن الآية نزلت بسبب[٢] حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، وحكمها مع ذلك عام فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور، وقال الظاهرية وغيرهم: هو على الوجوب، وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣] لأنس بن مالك، حين سأله مملوكه سيرين الكتابة، فتلكأ أنس، فقال له عمر: لتكاتبنه أو لأوجعنك بالدرة، وإنما حمله مالك على الندب؛ لأن الكتابة كالبيع، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها، واختلف: هل يجبر السيد عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين في المذهب. ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ الخير

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٦٦/١٩ بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن السكن في معرفة الصحابة معلقا كما في الدر المنثور: ١٨٩/٦، واللباب، ص: ١٤٤، وأورده البغوي في معالم التنزيل: ٤١/٦، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٧٢.

(٣) صحيح قال ابن كثير في تفسيره: ٢٨٧/٣ إسناده صحيح ورواه البيهقي في الكبرى: ٣١٩/١٠، والطبري في جامع البيان: ١٦٧/١٩. وذكره البخاري تعليقا: «... أَنَّ سِيرِينَ سَأَلَ أَنَسًا الْمُكَاتَبَةَ وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ فَأَبَى فَانْطَلَقَ إِلَى عُمَرَ ﷺ فَقَالَ: كَاتِبْهُ، فَأَبَى، فَضَرَبَهُ بِالدِّرَّةِ، وَيَتْلُو عُمَرُ ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ فَكَاتَبَه. ج٤٢٢/٦.

هنا القوة على أداء الكتابة بأي وجه كان، وقيل: هو المال الذي يؤدي منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس، وقيل: هو الصلاح في الدين. ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ هذا أمر بإعانة المكاتب على كتابته، واختلف فيمن المخاطب بذلك؟، فقيل: هو خطاب للناس أجمعين، وقيل: للولاة، والأمر على هذين القولين للندب، وقيل: هو خطاب لسادات المكاتبين وهو على هذا القول ندب عند مالك، ووجوب عند الشافعي، فإن كان الأمر للناس فالمعنى: أن يعطوهم صدقات من أموالهم، وإن كان للولاة فيعطوهم من الزكاة، وإن كان للسادات فيحطوا عنهم من كتابتهم، وقيل: يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة، وعلى القول بالحط من الكتابة اختلف في مقدار ما يحط، فقيل: الربع، وروي ذلك[1] عن رسول الله ﷺ، وقيل: الثلث، وقال مالك والشافعي: لا حد في ذلك، بل أقل ما ينطلق عليه اسم شيء، إلا أن الشافعي يجبره على ذلك، ولا يجبره مالك، وزمان الحط عنه في آخر الكتابة عند مالك، وقيل: في أول نجم. ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ معنى البغاء الزنا، نهى الله المسلمين أن يجبروا مملوكاتهم على ذلك، وسبب الآية[2] أن عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق كان له جاريتان، فكان يأمرهما بالزنا؛ للكسب منه، وللولادة، ويضربهما على ذلك، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فنزلت الآية فيه، وفيمن فعل مثل فعله. ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا، إذ لا يتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن، وهو التعفف، وقيل: هو راجع إلى قوله: وأنكحوا الأيامى وذلك بعيد. ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ يعني ما تكسبه الأمة بفرجها، وما تلده من الزنا، ويتعلق ﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ بقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟﴾. ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٨/٣٧٥، ومن طريقه الحاكم في المستدرك: ٢/٣٩٧، وابن أبي حاتم: ٨/٢٥٨٦، والبيهقي في السنن الكبرى: ١٠/٣٢٩، وصححه موقوفا. فالحاصل أن الحديث وقفه صحيح ورفعه منكر.

(٢) صحيح أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٠٢٩)، والطبري في جامع البيان: ١٩/١٧٤، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٣١١)، والحاكم: ٢/٣٩٧.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المعنى غفور لهن رحيم بهن، لا يؤاخذهن بالزنا لأنهن أكرهن عليه، ويحتمل أن يكون المعنى ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للسيد الذي يكرههن إذا تاب من ذلك.

﴿ءَايَٰتٍ مُّبَيَّنَٰتٍ﴾ بفتح الياء[1] أي بينها الله وبالكسر مبينات للأحكام والحلال والحرام. ﴿وَمَثَلًا﴾ يعني ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا لأنه كان حراما في كل ملة أو في براءة عائشة، كما برأ يوسف ومريم.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ النور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرك بالأبصار ومجازا على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثله شيء، فتأويل الآية: الله ذو نور السموات والأرض، ووصف نفسه بأنه نور كما تقول: زيد كرم إذا أردت المبالغة في أنه كريم، فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار فمعنى نور السموات والأرض أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء، ومن هذا المعنى قرأ علي بن أبي طالب: «الله نور السموات والأرض»[2] بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو، أي جعل فيهما النور، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب، فمعنى نور السموات والأرض جاعل النور في قلوب أهل السموات والأرض، ولهذا قال ابن عباس[3]: معناه هادي أهل السموات والأرض. ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة، وقيل: المشكاة العمود الذي يكون المصباح على رأسه، والأول أصح وأشهر، والمعنى صفة نور الله في وضوحه، كصفة مشكاة

---

(١) قال الداني: ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي ﴿ءايات مبينات﴾ في الموضعين هنا وفي الطلاق بكسر الياء والباقون بفتحها. التيسير ص١٠٨.

(٢) لم أجده مسندا وذكرها أبو حيان في تفسيره وعزاها لعدد من الصحابة منهم علي: ٦/٤٥٥، وعزاها ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/٢٢٤ لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وأبي عبد الرحمن السلمي.

(٣) صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٩/١٧٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٨/٢٥٩٣.

فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة، وإنما شبه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه، وقيل: الضمير في ﴿نُورِهِۦ﴾ عائد على سيدنا محمد ﷺ، وقيل: على القرآن، وقيل: على المؤمن، وهذه الأقوال ضعيفة لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير.

فإن قيل: كيف يصح أن يقال الله نور السموات والأرض فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ والمضاف غير المضاف إليه؟ فالجواب: أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدمناه، أي الله ذو نور السموات والأرض، أو كما تقول: زيد كرم، ثم تقول: ينعش الناس بكرمه.

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ المصباح هو الفتيل بناره، والمعنى: أنه في قنديل من زجاج لأن الضوء فيه أزهر لأنه جسم شفاف. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ شبه الزجاجة في إنارتها بكوكب دري، وذلك يحتمل معنيين: إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها، وإما أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفائها ورقة جوهرها، وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح، والمراد بالكوكب الدري أحد الدراري المضيئة: كالمشتري، والزهرة، وسهيل، ونحوها، وقيل: أراد الزهرة، ولا دليل على هذا التخصيص، وقرأ نافع[1] دري بضم الدال وتشديد الياء بغير همزة، ولهذه القراءة وجهان: إما أن ينسب الكوكب إلى الدر لبياضه وصفائه، أو يكون مسهلا من الهمز، وقرئ: بالهمز وكسر الدال وبالهمز وضم الدال، وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع. ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ من قرأ يوقد[2]

---

(١) أي ومن معه من القراء، قال محمد بن الجزري: ﴿دري﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال مع المد الهمز، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والمد والهمز، وقرأ الباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير مد ولا همز، وحمزة على أصله في تخفيفه وقفاً بالإدغام. النشر: ٢/٣٧٢.

(٢) ﴿يوقد﴾ قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر بتاء مفتوحة وفتح الواو والدال وتشديد القاف، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بياء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال على التذكير، وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم بالتاء على التأنيث. المصدر السابق.

بالياء أو توقد بالفعل الماضي فالفعل مسند إلى المصباح، ومن قرأ توقد بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاجة، والمعنى: يوقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها، أو لأنها تنبت في الأرض المباركة، وهي الشام. ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قيل: يعني أنها بالشام فليست من شرق الأرض ولا من غربها، وأجود الزيتون زيتون الشام، وقيل: هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية، بل هي غربية شرقية؛ لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب، وقيل: إنها في وسط دوحة لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب، وقيل: إنها من شجرة الجنة ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ مبالغة في وصف صفائه وحسنه. ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعني اجتماع نور المصباح وحسن الزجاجة وطيب الزيت، والمراد بذلك كمال النور الممثل به. ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي يوفق الله من يشاء لإصابة الحق.

﴿فِى بُيُوتٍ﴾ يعني المساجد، وقيل: بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن، والأول أصح، والجار يتعلق بما قبله، أي كمشكاة في بيوت، أو توقد في بيوت، وقيل: بما بعده وهو يسبح وكرر الجار بعد ذلك تأكيدا، وقيل: بمحذوف، أي سبحوا في بيوت أذن الله أن ترفع، والمراد بالإذن الأمر، ورفعها بناؤها، وقيل: تعظيمها. ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ أي غدوة وعشية، وقيل: أراد الصبح والعصر، وقيل: صلاة الضحى والعصر. ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل يسبح على القراءة بكسر الباء[١]، وأما على القراءة بالفتح فهو مرفوع بفعل مضمر يدل عليه الأول. ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي لا تشغلهم ونزلت الآية[٢] في أهل الأسواق الذين إذا

(١) ﴿يسبح﴾ قرأ ابن عامر وأبو بكر بفتح الباء بكسرها مسمى الفاعل. النشر: ٢/٣٧٢.

(٢) ضعيف أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/٦١، والطبري في جامع البيان: ١٩/١٩٢، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير: ٣/٢٩٤.

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ
وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ
﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ
يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ
كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ
شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن
فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ
يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ
قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن
يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ

سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها، والبيع من التجارة ولكنه خصه بالذكر تجريدا كقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ أو أراد بالتجارة الشراء. ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي تضطرب من شدة الهول والخوف، وقيل: تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى لأن الحقائق تنكشف حينئذ والأول أصح كقوله ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ وفي قوله: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ﴾ تجنيس.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ متعلق بما قبله، أو بفعل من معنى ما قبله. ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ تقديره: جزاء أحسن ما عملوا. ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ يعني زيادة على ثواب أعمالهم. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ذكر في البقرة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ لما ذكر الله حال المؤمنين أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكافرين:

الأول: يقتضي حال أعمالهم في الآخرة وأنها لا تنفعهم بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب.

والثاني: يقتضي حال أعمالهم في الدنيا وأنها في غاية الفساد والضلال، كالظلمات التي بعضها فوق بعض، والسراب هو ما يرى في الفلوات من ضوء الشمس في الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجري على وجه الأرض، والقيعة جمع قاع

وهو المنبسط من الأرض، وقيل: القيعة بمعنى القاع وليس بجمع.

﴿يَحْسِبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ الظمآن العطشان أي يظن العطشان أن السراب ماء فيأتيه ليشربه فإذا جاء خاب ما أمل وبطل ما ظن، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهي كالسراب. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ ضمير الفاعل للظمآن، وضمير المفعول للسراب أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله. ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ أي شيئا ينتفع به، أو شيئا موجودا على العموم لأنه معدوم، ويحتمل أن يكون ضمير الفاعل للظمآن وضمير المفعول للسراب أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله. ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ ضمير الفاعل في وجد للكافر، والضمير في عنده لعمله، والمعنى: وجد الله عنده بالجزاء، أو وجد زبانية الله.

﴿أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ﴾ هذا هو المثال الثاني، وهو عطف على قوله: ﴿كَسَرَابٍ﴾ والمشبه بالظلمات أعمال الكافر، أي هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب. ﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ منسوب إلى اللج وهو معظم الماء، وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثال قوبلت به أجزاء الممثل به، فالظلمات أعمال الكافر، والبحر اللجي صدره، والموج جهله، والسحاب الغطاء الذي على قلبه، وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة، وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة كما أن في وصف النور المذكور قبلها مبالغة. ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ المعنى مبالغة في وصف الظلمة، والضمير في أخرج وما بعده للرجل الذي وقع في الظلمات الموصوفة، واختلف في تأويل الكلام، فقيل: المعنى إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها، فنفى الرؤية ومقاربتها، وقيل: بل رآها بعد عسر وشدة؛ لأن كاد إذا نفيت تقتضي الإيجاب، وإذا أوجبت تقتضي النفي، وقال ابن عطية: إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذي بعدها، فأما إذا دخل حرف النفي على كاد كقوله ﴿لَمْ يَكَدْ﴾ فإنه يحتمل النفي والإيجاب. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ أي من لم

يهده الله لم يهتد، فالنور كناية عن الهدى والإيمان في الدنيا، وقيل: أراد في الآخرة أي من لم يرحمه الله فلا رحمة له، والأول أليق بما قبله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الرؤية هنا بمعنى العلم، والتسبيح التنزيه والتعظيم، وهو من العقلاء بالنطق، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل فقال الجمهور: إنه حقيقي ولا يبعد أن يلهمها الله التسبيح كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدي إليها العقلاء، وقيل: تسبيحه ظهور الحكمة فيه. ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ يصففن أجنحتهن في الهواء. ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ الضمير في علم لله أو لكل، والضمير في ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ لكل.

﴿يُزْجِى﴾ معناه يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سوق كل ثقيل كالسحاب ﴿رُكَامًا﴾ متكاثف بعضه فوق بعض. ﴿ٱلْوَدْقَ﴾ المطر. ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي من بينه وهو جمع خلل كجبل وجبال. ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ قيل: إن الجبال هنا حقيقة وأن الله جعل في السماء جبالا من برد، وقيل: إنه مجاز كقولك: عند فلان جبال من مال أو علم، أي هي في الكثرة كالجبال، ومن في قوله ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لابتداء الغاية، وفي قوله ﴿مِن جِبَالٍ﴾ كذلك وهي بدل من الأولى، وتكون للتبعيض فتكون مفعول ينزل، ومن في قوله ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ لبيان الجنس أو للتبعيض فتكون مفعول ينزل، وقال الأخفش: هي زائدة وذلك ضعيف وقوله ﴿فِيهَا﴾ صفة للجبال، والضمير يعود على السماء. ﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ السنا بالقصر الضوء، وبالمد المجد والشرف. ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي يأتي بهذا بعد هذا.

﴿خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ يعني بني آدم والبهائم والطير لأن ذلك كله يدب. ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ يعني المني، وقيل: الماء الذي في الطين الذي خلق منه آدم وغيره. ﴿عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحيات والحوت. ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ الآية نزلت في المنافقين وسببها[1]

---

(١) نزلت في المنافقين ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٦/٥٥، ولم يعزه لأحد. وذكره الواحدي في أسباب النزول، ص: ٢٧٤.

يُقَلِّبُ اللَّهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ
خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن
يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ
اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي
مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا
أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا
إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن
يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا
كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ربع
قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

أن رجلا من المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه ودعاه إلى كعب بن الأشرف. ﴿مُذْعِنِينَ﴾ أي منقادين طائعين لقصد الوصول إلى حقوقهم. ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ توقيف يراد به التوبيخ، وكذلك ما بعده. ﴿أَن يَحِيفَ﴾ معناه أن يجور، والحيف: الميل، وأسنده إلى الله لأن الرسول إنما يحكم بأمر الله وشرعه. ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية معناها إنما الواجب أن يقول المؤمنون سمعنا وأطعنا إذا دعوا إلى الله ورسوله، وجعل الدعاء إلى الله من حيث هو إلى شرعه.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية قال ابن عباس[١]: معناها من يطع الله في فرائضه، ورسوله في سنته. ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ فيما مضى من ذنوبه. ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما يستقبل، وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة فذكرت له هذه الآية، وسمعها بعض بطارقة الروم فأسلم، وقال: إنها جمعت كل ما في التوراة والإنجيل. ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي حلفوا والضمير للمنافقين. ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي بالغوا في اليمين وأكدوها. ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ يعني إلى الغزو. ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا﴾ نهى عن اليمين الكاذبة لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل. ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ مبتدأ وخبره محذوف،

---

(١) لم أجده مسندا.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن
بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ
الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن
قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن
بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا
عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

أي طاعة معروفة أمثل وأولى بكم، أو خبر مبتدإ محذوف أي المطلوب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها.

﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ يعني تبليغ الرسالة. ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ يعني السمع والطاعة واتباع الشريعة.

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة، وقيل: إن المراد بالآية خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة علي، فإن قيل: أين القسم الذي جاء قوله ليستخلفنهم جوابا له؟ فالجواب: أنه محذوف، تقديره: وعدهم الله وأقسم، أو جعل الوعد بمنزلة القسم لتحققه.

﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قيل: المراد بالذين ملكت أيمانكم الرجال خاصة، وقيل: النساء خاصة؛ لأن الرجال يستأذنون في كل وقت، وقيل: الرجال والنساء. ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ يعني الأطفال غير البالغين. ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ نصب على الظرفية لأنهم أمروا بالاستئذان في ثلاثة مواطن، فمعنى الآية أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وهي: قبل الصبح، وحين القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الأخيرة؛ لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للنوم في غالب أمرهم، وهذه الآية محكمة، وقال ابن عباس[2]: ترك الناس

---

(١) وتمامه: ثم تكون ملكا، صحيح ابن حبان الحديث رقم: (٦٩٤٣)، وموارد الظمآن للهيثمي: ٣٦٩/١، وهو حديث صحيح بشواهده.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده، قال ابن عباس: ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بها=

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ * وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

العمل بها، وحملها بعضهم على الندب. ﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾ يعني: تتجردون. ﴿الظَّهِيرَةِ﴾ وسط النهار. ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ﴾ جمع عورة من الانكشاف، كقوله: ﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ ومن رفع ثلاث[1] فهو خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم، أي تنكشفون فيها، ومن نصبه فهو بدل من ثلاث مرات. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة أي ليس عليكم ولا على المماليك والأطفال جناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة. ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾ تقديره: المماليك والأطفال طوافون عليكم، فلذلك يؤمر بالاستئذان في كل وقت. ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بدل من طوافون، أي بعضكم طائف على بعض، وقال الزمخشري: هو مبتدأ أي بعضكم يطوف على بعض، أو فاعل بفعل مضمر.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها،

= ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ...﴾ إلى آخر الآية. والآية التي في سورة النساء: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ والآية التي في الحجرات ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ٨/٢٦٣٢، وهو أثر حسن بشواهده.

(١) ﴿ثلاث عورات﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ﴿ثلاث﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع، واتفقوا على النصب في قوله ﴿ثلاث مرات﴾ المتقدم لوقوعه ظرفاً. النشر: ٣٧٣/٢.

أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ جمع قاعد وهي العجوز، فقيل: هي التي قعدت عن الولد، وقيل: التي قعدت عن التصرف، وقيل: التي إذا رأيتها استقذرتها. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يبح لغيرهن من وضع الثياب، قال ابن مسعود[1]: إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء، وقال بعضهم: إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه ذوو محارمها. ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ إنما أباح الله لهن وضع الثياب بشرط ألا يقصدن إظهار زينة والتبرج هو الظهور. ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ المعنى أن استعفافهن عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها، والأولى لهن أن يلتزمن ما يلتزم شباب النساء من الستر.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية اختلف في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في هذه الآية، فقيل[2]: هو في الغزو أي لا حرج عليهم في تأخرهم عنه وقوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مقطوع من الذي قبله على هذا القول كأنه قال: ليس على هؤلاء الثلاثة حرج في ترك الغزو ولا عليكم حرج في الأكل، وقيل: الآية كلها في معنى الأكل، واختلف الذاهبون إلى ذلك، فقيل: إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس لئلا يتقذرهم الناس فنزلت الآية مبيحة لهم الأكل مع الناس، وقيل: إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعذار في بيوتهم وكانوا يتجنبون أكل مال الغائب فنزلت[3] الآية في ذلك، وقيل: إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذرا فنزلت الآية، وهذا ضعيف لأن

(١) صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢١٧/١٩، والبيهقي في الكبرى: ٩٣/٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٦٤٠/٨.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢١٩/١٩ بسند ضعيف.

(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم: ٢٦٤٢/٨، والألوسي في تفسيره: ١٢/١١.

رفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم، وقيل: إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم عنه أعذارهم من الجهاد وغيره. ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أباح الله تعالى للإنسان الأكل في هذه البيوت المذكورة في الآية، فبدأ ببيت الرجل نفسه، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم ولم يذكر فيهم الابن لأنه دخل في قوله من بيوتكم؛ لأن بيت ابن الرجل بيته لقوله عليه الصلاة والسلام[1]: «أنت ومالك لأبيك» واختلف العلماء فيما ذكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة، فذهب قوم إلى أنه منسوخ وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه، والناسخ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام[2]: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»، وقيل: الآية محكمة، ومعناها إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في ذلك، وقيل: بإذن وبغير إذن. ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ يعني الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم، فأباح لهم الأكل منها، وقيل: المراد ما ملك الإنسان من مفاتح نفسه، وهذا ضعيف. ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ الصديق يقع على الواحد والجماعة كالعدو والمراد به هنا جمع ليناسب ما ذكر قبله من المجموع في قوله آبائكم وأمهاتكم وغير ذلك وقرن الله الصديق بالقرابة لقرب مودته، وقال ابن عباس[3]: الصديق أوكد من القرابة. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ إباحة للأكل في حال الاجتماع والانفراد؛ لأن بعض العرب كان لا يأكل وحده أصلا خيفة من البخل، فأباح لهم الله ذلك. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي إذا دخلتم بيوتا مسكونة فسلموا على من فيها من الناس، وإنما

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٥٣٠)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٢٩٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود: ٦٧٤/٢.

(٢) صحيح أخرجه أحمد: ٧٢/٥، وأبو يعلى: ١٤٠/٣، والدارقطني: ٢٦/٣، والبيهقي في الكبرى: ١٠٠/٦.

(٣) قال ابن عطية: قال ابن عباس في كتاب النقاش: الصديق أوكد من القرابة، ألا ترى إلى استغاثة الجهنميين: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ المحرر الوجيز: ٢٣٩/٤.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا
اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٠) ● لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ ربع
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن
تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢)

سُورَةُ الفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
(١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)

قال ﴿عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ بمعنى صنفكم كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ وقيل المعنى: إذا دخلتم بيوتا خالية فسلموا على أنفسكم بأن يقول الرجل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وقيل: يعني بالبيوت المساجد، والأمر بالسلام على من فيها فإن لم يكن فيها أحد فيسلم على النبي ﷺ وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين.

﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ الآية الأمر الجامع هو ما يجمع الناس للمشورة فيه أو للتعاون عليه ونزلت هذه الآية[1] في وقت حفر الخندق بالمدينة، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون من غير استئذان. ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي لبعض حوائجهم.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ في معناها ثلاثة أقوال:

الأول: أن الدعاء هنا يراد به دعاء النبي ﷺ إياهم ليجتمعوا إليه في أمر جامع أو في قتال وشبه ذلك فالمعنى أن إجابتكم له إذا دعاكم واجبة عليكم بخلاف إذا دعا بعضكم بعضا فهو كقوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ويقوي هذا القول مناسبته لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع.

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل: ٣/٤٠٨ من طريق محمد بن إسحاق بإسناد مرسل، وعزاه في الدر المنثور: ٦/٢٢٩ لابن المنذر.

والقول الثاني: أن المعنى لا تدعوا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمه كما يدعو بعضكم بعضا باسمه، بل قولوا يا رسول الله، أو يا نبي الله تعظيما ودعاء بأشرف أسمائه، وقيل: المعنى لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض، أي دعاؤه عليكم يجاب فاحذروه ولفظ الآية بعيد من هذا المعنى على أن المعنى صحيح.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ الذين ينصرفون عن حفر الخندق واللواذ: الروغان والمخالفة، وقيل: الانصراف في خفية. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦ﴾ الضمير لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واختلف في عن هنا، فقيل: إنها زائدة وذلك ضعيف، وقال ابن عطية: معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول كان المطر عن ريح، قال الزمخشري: يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه، وخالفه عن الأمر إذا صد الناس عنه، فمعنى يخالفون عن أمره يصدون الناس عنه فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف. ﴿فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفتنة في الدنيا بالرزايا أو بالفضيحة أو القتل أو العذاب في الآخرة.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ دخلت قد للتأكيد، وفي الكلام معنى الوعيد، وقيل: معناها التقليل على وجه التهكم والخطاب لجميع الخلق أو للمنافقين خاصة. ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني المنافقين، والعامل في الظرف بينهم.

❊❊ ❊❊ ❊❊

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا
يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا
حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ
إِفْكٌ افْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو
ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا
مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ
إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّٰلِمُونَ
إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا
لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ۞ تَبَارَكَ
الَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا
بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

سورة الفرقان

﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة وهو فعل مختص بالله تعالى لم ينطق له بالمضارع. ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، وذلك على وجه التشريف له والاختصاص. ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم، أو للقرآن والأول أظهر وقوله ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ عموم يشمل الجن والإنس ممن كان في عصره وممن يأتي بعده إلى يوم القيامة، وتضمن صدر هذه السورة إثبات النبوءة والتوحيد، والرد على من خالف في ذلك.

﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ الخلق: عبارة عن الإيجاد بعد العدم، والتقدير: عبارة عن إتقان الصنعة، وتخصيص كل مخلوق بمقداره، وصفته، وزمانه، ومكانه، ومصلحته، وأجله، وغير ذلك.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى.

﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ يعنون قوما من اليهود، منهم: عداس، ويسار، وأبو فكيهة الرومي. ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ أي ظلموا النبي صلى الله عليه وسلم فيما نسبوا إليه، وكذبوا في ذلك عليه.

﴿وَقَالُوٓا أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي ما سطره الأولون في كتبهم وكان الذي يقول هذه المقالة النضر بن الحارث. ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ أي كتبها له كاتب ثم صارت تملى

عليه ليحفظها، وهذا حكاية كلام الكفار، وقال الحسن[1]: إنه من قول الله على وجه الرد عليهم، ولو كان كذلك لقال: أكتتبها بفتح الهمزة لمعنى الإنكار، وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا، وينبغي على قول الحسن أن يوقف على أساطير الأولين.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ رد على الكفار في قولهم، ويعني بالسر ما أسره الكفار من أقوالهم، أو يكون ذلك على وجه التنصل والبراءة مما نسبه الكفار إليه من الافتراء، أي أن الله يعلم سري فهو العالم بأني ما افتريت عليه، بل هو أنزله علي، فإن قيل: ما مناسبة قوله إنه كان غفورا رحيما لما قبله؟ فالجواب: أنه لما ذكر أقوال الكفار: أعقبها بذلك لبيان أنه غفور رحيم في كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة بل أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ الآية، قال هذا الكلام قريش، طعنا على النبي ﷺ، وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ وقولهم هذا الرسول على وجه التهكم، كقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أو يعنون الرسول بزعمه، ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وما بعده ثم وصفهم بالظلم وقد ذكرنا معنى مسحورا في ﴿سُبْحَانَ﴾.

﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي قالوا فيك تلك الأقوال. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي لا يقدرون على الوصول إلى الحق لبعدهم عنه وإفراط جهلهم.

﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الإشارة إلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا. ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يعني جنات الآخرة وقصورها، وقيل: يعني جنات وقصورا في الدنيا، ولذلك قال: ﴿إِن شَاءَ﴾.

(١) لم أجده مسندا، وذكره الزمخشري في الكشاف: ٣/٢٦٩.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا
١٢ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟
هُنَالِكَ ثُبُورًا ١٣ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟
ثُبُورًا كَثِيرًا ١٤ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى
وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ١٥ لَّهُمْ فِيهَا
مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ١٦
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ
أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ١٧
قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ
مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ
وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ١٨ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ
فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ
نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ١٩ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ
إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا
بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ٢٠

﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ أي إذا رأتهم جهنم وهذه الرؤية يحتمل أن تكون حقيقة أو مجازا بمعنى صارت منهم بقدر ما يرى على البعد. ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ التغيظ لا يسمع، وإنما المسموع أصوات دالة عليه ففي لفظه تجوز، والزفير: أول صوت الحمار[1].

﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ تضيق عليهم زيادة في عذابهم. ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي مربوط بعضهم إلى بعض، وروي: أن ذلك بسلاسل من النار. ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ الثبور: الويل، وقيل: الهلاك، ومعنى دعائهم ثبورا أنهم يقولون: يا ثبوراه، كقول القائل: واحسرتاه وأسفاه.

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ تقديره: يقال لهم ذلك، أو يكون حالهم يقتضي ذلك وإن لم يكن ثم قول، وإنما دعوا ثبورا كثيرا لأن عذابهم دائم فالثبور يتجدد عليهم في كل حين.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار لأن الكلام توقيف وتوبيخ، وإنما يمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان الكلام خبرا.

﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ أي سأله المؤمنون أو الملائكة في قولهم: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ

---

(١) في لسان العرب، الزفير: أول نهيق الحمار وشبهه... حتى يقول: لأن الزفير إدخال النفس. (مادة: زفر).

جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ وقيل: معناه وعدا واجب الوقوع؛ لأنه قد حتمه.

﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ القائل لذلك هو الله ﷻ، والمخاطب هم المعبودون مع الله على العموم، وقيل: الأصنام خاصة والأول أرجح، لقوله: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ وقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ أم هنا معادلة لما قبلها، والمعنى: أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تضلوهم أنتم، ولأجل ذلك بين هذا المعنى بقوله: ﴿هُمْ﴾ ليتحقق إسناد الضلال إليهم فإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور، ليوبخ الكفار الذين عبدوهم.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ القائل لهذا: هم المعبودون؛ قالوه على وجه التبري ممن عبدهم كقولهم: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ والمراد بذلك توبيخ الكفار يومئذ، وإقامة الحجة عليهم. ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ معناه أن إمتاعهم بالنعم في الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته. ﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾ أي هالكين وهو من البوار بمعنى الهلاك، واختلف: هل هو جمع بائر، أو مصدر وصف به؟ ولذلك يقع على الواحد والجماعة.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ هذا خطاب خاطب الله به المشركين يوم القيامة، أي قد كذبكم آلهتكم التي عبدتم من دون الله وتبرؤوا منكم، وقيل: هو خطاب للمعبودين أي كذبوكم في هذه المقالة لما عبدوكم في الدنيا، وقيل: هو خطاب للمسلمين أي قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة، وقرئ(١) بما يقولون بالياء من أسفل والباء في قوله بما تقولون على القراءة بالتاء بدل من

(١) ﴿كذبوكم بما تقولون﴾ روى ابن شنبوذ عن قنبل بالغيب، وروى عنه ابن مجاهد بالخطاب، وبذلك قرأ الباقون. النشر: ٢/٣٧٣.

• وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ
نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا
(٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا
مَّحْجُورًا (٢٢) وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً
مَّنثُورًا (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ
مَقِيلًا (٢٤) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ
تَنزِيلًا (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ
فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (٢٩) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ
قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١)
• وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)

الضمير في كذبوكم وعلى القراءة بالياء كقولك: كتبت بالقلم، أو كذبوكم بقولهم. ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرئ[1] فما تستطيعون بالتاء من فوق ويحتمل على هذا أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين والصرف على هذين الوجهين صرف العذاب عنهم أو يكون الخطاب للمسلمين والصرف على هذا رد التكذيب وقرئ بالياء وهو مسند إلى المعبودين أو إلى المشركين والصرف صرف العذاب. ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ خطاب للكفار وقيل للمؤمنين وقيل على العموم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ تقديره وما أرسلنا رسلا أو رجالا قبلك وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير في قوله: ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ وهذه الآية رد على الكفار في استبعادهم بعث رسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ هذا خطاب لجميع الناس لاختلاف أحوالهم فالغنى فتنة للفقير والصحيح فتنة للمريض والرسول فتنة لغيره ممن يحسده ويكفر به. ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ تقديره: لننظر هل تصبرون.

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ قيل: معناه لا يخافون، والصحيح أنه على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف. ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله وحينئذ يؤمنون فرد الله عليهم بقوله: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا﴾

(١) واختلفوا في ﴿فما تستطيعون﴾ فروى حفص بالخطاب وقرأ الباقون بالغيب ٢/٣٧٣.

الآية، أي طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه، وقوله: ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾ كما تقول: فلان عظيم في نفسه، أي عند نفسه، أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر في أنفسهم.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم فالعامل في يوم معنى لا بشرى ويومئذ بدل. ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الضمير في يقولون إن كان للملائكة فالمعنى أنهم يقولون للمجرمين حجرا محجورا أي حرام عليكم الجنة أو البشرى، وإن كان الضمير للمجرمين فالمعنى أنهم يقولون حجرا بمعنى عوذا لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره وانتصابه بفعل متروك إظهاره نحو معاذ الله.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا﴾ أي قصدنا إلى أفعالهم فلفظ القدوم مجاز، وقيل: هو قدوم الملائكة أسنده الله إلى نفسه لأنه عن أمره. ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ عبارة عن عدم قبول ما عملوا من الحسنات كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال، والهباء هي الأجرام الدقيقة من الغبار التي لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوة، والمنثور المتفرق.

﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن هذا مستقر وهذا مستقر. ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ هو مفعل من النوم في القائلة وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة، وقيل: إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار، فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ هو يوم القيامة، وانشقاق السماء انفطارها ومعنى بالغمام أي يخرج منها الغمام وهو السحاب الرقيق الأبيض وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ عض اليدين كناية عن الندم والحسرة،

والظالم هنا عقبة بن أبي معيط، وقيل: كل ظالم، والظلم هنا بمعنى الكفر. ﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ هو محمد ﷺ، أو اسم جنس على العموم.

﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ روي[1]: أن عقبة جنح إلى الإسلام فنهاه أبي بن خلف وأمية بن خلف فهو فلان، وقيل: إن عقبة نهى أبي بن خلف عن الإسلام، فالظالم على هذا أبي، وفلان عقبة وإن كان الظالم على العموم ففلانا على العموم، أي خليل كل كافر.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول الظالم أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى، ويحتمل أن يريد بالشيطان إبليس أو الخليل المذكور.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ قيل: إن هذا حكاية قوله ﷺ في الدنيا وقيل: في الآخرة. ﴿مَهْجُورًا﴾ من الهجر بمعنى البعد والترك، وقيل: من الهجر بضم الهاء أي قالوا فيه الهجر حين قالوا إنه شعر وسحر، والأول أظهر.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ العدو هنا جمع والمراد تسلية النبي ﷺ بالتأسي بغيره من الأنبياء. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ وعد لمحمد ﷺ بالهدى والنصرة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ هذا من اعتراضات قريش لأنهم قالوا لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل. ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ هذا جواب لهم تقديره: أنزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤاد محمد ﷺ لحفظه، ولو نزل جملة واحدة

---

(١) وقال ابن عباس: وجماعة من المفسرين «الظالم» في هذه الآية عقبة بن أبي معيط وذلك أنه كان أسلم أو جنح إلى الإسلام وكان أبي بن خلف الذي قتله رسول الله ﷺ بيده يوم أحد «خليلا» لعقبة فنهاه عن الإسلام فقبل نهيه فنزلت الآية فيهم. جامع البيان للطبري: ٢٦٣/١٩، والمحرر الوجيز: ٣٥٣/٤.

لتعذر عليه حفظه لأنه أمي لا يقرأ فحفظ المفرق عليه أسهل، وأيضا فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كل جزء منه عند حدوث سببه، وأيضا منه ناسخ ومنسوخ ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة. ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي فرقناه تفريقا، فإنه نزل بطول عشرين سنة[1]، وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدر الذي يتعلق به كذلك وبه يتعلق ﴿لِنُثَبِّتَ﴾.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا
﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ
مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ
لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾
وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا
﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾
وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ
أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾
وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ
اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا
عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾
أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ الآية معناها لا يوردون عليك سؤالا أو اعتراضا إلا أتيناك في جوابه بالحق والتفسير الحسن، الذي يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يعني الكفار وحشرهم على وجوههم حقيقة لأنه جاء في الحديث[2] قيل يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادرا على أن يمشيه في الآخرة على وجهه. ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يحتمل أن يريد بالمكان المنزلة والشرف، أو الدار والمسكن في الآخرة.

﴿وَزِيرًا﴾ معينا. ﴿إِلَى الْقَوْمِ﴾ يعني فرعون وقومه، وفي الكلام حذف، تقديره: فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم.

---

(١) وقيل: ثلاث وعشرين سنة، وتقدم الكلام في ذلك في مقدمة الكتاب.

(٢) في الصحيح: عن أنس، أن رجلا قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال: «إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يُمشِيَه على وجهه يوم القيامة» صحيح البخاري رقم (٤٧٦٠)، وصحيح مسلم رقم (٢٨٠٦). شرح السنة للبغوي الحديث رقم: (٤٣١٥).

﴿كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ تأويله كما ذكر في قوله في هود: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يريد بالظالمين من تقدم، ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمر لقصد وصفهم بالظلم، أو يريد الظالمين على العموم.

﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ معنى الرس في اللغة البئر، واختلف في أصحاب الرس، فقيل: هم من بقية ثمود، وقيل: من أهل اليمامة، وقيل: من أهل أنطاكية، وهم أصحاب يس، واختلف في قصتهم، فقيل: بعث الله إليهم نبيئا فرموه في بئر فأهلكهم الله، وقيل: كانوا حول بئر لهم فانهارت بهم فهلكوا. ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ يقتضي التكثير والإبهام، والإشارة بذلك إلى المذكور قبل من الأمم.

﴿ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ أي بينا له. ﴿تَبَّرْنَا﴾ أي أهلكنا.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ الضمير في أتوا لقريش وغيرهم من الكفار، والقرية قرية قوم لوط، و﴿مَطَرَ السَّوْءِ﴾ الحجارة، ثم وقفهم على رؤيتهم لها لأنها في طريقهم إلى الشام، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم بالنشور و﴿يَرْجُونَ﴾ كقوله ﴿يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وقد ذكر.

﴿أَهَٰذَا الَّذِي﴾ حكاية قولهم على وجه الاستهزاء، فالجملة في موضع مفعول لقول محذوف يدل عليه هزؤا، وقولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ استئناف جملة أخرى وتم كلامهم، واستأنف كلام الله تعالى في قوله: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الآية على وجه التهديد لهم.

﴿اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ أي أطاع هواه حتى صار كأنه له إله.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام ليس لها عقول وهؤلاء لهم عقول ضيعوها، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ
مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ
دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا
وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ
أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ
نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا
كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ
وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا
﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا
وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ
وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

ربع

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي إلى صنع ربك وقدرته. ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ قيل: مده من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ لأن الظل حينئذ على الأرض كلها، واعترضه ابن عطية[1] بأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال ظل بالليل، واختار أن مد الظل ما بين أول الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير، وقيل: معنى مد الظل أي جعله يمتد وينبسط. ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي ثابتا غير زائل لكنه جعله يزول بالشمس، وقيل: معنى ساكن غير منبسط على الأرض، بل يلتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ قيل: معناه أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض ومتى يزول عن مكان إلى آخر، فيبنون على ذلك انتفاعهم به وجلوسهم فيه، وقيل: معناه لولا الشمس لم يعرف عن الظل شيء، لأن الأشياء لم تعرف إلا بأضدادها.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قبضه نسخه وإزالته بالشمس، ومعنى يسيرا شيئا بعد شيء لا دفعة واحدة، فإن قيل: ما معنى ثم في هذه المواضع الثلاثة؟ فالجواب: أنه يحتمل أن تكون للترتيب في الزمان، أي جعل الله هذه الأحوال حالا بعد حال، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال الثلاثة، وأن الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم من الثاني.

(١) المحرر الوجيز: ٤/٢٥٧.

﴿الَّيْلَ لِبَاساً﴾ شبه ظلام الليل باللباس لأنه يستر كل شيء كاللباس.
﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتاً﴾ قيل: راحة، وقيل: موتا لقوله: ﴿يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، ويدل عليه مقابلته بالنشور.

﴿الرِّيَاحَ نُشْراً﴾ ذكر في الأعراف. ﴿مَآءً طَهُوراً﴾ مبالغة في طاهر، وقيل: معناه مطهر للناس في الوضوء وغيره، وبهذا المعنى يقول الفقهاء: ماء طهورا أي مطهرا، وكل مطهر طاهر وليس كل طاهر مطهر.

﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ قيل: جمع إنسي، وقيل: جمع إنسان والأول أصح.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن، وقيل: للمطر وهو بعيد.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً﴾ أي لو شئنا لخففنا عنك أثقال الرسالة ببعث جماعة من الرسل، ولكنا خصصناك بها كرامة لك فاصبر عليها.

﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ الضمير للقرآن، أو لما دل عليه الكلام المتقدم.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ اضطرب الناس في هذه الآية لأنه لا يعلم في الدنيا بحر ملح وبحر عذب، وإنما البحار المعروفة ماؤها ملح، قال ابن عباس[(١)]: أراد بالبحر الملح الأجاج بحر الأرض، وبالبحر العذب الفرات، وقيل: بحر السحاب، وقيل: البحر الملح البحر المعروف والبحر العذب مياه الأرض، وقيل: البحر الملح جميع الماء الملح من الآبار وغيرها، والبحر العذب هو مياه الأرض من الأنهار والعيون، ومعنى الفرات: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والأجاج نقيضه، واختلف في معنى مرجهما، فقيل: جعلهما متجاورين متلاصقين، وقيل: أسال أحدهما في الآخر. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ أي فاصلا يفصل بينهما وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان، وقيل: هذا البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر.

---

(١) لم نجده مسندا.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧) وَتَوَكَّلْ عَلَى
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا
(٥٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ
أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠) ۞ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ
فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (٦١) وَهُوَ
الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ
شُكُورًا (٦٢) وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ
هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥)
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا
لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧)

﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ إن أراد بالبشر آدم فالمراد بالماء: الماء الذي خلط مع التراب فصار طينا، وإن أراد بالبشر بني آدم فالمراد بالماء: المني الذي يخلقون منه. ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ النسب والصهر يعمان كل قربى النسب أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم قرب ذلك أو بعد، والصهر هو الاختلاط بالنكاح، وقيل: أراد بالنسب الذكور أي ذوي نسب ينتسب إليهم، وأراد بالصهر الإناث أي ذوات صهر يصاهر بهن وهو كقوله: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.

﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ الكافر هنا الجنس، وقيل: المراد أبو جهل، والظهير المعين أي يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك، ولفظه يقع للواحد والجماعة كقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي لا أسئلكم على الإيمان أجرة ولا منفعة. ﴿إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ معناه: إنما أسألكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالتقرب إليه وعبادته، فالاستثناء منقطع، وقيل: المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالصدقة، فالاستثناء على هذا متصل، والأول أظهر، وفي الكلام محذوف، تقديره: إلا سؤال من شاء أو ما أشبه ذلك.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ قرأ هذه الآية بعض السلف فقال: لا

ينبغي لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق فإنه يموت. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي قل: سبحان الله وبحمده، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به، ومعنى بحمده أي بحمده أقول ذلك، ويحتمل أن يكون المعنى سبحه متلبسا بحمده، فهو أمر بأن يجمع بين التسبيح والحمد. ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ يحتمل أن يكون المراد بهذا بيان حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم، أو يكون المراد تهديد العباد لعلم الله بذنوبهم.

﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ذكر في الأعراف. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبر ابتداء مضمر، أو بدل من الضمير في استوى. ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ فيه معنيان:

أحدهما: وهو الأظهر، أن المراد اسأل عنه من هو خبير عارف به، وانتصب خبيرا على المفعولية، وهذا الخبير المسؤل هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، والعلماء وأهل الكتاب، والباء في قوله به يحتمل أن تتعلق بـ ﴿خَبِيرًا﴾ أو تتعلق بالسؤال، ويكون معناها على هذا معنى عن.

والمعنى الثاني: أن المراد اسأل بسؤاله خبيرا، أي إن سألته تعالى تجده خبيرا بكل شيء، فانتصب خبيرا على الحال وهو كقولك: لو رأيت فلانا رأيت به أسدا، أي رأيت برؤيته أسدا.

﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لما ذكر الرحمن في القرآن أنكرته قريش وقالوا لا نعرف الرحمن، وكان مسيلمة الكذاب قد تسمى بالرحمن فقالوا على وجه المغالطة: إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة. ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ تقديره: لما تأمرنا أن نسجد له. ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ الضمير المفعول في زادهم يعود على المقول وهو ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾.

﴿بُرُوجًا﴾ يعني المنازل الاثنى عشر، وقيل: الكواكب العظام. ﴿سِرَٰجًا﴾ يعني الشمس وقرئ[1] بضم السين والراء على الجمع يعني جميع الأنوار، ثم خص

(١) ﴿سراجا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم السين والراء من غير ألف على الجمع، وقرأ الباقون

القمر بالذكر تشريفا.

﴿جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي يخلف هذا هذا، وقيل: هو من الاختلاف لأن هذا أبيض وهذا أسود، والخلفة اسم الهيئة كالركبة والجلسة، فالأصل جعلهما ذوي خلفة. ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ قيل: معناه يعتبر في المصنوعات، وقيل: معناه يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه في النهار، أو فاته بالنهار فيستذكره بالليل، وهو قول عمر بن الخطاب[1] وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي عباده المرضيون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة، وعباد مبتدأ وخبره الذين يمشون، أو قوله في آخر السورة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾. ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي رفقا ولينا بحلم ووقار، ويحتمل أن يكون ذلك وصف مشيهم على الأرض، أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبر بالمشي على الأرض عن جميع تصرفهم مدة حياتهم. ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ أي قالوا قولا سديدا ليدفع الجاهل برفق، وقيل: معناه قالوا للجاهل سلاما، أي هذا اللفظ بعينه بمعنى سلمنا منكم، قال بعضهم: هذه الآية منسوخة بالسيف، وإنما يصح النسخ في حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحلم عنهم فمستحسن غير منسوخ.

﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ وما بعده يحتمل أن يكون من كلامهم، أو من كلام الله ﷻ.

﴿كَانَ غَرَامًا﴾ أي هلاكا وخسرانا، وقيل: ملازما.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ الإقتار: هو التضييق في النفقة والشح، وضده: الإسراف، فنهى عن الطرفين وأمر بالتوسط بينهما وهو القوام وذلك في الإنفاق في المباحات وفي الطاعات، وأما الإنفاق في المعاصي: فهو

بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على الأفراد. النشر: ٢/٣٧٤.

(١) قال ابن عطية: وقال عمر بن الخطاب والحسن وابن عباس معناه: لمن أراد أن يذكر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في أحدهما فيستدركه في الذي يليه. المحرر الوجيز: ٤/٢٦٤.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا
وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا
دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سورة الشعراء

إسراف وإن قل.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي عقابا، وقيل: الأثام الإثم فمعناه يلق جزاء أثام، وقيل: الأثام واد في جهنم، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما ذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا.

﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ قيل: نزلت في الكفار[1] لأنهم المخلدون في النار بإجماع، فكأنه قال: الذين يجمعون بين الشرك والقتل والزنا، وقيل: نزلت في المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون، فأما على مذهب المعتزلة فالخلود على بابه، وأما على مذهب أهل السنة، فالخلود عبارة عن طول المدة.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ إن قلنا الآية في الكفار فلا إشكال فيها لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا، وإن قلنا إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح، واختلف: هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا؟ ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قيل: يوفقهم الله لفعل الحسنات بدلا عما عملوا من السيئات، وقيل: إن هذا التبديل في الآخرة أي يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات.

﴿يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي متابا مقبولا مرضيا عند الله، كما تقول: لقد قلت يا فلان قولا، أي قولا حسنا.

﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي لا يشهدون بالزور وهو الكذب فهو من الشهادة،

---

(١) لم أقف عليه مسندا.

وقيل: لا يحضرون مجالس الزور واللهو، فهو على هذا من المشاهدة والحضور، والأول أظهر. ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ اللغو هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه ومعنى مروا كراما أي أعرضوا عنه واستحيوا ولم يدخلوا مع أهله تنزيها لأنفسهم عن ذلك.

﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي لم يعرضوا عن آيات الله بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم فالنفي للصمم والعمى لا للخرور عليها.

﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ قيل: معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لك، وقيل: أدخلهم معنا الجنة، واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي قدوة يقتدي بنا المتقون، فإمام مفرد يراد به الجنس، وقيل: هو جمع آم أي متبع.

﴿الْغُرْفَةَ﴾ يعني غرفة الجنة فهي اسم جنس.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال:

الأول: أن المعنى إن الله لا يبالي بكم لولا عبادتكم له، فالدعاء بمعنى العبادة وهذا قريب من معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

الثاني: أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال، والمعنى: لا يبالي الله بكم ولكن يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه، ويكون على هذين القولين خطابا لجميع الناس من المؤمنين والكافرين؛ لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه، أو خطابا للمؤمنين خاصة؛ لأنهم هم الذين يدعون الله ويعبدونه، ولكن يضعف هذا بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

الثالث: أنه خطاب للكفار خاصة، والمعنى على هذا: ما يعبأ بكم ربي لولا أن يدعوكم إلى دينه، والدعاء على هذا بمعنى الأمر بالدخول في الدين، وهو

مصدر مضاف إلى المفعول، وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ هذا خطاب لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين. ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي سوف يكون العذاب لزاما ثابتا، وأضمر العذاب وهو اسم كان لأنه جزاء التكذيب المتقدم، واختلف: هل يراد بالعذاب هنا القتل يوم بدر، أو عذاب الآخرة؟.

❊❊ ❊❊ ❊❊

ربع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

• طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا
يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ
مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ
أَنۢبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ
أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾
قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي
فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾
قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

سورة الشعراء

﴿طسٓمٓ﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في أول سورة البقرة، ويخص هذا أنه قيل: الطاء من ذي الطول، والسين من السميع أو السلام، والميم من الرحيم أو المنعم.

﴿بَٰخِعٌ﴾ ذكر في الكهف.

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ الأعناق جمع عنق وهي الجارحة المعروفة، وإنما جمع خاضعين جمع العقلاء لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء، وقيل: الأعناق الرؤساء من الناس شبهوا بالأعناق كما يقال لهم: رؤوس وصدور، وقيل: هم الجماعات من الناس، فلا يحتاج جمع خاضعين إلى تأويل.

﴿مُحْدَثٍ﴾ يعني به محدث الإتيان. ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ الآية تهديد.

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي من كل صنف من النبات فيعم ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعى، ووصفه بالكرم لما فيه من الحسن ومن المنافع.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ الإشارة إلى ما تقدم من النبات، وإنما ذكره بلفظ الإفراد لأنه أراد أن في كل واحد آية، أو إشارة إلى مصدر قوله أنبتنا.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ بالرفع عطف على أخاف أو استئناف وقرئ[1] بالنصب

(١) ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ قرأ يعقوب بنصب القاف منهما، وقرأ الباقون برفعها. النشر: ٢/٣٧٥.

عطفا على يكذبون. ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ أي اجعله معي رسولا أستعين به.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ﴾ يعني قتله للقبطي.

﴿قَالَ كَلَّا﴾ أي لا تخف أن يقتلوك. ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ خطاب لموسى وأخيه ومن كان معهما، أو على جعل الاثنين جماعة. ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ لفظه جمع وورد مورد تعظيم الله تعالى، ويحتمل أن تكون الملائكة هي التي تستمع بأمر الله؛ لأن الله لا يوصف بالاستماع وإنما يوصف بالسمع، والأول أحسن وتأويله أن في الاستماع اعتناء واهتماما بالأمر ليست في صفة سامعون، والخطاب في قوله معكم لموسى وهارون وفرعون وقومه، وقيل: لموسى وهارون خاصة على معاملة الاثنين معاملة الجماعة، وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان.

﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إن قيل: لم أفرده وهما اثنان؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن التقدير كل واحد منا رسول.

الثاني: أنهما جعلا كشخص واحد لاتفاقهما في الشريعة، ولأنهما أخوان فكأنهما واحد.

الثالث: أن رسول هنا مصدر وصف به فلذلك أطلق على الواحد والاثنين والجماعة، فإنه يقال رسول بمعنى رسالة، بخلاف قوله: ﴿إِنَّا رَسُولاً﴾ فإنه بمعنى المرسل.

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي أطلقهم.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ قصد فرعون بهذا الكلام المن على موسى والاحتقار له.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قصد فرعون بهذا الكلام

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا
خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ
نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَآءِيلَ ﴿٢٢﴾ ۞ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا
رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ
رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي
أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا
بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي
لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾
قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ
ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ
لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ
أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي
الْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ
السَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

توبيخ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويعني بالفعلة قتله للقبطي، والواو في قوله وأنت إن كانت للحال فقوله: من الكافرين معناه كافرا بهذا الدين الذي جئت به؛ لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة وقد كان قبل ذلك مؤمنا ولم يعلم بذلك فرعون، وقيل: معناه من الكافرين بنعمتي وإن كانت الواو للاستئناف فيحتمل أن يريد من الكافرين بديني، أو من الكافرين بنعمتي.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ القائل هنا هو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والضمير في قوله: فعلتها لقتله القبطي، واختلف في معنى قوله: من الضالين فقيل معناه من الجاهلين بأن وكزتي تقتله، وقيل: معناه من الناسين فهو كقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وقوله: ﴿إِذًا﴾ صلة في الكلام وكأنها بمعنى حينئذ قال ذلك ابن عطية[1].

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ أي من فرعون وقومه، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفرده في قوله: ﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ﴾.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ معنى عبدت ذللت واتخذتهم عبيدا، فمعنى هذا الكلام أنك عددت نعمة عليّ تعبيد بني إسرائيل، وليست في الحقيقة بنعمة إنما كانت نقمة لأنك تذبح أبناءهم ولذلك وصلت أنا إليك فربيتني، فالإشارة بقوله: تلك إلى التربية و﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ في موضع رفع

(١) المحرر الوجيز: ٤/٢٧٥.

عطف بيان على تلك، أو في موضع نصب على أنه مفعول من أجله، وقيل: معنى الكلام تربيتك نعمة علي لأنك عبدت بني إسرائيل وتركتني، فهي في المعنى الأول إنكار لنعمته، وفي الثاني اعتراف بها.

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال: وما رب العالمين؟ أجابه موسى بقوله: رب السموات والأرض. فقال: ألا تستمعون تعجبا من جوابه، فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ربكم ورب آبائكم الأولين؛ لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر الأدلة عند العقلاء وأعظم البراهين، فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلون بها على وجود خالقهم، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه، وأبدى الازدراء والتهكم في قوله: ﴿رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾، فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾؛ لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحد جحدها، ولا أن يدعيها لغير الله، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمروذ فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب، فهدده بالسجن، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة، وذكرها له بتلطف طمعا في إيمانه، فقال: أولو جئتك بشيء مبين؟ والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام، وتقديره: أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين؟ وقد تقدم في الأعراف: ذكر العصا، واليد، وماذا تأمرون، وأرجه، وحاشرين. فإن قيل: كيف قال أولا إن كنتم موقنين، ثم قال آخرا: إن كنتم تعقلون؟ فالجواب: أنه لاين أولا طمعا في إيمانهم فلما رأى منهم العناد والمغالطة وبخهم بقوله ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون: إن رسولكم... لمجنون.

﴿لِمِيقَاتِ يَوْمٍ﴾ هو يوم الزينة.

﴿نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾ أي نتبعهم في نصرة ديننا لا في عمل السحر؛ لأن عمل السحر كان حراما.

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ
نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم
مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾
فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ
مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَآمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا لَا
ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن
كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اسْرِ بِعِبَادِيَ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ
﴿٥٧﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٨﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٩﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ ﴿٦٠﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦١﴾

ربع

﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ قسم أقسموا به وقد تقدم في الأعراف تفسير ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ وما بعد ذلك.

﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي لا يضرنا ذلك لأننا ننقلب إلى الله.

﴿اسْرِ بِعِبَادِيَ﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ إخبار باتباع فرعون.

﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ الشرذمة الطائفة من الناس وفي هذا احتقار لهم على أنه روي: أنهم كانوا ستمائة ألف(١)، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ يعني التي بمصر، والعيون الخلجان الخارجة من النيل وكانت ثم عيون في ذلك الزمان، وقيل: يعني الذهب والفضة وهو بعيد.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجالس الأمراء والحكام، وقيل: المنابر، وقيل: المساكن الحسان

﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع خفض صفة لمقام، أو في موضع نصب على تقدير: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج، أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء، تقديره: الأمر

---

(١) قال ابن عطة: وروي أن بني إسرائيل كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا قاله ابن عباس، والله أعلم بصحته، وإنما اللازم من الآية الذي يقطع به أن موسى عليه السلام خرج بجمع عظيم من بني إسرائيل، وأن فرعون تبعه بأضعاف ذلك العدد، قال ابن عباس: كان مع فرعون ألف جبار كلهم عليه تاج وكلهم أمير خيل، والشرذمة الجمع القليل المحتقر وشرذمة كل شيء بقيته الخسيسة. المحرر الوجيز: ٤/٢٧٩.

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾
قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ
ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن
مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ
وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٦٨﴾ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا
تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ
هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾
قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا
كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ
عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ ثمن
وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾
وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي
يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

كذلك. ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي أورثهم الله مواضع فرعون بمصر على أن التواريخ لم يذكر فيها ملك بني إسرائيل لمصر، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام، فتأويله على هذا أورثهم مثل ذلك بالشام ﴿فَأَتۡبَعُوهُم﴾ أي: لحقوهم، وضمير الفاعل لفرعون وقومه، وضمير المفعول لبني إسرائيل.

﴿مُّشۡرِقِينَ﴾ معناه داخلين في وقت الشروق وهو طلوع الشمس، وقيل: معناه نحو المشرق وانتصابه على الحال.

﴿تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ وزن تراءى تفاعل، وهو مشتق من الرؤية، والجمعان جمع موسى وجمع فرعون، أي رأى بعضهم بعضا.

﴿فَٱنفَلَقَ﴾ تقدير الكلام: فضرب موسى البحر فانفلق. ﴿كُلُّ فِرۡقٖ﴾ أي كل جزء منه، والطود الجبل، وروي: أنه صار في البحر اثني عشر طريقا لكل سبط من بني إسرائيل طريق.

﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ يعني بالآخرين فرعون وقومه، ومعنى أزلفنا: قربناهم من البحر ليغرقوا، وثم هنا ظرف يراد به حيث انفلق البحر وهو بحر القلزم.

﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام ليبين لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء ويقيم عليهم الحجة.

وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي
يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ
لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ
يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾
وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ
إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾
وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ
حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ
نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

حزب

﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ إن قيل: لم صرحوا بقولهم نعبد مع أن السؤال وهو قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ يغني عن التصريح بذلك، وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله: ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾؟ فالجواب: أنهم صرحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام، ثم زادوا قولهم فنظل لها عاكفين مبالغة في ذلك.

﴿بَلْ وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا﴾ اعتراف بالتقليد المحض.

﴿إِلاَّ رَبَّ الْعَـٰلَمِينَ﴾ استثناء منقطع، وقيل: متصل لأن في آبائهم من عبد الله تعالى.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أسند المرض إلى نفسه وأسند الشفاء إلى الله، تأدبا مع الله.

﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي﴾ قيل: أراد كذباته الثلاث الواردة في الحديث، وهي قوله في سارة زوجته: هي أختي، وقوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم(١)، وقيل: أراد الجنس على الإطلاق لأن هذه الثلاث من المعاريض فلا إثم فيها.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء جميلا.

﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ﴾ وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم وهو من كلام الله تعالى،

(١) البخاري الحديث رقم: (٣١٧٩)، ومسلم الحديث رقم: (٢٣٧١)، وتقدم تخريجه.

ويحتمل أن يكون أيضا من كلام إبراهيم.

﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قيل: سليم من الشرك والمعاصي، وقيل: الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيء غيره، وقيل: بقلب لديغ من خشية الله، والسليم هو اللديغ لغة، وقال الزمخشري: هذا من بدع التفاسير، وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلا فيكون من أتى الله مفعولا بقوله: ﴿لاَ يَنفَعُ﴾ والمعنى على هذا أن المال لا ينفع إلا من أنفقه في طاعة الله، وأن البنين لا ينفعون إلا من علمهم الدين وأوصاهم بالحق، ويحتمل أيضا أن يكون متصلا ويكون قوله: ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ بدلا من قوله: ﴿مَالٌ وَلاَ بَنُونَ﴾ على حذف مضاف، تقديره: إلا مال من أتى الله وبنوه، ويحتمل أن يكون منقطعا بمعنى لكن.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أي قربت.

﴿لِلْغَاوِينَ﴾ يعني المشركين بدلالة ما بعده.

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ كبكبوا مضاعف من كب كررت حروفه دلالة على تكرير معناه، أي كبهم الله في النار مرة بعد مرة، والضمير للأصنام والغاوون هم المشركون، وقيل: الضمير للمشركين والغاوون هم الشياطين.

﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي نجعلكم سواء معه.

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ﴾ يعني كبراءهم وأهل الجرم والجراءة منهم.

﴿حَمِيمٍ﴾ أي خالص الود، قال الزمخشري[1]: جمع الشفعاء ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الأصدقاء.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ أسند الفعل إلى القوم، وفيه علامة التأنيث لأن القوم في معنى الجماعة والأمة، فإن قيل: كيف قال المرسلين بالجمع وإنما

(١) الكشاف: ٣/٣٢٧.

كذبوا نوحا وحده؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد الجنس كقولك: فلان يركب الخيل، وإنما لم يركب إلا فرسا واحدا.

والآخر: أن من كذب نبيا واحدا فقد كذب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأن قولهم واحد ودعوتهم سواء، وكذلك الجواب في ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وغيرهم.

قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى
وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ
ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾
كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾
أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ
تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ
﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾
قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ جمع أرذل وقد تقدم الكلام عليه في قوله ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ في هود.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني الذين سموهم أرذلين فإن الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم كما أرادت قريش من رسول الله ﷺ أن يطرد: عمار بن ياسر، وصهيبا، وبلالا، وأشباههم من الضعفاء.

﴿ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ يحتمل أن يريد الرجم بالحجارة، أو بالقول وهو الشتم.

﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ﴾ أي احكم بيننا.

﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ أي المملوء.

﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ الريع المكان المرتفع، وقيل: الطريق. ﴿ءَايَةً﴾ يعني المباني الطوال، وقيل: أبراج الحمام.

﴿مَصَانِعَ﴾ جمع مصنع وهو ما أتقن صنعه من المباني، وقيل: مأخذ الماء.

إن هذا إلا خلق الأولين ﴿١٣٧﴾ وما نحن بمعذبين ﴿١٣٨﴾ فكذبوه
فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٣٩﴾
وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴿١٤٠﴾ كذبت ثمود المرسلين ﴿١٤١﴾
إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ﴿١٤٢﴾ إني لكم رسول أمين
﴿١٤٣﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٤٤﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن
أجري إلا على رب العالمين ﴿١٤٥﴾ • أتتركون في ما هاهنا آمنين
﴿١٤٦﴾ في جنات وعيون ﴿١٤٧﴾ وزروع ونخل طلعها هضيم ﴿١٤٨﴾
وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين ﴿١٤٩﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٥٠﴾
ولا تطيعوا أمر المسرفين ﴿١٥١﴾ الذين يفسدون في الأرض
ولا يصلحون ﴿١٥٢﴾ قالوا إنما أنت من المسحرين ﴿١٥٣﴾ ما أنت
إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين ﴿١٥٤﴾ قال
هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴿١٥٥﴾ ولا تمسوها
بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ﴿١٥٦﴾ فعقروها فأصبحوا
نادمين ﴿١٥٧﴾ فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين ﴿١٥٨﴾ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴿١٥٩﴾

﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ﴾ الآية تفسير لقوله ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ فأبهم أولا ثم فسره.

﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ بضم الخاء واللام أي عادتهم، والمعنى: أنهم قالوا ما هذا الذي عليه من ديننا إلا عادة الناس الأولين وقرئ[1] بفتح الخاء وإسكان اللام، ويحتمل على هذا وجهين:

أحدهما: أنها بمعنى الخلقة والمعنى ما هذه الخلقة التي نحن عليها إلا خلقة الأولين.

والآخر: أنها من الاختلاق بمعنى الكذب، والمعنى ما هذا الذي جئت به إلا كذب الأولين.

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ تخويف لهم، معناه: أتطمعون أن تتركوا في النعم على كفركم.

﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطلع: عنقود التمر في أول نباته قبل أن يخرج من الكم، والهضيم: اللين الرطب، فالمعنى: أن طلعها يتم ويرطب، وقيل: هو الرخص أول ما يخرج، وقيل: الذي ليس فيه نوى، فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات، والجنات تحتوي على النخل؟ فالجواب: أن ذلك تجريد كقوله: ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ ويحتمل أنه أراد الجنات التي ليس فيها نخل، ثم عطف عليها النخل.

(١) ﴿خلق الأولين﴾ قرأ أبو جعفر وابن كثير بفتح الخاء وإسكان اللام، وقرأ الباقون بضم الخاء واللام. النشر: ٢/٣٧٥.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا
تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾
كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا
ربع أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا
الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ
﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ ذكر في الأعراف. ﴿فَرِهِينَ﴾ قرئ[1] بألف وبغير ألف وهو منصوب على الحال من الفاعل في تنحتون، وهو مشتق من الفراهة وهي النشاط والكيس، وقيل: معناه أقوياء وقيل: أشرين بطرين.

﴿مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ مبالغة في المسحورين وهو من السحر بكسر السين، وقيل: من السحر بفتح السين وهي الرؤية، والمعنى على هذا: إنما أنت بشر.

﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ أي حظ من الماء.

﴿فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ﴾ لما تغيرت ألوانهم حسبما أخبرهم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ندموا حيث لا تنفعهم الندامة.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ التي ماتوا منها، وهي العذاب المذكور هنا.

﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي من المبغضين وفي قوله قال ومن القالين ضرب من ضروب التجنيس.

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي نجني من عقوبة عملهم أو اعصمني من عملهم والأول أرجح.

﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني امرأة لوط. ﴿فِي ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ ذكر في الأعراف وكذلك أمطرنا.

---

(١) ﴿فرهين﴾ قرأ الكوفيون وابن عامر بألف. المصدر.

﴿أَصْحَٰبُ لَـْٔيْكَةِ﴾ قرئ[١] بالهمز وخفض التاء مثل الذي في الحجر وق ومعناه الغيضة من الشجر، وقرئ هنا وفي ص بفتح اللام والتاء، فقيل: إنه مسهل من الهمز، وقيل: إنه اسم بلدهم، ويقوي هذا القول بأنه على هذه القراءة بفتح التاء غير منصرف يدل على ذلك أنه اسم علم، وضعف ذلك الزمخشري، وقال إن الأيكة اسم لا يعرف[٢].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل هنا (أخوهم) كما قال في قصة نوح وغيره، وقيل: إن شعيبا بعث إلى مدين وكان من قبيلتهم فلذلك قيل: وإلى مدين أخاهم شعيبا، وبعث أيضا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم فلذلك لم يقل أخوهم فكان شعيبا على هذا مبعوثا إلى القبيلتين، وقيل: إن أصحاب الأيكة مدين ولكنه قيل: أخوهم حين ذكرهم باسم قبيلتهم ولم يقل أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها تنزيها لشعيب عن النسبة إليها.

﴿مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ أي من الناقصين للكيل والوزن.

﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ الميزان المعتدل.

﴿وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ يعني القرون والأمم المتقدمة.

﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ هي سحابة من نار أحرقتهم فأهلك الله مدين بالصيحة، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة، فإن قيل: لم كرر قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ مع

---

(١) ﴿أصحاب الأيكة﴾ هنا وفي ص٨١٩ قرأهما المدنيان وابن كثير وابن عامر بلام مفتوحة من غير ألف وصل قبلها ولا همزة بعدها وبفتح تاء التأنيث في الوصل مثل حيوة وطلحة وكذلك رسماً في جميع المصاحف، وقرأ الباقون بألف الوصل مع إسكان اللام وهمزة مفتوحة بعدها، وخفض تاء التأنيث في الموضعين وحمزة في الوقف على أصله، واتفقوا على حرفي الحجر أنهما بهذه الترجمة إجماع المصاحف على ذلك، وورش ومن وافقه في النقل على أصلهم. النشر المصدر السابق.

(٢) الكشاف: ٣/٣٣٦.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ
مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ
الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾
بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن
لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ
بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ
﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ
حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾
فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

كل قصة؟ فالجواب أن ذلك أبلغ في الاعتبار وأشد تنبيها للقلوب، وأيضا فإن كل قصة منها كأنها كلام قائم مستقل بنفسه، فختمت بما ختمت به صاحبتها.

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الضمير للقرآن.

﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ يعني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ إشارة إلى حفظه إياه لأن القلب هو الذي يحفظ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ يعني كلام العرب هو متعلق بنزل أو بالمنذرين.

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ المعنى: أن القرآن مذكور في كتب المتقدمين ففي ذلك دليل على صحته، ثم أقام الحجة على قريش بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بأنه من عند الله آية لكم وبرهان والمراد من أسلم من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام، وقيل: الذين كانوا يبشرون بمبعثه عليه الصلاة والسلام.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ الآية الأعجمي: جمع أعجم، وهو الذي لا يتكلم سواء كان إنسانا أو بهيمة أو جمادا، والأعجم المنسوب إلى العجم، وقيل: بمعنى الأعجم، ومعنى الآية أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم ثم قرأه عليهم لا يؤمنون لإفراط عنادهم، ففي الآية تسلية للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كفرهم

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ
إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ
بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ
السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ
الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي
بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي
يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾
تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ
كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ
وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ
مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمْلِ

ترتيبها ٢٧ — آياتها ٩٣

به مع وضوح برهانه.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معنى سلكناه: أدخلناه، والضمير للتكذيب الذي دل عليه ما تقدم من الكلام أو للقرآن، أي سلكناه في قلوبهم مكذبا به، وتقدير قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل هذا المسلك سلكناه، والمجرمين يحتمل أن يريد به قريشا أو الكفار المتقدمين، ولا يؤمنون تفسير للسلك الذي سلكه في قلوبهم.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ تمنوا أن يؤخروا حين لم ينفعهم التمني.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ توبيخ لقريش على استعجالهم بالعذاب في قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وشبه ذلك.

﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ المعنى: أن مدة إمهالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها وإن طالت مدة سنين؛ لأن كل ما هو آت قريب، قال بعضهم: سنين يراد به عمر الدنيا.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ المعنى: أن الله لم يهلك قوما إلا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولا فأنذرهم فكذبوه.

﴿ذِكْرَىٰ﴾ منصوب على المصدر من معنى الإنذار، أو على الحال من الضمير في منذرون، أو على المفعول من أجله، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ الضمير للقرآن، وهذا رد على من قال: إنه كهانة

نزلت به الشياطين على محمد.

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ أي ما يمكنهم ذلك ولا يقدرون عليه، ولفظ ما ينبغي تارة يستعمل بمعنى لا يمكن، وتارة بمعنى لا يليق.

﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ تعليل لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة لأنهم منعوا من استراق السمع منذ بعث محمد ﷺ، وقد كان أمر الكهان كثيرا منتشرا قبل ذلك.

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ عشيرة الرجل هم قرابته الأدنون، ولما نزلت هذه الآية أنذر النبي ﷺ قرابته فقال: يا بني هاشم[1] أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة، وعمته صفية، قال الزمخشري[2] في معناه قولان:

أحدهما: أنه أمر أن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس.

والآخر: أنه أمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب من الرأفة بقريبه ولا يحابيهم بالإنذار.

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ عبارة عن لين الجانب والرفق وعن التواضع.

﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي حين تقوم في الصلاة، ويحتمل أن يريد سائر التصرفات.

---

(١) روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة، ولفظ البخاري «قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﷻ: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾. قال: يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا». الحديث رقم: (٢٦٠٢)، ومسلم الحديث رقم: (٥٢٥)، وغيرهما.

(٢) الكشاف: ٣/٣٤٤.

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّٰجِدِينَ﴾ معطوف على ضمير المفعول في قوله يراك والمعنى أنه يراك حين تقوم وحين تسجد، وقيل: معناه يرى صلاتك مع المصلين، ففي ذلك إشارة إلى الصلاة في الجماعة، وقيل: يرى تقلب بصرك في المصلين خلفك؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يراهم من وراء ظهره.

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَٰطِينُ﴾ والأفاك الكذاب، والأثيم الفاعل للإثم، يعني بذلك الكهان، وفي هذا رد على من قال: إن الشياطين تنزلت على سيدنا محمد ﷺ بالكهانة؛ لأنها لا تنزل إلا على أفاك أثيم، وكان ﷺ على غاية الصدق والبر.

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ معناه يستمعون، والضمير يحتمل أن يكون للشياطين بمعنى أنهم يستمعون إلى الملائكة، أو يكون للكهان بمعنى أنهم يستمعون إلى الشياطين، وقيل: يلقون بمعنى يلقون المسموع، والضمير يحتمل أيضا على هذا أن يكون للشياطين لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان، أو يكون للكهان لأنهم يلقون الكلام إلى الناس. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ يعني الشياطين أو الكهان لأنهم يكذبون فيما يخبرون به عن الشياطين.

﴿وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُۥنَ﴾ لما ذكر الكهان ذكر الشعراء ليبين أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة، وأراد الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك، وقيل: أراد شعراء الجاهلية، وقيل: شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم، و﴿الْغَاوُۥنَ﴾ قيل: هم رواة الشعر، وقيل: هم سفهاء الناس الذين تعجبهم الأشعار لما فيها من اللغو والباطل، وقيل: هم الشياطين.

﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ استعارة وتمثيل، أي يذهبون في كل وجه من الكلام

الحق والباطل، ويفرطون في التجوز حتى يخرجوا إلى الكذب.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية استثناء من الشعراء يعني بهم شعراء المسلمين كحسان بن ثابت، وغيره، ممن اتصف بهذه الأوصاف، وقيل: إن هذه الآية مدنية ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قيل: معناه ذكروا الله في أشعارهم، وقيل: يعني الذكر على الإطلاق. ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ إشارة إلى ما قاله حسان بن ثابت وغيره من الشعراء في هجو الكفار بعد أن هجا الكفار النبي ﷺ. ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وعيد للذين ظلموا والظلم هنا بمعنى الاعتداء على الناس لقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ وعمل ينقلبون في أي لتأخره، وقيل: إن العامل في أي سيعلم.

❁❁ ❁❁ ❁❁

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ الْعَذَابِ وَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ ۞ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ
حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا
سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ
اللَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾
وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ
يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ
حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا
فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

ربع

سورة النمل

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض، وإن كان الموصوف واحداً.

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ في موضع نصب على المصدر، أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء مضمر.

﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة فتكون بقية صلة الذين، أو تكون مستأنفة وتمت الصلة قبلها ورجح الزمخشري هذا[1].

﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون. ﴿سُوٓءُ الْعَذَابِ﴾ يعني في الدنيا وهو القتل يوم بدر، ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة، والأول أرجح لأنه ذكر الآخرة بعد ذلك.

﴿لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ﴾ أي تعطاه. ﴿ءَانَسْتُ﴾ ذكر في طه، وكذلك قبس، والشهاب النجم شبه القبس به وقرئ[2] بإضافة شهاب إلى قبس، وبالتنوين على البدل أو الصفة، فإن قيل: كيف قال هنا ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ وفي الموضع الآخر

---

(١) قال الزمخشري: فإن قلت: ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ كيف يتصل بما قبله؟ قلت: يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول، ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية، كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة: هم الموقنون بالآخرة، وهو الوجه... الكشاف: ٣/٣٥٢.

(٢) ﴿بشهاب﴾ قرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين وقرأ الباقون بغيره النشر: ٢/٣٧٦، وانظر التيسر، ص: ١١١.

﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾ والفرق بين الترجي والتسويف أن التسويف متيقن الوقوع، بخلاف الترجي؟ فالجواب: أنه قد يقول الراجي سيكون كذا إذا قوي رجاؤه. ﴿تَصْطَلُونَ﴾ معناه تستدفئون بالنار من البرد، ووزنه تفعلون وهو مشتق من صلى بالنار والطاء بدل من التاء.

﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أن مفسرة ويورك من البركة، ومن في النار يعني من في مكان النار، ومن حولها من حول مكانها، يريد الملائكة الحاضرين وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال الزمخشري[1]: والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض، وفي ذلك الوادي، وما حوله من أرض الشام. ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون مما قيل في النداء لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو يكون مستأنفا وعلى كلا الوجهين قصد به تنزيه الله مما عسى أن يخطر ببال السامع من معنى النداء أو في قوله: ﴿بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ لأن المعنى: نودي أن بورك من في النار، إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ هذه الجملة معطوفة على قوله: ﴿بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ لأن المعنى: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك، فكلاهما تفسير للنداء. ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ الجان: الحية، وقيل: الحية الصغيرة، وعلى هذا يشكل قوله: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ﴾، والجواب: أنها ثعبان في جرمها، جان في سرعة حركتها. ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع أو لم يلتفت.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ استثناء منقطع، تقديره: لكن من ظلم من سائر الناس لا من المرسلين، وقيل: إنه متصل على القول بتجويز الذنوب على الأنبياء، وهذا بعيد، لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب، وأيضا فإن تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم. ﴿بَدَّلَ حُسْنًۢا﴾ أي عمل صالحا.

---

(١) الكشاف: ٣/٣٥٤.

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ
عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُودَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا
مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ
﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
ثمن يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ
يَٰٓأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ
وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن
قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى
الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ
لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ
فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿فِي جَيْبِكَ﴾ ذكر في طه. ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ متصل بقوله: ألق، وأدخل، تقديره: نيسر لك ذلك في جملة تسع آيات، وقد ذكرت الآيات التسع في الإسراء. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام، تقديره: اذهب بالآيات التسع إلى فرعون.

﴿مُبْصِرَةً﴾ أي ظاهرة واضحة الدلالة، وأسند الإبصار لها مجازا وهو في الحقيقة لمتأملها.

﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ يعني أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقنوا أنها الحق فكفرهم عناد، ولذلك قال فيه: ظلما، والواو فيه واو الحال، وأضمرت بعدها قد علوا يعني تكبروا.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُودَ﴾ أي ورث عنه النبوءة والعلم والملك. ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ أي فهمنا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها. ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم معناه الخصوص، والمراد بهذا اللفظ التكثير، كقولك: فلان يقصده كل أحد، وقوله: علمنا وأوتينا يحتمل أن يريد نفسه وأباه، أو نفسه خاصة على وجه التعظيم؛ لأنه كان ملكا.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُ﴾ اختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلافا شديدا، تركنا ذكره لعدم صحته. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يكفون ويرد أولهم إلى آخرهم، ولا بد لكل ملك أو حاكم من وزعة يدفعون الناس.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ ظاهر هذا أن سليمان وجنوده كانوا مشاة بالأرض أو ركبانا حتى خافت منهم النمل، ويحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح، وأحست النملة بنزولهم في وادي النمل. ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٌ﴾ النمل: حيوان فطن، قوي الحس، يدخر قوته، ويقسم الحبة بقسمين؛ لئلا تنبت، ويقسم حبة الكزبور بأربع قطع؛ لأنها تنبت إذا قسمت قسمين، ولإفراط إدراكها قالت هذا القول، وروي[١] أن سليمان سمع كلامها وكان بينه وبينها ثلاثة أميال، وذلك لا يسمعه البشر إلا من خصه الله بذلك. ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ خاطبتهم مخاطبة العقلاء لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء. ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ يحتمل أن يكون جوابا للأمر، أو نهيا بدلا من الأمر لتقارب المعنى. ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ الضمير لسليمان وجنوده، والمعنى: اعتذار عنهم لو حطموا النمل، أي لو شعروا بهم لم يحطموهم.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ تبسم لأحد أمرين:

أحدهما: سروره بما أعطاه الله.

والآخر: ثناء النملة عليه وعلى جنوده، فإن قولها وهم لا يشعرون وصف لهم بالتقوى، والتحفظ من مضرة الحيوان.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ﴾ اختلف الناس في معنى تفقده للطير، فقيل: ذلك لعنايته بأمور ملكه، وقيل: لأن الطير كانت تظله فغاب الهدهد فدخلت الشمس عليه من موضعه. ﴿أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ أم منقطعة فإنه نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره، فقال: مالي لا أرى الهدهد؟ أي لا أراه ولعله حاضر وستره ساتر، ثم علم أنه غائب فأخبر بذلك.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾ روي: أن تعذيبه للطير كان بنتف ريشه[٢].

---

(١) المحرر الوجيز: ٤/٢٥٣.

(٢) قال ابن عطية: وروي عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج أن تعذيبه للطير كان بأن تنتف،=

إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ
وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا
يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ
فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ
كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ
الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا
الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾
قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي حجة بينة.

﴿فَمَكُثَ﴾ أي أقام، ويجوز فتح الكاف وضمها وبالفتح قرأ عاصم[1] والفعل يحتمل أن يكون مسندا إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو إلى الهدهد وهو أظهر. ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يعني زمان قريب. ﴿أَحَطتُ﴾ أي أحطت علما بما لم تعلمه. ﴿مِن سَبَإٍ﴾ يعني قبيلة من العرب، وجدهم الذي يعرفون به: سبأ بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان، ومن صرفه أراد الحي أو الأب، ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة، وقرئ[2] بالتسكين لتوالي الحركات وعلى القراءة بالتنوين يكون في قول: ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ ضرب من أدوات البيان، وهو التجنيس.

﴿وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ المرأة بلقيس بنت شراحيل، كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت بعده على الملك، والضمير في تملكهم يعود على سبإ وهم قومها. ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجه الملك. ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يعني سرير ملكها، ووقف بعضهم على عرش، ثم ابتدأ: عظيم وجدتها، على تقدير: عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وهذا

= قال ابن جريج: ريشه أجمع، وقال يزيد بن رومان جناحاه. المحرر الوجيز: ٤/٣٠٤ ولكن هذا الأثر يحتاج إلى سند.

(١) ﴿فمكث﴾ قرأ عاصم وروح بفتح الكاف وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٢/٣٧٧.

(٢) ﴿من سبإ﴾ هنا ﴿ولسبإ﴾ في سورة سبإ قرأ أبو عمرو والبزي بفتح الهمز من غير تنوين فيهما، وروى قنبل بإسكان الهمزة منهما، وقرأ الباقون في الحرفين بالخفض والتنوين. النشر: ٢/٣٧٧.

خطأ، وإنما حمله عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة.

﴿أَلاَّ يَسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ من كلام الهدهد أو من كلام الله، وقرأ الجمهور بالتشديد وأن في موضع نصب على البدل من أعمالهم، أو في موضع خفض على البدل من السبيل، أو يكون التقدير: لا يهتدون لأن يسجدوا بحذف اللام وزيادة لا، وقرئ[١] بالتخفيف على أن تكون لا حرف تنبيه، وأن تكون الياء حرف نداء فيوقف عليها بالألف على تقدير: ياقوم ثم يبتدأ اسجدوا. ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ الخبء: في اللغة الخفي، وقيل: معناه هنا الغيب، وقيل: يخرج النبات من الأرض، واللفظ يعم كل خفي وبه فسره ابن عباس[٢].

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: تنح إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون، وروي: أنه دخل عليها من كوة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكوة، وقيل: إن التقدير: انظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم، فهو من المقلوب، والمعنى الأول أحسن. ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ من قوله ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾.

﴿قَالَتْ يَـٰأَيُّهَا الْمَلَؤُاْ﴾ قبل هذا الكلام محذوف، تقديره: فألقى الهدهد إليها الكتاب فقرأته، ثم جمعت أهل ملكها، فقالت لهم يا أيها الملأ. ﴿كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ﴾ وصفته بالكرم لأنه من عند سليمان، أو لأن فيه اسم الله، أو لأنه مختوم كما جاء في الحديث[٣] كرم الكتاب ختمه.

---

(١) ﴿الا يسجدوا﴾ قرأ أبو جعفر والكسائي ورويس بتخفيف اللام ووقفوا في الابتداء ﴿الا يا﴾ وابتدؤا ﴿اسجدوا﴾ بهمزة مضمومة على الأمر على معنى ألا يا هؤلاء، أو يا أيها الناس اسجدوا فحذفت همزة الوصل بعد «يا» وقبل السين من الخط على مراد الوصل دون الفصل... إلخ المصدر السابق.

(٢) انظر: ابن أبي حاتم في تفسيره: ٩/٢٨٦٨.

(٣) لم أجده مسندا وهو في بعض كتب التفسير، روح البيان: ٦/٢٤٦، والنسفي: ٣/١٦٩، والفخر الرازي: ١/٣٤٦٣، والبحر المحيط: ٧/٦٩، والظاهر أنه من الكلمات الشائعة التي تنسب للحديث.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتَىٰنِۦ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا
ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٧﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم
بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٨﴾
قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٩﴾
قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي
عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن
فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤١﴾ • قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا
نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ
قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا
وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٣﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا
كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٤﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ
لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴿٤٥﴾
قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾

ثمن

﴿مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ يحتمل أن يكون هذا نص الكتاب بدأ فيه بالعنوان، وأن يكون من كلامها أخبرتهم أن الكتاب من سليمان.

﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون من الانقياد بمعنى مستسلمين، أو يكون من الدخول في الإسلام.

﴿أُوْلُواْ قُوَّةٍ﴾ يحتمل أن يريد قوة الأجساد، أو قوة الملك والعدد.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من كلام الله ﷻ تصديقا لقولها، فيوقف على ما قبله، أو من كلام بلقيس تأكيدا للمعنى الذي أرادته، وتعني: كذلك يفعل هؤلاء بنا.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ قالت لقومها إني أجرب هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال، فإن كان ملكا دنيويا أرضاه المال، وإن كان نبيا لم يرضه المال وإنما يرضيه دخولنا في دينه، فبعث إليه هدية عظيمة وصفها الناس، واختصرنا وصفها لعدم صحته.

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ إنكار للهدية لأن الله أغناه عنها بما أعطاه. ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها وأنا لست كذلك.

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ خطاب للرسول، وقيل: للهدهد، والأول أرجح لأن قوله ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ مسند إلى الرسول. ﴿لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي لا طاقة لهم بها.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ القائل سليمان والملأ جماعة من الجن والإنس، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين؛ لأنه وصف له بعظمة، فأراد أن يأخذه قبل أن يسلموا، فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم، فمسلمين على هذا من الدخول في دين الإسلام، وقيل: إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين، ليظهر لهم قوته فمسلمين على هذا بمعنى منقادين.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ روي[1]: عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت الكودن. ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي قبل أن تقوم من مجلس الحكم، وكان يجلس من غدوة إلى الظهر، وقيل: معناه قبل أن تستوي من جلوسك قائما.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو آصف بن برخيا، وكان رجلا صالحا من بني إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم، وقيل: هو الخضر، وقيل: هو جبريل، والأول أشهر، وقيل: سليمان وهذا بعيد. ﴿ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ في الموضعين يحتمل أن يكون فعلا مستقبلا أو اسم فاعل. ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الطرف العين، فالمعنى على هذا: قبل أن تغمض بصرك إذا نظرت إلى شيء، وقيل: الطرف تحريك الأجفان إذا نظرت. ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ قيل: هنا محذوف تقديره: فجاءه الذي عنده علم من الكتاب بعرشها، ومعنى مستقرا عنده: حاصلا عنده وليس هذا بمستقر الذي يقدر النحويون تعلق المجرورات به، خلافا لمن فهم ذلك. ﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي منفعة الشكر لنفسه.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ تنكيره تغيير وصفه وستر بعضه، وقيل: الزيادة فيه والنقص منه وقصد بذلك اختبار عقلها وفهمها. ﴿أَتَهْتَدِىٓ﴾ يحتمل أن يريد تهتدي لمعرفة عرشها أو للجواب عنه إذا سئلت أو للإيمان.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ كان عرشها قد وصل قبلها إلى سليمان

---

(١) لم أجده مسندا.

فأمر بتنكيره، وأن يقال لها أهكذا عرشك؟ أي أمثل هذا عرشك لئلا تفطن أنه هو، فأجابته بقولها: كأنه هو جوابا عن السؤال، ولم تقل هو تحرزا من الكذب، أو من التحقيق في محل الاحتمال. ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ هذا من كلام سليمان وقومه، لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك اعترافا بنعمة الله عليهم في أن آتاهم العلم قبل بلقيس، وهداهم للإسلام قبلها، والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره: قد أسلمت هي وعلمت وحدانية الله وصحة النبوءة وأوتينا نحن العلم قبلها.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان وقومه، أو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون: ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾ فاعلا أو مفعولا، فإن كان فاعلا فالمعنى: صدها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في الإسلام حتى إلى هذا الوقت، وإن كان مفعولا فهو على إسقاط حرف الجر، والمعنى: صدها الله أو سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله فدخلت في الإسلام.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ الصرح: في اللغة القصر، وقيل: صحن الدار، وروي: أن سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصرا من زجاج أبيض، وأجرى الماء من تحته، وألقى فيه دواب البحر من السمك وغيره، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلما رأته حسبته لجة، واللجة الماء المجتمع كالبحر فكشفت عن ساقيها لتدخله لما أمرت بدخوله، وروي: أن الجن كرهوا تزوج سليمان لها فقالوا له إن عقلها مجنون وإن رجلها كحافر الحمار، فاختبر عقلها بتنكير العرش فوجدها عاقلة، واختبر ساقها بالصرح فلما كشفت عن ساقيها وجدها أحسن الناس ساقا، فتزوجها وأقرها على ملكها باليمن، وكان يأتيها مرة في كل شهر، وقيل: أسكنها معه بالشام. ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ لما ظنت أن الصرح لجة ماء وكشفت عن ساقيها لتدخل الماء قال لها سليمان: إنه صرح ممرد، والممرد: الأملس، وقيل: الطويل،

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ
فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ
قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰئِرُكُمْ عِندَ
اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ
رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا
تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

والقوارير جمع قارورة، وهي الزجاجة.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تعني بكفرها فيما تقدم. ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ هذا ضرب من ضروب التجنيس.

﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ الفريقان من آمن ومن كفر، واختصامهم اختلافهم وجدالهم في الدين.

﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي لم تطلبون العذاب قبل الرحمة، أو المعصية قبل الطاعة.

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ أي تشاءمنا بك، وكانوا قد أصابهم القحط. ﴿قَالَ طَٰئِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي السبب الذي يحدث عنه خيركم أو شركم هو عند الله وهو قضاؤه وقدره، وذلك رد عليهم في تطيرهم ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني مدينة ثمود.

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: إنهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم، ولفظ الفساد أعم من ذلك.

﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي حلفوا بالله، وقيل: إنه فعل ماض وذلك ضعيف، والصحيح أنه فعل أمر قاله بعضهم لبعض وتعاقدوا عليه. ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي لنقتلنه وأهله بالليل وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه. ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا

شَهِدْنَا مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾ أي نتبرأ من دمه إن طلبنا به وليه ومهلك: يحتمل أن يكون اسم مصدر أو زمان أو مكان، فإن قيل: إن قولهم ما شهدنا مهلك أهله يقتضي التبري من دم أهله دون التبري من دمه؟ فالجواب: من ثلاثة أوجه:

الأول: أنهم أرادوا ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله، وحذف مهلكه لدلالة قولهم لنبيتنه وأهله.

والثاني: أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم لقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني فرعون وقومه.

الثالث: أنهم قالوا مهلك أهله خاصة ليكونوا صادقين فإنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معا، وأرادوا التعريض في كلامهم لئلا يكذبوا.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ يحتمل أن يكون قولهم وإنا لصادقون مغالطة مع اعتقادهم أنهم كاذبون، ويحتمل أنهم قصدوا وجها من التعريض ليخرجوا به عن الكذب، وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن مهلك أهله وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحا وأهله معا، ثم يقولون ما شهدنا مهلك أهله وحدهم، وإنا لصادقون في ذلك، بل يعنون أنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معا، وعلى هذا حمله الزمخشري[1].

﴿إِنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾ روي[2]: أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح اختفوا ليلا في غار قريب من داره ليخرجوا منه إلى داره بالليل، فوقعت عليهم صخرة فأهلكتهم، ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض، ونجا صالح ومن آمن به.

(١) الكشاف: ٣/٣٧٧ ثم قال: وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم، ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سوّوا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب..

(٢) لم أجده مسندا، وذكره ابن عطية في تفسيره انظر المحرر الوجيز: ٤/٣١٣.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ
مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٩﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٦٠﴾
• قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ
ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ
ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ
هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ
خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ
حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن
يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَّكَّرُونَ ﴿٦٤﴾
أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشْرًا
بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾

حزب

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ قيل: معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية، وقيل: تبصرون بأبصاركم لأنهم كانوا ينكشفون بفعل ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض، وقيل: تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب، (يتطهرون)، و(الغابرين)، و(أمطرنا)، قد ذكر.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ أمر الله رسوله أن يتلو الآيات المذكورة بعد هذا لأنها براهين على وحدانيته وقدرته، وأن يستفتح ذلك بحمده والسلام على من اصطفاه من عباده، كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك تيمنا بذكر الله، قال ابن عباس(١) يعني بعباده الذين اصطفى الصحابة، واللفظ يعم الملائكة والأنبياء والصحابة وجميع الصالحين. ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هذا على وجه الرد على المشركين فدخلت خير التي يراد بها التفضيل لتبكيتهم وتعنيفهم، مع أنه معلوم أنه لا خير فيما أشركوا أصلا، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ على وجه التقرير لهم على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله وحده، فقامت عليهم الحجة بذلك، وفيها أيضا نعم يجب شكرها فقامت بذلك أيضا، وأم في قوله ﴿خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ متصلة عاطفة وأم في

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره: عن ابن عباس: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ قال: أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي عنهم ـ وروي عن السدي: ٩/٢٩٠٦.

أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ
وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
(٦٤) قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا
يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ
ثمن فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦) • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا
نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩)
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَىٰ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ
فِي السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٧٥) إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَآءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦)

المواضع التي بعده منقطعة بمعنى بل والهمزة.

﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي يعدلون عن الحق والصواب، أو يعدلون بالله غيره، أي يجعلون له عديلا ومثيلا.

﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في الفرقان.

﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ قيل: هو المجهود، وقيل: الذي لا حول له ولا قوة، واللفظ مشتق من الضرر أي الذي أصابه الضر، أو من الضرورة، أي الذي ألجأته الضرورة إلى الدعاء. ﴿خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي خلفاء فيها تتوارثون سكناها.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ يعني الهداية بالنجوم والطرقات. ﴿نُشْرًا﴾ ذكر في الأعراف.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات. ﴿هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيز للمشركين.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ هذه الآية تقتضي انفراد الله تعالى بعلم الغيب، وأنه لا يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها[1]: «من زعم أن محمدا يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله» ثم قرأت هذه الآية، فإن

(١) أورده الزمخشري: ٣/٣٦٦، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/٣١٨ بدون ذكر سند.

قيل: فقد كان النبي ﷺ يخبر بالغيوب وذلك معدود في معجزاته، فالجواب: أنه ﷺ قال: «إني لا أعلم الغيب إلا ما علمني الله»(١).

فإن قيل: كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكهان والمنجمين وأشباههم بالأمور المغيبة؟ فالجواب: أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف، أو عن وهم لا عن علم، وإنما اقتضت الآية نفي العلم، وقد قيل: إن الغيب في هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة؛ لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك ولذلك قال: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ فعلى هذا يندفع السؤال الأول والثاني؛ لأن علم الساعة انفرد به الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ ولقوله ﷺ: «في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ: إن الله عنده علم الساعة إلى آخر السورة»(٢).

فإن قيل: كيف قال إلا الله بالرفع على البدل والبدل لا يصح إلا إذا كان

---

(١) أورده الزمخشري: ٣/٣٦٦ ولفظ الطبري: ١٨/١٣٥«إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله» قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن بعض من لم يرسخ في الإيمان، كان يظن ذلك، حتى كان يرى أن صحة النبوءة تستلزم اطلاع النبي ﷺ على جميع المغيبات، كما وقع في المغازي لابن إسحاق: أن ناقة النبي ﷺ ضلت، فقال زيد بن اللصيت: يزعم محمد أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال النبي ﷺ: «إن رجلا يقول كذا وكذا، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها وهي في شعب كذا، قد حبستها شجرة»، فذهبوا فجاءوه بها. فأعلم النبي ﷺ أنه لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ انظر فتح الباري: ١٣/٣٦٤، وقد أخرج هذه القصة الواقدي في المغازي: ٢/٤٢٣.

تكملة: وزيد بن اللصيت: كان ممن تعوذ بالإسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره، وهو منافق من أحبار يهود من بني قينقاع، انظر الذهبي في تاريخ الإسلام، ص: ٣٩، ٤٠، وقد قيل: إنه تاب وحسن حاله. ابن عاشور في التحرير والتنوير: ٢/٣٩٦.

(٢) البخاري الحديث رقم: (٤٤٩٩)، ومسلم الحديث رقم: (١٠٦)، وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (٢٢٤٤)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (١٥٩)، وسنن ابن ماجه الحديث رقم: (٦٤).

الاستثناء متصلا ويكون ما بعد إلا من جنس ما قبلها والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السموات والأرض والقائلين بنفي الجهة يقولون إن الله تعالى ليس بهما ولا فوقهما ولا داخلا فيهما ولا خارجا عنهما فهو على هذا استثناء منقطع فكان يجب أن يكون منصوبا؟

فالجواب: من أربعة أوجه:

الأول: أن البدل هنا جاء على لغة بني تميم في البدل وإن كان منقطعا كقولهم: ما في الدار أحد إلا حمار بالرفع، والحمار ليس من الأحدين، وهذا ضعيف؛ لأن القرآن أنزل بلغة الحجاز لا بلغة بني تميم.

والثاني: أن الله في السموات والأرض بعلمه، كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يعني بعلمه فجاء البدل على هذا المعنى، وهذا ضعيف؛ لأن قوله في السموات والأرض وقعت فيه لفظة في الظرفية الحقيقية، وهي في حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية، ولا يجوز استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين.

الجواب الثالث: أن قوله: ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يراد به كل موجود فكأنه قال: من في الوجود فيكون الاستثناء على هذا متصلا فيصح الرفع على البدل، وإنما قال: ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جريا على منهاج كلام العرب فهو لفظ خاص يراد به ما هو أعم منه.

الجواب الرابع: أن يكون الاستثناء متصلا على أن يتأول من في السموات في حق الله، كما يتأول قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ وحديث الجارية[1] وشبه ذلك.

---

(١) في الموطإ بالسند، عن عمر بن الحكم انه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن جارية لي كانت ترعى غنما لي، فجئتها وقد فقدت شاة من الغنم، فسألتها عنها، فقالت: أكلها الذئب فأسفت عليها، وكنت من بني آدم فلطمت وجهها، وعلي رقبة، أفأعتقها؟ فقال لها رسول الله ﷺ: أين الله؟ فقالت: في السماء، فقال: من أنا؟ فقالت: أنت رسول الله،=

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي لا يشعرون من في السموات والأرض متى يبعثون؛ لأن علم الساعة مما انفرد به الله، روي[1]: أن سبب نزول هذه الآية أن قريشا سألوا النبي ﷺ متى الساعة؟.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وزن ادارك تفاعل ثم سكنت التاء وأدغمت في الدال واجتلبت ألف الوصل، والمعنى: تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها، أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها وقرئ[2] أدرك بهمزة قطع على وزن أفعل، والمعنى على هذا: يدرك علمهم في الآخرة أي يعلمون فيها الحق لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق، فقوله: ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ على هذا ظرف وعلى القراءة الأولى بمعنى الباء. ﴿عَمُونَ﴾ جمع عم وهو من عمى القلوب.

﴿رَدِفَ لَكُم﴾ أي تبعكم واللام زائدة أو ضمن معنى قرب وتعدى باللام، ومعنى الآية: أنهم استعجلوا العذاب بقولهم: متى هذا الوعد؟ فقيل لهم: عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذي تستعجلون، وهو قتلهم يوم بدر.

﴿غَآئِبَةٍ﴾ الهاء فيه للمبالغة أي ما من شيء في غاية الخفاء إلا وهو عند الله في كتاب.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ شبه من لا يسمع ولا يعقل بالموتى في أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء، ثم شبههم بالصم وبالعمي وإن كانوا صحاح الحواس، وأكد عدم سماعهم بقوله إذا ولوا مدبرين لأن الأصم إذا أدبر وبعد عن الداعي زاد صممه وعدم سماعه بالكلية.

= فقال رسول الله ﷺ: أعتقها (١٤٦٨)، ومسلم الحديث رقم (١٢٢٧)، وفيه زيادة: (فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ). ورواه غيرهما.

(١) لم أجده مسندا. وأورده الكشاف: ٣/٣٨٣.

(٢) ﴿بل ادارك﴾ قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر بقطع الهمزة مفتوحة وإسكان الدال من غير ألف بعدها، وقرأ الباقون بوصل الهمزة وتشديد الدال مفتوحة وألف بعدها. النشر: ٢/٣٧٩.

وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى
الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ
الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن
ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾
ربع • وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ
أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ
أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا
جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ
﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ
مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ
صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي إذا حان وقت عذابهم الذي تضمنه القول الأزلي من الله في ذلك وهو قضاؤه، والمعنى: إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض وخروج الدابة من أشراط الساعة، وروي: أنها تخرج من المسجد الحرام، وقيل: من الصفا، وأن طولها ستون ذراعا، وقيل: هي الجساسة التي وردت في الحديث[1]. ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قيل: تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام، وقيل: تقول لهم ألا لعنة الله على الظالمين، وروي: أنها تسم الكافر وتحطم أنفه وتسود وجهه وتبيض وجه المؤمن. ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ من قرأ بكسر الهمزة[2] فهو ابتداء كلام ومن قرأ بالفتح فهو مفعول تكلمهم أي تقول لهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون أو مفعول من أجله تقديره

(١) قصة الجساسة أوردها مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٧٥٧٣) ضمن حديث طويل، وهي في صحيح ابن حبان الحديث رقم: (٦٧٨٧)، والترمذي الحديث رقم: (٢٢٥٣)، والنسائي الحديث رقم: (٤٢٥٨)، وسنن أبي داود الحديث رقم: (٤٣٣٠).

(٢) قال الداني: الكوفيون ﴿أن الناس﴾ بفتح الهمزة والباقون بكسرها. التيسير ص/١١٢، ومعهم يعقوب. البدور الزاهرة، ص: ٢٦١

وقال ابن عطية: وقرأ جمهور القراء ﴿إن الناس﴾ بكسر إن، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم أن بفتح الألف، وفي قراءة عبد الله «تكلمهم بأن» وهذا تصديق للفتح، وعلى هذه القراءة يكون قوله «إن الناس» إلى آخر القراءة من تمام كلام الدابة، وروي ذلك عن ابن عباس، ويحتمل أن يكون ذلك من كلام الله ﷻ.

المحرر الوجيز: ٤/٢٢٢.

تكلمهم لأن الناس لا يوقنون ثم حذفت اللام ويحتمل قوله لا يوقنون بخروج الدابة ولا يوقنون بالآخرة وأمور الدين وهذا أظهر.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يساقون بعنف. ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أم استفهامية والمعنى إقامة الحجة عليهم كأنه قيل لهم إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ أي حق العذاب عليهم أو قامت الحجة عليهم ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ إنما يسكتون لأن الحجة قد قامت عليهم وهذا في بعض مواطن القيامة وقد جاء أنهم يتكلمون في مواطن.

﴿لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ذكر في يونس.

﴿يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ذكر في الكهف. ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: هم الشهداء، وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام ﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين متذللين.

﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي قائمة ثابتة. ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ يكون مرورها في أول أحوال يوم القيامة، ثم ينسفها الله في خلال ذلك فتكون كالعهن، ثم تصير هباء منبثا ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ مصدر والعامل فيه محذوف وقيل هو منصوب على الإغراء أي انظروا صنع الله

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قيل: إن الحسنة لا إله إلا الله، واللفظ أعم، ومعنى خير منها: أن له بالحسنة الواحدة عشرا. ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ من نون فزع فتح الميم من يومئذ[1] ومن أسقط التنوين للإضافة قرأ بفتح الميم على البناء أو بكسرها على الإعراب.

﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ السيئة هنا الكفر والمعاصي التي قضى الله بتعذيب فاعلها.

---

(١) ﴿وهم من فزع يومئذ﴾ قرأ الكوفيون بتنوين فزع وقرأ الباقون بغير تنوين وقرأ المدنيان والكوفيون بفتح ميم (يومئذ) وقرأ الباقون بكسرها. النشر: ٢/٣٨٠.

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ
(٨٩) وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ
إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٩٠) إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ
ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ
(٩١) وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ (٩٢) وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٩٣)

سُورَةُ القَصَصِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثمن • طسٓمٓ (١) تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ (٢) نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرۡعَوۡنَ
عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ
مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ (٥)

﴿هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ يعني مكة.

﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي جعلها حرما آمنا لا يقاتل فيها أحد ولا ينتهك حرمتها ونسب تحريمها هنا إلى الله؛ لأنه بسبب قضائه وأمره ونسبه النبي ﷺ إلى إبراهيم عليه السلام في قوله: «إن إبراهيم حرم مكة»[(١)] لأن إبراهيم هو الذي أعلم الناس بتحريمها، فليس بين الحديث والآية تعارض، وقد جاء في حديث آخر[(٢)] أن مكة حرمها الله يوم خلق السموات والأرض.

﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ أي إنما علي الإنذار والتبليغ.

﴿سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وعيد بالعذاب الذي يضطرهم إلى معرفة آيات الله إما في الدنيا أو في الآخرة.

---

(١) في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ طلع له أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها» الحديث رقم: (٣١٨٧)، ومسلم الحديث رقم: (٣٣٧٩)، ولفظه: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا بِمِثْلَيْ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لأَهْلِ مَكَّةَ». وغيرهما.

(٢) في صحيح البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف». وقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر لصاغتنا وقبورنا؟ فقال: (إلا الإذخر) الحديث رقم: (١٧٣٦)، وسنن الترمذي الحديث رقم: (١٤٠٦)، وسنن ابن ماجه (٣١٠٩)، ومشكل الآثار الحديث رقم: (٥٠٤٧)، وشرح السنة للبغوي: ٣/٤٣٤، وغيرهم.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا
إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ
أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن
رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
ربع ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ
أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ
نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ
وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

سورة القصص

﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي تكبر وطغا. ﴿شِيَعًا﴾ أي فرقا مختلفين فجعل فرعون القبط ملوكا وبني إسرائيل خداما لهم وهم الطائفة الذين استضعفهم وأراد الله أن يمن عليهم ويجعلهم أئمة أي ولاة في الأرض أرض فرعون وقومه.

﴿وَهَامَانَ﴾ هو وزير فرعون.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ اختلف: هل كان هذا الوحي بإلهام أو منام أو كلام بواسطة الملك؟ وهذا أظهر لثقتها بما أوحى إليها وامتثالها ما أمرت به. ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أي إذا خفت عليه أن يذبحه فرعون لأنه كان يذبح أبناء بني إسرائيل لما أخبره الكهان أن هلاكه على يد غلام منهم.

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتقاط اللقاء من غير قصد، روي: أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت في البحر وهو النيل فأمرت أن يساق لها ففتحته فوجدت فيه صبيا فأحبته وقالت لفرعون: هذا قرة عين لي ولك. ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ اللام لام العاقبة، وتسمى أيضا لام الصيرورة.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ روي: أن فرعون هم بذبحه إذ توسم أنه من بني إسرائيل فقالت امرأته: لا تقتلوه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يشعرون أن هلاكهم يكون على يديه،

والضمير الفاعل لفرعون وقومه.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغاً﴾ أي ذاهلا لا عقل معها، وقيل: فارغا من الحزن إذ لم يغرق، وهذا بعيد لما بعده، وقيل: فارغا من كل شيء إلا من ذكر الله، وقرئ[١] فزعا بالزاي من الفزع. ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي﴾ أي تظهر أمره وفي الحديث[٢]: «كادت أم موسى أن تقول وإبناه، وتخرج صائحة على وجهها». ﴿رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي رزقناها الصبر. ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي من المصدقين بالوعد الذي وعدها الله.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أي اتبعيه والقص طلب الأثر فخرجت أخته تبحث عنه في خفية. ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ﴾ أي رأته من بعيد ولم تقرب منه لئلا يعلموا أنها أخته، وقيل: معنى عن جنب عن شوق إليه، وقيل: معناه أنها نظرت إليه كأنها لا تريده. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يشعرون أنها أخته.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ أي منع منها بأن بغضها الله له، والمراضع جمع مرضعة وهي المرأة التي ترضع أو جمع مرضع بفتح الميم والضاد وهو موضع الرضاع يعني الثدي. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من أول مرة. ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ القائلة أخته تخاطب آل فرعون.

﴿فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ لما منعه الله من المراضع وقالت أخته: هل أدلكم على أهل بيت الآية جاءت بأمه فقبل ثديها فقال لها فرعون: ومن أنت منه فما قبل ثدي امرأة إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة اللبن، فذهبت به إلى بيتها وقرت عينها بذلك، وعلمت أن وعد الله حق في قوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾.

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ فضالة بن عبد الله، ويقال ابن عبيد والحسن «فزعا» من الفزع بالفاء والزاي، وقرأ ابن عباس قرعا بالقاف والراء من القارعة وهي الهم العظيم. المحرر الوجيز: ٤/٣٢٨.

(٢) لم أجده مسندا وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/٣٢٨.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ
فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى
مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ
هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى
ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾
قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾
فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ
بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾
فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ
أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن
تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾
ثمن ۞ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ
يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ
مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ ذكر في يوسف. ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي كمل عقله وذلك مع الأربعين سنة.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ يعني مصر، وقيل: قرية حولها، والأول أشهر. ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ قيل: في القائلة، وقيل: بين العشاءين، وقيل: يوم عيد، وقيل: كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه فدخل مختفيا متخوفا. ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ الذي من شيعته من بني إسرائيل، والذي من عدوه من القبط. ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي ضربه والوكز الدفع بأطراف الأصابع، وقيل: بجمع الكف. ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي قتله ولم يرد أن يقتله ولكن وافقت وكزته الأجل، فندم وقال: هذا من عمل الشيطان، أي إن الغضب الذي أوجب ذلك كان من الشيطان، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له، فإن قيل: كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافرا؟ فالجواب: أنه لم يؤذن له في قتله، ولذلك يقول يوم القيامة: «إني قتلت نفسا لم أومر بقتلها»[1].

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ الظهير المعين والباء سببية، والمعنى بسبب إنعامك علي لا أكون ظهيرا للمجرمين، فهي معاهدة

---

(١) جاء ذلك صحيحا عن رسول الله ﷺ رواه البخاري الحديث رقم: (٤٤٣٥) ضمن حديث الشفاعة، ومسلم الحديث رقم: (٥٠١)، والمسند: ٣٨٥/١٥، والترمذي الحديث رقم: (٢٤٣٤).

عاهد موسى عليها ربه، وقيل: الباء باء القسم وهذا ضعيف؛ لأن قوله فلن أكون لا يصلح لجواب القسم، وقيل: جواب القسم محذوف تقديره: وحق نعمتك لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين، وقيل: الباء للتحليف أي اعصمني بحق نعمتك علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين، ويحتج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاة الجور.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ في الموضعين أي يستحس هل يطلبه أحد. ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ أي يستغيث به، لقي موسى الإسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلا آخر من القبط فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس، فعظم ذلك على موسى وقال له: إنك لغوي مبين.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِے هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ الضمير في أراد وفي يبطش لموسى، وفي قال للإسرائيلي، والمعنى: لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وللإسرائيلي ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به إذ قال له إنك لغوي مبين، فقال الإسرائيلي لموسى: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس، وقيل: الضمير في أراد للإسرائيلي، والمعنى: فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش موسى بالقبطي ولم يفعل موسى ذلك لندامته على قتله الآخر بالأمس فنصح الإسرائيلي، فقال له: أتريد أن تقتلني فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ قيل: إنه مؤمن آل فرعون، وقيل: غيره. ﴿يَسْعَىٰ﴾ أي يسرع في مشيه ليدرك موسى فينصحه. ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون، وقيل: يأمر بعضهم بعضا بقتلك كما قتلت القبطي.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي قصد بوجهه ناحية مدين، وهي مدينة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي وسط الطريق يعني طريق مدين إذ كان قد خرج فارا بنفسه وكان لا يعرف الطريق وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام، وقيل: أراد سبيل الهدى وهذا أظهر، ويدل كلامه هذا على أنه كان

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي
سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً
مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ
وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ
فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ
إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ
لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ
قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ
عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ
عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ
ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

عارفا بالله قبل نبوءته.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي وصل إليه وكان بئرا. ﴿يَسْقُونَ﴾ أي يسقون مواشيهم.

﴿ٱمْرَأَتَيْنِ﴾ روي: أن اسمهما ليا وصفوريا، وقيل: صفيرا وصفرا. ﴿تَذُودَانِۖ﴾ أي تمنعان الناس عن غنمهما، وقيل: تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقي الناس، وهذا أظهر لقولهما: لا نسقي حتى يصدر الرعاء، أي كانت عادتهما ألا يسقيا غنمهما إلا بعد الناس لقوة الناس ولضعفهما أو لكراهتهما التزاحم مع الناس. ﴿يُصْدِرَ﴾ بضم الياء وكسر الدال فعل متعد والمفعول محذوف تقديره: حتى يصدر الرعاء مواشيهم، وقرئ[(١)] بفتح الياء وضم الدال أي ينصرفون عن الماء. ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي لا يستطيع أن يباشر سقي غنمه، وهذا الشيخ هو شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الجمهور، وقيل: ابن أخيه، وقيل: رجل صالح ليس من شعيب بنسب.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ أي أدركته شفقته عليهما فسقى غنمهما، وروي: أنه كان على فم البئر صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلا فرفعها وحده. ﴿تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أي جلس في الظل وروي: أنه كان ظل سمرة. ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

---

(١) ﴿يصدر الرعاء﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر بفتح الياء وضم الدال، وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال. النشر: ٢/٣٨١.

طلب من الله ما يأكله وكان قد اشتد عليه الجوع.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ قبل هذا كلام محذوف تقديره: فذهبتا إلى أبيهما سريعتين وكانت عادتهما الإبطاء في السقي فأخبرتاه بما كان من أمر سقي الرجل لهما، فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته، واختلف: هل التي جاءته الصغرى أو الكبرى؟. ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ روي أنها سترت وجهها بكم درعها والمجرور يتعلق بما قبله وقيل بما بعده وهو ضعيف. ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ أي ذكر له قصته. ﴿لَا تَخَفْ﴾ أي قد نجوت من فرعون وقومه لأن بلد مدين لم يكن من ملك فرعون.

﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ أي اجعله أجيرا لك. ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ هذا الكلام حكمة جامعة بليغة، روي: أن أباها قال لها من أين عرفت قوته وأمانته؟ قالت: أما قوته ففي رفعه الحجر عن فم البئر، وأما أمانته فإنه لم ينظر إلي.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ﴾ زوجه التي دعته، واختلف: هل زوجه الكبرى أو الصغرى؟ واسم التي زوجه صفور، وقيل: صفوريا، ومن لفظ شعيب حسن أن يقال في عقود الأنكحة: أنكحه إياها أكثر من أن يقال أنكحها إياه. ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾ أي أزوجك بنتي على أن تخدمني ثمانية أعوام، قال مكي: في هذه الآية خصائص في النكاح، منها: أنه لم يعين الزوجة، ولا حد أول الأمد، وجعل المهر إجارة.

قلت: فأما التعيين فيحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المراودة، وقد قال الزمخشري: إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح وإنما كان مواعدة، وأما ذكر أول الأمد فالظاهر أنه من حين العقد، وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية، وقد قرره شرعنا حسبما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ للرجل: «قد زوجتكها

ربع

• فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن
جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا
لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ
لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ
ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن
يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ
يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ
يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ
مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا
فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

على ما معك من القرآن»[1] أي على أن تعلمها ما معك من القرآن وقد أجاز النكاح بالإجارة الشافعي وابن حنبل وابن حبيب للآية والحديث ومنعه مالك.

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ جعل الأعوام الثمانية شرطا ووكل العامين إلى مروءة موسى فوفى له العشر وقيل وفي العشرة وعشرا بعدها وهذا ضعيف لقوله.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي الأجل المذكور. ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ الأهل هنا الزوجة مشى بها إلى مصر. ﴿جِذْوَةٍ﴾ أي قطعة ويجوز كسر الجيم[2] وضمها، وقد ذكر آنس والطور وتصطلون.

﴿شَٰطِئِ ٱلْوَادِ﴾ جانبه والأيمن صفة للشاطئ اليمين، ويحتمل أن يكون من اليمن فيكون صفة للوادي. ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ روي: أنها كانت عوسجة.

﴿جَآنٌّ﴾ ذكر في النمل.

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ أي أدخلها فيه، والجيب هو فتح الجبة من حيث

---

(١) الموطأ الحديث رقم: (١٠٩٦)، والبخاري الحديث رقم: (٤٧٤١)، ومسلم الحديث رقم: (٣٥٥٣)، وشرح السنة للبغوي: ٥/٦٢، وسنن النسائي: ٣/٣٢٠، وسنن الترمذي الحديث رقم: (١١١٤)، وغيرهم.

(٢) ﴿جذوة﴾ قرأ عاصم بفتح الجيم، وقرأ حمزة وخلف بضمها، وقرأ الباقون بكسرها. النشر: ٢/٣٨١.

يخرج الإنسان رأسه ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ الجناح اليد أو الإبط أو العضد أمره الله لما خاف من الحية أن يضمه إلى جنبه ليخف بذلك خوفه، فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقت فزعه أن يخف خوفه، وقيل: ذلك على وجه المجاز، والمعنى: أنه أمر بالعزم على ما أمر به، كقوله: اشدد حيازمك واربط جاشك[١] ﴿مِنَ الرَّهَبِ﴾ أي من أجل الرهب[٢] وهو الخوف وفيه ثلاثة لغات فتح الراء والهاء وفتح الراء وإسكان الهاء وضم الراء وإسكان الهاء. ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ﴾ أي حجتان والإشارة إلى العصا واليد. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ يتعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام.

﴿رِدْءًا﴾ أي معينا، وقرئ[٣] بالهمز وبغير همز على التسهيل من المهموز، أو يكون من أرديت أي زدت.

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ استعارة في المعونة. ﴿بِآيَاتِنَا﴾ يحتمل أن يتعلق بقوله نجعل أو بيصلون أو بالغالبون.

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ أي اصنع الآجر لبنيان الصرح الذي رام أن يصعد منه إلى السماء، وروي: أنه أول من عمل الآجر وكان هامان وزير فرعون، وانظر ضعف عقولهما وعقول قومهما وجهلهم بالله تعالى في كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببنيان الصرح، وقد روي: أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع مخضوبا بدم، وذلك فتنة له ولقومه وتهكم بهم ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ

---

(١) هذا مثل سائر عند العرب: انظر البحر المحيط لأبي حيان: ١١٢/٧، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٣٣٩/٤ الجواهر الحسان للثعالبي: ١٧٦/٣.

(٢) ﴿الرهب﴾ قرأ المدنيان والبصريان وابن كثير بفتح الراء والهاء ورواه حفص بفتح الراء وإسكان الهاء وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الهاء. النشر: ٣٨١/٢.

(٣) قال ابن الجزري: ﴿ردءاً يصدقني﴾ في القصص، فقرأه بالنقل نافع وأبو جعفر، إلا أن أبا جعفر أبدل من التنوين ألفاً في الحالين، ووافقه نافع في الوقف. النشر: ٤٧٠/١.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا
سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ
وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٣٧﴾ ● وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي
صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾
فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى
ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ
ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ
ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ يعني في دعوى الرسالة والظن هنا يحتمل أن يكون على بابه أو بمعنى اليقين.

﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار.

﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ أي من المطرودين المبعدين، وقيل: قبحت وجوههم، وقيل: قبح ما يفعل بهم وما يقال لهم.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ خطاب لسيدنا محمد ﷺ، والمراد به إقامة حجة لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره، والغربي المكان الذي في غربي الطور وهو المكان الذي كلم الله فيه موسى، والأمر المقضي إلى موسى هو النبوءة، ومن الشاهدين معناه من الحاضرين هنالك.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ المعنى: لم تحضر يا محمد للاطلاع على هذه الغيوب التي تخبر بها، ولكنها صارت إليك بوحينا فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك، ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم فكفروا بك، وقيل: المعنى لكنا أنشأنا قرونا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر وطالت الفترة فأرسلناك على فترة من الرسل. ﴿ثَاوِيًا﴾ أي مقيما.

﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يعني تكليم موسى والمراد بذلك إقامة حجة سيدنا محمد ﷺ لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرا حينئذ. ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً﴾

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا
كُنتَ مِنَ الشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ
إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَىٰهُم مِّن
نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم
مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا
رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ
مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ
قَالُوا سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾
قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

انتصب على المصدر، أو على أنه مفعول من أجله، والتقدير: ولكن أرسلناك رحمة منا لك ورحمة للخلق بك.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ لو هنا حرف امتناع، ولولا الثانية عرض وتحضيض، والمعنى: لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار إليهم وإقامة الحجة عليهم، لئلا يقولوا ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يعني القرآن ونبوءة محمد ﷺ. ﴿قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ يعنون إنزال الكتاب عليه من السماء جملة واحدة، وقلب العصا حية، وفلق البحر، وشبه ذلك. ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ هذا رد عليهم فيما طلبوا، والمعنى: أنهم كفروا بما أوتي موسى فلو آتينا محمدا مثل ذلك لكفروا به، ومن قبل على هذا يتعلق بقوله: أوتي موسى، ويحتمل أن يتعلق بقوله: أولم يكفروا إن كانت الآية في بني إسرائيل، والأول أحسن. ﴿قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ يعنون موسى وهارون أو موسى ومحمدا ﷺ، والضمير في أولم يكفروا وفي قالوا لكفار قريش، وقيل: لآبائهم، وقيل: لليهود، والأول أصح؛ لأنهم المقصودون بالرد عليهم.

﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ﴾ أمر على وجه التعجيز لهم. ﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب سيدنا محمد ﷺ.

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾ قد علم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبدا، ولكنه ذكره بحرف إن مبالغة في إقامة الحجة عليهم، كقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾، المعنى: إن لم يأتوا بكتاب فاعلم أن كفرهم عناد واتباع لأهوائهم، لا بحجة وبرهان.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ الضمير لكفار قريش، وقيل: لليهود، والأول أظهر، لأن الكلام من أوله معهم، والقول هنا القرآن ووصلنا لهم: أبلغناه لهم ليتذكروا به، أو جعلناه موصلا بعضه ببعض.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ يعني من أسلم من اليهود، وقيل: النجاشي وقومه، وقيل: نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ بمكة، وهم عشرون رجلا فآمنوا به، والضمير في قبله للقرآن، وقولهم: إنه الحق تعليل لإيمانهم، وقولهم: إنا كنا من قبله مسلمين بيان لأن إسلامهم قديم؛ لأنهم وجدوا ذكر سيدنا محمد ﷺ في كتبهم قبل أن يبعث.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال رسول الله ﷺ[1]: «ثلاثة يؤتون

(١) في صحيح البخاري: عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن أدبها ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران، ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمنا ثم آمن بالنبي ﷺ فله أجران، والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده». الحديث رقم: (٢٨٤٩)، ومسلم الحديث رقم: (٤٠٤)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٢٢٧)، وسنن الترمذي الحديث رقم: (١١١٦).

أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب ثم آمن بمحمد ﷺ، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها». ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ يعني صبرهم على إذاية قومهم لهم لما أسلموا أو غير ذلك من أنواع الصبر. ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي يدفعون، ويحتمل أن يريد بالسيئة ما يقال لهم من الكلام القبيح، وبالحسنة ما يجاوبون به من الكلام الحسن، أو يريد سيئات أعمالهم وحسناتها كقوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ يعني ساقط الكلام. ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ هذا على وجه التبري والبعد من القائلين للغو. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ معناه هنا المتاركة والمباعدة لا التحية، أو كأنه سلام الانصراف والبعد. ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في أبي طالب[(١)] إذ دعاه النبي ﷺ أن يقول عند موته: لا إله إلا الله، فقال: لولا أن تعيرني بها قريش لأقررت بها عينك ومات على الكفر. ولفظ الآية مع ذلك على عمومه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ لفظ عام، وقيل: أراد به العباس بن عبد المطلب.

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ القائلون لذلك قريش وروي: أن الذي قالها منهم الحارث بن عامر بن نوفل، والهدى هو الإسلام ومعناه الهدى على زعمك، وقيل: إنهم قالوا قد علمنا أن الذي تقول حق ولكن إن اتبعناك تخطفتنا العرب أي أهلكونا بالقتال لمخالفة دينهم. ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ هذا رد عليهم فيما اعتذروا به من تخطف الناس لهم، والمعنى: أن الحرم لا تتعرض له العرب بقتال ولا يمكن الله أحدا من إهلاك أهله فقد كانت العرب يغير

(١) البخاري الحديث رقم: (٣٦٧١)، ومسلم الحديث رقم: (١٤١)، وتفسير ابن أبي حاتم: ٢٩٩٤/٩، والطبري: ٦٠٠/١٩.

وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ
خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ● أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ
الْقِيَٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا
تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا
شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ
أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ
لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ اللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا
تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

بعضهم على بعض وأهل الحرم آمنون من ذلك. ﴿تُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي تجلب إليه الأرزاق مع أنه واد غير ذي زرع.

﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ معنى بطرت طغت وسفهت، ومعيشتها نصب على التفسير، مثل ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ أو على إسقاط حرف الجر تقديره: بطرت في معيشتها أو يتضمن معنى بطرت كفرت. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني قليلا من السكنى، أو قليلا من الساكنين أي لم يسكنها بعد إهلاكها إلا مارا على الطريق ساعة.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ أم القرى: مكة لأنها أول ما خلق الله من الأرض، ولأن فيها بيت الله، والمعنى: أن الله أقام الحجة على أهل القرى بأن بعث سيدنا محمدا ﷺ في أم القرى، فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ الآية تحقير للدنيا وتزهيد فيها وترغيب في الآخرة.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ الآية إيضاح لما قبلها من البون بين الدنيا والآخرة، والمراد بمن وعدناه المؤمنين وبمن متعناه الكافرين، وقيل: سيدنا محمدا ﷺ وأبو جهل، وقيل: حمزة وأبو جهل، والعموم أحسن لفظا ومعنى ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي من المحضرين في العذاب.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ العامل في الظرف مضمر وفاعل ينادي الله تعالى، ويحتمل

أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة، والمفعول به المشركون. ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ توبيخ للمشركين ونسبهم إلى نفسه على زعمهم ولذلك قال الذين كنتم تزعمون فحذف المفعول وتقديره تزعمون أنهم شركاء لي أو تزعمون أنهم شفعاء لكم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ معنى حق عليهم القول وجب عليهم العذاب، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبراؤهم، والإشارة بقولهم هؤلاء الذين أغوينا إلى اتباعهم من الضعفاء.

فإن قيل: كيف الجمع بين قولهم: أغوينا، وبين قولهم: تبرأنا إليك، فإنهم اعترفوا بإغوائهم وتبرؤوا مع ذلك منهم؟ فالجواب: أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك، والمعنى أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه ولكن لم يكونوا يعبدوننا إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها، فتبرأنا إليك من عبادتهم لنا فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا الضعفاء وتبرؤوا من أن يكونوا هم آلهتهم فلا تناقض في الكلام، وقد قيل في معنى الآية غير ذلك مما هو تكلف بعيد.

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

الأول: أن المعنى لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام.

والثاني: لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذبوا.

والثالث: لو أنهم كانوا يهتدون في الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوا، فلو على هذه الأقوال حرف امتناع وجوابها محذوف.

والرابع: أن يكون لو للتمني أي تمنوا لو كانوا مهتدين.

﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي هل صدقتم المرسلين أو كذبتموهم؟.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ عميت عبارة عن حيرتهم، والأنباء الأخبار

أي أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا ما يقولون. ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضا عن الأنباء لأنهم قد تساووا في الحيرة والعجز عن الجواب.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ قيل: سببها[1] استغراب قريش لاختصاص سيدنا محمد ﷺ بالنبوءة، فالمعنى: أن الله يخلق ما يشاء ويختار لرسالته من يشاء من عباده، ولفظها أعم من ذلك، والأحسن حمله على عمومه، أي يختار ما يشاء من الأمور على الإطلاق ويفعل ما يريد. ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ ما نافية، والمعنى ما كان للعباد اختيار إنما الاختيار والإرادة لله وحده، فالوقف على قوله ويختار، وقيل: إن ما مفعولة بيختار ومعنى الخيرة على هذا الخير والمصلحة، وهذا يجري على قول المعتزلة وذلك ضعيف لرفع الخيرة على أنها اسم كان، ولو كانت ما مفعولة لكان اسم كان مضمرا يعود على ما وكانت الخيرة منصوبة على أنها خبر كان، وقد اعتذر عن هذا من قال إن ما مفعولة بأن قال: تقدير الكلام يختار ما كان لهم الخيرة فيه، ثم حذف الجار والمجرور وهذا ضعيف.

وقال ابن عطية[2]: يتجه أن تكون ما مفعولة إذا قدرنا كان تامة ويوقف على قوله: ﴿مَا كَانَ﴾ أي يختار كل كائن ويكون لهم الخيرة جملة مستأنفة، وهذا بعيد جدا.

﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي ما تخفيه قلوبهم وعبر عن القلب بالصدر لأنه يحتوي عليه.

---

(١) قال ابن عطية: وقوله تعالى «وربك يخلق ما يشاء ويختار» الآية، قيل: سببها ما تكلمت به قريش من استغراب أمر النبي ﷺ وقول بعضهم: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ الزخرف: ٣١ فنزلت هذه الآية بسبب تلك المنازع، ورد الله تعالى عليهم، وأخبر أنه يخلق من عباده وسائر مخلوقاته ما يشاء، وأنه يختار لرسالته من يريد ويعلم فيه المصلحة... ٣٤٨/٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٣٤٨/٤.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ
إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ
غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾
وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ
يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ
﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟
بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ربع
وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ قيل: إن الحمد في الآخرة قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ أو قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾، وفي ذكر الأولى مع الآخرة مطابقة.

﴿سَرْمَدًا﴾ أي دائما والمراد بهذه الآيات إثبات الوحدانية وإبطال الشرك.

فإن قيل: كيف قال يأتيكم بضياء، وهلا قال: يأتيكم بنهار في مقابلة قوله ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ﴾؟ فالجواب: أنه ذكر الضياء لكثرة ما فيه من المنافع والعبر.

﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ أي في الليل.

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي في النهار ففي الآية لف ونشر.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي أخرجنا من كل أمة شهيدا منهم يشهد عليهم بأعمالهم وهو نبيئهم؛ لأن كل نبيء يشهد على أمته. ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر وذلك إعذار لهم وتوبيخ وتعجيز.

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ أي من بني إسرائيل، وكان ابن عم موسى، وقيل: ابن عمته. وقيل: ابن خالته. ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي تكبر وطغى ومن ذلك كفره بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ المفاتح هي التي يفتح بها، وقيل: هي الخزائن، والأول أظهر، والعصبة جماعة

الرجال من العشرة إلى الأربعين، وتنوء معناه تثقل، يقال ناء به الحمل إذا أثقله، وقيل: معنى تنوء تنهض بتحامل وتكلف، والوجه على هذا أن يقال إن العصبة تنوء بالمفاتح لكنه قلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرا، ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول. ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ الفرح هنا الذي يقود إلى الإعجاب والطغيان، ولذلك قال: إن الله لا يحب الفرحين، وقيل: السرور بالدنيا لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة، ويدل على هذا قوله: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَىٰكُمْ﴾.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَىٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الْءَاخِرَةَ﴾ أي اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال وذلك بفعل الحسنات والصدقات. ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي لا تضيع حظك من دنياك وتمتع بها مع عملك للآخرة، وقيل: معناه لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات؛ فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو بما يعمل فيها من الخير، فالكلام على هذا وعظ وعلى الأول إباحة للتمتع بالدنيا لئلا ينفر عن قبول الموعظة. ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى. ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والروغان عما ألزموه من الموعظة، والمعنى: أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له بسبب علم عندي استوجبته به. واختلف في هذا العلم، فقيل: إنه علم الكيمياء وقيل: التجارب للأمور والمعرفة بالمكاسب، وقيل: حفظه التوراة، وهذا بعيد؛ لأنه كان كافرا، وقيل: المعنى: إنما أوتيته على علم من الله وتخصيص خصني به، ثم جعل قوله عندي كما تقول في ظني واعتقادي.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ الْقُرُونِ﴾ هذا رد عليه في اغتراره بالدنيا، ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾: يعني جمعا للمال، أو جمعا للخدم، والأول أظهر. ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه متصل بما قبله، والضمير في ذنوبهم يعود على القرون

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن
قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن
ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ
يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو
حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ
خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾
فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ
تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾
ثمن ۞ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن
جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

المتقدمة، والمجرمون من بعدهم أي لا يسأل المجرمون عن ذنوب من تقدمهم من الأمم الهالكة؛ لأن كل أحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة.

والثاني: أنه إخبار عن حال المجرمين في الآخرة، وأنهم لا يسألون عن ذنوبهم لكونهم يدخلون النار من غير حساب، والصحيح أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويسألون عنها لقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وأن هذا السؤال المنفي السؤال على وجه الاختبار وطلب التعريف، لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه، لكن يسألون على وجه التوبيخ، وحيثما ورد في القرآن إثبات السؤال في الآخرة فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ، وحيثما ورد نفيه فهو على وجه الاستخبار والتعريف ومنه قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ في ثياب حمر، وقيل: في عبيده وحاشيته، واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَيْلَكُمْ﴾ زجر للذين تمنوا مثل حال قارون. ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ الضمير عائد على الخصال التي دل عليها الكلام المتقدم وهي الإيمان والعمل الصالح، وقيل: على الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم، أي لا تصدر الكلمة إلا عن الصابرين والصبر هنا إمساك النفس عن الدنيا وزينتها.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ روي: أن قارون لما بغى على بني إسرائيل

إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ
مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ
أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ
ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ
إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ
كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا
يُفۡتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ
وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٣﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ
ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

وآذى موسى دعا موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عليه، فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفي أتباعه، فقال موسى: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب فاستغاثوا بموسى، فقال: يا أرض خذيهم حتى تم بهم الخسف.

﴿مَكَانَهُۥ﴾ أي منزلته في المال والعزة. ﴿بِٱلۡأَمۡسِ﴾ يحتمل أن يريد به اليوم الذي كان قبل ذلك اليوم، أو ما تقدم من الزمان القريب. ﴿وَيۡكَأَنَّ﴾ مذهب سيبويه أن وي حرف تنبيه، ثم ذكرت بعدها كأن، والمعنى على هذا أنهم تنبهوا لخطئهم في قولهم: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون، ثم قالوا كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، أي ما أشبه الحال بهذا وقال الكوفيون: ويك هو ويلك حذفت منها اللام لكثرة الاستعمال ثم ذكرت بعدها أن، والمعنى: ألم يعلموا أن الله، وقيل: ويكأن كلمة واحدة معناها ألم تعلم.

﴿عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي تكبرا وطغيانا لا رفعة المنزلة، فإن إرادتها جائزة.

﴿فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي أنزله عليك وأثبته، وقيل: معناه أعطاك القرآن، والمعنى متقارب، وقيل: فرض عليك أحكام القرآن، فهو على حذف مضاف. ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ المعاد الموضع الذي يعاد إليه، فقيل: يعني مكة والآية نزلت حين الهجرة، ففيها وعد بالرجوع إلى مكة وفتحها، وقيل: يعني الآخرة فمعناها إعلام بالحشر، وقيل: يعني الجنة.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي ما كنت تطمع أن تنال النبوءة ولا أن ينزل عليك الكتاب، ولكن الله رحمك بذلك ورحم الناس بنبوءتك، والاستثناء بمعنى لكن فهو منقطع، ويحتمل أن يكون متصلا والمعنى: ما أنزل عليك الكتاب إلا رحمة من ربك لك أو رحمة للناس ورحمة على هذا مفعول من أجله، أو حال وعلى الأول منصوب على الاستثناء.

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله، فالمفعول محذوف على هذا تقديره: ادع الناس.

﴿وَلَا تَدْعُ﴾ أي لا تعبد. ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ الآية أي إلا إياه والوجه هنا عبارة عن الذات.

*** *** ***

سورة العنكبوت

﴿الٓمٓ﴾ ذكر في البقرة. ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوٓاْ﴾ نزلت[١] في قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين منهم عمار بن ياسر وغيره، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام فضاقت صدورهم بذلك فآنسهم الله بهذه الآية ووعظهم وأخبرهم أن ذلك اختبار ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى والثبوت على الإيمان، فأعلمهم الله تعالى أن تلك سيرته في عباده يسلط الكفار على المؤمنين ليمحصهم بذلك، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب، ولفظها مع ذلك عام فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنة من مصيبة أو مضرة في النفس والمال وغير ذلك، ومعنى حسب ظن، و﴿أَنْ يُتْرَكُوٓاْ﴾ مفعولها والهمزة للإنكار، ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ في موضع الحال من الضمير في يتركوا، تقديره: غير مفتونين، وأن يقولوا تعليل في موضع المفعول من أجله.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ أي يعلم صدقهم علما ظاهرا في الوجود، وقد كان علمه في الأزل، والصدق والكذب في الآية يعني بهما صحة الإيمان والثبوت عليه أو ضد ذلك.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَاۚ﴾ أم معادلة لقوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ﴾ والمراد بالذين يعملون السيئات الكفار الذين يعذبون المؤمنين، ولفظها مع ذلك عام في كل كافر أو عاص، ومعنى يسبقونا يفوتون من عقابنا ويعجزوننا، فمعنى الكلام نفي سبقهم كما أن معنى الآية قبلها نفي ترك المؤمنين بغير فتنة.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ اللَّهِ﴾ الآية تسلية للمؤمنين ووعد لهم بالخير في الدار الآخرة، والرجاء هنا على بابه، وقيل: هو بمعنى الخوف، وأجل الله هو الموت،

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٩/٣٠٣١، والطبري في جامع البيان: ١٩/٩.

ومعنى الآية: من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا على المجاهدة في طاعة الله حتى يلقى الله فيجازيه، فإن لقاء الله قريب الإتيان، وكل ما هو آت قريب.

﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ أي منفعة جهاده فإنما هي لنفسه فإن الله لا تنفعه طاعة العباد، والجهاد هنا يحتمل أن يراد به القتال، أو جهاد النفس.

﴿حُسْنًا﴾ منصوب بفعل مضمر، تقديره: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه حسنا، أو مصدرا من معنى وصينا أي وصية حسنة. ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى﴾ الآية نزلت[1] في سعد بن أبي وقاص، فإنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظل بظل

(١) في صحيح مسلم عن مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ ـ قَالَ ـ حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لاَ تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ وَلاَ تَأْكُلَ وَلاَ تَشْرَبَ. قَالَتْ زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا. قَالَ مَكَثَتْ ثَلاَثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ فَسَقَاهَا فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ وَفِيهَا ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قَالَ وَأَصَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنِيمَةً عَظِيمَةً فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذْتُهُ فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ فَقُلْتُ: نَفِّلْنِي هَذَا السَّيْفَ فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ. فَقَالَ: رُدَّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْقَبَضِ لاَمَتْنِي نَفْسِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: أَعْطِنِيهِ. قَالَ فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ: رُدَّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ، قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ﴾ قَالَ: وَمَرِضْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي فَقُلْتُ: دَعْنِي أَقْسِمْ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ. قَالَ فَأَبَى. قُلْتُ فَالنِّصْفَ. قَالَ فَأَبَى. قُلْتُ فَالثُّلُثَ. قَالَ فَسَكَتَ فَكَانَ بَعْدُ الثُّلُثُ جَائِزًا. قَالَ: وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ فَقَالُوا تَعَالَ نُطْعِمْكَ وَنَسْقِيكَ خَمْرًا. وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ ـ قَالَ ـ فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ ـ وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ ـ فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِنْدَهُمْ وَزِقٌّ مِنْ خَمْرٍ ـ قَالَ ـ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ ـ قَالَ ـ فَذُكِرَتِ الأَنْصَارُ وَالْمُهَاجِرُونَ عِنْدَهُمْ فَقُلْتُ الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الأَنْصَارِ ـ قَالَ ـ فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيِ الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ فَجَرَحَ بِأَنْفِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِيَّ ـ يَعْنِي نَفْسَهُ ـ شَأْنَ الْخَمْرِ ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الحديث رقم: (٦٣٩١)، والسنن الكبرى للبيهقي: ٢٦/٩، والبخاري في الأدب المفرد: ٢٢/١.

ربع

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ • وَوَصَّيْنَا
الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ
فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ
فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ
لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ
الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا
سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم
مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ
أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

حتى يكفر، وقيل: نزلت في غيره ممن جرى له مثل ذلك، فأمرهم الله بالثبات على الإسلام، وألا يطيعوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر، وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ نزلت[1] في قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان فإذا نصر الله المؤمنين قالوا إنا كنا معكم، فمعنى: ﴿أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أوذي بسبب إيمانه بالله وفتنة الناس تعذيبهم، وقيل: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه.

﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ أي قال الكفار للمؤمنين اكفروا كما كفرنا، ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان، وروي: أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة حكاه المهدوي، وقولهم: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ جزاء قولهم اتبعوا سبيلنا ولكنهم ذكروه على وجه الأمر للمبالغة، ولما كان معناه الخبر صح تكذيبهم فيه أخبر الله أنهم كاذبون أي لا يحملون أوزار هؤلاء بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار.

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً﴾ الظاهر أنه لبث هذه المدة بعد بعثه ويحتمل أن يكون ذلك من أول ولادته، وروي: أنه بعث وهو ابن أربعين سنة وأنه عمر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة.

(١) انظر أسباب النزول للواحدي، ص: ٢٥٦ فقد أورده عن مجاهد معلقا.

ثمن

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤﴾
• وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٦﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ
إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

فإن قيل: لم قال ألف سنة، ثم قال: إلا خمسين عاما، فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟ **فالجواب**: أن ذلك كراهة لتكرار لفظ السنة، فإن التكرار مكروه إلا إذا قصد به تفخيم أو تهويل.

﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ يحتمل أن يعود الضمير على السفينة أو على النجاة أو على القصة بكمالها.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ هو من الخلقة يريد به نحت الأصنام فسماه خلقة على وجه التجوز، وقيل: هو من اختلاق الكذب. ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ الآية احتجاج على الوحدانية ونفي الشركاء، **فإن قيل**: لم نكر الرزق أولا ثم عرفه في قوله فابتغوا عند الله الرزق؟ **فالجواب**: أنه نكره في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لقصد العموم في النفي فإن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم، ثم عرفه بعد ذلك لقصد العموم في طلب الرزق كله من الله لأنه لا يقتضي العموم في سياق الإثبات إلا مع التعريف، فكأنه قال: ابتغوا الرزق كله عند الله.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ الآية يحتمل أن تكون من كلام إبراهيم، أو من كلام الله تعالى، ويحتمل مع ذلك أن يراد به وعيد الكفار وتهديدهم، أو يراد به تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له بالتأسي بغيره من الأنبياء الذين كذبهم قومهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ يقال بدأ الله الخلق وأبدأه بمعنى واحد، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة، والمعنى: أولم ير الكفار أن الله خلق الخلق فيستدلون بالخلقة الأولى على الإعادة في الحشر، فقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ ليس

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ
(٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٖ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضٗا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم
مِّن نَّٰصِرِينَ (٢٥) ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ ربع
رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ
إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ
وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ
لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢٧) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ
لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٖ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ
(٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ (٢٩)
وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ
إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
(٣٠) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ (٣٠)

بمعطوف على يبدأ لأن المعنى فيهما مختلف، لأن رؤية البداءة بالمشاهدة بخلاف الإعادة فإنها تعلم بالنظر والاستدلال، وإنما هو معطوف على الجملة كلها وقد قيل إنه يريد إعادة النبات وإبدائه، وعلى هذا يكون ثم يعيده عطفا على يبدئ لاتفاق المعنى، والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ يعني إعادة الخلق وهي حشرهم ثم أمرهم بالسير في الأرض ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته على حشرهم، ولذلك ختمها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي ترجعون. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي لا تفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ يحتمل أن يكون يأسهم في الآخرة أو يكون وصف لحالهم في الدنيا؛ لأن الكافر يائس من رحمة الله والمؤمن راج خائف، وهذا الكلام من قوله أولم يروا إلى هنا يحتمل أن يكون خطابا لمحمد ﷺ معترضا بين قصة إبراهيم، ويحتمل أن يكون خطابا لإبراهيم وبعد ذلك ذكر جواب قومه له.

﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ نصب مودة على أنها مفعول من أجله أو مفعول ثان لاتخذتم، ورفعها على أنها خبر ابتداء مضمر أو خبر إن وتكون ما موصولة ونصب بينكم على الظرفية وخفضه بالإضافة.

وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ
أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ
إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ
وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا
وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا
ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ
هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾
• وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ
فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ
فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ﴾ تضمن آمن معنى انقاد ولذلك تعدى باللام. ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ القائل لذلك إبراهيم، وقيل: لوط وهاجرا من بلادهما بأرض بابل إلى الشام.

﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم، وعلى ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

﴿وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ قيل: أراد قطع الطرق للسلب والقتل، وقيل: أراد قطع سبيل النسل بترك النساء وإتيان الرجال.

﴿وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ النادي المجلس الذي يجتمع فيه الناس، والمنكر فعلهم بالرجال، وقيل: إذايتهم للناس.

﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ الرسل هنا الملائكة والبشرى بشارة إبراهيم بالولد وهو قوله: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ أو بشارته بنصر سيدنا لوط، والأول أظهر. ﴿أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ يعني قرية سيدنا لوط.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ﴾ ليس إخبارا بأنه فيها، وإنما قصد نجاة سيدنا لوط من العذاب الذي يصيب أهل القرية وبراءته من الظلم الذي وصفوه به، فكأنه قال: كيف تهلكون أهل القرية وفيها لوط؟ وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط؟.

﴿مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ قد ذكر وكذلك ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾.

﴿رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي عذابا.

وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ
فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾
فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ
اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ
لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾
خَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ
وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ
وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

﴿وَارْجُواْ الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ قيل: الرجاء هنا الخوف، وقيل: هو على بابه. ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني نقصهم المكيال والميزان.

﴿الرَّجْفَةُ﴾ هي الصيحة.

﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ أي آثار مساكنهم باقية تدل على ما أصابهم ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ قيل: معناه لهم بصيرة في كفرهم وإعجاب به، وقيل: لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عنادا، وقيل: معنى مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال، ولكنهم لم يفعلوا.

﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ أي لم يفوتونا.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ الحاصب الحجارة، والحاصب أيضا الريح الشديدة، فيحتمل عندي أنه أراد به المعنيين لأن قوم سيدنا لوط أهلكوا بالحجارة، وعادا أهلكوا بالريح، وإن حملناه على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر، وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ ويقوي ذلك هنا؛ لأن المقصود هنا ذكر عموم أخذ أصناف الكفار. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ يعني ثمود ومدين ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني قارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني قوم نوح وفرعون وقومه.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾

شبه الله الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتا ضعيفا، فكما أن ما اعتمدت عليه العنكبوت في بيتها ليس بشيء، فكذلك ما اعتمدت عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء؛ لأنهم لا ينفعون ولا يضرون. ﴿أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ أي أضعفها ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ ما موصولة بمعنى الذي مفعولة للفعل الذي قبلها، وقيل: هي نافية والفعل معلق عنها، والمعنى على هذا لستم تدعون من دون الله شيئا له بال فلا يصلح أن يسمى شيئا.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالواجب لا على وجه العبث واللعب.

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ إذا كان المصلي خاشعا في صلاته متذكرا لعظمة من وقف بين يديه، حمله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر فكأن الصلاة ناهية عن ذلك ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قيل: فيه ثلاثة معان:

الأول: أن المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله لأن ذكر الله أعظم ما فيها، كأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيها عن الفحشاء والمنكر؛ لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.

الثاني: أن ذكر الله على الدوام أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة لأنها في بعض الأوقات دون بعض.

الثالث: أن ذكر الله أكبر أجرا من الصلاة ومن سائر الطاعات كما ورد في الحديث: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم قالوا: بلى، قال: ذكر الله»(١).

---

(١) لفظه:.. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل. أخرجه الحاكم في المستدرك (١٨٢٥)، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وابن ماجه=

وَلَا تُجَادِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

﴿وَلَا تُجَادِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم في الدين إلا بالتي هي أحسن، لا بضرب ولا قتال، وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد، ثم نسخ بالسيف، ومعنى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي ظلموكم وصرحوا بإذاية نبيكم محمد ﷺ، وقيل: معنى الآية لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدثوكم به من الأخبار إلا بالتي هي أحسن، ومعنى: إلا الذين ظلموا على هذا من بقي منهم على كفره، والمعنى الأول أظهر. ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ هذا وما بعده يقتضي مواعدة ومسالمة وهي منسوخة بالسيف، ويقتضي أيضا الإعراض عن مكالمتهم وفي الحديث: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم»(١) فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقا لم تكذبوهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي كما أنزلنا الكتاب على من قبلك أنزلناه عليك ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني عبد الله بن سلام وأمثاله، ممن أسلم من اليهود والنصارى ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ الآية: أراد بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل وأراد بقوله: ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ كفار

= الحديث رقم: (٣٧٩٠)، والترمذي الحديث رقم: (٣٣٧٧)، وصححه الألباني.

(١) أوله في البخاري الحديث رقم: (٧١٠٣) إلى قوله تعالى: ﴿وأنزل إليكم... ونحن له مسلمون﴾. وبقية الحديث رواها أبو داود الحديث رقم (٣٦٤٦) قال الألباني: ضعيف.

قريش، وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل، وأراد بهؤلاء المعاصرين لمحمد ﷺ منهم كعبد الله بن سلام.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب ثم جاء بالقرآن، فإن قيل: ما فائدة قوله بيمينك؟ فالجواب: أن ذلك تأكيد للكلام وتصوير للمعنى المراد ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار فكانوا يقولون لعله تعلم هذا الكتاب أو قرأه، وقيل: وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفا للصفة التي وصفه الله بها عندهم، والمذهب الصحيح أن رسول الله ﷺ لم يقرأ قط ولا كتب، وقال الباجي وغيره: أنه كتب لظاهر حديث[1] الحديبية، وهذا القول ضعيف.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ الضمير للقرآن والإضراب ببل عن كلام محذوف تقديره ليس الأمر كما حسب الظالمون والمبطلون.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ المعنى كيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات وأوضحها دلالة على صحة النبوءة فهلا اكتفوا به عن طلب الآيات؟

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ ذكر معناه في الرعد وفي الأنعام.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ الضمير للكفار، يعني قولهم: ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ وقولهم ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وشبه ذلك. ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي لولا أن الله قدر لعذابهم أجلا مسمى لجاءهم به حين طلبوه. ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ يحتمل أن يريد القتل الذي أصابهم يوم بدر، أو الجوع الذي أصابهم بتوالي القحط، أو يريد

(١) انظر المستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٢٦٥٧)، والسنن الكبرى للبيهقي الحديث رقم: (١٩٣٠٣).

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن
فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
(٥٥) يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
(٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) • وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا
تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
(٦٠) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)

عذاب الآخرة وهذا أظهر لقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي يحيط بهم والعامل في الظرف محذوف أو محيطة.

﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ تحريض على الهجرة من مكة إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار وترغيبا في غيرها من أرض الله، فحينئذ هاجروا إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ أي ننزلهم، وقرئ[1] لنثوينهم بالثاء المثلثة من الثوى وهو الإقامة في المنزل.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها ولكن الله يرزقها مع ضعفها، والقصد بالآية تقوية لقلوب المؤمنين إذا خافوا الفقر والجوع في الهجرة إلى بلاد الناس، أي كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ في الموضعين إقامة حجة عليهم ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي كيف يصرفون عن الحق.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمدا لله على ظهور الحجة، ويكون المعنى إلزامهم أن

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ حمزة والكسائي ﴿لنثوينهم﴾ من أثوى يثوي وهو معدى ثوى بمعنى أقام وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود والربيع بن خيثم وابن وثاب وطلحة. المحرر الوجيز: ٤/٣٧٧، والسبعة لابن مجاهد، ص: ٥٠٢، والحجة في القراآت، ص: ٥٥٤، وتحبير التيسير، ص: ٥٠٢.

وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ
دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ
النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

ترتيبها ٣٠ — آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ
بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾
بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾

يحمدوا الله لما اعترفوا أنه خلق السموات والأرض ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إضراب عن كلام محذوف، تقديره: يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ولكنهم لا يعقلون.

﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ الحيوان مصدر كالحياة.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ الآية إقامة حجة عليهم بدعائهم الله حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء.

﴿لِيَكْفُرُوا﴾ أمر على وجه التهديد أو على وجه الخذلان والتخلية، كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك: اعمل ما شئت.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ الضمير لكفار قريش، والحرم الآمن مكة لأنها كانت لا تغير عليها العرب كما تغير على سائر البلاد، ولا ينتهك أحد حرمتها. ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتل، أو أخذ الأموال.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ يعني جهاد النفس في الصبر على إذاية الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك، وقيل: يعني القتال وذلك ضعيف لأن القتال لم يكن مأمورا به حين نزول الآية ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي لنوفقنهم لسبيل الخير ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المعنى أنه معهم بإعانته ونصره.

سورة الروم

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ أي هزم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم، وسميت الروم باسم جدهم وهو روم ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم.

﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ قيل: هي الجزيرة وهي بين الشام والعراق، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس، وقيل: في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ البضع ما بين الثلاث إلى التسع. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ روي: أن غلب الروم فارس وقع يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش، وقيل: فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام، كذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم؛ لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب فهم أقرب إلى كفار قريش.

وروي: أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: **«إن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون وراهنهم على عشر قلاص إلى ثلاث سنين، وذلك قبل أن يحرم القمار»**[١]، **«فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل، فجعل القلاص مائة والأجل تسعة أعوام، وجعل معه أبي ابن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر الله به، أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبي بن خلف إذ كان قد مات، وجاء بها إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: تصدق بها»**[٢].

---

(١) سنن الترمذي الحديث رقم: (٣١٩٤)... وفيه: فسموا بينهم ست سنين، قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين؛ لأن الله تعالى قال: ﴿في بضع سنين﴾ قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير. ومسند الإمام أحمد: ١/٣٠٤.

(٢) بقية هذا الحديث لم أجدها مسندة، وهي متعارضة مع الأثر الذي ذكرنا. وانظر المحرر الوجيز: ٤/٣٨١.

وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
(٥) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ
غَافِلُونَ (٦) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ
السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٧) • أَوَلَمْ يَسِيرُوا ربع
فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا
عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٨) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ
أَسَٰٓـُٔوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا
يَسْتَهْزِءُونَ (٩) اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
(١٠) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١١) وَلَمْ يَكُن لَّهُم
مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ
(١٢) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٣) فَأَمَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٤)

﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد كقوله: له على ألف درهم عرفا لأن معناه اعترفت له بها اعترافا.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ قيل: معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول، فهم في ذلك مثل البهائم، وقيل: الظاهر ما يعلم بأوائل العقول والباطن ما يعلم بالنظر والدليل، وقيل: هو من الظهور بمعنى العلو في الدنيا، وقيل: ظاهر بمعنى زائل ذاهب.

والأظهر: أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها؛ لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها، وانظر كيف نفى العلم عنهم أولا ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة، وقال بعض أهل البيان: إن هذا من المطابقة لاجتماع النفي والإثبات، وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم لقلة منفعته، فهو على هذا بيان للنفي.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن تكون النفس ظرفا للفكرة في خلق السموات والأرض، كأنه قال: أولم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلا بالحق.

والثاني: أن يكون المعنى أو لم يتفكروا في ذواتهم وخلقتهم ليستدلوا بذلك على الخالق ويكون قوله: ﴿مَّا خَلَقَ﴾ الآية استئناف كلام، والمعنى الأول أظهر.

﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ أي حرثوها.

وَأَمَّا الذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ الْاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٥﴾ فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ
تُصْبِحُونَ ﴿١٦﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً
وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٧﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ
مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تَخْرُجُونَ ﴿١٨﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً
لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾ • وَمِنْ ءَايَٰتِهِ (ثمن)
خَلْقُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
مَنَامُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِ
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ أَسَٰٓءُوا السُّوٓأَىٰ﴾ معنى السوأى هلاك الكفار، ولفظ السوأى تأنيث الأسوإ كما أن الحسنى تأنيث الأحسن، وقرئ عاقبة بالرفع على أنه اسم كان والسوأى خبرها وقرئ[1] بنصب عاقبة على أنها خبر كان والسوأى اسمها، و﴿أَن كَذَّبُوا﴾ مفعول من أجله، ويحتمل أن تكون السوأى مصدر أساءوا.

﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الإبلاس الكون في شر، مع اليأس من الخير.

﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ معناه في المنازل والجزاء.

﴿يُحْبَرُونَ﴾ تنعمون، من الحبور وهو السرور والنعيم، وقيل: تكرمون.

﴿فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ﴾ هذا تعليم للعباد، أي قولوا (سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون).

﴿وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ أي حين تدخلون في وقت الظهيرة وهي وسط النهار، وقوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض بين المعطوفات، وقيل: أراد بذلك الصلوات الخمس، فحين تمسون المغرب والعشاء، وحين تصبحون الصبح، وعشيا العصر، وحين تظهرون الظهر.

---

(١) ﴿عاقبة الذين أساؤوا﴾ قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. النشر: ٢/٣٨٤.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ﴾ ذكر في آل عمران ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي ينبت فيها النبات ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي كما يخرج الله النبات من الأرض، كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة.

﴿تَنتَشِرُونَ﴾ أي تتصرفون في الدنيا.

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾ أي من صنفكم وجنسكم، وقيل: أراد خلقة حواء من ضلع آدم، وخاطب الناس بذلك لأنهم ذرية آدم ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ قيل: المودة الجماع، والرحمة الولد، والعموم أحسن وأبلغ.

﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي لغاتكم ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾ يعني البياض والسواد، وقيل: يعني أصنافكم، والأول أظهر.

﴿خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ ذكر في الرعد. ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ معناه تثبت، أو يقوم تدبيرها ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ إذا الأولى شرطية والثانية فجائية، وهي جواب الأولى، والدعوة في هذه الآية قوله للموتى: قوموا بالنفخة الثانية في الصور، و﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يتعلق بقوله ﴿تَخْرُجُونَ﴾ أو بقوله: ﴿دَعَاكُمْ﴾ على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو، كقولك: دعوتك من الجبل إذا كان المدعو في الجبل.

﴿قَـٰنِتُونَ﴾ ذكر في البقرة.

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلقة الأولى، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث، فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثاني مرة، ولكن الأمور كلها متساوية عند الله، فإن كل شيء على الله يسير. ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي الوصف الأعلى الذي يصفه به أهل السموات والأرض.

﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ هذا هو المثل المضروب

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن
يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ • مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ربع
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

معناه أنكم أيها الناس لا يشارككم عبيدكم في أموالكم، ولا يستوون معكم في أحوالكم، فكذلك الله تعالى لا يشاركه عبيده في ملكه، ولا يماثله أحد في ربوبيته، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفي، ودخل في النفي قوله: ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي لستم في أموالكم سواء مع عبيدكم ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم؛ لأن العبيد عندكم أقل وأذل من ذلك.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾ الإضراب ببل عما تضمنه معنى الآية المتقدمة، كأنه يقول: ليس لهم حجة في إشراكهم بالله، بل اتبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ هو دين الإسلام وإقامة الوجه في الموضعين من السورة عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه، وفي قوله: ﴿أَقِمْ﴾ و﴿ٱلْقَيِّمُ﴾ ضرب من ضروب التجنيس. ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ منصوب على المصدر كقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أو مفعولا بفعل مضمر، تقديره: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله، ومعناه خلقة الله والمراد به دين الإسلام؛ لأن الله خلق الخلق عليه إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة، وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته، كما قال رسول الله ﷺ[1]: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه».

(١) البخاري الحديث رقم: (١٣١٩)، ولفظ مسلم «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» الحديث=

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ يعني بخلق الله الفطرة التي خلق الناس عليها من الإيمان، ومعنى أن الله لا يبدلها أي لا يخلق الناس على غيرها ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلقة الأولى، أو يكون المعنى: أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدلوها فالنفي على هذا حكم لا خبر، وقيل: إنه على الخصوص في المؤمنين، أي لا تبديل لفطرة الله في حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه، وقيل: إنه نهى عن تبديل خلقة الله، كخصاء الفحول من الحيوان، وقطع آذانها، وشبه ذلك.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ منصوب على الحال من قوله: أقم وجهك؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأمته، ولذلك جمعهم في قوله: منيبين، وقيل: هو حال من ضمير الفاعل المستتر في الزموا فطرة الله، وقيل: هو حال من قوله: ﴿فَطَرَ النَّاسَ﴾، وهذا بعيد. ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ وما بعده معطوف على أقم وجهك، أو على العامل في فطرة الله وهو: الزموا المضمر.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ المجرور بدل من المجرور قبله، ومعنى فرقوا دينهم جعلوه فرقا، أي اختلفوا فيه وقرئ[1] فارقوا من المفارقة، أي تركوه والمراد بالمشركين هنا أصناف الكفار، وقيل: هم المسلمون الذين تفرقوا فرقا مختلفة، وفي لفظ المشركين على هذا تجوز بعيد، ولعل قائل هذا القول إنما قاله في قول الله في الأنعام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ فإنه ليس هناك ذكر المشركين.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ الآية: إنحاء على المشركين لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرخاء.

= رقم: (٦٩٢٦)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (١٢٣)، والترمذي الحديث رقم: (٢١٣٨)، ولفظه: «كل مولود يولد على الملة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يشركانه» قيل يا رسول الله فمن هلك قبل ذلك؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين به».

(١) ﴿فرقوا﴾ في الأعراف والروم قرأهما حمزة والكسائي ﴿فارقوا﴾ بالألف مع تخفيف الراء وقرأ الباقون بغير ألف مع التشديد فيهما النشر: ٢/٣٠١، وقد تقدمت.

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٥﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾ فَـَٔاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٨﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٩﴾ • ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٠﴾

﴿لِيَكْفُرُوا﴾ ذكر في العنكبوت.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ أم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة، والسلطان الحجة وكلامه مجاز كما تقول: نطق الكتاب بكذا، والمعنى: ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ إنحاء على من يفرح ويبطر إذا أصابه الخير، ويقنط إذا أصابه الشر، وانظر كيف: قال هنا إذا، وقال في الشر ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ لأن إذا للقطع بوقوع الشرط، بخلاف إن فإنها للشك في وقوعه، ففي ذلك إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به عباده أكثر من الشر. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ المعنى: أن ما يصيب الناس من المصائب فإنه بسبب ذنوبهم.

﴿فَـَٔاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ يعني صلة رحم القرابة بالإحسان والمودة ولو بالكلام الطيب.

﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الآية معناها كقوله: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ﴾. أي ما أعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله، وما آتيتم من الصدقات فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به، وقيل: المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدي له ليعوضه أكثر من ذلك، فهذا وإن كان جائزا فإنه لا ثواب فيه، وقرئ وما آتيتم بالمد[1] بمعنى أعطيتم وبالقصر يعني جئتم أي فعلتموه،

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿ما آتيتم بالمعروف﴾ هنا ﴿وما آتيتم من ربا﴾ في الروم فقرأ ابن كثير بقصر الهمزة فيهما من باب المجيء، وقرأ الباقون بالمد من باب الإعطاء، واتفقوا على المد في الموضع الثاني من الروم وهو قوله تعالى: ﴿وما آتيتم من زكوة﴾ النشر: ٢/٢٦٠.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا
يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ
وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا
إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ
سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى
الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا
هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ
لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ أَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

وقرئ[١] لتربوا بالتاء مضمومة وليربوا بالياء مفتوحة ونصب الواو.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ المضعف ذو الإضعاف من الحسنات وفي هذه الجملة التفات لخروجه من الغيبة إلى الخطاب، وكان الأصل أن يقال: وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون، وفيها أيضا حذف؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما، وتقديره: المضعفون به، أو فمؤتوه هم المضعفون.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قيل: البر البلاد البعيدة من البحر والبحر هو البلاد التي على ساحل البحر، وقيل: البر اللسان والبحر القلب وهذا ضعيف، والصحيح أن البر والبحر المعروفان فظهور الفساد في البر بالقحط والفتن وشبه ذلك، وظهور الفساد في البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان.

﴿لَّا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي لا رجوع له ولا بد من وقوعه ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق بقوله: ﴿يَأْتِيَ﴾ أو بقوله: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي لا يرده الله ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ من الصدع وهو الفرقة أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي يوطنون وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه، والمعنى: أنهم يعملون ما ينتفعون به في الآخرة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ يتعلق بيمهدون أو يصدعون أو بمحذوف.

---

(١) ﴿ليربوا﴾ قرأ المدنيان ويعقوب بالخطاب وضم التاء وإسكان الواو وقرأ الباقون بالغيب وفتح الياء والواو. النشر: ٢/٣٨٥.

﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ أي تبشر بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ عطف على مبشرات كأنه قال: ليبشركم وليذيقكم، ويحتمل أن يتعلق بمحذوف تقديره: ليذيقكم. ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أرسلها.

﴿وَكَانَ حَقًّا﴾ انتصب حقا لأنه خبر كان واسمها نصر المؤمنين، وقيل: اسمها مضمر يعود على مصدر ﴿انتَقَمْنَا﴾ أي وكان الانتقام حقا فعلى هذا يوقف على حقا ويكون نصر المؤمنين مبتدأ وهذا ضعيف.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي تحركها وتنشرها. ﴿كِسَفًا﴾ أي قطعا، وقرئ[1] بإسكان السين وهما بناءان للجمع، وقيل: معنى الإسكان أن السحاب قطعة واحدة ﴿الْوَدْقَ﴾ هو المطر ﴿مِنْ خِلَالِهِۦ﴾ الخلال الشقاق الذي بين بعضه وبعض؛ لأنه متخلل الأجزاء، والضمير يعود على السحاب.

﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ كرر للتأكيد وليفيد سرعة تقلب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار. ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ أي قانطين كقوله: ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾.

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ الضمير للنبات الذي ينبته الله بالمطر، والمعنى: إن أرسل الله ريحا فاصفر به النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله، وقيل: الضمير للريح، وقيل: للسحاب، والأول أحسن في المعنى.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ الآية استعارة في عدم سمع الكفار للمواعظ والبراهين، فشبه الكفار بالموتى في عدم إحساسهم.

﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ الضعف الأول كون الإنسان من ماء مهين وكونه ضعيفاً في حال الطفولية، والضعف الآخر هو الهرم، وقرئ[2] بفتح الضاد وضمها

---

(١) ﴿كسفا﴾ قرأه أبو جعفر وابن ذكوان بإسكان السين، واختلف فيه عن هشام... وقرأ الباقون بفتح السين. النشر: ٢/٣٨٧.

(٢) قال الداني: أبو بكر وحمزة ﴿من ضعف﴾ في الثلاثة بفتح الضاد وكذلك روى حفص عن عاصم=

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ
﴿٥٠﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا
وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥١﴾ وَمَا أَنتَ بِهَٰدِ الْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ اللَّهُ الَّذِي ربع
خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ
بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٣﴾
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٤﴾ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ
كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا
يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ
لَّا تَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ
ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم
بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ
إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

وهما لغتان.

﴿مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه: أنهم يحلفون أنهم ما لبثوا في القبور تحت التراب إلا ساعة، أي ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة وذلك لاستقصارهم تلك المدة. ﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ أي مثل هذا الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الصدق والتحقيق حتى يروا الأشياء على غير ما هي عليه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَانَ﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون ردوا مقالة الكفار التي حلفوا عليها. ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ يعني اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجرور على هذا يتعلق بقوله لبثتم، وقيل: يعني القرآن فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله: ﴿أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره على هذا: قال الذين أوتوا العلم في كتاب الله أي العلماء بكتاب الله، وقولهم: لقد لبثتم، خطاب للكفار، وقولهم: فهذا يوم البعث تقرير لهم وهو في المعنى جواب لشرط مقدر، تقديره: إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العتبى بمعنى الرضا أي ولا يرضون، وليست استفعل هنا للطلب.

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني ما وعد من النصر على الكفار. ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ من الخفة أي لا تضطرب لكلامهم.

= فيهن، غير أنه ترك ذلك واختار الضم... والباقون بضم الضاد فيهن. التيسير، ص: ١١٤.

سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ
ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ
مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٨﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ
أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٩﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى
مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

سورة لقمان

﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ذكر في يونس.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ هو الغناء، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «شراء المغنيات وبيعهن حرام»[1] وقرأ هذه الآية، وقيل: نزلت في قرشي اشترى جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله ﷺ، فالشراء على هذا حقيقة، وقيل: نزلت في النضر بن الحارث وكان قد تعلم أخبار فارس، فذلك هو لهو الحديث وشراء لهو الحديث استحبابه وقوله وسماعه، فالشراء على هذا مجاز، وقيل: لهو الحديث الباطل، وقيل: الشرك ومعنى اللفظ يعم ذلك كله، وظاهر الآية أنه لهو مضاف إلى كفر، واستخفاف بالدين لقوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية وأن المراد شخص معين لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف.

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ذكر في الرعد: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي لئلا تميد بكم.

﴿لُقْمَٰنَ﴾ رجل ينطق بالحكمة، واختلف هل هو نبيء أم لا؟ وفي الحديث[2]: «لم يكن لقمان نبيئا ولكن كان عبدا أحسن اليقين، أحب الله فأحبه فمن عليه

---

(١) في سنن ابن ماجه: نهى ﷺ عن بيع المغنيات وشرائهن الحديث رقم: (٢١٦٨)، وفي المعجم الكبير: «لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن» الحديث رقم: (٧٨٠٥)، وفي الترمذي: باب ما جاء في كراهة بيع المغنيات: (٥١)، وانظر الكشاف: ٤٧٥/٣. قال ابن حجر في فتح الباري إسناده ضعيف ٩١/١١.

(٢) لم أجده في كتب الحديث، وهو موجود في كتب التفسير بدون سند القرطبي: ٥٨/١٤، وابن عطية: ٤٠٢٢/٤، والكشاف: ٣١٢/٧.

• وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ
قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا
عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ
ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ
عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ
أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن
فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ
ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ
ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

بالحكمة» روي: أنه كان ابن أخت أيوب، أو ابن خالته، وروي: أنه كان قاضي بني إسرائيل، واختلف في صناعته، فقيل: كان نجارا، وقيل: خياطا، وقيل: راعي غنم، وكان ابنه كافرا فما زال يوصيه حتى أسلم، وروي: أن اسم ابنه ثاران.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هذه الآية والتي بعدها اعتراض في أثناء وصية لقمان لابنه على وجه التأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله، ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمه حسبما ذكرنا في العنكبوت. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي ضعفا على ضعف؛ لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفا، وانتصابه هنا بفعل مضمر، تقديره: تهن وهنا. ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي فطامه، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع. ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ تفسير للوصية واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾، ليبين ما تكابده الأم بالولد مما يوجب عظيم حقها، ولذلك كان حقها أعظم من حق الأب.

﴿يَٰبُنَيَّ﴾ الآية رجع إلى كلام لقمان، والتقدير: وقال لقمان يا بني. ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي وزنها والمراد بذلك أن الله يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد، فعبر بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر. ﴿فِى صَخْرَةٍ﴾ قيل: المراد الصخرة التي عليها الأرض، وهذا ضعيف وإنما معنى الكلام أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء ولو كانت في أخفى موضع كجوف صخرة فإن الله يأتي بها يوم القيامة، وكذلك لو كانت في السموات أو في الأرض.

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ
فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿١٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ
اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ
كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ
عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢١﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ
فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٢﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ
نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٣﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ
أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ
كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

حزب

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ أمر بالصبر على المصائب عموما، وقيل: المعنى ما يصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر. ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ يحتمل أن يريد مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب أو من مكارم الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم والجد، ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول أي من معزومات الأمور.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ الصعر في اللغة الميل أي لا تول الناس خدك وتعرض عنهم تكبرا عليهم. ﴿مَرَحًا﴾ ذكر في الإسراء. ﴿مُخْتَالٍ﴾ من الخيلاء.

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي اعتدل فيه ولا تتسرع إسراعا يدل على الطيش والخفة، ولا تبطئ إبطاء يدل على الفخر والكبر.

﴿نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ الظاهرة الصحة والمال وغير ذلك، والباطنة النعم التي لا يطلع عليها الناس، ومنها ستر القبيح من الأعمال، وقيل: الظاهرة نعم الدنيا، والباطنة نعم العقبى، واللفظ أعم من ذلك كله. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله(١).

﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار.

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يسلم أي يخلص أو يستسلم أو ينقاد، والوجه هنا

(١) قال ابن عطية: وقال النقاش: الإشارة إلى النضر بن الحارث ونظرائه؛ لأنهم كانوا ينكرون الله ويشركون الأصنام. المحرر الوجيز: ٤/ ٤٠٨.

عبارة عن القصد. ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ ذكر في البقرة.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وما بعده ذكر في العنكبوت.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ الآية إخبار بكثرة كلمات الله، والمراد: اتساع علمه، ومعنى الآية أن شجر الأرض لو كانت أقلاما والبحر لو كان مدادا يصب فيه سبعة أبحر صبا دائما، وكتبت بذلك كلمات الله لنفدت الأشجار والبحار ولم تنفد كلمات الله؛ لأن الأشجار والبحار متناهية وكلمات الله غير متناهية.

فإن قيل: لم لم يقل: والبحر مدادا كما قال في الكهف: قل لو كان البحر مدادا؟ فالجواب: أنه أغنى عن ذلك قوله: يمده لأنه من قولك: مد الدواة وأمدها.

فإن قيل: لم قال من شجرة ولم يقل من شجر باسم الجنس الذي يقتضي العموم؟ فالجواب: أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرة حتى لا يبقى منها واحدة.

فإن قيل: لم قال كلمات الله ولم يقل كلام الله بجمع الكثرة؟ فالجواب: أن هذا أبلغ لأنه إذا لم تنفد الكلمات مع أنها جمع قلة، فكيف ينفد الجمع الكثير؟ وروي: أن سبب الآية أن اليهود قالوا قد أوتينا التوراة وفيها العلم كله فنزلت الآية لتدل أن ما عندهم قليل من كثير، والآية على هذا مدنية، وقيل: إن سببها أن قريشا قالوا إن القرآن سينفد.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ بيان لقدرة الله على بعث الناس ورد على من استبعد ذلك.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي يدخل كل واحد منهما في الآخر بما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر، أو بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ يحتمل أن تكون الباء سببية أو يكون المعنى ذلك بأن الله شاهد هو الحق.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ۞ وَإِذَا
غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا
كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟
يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ
شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا
يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ
ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ
غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

ترتيبها ٣٢ — سُورَةُ السَّجْدَةِ — آياتها ٣٠

﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بذلك ما تحمله السفن من الطعام والتجارات فتكون الباء للإلصاق أو للمصاحبة، أو يريد الريح فتكون الباء سببية. ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ مبالغة في صابر وشاكر.

﴿كَٱلظُّلَلِ﴾ جمع ظلة وهو ما يعلوك من فوق، شبه الموج بذلك إذا ارتفع وعظم حتى علا فوق الإنسان. ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ المقتصد المتوسط في الأمر فيحتمل أن يريد كافرا متوسطا في كفره لم يسرف فيه، أو مؤمنا متوسطا في إيمانه؛ لأن الإخلاص الذي كان عليه في البحر كان يزول عنه، وقيل: معنى مقتصد مؤمن ثبت في البر على ما عاهد الله عليه في البحر. ﴿خَتَّارٍ﴾ أي غدار شديد الغدر، وذلك أنه جحد نعمة الله غدرا.

﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ أي لا يقضي عنه شيئا، والمعنى: أنه لا ينفعه ولا يدفع عنه مضرة. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ أي ولد فكما لا يقدر الوالد لولده على شيء كذلك لا يقدر الولد لوالده على شيء. ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان وقيل الأمل والتسويف.

﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي متى تكون الساعة، فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه، ولذلك جاء في الحديث: «مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية»[1]. ﴿مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يعني من خير، أو شر، أو مال، أو ولد، أو غير ذلك.

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٤٣٥١)، وصحيح مسلم الحديث رقم: (١٠٦)، والسنن الكبرى للنسائي: ٤/٤١١، والترمذي الحديث رقم: (٣٢٧٨)، وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (٢٢٤٤)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (١٥٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١) أَمْ
يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن
نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٢) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا
لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٣) يُدَبِّرُ
الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ
مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤) ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ
وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٦) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن
مَّاءٍ مَّهِينٍ (٧) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٨) وَقَالُوا
أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٩) بَلْ هُم
بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ربع
الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)

سورة السجدة

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ يعني القرآن. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك أنه من عند الله ﷻ، ونفي الريب على اعتقاد أهل الحق وعلى ما هو الأمر في نفسه، لا على اعتقاد أهل الباطل. ﴿مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يتعلق بتنزيل.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ الضمير لقريش، وأم بمعنى بل والهمزة. ﴿لِتُنذِرَ﴾ يتعلق بما قبله أو بمحذوف. ﴿مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعني من الفترة من زمن عيسى، وقد جاء الرسل قبل ذلك، كإبراهيم وغيره، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا ينذرهم ليقيم الحجة عليهم.

﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذكر في الأعراف. ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ نفي الشفاعة على وجهين:

أحدهما: الشفاعة للكفار وهي معدومة على الإطلاق.

والآخر: أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله كقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي واحد الأمور، وقيل: المأمور به من الطاعات، والأول أصح ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي ينزل ما دبره وقضاه من السماء إلى الأرض. ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس:

المعنى[١] ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء، وقيل: إن الله يلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر، وهو يوم من أيام الله، فإذا فرغت ألقي إليهم مثلها، فالمعنى: أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ثم تصير إليه آخرا؛ لأن عاقبة الأمور إليه فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الغيب ما غاب عن المخلوقين، والشهادة ما شاهدوه.

﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أي أتقن جميع المخلوقات وقرئ[٢] خلقه بإسكان اللام على البدل. ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ يعني آدم عليه السلام.

﴿نَسْلَهُ﴾ يعني ذريته. ﴿مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني المني والسلالة مشتقة من سل يسل فكأن الماء يسل من الإنسان والمهين الضعيف.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي قومه. ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ عبارة عن إيجاد الحياة فيه وإضافة الروح إلى الله إضافة ملك إلى مالك، وقد يراد بها الاختصاص، لأن الروح لا يعلم كنهه إلا الله.

﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي تلفنا وصرنا ترابا، ومعنى هذا الكلام المحكي عن الكفار استبعاد البعث، والعامل في إذا معنى قولهم ﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، تقديره: نبعث.

﴿يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ اسمه عزرائيل وتحت يده ملائكة.

---

(١) انظر الطبري: ١٠/٢٣١.

(٢) ﴿خلقه﴾ قرأ نافع والكوفيون بفتح اللام وقرأ الباقون بإسكانها. النشر: ٢/٣٨٧.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾
وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا
نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا
ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ
مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾
أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا
بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يحتمل أن تكون لو للتمني وتأويله في حق الله كتأويل الترجي وقد ذكر، أو تكون للامتناع وجوابها محذوف تقديره: ولو ترى حال المجرمين في الآخرة لرأيت أمرا مهولا. ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ عبارة عن الذل والغم والندم. ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ تقديره: يقولون ربنا قد علمنا الحقائق.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ يعني أنه لو أراد أن يهدي جميع الخلائق لفعل، فإنه قادر على ذلك بأن يجعل الإيمان في قلوبهم ويدفع عنهم الشياطين والشهوات، ولكنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ﴾ أي يقال لهم ذوقوا، والنسيان هنا بمعنى الترك.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أي ترتفع، والمعنى: يتركون مضاجعهم بالليل من كثرة صلاتهم النوافل، ومن صلى العشاء والصبح في جماعة فقد أخذ بحظه من هذا(١).

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ يعني أنه لا يعلم أحد مقدار ما

---

(١) ... قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ: دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَقَعَدَ وَحْدَهُ فَقَعَدْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ». صحيح مسلم الحديث رقم: (١٥٢٣).

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ • وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

يعطيهم الله من النعيم، وقرئ[1] أخفي بإسكان الياء على أن يكون فعل المتكلم وهو الله تعالى.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ الآية يعني المؤمنين والفاسقين على العموم، وقيل: يعني علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط.

﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ الذي نعت بالعذاب، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكور في قوله به.

فإن قيل: لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير ووصف في سبإ النار وأعاد عليها الضمير فقال: ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه خص العذاب في السجدة بالوصف اعتناء به لما تكرر ذكره في قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾.

والثاني: أنه قدم في السجدة ذكر النار فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير، لكنه جعل الظاهر مكان المضمر، فكما لا يوصف المضمر لم يوصف ما قام مقامه وهو النار، ووصف العذاب ولم يصف النار.

والثالث: وهو الأقوى أنه امتنع في السجدة وصف النار فوصف العذاب، وإنما امتنع وصفها لتقدم ذكرها، فإنك إذا ذكرت شيئا ثم كررت ذكره لم يجز وصفه، كقولك: رأيت رجلا فأكرمت الرجل، فلا يجوز وصفه لئلا يفهم أنه غيره.

---

(١) ﴿ما أخفي﴾ قرأ يعقوب وحمزة بإسكان الياء، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٣٨٧.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ يعني الجوع ومصائب الدنيا، وقيل: القتل يوم بدر، وقيل: عذاب القبر، وهذا بعيد لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ هذا وعيد لمن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها، وكان الأصل أن يقول: إنا منه منتقمون، ولكنه وضع المجرمين موضع المضمر ليصفهم بالإجرام، وقدم المجرور على منتقمون للمبالغة.

﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ المرية الشك والضمير لموسى أي لا تمتر في لقائك موسى ليلة الإسراء، وقيل المعنى: لا تشك في لقاء موسى والكتاب الذي أنزل عليه، والكتاب على هذا التوراة، وقيل: الكتاب هنا جنس، والمعنى: لقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت في لقائك الكتاب الذي أنزل عليك، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾.

﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير لجميع الخلق، وقيل: لبني إسرائيل خاصة.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ذكر في طه. ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ الضمير في يمشون لأهل مكة أي يمشون في مساكن القوم المهلكين كقوله ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ وقيل: الضمير للمهلكين، أي أهلكناهم وهم يمشون في مساكنهم، والأول أحسن لأن فيه حجة على أهل مكة.

﴿ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ يعني التي لا نبات فيها من شدة العطش.

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ أي الحكم بين المسلمين والكفار في الآخرة، وقيل: يعني فتح مكة وهذا بعيد لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ وذلك في الآخرة؛ لأن من آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف. ﴿وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي انتظر هلاكهم إنهم ينتظرون هلاكك وفي هذا تهديد لهم.

سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا
جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ
أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ
يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ
أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ
وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن
مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾
• النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ ربع
وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ
أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ نداء فيه تكريم له؛ لأنه ناداه بالنبوءة ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم. ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي دم على التقوى وزد منها. ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة ويعني بالكافرين المظهرين للكفر، وبالمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر، وروي: أن الكافرين هنا أبي بن خلف، والمنافقين هنا عبد الله بن أبي ابن سلول، والعموم أظهر.

﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ قال ابن عباس[1]: كان في قريش رجل يقال له ذو القلبين لشدة فهمه، فنزلت الآية نفيا لذلك، ويقال إنه ابن أخطا، وقيل: جميل بن معمر، وقيل: إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي، أي كما لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم. ﴿اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾ أي تقولون للزوجة: أنت علي كظهر أمي، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم، ويأتي حكمه في المجادلة، وإنما

(١) قال ابن عطية: اختلف الناس في السبب في قوله تعالى «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» فقال ابن عباس: سببها أن بعض المنافقين قال إن محمدا له قلبان؛ لأنه ربما كان في شيء فنزع في غيره نزعة ثم عاد إلى شأنه الأول، فقالوا ذلك عنه فنفاه الله تعالى عنه، وقال ابن عباس: أيضا بل سببه أنه كان في قريش في بني فهر رجل فهم يدعي أن له قلبين ويقال له ذو قلبين... المحرر الوجيز: ٤/٤٢٢.

تعدى هذا الفعل بمن لأنه يتضمن معنى يتباعدون منهن. ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الأدعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولد فلان وليس بولده، وسببها(١) أمر زيد بن حارثة وذلك أنه كان فتى من كلب، فسباه بعض العرب وباعه من خديجة، فوهبته للنبي ﷺ، فتبناه، فكان يقال له: زيد بن محمد، حتى أنزلت هذه الآية. ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم﴾ الإشارة إلى نسبة الدعي إلى غير أبيه، أو إلى كل ما تقدم من المنفيات وقوله: ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ تأكيد لبطلان القول.

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ الضمير للأدعياء أي انسبوهم لآبائهم الذين ولدوهم.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يقتضي أن يحبوه ﷺ أكثر مما يحبون أنفسهم، وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم. ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ جعل الله تعالى لأزواج النبي ﷺ حرمة الأمهات في تحريم نكاحهن، ووجوب مبرتهن، ولكن أوجب حجبهن عن الرجال ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ هذا نسخ لما كان في أول الإسلام من التوارث بأخوة الإسلام وبالهجرة، وقد تكلمنا عليها في الأنفال. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد القرآن، أو اللوح المحفوظ. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون بيانا لأولي الأرحام، أو يتعلق بـ ﴿أَوْلَىٰ﴾ أي أولوا الأرحام أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوي أرحام. ﴿إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾ يريد الإحسان إلى الأولياء الذين ليسوا بقرابة، ونفعهم في الحياة والوصية لهم عند الموت، فذلك جائز ومندوب إليه وإن لم يكونوا قرابة، وأما الميراث فللقرابة خاصة، واختلف: هل يعني بالأولياء المؤمنين خاصة أو المؤمنين والكافرين؟. ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يعني القرآن أو اللوح المحفوظ.

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٠/٢٠٦، وابن كثير في تفسير القرآن: ٢/٢٥٣، والمحرر الوجيز: ٤/٤٢٣.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ
وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ
الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ
وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ۞ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ
لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا
اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع، وقيل: الميثاق الذي أخذه حين أخرج بني آدم من صلب آدم كالذر، والأول أرجح لأنه هو المختص بالأنبياء. ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ قد دخل هؤلاء في جملة النبيئين ولكنه خصهم بالذكر تشريفا لهم، وقدم محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفضيلا له. ﴿مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ يعني الميثاق المذكور، وإنما كرره تأكيدا وليصفه بأنه غليظ أي وثيق ثابت يجب الوفاء به.

﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ﴾ اللام تحتمل أن تكون لام كي أو لام الصيرورة، والصدق هنا يحتمل أن يكون الصدق في الأقوال، أو الصدق في الأفعال والعزائم، ويحتمل أن يريد بالصادقين الأنبياء وغيرهم من المؤمنين.

﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة غزوة الخندق[1] والجنود المذكورة هم قريش ومن كان معهم من الكفار، وسماهم الله في هذه السورة الأحزاب، وكانوا نحو عشرة آلاف حاصروا المدينة وحفر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخندق حولها ليمنعهم من دخولها. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ أرسل الله عليهم ريح الصبا فأطفأت نيرانهم وأكفأت قدورهم، ولم يمكنهم معها قرار فانصرفوا خائبين. ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة.

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٠/٣١٧.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي حصروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها، وقيل: معنى ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ أهل نجد؛ لأن أرضهم فوق المدينة ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أهل مكة وسائر تهامة. ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ﴾ أي مالت عن مواضعها وذلك عبارة عن شدة الخوف ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة وهي الحلق، وبلوغ القلوب إليها مجاز، وهو عبارة عن شدة الخوف، وقيل: بل هي حقيقة لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة. ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا﴾ أي تظنون أن الكفار يغلبونكم، وقد وعدكم الله بالنصر عليهم، فأما المنافقون فظنوا ظن السوء وصرحوا به، وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خواطر مما لا يمكن للبشر دفعها ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله، وقرأ نافع: ﴿ٱلظُّنُونَا﴾ و﴿ٱلرَّسُولَا﴾ و﴿ٱلسَّبِيلَا﴾ بالألف في الوصل وفي الوقف، وقرئ[1] بإسقاطها في الوصل والوقف وبإثباتها في الوقف دون الوصل، فأما إسقاطها فهو الأصل، وأما إثباتها فلتعديل رؤوس الآي لأنها كالقوافي، وتقتضي هذه العلة أن تثبت في الوقف خاصة، وأما من أثبتها في الحالين فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي اختبروا أو أصابهم بلاء، والعامل في الظرف ابتلي، وقيل: ما قبله. ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ أصل الزلزلة شدة التحريك، وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ روي: أنه معتب بن قشير.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ﴾ قال السهيلي: الطائفة تقع على الواحد فما فوق والمراد

---

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿الظنونا هنالك﴾ و﴿الرسولا وقالوا﴾ و﴿السبيلا ربنا﴾ فقرأ المدنيان وابن عامر وأبو بكر بألف في الثلاثة وصلاً ووقفا، وقرأ البصريان وحمزة بغير ألف في الحالين، وقرأ الباقون وهم: ابن كثير، والكسائي، وخلف، وحفص، بألف في الوقف دون الوصل، واتفقت المصاحف على رسم الألف في الثلاثة دون سائر الفواصل. النشر: ٢/٣٨٨.

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن
دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ
وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا
(١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ
تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ
الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ
لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
(١٩) • يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا ربع
لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا
فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)

هنا أوس بن قبطي[(١)]. ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ يثرب اسم المدينة، وقيل: اسم البقعة التي المدينة في طرف منها، ومقام اسم موضع من القيام أي لا قرار لكم هنا، يعنون موضع القتال وقرئ[(٢)] بالضم وهو اسم موضع من الإقامة، وقولهم ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي إلى منازلكم بالمدينة، ودعوا القتال. ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيءَ﴾ أي يستأذنوه في الانصراف والمستأذن أوس بن قبطي وعشيرته، وقيل: بنو حارثة. ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي منكشفة للعدو، وقيل: خالية للسراق، فكذبهم الله في ذلك.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي لو دخلت عليهم المدينة من جهاتها. ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ يريد بالفتنة الكفر أو قتال المسلمين. ﴿لَآتَوْهَا﴾ قرئ[(٣)] بالقصر بمعنى جاؤوا إليها، وبالمد بمعنى أعطوها من أنفسهم. ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ الضمير للمدينة.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ دخلت قد على الفعل المضارع بمعنى التهديد، وقيل: للتعليل على وجه التهكم. ﴿الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ أي الذين يعوقون الناس عن الجهاد ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم. ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ هم المنافقون

---

(١) انظر تفسير السراج المنير لمحمد بن أحمد الشربيني: ٣/١٩٧.

(٢) ﴿لا مقام لكم﴾ روى حفص بضم الميم، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٣٨٨.

(٣) قال الداني: الحرميان ﴿لأتوها﴾ بالقصر والباقون بالمد. التيسير، ص: ١١٧.

الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد، وكانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقين مثلهم: هلم إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك القتال، وقد ذكر هلم في الأنعام. ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ البأس القتال و﴿قَلِيلًا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: إلا إتيانا قليلا، أو مستثنى من فاعل يأتون، أي إلا قليلا منهم.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أشحة جمع شحيح بوزن فعيل معناه يشحون بأنفسهم فلا يقاتلون، وقيل: يشحون بأموالهم، وقيل: معناه أشحة عليكم وقت الحرب أي يشفقون أن يقتلوا، ونصب أشحة على الحال من القائلين، أو على المعوقين، أو من الضمير في يأتون، أو نصب على الذم. ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي إذا اشتد الخوف من الأعداء نظر إليك هؤلاء في تلك الحالة ولاذوا بك من شدة خوفهم. ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ عبارة عن شدة خوفهم. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ السلق بالألسنة عبارة عن الكلام بكلام مستكره، ومعنى حداد: فصحاء قادرين على الكلام، وإذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلى إذايتكم بالسب وتنقيص الشريعة، وقيل: إذا غنمتم طلبوا من الغنائم. ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي يشحون بفعل الخير، وقيل: يشحون بالمغانم وانتصابه هنا على الحال من الفاعل في سلقوكم. ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ليس المعنى: أنها حبطت بعد ثبوتها، وإنما المعنى: أنها لم تقبل؛ لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال، وقيل: إنهم نافقوا بعد أن آمنوا، فالإحباط على هذا حقيقة.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ الأحزاب هنا هم كفار قريش ومن معهم، والمعنى: أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون أن الأحزاب لم ينصرفوا عن المدينة، وهم قد انصرفوا. ﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ معنى يودوا يتمنوا، وبادون خارجون في البادية، والأعراب: هم أهل البوادي من

العرب، فمعنى الآية: أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى تمنى هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب، وأن لا يكونوا في المدينة بل غائبين عنها يسألون من ورد عليهم عن أنبائكم.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي قدوة تقتدون به ﷺ في اليقين والصبر وسائر الفضائل، وقرئ[١] أسوة بضم الهمزة والمعنى واحد.

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ قيل: إن هذا الوعد هو ما أعلمهم رسول الله ﷺ حين أمر بحفر الخندق، من أن الكفار ينزلون عليهم وأنهم ينصرفون خائبين، وقيل: إنه قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ الآية فعلموا أنهم يبتلون ثم ينصرون.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ يعني قتل شهيدا، قال أنس بن مالك[٢]: يعني عمي أنس بن النضر، وقيل: يعني حمزة بن عبد المطلب، وقضاء النحب: عبارة عن الموت عند ابن عباس[٣] وغيره، وقيل: قضى نحبه: وفى العهد الذي عاهد الله عليه، ويدل على هذا ما ورد أن رسول الله ﷺ قال: طلحة ممن قضى نحبه[٤] وهو لم يقتل حينئذ. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ المفعول محذوف أي ينتظر أن

---

(١) ﴿إسوة﴾ هنا وفي حرفي الممتحنة قرأ عاصم بضم الهمزة من الثلاثة، وقرأ الباقون بكسرها فيهن. النشر: ٢/٣٨٨.

(٢) أخرج الطبري في جامع البيان بسنده... قال أنس: فكنا نتحدث أن هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ نزلت فيه، (أنس بن النضر) وفي أصحابه. ٢٠/٢٤٠.

(٣) الطبري في جامع البيان: ٢٠/٢٣٩، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/٤٣٦.

(٤) أخرج الترمذي الحديث رقم: (٣٢٠٢)، وابن جرير الطبري: ٢١/٩٣، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن معاوية رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: طلحة ممن قضى نحبه. الدر المنثور: ٦/٥٨٧. وابن كثير: ٦/٣٩٤.

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ
اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم
مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ● يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ
الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

يقضي نحبه أو ينتظر الشهادة في سبيل الله على قول ابن عباس، أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصلاح، على القول الآخر.

﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ الصياصي: هي الحصون، ونزلت الآية[1] في يهود بني قريظة وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله ﷺ، فنقضوا عهده وصاروا مع قريش، فلما انصرفت قريش عن المدينة حصر رسول الله بني قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم بأن يقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذريتهم. ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يعني الرجال، وقتل منهم يومئذ كل من أنبت، وكانوا بين ثمانمائة وتسعمائة. ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يعني النساء والذرية.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ يعني أرض بني قريظة، قسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين. ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطؤوها حينئذ وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المشرق والمغرب، ويحتمل عندي أن يريد أرض بني قريظة؛ لأنه قال: أورثكم بالفعل الماضي وهي التي كانوا قد أخذوها حينئذ، وأما غيرها من الأرضين فإنما أخذوها بعد ذلك، فلو أرادها لقال: يورثكم إنما كررها بالعطف ليصفها بقوله: ﴿لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ أي لم تدخلوها قبل ذلك.

---

(١) ينظر الطبري: ٢٠/٢٤٣، والمحرر الوجيز: ٤/٤٣٨.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية سببها[١] أن أزواج رسول الله ﷺ تغايرن حتى غمه ذلك، وقيل: طلبن منه الملابس ونفقات كثيرة، وكان أزواجه يومئذ تسع نسوة خمس من قريش، وهن: عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وأربع من غير قريش؛ وهن: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي من بني إسرائيل، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق. ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أصل تعال أن يقوله من كان في موضع مرتفع لمن في موضع منخفض، ثم استعملت بمعنى أقبل في جميع الأمكنة، وأمتعكن من المتعة وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلقت، والسراح الطلاق، فمعنى الآية: أن الله أمر رسوله ﷺ أن يخير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أرادوا زينة الدنيا، وبين البقاء في عصمته إن أرادوا الآخرة، فبدأ ﷺ بعائشة فاختارت البقاء في عصمته، ثم تبعها سائرهن في ذلك، فلم يقع طلاق[٢] وقالت عائشة[٣]: «خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه ولم يعد ذلك طلاقا». وإذا اختارت المخيرة الطلاق فمذهب مالك أنه ثلاث، وقيل: طلقة بائنة، وقيل: طلقة رجعية. ووصف السراح بالجميل يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث، أو يريد أنه ثلاث، وجماله حسن الرعي والثناء، وحفظ العهد.

---

(١) قال ابن جرير الطبري: وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أن عائشة سألت رسول الله ﷺ شيئا من عرض الدنيا، إما زيادة في النفقة، أو غير ذلك، فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرا، فيما ذكر، ثم أمره الله أن يخيرهنّ بين الصبر عليه، والرضا بما قسم لهنّ، والعمل بطاعة الله، وبين أن يمتِّعهنّ ويفارقهنّ إن لم يرضين بالذي يقسم لهن. وقيل: كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارتها. جامع البيان: ٢٠/٢٥١.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي، ص: ٢٠٤.

(٣) المسند (٦/٤٥)، وصحيح البخاري برقم (٥٢٦٢)، وصحيح مسلم رقم (١٤٧٧)، والبغوي في معالم التنزيل: ٦/٣٤٧، وتفسير ابن كثير: ٤/٤٠٢.

وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا
مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ
بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ
ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ
ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ
فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ • إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ (حزب)
وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ
وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ
وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ من للبيان لا للتبعيض؛ لأن جميعهن محسنات.

﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قيل: يعني الزنا، وقيل: يعني عصيان زوجهن عليه الصلاة والسلام، أو تكليفه ما يشق عليه، وقيل: عموم في المعاصي. ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين، وإنما ذلك لعلو رتبتهن؛ لأن كل أحد يطالب على مقدار حاله، وقرئ[1] يضاعف بالياء ورفع العذاب على البناء للمفعول وبالنون ونصب العذاب على البناء للفاعل.

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرئ بالياء حملا على لفظ من، وبالتاء حملا على المعنى[2] وكذلك ﴿تَعْمَلْ﴾[3] والقنوت هنا بمعنى الطاعة. ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي يضاعف لها ثواب الحسنات. ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ يعني الجنة، وقيل: في الدنيا، والأول هو الصحيح.

---

(١) ﴿يضاعف لها العذاب﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر بالنون وتشديد العين وكسرها من غير ألف قبلها ونصب ﴿العذاب﴾ وقرأ أبو جعفر والبصريان بالياء وتشديد العين وفتحها من غير ألف قبلها ورفع ﴿العذاب﴾ وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم بتخفيف العين وألف قبلها.. النشر: ٢/٣٨٨.

(٢) وقرأ عمرو بن فائد الجحدري، ويعقوب ﴿من تأت﴾ ﴿ومن تقنت﴾ بالتاء من فوق حملا على المعنى. المحرر الوجيز: ٤/٤٤٠.

(٣) ﴿وتعمل صالحاً نؤتها﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء فيهما، وقرا الباقون بالتاء على التأنيث في الأول، بالنون في الثاني. النشر. المصدر السابق..

﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ فضلهن الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى فحصل التفضيل على جميع النساء، إلا أنه قد يخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها. ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ نهى عن الكلام اللين الذي يعجب الرجال ويميلهن إلى النساء. ﴿فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي فجور وميل للنساء، وقيل: هو النفاق، وهذا بعيد في هذا الموضع. ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ هو الصواب من الكلام أو الذي ليس فيه شيء مما نهى عنه.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ قرئ[1] بكسر القاف ويحتمل وجهين: أن يكون من الوقار، أو من القرار في الموضع، ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في ظلت، وأما القراءة بالفتح فمن القرار في الموضع على لغة من يقول: قررت بالكسر أقر بالفتح، والمشهور في اللغة عكس ذلك، وقيل: هي من قار يقار إذا اجتمع، ومعنى القرار أرجح لأن سودة رضي الله عنها قيل لها: لم لا تخرجين؟ فقالت: أمرنا الله بأن نقر في بيوتنا، وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكي على خروجها[2] أيام الجمل، وحينئذ قال لها عمار: إن الله أمرك أن تقري في بيتك[3]. ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ التبرج إظهار الزينة. ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف والتعرض للنظر، وجعلها أولى بالنظر إلى حال الإسلام، وقيل: الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح، وقيل: ما بين موسى وعيسى. ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ أصله

---

(١) ﴿وقرن في بيوتكن﴾ قرأ المدنيان وعاصم بفتح القاف، وقرأ الباقون بكسرها. النشر: ٢/٣٨٩.

(٢) ذكره القرطبي في جامعه: ذكر الثعلبي وغيره: أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا قرأت هذه الآية تبكي حتى تبل خمارها. ١٤/١٧٩ قال الشيخ/محمد الطاهر بن عاشور: «لا ثقة بصحة سنده» التحرير والتنوير: ١٢/٢٢٢.

(٣) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/٤٤٣.

النجس، والمراد به هنا النقائص والعيوب. ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ منادى أو منصوب على التخصيص، وأهل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم: أزواجه، وذريته، وأقاربه، كالعباس، وعلي، وكل من حرمت عليه الصدقة، وقيل: المراد هنا أزواجه خاصة، والبيت على هذا المسكن، وهذا ضعيف؛ لأن الخطاب بالتذكير، ولو أراد ذلك لقال عنكن، وروي[١]: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: نزلت هذه الآية في خمسة في، وفي علي، وفاطمة، والحسن، والحسين.

﴿وَٱذْكُرْنَ﴾ خطاب لأزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصهن بعد دخولهن مع أهل البيت، وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة أو التذكر بالقلب، وآيات الله هي القرآن، والحكمة هي السنة.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية سببها[٢] أن بعض النساء قلن ذكر الله الرجال ولم يذكرنا، فنزل فيها ذكر النساء. ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الإسلام هو الانقياد والإيمان هو التصديق، ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه باختلاف المعنى: كقوله: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الآية، وبالعموم فيكون الإسلام أعم لأنه بالقلب والجوارح والإيمان أخص لأنه بالقلب خاصة وهذا هو الأظهر في هذا الموضع. ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى العبادة أو الطاعة. ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ يحتمل أن يكون من صدق القول أو من صدق العزم، أو اليمن.

---

(١) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نزلت هذه الآية في خمسة: في، وفي علي، وفاطمة، وحسن، وحسين، ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾» الدر المنثور: ٦/٦٠٤، وتفسير الألوسي: ١٦/١١٧.

(٢) أسباب النزول للواحدي، ص: ٢٦٩، والمحرر الوجيز: ٤/٤٤٥.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا
﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ
زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ
أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا
يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا
مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ
مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ
وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾
• مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ
وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ الآية معناها أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع الله ورسوله، بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله، والضمير في قوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ راجع إلى الجمع الذي يقتضيه قوله ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾؛ لأن معناه العموم في جميع المؤمنين والمؤمنات، وهذه الآية توطئة للقصة المذكورة بعدها، وقيل: سببها: أن رسول الله ﷺ خطب امرأة ليزوجها لمولاه زيد بن حارثة فكرهت هي وأهلها ذلك، فلما نزلت الآية قالوا رضينا يا رسول الله، واختلف: هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش[(١)] أو غيرها؟ وقد قيل: إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط[(٢)].

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ هو زيد بن حارثة الكلبي وإنعام الله عليه بالإسلام وغيره، وإنعام النبي ﷺ بالعتق، وكانت عند زيد زينب بنت جحش وهي بنت أميمة، عمة النبي ﷺ، فشكا زيد إلى رسول الله ﷺ سوء معاشرتها وتعاظمها عليه، وأراد أن يطلقها، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك زوجك واتق الله، يعني فيما وصفها به من سوء المعاشرة، أو اتق الله ولا تطلقها، فيكون نهيا عن الطلاق على وجه التنزيه، كما قال عليه الصلاة والسلام[(٣)]:

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٠/٢٧١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الترمذي الحديث رقم: (٢١٨٠)، وسنن ابن ماجه الحديث رقم: (٢٠١٨)، وضعفه ابن ماجه.

«أبغض المباح إلى الله الطلاق». ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الذي أخفاه رسول الله ﷺ أمر جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب، ولكنه خاف أن يسلط الله عليه ألسنتهم وينالوا منه، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة لعرضه، وذلك أنه روي[١]: أن النبي ﷺ كان حريصا على أن يطلق زيد زينب ليتزوجها هو ﷺ لقرابتها منه ولحسبها[٢]، فقال: أمسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص عليها خوفا من كلام الناس لئلا يقولوا تزوج امرأة ابنه؛ إذ كان قد تبناه فالذي أخفاه ﷺ هو إرادة تزوجها فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزويجها فقالت عائشة[٣]: «لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية لشدتها عليه» وقيل: إن الله كان أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد، فالذي أخفاه رسول الله ﷺ ما أعلمه الله به من ذلك. ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ لم يذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة، والوطر الحاجة قال ابن عطية[٤]: ويراد به هنا الجماع، والأحسن أن يكون أعم من ذلك أي لما لم يبق لزيد فيها حاجة زوجها الله من نبيه ﷺ وأسند الله تزويجها إليه تشريفا لها، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول: إن الله زوجني نبيه من فوق سبع سموات[٥] واستدل بعضهم بقوله: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ على أن الأولى أن يقال في كتاب الصداق أنكحه إياها بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية. ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ المعنى: أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله ﷺ ليعلم المؤمنون أن تزوج نساء أدعيائهم حلال لهم، فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء في الحقيقة.

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٠/٢٧٣.

(٢) في: (أ): (وحسنها).

(٣) الترمذي الحديث رقم: (٣٢٠٧) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(٤) المحرر الوجيز: ٤/٤٤٧.

(٥) تفسير مقاتل: ٣/٤٨.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ المعنى أن تزوج النبي ﷺ لزينب بعد زيد حلال، لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب، وفي ذلك رد على من تكلم في ذلك من المنافقين، وفرض هنا بمعنى قسم له. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحل الله لهم، وقيل: الإشارة بذلك إلى داود في تزوجه للمرأة التي جرى له فيها ما جرى[١]، والعموم أحسن، ونصب سنة على المصدر أو على إضمار فعل أو على الإغراء.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ صفة للذين خلوا من قبل، وهم الأنبياء، أو رفع على إضمار مبتدإ، أو نصب بإضمار فعل.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ هذا رد على من قال في زيد بن حارثة زيد ابن محمد، فاعترض على النبي ﷺ تزوج امرأة زيد، وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين لأنه ﷺ ليس أبا لهما في الحقيقة؛ لأنهما ليسا من صلبه وإنما كانا ابني بنته، وأما ذكور أولاده فماتوا صغارا فليسوا من الرجال. ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي آخرهم فلا نبي بعده ﷺ، وقرئ[٢] بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم، وبالفتح بأنهم ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم.

فإن قيل: إن عيسى ينزل في آخر الزمان فيكون بعده عليه الصلاة والسلام؟ فالجواب: أن النبوءة أوتيت عيسى قبله عليه الصلاة والسلام، وأيضا فإن عيسى يكون

---

(١) سنعلق على ذلك في محله إن شاء الله.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ عاصم وحده والحسن والشعبي والأعرج بخلاف: ﴿وخاتم﴾ بفتح التاء بمعنى أنهم به ختموا، فهو كالخاتم والطابع لهم، وقرأ الباقون والجمهور ﴿وخاتم﴾ بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم أي جاء آخرهم. المحرر الوجيز: ٤/٤٤٨، وقال: شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي: واختلف في ﴿وخاتم النبيين﴾ فعاصم بفتح التاء اسم للآلة كالطابع والقالب، ووافقه الحسن، والباقون بكسرها اسم فاعل. إتحاف فضلاء البشر في القرآت الأربعة عشر: ١/٤٥٥.

تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما ﴿٤٤﴾
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴿٤٥﴾
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴿٤٦﴾ وبشر المؤمنين بأن
لهم من الله فضلا كبيرا ﴿٤٧﴾ ولا تطع الكافرين
والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله
وكيلا ﴿٤٨﴾ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم
طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة
تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا ﴿٤٩﴾
يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن
وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك
وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي
هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد
النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد
علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم
لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ﴿٥٠﴾

إذا نزل على شريعته عليه الصلاة والسلام، فكأنه واحد من أمته.

﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ اشترط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به بخلاف سائر الأعمال، والذكر يكون بالقلب وباللسان وهو على أنواع كثيرة، من التهليل، والتسبيح، والحمد، والتكبير، وذكر أسماء الله تعالى.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ قيل: إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر، والأظهر أنه أمر بالتسبيح في أول النهار وآخره، وقال ابن عطية: أراد في كل الأوقات فحد النهار بطرفيه(١).

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم﴾ هذا خطاب للمؤمنين وصلاة الله عليهم رحمة لهم، وصلاة الملائكة عليهم دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ يصلي في المعنيين على اختلافهما، وقيل: إنه على حذف مضاف، تقديره: وملائكته يصلون.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ قيل: يعني يوم القيامة، وقيل: في الجنة، وهو الأرجح لقوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض، أو قول الملائكة لهم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ أي يشهد على أمته.

---

(١) المحرر الوجيز: ٤/٤٤٩.

﴿وَدَاعِياً إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي بأمر الله وإرساله. ﴿وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ استعارة للنور الذي يتضمنه الدين.

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا تؤذهم فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول، ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف.

والآخر: احتمل إذايتهم لك وأعرض عن أقوالهم فالمصدر على هذا مضاف للفاعل.

﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية معناها: سقوط العدة عن المطلقة قبل الدخول، فالنكاح في الآية هو العقد، والمس هو الجماع وتعتدونها من العدد ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ هذا يقتضي متعة المطلقة قبل الدخول، سواء فرض لها أو لم يفرض لها صداق، وقوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: يقتضي أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها، وقد اختلف: هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها؟ ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه مخصصة لعمومها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أن المراد أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ كعائشة وغيرها، وكان قد أعطاهن مهورهن.

والآخر: أن المراد جميع النساء فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطي مهرها وهذا أوسع من الأول.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أباح الله له مع الأزواج السراري بملك اليمين ويعني

بقوله: ﴿أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ الغنائم. ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾ يعني قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه، وكان له عليه الصلاة والسلام أعمام وعمات إخوة لأبيه ولم يكن لأمه عليه الصلاة والسلام أخ ولا أخت، وإنما يعني بخاله وخالاته عشيرة أمه، وهم بنو زهرة، ولذلك كانوا يقولون: نحن أخوال رسول الله ﷺ. فمن قال إن المراد بقوله: ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ من كانت في عصمته، فهو عطف عليهن وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على من كان في عصمته، ومن قال: إن المراد جميع النساء فهو تجريد منهن على وجه التشريف، بعد دخول هؤلاء في العموم. ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ تخصيص تحرز به ممن لم يهاجر كالطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة[١]. ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أباح الله له ﷺ من وهبت له نفسها من النساء، واختلف هل وقع ذلك أم لا؟ فقال ابن عباس[٢]: لم تكن عند النبي ﷺ امرأة إلا بنكاح أو ملك يمين، لا بهبة نفسها، ويؤيد هذا قراءة الجمهور: ﴿إِن وَهَبَتْ﴾ بكسر الهمزة، أي إن وقع، وقيل: قد وقع ذلك وعلى هذا قرئ[٣]: أن وهبت بفتح الهمزة، واختلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها؟، فقيل: ميمونة بنت الحارث، وقيل: زينب بنت خزيمة أم المساكين، وقيل: أم شريك الأنصارية، وقيل: أم شريك العامرية. ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي هبة المرأة نفسها

---

(١) قال ابن عطية: روي: عن أم هاني بنت أبي طالب أنها قالت: خطبني رسول الله ﷺ، فاعتذرت إليه فعذرني، ثم نزلت هذه الآية فحرمني عليه؛ لأني لم أهاجر معه وإنما كنت من الطلقاء. المحرر الوجيز: ٤/٤٥٣.

(٢) لم أجده مسندا.

(٣) قال الدمياطي: وعن الحسن: أن وهبت بفتح الهمزة بدل من امرأة بدل اشتمال أو على حذف لام العلة أي لأن. الإتحاف مصدر سابق. وقال ابن عطية: وقرأ الحسن البصري وأبي بن كعب والثقفي والشعبي أن وهبت بفتح الألف فهي إشارة إلى ما وقع من الهبات قبل نزول الآيات. المحرر الوجيز: ٤/٤٥٣.

ربع

﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ
لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ
أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ
ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ
إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ
لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ
وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ
مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ
وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا
أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾
إِن تُبْدُوا شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

مزية خاصة بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون غيره، وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب ليخص المخاطب وحده، وقيل: إن خالصة يرجع إلى كل ما تقدم من النساء المباحات له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن سائر المؤمنين قصروا على أربع نسوة، وأبيح له عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك، ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد، بخلاف أبي حنيفة، وإعراب خالصة مصدر أو حال أو صفة لامرأة. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ يعني أحكام النكاح من الصداق والولي والاقتصار على أربع وغير ذلك. ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ يتعلق بالآية التي قبله أي قد بينا أحكام النكاح لئلا يكون عليك حرج، أو لئلا يظن بك أنك فعلت ما لا يجوز، وقال الزمخشري[1]: يتعلق بقوله خالصة لك.

﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ معنى ترجي تؤخر وتبعد ومعنى تؤوي تضم وتقرب واختلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء، فقيل: إن ذلك في القسمة بينهن أي تكثر لمن شئت وتقلل لمن شئت، وقيل: إنه في الطلاق أي تمسك من شئت وتطلق من شئت، وقيل: معناه تتزوج من شئت وتترك من شئت، والمعنى على كل قول: توسعة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإباحة له أن يفعل ما يشاء، وقد اتفق الناقلون على أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعدل في القسمة بين نسائه أخذا

(١) الكشاف: ٣/٥٦٠.

منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له، والضمير في قوله منهن يعود على أزواجه ﷺ خاصة أو على كل ما أحل الله له على حسب الخلاف المتقدم. ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: من كنت عزلته من نسائك فلا جناح عليك في رده بعد عزله.

والآخر: من ابتغيت ومن عزلت سواء في إباحة ذلك، فمن للتبعيض على القول الأول، وأما على القول الثاني فنحو قولك: من لقيك ومن لم يلقك سواء.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي إذا علمن أن هذا حكم الله قرت به أعينهن ورضين به وزال ما كان بهن من الغيرة، فإن سبب نزول هذه الآية ما وقع لأزواج النبي ﷺ من غيرة بعضهن على بعض.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يحل لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد عليهن قال ابن عباس[1]: لما خيرهن رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله جازاهن الله على ذلك بأن حرم غيرهن من النساء كرامة لهن.

والقول الثاني: لا يحل لك النساء غير الأصناف التي سميت، والخلاف هنا يجري على الخلاف في المراد بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ أي لا يحل لك غير من ذكر حسبما تقدم، وقيل: معنى لا يحل لك النساء لا يحل لك اليهوديات والنصرانيات من بعد المسلمات المذكورات، وهذا بعيد.

واختلف في حكم هذه الآية، فقيل: إنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ على القول بأن المراد جميع النساء، وقيل: إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد من كان في عصمته، وهذا هو الأظهر لما ذكر عن

(١) المحرر الوجيز: ٤/٤٥٥.

ابن عباس، ولأن التسع في حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع في حق أمته.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ معناه: لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلا منها، وقيل: معناه ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل، وينزل الآخر له عن زوجته، وهذا ضعيف. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ في هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ المعنى: أن الله أباح له الإماء، والاستثناء في موضع رفع على البدل من النساء، أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في حسنهن.

﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ سبب هذه الآية ما رواه أنس[(١)] أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها، فدعا الناس فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت فثقل ذلك على النبي ﷺ، فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم، فانصرف فخرجوا عن ذلك، وقال ابن عباس: نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولا يخرجون، فأمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم وأن ينصرفوا إذا أكلوا.

قلت: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس أليق بما في الآية من النهي عن

---

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥١٣)، ومسلم الحديث رقم: (٣٥٧٨)، ولفظه: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا الْقَوْمَ فَطَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ ـ قَالَ ـ فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ مِنَ الْقَوْمِ. زَادَ عَاصِمٌ وَابْنُ عَبْدِ الأَعْلَى فِى حَدِيثِهِمَا قَالَ فَقَعَدَ ثَلاَثَةٌ وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقُوا ـ قَالَ ـ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا ـ قَالَ ـ فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ فَأَلْقَى الْحِجَابَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ ـ قَالَ ـ وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا﴾.

الدخول حتى يؤذن لهم، فعلى قول ابن عباس في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل فإن الآية تضمنت الحكمين.

﴿غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَـٰهُ﴾ أي غير منتظرين لوقت الطعام والإنا الوقت وقيل إنا الطعام نضجه وإدراكه يقال أنى يأنى إناء. ﴿وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُواْ﴾ أمر بالدخول بعد الدعوة وفي ذلك تأكيد للنهي عن الدخول قبلها ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُواْ﴾ أي انصرفوا قال بعضهم: هذا أدَبٌ أدَّبَ الله به الثقلاء، وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1]: حسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم. ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ معطوف على غير ناظرين أو تقديره ولا تدخلوا مستأنسين، ومعناه النهي عن أن يطلبوا الجلوس للأنس بحديث بعضهم مع بعض أو يستأنسوا لحديث أهل البيت واستئناسهم تسمعهم وتجسسهم. ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى النَّبِىَّ﴾ يعني جلوسهم للحديث، أو دخولهم بغير إذن. ﴿فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ تقديره: يستحيي من إخراجكم بدليل قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي إن إخراجكم حق لا يتركه الله. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ المتاع الحاجة من الأثاث وغيره وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسببها[2] ما رواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب، وقيل: سببها أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يحجب نساءه فنزلت الآية موافقة لقول عمر[3] قال

---

(١) في البحر المحيط: وعن عائشة، وابن عباس: حسبك في الثقلاء، أن الله لم يحتملهم: ٧/٢٣٧، وبعضهم يقول: ابن أبي عائشة، وبلفظ: أن الشرع، المحرر الوجيز: ٤/٤٥٧ قال القرطبي: وقال ابن أبي عائشة في كتاب الثعلبي: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم. الجامع لأحكام القرآن: ١٤/٢٢٣، وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: قال حماد بن زيد وإسماعيل بن أبي حكيم: هذه الآية أدبٌ أدَّبَ اللهُ به الثقلاء، وقال ابنُ أبي عائشة: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم. التحرير والتنوير: ٢٢/٨٤.

(٢) تقدم قريبا.

(٣) تقدم تخريجه.

ثمن
• لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾
ربع
• لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

بعضهم: لما نزلت في أمهات المؤمنين: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ كن لا يجوز للناس كلامهن إلا من وراء حجاب، ولا يجوز أن يروهن متنقبات ولا غير متنقبات، خصصن بذلك دون سائر النساء. ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يريد أنقى من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، والنساء في أمر الرجال. ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ﴾ سببها[1] أن بعض الناس قالوا لو مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة، فحرم الله على الناس تزوج نسائه بعده كرامة له ﷺ.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ﴾ الآية لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوي محارمهن من القرابة وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأولادهم، وأولاد الأخوات. ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ قيل: يريد بالنساء القرابة والمتصرفات لهن، وقيل: يريد جميع نساء المؤمنات، ويقوي الأول تخصيص النساء بالإضافة لهن، ويقوي الثاني أنهن كن لا يحتجبن من النساء على الإطلاق. ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ واختلف فيمن أبيح لهن الظهور له من ملك اليمين، فقيل: الإماء دون

---

(١) قال أهل التفسير: لما نزلت آية الحجاب، ومنع الرجال من الدخول في بيوت النبي، قال رجل من الصحابة: ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا، والله لئن حدث أمر لأتزوجن عائشة، والأكثرون على أن القائل لهذا طلحة بن عبيد الله، وكان من رهط أبي بكر الصديق. تفسير السمعاني: ٤/٣٠١، وتفسير مقاتل: ٣/٥٣.

العبيد، وقيل: الإماء والعبيد، وهذا أولى بلفظ الآية، ثم اختلف من ذهب إلى هذا، فقال قوم: من ملكته من العبيد دون من ملكه غيرهن، وهذا هو الظاهر من لفظ الآية، وقال قوم: جميع العبيد كن في ملكهن أو في ملك غيرهن.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ هذه الآية تشريف للنبي ﷺ، وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة، في قوله ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾. ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ الصلاة على النبي ﷺ فرض إسلامي، فالأمر به محمول على الوجوب، وأقله مرة في العمر، وأما حكمها في الصلاة فمذهب الشافعي أنها فرض تبطل الصلاة بتركه، ومذهب مالك أنها سنة، وصفتها: ما ورد في الحديث الصحيح: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[١].

وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافا كثيرا، أما السلام على النبي ﷺ فيحتمل أن يريد السلام عليه في التشهد في الصلاة، أو السلام عليه حين لقائه، وأما السلام عليه بعد موته فقد قال ﷺ: «من سلم علي قريبا سمعته، ومن سلم علي بعيدا أبلغته، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[٢].

---

(١) لفظ البخاري:... سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا، فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. الحديث رقم: (٥٩٩٦)، وبصيغ أخرى قريبة من هذه. وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (١٩٦٤).

(٢) عن أوس بن أوس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أفضَلِ أيَّامِكُمْ يَومَ الجُمُعَةِ، فَأكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قَالَ: قالوا: يَا رسول الله، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أرَمْتَ؟! قَالَ: يقولُ بَلِيتَ، قَالَ: «إنَّ الله حَرَّمَ عَلَى الأرْضِ أجْسَادَ الأنْبِيَاءِ» قال النووي: رواه أبُو داود بإسنادٍ صحيحٍ. ورواه ابن ماجه في سننه الحديث رقم: (١٦٣٦) قال الشيخ الألباني: صحيح.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إذاية الله هي بالإشراك به ونسبة الصاحبة والولد له، وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء وقيل إنها على حذف مضاف تقديره يؤذون أولياء الله والأول أرجح لأنه ورد في الحديث: «يقول الله تعالى يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني ويكذبني وليس له أن يكذبني أما شتمه إياي فقوله: إن لي صاحبة وولدا، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني»[1] وأما إذاية رسول الله ﷺ فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال، وقال ابن عباس: نزلت في الذين طعنوا عليه حين أخذ صفية بنت حيي.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ﴾ الآية في البهتان وهو ذكر الإنسان بما ليس فيه، وهو أشد من الغيبة مع أن الغيبة محرمة وهي ذكره ما فيه مما يكره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعيا إلى نظر الرجال إليهن فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن ويقع الفرق بين الحرائر والإماء، والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار، وقيل: هو الرداء وصورة إدنائه عند ابن عباس: أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها، وقيل: أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها، وقيل: أن تغطي نصف وجهها. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء، فإذا عرف أن المرأة حرة لم تعارض بما تعارض به الأمة، وليس المعنى: أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي؟ إنما المراد أن يفرق بينها وبين الأمة؛ لأنه كان بالمدينة إماء يعرفن بالسوء، وربما تعرض لهن السفهاء.

(١) البخاري الحديث رقم: (٣٠٢١)، وأحمد في مسنده الحديث رقم: (٩١١٤)، والنسائي الحديث رقم: (٢٠٧٨).

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ الآية تضمنت وعيد هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا، وقيل: إنهم لم ينتهوا ولم ينفذ الوعيد عليهم، ففي ذلك دليل على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة، وقيل: إنهم انتهوا وستروا أمرهم فكف عنهم إنفاذ الوعيد، والمنافقون: هم الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر. ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه، وقيل: هم الزناة كقوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قوم كانوا يشيعون أخبار السوء ويخوفون المسلمين، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف متفرقة، أو تكون داخلة في جملة المنافقين، ثم جردها بالذكر. ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي نسلطك عليهم وهذا هو الوعيد. ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ ذلك لأنه ينفيهم أو يقتلهم، والضمير المجرور للمدينة. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يحتمل أن يريد إلا جوارا قليلا، أو وقتا قليلا، أو عددا قليلا منهم، والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات، فقليلا على الاحتمال الأول مصدر، وعلى الثاني ظرف، وعلى الثالث منصوب على الاستثناء.

﴿مَّلْعُونِينَ﴾ نصب على الذم أو بدل من قليلا على الوجه الثالث، أو حال من ضمير الفاعل في يجاورونك، تقديره: سينفون ملعونين. ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟﴾ أي حيث ما ظفر بهم أسروا والأخذ الأسر.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي عادته ونصب على المصدر. ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعني المنافقين من الأمم المتقدمة، وقيل: يعني الكفار من بدر، لأنهم أسروا وقتلوا.

﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ إنما قال قريبا بالتذكير، والساعة مؤنثة على تقدير شيئا قريبا، أو زمانا قريبا، أو لأن تأنيثها غير حقيقي.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ العامل في يوم قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ أو ﴿لَّا يَجِدُونَ﴾ أو محذوف، وتقليب وجوههم تصريفها في جهة النار كما تدور

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ
لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ • إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا
وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾

البضعة[1] في القدر إذا غلت من جهة إلى جهة، أو تغيرها عن أحوالها.

﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ هم قوم من بني إسرائيل وإذايتهم له ما ورد في الحديث: «أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل، فقالوا إنه آدر، فاغتسل موسى يوما وحده وجعل ثيابه على حجر، ففر الحجر بثيابه واتبعه موسى وهو يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر، فمر في اتباعه على ملإ من بني إسرائيل فرأوه سليما مما قالوا»[2] فذلك قوله: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ وقيل: إذايتهم له أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون، فبعث الله ملائكة فحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر فبرأ الله موسى، وروي: أنه حيي فأخبرهم ببراءة موسى، والقول الأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح[3].

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قيل: يعني لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ الأمانة هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي، وقيل: هي الأمانة في الأموال، وقيل:

---

(١) قطعة اللحم.

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة الحديث رقم: (٢٧٤)، ومسلم الحديث رقم: (٧٩٦)، والنسائي مع شرح السيوطي الحديث رقم: (٥١٠٤)، وسنن الترمذي الحديث رقم: (٣٧١٤).

(٣) تقدم قريبا.

غسل الجنابة، والصحيح العموم في التكاليف، وعرضها على السموات والأرض والجبال يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الله خلق لها إدراكا فعرضت عليها الأمانة حقيقة فأشفقت منها وامتنعت من حملها.

والثاني: أن تكون على وجه المجاز، والمراد تعظيم شأن الأمانة وأنها من الثقل بحيث أنها لو عرضت على السموات والأرض والجبال لأبين من حملها وأشفقن منها، فهذا ضرب من المجاز كقولك: عرضت الحمل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله، والمراد أنها لا تقدر على حمله.

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَانُ﴾ أي التزم الإنسان القيام بالتكاليف مع شدة ذلك وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه، ولذلك وصفه الله: بأنه ظلوم جهول، والإنسان هنا جنس، وقيل: يعني آدم، وقيل: قابيل الذي قتل أخاه.

﴿لِّيُعَذِّبَ﴾ اللام للصيرورة، فإن حمل الأمانة كان سبب تعذيب المنافقين والمشركين ورحمة للمؤمنين.

*** *** ***

سُورَةُ سَبَإٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِي ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ ربع

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ يحتمل أن يكون الحمد الأول في الدنيا والثاني في الآخرة، وعلى هذا حمله الزمخشري[1] ويحتمل عندي أن يكون الحمد الأول للعموم والاستغراق فجمع الحمد في الدنيا والآخرة، ثم جرد منه الحمد في الآخرة، كقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ ثم إن الحمد في الآخرة يحتمل أن يريد به الجنس، أو يريد به قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أو ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾.

﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي يدخل فيها من المطر، والأموات، وغير ذلك. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره. ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ روي: أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب. ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ أي لا يغيب ولا يخفى. ﴿وَلَآ أَصْغَرُ﴾ معطوف على مثقال، وقال الزمخشري: هو مبتدأ لأن حرف الاستثناء من حروف العطف ولا خلاف بين القراء السبعة في رفع أصغر وأكبر في هذا الموضع، وقد حكى ابن

(١) الكشاف: ٣/٥٧٦.

عطية[١] الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة، وإنما الخلاف في يونس. ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ.

﴿لِّيَجْزِيَ﴾ متعلق بقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أو بقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ أو بمعنى قوله: ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ﴾ مبتدأ وخبره الجملة بعده، وقال ابن عطية[٢]: هو معطوف على الذين الأول وقد ذكر في الحج معنى ﴿سَعَوْ﴾ و﴿مُعَٰجِزِينَ﴾. ﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع صفة لعذاب، وبالخفض صفة لرجز.

﴿وَيَرَى﴾ معطوف على ليجزي أو مستأنف وهذا أظهر. ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم الصحابة أو من أسلم من أهل الكتاب، أو على العموم. ﴿الْحَقَّ﴾ مفعول ثان ليرى لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم، والضمير ضمير فصل.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل؟ يعني محمدا ﷺ. ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معنى مزقتم: أي بليتم في القبور وتقطعت أوصالكم، و﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ مصدر، والخلق الجديد: هو الحشر في القيامة، والعامل في إذا معنى ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأن معناه تبعثون إذا مزقتم، وقيل: العامل فيه فعل مضمر مقدر قبلها، وذلك ضعيف، و﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معمول ينبئكم وكسرت اللام التي في خبرها، ومعنى الآية: أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتم في الأرض ومرادهم استبعاد الحشر.

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ الجمهور: ﴿ولا أصغر ولا أكبر عطفا﴾ على قوله ﴿مثقال﴾ وقرأ نافع والأعمش وقتادة أصغر وأكبر بالنصب عطفا على ﴿ذرة﴾ ورويت عن أبي عمرو... المحرر الوجيز: ٤/٤٦٨.

(٢) المحرر الوجيز المصدر السابق.

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟
إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن
نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ
﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ
إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ
وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ
يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ
﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ
كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ
مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ
عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ
أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ هذا من جملة كلام الكفار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل، وبقيت الهمزة مفتوحة غير ممدودة. ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ﴾ هذا رد عليهم أي أنه لم يفتر على الله كذبا، وليس به جنة بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب، ويحتمل أن يريد بالعذاب عذاب الآخرة، أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق ومحاولة ظهور الباطل.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الضمير في يروا للكفار المنكرين للبعث، وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم؛ لأنهما محيطتان بهم، والمعنى: ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلمون أن الذي خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم، ويحتمل أن يكون المعنى تهديد لهم، ثم فسره بقوله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم فيعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ الإشارة إلى إحاطة السماء والأرض بهم، أو إلى عظمة خلق السماء والأرض، فإن فيهما آية تدل على البعث.

﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ تقديره: قلنا يا جبال، والجملة تفسير للفضل، ومعنى أوبي سبحي، وأصله من التأويب وهو الترجيع؛ لأنه كان يرجع التسبيح فترجعه معه، وقيل: هو من التأويب بمعنى السير بالنهار، وقيل: كان ينوح فتساعده الجبال

بصداها والطير بأصواتها. ﴿وَالطَّيْرَ﴾ بالنصب عطف على موضع يا جبال، وقيل: مفعول معه، وقيل: معطوف على فضلا، وقرئ[١] بالرفع عطف على لفظ يا جبال. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أي جعلناه له لينا بغير نار كالطين والعجين، وقيل: لان له الحديد لشدة قوته.

﴿سَابِغَاتٍ﴾ هي الدروع الكاسية. ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ معنى السرد هنا نسج الدروع، وتقديرها: أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف، ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها، وقيل: لا يجعل المسمار دقيقا ولا غليظا. ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ خطاب لداود وأهله.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ بالنصب على تقدير وسخرنا وقرئ[٢] بالرفع على الابتداء. ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ أي كانت تسير به بالغداة مسيرة شهر وبالعشي مسيرة شهر، فكان يجلس على سريره وكان من خشب يحمل فيها روي: أربعة آلاف فارس فترفعه الريح ثم تحمله. ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ قال ابن عباس[٣]: كانت تسيل له باليمين عين من نحاس يصنع منها ما أحب والقطر النحاس، وقيل: القطر الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك كان يسيل له منه أربعة عيون، وقيل: المعنى أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود. ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني نار الآخرة، وقيل: كان معه ملك يضربهم بسوط من نار.

﴿مَحَارِيبَ﴾ هي القصور، وقيل: المساجد، ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ قيل: إنها كانت

---

(١) قال ابن الجزري: وانفرد ابن مهران عن هبة الله بن جعفر عن أصحابه عن روح برفع الراء من (طير) وهي رواية زيد عن يعقوب ووردت عن عاصم وأبي عمرو. النشر: ٢/٣٨٩.

(٢) قال الداني: أبو بكر ﴿ولسليمان الريح﴾ بالرفع والباقون بالنصب التيسير، ص: ١١٨.

(٣) الطبري في جامع البيان: ٢٠/٣٦٤، ولفظه: عن ابن عباس قوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ يعني: عين النحاس أسيلت.

على غير صور الحيوان، وقيل: على صور الحيوان، وكان ذلك جائزا عندهم. ﴿كَالْجَوَابِ﴾ جمع جابية وهي البركة التي يجتمع فيها الماء. ﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾ أي ثابتات في مواضعها لا يستطيع أحد أن ينقلها لعظمها. ﴿اعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ حكاية ما قيل لآل داود، وانتصب شكرا على أنه مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال، تقديره: شاكرين أو مصدر من العمل لأن العمل شكر تقديره: اشكروا شكرا أو مفعول به. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ يحتمل أن يكون مخاطبة لآل داود، أو مخاطبة لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿دَآبَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ المنسأة: هي العصا، وقرئ[1] بهمز وبغير همز و﴿دَآبَّةُ الْأَرْضِ﴾ هي الأرضة وهي السوسة التي تأكل الخشب وغيره وقصص الآية: أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ دخل قبة من قوارير وقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك سنة لم يعلم أحد بموته حتى وقعت العصا فخر إلى الأرض واختصرنا كثيرا مما ذكره الناس في هذه القصة لعدم صحته. ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ من تبين الشيء إذا ظهر وما بعدها بدل من الجن، والمعنى: ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب، وقيل: تبينت بمعنى علمت، وأن وما بعدها مفعول به على هذا، والمعنى: علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب وتحققوا أن ذلك بعد التباس الأمر عليهم، أو علمت الجن أن كبارهم لا يعلمون الغيب، وأنهم كاذبون في دعوى ذلك. ﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ يعني الخدمة التي كانوا يخدمون سليمان وتسخيره لهم في أنواع الأعمال، والمعنى: لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفي عليهم موت سليمان.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ سبأ قبيلة من العرب سميت باسم

(١) قرأ نافع وأبو عمرو ﴿منساته﴾ غير مهموز، وقرأ الباقون ﴿منسأته﴾ مهموزة مفتوحة الهمزة. السبعة لابن مجاهد، ص: ٥٢٧.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ
وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ
غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم
بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ
﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى
ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ
﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ
فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ
فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن
سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي
شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ
زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

أبيها الذي تناسلت منه، وقيل: باسم أمها، وقيل: باسم موضعها، والأول أشهر لأنه ورد في الحديث: «وكانت مساكنهم بين الشام واليمن»[1]. ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كان لهم واد وكانت الجنتان عن يمينه وشماله وجنتان بدل من آية أو مبتدأ أو خبر مبتدإ محذوف. ﴿كُلُواْ﴾ تقديره: قيل لهم كلوا من رزق ربكم قالت لهم ذلك الأنبياء، وروي أنهم بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم. ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي كثيرة الأرزاق طيبة الهواء سليمة من الهوام.

﴿فَأَعْرَضُواْ﴾ أي أعرضوا عن شكر الله أو عن طاعة الأنبياء. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ كان لهم سد يمسك الماء ليرتفع فتسقى به الجنتان فأرسل الله على السد الجرذ وهي دويبة خربته فيبست الجنتان، وقيل: لما خرب السد حمل السيل الجنتين وكثير من الناس، واختلف في معنى ﴿ٱلْعَرِمِ﴾ فقيل: هو السد، وقيل: هو اسم ذلك الوادي بعينه، وقيل: معناه الشديد فكأنه صفة للسيل من العرامة وقيل هو الجرذ الذي خرب السد، وقيل: المطر الشديد. ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الأكل: بضم الهمزة المأكول، والخمط: شجر الأراك، وقيل: كل شجرة ذات شوك، والأثل شجر يشبه الطرفا، والسدر شجر معروف، وإعراب خمط بدل من أكل، أو عطف بيان وقرئ[2] بالإضافة وأثل عطف على

(١) المحرر الوجيز: ٤/٤٧٧.

(٢) ﴿أكل خمط﴾ قرأ البصريان ﴿أكل﴾ بالإضافة من غير تنوين، وقرأ الباقون بالتنوين. النشر: ٢/٣٩٠.

الأكل لا على خمط لأن الأثل لا أكل له، والمعنى: أنه لما أهلكت الجنتان المذكورتان، قيل: أبدلهم الله منها جنتين بضد وصفهما في الحسن والأرزاق.

﴿وَهَلْ يُجَٰزَىٰٓ إِلَّا ٱلْكَفُورُ﴾ معناه: لا يناقش ويجازى بمثل فعله إلا الكفور؛ لأن المؤمن قد يسمح الله له ويتجاوز عنه.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ هذه الآية وما بعدها وصف حال سبإ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم، ويعني بالقرى التي باركنا فيها الشام، والقرى الظاهرة قرى متصلة من بلادهم إلى الشام، ومعنى ظاهرة يظهر بعضها من بعض لاتصالها، وقيل: مرتفعة في الآكام، وقال ابن عطية[1]: معناه خارجة عن المدن كما تقول بظاهر المدينة أي خارجها. ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي قسمنا مراحل السفر وكانت القرى متصلة فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى، ولا يخاف جوعا ولا عطشا ولا يحتاج إلى حمل زاد، ولا يخاف من أحد.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرئ[2] باعد وبعد بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب، والمعنى: أنهم بطروا النعمة وملوا العافية وطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ليمشوا في المفاوز ويتزودوا للأسفار، فعجل الله إجابتهم وقرئ[3] ﴿بَٰعَدَ﴾ بفتح العين على الخبر، والمعنى: أنهم قالوا إن الله باعد بين قراهم، وذلك كذب وجحد للنعمة. ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ يعني بقولهم باعد بين أسفارنا أو بذنوبهم على الإطلاق. ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي فرقناهم في البلاد حتى ضرب المثل بفرقتهم، قيل: تفرقوا أيدي سبا وفي الحديث: «إن سبا

(١) المحرر الوجيز: ٤/٤٨٠.

(٢) ﴿باعد﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بنصب الباء وكسر العين مشددة من غير ألف مع إسكان الدال، وقرأ الباقون.. بالألف والتخفيف. ٢/٢٨٩.

(٣) قال ابن عطية: وقرأ ابن عباس وأبو رجاء والحسن البصري وابن الحنفية أيضا «ربنا بالرفع باعد» بفتح العين والدال. المحرر الوجيز: ٤/٤٨١.

وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ
عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ • قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ
وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم
بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً
وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا
الْقُرْءَانِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ
عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ
اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

أبو عشرة من القبائل فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة»[1].

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ أي وجد ظنه فيهم صادقا يعني قوله لأغوينهم وقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ تعجيز للمشركين وإقامة حجة عليهم ويعني بالذين زعمتم آلهتهم ومفعول زعمتم محذوف أي زعمتم أنهم آلهة أو زعمتم أنهم شفعاء، وروي أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشا. ﴿مِن شِرْكٍ﴾ أي نصيب والظهير المعين.

﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ المعنى لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يشفع فإنه لا يشفع أحد إلا بإذنه، وقيل المعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الله أن يشفع فيه. والمراد: أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله ففي ذلك رد على المشركين الذين كانوا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام فإنهم إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يفزعون لذلك فزعا عظيما، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق، ومعنى فزع عن قلوبهم زال عنها الفزع، والضمير في ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ وفي ﴿قَالُوا﴾ للملائكة، فإن قيل: كيف ذلك

(١) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز: ٤/٤٨١.

ولم يتقدم لهم ذكر يعود الضمير عليه؟ فالجواب: أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾؛ لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ فذكر الشفاعة يقتضي ذكر الشافعين، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دل عليهم لفظ الشفاعة.

فإن قيل: بم اتصل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ ولأي شيء وقعت حتى غائية؟ فالجواب: أنه اتصل بما فهم من الكلام من أن ثم انتظارا للإذن في الشفاعة وفزعا وتوقفا حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة، ويقرب هذا في المعنى من قوله: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها، فاضطربوا فيها حتى قال بعضهم: هي في الكفار بعد الموت، ومعنى ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ رأوا الحقيقة، فقيل لهم: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق، فيقرون حين لا ينفعهم الإقرار، والصحيح أنها في الملائكة لورود ذلك في الحديث[1] ولأن القصد الرد على الكفار الذين عبدوا الملائكة، فذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له.

﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم﴾ سؤال قصد به إقامة الحجة على المشركين. ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ جواب عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه، فلذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة. ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ هذه ملاطفة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف، كقولك: الله يعلم أن أحدنا على حق، وأن الآخر على باطل، ولا تعين بالتصريح أحدهما، ولكن تنبه الخصم على النظر، حتى يعلم من

---

(١) في صحيح البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذي قال الحق وهو العلي الكبير،...» إلخ الحديث رقم: (٤٥٢٢)، ومسلم الحديث رقم: (٥٩٥٦)، وغيرهما.

هو على الحق ومن هو على الباطل، والمقصود من الآية أن المؤمنين على هدى، وأن الكفار على ضلال مبين.

﴿قُل لاَّ تُسْـَٔلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ إخبار يقتضي مسالمة نسخت بالسيف.

﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي يحكم والفتاح الحاكم.

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ إقامة حجة على المشركين، والرؤية هنا رؤية قلب، فشركاء مفعول ثالث، والمعنى: أروني بالدليل والحجة من هم له شركاء عندكم؟ وكيف وجه الشركة؟ وقيل: هي رؤية بصر، وشركاء حال من المفعول في ألحقتم، كأنه قال: أين الذين تعبدون من دونه؟ وفي قوله: ﴿أَرُونِيَ﴾ تحقير للشركاء، وازدراء بهم، وتعجيز للمشركين، وفي قوله: ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن الإشراك، وفي وصف الله بالعزيز الحكيم رد عليهم بأن شركاءهم ليسوا كذلك.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ المعنى أن الله أرسل محمدا ﷺ إلى جميع الناس، وهذه إحدى الخصال[1] التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء، وإعراب كافة حال من الناس قدمت للاهتمام، هكذا قال ابن عطية، وقال الزمخشري: ذلك خطأ؛ لأن تقدم حال المجرور عليه لا يجوز، وتقديره عنده: وما أرسلناك إلا رسالة عامة للناس، فكافة صفة للمصدر المحذوف، وقال الزجاج: المعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والتبشير، فجعله حالا من الكاف والتاء على هذا للمبالغة كالتاء في راوية وعلامة.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ يعني يوم القيامة، أو نزول العذاب بهم في الدنيا

---

(١) هي المذكورة في قوله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا؛ فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» البخاري الحديث رقم: (٣٢٨)، ومسلم الحديث رقم: (١١٩١)، وغيرهما.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ
ثمن يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ * وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ
إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ
أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾
وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ
إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ
فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

وهو الذي سألوا عنه على وجه الاستخفاف فقالوا متى هذا الوعد.

﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني الكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل، وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ وقيل الذي بين يديه يوم القيامة وهذا خطأ وعكس لأن الذي بين يدي الشيء هو ما تقدم عليه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا عظيما. ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ أي يتكلمون ويجيب بعضهم بعضا.

﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أي كفرتم باختياركم لا بأمرنا.

﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ المعنى: أن المستضعفين قالوا للمستكبرين بل مكركم بنا في الليل والنهار سبب كفرنا، وإعراب مكر مبتدأ وخبره محذوف، أو خبر ابتداء مضمر، وأضاف مكر إلى الليل والنهار على وجه الاتساع، ويحتمل أن يكون إضافة إلى المفعول أو إلى الفاعل على وجه المجاز، كقولهم: نهاره صيام، وليله قيام، أي يصام فيه ويقام، ودلت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار.

فإن قيل: لم أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين استكبروا؟ فالجواب: أنه قد تقدم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك فعطف عليه كلامهم الثاني، ولم يتقدم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي أخفوها في نفوسهم، وقيل: أظهروها، فهو من الأضداد، والضمير لجميع المستضعفين والمستكبرين.

﴿مُتْرَفُوهَا﴾ يعني أهل الغنى والتنعم في الدنيا، وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء، والقصد بالآية تسلية النبي ﷺ على تكذيب أكابر قريش له.

﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ الضمير لقريش أو للمترفين المتقدمين، قاسوا أمر الدنيا على الآخرة، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا لا يعذبهم في الآخرة.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ إخبار يتضمن الرد عليهم بأن بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلق بمشيئة الله، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصي ويضيق على المؤمن والمطيع، وبالعكس، فليس في ذلك دليل على أمر الآخرة.

﴿زُلْفَىٰٓ﴾ مصدر بمعنى القرب، كأنه قال: تقربكم قربى. ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ استثناء من المفعول في ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾ والمعنى: أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، وقيل: الاستثناء منقطع، والأول أحسن. ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ يعني تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ الآية كررت لاختلاف القصد، فإن القصد بالأول على الكفار والقصد هنا ترغيب المؤمنين بالإنفاق. ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ الخلف قد يكون بمال أو بالثواب.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ﴾ براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم وليس في ذلك نفي لعبادتهم لهم. ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ عبادتهم للجن طاعتهم لهم في الكفر والعصيان، وقيل: كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيعبدون بعبادتها، ويحتمل أن يكون قوم عبدوا الجن لقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا
يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ
النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن
كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾
وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا
رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ربع
أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن
جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا
سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

﴿وَمَا ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ الآية في معناها وجهان:

أحدهما: ليس عندهم كتب تدل على صحة أقوالهم ولا جاءهم نذير يشهد بما قالوه، فأقوالهم باطلة إذ لا حجة لهم عليها، فالقصد على هذا رد عليهم.

والآخر: أنهم ليس عندهم كتب ولا جاءهم نذير، فهم محتاجون إلى من يعلمهم وينذرهم، ولذلك بعث الله إليهم محمدا ﷺ، فالقصد على هذا إثبات نبوءة محمد ﷺ.

﴿وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ المعشار العشر، وقيل: عشر العشر، والأول أصح، والضمير في بلغوا لكفار قريش، وفي آتيناهم للكتب المتقدمة، أي أن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين من القوة والأموال، وقيل: الضمير في بلغوا للمتقدمين، وفي آتيناهم لقريش، أي ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة، والأول أصح وهو نظير قوله: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي إنكاري يعني عقوبة الكفار المتقدمين، وفي ذلك تهديد لقريش.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي بقضية واحدة تقريبا عليكم. ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ هذا تفسير القضية الواحدة، وأن تقوموا بدل أو عطف بيان أو خبر ابتداء مضمر، ومعناه أن تقوموا للنظر في أمر محمد ﷺ قياما خالصا لله تعالى، ليس فيه اتباع هوى ولا ميل، وليس المراد بالقيام هنا القيام على الرجلين إنما

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِن ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ
مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ (٥٣) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا
فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ (٥٤)

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ
يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣)

المراد القيام بالأمر والجد فيه. ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ حال من الضمير في تقوموا والمعنى أن تقوموا اثنين اثنين للمناظرة في الأمر وطلب التحقيق وتقوموا واحدا واحدا لإحضار الذهن واستجماع الفكرة ثم تتفكروا في أمر محمد ﷺ فتعلموا أن ما به من جنة لأنه جاء بالحق الواضح ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدل على رجاحة عقله ومتانة علمه وأنه بلغ في الحكمة مبلغا عظيما فيدل ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفتر على الله. ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ متصل بما قبله على الأصح أي تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقيل هو استئناف.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ هذا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البراءة من عطائه وكذلك معنى هذا فهو كقولك قل ما أسألكم عليه من أجر.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ القذف الرمي ويستعار للإلقاء فالمعنى يلقي الحق إلى أصفيائه أو يرمي الباطل بالحق فيذهبه. ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ خبر ابتداء مضمر أو بدل من الضمير في يقذف أو من اسم إن على الموضع.

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ يعني الإسلام. ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ الباطل الكفر ونفى الإبداء والإعادة على أنه لا يفعل شيئا ولا يكون له ظهور أو عبارة عن

ذهابه كقوله جاء الحق وزهق الباطل وقيل الباطل الشيطان.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يعني قربه تعالى بعلمه وإحاطته.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا عظيما أو معنى فزعوا أسرعوا إلى الهروب والفعل ماض بمعنى الاستقبال وكذلك ما بعده من الأفعال ووقت الفزع البعث وقيل الموت وقيل يوم بدر. ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي لا يفوتون الله إذ هربوا. ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني من الموقف إلى النار إذا بعثوا، أومن ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا، أو من أرض بدر إلى القليب والمراد على كل قول سرعة أخذهم.

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي قالوا ذلك عند أخذهم والضمير المجرور لله تعالى أو للنبي ﷺ أو للقرآن أو للإسلام. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ التناوش بالواو التناول إلا أن التناوش تناول قريب سهل لشيء قريب وقرئ[1] بهمز الواو؛ فيحتمل أن يكون المعنى واحدا ويكون المهموز بمعنى الطلب، ومعنى الآية استبعاد وصولهم إلى مرادهم والمكان البعيد عبارة عن تعذر مقصودهم فإنهم يطلبون ما لا يكون، أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون وهو رجوعهم إلى الدنيا أو انتفاعهم بالإيمان حينئذ.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه قولهم آمنا به. ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ يقذفون فعل ماض في المعنى معطوف على كفروا، ومعناه أنهم يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار، ويقولون في الرسول عليه الصلاة والسلام: إنه ساحر أو شاعر، والمكان البعيد هنا

(١) ﴿التناوش﴾ فأبو عمرو وأبو بكر وحمزة والكسائي وخلف بالهمز المضموم، مصدر تناءش من ناش تناول من بعد، والباقون بواو مضمومة بلا همز مصدر ناش أجوف. إتحاف فضلاء البشر ص/٤٦١.

عبارة عن بطلان ظنونهم وبعد أقوالهم عن الحق.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي حيل بينهم وبين دخول الجنة، وقيل: حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ، وقيل: حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها. ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ يعني الكفار المتقدمين وجعلهم أشياعهم لاتفاقهم في مذاهبهم و﴿مِّن قَبْلُ﴾ يحتمل أن يتعلق بفعل أو بأشياعهم على حسب معنى ما قبله. ﴿فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ هو أقوى الشك وأشده إظلاما.

❁❁ ❁❁ ❁❁

سورة فاطر

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ أي وسائط بين الله وبين الأنبياء متصرفين في أمر الله. ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صفات للأجنحة، ولم ينصرف للعدل والوصف والمعنى: أن الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة. ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ قيل: يعني حسن الصوت، وقيل: حسن الوجه، وقيل: حسن الحظ، والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة، أو يكون على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ الفتح عبارة عن العطاء والإمساك عبارة عن المنع، والإرسال الإطلاق بعد المنع، والرحمة كل ما يمن الله به على عباده من خيري الدنيا والآخرة، فمعنى الآية لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع الله، فإن قيل: لم أنث الضمير في قوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ وذكره في قوله: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ وكلاهما يعود على ما الشرطية؟ فالجواب: أنه لما فسر من الأولى بقوله: ﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾ أنثه لتأنيث الرحمة، وترك الآخر على الأصل من التذكير. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد إمساكه.

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ رفع غير على الصفة لخالق على الموضع، وخفضه صفة على الرفع، ورزق السماء المطر، ورزق الأرض النبات. والمعنى تذكير بنعم الله وإقامة حجة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله لا إله إلا هو.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ على تكذيب قومه، كأنه يقول: إن يكذبوك فلا تحزن لذلك، فإن الله سينصرك عليهم كما كذبت رسل من قبلك فنصرهم الله.

﴿ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان، وقيل: التسويف.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا
فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ
فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ
يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾
وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا
يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ توقيف، وجوابه محذوف، تقديره: أفمن زين له سوء عمله، كمن لم يزين له، ثم بني على ذلك ما بعده، فالذي زين له سوء عمله هو الذي أضله الله، ومن لم يزين له سوء عمله هو الذي هداه الله. ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ تسلية للنبي ﷺ عن حزنه لعدم إيمانهم؛ لأن ذلك بيد الله.

﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ أي الحشر، والمعنى: كما يحيي الله الأرض بالنبات كذلك يحيي الموتى.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ الآية تحتمل ثلاثة معان:

أحدها: وهو الأظهر من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله فإن العزة كلها لله.

والثاني: من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فلله العزة جميعا، فالمغالب له مغلوب.

والثالث: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعا.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ قيل: يعني لا إله إلا الله، واللفظ يعم ذلك وغيره من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن وتعليم العلم، فالعموم أولى. ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ضمير الفاعل في يرفعه الله، وضمير المفعول للعمل الصالح،

فالمعنى على هذا: أن الله يرفع العمل الصالح أي يتقبله ويثيب عليه.

والثاني: أن ضمير الفاعل للكلام الطيب، وضمير المفعول للعمل الصالح، والمعنى على هذا: لا يقبل عمل صالح إلا ممن له كلام طيب، وهذا يصح إن قلنا إن الكلم الطيب لا إله إلا الله؛ لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد.

والثالث: أن ضمير الفاعل للعمل الصالح، وضمير المفعول للكلم الطيب، والمعنى على هذا: أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب، فلا يقبل الكلم إلا ممن له عمل صالح، روي هذا المعنى عن ابن عباس[1] واستبعده ابن عطية، وقال: لم يصح عنه لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبل من كل مسلم، قال: وقد يستقيم بأن يتأول أن الله يزيد في رفعه وحسن موقعه.

﴿يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ لا يتعدى مكر فتأويله يمكرون المكرات السيئات فتكون السيئات مصدرا، أو تضمن يمكرون معنى يكتسبون فتكون السيئات مفعولا والإشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه. ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ البوار الهلاك أو الكساد، ومعناه هنا أن مكرهم يبطل ولا ينفعهم.

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي أصنافا، وقيل: ذكرانا وإناثا، وهذا أظهر. ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ التعمير طول العمر والنقص قصره، والكتاب اللوح المحفوظ.

فإن قيل: إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد، فكيف أعاد الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ على الشخص المعمر؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: وهو الصحيح أن المعنى: ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، فوضع من معمر موضع من أحد، وليس المراد شخصا واحدا، وإنما

---

(١) المحرر الوجيز: ٤/٤٩٦.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ
فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا
يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ
وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ
بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن
يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى
ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ
إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا
تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

ربع

ذلك كقولك: لا يعاقب الله عبدا ولا يثيبه إلا بحق.

والثاني: أن المعنى لا يزاد في عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانا إن تصدق فعمره ستون سنة، وإن لم يتصدق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ[1]: «صلة الرحم تزيد في العمر» إلا أن ذلك مذهب المعتزلة، القائلين بالأجلين، وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعب حين طعن عمر لو دعا الله لزاد في أجله[2] فأنكر الناس عليه، فاحتج بهذه الآية.

والثالث: أن التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر، والنقص هو كتب ما مضى منه في اللوح المحفوظ، وذلك في حق كل شخص.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ قد فسرنا البحرين الفرات والأجاج في الفرقان، وسائغ في النحل، والقصد بالآية التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده، وقال الزمخشري: المعنى أن الله ضرب للبحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر، وهذا بعيد. ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني الحوت. ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني الجوهر والمرجان.

---

(١) البخاري في الأدب المفرد الحديث رقم: (٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان الحديث رقم: (٣٤٤٢)، وصححه الألباني.

(٢) المحرر الوجيز: ٤/٤٩٨.

فإن قيل: إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب، فكيف قال: ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ أي كل واحد منهما؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن ذلك تجوز في العبارة، كما قال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ والرسل إنما هي من الإنس.

الثاني: أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تنصب أنهار الماء العذب، أو ينزل المطر، فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تنصب في البحر الملح كان الإخراج منهما جميعا.

الثالث: زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب، وهذا قول يبطله الحس.

﴿مَوَاخِرَ﴾ ذكر في النحل.

﴿يُولِجُ﴾ ذكر في لقمان. ﴿قِطْمِيرٍ﴾ هو القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر، والمعنى: أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء، فكيف أكثرها.

﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي بإشراككم، فالمصدر مضاف للفاعل، وكفر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون بكلام يخلقه الله عندها، أو بقرينة الحال. ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي لا يخبرك بالأمر مخبر مثل مخبر عالم، يعني نفسه تعالى، في إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدهم.

﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ خطاب لجميع الناس، وإنما عرف الفقر بالألف واللام ليدل على اختصاص الفقر بجنس الناس، وإن كان غيرهم فقراء ولكن فقراء الناس أعظم، ثم وصف نفسه بأنه الغني في مقابلة وصفهم بالفقر، ووصفه بأنه الحميد ليدل على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمده عباده.

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ الحمل عبارة عن الذنوب

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
(٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا
الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ
(٢٢) إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ
وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ (٢٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا
بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ
وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ
وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى
اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ
الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)

والمثقلة الثقيلة الحمل أو النفس الكثيرة الذنوب، والمعنى: أنها لو دعت أحدا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها، وحذف مفعول إن تدع لدلالة المعنى وقصد العموم، وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ المعنى ولو كان المدعو ذا قربى ممن دعاه إلى حمل ذنوبه لم يحمل منه شيئا؛ لأن كل واحد يقول: نفسي نفسي. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم، وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار. ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع حال من الفاعل في يخشون أي يخشون ربهم وهم غائبون عن الناس، فخشيتهم حق لا رياء.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ تمثيل للكافر والمؤمن.

﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ تمثيل للكفر والإيمان.

﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ تمثيل للثواب والعقاب، وقيل: الظل الجنة والحرور النار، والحرور في اللغة شدة الحر بالنهار والليل، والسموم بالنهار خاصة.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ تمثيل لمن آمن فهو كالحي ومن لم يؤمن فهو كالميت. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ عبارة عن هداية الله لمن يشاء. ﴿وَمَا

أنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ، فشبههم بالموتى في عدم إحساسهم، وقيل: المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون، فليس عليك أن تسمعهم، وإنما بعثت للأحياء. وقد استدلت عائشة بالآية على أن الموتى لا يسمعون وأنكرت ما ورد في خطاب النبي ﷺ لقتلى بدر حين جعلوا في القليب[1] ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث بأن الموتى في القبور إذا ردت إليهم أرواحهم إلى أجسادهم سمعوا، وإن لم ترد لم يسمعوا.

﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾ معناه أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيئا يقيم عليهم الحجة.

فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة، ألا ترى أن بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة، لم يبعث فيها نبيء؟ فالجواب: أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم، فقامت عليهم الحجة.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾؟ فالجواب: أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم، فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم، وأيضا فإن المراد بقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أن نبوءة محمد ﷺ ليست ببدع، فلا ينبغي أن تنكر لأن الله أرسله كما أرسل من قبله، والمراد بقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أنهم محتاجون إلى

---

(١) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلاَثًا ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ «يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّى قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِى رَبِّى حَقًّا». فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا قَالَ «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا». ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِى قَلِيبِ بَدْرٍ. مسلم الحديث رقم: (٧٤٠٣)، وقد تقدم.

الإنذار لكونهم لم يتقدم من ينذرهم، فاختلف سياق الكلام، فلا تعارض بينهما.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ للتأسي.

﴿نَكِيرِ﴾ ذكر في سبإ.

﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ يريد الصفرة والحمرة وغير ذلك من الألوان، وقيل: يريد الأنواع، والأول أظهر لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك، وفي الوجهين دليل على أن الله تعالى فاعل مختار يخلق ما يشاء ويختار، وفيه رد على الطبائعيين؛ لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلا نوع واحد. ﴿جُدَدٌ﴾ جمع جدة وهي الخطط والطرائق في الجبال. ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ جمع غربيب وهو الشديد السواد، وقدم الوصف الأبلغ وكان حقه أن يتأخر لقصد التأكيد، ولأن ذلك كثيرا ما يأتي في كلام العرب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ يتعلق بما قبله، فيتم الوقف عليه، والمعنى: أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه مثل الجبال المختلف ألوانها، والثمرات المختلف ألوانها، وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ يعني العلماء بالله وصفاته وشرائعه علما يوجب لهم الخشية من عذابه، وفي الحديث[1]: «أعلمكم بالله أشدكم له خشية» لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه وإذا لم يعرفه لم يخف منه فلذلك خص العلماء بالخشية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي يقرؤون القرآن، وقيل: معنى يتلون يتبعون، والخبر ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً﴾ أو محذوف. ﴿لَّن تَبُورَ﴾ أي لن تكسد، ويعني بالتجارة طلب الثواب.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ توفية الأجور وهو ما يستحقه المطيع من الثواب،

(١) لم أجده مسندا وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٥٠٣/٤.

● وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾
الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا
يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ
لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ
عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ
النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ
غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

والزيادة التضعيف فوق ذلك، وقيل: الزيادة النظر إلى وجه الله.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدم في البقرة.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ يعني أمة محمد ﷺ، والتوريث عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم. ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب[1] وعائشة وأكثر المفسرين: هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ، فالظالم لنفسه: العاصي، والسابق: التقي، والمقتصد: بينهما، وقال الحسن[2]: السابق: من رجحت حسناته على سيئاته، والظالم لنفسه: من رجحت سيئاته، والمقتصد: من استوت حسناته وسيئاته، وجميعهم يدخلون الجنة، وروي: أن رسول الله ﷺ قال: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له»[3] وقيل: الظالم: الكافر، والمقتصد: المؤمن العاصي، والسابق: التقي، فالضمير في منهم على هذا يعود على العباد، وأما على القول الأول فيعود على ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ وهو أرجح وأصح، لوروده في الحديث، وجلالة القائلين به.

---

(١) ينظر الطبري: ٢٠/٤٦٦.

(٢) البغوي في معالم التنزيل: ٦/٤٢٢، وتفسير الثعلبي رقم: (١٨٦٦).

(٣) الجامع الصغير الحديث رقم: (٦٩٤٤)، وضعفه الألباني.

فإن قيل: لم قدم الظالم ووسط المقتصد وأخر السابق؟ فالجواب: أنه قدم الظالم لنفسه رفقا به لئلا ييئس، وأخر السابق لئلا يعجب بنفسه وقال الزمخشري: قدم الظالم لكثرة الظالمين، وأخر السابق لقلة السابقين.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ إشارة إلى الاصطفاء.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدل من الفضل، أو خبر مبتدإ تقديره: ثوابهم جنات عدن، أو مبتدأ تقديره: لهم جنات عدن. ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ضمير الفاعل يعود على الظالم والمقتصد والسابق على القول بأن الآية في هذه الأمة، وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة، وقال الزمخشري: إنه يعود على السابق خاصة، وذلك على قول المعتزلة في الوعيد. ﴿أَسَاوِرَ﴾ ذكر في الحج.

﴿أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ قيل: هو عذاب النار، وقيل: أهوال القيامة، وقيل: الموت، وقيل: هموم الدنيا، والصواب: العموم في ذلك كله.

﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ هي الجنة، والمقامة هي الإقامة والموضع، وإنما سميت الجنة دار المقامة؛ لأنهم يقومون فيها ولا يخرجون منها. ﴿نَصَبٌ﴾ النصب تعب البدن، واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن.

﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يفتعلون من الصراخ، أي يستغيثون فيقولون: ربنا أخرجنا، وفي قولهم: غير الذي كنا نعمل اعتراف بسوء عملهم، وتندم عليه. ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ الآية توبيخ لهم وإقامة حجة عليهم، وقيل: إن مدة التذكير ستون سنة، وقيل: أربعون، وقيل: البلوغ، والأول أرجح لقول رسول الله ﷺ[(١)]: «من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر». ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ يعني النبي ﷺ، وقيل: يعني الشيب لأنه نذير بالموت، والأول أظهر.

---

(١) في صحيح البخاري عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة» الحديث رقم: (٦٠٥٦)، والمسند الحديث رقم: (٧٦٩٩).

هُوَ الذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ
وَلَا يَزِيدُ الْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ
الْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً ﴿٣٩﴾ • قُلْ أَرَآيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ
الذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ
شِرْكٌ فِي السَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰباً فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَٰتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن
يَعِدُ الظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ
السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ
بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ
لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ
نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً ﴿٤٢﴾ اِسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ
وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ
فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴿٤٣﴾
أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن
شَيْءٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴿٤٤﴾

ربع

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما تضمره الصدور وتعتقده، وقال الزمخشري: ذات هنا تأنيث ذو بمعنى صاحب؛ لأن المضمرات تصحب الصدور.

﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ ذكر في الأنعام.

﴿مَقْتاً﴾ المقت احتقار الإنسان وبغضه من أجل عيوبه أو ذنوبه.

﴿قُلْ أَرَآيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ الآية احتجاج على المشركين وإبطال لمذهبهم. ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي نصيب. ﴿عَلَىٰ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي على أمر جلي، والضمير في ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يحتمل أن يكون للأصنام أو للمشركين وهذا أظهر في المعنى، والأول أليق بما قبله من الضمائر.

﴿أَن تَزُولَا﴾ في موضع مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تزولا، أو مفعول به لأن يمسك بمعنى يمنع. ﴿وَلَئِن زَالَتَا﴾ أي لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد، وقيل: أراد زوالهما يوم القيامة عند طي السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال. ﴿مِّنۢ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد تركه الإمساك.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ الضمير لقريش، وذلك أنهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى جاءتهم الرسل فكذبوهم، والله لئن جاءنا رسول لنكونن أهدى منهم. ﴿إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يعني اليهود والنصارى. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني محمدا ﷺ.

﴿اِسْتِكْبَاراً﴾ بدل من نفورا، أو مفعول من أجله. ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ هذا من

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

• يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ
قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ
أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا
فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

إضافة الصفة إلى الموصوف، كقولك: مسجد الجامع، وجانب الغربي، والأصل أن يقال: المكر السيئ. ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ أي لا يحيط وبال المكر السيئ إلا بمن مكره ودبره، وقال كعب لابن عباس[1]: إن في التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، فقال ابن عباس: أنا أجد هذا في كتاب الله ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾. ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي هل ينتظرون إلا عادة الأمم المتقدمة في أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسل.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ أي لا يفوته شيء ولا يصعب عليه.

﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ الضمير للأرض، والدابة عموم في كل ما يدب، وقيل: أراد بني آدم خاصة. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة وباقي الآية وعد ووعيد.

*** *** ***

(١) المحرر الوجيز: ٤/٥١٠.

سورة يس

قد تكلمنا في البقرة على حروف الهجاء، وقيل: في يس إنه من أسماء النبي ﷺ، وقيل: معناه يا إنسان.

﴿تَنزِيلَ﴾ بالرفع[1] خبر ابتداء مضمر، وبالنصب مصدر، أو مفعول بفعل مضمر.

﴿لِتُنذِرَ قَوْماً﴾ هم قريش، ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الناس. ﴿مَّا أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ ما نافية، والمعنى لم يرسل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم، وقيل: المعنى لتنذر قوما مثل ما أنذر آباؤهم، فما على هذا موصولة بمعنى الذي، أو مصدرية، والأول أرجح لقوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ يعني أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم، وتكون بمعنى قوله: ﴿مَّا أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين، فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم ولا آباؤهم الأقربون.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ أي سبق القضاء.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلاً﴾ الآية فيها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله لهم من الإيمان، فشبههم بمن جعل في عنقه غل يمنعه من الالتفات، وغطى على بصره، فصار لا يرى.

والثاني: أنها عبارة عن كفهم عن إذاية النبي ﷺ حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر، فرجع عنه فزعا مرعوبا.

والثالث: أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم، والأول أظهر وأرجح لقوله قبلها: ﴿فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله بعدها: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) ﴿تنزيل العزيز﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بنصب اللام، وقرأ الباقون برفعها. النشر ٣/٣٩٢.

﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ الذقن هي طرف الوجه حيث تنبت اللحية، والضمير للأغلال، وذلك أن الغل حلقة في العنق فإذا كان واسعا عريضا وصل إلى الذقن فكان أشد على المغلول، وقيل: الضمير للأيدي على أنها لم يتقدم لها ذكر، ولكنها تفهم من سياق الكلام، لأن المغلول تضم يداه في الغل إلى عنقه، وفي مصحف ابن مسعود[١]: إنا جعلنا في أيديهم أغلالا فهي إلى الأذقان، وهذه القراءة تدل على هذا المعنى، وقد أنكره الزمخشري[٢].

﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ يقال: قمح البعير إذا رفع رأسه، وأقمحه غيره: إذا فعل به ذلك، والمعنى أنهم لما اشتدت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رؤوسهم إلى الارتفاع، وقيل: معنى مقمحون ممنوعون من كل خير.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ الآية السد الحائل بين الشيئين وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ أي غطينا على أبصارهم وذلك أيضا مجاز يراد به إضلالهم.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية ذكرنا معناها وإعرابها في البقرة.

---

(١) الذي في الطبري: ٢٠/٤٩٣ عن عبد الله بن مسعود (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَيْمَانِهِمْ أَغلالا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ) وجاء بها بصيغة التمريض، (فيما ذكر) وقال ابن عطية: وروي أن في مصحف ابن مسعود وأبي «إنا جعلنا في أيمانهم وفي بعضها في أيديهم» المحرر الوجيز: ٤/٥١٣.

(٢) قال الزمخشري: فإن قلت: فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم أن الغل ما كان جامعاً لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كأن ذكر الأعناق دالاً على ذكر الأيدي؟ قلت: الوجه ما ذكرت لك، والدليل عليه قوله: (فَهُم مُّقْمَحُونَ) ألا ترى كيف جعل الإقماح نتيجة قوله: (فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ) ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهراً على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يجفو عنه وترك الحق الأبلج إلى الباطل اللجلج. فإن قلت: فقد قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (في أيديهم) وابن مسعود: (في أيمانهم)، فهل تجوّز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للأيدي أو للأيمان؟ قلت: يأبى ذلك وإن ذهب الإضمار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال، وسداد المعنى عليه كما ذكرت. الكشاف: ٤/٧.

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر وهو القرآن. ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ معناه كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ وقد ذكرناه في فاطر ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ أي نبعثهم يوم القيامة، وقيل: إحياؤهم إخراجهم من الشرك إلى الإيمان، والأول أظهر.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ أي: ما قدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم علموه أو تحبيس حبسوه، وقيل: الآثار هنا الخطى إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث[1]. ﴿إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي في كتاب وهو اللوح المحفوظ، أو صحائف الأعمال.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ الضمير لقريش و﴿مَّثَلًا﴾ و﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ مفعولان بـ(اضرب) على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين وهو الصحيح، والقرية: أنطاكية. ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه الصلاة والسلام يدعون الناس إلى عبادة الله، وقيل: بل هم رسل أرسلهم الله، ويدل على

---

(١) عن جابر ابن عبد الله قال: أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد قال: والبقاع خالية، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، وفي رواية أبي سعيد الخدري: شكت بنو سلمة بعد منازلهم إلى النبي ﷺ، فنزلت ﴿إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ فقال: عليكم منازلكم تكتب آثاركم، انظر صحيح مسلم الحديث رقم: (٦٦٥)، والمسند الحديث رقم: (١٥٢٣١)، والطبري: ١٠/٤٢٩، وتفسير ابن كثير: ٣/٧٤٤، والقرطبي: ١٥/١٥.

هذا قول قومهم: ﴿مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي قوينا الاثنين برسول ثالث، قيل: اسمه شمعون.

﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ إنما أكدوا الخبر هنا باللام لأنه جواب للمنكرين بخلاف الموضع الأول فإنه إخبار مجرد.

﴿قَالُواْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي تشاءمنا بكم وأصل اللفظة من زجر الطير ليستدل على ما يكون من شر أو خير، وإنما تشاءموا بهم لأنهم جاؤوهم بدين غير دينهم، وقيل: وقع فيهم الجذام لما كفروا، وقيل: قحطوا.

﴿قَالُواْ طَآئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي قال الرسل لأهل القرية شؤمكم معكم، أي إنما الشؤم الذي أصابكم بسبب كفركم لا بسببنا. ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط، وفي الكلام حذف تقديره: أتطيرون أن ذكرتم.

﴿يَسْعَىٰ﴾ أي يسرع بجده ونصيحته، وقيل: اسمه حبيب النجار.

﴿اتَّبِعُواْ مَن لاَّ يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أجرة على الإيمان فلا تخسرون معهم شيئا من دنياكم، وتربحون معهم الاهتداء في دينكم.

﴿وَمَالِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ المعنى أي شيء يمنعني من عبادة ربي وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه ولذلك قال وإليه ترجعون فخاطبهم.

﴿إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ﴾ هذا وصف للآلهة والمعنى: كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ولا ينقذونني من الضر.

﴿إِنِّيَ إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي إن اتخذت آلهة غير الله فإني لفي ضلال مبين.

حزب

• وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ
خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا
كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ
لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا
وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ
مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن
ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم
مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ
كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ
ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ خطاب لقومه أي اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي، وقيل: خطاب للرسل ليشهدوا له.

﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ قيل: هنا محذوف يدل عليه الكلام، وروي في الأثر[1] وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه، فلما مات قيل له ادخل الجنة، واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء أو هل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها. ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾ تمنى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فيؤمنون، ولذلك ورد في الحديث[2] أنه نصح لهم حيا وميتا، وقيل: أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه ويجزئهم[3] ذلك.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المعنى أن الله أهلكهم بصيحة صاحها جبريل، ولم يحتج في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء لأنهم أهون من ذلك، وقيل: المعنى ما أنزل الله على قومه ملائكة رسلا كما قالت قريش: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذكر الصيحة بعد ذلك. ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ما كنا لننزل جندا من السماء على أحد.

﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ أي ساكنون لا يتحركون ولا ينطقون.

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣١٩٢.

(٢) لم نجد هذا الحديث في كتب السنة وهو في تفسير الكشاف بلفظ: «وفي حديث مرفوع نصح قومه حياً وميتاً» ولم يذكر له سندا ٤/١٠.

(٣) في المطبوعات وينفعهم ذلك.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ نداء للحسرة، كأنه قيل: يا حسرة احضري فهذا وقتك، وهذا التفجع عليهم استعارة في معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسل، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة أو المؤمنين من الناس، وقيل: المعنى يا حسرة العباد على أنفسهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ الضمير لقريش أو للعباد على الإطلاق، والرؤية هنا بمعنى العلم.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ قرئ[1] لما بالتخفيف وهي لام التأكيد دخلت على ما المزيدة وإن على هذا مخففة من الثقيلة وقرئ بالتشديد وهي بمعنى إلا وإن على هذا نافية.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ما معطوفة على ثمره أي ليأكلوا من الثمر وما عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة، وقيل: ما نافية، وقرئ[2] ما عملت من غير هاء وما على هذا معطوفة.

﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ يعني أصناف المخلوقات ثم فسرها بقوله مما تنبت الأرض وما بعده فمن في المواضع الثلاثة للبيان. ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني أشياء لا يعلمها بنو آدم كقوله ويخلق ما لا تعلمون.

﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أي نجرده منه وهي استعارة.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي لحد موقت تنتهي إليه من فلكها وهي نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين: الشتوي والصيف، وقيل: مستقرها وقوفها

---

(١) ﴿لما جميع﴾ شددها ابن عامر وعاصم وحمزة وابن جماز. النشر: ٢/٣٢٨.

(٢) ﴿وما عملته أيديهم﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عملت بغير هاء ضمير، وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك، وقرأ الباقون بالهاء، ووصلها ابن كثير على أصله وهو في مصاحفهم كذلك. المصدر السابق.

كل وقت زوال بدليل وقوف الظل حينئذ، وقيل: مستقرها يوم القيامة حين تكور، وفي الحديث[١]: «مستقرها تحت العرش» تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها، وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح، وقرئ:[٢] لا مستقر لها، أي لا تستقر عن جريها.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ قرئ[٣] بالرفع على الابتداء أو عطف على الليل وبالنصب على إضمار فعل ولا بد في قدرناه من حذف تقديره قدرنا سيره منازل ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة واحدة منها من أول الشهر ثم يستتر في آخر الشهر ليلة أو ليلتين، وقال الزمخشري[٤]: وهذه المنازل هي مواضع النجوم وهي: السرطان البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العوى، السماك، الغفر، الزبنان، الاكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد بلع، سعد الذابح، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، بطن الحوت. ﴿حَتَّىٰ عَادَ

---

(١) البخاري: (٦٩٩٦)، ومسلم الحديث رقم: (٤١٨)، ولفظه: عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ»؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً وَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِى لاَ يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالُ لَهَا ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ ذَاكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا».

(٢) قال ابن كثير: وقرأ ابن مسعود، وابن عباس: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لا مُسْتَقَرَّ لَهَا» أي: لا قرار لها ولا سكون، بل هي سائرة ليلا ونهارًا، لا تفتر ولا تقف. تفسير القرآن العظيم: ٦/٥٧٧.

(٣) ﴿والقمر قدرناه﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وروح برفع الراء وقرأ الباقون بنصبها. النشر: ٢/٣٩٣.

(٤) الكشاف ٤/١٩.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾
وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا
صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ
حِينٍ ﴿٤٤﴾ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا
كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ
اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ
أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا
الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ
أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ
إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا
مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا
تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ العرجون هو غصن النخلة شبه القمر به إذا انتهى في نقصانه، والتشبيه في ثلاثة أوصاف، وهي: الرقة، والانحناء، والصفرة، ووصفه بالقديم لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ المعنى: لا يمكن الشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره، وهكذا قال بعضهم: ويحتمل أن يريد أن سير الشمس في الفلك بطيء فإنها تقطع الفلك في سنة، وسير القمر سريع فإنه يقطع الفلك في شهر والبطيء لا يدرك السريع. ﴿وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يعني أن كل واحد منهما جعل الله له وقتا موقتا واحدا معلوما لا يتعداه، فلا يأتي الليل حتى ينفصل النهار، كما لا يأتي النهار حتى ينفصل الليل، ويحتمل أن يريد أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية النهار وهي الشمس، أي لا تجتمع معه فيكون المعنى كالذي قيل في قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فحصل من ذلك أن الشمس لا تجتمع مع القمر، وأن القمر لا يجتمع مع الشمس. ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ذكر في الأنبياء.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ معنى المشحون المملوء والفلك هنا يحتمل أن يريد به جنس السفن أو سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأما الذرية فقيل: إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسمى الآباء ذرية لأنها تناسلت منهم، وأنكر ابن عطية ذلك، وقيل: يعني النساء وذلك بعيد،

والأظهر أنه إن أراد بالفلك جنس السفن فيعني جنس بني آدم، وإنما خص ذريتهم بالذكر لأنه أبلغ في الامتنان عليهم، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة، وإن أراد بالفلك سفينة نوح فيعني بالذرية من كان في السفينة، وسماهم ذرية لأنهم ذرية آدم ونوح، فالضمير في ذريتهم على هذا النوع بني آدم كأنه يقول: الذرية منهم.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ إن أراد بالفلك سفينة نوح، فيعني بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ سائر السفن التي يركبها سائر الناس، وإن أراد بالفلك جنس السفن فيعني بقوله من مثله الإبل وسائر المركوبات، فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوب لا غير، والأول أظهر لقوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ ولا يتصور هذا في المركوبات غير السفن.

﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أي لا مغيث لهم ولا منقذ لهم من الغرق.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ قال الكسائي: نصب رحمة على الاستثناء، كأنه قال: إلا أن نرحمهم، وقال الزجاج: نصب رحمة على المفعول من أجله، كأنه قال: إلا لأجل رحمتنا إياهم. ﴿وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني آجالهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الضمير لقريش، وجواب إذا محذوف، تقديره: أعرضوا يدل عليه: ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ عذاب الأمم المتقدمة ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ عذاب الآخرة.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُۥ﴾ كان النبي ﷺ والمؤمنون يحضون الناس على الصدقات وإطعام المساكين، فيجيبهم الكفار بهذا الجواب، وفي معناه قولان:

أحدهما: أنهم قالوا: كيف نطعم المساكين؟ ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم، ومن حرمهم الله نحن نحرمهم، وهذا كقولهم: كن مع الله على المدبر.

والآخر: أن قولهم رد على المؤمنين، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون: إن الأمور كلها بيد الله، فكأن الكفار يقولون لهم: لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء، فما بالكم تطلبون إطعامهم منا، ومقصدهم في الوجهين احتجاج لبخلهم ومنعهم الصدقات، واستهزاء بمن حضهم على الصدقات.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يحتمل أن يكون من بقية كلامهم خطابا للمؤمنين أو يكون من كلام الله خطابا للكافرين.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون يوم القيامة، أو نزول العذاب بهم.

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهي النفخة الأولى في الصور، وهي نفخة الصعق. ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي يتكلمون في أمورهم، وأصل يخصمون يختصمون ثم أدغم وقرئ[١] بفتح الخاء وبكسرها واختلاس حركتها.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي لا يقدرون أن يوصوا بما لهم وما عليهم لسرعة الأمر. ﴿وَلاَ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ هذه النفخة الثانية وهي نفخة القيام من القبور، والأجداث هي القبور، وينسلون يسرعون

(١) قال الداني: ابن كثير وورش وهشام ﴿يخصمون﴾ بفتح الخاء وتشديد الصاد وقالون وأبو عمرو باختلاس فتحة الخاء وتشديد الصاد، والنص عن قالون بإسكان وحمزة بإسكان الخاء وتخفيف الصاد، والباقون وهم عاصم وابن ذكوان والكسائي بكسر الخاء، وتشديد الصاد. التيسير، ص: ١٢٠.

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ
وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا
فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾
ربع وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ
يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾
وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ
جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي
كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ
أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ
أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ
لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا
عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

المشي، وقيل: يخرجون.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا﴾ الويل منادى أو مصدر. ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ المرقد يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان، قال أبي بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر، قال ابن عطية[1]: هذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه في معنى قولهم: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾ أنها استعارة وتشبيه به، يعني أن قبورهم شبهت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الرقاد وإن لم يكن رقاد في الحقيقة. ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ هذا مبتدأ وما بعده خبر وقيل إن هذا صفة لمرقدنا وما وعد الرحمن مبتدأ محذوف الخبر وهذا ضعيف ويحتمل أن يكون هذا الكلام من بقية كلامهم أو من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين يقولونها للكفار على وجه التقريع.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يعني النفخة الثانية وهي نفخة القيام.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ قيل هو افتضاض الأبكار وقيل سماع الأوتار والأظهر أنه عام في الاشتغال باللذات. ﴿فَٰكِهُونَ﴾ قرئ بالألف ومعناه أصحاب فاكهة وبغير ألف[2] وهو من الفكاهة بمعنى الراحة والسرور.

﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ جمع ظل وبالضم جمع ظلة. ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة وهي السرير.

---

(١) المحرر الوجيز: ٤/٥٢٦.

(٢) ﴿فاكهون﴾ قرأ أبو جعفر بغير ألف بعد الفاء. النشر: ٢/٣٩٤.

﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ أي ما يتمنون، وقيل معناه أن ما يدعون به يأتيهم.

﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ، وقيل: بدل مما يدعون. ﴿قَوْلًا﴾ مصدر مؤكد والمعنى أن السلام عليهم قول من الله بواسطة الملك، أو بغير واسطة.

﴿وَامْتَٰزُواْ الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي انفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة. ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ الجبل الأمة العظيمة، وقال الضحاك: أقلها عشرة آلاف، ولا نهاية لأكثرها، وقرئ[1] بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وبضمهما مع التخفيف وبضم الجيم وإسكان الباء، وهي لغات بمعنى واحد. ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي نمنعهم من الكلام فتنطق أعضاؤهم يوم القيامة.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ هذا تهديد لقريش، والطمس على الأعين هو العمى، والصراط الطريق، وأنى استفهام يراد به النفي، فمعنى الآية لو نشاء لأعميناهم فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه، وقيل: يعني عمي البصائر أي لو نشاء لختمنا على قلوبهم فالطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ هذا تهديد بالمسخ، فقيل: معناه المسخ قردة وخنازير وحجارة، وقيل: معناه لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطولين لا يستطيعون تصرفا، وقيل: إن هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة، والأظهر أنه في الدنيا. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ المكانة المكان، والمعنى: لو نشاء لمسخناهم مسخا يقعدهم في مكانهم. ﴿فَمَا اسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي إذا مسخوا في مكانهم لم يقدروا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ أي نحول خلقته من القوة إلى الضعف ومن الفهم إلى البله وشبه ذلك كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾

---

(١) نافع وعاصم ﴿جبلا كثيرا﴾ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وأبو عمرو وابن عامر بضم الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام، والباقون كذلك، غير أنهم ضموا الباء. التيسير، ص: ١٢٠.

وإنما قصد بذكر ذلك هنا للاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار، كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ الضميران لمحمد ﷺ، وذلك رد على الكفار في قولهم: إنه شاعر، وكان ﷺ لا ينظم الشعر ولا يزنه، وإذا ذكر بيت شعر كسر وزنه، **فإن قيل**: قد روي عنه ﷺ أنه قال:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

وروي أيضا عنه ﷺ:

هل أنت إلا أصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

وهذا الكلام على وزن الشعر، **فالجواب**: أنه ليس بشعر وأنه لم يقصد به الشعر وإنما جاء موزونا بالاتفاق لا بالقصد فهو كالكلام المنثور ومثل هذا يقال في مثل ما جاء في القرآن من الكلام الموزون ويقتضي قوله: وما ينبغي له، تنزيه النبي ﷺ عن الشعر لما فيه من الأباطيل وإفراط التجاوز، حتى يقال: إن الشعر أطيبه أكذبه، وليس كل الشعر كذلك فقد قال ﷺ: «إن من الشعر لحكمة»[1]، وقد أكثر الناس في ذم الشعر ومدحه وإنما الإنصاف قول الشافعي: الشعر كلام، والكلام منه حسن ومنه قبيح. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ الضمير للقرآن يعني أنه ذكر لله أو تذكير للناس أو شرف لهم.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي حي القلب والبصيرة. ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي يجب عليهم العذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ مقصد الآية تعديد النعم وإقامة الحجة والأيدي هنا عند أهل التأويل عبارة عن القدرة وعند أهل التسليم من المتشابه الذي يجب الإيمان به وعلمه عند الله.

(١) سنن ابن ماجه الحديث رقم: (٣٧٥٥).

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ
(٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَاتَّخَذُوا
مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ
وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ (٧٥) فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦) ۞ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن
نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ
خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا
الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي
جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ
تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢)
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

سورة الصافات

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الركوب بفتح الراء هو المركوب.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ يعني الأكل منها والحمل عليها والانتفاع بالجلود والصوف وغيره. ﴿وَمَشَارِبُ﴾ يعني الألبان.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الضمير في يستطيعون للأصنام وفي نصرهم للمشركين، ويحتمل العكس ولكن الأول أرجح فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لعلهم ينصرون، أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم، فخاب أملهم. ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ الضمير الأول للمشركين والثاني للأصنام، يعني أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم حتى أنهم لهم كالجند، وقيل: بالعكس، بمعنى أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين في الآخرة، والأول أرجح لأنه تقبيح لحال المشركين.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تسلية للنبي ﷺ معللة لما بعدها.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة، ورد على من أنكر ذلك، والنطفة هي نطفة المني التي خلق الإنسان منها، ولا شك أن الإله الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة، قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث، وسبب الآية: أن العاصي بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم، فقال: يا محمد من يحيي هذا؟ وقيل: إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف، وقيل: أبي بن خلف فقال له رسول الله ﷺ:

«الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم»[١]. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي متكلم قادر على الخصام يبين ما في نفسه بلسانه.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ إشارة إلى قول الكافرين من يحيي هذا العظم. ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ أي نسي الاستدلال بخلقته الأولى على بعثه، والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول أو الترك. ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي بالية متفتتة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ استدلال بالخلقة الأولى على البعث. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي يعلم كيف يخلق كل شيء فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها، والخلق هنا يحتمل أن يكون مصدرا أو بمعنى المخلوق.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هذا دليل آخر على إمكان البعث، وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبائعيين قالوا: طبع الموت يضاد طبع الحياة، فكيف تصير العظام حية؟ فأقام الله عليهم الدليل بخروج النار من الشجر الأخضر الممتلئ ماء مع مضادة طبع الماء للنار، ويعني بالشجر زناد العرب وهو شجر المرخ والعفار، فإنه يقطع من كل واحد منهما غصنا أخضر يقطر منه الماء فيسحق المرخ على العفار فتنقدح النار بينهما، قال ابن عباس[٢]: ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب، ولكنه في المرخ والعفار أكثر.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ هذا دليل آخر على البعث، فإن الإله الذي قدر على خلق السموات والأرض على عظمهما وكبر أجرامهما قادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها، والضمير في مثلهم يعود على الناس. ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ذكر في هذين الاسمين أيضا استدلال على البعث وكذلك في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن

(١) المحرر الوجيز: ٤/٥٣٣.

(٢) الكشاف: ٤/٣٣.

فَيَكُونُ﴾ لأن هذا عبارة عن قدرته على جميع الأشياء ولا شك أن الخلاق العليم القدير لا يصعب عليه إعادة الأجساد.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في هذا استدلال على البعث وتنزيه لله عما نسبه الكفار إليه من العجز عن البعث فإنهم ما قدروا الله حق قدره وكل من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه وتعالى.

** ** **

سورة الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا (١) فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا (٣)
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ (٤) رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشَٰرِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦)
وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ
وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ
خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم
مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢)
وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوٓا
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
(١٦) أَوَءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ
زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠)
هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢١) ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ
ربع ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ
إِلَىٰ صِرَٰطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ (٢٤)

﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ تقديره: والجماعات الصافات، ثم اختلف فيها، فقيل: هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفا لعبادة الله، وقيل: هو من يصف من بني آدم في الصلوات والجهاد، والأول أرجح لقوله حكاية عن الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ﴾.

﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها، وقيل: الزاجرون بالمواعظ من بني آدم، وقيل: هي آيات القرآن المتضمنة للزجر عن المعاصي.

﴿فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ هي الملائكة تتلو القرآن والذكر، وقيل: هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم، وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد.

﴿وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ﴾ يعني مشارق الشمس وهي ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فإنها تشرق كل يوم من أيام السنة في مشرق منها وتغرب في مغرب، واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغارب لأنها معادلة لها فتفهم من ذكرها.

﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ قرئ[1] بإضافة الزينة إلى الكواكب، والزينة تكون

---

(١) ﴿بزينة الكواكب﴾ قرأ أبو بكر بزينة منونا ونصب (الكواكب) فيحتمل أن تكون الزينة مصدرا... وقرأ حفص وحمزة بتنوين زينة وجر الكواكب على أن المراد بالزينة ما يتزين به، وقطعها عن الإضافة والكواكب عطف بيان أو بدل بعض... ووافقهما الحسن والأعمش، والباقون بحذف التنوين على إضافة زينة للكواكب إضافة الأعم إلى الأخص، فهي للبيان كثوب خز، إتحاف فضلاء البشر، ص: ٤٧١.

مصدرا واسما لما يزان به، فإن كان مصدرا فهو مضاف إلى الفاعل، تقديره: بأن زينة الكواكب اسما أو مضاف إلى المفعول، تقديره: بأن زينا الكواكب، وإن كانت اسما فالإضافة بيان للزينة، وقرئ: بتنوين زينة وخفض الكواكب على البدل، ونصب الكواكب على أنها مفعول بزينة، أو بدل من موضع زينة.

﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب على المصدر، تقديره: وحفظناها حفظا، أو مفعول من أجله، والواو زائدة أو محمول على المعنى؛ لأن المعنى: إنا جعلنا الكواكب زينة للسماء وحفظا. ﴿مَّارِدٍ﴾ أي شديد الشر.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الضمير في يسمعون للشياطين، والملأ الأعلى هم الملائكة الذين يسكنون في السماء، والمعنى: أن الشياطين منعت من سماع أحاديث الملائكة وقرئ[1] يسمعون بتشديد السين والميم ووزنه يتفعلون والسمع طلب السماع فنفى السماع على القراءة الأولى ونفى طلبه على القراءة بالتشديد، والأول أرجح لقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ ولكن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون لكنهم لا يسمعون شيئا منذ بعث محمد ﷺ لأنهم يرمون بالكواكب. ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي يرجمون يعني بالكواكب وهي التي يراها الناس تنقض قال النقاش ومكي: ليست الكواكب الراجمة للشياطين بالكواكب الجارية في السماء، لأن تلك لا ترى حركتها، وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منا، قال ابن عطية: وفي هذا نظر.

﴿دُحُورًا﴾ أي طردا وإبعادا وإهانة؛ لأن الدحر الدفع بعنف، وإعرابه مفعول من أجله، أو مصدر من يقذفون على المعنى، أو مصدر في موضع الحال، تقديره: مدحورين. ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي دائم لأنهم يرجمون بالنجوم في الدنيا، ثم يقذفون في جهنم.

---

(١) ﴿لا يسمعون﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بتشديد السين والميم، وقرأ الباقون بتخفيفهما. النشر: ٢/٣٩٦.

﴿إلاَّ مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ (من) في وضع رفع، بدل من الضمير في قوله: ﴿لاَّ يَسَّمَّعُونَ﴾ والمعنى لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلا الشيطان الذي خطف الخطفة. ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ أي شديد الإضاءة.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ الضمير لكفار قريش، والاستفتاء نوع من السؤال، وكأنه سؤال من يعتبر قوله، ويجعل حجة؛ لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم به الحجة عليهم، و﴿مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يراد به ما تقدم ذكره من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب، وقيل: يراد به من تقدم من الأمم، والأول أرجح لقراءة ابن مسعود[١]: أم من عددنا، ومقصد الآية إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة، كأنه يقول: هذه المخلوقات أشد خلقا منكم، فكما قدرنا على خلقهم كذلك نقدر على إعادتكم بعد فنائكم. ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ﴾ اللازب اللازم، أي يلزم ما جاوره ويلصق به، ووصفه بذلك يراد به ضعف خلقة بني آدم.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ أي عجبت يا محمد من ضلالهم وإعراضهم عن الحق أو عجبت من قدرة الله على هذه المخلوقات العظام المذكورة وقرئ[٢] عجبت بضم التاء وأشكل ذلك على من يقول إن التعجب مستحيل على الله فتأولوه بمعنى أنه جعله على حال يتعجب منها الناس، وقيل: تقديره قل يا محمد عجبت وقد جاء التعجب من الله في القرآن والحديث كقوله ﷺ: «يعجب ربك من شاب ليس له صبوة»[٣] وهو صفة فعل وإنما جعلوه مستحيلا على الله لأنهم قالوا إن التعجب استعظام خفي سببه والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب بل هو لمجرد الاستعظام فعلى هذا لا يستحيل على الله. ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ تقديره: وهم يسخرون منك أو من البعث.

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٥٣٦.

(٢) ﴿بل عجبت﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٣٩٦.

(٣) مسند الشهاب للقضاعي: ١/٣٣٦ الحديث رقم: (٥٧٦).

﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ الآية هنا العلامة كانشقاق القمر ونحوه، وروي أنها نزلت في مشرك اسمه: ركانة أراه النبي ﷺ آيات فلم يؤمن، و﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: معناه يسخرون، فيكون فعل، واستعمل بمعنى واحد، وقيل: معناه يستدعي بعضهم بعضا لأن يسخر، وقيل: يبالغون في السخرية.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ الآية معناها استبعادهم، وقد تقدم الكلام على الاستفهامين في الرعد.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ بفتح الواو دخلت همزة الإنكار على واو العطف وقرئ[1] بالإسكان عطفا بأو.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي قل تبعثون، والداخر: الصاغر الذليل.

﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هي النفخة في الصور للقيام من القبور. ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ يحتمل أن يكون من النظر بالأبصار، أو من الانتظار أي ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يحتمل أن يكون من كلامهم مثل الذي قبله، أو مما يقال لهم مثل الذي بعده.

﴿احْشُرُوا﴾ الآية خطاب للملائكة خاطبهم به الله تعالى، أو خاطب به بعضهم بعضا. ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ يعني نساؤهم المشركات، وقيل: يعني أصنامهم وقرناءهم من الجن والإنس. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ يعني الأصنام والآدميين الذين كانوا يرضون بذلك.

﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي دلوهم على طريق جهنم ليدخلوها.

﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ يعني إنهم يسألون عن أعمالهم توبيخا لهم، وقيل: يسألون عن قول لا إله إلا الله، والأول أرجح لأنه أعم، ويحتمل أن يسألوا عن

---

(١) قال ابن الجزري: قرأ قالون وابن عامر وأبو جعفر: ﴿أو آباؤنا﴾ هنا وفي الواقعة بإسكان الواو والباقون بفتحها. تحبير التيسير ص ٥٢٨.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ
الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا
عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ
رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ
فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ
كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا
لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ
﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ
مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ
لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ
قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

ثمن

عدم تناصرهم على وجه التهكم بهم فيكون، مسئولون عاملا فيما بعده، والتقدير: يقال لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وقد كنتم في الدنيا تقولون نحن جميع منتصر.

﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي منقادون عاجزون عن الانتصار.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ الضمير في قالوا للضعفاء من الكفار، خاطبوا الكبراء منهم في جهنم، أو للإنس خاطبوا الجن، واليمين هنا يحتمل ثلاث معان:

الأول: أن يراد بها طريق الخير والصواب، وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين، كما أن العبارة عن الشر بالشمال، والمعنى: أنهم قالوا لهم إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدوننا عنه.

والثاني: أن يراد به القوة والمعنى على هذا أنكم كنتم تأتوننا بقوتكم وسلطانكم فتأمروننا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان.

والثالث: أن يراد بها اليمين التي يحلف بها أي كنتم تأتوننا بأن تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدقكم في ذلك ونتبعكم.

﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ الضمير في قالوا للكبراء من الكفار، أو للشياطين، والمعنى: أنهم قالوا لأتباعهم ليس الأمر كما ذكرتم بل كفرتم باختياركم.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ أي وجب العذاب علينا وعليكم،

و﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ معمول القول وحذف معمول ذائقون، تقديره: وجب القول بأنا ذائقون العذاب.

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ أي دعوناكم إلى الغي لأنا كنا على غي.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي إن المتبوعين والأتباع مشتركون في عذاب النار.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ الضمير في يقولون لكفار قريش ويعنون بشاعر مجنون محمد ﷺ فرد الله عليهم بقوله:

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي جاء بالتوحيد والإسلام وهو الحق. ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الذين جاؤوا قبله؛ لأنه جاء بمثل ما جاؤوا به، ويحتمل المعنى أن يكون صدقهم؛ لأنهم أخبروا بنبوءته، فظهر صدقهم لما بعث عليه الصلاة والسلام.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع بمعنى لكن وقرئ[(١)] مخلصين بفتح اللام وكسرها في كل موضع وقد تقدم تفسيره.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ السرر جمع سرير وتقابلهم في بعض الأحيان للسرور بالأنس، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد بقصره.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ﴾ الذين يطوفون عليهم الولدان حسبما ورد في الآية الأخرى، والكأس الإناء الذي فيه خمر قاله ابن عباس، وقيل: الكأس إناء واسع الفم ليس له مقبض، سواء كان فيه خمر أم لا، والمعين: الجاري الكثير، ووزنه فعيل والميم فيه أصلية، وقيل: هو مشتق من العين والميم زائدة ووزنه مفعول.

﴿لَذَّةٍ﴾ أي ذات لذة فوصفها بالمصدر اتساعا.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الغول اسم عام في الأذى والضير، ومنه يقال: غاله يغوله

---

(١) قرأ المدنيان والكوفيون بفتح اللام وقرأ الباقون بكسرها. النشر ٢/٣٣٢.

إذا أهلكه، وقيل: الغول وجع في البطن، وقيل: صداع في الرأس، وإنما قدم المجرور هنا تعريضا بخمر الدنيا؛ لأن الغول فيها. ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ أي لا يسكرون من خمر الجنة، ومنه النزيف، وهو السكران، وعن هنا سببية كقولك: فعلته عن أمرك، أي لا ينزفون بسبب شربها.

﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ معناه أنهن قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم. ﴿عِينٌ﴾ جميع عيناء وهو الكبيرة العينين في جمال.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قيل: شبههن في اللون ببيض النعام؛ لأنه بياض خالطه صفرة حسنة، وكذلك قال امرؤ القيس[1]:

❊ كبكر مقاناة البياض بصفرة ❊

وقيل: إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي الرقيق وهو المكنون المصون تحت القشرة الأولى، وقيل: أراد الجوهر المصون.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ هذا إخبار عن تحدث أهل الجنة، قال الزمخشري: هذه الجملة معطوفة على يطاف عليهم، والمعنى أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب بما جرى لهم في الدنيا.

﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ قيل: إن هذا القائل وقرينه من البشر مؤمن وكافر، وقيل: إن قرينه كان من الجن.

﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ معناه أنه كان يقول له على وجه الإنكار أتصدق بالدنيا والآخرة.

﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي مجازون ومحاسبون على الأعمال ووزنه مفعول وهو من الدين بمعنى الجزاء والحساب.

---

(١) تمامه: غذاها نميرُ الماء غير المحلل. ديوان امرئ القيس، ص: ٤.

يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ
فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾
وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ
بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ
﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا
كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ
مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ
مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾
فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ
﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ
فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ أي قال ذلك القائل لرفقائه في الجنة أو للملائكة أو لخدامه: هل أنتم مطلعون على النار لأريكم ذلك العزيز فيها؟ وروي: أن في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى النار.

﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي في وسطها.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ أي تهلكني بإغوائك والردى الهلاك وهذا خطاب خاطب به المؤمن قرينه الذي في النار. ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ في العذاب.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ هذا من كلام المؤمن خطابا لقرينه أو خطابا لرفقائه في الجنة، ولهذا قال: ﴿نَحْنُ﴾ فأخبر عن نفسه وعنهم، ويحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المؤمن أو من كلامه وكلام رفقائه في الجنة، أو من كلام الله تعالى، وكذلك يحتمل هذه الوجوه في قوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ والأول أرجح فيه أن يكون من كلام الله تعالى؛ لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلا به ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقة في الدنيا، ففيه تحضيض على العمل الصالح.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ الإشارة بذلك إلى نعيم الجنة، وكل ما ذكر من وصفها وقال الزمخشري: الإشارة إلى قوله ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ والنزل الضيافة،

وقيل: الرزق الكثير وجاء التفضيل هنا بين شيئين ليس بينهما اشتراك لأن الكلام تقرير وتوبيخ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ﴾ قيل: سببها أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم، قالوا كيف يكون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر؟ فالفتنة على هذا الابتلاء في الدنيا، وقيل: معناه عذاب الظالمين في الآخرة والمراد بالظالمين هنا الكفار.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي تنبت في قعر جهنم وترتفع أغصانها إلى دركاتها.

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ الطلع ثمر النخل فاستعير لشجرة الزقوم وشبه برؤوس الشياطين مبالغة في قبحه وكراهته، لأنه قد تقرر في نفوس الناس كراهتها وإن لم يروها، ولذلك يقال للقبيح المنظر: وجه شيطان، وقيل: رؤوس الشياطين شجرة معروفة باليمن، وقيل: هو صنف من الحيات.

﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي مزاجا من ماء حار، فإن قيل: لم عطف هذه الجملة بثم؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان، فالمعنى: أنهم يملؤون البطون من شجر الزقوم وبعد ذلك يشربون الحميم.

والثاني: أنه لترتيب مضاعفة العذاب، فالمعنى أن شربهم للحميم أشد مما ذكر قبله.

﴿يُهْرَعُونَ﴾ الإهراع: الإسراع الشديد.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ أي دعانا، يعني دعاءه بإهلاك قومه ونصرته عليهم.

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يعني الغرق.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾
سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾
۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ ربع
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ
ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا
تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ
بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ
ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى
مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ
قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ أهل الأرض كلهم من ذرية نوح لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة تناسل الناس من أولاده الثلاثة سام وحام ويافث.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ معناه أبقينا له ثناء جميلا في الناس إلى يوم القيامة.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا التسليم من الله على نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: إن هذه الجملة مفعول ﴿تَرَكْنَا﴾ وهي محكية أي تركنا هذه الكلمة تقال له يعني أن الخلق يسلمون عليه فيبتدأ بالسلام على القول الأول لا على الثاني، والأول أظهر ومعنى ﴿فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على القول الأول تخصيصه بالسلام من بين العالمين كما تقول: أحب فلانا في الناس، أي أحبه خصوصا من بين الناس، ومعناه على القول الثاني أن السلام عليه ثابت في العالمين وهذا الخلاف يجري حيث ما ذكر ذلك في هذه السورة.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ الشيعة الصنف المتفق، فمعنى من شيعته من على دينه في التوحيد، والضمير يعود على نوح، وقيل: على سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأول أظهر.

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ عبارة عن إخلاصه بكليته وإقباله على الله تعالى، وليس المراد المجيء بالجسد. ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي سليم من الشرك والشك وجميع العيوب.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الإفك الباطل، وإعرابه هنا مفعول من أجله، وآلهة مفعول به، وقيل: أئفكا مفعول به، وآلهة بدل منه، وقيل: أئفكا مصدر في موضع الحال، تقديره: آفكين أي كاذبين، والأول أحسن.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المعنى: أي شيء تظنون برب العالمين، أن يعاقبكم به وقد عبدتم غيره، أو أي شيء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره، كما تقول: ما ظنك بفلان إذا قصدت تعظيمه، فالمقصد على المعنى الأول تهديد، وعلى الثاني تعظيم لله وتوبيخ لهم.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ روي: أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فدعوه إلى الخروج معهم، فحينئذ قال: إني سقيم ليمتنع عن الخروج معهم فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم، وفي تأويل ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنها كانت تأخذه الحمى في وقت معلوم فنظر في النجوم ليرى وقت الحمى، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم من الحمى.

والثاني: أن قومه كانوا منجمين وكان هو يعلم أحكام النجوم فأوهمهم أنه استدل بالنظر في علم النجوم أنه يسقم، فاعتذر بما يخلف من السقم عن الخروج معهم.

والثالث: أن معنى نظر في النجوم أنه نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم، فقال: إني سقيم، والنجوم على هذا ما ينجم من حاله معهم، وليست بنجوم السماء، وهذا بعيد، وقوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ على حسب هذه الأقوال، يحتمل أن يكون حقا لا كذب فيه ولا تجوز أصلا، ويعارض هذا ما ورد عن النبي ﷺ: أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات، أحدها: قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ويحتمل أن يكون كذبا صراحا، وجاز له ذلك لهذا الاحتمال؛ لأنه فعل ذلك من أجل الله، إذ قصد كسر الأصنام، ويحتمل أن يكون من المعاريض، فإن أراد أنه سقيم فيما يستقبل؛ لأن

كل إنسان لا بد له أن يمرض، أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له، وهذا التأويل أولى؛ لأن نفي الكذب بالجملة معارض للحديث، والكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء عند أهل التحقيق، أما المعاريض: فهي جائزة.

﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ أي تركوه إعراضا عنه وخرجوا إلى عيدهم، وقيل: إنه أراد بالسقم الطاعون وهو داء يعدي فخافوا منه وتباعدوا عنه مخافة العدوى.

﴿فَرَاغَ﴾ أي مال. ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام.

﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي يمين يديه، وقيل: بالقوة، وقيل: بالحلف، وهو قوله ﴿تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ والأول أظهر وأليق بالضرب، وضربا مصدر في موضع الحال.

﴿يَزِفُّونَ﴾ أي يسرعون. ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ أي تنجرون، والنحت: النجارة إشارة إلى صنعهم للأصنام من الحجارة والخشب.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ذهب قوم إلى أن ما مصدرية، والمعنى: الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد، وقيل: إنها موصولة بمعنى الذي، والمعنى: الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها، وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام، وقيل: إنها نافية، وقيل: إنها استفهامية، وكلاهما باطل.

﴿قَالُواْ ابْنُواْ لَهُ بُنْيَانًا﴾ قيل: البنيان في موضع النار، وقيل: بل كان للمنجنيق الذي رمى عنه.

﴿فَأَرَادُواْ بِهِ كَيْدًا﴾ يعني حرقه بالنار. ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي المغلوبين.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ قيل: إنه قال هذا بعد خروجه من النار وأراد أنه ذاهب أي مهاجر إلى الله فهاجر إلى أرض الشام، وقيل: إنه قال ذلك قبل أن يطرح في النار، وأراد أنه ذاهب إلى ربه بالموت؛ لأنه ظن أن النار تحرقه، و﴿سَيَهْدِينِ﴾ على القول الأول يعني الهدى إلى صلاح الدين والدنيا، وعلى القول الثاني إلى الجنة، وقالت المتصوفة: معناه إني ذاهب إلى ربي بقلبي، أي مقبل على الله بكليتي تاركا سواه.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني ولدا من الصالحين.

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي عاقل، واختلف الناس في هذا الغلام المبشر به في هذا الموضع وهو الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين: هو إسماعيل وحجتهم من ثلاثة أوجه:

الأول: أن رسول الله ﷺ قال: «أنا ابن الذبيحين»[1] يعني إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ووالده عبد الله حين نذر والده عبد المطلب أن ينحره إن يسر الله له أمر زمزم، ففداه بمائة من الإبل.

والثاني: أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ فدل ذلك على أن الذبيح غيره.

والثالث: أنه روي أن إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة، وإنما كان معه بمكة إسماعيل[2].

---

(١) المستدرك للحاكم الحديث رقم: (٤٠٣٦) ج: ٢/٦٠٤.

(٢) الصحيح عند أهل العلم أن الذبيح هو إسماعيل، قال أبو الفداء الحافظ ابن كثير: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ وهذا الغلام هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنه أولُ ولد بشر به إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم أن إسماعيل وُلِدَ ولإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمْر إبراهيم تسع وتسعون سنة. وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة: بكْره، فأقحموا هاهنا كذبا وبهتانا=

وذهب علي بن أبي طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق وحجتهم من وجهين:

الأول: أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالوادي إنما كانت بإسحاق لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾.

والثاني: أنه روي[1] أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ يريد بالسعي هنا العمل والعبادة، وقيل: المشي،

= «إسحاق»، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا «إسحاق» لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك وحرّفوا وحيدك، بمعنى الذي ليس عندك غيره، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة وهذا تأويل وتحريف باطل، فإنه لا يقال: «وحيد» إلا لمن ليس له غيره، وأيضا فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضا، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلقي إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلما من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل. وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله [تعالى] قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرا، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام انظر ابن كثير: ٤/١٦، و: ٧/٢٨، وزاد المعاد: ١/٧١، والشنقيطي في أضواء البيان قال: اعلم، وفّقني الله وإياك، أن القرءان العظيم قد دلّ في موضعين، على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق، أحدهما في «الصافّات»، والثاني في هود، وجاء بأدلة دامغة. في تفسير سورة الصافات.

(١) لم أجده مسندا وهو في الطبري: ٢/٦١.

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ
بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ
إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾
وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ
ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾
وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ
ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ
مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ
قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

وكان حينئذ ابن ثلاثة عشر سنة.

﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ يحتمل أن يكون رأى في المنام الذبح وهو الفعل، أو أمر في المنام أنه يذبحه، والأول أظهر في اللفظ هنا، والثاني أظهر في قوله: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ورؤيا الأنبياء حق فوجب عليه الامتثال على الوجهين.

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ إن قيل: لم شاوره في أمر هو حتم من الله؟ فالجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر فأجابه بأحسن جواب.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ أي استسلما وانقادا لأمر الله. ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ أي صرعه بالأرض على جبينه وللإنسان جبينان حول الجبهة وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم وقال الكوفيون: جوابها تله والواو زائدة، وقال بعضهم: جوابها ناديناه والواو زائدة.

﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ يحتمل أنه يريد بقلبك أي كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها، ويحتمل أن يريد صدقتها بعملك، أي وفيت حقها من العمل، فإن قيل: إنه أمر بالذبح ولم يذبح فكيف قيل له صدقت الرؤيا؟ فالجواب: أنه قد بذل جهده إذ قد عزم على الذبح، ولو لم يفده الله لذبحه، ولكن الله هو الذي منعه من ذبحه لما فداه فامتناع ذبح الولد، إنما كان من الله وبأمر الله، وقد قضى إبراهيم ما عليه.

﴿الْبَلَٰٓؤُاْ الْمُبِينُ﴾ أي الاختبار البين الذي يظهر به طاعة الله أو المحنة البينة الصعوبة.

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ الذبح اسم لما يذبح وأراد به هنا الكبش الذي فدى به وروي: أنه من كباش الجنة، وقيل: إنه الكبش الذي قرب به ولد آدم ووصفه بعظيم لذلك، أو لأنه من عند الله، أو لأنه متقبل، وروي في القصص أن الذبيح قال لإبراهيم: اشدد رباطي لئلا أضطرب، واصرف بصرك عني لئلا ترحمني، وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم تقطع، فحينئذ جاءه الكبش من عند الله، وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية، وتركناه لعدم صحته.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ إن قيل: لم قال هنا في قصة إبراهيم كذلك دون قوله: إنا وقال في غيرها ﴿إِنَّا﴾؟ فالجواب: أنه قد تقدم في قصة إبراهيم نفسها إنا كذلك فأغنى عن تكرار إنا.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ يعني بالنبوة وغير ذلك.

﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني الغرق أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم.

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما، وقيل: على موسى وهارون خاصة، وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم، وهذا ضعيف.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا الْكِتَٰبَ الْمُسْتَبِينَ﴾ يعني التوراة ومعنى المستبين البين، وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان، وهو الترصيع.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إلياس من ذرية هارون، وقيل: إنه إدريس، وقد أخطأ من قال إنه إلياس المذكور في أجداد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ البعل في اللغة الرب بلغة أهل اليمن، وقيل: بعل اسم صنم يقال له بعلبك.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ
﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ
﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ
أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ
﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ
الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ
الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾
لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ • فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ
سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ
مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾
فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ
إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ آل هنا على هذه القراءة بمعنى أهل ياسين اسم لإلياس، وقيل: لأبيه، وقيل: لسيدنا محمد ﷺ، وقرئ[1] إلياسين بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة على هذا جمع إلياس أو منسوب لإلياس حذفت منه الياء كما حذفت من أعجمين وقيل: سمي كل واحد من آل ياسين إلياس ثم جمعهم وقيل: هو لغة في إلياس.

﴿عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ قد ذكر.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قد ذكرنا قصته في يونس والأنبياء.

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي هرب إلى السفينة والفلك: هنا واحد والمشحون: المملوء، وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا، وقيل: إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبما أعلمه الله، فلما رأوا قومه مخايل العذاب آمنوا، فرفع الله عنهم العذاب فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب.

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ معنى ساهم ضرب القرعة، والسهمة هي: القرعة، والمدحض: المغلوب في القرعة والمحاجة، وسبب مقارعته: أنه لما ركب

(١) ﴿آل ياسين﴾ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب (آل ياسين) بفتح الهمزة ومد وقطع اللام من الياء وحدها مثل (آل يعقوب) وكذا رسمت في جميع المصاحف، وقرأ الباقون بكسر الهمزة وإسكان اللام بعدها ووصلها بالياء كلمة واحدة في الحالين. النشر: ٢/٤٠١.

السفينة وقفت ولم تجر فقالوا: إنما وقفت من حدث أحدثه أحدنا فنقترع لنرى على من تخرج القرعة فنطرحه، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس، فطرحوه في البحر.

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي فعل ما يلام عليه وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج.

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ تسبيحه هو قوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، حسبما حكى الله عنه في الأنبياء، وقيل: هو قوله سبحان الله، وقيل هو: الصلاة، واختلف على هذا هل يعني صلاته في بطن الحوت أو قبل ذلك؟ واختلف في مدة بقائه في بطن الحوت، فقيل: ساعة، وقيل: ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، وقيل: أربعون يوما.

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ العراء الأرض الفضاء التي لا شجر فيها ولا ظل، وقيل: يعني الساحل. ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ روي: أنه كان كالطفل المولود بضعة لحم.

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ أي أنبتناها فوقه لتظله وتقيه حر الشمس واليقطين: القرع، وإنما خصه الله به لأنه يجمع برد الظل، ولين اللمس، وكبر الورق، وأن الذباب لا يقربه، فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب، وقيل: اليقطين كل شجرة لا ساق لها، كالبقول، والقرع، والبطيخ، والأول أشهر.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ يعني رسالته الأولى التي أبق بعدها، وقيل هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت والأول أشهر. ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل: أو هنا بمعنى بل وقرأ ابن عباس[1]: بل يزيدون، وقيل: هي بمعنى الواو، وقيل: هي للإبهام وقيل: المعنى أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول: هم مائة ألف أو يزيدون،

(١) المحرر الوجيز: ٤/٥٥٧.

واختلف في عددهم، فقيل: مائة وعشرون ألفا وقيل مائة وثلاثون ألفا وقيل مائة وأربعون ألفا وقيل مائة وسبعون ألفا.

﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ روي: أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم وفرقوا بينهم وبين الأمهات وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا فرفع الله العذاب عنهم إلى حين يعني لانقضاء آجالهم، وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها لضعف صحتها.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ قال الزمخشري: إن هذا معطوف على قوله فاستفتهم الذي في أول السورة وإن تباعد ما بينهما والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار أي اسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور وتلك قسمة ضيزى، ثم قررهم على ما زعموا من أن الملائكة إناث، ورد عليهم بقوله: ﴿وَهُمْ شَـٰهِدُونَ﴾ ويحتمل أن يكون بمعنى الشهادة أو بمعنى الحضور، أي أنهم لم يحضروا ذلك ولم يعلموه، ثم أخبر عن كذبهم في قولهم: ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ ثم قررهم على ما زعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات، وذلك كله رد عليهم وتوبيخ لهم، تعالى الله عن أقوالهم علوا كبيرا.

﴿أَصْطَفَى﴾ دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل.

﴿مَا لَكُمْ﴾ هذا استفهام معناه التوبيخ وهي في موضع رفع بالابتداء والمجرور بعدها خبرها، فينبغي الوقف على قوله مالكم.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ﴾ أي برهان بين.

﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ﴾ تعجيز لهم لأنهم ليس لهم كتاب يحتجون به.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ
سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾
وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ
لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ
﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ
﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾
وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٧﴾ لَكُنَّا عِبَادَ
اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٨﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ
كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٠﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٢﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٣﴾
وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٤﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٥﴾ فَإِذَا
نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٦﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ
﴿١٧٧﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٨﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
﴿١٧٩﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٠﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨١﴾

ترتيبها ٣٨ — سورة ص — آياتها ٨٦

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ الضمير في جعلوا لكفار العرب، وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أن الجنة هنا الملائكة وسميت بهذا الاسم لأنه مشتق من الاجتنان وهو الاستتار، والملائكة مستورون عن أعين بني آدم كالجن، والنسب الذي جعلوه بينهم وبين الله قولهم: إنهم بنات الله.

والقول الثاني: أن الجن هنا الشياطين وفي النسب الذي جعلوه بينه وبينهم قولان:

أحدهما: أن بعض الكفار قالوا إن الله والشياطين أخوان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والآخر: أن بعضهم قال إن الله نكح في الجن فولدت له الملائكة، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ من قال إن الجن الملائكة فالضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ يعود على الكفار، أي قد علمت الملائكة أن الكفار محضرون في العذاب، ومن قال إن الجن الشياطين، فالضمير يعود عليهم، أي قد علمت الشياطين أنهم محضرون في العذاب.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع من المحضرين أو من الفاعل في يصفون، والمعنى لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون في العذاب أو لكن عباد

الله المخلصين يصفونه بما هو أهله.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ هذا خطاب للكفار، والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها، وما تعبدون عطف على الضمير في ﴿إِنَّكُم﴾ ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع، ومعنى فاتنين مضلين، والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على ما تعبدون وعلى سببية معناها التعليل، و﴿مَنْ هُوَ﴾ مفعول بفاتنين والمعنى إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تضلون أحدا إلا من قضى الله أنه يصلى الجحيم، أي لا تقدرون على إغواء الناس إلا بقضاء الله، وقال الزمخشري: الضمير في عليه يعود على الله تعالى.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام، تقديره: ما منا ملك إلا وله مقام معلوم، وحذف الموصوف لفهم الكلام، والمقام المعلوم يحتمل أن يراد به المكان الذي يقومون فيه؛ لأن منهم من هو في السماء الدنيا، وفي الثانية، وفي سائر السموات، وحيث شاء الله، ويحتمل أن يراد به المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ﴾ أي الواقفون في العبادة صفوفا، ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم ليقتدوا بالملائكة، وليس أحد من أهل الملل يصلون صفوفا إلا المسلمون.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ قيل: معناه المصلون لأن الصلاة يقال لها تسبيح، وقيل: معناه القائلون سبحان الله، وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة رد على من قال إنهم بنات الله أو شركاء له؛ لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له، ويدل هذا الكلام أيضا على أن المراد بالجن قبل هذا الملائكة، وقيل: إن هذا كله من كلام سيدنا محمد ﷺ، وكلام المسليمن، والأول أشهر.

﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الضمير لكفار قريش

وسائر العرب والمعنى أنهم كانوا قبل بعث محمد ﷺ يقولون لو أرسل الله إلينا رسولا وأنزل علينا كتابا لكنا عباد الله المخلصين.

﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾ الضمير للذكر أو لسيدنا محمد ﷺ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يتقدم له ذكر. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد ووعيد لهم على كفرهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ المعنى: سبق القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم.

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ هذا النصر والغلبة بظهور الحجة والبرهان، وبهزيمة الأعداء في القتال، وبالسعادة في الآخرة.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي أعرض عنهم وذلك موادعة منسوخة بالسيف والحين هنا يراد به يوم بدر وقيل: حضور آجالهم وقيل يوم القيامة.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ هذا وعد للنبي ﷺ، ووعيد لهم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ إشارة إلى قولهم متى هذا الوعد وأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ الساحة: الفناء حول الدار، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محظور وسوء. ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الصباح مستعمل في ورود الغارات والرزايا، ومقصد الآية التهديد بعذاب يحل بهم بعد أن أنذروا فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيل بقوم أنذرهم ناصح بأن جيشا يحل بهم فلم يقبلوا نصحه حتى جاءهم الجيش فأهلكهم.

﴿وَأَبْصِرْ﴾ كرر الأمر بالتولي عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد وقيل أراد بالوعيد الأول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة، فإن قيل: لم قال أولا:

أبصرهم، وقال هنا أبصر، فحذف الضمير المفعول؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه اكتفى بذكره أولا عن ذكره ثانيا، فحذفه اختصارا.

والآخر: أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم، كأنه قال: أبصر جميع الكفار، بخلاف الأول فإنه في قريش خاصة.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نزه الله تعالى نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالا كثيرة شنيعة، والعزة إن أراد بها عزة الله فمعنى رب العزة ذو العزة، وأضافها إليه لاختصاصه بها، وإن أراد بها عزة الأنبياء والمؤمنين فمعنى ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ مالكها وخالقها، ومن هذا قال محمد بن سحنون: من حلف بعزة الله فإن أراد صفة الله فهي يمين، وإن أراد العزة التي أعطى عباده فليست بيمين[١]، ثم ختم هذه السورة بالسلام على المرسلين.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فأما السلام على المرسلين فيحتمل أن يريد به التحية، أو سلامتهم من أعدائهم، ويكون ذلك تكميلا لقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ وأما الحمد لله فيحتمل أن يريد به الحمد لله على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك، ويحتمل أن يريد الحمد لله على الإطلاق.

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) وهذا منسوب أيضا لأشهب، قال القرافي في الذخيرة: وقال أشهب: إن أراد بعزة الله وأمانته القديمة وجبت الكفارة، أو المحدثة لم تجب، وقد قال تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ا الصافات: ١٨٥ الذخيرة: ٤/١٤، وهذا هو مشهر مذهب مالك، قال خليل في مختصره، عند الكلام على ما تنعقد به اليمين: «وكعزة الله وأمانته وعهده وعلي عهد الله إلا أن يريد المخلوق». ص: ٨٢.

سُورَةُ صٓ — آياتها ٨٦ — ٣٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

● صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿١﴾ كَمْ
أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٢﴾ وَعَجِبُوا أَن
جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٣﴾ أَجَعَلَ
الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٤﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ
امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٥﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا
فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٦﴾ أَنُزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا
بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٧﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ
رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٨﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَٰبِ ﴿٩﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ
﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١١﴾ وَثَمُودُ
وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لَيْكَةَ أُولَٰٓئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٢﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ
الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٣﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن
فَوَاقٍ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٥﴾

سورة داود عليه السلام

﴿صٓ﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة، ويختص بهذا أنه قال فيه معناه صدق محمد، وقيل: هو حرف من اسم الله الصمد، أو صادق الوعد، أو صانع المصنوعات. ﴿وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾ هذا قسم جوابه محذوف، تقديره: إن القرآن من عند الله وإن محمدا ﷺ لصادق وشبه ذلك، وقيل: جوابه في قوله ﷺ، إذ هو بمعنى صدق محمد، وقيل: جوابه ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ وهذا بعيد، وقيل: جوابه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ وهذا أبعد، ومعنى ذي الذكر ذي الشرف والذكر بمعنى الموعظة أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ الذين كفروا يعني قريشا، وبل للإضراب عن كلام محذوف، وهو جواب القسم أي إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشقاق، والعزة هي: التكبر، والشقاق العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة على شدتهما وتفاخم الكفار فيهما.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ إخبار يتضمن تهديدا لقريش. ﴿فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ المعنى أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك ولات بمعنى ليس، وهي لا النافية زيدت عليها علامة التأنيث كما زيدت في ربت وثمت، ولا تدخل لات إلا على زمان واسمها مضمر وحين مناص خبرها، والتقدير: ليس الحين الذي دعوا فيه حين مناص، والمناص المفر والنجاة من

قولك: ناص ينوص إذا فر.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ الضمير لقريش والمنذر سيدنا محمد ﷺ أي استبعدوا أن يبعث الله رسولا منهم، ويحتمل أن يريد من قبيلتهم أو يريد من البشر مثلهم. ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ كان الأصل وقالوا ولكن وضع الظاهر موضع المضمر قصدا لوصفهم بالكفر.

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ هذا إنكار منهم للتوحيد، وسبب نزول هذه الآية[1] أن قريشا اجتمعوا وقالوا لأبي طالب كف ابن أخيك عنا فإنه يعيب ديننا، ويذم آلهتنا، ويسفه أحلامنا، فكلمه أبو طالب في ذلك فقال ﷺ: إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب، فقالوا: نعم، وعشر كلمات معها، فقال: قولوا لا إله إلا الله فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا؟.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ﴾ انطلاق الملإ عبارة عن خروجهم عن أبي طالب، وقيل: عبارة عن تفرقتهم في طرق مكة وإشاعتهم للكفر، وأن امشوا معناه: يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم ولا تطيعوا محمدا فيما يدعوا إليه من عبادة الله وحده. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ هذا أيضا مما حكى الله من كلام قريش، وفي معناه وجهان:

أحدهما: أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد، أي إن هذا التوحيد شيء يراد منا الانقياد إليه.

والآخر: أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أي إن هذا لشيء ينبغي أن يراد ويتمسك، به أو أن هذا شيء يريده الله منا لما قضى علينا به، والأول أرجح؛ لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام على نسق واحد.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٧٩/١٠، وابن كثير في تفسيره: ٣٤/٤.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ هذا أيضا مما حكى الله عنهم من كلامهم أي ما سمعنا بالتوحيد في الملة الآخرة، والمراد بالملة الآخرة ملة النصارى لأنها بعد ملة موسى وغيره، وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد، وقيل: المراد ملة قريش أي ما سمعنا بهذا في الملة التي أدركنا عليها آباءنا، وقيل: المراد الملة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكهان أن رسولا يبعث يكون آخر الأنبياء. ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ هذا أيضا مما حكي من كلامهم والإشارة إلى التوحيد والإسلام ومعنى الاختلاق الكذب.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ الهمزة للإنكار، والمعنى أنهم أنكروا أن يخص الله محمدا ﷺ بإنزال القرآن عليه دونهم. ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ هذا رد عليهم، والمعنى: أنهم ليست لهم حجة ولا برهان بل هم في شك من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا ويحتمل أن يريد بالذكر القرآن. ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ هذا وعيد لهم وتهديد، والمعنى أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وأذعنوا للحق.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ هذا رد عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوءة، والمعنى أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوءة من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا بل يعطيها الله لمن يشاء ثم وصف نفسه بالعزيز الوهاب؛ لأن العزيز يفعل ما يشاء والوهاب ينعم على من يشاء فلا حجة لهم فيما أنكروا.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا أيضا رد عليهم، والمعنى: أم لهم الملك فيتصرفون فيه كيف شاؤوا؟ بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء، وأم الأولى منقطعة بمعنى بل وهمزة الإنكار، وأما أم الثانية فيحتمل أن تكون كذلك أو تكون عاطفة معادلة لما قبلها. ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِي ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ هذا تعجيز

لهم وتهكم بهم ومعنى يرتقوا يصعدوا والأسباب هنا السلالم والطرق وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلو، وقيل: هي أبواب السماء، والمعنى: إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبروا الملك.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ هذا وعيد بهزيمتهم في القتال وقد هزموا يوم بدر وغيره، وما هنالك صفة لجند، وفيها معنى التحقير لهم والإشارة بهنالك إلى حيث وصفوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء، وقيل: الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب وهذا بعيد، وقيل: الإشارة إلى موضع بدر ومن الأحزاب معناه من جملة الأحزاب الذين تعصبوا للباطل فهلكوا.

﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ قال ابن عباس[١]: كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها، وقيل: كانت له أوتاد يسمرها في الناس لقتلهم، وقيل: أراد المباني العظام الثابتة ورجحه ابن عطية[٢] وقال الزمخشري: إن ذلك استعارة في ثبات الملك كقول القائل[٣]:

* في ظل ملك ثابت الأوتاد *

﴿وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ قد ذكر. ﴿وَمَا يَنظُرُ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ ينظر هنا بمعنى ينتظر وهؤلاء يعني قريشا والصيحة الواحدة النفخة في الصور وهي نفخة الصعق، وقيل: الصيحة عبارة عما أصابهم من قتل وشدائد، والأول أظهر، وقد روي تفسيرها بذلك عن النبي ﷺ[٤]. ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: ما لها رجوع أي لا يرجعون بعدها إلى الدنيا، وهو على هذا مشتق من الإفاقة.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٨٣/١٠، وفي رواية: يلعب له بها.

(٢) المحرر الوجيز: ٥٦٥/٤.

(٣) هذا عجز بيت للأسود بن يعفر وصدره: (ولقد غنوا فيها بأعظم عيشة...) انظر الكشاف: ٧٣/٤.

(٤) انظر المحرر الوجيز: ٤٩٥/٤، والدر المنثور للسيوطي: ٥٥٨/٥.

اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ
﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾
وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ
الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ ربع
تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا
تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا
تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ
وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي
الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ
كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ
وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ
وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم
بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ
يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

الثاني: ما لها من ترداد أي إنما هي واحدة لا ثانية لها.

الثالث: ما لها من تأخير ولا توقف مقدار فواق ناقة وهي ما بين حلبتي اللبن، وهذا القول الثالث إنما يجري على قراءة فواق[1] بالضم لأن فواق الناقة بالضم، والقولان الأولان على الفتح والضم.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ القط في اللغة له معنيان:

أحدهما: الكتاب.

والآخر: النصيب وفي معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: نصيبنا من الخير أي دعوا أن يعجله الله لهم في الدنيا.

والآخر: نصيبهم من العذاب فهو كقولهم أمطر علينا حجارة من السماء.

الثالث: صحائف أعمالنا.

﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ الأيد القوة، وكان داود جمع قوة البدن والقوة في الدين والملك والجنود، والأواب الرجاع إلى الله.

فإن قيل: ما المناسبة بين أمر الله لسيدنا محمد ﷺ بالصبر على أقوال الكفار وبين أمره له بذكر داود؟ فالجواب عندي: أن ذكر داود ومن بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسلية للنبي ﷺ ووعد له بالنصر وتفريج الكرب

---

(١) ﴿فواق﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم الفاء، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٤٠١.

وإعانة له على ما أمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال وشدة ملكه وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب، فكأنه يقول: يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء والمقصد ذكر الإنعام عليهم لتقوية قلب النبي ﷺ، وأيضا فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرجها الله عنهم وأعقبها بالخير العظيم، فأمر سيدنا محمدا ﷺ بذكرهم ليعلمه أنه يفرج عنه ما يلقى من إذاية قومه ويعقبها بالنصر والظهور عليهم، فالمناسبة في ذلك ظاهرة، وقال ابن عطية: المعنى اذكر داود ذا الأيدي في الدين فتأس به وتأيد كما تأيد، وأجاب الزمخشري عن السؤال فإنه قال: كأن الله قال لنبيه ﷺ: اصبر على ما يقولون، وعظم أمر المعصية في أعين الكفار بذكر قصة داود، وذلك أنه نبي كريم عند الله ثم زل زلة فوبخه الله عليها فاستغفر وأناب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم، وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث جعله مثالا يهدد الله به الكفار، وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا.

﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ يعني وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفر شعاعها وهو وقت الضحى، وأما شروقها فطلوعها.

﴿مَحْشُورَةً﴾ أي مجموعة. ﴿كُلٌّ لَّهُۥ أَوَّابٌ﴾ أي كل مسبح لأجل تسبيح داود، ويحتمل أن يكون أواب هنا بمعنى رجاع أي ليرجع إلى أمره.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قيل: يعني النبوءة، وقيل: العلم والفهم، وقيل: الزبور. ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ قال ابن عباس[1]: هو فصل القضاء بين الناس بالحق،

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٨٨/١٠.

وقال علي[١] بن أبي طالب: هو إيجاب اليمين على المدعى عليه والبينة على المدعي وقيل: أراد قول أما بعد فإنه أول من قالها، وقال الزمخشري: معنى فصل الخطاب: البين من الكلام الذي يفهمه من يخاطب به، وهذا المعنى اختاره ابن عطية وجعله من قوله تعالى إنه: ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[٢].

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيها للمخاطب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التي ينبغي أن يلقي البال لها، والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة، كقولك: عدل وزور، واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروي أنهما جبريل وميكائل بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود في نازلة وقع هو في مثلها فأفتى بفتيا هي واقعة عليه في نازلته، ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر وسنذكر القصة بعد هذا، ومعنى تسوروا المحراب علوا على سوره ودخلوه، والمحراب الموضع الأرفع من القصر أو المسجد، وهو موضع التعبد، ويحتمل أن يكون المتسور المحراب اثنين فقط لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين فقط فتجيء الضمائر في تسوروا ودخلوا وفزع منهم على وجه التجوز والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائز على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان، ويحتمل أنه جاء مع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصم وتجيء الضمائر المجموعة حقيقة، وعلى هذا عول الزمخشري.

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ العامل في إذ هنا ﴿تَسَوَّرُواْ﴾، وقيل: هي بدل من الأولى، وأما إذ الأولى فالعامل فيها أتاك أو تسوروا، ورد الزمخشري ذلك، وقال: إن العامل فيها محذوف، تقديره: هل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا، وإنما فزع داود منهم لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ودخلوا من غير الباب،

(١) وقال بهذا أيضا شريح والشعبي، ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/٥٦٧.

(٢) المحرر الوجيز المصدر السابق.

وقيل: إن ذلك كان ليلا. ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ تقديره: نحن خصمان ومعنى بغى تعدى. ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي لا تجر علينا في الحكم، يقال أشط الحاكم إذا جار وقرئ[1] في الشاذ: لا تشطط بفتح التاء أي لا تبعد عن الحق يقال شط إذا بعد. ﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَاطِ﴾ أي وسط الطريق ويعني القصد والحق الواضح.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ هذه حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا أخوة الدين والنعجة في اللغة تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن، وهي هنا عبارة عن المرأة، ومعنى أكفلنيها: أملكها لي، وأصله اجعلها في كفالتي، وقيل: اجعلها كفلي أي نصيبي، ومعنى عزني في الخطاب أي غلبني في الكلام والمحاورة، يقال: عز فلان فلانا إذا غلبه. وهذا الكلام تمثيل للقصة التي وقع داود فيها، وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديما وحديثا، حتى قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من حدث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عَلَيْهِ السَّلَامُ جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله»[2].

ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

روي[3] أن أهل زمان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأة فيتزوجها إذا أعجبته وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك[4]، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ أبو رجاء وقتادة: «تشطط» بفتح التاء وضم الطاء وهي قراءة الحسن والجحدري، ومعناه ولا تبعد، يقال شط إذا بعد، وأشط إذا أبعد غيره، وقرأ زر بن حبيش «تشاطط» بضم التاء وبالألف المحرر الوجيز: ٤/٢٢٩.

(٢) انظر المحرر الوجيز: ٤/٥٦٩.

(٣) رواه ابن عباس بلفظ قريب من هذا اللفظ، أخرجه الطبري في جامع البيان الأثر رقم: (٢٩٨٥٣).

(٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين=

رجل فأعجبته فسأله النزول عنها ففعل، وتزوجها داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فولد له منها سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان لداود تسع وتسعون امرأة فبعث الله إليه ملائكة مثالا لقصته، فقال أحدهما: إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود، ولي نعجة واحدة إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة، فقال: أكفلنيها إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته فأجابه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فقامت الحجة عليه بذلك فتبسم الملكان عند ذلك وذهبا ولم يرهما، فشعر داود أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه.

﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ ولا تقتضي هذه القصة على هذه الرواية أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وقع فيما لا يجوز شرعا، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغي له أن يتنزه عنه لعلو مرتبته ومتانة دينه، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم، كما قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[(١)]، وأيضا فإنه كان له تسع وتسعون امرأة فكان غنيا عن هذه المرأة، فوقع العتاب على الاستكثار من النساء وإن كان جائزا، وروي[(٢)] هذا الخبر على وجه آخر: وهو أن داود انفرد

= سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق، فربح شيئا من أقط وسمن، فرآه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أيام وعليه وضر من صفرة، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مهيم يا عبد الرحمن؟ قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار، قال: فما سقت فيها؟. فقال: وزن نواة من ذهب، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أولم ولو بشاة» البخاري الحديث رقم: (٣٧٢٢)، ومَهْيَمْ: كلمةٌ يُسْتَفْهَمُ بها، معناها: ما حالُكَ وما شأنك..

(١) قال الشيخ/بكر أبو زيد: في كتابه: معجم المناهي اللفظية، ومعه فوائد في الألفاظ: «حسنات الأبرار سيئات المقربين» هذا لا أصل له في الموضوع عن النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ثم هو باطل معنى؛ فكيف تكون الحسنة، سيئة ؟! فهو باطل لفظاً، ومعنى. والله أعلم.

(٢) هذه القصة لا أساس لها وكان بإمكان المؤلف أن يصون كتابه عن ذكر هذا النوع من الروايات الباطلة، ويعتبر بما ذكر قبل قليل، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من حدث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عَلَيْهِ السَّلَامُ جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله»..

يوما في محرابه للتعبد فدخل عليه طائر من كوة فوقع بين يديه، فأعجبه فمد يده ليأخذه فطار على الكوة فصعد داود ليأخذه فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبته، ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده وأنه خرج للجهاد مع الجند، فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت، وهو موضع قل ما تخلص أحد منه، فقدم ذلك الرجل فقاتل حتى قتل شهيدا، فتزوج داود امرأته فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل وتزوجه امرأته بعده مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها، وقيل: إن داود هم بذلك كله ولم يفعله، وإنما وقعت المعاتبة على همه بذلك، وروي: أن السبب فيما جرى له مثل ذلك أنه أعجب بعلمه وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن بتلك القصة، وروي أيضا: أن السبب في ذلك أنه تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والتزم أن يبتلى كما ابتلوا، فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة. ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ سؤال مصدر مضاف إلى المفعول، وإنما تعدى بإلى لأنه تضمن معنى الإضافة، كأنه قال بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه.

فإن قيل: كيف قال له داود لقد ظلمك قبل أن يثبت عنده ذلك؟ فالجواب: أنه روي: أن الآخر اعترف بذلك وحذف ذكر اعترافه اختصارا، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ على تقدير صحة قوله وقد قيل إن قوله لأحد الخصمين: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئته التي استغفر منها وأناب. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الخلطاء هم الشركاء في الأموال ولكن الخلطة أعم من الشركة ألا ترى أن الخلطة في المواشي ليست بشركة في رقابها وقصد داود بهذا الكلام الوعظ للخصم الذي بقي والتسلية بالتأسي للخصم الذي بقي عليه. ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ما زائدة للتأكيد. ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ ظن هنا بمعنى شعر بالأمر، وقيل: بمعنى أيقن وفتناه معناه اختبرناه. ﴿وَخَرَّ

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ
كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ
وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ
إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ
إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ
وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ
لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا
لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ
بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا
فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ
﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ
وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَۖ هَٰذَا مُغْتَسَلُۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

﴿رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ معنى خر ألقى بنفسه إلى الأرض وإنما حقيقة ذلك في السجود فقيل إن الركوع هنا بمعنى السجود، وقيل: خر من ركوعه ساجدا بعد أن ركع ومعنى أناب تاب، وروي: أنه بقي ساجدا أربعين يوما يبكي حتى نبت البقل من دموعه، وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك خلافا للشافعي، إلا أنه اختلف في مذهب مالك: هل يسجد عند قوله ﴿وَأَنَابَ﴾[١] أو عند قوله: ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾؟

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ الزلفى القربة والمكانة الرفيعة، والمآب المرجع في الآخرة.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تقديره: قال الله يا داود وخلافة داود بالنبوءة والملك، قال ابن عطية: لا يقال خليفة الله إلا لنبي، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله، وقول الناس فيهم خليفة الله تجوز[٢].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًاۚ﴾ أي عبثا بل خلقهما الله بالحق للاعتبار بهما والاستدلال على خالقهما. ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ المعنى أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خلقة السموات والأرض عندهم باطلا

(١) وهذا هو المعتمد، قال القرافي: والمذهب أنه في (ص) عند قوله تعالى: ﴿وخر راكعا وأناب﴾ الذخيرة: ٢/٤١٨، ونص عليه خليل في المختصر.

(٢) المحرر الوجيز: ٤/٥٧٢.

بغير الحكمة، فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الأخروي.

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أم هنا استفهامية يراد بها الإنكار، أي أن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار بل يجازي كل واحد بعمله لتظهر حكمة الله في الجزاء ففي ذلك استدلال على الحشر والجزاء، وفيه أيضا وعد ووعيد.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّٰفِنَٰتُ الْجِيَادُ﴾ الصافنات جمع صافن وهو الفرس الذي يرفع إحدى رجليه أو يديه ويقف على طرف الأخرى، وقيل: الصافن هو الذي يسوي يديه، والصفن علامة على فراهة الفرس، والجياد السريعة الجري، واختلف الناس في قصص هذه الآية؟ فقال الجمهور: إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عرضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه، وقيل: أخرجتها له الشياطين من البحر وكانت ذوات أجنحة وكانت ألف فرس، وقيل: أكثر، فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشي العصر، فأسف لذلك وقال: ردوا علي الخيل، وطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عقرها لما كانت سبب فوات الصلاة ولم يترك منها إلا اليسير، فأبدله الله أسرع منها وهي الريح.

وأنكر بعض العلماء هذه الرواية وقال: تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان، وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز، فكيف يفعله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ وأي ذنب للخيل في تفويت الصلاة، فقال بعضهم: إنما عقرها ليأكلها الناس وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقربا إلى الله، وقال بعضهم: لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل، بل كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها، فلما فرغ من صلاته قال: ردوها علي فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة، وقيل: إن المسح عليها كان وسما في سوقها وأعناقها بوسم (حبس في سبيل الله).

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ معنى هذا يختلف على

حسب الاختلاف في القصة، فأما الذين قالوا: إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الخير هنا يراد به الخيل، وزعموا أن الخيل يقال لها خير وأحببت بمعنى آثرت أو بمعنى فعل يتعدى بعن، كأنه قال: آثرت حب الخيل فشغلني عن ذكر ربي.

والآخر: أن الخير هنا يراد به المال؛ لأن الخيل وغيرها مال فهو كقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي مالا.

والثالث: أن المفعول محذوف، وحب الخير مصدر، والتقدير: أحببت هذه الخيل مثل حب الخير فشغلني عن ذكر ربي، وأما الذين قالوا إنه كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها، فالمعنى: أنه قال إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة، بسبب ذكر ربي وشغلني ذلك عن النظر إلى الخيل.

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ الضمير للشمس، وإن لم يتقدم ذكرها ولكنها تفهم من سياق الكلام، وذكر العشي يقتضيها، والمعنى: حتى غابت الشمس، وقيل: إن الضمير للخيل، ومعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها، والأول أشهر وأظهر.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي قال سليمان ردوا الخيل علي. ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ السوق جمع ساق يعني سوق الخيل وأعناقهم، أي جعل يمسحها مسحا، وهذا المسح يختلف على حسب الاختلاف المتقدم: هل هو قطعها وعقرها، أو مسحها باليد محبة لها، أو وسمها للتحبيس.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها، وفي ذلك أربعة أقوال:

الأول: أن سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله فكان ينزعه إذا دخل

الخلاء توقيرا لاسم الله تعالى فنزعه يوما ودفعه إلى جارية، فتمثل لها جني في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، روي أن اسمه صخر فقعد على كرسي سليمان يأمر وينهى والناس يظنون أنه سليمان وخرج سليمان فارا بنفسه فأصابه الجوع، فطلب حوتا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجني قد رماه في البحر فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه، ففتنة سليمان على هذا هي ما جرى له من سلب ملكه، والجسد الذي ألقى على كرسيه هو الجني الذي قعد عليه وسماه جسدا؛ لأنه تصور في صورة إنسان ومعنى أناب رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء أو رجع إلى ملكه.

والقول الثاني: أن سليمان كان له امرأة يحبها، وكان أبوها ملكا كافرا قد قتله سليمان، فسألته أن يضع لها صورة أبيها فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريها، وصار صنما معبودا في داره، وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوما، فلما علم به كسره فالفتنة على هذا عمل الصورة والجسد هو الصورة.

والقول الثالث: أن سليمان كان له ولد وكان يحبه حبا شديدا فقالت الجن إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السخرة أبدا فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسيه، فالفتنة على هذا حبه الولد والجسد هو الولد لما مات، وسمي جسدا لأنه جسد بلا روح.

القول الرابع: أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فلم تحمل إلا واحدة جاءت بشق إنسان، فالفتنة على هذا كونه لم يقل: إن شاء الله، والجسد هو شق الإنسان الذي ولد له.

فأما القول الأول: فضعيف من طريق النقل، مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب ملك سليمان وتسليط الشياطين عليه.

وأما القول الثاني: فضعيف أيضا مع أنه يبعد أنه يعبد صنم في بيت نبي، أو

يأمر نبي بعمل صنم.

وأما القول الثالث: فضعيف أيضا.

وأما القول الرابع: فقد روي في الحديث الصحيح[(١)] عن رسول الله ﷺ، لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير الآية.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيٓ﴾ قدم الاستغفار على طلب الملك؛ لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا فقدم الأولى والأهم، فإن قيل: لأي شيء قال لا ينبغي لأحد من بعدي وظاهر هذا طلب الانفراد به، حتى قال فيه الحجاج: إنه كان حسودا؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه إنما قال ذلك لئلا يجري عليه مثل ما جرى من أخذ الجني لملكه، فقصد أن لا يسلب ملكه عنه في حياته ويصير إلى غيره.

والآخر: أنه طلب ذلك ليكون معجزة ودلالة على نبوءته.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ معنى رخاء لينة طيبة، وقيل: طائعة له، وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿عَاصِفَةً﴾ في الأنبياء وحيث أصاب: أي حيث قصد وأراد.

﴿وَالشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ الشياطين معطوف على الريح، وكل بناء بدل من الشياطين، أي سخرنا له الريح والشياطين من يبني منهم ومن يغوص في البحر.

---

(١) في صحيح البخاري وغيره: عن أبي هريرة:: قال رسول الله ﷺ قال سليمان: «لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون» البخاري الحديث رقم: (٦٢٦٣).

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ أي آخرين من الجن موثقون في القيود والأغلال.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ الإشارة إلى الملك الذي أعطاه الله له، والمعنى: أن الله قال له: أعط من شئت، وامنع من شئت، وقيل المعنى: امنن على من شئت من الجن بالإطلاق من القيود، وأمسك من شئت منهم في القيود، والأول أحسن وهو قول ابن عباس[1]. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يحتمل ثلاثة معان:

أحدها: أنه لا يحاسب في الآخرة على ما فعل.

والآخر: بغير تضييق عليك في الملك

والثالث بغير حساب ولا عدد بل خارج عن الحصر.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ قد ذكر في قصة داود.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ قد ذكرنا قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأنبياء، والنصب يقال بضم النون وإسكان الصاد[2] وبفتح النون وإسكان الصاد وبضم النون والصاد وبفتحهما ومعناه واحد، وهو المشقة، فإن قيل: لم نسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان؟ فالجواب من أربعة أوجه:

أحدها: أن سبب ذلك كان من الشيطان فإنه روي أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرا فلم يغيره، وقيل: إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها وكان له جار جائع فلم يعط جاره منها شيئا.

والثاني: أنه أراد ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكراهة البلاء،

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/١٠٤.

(٢) ﴿بنصب وعذاب﴾ قرأ أبو جعفر بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحها، وقرأ الباقون بضم النون وإسكان الصاد. النشر: ٢/٤٠١.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ
صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ أُولِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ
ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾
وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾
هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً
لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ
وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا
تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾
هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ
﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ
﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا ٱلنَّارِ
﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ
﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

فدعا إلى الله أن يدفع عنه وسوسة الشيطان بذلك.

والثالث: أنه روي أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه فأهلك ماله فصبر وأهلك أولاده فصبر وأصابه الجذام والمرض الشديد فصبر فنسب ذلك إلى الشيطان لتسليط الشيطان عليه.

والرابع: روي أن الشيطان لقي امرأته فقال لها: قولي لزوجك إن سجد لي سجدة أذهبت ما به من المرض، فذكرت المرأة ذلك لأيوب فقال لها: ذلك عدو الله الشيطان، وحينئذ دعا.

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ التقدير: قلنا له اركض برجلك فضرب الأرض برجله فنبعت له عين ماء صافية باردة، فشرب منها فذهب كل مرض كان داخل جسده، واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده، وروي: أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ ذكر في الأنبياء.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ الضغث القبضة من القضبان، وكان أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط إذا برئ من مرضه، وكان سبب ذلك ما ذكرته له من لقاء الشيطان، وقوله لها: إن سجد لي زوجك أذهبت ما به من المرض، فأمره أن يأخذ ضغثا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة، فيبر

في يمينه، وقد ورد مثل هذا عن نبينا ﷺ في حد رجل زنى وكان مريضا، فأمر رسول الله ﷺ بعذق نخلة فيه شماريخ مائة، فضرب به ضربة واحدة، ذكر ذلك أبو داود[(١)] والنسائي، وأخذ به بعض العلماء[(٢)] ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه.

﴿أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَارِ﴾ الأيدي جمع يد وذلك عبارة عن قوتهم في الأعمال الصالحات، وإنما عبر عن ذلك بالأيدي لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي، وأما الأبصار فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم، من قولك: أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور، وقيل: الأيدي جمع يد بمعنى النعمة، ومعناه أولوا النعم التي أسداها الله إليهم من النبوءة والفضيلة، وهذا ضعيف؛ لأن اليد بمعنى النعمة أكثر ما يجمع على أيادي، وقرأ ابن مسعود[(٣)] أولي الأيد بغير ياء، فيحتمل أن تكون الأيدي محذوفة الياء، أو يكون الأيد بمعنى القوة، كقوله: ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾.

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ معنى أخلصناهم جعلناهم خالصين

---

(١) .. عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: ـ كَانَ بَيْنَ أَبْيَاتِنَا رُوَيْجِلٌ ضَعِيفٌ، فَخَبَثَ بِأَمَةٍ مِنْ إِمَائِهِمْ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِرَسُولِ ٱللَّهِ ـ ﷺ ـ فَقَالَ: «اِضْرِبُوهُ حَدَّهُ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ! إِنَّهُ أَضْعَفُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «خُذُوا عِثْكَالاً فِيهِ مِائَةُ شِمْرَاخٍ، ثُمَّ اِضْرِبُوهُ بِهِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً». فَفَعَلُوا ـ رَوَاهُ أَحْمَدُ الحديث رقم: (٥٢٢)، والنسائي في «الكبرى» (٣١٣/٤)، وابن ماجه (٢٧٥٤).

(٢) قال ابن قدامة: وإن كان المرض مما لا يرجى برؤه، أو كان الجاني ضعيفا بالخلقة لا يحتمل السياط، فهذا يقام عليه الحد في الحال ولا يؤخر، ويضرب بسوط يؤمن معه التلف كالقضيب الصغير، وشمراخ النخل، فإن خيف عليه من ذلك، جمع ضغثا فيه مائة شمراخ فضرب به ضربة واحدة، قال: وأنكره مالك استدلالا بقوله تعالى: ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ وهذا ضربة واحدة. المغني: ١٧٣/٨، وينظر تفصيل ذلك في الموسوعة الفقهية، في مصطلحي: (حدود (ف): ٤١، وجلد (ف): ١٣.

(٣) قال ابن عطية: وقرأ الحسن والثقفي والأعمش وابن مسعود أولي الأيد بحذف الياء. المحرر الوجيز: ٥٧٩/٤.

لنا، أو أخلصناهم دون غيرهم، وخالصة صفة حذف موصوفها، تقديره: بخصلة خالصة، وأما الباء في قوله بخالصة فإن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين فالباء سببية للتعليل، وإن كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم، فالباء لتعدية الفعل، وقرأ نافع بإضافة خالصة[١] إلى ذكرى من غير تنوين وقرأ غيره بالتنوين، على أن تكون ذكر بدلا من خالصة على وجه البيان والتفسير لها، والدار: يحتمل أن يريد به الآخرة أو الدنيا، فإن أراد به الآخرة ففي المعنى ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ذكرى الدار يعني به ذكرهم للآخرة وجهنم فيها.

والآخر: أن معناه تذكيرهم للناس بالآخرة، وترغيبهم للناس فيما عند الله.

والثالث: أن معناه ثواب الآخرة أي أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة. والأول أظهر، وإن أراد بالدار الدنيا، فالمعنى: حسن الثناء والذكر الجميل في الدنيا، كقوله: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾.

﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بتشديد الياء، أو خير المخفف من خير كميت مخفف من ميت.

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ ذكر في الأنبياء. ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدم في هذه السورة من ذكر الأنبياء، وقيل: الإشارة إلى القرآن بجملته، والأول أظهر، وكأن قوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ ختام للكلام المتقدم، ثم شرع بعده في كلام آخر كما يتم المؤلف بابا، ثم يقول: فهذا باب، ثم يشرع في آخر.

﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ ذكر في الصافات. ﴿أَتْرَابٌ﴾ يعني أسنانهن سواء، يقال:

---

(١) يقصد من السبعة، لأن أبا جعفر من العشرة قرأ مثله، قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿بخالصة ذكرى﴾ فقرأ المدنيان ﴿بخالصة﴾ بغير تنوين على الإضافة، واختلف عن هشام، فروى عنه الحلواني كذلك وهي رواية ابن عباد عنه، وروى عنه الداجوني وسائر أصحابه بالتنوين، وكذلك قرأ الباقون. النشر: ٢/٤٠٢.

فلان ترب فلان إذا كان مثله في السن، وقيل: يعني أن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواء.

﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي ماله من فناء ولا انقضاء.

﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ تقديره: الأمر هذا، لما تم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله: ﴿هَٰذَا﴾ ثم ابتدأ وصف أهل النار، ويعني بالطاغين الكفار.

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ هذا مبتدأ وخبره حميم، فليذوقوه اعتراض بينهما، والحميم الماء الحار، والغساق قرئ[1] بتخفيف السين وتشديدها، وهو صديد أهل النار، وقيل: ما يسيل من عيونهم، وقيل: هو عذاب لا يعلمه إلا الله.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ آخر معطوف على حميم وغساق تقديره: وعذاب آخر، قيل: يعني الزمهرير، ومعنى من شكله من مثله ونوعه، أي من مثل العذاب المذكور، وأزواج معناه أصناف وهو صفة للحميم والغساق والعذاب الآخر، والمعنى: أنها أصناف من العذاب، وقال ابن عطية: آخر مبتدأ واختلف في خبره، فقيل تقديره: ولهم عذاب آخر، وقيل: أزواج مبتدأ ومن شكله خبر أزواج، والجملة خبر آخر، وقيل: أزواج خبر لآخر ومن شكله في موضع الصفة، وقرئ[2] أخر بالجمع وهو أليق أن يكون أزواج خبره؛ لأنه جمع مثله.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ الفوج الجماعة من الناس، والمقتحم الداخل في زحام وشدة، وهذا من كلام خزنة النار خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولا، ثم دخل بعدهم أتباعهم وهو الفوج المشار إليه، وقيل: هو كلام أهل النار بعضهم لبعض، والأول أظهر. ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أي لا يلقون رحبا ولا خيرا

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿وغساق﴾ بتشديد السين. التيسير، ص: ١٢٢.

(٢) ﴿وآخر من شكله﴾ قرأ البصريان بضم الهمزة من غير مد على الجمع، وقرأ الباقون بفتح الهمزة وألف بعدها على التوحيد. النشر: ٢/٤٠٢.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ
سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ
الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾
إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ
أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ
مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي
إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ
فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

وهو دعاء من كلام رؤساء الكفار، أي لا مرحبا بالفوج الذين هم أتباع لهم.

﴿قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ هذا حكاية كلام الأتباع للرؤساء لما قالوا لهم: لا مرحبا بهم، أجابوهم بقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ هذا أيضا من كلام الأتباع خطابا للرؤساء وهو تعليل لقولهم: بل أنتم لا مرحبا بكم، والضمير في قدمتموه للعذاب، ومعنى قدمتموه أوجبتموه لنا بما قدمتم في الدنيا من إغوائنا وأمركم لنا بالكفر.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ هذا أيضا من كلام الأتباع، دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب، فهو كقولهم: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ والضعف زيادة المثل.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ الضمير في قالوا لرؤساء الكفار، وقيل: للطاغين، والرجال هم ضعفاء المؤمنين، وقيل: إن القائلين لذلك أبو جهل لعنه الله، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأمثالهم وأن الرجال المذكورين هم: عمار، وبلال، وصهيب، وأمثالهم واللفظ أعم من ذلك، والمعنى: أنهم قالوا في جهنم ما لنا لا نرى في النار رجالا كنا في الدنيا نعدهم من الأشرار.

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرئ[1] أتخذناهم بهمزة قطع ومعناها توبيخ أنفسهم

---

(١) قال الداني: أبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿من الأشرار اتخذنهم﴾ بوصل الألف وإذا ابتدءوا=

على اتخاذهم المؤمنين سخريا، وقرئ بألف وصل على أن يكون الجملة صفة لرجال وقرئ[1] سخريا بضم السين من التسخير بمعنى الخدمة وبالكسر بمعنى الاستهزاء. ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ هذا يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون معادلا لقولهم: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ والمعنى: ما لنا لا نراهم في جهنم فهم ليسوا فيها، أم هم فيها ولكن زاغت عنهم أبصارنا، ومعنى زاغت عنهم: مالت فلم نرهم.

الثاني: أن يكون معادلا لقولهم: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ والمعنى: أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم أبصارنا في الدنيا، ومعنى زاغت الأبصار: مالت عن النظر إليهم احتقارا لهم.

الثالث: أن تكون أم منقطعة بمعنى بل والهمزة، فلا تعادل شيئا مما قبلها.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار ثم فسره بقوله: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ وإعراب تخاصم بدل من حق، أو خبر مبتدإ مضمر.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ النبأ الخبر، ويعني به ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة، وقيل: هو القرآن، وقيل: هو يوم القيامة، والأول أعم وأرجح.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ الملأ الأعلى هم الملائكة ومقصد الآية الاحتجاج على نبوة محمد ﷺ لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها قبل ذلك والضمير في يختصمون للملإ الأعلى واختصامهم هو في قصة آدم حين قال لهم: إني جاعل في الأرض خليفة حسبما تضمنته قصته في مواضع

= كسروها. والباقون بقطعها في الحالين. ص: ١٢٢.

(١) ﴿سخريا﴾ هنا قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها. وتقدم الكلام عليها عند ﴿فاتخذتموهم سخريا﴾ سورة المؤمنون..

من القرآن، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ رأى ربه فقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقال: لا أدري، قال: في الكفارات وهي إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، الحديث[(١)] بطوله، وقيل: الضمير في يختصمون للكفار، أي يختصمون في الملإ الأعلى فيقول بعضهم: هم بنات الله، ويقول آخرون: هم آلهة تعبد، وهذا بعيد.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ إذ بدل من إذ يختصمون وقد ذكرنا في البقرة معنى سجود الملائكة لآدم، ومعنى كفر إبليس، وذكرنا في الحجر معنى قوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِي﴾.

﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ الضمير في قال لله ﷻ، وبيدي من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله، وقال المتأولون: هو عبارة عن القدرة وقال القاضي أبو بكر بن الطيب: إن اليد والعين والوجه صفات زائدة على الصفات المتقررة، قال ابن عطية: وهذا قول مرغوب عنه[(٢)]، وحكى الزمخشري[(٣)] أن معنى خلقت بيدي خلقت بغير واسطة. ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وأم هنا معادلة

---

(١) ... عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، قال أحسبه قال: في المنام، فقال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت لا، قال: فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي، أو قال: في نحري، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض، قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، قال: في الكفارات، والكفارات المكث في المسجد بعد الصلاة والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: يا محمد إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون. صحيح الترمذي للألباني الحديث رقم: (٢٥٨٠).

(٢) المحرر الوجيز: ٤/٥٨٥.

(٣) الكشاف: ٤/١٠٩.

ثمن

• قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ
وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ
عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

والمعنى أستكبرت الآن أم كنت قديما ممن يعلو ويستكبر وهذا على جهة التوبيخ له ﴿رَجِيمٌ﴾ أي لعين مطرود.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ يعني القيامة وقد تقدم الكلام على ذلك في الحجر.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الباء للقسم أقسم إبليس بعزة الله أن يغوي بني آدم.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الضمير في قال هنا لله تعالى، والحق الأول مقسم به وهو منصوب بفعل مضمر، كقولك: الله لأفعلن، وجوابه لأملأن جهنم وقرئ[1] بالرفع وهو مبتدأ، أو خبر مبتدإ مضمر، تقديره: الحق يميني وأما الحق الثاني فهو مفعول بأقول، وقوله: ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ جملة اعتراض بين القسم وجوابه، على وجه التأكيد للقسم.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي الذين يتصنعون ويتحيلون بما ليسوا من أهله.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ هذا وعيد أي لتعلمن صدق خبره بعد حين، والحين يوم القيامة أو موتهم أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره.

*** *** ***

---

(١) ﴿قال فالحق﴾ قرأ عاصم وحمزة وخلف بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. النشر: ٢/٤٠٢.

سورة الزمر

﴿تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ﴾ تنزيل مبتدأ وخبره من الله، أو خبر ابتداء مضمر تقديره: هذا تنزيل، و﴿مِنَ اللَّهِ﴾ على هذا الوجه يتعلق بتنزيل، أو يكون خبرا بعد خبر، أو خبر مبتدإ آخر محذوف، والكتاب هنا القرآن أو السورة، واختار ابن عطية أن يراد به جنس الكتب المنزلة، وأما الكتاب الثاني فهو القرآن باتفاق.

﴿بِالْحَقِّ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون معناه متضمنا الحق.

والثاني: أن يكون معناه بالاستحقاق والوجوب.

﴿مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ أي لا يكون فيه شرك أكبر ولا أصغر وهو الرياء.

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ قيل: معناه من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص، ويحتمل أن يكون معناه إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره، ومعنى الخالص الصافي من شوائب الشرك، وقال قتادة(١) الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله، وقال الحسن(٢): هو الإسلام، وهذا أرجح لعمومه. ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يريد بالأولياء الشركاء المعبودين، ويحتمل أن يريد بالذين اتخذوا الكفار العابدين لهم، أو الشركاء المعبودين، والأول أظهر لأنه يحتاج على الثاني إلى حذف الضمير العائد على ﴿الَّذِينَ﴾ تقديره: الذين اتخذوهم، ويكون ضمير الفاعل في اتخذوا عائدا على غير مذكور، وارتفاع الذين على الوجهين بالابتداء، وخبره إما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أو المحذوف المقدر قبل قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾؛ لأن تقديره يقولون ما

---

(١) المحرر الوجيز: ٤/٥٨٨.

(٢) الكشاف: ٤/١١٣.

نعبدهم والأول أرجح؛ لأن المعنى به أكمل. ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ هذه الجملة في موضع معمول قول محذوف، والقول في موضع الحال أو في موضع بدل من صلة الذين، وقرأ ابن مسعود[1] قالوا ما نعبدهم بإظهار القول أي يقول الكفار ما نعبد هؤلاء الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده ويعني بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة أو الذين عبدوا الأصنام أو الذين عبدوا عيسى أو عزيرا فإن جميعهم قالوا هذه المقالة ومعنى زلفى قربى فهو مصدر من يقربونا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ إشارة إلى كذبهم في قولهم ليقربونا إلى الله وقوله: لا يهدي في تأويله وجهان:

أحدهما: لا يهديه في حال كفره.

والثاني: أن ذلك مختص بمن قضى عليه بالموت على الكفر، أعاذنا الله من ذلك، وهذا تأويل لا يهدي القوم الظالمين والكافرين حيثما وقع.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ الولد يكون على وجهين:

أحدهما: بالولادة الحقيقية وهذا محال على الله تعالى، لا يجوز في العقل.

والثاني: التبني بمعنى الاختصاص والتقريب كما يتخذ الإنسان ولد غيره ولدا لإفراط محبته له، وهذا ممتنع على الله بإخبار الشرع، فإن قوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ يعم نفي الوجهين، فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية: لو أراد الله أن يتخذ ولدا على وجه التبني، لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته، ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله، وقال الزمخشري: معناه لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك، ولكنه يصطفي من عباده من يشاء على وجه

---

(١) قال ابن عطية: وفي مصحف ابن مسعود: «قالوا ما نعبدهم» وهي قراءة ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير. المحرر الوجيز: ٤/٥٨٨.

الاختصاص والتقريب، لا على وجه اتخاذه ولدا، فاصطفى الملائكة وشرفهم بالتقريب، فحسب الكفار أنهم أولاده ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثا فأفرطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته.

﴿سُبْحَانَهُ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ نزه تعالى نفسه من اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد؛ لأن الوحدانية تنافي اتخاذ الولد لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه، ولا جنس له لأنه واحد، ووصف نفسه بالقهار ليدل على نفي الشركاء والأنداد؛ لأن كل شيء مقهور تحت قهره تعالى، فكيف يكون شريكا له؟ ثم أتبع ذلك بما ذكره من خلقه السموات والأرض وما بينهما ليدل على وحدانيته وقدرته وعظمته.

﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ التكوير اللف واللي، ومنه كور العمامة التي يلتوي بعضها على بعض، وهو هنا استعارة ومعناه على ما قال ابن عطية: يعيد من هذا على هذا، فكان الذي يطيل من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزءا فيستره، وكان الذي يقصر يدخل في الذي يطول فيستتر فيه، ويحتمل أن يكون المعنى أن كل واحد منهما يغلب الآخر إذا طرأ عليه، فشبه في ستره له بثوب يلف على الآخر. ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني حواء خلقها من ضلع آدم، فإن قيل: كيف عطف قوله: ثم جعل على خلقكم بثم التي تقتضي الترتيب والمهلة، ولا شك أن خلقة حواء كانت قبل خلقة بني آدم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: وهو المختار أن العطف إنما هو على معنى قوله: واحدة لا على خلقكم، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت واحدة، ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها.

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ
غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ
لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾
ربع • وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ
نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا
لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ
وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ
اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

الثاني: أن ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود.

الثالث: أنه يعني بقوله: خلقكم إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذر، وذلك كله كان قبل خلقه حواء.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ يعني المذكورة في الأنعام، من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، وسماها أزواجا؛ لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر، وأما أنزل ففيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها.

الثاني: أن معنى أنزل قضى وقسم، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه.

الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام، فعبر بإنزالها عن إنزال أرزاقها وهذا بعيد.

﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يعني أن الإنسان يكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، إلى أن يتم خلقه، ثم ينفخ فيه الروح. ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي: البطن، والرحم، والمشيمة، وقيل: صلب الأب والرحم والمشيمة، والأول أرجح لقوله: في بطون أمهاتكم، ولم يذكر الصلب.

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ أي لا يضره كفركم. ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ تأول الأشعرية هذه الآية على وجهين:

أحدهما: أن الرضا بمعنى الإرادة، ويعني بعباده من قضى الله له بالإيمان والوفاة عليه فهو كقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾.

والآخر: أن الرضا غير الإرادة، والعباد على هذا على العموم، أي لا يرضى الكفر لأحد من البشر، وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم فهو لم يرضه دينا ولا شرعا، وأراده وقوعا ووجودا، وأما المعتزلة: فإن الرضا عندهم بمعنى الإرادة، والعباد على العموم جريا على قاعدتهم في القدر وأفعال العباد.

﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ هذا عموم، والشكر الحقيقي يتضمن الإيمان. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ذكر في الإسراء.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ﴾ الآية يراد بالإنسان هنا الكافر بدليل قوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ والقصد بهذه الآية عتاب وإقامة حجة، فالعتاب على الكفر وترك دعاء الله، وإقامة الحجة على الإنسان بدعائه إلى الله في الشدائد.

فإن قيل: لم قال هنا وإذا مس بالواو، وقال بعدها: فإذا مس بالفاء؟ فالجواب: أن الذي بالفاء مسبب عن قوله: ﴿اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ فجاء بفاء السببية قاله الزمخشري، وهو بعيد. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ خوله أعطاه، والنعمة هنا يحتمل أن يريد بها كشف الضر المذكور، أو أي نعمة كانت. ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُواْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ يحتمل أن تكون ما مصدرية، أي نسي دعاءه، أو تكون بمعنى الذي والمراد بها الله تعالى.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ بتخفيف الميم على إدخال همزة الاستفهام على من، وقيل: هي همزة النداء، والأول أظهر، وقرئ[1] بتشديدها على إدخال أم على من ومن مبتدأ وخبره محذوف وهو المعادل للاستفهام تقديره أم من هو قانت كغيره وإنما

(١) ﴿أمن هو قانت﴾ قرأ ابن كثير ونافع وحمزة بتخفيف الميم، وقرأ الباقون بتشديدها. النشر: ٢/٤٠٣.

حذف لدلالة الكلام عليه وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده من قوله. ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ والقنوت هنا بمعنى الطاعة والصلاة بالليل وآناء الليل ساعاته.

﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية نزلت في جعفر[1] بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة ومعناها التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يحتمل أن يتعلق في هذه الدنيا بأحسنوا والمعنى الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة أو يتعلق بحسنة والحسنة على هذا حسن الحال والعافية في الدنيا والأول أرجح. ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ يراد بها البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها والمقصود من ذلك الحض على الهجرة. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هذا يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الصابر يوفى أجره ولا يحاسب على أعماله فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

والثاني: أن أجر الصابرين بغير حصر، بل أكثر من أن يحصر بعدد أو وزن، وهذا قول الجمهور.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ اللام هنا يجوز أن تكون زائدة أو للتعليل ويكون المفعول على هذا محذوفا، فإن قيل: كيف عطف أمرت على أمرت والمعنى واحد؟ فالجواب: أن الأول أمر بالعبادة والإخلاص، والثاني أمر بالسبق إلى الإسلام، فهما معنيان اثنان، وكذلك قوله: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ﴾ ليس تكرارا لقوله: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾؛ لأن الأول إخبار بأنه مأمور بالعبادة، والثاني إخبار بأنه يفعل العبادة، وقدم اسم الله تعالى للحصر واختصاص العبادة به وحده.

(١) لم أجده مسندا وذكره الثعالبي في تفسيره ٤/٥١.

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن
دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ
ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ
يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا
وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن
فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ
مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴿١٨﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ
﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ
ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

﴿فَاعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ هذا تهديد ومبالغة في الخذلان والتخلية لهم على ما هم عليه.

﴿ظُلَلٌ﴾ جمع ظلة بالضم وهو ما غشي من فوق كالسقف، فقوله: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ بين وأما ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ﴾ فسماه ظلة؛ لأنه سقف لمن تحتهم فإن جهنم طبقات، وقيل: سماه ظلة لأنه يلتهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُواْ الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ قيل: إنها نزلت[1] في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا، وقيل: نزلت في أبي ذر وسلمان وهذا ضعيف؛ لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة والآية مكية، والأظهر أنها عامة والطاغوت كل ما عبد من دون الله، وقيل: الشياطين. ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قيل: يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام، وقيل: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك،

---

(١) في جامع البيان: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا...﴾ الآيتين، حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو، وأبي ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسيّ، نزل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ في جاهليتهم ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ لا إله إلا الله، ﴿أولئك الذين هداهم الله﴾ بغير كتاب ولا نبي ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾. الطبري ٢١/٢٧٤.

وقيل: هو الذي يستمع حديثا فيه حسن وقبيح، فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه، وهذا قول ابن عباس[1] وهو الأظهر، وقال ابن عطية: هو عام في جميع الأقوال، والقصد: الثناء على هؤلاء ببصائر ونظر سديد يفرقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطإ فيتبعون الأحسن من ذلك، وقال الزمخشري: مثل هذا المعنى.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب ألنت تنقذه، فموضع من في النار موضع المضمر والهمزة في قوله: أفأنت هي الهمزة التي في قوله: أفمن وهي همزة الإنكار كررت للتأكيد.

والثاني: أن يكون التقدير: أفمن حق عليه كلمة العذاب تتأسف عليه، فحذف الخبر ثم استأنف قوله: أفأنت تنقذ من في النار، وعلى هذا يوقف على العذاب، والأول أرجح لعدم الإضمار.

﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ معنى سلكه أدخله وأجراه، والينابيع جمع ينبوع وهو العين، وفي هذا دليل على أن ماء العيون من المطر. ﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي أصنافه كالقمح والأرز والفول وغير ذلك، وقيل: ألوانه الخضرة والحمرة وشبه ذلك، وفي الوجهين دليل على الفاعل المختار، ورد على أهل الطبائع.

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ تقديره: أفمن شرح الله صدره كالقاسي قلبه، وروي: أن الذي شرح الله صدره للإسلام علي بن أبي طالب وحمزة والمراد بالقاسية قلوبهم: أبو لهب وأولاده واللفظ أعم من ذلك. ﴿مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال الزمخشري: من هنا سببية أي قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله وهذا المعنى بعيد، ويحتمل عندي أن يكون ﴿قَاسِيَةٍ﴾ تضمن معنى خالية، فلذلك تعدى بمن، والمعنى أن قلوبهم خالية من ذكر الله.

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٩٤.

أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ
لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ
نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ
ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾
كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ
﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا
الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن. ﴿كِتَابًا﴾ بدل من أحسن أو حال منه. ﴿مُّتَشَابِهًا﴾ معناه هنا أنه يشبه بعضه بعضا في الفصاحة والنطق بالحق وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف. ﴿مَّثَانِيَ﴾ جمع مثان، أي تثنى فيه القصص وتكرر، ويحتمل أن يكون مشتقا من الثناء لأنه يثنى فيه على الله، فإن قيل: مثاني جمع فكيف وصف به المفرد؟ فالجواب: أن القرآن ينقسم فيه إلى سور وآيات كثيرة فهو جمع بهذا الاعتبار، ويجوز أن يكون كقولهم: برمة أعشار[1]، وثوب أخلاق[2]، أو يكون تمييزا من متشابها كقولك: حسن شمائل. ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إن قيل: كيف تعدى تلين بإلى؟ فالجواب: أنه تضمن معنى فعل تعدى بإلى كأنه قال تميل أو تسكن أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله فإن قيل: لم ذكرت الجلود أولا وحدها ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: أنه لما قال أولا تقشعر ذكر الجلود وحدها لأن القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها ولما قال ثانيا تلين ذكر الجلود

(١) البرمة: هي قدر من حجر، وجمعها برم. والعرب تقول: بُرمة أعشار، أي متكسِّرة، ومنه قول امرئ القيس:

وما ذَرفت عيناكِ إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلبٍ مقتَّلِ

تهذيب اللغة للأزهري: ١/١٢٦.

(٢) قال ابن قتيبة: قال الكسائي: وإنما قالوا «ثَوْبٌ أَخْلاقٌ» أراد أن نَواحيه أخلاقٌ فلذلك جمع.

أدب الكاتب، ص: ١٣٢.

والقلوب لأن اللين توصف به الجلود والقلوب، أما لين القلوب فهو ضد قسوتها وأما لين الجلود فهو ضد قشعريرتها فاقشعرت أولا من الخوف ثم لانت بالرجاء. ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن، أو إلى الخشية واقشعرار الجلود.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ الخبر محذوف كما تقدم في نظائره تقديره: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب، ومعنى يتقي يلقى النار بوجهه ليكفها عن نفسه وذلك أن الإنسان إذا لقي شيئا من المخاوف استقبله بيديه وأيدي هؤلاء مغلولة فاتقوا النار بوجوههم. ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الحال أو بفعل مضمر على المدح. ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي ليس فيه تضاد ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر، وقيل: معناه غير مخلوق، وقيل: غير ذي لحن، فإن قيل: لم قال غير ذي عوج ولم يقل غير معوج؟ فالجواب: أن قوله غير ذي عوج أبلغ في نفي العوج عنه كأنه قال: ليس فيه شيء من العوج أصلا.

﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ أي متنازعون متظالمون، وقيل: متشاجرون وأصله من قولك: رجل شكس إذا كان ضيق الصدر، والمعنى ضرب هذا المثل لبيان حال من يشرك بالله ومن يوحده، فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه والمملوك بينهم في أسوإ حال، وشبه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد فمعنى قوله: ﴿سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أي خالصا له، وقرئ[1] سلما بغير ألف والمعنى واحد.

---

(١) ﴿ورجلا سلما﴾ قرأ ابن كثير والبصريان ﴿سالما﴾ بألف بعد السين وكسر اللام، وقرأ الباقون بغير ألف وفتح اللام. النشر: ٢/٤٠٣.

حزب

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ
جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣١) وَالَّذِي
جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٢) لَهُم
مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٣) لِيُكَفِّرَ
اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٤) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ
وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ
مِنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ
بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ (٣٥) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ
أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ
حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٦) قُلْ يَا قَوْمِ
اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٧)

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ في هذا وعد للنبي ﷺ ووعيد للكفار، فإنهم إذا ماتوا جميعا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلك من كان على الباطل، وفيه أيضا إخبار بأنه ﷺ سيموت لئلا يختلف الناس في موته كما اختلفت الأمم في غيره، وقد جاء أنه لما مات ﷺ أنكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] موته حتى احتج عليه أبو بكر الصديق بهذه الآية فرجع إليها.

﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ قيل: يعني الاختصام في الدماء وقيل في الحقوق والأظهر أنه اختصام النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له فيكون من تمام ما قبله، ويحتمل أن يكون على العموم في اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها.

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح ـ قال إسماعيل يعني بالعالية ـ فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، قال: بأبي أنت وأمي طبت حيا ميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقنك الله الموتتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾. وقال ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾. فنشج الناس يبكون... إلى آخر الحديث. البخاري الحديث رقم: (٣٤٦٧)، وغيره.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ المعنى لا أحد أظلم ممن كذب على الله، ويريد بالكذب على الله هنا ما نسبوا له من الشركاء والأولاد. ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ أي كذب بالإسلام والشريعة.

﴿وَالَّذِي جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ قيل: الذي جاء بالصدق النبي ﷺ، والذي صدق به أبو بكر، وقيل: الذي جاء بالصدق جبريل والذي صدق به محمد ﷺ، وقيل: الذي جاء بالصدق الأنبياء والذي صدق به المؤمنون، واختار ابن عطية أن يكون على العموم وجعل الذي للجنس، كأنه قال: الفريق الذي لأنه في مقابلة من كذب على الله وكذب بالصدق، والمراد به العموم.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ تقوية لقلب محمد ﷺ وإزالة للخوف الذي كان الكفار يخوفونه.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآية احتجاج على التوحيد، ورد على المشركين. ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِۦ﴾ الآية رد على المشركين وبرهان على الوحدانية وروي: أن سببها: أن المشركين خوفوا رسول الله ﷺ من آلهتم فنزلت الآية مبينة أنهم لا يقدرون على شيء، فإن قيل: كيف قال كاشفات وممسكات بالتأنيث؟ فالجواب: أنها لا تعقل فعاملها معاملة المؤنث، وأيضا ففي تأنيثها تحقير لها، وتهكم بمن عبدها.

﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديد ومسالمة منسوخة بالسيف. ﴿بِالْحَقِّ﴾ ذكر في أول السورة.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ هذه الآية اعتبار، ومعناها: أن الله يتوفى النفوس على وجهين:

أحدها: وفاة كاملة حقيقية وهي الموت.

إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ
فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٣٨﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي
مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٩﴾
• أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ
شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٠﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ
السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤١﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا
ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِۦ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٢﴾ قُلِ
اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ عَٰلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ
أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٤٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِۦ مِن سُوٓءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ
وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٤﴾

والآخر: وفاة النوم لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع، ومنه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِالَّيْلِ﴾ وتقديرها: ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها.

﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ أي يمسك الأنفس التي قضى عليها بالموت الحقيقي، ومعنى إمساكها أنه لا يردها إلى الدنيا. ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي يرسل الأنفس النائمة وإرسالها هو ردها إلى الدنيا، والأجل المسمى هو أجل الموت الحقيقي، وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق، والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه لقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ أم هنا بمعنى بل وهمزة الإنكار، والشفعاء هم الأصنام وغيرها لقولهم: ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَٰؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾. ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا﴾ دخلت همزة الاستفهام على واو الحال تقديره: يشفعون وهم لا يملكون شيئا ولا يعقلون.

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ أي هو مالكها فلا يشفع أحد إليه إلا بإذنه، وفي هذا رد على الكفار في قولهم: إن الأصنام تشفع لهم.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ الآية، معناها أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبون الإشراك به، ومعنى اشمأزت انقبضت من شدة الكراهة، وروي: أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم فألقى الشيطان في أمنيته حسبما ذكرنا

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۢ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا
أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا
كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا
كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا ربع
مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا
أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

في الحج، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزوا.

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ أي ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا يظنون لأنهم كانوا يظنون ظنونا كاذبة، قال الزمخشري: المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم، أي ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، وقيل: معناها عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات، وقال الحسن[(١)] ويل لأهل الرياء من هذه الآية، وهذا على أنها في المسلمين، والظاهر أنها في الكفار.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ معنى حاق حل ونزل وقال ابن عطية وغيره إن هذا على حذف مضاف تقديره: حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزؤون، ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف وهو أحسن ومعناه حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزؤون لأنهم كانوا في الدنيا يستهزؤون إذا خوفوا بعذاب الله ويقولون متى هذا الوعد.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يحتمل وجهين:

---

(١) لم أجده منسوبا للحسن وهو في كتب التفسير منسوب لسفيان الثوري المحرر الوجيز: ٤/٦٠٣، والجامع لأحكام القرآن: ١٥/٢٦٥، والكشاف: ٤/١٣٥، وتفسير الثعلبي: ٤/٦٠، والنسفي: ٤/٥٠.

أحدهما: وهو الأظهر أن يريد على علم مني بالمكاسب والمنافع.

والآخر: على علم الله باستحقاقي لذلك وإنما هنا تحتمل وجهين:

أحدهما: وهو الأظهر أن تكون ما كافة وعلى علم في موضع الحال.

والآخر: أن تكون ما اسم إن وعلى علم خبرها وإنما قال أوتيته بالضمير المذكر وهو عائد على النعمة للحمل على المعنى.

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ رد على الذي قال إنما أوتيته على علم.

﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني قارون وغيره.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ قال علي بن أبي طالب[١] وابن مسعود، هذه أرجى آية في القرآن، وروي: أن رسول الله ﷺ قال[٢]: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية» واختلف في سببها، فقيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة، وقيل: نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا ففتنوا فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم وهذا قول عمر بن الخطاب وقد كتب بها إلى هشام بن العاص،[٣] لما جرى له ذلك، وقيل: نزلت في قوم من أهل الجاهلية قالوا ما ينفعنا

(١) المحرر الوجيز: ٤/٦٠٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) قال ابن عباس: نزلت في أهل مكة قالوا: يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلهاً آخر وقتلنا النفس التي حرم الله فأنزل، وقال ابن عمر: نزلت هذه الآية في عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا وكنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوا به فنزلت هذه الآيات وكان عمر كاتباً فكتبها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وأولئك النفر فأسلموا وهاجروا...
أسباب النزول للواحدي، ص: ٢٧٨، ٢٧٩.

الإسلام وقد زنينا وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم، ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره.

وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم إن أراد بهم الكفار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله ﷺ[1]: «الإسلام يجب ما قبله» وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار، وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب غفر الله له ذنوبه وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، فالمغفرة المذكورة في هذه الآية: يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلموا، أو للعصاة إذا تابوا، أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة، والظاهر أنها نزلت في الكفار وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا، والدليل على أنها في الكفار ما ذكر بعدها إلى قوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ يعني اتبعوا القرآن وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض لأنه حسن كله، إنما المعنى: أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر ويجتنبوا ما فيه من النواهي، فالتفضيل الذي يقتضيه أحسن إنما هو في الاتباع، وقيل: يعني اتبعوا الناسخ دون المنسوخ، وهذا بعيد. ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ في موضع مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تقول نفس وإنما ذكر النفس لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفوس الكفار.

﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي في حق الله، وقيل: في أمر الله وأصله من الجنب بمعنى الجانب ثم استعير لهذا المعنى. ﴿ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أي المستهزئين.

(١) صحيح مسلم رقم: (١٢١) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه. وقال ابن كثير في تفسيره: وفي الصحيح أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «الإسلام يَجُبُّ ما قبله، والتوبة تجب ما كان قبلها» ٤/٥٥.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ
حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ
وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا
عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾
قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ
أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ
عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن
مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ • وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ
مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

﴿بَلَىٰ﴾ جواب للنفس التي حكى كلامها، ولا يجاوب ببلى إلا النفي وهي هنا جواب لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ لأنه في معنى النفي لأن لو حرف امتناع وتقرير الجواب بل قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب وقال ابن عطية: هي جواب لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ فإن معناه يقتضي أن العمر يتسع للنظر فقيل له: بلى على وجه الرد عليه والأول أليق بسياق الكلام؛ لأن قوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ تفسير لما تضمنته بلى.

﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ يحتمل أن يريد سواد اللون حقيقة أو يكون عبارة عن شدة الكرب.

﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أصله من الفوز والتقدير بسبب فوزهم وقيل: معناه بحسناتهم، وقيل: بفضائلهم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي قائم بتدبير كل شيء.

﴿مَقَالِيدُ﴾ مفاتيح، وقيل: خزائن واحدها مقليد، وقيل: إقليد، وقيل: لا واحد لها من لفظها وأصلها كلمة فارسية وقال عثمان[1] بن عفان: سألت رسول الله ﷺ عن مقاليد السموات والأرض فقال: هي لا إله إلا الله، والله أكبر،

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٢٥٤.

وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، فإن صح هذا الحديث فمعناه أن من قال هذه الكلمات صادقا مخلصا نال الخيرات والبركات من السموات والأرض؛ لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك فكأنها مفاتيح له. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، قال الزمخشري: إنها متصلة بقوله: ﴿وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾وما بينهما من الكلام اعتراض.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ منصوب بأعبد. ﴿تَأْمُرُونِّىٓ﴾ حذفت إحدى النونين تخفيفا وقرئ[(١)] بنونين على الأصل، وقرئ بإدغام إحدى النونين في الأخرى.

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ دليل على إحباط عمل المرتد مطلقا خلافا للشافعي في قوله لا يحبط عمله إلا إذا مات على الكفر فإن قيل: الموحى إليهم جماعة، والخطاب بقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ لواحد؟ فالجواب: أن المعنى: أنه أوحى إلى كل واحد منهم على حدته. فإن قيل: كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك؟ فالجواب: أن ذلك على وجه الفرض والتقدير، أي لو وقع منهم شرك لحبطت أعمالهم لكنهم لا يقع منهم شرك بسبب العصمة، ويحتمل أن يكون المراد غيرهم وخوطبوا هم ليدل المعنى على غيرهم بطريق الأولى.

﴿وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أي ما عظموه حق تعظيمه ولا وصفوه بما يجب له ولا نزهوه عما لا يليق به والضمير في قدروا لقريش وقيل لليهود. ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ المقصود بهذا تعظيم جلال الله والرد على الكفار الذين ما قدروا الله حق قدره ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات فقالت المتأولة: إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة، وقال ابن الطيب: إنها صفة زائدة على صفات الذات، وأما السلف الصالح

(١) ﴿تأمروني﴾ قرأ المدنيان بتخفيف النون، وقرأ ابن عامر بنونين خفيفتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، على خلاف عن ابن ذكوان، وقرأ الباقون بنون واحدة مشددة. النشر: ٢/٤٠٤.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن
شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾
وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ
﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا
فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى
ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ
مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

فسلموا علم ذلك إلى الله ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم حقيقته إلا الله، وقد قال ابن عباس[1]: ما معناه إن الأرض في قبضته، والسموات مطويات كل ذلك بيمينه، وقال ابن عمر[2]: ما معناه إن الأرض في قبضة اليد الواحدة، والسموات مطويات باليمين الأخرى، لأن كلتا يديه يمين.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل وهذه النفخة نفخة الصعق وهو الموت وقد قيل إن قبلها نفخة الفزع، ولم تذكر في هذه الآية. ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: يعني جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ثم يميتهم الله بعد ذلك وقيل استثناء الأنبياء، وقيل: الشهداء.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ هي نفخة القيام. ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ قيل: إنه من النظر، وقيل: من الانتظار أي ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني صحائف الأعمال، وإنما وحدها لأنه أراد الجنس، وقيل: هو اللوح المحفوظ ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليشهدوا على قومهم. ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ يحتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد في سبيل الله، والأول أرجح لأن فيه

(١) قال ابن جرير: وكان ابن عباس يقول: إنما يستعين بشماله المشغولة يمينه، وإنما الأرض والسموات كلها بيمينه، وليس في شماله شيء. الطبري في جامع البيان: ٣٢٥/٢١.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٣٢٨/٢١.

الوعيد معنى، ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين، والمراد على هذا أمة محمد ﷺ لأنهم يشهدون على الناس، وقيل: يعني الملائكة الحفظة. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق.

﴿زُمَرًا﴾ في الموضعين جمع زمرة وهي الجماعة من الناس، وقال رسول الله ﷺ[1]: «أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل». ﴿خَزَنَتُهَا﴾ جمع خازن حيث وقع. ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ يعني القضاء السابق بعذابهم.

﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ إنما قال في الجنة وفتحت أبوابها بالواو، وقال في النار فتحت بغير واو؛ لأن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل مجيء أهلها، والمعنى حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتوحة، فالواو واو الحال، وجواب إذا على هذا محذوف، وأما أبواب النار فإنها فتحت حين جاؤوها، فوقع قوله: ﴿فُتِحَتْ﴾ جواب الشرط، فكأنه بغير واو، وقال الكوفيون: الواو في أبواب الجنة واو الثمانية[2]؛ لأن أبواب الجنة ثمانية، وقيل: الواو زائدة وفتحت هو الجواب.

---

(١) في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ وَلاَ يَتْفُلُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ ـ الألنجوج عود الطيب ـ وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، أَخْلاَقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ». البخاري الحديث رقم: (٣١٤٩)، ومسلم الحديث رقم: (٧٣٢٨).

(٢) ذهب قوم إلى إثبات هذه الواو منهم ابن خالويه والحريري وجماعة من ضعفة النحويين، قالوا من خصائص كلام العرب إلحاق الواو في الثامن من العدد، و ذهب المحققون إلى أن الواو في ذلك إما عاطفة وإما واو الحال، ولم يثبتوا واو الثمانية، وأنكر الفارسي واو الثمانية لما ذكرها ابن خالويه، وقال ابن هشام: إن واو الثمانية لا حقيقة لها. مغني اللبيب ص ٨٥٩.

﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يعني أرض الجنة، والوراثة هنا استعارة، كأنهم ورثوا موضع من لم يدخل الجنة. ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ أي ننزل من الجنة حيث نشاء ونتخذه مسكنا.

﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ أي محدقين به دائرين حوله. ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول، ويحتمل هنا أن يكون للملائكة، والقضاء بينهم: توفية أجورهم على حسب منازلهم. ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكة، أو جميع الخلق، أو أهل الجنة، لقوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

❁❁ ❁❁ ❁❁

وَتَرَى الْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ
وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ
﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ
تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ
مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا
بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ
كَفَرُوٓا أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ
لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

سورة غافر

﴿حمٓ﴾ تقدم الكلام على حروف الهجاء، وتختص حم بأن معناها حم الأمر أي قضي، وقال ابن عباس[1]: الر، وحم، ون: هي حروف الرحمن. ﴿تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ﴾: ذكر في الزمر.

﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ أي ذي الفضل والإنعام، وقيل: الطول الغنى والسعة.

﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَٰدِ﴾ جعل لا يغررك بمعنى لا يحزنك ففيه تسلية للنبي ﷺ، ووعيد للكفار.

﴿وَالْأَحْزَابُ﴾ يراد بهم عاد وثمود وغيرهم. ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي ليقتلوه. ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي ليبطلوا به الحق.

﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي وجب قضاؤه.

﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ عطف على الذين يحملون. ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ إن قيل: ما فائدة قوله ويؤمنون به ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله يؤمنون بالله؟ فالجواب: أن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه، قال ذلك الزمخشري، وقال: إن فيه فائدة أخرى، وهي: أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق لا بالرؤية، وهذه نزعته إلى مذهب المعتزلة في استحالة رؤية الله. ﴿وَسِعْتَ

(١) الطبري في جامع البيان: ٢١/٣٤٥.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟
رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ
وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ
ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ
ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أصل الكلام وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، فالسعة في المعنى مسندة إلى الرحمة والعلم، وإنما أسندتا إلى الله تعالى في اللفظ لقصد المبالغة في وصف الله تعالى بهما، كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء[1].

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى: قهم السيئات نفسها بحيث لا يفعلونها، أو يكون المعنى قهم جزاء السيآت فلا تؤاخذهم بها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ المقت البغض الذي يوجبه ذنب أوعيب، وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم أي مقت بعضهم بعضا، ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم، فقوله: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ مصدر مضاف إلى الفاعل، وحذف المفعول لدلالة مفعول مقتكم عليه، وقوله: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ ظرف العامل فيه من طريق المعنى، ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو؛ لأن مقت الله مصدر، فلا يجوز أن يفصل بينه وبين بعض صلته، فيحتاج أن يقدر للظرف عامل، وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله: أنفسكم، والابتداء بالظرف وهذا ضعيف؛ لأن المراعى المعنى، وقد جعل الزمخشري مقت الله عاملا في

(١) الكشاف: ٤/١٥٥.

الظرف[١] ولم يعتبر الفصل.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ هذه الآية كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ فالموتة الأولى عبارة عن كونهم عدما، أو كونهم في الأصلاب، أو في الأرحام، والموتة الثانية: الموت المعروف، والحياة الأولى: حياة الدنيا، والحياة الثانية: حياة البعث في القيامة، وقيل: الحياة الأولى حياة الدنيا، والثانية الحياة في القبر، والموتة الأولى: الموت المعروف، والموتة الثانية: بعد حياة القبر، وهذا قول فاسد؛ لأنه لابد من الحياة للبعث، فتجيء الحياة ثلاث مرات، فإن قيل: كيف اتصال قولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين بما قبله؟ فالجواب: أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث، فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك فأقروا به حينئذ ليرضوا الله بإقرارهم حينئذ، فقولهم: أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين إقرار بالبعث على أكمل الوجوه، طمعا منهم أن يخرجوا عن المقت الذي مقتهم الله، إذ كانوا يدعون إلى الإسلام فيكفرون.

﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ الفاء هنا رابطة معناها التسبب، فإن قيل: كيف يكون قولهم: أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين سببا لاعترافهم بالذنوب؟ فالجواب: أنهم كانوا كافرين بالبعث، فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكرر عليهم، علموا أن الله قادر على البعث فاعترفوا بذنوبهم، وهي إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصي، فإن من لم يؤمن بالآخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصي.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ الباء سببية للتعليل، والإشارة بذلكم يحتمل أن تكون للعذاب الذي هم فيه، أو إلى مقت الله لهم أو مقتهم

---

(١) وممن منع ذلك أبو البقاء العكبري فقال: و﴿إذ﴾ ظرف لفعل محذوف تقديره: مقتكم إذ تدعون، ولا يجوز أن يعمل فيه مقت الله لأنه مصدر قد أخبر عنه، وهو قوله: ﴿أكبر من﴾ ولا مقتكم لأنهم لم يمقتوا أنفسهم حين دعوا إلى الإيمان، وإنما مقتوها في النار، وعند ذلك لا يدعون إلى الإيمان. إملاء ما من به الرحمن: ٢/٢١٧.

لأنفسهم، والأحسن أن تكون إشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام وذلك أنهم لما قالوا فهل إلى خروج من سبيل كأنهم قيل لهم: لا سبيل إلى الخروج، فالإشارة بقوله ذلكم إلى عدم خروجهم من النار.

﴿يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعني العلامات الدالة عليه من مخلوقاته ومعجزات رسله. ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ يعني المطر.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى مرتفع الدرجات فيكون بمعنى العالي، أو رافع درجات عباده في الجنة وفي الدنيا ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ يعني الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ يحتمل أن يريد الأمر الذي هو واحد الأمور، أو الأمر بالخبر فعلى الأول تكون من للتبعيض أو لابتداء الغاية، وعلى الثاني تكون لابتداء الغاية أو بمعنى الباء ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يعني يوم القيامة، وسمي بذلك؛ لأن الخلائق يلتقون فيه، وقيل: لأنه يلتقي فيه أهل السموات والأرض، وقيل: لأنه يلتقي الخلق مع ربهم، والفاعل في ينذر ضمير يعود على من يشاء، أو على الروح أو على الله.

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا من كلام الله تعالى تقريرا للخلق يوم القيامة، فيجيبونه ويقولون: لله الواحد القهار، وقيل: بل هو الذي يجيب نفسه لأن الخلق يسكتون هيبة له، وقيل: إن القائل لمن الملك اليوم ملك.

﴿يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾ يعني القيامة ومعناه القريبة ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ معناه أن القلوب قد صعدت من الصدور لشدة الخوف حتى بلغت الحناجر، فيحتمل أن يكون ذلك حقيقة أو مجازا عبر به عن شدة الخوف، والحناجر جمع حنجرة وهي الحلق. ﴿كَٰظِمِينَ﴾ أي محزونين حزنا شديدا، كقوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ وقيل: معناه يكظمون حزنهم أي يطمعون أن يخفوه والحال تغلبهم، وانتصابه على الحال من أصحاب القلوب؛ لأن معناه قلوب الناس، أو من المفعول في أنذرهم، أو من القلوب، وجمعها جمع المذكر لما وصفها بالكظم الذي هو من

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ
ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ﴿١٨﴾ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ
مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٩﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا
تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿٢٠﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢١﴾
ربع ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ
ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا
فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم
بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾

أفعال العقلاء.

﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي صديق مشفق. ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ يحتمل أن يكون نفي الشفاعة وطاعة الشفيع، أو نفي طاعة الشفيع خاصة، كقولك: ما جاءني رجل صالح، فنفيت الصلاح وإن كان قد جاءك رجل غير صالح، والأول أحسن لأن الكفار ليس لهم من يشفع فيهم.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ أي استراق النظر، والخائنة مصدر بمعنى الخيانة، أو وصف للنظرة، وهذا الكلام متصل بما تقدم من ذكر الله، واعتراض في أثناء ذلك بوصف القيامة، لما استطرد إليه من قوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾.

﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ حجة ظاهرة وهي المعجزات.

﴿قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ هذا القتل غير القتل الذي كانوا يقتلون أولاً قبل ميلاد موسى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ المعنى أنه لا يبالي بدعاء موسى لربه، ولا يخاف من ذلك إن قتله، ويظهر من قوله: ﴿ذَرُونِىٓ﴾ أنه كان في الناس من ينازعه في قتل موسى، وذلك يدل على أن فرعون كان قد اضطرب أمره بظهور معجزات موسى ﴿وَأَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ يعني فساد أحوالهم في

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ وَأَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ • وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

ثمن

الدنيا، وقرئ[1] وأن يظهر بالواو ويأو، ويظهر بفتح الياء ورفع الفساد على الفاعلية، وبضم الياء ونصب الفساد على المفعولية.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ﴾ الآية لما سمع موسى ما هم به فرعون من قتله استعاذ بالله، فعصمه الله منه، وقال ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ ليشمل فرعون وغيره، وليكون فيه وصف لغير فرعون بذلك الوصف القبيح.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: اسم هذا الرجل حبيب، وقيل: حزقيل، وقيل: شمعون بالشين المعجمة، وروي أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عم فرعون، فقوله: من آل فرعون صفة للمؤمن، وقيل: كان من بني إسرائيل، فقوله: من آل فرعون على هذا يتعلق بقوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ والأول أرجح لأنه لا يحتاج فيه إلى تقديم وتأخير، ولقوله ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا﴾ لأن هذا كلام قريب شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل هذا لكلام و﴿أَن يَقُولَ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: أتقتلونه من أجل أن يقول ربي الله ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي إن كان موسى كاذبا في دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه، فلأي شيء تقتلونه؟

---

(١) قال الداني: الكوفيون ﴿أو أن﴾ بزيادة ألف قبل الواو مع إسكان الواو، والباقون بفتح الواو من غير ألف، نافع وأبو عمرو وحفص ﴿يظهر﴾ بضم الياء وكسر الهاء في الأرض ﴿الفساد﴾ بالنصب والباقون بفتح الياء والهاء والفساد بالرفع. التيسير، ص: ١٢٤، وانظر النشر: ٢/٤٠٥.

فإن قيل: كيف قال: وإن يك كاذبا بعد أن كان قد آمن به؟ فالجواب: أنه لم يقل ذلك على وجه التكذيب له، وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير، وقصد بذلك المحاجة لقومه، فقسم أمر موسى إلى قسمين؛ ليقيم عليهم الحجة في ترك قتله على كل وجه من القسمين. ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ قيل: إن بعض هنا بمعنى كل وذلك بعيد، وإنما قال بعض ولم يقل كل مع أن الذي يصيبهم هو كل ما يعدهم ليلاطفهم في الكلام، ويبعد عن التعصب لموسى، ويظهر النصيحة لفرعون وقومه، فيرتجي إجابتهم للحق.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ءَامَنَ﴾ هو المؤمن المذكور أولا، وقيل: هو موسى عليه السلام وهذا بعيد، وإنما توهموا ذلك لأنه صرح هنا بالإيمان، وكان كلام المؤمن أولا غير صريح بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه، إذ كان يكتم إيمانه، والجواب أنه كتم إيمانه أول الأمر، ثم صرح به بعد ذلك وجاهرهم مجاهرة ظاهرة؛ لما وثق بالله حسبما حكى الله من كلامه إلى قوله ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ يعني يوم القيامة، وسمي بذلك لأن المنادي ينادي الناس وذلك قوله ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ﴾ وقيل: لأن بعضهم ينادي بعضا، أي ينادي أهل الجنة: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، وينادي أهل النار أن أفيضوا علينا من الماء.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ أي منطلقين إلى النار، وقيل: هاربين من النار ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ قيل: هو يوسف بن يعقوب، وقيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب، والبينات التي جاء بها يوسف لم تعين لنا، واختلف: هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله؟ لأن كل من ملك مصر يقال له فرعون.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى
شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ
اللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ
مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ اللَّهِ
بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ
جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ابْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ
الْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ السَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ
وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ
عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ
﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ
الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ
الْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا
مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ كلامهم هذا لا يدل على أنهم مؤمنون برسالة يوسف، وإنما مرادهم لم يأت أحد يدعي الرسالة بعد يوسف قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: إنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته.

﴿الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ بدل من مسرف مرتاب، وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد؛ لأنه في معنى الجمع، كأنه قال: كل مسرف ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ فاعل كبر مصدر يجادلون، وقال الزمخشري: الفاعل ضمير ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾.

﴿الْأَسْبَٰبَ﴾ الأسباب هنا الطرق، وقيل: الأبواب، وكررها للتفخيم وللبيان.

﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بالرفع[1] عطف على أبلغ وبالنصب بإضمار أن في جواب لعل؛ لأن الترجي غير واجب فهو كالتمني في انتصاب جوابه، ولا نقول إن لعل أشربت معنى ليت كما قال بعض النحاة. ﴿تَبَابٍ﴾ أي خسران.

﴿مَتَٰعٌ﴾ أي يتمتع به قليلا، فإن قيل: لم كرر المؤمن نداء قومه مرارا؟ فالجواب: أن ذلك لقصد التنبيه لهم وإظهار الملاطفة والنصيحة. فإن قيل: لم جاء بالواو في قوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾ في الثالث دون الثاني؟ فالجواب: أن الثاني بيان للأول وتفسير، فلم يصح عطفه عليه، بخلاف الثالث فإنه كلام آخر، فصح عطفه عليه

(١) ﴿فأطلع﴾ روى حفص بنصب العين، وقرأ الباقون برفعها. النشر: ٢/٤٠٥.

حزب

• وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى
ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ
لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا
فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ
وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ
سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ
﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ
يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ
ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ
حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي ليس لي علم بربوبيته، والمراد بنفي العلم نفي المعلوم، كأنه قال: وأشرك به ما ليس بإله، وإذا لم يكن إلها لم يصح علم ربوبيته.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لابد ولا شك. ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ قال ابن عطية: ليس له قدر ولا حق يجب أن يدعى إليه، كأنه قال: أتدعونني إلى عبادة ما لا خطر له في الدنيا ولا في الآخرة، ويحتمل اللفظ أن يكون معناه ليس له دعوة قائمة، أي لا يدعى أحد إلى عبادته.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ دليل على أن من فوض أمره إلى الله ﷻ كان الله معه.

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ النار بدل من سوء العذاب، أو مبتدأ أو خبر مبتدإ مضمر، وعرضهم عليها من حين موتهم إلى يوم القيامة، وذلك مدة البرزخ بدليل قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ واستدل أهل السنة بذلك على صحة ما ورد من عذاب القبر، وروي[1]: أن أرواحهم في أجواف طيور سود، تروح بهم وتغدو إلى النار ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قيل: معناه في كل غدوة وعشية من أيام الدنيا وقيل المعنى على تقدير ما بين الغدوة والعشية لأن الآخرة لا غدوة

(١) روى الطبري من طريق الثوري عن أبي قيس عن هزيل بن شرحبيل قال: أرواح آل فرعون في طيور سود تغدو وتروح على النار، فذلك عرضها، ووصله ابن أبي حاتم من طريق ليث عن أبي قيس، فذكر عبد الله بن مسعود فيه، وليث ضعيف. فتح الباري: ٣/٢٣٣.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝٥٠ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ۝٥٣ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٤ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ۝٥٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾

فيها ولا عشية.

﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ إن قيل: هلا قال الذين في النار لخزنتها فلم صرح باسمها؟ فالجواب: أن في ذكر جهنم تهويلا ليس في ذكر الضمير.

﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام خزنة جهنم فيكون متصلا بقوله فادعوا أو يكون من كلام الله تعالى استئنافا.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ قيل: إن هذا خاص فيمن أظهره الله على الكفار، وليس بعام لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكرياء ويحيى، والصحيح أنه عام والجواب: عما ذكروه أن زكرياء ويحيى لم يكونا من الرسل، إنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا بمرسلين، وإنما ضمن الله نصر الرسل خاصة لا نصر الأنبياء كلهم. ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ يعني يوم القيامة، والأشهاد جمع شاهد أو شهيد، ويحتمل أن يكون بمعنى الحضور أو الشهادة على الناس، أو الشهادة في سبيل الله، والأظهر أنه بمعنى الشهادة على الناس، لقوله: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾.

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ يحتمل أنهم لا يعتذرون أو يعتذرون، ولكن لا تنفعهم معذرتهم، والأول أرجح لقوله: ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ فنفى الاعتذار والانتفاع به.

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ يعني وعده لسيدنا محمد ﷺ بالنصر والظهور على

أعدائه الكفار. ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ قيل: العشي صلاة العصر، والإبكار صلاة الصبح، وقيل: العشي بعد العصر إلى الغروب، والإبكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ يعني كفار قريش. ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي تكبر وتعاظم يمنعهم من أن يتبعوك أو ينقادوا إليك، وقيل: كبرهم أنهم أرادوا النبوءة لأنفسهم ورأوا أنهم أحق بها، والأول أظهر لأن إرادتهم النبوءة لأنفسهم حسد، والأول هو الكبر. ﴿مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ أي لا يبلغون ما يقتضيه كبرهم من الظهور عليك، ومن نيل النبوءة. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي استعذ من شرهم لأنهم أعداء لك، واستعذ من مثل حالهم في الكبر والحسد، واستعذ بالله في جميع أمورك على الإطلاق.

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ الخلق هنا مصدر مضاف إلى المفعول، والمراد به الاستدلال على البعث؛ لأن الإله الذي خلق السموات والأرض على كبرها قادر على إعادة الأجسام بعد فنائها، وقيل: المراد توبيخ الكفار المتكبرين، كأنه قال: خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرهم؟ والأول أرجح لوروده في مواضع من القرآن، لأنه قال بعده: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ فقدم الدليل ثم ذكر المدلول.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الدعاء هنا هو الطلب والرغبة، وهذا وعد مقيد بالمشيئة، وهي موافقة القدر لمن أراد أن يستجيب له، وقيل: ادعوني هنا بمعنى اعبدوني بدليل قوله بعده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ وقوله ﷺ[1]: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا الآية، وأستجب لكم على هذا القول بمعنى

(١) أخرجه أبو داود الحديث ر قم: (١٢٦٤)، والترمذي الحديث رقم: (٢٨٩٥)، وابن ماجه الحديث ر قم: (٣٨١٨)، والمسند الحديث رقم: (١٧٦٢٩).

إِنَّ اَ۬لسَّاعَةَ ءَلَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ اَ۬لنَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ اُ۟دْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ
إِنَّ اَ۬لَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيُدْخَلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اُ۬للَّهُ اُ۬لَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اُ۬ليْلَ
لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اَ۬للَّهَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى اَ۬لنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ اَ۬لنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ اُ۬للَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ اُ۬لَّذِينَ كَانُواْ
بِـَٔايَٰتِ اِ۬للَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اُ۬للَّهُ اُ۬لَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اُ۬لْأَرْضَ
قَرَاراً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ
وَرَزَقَكُم مِّنَ اَ۬لطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ اُ۬للَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَٰرَكَ
اَ۬للَّهُ رَبُّ اُ۬لْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ اَ۬لْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ اُ۬لدِّينَ اَ۬لْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اِ۬لْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّيَ ربع
نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ اَ۬لَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اِ۬للَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ
اَ۬لْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّيَ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ اِ۬لْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

أغفر لكم أو أعطيكم أجوركم، والأول أظهر ويكون قوله: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ بمعني يستكبرون عن الرغبة إلي، كما قال ﷺ[1]: «من لم يسأل الله يغضب عليه» وأما قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[2] فمعناه أن الدعاء والرغبة إلى الله هي العبادة؛ لأن الدعاء يظهر فيه افتقار العبد وتضرعه إلى الله. ﴿دَاخِرِينَ﴾ أي صاغرين.

﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ ذكر في يونس.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ اَ۬لطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني المستلذات لأنه إذا جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام فيراد به المستلذات، وإذا جاء في معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال والحرام.

﴿اَ۬لْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اِ۬لْعَٰلَمِينَ﴾ هذا متصل بما قبله، قال ذلك ابن عطية والزمخشري، وتقديره: ادعوه مخلصين قائلين: الحمد لله رب العالمين، ولذلك قال ابن عباس[3]: «من قال لا إله إلا الله، فليقل الحمد لله رب العالمين» ويحتمل

---

(١) الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٣٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد الحديث رقم: (٦٥٨) قال الشيخ الألباني: حسن...

(٢) الترمذي الحديث رقم: (٢٩٦٩)، وأبو داود في سننه، الحديث رقم: (١٤٨١)، والنسائي في الكبرى: ٦/٤٥٠، والطبري في جامع البيان: ٢١/٤٠٧، وصححه الألباني.

(٣) رواه الطبري في جامع البيان بلفظ: «من قال لا إله إلا الله، فليقل على إثرها: الحمد لله ربّ العالمين...» جامع البيان: ٢١/٤١٠.

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ
ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟
شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ
ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ فِي ٱلْحَمِيمِ ﴿٧١﴾
ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تُشْرِكُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن
قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٣﴾ ذَٰلِكُم بِمَا
كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ
﴿٧٤﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٥﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ
بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٦﴾

أن يكون الحمد لله استئنافا.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أراد الجنس، ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ ذكر الأشد في سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، واللام تتعلق بفعل محذوف، تقديره: ثم يبقيكم لتبلغوا، وكذلك لتكونوا، وأما لتبلغوا أجلا مسمى فمتعلق بمحذوف آخر، تقديره: فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلا مسمى وهو الموت، أو يوم القيامة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ يعني كفار قريش، وقيل: هم أهل الأهواء كالقدرية وغيرهم، وهذا مردود بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ إلا إن جعلته منقطعا عما قبله، وذلك بعيد.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ العامل في إذ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ وجعل الظرف الماضي من الموضع المستقبل لتحقق الأمر. ﴿يُسْحَبُونَ فِي ٱلْحَمِيمِ﴾ أي يجرون، والحميم الماء الشديد الحرارة.

﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ هذا من قولك: سجرت التنور إذا ملأته بالنار، فالمعنى: أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور، ولذلك قال مجاهد[1] في تفسيره توقد بهم النار.

﴿تَمْرَحُونَ﴾ من المرح وهو الأشر والبطر وقيل: الفخر والخيلاء.

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٢١/٤١٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/٣٢٦٩.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ
بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ● اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ
وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ
تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ
﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا
فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾
فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ
وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا
قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ
﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ
الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ إن قيل: قياس النظم أن يقول: بئس مدخل الكافرين لأنه تقدم قبله ادخلوا؟ فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثوى.

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أصل إما نرينك إن نريك، ودخلت ما الزائدة بعد إن الشرطية، وجواب الشرط محذوف، تقديره: إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب قرت عينك بذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون فننتقم منهم أشد الانتقام.

﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ روي(١) عن النبي ﷺ أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول. وفي حديث آخر: أربعة آلاف وفي حديث أبي ذر: «إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، منهم الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر» فذكر الله بعضهم في القرآن فهم الذين قص عليه ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ قال الزمخشري: أمر الله القيامة، وقال ابن عطية: المعنى إذا أراد الله إرسال رسول قضي ذلك، ويحتمل أن يريد بأمر الله إهلاك المكذبين للرسل لقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ هنالك في الموضعين يراد به الوقت والزمان، وأصله ظرف مكان، ثم وضع موضع الزمان.

﴿الْأَنْعَامَ﴾ هي: الإبل والبقر والضأن والمعز، فقوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ يعني الإبل، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني اللحوم والمنافع: منها اللبن، والصوف، وغير ذلك

---

(١) كل هذه الآثار ذكر ابن عطية بدون ذكر أسانيد، المحرر الوجيز: ٤/٦٣٥.

﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ يعني قطع المسافة البعيدة وحمل الأثقال على الإبل و﴿تُحْمَلُونَ﴾ يريد الركوب عليها وإنما كرره بعد قوله: ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾؛ لأنه أراد الركوب الأول المتعارف في القرى والبلدان، وبالحمل عليها الأسفار البعيدة، قاله ابن عطية.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ هذا عموم بعد ما قدم من الآيات المخصوصة ولذلك ويخهم بقوله: ﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾.

﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الضمير يعود على الأمم المكذبين وفي تفسير علمهم وجوه:

أحدها: أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون.

والثاني: أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها.

والثالث: أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع.

وقيل: الضمير يعود على الرسل، أي فرحوا بما أعطاهم الله من العلم بالله وشرائعه، أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من يكذبهم، وأما الضمير في وحاق بهم فيعود على الكفار باتفاق، ولذلك ترجح أن يكون الضمير في فرحوا يعود عليهم ليتسق الكلام.

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ انتصب على المصدرية والله سبحانه أعلم.

❁❁ ❁❁ ❁❁

سُورَةُ فُصِّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا
تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ
إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا
إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ
كَٰفِرُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ
غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٧﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي (ربع)
يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ وَجَعَلَ فِيهَا
رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَٰتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً
لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٩﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١٠﴾

سورة حم السجدة

﴿فُصِّلَتْ﴾ أي بينت، وقيل: قطعت إلى سور وآيات. ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوب بفعل مضمر على التخصيص، أو حال أو مصدر. ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ معناه يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها، وذلك هو العلم الذي يوجب التكليف، وقيل: معناه يعلمون الحق والإيمان فالأول عام وهذا خاص والأول أولى لقوله: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين، وقيل: يعلمون لسان العرب فيفهمون القرآن إذ هو بلغتهم وقوله: ﴿لِّقَوْمٍ﴾ يتعلق بتنزيل أو فصلت، والأحسن أن يكون صفة لكتاب. ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي لا يقبلون ولا يطيعون، وعبر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة.

﴿فِي أَكِنَّةٍ﴾ جمع كنان، وهو الغطاء. ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ عبارة عن بعدهم عن الإسلام. ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ قيل: معناه اعمل على دينك إننا عاملون على ديننا، فهي متاركة، وقيل: اعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك، فهو تهديد.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هي زكاة المال، وإنما خصها بالذكر لصعوبتها على الناس، ولأنها من أركان الإسلام، وقيل: يعني بالزكاة التوحيد وهذا بعيد، وإنما حمله على ذلك لأن الآيات مكية لم تفرض الزكاة إلا بالمدينة، والجواب أن

المراد النفقة في طاعة الله مطلقا، وقد كانت مأمورا بها بمكة.

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي غير مقطوع، من قولك: مننت الحبل إذا قطعته، وقيل: غير منقوص، وقيل: غير محصور، وقيل: لا يمن عليهم به؛ لأن المن يكدر الإحسان.

﴿أَندَادًا﴾ أي أمثالا وأشباها من الأصنام وغيرها.

﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ أكثر خيرها. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي أرزاق أهلها ومعاشهم، وقيل: يعني أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التي بها قوام الأرض، والأول أظهر. ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يريد أن الأربعة كملت باليومين الأولين فخلق الأرض في يومين وجعل فيها ما ذكر في يومين، فتلك أربعة أيام، وخلق السموات في يومين فتلك ستة أيام حسبما ذكر في مواضع كثيرة، ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام، بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة. ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب مصدر، تقديره: استوت استواء قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: انتصب على الحال. ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ قيل: معناه لمن سأل عن أمرها، وقيل: معناه للطالبين لها، ويعني بالطلب على هذا حاجة الخلق إليها، وحرف الجر يتعلق بمحذوف على القول الأول، تقديره: يبين ذلك لمن سأل عنه ويتعلق بقدر على القول الثاني.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي قصد إليها ويقتضي هذا الترتيب أن الأرض خلقت قبل السماء، فإن قيل: كيف الجمع بين ذلك وبين قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا﴾؟ فالجواب: أنها خلقت قبل السماء، ثم دحيت بعد ذلك. ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ روي[1]: أنه كان العرش على الماء فأخرج إليه من الماء دخان فارتفع فوق الماء فأيبس الماء فصار أرضا، ثم خلق السموات من الدخان المرتفع ﴿فَقَالَ لَهَا

(١) لم أجده مسندا وهو يحتاج إلى نقل صحيح.

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ
أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ
صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَآءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ هذه عبارة عن لزوم طاعتهما كما يقول الملك لمن تحت يده: افعل كذا شئت أو أبيت، أي لا بد لك من فعله، وقيل: تقديره ائتيا طوعا وإلا أتيتما كرها، ومعنى هذا الإتيان تصويرهما على الكيفية التي أرادها الله، وقوله لهما: ائتيا مجاز وهو عبارة عن تكوينه لها وكذلك قولهما: أتينا طائعين عبارة عن أنهما لم يمتنعا عليه حين أراد تكوينهما، وقيل: بل ذلك حقيقة، وأنطق الله الأرض والسماء بقولهما: أتينا طائعين، وإنما جمع طائعين جمع العقلاء لوصفهما بأوصاف العقلاء.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ أي صنعهن والضمير للسموات السبع وانتصابها على التمييز تفسيرا للضمير، وأعاد عليها ضمير الجماعة المؤنثة؛ لأنها لا تعقل فهو كقولك: الجذوع انكسرت، وجمعهما جمع المذكر العاقل في قوله: ﴿طَآئِعِينَ﴾ لأنه وصفهما بالطوع وهو فعل العقلاء فعاملهما معاملتهم فهو كقولك: رأيتهم لي ساجدين، وأعاد ضمير التثنية في قوله: قالتا أتينا؛ لأنه جعل الأرض فرقة والسماء أخرى. ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ أي أوحى إلى سكانها من الملائكة وإليها نفسها ما شاء من الأمور التي بها قوامها وصلاحها، وأضاف الأمر إليها لأنه فيها. ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ يعني الشمس والقمر والنجوم وهي زينة للسماء الدنيا سواء كانت فيها أو فيما فوقها من السموات. ﴿وَحِفْظًا﴾ تقديره: وحفظناها حفظا ويجوز أن يكون مفعولا من أجله على المعنى، كأنه قال:

وخلقنا المصابيح زينة وحفظا.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ الضمير لقريش. ﴿صَاعِقَةً﴾ يعني واقعة واحدة شديدة، وهي مستعارة من صاعقة النار، وقرئ[1] صعقة بإسكان العين وهي الواقعة من قولك: صعق الرجل.

﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ معنى ما بين الأيدي المتقدم ومعنى ما خلف المتأخر، فمعنى الآية أن الرسل جاؤوهم في الزمان المتقدم واتصلت نذارتهم إلى زمان عاد وثمود حتى قامت عليهم الحجة بذلك، من بين أيديهم ثم جاءتهم رسل آخرون عند اكتمال أعمارهم فذلك من خلفهم قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: معناه أتوهم من كل جانب، فهو عبارة عن اجتهادهم في التبليغ إليهم، وقيل: أخبروهم بما أصاب من قبلهم فذلك ما بين أيديهم، وأنذروهم ما يجرى عليهم في الزمان المستقبل وفي الآخرة فذلك من خلفهم. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أن حرف عبارة وتفسير، أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا إلا الله. ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ ليس فيه اعتراف الكفار بالرسالة، وإنما معناه بما أرسلتم على قولكم ودعواكم، وفيه تهكم.

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قيل: إنه من الصر وهو شدة البرد، فمعناه باردة، وقيل: إنه من قولك: صرصر إذا صوت فمعناه لها صوت هائل.

﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ معناه من النحس وهو ضد السعد، وقيل: شديدة البرد وقيل متتابعة والأول أرجح، وروي: أنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ النخعي وأبو عبد الرحمن وابن محيصن ﴿صعقة مثل صعقة﴾ فأما هذه القراءة الأخيرة فبينة المعنى؛ لأن الصعقة الهلاك يكون معها في الأحيان قطعة نار، فشبهت هنا وقعة العذاب بها لأن عادا لم تعذب إلا بريح وإنما هذا تشبيه واستعارة، وبالوقيعة فسر هنا الصاعقة قاله قتادة وغيره. المحرر الوجيز: ٥/ ٨.

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَا
كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ
فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٣﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا
لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ
خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٤﴾
ربع • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٥﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ
اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
يَجْحَدُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ
الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٨﴾

وقرئ[1] نحسات بإسكان الحاء وكسرها، فأما الكسر فهو جمع نحس وهو صفة، وأما الإسكان فتخفيف من الكسر على وزن فعل، أو وصف بالمصدر.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي بينا لهم، فهو بمعنى البيان لا بمعنى الإرشاد.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يدفعون بعنف.

﴿وَجُلُودُهُم﴾ يعني الجلود المعروفة، وقيل: هو كناية عن الفروج، والأول أظهر.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآيات يحتمل أن تكون من كلام الجلود أو من كلام الله تعالى أو الملائكة، وفي معناه وجهان:

أحدهما: لم تقدروا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم لأنها ملازمة لكم، فلم يمكنكم احتراس من ذلك، فشهدت عليكم.

والآخر: لم تتحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم لأنكم لم تبالوا بشهادتها ولم تظنوا أنها تشهد عليكم، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون، وهذا أرجح لا تساق ما بعده معه، ولما جاء في الحديث الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: اجتمع ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي، قليل فقه قلوبهم، كثير شحم بطونهم، فتحدثوا بحديث، فقال أحدهم: أترى الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا، فقال الآخر: إن كان

(١) ﴿نحسات﴾ قرأ ابن جعفر وابن عامر والكوفيون بكسر الحاء، وقرأ الباقون بإسكانها النشر: ٢/٤٠٦.

يسمع منا شيئا فإنه يسمعه كله، فنزلت الآية[١].

﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي أهلككم من الردى بمعنى الهلاك.

﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ هو من العتب بمعنى الرضا، أي إن طلبوا العتبى ليس فيهم من يعطاها.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي يسرنا لهم قرناء سوء، من الشياطين وغواة الإنس. ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما بين أيديهم ما تقدم من أعمالهم، وما خلفهم ما هم عازمون عليه، أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا، وما خلفهم من أمر الآخرة، والتكذيب بها. ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي سبق عليهم القضاء بعذابهم. ﴿فِي أُمَمٍ﴾ أي في جملة أمم، وقيل: في بمعنى مع.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ روي: أن قائل هذه المقالة أبو جهل بن هشام لعنه الله. ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ المعنى لا تسمعوا إليه وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات وإنشاد الشعر وشبه ذلك، حتى لا يسمعه أحد، وقيل: معناه قعوا فيه وعيبوه.

﴿أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ يقولون هذا إذا دخلوا جهنم فقولهم مستقبل ذكر بلفظ الماضي لتحققه ومعنى اللذين أضلانا كل من أغوانا ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ وقيل: المراد ولد آدم الذي سن القتل، وإبليس الذي أمر بالكفر والعصيان، وهذا باطل لأن ولد آدم مؤمن عاص، وإنما طلب هؤلاء من أضلهم بالكفر. ﴿تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أي في أسفل طبقة من النار.

﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢] استقاموا على قولهم ربنا الله

---

(١) مسند ابن أبي شيبة الحديث رقم: (٢٥٥).

(٢) الطبري في جامع البيان: ٢١/٤٦٤.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي
كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ
إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَٰوَةٌ
كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
وَمَا يُلَقَّىٰهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
الشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا
لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن
كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾

فصح إيمانهم ودام توحيدهم، وقال عمر بن الخطاب[1] المعنى استقاموا على الطاعة وترك المعاصي، وقول عمر أكمل وأحوط، وقول أبي بكر أرجح؛ لما روى أنس[2] أن رسول صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال: قد قالها قوم ثم كفروا، فمن مات عليها فهو ممن استقام، وقال بعض الصوفية[3]: معنى استقاموا أعرضوا عما سوى الله، وهذه حالة الكمال، على أن اللفظ لا يقتضيه. ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني عند الموت.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ الضمير للآخرة. ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ أي ما تطلبون.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي لا أحد أحسن قولا منه، ويدخل في ذلك كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم، وقيل: المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: المؤذنون وهذا بعيد لأنها مكية وإنما شرع الأذان بالمدينة، ولكن المؤذنين يدخلون في العموم.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَا﴾ الضمير يعود على الخلق الجميل، الذي يتضمنه قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي حظ من العقل والفضل، وقيل: حظ عظيم في الجنة.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ إن شرطية دخلت عليها ما الزائدة، ونزغ الشيطان: وساوسه

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/١٤.

(٢) ابن كثير: ٧/١٧٥.

(٣) قال الشوكاني: وقال الربيع: أعرضوا عما سوى الله. فتح القدير: ٤/٧٣٣.

وأمره بالسوء.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر؛ لأن جماعة مالا يعقل كجماعة المؤنث، أو كالواحدة المؤنثة، وقيل: إنما يعود على الشمس والقمر، وجمعهما لأن الاثنين جمع، وهذا بعيد.

﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ الملائكة. ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ أي لا يملون.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ ءَاعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

﴿ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ عبارة عن قلة النبات. ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ ذكر في الحج. ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ تمثيل واحتجاج على صحة البعث.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي يطعنون عليها وهذا الإلحاد هو بالتكذيب وقيل: باللغو فيه، حسبما تقدم في السورة. ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ﴾ الآية، قيل: إن المراد بالذي يلقى في النار أبو جهل، وبالذي يأتي آمنا عثمان بن عفان، وقيل: عمار بن ياسر، واللفظ أعم من ذلك ﴿ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ تهديد لا إباحة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِٱلذِّكْرِ﴾ الذكر هنا القرآن باتفاق، وخبر إن محذوف، تقديره: ضلوا أو هلكوا، وقيل: خبرها ﴿أُولَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ وذلك بعيد. ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ أي كريم على الله، وقيل: منيع من الشيطان.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي ليس فيما تقدمه ما يبطله، ولا يأتي بعده ما يبطله، والمراد على الجملة أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: ما يقول الله لك من الوحي والشرائع إلا مثل ما قال للرسل من قبلك.

والآخر: ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا مثل ما قالت الأمم المتقدمون لرسلهم، فالمراد على هذا تسلية النبي ﷺ بالتأسي، والمراد على القول الأول أنه عليه الصلاة والسلام أتى بما جاءت به الرسل فلا تنكر رسالته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ يحتمل أن يكون مستأنفا أو يكون هو المقول في الآية المتقدمة وذلك على القول الأول، وأما على القول الثاني فهو مستأنف منقطع مما قبله.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ الأعجمي الذي لا يفصح ولا يبين كلامه سواء كان من العرب أو من العجم، والعجمي الذي ليس من العرب فصيحا كان أو غير فصيح، ونزلت الآية بسبب طعن قريش في القرآن، فالمعنى: أنه لو كان أعجميا لطعنوا فيه، وقالوا: هلا كان مبينا، فظهر أنهم يطعنون فيه على أي وجه كان. ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ هذا من تمام كلامهم والهمزة للإنكار، والمعنى أنه لو كان القرآن أعجميا لقالوا قرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي، وقيل: إنما طعنوا فيه لما فيه من الكلمات العجمية كسجين وإستبرق، فقالوا قرآن أعجمي وعربي أي مختلط من كلام العرب والعجم، وهذا يجري على قراءة أعجمي بفتح العين[1]. ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ عبارة عن إعراضهم عن القرآن، فكأنهم صم لا يسمعون وكذلك. ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ عبارة عن قلة فهمهم له. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: عبارة عن قلة فهمهم فشبههم بمن ينادي من مكان بعيد فهو لا يسمع الصوت ولا يفقه ما يقال.

(١) قال ابن الجزري ﴿أعجمي وعربي﴾ في فصلت رواه بهمزة واحدة على الخبر قنبل، وهشام، ورويس، باختلاف عنهم. النشر: ١/٤١٤.

والثاني: أنه حقيقة في يوم القيامة أي ينادون من مكان بعيد ليسمعوا أهل الموقف توبيخهم، والأول أليق بالكنايات التي قبلها.

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القدر. ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي علم زمان وقوعها، فإذا سئل أحد عن ذلك قال: الله هو الذي يعلمها. ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ جمع كم بكسر الكاف، وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِي﴾ العامل في يوم محذوف، والمراد به يوم القيامة، والضمير للمشركين، وقوله: أين شركائي توبيخ لهم، وأضاف الشركاء إلى نفسه على زعم المشركين، كأنه قال: الشركاء الذين جعلتم لي. ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ المعنى أنهم قالوا أعلمناك ما منا من يشهد اليوم بأن لك شريكا؛ لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي ضل عنهم شركاؤهم بمعنى أنهم لا يرونهم حينئذ، فما على هذا موصولة، أو ضل عنهم قولهم الذي كانوا يقولون من الشرك، فما على هذا مصدرية. ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين، والمحيص المهرب، أي علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب، وقيل: يوقف على ظنوا ويكون ما لهم استئنافا، وذلك ضعيف.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي لا يمل من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة، وقيل: في غيره من الكفار، واللفظ أعم من ذلك.

﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أي هذا حقي الواجب لي وليس تفضلا من الله، ولا يقول هذا إلا كافر، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ وقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ معناه إن بعثت تكون لي الجنة وهذا تخرص وتكبر، وروي: أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ ذكر في الإسراء. ﴿دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ أي كثير وذكر الله هذه

حزب

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
أَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ
(٤٨) لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ
قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا
عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا
عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو
دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ
كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢)
سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ
الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا
إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (٥٤)﴾

الأخلاق على وجه الذم لها.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ الآية معناها أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به ألستم في شقاق بعيد، فوضع قوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ موضع الخطاب لهم.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ الضمير لقريش، وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الآيات في الآفاق هي فتح الأقطار للمسلمين، والآيات في أنفسهم هي فتح مكة فجمع ذلك وعدا للمسلمين بالظهور، وتهديدا للكفار واحتجاجا عليهم بظهور الحق وخمول الباطل.

والثاني: أن الآيات في الآفاق هي ما أصاب الأمم المتقدمة من الهلاك وفي أنفسهم يوم بدر.

الثالث: أن الآيات في الآفاق هي خلقه السماء وما فيها من العبر والآيات، وفي أنفسهم خلقه بني آدم وهذا ضعيف؛ لأنه قال سنريهم بسين الاستقبال وقد كانت السموات وخلقة السماء مرئية، والأول هو الراجح.

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير للقرآن أو للإسلام.

﴿مُّحِيطٌ﴾ أي محيط بعلمه وقدرته وسلطانه.

*** *** ***

سورة الشورى

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ عٓسٓقٓ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ
ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ
أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ
أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٤﴾
وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ
حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي
ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن
يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٦﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٧﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨﴾

﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبما تقدم في سورة البقرة، وقد حكى الطبري أن رجلا سأل ابن عباس عن حم عسق فأعرض عنه، فقال حذيفة: إنما كرهها ابن عباس لأنها نزلت في رجل من أهل بيته اسمه عبد الله، يبني مدينة على نهر من أنهار المشرق، ثم يخسف الله بها في آخر الزمان، والرجل على هذا أبو جعفر المنصور والمدينة بغداد وقد ورد في الحديث أنها يخسف بها[(١)].

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، والإشارة بذلك إلى ما تضمنه القرآن أو السورة، وقيل: الإشارة لقوله حم عسق فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كل كتاب أنزله، وفي صحة هذا نظر.

﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ اسم الله فاعل بيوحي، وأما على قراءة يوحى[(٢)]

(١) الحديث أخرجه علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي ت: ٩٦٥هـ ولفظه: «تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجيء إليها خزائن الأمصار وجبابرتها، يخسف بها وبمن فيها، فلهي أسرع ذهابا في الأرض من وتد الحديد في الأرض الرخوة». الخطيب ووهاه عن جرير، الخطيب ـ عن أنس، وقال: ليس بمحفوظ. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. ٢٧٩/١٤ الحديث رقم: (٣٨٧٢٤).

(٢) ﴿يوحي إليك﴾ قرأ ابن كثير بفتح الحاء على التجهيل، وقرأ الباقون بكسرها على التسمية. النشر: ٤٠٧/٢.

بالفتح فهو فاعل بفعل مضمر دل عليه يوحى، كأن قائلا قال: من الذي أوحى؟ فقيل: الله.

﴿يَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ أي يتشققن من خوف الله وعظيم جلاله وقيل: من قول الكفار: اتخذا الله ولدا، فهي كالآية التي في مريم، قال ابن عطية: وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه مردود؛ لأن الله تعالى لا يوصف به.

﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ الضمير للسموات، والمعنى يتشققن من أعلاهن وذلك مبالغة في التهويل، وقيل: الضمير للأرضين وهذا بعيد، وقيل: الضمير للكفار كأنه قال: من فوق الجماعات الكافرة التي من أجل أقوالها تكاد السموات يتفطرن، وهذا أيضا بعيد.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ عموم يراد به الخصوص؛ لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض، فهي كقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وقيل: إن يستغفرون للذين آمنوا نسخ هذه الآية، وهذا باطل لأن النسخ لا يدخل في الأخبار، ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلب الحلم عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم، ومعناه الإمهال لهم، وأن لا يعاجلوا بالعقوبة فيكون عاما، فإن قيل: ما وجه اتصال قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾ الآية بما قبلها؟ فالجواب: أنا إن فسرنا تفطر السموات بأنه من عظمة الله فإنه يكون تسبيح الملائكة أيضا تعظيما له فينتظم الكلام، وإن فسرنا تفطرها بأنه من كفر بني آدم فيكون تسبيح الملائكة تنزيها لله تعالى عن كفر بني آدم وعن أقوالهم القبيحة.

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ والمراد أهلها ولذلك عطف عليه من حولها يعني من الناس.

﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ يعني يوم القيامة وسمي بذلك لأن الخلائق يجتمعون فيه.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟﴾ أم منقطعة والأولياء هنا المعبودون من دون الله.

﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ
لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا
تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا
إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ
الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ
آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ
اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

ربع

إلى الله، بأن يعاقب المبطل ويثيب المحق، أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبي ﷺ، كقوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني الإناث.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ يحتمل أن يريد الإناث أو الأصناف.

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ معنى يذرؤكم يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن، وقيل: يكثركم، والضمير المجرور يعود على الجعل الذي يتضمنه قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم﴾ وهذا كما تقول: كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه، وقيل: الضمير للتزويج الذي دل عليه قوله: ﴿أَزْوَاجًا﴾ وقال الزمخشري: تقديره: يذرؤكم في هذا التدبير وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا، والضمير في يذرؤكم خطاب للناس والأنعام غلب فيه العقلاء على غيرهم، فإن قيل: لم قال يذرؤكم فيه وهلا قال يذرؤكم به؟ فالجواب: أن هذا التدبير جعل كالمنبع والمعدن للبث والتكثير قاله الزمخشري.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين، قال كثير من الناس: الكاف زائدة للتأكيد والمعنى ليس مثله شيء، وقال الطبري[1] وغيره:

---

(١) قال ابن جرير: وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيداً للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد، كما قيل:
ما إن نديت بشيء أنت تكرهه فأدخل على «ما» وهي حرف جحد «إن» وهي أيضًا حرف جحد،=

ليست بزائدة ولكن وضع مثله موضع هو، والمعنى: ليس كهو شيء قال الزمخشري: وهذا كما تقول: مثلك لا يبخل، والمراد: أنت لا تبخل، فنفي البخل عن مثله، والمراد نفيه عن ذاته.

﴿مَقَالِيدُ﴾ قد ذكر.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ اتفق دين سيدنا محمد ﷺ مع جميع الأنبياء في أصول الاعتقادات وذلك هو المراد هنا ولذلك فسره بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ يعني إقامة الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة، وأما الأحكام الفروعية فاختلفت فيها الشرائع فليست تراد هنا.

﴿أَنْ أَقِيمُواْ﴾ يحتمل أن تكون أن في موضع نصب بدلا من قوله: ﴿مَا وَصَّىٰ﴾ أو في موضع خفض بدلا من به أو في موضع رفع على خبر ابتداء مضمر، أو تكون مفسرة لا موضع لها من الإعراب.

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي صعب الإسلام على المشركين.

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ الضمير في إليه يعود على الله تعالى، وقيل: على الدين.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ يعني أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم.

= لاختلاف اللفظ بهما، وإن اتفق معناهما توكيدا للكلام، وكما قال أوس بن حجر:

وَقَتْلَى كمِثْلِ جذُوعِ النَّخيلِ   تَغَشَّاهُمُ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ

ومعنى ذلك: كجذوع النخيل.

والآخر: أن يكون معناه: ليس مثل شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام، كقول الراجز:

* وَصَالِياتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنِ *

الطبري في جامع البيان: ٢١/٥٠٧.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ يعني القضاء السابق بأن لا يفصل بينهم في الدنيا.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ يعني المعاصرين لسيدنا محمد ﷺ من اليهود والنصارى، وقيل: يعني العرب، والكتاب على هذا القرآن.

﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ الضمير للكتاب أو للدين أو لسيدنا محمد ﷺ.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ﴾ أي إلى ذلك الذي شرع الله فادع الناس فاللام بمعنى إلى والإشارة بذلك إلى قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾ أو إلى قوله: ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ وقيل: إن اللام بمعنى أجل والإشارة إلى التفرق والاختلاف أي لأجل ما حدث من التفرق ادع إلى الله وعلى هذا يكون قوله واستقم معطوفا وعلى الأول يكون مستأنفا فيوقف على فادع واستقم.

﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي دم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الضمير للكفار، وأهواؤهم ما كانوا يحبون من الكفر والباطل كله.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ قيل: يعني العدل في الأحكام إذا تخاصموا إليه، ويحتمل أن يريد العدل في دعائهم إلى دين الإسلام، أي أمرت أن أحملكم على الحق.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي لا جدال ولا مناظرة، فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ أي يجادلون المؤمنين في دين الله، ويعني كفار قريش، وقيل: اليهود ﴿مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ الضمير يعود على الله أي من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه، وقيل: يعود على الدين، وقيل: على محمد ﷺ، والأول أظهر وأحسن.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾
اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ
وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا
لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾
تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ
لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي زاهقة باطلة.

﴿أَنزَلَ الْكِتَابَ﴾ يعني جنس الكتاب.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالواجب أو متضمنا الحق.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾ قال ابن عباس[1] وغيره يعني العدل، ومعنى إنزال العدل إنزال الأمر به في الكتب المنزلة، وقيل: يعني الميزان المعروف، فإن قيل: ما وجه اتصال ذكر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟ فالجواب: أن الساعة يوم الجزاء والحساب، فكأنه قال: اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذي تحاسبون فيه على أعمالكم.

﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ جاء قريب بالتذكير؛ لأن تأنيث الساعة غير حقيقي ولأن المراد به وقت الساعة.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ أي يطلبون تعجيلها استهزاء بها وتعجيزا للمؤمنين.

﴿يُمَارُونَ﴾ أي يجادلون ويخالفون.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ يعني الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان في قوله: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي ما تقوم به الحياة فإن هذا على العموم لكل حيوان طول عمره، والزائد خاص بمن شاء الله.

﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ عبارة عن العمل لها، وكذلك حرث الدنيا وهو مستعار من

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/ ٢٨.

حرث الأرض لأن الحراث يعمل وينتظر المنفعة بما عمل.

﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ عبارة عن تضعيف الثواب.

﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ أي نؤته منها ما قدر له؛ لأن كل أحد لا بد أن يصل إلى ما قسم له.

﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ هذا للكفار أو لمن كان يريد الدنيا خاصة، ولا رغبة له في الآخرة.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾ أم منقطعة للإنكار والتوبيخ، والشركاء الأصنام وغيرها، وقيل: الشياطين.

﴿شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ الضمير في شرعوا للشركاء، وفي لهم للكفار، وقيل: بالعكس والأول أظهر، ولم يأذن بمعنى لم يأمر والمراد بما شرعوا من البواطل في الاعتقادات، وفي الأعمال، كالبحيرة، والوصيلة، وغير ذلك.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي لولا القضاء السابق بأن لا يقضى بينهم في الدنيا لقضى بينهم فيها.

﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ يعني في الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ تقديره: يبشر به، وحذف الجار والمجرور.

﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أن القربى بمعنى القرابة وفي بمعنى من أجل، والمعنى لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم، فالمقصد على هذا استعطاف قريش، ولم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة.

ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ
حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢١﴾ أَمْ يَقُولُونَ
افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ
الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٢﴾
وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ
مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٤﴾ وَلَوْ
بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا
يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن
بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ
آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ
عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٢٨﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٩﴾

الثاني: أن القربى بمعنى الأقارب أو ذوي القربى، والمعنى: إلا أن تودوا أقاربي وتحفظوني فيهم، والمقصد على هذا وصية بأهل البيت.

الثالث: أن القربى قرابة الناس بعضهم من بعض والمعنى أن تودوا أقاربكم والمقصود على هذا وصية بصلة الأرحام.

الرابع: أن القربى التقرب إلى الله، والمعنى: إلا أن تتقربوا إلى الله بطاعته، والاستثناء على القول الثالث والرابع منقطع، وأما على الأول والثاني، فيحتمل الانقطاع؛ لأن المودة ليست بأجر، ويحتمل الاتصال على المجاز كأنه قال: لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة، فجعل المودة كالأجر.

﴿يَقْتَرِفْ﴾ أي يكتسب.

﴿نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ يعني مضاعفة الثواب.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أم منقطعة للإنكار والتوبيخ.

﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ فالمقصد بهذا قولان:

أحدهما: أنه رد على الكفار في قولهم: أفترى على الله كذبا، أي لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك، ولكنك لم تفتر على الله كذبا فقد هداك وسددك.

والآخر: أن المراد إن يشإ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار وتحمل أذاهم.

﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ هذا فعل مستأنف غير معطوف على ما قبله؛ لأن الذي قبله مجزوم، وهذا مرفوع فيوقف على ما قبله ويبدأ به، وفي المراد به وجهان:

أحدهما: أنه من تمام ما قبله، أي لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك، ومحا الباطل الذي كنت تفتريه لو افتريت.

والآخر: أنه وعد لرسول الله ﷺ بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر، ويحق الحق وهو الإسلام.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ عن هنا بمعنى من، وكأنه قال: التوبة الصادرة من عباده، وقبول التوبة على ثلاثة أوجه:

أحدها: التوبة من الكفر فهي مقبولة قطعا.

والثاني: التوبة من مظالم العباد فهي غير مقبولة حتى ترد المظالم، أو يستحل منها.

والثالث: التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله، فالصحيح أنها مقبولة بدليل هذه الآية، وقيل: إنها في المشيئة.

﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ العفو مع التوبة على حسب ما ذكرنا، وأما العفو دون التوبة فهو على أربعة أقسام:

الأول: العفو عن الكفر، وهو لا يكون أصلا.

والثاني: العفو عن مظالم العباد، وهو كذلك.

والثالث: العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر، وهو حاصل باتفاق.

والرابع: العفو عن الكبائر فمذهب أهل السنة في المشيئة، ومذهب المعتزلة أنها لا تغفر إلا بالتوبة.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معنى يستجيب يجيب، والذين آمنوا مفعول والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي يجيبهم فيما يطلبون منه، وقال الزمخشري: أي أصله يستجيب للذين آمنوا، فحذف اللام.

والثاني: أن معناه يجيب والذين آمنوا فاعل أي يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دينه.

والثالث: أن معناه يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم، واستفعل على هذا على بابه من الطلب، والأول أرجح لدلالة قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ ولأنه قول ابن عباس، ومعاذ بن جبل[١].

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي يزيدهم ما لا يطلبون زيادة على الاستجابة فيما طلبوا، وهذه الزيادة روي عن النبي ﷺ أنها الشفاعة والرضوان.

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي بغى بعضهم على بعض وطغوا لأن الغنى يوجب الطغيان، وقال بعض الصحابة: فينا نزلت لأنا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنيناها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ قيل لعمر رضي الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال: الآن يمطرون، وأخذ ذلك من هذه الآية ومنه قوله ﷺ: «اشتدي أزمة تنفرجي»[٢].

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ قيل: يعني المطر فهو تكرار للمعنى الأول بلفظ آخر،

(١) انظر الطبري في جامع البيان: ٢١/٥٣٤.

(٢) أخرجه القضاعي (١/٤٣٦، رقم: ٧٤٨)، والديلمي (١/٤٢٦، رقم: ١٧٣١) قال العجلوني: (١/١٤١) رواه العسكري والديلمي والقضاعي بسند فيه كذاب. والحديث موضوع، كما قال الحافظ أحمد الغماري في المغير (ص: ٢١).

وقيل: يعني الشمس، وقيل: بالعموم.

﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ لا إشكال لأن الدواب في الأرض، وأما في السماء فقيل: يعني الملائكة، وقيل: يمكن أن تكون في السماء دواب لا نعلمها نحن، وقيل: المعنى أنه بث في أحدهما فذكر الاثنين كما تقول في بني فلان كذا، وإنما هو في بعضهم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ يريد جمع الخلق في الحشر يوم القيامة.

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ المعنى أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب قال رسول الله ﷺ[1]: «لا يصيب ابن آدم خدش عود، أو عثرة قدم، ولا اختلاج عرق، إلا بذنب، وما يعفوا الله عنه أكثر» وقرئ[2] بما كسبت بغير فاء على أن يكون ما أصابكم بمعنى الذي وقرئ بالفاء على أن يكون ما أصابكم شرطا.

﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ قد ذكر.

﴿الْجَوَارِ﴾ جمع جارية وهي السفينة.

﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ جمع علم وهو الجبل.

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾ الضمير في يظللن للجواري وفي ظهره للبحر، أي لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر

---

(١) قال قتادة في تفسير قوله: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: لا يصيب ابن آدم خدش عود و لا عثرة قدم و لا اختلاج عرق إلا بذنب و ما يعفو الله عنه أكثر) البيهقي في شعب الإيمان الحديث رقم: (٩٨١٥) والطبري في جامع البيان ٢١/٥٣٩.

(٢) ﴿بما كسبت﴾ قرأ المدنيان وابن عامر ﴿بما﴾ بغير فاء قبل الباء وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام. وقرأ الباقون بالفاء ﴿فبما كسبت﴾ وكذلك هي في مصاحفهم. النشر: ٢/٤٠٧.

ربع وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ٣٣ • أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ٣٤
وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ٣٥ فَمَآ
أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ٣٧
وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ
وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ
هُمْ يَنتَصِرُونَ ٣٩ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ • وَلَمَنِ
ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ
عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٢ • وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ
ٱلْأُمُورِ ٤٣ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَتَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ٤٤

فالمقصود تعديد النعمة في إرسال الرياح أو تهديد بإسكانه.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ عطف على يسكن الريح ومعنى يوبقهن يهلكهن بالغرق من شدة الرياح العاصفة والضمير فيه للسفن وفي كسبوا لركابها من الناس والمعنى أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي يعلمون أنه لا مهرب لهم من الله، وقرئ[1] يعلم بالرفع على الاستئناف وبالنصب واختلف في إعرابه على قولين:

أحدهما: أنه نصب بإضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط والجزاء لأنه غير واجب وأنكر ذلك الزمخشري، وقال: إنه شاذ فلا ينبغي أن يحمل القرآن عليه.

والثاني: قول الزمخشري إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره: لينتقم منهم ويعلم قال ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف في القرآن كثير، ومنه قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾.

﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في النساء، وقيل: كبائر الإثم هو الشرك، والفواحش: هي الزنا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ قيل: يعني الأنصار لأنهم استجابوا لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، ويظهر لي أن هذه الآية إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين

(١) ﴿ويعلم الذين﴾ قرأ ابن عامر والمدنيان برفع الميم، وقرأ الباقون بنصبها. النشر المصدر السابق.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ لأنه بدأ أولا بصفات أبي بكر الصديق، ثم صفات عمر بن الخطاب، ثم صفات عثمان بن عفان، ثم صفات علي بن أبي طالب، فكونه جمع هذه الصفات ورتبها على هذا الترتيب يدل على أنه قصد بها من اتصف بذلك، فأما صفات أبي بكر فقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وإنما جعلناها صفة أبي بكر وإن كان جميعهم متصفا بها؛ لأن أبا بكر كانت له فيها مزية لم تكن لغيره، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجحهم» وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2]: «أنا مدينة الإيمان وأبو بكر بابها» وقال أبو بكر[3]: «لو كشف الغطاء لما ازددت إلا يقينا»، والتوكل إنما يقوى بقوة الإيمان. أما صفات عمر فقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ لأن ذلك هو التقوى، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4]: «أنا مدينة التقوى وعمر بابها».

وقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ وقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ نزلت في عمر، وأما صفات عثمان، فقوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾ لأن عثمان لما دعاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإيمان تبعه وبادر إلى الإسلام. وقوله: ﴿وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ﴾ ؛ لأن عثمان كان كثير الصلاة بالليل، وفيه نزلت: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ الَّيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً﴾ الآية، وروي: أنه كان يحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كله، وقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ؛ لأن عثمان ولي الخلافة بالشورى، وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ؛ لأن عثمان كان كثير النفقة في سبيل الله ويكفيك أنه جهز جيش العسرة. وأما صفة علي فقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ لأنه لما قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصارا للحق،

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على عمر، الحديث رقم ٣٦، والكشاف ١/٤٧٠.

(٢) لم أجده مسندا، وأورده ابن عجيبة في البحر المديد ٦/٥٧٣.

(٣) لم أجده مسندا.

(٤) لم أجده مسندا.

وانظر كيف سمى رسول الله ﷺ المقاتلين لعلي الفئة الباغية حسبما ورد في الحديث الصحيح أنه قال لعمار بن ياسر «تقتلك الفئة لباغية»(١) فذلك هو البغي الذي أصابه وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى فعل الحسن بن علي حين بايع معاوية وأسقط حق نفسه ليصلح أحوال المسلمين ويحقن دماءهم، قال رسول الله ﷺ في الحسن(٢): «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، وقوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ إشارة إلى انتصار الحسين بعد موت الحسن وطلبه للخلافة وانتصاره من بني أمية وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ إشارة إلى بني أمية فإنهم استطالوا على الناس كما جاء في الحديث(٣) عنهم، أنهم جعلوا عباد الله خولا ومال الله دولا، ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب على منابرهم(٤) وقوله:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ الآية إشارة إلى صبر أهل بيت النبي ﷺ على ما نالهم من الضر والذل طول مدة بني أمية.

---

(١) حديث عمار ثابت في الصحاح والبنن وغير هما ففي صحيح البخاري: حدثنا مسدد قال حدثنا عبد العزيز بن مختار قال حدثنا خالد الحذاء: عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علي انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار). قال يقول عمار أعوذ بالله من الفتن. الحديث رقم ٤٣٦ ومسلم الحديث رقم: (٧٥٠٦) وهو بلفظ: تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَة وغيرهما.

(٢) البخاري الحديث رقم: (٢٥٥٧)، ومصنف ابن أبي شيبة الحديث رقم ٣٨٥١٧ وشرح السنة للبغوي ١٢٨/٧ وسنن النسائي الحديث رقم ١٤٠٩.

(٣) المستدرك على الصحيحين الحديث رقم (٨٤٧٨): قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وعلق الذهبي وقال على شرط مسلم.

(٤) قال المؤرخون: كان بنو أمية يسبون علي بن أبي طالب في الخطبة، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطله وكتب إلى نوابه بإبطاله، وقرأ مكانه: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية، فاستمرت قراءتها في الخطبة إلى الآن تاريخ الخلفاء. ص٢٠١.

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ
خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّٰلِمِينَ فِي
عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾
اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ
مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾
فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا
الْبَلَٰغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن
تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾
لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ
إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا
وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا
كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ
يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

ربع

﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سمى العقوبة باسم الذنب وجعلها مثلها تحرزا من الزيادة عليها.

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ﴾ هذا يدل على أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار؛ لأنه ضمن الأجر في العفو وذكر الانتصار بلفظ الإباحة، في قوله: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ وقيل: إن الانتصار أفضل والأول أصح، فإن قيل: كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ والمباح لا مدح فيه ولا ذم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المباح قد يمدح لأنه قيام بحق لا بباطل.

والثاني: أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرزا ممن بدأ بالظلم، فكأن المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم.

والثالث: إن كانت الإشارة بذلك إلى علي بن أبي طالب حسبما ذكرنا، فانتصاره محمود لأن قتال أهل البغي واجب، لقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ الَّتِى تَبْغِى﴾.

﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي على النار. ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾ عبارة عن الذل والكآبة ومن الذل يتعلق بخاشعين. ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عبارة عن الذل لأن نظر الذليل بمهابة واستكانة.

والآخر: أنهم يحشرون عميا فلا ينظرون بأبصارهم وإنما ينظرون بقلوبهم واستبعد هذا ابن عطية والزمخشري، والظرف يحتمل أن يريد به العين أو يكون مصدرا.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يتعلق بقال أو بخسروا. ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الذين آمنوا، أو مستأنفا من كلام الله تعالى.

﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ ذكر في الروم.

﴿مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي إنكار، يعني لا تنكرون أعمالكم.

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ قدم الإناث اعتناء بهن وتأنيسا لمن وهبهن له، قال واثلة بن الأسقع(١): من يمن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر؛ لأن الله بدأ بالإناث(٢)، وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأنبياء عليهم السلام فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور، وإبراهيم كان له ذكور دون إناث ومحمد ﷺ جمع الإناث والذكور، ويحي كان عقيما، والظاهر أنها على العموم في جميع الناس؛ إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذكر، وفي الآية من أدوات البيان التقسيم.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآية بين الله تعالى فيها كلامه لعباده وجعله على ثلاثة أوجه:

أحدها: الوحي المذكور أولا، وهو الذي يكون بإلهام أو منام.

---

(١) هو واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل، الليثي الكناني: صحابي، من أهل الصفة، كان، قبل إسلامه، ينزل ناحية المدينة، ودخل المسجد بالمدينة، والنبي ﷺ يصلي الصبح فصلى معه، وكان من عادة النبي إذا انصرف من صلاة الصبح، تصفح وجوه أصحابه، ينظر إليهم، فلما دنا من واثلة أنكره، فقال: من أنت؟ فأخبره، فقال: ما جاء بك؟ قال: أبايع، فقال: على ما أحببت وكرهت؟ قال: نعم، قال: فيما أطقت؟ قال: نعم. وكان رسول الله ﷺ يتجهز إلى تبوك، فشهدها معه، وقيل: خدم النبي ثلاث سنين، ثم نزل البصرة وكانت له بها دار. وشهد فتح دمشق، وسكن قرية «البلاط» على ثلاثة فراسخ منها، وحضر المغازي في البلاد الشامية، وتحول إلى بيت المقدس، فأقام به. ويقال: كان مسكنه ببيت جبرين، وكف بصره. وعاش: ١٠٥ سنين، وقيل: ٩٨، وهو آخر الصحابة موتا في دمشق. له: ٧٦ حديثا. ووفاته بالقدس أو بدمشق سنة: ٨٣ هـ. الاستيعاب: ٣/٦٠٦، والأعلام: ٨/١٠٧.

(٢) الأثر ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز بدون ذكر سند ٥/٣٩ وكذلك الثعالبي في الجواهر الحسان ٤/١١٧.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَٰبُ وَلَا الْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُۥ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ أَلَآ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

ترتيبها ٤٣ — آياتها ٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ الْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

والآخر: أن يسمعه كلامه من وراء حجاب.

والثالث: الوحي بواسطة الملك وهو قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ يعني ملكا ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ إلى النبي وهذا خاص بالأنبياء، والثاني خاص بموسى وبمحمد ﷺ، إذ كلمه الله ليلة الإسراء، وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيرًا، وقد يكون لسائر الخلق، ومنه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ومنه: منامات الناس.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ قرئ[1] يرسل ويوحي بالرفع على تقدير أو هو يرسل وبالنصب عطفا على وحيا لأن تقديره: أن يوحي عطف على أن المقدرة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الروح هنا القرآن والمعنى مثل هذا الوحي، وهو بإرسال الملك أوحينا إليك القرآن، والأمر هنا يحتمل أن يكون واحد الأمور، أو يكون من الأمر بالشيء.

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَٰبُ وَلَا الْإِيمَٰنُ﴾ المقصد بهذا شيئان:

أحدهما: تعداد النعمة عليه ﷺ بأن علمه الله ما لم يكن يعلم. والآخر:

---

(١) ﴿أو يرسل﴾، ﴿فيوحى﴾ قرأ نافع برفع اللام وإسكان الياء. واختلف عن ابن ذكوان فروى عن الصوري عن طريق الرملي كذلك... وروي عنه بنصب اللام، وبذلك قرأ الباقون. النشر: ٢/٤٠٧.

احتجاج على نبوءته لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ولا تعلمه من أحد، فإن قيل: أما كونه لم يكن يدري الكتاب فلا إشكال فيه، وأما الإيمان ففيه إشكال لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم؟ فالجواب: أن الإيمان يحتوي على معارف كثيرة، وإنما كمل له معرفتها بعد بعثه، وقد كان مؤمنا بالله قبل ذلك، فالإيمان هنا يعني به كمال المعرفة، وهي التي حصلت له بالنبوءة.

﴿وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُوراً﴾ الضمير للقرآن.

❊❊ ❊❊ ❊❊

سورة الزخرف

﴿وَالْكِتَـٰبِ الْمُبِينِ﴾ يعني القرآن والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين أو المبين لغيره.

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ الْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ أم الكتاب اللوح المحفوظ والمعنى أن القرآن وصف في اللوح بأنه علي حكيم، وقيل: المعنى أن القرآن نسخ بجملته في اللوح المحفوظ، ومنه كان جبريل ينقله، فوصفه الله بأنه علي حكيم لكونه مكتوب في اللوح المحفوظ، والأول أظهر وأشهر.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ الهمزة للإنكار والمعنى أنمسك عنكم الذكر، ونضرب من قولك: أضربت عن كذا إذا تركته، والذكر يراد به القرآن أو التذكير والوعظ، وصفحا فيه وجهان:

أحدهما: أنه بمعنى الإعراض، تقول صفحت عنه إذا أعرضت عنه فكأنه قال: أنترك تذكيركم إعراضا عنكم، وإعراب صفحا على هذا مصدر من المعنى، أو مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال.

والآخر: أن يكون بمعنى العفو والغفران فكأنه يقول: أنمسك عنكم الذكر عفوا عنكم وغفرانا لذنوبكم، وإعراب صفحا على هذا مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال.

﴿إِن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ قرئ بكسر الهمزة[1] على الشرط، والجواب في الكلام الذي قبله، وقرئ بالفتح على أنه مفعول من أجله.

﴿أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ الضمير لقريش وهم المخاطبون بقوله إن كنتم قوما

(١) ﴿إن كنتم﴾ قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف بكسر الهمزة. وقرأ الباقون بفتحها. النشر المصدر السابق.

ثمن

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ
ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا
سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا
إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ
الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ
وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ
لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن
يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا
الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ
سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا
عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ
آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

مسرفين، فإن قيل: كيف قال إن كنتم على الشرط بحرف إن التي معناها الشك ومعلوم أنهم كانوا مسرفين؟ فالجواب: أن في ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف وتجهيلهم في ارتكابه فكأنه شيء لا يقع من عاقل، فلذلك وضع حرف التوقع في موضع الواقع. ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي تقدم في القرآن ذكر حال الأولين وكيفية إهلاكهم لما كفروا.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآية احتجاج على قريش لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره ومقتضى جوابهم أن يقولوا: خلقهن الله فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بالعزيز العليم؛ لأن اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض يقتضي أن يعترفوا بأنه عزيز عليم.

وأما قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ فهو من كلام الله لا من كلامهم.

﴿مِهَادًا﴾ أي فراشا على وجه التشبيه.

﴿سُبُلًا﴾ أي طرقا تمشون فيها.

﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾ أي بمقدار ووزن معلوم، وقيل: معناه بقضاء.

﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ تمثيل للخروج من القبور بخروج النبات من الأرض.

﴿الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ يعني أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك.

﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ الضمير يعود على ما تركبون.

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الذكر بالقلب أو باللسان، ويحتمل أن يريد النعمة في تسخير هذا المركوب، أو النعمة على الإطلاق وكان بعض السلف إذا ركب دابة يقول: » الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ثم يقول: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أي مطيقين وغالبين.

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ اعتراف بالحشر، فإن قيل: ما مناسبة هذا للركوب؟ فالجواب: أن راكب السفينة أو الدابة متعرض للهلاك بما يخاف من غرق السفينة، أو سقوطه عن الدابة، فأمر بذكر الحشر ليكون مستعدا للموت الذي قد يعرض له، وقيل: يذكر عند الركوب ركوب الجنازة.

﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ الضمير في جعلوا لكفار العرب وفي له لله تعالى وهذا الكلام متصل بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآية والمعنى: أنهم جعلوا الملائكة بنات الله فكأنهم جعلوا جزءا من عباده نصيبا له وحظا دون سائر عباده، وقال الزمخشري: معناه أنهم جعلوا الملائكة جزءا منه وقال بعض اللغويين الجزء في اللغة الإناث، واستشهد على ذلك ببيت شعر، قال الزمخشري وذلك كذب على اللغة والبيت موضوع[1].

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ أم للإنكار والرد على الذين قالوا إن الملائكة

---

(١) ومن ذلك قول الشاعر:

إنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْماً فَلاَ عَجَبٌ ... قد تُجزئ الحرّة المِذْكَارُ أحيانا

وقال آخر:

زُوِّجْتُها من بناتِ الأوس مُجْزِئَةً ... لِلعَوْسَجِ الرطْبِ في أبياتِها زَجَلُ

قال الزمخشري: ومن بدع التفاسير: تفسير الجزء بالإناث، وادعاء أنّ الجزء في لغة العرب اسم للإناث، وما هو إلا كذب على العرب، ووضع مستحدث منحول، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه: أجزأت المرأة، ثم صنعوا بيتاً وبيتا.. الكشاف: ٢٤٥/٤.

بنات الله ومعنى أصفاكم خصكم أي كيف يتخذ لنفسه البنات وهن أدنى وأصفاكم بالبنين وهم أعلى.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ أي إذا بشر بالأنثى وقد ذكر هذا المعنى في النحل والمراد أنهم يكرهون البنات فكيف ينسبونها إلى الله تعالى عن قولهم.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾ المراد بمن ينشأ في الحلية النساء والحلية هي الحلي من الذهب والفضة وشبه ذلك ومعنى ينشأ فيها يكبر وينبت في استعمالها وقرئ[1] ينشأ بضم الياء وتشديد الشين بمعنى يربى فيها والمقصد الرد على الذين قالوا الملائكة بنات الله كأنه قال أجعلتم لله من ينشأ في الحلية وذلك صفة النقص ثم أتبعها بصفة نقص أخرى وهي قوله: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ يعني أن الأنثى إذا خاصمت أو تكلمت لم تقدر أن تبين حجتها لنقص عقلها، وقل ما تجد امرأة إلا تفسد الكلام وتخلط المعاني، فكيف ينسب لله من يتصف بهذه النقائص وإعراب من ينشأ مفعول بفعل مضمر تقديره أجعلتم لله من ينشأ أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره أو من ينشأ في الحلية خصصتم به الله.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ الضمير في جعلوا لكفار العرب فحكى عنهم ثلاثة أقوال شنيعة:

أحدها: أنهم نسبوا إلى الله الولد.

والآخر: أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين.

والثالث: أنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا وقرئ[2] عند الرحمن بالنون

---

(١) ﴿ينشأ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، وقرأ الباقون بفتح الياء وإسكان النون وتخفيف الشين. النشر: ٢/٤٠٨.

(٢) ﴿عند الرحمن﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر ويعقوب ﴿عند﴾ بالنون ساكنة وفتح الدال من=

والمراد به قرب الملائكة وتشريفهم، كقوله: ﴿فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ وقرئ عباد بالباء جمع عبد والمراد به أيضا الاختصاص والتشريف.

﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ هذا رد على العرب في قولهم إن الملائكة إناث والمعنى هم لم يشهدوا خلق الملائكة فكيف يقولون ما ليس لهم به علم.

﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ أي تكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسئلون عنها يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾ الضمير في قالوا للكفار وفي عبدناهم للملائكة، وقال ابن عطية: للأصنام، والأول أظهر وأشهر، والمعنى: احتجاج احتج به الذين عبدوا الملائكة وذلك أنهم قالوا: لو أراد الله أن لا نعبدهم ما عبدناهم، فكونه يمهلنا وينعم علينا دليل على أنه يرضى عبادتنا لهم، ثم رد الله عليهم بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني أن قولهم بلا دليل وحجة، وإنما هو تخرص منهم.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾ أي من قبل القرآن، وهذا أيضا رد عليهم لكونهم ليس لهم كتاب يحتجون به.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ أي على دين وطريقة، والمعنى: أنهم ليس لهم حجة وإنما هم مقلدو آبائهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ الآية المعنى كما اتبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة اتبع كل من كان قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة بل بطريق التقليد المذموم.

﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ هذا رد على الذين

= غير ألف على أنه ظرف، وقرأ الباقون بالباء وألف بعدها ورفع الدال جمع عبد. النشر: ٢/٤٠٨.

وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
۞ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا
إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾
وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ
هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا
جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا
لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم
بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن
يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

اتبعوا آباءهم، والمعنى قل لهم أتتبعونهم ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم وقرئ[1] قال أو لو جئتكم والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدم وأما قراءة قل بالأمر فهو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يقول ذلك لقريش، وقيل: هو للنذير المتقدم أمره الله أن يقول ذلك لقومه والأول أظهر وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضا بين قصة المتقدمين فإن قوله قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون حكاية عن الكفار المتقدمين وكذلك قوله فانتقمنا منهم يعني من المتقدمين.

﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ أي بريء وبراء في الأصل مصدر ثم استعمل صفة، ولذلك استوى فيه الواحد والجماعة كعدل وشبهه.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يحتمل أن يكون استثناء منقطعا وذلك إن كانوا لا يعبدون الله، أو يكون متصلا إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، وإعرابه على هذا بدل مما تعبدون، فهو في موضع خفض أو منصوب على الاستثناء فهو في موضع نصب.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ قال هنا: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ وقال مرة أخرى: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ليدل على أن الهداية في الحال والاستقبال.

---

(١) ﴿قل أولو﴾ قرأ ابن عامر وحفص ﴿قال﴾ على الخبر، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ على الأمر. النشر: ٤٠٩/٢.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ ضمير الفاعل في جعلها يعود على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقيل: على الله تعالى، والأول أظهر، والضمير يعود على الكلمة التي قالها وهي ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ومعناها التوحيد، ولذلك قيل: يعود على الإسلام لقوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ وقيل: يعود على لا إله إلا الله، والمعنى متقارب، أي جعل إبراهيم تلك الكلمة ثابتة في ذريته لعل من أشرك منهم يرجع إلى التوحيد، والعقب هو الولد وولد الولد ما تناسلا أبدا.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ الإشارة بهؤلاء إلى قريش، وهذا الكلام متصل بما قبله؛ لأن قريشا من عقب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فالمعنى لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيت الكلمة فيهم بل متعتهم بالنعم والعافية فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ وهو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الضمير في قالوا لقريش، والقريتان مكة والطائف، ومن القريتين معناها من إحدى القريتين، كقولك: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، أي من أحدهما، وقيل: معناه على رجل من رجلين من القريتين فالرجل الذي من مكة الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، والرجل الذي من الطائف عروة بن مسعود، وقيل: حبيب بن عمير، ومعنى الآية أن قريشا استبعدوا نزول القرآن على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء وصفوه بالعظمة، يريدون الرئاسة في قومه وكثرة ماله، فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني أن الله يخص بالنبوءة من يشاء من عباده على ما تقتضيه حكمته وإرادته، وليس ذلك بتدبير المخلوقين، ولا بإرادتهم ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي كما قسمنا المعايش في الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية

الحقيرة فأولى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية.

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾ وهو من التسخير في الخدمة، أي رفعنا بعضهم فوق بعض ليخدم بعضهم بعضا. ﴿وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ هذا تحقير للدنيا والمراد برحمة ربك هنا النبوءة، وقيل: الجنة.

﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ الآية تحقير أيضا للدنيا، ومعناها لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سقفا من فضة وذلك لهوان الدنيا على الله، كما قال رسول الله ﷺ[1]: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة ماء».

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ المعارج الأدراج والسلالم ومعنى يظهرون يرتفعون ومنه: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ والسرر جمع سرير، والزخرف الذهب، وقيل: أثاث البيت من الستور والنمارق وشبه ذلك، وقيل: هو التزويق والنقش وشبه ذلك من التزيين كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ﴾.

﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا﴾ يعش من قولك عشي الرجل إذا أظلم بصره، والمراد به هنا ظلمة القلب والبصيرة، وقال الزمخشري: يعش بفتح الشين[2] إذا حصلت الآفة في عينيه، ويعشو بضم الشين إذا نظر نظرة الأعشى وليس به آفة، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك: عمي وتعامى، فمعنى

(١) شرح السنة للبغوي: ٧/١٩٦، وأخرجه الطبري في تهذيب الآثار مرسلا الحديث رقم: (٢٥٥٦).

(٢) قال الزمخشري: قرئ ﴿ومن يعش﴾ بضم الشين وفتحها... الكشاف: ٤/٢٥٤، وقال ابن عطية: وقرأ قتادة ويحيى بن سلام البصري «ومن يعش» بفتح الشين وهي من قولهم عشي يعشى، والأكثر عشى يعشو ومنه قول الشاعر (الحطيئة):

(متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد)

المحرر الوجيز: ٥/٤٩.

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ
ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ
(٣٥) وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ
قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم
مُّهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ
ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ (٣٨) وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ
أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩) أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ
تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا
مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم
مُّقْتَدِرُونَ (٤٢) • فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ
(٤٤) وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ
ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٦)
فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧)

القراءة بالضم يتجاهل ويجحد مع معرفته بالحق، والظاهر أن ذلك عبارة عن الغفلة وإهمال النظر

و﴿ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قال الزمخشري يريد به القرآن، وقال ابن عطية: يريد به ما ذكر الله به عباده من المواعظ، فالمصدر مضاف إلى الفاعل، ويحتمل عندي أن يريد ذكر العبد لله، ومعنى الآية أن من غفل عن ذكر الله يسر الله له شيطانا يكون له قرينا، فتلك عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان، كما أن من داوم على الذكر تباعد عنه الشيطان.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الضمير في إنهم للشياطين، وضمير المفعول في يصدونهم لمن يعش عن ذكر الرحمن، وجمع الضميرين؛ لأن المراد به جمع.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ قرئ[١] جاءانا بضمير الاثنين، وهما من يعش وشيطانه وقرئ بغير ألف، على أنه ضمير واحد وهو من يعش والضمير في قال لمن يعش، وقيل: للشيطان.

﴿بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يعني المشرق والمغرب وغلب أحدهما في التشبيه كما قيل: القمران.

---

(١) ﴿حتى إذا جاءانا﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر وأبو بكر بألف بعد همزة على التثنية، وقرأ الباقون بغير ألف على التوحيد. النشر: ٢/٤٠٨.

والآخر: أنه يعني المشرقين والمغربين، وحذف المغربين لدلالة المشرقين عليه.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ هذا كلام يقال للكفار في الآخرة، ومعناه أنهم لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب، ولا يجدون راحة التأسي التي يجدها المكروب في الدنيا، إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه، والفاعل في ينفعكم قوله: ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ وإذ ظلمتم تعليل معناه بسبب ظلمكم، وقيل: الفاعل مضمر وهو التبري الذي يقتضيه قوله: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ وأنكم على هذا تعليل، والأول أرجح.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ الآية خطاب للنبي ﷺ، والمراد بالصم والعمي الكفار إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة، ومقصد الآية وعيد للكفار، والمعنى: إن عجلنا وفاتك قبل الانتقام منهم فإنا سننتقم منهم بعد وفاتك، وإن أخرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإنا عليهم مقتدرون، وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتلهم يوم بدر وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام في الدنيا، أو يريد به عذاب الآخرة، وقيل: إن الضمير في منهم منتقمون للمسلمين، وأن معنى ذلك أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد، وأنه أكرم نبيه عليه السلام بأن توفاه قبل أن يرى الانتقام من أمته، والأول أشهر وأظهر.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الضمير في إنه للقرآن أو للإسلام، والذكر هنا بمعنى الشرف، وقوم النبي ﷺ هم: قريش وسائر العرب، فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة، ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وصارت منهم الخلافة والملك، وورد عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله ﷺ أن الأمر بعده لقريش(١)، ويحتمل أن يريد بالذكر التذكير والموعظة، فقومه على هذا أمته

---

(١) وجاءت عن النبي ﷺ آثار بهذا المعنى، فمن ذالك ما رواه أحمد وغيره بأسانيد قوية: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا سليمان بن داود ثنا سكين ثنا سيار بن سلامة سمع أبا برزة يرفعه=

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنُ اخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم
بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَقَالُوا يَٰأَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ
لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي
قَوْمِهِ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَٰرُ تَجْرِي
مِن تَحْتِيَ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٠﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي
هُوَ مَهِينٌ ﴿٥١﴾ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ
أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾
فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾
فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾
فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ
أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ
هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ ﴿٥٩﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

كلهم وكل من بعث إليهم.

﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ أي تسئلون عن العمل بالقرآن، وعن شكر الله عليه.

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ إن قيل: كيف أمر النبي ﷺ أن يسأل الرسل المتقدمين وهو لم يدركهم؟ فالجواب: من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه رآهم ليلة الإسراء.

الثاني: أن المعنى اسأل أمة من أرسلنا قبلك.

الثالث: أنه لم يرد سؤالهم حقيقة وإنما المعنى أن شرائعهم متفقة على توحيد الله بحيث لو سئلوا: أهل مع الله آلهة يعبدون؟ لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ اخْتِهَا﴾ الآيات هنا المعجزات كقلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وقيل: البراهين والحجج العقلية، والأول أظهر، ومعنى أكبر من أختها أنها في غاية الكبر والظهور، ولم يرد تفضيلها على غيرها من الآيات، إنما المعنى أنها إذا نظرت وجدت كبيرة، وإذا نظرت غيرها وجدت كبيرة فهو كقول الشاعر[1]:

= إلى النبي ﷺ قال: الأئمة من قريش إذا استرحموا رحموا، وإذا عاهدوا وفوا، وإذا حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. المسند الحديث رقم: (١٩٧٩٢)، وفي معناه ما رواه الحاكم في المستدرك الحديث رقم: (٦٩٦٢)، وصححه الألباني وغيره.

(١) الشاعر يسمى العرندس: والبيت بتمامه:

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاَقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

ديوان الحماسة، ص: ٢/٢٧٠.

من تلق منهم فقل لاقيت سيدهم

هكذا قال الزمخشري: ويحتمل عندي أن يريد ما نريهم من آية إلا هي أكبر مما تقدمها، فالمراد أكبر من أختها المتقدمة عليها.

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ظاهر كلامهم هذا التناقض فإن قولهم يا أيها الساحر يقتضي تكذيبهم له، وقولهم: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يقتضي تصديقه والجواب من وجهين:

أحدهما: أن القائلين لذلك كانوا مكذبين، وقولهم: ادع لنا ربك يريدون على قولك وزعمك، وقولهم: إننا لمهتدون وعد نووا إخلافه.

والآخر: أنهم كانوا مصدقين وقولهم يا أيها الساحر إما أن يكون عندهم غير مذموم؛ لأن السحر كان علم أهل زمانهم، وكأنهم قالوا يا أيها العالم، وإما أن يكون ذلك اسما قد ألفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ﴾ يحتمل أنه ناداهم بنفسه، أو أمر مناديا ينادي فيهم ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ قصد بذلك الافتخار على موسى ومصر هي البلد المعروف وما يرجع إليه، ومنتهى ذلك من نهر أسكندرية إلى أسوان بطول النيل. ﴿وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ يعني الخلجان الكبار الخارجة من النيل كانت تجري تحت قصره، وأعظمها أربعة أنهار: نهر الأسكندرية، وتنيس، ودمياط، ونهر طولون. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ مذهب سيبويه أن أم هنا متصلة معادلة، والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون؟ ثم وضع قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فإنهم عنده بصراء، وهذا من وضع السبب موضع المسبب، وكان الأصل أن يقول: أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم اقتصر على أم وحذف الفعل الذي بعدها واستأنف قوله: أنا خير على وجه الإخبار، ويوقف على هذا القول على

أم وهذا ضعيف، وقيل: أم بمعنى بل فهي منقطعة. ﴿مَهِينٌ﴾ أي ضعيف حقير قاله الزمخشري وغيره.

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ إشارة إلي ما بقي في لسان موسى من أثر الجمرة، وذلك أنها كانت قد أحدثت في لسانه عقدة، فلما دعا أن تحل أجيبت دعوته وبقي منها أثر، كان معه لكن، وقيل: يعني العي في الكلام، وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يقتضي أنه كان يبين؛ لأن كاد إذا نفيت تقتضي الإثبات.

﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ يريد لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوءته، والأساورة جمع سوار وأسوار، وهو ما يجعل في الذراع من الحلي وكان الرجال حينئذ يجعلونه. ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ أي مقترنين به لا يفارقونه أو متقارنين بعضهم مع بعض ليشهدوا له ويقيموا الحجة.

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ أي طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم.

﴿ءَاسَفُونَا﴾ أي أغضبونا. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ السلف بفتح السين واللام جمع سالف وقرئ[1] بضمهما جمع سليف، ومعناه متقدم، أي تقدم قبل الكفار ليكون موعظة لهم ومثلا يعتبرون به؛ لئلا يصيبهم مثل ذلك.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ روي عن ابن عباس[2] وغيره في تفسيره هذه الآية أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه قالت قريش: ما يريد محمد إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى، فهذا كان صدودهم من ضربه مثلا، حكى ذلك ابن عطية[3] والذي ضرب المثل على هذا هو الله في القرآن، ويصدون بمعنى يعرضون، وقال الزمخشري: لما قرأ

---

(١) ﴿سلفا﴾ قرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٤٠٩.

(٢) لم أجده مسندا.

(٣) المحرر الوجيز: ٥/٥٤.

رسـول الله ﷺ علـى قـريش: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ امتعضوا من ذلك وقال عبد الله بن الزبعري: أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ[1] هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال: خصمتك ورب الكعبة، ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيرا، وقد علمت أن النصارى عبدوه؟ فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، ففرحت قريش بذلك وضحكوا، وسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ونزلت هذه الآية، فالمعنى على هذا لما ضرب ابن الزبعري عيسى مثلا وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه، إذا قريش من هذا المثل يصدون أي يضحكون ويصيحون من الفرح، وهذا المعنى إنما يجري على قراءة يصدون بكسر الصاد[2] بمعنى الضجيج والصياح.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعنون بهو عيسى والمعنى أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه؛ لأنه خير من آلهتنا وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكره الزمخشري في تفسير الآية التي قبله، وأما على ما ذكر ابن عطية فهذا ابتداء معنى آخر وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولا آخر وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن عبدنا الملائكة وقالوا آلهتنا وهم الملائكة خير أم عيسى، فمقصدهم تفضيل آلهتهم على عيسى، وقيل: إن قولهم ﴿أَمْ هُوَ﴾ يعنون به محمدا ﷺ فإنهم لما قالوا إنما يريد محمد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى قالوا: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يريدون تفضيل آلهتهم على محمد، والأظهر أن المراد بهو عيسى وهو قول الجمهور، ويدل على ذلك تقدم ذكره.

---

(١) الكشاف: ٤/٢٦٢.

(٢) ﴿يصدون﴾ قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم وحمزة بكسر الصاد، وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٢/٤٠٩.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
(٦٢) ۞ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم
بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا
صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ
لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا
السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) الْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ
(٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
(٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)

ربع

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي ما ضربوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحق أو بباطل، فإن ابن الزبعري وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ولكنهم أرادوا المغالطة فوصفهم الله بأنهم قوم خصمون.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني عيسى، والإنعام عليه بالنبوءة والمعجزات وغير ذلك.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ في معناها قولان:

أحدهما: لو نشاء لجعلنا بدلا منكم ملائكة يسكنون الأرض ويخلفون فيها بني آدم، فقوله منكم يتعلق ببدل المحذوف أو بيخلفون.

والآخر: لو نشاء لجعلنا منكم أي لولدنا منكم أولادا ملائكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم فإنا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد، حكى ذلك الزمخشري.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ الضمير لعيسى وقيل لمحمد ﷺ وقيل للقرآن فأما على القول بأنه لعيسى أو لمحمد فالمعنى أنه شرط من أشراط الساعة يوجب العلم بها فسمى الشرط علما لحصول العلم به ولذلك قرئ[1] لعلم بفتح العين

---

(١) وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة وأبو هند الغفاري ومجاهد وأبو نضرة ومالك بن دينار=

واللام أي علامة، وأما على القول بأنه للقرآن فالمعنى أنه يعلمكم بالساعة.

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ إنما بين البعض دون الكل لأن الأنبياء إنما يبينون أمور الدين لا أمور الدنيا، وقيل: بعض بمعنى كل، وهذا ضعيف.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ ذكر في مريم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ أي ينتظرون والضمير لقريش أو للأحزاب.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الأخلاء جمع خليل وهو الصديق، وإنما يعادي الخليل خليله يوم القيامة؛ لأن الضرر دخل عليه من صحبته، ولذلك استثنى المتقين لأن النفع دخل على بعضهم من بعض.

﴿يَٰعِبَادِ﴾ الآية تقديره: يقول الله يوم القيامة للمتقين: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون.

﴿تُحْبَرُونَ﴾ أي تنعمون وتسرون.

﴿فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي يائسون من الخير.

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ المعنى أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من العذاب، وروي: أن مالكا يبقى بعد ذلك ألف سنة، وحينئذ يقول لهم: إنكم ماكثون، أي دائمون في النار.

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ الآية من كلام الله تعالى لأهل النار، أو من كلام الله لقريش في الدنيا.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ الضمير لكفار قريش، والمعنى: أنهم إن

= والضحاك لعلم بفتح العين واللام، وقرأ عكرمة مولى ابن عباس «للعلم» بلامين الأولى مفتوحة. المحرر الوجيز: ٥/٥٥.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾
أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ
سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن
كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ
يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾
۞ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ
﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ
عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ
خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ
قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

أحكموا كيد النبي ﷺ فإنا محكمون نصره وحمايته.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾ الآية، روي: أنها نزلت في الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث اجتمعا، وقال الأخنس: أترى الله يسمع سرنا؟ فقال الآخر: يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا.

﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾ السر ما يحدث الإنسان به نفسه أو غيره في خفية، والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ أي نسمع ورسلنا مع ذلك تكتب ما يقولون، والرسل هنا الملائكة الحافظون للأعمال.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ في تأويل الآية أربعة أقوال:

الأول: أنها احتجاج ورد على الكفار على تقدير قولهم، ومعناها: لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد، كما يعظم خدم الملك ولد الملك لتعظيم والده، ولكن ليس للرحمن ولد فلست بعابد إلا الله وحده، وهذا نوع من الأدلة يسمى دليل التلازم؛ لأنه علق عبادة الولد بوجوده ووجوده محال فعبادته محال، ونظير هذا أن يقول المالكي إذا قصد الرد على الحنفي في تحريم النبيذ: إن كان النبيذ غير مسكر فهو حلال، لكنه مسكر فهو حرام.

القول الثاني: إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله وحده وكذبكم في قولكم أن له ولدا، والعابدين على هذين القولين بمعنى العبادة.

القول الثالث: أن العابدين بمعنى المنكرين، يقال عبد الرجل إذا أنف وتكبر وأنكر الشيء، والمعنى: إن زعمتم أن للرحمن ولدا فأنا أول المنكرين لذلك، وإن على هذه الأقوال الثلاثة شرطية.

القول الرابع: قال قتادة[١] وابن زيد: إن هنا نافية بمعنى ما كان للرحمن ولد وتم الكلام، ثم ابتدأ قوله: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾، والأول هو الصحيح لأنه طريقة معروفة في البراهين والأدلة، وهو الذي عول عليه الزمخشري، وقال الطبري: هو ملاطفة في الخطاب ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وقال ابن عطية: منه قوله تعالى في مخاطبة الكفار: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِيَ﴾ يعني شركائي على قولكم.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ الآية موادعة منسوخة بالسيف.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أي هو الإله لأهل الأرض وأهل السماء، والمجرور يتعلق بإله لأن فيه معنى الوصفية.

﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي علم زمان وقوعها.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ أي لا يملك كل من عبد من دون الله أن يشفع عند الله لأن الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، فهو المالك للشفاعة وحده.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ اختلف هل يعني بمن شهد بالحق الشافع أو المشفوع فيه؟ فإن أراد المشفوع فيه فالاستثناء منقطع، والمعنى لا يملك المعبودون شفاعة لكن من شهد بالحق وهو عالم به فهو الذي يشفع فيه، ويحتمل على هذا أن يكون من شهد مفعولا بالشفاعة على إسقاط حرف الجر، تقديره:

(١) المحرر الوجيز: ٥/٥٨.

الشفاعة فيمن شهد بالحق، وإن أراد بمن شهد بالحق الشافع فيحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا، وأن يكون متصلا إلا فيمن عبد عيسى والملائكة، والمعنى على هذا: لا يملك المعبودون شفاعة إلا من شهد بالحق.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ القيل مصدر كالقول، والضمير يعود على النبي ﷺ، وقرئ: قيله بالنصب[١] والخفض وقرئ[٢] في غير السبع بالرفع فأما النصب، فقيل: هو معطوف على سرهم ونجواهم، وقيل: هو معطوف على موضع الساعة لأنها مفعول أضيف إلى المصدر، وقيل: معطوف على مفعول محذوف، تقديره: يكتبون أقوالهم وقيله، وأما الخفض فقيل: إنه معطوف على لفظ الساعة، ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وأما على الرفع، فقيل: إنه مبتدأ وخبره ما بعده وضعف الزمخشري ذلك كله، وقال: إنه من باب القسم فالنصب والخفض على إضمار حرف القسم كقولك: الله لأضربن زيدا، والرفع كقولهم: أيمن الله، ولعمرك وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ كأنه قال: أقسم بقيله أن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف.

﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ تقديره: أمري سلام، أي مسالمة، وقيل: سلام عليكم على جهة الموادعة، وهو منسوخ على الوجهين.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد.

*** *** ***

(١) قال الداني: عاصم وحمزة ﴿وقيله﴾ بخفض اللام وكسر الهاء، والباقون بنصب اللام وضم الهاء، ص: ١٢٧.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ الأعرج وأبو قلابة ومجاهد ﴿وقيله﴾ بالرفع على الابتداء وخبره في قوله: ﴿يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ أي قيله هذا القول أو يكون التقدير: وقيله يا رب مسموع ومتقبل (ف) «يا رب» على هذا منصوب الموضع (ب) قيله. المحرر الوجيز: ٥/٦٠.

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا
كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٣﴾ أَمْراً مِّنْ
عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم
مُّوقِنِينَ ﴿٦﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٨﴾ فَارْتَقِبْ
يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ أَنَّىٰ
لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا
عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٣﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً
إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٤﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا
مُنتَقِمُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ
كَرِيمٌ ﴿١٦﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧﴾

سورة الدخان

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ذكر في الزخرف، وهو قسم جوابه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ وقيل: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ وهو بعيد.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ يعني ليلة القدر من رمضان، وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم شيئا بعد شيء، وقيل: معناه أنه ابتدأ إنزاله في ليلة القدر، وقيل: يعني بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان، وذلك باطل لقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ مع قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ معنى يفرق يفصل ويخلص، والأمر الحكيم أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم في ذلك العام، ينسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ليتمثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة، وقيل: إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان، وهذا باطل لما قدمنا.

﴿أَمْراً مِّنْ عِندِنَا﴾ مفعول بفعل مضمر على الاختصاص قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: نصب على المصدر، وقيل: على الحال.

﴿مُرْسِلِينَ﴾ إرسال الرسل عليهم السلام، وقيل: من إرسال الرحمة، والأول أظهر.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ في هذا قولان:

أحدهما: قول علي بن أبي طالب وابن عباس[(١)] أن الدخان يكون، قبل: يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام، وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين وهو من أشراط الساعة، وروى حذيفة أن رسول الله ﷺ قال[(٢)]: «إن أول أشراط الساعة الدخان».

والثاني: قول ابن مسعود، إن الدخان عبارة عما أصاب قريشا حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بالجدب، فكان الرجل يرى دخانا بينه وبين السماء من شدة الجوع، قال ابن مسعود[(٣)]: خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم.

﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى، أو من قول الناس

---

(١) قال ابن عطية: واختلف الناس في الدخان الذي أمر الله تعالى بارتقابه، فقالت فرقة، منها علي بن أبي طالب، وزيد بن علي، وابن عمر، وابن عباس، والحسن بن أبي الحسن، وأبو سعيد الخدري: هو دخان يجيء قبل يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين حتى تكون كأنها مصلية حنيذة.
وقالت فرقة، منها: عبد الله بن مسعود، وأبو العالية، وإبراهيم النخعي: هو الدخان الذي رأته قريش حين دعا عليهم النبي ﷺ بسبع كسبع يوسف، فكان الرجل يرى من الجدب والجوع دخانا بينه وبين السماء، وما يأتي من الآيات يقوي هذا التأويل. المحرر الوجيز: ٥/٦١.

(٢) لم أجده مسندا وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٥/٦٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٤٨٩)، ومسلم الحديث رقم: (٧٢٤٦)، وقوله خمس: أي خمس علامات قد مضين أي وقعن الأولى: الدخان، قال الله تعالى: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ [الدخان: ١٠]، والثانية: القمر، قال الله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر: ١]، والثالثة: الروم، قال الله تعالى: ﴿الم غلبت الروم﴾ [الروم: ١]، والرابعة: البطشة، قال الله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ [الدخان: ١٦]، وهو القتل الذي وقع يوم بدر، والخامسة: اللزام، ﴿فسوف يكون لزاما﴾ قيل: هو القحط، وقيل: هو التصاق القتلى بعضهم ببعض في بدر، وقيل: هو الأسر فيه، وقد أسر سبعون قرشيا فيه. التعليق مأخوذ من عمدة القاري للعيني.

لما أصابهم الدخان، وهذا أظهر لأن ما بعده من كلامهم باتفاق، فيكون الكلام متناسقا.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ هذا من كلام الله تعالى ومعناه استبعاد تذكير الكفار مع تكذيبهم للنبي ﷺ، والواو في قوله: ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ واو الحال ﴿رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ يعني محمدا ﷺ.

﴿وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ﴾ أي يعلمه بشر.

﴿ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ قال ابن عباس[1]: هي يوم القيامة، وقال ابن مسعود: هي يوم بدر.

﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يعني موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ أن هنا مفسرة نائب مناب القول، وأدوا فعل أمر من الأداء، وعباد الله مفعول به وهم بنو إسرائيل، والمعنى أرسلوا بني إسرائيل كما قال في طه ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وقيل: عباد الله منادي، والمعنى: أدوا إلي الطاعة والإيمان يا عباد الله، والأول أظهر.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ﴾ أي لا تتكبروا. ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾ أي حجة وبرهان.

﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ اختلف هل معناه الرجم بالحجارة أو السب، والأول أظهر.

﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾ أي اتركون وخلوا سبيلي.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾ هذا أمر من الله لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والعباد هنا بنو إسرائيل، أي اخرج بهم بالليل. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ إخبار أن فرعون وجنوده يتبعونهم.

---

(١) قال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية، حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال: قال ابن عباس: قال ابن مسعود: البطشة الكبرى: يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة، وهذا إسناد صحيح عنه. الطبري في جامع البيان: ٢٢/٢٣.

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾
وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي
فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ
بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ
مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ۞ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ
وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ
الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ
اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا
فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ
وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾
أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ
﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

ربع

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي ساكنا على هيئته، وقيل: يابسا وروي: أن موسى لما جاوز البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق، فقال الله له: اتركه كما هو ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا فيه، وقيل: معنى رهوا سهلا، وقيل: منفرجا.

﴿وَعُيُونٍ﴾ يحتمل أن يريد الخلجان الخارجة من النيل وكانت ثم عيون في ذلك الزمان، وقيل: يعني الذهب والفضة وهو بعيد.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان، المنابر والمساكن الحسان.

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ من التنعم بالأرزاق وغيرها. ﴿فَاكِهِينَ﴾ أي متنعمين، وقيل فرحين، وقيل: أصحاب فاكهة.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع نصب أي مثل ذلك الإخراج أخرجناهم أو في موضع رفع تقديره: الأمر كذلك. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يعني بني إسرائيل حكاه الزمخشري والماوردي وضعفه ابن عطية، قال لأنه لم يرو في مشهور التواريخ أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر في ذلك الزمان، وقد قال الحسن[1]: إنهم رجعوا، إليها ويدل على أن المراد بنو إسرائيل قوله في الشعراء: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

---

(١) لم أجده مسندًا، وذكره الألوسي في تفسيره: ٢٢٣/١٤.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه عبارة عن تحقيرهم وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه: بكت عليه السماء والأرض، على وجه المجاز والمبالغة، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم أحقر من أن يبالى بهم.

الثاني: قيل إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته، ومن السماء موضع صعود عمله، فالمعنى: أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم كفار، أو ليس لهم عمل صالح.

الثالث: أن المعنى ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض، والأول أفصح وهو منزع معروف في كلام العرب.

﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ أي مؤخرين.

﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ بدل من العذاب. ﴿عَالِيًا﴾ أي متكبرا.

﴿اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي كنا عالمين بأنهم مستحقون لذلك. ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي على أهل زمانهم.

﴿بَلَـٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾ أي اختبار. ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني كفار قريش.

﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ خاطبت قريش بذلك النبي ﷺ وأصحابه على وجه التعجيز، روي: أنهم طلبوا أن يحيي لهم قصي بن كلاب يسألوه عن أحوال الآخرة.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ كان تبع ملك من حمير، وكان مؤمنا وقومه كفارا فذم الله قومه ولم يذمه، وروي عن النبي ﷺ أنه قال[1]: «ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي» ومعنى الآية أقريش أشد وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من

---

(١) لم أجده مسندا، وقال الألوسي: لم يثبت: ١٨/٤٦٩.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾
ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ • إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ
وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا
ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن
رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ
بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

الكفار؟ وقد أهلكنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا فكذلك نهلك هؤلاء، فمقصود الكلام تهديد.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطف على قوم تبع، وقيل: هو مبتدأ فيوقف على ما قبله، والأول أصح.

﴿لَـٰعِبِينَ﴾ حال منفية ذكرت في الأنبياء.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾ المولى هنا يعم الولي والقريب وغير ذلك من الموالي.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ استثناء منقطع إن أراد بقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الكفار، ومتصل إن أراد بذلك جميع الناس.

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ أي الفاجر وهو من الإثم، وقيل: يعني أبا جهل فالألف واللام للعهد، والأظهر أنها للجنس فتعم أبا جهل وغيره.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ هو دُرْدِيّ الزيت[1]، وقيل: ما يذاب من الرصاص وغيره.

﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ أي سوقوه بتعنيف.

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ المصبوب في الحقيقة إنما هو الحميم وهو الماء الحار، ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازا؛ لأن ذلك أبلغ وأشد تهويلا، وقد جاء الأصل في قوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾.

(١) دُرْدِيُّ الزيت وغيره: ما يبقى في أسفله. المختار الصحاح مادة: (درد).

﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ يقال هذا للكافر على وجه التوبيخ والتهكم به، أي كنت العزيز الكريم عند نفسك وروي: أن أبا جهل قال ما بين جبليها أعز مني ولا أكرم فنزلت الآية.

﴿تَمۡتَرُونَ﴾ تفتعلون من المرية وهي الشك.

﴿فِي مُقَامٍ أَمِينٍ﴾ قرئ[1] بضم الميم أي موضع إقامة، وفتحها أي موضع قيام، والمراد به الجنة، والأمين من الأمن أي مأمون فيه، وقيل: من الأمنة وصف به المكان مجازا.

﴿مِن سُندُسٍ وَإِسۡتَبۡرَقٍ﴾ السندس الرقيق من الديباج، والإستبرق الغليظ منه.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع رفع أي الأمر كذلك أو في موضع نصب أي مثل ذلك زوجناهم.

﴿يَدۡعُونَ فِيهَا﴾ أي يدعون خدامهم.

﴿إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ استثناء منقطع، والمعنى: لا يذوقون فيها الموت، لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك، ولولا قوله ﴿فِيهَا﴾ لكان متصلا لعموم لفظ الموت، وقيل: إلا هنا بمعنى بعد، وذلك ضعيف.

﴿يَسَّرۡنَٰهُ﴾ أي سهلناه والضمير للقرآن. ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي بلغتك وهي لسان العرب.

﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾ أي ارتقب نصرنا لك وإهلاكهم فإنهم مرتقبون ضد ذلك، ففيه وعد له ووعيد لهم.

*** *** ***

---

(١) ﴿مقام أمين﴾ قرأ المدنيان وابن عامر ﴿مقام﴾ بضم الميم، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٤١١.

بسم الله الرحمن الرحيم
حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ
آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ
السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ
بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ
آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ هَٰذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ اللَّهُ
الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

ربع

سورة الجاثية

﴿تَنزِيلُ﴾ ذكر في الزمر وما بعد ذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات، وقد ذكر معناه في مواضع.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الأفاك: مبالغة من الإفك وهو الكذب والأثيم من الإثم، وقيل: إنها نزلت في النضر بن الحارث، ولفظها على العموم.

﴿يُصِرُّ﴾ أي يدوم على حاله من الكفر، وإنما عطفه بثم لاستعظام الإصرار على الكفر بعد سماعه آيات الله، واستبعاد ذلك في العقل والطبع.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ أي إذا بلغه منها شيء ولم يرد العلم الحقيقي.

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ كقوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وقد ذكر في إبراهيم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني الشمس والقمر والملائكة وبني آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك.

﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي كل نعمة فمن الله تعالى والمجرور في موضع الحال أو خبر ابتداء مضمر، وقرأ ابن عباس[1] «منة».

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ ابن عباس: بكسر الميم وفتح النون المشددة ونصب التاء على المصدر، قال أبو حاتم: سند هذه القراءة إلى ابن عباس مظلم، وحكاها أبو الفتح عن ابن عباس، وعبد الله بن عمر، والجحدري، وعبد الله بن عبيد بن عمير. المحرر الوجيز: ٥/٧٢.

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ
قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ
وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ
ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ
رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا
وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾
هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ
حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا
يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفار ولا يؤاخذوهم إذا آذوهم، وكان ذلك في صدر الإسلام، قيل: إنها منسوخة بالسيف، وقيل: ليست بمنسوخة؛ لأن احتمال الأذى مندوب إليه على كل حال، وأما القتال على الإسلام فليس من ذلك، وروي: أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل من الكفار، فأراد عمر أن يبطش به، وأيام الله هي نعمه، فالرجاء على أصله، وقيل: أيام الله عبارة عن عقابه، فالرجاء بمعنى الخوف، ويغفروا مجزوم في جواب شرط مقدر، دل عليه قل، قال الزمخشري: حذف معمول القول، والمعنى: قل لهم اغفروا يغفروا. ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فاعل يجزي ضمير يعود على الله وقرئ[1] بنون المتكلم وقال ابن عطية: إن الآية وعيد فالقوم على هذا هم الذين لا يرجون أيام الله، ويكسبون يعني السيئات، وقال الزمخشري: القوم هم الذين آمنوا وجزاؤهم الثواب بما كانوا يكسبون بكظم الغيظ واحتمال المكروه.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ذكر في البقرة. ﴿بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي معجزات من أمر الدين.

---

(١) ﴿لنجزي قوما﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بالنون، وقرأ الباقون بالياء وقرأ أبو جعفر بضم الياء وفتح الزاي مجهلا. وكذا قرأ شيبة وجاءت أيضاً عن عاصم وهذه القراءة حجة على إقامة الجار والمجرور وهو (بما) مع وجود المفعول به الصريح وهو ﴿قوما﴾ مقام الفاعل كما ذهب إليه الكوفيون وغيرهم. النشر: ٢/٤١٢.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أي ملة ودين.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أم هنا للإنكار واجترحوا اكتسبوا والمراد بالذين اجترحوا السيئات الكفار لمقابلته بالذين آمنوا، ولأن الآية مكية وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين، ولذلك يذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يرددها ويبكي طول الليل ويقول لنفسه: من أي الفريقين أنت، ومعناها إنكار ما حسبه الكفار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواء في المحيا والممات، وفي تأويلها مع ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد ليس المؤمنون سواء مع الكفار لا في المحيا ولا في الممات، فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة، والكفار عاشوا على الكفر والمعصية وكذلك ملتهم ليست سواء.

والقول الآخر: أنهم استووا في المحيا في أمور الدنيا من الصحة والرزق فلا يستوون في الممات، بل يسعد المؤمنون ويشقى الكافرون، فالمراد بها إثبات الجزاء في الآخرة، وتفضيل المؤمنين على الكافرين في الآخرة، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح، فيكون معنى الآية كقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ وكقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾.

﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ هذه الجملة بدل من الكاف في قوله: ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهي مفسرة للتشبيه وهي داخلة فيما أنكره الله مما حسبه الكفار، وقيل: هي كلام مستأنف، والمعنى على هذا أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء، وأن محيا الكفار ومماتهم سواء؛ لأن كل واحد يموت على ما عاش عليه، وهذا المعنى بعيد، والصحيح أنها من تمام ما قبلها على المعنى الذي اخترناه، وأما إعرابها:

● أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ
سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا
يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن
كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾
وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا
نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم
مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

فمن قرأ سواء بالرفع[1] فهو مبتدأ وخبره محياهم ومماتهم، والجملة بدل من الجار والمجرور الواقع مفعولا ثانيا لنجعل، ومن قرأ سواء بالنصب فهو حال أو مفعول ثان لنجعل ومحياهم فاعل بسواء لأنه في معنى مستو. ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي ساء حكمهم في تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين.

﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ معطوف على قوله: بالحق لأن فيه معنى التعليل، أو على تعليل محذوف تقديره: خلق الله السموات والأرض ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت.

﴿اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ أي أطاعه حتى صار له كالإله. ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي على علم من الله سابق، وقيل: على علم من هذا الضال بأنه على ضلال، ولكنه يتبع الضلال معاندة. ﴿وَخَتَمَ﴾ ذكر في البقرة. ﴿يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ﴾ قال ابن عطية: فيه حذف مضاف تقديره: من بعد إضلال الله إياه، ويحتمل أن يريد فمن يهديه غير الله.

﴿وَقَالُوا﴾ الضمير لمن اتخذ إلهه هواه، أو لقريش. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ فيه أربع تأويلات:

---

(١) ﴿سواء محياهم﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. النشر: ٤١٢/٢.

أحدها: أنهم أرادوا يموت قوم ويحيا قوم.

والآخر: نموت نحن ويحيا أولادنا.

الثالث: نموت حين كنا عدما أو نطفا، ونحيا في الدنيا.

والرابع: نموت الموت المعروف ونحيا قبله في الدنيا، فوقع في اللفظ تقديم وتأخير، ومقصودهم على كل وجه إنكار الآخرة، ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية بقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ ٱلدَّهْرُ﴾، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ الآية.

﴿قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَا﴾ ذكر في الدخان. ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ الآية رد على المنكرين للحشر والاستدلال على وقوعه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أي تجثو على الركب وتلك هيئة الخائف الذليل. ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي إلى صحائف أعمالها، وقيل: الكتاب المنزل عليها، والأول أرجح لقوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ الآية، فإن قيل: كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى؟ فالجواب: أنه أضافه إليهم لأن أعمالهم ثابتة فيه، وأضافه إلى الله تعالى لأنه مالكه، وأنه هو الذي أمر الملائكة أن يكتبوه.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي نأمر الملائكة الحافظين بكتب أعمالكم، وقيل: إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ، ثم يمسكونه عندهم فتأتي أفعال العباد على ذلك فتكتبها الملائكة، فذلك هو الاستنساخ، وكان ابن عباس[1]: يحتج على ذلك بأن يقول لا يكون الاستنساخ إلا من أصل.

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٣/٥٢٥.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٣)
وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٤) ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا
وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
(٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦)
وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)

سُورَةُ الأَحْقَاف

ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حزب

• حم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا
تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ
فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن
كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا
يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)

﴿أَفَلَمْ تَكُنْ﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

﴿وَحَاقَ﴾ ذكر مرارا. ﴿الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾ النسيان هنا بمعنى الترك، وأما في قوله نسيتم فيحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الذهول.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العتبى وهي الرضا.

***

سورة الأحقاف

﴿تَنزِيلُ﴾ ذكر في الزمر.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ذكر مرارا. ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا﴾ احتجاج على التوحيد ورد على المشركين فالأمر بمعنى التعجيز. ﴿شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أي نصيب. ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ تعجيز لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشراك بالله، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد. ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي بقية من علم قديم يدل على ما يقولون، وقيل: معناه من علم تثيرونه أي تستخرجونه، وقيل: هو الإسناد، وقيل: هو الخط في الرمل، وكانت العرب تتكهن به، وقال رسول الله ﷺ: «كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل فمن وافق خطه فذاك»[(١)].

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ الآية معناها لا أحد أضل ممن يدعو إلها لا يستجيب له وهي الأصنام فإنها لا تسمع ولا تعقل ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم لأنها لا تسمعه.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ أي كان الأصنام أعداء للذين عبدوها ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ الضمير في كانوا للأصنام أي تتبرأ الأصنام

---

(١) مسلم الحديث رقم: (١٢٢٧)، وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (٨٥٩)، وابن حبان الحديث رقم: (٢٢٤٨)، وسنن أبي داود الحديث رقم: (٣٩١١)، قال محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على مسلم ٤/١٧٤٩ في شرح هذا الحديث: واختلف العلماء في معناه، والصحيح أن معناه من وافق خطه فهو مباح له ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقين بالموافقة فلا يباح، والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة وليس لنا يقين بها، وإنما قال النبي ﷺ: «فمن وافق خطه فذاك»، ولم يقل: وهو حرام، بغير تعليق على الموافقة لئلا يتوهم متوهم أن هذا النص يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا وهذا إشارة إلى علم الرمل.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ
كَافِرِينَ ﴿٥﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ
افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ
كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٧﴾ قُلْ مَا
كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا
مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ
عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِي إِسْرَآءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ
فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٩﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ
يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١٠﴾ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ
مُوسَىٰ إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ
ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾ أُولَٰٓئِكَ
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

من الذين عبدوها وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء لأنه أسند إليهم ما يسند إلى العقلاء من الاستجابة والغفلة والعداوة.

﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي لو افتريته لعاقبني الله على الافتراء عقوبة لا تقدرون على دفعها ولا تملكون شيئا من ردها عليه، فكيف أفتريه وأتعرض لعقاب الله؟ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي بما تتكلمون به، يقال أفاض الرجل في الحديث إذا خاض فيه واستمر.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ﴾ البدع والبديع من الأشياء ما لم ير مثله، أي ما كنت أول رسول ولا جئت بأمر لم يجئ به أحد قبلي، بل جئت بما جاء به ناس كثيرون قبلي، فلأي شيء تنكرون ذلك؟ ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ فيها أربعة أقوال: الأول: أنها في أمر الآخرة، وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة، وأن الكفار في النار، وهذا بعيد؛ لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله. والثاني: أنها في أمر الدنيا أي لا أدري بما يقضي الله علي وعليكم، فإن مقادير الله مغيبة وهذا هو الأظهر. الثالث: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة. الرابع: أن هذا كان في الهجرة إذ كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض بها نخل فقلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ﴾ معنى الآية: أرأيتم إن كان

القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين؟ ثم حذف قوله: ألستم ظالمين وهو الجواب؛ لأنه دل على أن الله لا يهدي القوم الظالمين. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها، فالمعنى: أرأيتم إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع شهادة شاهد من بني إسرائيل على مثله، ثم آمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم ألستم أضل الناس وأظلم الناس؟، واختلف في الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عبد الله بن سلام، فقيل على هذا إن الآية مدنية لأنه إنما أسلم بالمدينة، وقيل: إنها مكية وأخبر بشهادته قبل وقوعها، ثم وقعت على حسب ما أخبر، وكان عبد الله[١] بن سلام يقول: في نزلت الآية.

الثاني: أنه رجل من بني إسرائيل كان بمكة.

الثالث: أنه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورجح ذلك الطبري[٢] والضمير في مثله للقرآن، أي يشهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد والضمير في آمن للشاهد فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر فإيمانه بين، وإن كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فإيمانه هو تصديقه بأمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتبشيره به.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ أي لو كان الإسلام خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء، والقائلون لهذه المقالة هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء كبلال وعمار وصهيب، وقيل: بل قالها كنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهينة، وقيل: بل قالها اليهود لما أسلم عبد الله ابن سلام

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وفي البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف قال سمعت مالكا يحدث عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله، عن عامر بن سعد بن وقاص، عن أبيه قال: ما سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام. قال وفيه نزلت هذه الآية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾. البخاري الحديث رقم: (٣٦٠١). والطبري في جامع البيان: ٢٢/١٠٦.

(٢) جامع البيان: ٢٢/١٠٣.

والأول أرجح ؛ لأن الآية مكية وكانت مقالة قريش بمكة وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة ومعنى للذين آمنو من أجل الذين آمنوا أي قالوا ذلك عنهم في غيبتهم وليس المعنى أنهم خاطبوهم بهذا الكلام لأنه لو كان خطابا لقالوا ما سبقتمونا. ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي لما لم يهتدوا قالوا هذا إفك قديم ونحو هذا ما جاء في المثل: من جهل شيئا عاداه، ووصفه بالقدم لأنه قد قيل قديما فإن قيل كيف تعمل فسيقولون في إذ وهي للماضي والعامل مستقبل فالجواب أن العامل في إذ محذوف تقديره إذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون قال ذلك الزمخشري، ويظهر لي أن إذ هنا بمعنى التعليل لا ظرفية بمعنى الماضي فلا يلزم السؤال، والمعنى: أنهم قالوا هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به، وقد جاءت إذ بمعنى التعليل في القرآن وفي كلام العرب ومنه: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي بسبب ظلمكم.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الضمير في قبله للقرآن، وكتاب موسى هو التوراة، و﴿إِمَامًا﴾ حال، ومعناه يقتدى به. ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ الإشارة بهذا إلى القرآن ومعنى مصدق مصدق بما قبله من الكتب، وقد ذكرنا ذلك في البقرة، ولسانا حال من الضمير في مصدق، وقيل: مفعول بمصدق، أي صدق ذا لسان عربي وهو محمد ﷺ واختار هذا ابن عطية.

﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ ذكر في حم السجدة.

﴿حُسْنًا﴾ ذكر في العنكبوت. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي حملته بمشقة ووضعته بمشقة، ويقال كره بفتح الكاف وضمها بمعنى واحد. ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ أي مدة حمله ورضاعه ثلاثون شهرا، وهذا لا يكون إلا بأنه ينقص من أحد الطرفين، وذلك إما أن يكون مدة الحمل ستة أشهر، ومدة الرضاع حولين كاملين، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير

● وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهاً وَوَضَعَتْهُ كَرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنْهُمُ أَحْسَنُ مَا عَمِلُوا وَيُتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِيَ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٧﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِنُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ءَاذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿١٩﴾

ثلاثة أشهر، ومن هذا أخذ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والعلماء: أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وإنما عبر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام لأنه منتهى الرضاع. ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ذكر في يوسف. ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ هذا حد كمال العقل والقوة ويقال إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: إنها عامة.

﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ أي في جملة أصحاب الجنة، كما تقول رأيت فلانا في الناس أي مع الناس. ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ قال مروان بن الحكم[1] نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، حين كفره كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما أف، وأنكرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذلك وقالت: «والله ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي»[2] ويبطل ذلك قطعا قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أسلم وكان من خيار المسلمين، وكان له في الجهاد غناء عظيم، وقال السدى[3]: ما رأيت أعبد منه، وقال ابن عباس[4]: نزلت في ابن لأبي بكر ولم يسمه، ويرد

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: من زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه. تفسير القرآن العظيم: ٢٨٣/٧.

(٢) صحيح عن عائشة وقد تقدم تخريجه.

(٣) لم أجده مسندا.

(٤) روى العَوْفي، عن ابن عباس: أنها نزلت في ابن لأبي بكر الصديق. وفي صحة هذا نظر، والله أعلم.

ذلك ما ذكرناه عن عائشة، وقيل: هي على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، ويدل على أنها عامة قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بصيغة الجمع ولو أراد واحدا بعينه لقال: ذلك حق عليه القول، وقد ذكرنا معنى أف في الإسراء. ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي أتعدانني أنا أن أخرج من القبر إلى البعث. ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ أي وقد مضت قرون من الناس ولم يبعث منهم أحد. ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ الضمير لوالديه أي يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقول ابنهما، ثم يقولان له: ﴿وَيْلَكَ﴾ ثم يأمرانه بالإيمان فيقول: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي قد سطره الأولون في كتبهم وذلك تكذيب بالبعث والشريعة.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي للمحسنين والمسيئين درجات في الآخرة بسبب أعمالهم، فدرجات أهل الجنة إلى علو ودرجات أهل النار إلى سفل، وليوفيهم تعليل بفعل محذوف، وبه يتعلق، تقديره: جعل جزاءهم درجات ليوفيهم أعمالهم.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ العامل فيه محذوف، تقديره: اذكر. ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ تقديره يقال لهم: أذهبتم طيباتكم، والطيبات هنا الملاذ من المآكل وغيرها وقرئ[1] أذهبتم بهمزة واحدة على الخبر وبهمزتين على التوبيخ، والآية في الكفار بدليل قوله: ﴿يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهي مع ذلك واعظة لأهل التقوى من المؤمنين، ولذلك قال عمر[2] لجابر بن عبد الله وقد رآه اشترى لحما، أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية؟ ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي العذاب الذي يقترن به هوان.

---

(١) ﴿أذهبتم طيباتكم﴾ في سورة الأحقاف قرأه بهمزة واحدة على الخبر: نافع وأبو عمرو والكوفيون، والباقون بهمزتين على الاستفهام وهم ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب. النشر: ١/٤١٤.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٧/٤٤٦.

ربع

• وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ
مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا
بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا تَرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن
مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ
عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا
يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا
آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ يعني هودا عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ جمع حقف وهو الكدس من الرمل، واختلف أين كانت؟ فقيل بالشام، وقيل: بين عمان ومهرة، وقيل: بين عمان وحضرموت، والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن. ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ أي تقدمت من قبله ومن بعده والنذر جمع نذير، فإن قيل: كيف يتصور تقدمها من بعده؟ **فالجواب**: أن هذه الجملة اعتراض وهي إخبار من الله تعالى أنه قد بعث رسلا متقدمين قبل هود وبعده، وقيل: معنى من خلفه في زمانه.

﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي قل إن العذاب الذي قلتم: ائتنا به ليس لي علم متى يكون؟ وإنما يعلمه الله، وما علي إلا أن أبلغكم ما أرسلت به.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ العارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء، والضمير في رأوه يعود على ما تعدنا أو على المرئي المبهم الذي فسره قوله: عارضا، قال الزمخشري: وهذا أعرب وأفصح، وروي: أنهم كانوا قد قحطوا مدة، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به، فقال لهم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: بل هو ما استعجلتم به من العذاب، وقوله: ريح بدل من ما استعجلتم، أو خبر ابتداء مضمر.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ عموم يراد به الخصوص.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٩﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٠﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾ • أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٢﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٣﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ هذا خطاب لقريش على وجه التهديد، أي مكنا عادا فيما لم نمكنكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك، ثم أهلكناهم لما كفروا، وإن هنا نافية بمعنى ما، وعدل عن ما كراهية لاجتماعها مع التي قبلها، وقيل: إن شرطية وجوابها محذوف، تقديره: إن مكناكم فيه طغيتم، قال ابن عطية: وهذا تنطع في التأويل.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعني بلاد عاد وثمود وسبإ وغيرها، والمراد إهلاك أهلها.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾ الآية عرض معناه النفي، أي لم تنصرهم آلهتهم التي عبدوا من دون الله. ﴿قُرْبَانًا﴾ أي تقربوا بهم إلى الله، وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وانتصاب قربانا على الحال، ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا لاتخذوا، وآلهة بدل منه لفساد المعنى، قاله الزمخشري، وقد أجازه ابن عطية. ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ أي تلفوا لهم، وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا إليهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي أملناهم نحوك، والنفر دون العشرة وروي: أن الجن كانوا سبعة، وكانوا كلهم ذكرانا لأن النفر الرجال دون النساء، وكانوا من أهل نصيبين، وقيل: من أهل الجزيرة، واختلف هل رآهم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قيل: إنه لم يرهم ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك، وقيل: بل علم بهم واستعد لهم واجتمع معهم، وقد ورد في ذلك عن عبد الله بن مسعود

أحاديث مضطربة(١) وسبب استماع الجن أنهم لما طردوا من استراق السمع من السماء برجم النجوم، قالوا: ما هذا إلا لأمر حدث، فطافوا بالأرض ينظرون ما أوجب ذلك، حتى سمعوا قراءة رسول الله ﷺ في صلاة الفجر في سوق عكاظ، فاستمعوا إليه وآمنوا به.

﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ في هذا دلالة على أنهم كانوا على دين اليهود، وقيل: كانوا لم يعلموا ببعث عيسى. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في البقرة.

﴿دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ. ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ من هنا للتبعيض على الأصح أي يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل الإسلام، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله، وقيل: معنى التبعيض أن المظالم لا تغفر، وقيل: إن من زائدة. ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي من النار، واختلف الناس هل للجن ثواب زائد على النجاة من النار(٢) أم ليس لهم ثواب إلا النجاة خاصة؟.

---

(١) روى عامر الشعبي قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبح إذا هو يجيء من قبل حراء، فقلنا: يا رسول الله! فقدناك وطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم؛ فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه». الجامع لأحكام القرآن: ١٩/٣.

(٢) قال القرطبي: مسألة: هذه الآي تدل على أن الجن كالإنس في الأمر والنهي والثواب والعقاب. وقال الحسن: ليس لمؤمني الجن ثواب غير نجاتهم من النار، يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وبه قال أبو حنيفة قال: ليس ثواب الجن إلا أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا ترابا مثل البهائم. وقال آخرون: إنهم كما يعاقبون في الإساءة يجازون في الإحسان، مثل الإنس، وإليه ذهب مالك والشافعي وابن أبي ليلي. وقد قال الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون. قال القشيري: والصحيح أن هذا مما لم يقطع فيه بشيء، قلت: قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢] يدل على أنهم يثابون ويدخلون الجنة، لأنه قال في أول الآية: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ إلى أن قال ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾. والله أعلم. الجامع لأحكام القرآن: ٢١٧/١٦.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ الآية يحتمل أن يكون من كلام الجن، أو من كلام الله تعالى، ومعنى ليس بمعجز أي لا يفوت.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ الآية احتجاج على بعث الأجساد بخلق السموات والأرض. ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ يقال: عييت بالأمر إذا لم تعرفه، فالمعنى: أنه تعالى علم كيف خلق السموات والأرض وأحكم خلقتها، فلا شك أنه قادر على إحياء الموتى ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ في موضع رفع لأنه خبر أن، وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وخبرها. ﴿بَلَىٰٓ﴾ جواب لما تقدم، أي هو قادر على أن يحيي الموتى.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، أي اصبر على تكذيب قومك، وأولوا العزم: هم نوح، وإبراهيم، وعيسى، وموسى، وقيل: هم الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام، لقوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ وقيل: كل من لقي من أمته شدة، وقيل: الرسل كلهم أولوا عزم، فمن الرسل على هذا لبيان الجنس، وعلى الأقوال المتقدمة للتبعيض. ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ أي لا تستعجل نزول العذاب بهم فإنهم صائرون إليه فإنهم إذا هلكوا كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار لاستقصار أعمارهم ﴿بَلَـٰغٌ﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذا الذي وعظتم به بلاغ بمعنى كفاية في الموعظة، أو بلاغ من الرسول عليه الصلاة والسلام، أي بلغ هذا المواعظ والبراهين.

❊❊ ❊❊ ❊❊

= وقال ابن القيم: عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور أن مؤمن الجن في الجنة كما أن كافرهم في النار وبوب عليه البخاري في صحيحه فقال: باب ثواب الجن وعقابهم، ونص عليه غير واحد من السلف، قال ضمرة بن حبيب وقد سئل هل للجن ثواب؟ فقال: نعم! وقرأ هذه الآية ثم قال: الإنسيات للإنس، والجنيات للجن. التفسير القيم لابن القيم، ص: ١٢٦.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ
كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ
إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ
الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا
بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ
اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ (ربع)
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

سورة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني كفار قريش، وعموم اللفظ يعم كل كافر كما أن قوله بعد هذا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني الصحابة، وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن. ﴿وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون صدوا بمعنى أعرضوا فيكون غير متعد أو يكون بمعنى صدوا الناس فيكون متعديا وسبيل الله الإسلام والطاعة. ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي أبطلها وأحبطها، وقيل: المراد بأعمالهم هنا ما أنفقوا في غزوة بدر، فإن هذه الآية نزلت بعد بدر، واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ هذا تجريد للاختصاص والاعتناء بعد عموم قوله ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ولذلك أكده بالجملة الاعتراضية، وهو قوله ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قيل: معناه أصلح حالهم وشأنهم، وحقيقة البال الخاطر الذي في القلب، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله[1] فالمعنى إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى.

﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أصله: فاضربوا الرقاب ضربا، ثم حذف الفعل وأقام

---

(١) يشير للحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». رواه البخاري الحديث رقم: (٥٢)، ومسلم الحديث رقم: (٤١٧٨)، وغيرهما.

المصدر مقامه، والمراد اقتلوهم ولكن عبر عنه بضرب الرقاب لأنه الغالب في صفة القتل. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ أي هزمتموهم، والإثخان أن يكثر فيهم القتل والأسر. ﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ عبارة عن الأسر. ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ المن العتق والفداء فك الأسير بمال وهما جائزان، فإن مذهب مالك أن الإمام مخير في الأسارى بين خمسة أشياء: وهي المن، والفداء، والقتل، والاسترقاق، وضرب الجزية، وقيل: لا يجوز المن ولا الفداء لأن الآية منسوخة بقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ فلا يجوز على هذا إلا قتلهم، والصحيح أنها محكمة، وانتصب منا وفداء على المصدرية، والعامل فيهما فعلان مضمران. ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ الأوزار في اللغة الأثقال، فالمعنى حتى تذهب وتزول أثقالها وهي آلاتها، وقيل: الأوزار الآثام لأن الحرب لابد أن يكون فيها إثم في أحد الجانبين، واختلف في الغاية المرادة هنا، فقيل: حتى يسلم الجميع فحينئذ تضع الحرب أوزارها، وقيل: حتى تقتلوهم وتغلبوهم، وقيل: حتى ينزل عيسى ابن مريم، قال ابن عطية: ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبدا كما تقول: أنا فاعل ذلك إلى يوم القيامة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديره الأمر ذلك. ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾ أو لو شاء الله لأهلك الكفار بعذاب من عنده ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين وأن يبلو بعض الناس ببعض.

﴿عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ أي جعلهم يعرفون منازلهم فيها فهو من المعرفة، وقيل: معناه طيبها لهم فهو من العرف وهو طيب الرائحة، وقيل: معناه شرفها ورفعها فهو من الأعراف التي هي الجبال.

﴿فَتَعۡسٗا﴾ لهم أي عثارا وهلاكا وانتصابه على المصدرية والعامل فيه فعل مضمر، وعلى هذا الفعل عطف وأضل أعمالهم.

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَـٰرُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَـٰمُ وَالنَّارُ
مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٣﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي
أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٤﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَاتَّبَعُوا أَهْوَآءَهُم ﴿١٥﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ
يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ
مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ
خَـٰلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُوْلَـٰٓئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَآءَهُمْ
﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَـٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَهَلْ
يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ اَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا
جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٩﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿٢٠﴾

﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا﴾ أي لكفار قريش أمثال عاقبه الكفار المتقدمين من الدمار والهلاك.

﴿مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي وليهم وناصرهم وكذلك ﴿وَأَنَّ الْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ معناه لا ناصر لهم، ولا يصح أن يكون المولى هنا بمعنى السيد لأن الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى، ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَرُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلَـٰهُمُ الْحَقِّ﴾ لأن معنى المولى مختلف في الموضعين، فمعنى مولاهم الحق ربهم، وهذا على العموم في جميع الخلق بخلاف قوله: ﴿مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فإنه خاص بالمؤمنين؛ لأنه بمعنى الولي والناصر.

﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَـٰمُ﴾ عبارة عن كثرة أكلهم وعن غفلتهم عن النظر كالبهائم.

﴿مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ يعني مكة، وخروجه ﷺ من وقت الهجرة، ونسب الإخراج إلى القرية والمراد أهلها لأنهم آذوه حتى خرج. ﴿أَهْلَكْنَـٰهُمْ﴾ الضمير للقرى المتقدمة المذكورة في قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وجمعه حملا على المعنى، والمراد أهلكنا أهلها.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي على حجة ويعني به النبي ﷺ، كما يعني قريشا بقوله: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ واللفظ أعم من ذلك.

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ ذكر في الرعد. ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي غير متغير. ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ تقديره: أمثل أهل الجنة المذكورة كمن هو خالد في النار، فحذف هذا التقدير المراد به النفي وإنما حذفه لدلالة التقدير المتقدم وهو قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين، وجاء يستمعون بلفظ الجمع رعيا لمعنى من. ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ روي[1] أنه عبد الله بن مسعود. ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين إما احتقارا لكلامه كأنهم قالوا: أي فائدة فيه؟ وإما جهلا منهم ونسيانا لأنهم كانوا وقت كلامه معرضين عنه، وآنفا معناه الساعة الماضية قريبا، وأصله من استأنفت الشيء إذا ابتدأته.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ يعني المؤمنين، والضمير في زادهم لله تعالى أو للكلام الذي قال فيه المنافقون ماذا قال آنفا، وقيل: يعني بالذين اهتدوا قوما من النصارى آمنوا بسيدنا محمد ﷺ، فاهتداؤهم هو إيمانهم بعيسى، وزيادة هداهم إسلامهم.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ الضمير للمنافقين، والمعنى: هل ينتظرون إلا الساعة؟ لأنها قريبة. ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي علاماتها والذي كان قد جاء من ذلك مبعث سيدنا محمد ﷺ لأنه قال[2]: «أنا من أشراط الساعة» و«بعثت أنا والساعة كهاتين»[3] ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ أي كيف لهم الذكرى إذا

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة وابن عساكر عن ابن بريدة رضي الله عنه: ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ قال: هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. الدر المنثور: ٧/٤٦٦.

(٢) لم أجده مسندا وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٥/١٠٢.

(٣) في البخاري حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا الفضيل بن سليمان حدثنا أبو حازم حدثنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام «بعثت أنا والساعة كهاتين...» الحديث رقم: (٤٦٥٢)، ومسلم الحديث رقم: (٢٠٤٢)، وغيرهما.

• وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ
مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا
اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ
الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى
الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ
كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ
اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾

جاءتهم الساعة بغتة فلا يقدرون على عمل، ولا تنفعهم التوبة، ففاعل جاءتهم الساعة، وذكراهم مبتدأ وخبره الاستفهام المتقدم، والمراد به الاستبعاد.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي دم على العلم بذلك، واستدل بعضهم بهذه الآية على أن النظر والعلم قبل العمل[1] لأنه قدم قوله: ﴿فَاعْلَمْ﴾ على قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ قيل: متقلبكم تصرفكم في الدنيا، ومثواكم إقامتكم في القبور، وقيل: متقلبكم تصرفكم في اليقظة، ومثواكم منامكم.

﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن والرغبة فيه لأنهم كانوا يفرحون به ويستوحشون من إبطائه. ﴿مُّحْكَمَةٌ﴾ يحتمل أن يريد بالمحكمة ليس فيها منسوخ، أو يريد متقنة، وقرأ ابن مسعود[2] سورة محدثة. ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين، ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتل؛ لأن نظر الخائف قريب من نظر المغشي عليه. ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ في معناه قولان:

---

(١) في صحيح البخاري: باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فبدأ بالعلم. الحديث رقم: (١٠) الجامع الصحيح المختصر: ١/٣٧.

(٢) في الطبري: وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدَثَةٌ﴾ جامع البيان: ٢٢/١٧٤.

أحدهما: أنه بمعنى أحق وخبره على هذا طاعة، والمعنى أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحق.

والآخر: أن أولى لهم كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم، كقولك: ويل لهم ومنه: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ فيوقف على أولى لهم على هذا القول، ويكون طاعة ابتداء كلام تقديره: طاعة وقول معروف أمثل، أو المطلوب منهم طاعة وقول معروف، أو قولهم لك يا محمد طاعة وقول معروف بألسنتهم دون قلوبهم.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أسند العزم إلى الأمر مجازا كقولك: نهاره صائم وليلة قائم. ﴿صَدَقُوا اللَّهَ﴾ يحتمل أن يريد صدق اللسان أو صدق العزم والنية وهو أظهر.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ هذا خطاب للمنافقين المذكورين خرج من الغيبة إلى الخطاب ليكون أبلغ في التوبيخ، والمعنى: هل يتوقع منكم الإفساد في الأرض وقطع الأرحام إن توليتم، ومعنى توليتم صرتم ولاة على الناس وصار الأمر لكم، وعلى هذا قيل: إنها نزلت في بني أمية، وقيل: معناه أعرضتم عن الإسلام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم﴾ نزلت في المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم، وقيل: نزلت في قوم من اليهود كانوا قد عرفوا نبوءة سيدنا محمد ﷺ من التوراة ثم كفروا به. ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي زين لهم ورجاهم ومناهم. ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أي مد لهم في الأماني والآمال والفاعل هو الشيطان، وقيل: الله تعالى، والأول أظهر لتناسب الضمير بين الفاعلين في سول وأملى.

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ قال ذلك اليهود للمنافقين، وبعض الأمر يعنون به مخالفة رسول الله ﷺ ومحاربته.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي
لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ
﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ
وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ
أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا
فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ
تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ
يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

ربع

يعني ملك الموت ومن معه، والفاء رابطة للكلام مع ما قبله، والمعنى هذا جزعهم من ذكر القتال فكيف يكون حالهم عند الموت؟. ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ ضمير الفاعل للملائكة، وقيل: إنه للكفار أي يضربون وجوه أنفسهم وذلك ضعيف.

﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الآية معناها ظن المنافقون أن لن يفضحهم الله والضغن الحقد ويراد به هنا النفاق والبغض في الإسلام وأهله.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ أي لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلامتهم، ولكن الله ستر عليهم إبقاء عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين، وروي: أن الله لم يذكر واحدا منهم باسمه. ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ معنى لحن القول مقصده وطريقته، وقيل: اللحن هو الخفي المعنى كالكناية والتعريض، والمعنى: أنه ﷺ سيعرفهم من دلائل كلامهم، وإن لم يعرفه الله بهم على التعيين.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي نختبركم. ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ أي نعلمه علما ظاهرا في الوجود تقوم به الحجة عليكم، وقد علم الله الأشياء قبل كونها، ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم، وكان الفضيل بن عياض[1] إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبتلينا فإنك إذا ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا.

﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي خالفوه وعادوه ونزلت الآية في المنافقين وقيل في اليهود.

(١) السراج المنير: ٤/١٢، والكشاف: ٤/٣٣٠، والمحرر الوجيز: ٥/١٠٧.

﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يحتمل أربعة معان:

أحدها: لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان.

والثاني: لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات، ذكره الزمخشري وهذا على مذهب المعتزلة خلافا للأشعرية، فإن مذهبهم أن السيئات لا تبطل الحسنات.

والثالث: لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب.

والرابع: لا تبطلوا أعمالكم بأن تقتطعوها قبل تمامها، وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية، وبهذا يستدلون على أن من ابتدأ نافلة لم يجز له قطعها، وهذا أبعد هذه المعاني، والأول أظهر لقوله قبل ذلك في الكفار أو المنافقين ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدهم عن سبيل الله ومشاقتهم الرسول.

﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ هذا قطع بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له، وقد أجمع المسلمون على ذلك.

﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أي لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم بالصلح، فهو كقوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾. ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أي لن ينقصكم أجور أعمالكم يقال وترت الرجل أترة إذا نقصته شيئا، أو أذهبت له متاعا.

﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ أي لا يسألكم جميعها إنما يسألكم ما يخف عليكم مثل ربع العشر وذلك خفيف.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ﴾ معنى يحفكم يلح عليكم، والإحفاء أشد السؤال، وتبخلوا جواب الشرط. ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ الفاعل الله تعالى أو البخل، والمعنى يخرج ما في قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ منصوب على التخصيص أو منادى. ﴿لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني الجهاد والزكاة. ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ أي إنما ضرر بخله على نفسه، فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذي يستحقه بالإنفاق. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ أي يأت بقوم على خلاف صفتكم، بل راغبين في الإنفاق في سبيل الله، فقيل: إن هذا الخطاب لقريش، والقوم غيرهم هم الأنصار، وهذا ضعيف؛ لأن الآية مدنية نزلت والأنصار حاضرون، وقيل: الخطاب لكل من كان حينئذ بالمدينة، والقوم هم أهل اليمن، وقيل: فارس.

تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع والأخير وأوله سورة الفتح

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
سورة الحج	٩٧٣
سورة المؤمنون	٩٩٨
سورة النور	١٠١٧
سورة الفرقان	١٠٤٩
سورة الشعراء	١٠٦٦
سورة النمل	١٠٨٣
سورة القصص	١١٠٢
سورة العنكبوت	١١٢٢
سورة الروم	١١٣٤
سورة لقمان	١١٤٤
سورة السجدة	١١٤٩
سورة الأحزاب	١١٥٤
سورة سبأ	١١٨٢
سورة فاطر	١١٩٨
سورة يس	١٢١٠
سورة الصافات	١٢٢٦

الموضوع	الصفحة
سورة داود عليه السلام	١٢٤٩
سورة الزمر	١٢٧٣
سورة غافر	١٢٩٤
سورة فصلت	١٣٠٩
سورة الشورى	١٣٢٠
سورة الزخرف	١٣٣٨
سورة الدخان	١٣٥٧
سورة الجاثية	١٣٦٤
سورة الأحقاف	١٣٧٠
سورة محمد ﷺ	١٣٨٠

*** *** ***

التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي
الكلبي الغرناطي المالكي
(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

أ. د. محمد بن سيدي محمد مولاي

الجزء الرابع

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

التجليد الفني
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد
بيروت

www.daraldheya.com

دار الضياء
DAR ALDEYAA
للنشر والتوزيع - الكويت
For Printing & Publishing - KUWAIT

دار الضياء
للنشر والتوزيع - الكويت
الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
ص.ب: ١٣٤٦ حولي
الرمز البريدي: ٣٢٠١٤
تلفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠ (٩٦٥+)
نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠ (٩٦٥+)

dar_aldheyaa@yahoo.com

الموزعون المعتمدون

دولة الكويت:
دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي — تلفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠ — نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠

المملكة العربية السعودية:
دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة — هاتف: ٦٣٢١١٧١٠ — فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢
دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض — هاتف: ٤٩٢٥١٩٢ — فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
المكتبة المكية - مكة المكرمة — هاتف: ٥٢٤٠٨٢٢ — فاكس: ٥٣٦٦٢٩٩٠
مكتبة العبيكان - جميع فروعها في المملكة — هاتف: ٩٠٠٢٠٠٢٠٢٠٩

الجمهورية التركية:
مكتبة الإرشاد - اسطنبول — هاتف: ٠٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٢٤ — فاكس: ٠٢١٢٦٣٨١٧٠٠
المكتبة الهاشمية - اسطنبول — هاتف: ٠٢١٢٥٢٠٢٥٣٣ — فاكس: ٠٢١٢٥٢٠١٥٩٦

الجمهورية اللبنانية:
دار إحياء التراث العربي - بيروت — هاتف: ٥٤٠٠٠٠ — فاكس: ٨٥٠٧١٧
شركة دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان — هاتف: ٧٠٢٨٥٧ — فاكس: ٧٠٤٩٦٣
شركة التمام - بيروت - كورنيش المزرعة — هاتف: ١٧٠٧٠٢٩

الجمهورية العربية السورية:
دار الفجر - دمشق - حلبوني — هاتف: ٢٢٢٨٣١٦ — فاكس: ٢١٥٣١٩٣
دار الكلم الطيب - دمشق - حلبوني — هاتف: ٢٤٥١٢٣٦ — فاكس: ٢٢٣٧٦٠٢

جمهورية مصر العربية:
دار البصائر - القاهرة - زهراء مدينة نصر — تلفاكس: ٠٢٢٤١١١٤٤١ — محمول: ٠١٠٠٢٤٣٦٣٦٣

المملكة الأردنية الهاشمية:
دار الرازي - عمان - العبدلي — تلفاكس: ٤٦٤٦١١٦
دار محمد دنديس للنشر والتوزيع - عمان — هاتف: ٦٤٦٥٣٣٩٠ — تلفاكس: ٦٤٦٥٣٣٨٠

الجمهورية اليمنية:
مكتبة تريم الحديثة - تريم — هاتف: ٤١٧١٣٠ — فاكس: ٤١٨١٣٠

الجمهورية الإسلامية الموريتانية:
شركة الكتب الإسلامية - نواكشوط — هاتف: ٠٠٢٢٢٥٢٥٢٤٦١

مملكة البحرين:
جمعية الإمام مالك بن أنس - المحرق — هاتف: ١٧٣٣٤٢٥٠ — فاكس: ١٧٣٣٤٣٦٠

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه وبأي شكل من الأشكال أو نسخه أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا يسمح بالاقتباس منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي

الكلبي الغرناطي المالكي

(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

أ. د. محمد بن سيدي محمد مولاي

الجزء الرابع

دار الضياء

للنشر والتوزيع

الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الفَتْح (مدنية) (آياتها ٢٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن
ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ
السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ
وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ
وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾
وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿٧﴾ • إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ثمن
وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

سورة الفتح

نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، لما أراد أن يعتمر بمكة فصده المشركون، وقال رسول الله ﷺ لعمر وهما راجعان إلى المدينة: لقد نزلت علي سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها(١).

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ يحتمل هذا الفتح في اللغة أن يكون بمعنى الحكم أي حكمنا لك على أعدائك، أو من الفتح بمعنى العطاء كقوله: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ أو من فتح البلاد، واختلف في المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال:

الأول: أنه فتح مكة، وعده الله به قبل أن يكون، وذكره بلفظ الماضي لتحققه، وهو على هذا بمعنى فتح البلاد.

الثاني: أنه ما جرى في الحديبية من بيعة الرضوان ومن الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش، وهو على هذا بمعنى الحكم أو بمعنى العطاء، ويدل على صحة هذا القول أنه لما وقع صلح الحديبية شق ذلك على بعض المسلمين بشروط كانت فيه حتى أنزل الله هذه السورة ويتبين أن ذلك الصلح له عاقبة محمودة، وهذا هو الأصح لأنه روي: أنها لما نزلت قال بعض الناس: ما هذا

---

(١) البخاري تفسير سورة الفتح الحديث رقم: (٤٧٢٥) باب فضل سورة الفتح، وتمامه: ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

الفتح وقد صدنا المشركون عن البيت، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالروح، ورغبوا إليكم في الأمان.

الثالث: أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح كفتح خيبر وغيرها.

الرابع: أنه الهداية إلى الإسلام، ودليل هذا القول قوله ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ فجعل الفتح علة للمغفرة، ولا حجة في ذلك إذ يتصور في الجهاد وغيره أن يكون علة للمغفرة أيضا، أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للتعليل فيكون المعنى إنا فتحنا لك فتحا مبينا فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة بأن غفر لك وأتم نعمته عليك وهداك ونصرك.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي السكون والطمأنينة يعني سكونهم في صلح الحديبية وتسليهم بفعل رسول الله ﷺ، وقيل: معناه الرحمة.

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ معناه أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين، وقالوا ﴿لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ وقيل: معناه أنهم لا يعرفون الله بصفاته، فذلك هو ظن السوء به، والأول أظهر بدليل ما بعده. ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ يحتمل أن يكون خبرا أو دعاء.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ أي تشهد على أمتك.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي تعظموه، وقيل: تنصرونه وقرئ[١] تعززوه بزايين منقوطتين، والضمير في تعزروه وتوقروه للنبي ﷺ، وفي تسبحوه لله تعالى، وقيل: الثلاثة لله.

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ محمد بن السميفع اليماني وابن عباس «وتعززوه» بزايين من العزة، المحرر الوجيز: ٥/١١٣.

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن
نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ
اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ
الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ
بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ
وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ
ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ
مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ
اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ
تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هذا تشريف للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله، ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك على وجه التخييل والتمثيل، يريد أن يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تعلو يد المبايعين له هي يد الله في المعنى، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام كعقده مع الله كقوله: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها النعمة أو القوة وهذا بعيد هنا، ونزلت الآية في بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد. ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ يعني أن ضرر نكثه على نفسه ويراد بالنكث هنا نقض البيعة.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الآية سماهم بالمخلفين لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبية(١)، والأعراب هم أهل البوادي من العرب لما خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة يعتمر، رأوا أنه يستقبل عدوا كثيرا من قريش وغيرهم، فقعدوا عن الخروج معه ولم يكن إيمانهم متمكنا، فظنوا أنه لا يرجع هو والمؤمنون من ذلك السفر، ففضحهم الله في هذه السورة، وأعلم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقولهم واعتذارهم قبل

(١) لفظ مسلم: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ. الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا». قَالَتْ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَانْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾» صحيح مسلم الحديث رقم (٦٥٦٠): وصحيح ابن حبان (٤٨٠٢).

أن يصل إليهم، وأعلمه أنهم كاذبون في اعتذارهم. ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد قولهم شغلتنا أموالنا وأهلونا لأنهم كذبوا في ذلك، أو قولهم فاستغفر لنا لأنهم قالوا ذلك رياء من غير صدق ولا توبة.

﴿قَوْماً بُوراً﴾ أي هالكين، من البوار وهو الهلاك ويعني به الهلاك في الدين.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الآية أخبر الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المخلفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرجوا إلى غزوة أخرى، وهي غزوة خيبر فأمر الله بمنعهم من ذلك وأن يقول لهم لن تتبعونا. ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُواْ كَلَامَ اللَّهِ﴾ أي يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل الحديبية، وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها، وأن يكون ذلك مختصا بهم دون غيرهم، وأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل، وقيل: كلام الله قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً﴾ وهذا ضعيف لأن هذه الآية نزلت بعد رجوع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تبوك بعد الحديبية بمدة. ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يريد وعده باختصاصه أهل الحديبية بغنائم خيبر ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ معناه يعز عليكم أن نصيب معكم مالا وغنيمة، وبل هنا للإضراب عن الكلام المتقدم، وهو قوله: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ فمعناها رد أن يكون الله حكم بأن لا يتبعوهم، وأما بل في قوله تعالى ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ فهي إضراب عن وصف المؤمنين بالحسد، وإثبات لوصف المخلفين بالجهل.

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اختلف في هؤلاء القوم على أربعة أقوال:

الأول: أنهم هوازن ومن حارب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة خيبر.

والثاني: أنهم الروم إذ دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قتالهم في غزوة تبوك.

والثالث: أنهم أهل الردة من بني حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن
تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ
عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ
حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ
عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ
فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ
ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾
سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

والرابع: أنهم الفرس ويتقوى الأول والثاني بأن ذلك ظهر في حياة رسول الله ﷺ، وقوى المنذر بن سعيد القول الثالث بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام، ولم يذكر الجزية، قال وهذا لا يوجد إلا في أهل الردة.

قلت: وكذلك هو موجود في كفار العرب، إذ لا تؤخذ منهم الجزية، فيقوي ذلك أنهم هوازن، أو يسلمون عطف على تقاتلونهم، وقال ابن عطية: هو مستأنف.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يريد في غزوة الحديبية.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية معناها أن الله تعالى عذر الأعمى والأعرج والمريض في تركهم للجهاد لسبب أعذارهم.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها»** وفي الحديث أنهم كانوا ألفا وأربعمائة(١) وقيل: ألفا وخمسمائة، وسبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ لما بلغ الحديبية وهي موضع على نحو عشرة أميال من مكة، أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه رسولا إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر، وأنه لا يريد حربا، فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه كرامة له، فصرخ صارخ أن عثمان قد قتل، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة على القتال،

(١) البغوي في معالم التنزيل: ٧/٣٠٤.

وأن لا يفر أحد، وقيل: بايعوه على الموت، ثم جاء عثمان بعد ذلك سالما، وانعقد الصلح بين رسول الله ﷺ وبين أهل مكة، على أن يرجع ذلك العام، ويعتمر[1] في العام القابل، والشجرة المذكورة كانت سمرة هنالك ثم ذهبت بعد سنين، فمر عمر بن الخطاب بالموضع في خلافته، فاختلف الصحابة في موضعها. ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني من صدق الإيمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه وقيل من كراهة البيعة على الموت وهذا باطل لأنه ذم للصحابة وقد ذكرنا السكينة. ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ يعني فتح خيبر، وقيل: فتح مكة، والأول أشهر، أي جعل الله ذلك ثوابا لهم على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة، وأما المغانم المذكورة أولا فهي غنائم خيبر، وهي المعطوفة على الفتح القريب، وأما المغانم الكثيرة التي وعدهم الله وهي المذكورة ثانيا فهي كل ما يغنم المسلمون إلى يوم القيامة، والإشارة بقوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ إلى خيبر، وقيل: إن المغانم التي وعدهم هي خيبر، والإشارة بهذه إلى صلح الحديبية.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي كف أهل مكة عن قتالكم في الحديبية، وقيل: كف اليهود وغيرهم عن إضرار نسائكم وأولادكم، بينما خرجتم إلى الحديبية. ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي تكون هذه الفعلة وهي كف أيدي الناس عنكم آية للمؤمنين يستدلون بها على النصر، واللام تتعلق بفعل محذوف، تقديره: فعل الله ذلك لتكون آية.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ يعني فتح مكة، وقيل: فتح بلاد فارس والروم، وقيل: مغانم هوازن في حنين، والمعنى: لم تقدروا أنتم عليها وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم، وإعراب أخرى عطف على ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ أو مفعول بفعل مضمر، تقديره: أعطاكم أخرى أو مبتدأ.

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني أهل مكة. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي عادته،

---

(١) في نسخة (م) فيعتمر.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ
مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ
مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم
مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ
تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ
التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ۞ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ثمن
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ
وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

والإشارة إلى يوم بدر، وقيل: الإشارة إلى نصر الأنبياء قديما.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ روى في سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية ليصيبوا من عسكر رسول الله ﷺ فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في جماعة من المسلمين فهزموهم وأسروا منهم قوما، وساقوهم إلى رسول الله ﷺ فأطلقهم، فكف أيدي الكفار هو أن هزموا وأسروا، وكف أيدي المؤمنين عن الكفار هو إطلاقهم من الأسر وسلامتهم من القتل، وقوله: ﴿مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني من بعدما أخذتموهم أسارى.

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أهل مكة. ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية. ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ الهدى ما يهدي إلى البيت من الأنعام، وكان رسول الله ﷺ قد ساق حينئذ مائة بدنة[(١)]، وقيل: سبعين ليهديها، والمعكوف المحبوس، ومحله موضع نحره يعني مكة والبيت، وإعراب الهدى عطف على الضمير المفعول في صدوكم، ومعكوفا حال من الهدى، وأن يبلغ مفعول بالعكف، فالمعنى: صدوكم

---

(١) روى بن عباس: أن رسول الله ﷺ أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من فضة، ورواه مالك بن أنس في الموطإ مرسلا، وفي رواية: وأشرك عليا رضي الله عنه في ثلثها. شرح معاني الآثار للطحاوي: ٤/١٧٩، والسنن الكبرى للبيهقي: ٩/٢٩٢.

عن المسجد الحرام وصدوا الهدى عن أن يبلغ محله، والعكف المذكور يعني به منع المشركين للهدي عن بلوغ مكة، أو حبس المسلمين بالهدي بينما ينظرون في أمورهم. ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ الآية تعليل لصرف الله المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل، وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم، فلو سلط الله المسلمين على أهل مكة لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن كفهم رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم، وجواب لولا محذوف، تقديره: لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلطناكم عليهم. ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ في موضع بدل من رجال ونساء، أو بدل من الضمير المفعول في ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ والوطء هنا الإهلاك بالسيف وغيره. ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ أي تصيبكم من قتلهم مشقة وكراهة، واختلف هل يعني الإثم في قتلهم، أو الدية، أو الكفارة، أو الملامة، أو عيب الكفار لهم بأن يقولوا قتلوا أهل دينهم، أو تألم نفوسهم من قتل المؤمنين؟، وهذا أظهر؛ لأن قتل المؤمن الذي لا يعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية ولا ملامة ولا عيب. ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يعني رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار، بأن كف سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم أو رحمة لمن شاء من الكفار بأن يسلموا بعد ذلك، واللام تتعلق بمحذوف يدل عليه سياق الكلام، تقديره: كان كف القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء. ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ معنى تزيلوا تميزوا عن الكفار، والضمير للمؤمنين المستوري الإيمان، أي لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار فقوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب لو الثانية، وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا، ويحتمل أن يكون لعذبنا جواب لو الأولى، وكررت لو الثانية تأكيدا.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ يعني أنفة الكفر وهي منعهم

للنبي ﷺ والمسلمين عن العمرة، ومنعهم من أن يكتب في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، ومنعهم من أن يكتب محمد رسول الله، وقولهم: لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، والعامل في إذ جعل محذوف، تقديره: اذكر أو قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ والسكينة هي سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك. ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال الجمهور: هي لا إله إلا الله، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ[1]، وقيل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: لا إله إلا الله، والله أكبر، وهذه كلها متقاربة، وقيل: هي بسم الله الرحمن الرحيم التي أبى الكفار أن تكتب. ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه لهم أحق بها من اليهود والنصارى.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون، وروي: أنه أتاه ملك في النوم، فقال له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ الآية، فأخبر الناس برؤياه ذلك فظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام، فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية، قال المنافقون: أين الرؤيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي تلك الرؤيا صادقة وسيخرج تأويلها بعد ذلك، فاطمأنت قلوب المؤمنين، وخرج رسول الله ﷺ في العام المقبل هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا وأقاموا بمكة ثلاثة أيام، وظهر صدق رؤياه، وتلك عمرة القضية، ثم فتح مكة بعد ذلك، ثم حج هو وأصحابه، وصدق في هذا الموضع يتعدى إلى مفعولين، وبالحق يتعلق بصدق أو بالرؤيا على أن يكون حالا منها. ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضي الشك في الأمر وذلك محال على الله، اختلف في هذا الاستثناء على خمسة أقوال:

---

(١) أخرجه التِّرمِذِي (٣٢٦٥) من حديث الطُّفَيْل بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما.

الأول: أنه استثناء قاله الملك الذي رآه النبي ﷺ في المنام فحكى الله مقالته كما وقعت.

والثاني: أنه تأديب من الله لعباده ليقولون إن شاء الله في كل أمر مستقبل.

والثالث: أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته لأنه يمكن أن يتم له الأمر أو يموت أو يمرض فلا يتم له.

والرابع: أن الاستثناء راجع إلى قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ لا لدخول المسجد.

والخامس: أن إن شاء الله بمعنى إذا شاء الله.

﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الحلق والتقصير من سنة الحج والعمرة، والحلق أفضل من التقصير لقول رسول الله ﷺ: «رحم الله المحلقين ثلاثا، ثم قال في المرة الأخيرة والمقصرين»[1]. ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ يريد ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة، فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب ورغب الناس في الإسلام فكان رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية في ألف وخمسمائة، وقيل: ألف وأربعمائة، وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين، ومعه عشرة آلاف. ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ يعني فتح خيبر، وقيل: بيعة الرضوان، وقيل: صلح الحديبية، وهذا هو الأصح؛ لأن عمر[2] قال لرسول الله ﷺ: أفتح هو يا رسول الله؟ قال: نعم، وقيل: هو فتح مكة، وهذا ضعيف؛ لأن معنى قوله: ﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ قبل دخول المسجد الحرام، وإنما كان فتح مكة بعد ذلك، فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة، وعمرة القضية عام سبعة، وفتح مكة عام ثمانية.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ذكر في براءة. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً﴾ أي

(١) البخاري الحديث رقم: (١٦٤٠)، ومسلم الحديث رقم: (٣٢٠٤)، وغيرهما.

(٢) سنن أبي داود الحديث رقم: (٢٧٣٨) قال الألباني: ضعيف.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ربع

• يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

شاهدا بأن محمدا رسول الله أو شاهدا بإظهار دينه.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني جميع أصحابه، وقيل: من شهد معه الحديبية، وإعراب الذين معطوف على محمد رسول الله صفته، وأشداء خبر عن الجميع، وقيل: الذين معه مبتدأ وأشداء خبره، ورسول الله خبر محمد، ورجح ابن عطية هذا، والأول عندي أرجح لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي ﷺ وأصحابه، وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصا بالصحابة دون النبي ﷺ، وما أحق النبي ﷺ بالوصف بذلك؛ لأن الله قال فيه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وقال: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ فهذه هي الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين.

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ السيما العلامة، وفيه ستة أقوال:

الأول: أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود.

والثاني: أنه أثر التراب في الوجه.

الثالث: أنه صفرة الوجه من السهر والعبادة.

والرابع: حسن الوجه لما ورد في لحديث[1]: «من كثرت صلاته بالليل حسن

(١) سنن ابن ماجه الحديث رقم: (١٣٣٣) حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحي. حدثنا ثابت بن موسى أبو يزيد عن شريك عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» قال المعلق محمد فؤاد عبد الباقي:=

وجهه بالنهار» وهذا الحديث غير صحيح بل وقع فيه غلط من الراوي فرفعه إلى النبي ﷺ، وهو غير مروي عنه.

الخامس: أنه الخشوع.

السادس: أن ذلك يكون في الآخرة يجعل الله لهم نورا من أثر السجود، كما يجعل غرة من أثر الوضوء، وهذا بعيد؛ لأن قوله: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ وصف حالهم في الدنيا فكيف يكون سيماهم في وجوههم كذلك؟ والأول أظهر، وقد كان بوجه علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن عبد الله بن العباس أثر ظاهر من أثر السجود.

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي وصفهم فيها، وتم الكلام هنا، ثم ابتدأ قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ وقيل: إن مثلهم في الإنجيل عطف على مثلهم في التوراة، ثم ابتدأ قوله: كزرع، وتقديره: هم كزرع، والأول أظهر ليكون وصفهم في التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان، وتمثيلهم في الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك، وعلى هذا يكون مثلهم في الإنجيل بمعنى التشبيه والتمثيل، وعلى القول الآخر يكون المثل بمعنى الوصف كمثلهم في التوراة.

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ هذا مثل ضربه الله للإسلام حيث بدأ ضعيفا ثم قوي وظهر، وقيل: الزرع مثل للنبي ﷺ؛ لأنه بعث وحده وكان كالزرع حبة

= معنى الحديث ثابت بموافق القرآن وشهادة التجربة، لكن الحفاظ على أن الحديث بهذا اللفظ غير ثابت. وأخرج البيهقي في الشعب عن محمد بن عبد الرحمن بن كامل قال قلت لمحمد بن عبد الله بن نمير ما تقول في ثابت ابن موسى؟ قال شيخ له فضل وإسلام ودين وصلاح وعبادة. قلت ما تقول في هذا الحديث؟ قال غلط من الشيخ، وأما غير ذلك فلا يتوهم عليه. وقد تواردت أقوال الأئمة على عد هذا الحديث في الموضوع على سبيل الغلط لا التعمد. وخالفهم القضاعي في مسند الشهاب فمال في الحديث إلى ثبوته. اهـ السندي، قال الشيخ الألباني: ضعيف.

واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل، ويقال بإسكان الطاء[١] وفتحها بمد وبدون مد وهي لغات. ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي قواه وهو من الموازرة بمعنى المعاونة، ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع والمفعول شطأه أو بالعكس؛ لأن كل واحد منهما يقوى الآخر، وقيل: معناه ساواه طولا، فالفاعل على هذا الشطء ووزن آزره فاعله، وقيل: أفعله وقرئ[٢] بقصر الهمزة على وزن فعل. ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أي صار غليظا. ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ جمع ساق أي قام الزرع على سوقه، وقيل: قوله: كزرع يعني النبي ﷺ، أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى على سوقه بعلي بن أبي طالب. ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ تعليل لما دل عليه المثل المتقدم من قوة المسلمين فهو يتعلق بفعل يدل عليه الكلام، تقديره: جعلهم الله كذلك ليغيظ بهم الكفار، وقيل: يتعلق بوعد وهو بعيد. ﴿مِنْهُم﴾ لبيان الجنس لا للتبعيض لأنه وعد عم جميعهم رضي الله عنهم.

*** *** ***

(١) ﴿شطأه﴾ قرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء. وقرأ الباقون بإسكانها. النشر: ٢/٤١٥.

(٢) الداني: ابن ذكوان ﴿فأزره﴾ بالقصر والباقون بالمد. التيسير، ص: ١٣٠.

سورة الحجرات

﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به، ولا تقطعوا في أمر إلا بنظره.

والثاني: لا تقدموا الولاة بمحضره، فإنه يقدم من شاء.

والثالث: لا تتقدموا بين يديه إذا مشى، وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب(١) لا تقدموا بفتح التاء والقاف والدال، والأول هو الأظهر؛ لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي، وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له، فربما فعل ذلك قوم مع النبي ﷺ فنهاهم الله عن ذلك، ولذلك قال مجاهد(٢): معناه لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يذكره على لسان رسوله ﷺ، وإنما قال: بين يدي الله لأن النبي ﷺ إنما يتكلم بوحي من الله.

﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبي ﷺ بهذا الأدب كرامة له وتعظيما، وسببها(٣): أن بعض جفاة الأعراب كانوا يرفعون أصواتهم. ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ مفعول من أجله تقديره: مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته أو جهرتم له بالقول ﷺ، فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معا من طريق المعنى، وأما من طريق الإعراب فيتعلق عند البصريين بالثاني، وهو (لا تجهروا)، وعند الكوفيين بالأول وهو ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ وهذا الإحباط؛ لأن قلة الأدب معه ﷺ والتقصير في توقيره يحبط الحسنات وإن فعله مؤمن، لعظيم ما وقع فيه من ذلك، وقيل: إن الآية خطاب للمنافقين وهذا ضعيف لقوله في أولها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقوله:

---

(١) ﴿لا تقدموا﴾ قرأ يعقوب بفتح التاء والدال، وقرأ الباقون بضم التاء وكسر الدال. النشر: ٢/٤١٥.

(٢) البخاري في صحيحه، باب تفسير سورة الحجرات: ٤/١٨٣٢ الحديث رقم: (٣٢٨).

(٣) الدر المنثور: ٧/٥٤٨.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فإنه لا يصح أن يقال هذا لمنافق فانه يفعله جرأة وهو يقصده.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فإنه لما نزلت لآية قبلها قال أبو بكر: والله يا رسول الله لا أكلمك إلا سرا، وكان عمر يخفي كلامه حين يستفهمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]، ولفظها مع ذلك على عمومه، ومعنى امتحن اختبر فوجدها كما يجب مثل ما يختبر الذهب بالنار فيوجد طيبا، وقيل: معناها دربها للتقوى حتى صارت قوية على احتماله بغير تكلف، وقيل: معناه أخلصها الله للتقوى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحجرات جمع حجرة وهي قطعة من الأرض يحجر عليها بحائط، وكان لكل واحدة من أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجرة، ونزلت الآية[2] في وفد بني تميم قدموا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبي ووقفوا خارجها، ونادوا: يا محمد اخرج إلينا! فكان في فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير، فتربص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدة، ثم خرج إليهم فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن حابس، يا محمد: إن مدحي زين وذمي شين، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ويحك ذلك الله تعالى. ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فيهم قليل ممن يعقل ونفي العقل عن أكثرهم لا عن جميعهم.

والآخر: أن يكون جميعهم ممن لا يعقل، وأوقع القلة موضع النفي، والأول أظهر في مقتضى اللفظ، والثاني أبلغ في الذم.

---

(١) مصنف عبد الرزاق الحديث رقم (٢٨٣٧): والدر المنثور ٥٥٣/٧ والطبري ٢٢/٢٨٤.

(٢) الكشاف: ٣٦٠/٤.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن
تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾
وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ
لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ
وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ
﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ۞ وَإِن طَائِفَتَانِ ثمن
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى
الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ
فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن
يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ يعني خيرا في الثواب وفي انبساط نفس النبي ﷺ وقضائه حوائجهم وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم.

﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ سببها[1] أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ زكاتهم، فروي أنه كان معاديا لهم فأراد إذايتهم فرجع من بعض طريقه فكذب عليهم، وقال للنبي ﷺ: إنهم قد منعوني الصدقة وطردوني وارتدوا، فغضب رسول الله ﷺ وهم بغزوهم، ونظر في ذلك فورد وفدهم منكرين لذلك، وروي: أن الوليد بن عقبة لما قرب منهم خرجوا إليه متلقين له فرآهم على بعد، ففزع منهم وظن بهم الشر، فانصرف فقال ما قال، وروي: أنه بلغه أنهم قالوا لا نعطيه صدقة ولا نطيعه، فانصرف وقال: ما قال، فالفاسق المشار اليه في الآية هو: الوليد بن عقبة، ولم يزل بعد ذلك يفعل أفعال الفساق حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران، ثم قال لهم: أزيدكم إن شئتم[2]. ثم هي باقية في كل من اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر، وقرئ فتبينوا[3] من التبين وتثبتوا بالثاء من التثبت، ويقوى هذه القراءة أنها

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/٣٣٠٣، والطبري في جامع البيان: ٢٢/٢٨٨.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ١٣٨.

(٣) ﴿فتبينوا﴾ قرأ حمزة والكسائي فتثبتوا من التثبت، وقرأ الباقون من التبين. النشر: ٢/٢٨٤.

لما نزلت روي: أن رسول الله ﷺ قال[(١)]: «التثبت من الله والعجلة من الشيطان»، واستدل بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد؛ لأن دليل الخطاب يقتضي أن خبر غير الفاسق مقبول، قال المنذر البلوطي: وهذه الآية ترد على من قال إن المسلمين كلهم عدول لأن الله أمر بالتبين قبل القبول، فالمجهول الحال يخشى أن يكون فاسقا. ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْماً بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع المفعول من أجله تقديره مخافة أن تصيبوا قوما بجهالة والإشارة إلى قتال بني المصطلق لما ذكر عنهم الوليد ما ذكر.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي لشقيتم، والعنت المشقة، وإنما قال: لو يطيعكم لم يقل لو أطاعكم للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم، والحق خلاف ذلك، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم، وذلك أن رأي رسول الله ﷺ خير وأصوب من رأي غيره، ولو أطاع الناس في رأيهم لهلكوا، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَانَ﴾ الآية.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ اختلف في سبب نزولها فقال الجمهور: هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم لعبد الله بن أبي ابن سلول[(٢)] حين مر به رسول الله ﷺ وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة

(١) لم أجده مسندا، وقال ابن عطية قال قتادة: وقال رسول الله ﷺ عندما نزلت هذه الآية التثبت من الله والعجلة من الشيطان. المحرر الوجيز: ٥/١٣٠.

(٢) في صحيح البخاري: حدثنا مسدد حدثنا معتمر قال سمعت أبي أن أنسا رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي ﷺ قال إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الأنصار منهم والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها نزلت ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ الحديث رقم: (٢٥٤٥)، ومسلم الحديث رقم: (٤٧٦٢).

في مرضه، فبال حمار رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن أبي للنبي ﷺ: لقد آذاني نتن حمارك، فرد عليه عبد الله بن رواحة وتلاحا الناس حتى وقع بين الطائفتين ضرب بالجريد، وقيل: بالحديد، وقيل سببها: أن فريقين من الأنصار وقع بينهما قتال فصالحهم رسول الله ﷺ بعد جهد، ثم حكمها باق إلى آخر الدهر، وإنما قال: اقتتلوا ولم يقل اقتتلا؛ لأن الطائفة في معنى القوم والناس فهي في معنى الجمع. ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ أمر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية وذلك إذا تبين أنها باغية، فأما الفتن التي تقع بين المسلمين فاختلف العلماء فيها على قولين:

أحدهما: أنه لا يجوز النهوض في شيء منها ولا القتال، وهو مذهب سعد بن أبي وقاص وأبي ذر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وحجتهم قول رسول الله ﷺ[1]: «قتال المسلم كفر» وأمره عليه الصلاة والسلام بكسر السيوف في الفتن.

والقول الثاني: أن النهوض فيها واجب لتكف الطائفة الباغية، وهذا قول علي وعائشة وطلحة والزبير وأكثر الصحابة، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء، وحجتهم هذه الآية، فإذا فرعنا على القول الأول فإن دخل داخل على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه أو ماله فليدفعه عن نفسه، وإن أدى ذلك إلى قتله، لقوله ﷺ[2] «من قتل دون نفسه أو ماله فهو شهيد»، وإذا فرعنا على القول الثاني

(١) أخرجه الترمذي في سننه بلفظ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» الحديث رقم: (٢٦٣٥)، وفي معناه الحديث المتفق عليه: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» البخاري الحديث ر قم: (١٦٥٢)، ومسلم الحديث رقم: (٤٤٧٧)، وغيرهما.

(٢) صحيح. رواه أبو داود (٤٧٧٢)، والنسائي (٧/١١٦)، والترمذي (١٤٢١)،. بلفظ: «ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» والسياق للترمذي ـ وليست الجملة الأولى عند النسائي ـ وقال: «هذا حديث حسن صحيح» وابن ماجه (٢٥٨٠)، واقتصر على «مِنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

فاختلف مع من يكون النهوض في الفتن؟ فقيل: مع السواد الأعظم، وقيل: مع العلماء، وقيل: مع من يرى أن الحق معه، وحكم القتال في الفتن أن لا يجهز على جريح، ولا يطلب هارب، ولا يقتل أسير، ولا يقسم فيء.

﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾ أي ترجع إلى الحق.

﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إنما ذكره بلفظ التثنية لأن أقل من يقع بينهم البغي اثنان، وقيل: أراد بالأخوين الأوس والخزرج، وقرئ[1] بين إخوتكم بالتاء على الجمع، وقرئ بين إخوانكم بالنون على الجمع أيضا.

﴿لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ نهى عن السخرية وهي الاستهزاء بالناس. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ﴾ أي لعل المسخور منه خير من الساخر عند الله، وهذا تعليل للنهي. ﴿وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ لما كان القوم لا يقع إلا على الذكور عطف النساء عليهم. ﴿وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي لا يطعن بعضكم على بعض واللمز العيب سواء كان بقول أو إشارة أو غير ذلك وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز في سورة الهمزة وأنفسكم هنا بمنزلة قوله فسلموا على أنفسكم. ﴿وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا يدع أحد أحدا بلقب، والتنابز بالألقاب التداعي بها، وقد أجاز المحدثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه إذا دعت إليه الضرورة، ولم يقصد النقص والاستخفاف. ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يريد بالاسم أن يسمى الإنسان فاسقا بعد أن سمي مؤمنا، وفي ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: استقباح الجمع بين الفسق وبين الإيمان، فمعنى ذلك أن من فعل شيئا من هذه الأشياء التي نهى عنها فهو فاسق، وإن كان مؤمنا.

والآخر: بئس ما يقوله الرجل للآخر: يا فاسق بعد إيمانه، كقولهم لمن أسلم

---

(١) ﴿بين أخويكم﴾ قرأ يعقوب بكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة على الجمع وقرأ الباقون بفتح الهمزة والخاء وياء ساكنة على التثنية. النشر ٢/٤١٥.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ
إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ
أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ
وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ
اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل ربع
لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي
قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ
شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾
يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

من اليهود: يا يهودي.

الثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن وهذا على مذهب المعتزلة.

﴿اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ﴾ يعني ظن السوء بالمسلمين، وأما ظن الخير فهو حسن. ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قيل: في معنى الإثم هنا الكذب، لقوله ﷺ[1]: «الظن أكذب الحديث» لأنه قد لا يكون مطابقا للأمر، وقيل: إنما يكون إثما إذا تكلم به، وأما إذا لم يتكلم به فهو في فسحة لأنه لا يقدر على دفع الخواطر، واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سد الذرائع في الشرع لأنه أمر باجتناب كثير من الظن، وأخبر أن بعضه إثم فأمر باجتناب الأكثر من الإثم احترازا من الوقوع في البعض الذي هو إثم. ﴿وَلاَ تَجَسَّسُواْ﴾ أي لا تبحثوا عن مخبآت الناس، وقرأ الحسن تحسسوا بالحاء[2] والتجسس بالجيم في الشر وبالحاء في الخير، وقيل: التجسس ما كان من وراء، والتحسس بالحاء: الدخول والاستعلام. ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾ المعنى: لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه، والغيبة هي ما يكره الإنسان ذكره من خلقه أو خلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك،

---

(١) في صحيح البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» الحديث رقم: (٦٣٤٥)، ومسلم الحديث رقم: (٦٧٠١)، وغيرهما.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/١٣٤.

وفي الحديث[١] أنه عليه الصلاة والسلام قال: «الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره، قيل: يا رسول الله وإن كان حقا، قال إذا قلت باطلا فذلك بهتان» وقد رخص في الغيبة في مواضع، منها: في التجريح في الشهادة، والرواية، والنكاح، وشبهه، وفي التحذير من أهل الضلال.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبه الله الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتا، والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم، ثم زاد في تقبيحه أن جعله ميتا لأن الجيفة مستقذرة، ويجوز أن يكون ميتا حال من الأخ أو من لحمه، وقيل: فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير، كأنه لما قررهم قال: هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ أجابوا فقالوا: لا نحب ذلك، فقال لهم: فكرهتموه، وبعد هذا محذوف، تقديره: فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي تشبهه، وحذف هذا لدلالة الكلام عليه، وعلى هذا المحذوف يعطف قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ قاله أبو علي الفارسي، وقال الرماني: كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحق أن يجاب لأنه بصير عالم، والطبع أعمى جاهل، وقال الزمخشري: في هذه الآية مبالغات كثيرة، منها: الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها: جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، ومنها: إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتا ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الانسان حتى جعله أخا له.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الذكر والأنثى هنا آدم وزوجه. قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال: إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى، والأول أظهر وأصح لقوله ﷺ[٢]: «أنتم من آدم وآدم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٦٧٥٨)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (٥٧٥٩)، والترمذي الحديث رقم: (١٩٣٤).

(٢) رواه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٥١١٨)، والترمذي الحديث رقم: (٣٩٥٦).

من التراب»، ومقصود الآية التسوية بين الناس، والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب، إنما هو بالتقوى قال رسول الله ﷺ[1] «من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله» وروي[2]: أن سبب الآية أن رسول الله ﷺ أمر بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا: كيف نزوج بناتنا لموالينا؟ ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أعظم من القبيلة، وتحته القبيلة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة، وهم القرابة الأدنون، فمضر وربيعه وأمثالهما شعوب، وقريش قبيلة، وبني عبد مناف بطن، وبنو هاشم فخذ، ويقال بإسكان الخاء فرقا بينه وبين الجارحة، وبنو عبد المطلب فصيلة، وقيل: الشعوب في العجم، والقبائل في العرب، والأسباط في بني إسرائيل، ومعنى لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ نزلت[3] في بني أسد بن خزيمة وهي قبيلة كانت تجاور المدينة أظهروا الإسلام، وكانوا إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا، فأكذبهم الله في قولهم آمنا، وصدقهم لو قالوا أسلمنا، وهذا على أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإسلام هو الانقياد بالنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح، فالإسلام والإيمان في هذا الموضع متباينان في المعنى، وقد يكونان متفقان وقد يكون الإسلام أعم من الإيمان فيدخل فيه الإيمان حسبما ورد في مواضع أخر ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ معنى لا يلتكم لا ينقصكم شيئا من أجور أعمالكم، وفيه لغتان، يقال لات وعليه قراءة نافع ﴿لَا يَلِتْكُم﴾[4]

---

(١) المستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٧٧٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٦٠.

(٢) لم أجده مسندا.

(٣) أسباب النزول للواحدي، ص: ٢٩٦، وبعضه في الطبري في جامع البيان: ٢٢/٣١٥.

(٤) قرأ جمهور القراء (لا يلتكم) من لات يليت إذا نقص يقال لاته حقه إذا نقصه منه، ولت السلطان إذا لم يصدقه فيما سأل عنه، وقرأ أبو عمرو والأعرج والحسن وعمرو ﴿لا يألتكم﴾ من ألت يألت وهو بمعنى لات. الطبري في جامع البيان: ٢٢/٣١٧، والمحرر الوجيز: ٥/١٣٧.

بغير همز، ويقال ألت وعليه قراءة من قرأ لا يألتكم بهمزة قبل اللام، فإن قيل: كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا ولا يقبل عمل إلا من مؤمن؟ فالجواب: أن طاعة الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال، فالمعنى: إن رجعتم عما أنتم عليه من الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم وعملتم أعمالا صالحة فإن الله لا ينقصكم منها شيئا.

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ أي لم يشكوا في إيمانهم وفي ذلك تعريض بالأعراب المذكورين بأنهم في شك وكذلك قوله في هؤلاء أولئك هم الصادقون تعريض أيضا بالأعراب إذ كذبوا في قولهم آمنا وإنما عطف ثم لم يرتابوا بثم إشعارا بثبوت إيمانهم في الأزمنة المتراخية المتطاولة. ﴿وَجَاهَدُواْ﴾ يريد جهاد الكفار لأنه دليل على صحة الإيمان ويبعد أن يريد جهاد النفس والشيطان، لقوله: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾ نزلت في بني أسد أيضا فإنهم قالوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنا آمنا بك واتبعناك ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم. ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾ أي هداكم للإيمان على زعمكم ولذلك قال: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ويمن عليكم يحتمل أن يكون بمعنى ينعم عليكم، أو بمعنى يذكر إنعامه، وهذا أحسن لأنه في مقابلة يمنون عليك.

*** *** ***

سُورَةُ قٓ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ
ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ
رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥
أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا
مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨
وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ
٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا
بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ
وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ١٣
وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤
أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥

تكلمنا على حروف الهجاء في أول سورة البقرة، ويختص ق بأنه قيل: إنه من اسم الله القاهر، أو القدير، وقيل: هو اسم للقرآن، وقيل: اسم للجبل الذي يحيط بالدنيا. ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ من المجد وهو الشرف والكرم وجواب هذا القسم محذوف، تقديره: ما ردوا أمرك بحجة وما كذبوك ببرهان، وشبه ذلك، وعن هذا المحذوف وقع الإضراب ببل، وقيل: الجواب ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ﴾، وقيل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾ وقيل: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡ﴾ وهذه الأقوال ضعيفة متكلفة.

﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ الضمير في عجبوا لكفار قريش، والمنذر هو سيدنا محمد ﷺ، وقيل: الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية، قال: ولذلك قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ أي الكافرون من الناس، والصحيح أنه لقريش، وقوله: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر لقصد ذمهم بالكفر، كما تقول: جاءني فلان، فقال الفاجر كذا، إذا قصدت ذمه، وقوله منذر منهم إن كان الضمير لقريش فمعنى منهم من قبيلتهم يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم وإن كان الضمير لجميع الناس، فمعنى منهم إنسان مثلهم وتعجبهم يحتمل أن يكون من أن بعث الله بشرا أو من الأمر الذي يتضمنه الإنذار وهو الحشر ويؤيد هذا ما يأتي بعد.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ العامل في إذا محذوف، تقديره: أنبعث إذا متنا؟ ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ الرجع مصدر رجعته والمراد به البعث بعد الموت، ومعنى بعيد أي بعيد الوقوع عندهم، وقيل: الرجع الجواب، أي جوابهم هذا بعيد عن الحق، وعلى هذا يكون قوله: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ من كلام الله تعالى، وأما على الأول فهو حكاية كلام الكفار، وهو أظهر.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ هذا رد على الكفار في إنكارهم للبعث، معناه قد علمنا ما تنقص الأرض منهم من لحومهم وعظامهم، فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله ﷺ[(١)]: «كل جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب»، وقيل: المعنى قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم، والأول قول ابن عباس[(٢)] والجمهور وهو أظهر. ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ يعني اللوح المحفوظ، ومعنى حفيظ جامع لا يشذ عنه شيء، وقيل: معناه محفوظ من التغيير والتبديل.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أقبح من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوءة وما تضمنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك، وقال ابن عطية: هذا الإضراب عن كلام محذوف، تقديره: ما أجادوا النظر ونحو ذلك. ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي مضطرب لأنهم تارة يقولون شاعر، وتارة ساحر، وغير ذلك من أقوالهم، وقيل: معناه منكر، وقيل: ملتبس، وقيل: مختلط.

﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ يعني بالنجوم. ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي من شقوق، وذلك دليل

---

(١) أخرجه مسلم بلفظ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ» الحديث رقم: (٧٦٠٤)، ومالك في الموطإ الحديث رقم: (٥٦٧)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (٣١٣٨)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٧٤٥).

(٢) الطبري في جامع البيان: ٢٢/٣٢٩.

على إتقان الصنعة.

﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي من كل نوع جميل.

﴿مَآءً مُّبَارَكًا﴾ يعني المطر كله، وقيل: الماء المبارك ماء مخصوص ينزله الله كل سنة وليس كل المطر يتصف بالمبارك، وهذا ضعيف. ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد.

﴿بَاسِقَاتٍ﴾ أي طويلات. ﴿طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ الطلع أول ما يظهر من الثمر وهو أبيض منضد كحب الرمان، فما دام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد، فإذا تفرق فليس بنضيد.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ تمثيل لخروج الموتى من القبور بخروج النبات من الأرض.

﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ قوم كانت لهم بئر عظيم، وهي الرس بعث إليهم نبيء فجعلوه في الرس وردموا عليه فأهلكهم الله.

﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ يعني قوم شعيب وقد ذكر. ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ذكر في الدخان. ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي حل بهم الهلاك.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ يقال: عي بالأمر إذا لم يعرف علمه[1]، والخلق الأول خلق الإنسان من نطفة، ثم من علقة، وقيل: يعني خلق آدم، وقيل: خلق السموات والأرض، والأول أظهر ومقصود الآية الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث، والهمزة للإنكار. ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي هم في شك من

(١) يُقال: عَيِي، كرضي، وَعيَ بالإدغام، وهو أكثر. قاله في الصحاح، وفي القاموس: عَي بالأمر وعَيِيَ كَرَضِيَ، وتَعايا واسْتَعيا وتَعَيَّا: لم يهتدِ لوجه مُراده، أو عَجَزَ عنه ولم يُطِقْ إحْكَامه. مادة (عي).

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ
قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ
سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ
ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾
لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ
حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ
كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ
خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ
ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

ربع

البعث، وإنما نكر الخلق الجديد لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين، وعرف الخلق الأول لأنه معروف معهود.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني جنس الإنسان، ومعنى ﴿تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ تحدثه نفسه في فكرتها، وذلك أخفى الأشياء، وقيل: يعني آدم ووسوسته عند أكله من الشجرة، والأول أظهر وأشهر. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ هو عرق كبير في العنق وهما وريدان عن يمين وشمال، وهذا مثل في فرط القرب والمراد به قرب علم الله واطلاعه على عبده، وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك: مسجد الجامع، أو يراد بالحبل العاتق.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني الملكين الحافظين الكاتبين للأعمال، والتلقي هو تلقي الكلام بحفظه وكتابته، والعامل في ﴿إِذْ﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾ وقيل: مضمر، تقديره: اذكر واختاره ابن عطية. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي قاعد، وقيل: مقاعد بمعنى مجالس، ورده ابن عطية بأن المقاعد إنما يكون مع قعود الإنسان، والقاعد يكون على جميع هيئة الإنسان، وإنما أفرده وهما اثنان؛ لأن التقدير: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقال الفراء: لفظ قعيد يدل على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ العتيد الحاضر وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال[١]: «إن مقعد الملكين على الشفتين قلمهما اللسان ومدادهما الريق»، وعموم الآية يقتضي أن الملكين يكتبان جميع أعمال العبد ولذلك قال الحسن وقتادة: يكتبان جميع الكلام، فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك، وقال عكرمة إنما تكتب الحسنات والسيئات لا غير.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي بلقاء الله، أو فراق الدنيا، وفي مصحف عبد الله ابن مسعود[٢] «وجاءت سكرة الحق بالموت» وكذلك قرأها أبو بكر الصديق[٣] وإنما قال: جاءت بالماضي لتحقق الأمر وقربه، وكذلك ما بعده من الأفعال. ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي تفر وتهرب والخطاب للإنسان.

﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ السائق ملك يسوقه، وأما الشهيد فقيل: ملك آخر يشهد عليه وهو الأظهر، وقيل: صحائف الأعمال، وقيل: جوارح الإنسان.

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ خطاب للإنسان الذي يقتضيه قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ يريد أنه كان غافلا عما لقي في الآخرة، وقيل: هو خطاب لسيدنا محمد ﷺ، أي كنت في غفلة من هذا القصص وهذا في غاية الضعف؛ لأنه خروج عن سياق الكلام. ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ قيل: كشف الغطاء معاينته أمور الآخرة. ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي يبصر ما لم يبصره قبل، قال رسول الله ﷺ[٤] «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

---

(١) لم أجده مسندا وأورده ابن عطية، وكذلك الأثرين عن الحسن وقتادة، وعكرمة، كما في المحرر الوجيز: ٥/٢٤٣.

(٢) النكت والعيون للماوردي: ٥/٣٤٨.

(٣) الطبري في جامع البيان: ١٦/٤٧٧.

(٤) لا أصل له، كما أورده السبكي في كتابه: أحاديث الإحياء التي لا أصل لها. ص/٤٨، وهو جزء من كتابه: طبقات الشافعية الكبرى.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ القرين هنا الشيطان الذي كان يغويه، وقيل: الملك الذي يتولى عذابه في جهنم، والأول أرجح؛ لأنه هو القرين المذكور بعد، ولقوله: ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ ومعنى قوله: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ أي هذا الإنسان حاضر لدي أعتدته ويسرته لجهنم، وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين هو الملك السائق، وإن قلنا إنه أحد الزبانية فمعناه هذا العذاب لدي حاضر، ويحتمل أن يكون ما في قوله: ﴿مَا لَدَيَّ﴾ موصوفة أو موصولة، فإن كانت موصوفة فعتيد وصف لها وإن كانت موصولة فعتيد بدل منها، أو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدإ محذوف، وما هي خبر المبتدإ على هذه الوجوه، ويحتمل أن يكون عتيد الخبر وتكون ما بدلا من هذا، أو منصوبة بفعل مضمر.

﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ الخطاب للملكين السائق والشهيد، وقيل: إنه خطاب لواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة، ثم أبدل منها ألف، أو على أن يكون معناه ألق ألق مثنى مبالغة وتأكيدا، أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم: خليلي وصاحبي، وهذا كله تكلف بعيد ومما يدل على أن الخطاب لاثنين قوله: ﴿فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾.

﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ قيل: مناع للزكاة المفروضة، والصحيح العموم. ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاك في الدين فهو من الريب بمعنى الشك.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ﴾ يحتمل أن يكون مبتدءا وخبره فألقياه، وأدخل فيه ألفا لتضمنه معنى الشرط، أو يكون بدلا أو صفة، ويكون فألقياه تكرارا للتوكيد.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَا أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾ القرين هنا شيطانه الذي وكل به في الدنيا بلا خلاف، ومعنى ما أطغيته ما أوقعته في الطغيان، ولكنه طغى باختياره، وإنما حذف الواو هنا لأن هذه جملة مستأنفة، بخلاف قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قبل هذا، فإنه عطف.

﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أي قد حكمت بتعذيب الكفار فلا تبديل لذلك، وقيل: معناه لا يكذب أحد لعلمي بجميع الأمور، فالإشارة على هذا إلى قول القرين ما أطغيته.

﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ الفعل مسند إلى جهنم، وقيل: إلى خزنتها من الملائكة، والأول أظهر، واختلف: هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازا بلسان الحال؟ والأظهر أنه حقيقة، وذلك على الله يسير، ومعنى قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ إنما تطلب الزيادة وكانت لم تمتلئ، وقيل: معناه لا مزيد، أي ليس عندي موضع للزيادة، فهي على هذا قد امتلأت، والأول أظهر وأرجح، لما ورد في الحديث[1] «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد، حتى يلقى فيها الجبار قدمه» وفي الحديث كلام ليس هذا موضعه، والمزيد يحتمل أن يكون مصدرا كالمحيض، أو اسم مفعول فإن كان مصدرا فوزنه مفعل، وإن كان اسم مفعول فوزنه مفعول.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ أي قربت ثم أكد ذلك بقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي كثير الرجوع إلى الله، فهو من آب يؤوب إذا رجع، وقيل: هو المسبح لله من قوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾. ﴿حَفِيظٍ﴾ أي حافظ لأوامر الله، فيفعلها ولنواهيه فيتركها.

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي اتقى الله وهو غائب عن الناس، فالمجرور في موضع الحال، ومن خشي بدل أو مبتدأ، فإن قيل: كيف قرن بالخشية الاسم الدال على الرحمة؟ فالجواب: أن ذلك لقصد المبالغة في الثناء على من يخشى الله؛ لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه، قال ذلك الزمخشري، ويحتمل أن يكون الجواب عن ذلك: أن الرحمن صار يستعمل استعمال الاسم الذي ليس بصفة

(١) أخرجه البخاري الحديث رقم: (٦٢٨٤)، ومسلم الحديث رقم: (٧٣٥٨).

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ
الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ
ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا
الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ
حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ
عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

(ترتيبها ٥١) (آياتها ٦٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لس • وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

كقولنا الله.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل: معناه النظر إلى وجه الله كقوله: ﴿الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقيل: يعني ما لم يخطر على قلوبهم كما ورد في الحديث مما يرويه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه أنه قال[1]: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**».

﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ الضمير في هم للقرون المتقدمة، وفي منهم لكفار قريش. ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي طافوا فيها وأصله دخولها من أنقابها أو من التنقب عن الأمر بمعنى البحث عنه. ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي قالوا هل من مهرب من الله، أو من العذاب.

﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي قلب واع يعقل ويفهم. ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي استمع وهو حاضر القلب.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ اللغوب الإعياء والتعب.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني كفار قريش وغيرهم. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يريد التسبيح باللسان، أو يريد الصلاة، وقد ذكر الزمخشري فيه الوجهين وقال ابن عطية: معناه صل بإجماع من المتأولين وهي على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس، فقبل طلوع الشمس الصبح، وقبل الغروب الظهر والعصر، ومن الليل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث ر قم: (٣٠٧٢)، ومسلم الحديث رقم: (٧٣١١).

المغرب والعشاء، وقيل: هي النوافل.

﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قال عمر بن الخطاب[(١)] وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٢)] الركعتين بعد المغرب، وقال ابن عباس[(٣)] هي النوافل بعد الفرائض، وقيل: الوتر.

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ معناه انتظر فهو عامل في يوم يناد على أنه مفعول به صريح، وقيل: المعنى استمع لما نقص عليك من أهوال القيامة، فعلى هذا لا يكون عاملا في يوم يناد فيوقف على استمع، والأول أظهر. ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ المنادي هنا إسرافيل الذي ينفخ في الصور، وقيل: إنما وصفه بالقرب لأنه يسمعه جميع الخلق، وقيل: المكان صخرة بيت المقدس، وإنما وصفها بالقرب لقربها من مكة، وقيل: لقربها من السماء لأنها أقرب إلى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا، وهذا ضعيف.

﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ يعني خروج الناس من القبور.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ العامل في هذا الظرف معنى قوله: ﴿حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أو هو بدل مما قبله.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي بقهار تقهرهم على الإيمان كقوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ وقيل: إخبار بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤوف بهم غير جبار عليهم، وهذا أظهر. ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ لأنه لا ينفع التذكير إلا فيمن يخاف.

❋❋ ❋❋ ❋❋

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال رقم: (٤٦٢٢).

(٢) المصدر السابق الحديث رقم: (٤٦١٦)، وتفسير السمعاني: ٥/٢٤٨.

(٣) تفسير البحر المحيط: ٨/١٢٨.

سورة الذاريات

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ هي الرياح تذرو التراب وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ وانتصب ذروا على المصدرية.

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ هي السحاب تحمل المطر، والوقر الحمل وهو مفعول به.

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ هي السفن تجري في البحر، وإعراب يسرا صفة لمصدر محذوف، ومعناه: بسهولة.

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ هي الملائكة تقسم أمر الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك، وأمرا مفعول به، وقيل: إن الحاملات وقرا السفن، وقيل: جميع الحيوان الحامل، وقيل: إن الجاريات يسرا السحاب، وقيل: الجواري من الكواكب، والأول أشهر وهو قول علي[1] بن أبي طالب.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ هذا جواب القسم، ويحتمل توعدون أن يكون من الوعد أو من الوعيد، والأظهر أنه يراد به البعث في الآخرة، وهو يشمل الوعد والوعيد.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ الدين هنا الجزاء وقيل الحساب.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ أي ذات الطرائق مثل الطرائق التي تكون في الماء إذا هبت عليه الرياح، وكذلك حبك الزرع وهي الطرائق التي فيه، وقيل: الحبك النجوم وقيل زينة السماء، وقيل: حسن خلقتها وواحد الحبك حباك أو حبيكة.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ يحتمل أن يكون خطابا لجميع الناس لأنهم

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٦١٤/٧.

وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ
مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾
يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا
فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ
﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ
ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَآءِ
رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا
أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾
إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ
أَهْلِهِ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾
فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ
امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾
قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

اختلفوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر، ويحتمل أن يكون خطابا للكفار خاصة لأنهم اختلفوا، فقال بعضهم ساحر، وقال بعضهم كاهن، وقال بعضهم شاعر.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ معنى يؤفك يصرف والضمير في عنه يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون للنبي ﷺ أو للقرآن أو للإسلام، والمعنى يصرف عن الإيمان به من صرف، أي من سبق في علم الله أنه مصروف.

الثاني: أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين والمعنى يصرف عن الأيمان به من صرف.

الثالث: أن يكون الضمير للقول المختلف، والمعنى يصرف عن ذلك القول إلى الإسلام من قضى الله بسعادته وهذا القول حسن؛ إلا أن عرف الاستعمال في أفك ويؤفك إنما هو في الصرف من خير إلى شر، وهذا من شر إلى خير.

الرابع: أن يكون الضمير للقول المختلف وتكون عن سببية والمعنى يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الإيمان.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ دعاء عليهم كقولهم: قاتلك الله، وقيل: قتل بمعنى لعن، قال ابن عطية: واللفظ لا يقتضي ذلك، وقال الزمخشري: أصله الدعاء بالقتل ثم جرى مجرى لعن وقبح، والخراصون الكذابون وأصل الخرص التخمين والقول

بالظن، والإشارة إلى الكفار، وقيل: إلى الكهان، والأول أظهر.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ الغمرة ما يغطي عقل الإنسان، وأصله من غمرة الماء، والمراد به هنا الجهلة والغفلة عن النظر.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي يقولون: متى يوم الدين؟ على وجه الاستبعاد والاستخفاف.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ هذا جواب عن سؤالهم ومعنى يفتنون يحرقون ويعذبون، ومنه قيل للحرة فتين؛ لأن الشمس أحرقت حجارتها، ويحتمل أن يكون يوم هم معربا والعامل فيه مضمر، تقديره: يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون وأن يكون مبنيا لإضافته إلى مبني، وعلى هذا يجوز أن يكون في موضع نصب بالفعل المضمر حسبما ذكرنا أو في موضع رفع، والتقدير: هو يومهم على النار يفتنون.

﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ أي يقال لهم ذوقوا حرقتكم.

﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني يأخذون في الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعيم، وقيل: المعنى آخذين في الدنيا ما آتاهم ربهم من شرعه، والأول أظهر وأرجح لدلالة الكلام عليه.

﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ الهجوع النوم وفي معنى الآية قولان: أحدهما: وهو الصحيح، أنهم كانوا ينامون قليلا من الليل ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرع والدعاء.

والآخر: أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلا ولا كثيرا، ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين، فأما على القول الأول ففي الإعراب أربعة أوجه:

الأول: أن يكون قليلا خبر كانوا و﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ فاعل بقليلا لأن قليلا صفة مشبهة باسم الفاعل وتكون ما مصدرية، والتقدير: كانوا قليلا هجوعهم من الليل.

والثاني: مثل هذا إلا أن ما موصولة، والتقدير: كانوا قليلا الذي يهجعون فيه من الليل.

والثالث: أن تكون ما زائدة، وقليلا ظرف والعامل فيه يهجعون والتقدير: كانوا يهجعون وقتا قليلا من الليل.

والرابع: مثل هذا، إلا أن قليلا صفة لمصدر محذوف، والتقدير: كانوا يهجعون هجوعا قليلا، وأما على القول الثاني ففي الإعراب وجهان:

أحدهما: أن تكون ما نافية وقليلا ظرف والعامل فيه يهجعون، والتقدير: كانوا ما يهجعون قليلا من الليل.

والآخر: أن تكون ما نافية وقليلا خبر كان، والمعنى كانوا قليلا في الناس ثم ابتدأ بقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ وكلا الوجهين باطل عند أهل العربية؛ لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، فظهر ضعف هذا المعنى لبطلان إعرابه.

﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ أي يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، والأسحار آخر الليل وقد جاء في الحديث: أن الله تعالى يقول في الثلث الآخر من الليل «من يستغفرني فأغفر له»[1] وقيل: معنى يستغفرون يصلون، وهذا بعيد من اللفظ.

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ الحق هنا نوافل الصدقات، وقيل: المراد الزكاة، وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة، وقيل: إن الآية منسوخة بالزكاة، وهذا لا يحتاج إليه لأن النسخ إنما يكون مع التعارض ولا تعارض بين الزكاة والنوافل، وتسمية النوافل بالحق كقوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾

(١) روى مالك في الموطإ: بسنده عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» الحديث رقم: (٤٩٨)، والبخاري الحديث رقم: (١٠٩٤)، ومسند الإمام أحمد الحديث رقم: (٧٥٨٢).

وإن كان غير واجب، وقال بعض العلماء: حق سوى الزكاة ورجحه ابن عطية، واختلف الناس في المحروم حتى قال الشعبي(١): أعياني أن أعلم ما المحروم؟ وقيل: المحروم الذي ليس له في بيت المال سهم، وقيل: الذي أجيحت ثمرته، وقيل: الذي ماتت ماشيته، وقيل: هو الكلب، وهذه أمثلة، والمعنى الجامع لها: أن المحروم الذي حرمه الله المال بأي وجه كان.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ إشارة إلى ما في خلقة الإنسان من الآيات والعبر، ولقد قال بعض العلماء فيه: إن فيه خمسة آلاف حكمة، وقال بعضهم: الإنسان نسخة مختصرة من العالم.

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ معنى في السماء رزقكم المطر، وقيل: القضاء والقدر، ويحتمل أن يكون ما توعدون من الوعد والوعيد والكل في السماء، ولذلك قيل يعني الجنة والنار، وقيل: الخير والشر.

﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ هذا جواب القسم والضمير لما تقدم من الآيات أو الرزق أو لما توعدون. ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ أي حق مثل نطقكم لا يمكن الشك فيه، وما زائدة وقرئ(٢) مثل بالنصب والرفع فالرفع صفة لحق والنصب على الحال من حق أو من الضمير المستتر فيه أو صفة لحق وبني لإضافته إلى مبني أو لتركيبه مع ما فيصير نحو أينما وكلما.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ المراد بالاستفهام في مثل هذا التفخيم والتهويل، وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين جاؤوا ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط، ووصفهم بالمكرمين لأنهم مكرمون عند الله، ولأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أكرمهم لأنه خدمهم بنفسه، وعجل لهم الضيافة، والعامل في ﴿إِذْ دَخَلُوا۟﴾

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٢/٤١٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٧/٤١٩.

(٢) ﴿مثل ما﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. النشر: ٢/٤١٦.

على هذا المكرمين، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفا تقديره: اذكر

﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ نصب هذا لأنه في معنى الطلب وهو مفعول بفعل مضمر ورفع الثاني لأنه خبر تقديره أمري سلام، وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة، وإن كان بمعنى التحية فإنما رفع الثاني ليدل على إثبات السلام فيكون قد حياهم بأكثر مما حيوه، وينتصب السلام الأول على هذا على المصدرية، تقديره سلمنا عليك سلاما، ويرتفع الثاني بالابتداء تقديره: سلام عليكم قوم منكرون، أي لم يعرفهم.

﴿قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ يحتمل أن يكون ألا حضا على الأكل، أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية.

﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ﴾ إنما خاف منهم لما لم يأكلوا. ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ هو إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ لقوله: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ﴾.

﴿فِي صَرَّةٖ﴾ أي صيحة وذلك قولها: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾ وهو من صر القلم وغيره إذا صوت، وقيل: معناه في جماعة من النساء. ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا﴾ أي ضربته حياء منهم، وتعجبا من ولادتها وهي عجوز. ﴿وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾ تقديره: قالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟ أو تقديره: أتلد عجوز عقيم؟.

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ﴾ أي ما شأنكم وخبركم والخطب أكثر ما يقال في الشدائد.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ يعني قوم سيدنا لوط، وقد ذكرنا الحجارة ومسومة في هود.

﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الضمير المجرور لقرية قوم سيدنا لوط؛ لأن الكلام يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها، والمراد بالمؤمنين لوط وأهله، أمرهم

حزب

• قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا
وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا ءَايَةً لِّلَّذِينَ
يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾
فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا
جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾
فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا
اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾
وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

الله بالخروج من القرية لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها، ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين لأنهم جمعوا الوصفين، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في الأحزاب.

﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ أو على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا ءَايَةً﴾.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ﴾ معنى تولى أعرض عن الإيمان، وركنه سلطانه وقوته. ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي قالوا إن موسى ساحر أو مجنون فأو للشك أو للتقسيم، وقيل: بمعنى الواو وهذا ضعيف، ولا يستقيم هنا.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي فعل ما يلام عليه يعني فرعون.

﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وصفها بالعقم لأنها لا بركة فيها من إنشاء المطر أو إلقاح الشجر.

﴿كَالرَّمِيمِ﴾ أي الفاني المنقطع، والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أذن للريح أن تهلكه.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الحين هي الثلاثة الأيام بعد عقرهم الناقة.

والآخر: أن الحين من بعد ما بعث صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى حين هلاكهم، وعلى هذا يكون ﴿فَعَتَوْا﴾ مرتبا بعد تمتعهم، وأما على الأول فيكون إخبارا عن حالهم،

غير مرتب على ما قبله.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ يعني الصيحة التي صاحها جبريل. ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي يعاينونها لأنها كانت بالنهار.

﴿وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ أي بقوة وانتصاب السماء بفعل مضمر. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه قادرون، فهو من الوسع وهو الطاقة، ومنه ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ أي القوي على الإنفاق.

والآخر: جعلنا السماء واسعة أو جعلنا بينها وبين الأرض سعة.

والثالث: أوسعنا الأرزاق بمطر السماء.

﴿فَنِعْمَ الْمَـٰهِدُونَ﴾ الماهد الموطئ للموضع.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي نوعين مختلفين كالليل والنهار والسواد والبياض والصحة والمرض وغير ذلك.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى اللَّهِ﴾ أمر بالرجوع إليه بالتوبة والطاعة، وفي اللفظ تحذير وترهيب.

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ توقيف وتعجيب أي هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضا أن يقول ذلك.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف. ﴿فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي قد بلغت الرسالة فلا لوم عليك.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل: معناه خلقتهم لكي آمرهم بعبادتي، وقيل: ليتذللوا لي فإن جميع الإنس والجن متذلل.

كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ
مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ
فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾
• وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن
رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ
﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ
﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿١﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٢﴾ وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ ﴿٣﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٤﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ
﴿٥﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٧﴾ يَوْمَ تَمُورُ
السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٨﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿٩﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ
إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٢﴾

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي لا أريد أن يطعمون لأني منزه عن الأكل وعن صفات البشر وأنا غني عن العالمين، وقيل: المعنى ما أريد أن يطعموا عبيدي فحذف المضاف تجوزا، وقيل: معناه ما أريد أن ينفعوني لأني غني عنهم وعبر عن النفع العام بالإطعام، والأول أظهر.

﴿الْمَتِينُ﴾ أي الشديد القوة.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا﴾ الذنوب: النصيب ويريد به هنا نصيبا من العذاب، وأصل الذنوب الدلو والمراد بالذين ظلموا كفار قريش وبأصحابهم من تقدم من الكفار.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة أو يوم هلاكهم ببدر، والأول أرجح لقوله في المعارج: ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة.

❋❋ ❋❋ ❋❋

سورة الطور

﴿وَالطُّورِ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: الطور كل جبل فكأنه أقسم بجنس الجبال. ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن، وقيل: صحائف الأعمال.

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ الرق في اللغة الصحيفة، وخصصت في العرف بما كان من جلد، والمنشور خلاف المطوي.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو بيت في السماء السابعة[1] يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدا، وبهذا عمرانه وهو حيال الكعبة، وقيل: البيت المعمور الكعبة وعمرانها بالحجاج والطائفين، والأول أظهر وهو قول علي وابن عباس[2].

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعني السماء.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ هو بحر الدنيا وقيل بحر في السماء تحت العرش،

---

(١) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا روح بن جناح، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «في السماء السابعة بيت يقال له: «المعمور»؛ بحيال الكعبة، وفي السماء الرابعة نهر يقال له: «الحيوان» يدخله جبريل كل يوم، فينغمس فيه انغماسة، ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور، فيصلوا فيه فيفعلون، ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدا، ويولي عليهم أحدهم، يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة» هذا حديث غريب جدا، تفرد به روح بن جناح هذا، وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعد الدمشقي، وقد أنكر هذا الحديث عليه جماعة من الحفاظ منهم: الجوزجاني، والعقيلي، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، وغيرهم. قال الحاكم: لا أصل له من حديث أبي هريرة، ولا سعيد، ولا الزهري، تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٧، وذكره الثعلبي النيسابوري في الكشف والبيان: ١٣٤/٩ بدون ذكر سند وبدون رفع.

(٢) المحرر الوجيز: ١٦٧/٥.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا
تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ
أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ
امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا
يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾
• وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ ربع
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا
مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ
الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

والأول أظهر وأشهر ومعنى المسجور المملوء ماء، وقيل: الفارغ من الماء، ويروى: أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة واللغة تقتضي الوجهين؛ لأن اللفظ من الأضداد، وقيل: معناه الموقد نارا، من قولك: سجرت التنور، واللغة أيضا تقتضي هذا، وروي: أن جهنم في البحر.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا جواب القسم ويعني عذاب الآخرة.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً﴾ أي تجيء وتذهب، وقيل: تدور، وقيل: تتشقق والعامل في الظرف واقع ودافع أو محذوف.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ الخوض التخبط في الأباطيل شبه بخوض الماء.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ أي يدفعون بتعنيف، ويوم بدل من الظرف المتقدم.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ توبيخ للكفار على ما كانوا يقولونه في الدنيا من أن القرآن سحر. ﴿أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ﴾ توبيخ أيضا لهم وتهكم بهم، أي هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذي حل بكم كما كنتم في الدنيا لا تبصرون الحقائق؟.

﴿فَاصْبِرُواْ أَوْ لاَ تَصْبِرُواْ﴾ ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهي عنه، وإنما المراد التسوية بين الصبر وعدمه في أن كل واحد من الحالين لا ينفعهم ولا يخفف عنهم شيئا من العذاب. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا تعليل لما ذكر

من عذابهم وليس تعليلا للصبر ولا لعدمه، كما قال بعض الناس.

﴿فَٰكِهِينَ﴾ يحتمل أن يكون معناه أصحاب فاكهة فيكون نحو: لابن وتامر أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور. ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ أو على ﴿ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أو تكون الواو للحال.

﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ أي يقال لهم كلوا. ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: كلوا أكلا هنيئا، ويحتمل أن يكون وقع موقع فعل تقديره: هنأكم الأكل والشرب.

﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ الحور جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين وسواد سوادها، والعين جمع عيناء وهي الكبيرة العينين مع جمالها، وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿بِحُورٍ﴾ لأنه تضمن قوله: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ معنى قرناهم قاله الزمخشري، وقال: إن الذين آمنوا معطوف على بحور عين، أي قرناهم بحور للتلذذ بهن وبالذين آمنوا للأنس معهم، والأظهر أن الكلام تم في قوله: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ ويكون والذين آمنوا مبتدأ خبره ألحقنا.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ معنى الآية ما ورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال[1]: «**إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه**» فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء، قيل: إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغارا، وقيل: على الإطلاق في الأبناء المؤمنين، وبإيمان في موضع الحال من الذرية، والمعنى أنهم اتبعوا آباءهم في الإيمان، وقال الزمخشري: إن هذا المجرور يتعلق بألحقنا، والمعنى عنده بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذريتهم، والأول أظهر فإن قيل: لم قال

---

(١) الدر المنثور: ٧/٦٣٢، وهو في تفسير البغوي موقوف على ابن عباس: ٧/٣٨٩، وكذلك في المستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٣٧٤٤)، وسكت عنه الذهبي.

بإيمان بالتنكير؟ فالجواب: أن المعنى بشيء من الإيمان لم يكونوا به أهلا لدرجة آبائهم، ولكنهم لحقوا بهم كرامة للآباء، فالمراد تقليل إيمان الذرية ولكنه رفع درجتهم، فكيف إذا كان إيمانا عظيما؟. ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي ما أنقصناهم من ثواب أعمالهم بل وفينا لهم أجورهم، وقيل: المعنى ألحقنا ذريتهم بهم وما نقصناهم شيئا من ثواب أعمالهم بسبب ذلك، بل فعلنا ذلك تفضلا زيادة إلى ثواب أعمالهم، والضمير على القولين يعود على الذين آمنوا، وقيل: إنه يعود على الذرية. ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي مرتهن فإما أن تنجيه حسناته وإما أن تهلكه سيئاته.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ﴾ الإمداد هو الزيادة مرة بعد مرة.

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي يتعاطونها إذ هم جلساء على الشراب. ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ اللغو الكلام الساقط، والتأثيم الذنب، فهي بخلاف خمر الدنيا.

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ يعني خدامهم. ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ اللؤلؤ الجوهر، والمكنون: المصون وذلك لحسنه، وقيل: هو الذي لم يخرج من الصدف.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي كنا في الدنيا خائفين من الله، والإشفاق: شدة الخوف.

﴿السَّمُومِ﴾ أشد الحر، وقيل: هو من أسماء جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى نعبده، أو من الدعاء بمعنى الرغبة، ومن قبل يعنون في الدنيا قبل لقاء الله. ﴿أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ البر الذي يبر عباده ويحسن إليهم وقرئ[1] أنه بفتح الهمزة على أن يكون مفعولا من

---

(١) قرأ ﴿أنه﴾ بفتح الألف نافع والكسائي وأبو جعفر والحسن وأبو نوفل أي من أجل أنه، وقرأ باقي السبعة والأعرج وجماعة: ﴿إنه﴾ على القطع والاستئناف. التيسير، ص: ١٣١، والمحرر الوجيز: ٥/١٧١.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا
صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ
خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ
فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ
الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٤٣﴾ ۞ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ
مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ
﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به وقرئ بكسرها على الاستئناف.

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، أي ذكر الناس ثم نفى عنه ما نسبه إليه الكفار من الكهانة والجنون، ومعنى بنعمة ربك بسبب إنعام الله عليك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ أم في هذا الموضع وفيما بعده للاستفهام بمعنى الإنكار، والتربص الانتظار، وريب المنون: حوادث الدهر، وقيل: الموت، وكانت قريش قد قالت إنما هو شاعر ننتظر به ريب المنون؛ فيهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء كزهير والنابغة.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ أمر على وجه التهديد.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾ الأحلام العقول أي كيف تأمرهم عقولهم بهذا والإشارة إلى قولهم هو شاعر أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز كقوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾. ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أم هنا بمعنى بل، ويحتمل أن تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام بمعنى الإنكار كما هي في هذه المواضع كلها.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أي اختلقه من تلقاء نفسه وضمير الفاعل لرسول الله ﷺ وضمير المفعول للقرآن.

﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ﴾ رد عليهم وإقامة حجة عليهم والأمر هنا للتعجيز.

﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه أم خلقوا من غير رب أنشأهم واستعبدهم، فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله.

الثاني: أم خلقوا من غير أب ولا أم كالجمادات فهم لا يؤمرون ولا ينهون كحال الجمادات.

الثالث: أم خلقوا من غير أن يحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم، فهو على هذا كقوله: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾.

﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ معناه أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق، وقيل: أهم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون؟.

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ المعنى أعندهم خزائن الله بحيث يستغنون عن عبادته، وقيل: أعندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاؤوا ويمنعون من شاؤوا، ويخصون بالنبوءة من شاءوا. ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾ أي الأرباب الغالبون، وقيل: المسيطر المسلط القاهر.

﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ﴾ يعني أم لهم سلم يصعدون به إلى السماء فيسمعون ما تقول الملائكة بحيث يعلمون صحة دعواهم ثم عجزهم بقوله: ﴿فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ أي بحجة واضحة على دعواهم.

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ﴾ معناه أتسألهم عن الإسلام أجرة فيثقل عليهم غرمها فيشق عليهم اتباعك.

﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ المعنى أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لا نعذب، وقيل: المعنى فهم يكتبون

للناس سننا وشرائع من عبادة الأصنام، وتسييب السوائب، وشبه ذلك.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ إشارة إلى كيدهم في دار الندوة بالنبي ﷺ، حيث تشاوروا في قتله أو إخراجه. ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي المغلوبون في الكيد، والذين كفروا يعني من تقدم الكلام فيهم، وهم كفار قريش، فوضع الظاهر موضع المضمر، ويحتمل أن يريد جميع الكفار.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ المعنى: هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه؟ وحصر الله في هذه الآية جميع المعاني التي توجب التكبر والبعد من الدخول في الإسلام، ونفاها عنهم؛ ليبين أن تكبرهم من غير موجب وكفرهم من غير حجة.

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كسفا من السماء، فالمعنى: أنهم لو رأوا الكسف ساقطا عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا ليس بكسف وإنما هو سحاب مركوم، أي كثيف بعضه فوق بعض.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف. ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يعني يوم القيامة، والصعقة فيه هي النفخة الأولى، وقيل: غير ذلك والصحيح ما ذكرنا لقوله في المعارج عن يوم القيامة: ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعني قتلهم يوم بدر، وقيل: الجوع بالقحط، وقيل: عذاب القبر.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم فإنا نراك.
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه قول سبحان الله، ومعنى حين تقوم من كل مجلس، وقيل: أراد

حين تقوم وتقعد وفي كل حال، وجعل القيام مثالا.

الثاني: أنه الصلوات النوافل.

والثالث: أنه الصلوات الفرائض فـ ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ الظهر والعصر، أي حين تقوم من نوم القائلة.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء ﴿وَإِدْبَارَ ٱلنُّجُومِ﴾ الصبح، ومن قال هي النوافل جعل إدبار النجوم ركعتي الفجر.

** ** **

سورة النجم

سُورَةُ النَّجْمِ — ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ
الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ
فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ
قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ
مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾
عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا
يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ
﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ
الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ
سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا
تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا
تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

ربع

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الثريا لأنها غلب عليها التسمية بالنجم، ومعنى هوى غرب وانتثر يوم القيامة.

الثاني: أنه جنس النجوم ومعنى هوى كما ذكرنا، أو انقضت ترجم الشياطين.

الثالث: أنه من نجوم القرآن وهي الجملة التي تنزل، وهوى على هذا معناه نزل.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هذا جواب القسم، والخطاب لقريش، وصاحبكم هو النبي ﷺ، فنفى عنه الضلال والغي، والفرق بينهما أن الضلال بغير قصد، والغي بقصد وتكسب.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي ليس يتكلم بهواه وشهوته، إنما يتكلم بما يوحي الله إليه.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ يعني القرآن. ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ضمير المفعول للقرآن أو للنبي ﷺ، والشديد القوى جبريل، وقيل: الله تعالى، والأول أرجح لقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾ والقوى جمع قوة.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو قوة، وقيل: ذو هيئة حسنة، والأول هو الصحيح في اللغة ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي استوى جبريل في الجو إذ رآه النبي ﷺ وهو بحراء، وقيل:

معنى استوى ظهر في صورته على ستمائة جناح قد سد الأفق، بخلاف ما كان يتمثل به من الصور إذا نزل بالوحي، وكان ينزل في صورة دحية[١].

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ الضمير لجبريل، وقيل: لسيدنا محمد ﷺ والأول أصح.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ الضميران لجبريل أي دنا من سيدنا محمد ﷺ فتدلى في الهواء وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره فتدلى فدنا.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ القاب مقدار المسافة، أي كان جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام في القرب بمقدار قوسين عربيتين، ومعناه من طرف العود إلى الطرف الآخر، وقيل: من الوتر إلى العود، وقيل: ليس القوس التي يرمي بها، وإنما هي ذراع تقاس بها المقادير، ذكره الثعالبي[٢]، وقال: إنه من لغة أهل الحجاز، وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام مثل مسافة قوسين، ثم حذفت هذه المضافات ومعنى ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ او أقرب وأو هنا مثل قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ وأشبه التأويلات فيها أنه إذا نظر إليه البشر احتمل عنده أن يكون قاب قوسين، أو يكون أدنى، وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح[٣] وقيل: إنها لله تعالى، وهذا القول يرد عليه الحديث والعقل إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلي وغير ذلك.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَا أَوْحَىٰ﴾ في هذه الضمائر ثلاثة أقوال:

الأول: أن المعنى أوحى الله إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند الحديث رقم: (٥٨٥٧)، والنسائي في السنن الكبرى الحديث رقم: (١١٧٢٢) وقال الألباني: صحيح.

(٢) في تفسيره الكشف والبيان: ٩/١٥٤.

(٣) صحيح ابن حبان الحديث رقم: (٥٩).

الثاني: أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى وعاد الضمير على الله في القولين؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره فهو كقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

الثالث: أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى وفي قوله: ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ إبهام مراد يقتضي التفخيم والتعظيم.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ أي ما كذب فؤاد محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رآه بعينه، بل صدق بقلبه أن الذي رآه بعينه حق، والذي رأى هو جبريل يعني حين رآه بمقدار ملأ الأفق، وقيل: رأى ملكوت السموات والأرض، والأول أرجح لقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وقيل: الذي رآه هو الله تعالى، وقد أنكرت ذلك عائشة[١] وسئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل رأيت ربك؟ فقال: نور، أنى أراه؟[٢].

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ هذا خطاب لقريش والمعنى أتجادلونه على ما يرى وكانت قريش قد كذبت لما قال إنه رأى ما رأى.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ هذا لقد رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام مرة أخرى وهو ليلة الإسراء، وقيل: ضمير المفعول لله تعالى، وأنكرت ذلك عائشة، وقالت: من زعم أن محمدا رأى ربه ليلة الإسراء فقد أعظم الفرية على الله تعالى[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٢٧٨) جامع الأصول في أحاديث الرسول: ٢/٣٧٠.

(٢) في صحيح مسلم: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»؟ الحديث رقم: (٤٦١)، والترمذي الحديث رقم: (٣٢٨٢)، وأخرجه أبو داود الحديث رقم: (٢٤١٥).

(٣) تقدم قبل قليل.

﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ هي شجرة في السماء السابعة، قال رسول الله ﷺ[١]: ثمرتها كالقلال وورقها كآذان الفيلة، وسميت سدرة المنتهى لأن إليها ينتهي علم كل عالم، ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى، وقيل: سميت بذلك لأن ما نزل من أمر الله يلتقي عندها فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل ولا يتجاوزها ملائكة السفل إلى أعلى.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ يعني أن الجنة التي وعدها الله عباده هي عند سدرة المنتهى، وقيل: هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء، والأول أظهر وأشهر.

﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾ فيه إبهام لقصد التعظيم قال ابن مسعود[٢] غشيها فراش من ذهب، وقيل: كثرة الملائكة، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال[٣]: «فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟» وهذا أولى أن تفسر به الآية.

﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ أي ما زاغ بصر سيدنا محمد ﷺ عما رآه من العجائب، بل أثبتها وتيقنها، وما طغى أي ما تجاوز ما رأى إلى غيره.

﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ يعني ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك، ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولا أو نعتا لآيات ربه، والمعنى يختلف على ذلك.

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ هذه أوثان كانت تعبد من دون الله، فخاطب الله من كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم، وقال ابن عطية: الرؤيا هنا رؤية العين؛ لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية، فأما اللات:

---

(١) مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٤٢٩)، والمسند الحديث رقم: (١٢٥٢٧)، ومصنف ابن أبي شيبة: ١٤/٣٠٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥/٣٠، وزاد المسير لابن الجوزي: ٨/٧٠.

(٣) البخاري الحديث رقم: (٣١٦٤)، ومسلم الحديث رقم: (٤٣٣).

فصنم كان بالطائف، وقيل: كان بالكعبة. وأما العزى: فكانت صخرة بالطائف، وقيل: شجرة، فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد[1] فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها بالسيف حتى قتلها، وقيل: كانت بيتا تعظمه العرب، وأصل لفظ العزى مؤنثة الأعز. وأما مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، وكانت أعظم هذه الأوثان، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فأكدها بهاتين الصفتين، وقال الزمخشري: الأخرى ذم وتحقير، أي المتأخرة الوضيعة القدر، ومنه: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله، فأنكر الله عليهم ذلك، أي كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور وتجعلون لله البنات التي هي عندكم حقيرة بغيضة، وقد ذكر هذا المعنى في النحل وغيرها، ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى مع أنهن إناث، والإناث حقيرة بغيضة عندهم.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي هذه القسمة التي قسمتم جائرة غير عادلة، يعني: جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى، ووزن ضيزى فعلى بضم الفاء ولكنها كسرت لأجل الياء التي بعدها.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ الضمير للأوثان، وقد ذكر هذا المعنى في الأعراف في قوله: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يعني أنهم يقولون أقوالا بغير حجة، كقولهم: إن الملائكة بنات الله، وقولهم: إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ أم هنا للإنكار، والإنسان هنا جنس بني آدم، أي ليس لأحد ما يتمنى، بل الأمر بيد الله، وقيل: إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار

(١) البغوي في معالم التنزيل: ٧/٤٠٨، والسراج المنير: ٤/٨٥.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ
﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئًا فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوٰةَ
الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ
عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٢٩﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى ﴿٣٠﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا
اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ
الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣١﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا
وَأَكْدَىٰ ﴿٣٣﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٤﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي
صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٦﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ
يُرَىٰ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ
﴿٤١﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٣﴾

من شفاعة الأصنام، وقيل: إلى قول العاصي بن وائل: لأوتين مالا وولدا، وقيل: هو تمني بعضهم أن يكون نبيئا، والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ الآية رد على الكفار في قولهم: إن الأوثان تشفع لهم، كأنه يقول: الملائكة الكرام لا تغني شفاعتهم شيئا إلا بإذن الله، فكيف أوثانكم؟. ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ معناه أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة فيه ويرضى عنه.

﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ يعني قولهم إن الملائكة بنات الله، ثم رد عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ أي إلى ذلك انتهى علمهم لأنهم علموا ما ينفع في الدنيا، ولم يعلموا ما ينفع في الآخرة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ اللام متعلقة بمعنى ما قبلها، والتقدير: أن الله ملك أمر السموات والأرض ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، وقيل: يتعلق بضل واهتدى.

﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في النساء. ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أنه صغائر الذنوب فالاستثناء على هذا منقطع.

الثاني: أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفلتة والسقطة دون دوام عليها.

الثالث: أنه ما ألموا به في الجاهلية من الشرك والمعاصي.

الرابع: أنه الهم بالذنوب وحديث النفس به دون أن يفعل.

﴿أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين. ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير، قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون نهيا عن أن يزكي بعض الناس بعضا، وهذا بعيد؛ لأنه تجوز التزكية في الشهادة وغيرها.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل: نزلت في العاصي بن وائل.

﴿وَأَكْدَىٰ﴾ أي قطع العطاء وأمسك.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ قيل: في طاعة الله في ذبح ولده، وقيل: ﴿وَفَّىٰ﴾ تبليغ الرسالة، وقيل: ﴿وَفَّىٰ﴾ شرائع الإسلام، وقيل: ﴿وَفَّىٰ﴾ الكلمات التي ابتلاه الله بهن، وقيل: ﴿وَفَّىٰ﴾ هذه العشر الآيات.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ذكر فيما تقدم، وهذه الجملة تفسير لما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ السعي هنا بمعنى العمل، وظاهرها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجة لمالك في قوله: لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام، واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره ويصل نفعها إلى من فعلت عنه، واختلفوا في الأعمال البدنية كالصلاة والصيام، وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ والصحيح أنها محكمة لأنها خبر، والأخبار لا تنسخ وفي تأويلها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها إخبار عما كان في شريعة غيرنا فلا يلزم في شريعتنا.

الثاني: أن للإنسان ما عمل بحق وله ما عمل له غيره بهبة العامل له، فجاءت الآية في إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها.

الثالث: أنها في الذنوب وقد اتفق أنه لا يحتمل أحد ذنب أحد، ويدل على هذا قوله بعدها.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وكأنه يقول: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ قيل: معناه يراه الخلق يوم القيامة، والأظهر أنه صاحبه لقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه إلى الله المصير في الآخرة.

والآخر: أن معناها أن العلوم تنتهي إلى الله ثم يقف العلماء عند ذلك، وروي: أن رسول الله ﷺ قال[١]: «لا فكرة في الرب».

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ قيل: معناه أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار، وهذا تخصيص لا دليل عليه، وقيل: أبكى السماء بالمطر وأضحك الأرض بالنبات، وهذا مجاز، وقيل: خلق في بني آدم الضحك والبكاء، والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن؛ لأن الضحك دليل على السرور والفرح، كما أن البكاء دليل على الحزن، فالمعنى: أن الله تعالى أحزن من شاء من عباده، وأسر من شاء.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ يعني الحياة المعروفة والموت المعروف، وقيل: أحيا بالإيمان وأمات بالكفر، والأول أرجح لأنه حقيقة.

---

(١) معالم التنزيل: ٤١٧/٧، وابن كثير في تفسيره: ٤٦٦/٧.

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٤﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٥﴾
• وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ
الشِّعْرَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٤٩﴾ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥٠﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥١﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٢﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٤﴾
• هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٥﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٦﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ
اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٧﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٨﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا
تَبْكُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦٠﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦١﴾

سُورَةُ الْقَمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

لس

﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني المني.

﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ من قولك: أمنى الرجل إذا خرج منه المني.

﴿النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ يعني الإعادة للحشر.

﴿وَأَقْنَىٰ﴾ يعني أكسب عباده المال وهو من قنية المال وهو كسبه وادخاره، وقيل: معنى أقنى أفقر وهذا لا تقتضيه اللغة، وقيل: معناه أرضى، وقيل: قنع عبده.

﴿الشِّعْرَىٰ﴾ نجم في السماء وتسمى كلب الجبار، وهما شعريان وهما الغميصاء والعبور، وخصها بالذكر دون سائر النجوم؛ لأن بعض العرب كان يعبدها.

﴿عَادًا الْأُولَىٰ﴾ وصفها بالأولى لأنها كانت في قديم الزمان، فهي الأولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة، وقيل: إنما سميت أولى لأن ثم عادا أخرى متأخرة وهذا لا يصح، وقرأ نافع[1] عادا الأولى بإدغام تنوين عادا في لام الأولى بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام، وضعف المزني والمبرد هذه القراءة، وهمز قالون الأولى دون ورش، وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين عادا وإسكان لام الأولى.

---

(١) قال الداني: نافع وأبو عمرو ﴿عادا الأولى﴾ بضم اللام بحركة الهمزة وإدغام النون فيها وأتى قالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو، والباقون يكسرون التنوين ويسكنون اللام ويحققون الهمزة بعدها. التيسير، ص: ١٣١، وانظر إتحاف فضلاء البشر، ص: ٥٢٣.

﴿وَثَمُودَاْ فَمَا أَبْقَىٰ﴾ أي ما أبقى منهم أحدا، وقيل: ما أبقى عليهم.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ هي مدينة قوم لوط، ومعنى أهوى طرحها من علو إلى أسفل، وفي قوله: ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ تعظيم للأمر.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق معناه بأي نعم ربك تشك.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ يعني القرآن أو النبي ﷺ، ومعنى من النذر الأولى من نوعها وصفتها.

﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾ أي قربت القيامة.

﴿كَاشِفَةٌ﴾ يحتمل لفظة ثلاثة أوجه: أن يكون مصدرا كالعافية، أي ليس لها كشف، وأن يكون بمعنى كاشف والتاء للمبالغة كعلامة، وأن يكون صفة لمحذوف، تقديره: نفس كاشفة، أو جماعة كاشفة، ويحتمل معناه وجهين:

أحدهما: أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة، أي ليس لها من يزيلها إذا وقعت.

والآخر: أن يكون بمعنى الاطلاع أي ليس لها من يعلم وقتها إلا الله.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ الإشارة إلى القرآن، وتعجبهم منه إنكاره.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ أي لاعبون لاهون، وقيل: غافلون مفرطون.

﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره، وقد قال ابن مسعود(١) قرأها رسول الله ﷺ فسجد وسجد كل من كان معه.

---

(١) قال البخاري في تفسير سورة النجم: حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس البخاري الحديث رقم: (٤٥٨١)، والسنن الكبرى للنسائي: ٦/٤٧٥.

سورة القمر

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ أي قربت القيامة، ومعنى قربها أنها بقي لها من الزمان قليل بالنسبة إلى ما مضى، ولذلك قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)]: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى. ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ هذا إخبار بما جرى في زمان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك أن قريشا سألته آية فأراهم انشقاق القمر، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)] اشهدوا، وقال ابن مسعود انشق القمر[(٣)] فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه، وقيل: معنى انشق القمر أنه ينشق يوم القيامة، وهذا قول باطل ترده الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله.

﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ هذه الضمائر لقريش، والآية المشار إليها انشقاق القمر، وعند ذلك قالت قريش: سحر محمد القمر، ومعنى مستمر دائم، وقيل: معناه ذاهب يزول عن قريب، وقيل: شديد، وهو على هذا المعنى من المرة وهي القوة.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي كل شيء لا بد له من غاية، فالحق يحق، والباطل يبطل.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ الأنباء هنا يراد بها ما ورد في القرآن من القصص، والبراهين والمواعظ، و﴿مُزْدَجَرٌ﴾ اسم مصدر بمعنى الازدجار، أو اسم موضع بمعنى أنه مظنة أن يزدجر به.

---

(١) البخاري الحديث ر قم: (٤٦٥٢)، ومسلم الحديث رقم: (٢٠٤٢)، وقد تقدم.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٢٢/٥٦٧.

(٣) الذي في البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس قال: انشق القمر فرقتين الحديث رقم: (٤٥٨٧)، ومسلم الحديث رقم: (٧٢٥٦).

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾
ربع • كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ
بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ
﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ بدل من ما فيه أو خبر ابتداء مضمر. ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية لمعنى الاستبعاد والإنكار.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عنهم لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم. ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ العامل في يوم مضمر، تقديره: اذكر أو قوله: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بعد ذلك، وليس العامل فيه تول عنهم لفساد المعنى، فقد تم الكلام في قوله: تول عنهم فيوقف عليه، وقيل: المعنى: تول عنهم أي يوم يدع الداع، والأول أظهر وأشهر، والداعي جبريل أو إسرافيل إذ ينفخ في الصور، والشيء النكر الشديد الفظيع، وأصله من الإنكار أي هو منكور لأنه لم ير قط مثله، والمراد به يوم القيامة.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ كناية عن الذلة، وانتصب خشعا على الحال من الضمير في يخرجون. ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي من القبور. ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ شبههم بالجراد في خروجهم من الأرض فكأنه استدلال على البعث كالاستدلال بخروج النبات، وقيل: إنما شبههم بالجراد في كثرتهم، وأن بعضهم يموج في بعض ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين، وقيل: ناظرين إلى الداع.

﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ يعني نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ ووصفه هنا بالعبودية تشريفا له واختصاصا. ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ أي زجروه بالشتم والتخويف، وقالوا له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾ أي قد غلبني الكفار فانتصر لي، أو انتصر لنفسك، وقالت المتصوفة: معناه قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر مني، وهذا بعيد ضعيف.

﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ عبارة عن كثرة المطر، فكأنه يخرج من أبواب، وقيل: فتحت في السماء أبواب يومئذ حقيقة والمنهمر الكثير.

﴿فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ﴾ ماء السماء وماء الأرض. ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ أي قد قضي في الأزل، ويحتمل أن يكون المعنى أنه قدر بمقدار معلوم، وروي في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعا.

﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾ يعني السفينة، والدسر هي المسامير واحدها دسار، وقيل: هي مقادم السفينة، وقيل: أضلاعها، والأول أشهر.

﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ عبارة عن حفظ الله ورعيه لها. ﴿جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي جزاء لنوح، وقيل: جزاء لله تعالى، والأول أظهر، وانتصب جزاء على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال، أي جعلنا ذلك كله جزاء لنوح، ويحتمل أن يكون قوله: كفر، من الكفر بالدين، والتقدير لمن كفر به فحذف الضمير أو يكون من الكفر بالنعمة؛ لأن نوحا عَلَيۡهِ السَّلَامُ نعمة من الله كفرها قومه فلا يحتاج على هذا إلى ضمير محذوف.

﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ﴾ الضمير للقصة المذكورة، أو الفعلة، أو السفينة، وروي[1] في هذا المعنى أنها بقيت على الجودي حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة. ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ تحضيض على الادكار، فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده، ووزن مدكر مفتعل وأصله مدتكر ثم أبدل من التاء دالا وأدغمت فيها الدال.

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ توقيف فيه تهديد لقريش والنذر جمع نذير.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٣٥١/٧، والسراج المنير للشربيني: ٩٧/٤.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي يسرناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظا بالغا، بخلاف غيره من الكتب، وقد روي[1] أنه لم يحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن، وقيل: معنى الآية سهلناه للفهم والاتعاظ به، لما تضمن من البراهين والحكم البليغة، وإنما كرر هذه الآية البليغة وقوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ لينبه السامع عند كل قصة فيعتبر بها؛ إذ كل قصة من القصص التي ذكرت عبرة وموعظة، فختم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، ومن الملاطفة في قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

﴿رِيحاً صَرْصَراً﴾ أي مصوتة فهو من الصرير يعني الصوت، وقيل: معناه باردة فهو من الصر. ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ روي: أنه كان يوم أربعاء حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس، وروي: أن رسول الله ﷺ قال[2]: آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي تقلعهم من مواضعهم. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أعجاز النخل هي أصولها والمنقعر المنقطع فشبه الله عادا لما هلكوا بذلك لأنهم طوال عظام الأجساد كالنخل، وقيل: كانت الريح تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس، فشبههم بأعجاز النخل لأنها دون أغصان، وقيل: كانوا حفروا حفرا يمتنعون بها من الريح فهلكوا فيها فشبههم بأعجاز النخل إذا كانت في حفرها.

﴿أَبَشَراً﴾ هو صالح عليه السلام، وانتصب بفعل مضمر، والمعنى أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرا وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة، ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدا وهم جماعة كثيرون. ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي عناد، وقيل: معناه جنون، وقيل: معناه

(١) قال الزمخشري: ويروى: أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل لا يتلوها أهلها إلا نظراً، ولا يحفظونها ظاهراً كما القرآن. الكشاف: ٤/٤٣٦.

(٢) أخرجه الخطيب قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: موضوع. رقم: (١٥٨١).

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا
صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ
بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ
﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم
بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا
أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ
﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن
مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا
فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ
لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ
الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ
﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ
وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

هم وغم، وأصله من السعير بمعنى النار، وكأنه احتراق النفس بالهم.

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أنكروا أن يخصه الله بالنبوءة دونهم، وذلك جهل منهم فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. ﴿أَشِرٌ﴾ بطر متكبر.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ أي لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا على الناقة، فالضمير في نبئهم يعود على ثمود وعلى الناقة تغليبا للعقلاء، وقيل: إن الضمير لثمود، والمعنى لا يتعدى بعضهم على بعض. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي محضور مشهود.

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ يعني عاقر الناقة، واسمه قدار وهو أحيمر ثمود وأشقاها. ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ أي اجترأ على أمر عظيم، وهو عقر الناقة، وقيل: تعاطى السيف.

﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاح بها جبريل صيحة فماتوا منها. ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ الهشيم هو ما تكسر وتفتت من الشجر وغيرها، والمحتظر الرجل الذي يعمل الحظيرة وهي حائط من الأغصان أو القصب أو نحو ذلك، يكون تحليقا للمواشي أو السكنى فشبه الله ثمود لما هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها، وقيل: المحتظر المحترق.

﴿حَاصِبًا﴾ ذكر في العنكبوت. ﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾ تشككوا.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ الضيف هنا هم الملائكة الذين أرسلهم الله إلى لوط ليهلكوا قومه، وكان قومه قد ظنوا أنهم من بني آدم وأرادوا منهم الفاحشة، فطمس الله على أعينهم فاستوت مع وجوههم، وقيل: إن الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم، وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدا.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ هذا خطاب لقريش على وجه التهديد، والهمزة للإنكار، ومعناه: هل الكفار منكم خير عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين بحيث أهلكناهم لما كذبوا الرسل، وتنجون أنتم وقد كذبتم رسلكم؟ بل الذي أهلكهم يهلككم. ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ معناه أم لكم في كتاب الله براءة من العذاب.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أي نحن نجتمع وننتصر لأنفسنا بالقتال.

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيهزم جمع قريش، وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ المراد بالمجرمين هنا الكفار وضلالهم في الدنيا والسعر لهم في الآخرة وهو الاحتراق، وقيل: أراد بالمجرمين القدرية لقوله في الرد عليهم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ والأول أظهر.

﴿يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي يجرون فيها.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ المعنى: أن الله خلق كل شيء بقدر أي بقضاء معلوم سابق في الأزل، ويحتمل أن يكون معنى بقدر بمقدار في هيئته وصفته وغير ذلك، والأول أرجح وفيه حجة لأهل السنة على القدرية، وانتصب كل شيء بفعل مضمر يفسره خلقناه.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ
﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي
جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

مدنية — آياتها ٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حزب

• الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ ﴿٢﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٣﴾ وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٥﴾
أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٦﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا
تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿٨﴾ فِيهَا
فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿٩﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرَّيْحَانُ ﴿١٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١١﴾ خَلَقَ
الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٢﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن
مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾

الله، والواحدة يراد بها الكلمة وهي قوله كن.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني أشياعكم من الكفار.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي كل ما فعلوه مكتوب في صحائف الأعمال.

﴿مُسْتَطَرٌ﴾ أي مكتوب وهو من السطر، تقول: سطرت واستطرت بمعنى واحد، والمراد الصغير والكبير من أعمالهم، وقيل: جميع الأشياء.

﴿وَنَهَرٍ﴾ يعني أنهار الماء والخمر واللبن والعسل واكتفى باسم الجنس.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي في مكان مرضي.

*** *** ***

سورة الرحمن ﷻ

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ هذا تعديد نعمة على من علمه الله القرآن، وقيل: معنى علم القرآن جعله علامة وآية لسيدنا محمد ﷺ، والأول أظهر، وارتفع الرحمن بالابتداء والأفعال التي بعده أخبار متوالية ويدل على ذلك مجيئها بدون حرف عطف.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ قيل: جنس الناس، وقيل: يعني آدم، وقيل: يعني سيدنا محمدا ﷺ، ولا دليل على التخصيص والأول أرجح. ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ يعني النطق والكلام.

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ أي يجريان في الفلك بحسبان معلوم وترتيب مقدر، وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير.

﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ النجم عند ابن عباس[(١)] النبات الذي لا ساق له كالبقول، والشجر النبات الذي له ساق، وقيل: النجم جنس نجوم السماء، والسجود عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى، وقيل: سجود الشمس غروبها، وسجود الشجر ظله.

﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ يعني الميزان المعروف الذي يوزن به الطعام وغيره، وكرر ذكره اهتماما به، وقيل: أراد العدل.

﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ أي لا تنقصوا إذا وزنتم.

﴿لِلۡأَنَامِ﴾ أي للناس، وقيل: الإنس والجن، وقيل: الحيوان كله.

﴿ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ يحتمل أن يكون جمع كم بالضم وهو ما يغطي ويلف النخل

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٢٢/١٠، والطبري في جامع البيان: ١١/٢٢.

من الليف ويه شبه كم القميص، أو يكون جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة.

﴿ٱلْعَصْفِ﴾ ورق الزرع، وقيل: التين. ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ قيل: هو الريحان المعروف، وقيل: كل مشموم طيب الريح من النبات وقيل: هو الرزق.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآلاء هي النعم واحدها إلى على وزن معى وقيل: ألى على وزن قضى، وقيل: ألي على وزن أمد، أو على وزن حصر والخطاب للثقلين الإنس والجن بدليل قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ روي[1]: أن هذه الآية لما قرأها رسول الله ﷺ سكت أصحابه، فقال: إن جواب الجن خير من سكوتكم، إني لما قرأتها على الجن قالوا: لا نكذب بشيء من آلاء ربنا، وكرر هذه الآية تأكيدا ومبالغة، وقيل: إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التي قبله، فليس بتأكيد لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ الإنسان هو آدم، والصلصال الطين اليابس فإذا طبخ فهو فخار.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ الجان الجن يعني إبليس والد الجن، والمارج اللهيب المضطرب من النار.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ يريد مشرق الشمس والقمر، ومغرب الشمس والقمر، وقيل: مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ذكر في الفرقان، أي يلتقي ماء هذا وماء هذا، وذلك إذا نزل المطر في البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر، وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون فالتقاؤهما بانصباب الأنهار في البحر،

---

(١) عن جابر قال، «قرأ رسول الله ﷺ الرحمن حتى ختمها فقال: ما لي أراكم سكوتا، للجن كانوا أحسن ردا منكم ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» كنز العمال. رقم: (٤١٤٦).

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾
مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٧﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٩﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ
كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
فَانٍ ﴿٢٤﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٦﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ
فِي شَأْنٍ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ
الثَّقَلَانِ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ • يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا
تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يُرْسَلُ
عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ ﴿٣٣﴾ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٥﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً
كَالدِّهَانِ ﴿٣٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ
عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٩﴾

وأما على قول من قال إن البحرين بحر فارس وبحر الروم، أو بحر القلزم واليمن، فضعيف لقوله في الفرقان: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وكل واحد من هذه أجاج، والمراد بالبحرين في هذه السورة ما أراد في الفرقان.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي حاجز يعني جرم الأرض أو حاجز من قدرة الله. ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي لا يبغى أحدهما على الآخر بالاختلاط، وقيل: لا يبغيان على الناس بالفيض.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ اللؤلؤ كبار الجوهر والمرجان صغاره، وقيل: بالعكس، وقيل: إن المرجان أحجار حمر، قال ابن عطية: وهذا هو الصواب، وأما قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ ولا يخرج إلا من أحدهما فقد تكلمنا عليه في فاطر.

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ يعني السفن وسماها منشآت لأن الناس ينشؤونها وقرئ[1] بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج والأعلام الجبال شبه السفن بها.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الضمير في عليها للأرض يدل على ذلك سياق

(١) ﴿المنشآت﴾ قرأ حمزة بكسر الشين، واختلف عن أبي بكر فقطع له جمهور العراقيين من طريقيه كذلك،.. وقال بعضهم: الفتح والكسر في ﴿المنشآت﴾ سواء وبهما قرأ الداني على أبي الحسن والوجهان صحيحان عن أبي بكر، وبه قرأ الباقون. النشر: ٢/٤٢١.

الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر، ويعني بمن عليها بني آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلب العقلاء.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ الوجه هنا عبارة عن الذات، وذو الجلال صفة الذات؛ لأن من أسمائه تعالى الجليل، ومعناه يقرب من معنى العظيم، وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده، كما قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: أن كل من في السموات والأرض يسأل حاجته من الله، فمنهم من يسأله بلسان المقال وهم المؤمنون، ومنهم من يسأله بلسان الحال لافتقار الجميع إليه. ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ المعنى أنه تعالى يتصرف في ملكوته تصرفا يظهر في كل يوم من العطاء والمنع والإماتة والإحياء وغير ذلك، وروي[1]: أن رسول الله ﷺ قرأها، فقيل له: وما ذلك الشأن؟ قال: من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا، ويرفع قوما ويضع آخرين. وسئل بعضهم: كيف قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، فقال: هو في شأن يبديه، لا في شأن يبتديه.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ معناه الوعيد، كقولك: لمن تهدده سأفرغ لعقوبتك، وليس المراد التفرغ من شغل، ويحتمل أن يريد انتهاء مدة الدنيا، وأنه حينئذ ينقضي شأنها فلا يبقى إلا شأن الآخرة، فعبر عن ذلك بالتفرغ قال جعفر بن محمد: سمى الإنس والجن ثقلين كأنهما ثقلا بالذنوب.

﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾ هذا كلام يقال للجن والإنس يوم القيامة، أي إن قدرتم على الهروب والخروج من أقطار السموات والأرض فافعلوا، وروي: أنهم يفرون يومئذ لما يرون من أهوال القيامة

(١) صحيح ابن حبان الحديث رقم: (٦٨٩)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٠٢).

فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد أحاطت بالأرض فيرجعون، وقيل: بل خوطبوا بذلك في الدنيا، والمعنى: إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا، وقوله: ﴿فَانفُذُواْ﴾ أمر يراد به التعجيز. ﴿لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَٰنٍ﴾ أي لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وليس لكم قوة.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَنُحَاسٌ﴾ الشواظ لهيب النار، والنحاس الدخان، وقيل: هو الصفر يذاب ويصب على رؤوسهم، وقرئ[1] شواظ بضم الشين وكسرها وهما لغتان وقرئ[2] نحاس بالرفع عطف على شواظ وبالخفض عطف على نار.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ﴾ جواب إذا قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ وقال ابن عطية: جوابها محذوف. ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ معنى وردة حمراء كالوردة، وقيل: هو من الغرس الورد، قال قتادة[3]: السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء والدهان جمع دهن كالزيت وشبهه شبه السماء يوم القيامة به لأنها تذاب من شدة الهول وقيل: يشبه لمعانها بلمعان الدهن، وقيل: إن الدهان هو الجلد الأحمر.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ﴾ السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المغفرة؛ إذ لا يحتاج إلى ذلك لأن المجرمين يعرفون بسيماهم ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صحائفهم، وأما السؤال الثابت في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وغيره فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ، فلا تعارض بين المنفي والمثبت، وقيل: إن ذلك باختلاف المواطن، والأول أحسن.

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ يعني بعلامتهم وهي سواد الوجوه وغير ذلك،

---

(١) ﴿شواظ﴾ قرأ ابن كثير بكسر الشين، وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٢/٤٢١.

(٢) ﴿ونحاس﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بخفض السين، وقرأ الباقون برفعها وبذلك انفرد ابن مهران عن روح. النشر المصدر السابق.

(٣) المحرر الوجيز: ٥/٢١١، وتفسير الثعالبي: ٤، ٢٤٥.

يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ
بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ
وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ
قَٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ ۞ هَلْ جَزَآءُ الْإِحْسَٰنِ إِلَّا الْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

ربع

والمجرمون هنا الكفار بدليل قوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾. ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ قيل: معناه يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه، وقيل: بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه فيطوى ويطرح في النار.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ الحميم الماء السخن، والآن الشديد الحرارة، وقيل: الحاضر من قولك: آن الشيء إذا حضر، والأول أظهر.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ مقام ربه القيام بين يديه للحساب، ومنه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ﴾، وقيل: قيام الله بأعماله، ومنه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ وقيل: معناه لمن خاف ربه، وأقحم المقام كقولك: خفت جانب فلان، واختلف: هل الجنتان لكل خائف على انفراده، أو للصنف الخائف وذلك مبني على قوله: لمن خاف مقام ربه: هل يراد به واحد أو جماعة؟ وقال الزمخشري: إنما قال جنتان لأنه خاطب الثقلين، فكأنه قال: جنة للإنس، وجنة للجن.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ ثنى ذات هنا على الأصل لأن أصله ذوات، قاله ابن عطية، والأفنان جمع فنن وهو الغصن، أو جمع فن وهو الصنف من الفواكه، وغيرها.

﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي نوعان.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الجنا هو ما يجتنى من الثمار، ودان قريب، وروي[١]: أن الإنسان يجتني الفاكهة في الجنة على أي حال كان، من قيام أو قعود أو اضطجاع؛ لأنها تتدلى له إذا أرادها، وفي قوله: جنا الجنتين ضرب من ضروب التجنيس.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ ذكر في الصافات. ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ المعنى أنهن أبكار، ولم يطمثهن معناه لم يفتضهن، وقيل: الطمث الجماع سواء كان لبكر أو غيرها، ونفى أن يطمثهن إنس أو جان مبالغة وقصدا للعموم، فكأنه قال: لم يطمثهن شيء، وقيل: أراد لم يطمث نساء الإنس إنس، ولم يطمث نساء الجن جن، وهذا على القول بأن الجن يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ به البشر.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ شبه النساء بالياقوت والمرجان في الحمرة والجمال، وقد ذكرنا المرجان في أول السورة.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ المعنى أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة، ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله ﷺ، فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٢]، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين، ويقوى هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلي، وجعل جنتين دونها لمن كان دون ذلك، فالجنتان المذكورتان أولا للسابقين، والجنتان المذكورتان ثانيا بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد في الواقعة، وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما؟ فقال هنا: عينان تجريان، وقال في الآخرتين عينان نضاختان والجري أشد من

---

(١) الكشف والبيان للنيسابوري: ٩/١٩٠.

(٢) سبق تخريجه.

النضخ، وقال هنالك: من كل فاكهة زوجان، وقال هنا: فاكهة ونخل ورمان، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفتها هنالك، وكذلك صفة البسط، ويفسر ذلك قول رسول الله ﷺ[(١)]: «جنتان من ذهب آنيتهما وكل ما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما».

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾
حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ
رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٩﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٠﴾ مَآ
أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١١﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ
﴿١٣﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٤﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ
﴿١٦﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٧﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٨﴾

﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ أي تضربان إلى السواد من شدة الخضرة.

﴿عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ أي تفوران بالماء والنضخ بالخاء المعجمة أشد من النضح بالحاء المهملة.

﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ خص النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة تشريفا لهما وبيانا لفضلهما على سائر الفواكه وهذا هو التجريد.

﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ خيرات جمع خيرة وقال الزمخشري: وغيره أصله خيرات بالتشديد، ثم خفف كميت وقرئ[(٢)] بالتشديد، قالت أم سلمة يا رسول الله، أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ قال[(٣)]: خيرات الأخلاق حسان الوجوه.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٠). وشعب الإيمان للبيهقي: ٣٤٧/١، وفي المستدرك عن أبي موسى الأشعري في قوله ﷺ: - ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ قال: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين. الحديث رقم: (٢٨٢).

(٢) قال ابن عطية: وقرأ أبو بكر بن حبيب السهمي «خيرات حسان» بشد الياء المكسورة. المحرر الوجيز: ٢١٤/٥.

(٣) التفسير القيم لابن القيم، ص: ١٥٨، والمحرر الوجيز: ٢١٤/٥، والبحر المحيط: ١٩٧/٨.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ الحور جمع حوراء والمقصورات المحجوبات لأن النساء يمدحن بملازمة البيوت ويذممن بكثرة الخروج، والخيام هي البيوت التي من الخشب والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من اللؤلؤ.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ الرفرف البسط، وقيل: الوسائد، وقيل: رياض الجنة ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ العبقري الطنافس، وقيل: الزرابي، وقيل: الديباج الغليظ، وهو منسوب إلى عبقري، وتزعم العرب أنه بلد الجن فإذا أعجبها شيء نسبته إليه.

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ ذكر تبارك في الفرقان وغيرها، والاسم هنا يراد به المسمى على الأظهر، وقرأ الجمهور[١] ذي الجلال بالياء صفة لربك وقرأ ابن عامر بالواو صفة للاسم وقد ذكر معنى ذي الجلال والإكرام.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) ﴿ذي الجلال﴾ قرأ ابن عامر ﴿ذو الجلال﴾ بواو بعد الذال نعتاً للرب وكذلك هو في مصاحفهم. النشر: ٢/٤٢٣.

سورة الواقعة

روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال[١]: «من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا» ولما حضرت ابن مسعود الوفاة، قيل له: ما تركت لبناتك؟ قال: تركت لهن سورة الواقعة[٢].

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ يعني إذا قامت القيامة، فالواقعة اسم من أسماء القيامة تدل على هولها، كالطامة والصاخة، وقيل: الواقعة الصيحة وهي النفخة في الصور، وقيل: الواقعة صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة وهذا بعيد.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون الكاذبة مصدر كالعافية، والمعنى: ليس لها كذب ولا رد.

الثاني: أن تكون كاذبة صفة محذوف كأنه قال: ليس لها حالة كاذبة، أي هي صادقة الوقوع ولا بد، وهذا المعنى قريب من الأول.

الثالث: أن يكون التقدير ليس لها نفس كاذبة أي تكذيب في إنكار البعث لأن كل نفس تؤمن حينئذ.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ تقديره: هي خافضة رافعة فينبغي أن يوقف على ما قبله لبيان المعنى والمراد بالخفض والرفع أنها تخفض أقواما إلى النار وترفع أقواما إلى الجنة، وقيل: ذلك عبارة عن هولها لأن السماء تنشق، والأرض تتزلزل وتمر،

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي الحديث رقم: (٢٤٩٧) قال الألباني في الضعيفة رقم: (٢٨٩) ضعيف.

(٢) قال النيسابوري: روى جمع من المفسرين أن عثمان بن عفان دخل على ابن مسعود في مرضه الذي مات فيه، فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: ما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: أفلا ندعو الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: أفلا نأمر بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: تدفعه إلى بناتك، قال: لا حاجة لهن فيه، قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة أبداً» ١١٨/٧.

والجبال تنسف فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي زلزلت وحركت تحريكا شديدا، وإذا هنا بدل من إذا وقعت، ويحتمل أن يكون العامل فيه خافضة رافعة.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي فتتت، وقيل: سيرت.

﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ الهباء ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا تكاد ترى إلا في الشمس إذا دخلت على كوة، قاله ابن عباس[(١)] وقال علي[(٢)] بن أبي طالب: هو ما تطاير من حوافر الدواب من التراب، وقيل: ما تطاير من شرر النار فإذا طفي لم يوجد شيئا، والمنبث المتفرق.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ هذا خطاب لجميع الناس لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة، وهم: السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، فأما السابقون: فهم أهل الدرجات العلا في الجنة، وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ هذا ابتداء خبر فيه معنى التعظيم كقولك: زيد ما زيد؟ والميمنة يحتمل أن تكون مشتقة من اليمن وهو ضد الشؤم، وتكون المشأمة به مشتقة من الشؤم، أو تكون الميمنة من ناحية اليمين والمشأمة من ناحية الشمال، واليد الشؤمى هي الشمال، وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين والشر من الشمال، أو لأن أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال، أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الأول: مبتدأ والثاني خبره على وجه التعظيم كقولك: أنت أنت، أو على معنى أن السابقين إلى طاعة الله هم السابقون إلى

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٢٩/١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥١٤/٧.

الجنة، وقيل: إن السابقين الثاني صفة للأول، أو تأكيد، والخبر أولئك المقربون والأرجح أن يكون الثاني خبر الأول؛ لأنه في مقابلة قوله: أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، وعلى هذا يوقف على السابقون الثاني، ويبتدأ بما بعده.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ الثلة: الجماعة من الناس، فالمعنى أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين، والأولون هم أول هذه الأمة، والآخرون المتأخرون من هذه الأمة، والدليل على ذلك ما روي أن رسول الله ﷺ قال[1]: «الفرقتان في أمتي» وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممن بعدهم، فكثر السابقون من السلف الصالح وقلوا بعد ذلك، ويشهد لذلك قوله ﷺ[2]: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وقيل: إن الفرقتين في أمة كل نبي فالسابقون في كل أمة يكثرون في أولها ويقلون في آخرها، وقيل: أن الأولين هم من كان قبل هذه الأمة، والآخرين هم هذه الأمة، فيقتضي هذا أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة وهذا بعيد، وقيل: إن السابقين يراد بهم الأنبياء لأنهم كانوا في أول الزمان أكثر مما كانوا في آخره.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ السرر جمع سرير، والموضونة المنسوجة، وقيل: المشبكة بالدر والياقوت، وقيل: معناه متواصلة قد أدنى بعضها من بعض.

﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ أي وجوه بعضهم إلى بعض.

﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الولدان صغار الخدم والمخلدون الذين لا يموتون وقيل

(١) المحرر الوجيز: ٥/٢١٨.

(٢) جاء في الصحيحين وغيرهما بعدة ألفاظ منها: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» البخاري الحديث رقم: (٢٥٠٩)، ومسلم الحديث رقم: (٦٦٣٢).

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن
مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ
ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ • وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ مَآ
أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٣٠﴾ وَظِلٍّ
مَّمْدُودٍ ﴿٣١﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣٢﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٣﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ
وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٥﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٦﴾
فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٧﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٨﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ ثُلَّةٌ
مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٤٠﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤١﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤٢﴾ مَآ
أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤٣﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٤﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٥﴾ لَّا
بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٧﴾ وَكَانُوا۟
يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٨﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٩﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٥١﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٢﴾

المقرطون بالخلدات وهي ضرب من الأقراط والأول أظهر.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ الأكواب: جمع كوب، وهو الإناء وهو الذي لا أذن له ولا خرطوم يمسك به، والأباريق جمع إبريق وهو الإناء الذي له خرطوم أو أذن يمسك. ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ ذكر في الصافات.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي لا يلحق رؤوسهم الصداع الذي يصيب من خمر الدنيا، وقيل: لا يفرقون عنها فهو من الصدع وهو الفرقة ومعنى لا ينزفون: لا يسكرون.

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ قيل: يتخيرون ما شاؤوا لكثرتها، وقيل: مخيرة مرضية.

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قدمنا معناه، وقرئ[1] بالرفع على تقدير فيها حور أو عطف على الضمير في متكئين أو على ولدان، وبالخفض عطف على المعنى كأنه قال: ينعمون بهذا كله وبحور عين، وقيل: خفض على الجوار.

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ شبههن باللؤلؤ في البياض، ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغيير حسنه، وسألت أم سلمة رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه،

(١) حمزة والكسائي وأبو جعفر: ﴿وحور عين﴾ بخفضهما، والباقون برفعهما. تحبير التيسير، ص: ٥٧٣.

فقال[١]: «صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي».

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ اللغو الكلام الساقط كالفحش وغيره والتأثيم مصدر بمعنى لا يؤثم أحد هناك نفسه ولا غيره. ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ انتصب سلاما على أنه بدل من قيلا، أو صفة له، أو مفعول به لقيلا؛ لأن معناه قولا ومعنى السلام على هذا التحية والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام، ويحتمل أن يكون معناه السلامة فينتصب بفعل مضمر تقديره: أسلموا سلاما.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ هذا مبتدأ وخبره قصد به التعظيم فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده، ويحتمل أن يكون الخبر في سدر، ويكون ما أصحاب اليمين اعتراضا والأول أحسن، وكذلك إعراب أصحاب الشمال.

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ السدر شجر معروف، قال ابن عطية: هو الذي يقال له شجر أم غيلان، وهو كثير في بلاد المشرق وهي في بعض بلاد الأندلس دون بعض، والمخضود الذي لا شوك له كأنه خضد شوكه وذلك أن سدر الدنيا له شوك فوصف سدر الجنة بضد ذلك، وقيل: المخضود هو الموقر الذي انثنت أغصانه من كثرة حمله، فهو على هذا من خضد الغصن إذا ثناه.

﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ الطلح شجر عظيم كثير الشوك قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: «هو شجر الموز وحكى ابن عطية[٢] هذا عن علي بن أبي طالب وابن عباس، وقرأ علي بن أبي طالب[٣] وطلع منضود بالعين، فقيل له: إنما هو وطلح بالحاء، فقال: ما للطلح والجنة؟ فقيل له: أنصلحها في المصحف؟ فقال: المصحف اليوم لا يغير» والمنضود: الذي تنضد بالثمر من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق.

---

(١) ضعيف الترغيب والترهيب. للألباني (٢٢٣٠)، وقال: منكر.

(٢) تفسير ابن كثير: ٧/٥٢٦.

(٣) المحرر الوجيز: ٥/٢٢١.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي منبسط لا يزول لأنه لا تنسخه الشمس، وقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾[1]» أي مصبوب، وذلك عبارة عن كثرته، وقيل: المعنى أنه جار في غير أخاديد، وقيل المعنى: أنه يجري من غير ساقية ولا دلو ولا تعب.

﴿لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ﴾ أي لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا، فإن شجر الجنة يثمر في كل وقت، ولا تمتنع ببعد تناولها، ولا بغير ذلك من وجوه المنع.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ هي الأسرة، وقد روي: أن ارتفاع السرير منها مسيرة خمسمائة عام، وقيل: هي النساء وهذا بعيد.

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ﴾ الضمير لنساء الجنة فإن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكرهن، ولكن تقدم ذكر الفرش وهي تدل على النساء، وأما من قال إن الفرش هي النساء فالضمير عائد عليها، وقيل: يعود على الحور العين المذكورة قبل هذا، وذلك بعيد، فإن ذلك في وصف جنات السابقين، وهذا في وصف جنات أصحاب اليمين، ومعنى إنشاء النساء: أن الله تعالى يخلقهن في الجنة خلقا آخر في غاية الحسن بخلاف الدنيا، فالعجوز ترجع شابة والقبيحة ترجع حسنة.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ روي: أنهن دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا.

﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب وهي المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته، وعبر عنهن ابن عباس[2] بأنهن العواشق لأزواجهن، وقيل: هي الحسنة الكلام. ﴿أَتْرَابًا ۝﴾

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٤٥٩٩) ومسلم الحديث رقم: (٧٣١٥).

(٢) وقال الضحاك، عن ابن عباس: العُرُب: العواشق لأزواجهن، وأزواجهن لهن عاشقون. وكذا قال عبد الله بن سَرْجِس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو العالية، ويحيى بن أبي كثير، وعطية، تفسير ابن كثير: ٥٣٣/٧.

لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي مستويات في السن مع أزواجهن، وروي: أنهم يكونون في سن أبناء ثلاث وثلاثين عاما، ولأصحاب اليمين يتعلق بقوله: أنشأناهن على ما قاله الزمخشري، ويحتمل أن يتعلق بأترابا، وهذا هو الذي يقتضيه المعنى أي أترابا لأزواجهن.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ أي جماعة من أول هذه الأمة وجماعة من آخرها، وقد قال رسول الله ﷺ: «الفرقتان من أمتي»[(١)] وفي ذلك رد على من قال إنهما من غير هذه الأمة، وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين، بخلاف السابقين فإنهم قليل في الآخرين، وذلك لأن السابقين في أول هذه الأمة أكثر منهم في آخرها لفضيلة السلف الصالح، وأما أصحاب اليمين فكثير في أولها وآخرها.

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ السموم الحر الشديد والحميم الماء الحار جدا، واليحموم هو الأسود، وظل من يحموم، هو الدخان في قول الجمهور، وقيل: سرادق النار المحيط بأهلها، فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظلهم، وقيل: هو جبل في جهنم.

﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ معنى يصرون يدومون من غير إقلاع، والحنث هو الإثم، وقيل: هو الشرك، وقيل: هو الحنث في اليمين، أو اليمين الغموس.

﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ الآية معناها أنهم أنكروا البعث بعد الموت، وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين في الرعد، وآباؤنا في الصافات.

﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ خطاب لكفار قريش وسائر الكفار.

---

(١) لم أجده مسندا وتذكره كتب التفسير. المحرر الوجيز ٥/٢١٨ والبحر المحيط ٨/١٥٤ بدون سند..

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن
زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ
﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ
خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ
تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا
نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾
أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾
لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾
بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ
أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا
فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ
أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً
ربع وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَا
أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ الضمير للمأكول. ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ وزن الهيم فعل بضم الفاء وكسرت الهاء لأجل الياء وهو جمع أهيم، وهو الجمل الذي أصابه الهيام بضم الهاء، وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم، والأنثى هيماء، وقيل: جمع هائم وهائمة، وقيل: الهيم الرمال التي لا تروى من الماء، وهو على هذا جمع هيام بفتح الهاء، وقرئ[1] شرب بضم الشين واختلف: هل هو مصدر أو اسم المشروب؟ وقرئ: بالفتح وهو مصدر، فإن قيل: كيف عطف قوله فشاربون على شاربون، ومعناهما واحد؟ فالجواب: أن المعنى مختلف لأن الأول يقتضي الشرب مطلقا، والآخر يقتضي الشرب الكثير المشبه لشرب الهيم.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ النزل أول ما يأكله الضيف، فكأنه يقول: هذا أول عذابهم فما ظنك بسائره؟.

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيض على التصديق إما بالخالق تعالى، وإما بالبعث لأن الخلقة الأولى دليل عليه.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوحدانية وعلى البعث، وتتضمن أيضا وعيدا وتعديد نعم، ومعنى تمنون تقذفون

(١) قال الداني: نافع وعاصم وحمزة ﴿شرب الهيم﴾ بضم الشين، والباقون بفتحها. التيسير، ص: ١٣٢.

المني في رحم المرأة.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ هذا توقيف يقتضي أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ أي جعلناه مقدرا بآجال معلومة وأعمار، منها: طويل، وقصير، ومتوسط. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ المسبوق على الشيء هو المغلوب عليه بحيث لا يقدر عليه، ونبدل أمثالكم معناه نهلككم ونستبدل قوما غيركم، وقيل: نمسخكم قردة وخنازير، وننشئكم معناه نبعثكم بعد هلاككم، وفيما لا تعلمون معناه ننشئكم في خلقة لا تعلمونها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه، فمعنى الآية أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يبعثهم، ففيها تهديد واحتجاج على البعث.

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تحضيض على التذكير والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة، وفي هذا دليل على صحة القياس.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ المراد بالزراعة هنا إنبات ما يزرع وتمام خلقته؛ لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره، قال رسول الله ﷺ[1]: «لا يقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت» والمراد بالحرث قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها، وقد يقال لهذا زرع ومنه قوله: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ الحطام اليابس المفتت، وقيل: معناه تبن بلا قمح، فظلتم تفكهون أي تطرحون الفاكهة وهي المسرة يقال رجل فكه

---

(١) قال الشوكاني: وقد أخرج البزار وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وضعفه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [لا يقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت] قال أبو هريرة: ألم تسمعوا الله يقول ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ فتح القدير: ٥/٢٢٥.

إذا كان مسرورا منبسط النفس، ويقال تفكه إذا زالت عنه الفكاهة فصار حزينا لأن صيغة تفاعل تأتي لزوال الشيء كقولهم: تحرج وتأثم إذا زال عنه الحرج والإثم، فالمعنى: صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطاما، وقد عبر بعضهم عن تفكهون بأن معناه تتفجعون، وقيل: تندمون، وقيل: تعجبون وهذه معان متقاربة، والأصل ما ذكرنا.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ تقديره: تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطاما، والمغرم المعذب لأن الغرام هو أشد العذاب، ويحتمل أن يكون من الغرم أي مثقلون بما غرمنا من النفقة على الزرع، والمحروم الذي حرمه الله الخير.

﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾ هي السحاب والأجاج الشديد الملوحة، فإن قيل: لم ثبتت اللام في قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَامًا﴾ وسقطت في قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا﴾؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أغنى إثباتها أولا عن إثباتها ثانيا مع قرب الموضعين.

والآخر: أن هذه اللام تدخل للتأكيد فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب، للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب؛ لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل.

﴿النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي تقدحونها من الزناد، والزناد قد يكون من حجرين، ومن حجر وحديدة، ومن شجر وهو المرخ والعفار، ولما كانت عادة العرب في زنادهم من شجر قال الله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ أي الشجرة التي تزند النار منها، وقيل: أراد بالشجرة نفس النار، كأنه يقول نوعها أو جنسها فاستعار الشجرة لذلك، وهذا بعيد.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً﴾ أي تذكر بنار جهنم. ﴿وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ المتاع ما

يتمتع به، ويحتمل المقوين أن يكون من الأرض القواء وهي الفيافي، ومعنى المقوين الذين دخلوا في القواء، ولذلك عبر ابن عباس[١] عنه بالمسافرين، ويحتمل أن يكون من قولهم: أقوى المنزل إذا خلا، فمعناه الذين خلت بطونهم أو موائدهم من الطعام، ولذلك عبر بعضهم عنه بالجائعين.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ لا في هذا الموضع وأمثاله زائدة، وكأنها زيدت لتأكيد القسم أو لاستفتاح الكلام نحو: ألا، وقيل: هي نافية لكلام الكفار كأنه يقول: لا صحة لما يقول الكفار، وهذا ضعيف، والأول أحسن؛ لأن زيادة لا كثيرة معروفة في كلام العرب، ومواقع النجوم فيه قولان:

أحدهما: قال ابن عباس[٢]: إنها نجوم القرآن إذ نزل على النبي ﷺ مقطعا بطول عشرين سنة، فكل قطعة منه نجم.

والآخر: قول كثير من المفسرين أن النجوم الكواكب ومواقعها مغاربها ومساقطها، وقيل: مواضعها من السماء، وقيل: انكدارها يوم القيامة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه وقوله: لو تعلمون اعتراض بين الموصوف وصفته، فهو اعتراض في اعتراض، والمقصود بذلك تعظيم المقسم به وهو مواقع النجوم، وجواب القسم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ وأعاد الضمير على القرآن؛ لأن المعنى يقتضيه، أو لأنه مذكور على قول من قال: إن مواقع النجوم نزول القرآن.

﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ أي مصون والمراد بهذا الكتاب المكنون المصاحف التي كتب فيها القرآن أو صحف القرآن التي بأيدي الملائكة عليهم السلام.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ الضمير يعود على الكتاب المكنون، ويحتمل أن

(١) تفسير ابن أبي حاتم رقم: (٣٣٣٤)، والطبري في جامع البيان: ١٤٥/٢٣.

(٢) البغوي في معالم التنزيل: ٢٢/٨.

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم
مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا
بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾
تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ
﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سورة الحديد

مدنية — آياتها ٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ
ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

يعود على القرآن المذكور قبله، إلا أن هذا ضعيف لوجهين:

أحدهما: أن مس الكتاب حقيقة ومس القرآن مجاز، والحقيقة أولى من المجاز والآخر: أن الكتاب أقرب والضمير يعود على أقرب مذكور، فإذا قلنا إنه يعود على الكتاب المكنون، فإن قلنا: إن الكتاب المكنون هو الصحف التي بأيدي الملائكة، فالمطهرون يراد بهم الملائكة لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب، والآية إخبار بأنه لا يمسه إلا هم دون غيرهم، وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التي بأيدي الناس، فيحتمل أن يريد بالمطهرين المسلمين لأنهم مطهرون من الكفر، أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر، وهي الجنابة أو الحيض، فالطهارة على هذا الاغتسال، أو المطهرين من الحدث الأصغر فالطهارة على هذا الوضوء، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ خبرا أو نهيا على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهيا، وقال: لو كان نهيا لكان بفتح السين، وقال المحققون: إن النهي يصح مع ضم السين؛ لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزوما أو اتصل به ضمير المفرد المذكر ضم عند التقاء الساكنين إتباعا لحركة الضمير، وإذا جعلناه خبرا فيحتمل أن يقصد به مجرد الإخبار، أو يكون خبرا بمعنى النهي، وإذا كان لمجرد الإخبار، فالمعنى: أنه لا ينبغي أن يمسه إلا المطهرون أي هذا حقه، وإن وقع خلاف ذلك.

واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات في

الآية، فأجمعوا على أنه لا يجوز أن يمسه كافر؛ لأنه إن أراد بالمطهرين المسلمين فذلك ظاهر، وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك، وأما الحدث ففيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه لا يجوز أن يمسه الجنب، ولا الحائض، ولا المحدث حدثا أصغر، وهو قول مالك وأصحابه، ومنعوا أيضا أن يحمله بعلاقة أو وسادة، وحجتهم الآية، على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، وقد احتج مالك في الموطإ بالآية على المسألة، ومن حجتهم أيضا كتاب[1] رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر».

الثاني: أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثا أصغر، وهو مذهب أحمد ابن حنبل[2] والظاهرية، وحملوا المطهرين على أنهم المسلمون والملائكة، أو جعلوا لا يمسه لمجرد الإخبار.

والقول الثالث: أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر، ورخص مالك في مسه على غير وضوء للمعلم والصبيان؛ لأجل المشقة، واختلفوا في قراءة الجنب للقرآن، فمنعه الشافعي وأبو حنيفة مطلقا، وأجازه الظاهرية مطلقا، وأجاز مالك قراءة الآيات اليسيرة، واختلف في قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب، فعن مالك في ذلك روايتان، وفرق بعضهم بين اليسير والكثير.

---

(١) في الموطإ: أخبرنا مالك أخبرنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: إن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: «لا يمس القرآن إلا طاهر» الحديث رقم: (٢٩٦) قال ابن حجر: وَوَصَلَهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَهُوَ مَعْلُول. بلوغ المرام، ص: ٢٧.

(٢) عزو جواز مس الجنب للمصحف للحنابلة غير مسلم، ففي المغني ١/١٠٨: ولا يمس المصحف إلا طاهر يعني طاهراً من الحدثين جميعًا، روي هذا عن ابن عمر والحسن وعطاء وطاوس والشعبي والقاسم بن محمد، وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي ولا نعلم مخالفا لهم إلا داود فإنه أباح مسه، واحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم كتب في كتابه آية إلى قيصر، وقال المؤلف في قوانينه: تمنع الجنابة من الصلاة كلها إجماعًا وسجود التلاوة إجماعا، ومن مس المصحف عند الأربعة خلافا للظاهرية، ص: ٩٨، ط وزارة الأوقاف الكويتية.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ هذا خطاب للكفار والحديث المشار إليه: هو القرآن، ومدهنون: معناه متهاونون، وأصله من المداهنة، وهي: لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن، قال ابن عباس[١] معناه مكذبون.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال ابن عطية: أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر: إنه نزل بنوء كذا وكذا، والمعنى تجعلون شكر رزقكم التكذيب، فحذف شكر لدلالة المعنى عليه، وقرأ علي ابن أبي طالب[٢] «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» وكذلك قرأ ابن عباس[٣] إلا أنه قرأ تكذبون بضم التاء والتشديد كقراءة الجماعة، وقراءة علي بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب، أي يكذبون في قولهم: نزل المطر بنوء كذا، ومن هذا المعنى قول رسول الله ﷺ[٤]: «إن الله تعالى يقول: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكوكب كذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»، والمنهي عنه في هذا الباب أن يعتقد أن للكوكب تأثيرا في المطر، وأما مراعاة العوائد التي أجراها الله تعالى فلا بأس به، لقوله ﷺ: «إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة»[٥] وقد قال عمر للعباس[٦] وهما في الاستسقاء: كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يقولون: إنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعا، قال ابن الطيب: فما مضت سبع حتى مطروا، وقيل: إن معنى الآية: تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبي ﷺ، فإنهم كانوا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم رقم: (٣٣٣٤)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٥/٢٢٨.

(٢) فتح الباري: ٣/١١٨١، والدر المنثور: ٨/٣٠، والمحرر الوجيز: ٥/٢٢٩.

(٣) المحرر الوجيز: ٥/٢٢٩.

(٤) البخاري الحديث رقم: (٩٩١)، ومسلم الحديث رقم: (٢٤٠)، وأبو داود الحديث رقم: (٣٩٠٨).

(٥) رواه مالك في الموطإ -بلاغا- من رواية يحيي بن يحيي الليثي، الحديث رقم: (٤٥٢).

(٦) الطبري في جامع البيان: ٢٣/١٥٥، وابن كثير: ٧/٥٤٧.

يقولون: إن آمنا به حرمنا الله الرزق كقولهم: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾، فأنكر الله عليهم ذلك، وإعراب أنكم على هذا القول مفعول بتجعلون، على حذف مضاف، تقديره: تجعلون سبب رزقكم التكذيب، ويحتمل أن يكون مفعولا من أجله، تقديره: تجعلون رزقكم حاصلا من أجل أنكم تكذبون، وأما على القول الأول فإعراب أنكم تكذبون مفعول لا غير.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ لولا هنا عرض، والضمير في بلغت للنفس؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك، وبلوغها للحلقوم حين الموت، والفعل الذي دخلت عليه لولا هو قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ أي هلا رددتم النفس حين الموت، ومعنى الآية احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم؛ لأنهم إذا حضر أحدهم الموت لم يقدروا أن يردوا روحه إلى جسده، وذلك دليل على أنهم عبيد مقهورون.

﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ هذا خطاب لمن يحضر الميت من أقاربه وغيرهم، يعني تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ يحتمل أن يريد قرب نفسه تعالى بعلمه واطلاعه، أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح، فيكون من قرب المسافة. ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ إن أراد بقوله: (نحن أقرب) الملائكة فقوله: ﴿لَّا تُبْصِرُونَ﴾ من رؤية العين، وإن أراد نفسه تعالى فهو من رؤية القلب.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ لولا هنا عرض كالأولى وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام، والفعل الذي دخلت عليه لولا الأولى والثانية قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ أي هلا رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وغير مربوبين ومقهورين فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين في كفركم، وترتيب الكلام فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين فارجعوا إن كنتم صادقين.

﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ الضمير في كان للمتوفى، وكرر هنا ما ذكره في أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف: السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فالمراد بالمقربين هنا السابقون المذكورون هناك.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ الروح الاستراحة، وقيل: الرحمة، روي[١]: أن رسول الله ﷺ قرأ فروح بضم الراء ومعناه الرحمة، وقيل: الخلود أي بقاء الروح، وأما الريحان: فقيل: إنه الرزق، وقيل: الاستراحة، وقيل: الطيب، وقيل: الريحان المعروف، وفي قوله: ﴿رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ﴾ معنى هذا على الجملة نجاة أصحاب اليمين وسعادتهم، والسلام هنا يحتمل أن يكون بمعنى السلامة أو التحية، والخطاب في ذلك يحتمل أن يكون للنبي ﷺ، أو لأحد من أصحاب اليمين، فإن كان النبي ﷺ فالسلام بمعنى السلامة، والمعنى: سلام لك يا محمد منهم، أي لا ترى منهم إلا السلامة من العذاب، وإن كان الخطاب لأحد من أصحاب اليمين فالسلام بمعنى التحية، والمعنى: سلام لك أي تحية لك يا صاحب اليمين من إخوانك، وهم أصحاب اليمين أي يسلمون عليك فهو كقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ أو يكون بمعنى السلامة، والتقدير: سلامة لك يا صاحب اليمين ثم يكون قوله: ﴿مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: أنت من أصحاب اليمين.

﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يعني الكفار وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ النزل أول شيء يقدم للضيف.

---

(١) قال ابن عطية: وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ (فروح) بضم الراء. المحرر الوجيز: ٥/٢٣٠.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ الإشارة إلى ما تضمنته هذه السورة من أحوال الخلق في الآخرة، وحق اليقين معناه الثابت من اليقين، وقيل: إن الحق واليقين بمعنى واحد، فهو من إضافة الشيء إلى نفسه، كقوله: مسجد الجامع، واختار ابن عطية أن يكون كقولك في أمر تؤكده: هذا يقين اليقين، أو صواب الصواب، بمعنى أنه نهاية الصواب.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال عليه السلام: اجعلوها في سجودكم»[١] فلذلك استحب مالك وغيره أن يقول في السجود: «سبحان ربي الأعلى» «وفي الركوع سبحان ربي العظيم»[٢] وأوجبه الظاهرية، ويحتمل أن يكون المعنى تسبيح الله بذكر أسمائه، والاسم هنا جنس الأسماء، والعظيم صفة للرب، أو يكون الاسم هنا واحدا والعظيم صفة له، وكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم، ويؤيد هذا ويشير إليه اتصال سورة الحديد بها، وفي أولها التسبيح وجملة من أسماء الله وصفاته، قال ابن عباس[٣]: اسم الله الأعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد، وروي[٤] «أن الدعاء عند قراءتها مستجاب».

*** *** ***

(١) المستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٣٧٨٣) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: الحديث صحيح، وأبو داود الحديث رقم: (٨٦٩) قال الألباني ضعيف.

(٢) الدسوقي على الشرح الكبير: ١/٢٨١.

(٣) تفسير الثعالبي: ٤/٢٦٠، والمحرر الوجيز: ٥/٢٣١.

(٤) لم أجده مسندا.

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى
ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ۞ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ
﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟
بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي
يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ
وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ
ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟
وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي
يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

سورة الحديد

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا التسبيح المذكور هنا وفي أوائل سائر السور المسبحات، يحتمل أن يكون حقيقة أو أن يكون بلسان الحال، لأن كل ما في السموات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته، والأول أرجح لقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وذكر التسبيح هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع، وكل واحد منهما يقتضي الدوام.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾ أي ليس لوجوده بداية، ولا لبقائه نهاية. ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ أي الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة على الباطن الذي لا تدركه الأبصار، أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته، وقيل: الظاهر العالي على كل شيء، فهو من قولك: ظهرت على الشيء إذا علوت عليه، والباطن الذي بطن كل شيء أي علم باطنه، والأول أظهر وأرجح، ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدل على أنه تعالى جامع لها مع اختلاف معانيها، وفي ذلك مطابقة لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قد ذكر وكذلك ما بعده. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يعني أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته، وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾ ذكر في الحج ولقمان.

﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ يعني الإنفاق في سبيل الله وطاعته، وروي: أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك، وعلى هذا روي أن قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ﴾ نزلت في عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه جهز جيش العسرة[1] يومئذ، ولفظ الآية مع ذلك عام، وحكمها باق لجميع الناس، وقوله ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ يعني أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله لأنه خلقها، ولكنه متعكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه، ويحتمل أن يكون جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم فورثتم عنه الأموال، فأنفقوها قبل أن تخلفوها لمن بعدكم، كما خلفها لكم من كان قبلكم، والمقصود على كل وجه تحريض على الإنفاق، وتزهيد في الدنيا.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ معناه أي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة، والمعجزات الظاهرة، فقوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام يراد به الإنكار، ولا تؤمنون في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه مالكم، والواو في قوله: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال. ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان، أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍ﴾ يعني سيدنا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعبودية هنا للتشريف والاختصاص، والآيات هنا القرآن.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية معناه أي شيء يمنعكم من الإنفاق

---

(١) تجهيز عثمان لجيش العسرة صحيح رواه البخاري الحديث رقم (٢٧٧٨): وغيره، لكن كونه سببا لنزول الآية لم نعثر عليه مسندا.

في سبيل الله؟ والله يرث ما في السموات والأرض، إذا فني أهلها ففي ذلك تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا. ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ الفتح هنا فتح مكة، وقيل: صلح الحديبية، والأول أظهر وأشهر، ومعنى الآية التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة، وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك، فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفا والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشد، ويؤخذ من الآية أن من أنفق في شدة أعظم أجرا ممن أنفق في حال الرخاء، وفي الآية حذف دل عليه الكلام، تقديره: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل، ثم حذف ذلك لدلالة قوله: ﴿أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ[1]: «**لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» يعني السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة ويدخل في الخطاب كل من يأتي إلى يوم القيامة. ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة.

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ذكر في البقرة.

﴿يَوْمَ تَرَى﴾ العامل في الظرف أجر كريم أو تقدير اذكر. ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ قيل: إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان، والصحيح هو قول الجمهور أنه حقيقة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ فالمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضيء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم وقيل يكون أصله في أيمانهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم وروي: أن نور كل أحد على قدر إيمانه، فمنهم من يكون نوره كالنخلة، ومنهم من يضيء ما قرب من قدميه، ومنهم من يضيء مرة ويهم بالإطفاء مرة، قال ابن عطية: ومن

(١) البخاري الحديث رقم: (٣٤٧٠)، ومسلم: (٦٦٥١) بلفظ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم
بُشْرَىٰكُمُ الْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ
الرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ
قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ
وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٣﴾ فَالْيَوْمَ
لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمُ النَّارُ هِيَ
مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ ربع
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٥﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمُ الْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَٰتِ
وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾

هذه الآية أخذ الناس مشي المعتق بالشمعة قدام معتقه إذا مات. ﴿بُشْرَىٰكُمُ الْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ أي يقال لهم ذلك.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ يوم بدل من يوم ترى أو متعلق بالفوز العظيم أو بمحذوف، تقديره: اذكر ومعنى الآية أن كل مؤمن مظهر للإيمان يعطى يوم القيامة نورا فيبقى نور المؤمنين وينطفئ نور المنافقين فيقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم أي نأخذ منه ونستضيء به ومعنى انظرونا انتظرونا وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف والمنافقون ليسوا كذلك، ويحتمل أن يكون من النظر أي انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاؤوا بنورهم ولكن يضعف هذا لأن نظر إذا كان بمعنى النظر بالعين بتعدي بإلى، وقرئ[1] أنظرونا بهمزة قطع، ومعناه أخرونا أي أمهلونا في مشيكم حتى نلحقكم. ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول المؤمنين أو قول الملائكة، ومعناه الطرد للمنافقين والتهكم بهم لأنهم قد علموا أن ليس وراءهم نور، ووراءكم ظرف العامل فيه ارجعوا، وقيل: إنه لا موضع له من الإعراب، وأنه كما لو قال: ارجعوا ومعنى هذا الرجوع ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور،

---

(١) ﴿أنظرونا﴾ قرأ حمزة بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الظاء بمعنى أمهلونا، وقرأ الباقون بوصل الهمزة وضم الظاء أي انتظرونا. النشر: ٢/٤٢٤.

أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان، أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور. ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ أي ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم، وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه، وقيل: إن هذا السور هو الأعراف وهو سور بين الجنة والنار، وقيل: هو الجدار الشرقي من بيت المقدس، وهذا بعيد. ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ باطنه هو جهة المؤمنين وظاهره هو جهة المنافقين، وهي خارجه، كقوله: ظاهر المدينة أي خارجها، والضمير في باطنه وظاهره يحتمل أن يكون للسور أو للباب، والأول أظهر. ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين فيقولون لهم ألم نكن معكم في الدنيا، يريدون إظهارهم الإيمان. ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق. ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي أبطأتم بإيمانكم، وقيل: تربصتم الدوائر بالنبي ﷺ وبالمسلمين. ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ أي شككتم في الإيمان. ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ أي طول الأمل والتمني، ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبي ﷺ والمؤمنون أو يهزمون، إلى غير ذلك من الأماني الكاذبة. ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي الفتح وظهور الإسلام، أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب. ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ هو الشيطان.

﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي هي أولى بكم وحقيقة المولى الولي الناصر، فكأن هذا استعارة منه، أي لا ولي لكم تأوون إليه إلا النار.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ معنى ألم يأن ألم يحن، يقال أَنَى الأمر إذا حان وقته، وذكر الله يحتمل أن يريد به القرآن، أو الذكر أو التذكير بالمواعظ، وهذه آية موعظة وتذكير، قال ابن عباس[١] عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن، وسمع الفضيل بن عياض قارئا يقرأ

(١) المحرر الوجيز: ٥/٢٣٨، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم: (٣٣٣٨).

هذه الآية، فقال: قد آن فكان سبب رجوعه إلى الله، وحكي أن عبد الله بن المبارك أخذ العود في صباه ليضربه فنطق بهذه الآية فكسره ابن المبارك وتاب إلى الله.
﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ﴾ عطف ولا يكونوا على أن تخشع، ويحتمل أن يكون نهيا والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة، وهم اليهود والنصارى. ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ أي مدة الحياة، وقيل: انتظار القيامة، وقيل: انتظار الفتح، والأول أظهر.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات، وقيل: إنه تمثيل للقلوب أي يحي الله القلوب بالمواعظ كما يحي الأرض بالمطر، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين ندبوا إلى أن تخشع قلوبهم، والأول أظهر وأرجح لأنه الحقيقة.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ بتشديد الصاد[1] من الصدقة وأصله المتصدقين وكذلك قرأ أبي بن كعب[2] وقرئ بالتخفيف من التصديق، أي صدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام. ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ معطوف على المعنى، كأنه قال: إن الذين تصدقوا وأقرضوا، وقد ذكرنا معنى أقرضوا في قوله: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾.

﴿الصِّدِّيقُونَ﴾ مبالغة من الصدق أو من التصديق، وكونه من الصدق أرجح؛ لأن صيغة فعيل لا تبنى إلا من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حكي بناؤها من رباعي كقولهم: رجل مسيك من أمسك. ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون الشهداء مبتدأ وخبره ما بعده، أو يكون معطوفا على الصديقين، فإن كان مبتدءا ففي المعنى قولان:

---

(١) ﴿المصدقين والمصدقات﴾ قرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد فيهما، وقرأ الباقون بتشديدها منهما. النشر: ٢/٤٢٤.

(٢) قال ابن عطية: وفي مصحف أبي بن كعب (إن المتصدقين) المحرر الوجيز: ٥/٢٣٩.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ
رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ
أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ١٩ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي
الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ
ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ٢٠ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٢١
• مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا
فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٢٢
لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ٢٣ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ٢٤

أحدهما: أنه جمع شهيد في سبيل الله، فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم.

والآخر: أنه جمع شاهد ويراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم يشهدون على قومهم، وإن كان معطوفا ففي المعنى قولان:

أحدهما: أنه جمع شهيد فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء، أي جمعوا الوصفين، وروي[1] في هذا المعنى أن رسول الله ﷺ قال: «مؤمنو أمتي شهداء» وتلا هذه الآية.

والآخر: أنه جمع شاهد لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقوله: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ هذا خبر عن الشهداء خاصة إن كان مبتدءا أو خبر عن المؤمنين إن كان الشهداء معطوفا، ونورهم هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة حسبما ذكر في هذه السورة، وقيل: هو عبارة عن الهدى والإيمان.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ الآية معناها تشبيه الدنيا بالزرع الذي ينبته الغيث في سرعة تغيره بعد حسنه وتحطمه بعد ظهوره، والكفار هنا يراد به الزراع فهو من قوله كفرت الحب إذا سترته تحت الأرض، وخصهم بالذكر لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيق أن يعجب، وقيل: أراد

(١) لم أجده.

الكفار بالله، وخصهم بالذكر لأنهم أشد إعجابا بالدنيا، وأكثر حرصا عليها.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي سابقوا إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة، فقيل: المعنى كونوا في أول صف من القتال، وقيل: احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام، وقيل: كونوا أول داخل إلى المسجد وأول خارج منه، وهذه أمثلة، والمعنى العام: المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات، وقد استدل بها قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ السماء هنا يراد به جنس السموات، بدليل قوله في آل عمران: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ وقد ذكرنا هناك معنى عرضها.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ المعنى: أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ، من قبل أن تكون، قال رسول الله ﷺ[1]: «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء» والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر، وقيل: أراد به المصيبة في العرف، وهو ما يصيب من الشر، وخص ذلك بالذكر لأنه أهم على الناس وفي الأرض يعني القحوط والزلازل وغير ذلك، وفي أنفسكم يعني الموت والمرض والفقر وغير ذلك، ونبرأها معناه نخلقها، والضمير يعود على المصيبة، أو على أنفسكم، أو على الأرض، وقيل: يعود على جميعها؛ لأن المعنى صحيح في كلها.

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ المعنى: فعل الله

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره، عن أبي هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» زاد ابن وهب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾. ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب. تفسير القرآن العظيم: ٧/٤٨٥.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ
لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ
لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ
قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا
فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ
مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا
وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا
مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا
حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا
يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

ذلك وأخبركم به لكي تسلموا لقضاء الله ولا تكترثوا بأمور الدنيا، ومعنى لا تأسوا لا تحزنوا، أي فلا تحزنوا على ما فاتكم منها، ولا تفرحوا بها وقرأ الجمهور[١] بما آتاكم بالمد أي بما أعطاكم الله من الدنيا، وقرأ أبو عمرو بما أتاكم بالقصر، أي بما جاءكم من الدنيا، **فإن قيل**: إن الإنسان لا يملك نفسه عن أن يفرح بالخير ويحزن للشر، كما قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]، لما أتي بمال كثير: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا؟ **فالجواب**: أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان وعن الحزن الذي يخرج عن الصبر والتسليم. ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ المختال صاحب الخيلاء، والفخور شديد الفخر على الناس.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من كل مختال فخور، أو خبر ابتداء مضمر تقديره: هم الذين، أو منصوب بإضمار، أعني أو مبتدأ وخبره محذوف.

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ الكتاب هنا جنس الكتب، والميزان العدل، وقيل: الميزان الذي يوزن به، وروي: أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى

---

(١) ﴿بما آتاكم﴾ قرأ أبو عمرو بقصر الهمزة وقرأ الباقون بمدها. النشر: ٢/٤٢٤.

(٢) هذه الرواية أخذها المؤلف من ابن عطية المحرر الوجيز: ١/٢٧٠، وهذا الكلام ثابت عن عمر كما في مختصر صحيح البخاري الحديث رقم: (٢٣٦٥)، ومصنف ابن أبي شيبة الحديث رقم: (٣٤٤٦٤)، وكذلك جل المفسرين ينسبونه لعمر.

نوح، وقال له: مر قومك يزنوا به. ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ عبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال، وقيل: بل أنزله حقيقة لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة. ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني أنه يعمل منه سلاح للقتال، ولذلك قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ والمنافع للناس: سكك الحرث والمسامير وغير ذلك.

﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ أي من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿قَفَّيْنَا﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم في بعض، كما وصف أصحاب سيدنا محمد ﷺ بأنهم رحماء بينهم. ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانية هي الانفراد في الجبال والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا، ومعنى ابتدعوها أي أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم، وإعراب رهبانية معطوف على رأفة ورحمة، أي جعل الله في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية، وابتدعوها صفة للرهبانية، والجعل هنا بمعنى الخلق، والمعتزلة يعربون رهبانية مفعولا بفعل مضمر يفسره: ابتدعوها؛ لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله، فأعربوها على مذهبهم، وكذلك أعربها أبو علي الفارسي، وذكر الزمخشري الوجهين. ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ كتبنا هنا بمعنى فرضنا وشرعنا، وفي هذا قولان:

أحدهما: أن الاستثناء منقطع، والمعنى: ما كتبنا عليهم الرهبانية ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله.

والآخر: أن الاستئناف متصل، والمعنى: كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله، والأول أرجح لقوله: ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ ولقراءة عبد الله بن مسعود: ما كتبناها عليهم «لكن ابتدعوها»[١].

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ ابن مسعود (ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها) المحرر الوجيز: ٥/٢٤٥.

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي لم يدوموا عليها ولم يحافظوا على الوفاء بها، يعني أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم، والضمير في رعوها للذين ابتدعوا الرهبانية، وكان يجب عليهم إتمامها وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالى عليهم؛ لأن من دخل في شيء من النوافل يجب عليه إتمامه، وقيل: الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم.

﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ إن قيل: كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا ينبغي؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن معنى آمنوا دوموا على الإيمان واثبتوا عليه.

والآخر: أنه خطاب لأهل الكتاب، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ﷺ، ويؤيد هذا قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي نصيبين وقال رسول الله ﷺ[1] «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي**» الحديث.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يحتمل أن يريد النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة، أو يكون عبارة عن الهدى، ويؤيد الأول أنه مذكور في هذه السورة، ويؤيد الثاني قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُوراً يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ لا في قوله: لئلا زائدة، والمعنى: ليعلم أهل الكتاب، وكذلك قرأها ابن عباس[2]، وقرأ

---

(١) في الصحيح حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا صالح بن حي أبو حسن قال سمعت الشعبي يقول حدثني أبو بردة أنه سمع أباه: عن النبي ﷺ قال (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن أدبها ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمنا ثم آمن بالنبي ﷺ فله أجران والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده) البخاري الحديث رقم: (٢٨٤٩)، ومسلم الحديث رقم: (٤٠٤).

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٢٤٥.

ابن مسعود[١] لكيلا يعلم، والمعنى: إن كان الخطاب لأهل الكتاب يا أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ، ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدروا على شيء من فضل الله الذي وعد من آمن منكم وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة؛ لأنهم لم يسلموا فلم ينالوا شيئًا من ذلك، وإن كان الخطاب للمسلمين، فالمعنى: ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئًا مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة، وقد روي: في سبب نزول الآية أن اليهود افتخرت على المسلمين فنزلت الآية، في الرد عليهم، وهو يقوي هذا القول، وروي أيضا أن سببها: أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين، فنزلت الآية، معلمة أن المسلمين مثلهم في ذلك.

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) قال القرطبي: وعن ابن مسعود ﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ﴾ الجامع لأحكام القرآن: ١٧/٢٦٨.

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله
والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير (1) الذين
يظهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا
اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله
لعفو غفور (2) والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما
قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به
والله بما تعملون خبير (3) فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين
مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله
وللكافرين عذاب أليم (4) إن الذين يحادون الله ورسوله
كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات
وللكافرين عذاب مهين (5) يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم
بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد (6)

سورة المجادلة

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ نزلت الآية[1] في خولة بنت حكيم، وقيل: خولة بنت ثعلبة، وقيل: خولة بنت خويلد، وقيل: اسمها جميلة، وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري أخي عبادة بن الصامت فظاهر منها، وكان الظهار في الجاهلية يوجب تحريما مؤبدا، فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن أوسا أكل شبابي، ونشرت له بطني، فلما كبرت ومات أهلي ظاهر مني، فقال رسول الله ﷺ: ما رأيتك إلا قد حرمت عليه، فقالت يا رسول الله لا تفعل؛ إني وحيدة ليس لي أهل سواه، فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته فراجعته، فهذا هو جدالها. ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ كانت تقول: اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري، وروي: أنها كانت تقول: اللهم إن لي منه صبية صغارا إن ضممتهم إلي جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا[2]. ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ المحاورة هي المراجعة في الكلام، قالت عائشة رضي الله عنها[3]: سبحان من وسع سمعه الأصوات، لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى علي، وسمع الله كلامها ونزل القرآن في ذلك فبعث رسول الله ﷺ إلى زوجها، وقال له: أتعتق رقبة،

---

(١) انظر الطبري في جامع البيان: ٢١٩/٢٣، وما بعدها.

(٢) البغوي في معالم التنزيل: ٤٧/٨.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٤٧/٥.

فقال: والله ما أملكها، فقال: أتصوم شهرين متتابعين؟، فقال: والله ما أقدر، فقال له: أتطعم ستين مسكينا؟، فقال: لا أجد إلا أن يعينني رسول الله ﷺ بمعونة وصلاة، يريد الدعاء، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعا، وقيل: بثلاثين صاعا ودعا له فكفر بالإطعام وأمسك زوجته.

﴿ٱلَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ قرئ[1] يظاهرون بألف بعد الظاء وبحذفها وبالتشديد والتخفيف والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار، والظهار المجمع عليه: هو أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي، ويجري مجرى ذلك عند مالك: تشبيه الزوجة بكل امرأة محرمة على التأبيد كالبنت والأخت وسائر المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع، والمصاهرة. سواء ذكر لفظ الظهر أو لم يذكره كقوله: أنت علي كأمي أو كبطن أمي أو يدها أو رجلها، خلافا للشافعي فإن ذلك كله عنده ليس بظهار لأنه وقف عند لفظ الآية، وقاس مالك عليها؛ لأنه رأى أن المقصد تشبيه حلال بحرام. ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ رد الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة، وأخبر تعالى أن تصيير الزوجة أما باطل، فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور، فالمنكر: هو الذي لا تعرف له حقيقة، والزور: هو الكذب، وإنما جعله كذبا؛ لأن المظاهر يصير امرأته كأمه، وهي لا تصير كذلك أبدا، والظهار محرم، ويدل على تحريمه أربعة أشياء:

أحدها: قوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ فإن ذلك تكذيب للمظاهر.

---

(١) ﴿يظاهرون﴾ قرأ عاصم بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما في الموضعين، وقرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها وتخفيف الهاء وفتحها، وقرأ الباقون كذلك إلا أنه بتشديد الهاء من غير ألف قبلها. النشر: ٤٢٥/٢.

والثاني: أنه سماه منكرا.

والثالث: أنه سماه زورا.

والرابع: قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب، وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة.

﴿وَٱلَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ اختلف الناس في معنى قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ على ستة أقوال:

الأول: أنه إيقاع الظهار في الإسلام، فالمعنى: أنهم كانوا يظاهرون في الجاهلية فإذا فعلوه في الإسلام فذلك عود إليه، هذا قول ابن قتيبة فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار، بخلاف أقوال غيره فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعود معا.

الثاني: أن العود: هو وطء الزوجة، روي ذلك عن مالك فلا تجب الكفارة على هذا حتى يطأ، فإذا وطئ وجبت عليه الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت.

الثالث: أن العود هو العزم على الوطء، وروي هذا أيضا عن مالك فإذا عزم على الوطء وجبت الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت.

الرابع: أن العود هو العزم على الوطء وعلى إمساك الزوجة، وهذا أصح الروايات عن مالك.

الخامس: أنه العزم على الإمساك خاصة وهذا مذهب الشافعي فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار وجبت الكفارة.

السادس: أنه تكرار الظهار مرة أخرى وهذا مذهب الظاهرية، وهو ضعيف؛ لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكما في أول مرة وإنما يوجبه في الثانية، وإنما نزلت

الآية فيمن ظاهر لأول مرة فذلك يرد عليهم، ويختلف معنى ﴿لِمَا قَالُواْ﴾ باختلاف هذه الأقوال، فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية، فما مصدرية، والمعنى: يعودون لقولهم، وأما على سائر الأقوال: فما بمعنى الذي، والمعنى: يعودون للوطء الذي حرموه، أو للعزم عليه، أو للإمساك الذي تركوه، أو للعزم عليه.

﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ جعل الله الكفارة في الظهار على ثلاثة أنواع: مرتبة لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول، ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني، فالأول: تحرير رقبة، والثاني: صيام شهرين متتابعين، والثالث: إطعام ستين مسكينا. فأما الرقبة: فاشترط مالك أن تكون مؤمنة؛ لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد، وجاءت هنا مطلقة وجاءت في كفارة القتل مقيدة بالإيمان.

وأما صيام الشهرين: فاشترط فيه التتابع، فإن أفسد الصائم التتابع باختياره: ابتدأه من أوله باتفاق، وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك: يبنى على ما كان فيه، وقال أبو حنيفة: يبتدئ، وروي القولان عن الشافعي.

وأما الإطعام: فمشهور مذهب مالك أنه مد لكل مسكين بمد هشام(١) واختلف في مد هشام، فقيل: إنه مدان غير ثلث بمد النبي ﷺ، وقيل: إنه مد وثلث، وقيل: إنه مدان، وقال الشافعي وابن القصار: يطعم مدا بمد النبي ﷺ لكل مسكين، ولا يجزئه إلا كمال عدد الستين، فإن أطعم مسكينا واحدا ستين يوما لم يجزه عند مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة، وكذلك إن أطعم ثلاثين مرتين، والطعام يكون من غالب قوت البلد.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ مذهب مالك والجمهور أن المسيس هنا يراد به الوطء

---

(١) هو هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، المخزومي، والي المدينة ومن أعيانها، ولاه عبد الملك بن مروان على المدينة، ت: بعد: ٨٧هـ وهشام هذا هو الذي ينسب إليه (مد هشام) عند الفقهاء وربما قالوا: المد الشامي يريدون الهشامي. انظر الأعلام للزركلي: ٨/٨٤، وأزهار الرياض: ٣/٦٩، والكامل لابن الأثير: ٤/١٨٣..

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ
ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ
وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ
النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ
وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ
وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩)
إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ
شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا
يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)

وما دونه من اللمس والتقبيل، فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئا من ذلك حتى يكفر، وقال الحسن[١] والثوري: أراد الوطء خاصة؛ فأباحا ما دونه قبل الكفارة.

وذكر الله، قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ في التحريم والصوم ولم يذكره في الإطعام، فاختلف العلماء في ذلك، فحمل مالك الإطعام على ما قبله، ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس، وجعل ذلك من المطلق الذي يحمل على المقيد، وقال أبو حنيفة: يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة لأن الله لم ينص في الإطعام أنه قبل المسيس.

﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عطية: الإشارة إلى الرخصة في النقل من التحرير إلى الصوم، وقال الزمخشري المعنى: ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا، وهذا أظهر لأنه أعم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ أي يخالفون ويعادون. ﴿كُبِتُوا﴾ أي هلكوا، وقيل: لعنوا، وقيل: كبت الرجل إذا بقي خزيان ونزلت الآية في المنافقين واليهود.

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ يحتمل أن يكون النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي، فيكون ثلاثة مضافا إليه، أو بمعنى الجماعة من الناس، فيكون ثلاثة بدلا، والأول أحسن. ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني بعلمه وإحاطته، وكذلك سادسهم ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٨/٤٠.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾ نزل في قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون على المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك فعادوا، وقيل: نزلت في المنافقين والأول أرجح لقوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾؛ لأن هذا من فعل اليهود، والأحسن أن المراد اليهود والمنافقين معا، لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ فنزلت الآية في الطائفتين.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ[1] فيقولون: السام عليك يا محمد، بدلا من السلام عليكم، والسام الموت، وهو ما أرادوه بقولهم، وكان رسول الله ﷺ يقول لهم: وعليكم، فسمعتهم عائشة يوما فقالت: بل عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: مهلا يا عائشة إن الله يكره الفحش والتفحش، فقالت: أما سمعت ما قالوا؟ قال: أما سمعت ما قلت لهم؟ إني قلت: وعليكم، ويريد بقوله: ما لم يحيك به الله، قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾. ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون: لو كان نبيئا لعذبنا الله بإذايته فقال الله ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي يكفيهم ذلك عذابا.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قيل: يعني النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وحذف وصفها بذلك لدلالة الأول عليه، وقيل: أراد نجوى اليهود والمنافقين، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾ اختلف في سبب نزول الآية، فقيل: نزلت في مقاعد الحرب والقتال، وقيل: نزلت بسبب ازدحام الناس في مجلس رسول الله ﷺ وحرصهم على القرب منه، وقيل: أقام النبي ﷺ قوما ليجلس أشياخا من أهل بدر في مواضعهم فنزلت الآية، ثم اختلفوا

(١) البخاري الحديث رقم: (٢٧٧٧)، ومسلم الحديث رقم: (٥٧٨٤)، وقد سبق تخريجه.

هل هي مقصورة على مجلس النبي ﷺ أو هي عامة في جميع المجالس؟ فقال قوم: إنها مخصوصة ويدل على ذلك قراءة المجلس[(١)] بالإفراد وذهب الجمهور إلى أنها عامة ويدل على ذلك قراءة المجالس بالجمع وهذا هو الأصح، ويكون المجلس بالإفراد على هذا للجنس والتفسيح المأمور به هو التوسع دون القيام، ولذلك قال رسول الله ﷺ[(٢)]: «لا يقم أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا» وقد اختلف في هذا النهي عن القيام من المجلس لأحد هل هو على التحريم أو الكراهة. ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي يوسع لكم في جنته ورحمته. ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ أي إذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك واختلف في هذا النشوز المأمور به، فقيل: إذا دعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة، وقيل: إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله ﷺ؛ لأنه كان يحب الانفراد أحيانا، وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام، وقيل: المراد القيام في المجلس للتوسع. ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ فيها قولان: أحدهما: يرفع الله المؤمنين العلماء درجات، فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ صفة للذين آمنوا كقوله: جاءني العاقل الكريم، وأنت تريد رجلا واحدا.

والثاني: يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعا درجات، فالدرجات على الأول للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء، وعلى الثاني للمؤمنين الذين ليسوا علماء وللعلماء أيضا، ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يوجد في موضع آخر، كقوله ﷺ[(٣)]: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على

---

(١) ﴿المجلس﴾ قرأ عاصم ﴿المجالس﴾ بألف على الجمع، وقرأ الباقون بغير ألف على التوحيد. النشر: ٢/٤٢٥.

(٢) متفق عليه بلفظ: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه» زاد مسلم «وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا» البخاري الحديث رقم: (٥٩١٤)، وفي رواية لمسلم: «لاَ يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ثُمَّ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِهِ» مسلم الحديث رقم: (٥٨١٥).

(٣) رواه أبو داود الحديث رقم: (٣٦٤٣) بزيادة: «وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ=

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ
صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ
تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا ربع
قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى
الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ
فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ
جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ
ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ
﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

سائر الكواكب» وقوله عليه الصلاة والسلام[1]: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا» وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ[2]: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين.

﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ قال ابن عباس: سببها أن قوما من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غير حاجة لتظهر منزلتهم وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمحا لا يرد أحدا فنزلت الآية مشددة في أمر المناجاة، وقيل: سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذه الآية منسوخة باتفاق نسخها قوله بعدها.

﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الآية فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة بعد أن كان أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا؟ فقال قوم: لم يعمل بها

= يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ». قال الشيخ الألباني صحيح.

(١) رواه الترمذي إلا كلمة «رجلا» الحديث رقم: (٢٦٨٥)، وقال: ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) كنز العمال: ٤٠١/١٤.

أحد[١]، وقال قوم: عمل بها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، روي أنه كان له دينار فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات، تصدق في كل مرة منها بدرهم، وقيل: تصدق في كل مرة بدينار ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادرا على الصدقة، وأما من لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ التوبة هنا يراد بها عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمروا بها أو تخفيفها بعد وجوبها. ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي دوموا على هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم دون ما كنتم قد كلفتم من الصدقة عند المناجاة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ نزلت في قوم من المنافقين تولوا قوما من اليهود وهم الذين غضب الله عليهم. ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ﴾ يعني أن المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود فهو كقوله فيهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لاَ إِلَىٰ هَٰؤُلاَءِ وَلاَ إِلَىٰ هَٰؤُلاَءِ﴾ ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا، وقد صدر ذلك منهم مرارا كثيرة هي مذكورة في السير وغيرها.

﴿ٱتَّخَذُواْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أصل الجنة ما يستتر به ويتقى به المحذور كالترس ثم استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام لتعصم دماؤهم وأموالهم وقرئ[٢]

---

(١) هذا هو الأصح لما روى الحاكم (٥٢٤/٢) قال: أخبرني عبد الله بن محمد الصيدلاني ثنا محمد بن أيوب أنبأ يحيى بن المغيرة السعدي ثنا جرير منصور عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد، ولا يعمل بها بعدي أحد: آية النجوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ قال: كان عندي دينار نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) قال ابن عطية وقرئ: «إيمانهم» بالكسر أي: اتخذوا أيمانهم التي حلفوا بها أو إيمانهم الذي أظهروه ﴿جُنَّةً﴾ أي سترة يتسترون بها من المؤمنين، ومن قتلهم. المحرر الوجيز: ٤٩٥/٥.

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)

سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣)

«اتخذوا إيمانهم» بكسر الهمزة.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي غلب عليهم وتملك نفوسهم.

﴿فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي في جملة الأذلين أي معهم. ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي قضى وقدر.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية معناها لا تجد مؤمنا يحب كافرا ولو كان أقرب الناس إليه، وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان، ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفارا[١]، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أحد، وقتل مصعب بن عمير أخاه عزيز بن عمير يوم أحد، ودعا أبو بكر الصديق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقعد، وقيل: إن الآية نزلت في حاطب[٢] حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأحسن أنها على العموم، وقيل نزلت فيمن يصحب السلطان وذلك بعيد ﴿يُوَادُّونَ﴾ هذه مفاعلة من المودة فتقتضي أن المودة من الجهتين. ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ أي عاداه وخالفه. ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي أثبته فيها كأنه مكتوب. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي بلطف وهدى وتوفيق، وقيل: بالقرآن، وقيل: بجبريل. ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ هذه في مقابلة قوله: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ والحزب هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٧/٣٠٧، وزاد المسير لابن الجوزي: ٨/١٩٨، واللباب: ١٨/٥٥٩، والكشاف: ٤/٤٩٧.

(٢) تقدم تخريجه.

سورة الحشر

نزلت هذه السورة في يهود بني النضير[١] وكانوا في حصون بمقربة من المدينة وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فأرادوا غدره فأطلعه الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني بني النضير. ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ في معناه أربعة أقوال:

أحدها: أنه حشر القيامة أي خروجهم من حصونهم أول الحشر والقيام من القبور آخره، وروي[٢]: في هذا المعنى أن رسول الله ﷺ قال لهم: «امضوا هذا أول الحشر وأنا على الأثر».

الثاني: أن المعنى لأول موضع الحشر وهو الشام وذلك أن أكثر بني النضير خرجوا إلى الشام وقد جاء في الأثر أن حشر القيامة إلى أرض الشام، وروي في هذا المعنى أن النبي ﷺ قال لبني النضير: اخرجوا، قالوا إلى أين؟ قال إلى أرض المحشر.

الثالث: أن المراد الحشر في الدنيا الذي هو الجلاء والإخراج فإخراجهم من حصونهم أول الحشر وإخراج أهل خيبر آخره.

الرابع: أن معناه أخراجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم النبي ﷺ، وقال الزمخشري: اللام في قوله: لأول بمعنى عند، كقولك: جئت لوقت كذا.

(١) الكشف والبيان للثعلبي النيسابوري: ٩/٢٦٦، وكذلك هو في كتب التفسير.

(٢) ابن كثير في تفسيره: ٨/٥٩، والدر المنثور: ٨/٨٩.

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ﴾ يعني لكثرة عدتهم ومنعة حصونهم. ﴿فَأَتَـٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ عبارة عن أخذ الله لهم. ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أما إخراب المؤمنين فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها، وأسند ذلك إلى الكفار في قوله يخربون لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم، وأما إخراب الكفار لبيوتهم فلثلاثة مقاصد:

أحدها: حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة ويحصنوا ما خربه المسلمون من الأسوار.

والثاني: ليحملوا معهم ما أعجبهم من الخشب والسواري وغير ذلك.

الثالث: أن لا تبقى مساكنهم مبنية للمسلمين فهدموها شحا عليها.

﴿فَاعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ استدل الذين أثبتوا القياس في الفقه بهذه الآية، واستدلالهم بها ضعيف خارج عن معناها.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ الجلاء هو الخروج عن الوطن، فالمعنى: لولا أن كتب الله على بني النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسيف، كما فعل بإخوانهم بني قريظة ولهم مع ذلك عذاب النار. ﴿شَآقُّواْ﴾ ذكر في الأنفال.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ اللينة هي النخلة، وقيل: هي الكريمة من النخل، وقيل: النخلة التي ليست بعجوة، وقيل: ألوان النخل المختلط، وسبب الآية أن رسول الله ﷺ لما نزل على حصون بني النضير قطع المسلمون بعض نخلهم وأحرقوه، فقال بنو النضير: ما هذا الإفساد يا محمد؟ وأنت تنهى عن الفساد، فنزلت الآية[1] معلمة أن كل ما جرى من قطع أو إمساك فإن الله أذن للمسلمين في ذلك ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ يعني بني النضير، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية

---

(١) البحر المحيط: ٨/٢٤٣، والمحرر الوجيز: ٥/٢٥٩، وتفسير الثعلبي: ٤/٢٨٢.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ
(٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا
فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٥) وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَّآ
أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى
ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٧)
لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٩)

على أن كل مجتهد مصيب، فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها، واختلف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم، فأجازه الجمهور لهذه الآية، ولإقرار رسول الله ﷺ على تحريق نخل بني النضير، وكرهه قوم لوصية أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، الجيش الذي وجهه إلى الشام: أن لا يقطعوا شجرا مثمرا.

﴿وَمَا أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ معنى أفاء الله جعله فيئا لرسول الله ﷺ، و﴿أَوْجَفْتُمْ﴾ من الوجيف وهو سرعة السير، والركاب: هي الإبل، والمعنى: أن ما أعطى الله رسوله من أموال بني النضير لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل، ولا تعبوا فيه ولا حصلوه بقتال، ولكن حصل بتسليط رسوله ﷺ على بني النضير، فأعلم الله من هذه الآية أن ما أخذه من بني النضير وما أخذه من فدك فهو فيء خاص بالنبي ﷺ يفعل فيه ما يشاء؛ لأنه لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال فهي بخلاف الغنيمة التي تؤخذ بالقتال، فأخذ رسول الله ﷺ لنفسه من أموال بني النضير قوت عياله وقسم سائرها في المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئا، غير أن أبا دجانة وسهل بن حنيف شكوا فاقة، فأعطاهما رسول الله ﷺ منها سهما، هذا قول جماعة، وقال عمر بن الخطاب[٢]:

(١) الكشف والبيان: ٢/٨٧، وتاريخ دمشق: ٢/٧٥.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٢٥٩.

«كان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقه سنة، وما بقي جعله في السلاح والكراع عدة في سبيل الله» وقال قوم من العلماء: وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجف عليه، فهو لهم خاصة، يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه في مصالح المسلمين.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية، اضطرب الناس في تفسير هذه الآية وحكمها اضطرابا عظيما، فإن ظاهرها أن الأموال التي تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول، ومن ذكر بعد ذلك، ولا يخرج منها خمس، ولا تقسم على من حضر الوقيعة، وذلك يعارض ما ورد في الأنفال من إخراج الخمس، وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الوقيعة، فقال بعضهم: إن هذه الآية منسوخة بآية الأنفال، وهذا خطأ؛ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة، وقال بعضهم: إن آية الأنفال في الأموال التي تغنم ما عدا الأرض، وأن هذه الآية في أرض الكفار، قالوا ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه(١) أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين، وهذا التخصيص لا دليل عليه، وقيل: غير ذلك، والصحيح أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال، فإن آية الأنفال في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم باقيه على الغانمين، وأما هذه الآية ففي حكم الفيء وهو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال، ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك فكل واحدة من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى، ولها حكم غير حكم الأخرى، فلا تعارض بينهما ولا

---

(١) قال عمر بن علي الدمشقي: فصل قال القرطبي: دلت هذه الآية على أن الصحيح من أقوال العلماء قسمة المنقول وإبقاء العقار والأرض بين المسلمين أجمعين كما فعل عمر رضي الله عنه إلا أن يجتهد الوالي فينفذ أمراً فيمضي عمله فيه لاختلاف الناس فيه، وإن هذه الآية قاضية بذلك، لأن الله ـ تعالى ـ أخبر عن الفيء وجعله لثلاث طوائف: المهاجرين والأنصار ـ وهم معلومون ـ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ فهي عامة في جميع التابعين والآتين من بعدهم إلى يوم الدين. اللباب: ١٨/٥٩٧.

نسخ، وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفيء وفي الأنفال لفظ الغنيمة وقد تقرر في الفقه الفرق بين الفيء والغنيمة وأن حكمهما مختلف قاله أبو محمد بن الفرس وهو قول الجمهور، وبه قال مالك وجميع أصحابه، وهو أظهر الأقوال. وأما فعل عمر في أرض مصر والعراق فالصحيح أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين بقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بني النضير ولكنه حذف هذا لقوله في الآية قبل هذا ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ فاستغني بذكر ذلك أولا عن ذكره ثانيا، ولذلك لم تدخل الواو العاطفة في هذه الجملة؛ لأنها من تمام الأولى فهي غير أجنبية منها، فإنه بين في الآية الأولى حكم أموال بني النضير، وبين في هذه الآية حكم ما كان مثلها من أموال غيرهم على العموم، ويصرف الفيء فيما يصرف فيه خمس الغنائم لأن الله سوى بينهما في قوله: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وقد ذكرنا ذلك في الأنفال، فأغنى عن إعادته، وقد ذكرنا في الأنفال معنى قوله: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ وما بعد ذلك.

﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ أي كيلا يكون الفيء الذي أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء ولم يعط الأنصار منها شيئا، فإنهم كانوا أغنياء، فقال بعض الأنصار: لنا سهمنا من هذا الفيء فأنزل الله هذه الآية، والدولة بالضم والفتح ما يدول الإنسان أي يدور عليه من الخير، ويحتمل أن يكون من المداولة أي كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ويبقى الفقراء بلا شيء. ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ نزلت بسبب الفيء المذكور أي ما أتاكم الرسول من الفيء فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا فكأنها أمر للمهاجرين بأخذ الفيء، ونهي للأنصار عنه، ولفظ الآية مع ذلك عام في أوامر رسول الله ﷺ أو نواهيه ولذلك استدل بها

عبد الله بن مسعود(١) على المنع من لبس المحرم المخيط، ولعن الواشمة والواصلة في القرآن، لورود ذلك عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ هذا بدل من قوله لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ليبين بذلك أن المراد المهاجرين ووصفهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها أموالهم وديارهم.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ هم الأنصار، والدار هي المدينة؛ لأنها كانت بلدهم والضمير في قبلهم للمهاجرين، **فإن قيل**: كيف قال تبوؤا الدار والإيمان، وإنما تتبوأ الدار أي تسكن ولا يتبوأ الإيمان؟ فالجواب من وجهين:

الأول: أن معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان فهو كقولك:

فعلفتها تبنا وماء باردا، تقديره: علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا.

الثاني: أن المعنى أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطن لهم لتمكنهم فيه كما جعلوا المدينة كذلك، **فإن قيل**: قوله من قبلهم يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه لأنها كانت بلدهم وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل لأن أكثر المهاجرين أسلم قبل الأنصار، **فالجواب**: من وجهين:

أحدهما: أنه أراد بقوله من قبلهم من قبل هجرتهم.

والآخر: أنه أراد تبوؤا الدار مع الإيمان معا أي جمعوا بين الحالتين قبل

---

(١) روي أن ابن مسعود كان يقول: «ما لي لا ألعن من لعنه الله في كتابه» يعني: الواشمة والمستوشمة، والواصلة والمستوصلة، وروي أن امرأة قرأت جميع القرآن ثم أتته فقالت: يا ابن أم عبد، تلوت البارحة ما بين الدفتين، فلم أجد فيه لعن الواشمة، والمستوشمة، فقال: لو تلوتيه لوجدتيه، قال تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، وإن مما أتانا به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن قال: «لعن الله الواشمة والمستوشمة» اللباب: ١٢٦/٨.

المهاجرين لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبوئ الدار، فيكون الإيمان على هذا مفعولا معه، وهذا الوجه أحسن لأنه جواب عن هذا السؤال وعن السؤال الأول، فإنه إذا كان الإيمان مفعولا معه لم يلزم السؤال الأول، إذ لا يلزم إلا إذا كان الإيمان معطوفا على الدار. ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ قيل: إن الحاجة هنا بمعنى الحسد، ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتجاج على أصلها، والضمير في يجدون للأنصار، وفي أوتوا للمهاجرين، والمعنى: أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفيء وغيره، ولا يجدون في صدورهم شيئا بسبب ذلك. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الاحتياج، والخصاصة هي الفاقة، وروي أن سبب هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذه فقالوا بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة وروي: أيضا أن سببها[1] أن رجلا من الأنصار أضاف رجلا من المهاجرين فذهب الأنصاري بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته: والله ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقال لها: نومي صبيانك وأطفئي السراج، وقدمي ما عندك للضيف ونوهمه نحن أنا نأكل ولا نأكل، ففعلا ذلك، فلما غدا على رسول الله ﷺ فقال له: عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الآية. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ

(١) في البخاري: حدثني يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال رسول الله ﷺ: الا رجل يضيفه هذه الليلة؟. فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: (لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة). فأنزل الله عز وجل: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ الحديث رقم: (٤٦٠٧).

وَالَّذِينَ جَآءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ
ربع ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا
يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ
أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن
قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ
أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن
نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً
فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾
لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ
جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ
شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ شح النفس هو البخل والطمع وفي هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم وبأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتي المهاجرون، وأنهم يحبون المهاجرين.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هذا معطوف على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل، فالمعنى: أن الفيء للمهاجرين والأنصار، ولهؤلاء الذين جاءوا من بعدهم ويعنى بهم الفرقة الثالثة من الصحابة، وهم من عدا المهاجرين والأنصار كالذين أسلموا يوم فتح مكة، وقيل: يعني من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة، وعلى هذا حملها مالك، فقال: إن من قال في أحد من الصحابة قول سوء فلاحظ له في الغنيمة والفيء؛ لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَانِ﴾ فمن قال ضد ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ الآية نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول وقوم من المنافقين بعثوا إلى بني النضير وقالوا لهم: اثبتوا في حصونكم فإنا معكم كيف ما تقلبت حالكم. ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي لا نسمع فيكم قول قائل ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم ثم كذبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها فإن قيل: كيف قال ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَارَ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؟ فالجواب:

أن المعنى على الفرض والتقدير: أي لو فرضنا أن ينصروهم لولوا الأدبار.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ الرهبة هي الخوف، والمعنى أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ أي لا يقدرون على قتالكم مجتمعين إلا وهم في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم. ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يعني عداوة بعضهم لبعض. ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة، وقلوبهم متفرقة بالمخالفة والشحناء.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً﴾ أي هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع فإن رسول الله ﷺ أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير فكانوا أمثالهم، وقيل: يعني أهل بدر الكفار فإنهم قبلهم ومثل لهم في أن غلبوا وقهروا والأول أرجح لأن قوله: ﴿قَرِيباً﴾ يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة وذلك أوقع على بني قينقاع، وأيضا فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أليق؛ لأنهم يهود مثلهم، وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم وذلك هو المراد بقوله: ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ وقريبا ظرف زمان.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ مثل الله المنافقين الذين أغووا يهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان فإنه يغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه. والمراد بالشيطان والإنسان هنا: الجنس، وقيل: أراد الشيطان الذي أغوى قريشا يوم بدر وقال لهم: إني جار لكم، وقيل المراد بالإنسان برصيص العابد فإنه استودع امرأة فزين له الشيطان الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزين له الشيطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبين ما فعل فتعرض له الشيطان قال له: اسجد لي أنجيك فسجد له فتركه الشيطان، وقال له: إني بريء منك وهذا ضعيف في النقل، والأول أرجح.

فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا
الظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا
قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ النَّارِ
وَأَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا
هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا
مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَٰدَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَٰمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ
اللَّهُ الْخَٰلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ
مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ المُمْتَحَنَة

ترتيبها — آياتها ١٣

﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ الضميران يعودان على الشيطان والإنسان وفي ذلك تمثيل للمنافقين واليهود.

﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ هذا أمر بأن تنظر كل نفس ما قدمت من أعمالها ليوم القيامة ومعنى ذلك محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات وإنما عبر عن يوم القيامة بغد تقريبا له لأن كل ما هو آت قريب فإن قيل لم كرر الأمر بالتقوى فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه تأكيد.

والآخر: وهو الأحسن أنه أمر أولا بالتقوى استعدادا ليوم القيامة، ثم أمر به ثانيا؛ لأن الله خبير بما يعملون، فلما اختلف الموجبات كرره مع كل واحد منهما.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ يعني الكفار والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الغفلة، أي نسوا حق الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ الآية توبيخ لابن آدم على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن، فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن، فما ظنك بابن آدم؟.

﴿عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ﴾ أي يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه، وقيل: الغيب الآخرة، والشهادة الدنيا، والعموم أحسن.

﴿الْقُدُّوسُ﴾ مشتق من التقدس وهو التنزه عن صفات المخلوقين، وعن كل نقص وعيب، وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح. ﴿السَّلَامُ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: الذي سلم عباده من الجور.

والآخر: السليم من النقائص وأصله مصدر بمعنى السلامة وصف به مبالغة، أو على حذف مضاف تقديره: ذو السلام.

﴿الْمُؤْمِنُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه من الأمن أي الذي أمن عباده.

والآخر: أنه من الإيمان أي المصدق لعباده في إيمانهم أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة، أو المصدق نفسه في أقواله.

﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: الرقيب، والشاهد، والأمين، قال الزمخشري: أصله مؤيمن بالهمزة ثم أبدلت هاء. ﴿الْجَبَّارُ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه من الإجبار بمعنى القهر.

والآخر: أنه من الجبر أي يجبر عباده برحمته، والأول أظهر.

﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ أي الذي له التكبر حقا.

﴿الْبَارِئُ﴾ أي الخالق، يقال: أبرأ الله الخلق أي خلقهم ولكن البارئ والفاطر يراد بهما الذي برأ الخلق واخترعه. ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي خالق الصور. ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة**»[1]، قال المؤلف: قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن الكماد فلما بلغت إلى آخر سورة الحشر قال لي: ضع يدك على رأسك

(١) أخرجه البخاري الحديث رقم: (٢٥٨٥)، ومسلم الحديث رقم: (٦٩٨٦)، وغيرهما.

فقلت له: ولم ذلك؟ قال: لأني قرأت على القاضي أبي علي بن أبي الأحوص، فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر، قال لي: ضع يدك على رأسك، وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود[١]، قال: قرأت على النبي ﷺ، فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر، قال لي: ضع يدك على رأسك، قلت: ولم ذاك يا رسول الله فداك أبي وأمي، قال: أقرأني جبريل القرآن، فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر، قال لي: ضع يدك على رأسك يا محمد، قلت: ولم ذاك؟ قال: إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها، فقالت يا ربنا ولم ذاك؟ قال: إنه شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت[٢].

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) حديث ابن مسعود أخرجه الخطيب البغدادي كما في الدر المنثور: ٨/١٢١ قال أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي: وأسند ابن جزي حديثًا إلى عبد الله بن مسعود... قال: وسمعتُ من شيخنا الفقيه الجنوي أنه حديث ضعيف، يعمل به الإنسان وحده، فإذا كان مع الناس تركه، لئلا تعتقد العامة أنه مندوب أو واجب. هـ البحر المديد: ٨/٢٩.

(٢) وفي مسند الإمام أحمد مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ الثَّلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَكَّلَ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ إِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ. الحديث رقم: (٢٠٣٠٦)، وهو حديث ضعيف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
• يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ
الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي
سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن
يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ
وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا
لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ
وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ
إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ
رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

سورة الممتحنة

﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ العدو يطلق على الواحد والجماعة والمراد به هنا كفار قريش، وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة[1] وذلك أن رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية فورى عن ذلك بخيبر فشاع في الناس أنه خارج إلى خيبر، وأخبر هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة، منهم حاطب، فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ من السماء، فبعث علي بن أبي طالب والزبير والمقداد، وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب، من حاطب إلى المشركين، فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، ففتشوا جميع رحلها، فما وجدوا شيئا، فقال بعضهم: ما معها كتاب، فقال علي بن أبي طالب: ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذب الله، والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، قالت: أعرضوا عني، فأخرجته من قرون رأسها، وقيل: أخرجته من حجزتها فجاؤوا به رسول الله ﷺ، فقال لحاطب: من كتب هذا؟ قال: أنا يا رسول الله، ولكن لا تعجل علي فوالله ما فعلت ذلك ارتدادا عن ديني ولا رغبة في الكفر، ولكني كنت امرءا ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها، فأحببت أن تكون لي عندهم يد يرعونني بها

(١) البخاري الحديث رقم: (٤٠٢٥)، ومسلم الحديث رقم: (٦٥٥٧)، وتقدمت قصة حاطب.

في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: صدق حاطب، إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، لا تقولوا لحاطب إلا خيرا، فنزلت الآية عتابا لحاطب، وزجرا عن أن يفعل أحد مثل فعله، وفيها مع ذلك تشريف له؛ لأن الله شهد له بالإيمان في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ عبارة عن إيصال المودة إليهم، وألقى يتعدى بحرف جر وبغير حرف جر كقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ وهذه الجملة في موضع الحال من الضمير في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ أو في موضع الصفة لأولياء أو استئناف. ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ﴾ حال من الضمير في لا تتخذوا أو في تلقون. ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي يخرجون الرسول ويخرجونكم، يعني إخراجهم من مكة فإنهم ضيقوا عليهم وآذوهم حتى خرجوا منها مهاجرين إلى المدينة ومنهم من خرج إلى أرض الحبشة. ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ مفعول من أجله أي يخرجونكم من أجل إيمانكم. ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾ جواب هذا الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، وهو لا تتخذوا والتقدير: إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي، فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وجهادا مصدر في موضع الحال، أو مفعول من أجله وكذلك ابتغاء.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ معناه إن يظفروا بكم. ﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي تمنوا أن تكفروا فتكونون مثلهم قال الزمخشري: وإنما قال: ودوا بلفظ الماضي، بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع؛ لأنهم أرادوا كفركم قبل كل شيء.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَـٰدُكُمْ﴾ إشارة إلى ما قصد حاطب من رعي قرابته. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم، أو من الفصل بمعنى التفريق، أي يفرق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة،

وقيل: إن العامل في يوم القيامة ما قبله، وذلك بعيد.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الإسوة هو الذي يقتدى به فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبالذين معه في عداوة الكفار والتبري منهم، ومعنى ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من آمن به من الناس، وقيل: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريبا من عصره، ورجح ابن عطية هذا القول بما ورد في الحديث: أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لزوجته: «ما على الأرض مؤمن بالله غيري وغيرك»[1]. ﴿بُرَءَآؤُا﴾ جمع بريء. ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي كذبناكم في أقوالكم ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض والمقاطعة لهم ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هذا استثناء من قوله: ﴿إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فالمعنى: اقتدوا بهم في عداوتهم للكفار، ولا تقتدوا بهم في هذا؛ لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وقيل: الاستثناء من التبري والقطيعة، والمعنى: تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار، إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له. ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ هذا من كلام سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ والذين معه، وهو متصل بما قبل الاستثناء، فهو من جملة ما أمروا أن يقتدوا به.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في معناه قولان:

أحدهما: لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالهم لأنهم يقولون غلبناهم فيكون ذلك لهم لأنا على الحق وهم على الباطل.

والآخر: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، ورجح ابن عطية هذا لأنه دعاء لأنفسهم، وأما على القول الأول فهو دعاء للكفار، ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار، وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر بحيث لا يفتتن الكفار بذلك.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ لما أمر الله

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٢١٠٤)، ومسلم الحديث رقم: (٦٢٩٤)، وغيرهما.

المسلمين بعداوة الكفار ومقاطعتهم فامتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة، فعلم الله صدقهم فآنسهم بهذه الآية، ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة، وهذه المودة كملت في فتح مكة، فإنه أسلم حينئذ سائر قريش، وقيل: المودة تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب سيد قريش، ورد ابن عطية هذا القول؛ بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى اللَّهُ أَن
يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ
يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن
يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ
الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ
مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ
وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا
أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ
ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

ربع

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ رخص الله للمسلمين في مبرة من لم يقاتلهم من الكفار، واختلف فيهم على أربعة أقوال:

الأول: أنهم قبائل من العرب، منهم خزاعة، وبنو الحارث بن كعب، كانوا قد صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه.

الثاني: أنهم كانوا من كفار قريش لم يقاتلوا المسلمين، ولا أخرجوهم من مكة، والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال.

الثالث: أنهم النساء والصبيان، وفي هذا ورد أن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت يا رسول الله! إن أمي قدمت عليَّ وهي مشركة أفأصلها؟ قال: «نعم، صلي أمك»[1].

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٢٤٧٧)، ومسلم الحديث رقم: (٢٣٧٢)، ومسند الإمام أحمد الحديث رقم: (٢٦٩٦٠).

الرابع: أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا، وأما الذين نهى الله عن مودتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم، فهم كفار قريش.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن، وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن تستحلف المرأة أنها ما هاجرت لبغضها في زوجها، ولا لخوف وغير ذلك من أعراض الدنيا، سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة.

والثاني: أن يعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

والثالث: أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا، من ترك الإشراك، والسرقة، وقتل أولادهن، وترك الزنا، والبهتان، والعصيان، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها قالته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١].

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ نزلت هذه الآية أثر صلح الحديبية، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يرد المسلمون إلى الكفار كل من جاء مسلما من الرجال والنساء، فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية، ومنع من رد المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين، وكانت المرأة التي هاجرت حينئذ أميمة[٢]

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٢٧٢.

(٢) قال الماوردي واختلف فيها على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها أميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة، ففرت منه وهو يومئذ كافر، فتزوجها سهل بن حنيف فولدت له عبد الله، قاله يزيد بن أبي حبيب.

الثاني: أنها سعيدة زوج صيفي بن الراهب مشرك من أهل مكة، قاله مقاتل.

الثالث: أنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهذا قول كثير من أهل العلم.

الرابع: أنها سبيعة بنت الحارث الأسلمية جاءت مسلمة بعد فراغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كتاب=

بنت بشر امرأة حسان بن الدحداحة، وقيل: سبيعة الأسلمية، ولما هاجرت جاء زوجها، فقال يا محمد: ردها علينا فإن ذلك في الشرط الذي لنا عليك، فنزلت الآية، فامتحنها رسول الله ﷺ، فلم يردها وأعطى مهرها لزوجها، وقيل: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط، هربت من زوجها إلى المسلمين، واختلف في الرجال هل حكمهم في ذلك كالنساء؟ فلا تجوز المهادنة على رد من أسلم منهم، أو يجوز حتى الآن على قولين، والأظهر الجواز؛ لأنه إنما نسخ ذلك في النساء. ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذا تعليل للمنع من رد المرأة إلى الكفار، وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات. ﴿وَءَاتُوهُم مَّا أَنفَقُوا﴾ يعني أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات، إذا هاجرن ثم أباح للمسلمين تزوجهن بالصداق. ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ العصم جمع عصمة أي النكاح فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر، يعني المشركات من عبدة الأوثان، فالآية على هذا محكمة، وقيل: يعني كل كافرة، فعلى هذا نسخ منها جواز تزوج الكتابيات، لقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وروي: أن الآية نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب كانت كافرة فطلقها. ﴿وَسْئَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ أي اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم اللاتي فررن إلى الكفار وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ معنى فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار هروب نساء المسلمين إلى الكفار، والخطاب في قوله: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ ﴿فَـَٔاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ

= الهدنة في الحديبية، فجاء زوجها واسمه مسافر وهو من قومها في طلبها، فقال يا محمد شرطت لنا رد النساء، وطين الكتاب لم يجف، وهذه امرأتي فارددها عليّ، حكاه الكلبي. النكت والعيون: ٥/٥٢١.

أَزْوَاجُهُم﴾ للمسلمين وقوله: (عاقبتم) ليس من العقاب على الذنب وإنما هو من العقبى أي أصبتم عقبى، وهي الغنيمة أو من التعاقب على الشيء كما يتعاقب الرجلان على الدابة إذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى، فلما كان نساء المسلمين يهربون إلى الكفار ونساء الكفار يهربون إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء، وسبب الآية: أنه لما قال الله: ﴿وَسْـَٔلُواْ مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَا أَنفَقُواْ﴾ قال الكفار: لا نرضى بهذا الحكم ولا نعطي صداق من هربت زوجته إلينا من المسلمين، فأنزل الله هذه الآية الأخرى، وأمر الله المسلمين أن يدفعوا الصداق لمن هربت زوجته إلينا من المسلمين إلى الكفار ويكون هذا المدفوع من مال الغنائم، على قول من قال: إن معنى فعاقبتم غنمتم، وقيل: من مال الفيء، وقيل: من الصدقات التي كانت تدفع للكفار إذا فر أزواجهم إلى المسلمين، فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه، وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآية قد ارتفعت لأنها نزلت في قضايا معينة، وهي مهادنة النبي ﷺ مع مشركي العرب، ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة، فلا تجوز مهادنة المشركين من العرب، إنما هو في حقهم الإسلام أو السيف، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس؛ لأن الله قال في المشركين: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ وقال في أهل الكتاب: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ﴾ وقال النبي ﷺ في المجوس[1]: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب».

﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ الْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ هذه البيعة بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وكان رسول الله ﷺ يبايعهن بالكلام ولا تمس

---

(١) في الموطإ: وحَدَّثَنِي عَنْ مَالِك عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ذَكَرَ الْمَجُوسَ فَقَالَ: مَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ فِي أَمْرِهِمْ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ» الحديث رقم: (٩٦٨)، والمصنف لابن أبي شيبة: ٣/٢٢٤.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيٓءُ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ
بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ
فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ
ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ
﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم
بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ
لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا
أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

يده يد امرأة، ورد هذا في الحديث الصحيح[1] عن عائشة، وروى أنه ﷺ لف على يده ثوبا كثيفا ثم لمس النساء يده كذلك، وقيل إنه غمس يده في إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء فغمسن أيديهن فيه.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ معناه عند الجمهور أن تنسب المرأة إلى زوجها ولدا ليس له، وكانت المرأة تلتقط الولد فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، وإنما قال: ﴿يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها، وفرجها الذي تلده به بين رجليها، واختار ابن عطية أن يكون البهتان هنا على العموم، بأن ينسب للرجل غير ولده، أو تفتري على أحد بالقول، أو تكذب فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك، وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ يراد به اللسان والفم وبين الأرجل يراد به الفرج.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهي، ومن ذلك: النهي عن النياحة، وشق الجيوب، ووصل الشعر، وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه، وورد في الحديث: «أن النساء لما بايعن رسول الله ﷺ هذه المبايعة، فقررهن على أن لا يسرقن، قالت هند بنت عتبة، وهي

---

(١) في الصحيح قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله ﷺ (قد بايعتك)، كلاما يكلمها به، والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة، وما بايعهن إلا بقوله. البخاري الحديث رقم: (٢٥٦٤)، والمسند الحديث رقم: (٢٦٣٦٩).

امرأة أبي سفيان بن حرب: يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل علي إن أخذت من ماله بغير إذنه؟ فقال لها»[١]: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» فلما قررهن على أن لا يزنين قالت هند يا رسول الله: أتزني الحرة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزني الحرة» يعني في غالب الأمر، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء، فلما قال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ قالت: نحن ربيناهم صغارا وقتلتهم أنت ببدر كبارا، فضحك رسول الله ﷺ، فلما وقفهن على أن لا يعصينه في معروف، قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نعصيك، وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم؛ لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا، فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ، أو يكون ترك هذه الشروط لأنها قد تقررت وعلمت من الشرع بالضرورة، فلا حاجة إلى اشتراطها.

﴿لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود، وكان بعض فقراء المسلمين يتودد إليهم ليصيبوا من أموالهم، وقيل: يعني كفار قريش، والأول أظهر لأن الغضب قد صار عرفا لليهود، كقوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ من قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود، فمعنى: يئسوا من الآخرة يئسوا من خير الآخرة والسعادة فيها، ومن قال: إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش، فالمعنى: يئسوا من وجود الآخرة وصحتها؛ لأنهم مكذبون بها تكذيبا جزما، وقوله: ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد كما يئس الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور، فقوله: ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ﴾ يتعلق بيئس وهو على حذف مضاف.

والآخر: أن يكون من أصحاب القبور لبيان الجنس، أي كما يئس الذين في القبور من سعادة الآخرة؛ لأنهم تيقنوا أنهم يعذبون فيها.

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٦٧٥٨)، ومسلم الحديث رقم: (٤٥٧٤).

سورة الحواريين

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سببها ثلاثة أقوال:

أحدها: قول ابن عباس[١] أن جماعة قالوا وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله، ففرض الله الجهاد فكرهه قوم فنزلت الآية.

والآخر: أن قوما من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم في الغزو بما لم يفعلوا، ويقولون فعلنا وصنعنا وذلك كذب فنزلت الآية زجرا لهم.

والثالث: أنها نزلت في المنافقين لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين نحن معكم ومنكم، ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك، وهذا ضعيف لأنه خاطبهم بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم وفيما يظهرون، ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجر من يقول ما لا يفعل.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كان بعض السلف يستحي أن يعظ الناس لأجل هذه الآية، ويقول: أخاف من مقت الله، والمقت هو البغض لريبة أو نحوها، وانتصب مقتا على التمييز، وأن تقولوا فاعل، وقيل: فاعل كبر محذوف، تقديره: كبر فعلكم مقتا، وأن تقولوا بدل من الفاعل المحذوف، أو خبر ابتداء مضمر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ ورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التي قبلها في شأن القتال، وقال بعض الناس: قتال الرجالة أفضل من قتال الفرسان؛ لأن التراص فيه يتمكن أكثر مما يتمكن للفرسان، قاله ابن عطية، وهذا ضعيف خفي على قائله مقصد الآية، وليس المراد نفس التراص وإنما المراد الثبوت والجد في القتال. ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ المرصوص هو الذي يضم

(١) المحرر الوجيز: ٥/٢٧٦.

وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما
بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما
جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴿٦﴾ ومن أظلم ممن افترى على
الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٧﴾
يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون
﴿٨﴾ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون ﴿٩﴾ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على
تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴿١٠﴾ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في
سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون
﴿١١﴾ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴿١٢﴾ وأخرى تحبونها
نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴿١٣﴾ يا أيها الذين آمنوا كونوا
أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله
قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت
طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴿١٤﴾

بعضه إلى بعض، وقيل: هو المعقود بالرصاص، ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ كانوا يؤذونه بسوء الكلام، وبعصيانه وتنقيصه، وانظر في الأحزاب: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾. ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ هذا إقامة حجة عليهم وتوبيخ لهم وتقبيح لإذايته مع علمهم بأنه رسول الله، ولذلك أدخل قد الدالة على التحقيق. ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ هذه عقوبة على الذنب بذنب، وزيغ القلب هو ميله عن الحق.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إنما قال موسى يا قوم، وقال عيسى: يا بني إسرائيل؛ لأنه لم يكن له فيهم أب. ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ معناه مذكور في البقرة في قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾. ﴿بِرَسُولٍ وَمُبَشِّرًا﴾ عن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله: هل بعدنا من أمة؟ قال: نعم، أمة أحمد، حكماء علماء أتقياء أبرار. ﴿ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي، وأنا العاقب فلا نبي بعدي»[1]. وأحمد مشتق من الحمد، ويحتمل أن يكون فعلا سمي به، أو يكون صفة سمي بها

(١) حديث: «لا نبي بعدي» في البخاري الحديث رقم: (٣٤٥٥)، ومسلم الحديث رقم: (٣٤٢٩)، وسنن أبي داود الحديث رقم: (٣٧١٠)، والترمذي الحديث رقم: (٢١٢٩).

كأحمد، ويحتمل أن يكون بمعنى حامد، أو بمعنى محمود كمحمد. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾ يحتمل أن يريد عيسى، أو محمدا عليهما الصلاة والسلام، ويؤيد الأول اتصاله بما قبله ويؤيد الثاني قوله: ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾؛ لأن الداعي إلى الإسلام هو محمد ﷺ.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ﴾ ذكر في براءة.

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية تفسير للتجارة المذكورة، قال الأخفش: هو عطف بيان عليها. ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جزم في جواب تؤمنون لأنه بمعنى الأمر، وقد قرأه ابن مسعود[1] «آمنوا وجاهدوا» على الأمر، وقال الفراء: هو جواب هل أدلكم؛ لأنه يقتضي التحضيض.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ارتفع أخرى على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره: ولكم نعمة أخرى، أو انتصب على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره: ويمنحكم أخرى ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ تفسير لأخرى فهو بدل منها. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الزمخشري: عطف على تؤمنون بالله لأنه في معنى الأمر.

﴿كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ جمع ناصر وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج سماهم الله به، وليس ذلك المراد هنا. ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا التشبيه محمول على المعنى؛ لأن ظاهره كونوا أنصار الله كقول عيسى، والمعنى: كونوا أنصار الله كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى: من أنصاري إلى الله؟ وقد ذكر في آل عمران معنى الحواريين وأنصاري إلى الله. ﴿فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ﴾ قيل: إنهم ظهروا بالحجة، وقيل: إنهم غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد ﷺ.

---

(١) اللباب: ١٩/٦٠، وفتح القدير: ٥/٣١١.

سُورَةُ الجُمُعَةِ

آياتها ١١ — ترتيبها ٦٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا
يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا
التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ
مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ
لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا
يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ
إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

سورة الجمعة

﴿الْقُدُّوسِ﴾ ذكر في الحشر.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني سيدنا محمدا ﷺ، والأميين هم العرب وقد ذكر معنى الأمي في الأعراف.

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطفا على الأميين وأراد بهؤلاء فارس، وسئل رسول الله ﷺ من هؤلاء الآخرون؟ فأخذ بيد سلمان الفارسي، وقال[1]: «لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء» يعني فارس، وقيل: هم الروم ومنهم على هذين القولين يريد به في البشرية وفي الدين لا في النسب، وقيل: هم أهل اليمن، وقيل: التابعون، وقيل: هم سائر المسلمين، والأول أرجح؛ لوروده في الحديث الصحيح[2]. ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند الحديث رقم: (٩٤٥٤) بلفظ: «لو كان العلم بالثريا لتناوله ناس من أبناء فارس» وهو حديث ضعف بعض رجال سنده.

(٢) أما الحديث الصحيح فهو ما في البخاري ومسلم: وغيرهما ـ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ـ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ ـ عَنْ ثَوْرٍ عَنْ أَبِي الْغَيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ فَلَمَّا قَرَأَ ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ـ قَالَ ـ وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ـ قَالَ ـ فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ». البخاري الحديث رقم: (٤٦١٥)، ومسلم الحديث رقم: (٦٦٦٢)، وشرح السنة للبغوي: ٧/١٧٥، والسنن الكبرى للنسائي الحديث رقم: (٨٢٧٨)، والترمذي الحديث رقم: (٣٩٣٣).

• يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

أي لم يلحقوا بهم بالنفي وسيلحقون، وذلك أن ﴿لَمَّا﴾ لذكر الماضي القريب من الحال.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى نبوءة محمد ﷺ، وهداية الناس به.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ يعني اليهود ومعنى حملوا التوراة كلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها. ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يطيعوا أمرها ولم يعملوا بها شبههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار على ظهره ولم يدر ما فيها. ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني اليهود الذين كذبوا سيدنا محمدا ﷺ، وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها؛ لأن التوراة تنطق بنبوءته ﷺ، فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة.

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ ذكر في البقرة.

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ النداء للصلاة هو الأذان لها، ومن في قوله: من يوم الجمعة لبيان إذا وتفسير له، وذكر الله يراد به الخطبة والصلاة، ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل:

الأولى: اختلف في الأذان للجمعة هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات، أو واجب لظاهر الآية؛ لأنه شرط في السعي لها أن يكون عند الأذان، والسعي واجب فالأذان واجب.

الثانية: كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ على جدار المسجد، وقيل: على باب المسجد، وقيل: كان بين يديه ﷺ وهو على المنبر، وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا وبقي بقرطبة زمانا، وهو باق في المشرق إلى الآن، قال أبو محمد بن الفرس: قال مالك في المجموعة[١] إن هشام بن عبد الملك هو الذي أحدث الأذان بين يديه، قال: وهذا دليل على أن الحديث[٢] في ذلك ضعيف.

الثالث: كان الأذان للجمعة واحدا ثم زاد عثمان رضي الله عنه النداء على الزوراء[٣] ليسمع الناس، واختلف الفقهاء: هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة؟.

الرابعة: السعي في الآية بمعنى المشي لا بمعنى الجري وقرأ عمر بن الخطاب[٤]: «فامضوا إلى ذكر الله» وهذا تفسير للسعي فهو بخلاف السعي في قول رسول الله ﷺ[٥]: «إذا نودي للصلاة فلا تأتونها وأنتم تسعون».

---

(١) أورده أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي في شرحه للبخاري: ٥٠٣/٢.

(٢) ما روي أن عمر هو الآمر بالأذان الأول خارج المسجد ليسمع الناس، ثم الأذان بين يديه، ثم قال نحن ابتدعنا ذلك لكثرة المسلمين، قال عنه الملا على القاري: إنه منقطع ولا يثبت. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٨٣/٥.

(٣) عن السائب بن يزيد قال: «كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر أذانين يوم الجمعة حتى كان زمن عثمان فكثر الناس فأمر بالأذان الأول بالزوراء» صحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (١٧٧٤) قال الألباني: إسناده صحيح.

(٤) قال ابن عطية: «وقرأ عمر بن الخطاب وعلي وأبي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وجماعة من التابعين «فامضوا إلى ذكر الله» وقال ابن مسعود: لو قرأت ﴿فاسعوا﴾ لأسرعت حتى يقع ردائي» المحرر الوجيز: ٢٨٣/٥.

(٥) في الصحيح «إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلاَةِ فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلاَةِ فَهُوَ فِى صَلاَةٍ» صحيح مسلم، الحديث رقم: (١٣٩٠)، وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (١٠٦٥)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٢١٤٨)، والترمذي الحديث رقم: (٢١٤٨).

الخامسة: حضور الجمعة واجب لحمل الأمر الذي في الآية على الوجوب باتفاق إلا أنها لا تجب على المرأة ولا على الصبي ولا على المريض باتفاق، ولا على العبد والمسافر عند مالك والجمهور، خلافا للظاهرية وتعلقوا بعموم الآية وحجة الجمهور قول رسول الله ﷺ[1]: «الجمعة واجبة على كل مسلم في جماعة إلا أربعة، عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض» وحجتهم في المسافر أن رسول الله ﷺ كان لا يقيم الجمعة في السفر، واختلف: هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا؟ وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا؟ والمشهور أنها لا تسقط عنه لعموم الآية.

السادسة: اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة؟ فقيل: إذا زالت الشمس، وقيل: إذا أذن المؤذن، وهو ظاهر الآية.

السابعة: اختلف في الموضع الذي يجب منه السعي إلى الجمعة، فقيل: ثلاثة أميال وهو مذهب مالك، وقيل: ستة أميال، وقيل: تجب على من كان داخل المصر، وقيل: على من سمع النداء، وقيل: على من آواه الليل إلى أهله.

الثامنة: اختلف في الوالي هل هو من شرط الجمعة أم لا؟ على قولين والمشهور سقوطه؛ لأن الله لم يشترطه في الآية.

﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ أمر بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون في الأذان، وذلك على الوجوب فيقتضي تحريم البيع، واختلف في البيع الذي يعقد في ذلك الوقت: هل يفسخ أم لا؟ واختلف في بيع من لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبيد هل يجوز في ذلك الوقت أم لا؟ والأظهر جوازه؛ لأنه إنما منع منه من يدعى إلى الجمعة، ويجري النكاح في ذلك الوقت مجرى البيع في المنع.

---

(١) أبو داود الحديث رقم: (١٠٦٩)، والمستدرك الحديث رقم: (١٠٦٢) قال الحافظ ابن حجر: وَقَالَ: لَمْ يَسْمَعْ طَارِقٌ مِنَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ..

﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا الأمر للإباحة باتفاق وحكى الإجماع على ذلك ابن عطية[١] وابن الفرس. ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ قيل: معناه طلب المعاش، فالأمر على هذا للإباحة وروى: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال[٢]: «**الفضل المبتغى عيادة مريض أو صلة صديق أو اتباع جنازة**» وقيل: هو طلب العلم، وإن صح الحديث لم يعدل إلى سواه.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ سبب الآية[٣] أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قائما على المنبر يخطب يوم الجمعة فأقبلت عير من الشام بطعام وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبي، وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورا بها، فلما دخلت العير كذلك انفض أهل المسجد إليها وتركوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائما على المنبر، ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا، قال جابر بن عبد الله: «**أنا أحدهم**» وذكر بعضهم أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة، واختلف في الثاني عشر، فقيل: عبد الله مسعود، وقيل: عمار بن ياسر، وقيل: إنما بقي معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانية، وروي: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهؤلاء[٤]: «**لقد كانت الحجارة سومت في السماء على المنفضين**» وظاهر الآية يقتضي أن الجماعة شرط في الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور، إلا أنهم اختلفوا في مقدار الجماعة الذين

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٢٨٤.

(٢) الطبري في جامع البيان عن أنس بن مالك: ٢٣/٣٨٥، والسيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس: ٨/١٦٥.

(٣) في صحيح ابن خزيمة عن جابر: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يخطب قائما، فجاءت عير من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا، فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ الحديث رقم: (١٨٢٣)، والطبري: ٢٣/٣٨٧.

(٤) الذي في المحرر الوجيز بلفظ: «لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سومت على المنفضين من السماء» ٥/٢٨٤.

تنعقد بهم الجمعة، فقال مالك: ليس في ذلك عدد محدود وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية، وروى ابن الماجشون عن مالك ثلاثون، وقال الشافعي: أربعون، وقال أبو حنيفة: ثلاثة مع الإمام، وقيل: اثنا عشر عدد الذين بقوا مع النبي ﷺ، فإن قيل: لم قال انفضوا إليها بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة، ثم حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه قاله الزمخشري(١).

والآخر: أنه قال ذلك تهمما بالتجارة؛ إذ كانت أهم، وكانت هي سبب اللهو ولم يكن سببها، قاله ابن عطية(٢).

﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا؟ وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا؟ فمن أوجبه واشترطه أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام، ومن لم يوجبه رأى أن ما فعله النبي ﷺ من ذلك لم يكن على الوجوب، ومذهب مالك أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين، وقال أبو حنيفة: لا يجلس بين الخطبتين لظاهر الآية، وذكر القيام فيها دون الجلوس، وحجة مالك فعل رسول الله ﷺ(٣). ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَارَةِ﴾ إن قيل: لم قدم اللهو هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟ فالجواب: أن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه، وذلك أن العرب تارة يبتدئون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل كقولك: فلان يخون في الكثير

---

(١) الكشاف: ٤/٥٣٩.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٢٨٤.

(٣) في سنن أبي داود عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: «كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خُطْبَتَانِ كَانَ يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيُذَكِّرُ النَّاسَ» الحديث رقم: (١٠٩٦)، ومعناه في السنن الكبرى للبيهقي الحديث رقم: (٥٩٥٧).

والقليل فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه، وتارة يبتدئون بالأقل، ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك: فلان أمين على القليل والكثير، فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه، ولو عكست في كل واحد من المثالين لم يكن حسنا، فإنك لو قدمت في الخيانة القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى، ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى، فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة، وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها، وقوله: ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ قدم اللهو ليبين أن ما عند الله خير من اللهو وأنه أيضا خير من التجارة التي هي أعظم منه، ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن.

❊❊ ❊❊ ❊❊

سورة المنافقون

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فلذلك كذبهم الله بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي كذبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة، وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ فليس من كلام المنافقين وإنما هو من كلام الله تعالى ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ إبطال للرسالة فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم وليحقق الرسالة، وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله ﴿لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

﴿جُنَّةً﴾ ذكر في المجادلة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ الإشارة إلى سوء عملهم وفضيحتهم وتوبيخهم وأما قوله: ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فيمن آمن منهم إيمانا صحيحا ثم نافق بعد ذلك.

والآخر: أن يريد آمنوا في الظاهر كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني أنهم حسان الصور. ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ يعني أنهم فصحاء الخطاب، والضمير في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ وفي قوله: ﴿تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ للنبي ﷺ ولكل مخاطب. ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ شبههم بالخشب في قلة أفهامهم فكان لهم منظر بلا مخبر وقال الزمخشري[1] إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة، بخلاف الخشب التي في سقف أو مغروسة في جدار فإن فيها

(١) الكشاف: ٤/٥٤٢.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا
تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾
يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ
وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ
أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ
اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

ربع

ترتيبها ٦٤ سُورَةُ التَّغَابُنِ آياتها ١٨

حينئذ منفعة، فالتشبيه على هذا في عدم المنفعة، وقيل: كانوا يستندون في مجلس رسول الله ﷺ فشبههم في استنادهم بالخشب المسندة إلى الحائط. ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين، وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبي ﷺ يأمر بقتلهم. ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ الدعاء عليهم يتضمن ذمهم وتقبيح أحوالهم. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي كيف يصرفون عن الإيمان مع ظهوره.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي أمالوها إعراضا واستكبارا، وقصص هذه الآية وما بعدها: أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بني المصطلق فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه، فكان ممن ازدحم عليه جهجاه بن سعيد أجير لعمر بن الخطاب، وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، فلطم الجهجاه سنان فغضب سنان ودعا بالأنصار ودعا جهجاه بالمهاجرين، فقال عبد الله بن أبي: والله ما مثلنا ومثل هؤلاء يعني المهاجرين إلا كما قال الأول: «سمن كلبك يأكلك»[(١)] ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعز نفسه وأتباعه، ويعني بالأذل رسول الله ﷺ ومن معه، ثم قال لقومه: إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٤٤/٦)، والسيرة النبوية لابن كثير: ٢٩٩/٣، ودلائل النبوة للبيهقي: ١١٢/٤.

بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن مدينتكم، فسمعه زيد بن أرقم فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول، فحلف أنه ما قال من ذلك شيئا وكذب زيدا، فنزلت السورة عند ذلك فبعث رسول الله ﷺ إلى زيد، وقال: لقد صدقك الله يا زيد، فخزي عبد الله بن أبي ابن سلول ومقته الناس، فقيل له: امض إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأي، وقال: أمرتموني بالإسلام فأسلمت، وأمرتموني بأداء زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني أن أسجد لمحمد، ثم مات عبد الله بن أبي بعد ذلك بقليل، وأسندت هذه الأقوال التي قالها عبد الله بن أبي إلى ضمير الجماعة؛ لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ روي: أنه لما نزلت إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله ﷺ[1]: «لأزيدن على السبعين»، فلما فعل عبد الله بن أبي وأصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم في هذه السورة وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية الأخرى بمدة.

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي لا تشغلكم وذكر الله هنا على العموم في الصلاة والدعاء والعبادة، وقيل: يعني الصلاة المكتوبة والعموم أولى.

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ عموم في الزكاة وصدقة التطوع والنفقة في الجهاد وغير ذلك، وقيل: يعني الزكاة المفروضة، والعموم أولى. ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ بالجزم عطف على موضع جواب الشرط، وقرأ أبو عمرو[2] (وأكون) بالنصب عطف على فأصدق.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٥٤/٦، وهو في المحرر الوجيز: ٢٨٨/٥ بدون سند.

(٢) قال الإمام الداني: أبو عمرو ﴿وأكون﴾ بالواو ونصب النون، والباقون بغير واو وجزم النون. التيسير، ص: ١٣٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ
وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت
تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا
وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن
يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ
وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

سورة التغابن

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: الذي خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به لكن منكم من كفر ومنكم من آمن، فالكفر والإيمان على هذا هو من اكتساب العبد.

والآخر: أن المعنى هو الذي خلقكم على صنفين فمنكم من خلقه مؤمنا ومنكم من خلقه كافرا، فالإيمان والكفر على هذا هو ما قضى الله على كل واحد، والأول أظهر لأنه عطفه على خلقكم بالفاء، يقتضي أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة لا في أصل الخلقة.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ذكر معناه في مواضع. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ تعديد نعمة في حسن خلقة بني آدم لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان، وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر فلا يخرجه ذلك عن حسن الصور الإنسانية، وإنما هو قبيح بالنظر إلى من هو أحسن منه من الناس، وقيل: يعني العقل والإدراك الذي خص به الإنسان، والأول أرجح؛ لأن الصورة إنما تطلق على الشكل.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ خطاب لقريش وسائر الكفار.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ معناه أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرا أو تكبروا

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ
فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ● يَا أَيُّهَا ربع
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ
شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

عن اتباع بشر، والبشر يقع على الواحد والجماعة.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ قال عبد الله بن عمر[1] زعم كناية عن كذب.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ العامل في يوم ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ أو محذوف تقديره: اذكر، ويحتمل أن يكون مبتدءا وخبره ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ يعني يوم القيامة، والتغابن مستعار من تغابن الناس في التجارة، وذلك إذا فاز السعداء بالجنة فكأنهم غبنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء، فالتغابن على هذا بمعنى الغبن، وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونه بين اثنين كقولك: تضارب وتقاتل إنما هي فعل واحد، كقولك: تواضع، قاله ابن عطية، وقال الزمخشري[2]: يعني نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء، والتغابن على هذا بين اثنين، قال: وفيه تهكم بالأشقياء؛ لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغبن للسعداء.

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بالمصيبة الرزايا وخصها بالذكر؛ لأنها أهم على الناس، أو يريد جميع الحوادث من خير أو شر وبإذن الله عبارة عن قضائه وإرادته تعالى. ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ قيل: معناه من يؤمن بأن كل شيء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله، وهذا أحسن إلا أن

(١) المحرر الوجيز: ٥/٢٩٢.

(٢) الكشاف: ٤/٥٥٠.

العموم أحسن منه.

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ سببها أن قوما أسلموا وأرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة، فحذرهم الله من طاعتهم في ذلك، وقيل: نزلت[1] في عوف بن مالك الأشجعي وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده فشكوا من فراقه فرق لهم، ورجع ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد، ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ﴾ الآية، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه في التحذير ممن يكون للإنسان عدوا من أهله وأولاده، سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا.

﴿وَاللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ترغيب في الآخرة وتزهيد في الأموال والأولاد التي فتن الناس بها.

﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قيل: إن هذا ناسخ لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ وروي[2]: أنه لما نزل ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ شق ذلك على الناس حتى نزل ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وقيل: لا نسخ بينهما؛ لأن حق تقاته معناه فيما استطعتم؛ إذ لا يمكن أن يفعل أحد إلا ما يستطيع، وهذه الآية على هذا مبينة لتلك، وتحرز بالاستطاعة من الإكراه والنسيان ومالا يؤاخذ به العبد، وإعراب ما في قوله ما استطعتم ظرفية ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ منصوب بإضمار فعل لا يظهر عند سيبويه وقيل: هو مفعول بأنفقوا لأن الخير بمعنى المال، وقيل: هو نعت لمصدر محذوف تقديره: أنفقوا إنفاقا خيرا لأنفسكم. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ ذكر في الحشر.

﴿إِن تُقْرِضُواْ﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ذكر في اللغات.

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٣/٤٢٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/٣٣٥٨، والطبري: ٢٣/٤٢٧، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٥/٢٩٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰأَيُّهَا النَّبِيٓءُ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ الْعِدَّةَ وَاتَّقُواْ اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بِيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِے لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراً (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ الشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَےْءٍ قَدْراً (٢) وَالَّٰٓي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّٰٓي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْراً (٣) ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُۥ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥ أَجْراً (٤)

سورة الطلاق

﴿يَٰأَيُّهَا النَّبِيٓءُ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ﴾ إن قيل: لم نودي النبيء ﷺ وحده، ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة؟ فالجواب: أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي ﷺ وأمته، قيل: إذا طلقتم خطابا له ولهم وخص هو عليه الصلاة والسلام بالنداء تعظيما له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا أي افعل أنت وقومك، ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المبلغ لأمته فكأنه قال: ياأيها النبيء إذا طلقت أنت وأمتك، وقيل: تقديره: يأيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم، وهذا ضعيف؛ لأنه يقتضي أن هذا الحكم مختص بأمته دونه، وقيل: إنه خوطب النبي ﷺ بطلقتم تعظيما له، كما تقول للرجل المعظم: أنتم فعلتم، وهذا أيضا ضعيف لأنه يقتضي اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالحكم دون أمته، ومعنى إذا طلقتم هنا إذا أردتم الطلاق، واختلف في الطلاق هل هو مباح أو مكروه؟ فأما إذا كان على غير وجه السنة، فهو ممنوع ولكن يلزم. وأما اليمين بالطلاق فممنوع[1].

(١) وذلك لقوله ﷺ: «فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»، البخاري: ٢٦٧٩، والموطأ: ١٧٤٩، وقيل: الحلف به مكروه، قال ابن عبد البر: وهل المنع للتحريم قولان عند المالكية، والمشهور عندهم الكراهة، والخلاف أيضا عند الحنابلة، والمشهور عندهم: التحريم، وبه جزم الظاهرية، وقال ابن عبد البر: لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع، ومراده بنفي الجواز الكراهة من التحريم والتنزيه، فإنه قال في موضع آخر: أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروه، منهي=

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ تقديره: طلقوهن مستقبلات لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبي بن كعب(١): «فطلقوهن في قبل عدتهن» وقرأ ابن عمر(٢) «لقبل عدتهن ورويت» القراءتان عن رسول الله ﷺ ومعنى ذلك كله لا يطلقها وهي حائض، فهو منهي عنه بإجماع لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمر الله بها وهو استقبال العدة، واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض: هل هو معلل بتطويل العدة أو هو تعبد؟ والصحيح أنه معلل بذلك، وينبني على هذا الخلاف فروع

منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة، أم لا؟

ومنها: هل يجوز طلاقها في الحيض وهي حامل أم لا؟

ومنها: هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟ فالتعليل بتطويل العدة يقتضي جواز هذه الفروع، والتعبد يقتضي المنع ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق، ثم يؤمر بالرجعة على وجه الإجبار عند مالك، وبدون إجبار عند الشافعي، حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك حسبما ورد في حديث ابن عمر، حين طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال له: «مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك»(٣) واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسها فيه ليعتد بذلك

= عنها، لا يجوز لأحد الحلف بها، والخلاف موجود عند الشافعية من أجل قول الشافعي: أخشى أن يكون الحلف بغير الله معصية، فأشعر بالتردد. فتح الباري: ١١/٥٣١، وعون المعبود: ٩/٥٥، وتحفة الأحوذي: ٥/١١١.

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٣/٤٣٣ المحرر الوجيز: ٢/٣٩٥.

(٢) في تفسير الصنعاني: عبد الرزاق عن ابن جريج عن أبي الزبير عن ابن عمر أن النبي ﷺ قرأ «فطلقوهن لقبل عدتهن» ٣/٢٢٩٦، وهو في الدر المنثور: ٨/١٩٠ عن ابن الأنباري عن ابن عمر والمحرر الوجيز: ٢/٤٢٧، والبغوي في معالم التنزيل: ٨/١٤٨.

(٣) في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد=

الطهر فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء فليس طلاقا لعدتها كما أمر الله.

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أمر بذلك لما ينبني عليها من الأحكام في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه ونهاها هي أن تخرج باختيارها فلا يجوز لها المبيت خارجا عن بيتها، ولا أن تغيب عنه نهارا إلا لضرورة التصرف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة، فإن كان المسكن ملكا للزوج أو مكترى عنده لزمه إسكانها فيه، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية ففي لزوم خروج العدة له قولان في المذهب، والصحيح لزومه لأن الإمتاع قد انقطع بالطلاق. ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي على خمسة أقوال:

الأول: أنها الزنا فتخرج لإقامة الحد قاله الليث بن سعد والشعبي(١).

الثاني: أنه سوء الكلام مع الأصهار، فتخرج ويسقط حقها من السكنى ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظا للنسب، قاله ابن عباس(٢) ويؤيده قراءة أبي بن كعب(٣) إلا أن يفحشن عليكم.

الثالث: أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك، فمتى

= رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «مره فليرجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء» الحديث رقم: (٤٩٥٣)، ومسلم الحديث رقم: (٣٧٢٥)، وأبو داود الحديث رقم: (٢١٨١)، وغيرهم..

(١) الطبري: ٨/١١٥، وتفسير ابن كثير: ٨/١٤٢.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٩٠٤.

(٣) المحرر الوجيز: ٥/٢٩٧.

فعلت شيئا من ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن عباس أيضا، وإليه مال الطبري[(١)].

الرابع: أنه الخروج عن بيتها خروج انتقال، فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن الفرس، وإلى هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة.
الخامس: أنه النشوز قبل الطلاق، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى قاله قتاده[(٢)].

﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ المراد به الرجعة عند الجمهور، أي أحصوا العدة وامتثلوا ما أمرتم به لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم، وقيل: إن سبب الرجعة المذكورة في الآية تطليق النبي ﷺ لحفصة بنت عمر[(٣)] فأمره الله بمراجعتها.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يريد آخر العدة، والإمساك بمعروف هو تحسين العشرة وتوفية النفقة، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق، والوفاء بالشروط ونحو ذلك. ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذا خطاب للأزواج والمأمور به هو الإشهاد على الرجعة عند الجمهور، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين في المذهب؟ وقال ابن عباس[(٤)]: هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة وهذا أظهر؛ لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع، ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق، وقد ذكرنا العدالة في البقرة. وقوله: ﴿ذَوَىْ عَدْلٍ﴾ يدل على أنه إنما يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النساء، وهو مذهب مالك خلافا لمن أجاز شهادة النساء في

(١) الطبري: ٨/١١٨.
(٢) الطبري: ٨/١١٧.
(٣) الدر المنثور: ٨/١٨٩.
(٤) المحرر الوجيز: ٥/٢٩٨.

ذلك، وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ يريد من المسلمين، وقيل: من الأحرار فيؤخذ من ذلك رد شهادة العبيد، وهو مذهب مالك. ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ هذا خطاب للشهود وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد بها القيام، فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد، وهو فرض كفاية وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس، ويحتمل أن يريد إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض وبهذا فسره الزمخشري[(١)] وهو أظهر لقوله لله وهو كقوله: ﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأحكام. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجاً﴾ قيل: إنها في الطلاق، ومعناها من يتق الله فيطلق طلقة واحدة حسبما تقتضيه السنة يجعل له مخرجا بجواز الرجعة متى قدم على الطلاق، وفي هذا المعنى روي عن ابن عباس أنه قال لمن طلق ثلاثا[(٢)]: إنك لم تتق الله فبانت منك امرأتك ولا أرى لك مخرجا، أي لا رجعة لك، وقيل: إنها على العموم، أي من يتق الله في أقواله وأفعاله يجعل له مخرجا من كرب الدنيا والآخرة، وقد روي هذا أيضا عن ابن عباس، وهذا أرجح لخمسة أوجه:

أحدها: حمل اللفظ على عمومه فيدخل في ذلك الطلاق وغيره.

الثاني: أنه روي[(٣)] أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وذلك أنه أسر ولده وضيق عليه رزقه فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى فلم يلبث إلا يسيرا، وانطلق ولده ووسع الله رزقه.

والثالث: أنه روي[(٤)]: عن رسول الله ﷺ أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة.

---

(١) الكشاف: ٤/٥٥٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٢٩٨.

(٣) تفسير مقاتل: ٣/٣٧٢، وتفسير السمعاني: ٥/٤٦٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٨/١٦١.

(٤) ورد هذا الأثر في بعض كتب التفسير بدون سند. الكشف عن حقائق التنزيل: ٤/٥٥٩.

والرابع: روي[١] عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم**».

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ الآية فما زال يقرؤها ويعيدها.

الخامس: قوله: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ فإن هذا لا يناسب الطلاق، وإنما يناسب التقوى على العموم، قال بعض العلماء: الرزق على نوعين:

- رزق مضمون لكل حي طول عمره وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

- ورزق موعود للمتقين خاصة وهو المذكور في هذه الآية.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره وقد تكلمنا على التوكل في آل عمران. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي يبلغ ما يريد ولا يعجزه شيء، هذا حض على التوكل وتأكيد له؛ لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده، ولم يعول على سواه. ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي مقدارا معلوما ووقتا محدودا.

﴿وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ روي أنه لما نزل قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ قالوا يا رسول الله: فما عدة من لا قرء لها من صغر أو كبر؟ فنزلت هذه الآية معلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر، فقوله: ﴿وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ يعني التي انقطعت حيضتها لكبر سنها وقوله: ﴿وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني الصغيرة التي لم تبلغ المحيض وهو معطوف على اللائي يئسن، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: واللائي لم يحضن كذلك، وقوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ هو من الريب بمعنى الشك، وفي معناه قولان:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٨/١٦١، وتفسير الثعلبي: ١/٢٣٢١، والكشف والبيان: ٩/٣٣٧.

أحدهما: إن ارتبتم في حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر.

والآخر: إن ارتبتم في حيضها هل انقطع أو لم ينقطع؟ فهي على التأويل الأول في التي انقطعت حيضها لكبر سنها حسبما ذكرنا، وهو الصحيح وهي على التأويل الثاني في المرتابة وهي التي غابت عنها الحيضة وهي في سن من تحيض، وقد اختلف العلماء في عدتها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ثلاثة أشهر خاصة حسبما تقتضيه الآية على هذا التأويل.

والآخر: أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أمد الحمل وهذا مذهب مالك وقدوته في ذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والثالث: أنها تعتد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض وهومذهب الشافعي وأبي حنيفة.

﴿وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ هذه الآية عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وسائر العلماء عامة في المطلقات والمتوفى عنهن، فمتى كانت إحداهن حاملا فعدتها وضع حملها، وقال علي بن أبي طالب وابن عباس[1] إنما هذه الآية في المطلقات الحوامل فهن اللاتي عدتهن وضع حملهن، وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملا فعدتها عندهما أبعد الأجلين إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرا، فحجة الجمهور حديث سبيعة الأسلمية أنها كانت زوجا لسعد بن خولة فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حبلى فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بعكك فسألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لها:[2] «انكحي من شئت» وقد ذكر أن

(١) تفسير السمعاني: ٥/٤٦٣.

(٢) في الموطإ حدثني يحيى عن مالك عن عبد ربه بن سعيد بن قيس عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال: سئل عبد الله بن عباس وأبو هريرة عن المرأة الحامل يتوفى عنها زوجها فقال ابن عباس آخر الأجلين وقال أبو هريرة إذا ولدت فقد حلت، فدخل أبو سلمة بن عبد الرحمن على أم سلمة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألها عن ذلك فقالت أم سلمة: ولدت سبيعة الأسلمية بعد وفاة=

ثمن

• أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن
لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن
حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم
بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى (٥) لينفق ذو سعة من
سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا
إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٦) وكأين من قرية عتت
عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا
نكرا (٧) فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (٨) أعد
الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب (٩) الذين آمنوا
قد أنزل الله إليكم ذكرا (١٠) رسولا يتلو عليكم آيات الله
مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى
النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا ندخله جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا (١١) • الله الذي
خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن
الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما (١٢)

ربع

ابن عباس[1] رجع إلى هذا الحديث لما بلغه ولو بلغ عليا رضي الله عنه لرجع إليه، وقال عبد الله بن مسعود[2]: إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء القصرى يعني سورة الطلاق نزلت بعد الآية التي في البقرة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾، فهي مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أمر الله بإسكان المطلقة طول العدة، فأما المطلقة غير المبتوتة فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق، وأما المبتوتة ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها يجب لها السكنى دون النفقة وهو مذهب مالك والشافعي.

والثاني: يجب لها السكنى والنفقة وهو مذهب أبي حنيفة.

والثالث: أنها ليس لها سكنى ولا نفقة.

فحجة مالك حديث فاطمة بنت قيس[3]، وهو أن زوجها طلقها البتة فقال لها

= زوجها بنصف شهر فخطبها رجلان أحدهما شاب والأخر كهل فحطت إلى الشاب فقال الشيخ لم تحلي بعد وكان أهلها غيبا ورجا إذا جاء أهلها أن يؤثروه بها فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فأنكحي من شئت. الحديث رقم: (١٢٢٥)، وهو في البخاري الحديث رقم: (٤٦٢٦)، ومسلم الحديث رقم: (٣٧٩٦).

(١) تفسير ابن كثير: ١/٦٣٦.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٦١.

(٣) الموطأ الحديث رقم: (١٢١٠)، وهو في صحيح مسلم الحديث رقم: (٣٧٧٠)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٤٢٩٠).

رسول الله ﷺ: «ليس لك عليه نفقة» فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة، وحجة من أوجب لها السكنى: قول عمر بن الخطاب:[1] لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة، إني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «لها السكنى والنفقة»، وحجة من لا يجعل لها لا سكنى ولا نفقة أن في بعض الروايات عنها أنها قالت[2]: «لم يجعل لي رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنى»، وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ معناه أسكنوهن مكانا من بعض مساكنكم، فمن للتبعيض، ويفسر ذلك قول قتادة[3]: لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه.

﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ الوجد هو الطاقة والسعة في المال، فالمعنى: أسكنوهن مسكنا مما تقدرون عليه، وإعرابه عطف بيان لقوله: ﴿حَيْثُ سَكَنتُم﴾ ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها، وهو بمعنى واحد والضم أكثر وأشهر. ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ اتفق العلماء على وجوب النفقة في العدة للمطلقة الحامل عملا بهذه الآية سواء كان الطلاق رجعيا أو بائنا، واتفقوا

(١) مسلم في (باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها) الحديث رقم: (٣٧٨٣)، ومسند إسحاق: ٥/٢٢٤ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: وما وقع في بعض الروايات عن عمر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لها السكنى والنفقة». فقال قال الإمام أحمد: لا يصح ذلك عن عمر. وقال الدارقطني: السنة بيد فاطمة قطعا، وأيضا تلك الرواية عن عمر من طريق إبراهيم النخعي ومولده بعد موت عمر بسنتين. قال ابن القيم: ونحن نشهد بالله شهادة نسأل عنها إذا لقيناه، أنها كذب على عمر وكذب على رسول الله ﷺ، فإذا حققت أن السنة معها وأنها صاحبة القصة، فاعلم أنها لما سمعت قول عمر لا نترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة، لا ندري لعلها حفظت أو نسيت، قالت: بيني وبينكم كتاب الله. قال الله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، حتى قال: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾. فأي أمر يحدث بعد الثلاث، رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، ومسلم بمعناه. فتحصل أن السنة بيدها، وكتاب الله معها. أضواء البيان: ٣/١٨١.

(٢) لم أجده مسندا.

(٣) لم أجده مسندا وهو في كتب التفسير مثل: السراج المنير: ٤/٢٢٩، والبحر المحيط: ٨/٢٨٠، وتفسير النيسابوري: ٧/١٧٩.

على أن للمطلقة غير الحامل النفقة في العدة إذا كان الطلاق رجعيا، فإن كان بائنا فاختلفوا في نفقتها حسبما ذكرناه، وأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فلا نفقة لها عند مالك والجمهور؛ لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات، وقال قوم: لها النفقة في التركة. ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المعنى: إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجرة الرضاع وهي النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر في كتب الفقه. ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء، والمعنى: أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان، وقيل: معنى ائتمروا تشاوروا ومنه إن الملأ يأتمرون بك. ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ المعنى إن تشططت الأم على الأب في أجرة الرضاع وطلبت منه كثيرا فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق له إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله ولا يكلف الزوج مالا يطيق ولا تضيع الزوجة بل يكون الحال معتدلا، وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس، وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية، ومن عجز عن نفقة امرأته فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه خلافا لأبي حنيفة، وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففي التطليق عليه قولان في المذهب.

﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي حاسبنا أهلها قيل: يعني الحساب في الآخرة وكذلك العذاب المذكور بعده، وقيل يعني في الدنيا وهذا أرجح؛ لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله أعد الله لهم عذابا شديدا أو لأن قوله: حاسبناها وعذبناها بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع مجاز فيما لم يقع، فمعنى: حاسبناها أي آخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرها والعذاب هو عقابهم في الدنيا والنكر هو الشديد الذي لم يعهد مثله.

﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا﴾ الذكر هنا هو القرآن والرسول هو محمد ﷺ، وإعراب رسولا مفعول بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا وهذا الذي اختاره ابن عطية: وهو أظهر الأقوال، وقيل: إن الذكر والرسول معا يراد بهما القرآن والرسول على هذا بمعنى الرسالة، وقيل: إنهما يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره: ذكرا ذا رسول، وقيل: رسولا مفعول بالمصدر الذي هو الذكر، وقال الزمخشري: الرسول هو جبريل بدل من الذكر لأنه نزل به أو سمي ذكرا لكثرة ذكره لله، وهذا كله بعيد.

﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لا خلاف أن السموات سبع، وأما الأرض فاختلف فيها، فقيل: إنها سبع أرضين لظاهر هذه الآية، ولقوله ﷺ[(١)]: «من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين»، وقيل: إنما هي واحدة، فقوله: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ على القول الأول يعني به المماثلة في العدد، وعلى القول الثاني يعني به المماثلة في عظم الجرم وكثرة العمار وغير ذلك، والأول أرجح. ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يحتمل أن يريد بالأمر الوحي أو أحكام الله، وتقديره: لخلقه.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) هو في الصحيح بزيادة ظلما، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» ا لبخار ي الحديث رقم: (٣٠٢٦)، ومسلم الحديث رقم: (٤٢١٧)، وابن حبان الحديث رقم: (٥١٦٤)، والمستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٧٨٠٧).

ترتيبها ٦٦ — سُورَةُ التَّحْرِيمِ — آياتها ١٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ
مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ
أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ
وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن
تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ
أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ
سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ
وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ
شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾

سورة التحريم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها روايتان:

إحداهما[١]: أن رسول الله ﷺ جاء يوما إلى بيت زوجه حفصة بنت عمر بن الخطاب فوجدها قد مرت لزيارة أبيها فبعث إلى جاريته مارية فجامعها في البيت، فجاءت حفصة فقالت يا رسول الله: أما كان في نسائك أهون عليك مني؟، أتفعل هذا في بيتي وعلى فراشي؟ فقال لها رسول الله ﷺ مترضيا لها: أيرضيك أن أحرمها؟ قالت: نعم، فقال: إني قد حرمتها.

والرواية الأخرى: أن رسول الله ﷺ كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش، فيشرب عندها عسلا، فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها: أأكلت مغافير؟ والمغافير صمغ العرفط، وهو حلو كريه الريح، ففعلن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: لا، ولكني شربت عسلا، فقلن له: جرست نحله العرفط[٢]، فقال رسول الله ﷺ: لا أشربه أبدا، وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة، فدخل بعد ذلك على زينب، فقالت: ألا أسقيك من

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٣/٤٧٩، وأخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر عن الضحاك، كما في الدر المنثور: ٨/٢١٦، والدارقطني كما في الجامع لأحكام القرآن: ١٨/١٧٩.

(٢) قوله: جرست نحله العرفط: أي أكلت العرفط ليصير منه العسل، والعرفط: هو الشجر الذي صمغه المغافير.

ذلك؟، فقال: لا حاجة لي به، فنزلت الآية عتابا له على أن يضيق على نفسه بتحريم الجارية، أو تحريم العسل، والرواية الأولى أشهر وعليها تكلم الناس في فقه السورة، وقد خرج الرواية الثانية البخاري(١) وغيره ولنتكلم على فقه التحريم:

فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء فلا يلزم، ولا شيء عليه عند مالك، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفارة، وأما تحريم الأمة فإن نوى به العتق لزم وإن لم ينو به ذلك لم يلزم، وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام، وأما تحريم الزوجة: فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة، فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم: إنما يلزم فيه كفارة يمين، وقال مالك في المشهور عنه: ثلاث تطليقات في المدخول بها وينوى في غير المدخول بها، فيحكم بما نوى من طلقة أو اثنتين أو ثلاث، وقال ابن الماجشون: هي ثلاث في الوجهين، وروي عن مالك أنها طلقة بائنة، وقيل: طلقة رجعية.

﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك، يعني تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة، وهذا يدل على أنها نزلت في تحريم الجارية، وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه، وإنما تركه لرائحته. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب على تضييقه ﷺ على نفسه وامتناعه مما كان له فيه أرب، وبئس ما قال الزمخشري(٢) في أن هذا كان منه

(١) في صحيح البخاري: حدثني الحسن بن محمد بن صباح حدثنا حجاج عن أبي جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول: سمعت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد فيك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: (بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له) فنزلت ﴿يا أيها النبيء لم تحرم ما أحل الله لك ـ إلى ـ إن تتوبا إلى الله﴾ لعائشة وحفصة ﴿وإذ أسر النبيء إلى بعض أزواجه﴾ لقوله: بل شربت عسلا. الحديث رقم: (٤٩٦٦)، ومسلم الحديث رقم: (٣٧٥١).

(٢) الكشاف: ٤/٥٦٦.

زلة؛ لأنه حرم ما أحل الله، وذلك قلة أدب على منصب النبوءة.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ التحلة هي الكفارة وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة المائدة من صفتها. واختلف في المراد بها هنا فأما على قول من قال إن الآية نزلت في تحريم الجارية فاختلف في ذلك فمن قال إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدل بها، ومن قال إن التحريم يلزم فيه طلاق قال إن الكفارة هنا إنما هي لأن رسول الله ﷺ حلف وقال: والله لا أطؤها أبدا، وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل، فاختلف أيضا، فمن أوجب في تحريم الطعام كفارة، قال: هذه الكفارة للتحريم، ومن قال: لا كفارة فيه، قال: إنما هذه الكفارة؛ لأنه حلف ألا يشربه، وقيل: هي في يمينه ﷺ أن لا يدخل على نسائه شهرا. ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ يحتمل أن يكون المولى بمعنى الناصر، أو بمعنى السيد الأعظم.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ اختلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تحريم الجارية فإنه لما حرمها قال لحفصة: لا تخبري بذلك أحدا.

والآخر: أنه قال: إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده.

والثالث: أنه قوله: شربت عسلا، والأول أشهر، وبعض أزواجه حفصة.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسر إليها رسول الله ﷺ من تحريم الجارية، فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك، فعاقب حفصة على إفشائها لسره، فطلقها[1] ثم

(١) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهباري، حدثنا أسباط بن محمد، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأتت أهلها، فأنزل الله، ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ فقيل له: راجعها فإنها صوامة قوامة،=

أمره الله بمراجعتها فراجعها، وقيل: لم يطلقها، فقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ حذف المفعول وهو عائشة، وقوله: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي أطلعه على إخبارها به، وقوله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ أي عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياء وتكريما، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب، وقرئ[(١)] عرف بالتخفيف من المعرفة. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ أي لما أخبر النبي ﷺ حفصة بأنها قد أفشت سره ظنت بأن عائشة هي التي أخبرته، فقالت له: من أنبأك هذا؟ فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه: سكتت وسلمت.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة وتوبتهما مما جرى منهما في قصة تحريم الجارية أو العسل، ومعنى صغت أي مالت عن الصواب، وقرأ ابن مسعود[(٢)]: «زاغت» والمعنى: إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة. ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ المعنى إن تعاونتما عليه ﷺ بما يسوؤه من إفراط الغيرة وإفشاء سره ونحو ذلك، فإن له من ينصره ومولاه هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم فيوقف على مولاه، ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره، وخبر ما عطف عليه، ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الولي الناصر فيكون جبريل معطوف فيوصل مع ما قبله ويوقف على صالح المؤمنين، ويكون الملائكة مبتدءا وظهير خبره، وهذا أظهر وأرجح لوجهين:

= وهي من أزواجك ونسائك في الجنة. ورواه ابن جرير، عن ابن بشار، عن عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة... فذكره مرسلا، وقد ورد من غير وجه: أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها. الطبري في جامع البيان: ٣٠٣/٢٠، وتفسير ابن كثير: ١٤٢/٨، ورواه النسائي في سننه رقم: (٣٥٦٠) قال الألباني صحيح.

(١) ﴿عرف بعضه﴾ قرأ الكسائي بتخفيف الراء، وقرأ الباقون بتشديدها. النشر: ٤٢٨/٢.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٤٨٤/٢٣.

أحدهما: أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريفا له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ مع غيره؛ لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى، فليس في ذلك إظهار مزية له.

الوجه الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح(١) أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: «**ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك، فنزلت الآية موافقة لقول عمر، فقوله: يقتضي معك النصرة**».

﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اختلف في صالح هل هو مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة، فعلى القول بأنه مفرد هو أبو بكر، وقيل: علي بن أبي طالب(٢) وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم في كل صالح.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الآية نصرة للنبي ﷺ، وروي: أن عمر قال ذلك، ونزل القرآن بموافقته، ولقد قال عمر(٣) حينئذ للنبي ﷺ والله يا رسول الله لئن أمرتني بضرب عنق حفصة لضربت عنقها، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت والسائحات معناه الصائمات قاله ابن عباس(٤) وقد روي عن النبي ﷺ، وقيل: معناه مهاجرات، وقيل: ذاهبات إلى الله لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض وقوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ قال بعضهم: المراد بالأبكار هنا

---

(١) في صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه في حديث طويل:... قَالَ ـ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ وَأَنَا أَرَى فِى وَجْهِهِ الْغَضَبَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ ـ وَأَحْمَدُ اللهَ ـ بِكَلاَمٍ إِلاَّ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللهُ يُصَدِّقُ قَوْلِى الَّذِى أَقُولُ. الحديث رقم: (٣٧٦٤)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٤١٨٨).

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٣٠٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الطبري في جامع البيان: ٢٣/٤٩٠.

• يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ
رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ ثمن
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾
ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ
كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا
فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ
﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ
ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ
بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، فإن الله يزوج النبي ﷺ إياهما في الجنة، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح، ودخلت الواو هنا للتقسيم ولو سقطت لاختل المعنى؛ لأن الثيوبة والبكارة لا يجتمعان، وقال الكوفيون: هي واو الثمانية وذلك ضعيف.

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ أي أطيعوا الله وأمروا أهلكم بطاعته لتقوا أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة. ﴿وَقُودُهَا﴾ ذكر في البقرة. ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يعني زبانية النار وغلظهم وشدتهم يحتمل أن يريد في أجرامهم وفي قساوة قلوبهم. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قيل: إن هذا تأكيد لقوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ﴾، وقيل: إن معنى: لا يعصون امتثال الأمر، ومعنى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ جدهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس.

﴿لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة، ويحتمل أن يكون هذا خطابًا من الله للكفار، أو خطابًا من الملائكة.

﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح[1] هي أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبدا ولا تريد أن تعود، وقيل: معناه توبة خالصة فهو من

(١) تفسير الطبري: ٢٣/٤٩٣.

قولهم: عسل ناصح إذا خلص من الشمع، وقيل: هو أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا، قال الزمخشري: وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي، والنصح في الحقيقة صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم، وقد تكلمنا على التوبة في قوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ في النور. ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ العامل في يوم يحتمل أن يكون ما قبله أو ما بعده أو محذوفًا تقديره: اذكر. والوقف والابتداء يختلف على ذلك. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يحتمل أن يكون معطوفا على النبيء، أو مبتدأً وخبره بعده ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾ ذكر في الحديد.

﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ ذكر في براءة.

﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ قيل اسم امرأة نوح والهة واسم امرأة لوط والعة وهذا يفتقر إلى صحة نقل. ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عباس[(١)]: خيانة امرأة نوح في أنها كانت تقول إنه مجنون وخيانة امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه وكانتا مع ذلك كافرتين، وقيل: خانتا بالزنا وأنكر ابن عباس ذلك[(٢)]، وقال: ما زنت امرأة نبي قط تنزيها من الله لهم عن هذا النقص، وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل كأنه يقول: لا يغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما، وقيل: هذا مثال لأزواج النبي ﷺ فيما ذكر في أول السورة، وهذا باطل؛ لأن

---

(١) المحرر الوجيز: ١٩٣/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٣٣٦٢/١٠، والطبري في جامع البيان: ٤٩٨/٢٣، وابن كثير في تفسيره: ٣٤٧/٤، والبغوي في معالم التنزيل: ١٨١/٤ قال الزمخشري: فإن قلت: ما كانت خيانتهما؟ قلت: نفاقهما وإبطانهما الكفر، وتظاهرهما على الرسولين، فامرأة نوح قالت لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط دلت على ضيفانه. ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور؛ لأنه سمج في الطباع، نقيصة عند كل أحد، بخلاف الكفر فإن الكفار لا يستسمجونه، بل يستحسنونه ويسمونه حقاً، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما بغت امرأة نبي قط... الكشاف: ٥٧٥/٤.

الله إنما ضربه للذين كفروا وامرأة فرعون اسمها آسية وكانت قد آمنت بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها، وروي: في قصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح.

﴿مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ تعني كفره وظلمه، وقيل: مضاجعته لها وهذا ضعيف.

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يعني الفرج الذي هو الجارحة وإحصانها له هو صيانتها وعفتها عن كل مكروه. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ عبارة عن نفخ جبريل في فرجها فخلق الله فيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه وفي ذلك تشريف له. ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكِتَٰبِهِۦ﴾ كلمات ربها يحتمل أن يريد بها الكتب التي أنزل الله أو كلامه مع الملائكة وغيرهم وكتابه بالإفراد يحتمل أن يريد به التوراة أو الإنجيل أو جنس الكتب، وقرئ[1] بالجمع يعني كتب الله. ﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي من العابدين.

فإن قيل: لم قال: ﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ بجمع المذكر وهي أنثى؟ فالجواب: أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء فغلب الذكور.

*** *** ***

(١) ﴿وكتبه﴾ قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم وخارجة عن نافع ﴿وكتبه﴾ جماعة، وقرأ ابن كثير وابن عامر وغير خارجة عن نافع وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي ﴿وكتبه﴾ واحدا. السبعة لابن مجاهد، ص: ٦٤١.

سُورَةُ المُلْك — آياتها ٣٠ — ترتيبها ٦٧

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حزب
تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ
٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ
فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ
إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا
بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥
وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦ إِذَآ أُلۡقُواْ
فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ
كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ
بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي
ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢

سورة الملك

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه، وأنه عليه الصلاة والسلام قال: «إنها تنجي من عذاب القبر»[(١)].

﴿تَبَٰرَكَ﴾ فعل مشتق من البركة، وقيل: معناه تعاظم، وهو مختص بالله تعالى، ولم ينطق له بمضارع. ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ يعني ملك السموات والأرض والدنيا والآخرة، وقيل: يعني ملك الملوك في الدنيا، فهو كقوله: ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ والأول أعم وأعظم.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ يعني موت الخلق وحياتهم، وقيل: الموت الدنيا؛ لأن أهلها يموتون والحياة الآخرة لأنها باقية، فهو كقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ﴾ وهو على هذا وصف بالمصدر، والأول أظهر. ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ أي ليختبركم واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم، وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه، والمعنى: ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم. ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ روي: أن رسول الله ﷺ قرأها فقال[(٢)]: أيكم أحسن عملا، وأشدكم لله خوفا، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله.

---

(١) قال ابن عطية: رواه جماعة مرفوعا إلى جابر بن عبد الله، ويروى عنه أنه قال: «انها لتنجي من عذاب القبر وتجادل عن حافظها حتى لا يعذب» المحرر الوجيز: ٥/٣١٠.

(٢) المصدر السابق.

﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ أي بعضها فوق بعض، والطباق مصدر وصفت به السموات، أو على حذف مضاف تقديره: ذوات طباق. وقيل: إنه جمع طبقة. ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ أي من قلة تناسب وخروج عن الإتقان، والمعنى: أن خلقة السموات في غاية الإتقان، وقيل: أراد خلقة جميع المخلوقات، ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات أظهر لورودها بعد قوله: ﴿خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ فكأن قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ بيان وتكميل ما قبله والخطاب في قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ﴾ وارجع البصر وما بعده للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب ليعتبر. ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ الفطور: الشقوق جمع فطر وهو الشق، وإرجاع البصر: ترديده في النظر، ومعنى الآية: الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل، بل هي ملتئمة مستوية.

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ أي انظر نظرا بعد نظر للتثبت والتحقق، وقال الزمخشري: معنى التثنية في كرتين التكثير لا مرتين خاصة، كقولهم: لبيك فإن معناه إجابات كثيرة. ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ الخاسئ هو المبعد عن الشيء الذي طلبه، والحسير: هو الكليل الذي أدركه التعب، فمعنى الآية: أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقا أو خللا رجع بصرك ولم تر شيئا من ذلك، فكأنه خاسئ؛ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل، وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل.

﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ السماء الدنيا هي القريبة منا، والمصابيح يراد بها النجوم، فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال وإن كانت في غيرها من السموات فقد زينت السماء الدنيا لأنها ظاهرة فيها لنا، ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها، على

أن القول بموضع الكواكب وفي أي سماء هي لم يرد في الشريعة. ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُوماً لِّلشَّيَـٰطِينِ﴾ أي جعلنا منها رجوما؛ لأن الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين، فهو كقولك: أكرمت بني فلان إذا أكرمت بعضهم، والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم به، قال الزمخشري(١): معنى كون النجوم رجوما للشياطين، والشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها لأنها ثابتة في الفلك، قال قتادة(٢): خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: زينة السماء، ورجوم الشياطين، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ يعني للشياطين.

﴿سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقاً﴾ الشهيق: أقبح ما يكون من صوت الحمار. ويعني به هنا ما يسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها، أو شهيق أهلها، والأول أظهر. ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ أي تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ أي تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض لشدة غيظها على الكفار، فيحتمل أن تكون هي المغتاظة بنفسها، ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية، والأول أظهر لأن حال الزبانية يذكر بعد هذا، وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها، أو يكون عبارة عن شدتها. ﴿كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي كلما ألقى في جهنم جماعة من الكفار سألتهم الزبانية هل جاءكم من نذير؟ أي رسول، وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم، ولذلك اعترفوا فقالوا بلى قد جاءنا نذير، وقوله: ﴿كُلَّمَا﴾ يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعة تلقى في النار.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفار، أو

(١) الكشاف: ٤/٥٨٢.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٣١٢.

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ
(١٥) ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ
(١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ
كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ (١٨) • أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي
هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي
غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي
الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦)

من قول الكفار للرسل في الدنيا.

﴿وَقَالُواْ﴾ الضمير للكفار أي لو كنا نسمع كلام الرسل ونعقل الصواب ما كنا في أصحاب السعير.

﴿فَاعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ﴾ اعترافهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف وذنبهم هنا يراد به تكذيب الرسل.

﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ السَّعِيرِ﴾ انتصب فسحقا بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه وهم غائبون عن الناس ففي ذلك وصف لهم بالإخلاص.

والآخر: أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها، على أن هذا القول إنما يحسن في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ المعنى سواء جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شيء لأن الخالق يعلم مخلوقاته، ويحتمل أن يكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ فاعلا يراد به الخالق والمفعول محذوف تقديره: ألا يعلم الخالق خلقه؟ أو يكون من خلق مفعولا والفاعل مضمر تقديره: ألا يعلم الله من خلق؟ والأول أرجح؛ لأن من خلق إذا كان مفعولا اختص بمن يعقل، والمعنى الأول: يعم من يعقل ومن لا يعقل.

﴿الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ فعول هنا بمعنى مفعول، أي مذلولة فهي كركوب وحلوب

﴿فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ قال ابن عباس[1]: هي الجبال، وقيل: الجوانب والنواحي، وقيل: الطرق، والمعنى: تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض، فاستعار لها الذل والمناكب تشبيها بالدواب. ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ يعني البعث يوم القيامة.

﴿ءَأَمِنتُم﴾ الآية: مقصودها التهديد والتخويف للكفار، وكذلك الآية التي بعدها. ﴿تَمُورُ﴾ ذكر في الطور.

﴿حَاصِباً﴾ يحتمل أن يريد حجارة أو ريحا شديدة. ﴿نَذِيرِ﴾ بمعنى الإنذار، وكذلك النكير بمعنى الإنكار.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ﴾ تنبيه على الاعتبار بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها، وصافات جمع صافة وهي التي تبسط جناحها للطيران، والقبض ضم الجناحين إلى الجنب، وعطف يقبض على صافات لأن الفعل في معنى الاسم تقديره: قابضات، فإن قيل: لم لم يقل قابضات على طريقة صافات؟ فالجواب: أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران كما أن مد الأطراف هو الأصل في السباحة، فذكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطائر قليلا للاستراحة والاستعانة، فذكر بلفظ الفعل لقلته.

﴿أَمَّنْ هَـٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم ودخلت أم التي يراد بها الإنكار على من فأدغمت فيها، وكذلك أمن هذا الذي يرزقكم، والضمير في أمسك لله أي من يرزقكم إن منع الله رزقه.

﴿بَل لَّجُّواْ﴾ أي تمادوا في العتو والنفور عن الإيمان.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ الآية توقيف على الحالتين أيهما أهدى

---

١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٣/٥١٢.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ
رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ
ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ
أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ
ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ
﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ
﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا
تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ
كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ
مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ
وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

والمراد بها توبيخ الكفار، وفي معناها قولان:

أحدهما: أن المشي هنا استعارة في سلوك طريق الهدى والضلال في الدنيا.

والآخر: أنه حقيقة في المشي في الآخرة لأن الكافر يحمل على المشي إلى جهنم على وجهه، فأما على القول الأول، فقيل: إن الذي يمشي مكبا أبو جهل والذي يمشي سويا سيدنا محمد ﷺ، وقيل: حمزة، وقيل: هي على العموم في كل مؤمن وكافر، وقد تمشي هذه الأقوال أيضا على الثاني، والمكب هو الذي يقع على وجهه، يقال: أكب الرجل وكبه غيره فالمعدى دون همزة، والقاصر بالهمزة بخلاف سائر الأفعال.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ الضمير للكفار والوعد يراد به البعث أو عذابهم في الدنيا.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ ضمير الفاعل للكفار وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمنه الوعد. ﴿زُلْفَةً﴾ أي قريبا، وقيل: عيانا. ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي ظهر فيها السوء لما حل بها. ﴿وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ تفتعلون من الدعاء أي تطلبون وتستعجلون به، والقائلون لذلك الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ﴾ الآية سببها[1] أن الكفار كانوا يتمنون هلاك

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز دون أن يذكر أنه سبب للنزول ٥/٣١٦.

النبي ﷺ والمسلمين فأمره الله أن يقول لهم إن أهلكني الله وأهلك من معي أو رحمنا فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال، والهلاك هنا يحتمل أن يراد به الموت أو غيره ومعنى من يجير الكافرين من عذاب أليم من يمنعهم من العذاب.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الآية احتجاج على المشركين والغور مصدر وصف به فهو بمعنى غائر، أي ذاهب في الأرض، والمعين الكثير، واختلف: هل وزنه فعيل أو مفعول؟ فالمعنى: إن غار ماؤكم الذي تشربون هل يأتيكم غير الله بماء معين؟.

❊❊ ❊❊ ❊❊

سورة القلم

﴿نٓ﴾ حرف من حروف الهجاء، وقد تقدم الكلام عليها في البقرة، ويختص ن بأنه قيل: إنه حرف من الرحمن، فإن حروف الرحمن ألف ولام وراء وحاء وميم ون، وقيل: إن (ن) هنا يراد به الحوت، وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع، وهذا لا يصح، على أن نون بمعنى الحوت معروف في اللغة، ومنه ذو النون، وقيل: إن (ن) هنا يراد به الدواة وهذا غير معروف في اللغة، ويبطل قول من قال إنه الحوت أو الدواة بأنه لو كان كذلك لكان معربا بالرفع أو النصب أو الخفض، ولكان في آخره تنوين، فكونه موقوفا دليل على أنه حرف هجاء، نحو ألم وغيره من حروف الهجاء الموقوفة. ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ اختلف فيه على قولين:

أحدهما: أنه القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ، فالضمير في يسطرون للملائكة.

والآخر: أنه القلم المعروف عند الناس أقسم الله به لما فيه من المنافع والحكم والضمير في يسطرون على هذا لبني آدم.

﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم وهو خطاب لمحمد ﷺ، معناه نفي نسبة الكفار له من الجنون، وبنعمة ربك اعتراض بين ما وخبرها، كما تقول: أنت بحول الله أفضل، والمجرور في موضع الحال وقال الزمخشري[1] إن العامل فيه بمجنون.

﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ذكر في فصلت.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا ثناء على خلق رسول الله ﷺ، قالت

(١) الكشاف: ٤/٥٨٧.

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(١)]: «كان خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن» تعني التأدب بآدابه وامتثال أوامره، وعبر ابن عباس[(٢)] عن الخلق بالدين والشرع، وذلك رأس الخلق. وتفصيل ذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع كل فضيلة وحاز كل خصلة جميلة، فمن ذلك: شرف النسب، ووفور العقل، وصحة الفهم، وكثرة العلم، وشدة الحياء، وكثرة العبادة، والسخاء، والصدق، والشجاعة، والصبر، والشكر، والمروءة، والتودد، والاقتصاد، والزهد، والتواضع، والشفقة، والعدل، والعفو، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، وحسن المعاشرة، وحسن التدبير، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس، وحسن الصورة، وغير ذلك حسبما ورد في أخباره وسيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[(٣)] وقال الجنيد: سمى خلقه عظيما؛ لأنه لم تكن له همة سوى الله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ قيل: إن المفتون هنا بمعنى المجنون، ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة، والخطاب في قوله: فستبصر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي قوله: ويبصرون لكفار قريش، واختلف في الباء في قوله بأيكم على أربعة أقوال:

---

(١) عن سعد بن هشام، قال: سألت عائشة فقلت: أخبريني عن خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: «كان خلقه القرآن». المسند الحديث رقم: (٢٥٣٤١) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وقال الطحاوي: عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: «كان خلقه القرآن يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه». الحديث رقم: (٣٧٩٢).

(٢) أخرج الطبري في جامع البيان: ٥٢٩/٢٣ قال حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ يقول: دين عظيم.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، الحديث رقم: (٤٢٢١)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. والبيهقي في السنن الكبرى. الحديث رقم: (٢١٣٠١)، والبغوي في شرح السنة، بلفظ: «وَذَكَرَ مَالِكٌ: أَنَّهُ بَلَغَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ» ٣٨٩/٦.

الأول: أنها زائدة.

الثاني: أنها غير زائدة، والمعنى: بأيكم الفتنة فأوقع المفتون موقع الفتنة كقولهم: ماله معقول، أي عقل.

الثالث: أن الباء بمعنى في، والمعنى: في أي فريق منكم المفتون، واستحسن ابن عطية[١] هذا.

الرابع: أن المعنى بأيكم فتنة المفتون، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ المداهنة هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي وروي: أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك، فنزلت الآية، ولم ينتصب فيدهنون في جواب التمني بل رفعه بالعطف على تدهن قاله ابن عطية[٢] وقال الزمخشري[٣] هو خبر مبتدإ محذوف تقديره: فهم يدهنون.

﴿حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل. ﴿مَّهِينٍ﴾ هو الضعيف الرأي والعقل قال ابن عطية[٤]: هو من مهن إذا ضعف، فالميم فاء الفعل، وقال الزمخشري[٥] هو من المهانة وهي الذلة والحقارة وقال ابن عباس[٦]: المهين الكذاب.

﴿هَمَّازٍ﴾ هو الذي يعيب الناس ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ أي كثير المشي بالنميمة

---

(١) انظر المحرر الوجيز: ٥/٣١٩.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٣١٩.

(٣) الكشاف: ٤/٥٩١.

(٤) المحرر الوجيز: ٥/٣١٩.

(٥) الكشاف: ٤/٥٩١.

(٦) لم أجده مسندا، قال ابن الجوزي في زاد المسير: وروى العوفي عن ابن عباس قال: المهين الكذاب. ٨/٣٣١. وانظر المحرر الوجيز: ٥/٣١٩، والجواهر الحسان للثعلبي: ٤/٣٢٦، وابن كثير: ٨/١٩١.

يقال نميم ونميمة بمعنى واحد قال رسول الله ﷺ[1]: «لا يدخل الجنة نمام».

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي شحيح؛ لأن الخير هنا هو المال، وقيل: معناه مناع من الخير، أي يمنع الناس من الإسلام والعمل الصالح ﴿مُعْتَدٍ﴾ هو من العدوان وهو الظلم ﴿أَثِيمٍ﴾ من الإثم وهو ارتكاب المحرمات.

﴿عُتُلٍّ﴾ أي غليظ الجسم قاسي القلب بعيد الفهم كثير الجهل. ﴿زَنِيمٍ﴾ أي ولد زنا، وقيل: هو الذي في عنقه زنمة كزنمة الشاة التي تعلق في حلقها. وقيل: معناه مريب قبيح الأفعال. وقيل: ظلوم، وقيل: لئيم وقوله: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد ما ذكرنا من عيوبه، فهذا الترتيب في الوصف لا في الزمان، واختلف في الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة، فقيل: لم يقصد بها شخص معين، بل كل من اتصف بها. وقيل: المقصود بها: الوليد بن المغيرة؛ لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين وكذلك كان، وقيل: أبو جهل، وقيل: الأخنس بن شريق، ويؤيد هذا أنه كانت له زنمة في عنقه، قال ابن عباس[2]: عرفناه بزنمته، وكان أيضا من ثقيف ويعد في بني زهرة، فيصح وصفه بزنيم على القولين، وقيل: الأسود بن عبد يغوث.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ في موضع مفعول من أجله يتعلق بقوله لا تطع أي لا تطعه بسبب كثرة ماله وبنيه، ويجوز أن يتعلق بما بعده، والمعنى على هذا: أنه قال في القرآن أساطير الأولين لأنه ذو مال وبنين يتكبر بماله وبنيه، والعامل في أن كان على هذا فعل من المعنى، ولا يجوز أن يعمل فيه: قال، الذي هو جواب إذا؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، والأول أظهر وقد تقدم معنى أساطير الأولين.

---

(١) في صحيح البخاري عن حذيفة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات» الحديث رقم: (٥٧٠٩)، ومسلم الحديث رقم: (٣٠٤)، والقتات النمام.

(٢) لم أجده.

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ
أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ ربع
مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ
﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ
يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ
قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ
أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ
﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾
عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ
وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ
﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ
أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ أصل الخرطوم أنف السبع، ثم استعير للإنسان استخفافا به وتقبيحا له، والمعنى: نجعل له سمة وهي العلامة على خرطومه، واختلف في هذه السمة، قيل: هي الضربة بالسيف يوم بدر، وقيل: علامة من نار تجعل على أنفه في جهنم، وقيل: علامة تجعل على أنفه يوم القيامة ليعرف بها.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي بلونا قريشا كما بلونا أصحاب الجنة، وكانوا إخوة من بني إسرائيل لهم جنة، روي: أنها بمقربة من صنعاء، فحلفوا أن لا يعطوا مسكينا منها شيئا، وباتوا عازمين على ذلك، فأرسل الله على جنتهم طائفا من نار فأحرقتها، فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم أخطؤوا الطريق، ثم تبينوها فعرفوها وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما قالوا فندموا وتابوا إلى الله، ووجه تشبيه قريش بأصحاب الجنة أن الله أنعم على قريش ببعث محمد ﷺ، كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك، فعاقبهم الله كما عاقبهم، وقيل: شبه قريشا لما أصابهم الجوع بشدة القحط حين دعا عليهم رسول الله ﷺ[1] بأصحاب الجنة لما هلكت جنتهم. ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا

---

(١) يشير إلى ما في صحيح البخاري... عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة يقول: (اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم: أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف) الحديث رقم: (٩٦١)،=

مُصْبِحِينَ﴾ أي حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح، وكانت الغلة ثمرا.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: لم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا ليصرمنها.

والآخر: لا يستثنون شيئا من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم.

والثالث: لا يتوقفون في رأيهم ولا ينتهوا عنه أي لا يرجعون عنه.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ﴾ قال الفراء: الطائف الأمر الذي يأتي بالليل.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أصبحت كالليل لأنها اسودت لما أصابها، والصريم في اللغة الليل.

الثاني: أصبحت كالنهار لأنها ابيضت كالحصيد، ويقال صريم الليل والنهار.

الثالث: أن الصريم الرماد الأسود بلغة بعض العرب.

الرابع: أصبحت كالمصرومة أي المقطوعة.

﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ﴾ أي نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا، وقال بعضهم لبعض: ﴿اغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي جنتكم. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ أي حاصدين لثمرتها.

﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ يكلم بعضهم بعضا في السر ويقولون: ﴿لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ وأن في قوله: أن اغدوا، وأن لا يدخلنها حرف عبارة وتفسير ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ في الحرد أربعة أقوال:

الأول: أنه المنع.

الثاني: أنه القصد.

= وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (٦٢١)، والمسند الحديث رقم: (٩٤٠٣).

الثالث: أنه الغضب.

الرابع: أن الحرد اسم للجنة. و﴿قَٰدِرِينَ﴾ يحتمل أن يكون من القدرة أي قادرين في زعمهم، أو من التقدير بمعنى التضييق، أي ضيقوا على المساكين.

﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي أخطأنا طريق الجنة، قالوا ذلك لما لم يعرفوها، فلما عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي حرمنا الله خيرها.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي خيرهم وأفضلهم، ومنه: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي خيارا. ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي تقولون: سبحان الله، وقيل: هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه، وقيل: أراد الاستثناء في اليمين، كقولهم: إن شاء الله، والأول أظهر لقولهم بعد ذلك: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَا﴾ والمعنى: أن هذا الذي هو أفضلهم كان قد حضهم على التسبيح.

﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾ أي يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين، أو على غفلتهم عن التسبيح بدليل قوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾ يحمل أنهم طلبوا البدل في الدنيا أو في الآخرة، والأول أرجح؛ لأنه روي عن ابن مسعود[1] أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودا.

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي مثل هذا العذاب الذي ينزل بأهل الجنة ينزل بقريش.

(١) قال القرطبي: وقال ابن مسعود: إن القوم أخلصوا وعرف الله منهم صدقهم، فأبدلهم جنة يقال لها: الحيوان، فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا. الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٥/١٨، وتفسير الثعلبي: ٢٣٤٨/١، واللباب: ٢٩٣/١٩.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الهمزة للإنكار أي كيف يسوي الله بين المسلمين والمجرمين؟ بل يجازي كل أحد بعمله، والمراد بالمجرمين هنا الكفار.

﴿مَا لَكُمْ﴾ توبيخ للكفار، وما مبتدأ ولكم خبره، وتم الكلام هنا، فينبغي أن يوقف عليه. ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ توبيخ آخر، أي كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم؟.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ هذه الجملة معمول تدرسون، وكان أصل إن الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها، وتخيرون معناه تختارون لأنفسكم، ومعنى الآية: هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم؟.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ المعنى: هل حلفنا لكم أيمانا أن لكم ما تحكمون؟ ومعنى بالغة: ثابتة واصلة إلى يوم القيامة، وقوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ هو جواب القسم الذي يقتضيه الأيمان، ولذلك أكده بإن واللام وما تحكمون هو اسم إن دخلت عليه اللام المؤكدة.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي يا محمد اسأل قريشا أيهم زعيم بهذه الأمور؟ والزعيم هو الضامن للأمر القائم به.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ هذا تعجيز للكفار، ومعناه إن كان لكم شركاء يقدرون على شيء فأتوا بهم، واختلف: هل قوله فليأتوا بهم في الدنيا أي أحضروهم حتى يرى حالهم، أو يقال لهم ذلك يوم القيامة؟ والشركاء هم المعبودون من الأصنام وغيرها، وقال الزمخشري[1]: معناه أم لكم ناس يشاركونكم في هذا القول ويوافقونكم عليه فأتوا بهم؟ يعني: أنهم لا يوافقهم أحد عليه، والأول أظهر.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال المتأولون: ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينادي مناد يوم

---

(١) الكشاف: ٤/٥٩٧.

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ
سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ
مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ
تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ
مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا
سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

ترتيبها ٦٩ — سُورَةُ الحَاقَّة — آياتها ٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ
ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٣﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٤﴾
وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٥﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ
أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٦﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٧﴾

القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع القمر من كان يعبد القمر، ويتبع كل أحد ما كان يعبد، ثم تبقى هذه الأمة وغبرات من أهل الكتاب معهم منافقوهم، فيقال لهم: ما شأنكم؟ فيقولون: ننتظر ربنا، قال: فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، قال: فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربنا، ويخرون للسجود، فيسجد كل مؤمن، وترجع أصلاب المنافقين عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا»[1] وتأويل الحديث كتأويل الآية. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ تفسيره في الحديث الذي ذكرنا فإن قيل: كيف يدعون في الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف؟ فالجواب: أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود في الدنيا لا على وجه التكليف والعبادة.

﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ أي قد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود فيمتنعون منه وهم سالمون في أعضائهم قادرون عليه.

﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ تهديد للمكذبين بالقرآن وإعراب من يكذب مفعول معه أو معطوف، وقد ذكرنا في الأعراف سنستدرجهم وما بعده.

---

(١) في الصحيحين بألفاظ قريبة من هذه البخاري الحديث رقم: (٧٠٠٠)، ومسلم الحديث رقم: (٤٦٩).

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ معناه أنت لا تسألهم أجرة على الإسلام فتثقل عليهم فلا عذر لهم في تركهم الإسلام وقد فسرنا هذا وما بعده في الطور.

﴿فَاصْبِرْ﴾ يقتضي مسالمة للكفار نسخت بالسيف. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ هو يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسماه صاحب الحوت لأن الحوت ابتلعه، وهو أيضا ذو النون، والنون هو الحوت، وقد ذكرنا قصته في الأنبياء والصافات، فنهى الله محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون مثله في الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبا، وروي: أن هذه الآية نزلت لما هم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو على الكفار. ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ هذا آخر ما جرى ليونس ونداؤه هو قوله في بطن الحوت: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ والمكظوم: الشديد الحزن.

﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ هو جواب لولا والمنفي هو الذم لا نبذه بالعراء، فإنه قد قال في الصافات: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ فالمعنى: لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم، لكنه نبذ وهو غير مذموم، وقد ذكرنا العراء في الصافات.

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ عبارة عن شدة عداوتهم، وإن مخففة من الثقيلة بدليل دخول اللام، وليزلقونك معناه يهلكونك، كقولك: نظر فلان إلى عدوه نظرة كاد يصرعه، وأصله من زلق القدم، وقرئ[1] بفتح الياء وضمها وهما لغتان، وقيل: إن المعنى يأخذونه بالعين وكان ذلك في بني أسد، كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شيء إلا أصابه بالعين، فأراد بعضهم أن يصيب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعصمه الله من ذلك، وقال الحسن[2]: دواء من أصيب بالعين قراءة هذه الآية.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعني القرآن، أي هو موعظة وتذكير للخلق.

---

(١) ﴿ليزلقونك﴾ قرأ المدنيان بفتح الياء، وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٢/٤٢٩.

(٢) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز: ٥/٣٢٨.

سورة الحاقة

﴿الْحَاقَّةُ﴾ هي القيامة ووزنها فاعلة وسميت الحاقة لأنها تحق أي يصح وجودها ولا ريب في وقوعها، ولأنها حقت لكل أحد جزاء عمله، أو لأنها تبدئ حقائق الأمور. ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ ما استفهامية يراد بها التعظيم وهي مبتدأ وخبرها ما بعده والجملة خبر الحاقة وكان الأصل الحاقة ما هي؟ ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التعظيم والتهويل، وكذلك وما أدراك ما الحاقة لفظه استفهام والمراد به التعظيم والتهويل.

﴿بِالْقَارِعَةِ﴾ هي القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ يعني الصيحة التي أخذت ثمود وسميت بذلك لأنها جاوزت الحد في الشدة وقيل: الطاغية مصدر فكأنه قال: أهلكوا بطغيانهم فهو كقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾، وقيل: هي صفة لمحذوف تقديره: أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية، أو الفئة الطاغية، والباء على هذين القولين سببية، وعلى القول الأول كقولك: قتلت زيدا بالسيف.

﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ذكر في فصلت، وعاتية أي شديدة وسميت بذلك لأنها عتت على عاد، وقيل: عتت على خزانها فخرجت بغير إذنهم.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ روي: أنها بدت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر. ﴿حُسُومًا﴾ قال ابن عباس[١]: معناه كاملة متتابعة لم يتخللها غير ذلك، وقيل: معناه شؤما، وقيل: هو جمع حاسم من الحسم وهو القطع، أي قطعتهم بالإهلاك، فحسوما على القول الأول والثاني مصدر في موضع الحال، وعلى الثالث حال أو مفعول من أجله.

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٢٩.

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى
ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا
نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا
دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ
يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ
يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا
مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ
أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ
﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ
﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى
مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ
صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ
لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ جمع صريع وهو المطروح بالأرض، والضمير المجرور يعود على منازلهم؛ لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها، أو على الأيام والليالي أو على الريح. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ تقدم في القمر معنى تشبيههم بأعجاز النخل والخاوية هي التي خلت من طول بلائها وفسادها.

﴿مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ أي من بقية، وقيل: من فئة باقية، وقيل: إنه مصدر بمعنى البقاء.

﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ يريد من تقدم قبله من الأمم الكافرة، وأقربهم إليه قوم شعيب، والظاهر أنهم المراد؛ لأن عادا وثمودًا قد ذكرا، وقوم لوط هم المؤتفكات، وقوم نوح قد أشير إليهم في قوله: ﴿لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ وقرئ بكسر القاف[1] وفتح الباء ومعناه جنده وأتباعه. ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ إما أن يكون مصدرا بمعنى الخطيئة، أو صفة لمحذوف تقديره بالفعلة الخاطئة.

﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ إن عاد الضمير على فرعون وقومه فالرسول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإن عاد على المؤتفكات فالرسول لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإن عاد على الجميع فالرسول اسم جنس أو بمعنى الرسالة. ﴿رَّابِيَةً﴾ أي عظيمة وهي من قولك: ربا الشيء إذا كثر.

---

(١) ﴿قبله﴾ قرأ البصريان والكسائي بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقون بفتح القاف وإسكان الباء. النشر: ٢/٤٢٩.

﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ عبارة عن كثرته فيحتمل أن يريد أنه طغى على أهل الأرض أو على خزانه يعني وقت طوفان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ هي السفينة فإن أراد سفينة نوح فمعنى حملناكم حملنا آباءكم؛ لأن كل من على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في السفينة، وإن أراد جنس السفن فالخطاب على حقيقته.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ الضمير للفعلة وهي الحمل في السفينة، وقيل: للسفينة فإن أراد جنس السفن، فالمعنى: أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركب أو سمع بها، وإن أراد سفينة نوح فقد قيل إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيدانها أول هذه الأمة. ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير لنجعلها، وهذا يقوى أن يكون للفعلة، والأذن الواعية هي التي تفهم ما تسمع وتحفظه يقال وعيت العلم إذا حصلته، ولذلك عبر بعضهم عنها بأنها التي عقلت عن الله، وروي[١]: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعلي بن أبي طالب: «إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا علي، قال علي: فما نسيت بعد ذلك شيئا سمعته»، قال الزمخشري[٢]: إنما قال أذن واعية بالتوحيد والتنكير للدلالة على قلة الوعاة ولتوبيخ الناس بقلة من بقى منهم وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله تعالى فهي المعتبرة عند الله دون غيرها.

﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ يعني نفخة الصور وهي الأولى.

﴿فَدُكَّتَا﴾ الضمير للأرض والجبال ومعنى دكتا ضرب بعضها ببعض حتى تندق وقال الزمخشري[٣] الدك أبلغ من الدق، وقيل: معناه بسطت حتى تستوي الأرض والجبال.

---

(١) المحرر الوجيز: ٤/٣٣٠.

(٢) الكشاف: ٤/٤٠٦.

(٣) المصدر السابق.

﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي قامت القيامة، وقيل: وقعت صخرة بيت المقدس، وهذا ضعيف.

﴿وَاهِيَةٌ﴾ أي مسترخية ساقطة القوة، ومنه قولهم: دار واهية أي ضعيفة الجدران.

﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَآئِهَآ﴾ الملك هنا اسم جنس، والأرجاء الجوانب واحدها رجا مقصور والضمير يعود على السماء، والمعنى: أن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء؛ لأنها إذا وهيت وقفوا على أطرافها، وقيل: يعود على الأرض لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها، وروي: في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفا على جوانب الأرض، والأول أظهر وأشهر. ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ قال ابن عباس[1] هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدتهم، وقيل: ثمانية أملاك رؤوسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة ويؤيد هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة قواهم الله بأربعة سواهم»[2].

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ خطاب لجميع العالم والعرض البعث أو الحساب. ﴿خَافِيَةٌ﴾ أي حال خافية من الأعمال والسرائر، ويحتمل المعنى لا يخفى من أجسادهم لأنهم يحشرون حفاة عراة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الكتاب هنا صحائف الأعمال. ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ﴾ هاؤم اسم فعل قال ابن عطية[3] معناه تعالوا، وقال الزمخشري: هو صوت يفهم منه معنى خذوا ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ مفعول يطلبه هاؤم واقرؤوا من ضمير

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٣/٥٨٣، وتفسير ابن كثير: ٨/٢١٢.

(٢) الكشاف: ٤/١٥٢.

(٣) المحرر الوجيز: ٥/٣٣٢.

المعنى تقديره هاؤم كتاب اقرؤوا كتابي ثم حذف لدلالة الآخر عليه وعمل فيه العامل الثاني وهو اقرؤوا عند البصريين، والعامل الأول هو هاؤم عند الكوفيين، والدليل على صحة قول البصريين أنه لو عمل الأول لقال اقرؤوه والهاء في كتابيه للوقف، وكذلك في حسابيه، وماليه، وسلطانيه، وكان الأصل أن تسقط في الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف، وقد أسقطها في الوصل بعضهم[1]، ومعنى الآية أن العبد الذي يعطى كتابه بيمينه يقول للناس اقرؤوا كتابيه على وجه الاستبشار والسرور بكتابه.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين.

﴿رَّاضِيَةٍ﴾ أي ذات رضا كقولهم: تامر لصاحب التمر، قال ابن عطية: ليست بياء اسم فاعل، وقال الزمخشري: يجوز أن يكون اسم فاعل نسب الفعل إليها مجازا، وهو لصاحبها حقيقة.

﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قطف وهو ما يجتني من الثمار ويقطف كالعنقود. ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي قريبة، وروي: أن العبد يأخذها بفمه من شجرها على أي حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع.

﴿أَسْلَفْتُمْ﴾ أي قدمتم من الأعمال الصالحة. ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي الماضية يعني أيام الدنيا، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ هم الكفار بدليل قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ فجعل علة إعطائهم كتبهم بشمالهم عدم إيمانهم، وأما المؤمنون فيعطون كتبهم بأيمانهم، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم: هل يعطى كتابه قبل دخول النار أو بعد خروجه منها؟ وهذا أرجح لقوله: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا

(١) قال الزمخشري: وقرأ ابن محيصن بإسكان الياء بغير هاء. الكشاف: ٤/٦٠٦، وقال ابن عطية: وطرح الهاءات في الوصل لا في الوقف الأعمش وابن أبي إسحاق، قال أبو حاتم: قراءتنا إثبات في الوقف وطرح في الوصل وبذلك قرأ ابن محيصن وسلام وقال الزهراوي: في إثبات الهاء في الوصل لحن لا يجوز عند أحد علمته. المحرر الوجيز: ٥/٣٣٢، وهذه الدعوى تحتاج إلى إثبات فلا يمكن رد القراآت المتواترة بهذه السهولة.

﴿كِتَٰبِيَهْ﴾؛ لأن هذا كلام سرور فيبعد أن يقوله من يحمل إلى النار.

﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ أي يتمنى أنه لم يعط كتابه، وقال ابن عطية[١]: يتمنى أن يكون معدوما لا يجري عليه شيء، والأول أظهر.

﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ أي ليت الموتة الأولى كانت القاضية بحيث لا يكون بعدها بعث ولا إحياء.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ يحتمل أن يكون نفيا أو استفهاما يراد به النفي.

﴿هَّلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ أي زال عني ملكي وقدرتي وقيل ذهبت عني حجتي.

﴿خُذُوهُ﴾ خطاب للزبانية يقوله لهم الله تعالى أو الملائكة بأمر الله. ﴿فَغُلُّوهُ﴾ أي اجعلوا غلاً في عنقه، وروى أنها نزلت في أبي جهل.

﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً﴾ معنى ذرعها أي طولها. واختلف في هذا الذراع فقيل أنه الذراع المعروف وقيل بذراع الملك، وقيل: في الذراع سبعون باعا كل باع ما بين مكة والكوفة، ولله در الحسن البصري[٢] في قوله: الله أعلم بأي ذراع هي، وجعلها سبعين ذراعا لإرادة وصفها بالطول، فإن السبعين من الأعداد التي تقصد بها العرب التكثير، ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل النار، أو تكون بين جميعهم وقد حكى الثعالبي ذلك. ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أي أدخلوه، وروي: أن هذه السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج من دبره، فاسلكوه على هذا من المقلوب في المعنى: كقولهم أدخلت القلنسوة في رأسي، وروي: أنها تلتوي عليه حتى تعمه وتضغطه، فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها، وإنما قدم قوله في سلسلة على اسلكوه لإرادة الحصر، أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، وكذلك

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٣٣.

(٢) المصدر السابق.

قدم الحميم على صلوه لإرادة الحصر أيضا.

﴿طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ يحتمل أنه أراد إطعام مسكين فوضع الاسم موضع المضمر أو يقدر لا يحض على بذل طعام المسكين وأضاف الطعام إلى المسكين لأن له إليه نسبة ووصفه وبأنه لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه من باب أولى وهذه الآية تدل على عظم الصدقة وفضلها لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله.

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦)
لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ
(٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ربع
(٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣)
وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ
لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)

سُورَةُ الْمَعَارِجِ (مكية) (آياتها ٤٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ
ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ
مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ
يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ
(٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠)

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: ليس له صديق. والآخر: ليس له شراب.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ فإن الحميم الماء الحار، والغسلين: صديد أهل النار عند ابن عباس، وقيل: شجر يأكله أهل النار، وقال اللغويون: هو ما يجري من الجراح إذا غسلت، وهو فعلين من الغسل.

﴿الْخَاطِئُونَ﴾ جمع خاطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدا، والمخطئ الذي يفعله بغير تعمد.

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لا زائدة غير نافية. ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني جميع الأشياء لأنها تنقسم إلى ما يبصر وما لا يبصر كالدنيا والآخرة، والإنس والجن، والأجسام والأرواح، وغير ذلك.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جواب القسم والضمير للقرآن والرسول

الكريم جبريل، وقيل: لمحمد عليه الصلاة والسلام.

﴿قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عطية: يحتمل أن تكون ما نافية فنفي إيمانهم بالجملة، أو تكون مصدرية فوصف إيمانهم بالقلة، وقال الزمخشري: القلة هنا بمعنى العدم أي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ التقول هو أن ينسب إلى أحد ما لم يقل، ومعنى الآية: لو تقول علينا محمد لعاقبناه، ففي ذلك برهان على أن القرآن من عند الله.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ قال ابن عباس[1]: اليمين هنا القوة، ومعناه لو تقول علينا لأخذناه بقوتنا، وقيل: هي عبارة عن الهوان كما يقال لمن يسجن أخذ بيده وبيمينه، قال الزمخشري: معناه لو تقول علينا لقتلناه، ثم صور صورة القتل ليكون أهول، وعبر عن ذلك بقوله: لأخذنا منه باليمين؛ لأن السياف إذا أراد أن يضرب المقتول في جسده أخذ بيده اليمنى ليكون ذلك أشد عليه لنظره إلى السيف.

﴿الْوَتِينَ﴾ نياط القلب، وهو عرق إذا قطع مات صاحبه، فالمعنى: لقتلناه.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ الحاجز المانع، والمعنى: لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه، وإنما جمع حاجزين لأن أحد في معنى الجماعة.

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ﴾ الضمير للقرآن، وقيل: لمحمد ﷺ، والأول أظهر.

﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي حسرة عليهم في الآخرة لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين.

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ قال الكوفيون: هذا من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك: مسجد الجامع، وقال الزمخشري: المعنى عين اليقين ومحض اليقين، وقال ابن عطية: ذهب الحذاق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه.

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٣٥.

سورة المعارج

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ من قرأ سأل[١] بالهمز احتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون بمعنى الدعاء أي دعا داع بعذاب واقع، وقد تكون الإشارة إلى قول الكفار: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ﴾ وكان الذي قالها النضر بن الحرث.

والآخر: أن يكون بمعنى الاستخبار أي سأل سائل عن عذاب واقع والباء على هذا بمعنى عن، وتكون الإشارة إلى قوله: متى هذا الوعد وغير ذلك، وأما من قرأ سال بغير همز فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون مخففا من المهموز فيكون فيه المعنيان المذكوران.

والثاني: أن يكون من سال السيل إذا جرى، ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس[٢] «سال سيل» وتكون الباء على هذا كقولك: ذهبت بزيد وإذا كان من السيل احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون شبه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل.

وثانيهما: أن تكون حقيقة، قال زيد بن ثابت[٣] في جهنم واد يقال له سائل، فتلخص من هذا أن في القراءة بالهمز يحتمل معنيين وفي القراءة بغير همز أربعة معان.

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ يحتمل أن يتعلق بواقع وتكون اللام بمعنى على أو تكون صفة للعذاب أو يتعلق بسأل إذا كانت بمعنى دعا أي دعا للكافرين بعذاب أو تكون مستأنفا كأنه قال: هو للكافرين.

---

(١) ﴿سأل سائل﴾ قرأ المدنيان وابن عامر ﴿سال﴾ بالألف من غير همز وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة. النشر ٢/٤٣٢.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٦١١، والكشاف: ٤/٣٣٦.

(٣) المحرر الوجيز: ٥/٣٦٤.

﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يتعلق بواقع أي واقع من عند الله، أو بدافع، أي ليس له دافع من عند الله، أو يكون صفة للعذاب أو مستأنفا. ﴿ذِى الْمَعَارِجِ﴾ جمع معرج وهو المصعد إلي علو كالسلم والمدارج التي يرتقى بها، قال ابن عطية: هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة، وقيل: هي المراقي إلى السماء وهذا أظهر؛ لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة.

﴿وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى عرشه ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه، فالعروج هو من الأرض إلى العرش، والروح هنا جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بدليل قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ وقيل: الروح ملائكة حفظة على الملائكة، وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل، وقيل: الروح جنس أرواح الناس وغيرهم. ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ اختلف في هذا اليوم على قولين:

أحدهما: أنه يوم القيامة.

والآخر: أنه في الدنيا، والصحيح أنه يوم القيامة لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث مانع الزكاة: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد»**[1] يعني يوم القيامة ثم اختلف: هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة؟ وهذا هو الأظهر، أو هل وصف بذلك لشدة أهواله كما يقال يوم طويل إذا كان فيه مصائب وهموم، وإذا قلنا إنه في الدنيا، فالمعنى: أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة، وقيل:

(١) في صحيح مسلم قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِىَ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» الحديث رقم: (٢٣٣٧)، وشرح السنة للبغوي: ٣٨٦/١، والبيهقي الحديث رقم: (٧٢٠٩).

الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا، والملائكة تعرج وتنزل في هذه المدة وهذا كله على أن يكون قوله: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ يتعلق بتعرج، ويحتمل أن يكون في يوم صفة للعذاب، فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة، والمعنى على هذا مستقيم.

﴿فَاصْبِرْ﴾ هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره أي اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب ولذلك وصفه بالقرب مبالغة في تسلية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾ يحتمل أن يعود الضمير على العذاب أو على اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة، والبعيد يحتمل أن يراد به بعد الزمان أو بعد المكان، وكذلك القرب يحتمل أن يراد به قرب الزمان لأن كل آت قريب ولأن الساعة قد قربت، وقرب المكان لقدرة الله عليه.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ يوم هنا بدل من يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، أو بدل من الضمير المنصوب في نراه، أو منصوب بقوله: قريبا، أو بقوله: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ أو بفعل مضمر تقديره: اذكر والمهل هو دردي الزيت شبه السماء به في سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة، وقيل: هو ما أذيب من الفضة ونحوها شبه السماء به في تلونه.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ العهن هو الصوف شبه الجبال به في انتفاشه وتخلخل أجزائه، وقيل: هو الصوف المصبوغ ألوانا فيكون التشبيه في الانتفاش وفي اختلاف الألوان؛ لأن الجبال منها بيض وسود وحمر.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ الحميم هنا الصديق، والمعنى: لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إعانة، لعلمه أنه لا يقدر له على شيء، وقيل: لا يسأله عن حاله؛ لأن كل أحد مشغول بنفسه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يقال بصر الرجل بالرجل إذا رآه وبصرته إياه بالتشديد إذا أريته

يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه (١١)
وصاحبته وأخيه (١٢) وفصيلته التي تؤويه (١٣) ومن في الأرض
جميعا ثم ينجيه (١٤) كلا إنها لظى (١٥) نزاعة للشوى (١٦) تدعوا
من أدبر وتولى (١٧) وجمع فأوعى (١٨) ۞ إن الإنسان خلق هلوعا (١٩) إذا
مسه الشر جزوعا (٢٠) وإذا مسه الخير منوعا (٢١) إلا المصلين (٢٢) الذين
هم على صلاتهم دائمون (٢٣) والذين في أموالهم حق معلوم (٢٤)
للسائل والمحروم (٢٥) والذين يصدقون بيوم الدين (٢٦) والذين هم
من عذاب ربهم مشفقون (٢٧) إن عذاب ربهم غير مأمون (٢٨) والذين
هم لفروجهم حافظون (٢٩) إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم
فإنهم غير ملومين (٣٠) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون
(٣١) والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (٣٢) والذين هم
بشهاداتهم قائمون (٣٣) والذين هم على صلاتهم يحافظون (٣٤)
أولئك في جنات مكرمون (٣٥) فمال الذين كفروا قبلك مهطعين
(٣٦) عن اليمين وعن الشمال عزين (٣٧) أيطمع كل امرئ منهم أن
يدخل جنة نعيم (٣٨) كلا إنا خلقناهم مما يعلمون (٣٩)

إياه، والضميران يعودان على الحميمين؛ لأنهما في معنى الجمع، والمعنى: أن كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة فيراه ولكنه لا يسأله.

﴿وَصَاحِبَتِهِۦ﴾ يعني امرأته.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ يعني القرابة الأقربين.

﴿تُـْوِيهِ﴾ أي تضمه فيحتمل أن يريد تضمه في الانتماء إليها أو في نصرته وحفظه من المضرات.

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ الفاعل الافتداء الذي يقتضيه لو يفتدي وهذا الفعل معطوف على لو يفتدي وإنما عطفه بثم إشعارا ببعد النجاة وامتناعها، ولذلك زجره عن ذلك بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ الضمير للنار لأن العذاب يدل عليها ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفسره بالخبر ولظى علم لجهنم مشتق من اللظى بمعنى اللهب.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ الشوى أطراف الجسد، وقيل: جلد الرأس فالمعنى: أن النار تنزعها ثم تعود، ونزاعة بالرفع بدل من لظى أو خبر ابتداء مضمر أو خبر لـ (إنها) إن جعلنا لظى منصوبا على التخصيص أو بدل من الضمير أو خبر ثان لإنها إن جعلنا لظى خبر لها ونزاعة بالنصب حال.

﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يعني الكفار الذين تولوا عن الإسلام ودعاؤها لهم عبارة عن أخذها لهم، وقال ابن عباس[١] تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقيل: معناه تهلك حكاه الخليل عن العرب.

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٣٩.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ يقال أوعيت المال وغيره اذا جمعته في وعاء فالمعنى جمع المال وجعله في وعاء وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حله ومنعوه من حقه.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ الإنسان هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه، سئل أحمد بن يحيى ـ مؤلف الفصيح ـ عن الهلوع فقال قد فسره الله فلا تفسير أبين من تفسيره وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً﴾ وذكره الله على وجه الذم لهذا الخلق، ولذلك استثنى منه المصلين لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا، فلا يجزعون من شرها ولا يبخلون بخيرها.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ الدوام عليها هو المواظبة بطول العمر والمحافظة عليها المذكورة بعد ذلك هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها.

﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ قد ذكرنا في الذاريات معنى: حق، والسائل والمحروم، ووصفه هنا بالمعلوم إن أراد الزكاة فهي معلومة المقدار شرعا، وإن أراد غيرها فمعنى المعلوم: أن العبد يجعل على نفسه وظيفة معلومة عنده.

﴿غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي لا يكون أحد آمنا منه، فإن الأمن من عذاب الله حرام فلا ينبغي للعبد أن يزيل عنه الخوف حتى يدخل الجنة.

﴿لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ ذكر في المؤمنين وكذلك لفروجهم حافظون.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ قال ابن عباس[(١)]: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وقال الجمهور: يعني الشهادة عند الحكام، ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها، فقيل: هو التحقيق لها كقوله ﷺ: «على مثل الشمس فاشهدوا»[(٢)]

---

(١) لم أجده مسندا.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وفي معناه ما ذكره ابن حجر: وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ ـ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: «تَرَى ٱلشَّمْسَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ، أَوْ دَعْ» ـ أَخْرَجَهُ اِبْنُ عَدِيٍّ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ، وَصَحَّحَهُ ٱلْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ. بلوغ المرام الحديث رقم: (١٤٠٥).

وقيل: هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع، فأما إن دعي الشاهد إلى الأداء فهو واجب عليه، وأما إذا لم يدع إلى الأداء فالشهادة على ثلاثة أقسام:

أحدها: حقوق الناس فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك.

والثاني: حقوق الله التي يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس فيجب أداء الشهادة بذلك دعي أو لم يدع.

الثالث: حقوق الله التي لا يستدام فيها التحريم كالحدود فهذا ينبغي ستره حتى يدعى إليه.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أقبل أقبل الكفار ينظرون إليه ويستمعون قراءته، ومعنى ﴿قِبَلَكَ﴾ في جهتك وما يليك.

﴿عِزِينَ﴾ أي جماعات شتى وهو جمع عزة بتخفيف الزاي وأصله عزوة، وقيل: عزهة ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضا من اللام المحذوفة.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كانوا يقولون: إن كان ثم جنة فنحن أهلها.

﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة. ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ كناية عن المني الذي خلق الإنسان منه وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه:

أحدها: تحقير الإنسان والرد على المتكبرين كما قال بعضهم: إن الإنسان خلق من نطفة مذرة، ويصير جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة.

الثاني: الرد على الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة كأنه يقول: إنا خلقناكم مما خلقنا منه الناس فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح؛ لأنكم سواء في الخلقة.

۞ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصْبٍ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي
آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ
إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا
﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

الثالث: الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين فهو قادر على أن يعيدهم كقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ إلى آخر السورة.

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ معناه أقسم ولا زائدة. ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ ذكر في الصافات. ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ تهديد للكفار بإهلاكهم وإبدال خير منهم. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي مغلوبين، والمعنى: إنا لا نعجز عن التبديل المذكور أو عن البعث.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد لهم، وفيه مهادنة منسوخة بالسيف. ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة بدليل أنه أبدل منه.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور. ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصْبٍ يُوفِضُونَ﴾ النصب الأصنام وأصله كل ما نصب إلى الإنسان، فهو يقصد إليه مسرعا من علم أو بناء أو غير ذلك، وفيه لغات فتح النون وإسكان الصاد[1] وضم النون وإسكان الصاد وضمها و﴿يُوفِضُونَ﴾ معناه: يسرعون، والمعنى: أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر كما يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) ﴿نصب﴾ قرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد وقرأ الباقون بفتح النون وإسكان الصاد. النشر: ٢/٤٢١.

سورة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿أَنْ أَنذِرْ﴾ و﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ﴾ يحتمل أن تكون أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن أنذر وبأن اعبدوا، والأول أظهر. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد عذاب الآخرة أو الغرق الذي أصابهم.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ من هنا للتبعيض أي يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، ولم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم لأن ذلك في مشيئة الله تعالى، وقيل: إن من هنا زائدة وذلك باطل لأن من لا تزاد عند سيبويه إلا في غير الواجب، وقيل: هي لبيان الجنس، وقيل: لابتداء الغاية، وهذان القولان ضعيفان في المعنى، والأول هو الصحيح لأن التبعيض فيه متجه. ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ظاهر هذا يقتضي أنهم إن فعلوا ما أمروا به أخروا إلى أجل مسمى وإن لم يفعلوا لم يؤخروا، وذلك يقتضي القول بالأجلين وهو مذهب المعتزلة، وعلى هذا حملها الزمخشري[١]، وأما على مذهب أهل السنة فهي من المشكلات وتأولها ابن عطية[٢] فقال: ليس للمعتزلة في الآية مجال، لأن المعنى: أن نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل؟ ولا قال لهم: إنكم تؤخرون عن أجل قد حان، لكن قد سبق في الأزل أنهم إما ممن قضى له بالإيمان والتأخير، أو ممن قضى له بالكفر والمعاجلة.

---

(١) الكشاف: ٤/٦١٨.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٣٤٤، ولفظه: وليس لهم في الآية تعلق؛ لأن المعنى إن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل؟ ولا قال لهم: إنكم تؤخرون عن أجل قد حان لكم، لكن قد سبق في الأزل أنهم إما ممن قضى لهم بالإيمان والتأخير، وإما ممن قضى عليه بالكفر والمعاجلة، فكأن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لهم: آمنوا يبين لكم أنكم ممن قضى لهم بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم فسيبين لكم أنكم ممن قضى عليه بالكفر والمعاجلة، ثم تشدد هذا المعنى ولاح بقوله ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾.

وكأن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لهم: آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممن قضى له بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم على كفركم يظهر في الوجود أنكم ممن قضى عليه بالكفر والمعاجلة، فكان الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم، إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والمعاجلة، وأما عند الله فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم. ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ هذا يقتضي أن الأجل محتوم كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَا أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وفي هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذي ذكرنا، وفيه أيضا رد على المعتزلة في قولهم بالأجلين، ولما كان كذلك قال الزمخشري: إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا وتأول ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذي لا يؤخر هو الأجل الثاني، وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمرهم الله مثلا ألف عام، وإن لم يؤمنوا عمرهم تسعمائة عام، فالألف عام هي التي تؤخر إذا جاءت والتسعمائة عام هي التي وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا.

﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم فذكر المغفرة التي هي سبب عن الإيمان ليظهر قبح إعراضهم عنه فإنهم أعرضوا عن سعادتهم. ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَابِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ فعلوا ذلك لئلا يسمعوا كلامه، فيحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك ﴿وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ أي جعلوها غشاوة عليهم لئلا يسمعوا كلامه أو لئلا يراهم، ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إعراضهم. ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ أي داوموا على كفرهم.

﴿دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ إعراب جهارا مصدر من المعنى كقولك: قعد القرفصاء أو صفة لمصدر محذوف تقديره دعا جهارا أو مصدر في موضع الحال أي مجاهرا.

﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ذكر أولا: أنه دعاهم بالليل

يرسل السماء عليكم مدرارا (١١) ويمددكم بأموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا (١٢) ما لكم لا ترجون
لله وقارا (١٣) وقد خلقكم أطوارا (١٤) * ألم تروا كيف خلق
الله سبع سماوات طباقا (١٥) وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس
سراجا (١٦) والله أنبتكم من الأرض نباتا (١٧) ثم يعيدكم فيها
ويخرجكم إخراجا (١٨) والله جعل لكم الأرض بساطا (١٩)
لتسلكوا منها سبلا فجاجا (٢٠) قال نوح رب إنهم عصوني
واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا (٢١) ومكروا مكرا
كبارا (٢٢) وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا
(٢٣) ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا (٢٤) ولا تزد
الظالمين إلا ضلالا (٢٥) مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا (٢٦)
فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا (٢٧) وقال نوح رب لا تذر على
الأرض من الكافرين ديارا (٢٨) إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا
يلدوا إلا فاجرا كفارا (٢٩) رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي
مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا (٣٠)

والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة ﷺ، قال ابن عطية[(١)]: الجهار دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم، والإسرار دعاء كل واحد على حدته.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ مفعول من الدر وهو كثرة الماء، وفي الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار، ولذلك خرج عمر بن الخطاب[(٢)] إلى الاستسقاء، فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف، فقيل له: ما رأيناك استسقيت فقال: والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء، ثم نزل المطر، وشكا رجل إلى الحسن الجدب فقال له: استغفر الله[(٣)].

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فيه أربع تأويلات:

أحدها: أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة، فالمعنى: مالكم لا ترجون أن يوقركم الله في دار ثوابه، قال ذلك الزمخشري[(٤)] وقوله لله على هذا بيان للموقر، ولو تأخر لكان صفة لوقارا.

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٤٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٨/٣٠٢.
(٣) اللباب: ١٩/٣٨٦.
(٤) الكشاف: ٤/٦٢٠.

والثاني: أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبت، والمعنى: مالكم لا ترجون لله وقارا متثبتين حتى تتمكنوا من النظر بوقاركم، وقوله لله على هذا مفعول دخلت عليه اللام كقولك: ضربت لزيد، وإعراب وقارا على هذا مصدر في موضع الحال.

الثالث: أن الرجاء هنا بمعنى الخوف، والوقار بمعنى العظمة والسلطان، فالمعنى: ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه، ولله على هذا صفة للوقار في المعنى.

الرابع: أن الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار من قولك: وقر بالمكان إذا استقر فيه، والمعنى: مالكم لا تخافون الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو النار.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ أي طورا بعد طور، يعني أن الإنسان كان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، إلى سائر أحواله، وقيل: الأطوار الأنواع المختلفة، فالمعنى: أن الناس على أنواع في ألوانهم وأخلاقهم وألسنتهم وغير ذلك.

﴿طِبَاقاً﴾ ذكر في الملك. ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾ القمر إنما هو في السماء الدنيا وساغ أن يقول فيهن لما كان في إحداهن فهو في الجميع كقولك: فلان في الأندلس إذا كان في بعضها، والشمس في السماء الرابعة، وقيل: في الخامسة، وجعل القمر نورا والشمس سراجا؛ لأن ضوء السراج أقوى من النور فإن السراج هو الذي يضيء فيبصر به، والنور قد يكون أقل من ذلك.

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً﴾ هذا عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض ونباتا مصدر على غير المصدر[1] أو يكون تقديره: أنبتكم فنبتم إنباتا ويحتمل أن يكون منصوبا على الحال.

(١) قال ابن عطية: وقوله تعالى ﴿نباتا﴾ مصدر جار على غير المصدر، التقدير: فنبتم نباتا. المحرر الوجيز: ٥/٣٤٦.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يعني بالدفن ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾ يعني بالبعث من القبور.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً﴾ شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية، خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل، وفي ذلك نظر.

﴿سُبُلاً فِجَاجاً﴾ ذكر في الأنبياء.

﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً﴾ يعني اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم وقرئ[1] ولده بفتحتين وولد بضم الواو وسكون اللام وهما بمعنى واحد.

﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً﴾ الكبار بالتشديد أبلغ من الكبار بالتخفيف، والكبار بالتخفيف أبلغ من الكبير.

﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي وصى بعضهم بعضا بذلك. ﴿وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً﴾ هذه أسماء أصنامهم كان قوم نوح يعبدونها وروي[2]: أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا فلما ماتوا صورهم أهل ذلك العصر من حجارة، وقالوا: ننظر إليها لنتذكر أعمالهم الصالحة فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيمهم من بعدهم لتلك الصور حتى عبدوها من دون الله، ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها: ـ وقيل: بل الأسماء فقط ـ إلى قبائل العرب فكان ودا لكلب بدومة الجندل، وكان سواع لهذيل، وكان يغوث لمراد، وكان يعوق لهمذان، وكان نسرا لذي الكلاع من حمير، وقرئ[3] ﴿وَدّاً﴾ بفتح الواو وضمها، وهما لغتان.

---

(١) ﴿وولده﴾ قرأ المدنيان وابن عامر وعاصم بفتح الواو واللام، وقرأ الباقون بضم الواو وإسكان اللام. النشر: ٢/٤٣١.

(٢) الكشف والبيان: ١٠/٤٦.

(٣) ﴿وداً﴾ قرأ المدنيان بضم الواو وقرأ الباقون بفتحها. النشر المصدر السابق.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ الضمير للرؤساء من قوم نوح، والمعنى: أضلوا كثيرا من أتباعهم، وهذا من كلام نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذلك لا تزد الظالمين إلا ضلالا من كلامه وهو دعاء عليهم، وقال الزمخشري: إنه معطوف على قوله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ والتقدير: قال رب إنهم عصوني، وقال: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ هذا من كلام الله إخبارا عن أمرهم وما زائدة للتأكيد، وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضا ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النار إنما كان بسبب خطاياهم وهي الكفر وسائر المعاصي.

﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ يعني جهنم وعبر عن ذلك بالفعل الماضي لأن الأمر محقق وقيل: أراد عرضهم على النار وعبر عنه بالإدخال.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ ديارا من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما في الدار ديار، أي ما فيها أحد، ووزنه فيعال، وكان أصله ديوار ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وليس وزنه فعال؛ لأنه لو كان كذلك لقيل: دوار لأنه مشتق من الدور، أو من الدار، وروي: أن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يئس من إيمانهم[1]، وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم.

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ يؤخذ من هذا أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره، وكان ولدا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مؤمنين، قال ابن عباس[2] لم يكن لنوح أب كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام، واسم والد نوح: لمك بن متوشلخ، وأمه شمخا بنت أنوش حكاه الزمخشري. ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾

---

(١) قال الطبري: وذُكر أن قيل نوح هذا القول ودعاءه هذا الدعاء، كان بعد أن أوحى إليه ربه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾... جامع البيان: ٢٣/٦٤١.

(٢) لم أجده مسندا.

قيل: بيته المسجد، وقيل: السفينة، وقيل: شريعته سماها بيتا استعارة، وهذا بعيد، وقيل: داره، وهذا أرجح لأنه الحقيقة. ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم وفيه دليل على جواز ذلك خلافا لمن قال من المتأخرين: إنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة قال بعض العلماء: إن الإله الذي استجاب لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار، حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات. ﴿تَبَارًا﴾ أي هلاكا. والله أعلم.

*** *** ***

سورة الجن

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ تقدمت في الأحقاف قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا. ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ أي قال ذلك بعضهم لبعض، وعجبا مصدر وصف به للمبالغة لأن العجب مصدر قولك: عجبت عجبا، وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: ذا عجب.

سورة الجن

حزب

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرءانا
عجبا (١) يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا (٢)
وأنه تعلى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا (٣) وأنه كان
يقول سفيهنا على الله شططا (٤) وأنا ظننا أن لن تقول الإنس
والجن على الله كذبا (٥) وأنه كان رجال من الإنس يعوذون
برجال من الجن فزادوهم رهقا (٦) وأنهم ظنوا كما ظننتم أن
لن يبعث الله أحدا (٧) وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا
شديدا وشهبا (٨) وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن
يستمع الآن يجد له شهابا رصدا (٩) وأنا لا ندري أشر
أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا (١٠) وأنا منا
الصلحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا (١١) وأنا ظننا أن لن
نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا (١٢) وأنا لما سمعنا الهدى
ءامنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا (١٣)

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ جد الله جلاله وعظمته، وقيل: معناه من قولك فلان مجدود إذا استغنى وقرئ[١] أنه في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها وكذلك فيما بعده إلى قوله وأنا منا المسلمون فأما الكسر فاستئناف أو عطف على ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ لكنه كسر في معمول القول فيكون ما عطف عليه من قول الجن، وأما الفتح، فقيل: إنه عطف على قوله: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾ وهذا خطأ من طريق المعنى؛ لأن قوله استمع نفر في موضع معمول أوحي فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحي وأن لا يكون من كلام الجن، وقيل: إنه معطوف على الضمير المجرور في قوله آمنا به وهذا ضعيف لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض، وقال الزمخشري: هو معطوف على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قال: صدقناه

---

(١) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بفتح الهمزة من ﴿وأنه﴾ ﴿وأنا﴾ ﴿وأنهم﴾ من لدن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ في ابتداء كل آية، والباقون بكسرها. التيسير ص: ١٣٦.

وصدقنا: أنه تعالى جد ربنا وكذلك ما بعده، ولا خلاف في فتح ثلاث مواضع وهي: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾؛ لأن ذلك مما أوحي لا من كلام الجن.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً﴾ هذا من كلام الجن، وسفيههم أبوهم إبليس، وقيل: هو اسم جنس لكل سفيه منهم، واختار ذلك ابن عطية، والشطط التعدي ومجاوزة الحد.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ أي ظننا أن الأقوال التي كان الإنس والجن يقولونها على الله صادقة وليست بكذب لأنا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ تفسير هذا ما روي: أن العرب كانوا إذا حل أحد منهم بواد صاح بأعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك، ويعتقد أن ذلك الجن الذي بالوادي يحميه. ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ ضمير الفاعل للجن، وضمير المفعول للإنس، والمعنى: أن الجن زادوا الإنس ضلالا وإثما لما عاذوا بهم، أو زادوهم تخويفا لما رأوا ضعف عقولهم، وقيل: ضمير الفاعل للإنس وضمير المفعول للجن، والمعنى: أن الإنس زادوا الجن تكبرا وطغيانا لما عاذوا بهم، حتى كان الجن يقول: أنا سيد الجن والإنس.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً﴾ الضمير في ظنوا لكفار الإنس، وظننتم خطاب الجن بعضهم لبعض، فالمعنى: أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدا، والبعث هنا يحتمل أن يريد به بعث الرسل أو البعث من القبور.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً﴾ هذا إخبار عن ما

حدث عند مبعث النبي ﷺ من منع الجن من استراق السمع من السماء ورجمهم، واللمس المس واستعير هنا للطلب، والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام؛ ولذلك وصف بشديد وهو مفرد، ويحتمل أن يريد به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة وكرر الشهب لاختلاف اللفظ.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ المقاعد جمع مقعد وقد فسر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن: أنهم كانوا واحدا فوق واحد، فمتى أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان للكلمة مائة كذبة[١]. ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ ءَالْأَنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ الرصد اسم جمع للراصد كالحراس للحارس، وقال ابن عطية: هو مصدر وصف به ومعناه منتظر، قال بعضهم: إن رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي ﷺ، واختار ابن عطية والزمخشري أنه كان قبل المبعث قليلا ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية، والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض: «ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول ولد ملك أو مات ملك، فقال رسول الله ﷺ: ليس الأمر كذلك»[٢]. ثم وصف استراق الجن للسمع وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم.

---

(١) في صحيح البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء» الحديث رقم: (٤٥٢٢)، وفي مسلم بعضه الحديث رقم: (٥٩٥٣).

(٢) لم أجده مسندا، وقد أورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣٥٢/٥.

﴿وَإِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ الآية قال ابن عطية[١]: معناه لا ندري أيؤمن الناس بهذا النبي فيرشدوا أو يكفرون به فينزل بهم الشر، وقال الزمخشري[٢]: معناه لا ندري هل أراد الله بأهل الأرض خيرا أو شرا من عذاب أو رحمة، أو من خذلان أو من توفيق.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف وأراد به الذين ليس صلاحهم كاملا، أو الذين ليس لهم صلاح، فإن دون قد تكون بمعنى أقل أو بمعنى غير. ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ الطرائق المذاهب والسير وشبهها، والقدد المختلفة وهو جمع قدة وهذا بيان للقسمة المذكورة قبل، وهو على حذف مضاف أي كنا ذوي طرائق.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ الظن هنا بمعنى العلم، وقال ابن عطية: هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم، ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم.

﴿سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ يعنون القرآن. ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ البخس النقص والظلم والرهق تحمل مالا يطاق وقال ابن عباس[٣]: البخس نقص الحسنات، والرهق الزيادة في السيئات.

﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ يعني الظالمين، يقال: قسط الرجل إذا جار وأقسط بالألف إذا عدل، وهاهنا انتهى ما حكاه الله من كلام الجن، وأما قوله: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ يحتمل أن يكون من بقية كلامهم، أو يكون ابتداء كلام الله تعالى وهو الذي اختاره ابن عطية[٤] وأما قوله: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾ فهو من كلام

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٥٢.

(٢) الكشاف: ٤/٦٢٨.

(٣) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز: ٥/٣٥٣.

(٤) المحرر الوجيز المصدر السابق.

وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا
رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَن لَّوِ
اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ
وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ • وَأَنَّ
الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي
وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا
﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا
﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ
نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي
أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ
يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا
رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

الله باتفاق وليس من كلامهم.

﴿تَحَرَّوْا﴾ أي قصدوا الرشد.

﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ الماء الغدق الكثير وذلك استعارة في توسيع الرزق، والطريقة هي طريقة الإسلام وطاعة الله فالمعنى لو استقاموا على ذلك لو سع الله أرزاقهم فهو كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ وقيل: هي طريقة الكفر والمعنى على هذا لو استقاموا على الكفر لوسع الله عليهم في الدنيا إملاء لهم واستدراجا ويؤيد هذا قوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ والأول أظهر، والضمير في استقاموا يحتمل أن يكون للمسلمين أو للقاسطين المذكورين أو لجميع الجن، أو للجن الذين سمعوا النبي ﷺ، أو لجميع الخلق.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة فمعنى الفتنة الاختبار: هل يسلمون أم لا؟ وإن كانت الطريقة الكفر فمعنى الفتنة الإضلال والاستدراج.

﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ معنى نسلكه ندخله والصعد الشديد المشقة، وهو مصدر صعد يصعد ووصف بالمصدر للمبالغة، يقال فلان في صعد أي في مشقة وقيل: صعدا جبل في النار.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أراد المساجد على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله، وروي: أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة، وقيل: أراد الأعضاء التي يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهذا بعيد، وعطف أن المساجد لله على

أوحي إلى أنه استمع، وقال الخليل: معنى الآية لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا أي لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله.

﴿وَإِنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ عبد الله هنا محمد ﷺ ووصفه بالعبودية اختصاصا له وتقريبا وتشريفا، وقال الزمخشري[1]: أنه سماه هنا عبد الله ولم يقل الرسول أو النبي لأن هذا واقع في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه؛ لأنه مما أوحي إليه فذكر ﷺ نفسه على ما يقتضيه التواضع والتذلل، وهذا الذي قاله بعيد، مع أنه إنما يمكن على قراءة أنه لما قام بفتح الهمزة[2] فيكون عطفا على ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ﴾ وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف فيكون إخبارا من الله أو من جملة كلام الجن فيبطل ما قاله. ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ اللبد الجماعات واحدها لبدة والضمير في كادوا يحتمل أن يكون للكفار من الناس أي كادوا يجتمعون على الرد عليه وإبطال أمره، أو يكون للجن الذين استمعوا أي كادوا يجتمعون عليه لاستماع القرآن والبركة به.

﴿مُلۡتَحَدًا﴾ أي ملجئا. ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا﴾ بدل من ملتحدا أي لا أجد ملجئا إلا بلاغ الرسالة، ويحتمل أن يكون استثناء منقطعا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال الزمخشري: هذا الجار والمجرور ليس بصلة البلاغ إنما هو بمعنى بلاغا كائنا من الله، ويحتمل عندي أن يكون متعلقا ببلاغا، والمعنى بلاغ من الله. ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ قال الزمخشري: إنه معطوف على بلاغا كأنه قال: إلا التبليغ والرسالة، ويحتمل أن يكون ورسالاته معطوفا على اسم الله. ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ جمع ﴿خَٰلِدِينَ﴾ على معنى ﴿وَمَن يَعۡصِ﴾؛ لأنه في معنى الجمع، والآية في الكفار وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين لأن مذهبهم خلودهم في النار، والدليل على أنها في الكفار وجهان:

---

(١) الكشاف: ٤/٦٣٢.

(٢) قال الداني: نافع وأبو بكر: ﴿وإنه لما﴾ بكسر الهمزة، والباقون بفتحها. التيسير، ص: ١٣٦.

أحدهما: أنها مكية والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار.

والآخر: دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار.

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ تعلقت حتى بقوله ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ وجعلت غاية لذلك والمعنى: أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون قال ذلك الزمخشري، وقال أيضا: يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل على المعنى كأنه قيل: لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون، وهذا أظهر.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ إن هنا نافية والمعنى: قل لا أدري أقريب ما توعدون أم بعيد؟ وعبر عن بعده بقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ ويعني بما توعدون قتلهم يوم بدر، أو يوم القيامة.

﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ أي لا يطلع أحدا على علم الغيب إلا من ارتضى وهم الرسل، فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك ومن في قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ لبيان الجنس لا للتبعيض، والرسل هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة، وعلى هذا حملها ابن عطية[(١)] أو الرسل من بني آدم وعلى هذا حملها الزمخشري[(٢)]، واستدل بها على نفي كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفات، فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم، وفيها أيضا دليل على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التي يدعي أهلها الاطلاع على الغيب؛ لأنهم ليسوا من الرسل. ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ المعنى أن الله يسلك من بين يدي الرسل ومن خلفه ملائكة يكونون رصدا يحفظونه

---

(١) قال ابن عطية: وقوله تعالى ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ معناه فإنه يظهره على ما شاء مما هو قليل من كثير، ثم يبث تعالى حول ذلك الملك الرسول حفظة ﴿رصدا﴾ لإبليس وحزبه من الجن والإنس. المحرر الوجيز: ٥/٣٥٦.

(٢) الكشاف: ٤/٦٣٤.

من الشياطين، وقد ذكرنا رصدا في هذه السورة قال بعضهم[١]: ما بعث الله رسولا إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة ربه.

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ في الفاعل بيعلم ثلاثة أقوال:

الأول: أي ليعلم الله أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم أي يعلمه موجودا وقد كان علم ذلك قبل كونه.

الثاني: ليعلم محمد أن الملائكة الرصد أبلغوا رسالات ربهم.

الثالث: ليعلم من كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة والأول أظهر وجمع الضمير في أبلغوا وفي ربهم حملا على المعنى لأن من ارتضى من رسول يراد به جماعة.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع وهذه الجملة معطوفة على قوله ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ لأن معناه أنه قد علم قال ذلك ابن عطية، ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ هذا عموم في جميع الأشياء، وعددا منصوب على الحال، أو تمييز، أو مصدر من معنى أحصى.

** ** **

---

(١) نسبه الزمخشري للضحاك بدون سند. الكشاف: ٤/٦٣٥.

سورة المزمل

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ
قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ
قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ
فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا
﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾
وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى
وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا
وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ
وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ
رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ
فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ
يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا
﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ نداء للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووزن المزمل متفعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي، وفي تسمية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمزمل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان في وقت نزول الآية متزملا في كساء أو لحاف، والتزمل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير هذا قول عائشة[1] والجمهور.

والثاني: أنه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة.

الثالث: أن معناه المتزمل للنبوءة أي المتشمر المجد في أمرها، والأول هو الصحيح لما ورد في البخاري ومسلم[2] أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه الملك وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خديجة ترعد فرائصه، فقال: زملوني زملوني فنزلت يأيها المدثر وعلى هذا نزلت يأيها المزمل فالمزمل

---

(١) قال ابن عطية: واختلف الناس لم نودي بهذا فقالت عائشة والنخعي وجماعة؛ لأنه كان وقت نزول الآية متزملا بكساء، والتزمل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير، ومنه قول امرئ القيس (الطويل):

كأن أبانا في أفانين ودقة ... كبير أناس في بجاد مزمل

أي ملفوف، وخفض مزمل في هذا البيت هو على الجوار، وإنما هو نعت لكبير.

فهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قول هؤلاء إنما دعي بهيئة في لباسه. المحرر الوجيز: ٥/٣٥٦، وتفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٨٠، والطبري: ٢٣/٦٧٦.

(٢) البخاري الحديث رقم: (٣٠٦٦)، ومسلم الحديث رقم: (٢٥٥)، وقد تقدم تخريجه.

على هذا تزمله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاءه جبريل، وقال الزمخشري: كان نائما في قطيفة فنودي يأيها المزمل ليبين الله الحالة التي كان عليها من التزمل في القطيفه؛ لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل، وهذا القول بعيد غير سديد، وقال السهيلي: في ندائه بالمزمل فائدتان:

إحداهما: الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي: «قم أبا تراب»[(١)].

والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزمل راقد بالليل ليتنبه إلى ذكر الله؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة.

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ هذا الأمر بقيام الليل اختلف: هل هو واجب أو مندوب؟ فعلى القول بالندب فهو ثابت غير منسوخ، وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه فرض على النبي ﷺ وحده ولم يزل فرضا عليه حتى توفي.

الثاني: أنه فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم ثم نسخ بقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ الآية وصار تطوعا هذا قول عائشة رضي الله عنها[(٢)] وهو الصحيح، واختلف كم بقي فرضا؟ فقالت عائشة عاما، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية.

(١) في الصحيح:... جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «قم أبا تراب قم أبا تراب» البخاري الحديث رقم: (٤٣٠).

(٢) معرفة السنن والآثار للبيهقي الحديث رقم: (٥٨٤)، ومشكل الآثار للطحاوي الحديث رقم: (٤١٨)، والمحرر الوجيز: ٥/٣٥٧.

الثالث: أنه فرض عليه ﷺ وعلى أمته وهو ثابت غير منسوخ، ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه، وهو مذهب الحسن وابن سيرين(١).

﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ في معنى هذا الكلام أربعة أقوال:

الأول: وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل، وقوله: ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من الليل، أو من قليلا، وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع، والضميران في قوله: ﴿أَوِ انقُصْ مِنْهُ﴾ ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ عائدان على النصف، والمعنى: أن الله خيره بين ثلاثة أحوال، وهو أن يقوم نصف الليل، أو ينقص من النصف قليلا، أو يزد عليه.

الثاني: قال الزمخشري: إلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال: نصف الليل إلا قليلا، فخيره على هذا بين حالتين وهما: أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه، وهذا ضعيف لأن قوله: أو انقص منه قليلا تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف.

القول الثالث: قال الزمخشري أيضا: يجوز أن يريد بقوله: ﴿أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ نصف النصف وهو الربع، ويكون الضمير في قوله: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ يعود على ذلك أي زد على الربع فيكون ثلثا، فيكون التخيير على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع وهذا أيضا بعيد.

القول الرابع: قال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى إلا قليلا الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها، والمراد بالليل على هذا الليالي فهو جنس وهذا بعيد؛ لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه، فدلَّ ذلك على أن المراد بالدليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالي.

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٦١.

فإن قيل: لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال: ﴿أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ وأطلق في الزيادة فقال: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل قليلا؟ فالجواب: أن الزيادة تحسن فيها الكثرة فلذلك لم يقيدها بالقلة بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرا.

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ الترتيل هو التمهل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك معين على التفكر في معاني القرآن، بخلاف الهذ الذي لا يفقه صاحبه ما يقول، وكان رسول الله ﷺ يقطع قراءته حرفا حرفا[(١)] ولا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ.[(٢)].

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هذه الآية اعتراض بين آية قيام الليل، والقول الثقيل: هو القرآن، واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال:

أحدها: أنه سمي ثقيلا لما كان النبي ﷺ يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه، حتى أن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد[(٣)] وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أوحي إليه وهو على ناقته بركت به[(٤)] وأوحي إليه

(١) عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ بالليل؟ فقالت: وما لكم وصلاته كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي بقدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ونعتت له قراءته فإذا هي تنعت «قراءة مفسرة حرفا حرفا» هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه المستدرك الحديث رقم: (١١٦٥)، والسنن الكبرى للنسائي: ٢٢/٥.

(٢) صحيح ابن حبان الحديث رقم: (٢٦٠٤)، وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (٥٤٢)، وسنن أبي داود الحديث رقم: (٨٧١)، والسنن الكبرى للنسائي: ٢٤٠/١، وسنن ابن ماجه الحديث رقم: (١٣٥١)، وشرح السنة للبغوي: ١٣٩/٢.

(٣) صحيح البخاري: «قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا» الحديث رقم: (٢)، ورواه مالك في الموطإ الحديث رقم: (٤٧٥)، وابن حبان الحديث رقم: (٣٨).

(٤) الطبري في جامع البيان: ٦٨١/٢٣، والمستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٣٨٦٥)، ومسند إسحاق الحديث رقم: (٧٥٦).

وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترض فخذ زيد[١] والثقل على هذا حقيقة.

الثاني: أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده.

الثالث: أنه ثقيل في الميزان.

الرابع: أنه كلام له وزن ورجحان.

الخامس: أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي، وهذا اختيار ابن عطية[٢] وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية قيام الليل لمشقته.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ﴾ في الناشئة سبعة أقوال:

الأول: أنه النفس الناشئة بالليل أي التي تنشأ من مضجعها وتقوم للصلاة.

الثاني: الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة.

الثالث: العبادة الناشئة بالليل أي تحدث فيه.

الرابع: الناشئة القيام بعد النوم، فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة.

الخامس: الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء.

السادس: الناشئة بعد المغرب والعشاء.

السابع: ناشئة الليل ساعاته كلها.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً﴾ يحتمل معنيين:

---

(١) في الصحيح: وقال زيد بن ثابت أنزل الله على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي انظر البخاري الحديث رقم: (٢٦٧٧)، ومواضع أخرى منه. وشرح السنة للبغوي: ٦/٤٧٨، والطبري رقم: (١٠٢٣٩).

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٣٨٥.

أحدهما: أثقل وأصعب على المصلي ومنه قول النبي ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مضر»[١] والأثقل أعظم أجرا، فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر.

الثاني: أشد ثبوتا من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس، ويقرب هذا من معنى ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ وقرئ[٢] وطاء بكسر الواو على وزن فعال ومعناه موافقة أي يوافق القلب اللسان بحضور الذهن.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾ السبح هنا عبارة عن التصرف في الاشتغال والمعنى يكفيك النهار للتصرف في أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك، وقيل المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فأده بالنهار فإنه طويل يسع ذلك.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ قيل: معناه: قل بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك، واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ أي انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده وقيل التبتل رفض الدنيا وتبتيلا مصدر على غير قياس.

﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ الوكيل هو القائم بالأمور والذي توكل إليه الأشياء فهو أمر بالتوكل على الله.

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي على ما يقول الكفار والآية منسوخة بالسيف وقيل إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله اهجرهم هجرا جميلا وأما الصبر فمأمور به في كل وقت.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا تهديد لهم وانتصب المكذبين على أنه مفعول معه

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٩٦١)، وتقدم تخريجه..

(٢) قال ابن عطية: وقرأ أبو عمرو ومجاهد وابن الزبير وابن عباس «وطاء» على وزن فعال، والمعنى موافقة لأنه يخلو البال من أشغال النهار وأشغابه فيوافق قلب المرء لسانه، وفكره عبارته، فهذه مواطأة صحيحة، وبهذا المعنى فسر اللفظ مجاهد وغيره. المحرر الوجيز: ٣٥٩/٥.

أو معطوف. ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ أي التنعم في الدنيا، وروي: أن الآية نزلت في بني المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا.

﴿أَنكَالًا﴾ جمع نكل وهو القيد من الحديد وروى أنها قيود سود من نار.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ شجرة الزقوم ومعنى ذا غصة أي يغص به آكلوه، وقيل: هو شوك يعترض في حلوقهم لا ينزل ولا يخرج، وروي: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فصعق[١].

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي تهتز وتتزلزل والعامل في يوم معنى الكلام المتقدم وهو: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا﴾. ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ الكثيب كدس الرمل، والمهيل اللين الرخو الذي تهيله الريح أي تنشره، وزنه مفعول، والمعنى: أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ خطاب لجميع الناس لأن رسول الله ﷺ بعث إلى الناس كافة وقال الزمخشري: هو خطاب لأهل مكة. ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وإنما يشهد على من أدركه لقوله ﷺ: «أقول كما قال أخي عيسى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾». ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو المراد بقوله: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ فاللام للعهد.

﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي عظيما شديدا.

﴿يَوْمًا﴾ مفعول به وناصبه تتقون أي كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم، وقيل: هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم، وقيل: هو ظرف

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٦٠ قال السمعاني في تفسيره: وقد ورد في الغرائب من الأخبار أن النبي قرئت عنده هذه الآية فصعق صعقة. ٦/٨١.

أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفا تقديره: اذكروا. وقوله: ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾. الولدان جمع وليد، وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين جمع أشيب، ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء، ويجعل يحتمل أن يكون مسندا إلى الله تعالى أو إلى اليوم، والمعنى: أن الأطفال يشيبون يوم القيامة، فقيل: إن ذلك حقيقة، وقيل: إنه عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل: إنه عبارة عن طوله.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ الانفطار الانشقاق، والضمير المجرور يعود على اليوم أي تتفطر السماء لشدة هوله، ويحتمل أن يعود على الله أي تنفطر بأمره وقدرته، والأول أظهر، والسماء مؤنثة وجاء منفطر بالتذكير؛ لأن تأنيثها غير حقيقي، أو على الإضافة تقديره: ذات انفطار، أو لأنه أراد السقف. ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ الضمير في وعده يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله، والأول أظهر؛ لأنه ملفوظ به.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المواعظ والوعيد. ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ يريد سبيل التقرب إلى الله ومعنى الكلام حض على ذلك وترغيب فيه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به في أول السورة من قيام الليل، ومعناها أن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قياما مختلفا مرة يكثر ومرة يقل؛ لأنكم لا تقدرون على إحصاء أوقات الليل وضبطها فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله، فخفف عنكم وأمركم أن تقرؤوا ما تيسر من القرآن. ﴿وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ﴾ من قرأها بالخفض[1] فهو عطف على ثلثي الليل أي تقوم أقل من ثلثي الليل، وأقل من نصفه وثلثه، ومن قرأ بالنصب فهو عطف على أدنى أي تقوم أدنى من ثلثي الليل، وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة.

(١) ﴿ونصفه وثلثه﴾ قرأ ابن كثير والكوفيون بنصب الفاء والثاء وضم الهاءين، وقرأ الباقون بخفض الفاء والثاء وكسر الهاءين. النشر: ٢/٤٣٣.

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ يعني المسلمين وهو معطوف على الضمير الفاعل في تقوم. ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام، أي لن تحصوا تقدير الليل، وقيل: معناه لن تطيقوه أي لن تطيقوا قيام الليل كله. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن التخفيف، كقوله: فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ أي إذا لم تقدروا على قيام الليل كله فقوموا بعضه واقرؤوا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن، وهذا الأمر للندب، وقال ابن عطية: هو للإباحة عند الجمهور، وقال قوم منهم الحسن[1] وابن سيرين: هو فرض لابد منه، ولو أقل ما يمكن، حتى قال بعضهم: من صلى الوتر فقد امتثل هذا الأمر، وقيل: كان فرضا ثم نسخ بالصلوات الخمس، وقال بعضهم: هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم. ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ ذكر الله في هذه الآية الأعذار التي تكون لبني آدم تمنعهم من قيام الليل، فمنها: المرض، ومنها: السفر للتجارة وهي الضرب في الأرض لابتغاء فضل الله، ومنها: الجهاد ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيدا للأمر به، أو تأكيدا للتخفيف وهذا أظهر؛ لأنه ذكره بأثر الأعذار ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ يعني المكتوبتين. ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ معناه تصدقوا وقد ذكر في البقرة. ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ نصب خيرا لأنه مفعول ثان لتجدوه والضمير فصل. ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ قال بعض العلماء: إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية، «وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا»[2].

*** *** ***

---

(١) تفسير الثعالبي: ٤/٣٥٦.

(٢) صحيح/حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ عَنْ أَبِي عَمَّارٍ ـ اسْمُهُ شَدَّادُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ـ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا، وَقَالَ «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ». قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ كَيْفَ الاِسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ. مسلم الحديث رقم: (١٣٦٢)، وسنن النسائي الحديث رقم: (١٣٣٦).

ربع

إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة
من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب
عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى
وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في
سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا
الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله
هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم (٢٠)

ترتيبها ٧٤ — سورة المدثر — آياتها ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها المدثر (١) قم فأنذر (٢) وربك فكبر (٣) وثيابك فطهر
(٤) والرجز فاهجر (٥) ولا تمنن تستكثر (٦) ولربك فاصبر (٧)
فإذا نقر في الناقور (٨) فذلك يومئذ يوم عسير (٩) على الكافرين
غير يسير (١٠) ذرني ومن خلقت وحيدا (١١) وجعلت له مالا ممدودا
(١٢) وبنين شهودا (١٣) ومهدت له تمهيدا (١٤) ثم يطمع أن أزيد (١٥)
كلا إنه كان لآياتنا عنيدا (١٦) سأرهقه صعودا (١٧)

سورة المدثر

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ وزنه متفعل ومعناه الذي تدثر في كساء أو ثياب، وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا في موضعه، وقال السهيلي: في ندائه بالمدثر ثلاثة فوائد: الاثنتان اللتان ذكرتا في المزمل، وفائدة ثالثة، وهي: أن العرب يقولون النذير العريان للنذير الذي يكون في غاية الجد والتشمير والمدثر بالثياب ضد هذا فكأنه تنبيه على ما يجب من التشمير، وقيل: إن هذه أول سورة نزلت من القرآن، والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها.

﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي أنذر الناس وهذه بعثة عامة. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي عظمه، ويحتمل أن يريد قول الله أكبر، ويؤيد ذلك ما روي عن أبي هريرة أن المسلمين قالوا بم نفتتح صلاتنا؟ فنزلت: وربك فكبر وقوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ من المقلوب الذي يقرأ من أوله وآخره.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة، واختلف في هذا، هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة أو على الندب فتكون سنة؟.

والآخر: أنه يراد به الطهارة من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز.

الثالث: أن معناه لا تلبس الثياب من مكسب خبيث.

﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الرجز الأوثان، روي ذلك عن رسول الله ﷺ، وهو قول عائشة[(١)].

والآخر: أن الرجز السخط والعذاب وهذا أصله في اللغة فمعناه اهجر ما يؤدي إليه ويوجبه.

الثالث: أنه المعاصي والفجور قال بعضهم: كل معصية رجز.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ يحتمل قوله تمنن أن يكون بمعنى العطاء، أو بمعنى المن، وهو ذكر العطاء وشبهه، أو بمعنى الضعف، فإن كان بمعنى العطاء ففيه وجهان:

أحدهما: أن معناه لا تعط شيئا لتأخذ أكثر منه قال بعضهم: هذا خاص بالنبي ﷺ ومباح لأمته.

والآخر: لا تعط الناس عطاء وتستكثره لأن الكريم يستقل ما يعطي وإن كان كثيرا.

وإن كان من المن بالشيء ففيه وجهان:

الأول: لا تمنن على الناس بنبوءتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه.

الثاني: لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب.

وإن كان من الضعف فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أي اصبر لوجهه وطلب رضاه، ويحتمل أن يريد الصبر

---

(١) لم أجده لعائشة وهو ثابت عن أبي سلمة المسند الحديث رقم: (١٤٥٢٣)، والسنن الكبرى للنسائي الحديث رقم: (١١٦٣١).

على المكاره والمصائب، أو على إذاية الكفار له، أو على العبادة.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ يعني نفخ في الصور، ويحتمل أن يريد النفخة الأولى أو الثانية.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ هذا وعيد وتهديد، ونزلت الآية[1] في الوليد بن المغيرة باتفاق وفي معنى وحيدا ثلاثة أقوال:

أحدها: روى أنه كان يلقب الوحيد أي لا نظير له في ماله وشرفه وكونه وحيدا نعمة عددها الله عليه.

الثاني: أن معناه خلقته منفردا ذليلا.

الثالث: أن معناه خلقته وحدي فوحيدا على هذا من صفة الله تعالى وإعرابه على هذا حال من الضمير الفاعل في قوله خلقت وهو على القولين الأولين حال من الضمير المفعول.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالاً مَّمْدُوداً﴾ أي كثيرا، واختلف في مقداره، فقيل: ألف دينار، وقيل: عشرة آلاف دينار، وقيل: يعني الأرض لأنها مدت.

﴿وَبَنِينَ شُهُوداً﴾ أي حضورا وروي: أنه كان له عشرة من الأولاد، وقيل: ثلاثة عشرة لا يفارقونه، وأسلم منهم ثلاثة، وهم: خالد، وهشام، وعمار.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيداً﴾ أي بسطت له في الدنيا، بالمال، والقوة، وطيب العيش.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ أي يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله وهذا غاية الحرص.

﴿كَلَّآ﴾ زجر عما طمع فيه من الزيادة. ﴿عَنِيداً﴾ أي معاندا مخالفا والآيات هنا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٨٣، والطبري في جامع البيان: ٢٤/٢٤.

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ
نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا
سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ
أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا
تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ النَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا
فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا
إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ وَالْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ
﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا
لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ
﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٍ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ
نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
الْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

يراد بها القرآن؛ لأن الوليد قال فيه إنه سحر، ويحتمل أن يريد الدلائل.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ الصعود: العقبة الصعبة، وروي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها عقبة في جهنم كلما صعدها الإنسان ذاب ثم يعود، فالمعنى: سأشق عليه بتكليفه الصعود فيها.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أي فكر فيما يقول وقدر في نفسه ما يقول في القرآن أي هيأ كلامه روي: أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم ودخل إلى أبى بكر الصديق فعاتبه أبو جهل، وقال له: إن قريشا قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد، وما يخلصك عندهم إلا أن تقول في كلام محمد قولا يرضيهم، فافتتن وقال: أفعل ذلك، ثم فكر فيما يقول في القرآن فقال: أقول شعر؟ ما هو شعر، أقول كهانة؟ ما هو بكهانة، أقول: إنه سحر وإنه قول البشر ليس منزلا من عند الله.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ دعاء عليه وذم وكرره تأكيدا لذمه وتقبيح حاله، قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مقتضاه استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن فيكون قوله: قتل لا يراد به الدعاء عليه، وإنما هو كقولهم: قاتل الله فلانا ما أشجعه يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه، وقال الزمخشري: يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستهزاء، أو حكاية لقول قريش تهكما بهم.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي نظر في قوله. ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ البسور: هو تقطيب الوجه وهو أشد من العبوس، وفعل ذلك من حسده للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي عبس في وجهه

عليه الصلاة والسلام، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل، ولم يدر ما يقول.

﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ﴾ أي أعرض عن الإسلام.

﴿سِحۡرٌ يُؤۡثَرُ﴾ أي ينقل عمن تقدم.

﴿وَمَا أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيم لها وتهويل.

﴿لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ﴾ مبالغة في وصف عذابها أي لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياها، أو لا تبقي شيئا ألقى فيها إلا أهلكته، وإذا أهلك لم تذره هالكا بل يعود للعذاب.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلۡبَشَرِ﴾ معنى لواحة مغيرة، يقال: لوحه السفر: إذا غيره، والبشر جمع بشرة، وهي: الجلدة، فالمعنى: أنها تحرق الجلود وتسودها، وقيل: لواحة من لاح إذا ظهر، والبشر الناس أي تلوح للناس، وقال الحسن[1]: تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام.

﴿تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ يعني الزبانية خزنة جهنم، فقيل: هم تسعة عشر ملكا، وقيل: تسعة عشر صفا من الملائكة، والأول أشهر.

﴿وَمَا جَعَلۡنَا أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ سبب الآية: أنه لما نزل عليها تسعة عشر، قال أبو جهل: أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به فنزلت الآية، ومعناها أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم، وروي أن الواحد منهم يرمي بالجبل على الكفار ﴿وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي جعلناهم هذا العدد ليفتتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ويقولون ما قالوا. ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي ليعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد ﷺ من عدد ملائكة النار حق؛ لأنه موافق لما في كتبهم ﴿وَلَا يَرۡتَابَ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٩/٧٨.

أي لا يشك. ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أن ما قاله محمد ﷺ حق، فإن قيل: كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين، والمعنى واحد وهو تكرار؟ فالجواب: أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن، فكأنه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال، وقال الزمخشري: ذلك مبالغة وتأكيد. ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ المرض عبارة عن الشك وأكثر ما يطلق الذين في قلوبهم مرض على المنافقين، فإن قيل: هذه السورة مكية، ولم يكن حينئذ منافقون، وإنما حدث المنافقون بالمدينة؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن معناه يقول المنافقون إذا حدثوا ففيه إخبار بالغيب.

والآخر: أن يريد من كان بمكة من أهل الشك، وقولهم: ماذا أراد الله بهذا مثلا؟ استبعاد لأن يكون هذا من عند الله. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يحتمل القصد بهذا وجهين:

أحدهما: وصف جنود الله بالكثرة، أي هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله.

والآخر: رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر، أي لا يعلم أعداد جنود الله إلا هو؛ لأن منهم عددا قليلا ومنهم عددا كثيرا حسبما أراد الله.

﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ الضمير لجهنم أو للآيات المتقدمة.

﴿كَلَّا﴾ ردع للكفار عن كفرهم، وقال الزمخشري: هي إنكار لأن تكون لهم ذكرى.

﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ أي ولى وقرئ[1] دبر بغير ألف، والمعنى: واحد، وقيل: معناه

---

(١) ﴿إذ أدبر﴾ قرأ نافع ويعقوب وحمزة وخلف وحفص ﴿إذ﴾ بإسكان الذال من غير ألف بعدها ﴿أدبر﴾ بهمزة مفتوحة وإسكان الدال بعدها وقرأ الباقون ﴿إذا﴾ بألف بعد الذال ﴿دبر﴾ بفتح الدال من غير همزة قبلها. النشر: ٢/٤٣٣.

دبر الليل النهار، أي جاء في دبره.

﴿إِذَا أَسْفَرَ﴾ أي أضاء ومنه الإسفار بصلاة الصبح.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ الضمير لجهنم أو للآيات والنذارة: أي هي من الأمور العظام، والكبر جمع كبرى، وقال ابن عطية: جمع كبيرة والأول هو الصحيح.

﴿نَذِيراً لِّلْبَشَرِ﴾ تمييز أو حال من إحدى الكبر، وقيل: النذير هنا الله فالعامل فيه على هذا محذوف وهذا ضعيف، وقيل: هو حال من هذه السورة أي قم فأنذر نذيرا، وهذا بعيد، قال الزمخشري: هو من بدع التفاسير.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ التقديم عبارة عن تقديم سلوك طريق الهدى والتأخر ضده، ولمن شاء بدل من البشر أي هم متمكنون من التقدم والتأخر، وقيل: معناه الوعيد، كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وعلى هذا أعرب الزمخشري أن يتقدم مبتدأ ولمن شاء خبره والأول أظهر ﴿رَهِينَةٌ﴾ قال ابن عطية: الهاء في رهينة للمبالغة، أو على تأنيث النفس، وقال الزمخشري: ليست بتأنيث رهين؛ لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي بمعنى الرهن أي كل نفس رهن عند الله بعملها.

﴿إِلَّآ أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ أي أهل السعادة فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة كما فك الراهن رهنه بأداء الحق، وقال علي[1] بن أبي طالب أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها، وقال ابن عباس[2] هم الملائكة.

﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين في النار.

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٨٥، والدر المنثور: ٨/٣٣٦.
(٢) البحر المحيط: ٨/٣٧١.

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ
الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾
بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ
الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾
يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾
وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْآنَهُ ﴿١٦﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٨﴾

ربع

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ أي ما أدخلكم النار وهذا خطاب للمجرمين يحتمل أن خاطبهم به المسلمون أو الملائكة فأجابوهم بقولهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ وما بعده، أي هذا الذي أوجب دخولهم النار وإنما أخر التكذيب بيوم الدين تعظيما له لأنه أعظم جرائمهم.

﴿نَخُوضُ﴾ الخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه.

﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ هو الموت عند المفسرين، وقال ابن عطية: إنما اليقين الذي أرادوا ما كانوا يكذبون به في الدنيا فيتيقنونه بعد الموت.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ إنما ذلك لأنهم كفار، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد في الكفار، وجمع الشافعين دليل على كثرتهم كما، ورد في الآثار(١) تشفع الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحون.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ يعني كفار قريش. ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ

---

(١) لم أعثر على هذا الأثر بلفظه لكن الشفاعة لمن رضي الله له ذلك ثابتة معروفة، ففي صحيح مسلم: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ» رقم ٢٢٤١: وفي صحيح ابن حبان: «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه» ٣٠٨٢ إسناده حسن على شرط مسلم. وعن النخعيّ في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال: يُشَفَّعُون في إخوانهم، ﴿ويزيدهم من فضله﴾ قال: يشفعون في إخوان إخوانهم. الطبري ٥٣٤/٢١ وابن كثير ٢٠٦/٧ وغيرهما.

﴿مُسْتَنفِرَةٌ﴾[١] المستنفرة بفتح الفاء التي استنفرها الفزع وبالكسر بمعنى النافرة، شبه الكفار بالحمر النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام، ويعني حمر الوحش.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ قال ابن عباس[٢]: القسورة الرماة، وقال أيضا: هو الأسد، وقيل: أصوات الناس، وقيل: الرجال الشداد، وقيل: سواد أول الليل.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ المعنى يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتاب من الله، ومعنى منشرة: منشورة غير مطوية، أي طرية كما كتبت لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا للرسول ﷺ لا نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء فيه من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر باتباعك.

﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه. ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي هذه هي العلة والسبب في إعراضهم.

﴿كَلَّا﴾ تأكيد للردع الأول، أو ردعهم عن عدم خوفهم الآخرة. ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ الضمير لما تقدم من الكلام، أو للقرآن بجملته.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ فاعل شاء ضمير يعود على من، وفي ذلك حض وترغيب، وقيل: الفاعل هو الله، ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله.

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي هو أهل لأن يتقى لشدة عقابه، وهو أهل لأن يغفر الذنوب لكرمه وسعة رحمته وفضله.

*** *** ***

---

(١) ﴿مستنفرة﴾ قرأ المدنيان وابن عامر بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها. النشر ٢/٤٣٣.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٢٤/٤٠، والمحرر الوجيز: ٥/٣٧١.

سورة القيامة

﴿لاَ أُقْسِمُ﴾ في الموضعين معناه أقسم ولا زائدة لتأكيد القسم، وقيل: هي استفتاح كلام بمنزلة ألا، وقيل: هي نفي لكلام الكفار.

﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير في الطاعات فإن النفوس على ثلاثة أنواع: فخيرها النفس المطمئنة، وشرها النفس الأمارة بالسوء، وبينهما النفس اللوامة، وقيل: اللوامة هي المذمومة الفاجرة وهذا بعيد؛ لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات ويستقيم إن كان لا أقسم نفيا للقسم.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ الإنسان هنا للجنس أو الإشارة به للكفار المنكرين للبعث، ومعناه: أيظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب؟ وهذه الجملة هي التي تدل على جواب القسم المتقدم.

﴿بَلَىٰ﴾ تقديره: نجمعها. ﴿قَادِرِينَ﴾ منصوب على الحال من الضمير في نجمع والتقدير: نجمعها ونحن قادرون. ﴿عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ البنان الأصابع وفي المعنى قولان:

أحدهما: أنه إخبار بالقدرة على البعث أي قادرين على أن نسوي أصابعه أي نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء لدقة عظامها وتفرقها.

والآخر: أنه تهديد في الدنيا أي قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الحمار وخف الجمل، فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه، والأول أليق بسياق الكلام.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ هذه الجملة معطوفة على أيحسب

الإنسان، ويجوز أن يكون استفهاما مثلها أو تكون خبرا، وليست بل هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله، وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده، وليفجر معناه ليفعل أفعال الفجور، وفي معنى أمامه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عبارة عما يستقبل من الزمان أي يفجر بقية عمره.

الثاني: أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته، يقال مشى فلان قدامه إذا لم يرجع عن شيء يريده، والضمير على هذين القولين يعود على الإنسان.

الثالث: أن الضمير يعود على يوم القيامة، والمعنى: يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أيان معناها متى وهذا السؤال عن يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد.

﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ هذا إخبار عن يوم القيامة، وقيل: عن حالة الموت وهذا خطأ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد[1] ولا يجمع بينه وبين الشمس، وبرق بفتح الراء معناه لمع وصار له برق، وقرئ[2] بكسر الراء ومعناه تحير من الفزع، وقيل: معناه شخص، فيتقارب معنى الفتح والكسر.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ ذهب ضوؤه، يقال: خسف هو وخسفه الله، والخسوف للقمر، والكسوف للشمس، وقيل: الكسوف ذهاب بعض الضوء، والخسوف ذهاب جميعه، وقيل: بمعنى واحد.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ في جمعهما ثلاثة أقوال:

---

(١) يشير إلى الحديث الصحيح: «إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا حياته ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فصلوا» البخاري الحديث رقم: (٩٩٥)، ومسلم الحديث رقم: (٢١٣٨)، وغيرهما.

(٢) ﴿فإذا برق البصر﴾ قرأ المدنيان بفتح الراء، وقرأ الباقون بكسرها. النشر: ٢/٤٣٣.

أحدها: أنهما يجمعان حيث يطلعهما الله من المغرب.

والآخر: أنهما يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار، وقيل: في البحر فتكون النار الكبرى.

الثالث: أنهما يجمعان فيذهب ضوؤهما.

﴿لَا وَزَرَ﴾ أي لا ملجأ ولا مغيث.

﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي بجميع أعماله ما قدم منها في أول عمره وما أخر في آخره، وقيل: ما قدم في حياته، وما أخر من سنة أو وصية بعد مماته، وقيل: ما قدم لنفسه من ماله، وما أخر منه لورثته.

﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة.

والآخر: أنه حجة بينة لأن خلقته تدل على خالقه، فوصف بالبصارة مجازا لأن من نظر فيه أبصر الحق، والأول أليق بما قبله وما بعده كأنه قال: ينبؤ الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها، وكذلك يلتئم مع قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ ويكون هو جواب لو حسبما نذكره.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المعاذير الأعذار، أي الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها.

والآخر: أن المعاذير الستور أي الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ الضمير في به يعود على القرآن، دلت

على ذلك قرينة الحال، وسبب الآية[١] أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن ينصت ويستمع، وقيل: كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه فنزلت الآية، والأول هو الصحيح لأنه ورد في البخاري[٢] وغيره. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ ضمن الله له أن يجمعه في صدره فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله، ويحتمل قرآنه هنا وجهين:

أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرا من قرأت.

والآخر: أن يكون معناه تأليفه في صدره فهو مصدر من قولك: قرأت الشيء أي جمعته.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي إذا قرأه جبريل فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده، ومعنى ﴿اتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ اسمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها، وقيل: اتبع القرآن في الأوامر والنواهي.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه، وقيل: علينا أن نبين معانيه وأحكامه، فإن قيل: ما مناسبة قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ الآية لما قبلها؟ فالجواب: أنه لعله نزل معه في حين واحد، فجعل على ترتيب النزول.

---

(١) سيأتي تخريجه بعد.

(٢) في الصحيح... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾. قال كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله الآية التي في ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ﴾، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ فإن علينا أن نجمعه في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾. قال: إنا علينا أن نبينه بلسانك. قال: وكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله. البخاري الحديث رقم: (٤٧٥٧)، وفي عدة مواضع منه، ومسلم الحديث رقم: (١٠٣٣)، وغيرهما..

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي تحبون الدنيا وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على مثل حالهم في حب الدنيا، وكلا ردع عن ذلك.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ بالضاد أي ناعمة ومنه ﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هذا من النظر بالعين وهو نص في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة وهو مذهب أهل السنة، وأنكره المعتزلة وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة، وهذا باطل؛ لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر، تقول: نظرتك أي انتظرتك، وأما المتعدي بإلى فهو من نظر العين ومنه قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ وقال بعضهم إلى هنا ليست بحرف جر وإنما هي واحد الآلاء بمعنى النعم، وهذا تكلف في غاية البعد وتأوله الزمخشري بأن معناه كقول الناس: فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به وهذا بعيد، وقد جاء عن النبي ﷺ في النظر إلى الله أحاديث صحيحة[1] مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل فهي تفسير للآية.

﴿بَاسِرَةٌ﴾ أي عابسة تظهر عليها الكآبة، والبسور: أشد من العبوس.

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي مصيبة قاصمة الظهر والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله أو بمعنى اليقين.

﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ يعني حالة الموت والتراقي جمع ترقوة وهي عظام

(١) تقدم تخريجها.

أعلى الصدر والفاعل ببلغت نفس الإنسان دل على ذلك سياق الكلام وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت.

﴿وَقِيلَ مَن رَّاقٍ﴾ أي قال أهل المريض من يرقيه عسى أن يشفيه، وقيل: معناه أن الملائكة تقول من يرقى بروحه أي يصعد بها إلى السماء، فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر، والثاني من الرقي وهو العلو.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أي تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله.

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ هذا عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته، أي التفت ساقه على الأخرى عند السياق، وقيل: هو مجاز كقوله: كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت، وقيل: معناه ماتت ساقه فلا تحمله، وقيل: التفت أي لفها الكافر إذا كفر وفي قوله: ﴿السَّاقُ﴾ و﴿الْمَسَاقُ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ هذا جواب إذا بلغت التراقي، والمساق مصدر من السوق كقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ لا هنا نافية، وصدق هنا يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله، أو من الصدقة، ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل.

﴿يَتَمَطَّىٰ﴾ أي يتبختر في مشيته وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء، وكانت هذه المشية معروفة في بني مخزوم الذين كان أبو جهل منهم.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ وعيد وتهديد. ﴿فَأَوْلَىٰ﴾ وعيد ثان، ثم كرر ذلك تأكيدا، وروي[١]: أن رسول الله ﷺ لبب أبا جهل وقال له: إن الله يقول لك: أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى، فنزل القرآن بموافقة ذلك.

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٧٩.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ هذا توبيخ ومعناه أيظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء فهو كقوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا والإنسان هنا جنس وقيل نزلت في أبي جهل ولا يبعد أن يكون سببها خاصا ومعناها عام.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ﴾ النطفة النقطة وتمنى من قولك أمنى الرجل. ومعنى الآية الاستدلال بخلقة الإنسان على بعثه كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ والعلقة الدم لأن المني يصير في الرحم دما.

﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي خلقه بشرا فسوى صورته أي أتقنها.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ هذا تقرير واحتجاج، وروي[1]: أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال: بلى وفي رواية: «سبحانك اللهم بلى».

*** *** ***

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٨٤/٢٤ بصيغة تمريض، وهي: ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحانك وبلَى.

سورة الإنسان

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ هل هنا بمعنى التقرير لا لمجرد الاستفهام، وقيل: هل بمعنى قل، والإنسان هنا جنس، والحين الذي أتى عليه حين كان معدوما قبل أن يخلق، وقيل: الإنسان هنا آدم، والحين الذي أتى عليه حين كان طينا قبل أن ينفخ فيه الروح، وهذا ضعيف لوجهين:

أحدهما قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهو هنا جنس باتفاق إذ لا يصح هنا في آدم.

والآخر: أن مقصد الآية تحقير الإنسان.

﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي أخلاط واحدها مشج بفتح الميم والشين، وقيل: مشج بوزن عدل، وقال الزمخشري: ليس أمشاج بجمع وإنما هو مفرد كقولهم: برمة أعشار، ولذلك أوقع صفة للمفرد، واختلف في معنى الأخلاط هنا، فقيل: اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، وقيل: اختلاط ماء الرجل والمرأة، وروي: أن عظام الإنسان وعصبه من ماء الرجل، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة، وقيل: معناه ألوان وأطوار، أي يكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة. ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي نختبره، وهذه الجملة في موضع الحال، أي خلقناه مبتلين له، وقيل: معناه نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة. ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ هذا معطوف على خلقنا الإنسان، ومن جعل نبتليه بمعنى نصرفه في بطن أمه فهذا عطف عليه، وقيل: أن نبتليه مؤخر في المعنى، أي جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه، وهذا تكلف بعيد.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي سبيل الخير والشر، ولذلك قسم الإنسان إلى قسمين: شاكرا، أو كفورا، وهما حالان من الضمير في هديناه، والهدى هنا بمعنى

بيان الطريقين وموهبة العقل الذي يميز به بينهما، ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد، أي هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

﴿سَلَـٰسِلَا۟﴾ من قرأه بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف؛ لأنه جمع لا نظير له في الآحاد، ومن قرأه بالتنوين[١] فله ثلاث توجيهات:

أحدها: أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلا أفعل.

والآخر: أن النون بدل من حرف الإطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف.

والثالث: أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر قد عود لسانه صرف مالا ينصرف فجرى على ذلك[٢].

﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع بار أو بر ومعناه العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح حتى قال بعضهم: الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر. ﴿مِن كَأْسٍ﴾ ذكر في الصافات معنى الكاس ومن هنا يحتمل أن تكون للتبعيض أو الابتداء الغاية ﴿مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ أي تمزج الخمر بالكافور، وقيل: المعنى أنه كافور في طيب رائحته، كما تمدح طعاما فتقول: هذا مسك.

﴿عَيْناً﴾ بدل من كافورا على القول بأن الخمر تمزج بالكافور، أو بدل من موضع ﴿مِن كَأْسٍ﴾ على القول الآخر كأنه قال: يشربون خمرا خمر عين، وقيل: هو مفعول يشربون، وقيل: منصوب بإضمار فعل ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية: الباء زائدة والمعنى يشربها وهذا ضعيف؛ لأن الباء إنما تزاد في مواضع ليس هذا منها، وإنما هي كقولك: شربت الماء بالعسل لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر. ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ وصفهم بالعبودية وفيه معنى التشريف والاختصاص كقوله:

---

(١) قرأ المدنيان والكسائي وأبو بكر بالتنوين ووقفوا عليه بألف. النشر: ٤٣٦/٢.

(٢) المحرر الوجيز: ٣٨١/٥.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا
كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا
وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾
مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً
عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ
وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ
سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ
لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾
عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا
﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا
تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

ربع

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾. ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي يفجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يصعب عليهم وفي الأثر: أن في قصر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة عينا تفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين.

﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي منتشرا شائعا، ومنه: استطار الفجر إذا انشق ضوؤه. ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في علي بن أبي طالب[1] وفاطمة والحسن والحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطورهم ليأكلوه جاء مسكين فرفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطورهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطرهم جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين، والآية على هذا مدنية لأن عليا إنما تزوج فاطمة بالمدينة، وقيل: إنما هي مكية وليست في علي.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير للطعام أي يطعمونه مع حبه والحاجة إليه فهو كقوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ففي قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ تتميم وهو من أدوات البيان وقيل: الضمير لله، وقيل: للإطعام المفهوم من يطعمون، والأول أرجح وأظهر. ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قد ذكرنا المسكين واليتيم، وأما الأسير ففيه خمسة أقوال:

---

(١) لم أجده مسندا وانظر أسباب النزول للواحدي، ص: ٣٣٦.

أحدها: أن الأسير الكافر بين المسلمين ففي إطعامه أجر؛ لأنه في كل ذي كبد رطبة أجر، وقيل: نسخ ذلك بالسيف.

والآخر: أنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية.

والثالث: أنه المملوك.

الرابع: أنه المسجون.

الخامس: أنه المرأة لقوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم»[1] وهذا بعيد، والأول أرجح؛ لأنه روي: أن النبي ﷺ كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له أحسن إليه[2].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ عبارة عن الإخلاص لله ولذلك فسروه وأكدوه بقولهم: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ والشكور مصدر كالشكر، ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بألسنتهم أو قالوه في نفوسهم فهو عبارة عن النية والقصد.

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ وصف اليوم بالعبوس مجاز على وجهين:

أحدهما: أن يوصف اليوم بصفة أهله، كقولهم: نهاره صائم وليله قائم.

وروي: أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القطران.

والآخر: يشبه في شدته بالأسد العبوس.

---

(١) صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِى الضِّلَعِ أَعْلاَهُ إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا». مسلم الحديث رقم: (٣٧٢٠)، وفي الترمذي «فإنما هن عوان عندكم» الحديث رقم: (٣٠٨٧)، والنسائي الحديث رقم: (٩١٦٩).

(٢) لم أجده مسندا ويورده بعض كتب التفسير بدون ذكر سند الكشاف: ٦٦٩/٤، والألوسي: ١٥٥/٢٩.

﴿قَمْطَرِيراً﴾ قال ابن عباس[1]: معناه طويل، وقيل: شديد.

﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾ النضرة التنعم وهذا في مقابلة عبوس الكافر، وقوله: ﴿وَقَاهُمْ﴾، ﴿وَلَقَّاهُمْ﴾ من أدوات البيان.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ أي بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم حسبما ذكرنا[2] من قصة علي وفاطمة والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقد ذكرنا الأرائك.

﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾ عبارة عن اعتدال هوائها، أي ليس فيها حر ولا برد والزمهرير هو البرد الشديد، وقيل: هو القمر بلغة طيئ، والمعنى على هذا: أن للجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ معناه أن ظلال الأشجار متدلية عليهم قريبة منهم وإعراب دانية معطوف على متكئين، وقال الزمخشري: هو معطوف على الجملة التي قبلها وهي: ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾؛ لأن هذه الجملة في حكم المفرد تقديره: غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية، ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم أي جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال، وقيل: هو صفة لجنة عطف بالواو كقولك: فلان عالم وصالح، وقيل: هو معطوف عليها أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها. ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ القطوف جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب وشبه ذلك، وتذليلها هو أن تتدلى إلى الأرض، وروي: أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أي حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع؛ لأنها تتدلى لهم كما يريدون، وهذه الجملة في موضع الحال من دانية أي دانية في حال تذليل قطوفها أو معطوفة عليها.

﴿بِآنِيَةٍ﴾ هي جمع إناء ووزنها أفعلة وقد ذكرنا الأكواب في الواقعة.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٩١٠.

(٢) سبق.

﴿قَوَارِيرَاْ﴾ القوارير هي الزجاج فإن قيل: كيف يتفق أنها زجاج مع قوله: ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾؟ فالجواب: أن المراد أنها في أصلها من فضة وهي تشبه الزجاج في صفائها وشفيفها، وقيل: هي من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه لشرف الفضة وبياضها، ومن قرأ بغير تنوين فهو على الأصل[1] ومن نونه فعلى ما ذكرنا في سلاسل.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾ هذه صفة للقوارير والمعنى قدروها على قدر الأكف أو على قدر ما يحتاجون من الشراب، قال مجاهد هي لا تغيض ولا تفيض، وقيل قدروها على حسب ما يشتهون والضمير الفاعل في قدروها يحتمل أن يكون للشاربين بها أو للطائفتين بها.

﴿مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً﴾ هو كما ذكرنا في مزاجها كافورا.

﴿سَلْسَبِيلاً﴾ معناه أنه سلسل منقاد لجريه، وقيل: سهل الانحدار في الحلق، يقال: شراب سلسل وسلسال وسلسبيل بمعنى واحد وزيدت الباء في التركيب للمبالغة في سلاسته فصارت الكلمة خماسية، وقيل: سل فعل أمر سبيلا مفعول به، وهذا في غاية الضعف.

﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ ذكر في الواقعة. ﴿لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً﴾ شبههم باللؤلؤ في الحسن والبياض وبالمنثور منه في كثرتهم وانتشارهم في القصور.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ مفعول رأيت محذوف ليكون الكلام على الإطلاق في كل ما يرى فيها، وثم ظرف مكان، وقال الفراء: تقديره إذا رأيت ما ثم فما مفعولة ثم

---

(١) نافع وأبو جعفر والكسائي وأبو بكر ﴿قواريرا قواريرا﴾ بتنوينهما، ووقفوا عليهما بالألف، وابن كثير وخلف في اختياره في الأول بالتنوين، ووقفا عليه بالألف. والثاني بغير تنوين ووقفا عليه بغير ألف. والباقون بغير تنوين فيهما، ووقف حمزة ورويس عليهما بغير ألف، ووقف هشام عليهما بالألف صلة للفتحة، ووقف الباقون وهم أبو عمرو وحفص وابن ذكوان وروح على الأول بالألف وعلى الثاني بغير ألف، فحصل من ذلك أن من لم ينونهما وقف على الأول بالألف إلا حمزة ورويسا وعلى الثاني بغير ألف إلا هشاما. تحبير التيسير، ص: ٥٩٩.

حذفت، قال الزمخشري: وهذا خطأ؛ لأن ثم صلة لما ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة. ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ يعني كثرة ما أعطاهم الله حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه حسبما ورد في الحديث[1]، وقيل أراد أن الملائكة تسلم عليهم وتستأذن عليهم فهم بذلك كالملوك.

﴿عَالِيهِمْ﴾ بسكون الياء مبتدأ خبره. ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ أي ما يعلوهم من الثياب ثياب سندس، وقرئ[2] بالنصب على الحال من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم وقال ابن عطية: العامل فيه لقاهم أو جزاهم، وقال أيضًا: يجوز أن ينتصب على الظرف لأن معناه فوقاهم وقد ذكرنا معنى السندس والإستبرق وقرئ ﴿خُضْرٌ﴾ بالخفض[3] صفة لسندس وبالرفع صفة لثياب. ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالرفع[4] عطف على ثياب وبالخفض عطف على سندس. ﴿وَحُلُّوا﴾ وزنه فعلوا معناه جعل لهم حلى. ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ ذكرنا الأساور في الكهف فإن قيل كيف قال هنا أساور من فضة وفي موضع آخر أساور من ذهب فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة قال رسول الله ﷺ[5]: «جنتان من ذهب آنيتهما

(١) في الصحيح.. إن آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا، فيقول له ربه: ادخل الجنة فيقول: رب الجنة ملأى، فيقول له ذلك ثلاث مرات، فكل ذلك يعيد عليه: الجنة ملأى، فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مرار. البخاري الحديث رقم: (٧٠٧٣)، ومسلم الحديث رقم: (٤٧٩)، ولفظه: «فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا ـ قَالَ ـ فَيَقُولُ أَتَسْخَرُ بِي ـ أَوْ أَتَضْحَكُ بِي ـ وَأَنْتَ الْمَلِكُ» قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً».

(٢) ﴿عاليهم﴾ قرأ المدنيان وحمزة بإسكان الياء وكسر الهاء وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الهاء. النشر: ٢/٤٣٧.

(٣) ﴿خضر﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع. النشر المصدر السابق.

(٤) ﴿وإستبرق﴾ قرأ ابن كثير ونافع وعاصم بالرفع وقرأ الباقون بالخفض. النشر المصدر السابق.

(٥) تقدم تخريجه.

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ
وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ
هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن
يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرسَلَات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾
كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما» فلعل الذهب للمقربين والفضة لأهل اليمين، ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معا. ﴿شَرَاباً طَهُوراً﴾ أي ليس بنجس كخمر الدنيا، وقيل: معناه أنه لم تعصره الأقدام، وقيل: معناه لا يصير بولا.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي يقال لهم هذا يقوله الله تعالى والملائكة.

﴿ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ أو هنا للتنويع فالمعنى لا تطع النوعين فاعلا للإثم ولا كفورا، وقيل: هي بمعنى الواو أي جامعا للوصفين لأن هذه هي حالة الكفار، وروي: أن الآية نزلت في أبي جهل، وقيل: إن الآثم عتبة بن ربيعة، والكفور الوليد بن المغيرة، والأحسن أنها على العموم لأن لفظها عام وإن كان سبب نزولها خاصا.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ هذا أمر بذكر الله في كل وقت، وقيل: إشارة إلى الصلوات الخمس، فالبكرة صلاة الصبح، والأصيل الظهر والعصر، ومن الليل المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي الدنيا والإشارة إلى الكفار، واليوم الثقيل يوم القيامة، ووصفه بالثقل عبارة عن هوله وشدته.

﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ الأسر الخلقة، وقيل: المفاصل والأوصال، وقيل: القوة.

﴿بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم، وقيل: مسخناهم فبدلنا صورهم، وهذا تهديد.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلى الآية أو السورة أو الشريعة بجملتها. ﴿فَمَن شَآءَ﴾ تحضيض وترغيب، ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله.

﴿وَالظَّٰلِمِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر، تقديره: ويعذب الظالمين.

*** *** ***

سورة المرسلات

اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين:

أحدهما: أنها الملائكة.

والآخر: أنها الرياح.

فعلى القول بأنها الملائكة سماهم المرسلات لأن الله تعالى يرسلهم بالوحي وغيره، وسماهم العاصفات لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيهم إلى امتثال أوامر الله تعالى، وسماهم ناشرات لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو وينشرون الشرائع في الأرض، أو ينشرون صحائف الأعمال، وسماهم الفارقات لأنهم يفرقون بين الحق والباطل، وعلى القول بأنها الرياح سماها المرسلات لقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ وسماها العاصفات من قوله: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أي شديدة، وسماها الناشرات لأنها تنشر السحاب في الجو ومنه قوله: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ وسماها الفارقات؛ لأنها تفرق بين السحاب، ومنه قوله: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ وأما الملقيات ذكرا، فهم الملائكة لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام، والأظهر في المرسلات والعاصفات أنها الرياح؛ لأن وصف الريح بالعصف حقيقة، والأظهر في الناشرات والفارقات أنها الملائكة لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح، ولأن الملقيات المذكورة بعدها هي الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح، ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال: والمرسلات فالعاصفات ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال: والناشرات ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء، وقد قيل في المرسلات والملقيات أنهم الأنبياء عليهم السلام. ﴿عُرْفًا﴾ معناه فضلا وإنعاما، وانتصابه على أنه مفعول من أجله، وقيل: معناه متابعة، وهو مصدر في موضع الحال، وأما عصفا ونشرا وفرقا فمصادر، وأما ذكرا فمفعول به.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ العذر فسره ابن عطية وغيره بمعنى إعذار الله إلى عباده

لئلا تبقى لهم حجة أو عذر، وفسره الزمخشري بمعنى الاعتذار، يقال عذر: إذا محا الإساءة، وأما نذرا فمن الإنذار وهو التخويف وقرئ[١] بضم الذال في الموضعين وبإسكانها، ويحتمل أن يكونا مصدرين فيكون نصبهما على البدل من ذكرا أو مفعولا بـ (ذكرا)، ويحتمل أن يكون عذرا جمع عذير أو عاذر ونذرا جمع نذير فيكون نصبهما على الحال.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ يعني البعث والجزاء وهو جواب القسم.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي زال ضوؤها، وقيل: محيت. ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ أي انشقت. ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ أي صارت غبارا.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي جعل لها وقت معلوم فحان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة، وقرئ[٢] وقتت بالواو وهو الأصل والهمزة بدل من الواو.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ هو من الأجل كما أن التوقيت من الوقت، وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم، ثم بينه بقوله: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ أي يفصل فيه بين العباد ثم عظمه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تكراره في هذه السورة قيل: إنه تأكيد، وقيل: بل في كل آية ما يقتضي التصديق، فجاء ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ راجعا إلى ما قبله في كل موضع منها.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني الكفار المتقدمين كقوم نوح وغيرهم ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ يعني قريشا وغيرهم من الكفار بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره.

---

(١) قال الداني: قرأ الحرميان وابن عامر وأبو بكر ﴿أو نذرا﴾ بضم الذال والباقون بإسكانها. التيسير، ص: ١٣٨.

(٢) ﴿أقتت﴾ قرأ أبو عمرو وابن وردان بواو مضمومة مبدلة من الهمزة. النشر: ٢/٤٣٧.

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾
إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا
﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ
﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ
ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ
صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا
يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ
جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾
وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم يعني الكفار.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني المني والمهين الضعيف.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني رحم المرأة وبطنها.

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ يعني وقت الولادة وهو معلوم عند تسعة أشهر، أو أقل منها أو أكثر.

﴿فَقَدَّرْنَا﴾ بالتشديد[1] من التقدير وبالتخفيف من القدرة فإذا كان من القدرة اتفق مع قوله: ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ وإذا كان من التقدير فهو تجنيس.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ الكفات من كفت إذا ضم وجمع فالمعنى: أن الأرض تكفت الأحياء على ظهرها والموتى في بطنها، وانتصب أحياء وأمواتا على أنه مفعول بكفاتا؛ لأن الكفات اسم لما يضم ويجمع فكأنه قال: جامعة أحياء وأمواتا، ويجوز أن يكون المعنى تكفتهم أحياء وأمواتا فيكون نصبهما على الحال من الضمير، وإنما نكر أحياء وأمواتا للتفخيم ودلالة على كثرتهم.

﴿رَوَٰسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ أي مرتفعات. ﴿مَّآءً فُرَاتًا﴾ أي حلوا.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ خطاب للمكذبين وقرأ يعقوب بفتح اللام[2] على أنه فعل ماض

---

(١) ﴿فقدرنا﴾ قرأ المدنيان والكسائي بتشديد الدال وغيرهم بتخفيفها. التيسر، ص: ٣٥٧، والبدور الزاهرة، ص: ١٣٨.

(٢) قال في النشر: ٢/٤٣٧ فروى رويس ﴿انطلقوا﴾ بفتح اللام وقرأ الباقون بكسرها.

ثم كرره لبيان المنطلق إليه.

﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ يعني دخان جهنم، ومنه: ﴿ظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾. ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتظلهم بينما يكون المؤمنون في ظلال العرش، وقيل: إن هذه الآية في عبدة الصليب لأنهم على ثلاث شعب، فيقال لهم انطلقوا إليه.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ نفى عنه أن يظلهم كما يظل العرش المؤمنين، ونفى أيضا أن يمنع عنهم اللهب.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ الضمير في إنها لجهنم، والقصر واحد القصور وهي الديار العظام شبه الشرر به في عظمته وارتفاعه في الهواء، وقيل: هو الغليظ من الشجر واحده قصرة كجمرة وجمر.

﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ في الجمالات قولان:

أحدهما: أنها جمع جمال شبه بها الشرر، وصفر على ظاهره لأن لون النار يضرب إلى الصفرة، وقيل: صفر هنا بمعنى سود يقال جمل أصفر أي أسود وهذا أليق بوصف جهنم.

الثاني: أن الجمالات قطع النحاس الكبار فكأنه مشتق من الجملة وقرئ جمالات[١] بضم الجيم وهي قلوس السفن وهي حبالها العظام.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ هذا في مواطن، وقد يتكلمون في مواطن أخر لقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾.

---

(١) قال في النشر: واختلفوا في ﴿جمالة صفر﴾ فقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿جمالة﴾ بغير ألف بعد اللام على التوحيد، وقرأ الباقون بالألف على الجمع. واختلفوا في الجيم منها فروى رويس بضم الجيم وقرأ الباقون بكسرها. المصدر السابق.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ تعجيز لهم وتعريض بكيدهم في الدنيا وتقريع عليه.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يقال لهم ذلك في الجنة بلسان الحال، أو بلسان المقال.

﴿هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ نصب هنيئا على الحال، أو على الدعاء.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ خطاب للكفار على وجه التهديد، تقديره: قل لهم كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ هذا إخبار عن حال الكفار في الدنيا وذكر الركوع عبارة عن الصلاة، وقيل: معنى اركعوا اخشعوا وتواضعوا، وقيل: هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة؛ لأنهم إذا قيل لهم اركعوا لا يقدرون على الركوع. كقوله: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ والأول أشهر وأظهر.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير للقرآن.

❊❊ ❊❊ ❊❊

سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

• عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ
مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ
نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ
أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾
وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا
سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ
حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾
يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا
﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا
﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا
وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

سورة النبإ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أصل عم عن ما ثم أدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما لأنها استفهامية تقديرها: عن أي شيء يتساءلون؟ وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام، وإنما المراد تفخيم الأمر، والضمير في يتساءلون لكفار قريش، أو لجميع الناس، ومعناه يسأل بعضهم بعضا.

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ هو ما جاءت به الشريعة، من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك، ويتعلق عن النبإ بفعل محذوف يفسره الظاهر تقديره: يتساءلون عن النبإ، ووقعت هذه الجملة جوابا عن الاستفهام وبيانا للمسؤول عنه، كأنه لما قال عم يتساءلون؟ أجاب فقال: يتساءلون عن النبإ العظيم، وقيل: يتعلق عن النبإ بيتساءلون الظاهر، والمعنى على هذا: لأى شيء يتساءلون عن النبإ العظيم؟ والأول أفصح وأبرع، وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله عم يتساءلون.

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ إن كان الضمير في يتساءلون لكفار قريش فاختلافهم أن منهم من يقطع بالتكذيب ومنهم من يشك، أو يكون اختلافهم قول بعضهم: سحر، وقول بعضهم: شعر وكهانة، وغير ذلك، وإن كان الضمير لجميع الناس فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع وتهديد، ثم كرره للتأكيد.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ أي فراشا، وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث، كأنه يقول: إن الإله الذي قدر على خلقة هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أنه ذكرها حجة على التوحيد؛ لأن الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد.

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي مزدوجين ذكرا وأنثى، وقيل: معناه أنواعا في ألوانكم وصوركم وألسنتكم.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي راحة لكم، وقيل: معناه قطعا للأعمال والتصرف، والسبت القطع، وقيل: معناه موتا؛ لأن النوم هو الموت الأصغر، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبهه بالثياب التي تلبس لأنه ستر عن العيون.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي تطلب فيه المعيشة فهو على حذف مضاف تقديره: ذا معاش، وقال الزمخشري[1]: معناه يعاش فيه، فجعله بمعنى الحياة في مقابلة السبات الذي بمعنى الموت.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني السموات. ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني الشمس، والوهاج الوقاد الشديد الإضاءة، وقيل: الحار الذي يضطرم من شدة لهبه.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ يعني المطر، والمعصرات هي السحاب وهو مأخوذ من العصر؛ لأن السحاب ينعصر فينزل منه الماء، أو من العصرة بمعنى

(١) الكشاف: ٤/٦٨٦.

الإغاثة، ومنه: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ وقيل: هي السموات، وقيل: الرياح، والثجاج: السريع الاندفاع.

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ الحب هو القمح والشعير وسائر الحبوب، والنبات هو العشب.

﴿وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا﴾ أي ملتفة وهو جمع لف بضم اللام، وقيل: بالكسر، وقيل: لا واحد له.

﴿كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ أي في وقت معلوم.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ يعني نفخة القيام من القبور. ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي جماعات.

﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي تنفتح فتكون فيها شقاق كالأبواب.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ أي حملت. ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ عبارة عن تلاشيها وفنائها، والسراب في اللغة ما يظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا، وإنما هو تشبيه في أنه لا شيء.

﴿مِرْصَادًا﴾ أي موضع الرصد، والرصد: هو الارتقاب والانتظار أي تنتظر الكفار ليدخلوها، وقيل: معناه طريقا للمؤمنين يمرون عليه إلى الجنة؛ لأن الصراط منصوب على جهنم.

﴿مَـَٔابًا﴾ أي مرجعا. ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ جمع حقبة أو حقب وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وقيل: إنها محدودة ثم اختلف في مقدارها، فروي[(١)] عن النبي ﷺ أنها ثمانون ألف سنة، وقال ابن عباس:[(٢)]: ثلاثون

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٩٥، والسيوطي في الدر المنثور: ٨/٣٩٥ بسند ضعيف.

(٢) لم أجده.

سنة، وقيل: ثلاثمائة سنة وعلى القول بالتحديد، فالمعنى: أنهم يبقون فيها أحقابا كلما انقضى حقب جاء آخر إلى غير نهاية، وقيل: إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي ثم نسخ بقوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾ وهذا خطأ؛ لأن الأخبار لا تنسخ، وقيل: هي في عصاة المؤمنين الذي يخرجون من النار وهذا خطأ؛ لأنها في الكفار لقوله: ﴿وَكَذَّبُواْ بِئَايَٰتِنَا﴾، وقيل: معناها أنهم يبقون أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب.

﴿لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً﴾ أي لا يذوقون برودة تخفف عنهم حر النار، وقيل: لا يذوقون ماء باردا، وقيل: البرد هنا النوم، والأول أظهر.

﴿إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾ استثناء من الشراب وهو متصل، والحميم الماء الحار والغساق صديد أهل النار، وقد ذكر في سورة داود.

﴿جَزَآءً وِفَاقاً﴾ أي موافقا أعمالهم لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار، ووفاقا مصدر وصف به أو هو على حذف مضاف تقديره: ذو وفاق.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً﴾ هذا مثل لا يرجون لقاءنا وقد ذكر.

﴿كِذَّاباً﴾ بالتشديد مصدر بمعنى تكذيب، وبالتخفيف بمعنى الكذب، أو المكاذبة وهي تكذيب بعضهم لبعض.

﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾ قال رسول الله ﷺ[1]: «ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية».

---

(١) لم أجده مرفوعا، وعن الحسن بن دينار قال: سالت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار؟ فقال: قول الله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾ تفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٩٥/١٠، وأخرج الطبري عن عبد الله بن عمرو، قال: لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبدا. جامع البيان: ١٦٩/٢٤.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾
وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن
رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا
يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا
يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ
فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا
﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ
﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً
﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ
﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾

﴿مَفَازًا﴾ أي موضع فوز يعني الجنة. ﴿حَدَآئِقَ﴾ أي بساتين.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جمع كاعب وهي الجارية التي خرج ثديها. ﴿أَتْرَابًا﴾ أي على سن واحد.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أي ملأى، وقيل: صافية، والأول أشهر.

﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ أي كافيا من أحسب الشيء إذا كفاه، وقيل: معناه على حسب أعمالهم.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالرفع[1] مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر، وبالخفض صفة لربك والرحمن بالخفض[2] صفة، وبالرفع خبر المبتدإ أو خبر ابتداء مضمر. ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ قال ابن عطية الضمير للكفار أي لا يملكون أن يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها، وقيل المعنى لا يقدرون أن يخاطبهم كقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ وقال الزمخشري[3]: الضمير لجميع الخلق أي ليس بأيديهم شيء من خطاب الله.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ قيل: هو جبريل، وقيل: ملك عظيم يكون هو وحده صفا والملائكة صفا، وقيل: يعني أرواح بني آدم فهو اسم جنس، و﴿يَوْمَ﴾ يتعلق بـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾. ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الضمير للملائكة والروح

(١) ﴿رب السموات﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب والكوفيون بخفض الباء وقرأ الباقون برفعها. النشر: ٢/٤٣٨.

(٢) ﴿الرحمن﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب وعاصم بخفض النون وقرأ الباقون برفعها. النشر المصدر السابق.

(٣) الكشاف: ٤/٦٩٠.

أي تمنعهم الملائكة من الكلام إلا من بعد أن يأذن الله لهم، وقول الصواب يكون في ذلك الموطن على هذا، وقيل: الضمير للناس خاصة والصواب المشار إليه، قول: لا إله إلا الله، أي من قالها في الدنيا.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي الحق وجوده ووقوعه. ﴿فَمَن شَآءَ﴾ تخصيص وترغيب.

﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني عذاب الآخرة ووصفه بالقرب لأن كل آت قريب، أو لأن الدنيا على آخرها ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ المرء هنا عموم في المؤمن والكافر، وقيل: هو المؤمن، وقيل: هو الكافر، والعموم أحسن؛ لأن كل أحد يرى ما عمل لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية. ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ تمنى أن يكون يوم القيامة ترابا فلا يحاسب ولا يجازى، وقيل: تمنى أن يكون في الدنيا ترابا أي لم يخلق، وروي أن البهائم تحشر ليقتص لبعضهم من بعض ثم ترد ترابا فيتمنى الكافر أن يكون ترابا مثلها وهذا يقوي الأول، وقيل: الكافر هنا إبليس يتمنى أن يكون خلق من تراب مثل آدم وذريته، لما رأى ثوابهم وقد كان احتقر التراب في قوله: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾.

❊❊ ❊❊ ❊❊

سورة النازعات

اختلف في معنى النازعات والناشطات والسابقات والسابحات والمدبرات، فقيل: إنها الملائكة، وقيل: النجوم، فعلى القول بأنها الملائكة سماهم نازعات لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادها، وناشطات لأنهم ينشطونها أي يخرجونها، فهو من قولك: نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها، وسابحات لأنهم يسبحون في سيرهم أي يسرعون فيسبقون فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله، وعلى القول بأنها النجوم سماها نازعات لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب، وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج، وسابحات لأنها تسبح في الفلك ومنه ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فتسبق في جريها فتدبر أمرا من علم الحساب، وقال ابن عطية: لا أعلم خلافا أن المدبرات أمرا الملائكة، وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا، وقد قيل: في النازعات والناشطات أنها النفوس تنزع من معنى النزع بالموت فتنشط من الأجساد، وقيل: في السابحات والسابقات أنها الخيل وأنها السفن.

﴿غَرْقًا﴾ إن قلنا إن النازعات الملائكة ففي معنى غرقا وجهان:

أحدهما: أنها من الغرق أي تغرق الكفار في جهنم.

والآخر: أنه من الإغراق في الأمر بمعنى المبالغة فيه، أي تبالغ في نزعها فتقطع الفلك كله، وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضا من الإغراق أي تغرق في الخروج من الجسد، والإعراب ﴿غَرْقًا﴾ مصدر في موضع الحال، (ونشطا وسبحا وسبقا) مصادر وأمرا مفعول به وجواب القسم محذوف وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة، وقيل: الجواب: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ على تقدير حذف لام التأكيد، وقيل: هو ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾

وهذا بعيد لبعده عن القسم، ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا لمعنى القسم.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ قيل الراجفة النفخة الأولى في الصور، والرادفة النفخة الثانية لأنها تتبعها، ولذلك سماها رادفة من قولك: ردفت الشيء إذا تبعته وفي الحديث(١): «أن بينهما أربعين عاما»، وقيل: الراجفة الموت، والرادفة: القيامة، وقيل: الراجفة الأرض من قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ والرادفة: السماء لأنها تنشق يومئذ، والعامل في يوم ترجف محذوف وهو الجواب المقدر، تقديره: لتبعثن يوم ترجف الراجفة، وإن جعلنا يوم ترجف الجواب فالعامل في يوم معنى قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ وقوله: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ في موضع الحال، ويحتمل أن يكون العامل فيه ﴿تَتْبَعُهَا﴾ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: أي شديدة الاضطراب، والوجيف والوجيب بمعنى واحد، وارتفع قلوب بالابتداء وواجفة خبره، وقال الزمخشري(٢): واجفة صفة والخبر: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ كناية عن الذل والخوف وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز، والتقدير: قلوب أصحابها.

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ هذا حكاية قول الكفار في الدنيا، ومعناه على الجملة: إنكار البعث فالهمزة في قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ للإنكار، ولذلك اتفق العلماء على قراءته بالهمزتين إلا أن منهم من سهل الثانية ومنهم من خففها، واختلفوا في ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ فمنهم من قرأه بهمزة واحدة(٣) لأنه ليس بموضع استفهام ولا إنكار، ومنهم من قرأه بهمزتين

---

(١) لم أجده مسندا.

(٢) الكشاف: ٤/٤٩٦.

(٣) قال الداني في التيسير: فإذا اختلفتا بالفتح والكسر نحو قوله ﴿أإذا كنا﴾ و﴿أإله مع الله﴾ و﴿أإن لنا﴾ وشبهه فالحرميان وأبو عمرو يسهلون الثانية، وقالون وأبو عمرو يدخلان قبلها ألفا، والباقون يحققون الهمزتين، وهشام من قراءتي على أبي الفتح يدخل بينهما ألفا.. ص: ٢٧.

تأكيدا للإنكار المتقدم، ثم اختلفوا في معنى الحافرة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحالة الأولى يقال رجع فلان في حافرته إذا رجع إلى حالته الأولى، فالمعنى: أئنا لمردودون إلى الحياة بعد الموت.

والآخر: أن الحافرة الأرض بمعنى محفورة، فالمعنى: أئنا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن في القبور.

والثالث: أن الحافرة النار والعظام النخرة البالية المتعفنة وقرئ[1] ناخرة بألف وبحذف الألف وهما بمعنى واحد إلا أن حذف الألف أبلغ لأن فعل أبلغ من فاعل، وقيل معناه العظام المجوفة التي تمر بها الريح فيسمع لها نخير والعامل في إذا كنا محذوف تقديره إذا كنا عظاما تبعث، ويحتمل أن يكون العامل فيه مردودون في الحافرة، ولكن إنما يجوز ذلك على قراءة إذا كنا بهمزة واحدة على الخبر ولا يجوز على قراءته بهمزتين لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها.

﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ الكرة الرجعة والخاسرة منسوبة إلى الخسران كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي ذات رضى، أو معناه خاسر أصحابها، ومعنى هذا الكلام أنهم قالوا: إن كان البعث حقا فكرتنا خاسرة؛ لأنا ندخل النار.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني النفخة في الصور للقيام من القبور وهذا من كلام الله تعالى ردا على الذين أنكروا البعث، كأنه يقول: لا تظنوا أنه صعب على الله، هو عليه يسير فإنما ينفخ نفخة واحدة في الصور فيقوم الناس من قبورهم.

﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ إذا هنا فجائية، والساهرة وجه الأرض والباء ظرفية والمعنى: إذا نفخ في الصور حصلوا بالأرض أسرع شيء.

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ توقيف وتنبيه وليس المراد به مجرد الاستفهام.

---

(١) قال الداني: قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي ﴿ناخرة﴾ بالألف، والباقون بغير ألف. التيسير، ص: ١٣٨، والسبعة لابن مجاهد، ص: ٦٧١.

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ
﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾
فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾
فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ
الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ
خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ
لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ
مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ
الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ
وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ
خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ
﴿٤١﴾ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن
ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا
﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

ربع

سُورَةُ عَبَسَ

ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

﴿طُوًى﴾ ذكر في طه. ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ تفسير للنداء.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل، وقال بعضهم: تزكى تسلم، وقيل: تقول: لا إله إلا الله، والأول أعم.

﴿الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ قلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وجعلهما واحدة؛ لأن الثانية تتبع الأولى، ويحتمل أن يريد الأولى وحدها.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ الإدبار كناية عن الإعراض عن الإيمان، ويسعى عبارة عن جده في الكفر، وفي إبطال أمر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: هو حقيقة أي قام من مجلسه يفر من مجالسة موسى، أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانا.

﴿فَحَشَرَ﴾ أي جمع جنوده وأهل مملكته. ﴿فَنَادَىٰ﴾ أي نادى قومه وقال لهم ما قال، ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر من يناديهم، والأول أظهر، وروي: أنه قام فيهم خطيبا فقال ما قال.

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ النكال مصدر بمعنى التنكيل، والعامل فيه ﴿أَخَذَهُ اللَّهُ﴾ لأنه بمعناه، وقيل: العامل محذوف، و﴿الْآخِرَةِ﴾ هي دار الآخرة ﴿وَالْأُولَىٰ﴾ الدنيا فالمعنى نكال الآخرة بالنار ونكال الأولى بالغرق، وقيل: الآخرة قوله: أنا ربكم الأعلى، والأولى قوله: ما علمت لكم من إله غيري وقيل: بالعكس، فالمعنى: أخذه الله وعاقبه على كلمة الآخرة وكلمة الأولى.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ السمك غلظ السماء وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها، ومعنى رفعه أنه جعله مسيرة خمسمائة عام، وقيل: السمك السقف. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي أتقن خلقتها، وقيل: جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي جعله مظلما، يقال: غطش الليل إذا أظلم، وأغطشه الله ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أي أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى، وأضاف الضحى والليل إلى السماء من حيث أنهما ظاهران منها وفيها.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا﴾ أي بسطها واستدل بها من قال إن الأرض بسيطة غير كروية، وقد ذكرنا في فصلت الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾ ومرعاها نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها، فإن قيل: لم قال أخرج بغير حرف العطف؟ فالجواب: أن هذه الجملة في موضع الحال وتفسير لما قبلها قاله الزمخشري.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ أي أثبتها ونصب الجبال بفعل مضمر يدل عليه الظاهر وكذلك الأرض.

﴿مَتَٰعاً لَّكُمْ﴾ تقديره فعل ذلك كله تمتيعا لكم منه. ﴿وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بما ذكر.

﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ هي القيامة، وقيل: النفخة الثانية، واشتقاقها من قولك: طم الأمر إذا علا وغلب.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ أي أظهرت لكل من يرى، فهي لا تخفى على أحد.

﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ ذكر في سورة الرحمن. ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي ردها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة، قال بعض الحكماء: إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه. وقال سهل التستري: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين.

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ ذكر في الأعراف. ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَا﴾ أي من ذكر زمانها، فالمعنى: لست في شيء من ذكر ذلك، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1]: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل عن الساعة كثيرا فلما نزلت هذه الآية انتهى.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَا﴾ أي منتهى علمها لا يعلم متى تكون إلا هو وحده.

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ أي إنما بعثت لتنذر بها وليس عليك الإخبار بوقتها، وخص الإنذار بمن يخشاها لأنه هو الذي ينفعه الإنذار.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم، وأضاف الضحى كذلك إلى العشية لما بينهما من الملابسة، إذ هما في يوم واحد.

*** *** ***

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٤/٢١٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَّدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا
عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهْوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ
عَنْهُ تَلَهّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ
مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ
الْإِنسَانُ مَآ أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾
ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا
يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبّاً ﴿٢٤﴾ ثُمَّ
شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً ﴿٢٥﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبّاً ﴿٢٦﴾ وَعِنَباً وَقَضْباً ﴿٢٧﴾ وَزَيْتُوناً
وَنَخْلاً ﴿٢٨﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْباً ﴿٢٩﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبّاً ﴿٣٠﴾ مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ
﴿٣١﴾ فَإِذَا جَآءَتِ الصَّآخَّةُ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٣﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ
﴿٣٤﴾ وَصَٰحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٥﴾ لِكُلِّ امْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٦﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٧﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٨﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا
غَبَرَةٌ ﴿٣٩﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤١﴾

سورة عبس

سبب نزول صدر هذه السورة[1] أن رسول الله ﷺ كان حريصا على إسلام قريش، وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا، فيسلم بإسلامهم غيرهم، فبينما هو مع رجل من عظمائهم، قيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف، وقال ابن عباس[2]: كانوا جماعة إذ أقبل عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك، وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم فكره رسول الله ﷺ قطع الأعمى كلامه، فعبس وأعرض عنه، وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله ﷺ فنزلت الآية، فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله ابن أم مكتوم بعد ذلك يقول: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه»[3] وقد استخلفه على المدينة مرتين[4].

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أي عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه، قال ابن عطية: في

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٩٩/١٠، والمحرر الوجيز: ٤٠٨/٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) قال ابن عطية: قال سفيان الثوري: فكان بعد ذلك إذا رأى ابن ام مكتوم بسط له رداءه، وقال أنس بن مالك رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة مرتين. المصدر السابق.

(٤) انظر معرفة الصحابة لأبي نعيم: ٤٨٧/١١.

مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب لأن في ذلك بعض الإعراض، وقال الزمخشري: في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار، وقال غيرهما: هو إكرام للنبي ﷺ وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ في موضع مفعول من أجله وهو منصوب بتولى أو عبس وذكر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمى ليدل أن عماه هو الذي أوجب احتقاره، وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كانت لمنفعة، أو يشتهر صاحبها بها، ومنه قول المحدثين: سليمان الأعمش، وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: أيُّ شيء يطلعك على حال هذا الأعمى؟. ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي يتطهر وينتفع في دينه بما يسمع منك.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ أي تتعرض للغنى رجاء أن يسلم.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أي لا حرج عليك أن لا يتزكى هذا الغني.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم، ومعنى يسعى يسرع في مشيه من حرصه في طلب الخير.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أي يخشى الله، أو يخاف الكفار وإذايتهم له على اتباعك، وقيل: جاء وليس معه من يقوده فكان يخشى أن يقع وهذا ضعيف.

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ أي تشتغل عنه بغيره من قولك: لهيت عن الشيء إذا تركته، وروي: أن رسول الله ﷺ تأدب بما أدبه الله في هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير ولا تعرض لغنى، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء، فكان الفقراء في مجلس سفيان الثوري كالأمراء، وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء.

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن معاودة ما وقع العتاب فيه. ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن هذا الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبي ﷺ.

والآخر: أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد وهذا أرجح لأنه يناسبه: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ وما بعده، وأنث الضمير في قوله: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ على معنى القصة أو الموعظة أو السورة أو القراءة، وذكرها في قوله: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ على معنى الوعظ، أو الذكر، والقرآن.

﴿فِي صُحُفٍ﴾ صفة لتذكرة أي ثابتة في صحف وهي الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ، وقيل: هي مصاحف المسلمين.

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ إن كانت الصحف المصاحف فمعناه مرفوعة المقدار، وإن كانت صحف الملائكة فمعناه كذلك، أو مرفوعة في السماء، و﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ أي منزهة عن أيدي الشياطين.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ هي الملائكة، والسفرة جمع سافر وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن، وقيل: لأنهم سفراء بين الله وبين عبيده، وقيل: يعني القراء من الناس، والأول أرجح، وقد قال رسول الله ﷺ[1]: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة» أي أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته، أو له من الأجر على القرآن مثل أجورهم.

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ﴾ دعاء عليه على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ، ومعناه تقبيح حاله وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك، وقيل: معناه لعن، وهذا بعيد. ﴿مَا أَكْفَرَهُۥ﴾ تعجيب من شدة كفره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ توقيف وتقرير، ثم أجاب عنه بقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ يعني المني، ومقصد الكلام تحقير الإنسان، ومعناه أنه يجب عليه أن يعظم

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٥٢)، ومسلم الحديث رقم: (١٨٩٨)، وأبو داود الحديث رقم: (١٢٤٢)، والترمذي الحديث رقم: (٢٨٢٩).

الرب الذي خلقه. ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ أي هيأه لما يصلح له، ومنه: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ وقيل: معناه جعله على مقدار معلوم في أعضائه، وأجله، ورزقه، وغير ذلك.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ نصب السبيل بفعل مضمر فسره يسره، وفي معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: يسر سبيل خروجه من بطن أمه.

والآخر: أنه سبيل الخير والشر لقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

والثالث: سبيل النظر السديد المؤدي إلى الإيمان، والأول أرجح لعطفه على قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ وهو قول ابن عباس[1].

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ أي جعله ذا قبر، يقال: قبرت الميت إذا دفنته وأقبرته إذا أمرت أن يدفن.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ أي بعثه من قبره يقال: نشر الميت إذا قام، وأنشره الله، والإشارة بإذا شاء ليوم القيامة، أي الوقت الذي يقدر أن ينشره فيه.

﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عما هو فيه. ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ أي لم يقض الإنسان على تطاول عمره ما أمره الله، قال بعضهم: لا يقضى أحد أبدا جميع ما افترض الله عليه، إذ لا بد للعبد من تفريط.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ أمر بالاعتبار في الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسره برحمته، فيجب على العبد طاعته وشكره، ويقبح معصيته والكفر به، وقيل: فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيعا فينظر حقارة الدنيا وخساسة نفسه، والأول

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٤١١، وهو قول قتادة وأبو صالح والسدي.

أشهر وأظهر في معنى الآية، على أن القول الثاني صحيح، وانظر كيف فسره بقوله: ﴿إِنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ وما بعده ليعدد النعم ويظهر القدرة وقرئ[1] أنا صببنا الماء بفتح الهمزة على البدل من الطعام.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يعني بخرج النبات منها.

﴿حَبًّا﴾ يعني القمح والشعير وسائر الحبوب.

﴿وَقَضْبًا﴾ قيل: هي الفصفصة، وقيل: هي علف البهائم، واختار ابن عطية أنها البقول وشبهها مما يؤكل رطبا.

﴿غُلْبًا﴾ أي غليظة ناعمة. ﴿وَأَبًّا﴾ الأب: المرعى عند ابن عباس[2] والجمهور، وقيل: التبن وقد توقف في تفسيره أبو بكر[3] وعمر[4] رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا.

﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ القيامة، وهي مشتقة من قولك: صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه، فكأنه إشارة إلى النفخة في الصور، أو إلى شدة الأمر حتى يصخ من يسمعه لصعوبته، وقيل: هي من قولك: أصاخ للحديث إذا استمعه، والأول هو الموافق للاشتقاق.

﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ الآية، ذكر فرار الإنسان من أحبابه ورتبهم على ترتيبهم في الحنو والشفقة، فبدأ بالأقل وختم بالأكثر؛ لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل من تقدم ذكره، وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه، وقيل إن فراره منهم

---

(١) قال الداني: الكوفيون: ﴿أنا صببنا﴾ بفتح الهمزة والباقون بكسرها. التيسير، ص: ١٣٩.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٢٤/٢٣٠ تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٤٠١.

(٣) لم أجده مسندا، قال الزمخشري: وعن أبي بكر الصديق رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنه سئل عن الأبّ؟ فقال: أيّ سماء تظلني، وأيّ أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به؟. الكشاف: ٤/٧٠٥.

(٤) أخرج الطبري قال: قرأ عمر بن الخطاب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ فلما أتى على هذه الآية: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ قال: قد عرفنا الفاكهة. فما الأبّ؟ قال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف. جامع البيان: ٢٤/٢٢٩.

لئلا يطالبوه بالتبعات، والأول أرجح وأظهر لقوله: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب حتى لا يسعه ذكر غيره، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام يومئذ «نفسي نفسي»[١].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ أي مضيئة من السرور وهو من قولك: أسفر الصبح إذا أضاء.

﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي غبار، والقترة أيضا الغبار، قال ابن عطية[٢]: الغبرة من العبوس والكرب كما يقتر وجه المهموم والمريض، والقترة هي غبار الأرض، وقال الزمخشري[٣]: الغبرة غبار يعلوها والقترة سواد فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد.

*** *** ***

(١) البخاري الحديث رقم: (٣١٨٢)، ومسلم الحديث رقم: (٥٠١)، وغيرهما.

(٢) قال ابن عطية: ﴿الغبرة﴾ الأولى: إنما هي العبوس والهم كما يرى على وجه المهموم والميت والمريض شبه الغبار. وأما ﴿القترة﴾ فغبار الأرض. المحرر الوجيز: ٥/٤١٤.

(٣) الكشاف: ٤/٧٠٦.

سُورَةُ التَّكوِيرِ — آياتها ٢٩ — رتيبها ٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾
وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ
سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا
السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ
﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ • فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ
الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ
لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

ربع

سُورَةُ الانفِطَارِ — آياتها ١٩ — رتيبها ٨٢

سورة التكوير

ذكر الله في هذه السورة أهوال القيامة وما يعتري الموجودات حينئذ من التغيير.

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال ابن عباس[1] ذهب ضوءها وأظلمت وقيل: رمي بها، وقيل: اضمحلت، وأصله من تكوير العمامة لأنها إذا لفت زال انبساطها وصغر جرمها.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ أي تساقطت من مواضعها، وقيل: تغيرت، والأول أرجح لأنه موافق لقوله: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ وروي: أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي حملت وبعد ذلك تفتت فتصير هباء ثم تتلاشى.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ العشار جمع عشراء وهي الناقة الحامل التي مر لحملها عشرة أشهر، وهي أنفس ما عند العرب وأعزها، فلا تعطل إلا من شدة الهول وتعطيلها هو تركها سائبة، أي ترك حلبها.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي جمعت وفي صفة حشرها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها تحشر أي تبعث يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض[2] ثم تكون ترابا.

---

(١) في تفسير ابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس في قوله: ﴿إذا الشمس كورت﴾ قال: أظلمت. ١٠/٣٤٠٢.

(٢) كما وردت بذلك الأحاديث ففي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:=

والآخر: أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة قاله ابن عباس[(١)] وقال: إنها لا تبعث وأنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن.

والثالث: أنها تجمع في أول أهوال القيامة وتفر في الأرض فذلك حشرها.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا.

والآخر: ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار.

والثالث: فرغت من مائها ويبست وأصله من سجرت التنور إذا ملأتها.

فالقول الأول والثاني أليق بالأصل، والأول والثالث موافق لقوله: ﴿فُجِّرَتْ﴾

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن التزويج بمعنى التنويع؛ لأن الأزواج هي الأنواع، فالمعنى: جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن.

والثاني: زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين.

والثالث: زوجت الأرواح والأجساد أي ردت إليها عند البعث، والأول هو الأرجح؛ لأنه روي[(٢)] عن النبي ﷺ، ....

= «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ». مسلم الحديث رقم: (٦٧٤٥)، وغيره. (والجلحاء: التي لا قرن لها).

(١) لم أجده مسندا وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤١٤/٥ قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ﴿حشرت﴾: جمعت، فأميتت؛ لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر: الجمع، ومنه قول الله: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ يعني: مجموعة. وقوله: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله، لا على الأنكر المجهول. جامع البيان: ٢٤٢/٢٤.

(٢) عن النعمان ابن بشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قال: الضرباء،=

وعن عمر[١] بن الخطاب وابن عباس[٢].

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ الموؤدة هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها، ومن غيرته عليها، فتسأل يوم القيامة بأي ذنب قتلت على وجه التوبيخ لقاتلها، وقرأ ابن عباس[٣]: وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت بضم القاف وسكون اللام وضم التاء، واستدل ابن عباس[٤] بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة؛ لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ هي صحف الأعمال تنشر ليقرأ كل أحد كتابه، وقيل: هي الصحف التي تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ، وكشط السماء هو طيها كطي السجل، قاله ابن عطية، وقيل: معناه كشفت وهذا أليق بالكشط.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أي أوقدت وأحميت.

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي قربت. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ هذا جواب إذا المكررة في المواضع قبل هذا، ومعناه علمت كل نفس ما أحضرت من عمل فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم، وقال ابن عطية: إنما أفردها ليبين حقارتها وذلتها، وقال الزمخشري: هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه كقوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، ومعناه التكثير وكذلك هنا معناه

= كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله. تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٤٠٧.

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٤٠٦.

(٢) لم أجده مسندا، وهو في المحرر الوجيز: ٥/٤١٦.

(٣) المحرر الوجيز: ٥/٤١٦، وأبو جعفر ﴿قتلت﴾ بتشديد التاء على التكثير والباقون بتخفيفها. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص: ٥٧٣، والنشر: ٢/٤٣٩.

(٤) المحرر الوجيز المصدر السابق.

أعم الجموع. ﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾ عبارة عن الحسنات والسيئات.

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ ذكرت نظائره. ﴿بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ يعني الدراري السبعة وهي: الشمس، والقمر، وزحل، وعطارد، والمريخ، والمشتري، والزهرة، وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها أي تتقهقر فيكون النجم في البرج ثم يكر راجعا وهي جواري في الفلك، وهي تنكنس في أبراجها أي تستتر، وهو مشتق من قولك كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه، وقيل: يعني الدراري الخمسة لأنها تستتر بضوء الشمس، وقيل: يعني النجوم كلها لأنها تخنس في جريها وتنكس بالنهار، أي تستتر وتختفي بضوء الشمس، وقيل: يعني بقر الوحش فالخنس على هذا من خنس الأنف، والكنس من سكناها في كناسها.

﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ يقال عسعس الليل إذا كان غير مستحكم الظلام، فقيل ذلك في أوله، وقيل: في آخره وهذا أرجح؛ لأن آخر الليل أفضل، ولأنه أعقبه بقوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي استطار واتسع ضوؤه.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الضمير للقرآن، والرسول الكريم جبريل، وقيل: محمد ﷺ، قال السهيلي: لا يجوز أن يقال إنه محمد ﷺ لأن الآية نزلت في الرد على الذين قالوا إن محمدا قال القرآن، فكيف يخبر الله أنه قوله؟ وإنما أراد جبريل، وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به وهو في الحقيقة قول الله تعالى، وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم، فإنه قد يضاف إلى محمد ﷺ؛ لأنه تلقاه عن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجاء به إلى الناس ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ وقد وصف جبريل بهذا لقوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ﴾. ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾ يتعلق بذي قوة، وقيل: بمكين وهذا أظهر، والمكين الذي له مكانة أي جاه وتقريب.

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله وهو ﴿عِندَ ذِي

ٱلْعَرْشِ﴾ أي مطاع في ملائكة ذي العرش.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ هو محمد ﷺ باتفاق.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ ضمير الفاعل لمحمد ﷺ، وضمير المفعول لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه الرؤية له بغار حراء على كرسي بين السماء والأرض، وقيل: الرؤية التي رآه عند سدرة المنتهى في الإسراء ووصف هذا الأفق بالمبين؛ لأنه روي: أنه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس وأيضا فكل أفق فهو مبين.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ الضمير للنبي ﷺ ومن قرأ بالضاد[1] فمعناه بخيل أي لا يبخل بأداء ما ألقي إليه من الغيب وهو الوحي، ومن قرأ بالظاء فمعناه متهم أي لا يتهم على الوحي بل هو أمين عليه ورجح بعضهم هذه القراءة؛ بأن الكفار لم ينسبوا محمدا ﷺ إلى البخل بالوحي بل اتهموه فنفى عنه ذلك.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ الضمير للقرآن. ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ خطاب لكفار قريش، أي ليس لكم زوال عن هذه الحقائق، وقد تقدم تفسير بقية السورة في نظائره فيما تقدم.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

(١) ﴿بضنين﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس بالظاء. وانفرد ابن مهران بذلك عن روح أيضاً، وقرأ الباقون بالضاد وكذا هي في جميع المصاحف. النشر: ٢/٤٣٩.

سورة الانفطار

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ (١) وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ (٢) وَإِذَا
ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ (٣) وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ (٤) عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا
قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ (٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ (٦)
ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ
(٨) كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ (١٠)
كِرَامٗا كَٰتِبِينَ (١١) يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ (١٢) إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ
(١٣) وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ (١٤) يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ (١٥) وَمَا هُمۡ
عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ (١٦) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا
يَوۡمُ ٱلدِّينِ (١٨) يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ (١٩)

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ (٢)
وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم
مَّبۡعُوثُونَ (٤) لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ (٥) يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٦)

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ أي انشقت. ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ أي سقطت من مواضعها.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ أي فرغت، وقيل: فجر بعضها إلى بعض فاختلط.

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ أي نبشت على الموتى الذين فيها، وقال الزمخشري: أصله من البعث والبحث فضمت إليها الراء، والمعنى: بحثت وأخرج موتاها.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾ هذا هو الجواب ومعناه علمت كل نفس جميع أعمالها، وقيل: ما قدمت في حياتها وما أخرت مما تركته بعد موتها من سنة سنتها أو وصية أوصت بها، وأفردت النفس والمراد به العموم حسبما ذكرنا في التكوير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ خطاب لجنس بني آدم. ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ هذا توبيخ وعتاب معناه أي شيء غرك بربك حتى كفرت به أو عصيته أو غفلت عنه؟ فدخل في العتاب الكفار وعصاة المؤمنين ومن يغفل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين، وروي: أن رسول الله ﷺ قرأ ما غرك بربك الكريم، فقال: «غره جهله»(١) وقال عمر: غره جهله وحمقه(٢) وقرأ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ وقيل:

(١) لم أجده مسندا وذكره القرطبي في جامعه: ١٩/٢٤٥، والثعلبي: ٤/٣٩٢، والسراج المنير: ٤/٣٦٢.

(٢) لم أجده.

غره الشيطان المسلط عليه، وقيل: غره ستر الله عليه، وقيل: غره طمعه في عفو الله عنه، ولا تعارض بين هذه الأقوال؛ لأن كل واحد منها مما يغر الإنسان، إلا أن بعضها يغر قوما وبعضها يغر قوما آخرين، فإن قيل: ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ فالجواب: أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع شكرا لإحسانه، ومقابلة لكرمه، ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة، وأضاع الشكر الواجب.

﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بالتشديد[1] والتخفيف أي عدل أعضاءك وجعلها متوازنة فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى، ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى، ولا إحداهما كحلى والأخرى زرقاء، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، وشبه ذلك من الموازنة.

﴿فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ المجرور يتعلق بركبك، وما زائدة، والمعنى: ركبك في أي صورة شاء: من الحسن والقبح، والطول والقصر، والذكورة والأنوثة، وغير ذلك من اختلاف الصور، ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره: ركبك حاصلا في أي صورة، وقيل: يتعلق بعدلك، على أن يكون بمعنى صرفك إلى أي صورة شاء، وهذا بعيد، ولا يمكن إلا مع قراءة عدلك بالتخفيف.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن الغرور المذكور قبل، والتكذيب المذكور بعد. ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ هذا خطاب للكفار، والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة، أو الحساب، أو الجزاء.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ يعنى الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعلمون الأعمال لمشاهدتهم لها، وأما ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب، فقيل: إن الله ينفرد بعلم ذلك، وقيل:

---

(١) ﴿فعدلك﴾ قرأ الكوفيون بتخفيف الدال، وقرأ الباقون بتشديدها. النشر: ٢/٤٣٩.

إن الملك يجد لها ريحا يدركها به.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ في هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان المطابقة والترصيع.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه لا يخرجون منها إذا دخلوها.

والآخر: لا يغيبون عنها في البرزخ قبل دخولها؛ لأنهم يعرضون عليها غدوا وعشيا.

﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ تعظيم له وتهويل، وكرره للتأكيد، والمعنى: أنه من شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ أي لا يقدر أحد على منفعة أحد، وقرئ[1] يوم بالرفع على البدل من يوم الدين، أو على إضمار مبتدإ، وبالنصب على الظرفية بإضمار فعل تقديره: يجازون يوم الدين أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره: اذكر، ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو في موضع رفع.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) ﴿يوم لا تملك﴾ قرأ ابن كثير والبصريان برفع الميم وقرأ الباقون بنصبها. النشر: ٢/٤٣٩.

سورة المطففين

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف في اللغة هو البخس والنقص، وفسره بذلك الزمخشري، واختاره ابن عطية، وقيل: هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان واختاره ابن الفرس، وهو الأظهر لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس في المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره، وسبب نزول السورة(١) أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص، فالسورة على هذا مدنية، وقيل: مكية لذكر أساطير الأولين، وقيل: نزل بعضها بمكة، ونزل أمر التطفيف بالمدينة، إذ كانوا أشد الناس فسادا في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة.

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ معنى ﴿اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ قبضوا منهم بالكيل، فـ(على) بمعنى من وإنما أبدلت منها لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم، ويجوز أن يتعلق ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ بـ (يستوفون)، وقدم المفعول لإفادة التخصيص.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ معنى يخسرون ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة يقال: خسر الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر، وكالوهم معناه كالوا لهم أو وزنوهم معناه وزنوا لهم، ثم حذف حرف الجر فانتصب المفعول لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف الجر، يقال: كلتك وكلت لك، ووزنتك ووزنت لك بمعنى واحد، وحذف المفعول الثاني وهو المكيل

---

(١) عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى ﴿وَيلٌ لِّلمُطَفِّفينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك... وقال السدي: قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله تعالى هذه الآية. أسباب النزول للواحدي، ص: ١٨٠.

والموزون، والواو التي هي ضمير الفاعل للمطففين والهاء الذي هي ضمير المفعول للناس، فالمعنى: إذا كالوا أو وزنوا لهم طعاما أو غيره مما يكال أو يوزن يخسرونهم حقوقهم، وقيل: إن هم في كالوهم أو وزنوهم تأكيد للضمير الفاعل، وروي: عن حمزة أنه كان يقف على كالوا ووزنوا ثم يبتدئ هم ليبين هذا المعنى[1] وهو ضعيف من وجهين:

أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في كالوا ووزنوا فدل ذلك على أن هم ضمير المفعول.

والآخر: أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود؛ لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشر، ألا ترى أن اكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم، وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم، فقابل القبض بالدفع، وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود، قال ابن عطية: ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائعين وليس ذلك بالجلي، قال: وصدر الآية في المشترين فهم الذين يستوفون أو يشاحون ويطلبون الزيادة، وقوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ في البائعين فهم الذين يخسرون المشتري.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة وهذا تهديد للمطففين وإنكار لفعلهم، وكان عبد الله بن عمر[2] إذا مر بالبائع يقول له: اتق الله وأوف الكيل، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الظرف منصوب بقوله: ﴿مَّبْعُوثُونَ﴾ وقيل: بفعل مضمر أو بدل من يوم عظيم، وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم، فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة، وأقل من ذلك حتى أن المؤمن يقوم على قدر

---

(١) النشر: ٢/١٧٧ قال ابن الجزري: ثم روى عن حمزة بجعلهما حرفين، ثم قال الداني: ولا أعلم أحداً روى ذلك عن حمزة إلا عبد الله بن صالح العجلي، قال: وأهل الأداء عل خلافه.

(٢) لم أجده مسندا.

• كَلَّا إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾
كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ
ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ
ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾
كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾
كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾
عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾
يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ
﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا
مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ
﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

صلاة مكتوبة.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن التطفيف أو افتتاح كلام. ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ كتاب الفجار هو ما يكتب من أعمالهم، والفجار هنا يحتمل أن يريد به الكفار أو المطففين وإن كانوا مسلمين، والأول أظهر لقوله بعد هذا: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وسجين اسم علم منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة، وقد عظم أمره بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ثم فسره بأنه كتاب مرقوم، أي مسطور بين الكتابين وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار، وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، ولأنه في مكان الهوان والعذاب كالسجن، فقد روي عن النبي ﷺ أنه في الأرض السفلى، وروي: عنه أنه في بئر هناك، وحكى كعب[١] عن التوراة أنه في شجرة سوداء هنالك، وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى الآية أن عدد الفجار في سجين أي كتبوا هنالك في الأزل.

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قد ذكر. ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أي غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي، وفي الحديث[٢] أن العبد إذا أذنب ذنبا صارت نكتة سوداء في

(١) المحرر الوجيز: ٥/٤٢٣.

(٢) في سنن ابن ماجه: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر=

قلبه، فإذا زاد ذنب آخر زاد السواد فلا يزال كذلك حتى يتغطى وهو الرين.

﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ حجب الكفار عن الله على أن المؤمنين لا يحجبون وقد استدل بها مالك والشافعي على صحة رؤية المؤمن لله في الآخرة وتأولها المعتزلة أن معناها محجوبون عن رحمته.

﴿إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ عليون اسم علم للكتاب الذي تكتب فيه الحسنات، وهذا جمع منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة وقد عظمه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ ثم فسره بقوله: ﴿كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ وهو مشتق من العلو لأنه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في مكان علي، فقد روي: عن النبي ﷺ أنه تحت العرش، وقال ابن عباس[1] هو الجنة وارتفع كتاب مرقوم في الموضعين على أنه خبر مبتدإ مضمر تقديره هو كتاب، وقال ابن عطية كتاب مرقوم خبر إن والظرف ملغى وهذا تكلف يفسد به المعنى، وقد روي في الأثر ما روي في الآية وهو أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد فإن رضيه الله قال اجعلوه في عليين وإن لم يرضه قال اجعلوه في سجين.

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ يعني الملائكة المقربين. ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ قد ذكر. ﴿يَنظُرُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: ينظرون إلى أعدائهم في النار، وقيل: ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها.

﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي بهجته ورونقه كما يرى في وجوه أهل الرفاهية والعافية. والخطاب في تعرف للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب من غير تعيين.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ الرحيق الخمر الصافية، والمختوم فسره الله بأن

= صقل قلبه، فإن زاد زادت. فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾» رقم: (٤٢٤٤)، والمستدرك الحديث رقم: (٦).

(١) المحرر الوجيز: ٥/٤٢٥.

ختامه مسك، وقرئ[١] ختامه بألف بعد التاء وخاتمه بألف بعد الخاء وبفتح التاء وكسرها وفي معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من الختم على الشيء بمعنى جعل الطابع عليه، فالمعنى: أنه ختم على فم الإناء الذي هو فيه بالمسك، كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها وصيانتها.

الثاني: أنه من ختم الشيء أي تمامه، فمعناه خاتم شربه مسك أي يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذته.

الثالث: أن معناه مزاجه مسك أي يمزج الشراب بالمسك وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ التنافس في الشيء هو الرغبة فيه والمغالاة في طلبه والتزاحم عليه.

﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ تسنيم اسم لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفا ويمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الأبرار، فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار، فالمقربون هم السابقون، والأبرار هم أصحاب اليمين.

﴿عَيْنًا﴾ منصوب على المدح بفعل مضمر أو على الحال من تسنيم. ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ بمعنى يشربها فالباء زائدة ويحتمل أن يكون بمعنى يشرب منها، أو كقولك شربت الماء بالعسل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ نزلت هذه الآية[٢]

---

(١) ﴿خاتمه﴾ قرأ الكسائي بفتح الخاء وألف بعدها وبعد الألف تاء مفتوحة، فميم مضمومة وغيره بكسر الخاء وتاء مفتوحة بعدها ألف وبعد الألف ميم مضمومة. النشر: ٢/٢٤٠، والبدور الزاهرة، ص: ٣٦٢.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٤٢٦.

في صناديد قريش كأبي جهل وغيره مر بهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجماعة من المؤمنين فضحكوا منهم واستخفوا بهم.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ أي يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينيه، والضمير في مروا يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار، والضمير في يتغامزون للكفار لا غير.

﴿فَاكِهِينَ﴾ من الفكاهة وهي اللهو أي يتفكهون بذكر المؤمنين والاستخفاف بهم قاله الزمخشري، ويحتمل أن يريد يتفكهون بنعيم الدنيا.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُواْ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَآلُّونَ﴾ أي إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال، وقيل: إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال، والأول أظهر وأشهر.

﴿وَمَا أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أي ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أو ضلالهم، وكأنه قال كلامهم بالمؤمنين فضول منهم.

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ يعني باليوم يوم القيامة إذ قد تقدم ذكره فيضحك المؤمنون فيه من الكفار، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ معنى ثوب جوزي، يقال ثوبه وأثابه إذا جازاه، وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها في موضع مفعول ينظرون فتوصل مع ما قبلها، أو تكون توقيفا فيوقف قبلها ويكون معمول ينظرون محذوفا حسبما ذكرنا في ينظرون الذي قبل هذا، وهذا أرجح لاتفاق الموضعين.

*** *** ***

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

سُورَةُ الانشِقَاقِ — ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ
مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥)
يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ
أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨)
وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ
(١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي
أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ
بَصِيرًا (١٥) ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ
إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
(٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
(٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)

ربع

سورة الانشقاق

﴿إِذَا السَّمَآءُ انشَقَّتْ﴾ اختلف في هذا الانشقاق هل هو تشققها بالغمام، أو انفتاحها أبوابا، وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ في التهويل، إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره، وحذف للعلم به اكتفاء بما في سورة التكوير والانفطار من الجواب، وقيل: الجواب ما دل عليه: ﴿فَمُلَقِيهِ﴾ أي إذا السماء انشقت لقي الإنسان ربه، وقيل: الجواب أذنت على زيادة الواو، وهذا ضعيف.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ معنى أذنت في اللغة استمعت وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها وأنها انقادت لله حين أراد انشقاقها، وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدها وإلقاء ما فيها. ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي حق لها أن تسمع وتطيع لربها أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة وهذه الكلمة من قولهم هو حقيق بكذا أو محقوق به، أي يجب عليه أن يفعله، فالمعنى: يحق على السماء أن تسمع وتطيع لربها، أو يحق عليها أن تشقق، ويحتمل أن يكون أصله حققت بفتح الحاء وضم القاف على معنى التعجب ثم أدغمت القاف التي بعدها ونقلت حركتها إلى الحاء.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي ألقت ما في جوفها من الموتى للحشر، وقيل: ألقت ما فيها من الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة، والمقصود ذكر يوم القيامة وتخلت أي بقيت خالية مما كان فيها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ خطاب للجنس. ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ الكدح في اللغة هو الجد والاجتهاد والسرعة فالمعنى أنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك لأن الزمان يطير وأنت في كل لحظة تقطع حظا من عمرك القصير فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تلاقي ربك وقيل المعنى إنك ذو جد فيما تعمل من خير أو شر ثم تلقى ربك فيجازيك به والأول أظهر؛ لأن كادح تعدى بإلى لما تضمن معنى السير، ولو كان بمعنى العمل لقال: لربك.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ ذكر في الحاقة. ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل أو بمعنى هين سهل، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال[١]: «من نوقش الحساب عذب» فقالت عائشة: ألم يقل الله ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض» وأما من نوقش الحساب فيهلك، وفي الحديث أيضا: عن رسول الله ﷺ[٢]: «إن الله يدنى العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه، فيقول: فعلت كذا وكذا ويعدد عليه ذنوبه ثم يقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» وروي: أن رسول الله ﷺ قال[٣]: «من حاسب نفسه في الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة».

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ أي يرجع إلى أهله في الجنة مسرورا بما أعطاه الله، والأهل زوجاته في الجنة من نساء الدنيا أو من الحور العين، ويحتمل

---

(١) في الصحيح عن عائشة: عن النبي ﷺ قال: «من نوقش الحساب عذب». قالت قلت: أليس يقول الله تعالى ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾؟. قال: «ذلك العرض» البخاري (٦١٧١)، ومسلم الحديث رقم: (٧٤٠٦).

(٢) في البخاري: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ...» الحديث رقم: (٧٥١٤).

(٣) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز: ٥/٤٢٩.

أن يريد قرابته من المؤمنين وبذلك فسره الزمخشري.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ يعني الكافر وروي:[1] أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة ابن عبد الأسد وكان من فضلاء المؤمنين وفي أخيه أسود وكان من عتاة الكافرين ولفظها أعم من ذلك، فإن قيل: كيف قال في الكافر هنا أن يؤتى كتابه وراء ظهره وقال في الحاقة: ﴿بِشِمَالِهِۦ﴾؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه.

وقيل: تدخل يده اليسرى في صدره وتخرج من ظهره فيأخذ بها كتابه.

﴿يَدْعُواْ ثُبُوراً﴾ أي يصيح بالويل والثبور.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُوراً﴾ أي كان في الدنيا مسرورا مع أهله متنعما غافلا عن الآخرة، وهذا في مقابلة ما حكى عن المؤمن أنه: ينقلب إلى أهله مسرورا في الجنة، وهو ضد ما حكى عن المؤمنين في الجنة من قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي لا يرجع إلى الله، والمعنى: أنه يكذب بالبعث.

﴿بَلَىٰٓ﴾ أي يحور ويبعث.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ ذكر في نظائره. ﴿بِالشَّفَقِ﴾ هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس، وقال أبو حنيفة: هو البياض، وقيل: هو النهار كله، وهذا ضعيف، والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة.

﴿وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي جمع وضم، ومنه الوسق؛ وذلك أن الليل يضم الأشياء ويسترها بظلامه.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي إذا كمل ليلة أربعة عشر، ووزن اتسق افتعل وهو مشتق من الوسق فكأنه امتلأ نورا، وفي الآية من أدوات البيان لزوم مالا يلزم

---

(١) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز المصدر السابق.

لالتزام السين قبل القاف في وسق واتسق.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ﴾ الطبق في اللغة له معنيان:

أحدهما: ما طابق غيره يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه.

والآخر: جمع طبقة فعلى الأول يكون المعنى لتركبن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة للأخرى، وعلى الثاني يكون المعنى: لتركبن أحوالا بعد أحوال، هي طِبقات بعضها فوق بعض، ثم اختلف في تفسير هذه الأحوال وفي قراءة تركبن، فأما من قرأ بضم الباء[1] فهو خطاب لجنس الإنسان، وفي تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها شدائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء.

والآخر: أنها كون الإنسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا ثم إلى أن يهرم ثم يموت.

والثالث: لتركبن سنن من كان قبلكم، وأما من قرأ (تركبن) بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعاني الثلاثة التي ذكرنا، وقيل: هي خطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال:

أحدها: لتركبن مكابدة الكفار حالا بعد حال.

والآخر: لتركبن فتح البلاد شيئا بعد شيء.

والثالث: لتركبن السموات في الإسراء بعد سماء وقوله: ﴿عَن طَبَقٍ﴾ في موضع الصفة لطبقا، أو في موضع حال من الضمير في تركبن. قاله الزمخشري.

﴿فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير لكفار قريش، والمعنى: أي شيء يمنعهم من الإيمان.

---

(١) ﴿لتركبن﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف بفتح الباء، وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٢/٤٤٠.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره؛ لأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سجد فيها[1] وليست عند مالك من عزائم السجدات[2].

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني المذكورين ووضع الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالكفر.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب، أو بما يجمعون في صحائفهم، يقال: أو عيت المال وغيره إذا جمعته.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وضع البشارة في موضع النذارة تهكما بهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار، فالاستثناء على هذا متصل وإلى هذا أشار ابن عطية، وقال الزمخشري: هو منقطع. ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر.

*** *** ***

(١) .. مالك عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة «أنه قرأ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سجد فيها». التمهيد: ١٩/١١٨، وشرح مشكل الآثار للطحاوي: ٩/٣٤، وهو حديث صحيح.

(٢) المنتقى للباجي شرح الموطإ: ١/٤٨٦، وقال ابن بطال في شرح البخاري: وقال مالك: عزائم السجود إحدى عشرة ليس في المفصل منها شيء، وليس فيها الثانية من الحج. ٣/٥٦.

سُورَةُ البُرُوجِ — آياتها ٢٢ — رتبها ٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ
عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا
نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ
الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ۞ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ
﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ
الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾
فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ
وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ — آياتها ١٧ — رتبها ٨٦

سورة البروج

﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ البروج هي المنازل المعروفة، وهي اثنا عشر تقطعها الشمس في السنة، وقيل: هي النجوم العظام؛ لأنها تتبرج أي تظهر.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة باتفاق، وقد ذكر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ يحتمل الشاهد والمشهود أن يكون من الشهادة على الأمر أو يكون من معنى الحضور وحذف المعمول وتقديره مشهود عليه أو مشهود به أو مشهود فيه وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والمشهود اضطرابا عظيما، ويتلخص من أقوالهم في الشاهد ستة عشر قولا يقابلها في المشهود اثنان وثلاثون قولا:

الأول: أن الشاهد هو الله تعالى لقوله وكفى بالله شهيدا والمشهود على هذا يحتمل ثلاثة أوجه؛

أحدها: أن يكون الخلق بمعنى أنه يشهد عليهم.

والآخر: أن تكون الأعمال بمعنى أنه يشهد بها.

والثالث: أن يكون يوم القيامة بمعنى أنه يشهد فيه أي يحضر للحساب والجزاء أو تقع فيه الشهادة على الناس.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٤/٣٣٣، والدر المنثور: ٨/٤٦٣.

القول الثاني: أن الشاهد محمد ﷺ لقوله: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ والمشهود على هذا: يحتمل أن يكون أمته لأنه يشهد عليهم أو أعمالهم لأنه يشهد بها أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه أي يحضر أو تقع فيه الشهادة على الأمة.

القول الثالث: أن الشاهد أمة محمد ﷺ لقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾ والمشهود على هذا: سائر الأمم لأنهم يشهدون عليهم أو أعمالهم أو يوم القيامة.

القول الرابع: أن الشاهد هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمشهود أمته لقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أو أعمالهم أو يوم القيامة.

الخامس: أن الشاهد جميع الأنبياء والمشهود أممهم؛ لأن كل نبي يشهد على أمته أو يشهد القول بأعمالهم أو يوم القيامة؛ لأنه يشهد فيه.

القول السادس: أن الشاهد الملائكة الحفظة والمشهود على هذا الناس؛ لأن الملائكة يشهدون عليهم، أو الأعمال؛ لأن الملائكة يشهدون بها أو يوم القيامة أو صلاة الصبح لقوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

القول السابع: أن الشاهد جميع الناس لأنهم يشهدون يوم القيامة أي يحضرونها، والمشهود يوم القيامة لقوله: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.

والقول الثامن: أن الشاهد الجوارح والمشهود عليه أصحابها لقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ أو الأعمال لأن الجوارح تشهد بها يوم القيامة؛ لأن الشهادة تقع فيه.

القول التاسع: أن الشاهد الله والملائكة وأولوا العلم لقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾ والمشهود به الوحدانية.

القول العاشر: الشاهد جميع المخلوقات والمشهود به وجود خالقها وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك.

القول الحادي عشر: أن الشاهد النجم لما ورد في الحديث: «**لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد**»[١] وهو النجم، والمشهود على هذا الليل والنهار؛ لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل.

القول الثاني عشر: أن الشاهد الحجر الأسود والمشهود الناس الذين يحجون.

القول الثالث عشر: روي: عن النبي ﷺ[٢] «**أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة**» وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال ويوم عرفة يشهده جمع عظيم من الناس.

القول الرابع عشر: أن الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم النحر قاله علي بن أبي طالب[٣].

القول الخامس عشر: أن الشاهد يوم التروية، والمشهود يوم عرفة.

القول السادس عشر: أن الشاهد يوم الاثنين والمشهود يوم الجمعة.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ الكلام هنا في ثلاثة فصول:

الأول: في جواب القسم وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

والثاني: أنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وهذان القولان ضعيفان لبعد القسم من الجواب.

وثالثها: أنه: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ تقديره: لقد قتل.

---

(١) في صحيح مسلم بسنده: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ عُرِضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوهَا فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ وَلاَ صَلاَةَ بَعْدَهَا حَتَّى يَطْلُعَ الشَّاهِدُ». وَالشَّاهِدُ النَّجْمُ. الحديث رقم: (١٩٦٤)، والنسائي الحديث رقم: (٥٢١)، وغيرهما..

(٢) لم أجده مسندا.

(٣) لم أجده مسندا عن علي.

ورابعها: أنه محذوف يدل عليه قتل أصحاب الأخدود، تقديره: لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود؛ وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيدا للكفار، وتأنيسا للمسلمين المعذبين.

الفصل الثاني: في تفسير لفظها فأما ﴿قُتِلَ﴾ فاختلف هل هو دعاء أو خبر؟ واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة أو بمعنى اللعن؟ وأما الأخدود: فهو الشق في الأرض كالخندق وشبهه.

وأما أصحاب الأخدود فيحتمل أن يريد بهم الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، أو يريد المؤمنين الذين حرقوا فيه فيكون القتل حقيقة خبر، والأول أظهر.

الفصل الثالث: في قصة أصحاب الأخدود وفيها أربعة أقوال:

الأول: ما ورد[1] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل معناه أن ملكا كافرا أسلم أهل بلده، فأمر بالأخدود فخد في أفواه السكك، وأضرم فيها النيران، فقال: من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أماه اصبري فإنك على الحق.

الثاني: أن ملكا زنى بأخته ثم أراد أن يحلل للناس نكاح الأخوات فأطاعه قوم، ومنهم أخذ المجوس ذلك، وعصاه قوم، فحفر لهم الأخدود فأحرقهم فيه بالنار.

القول الثالث: أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيا وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود.

القول الرابع: أن أصحاب الأخدود ذو نواس المذكورة في قصة عبد الله بن التامر التي وقعت في السير[2] ويحتمل أن يكون ذو نواس الملك الذي ذكره النبي

(١) ابن كثير ٨/٣٦٦ وهو في مسلم.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير: ١/٢٥، والسيرة النبوية لابن هشام: ١/١٥٢، والروض الأنف: ١/٩٨،=

ﷺ فيتفق هذا القول مع الأول، فإن ذا نواس حفر أخدودا فأوقد فيه نيرانا وألقى فيها كل من وحد الله تعالى، واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ النار بدل من الأخدود وهو بدل اشتمال، والوقود ما توقد به النار، والقصد وصف النار بالشدة والعظم.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ الضمير للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود وهم أصحاب الأخدود على الأظهر، والعامل في إذ قوله: ﴿قُتِلَ﴾ فروي: أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفا، وقيل سبعين ألفا، فقتل على هذا بمعنى لعن أي لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين، وروي: أن الله بعث على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها، فقتل على هذا بمعنى القتل الحقيقي أي قتلهم النار، وقيل: الضمير في إذ هم للمؤمنين، والأول أشهر وأظهر، لقوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة، أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق، أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة، أو يكون بمعنى الحضور، أي كانوا حاضرين على ذلك الفعل.

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله، وهذا لا ينبغي أن ينكر. فإن قيل: لم قال أن يؤمنوا بلفظ المضارع ولم يقل آمنوا بلفظ الماضي؛ لأن القصة قد وقعت؟ فالجواب: أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم، فلذلك ذكره بلفظ المستقبل فكأنه قال إلا أن يدوموا على الإيمان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إن كانت هذه الآية في أصحاب

= والاكتفاء للكلاعي الأندلسي: ١/٦٩.

الأخدود فالفتنة هنا بمعنى الإحراق، وإن كانت في كفار قريش فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب، وهذا أظهر لقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾؛ لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم، وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب، وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له ما فعل في حال كفره، لقوله ﷺ[1]: «الإسلام يجب ما قبله». ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ يحتمل أن يكون في الآخرة فيكون تأكيدا لعذاب جهنم أونوعا من العذاب زيادة إلى عذاب جهنم ويحتمل أن يريد في الدنيا وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش الأخذ بقوة وسرعة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي يبدئ الخلق بالنشأة الأولى ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث، وقيل: يبدئ البطش ويعيده أي يبطش بهم في الدنيا والآخرة، والأول أظهر وأرجح لقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وقد ذكرنا الودود في اللغات.

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ أضاف العرش إلى الله وخصه بالذكر لأن العرش أعظم المخلوقات والمجيد من المجد وهو الشرف ورفعة القدر، وقرئ[2] المجيد بالرفع صفة لذو العرش وبالخفض صفة للعرش.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الأمر، والمراد بذكر الجنود تهديد الكفار وتأنيس النبي ﷺ.

﴿وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾ تهديد لهم معناه لا يفوتونه بل يصيبهم عذابه إذا شاء.

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ الذي في السماء، وقرئ[3] محفوظ بالخفض صفة للوح وبالرفع صفة للقرآن أي حفظه الله من التبديل والتغيير أو حفظه المؤمنون في صدورهم.

---

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني: ١٤/١٦٢.

(٢) ﴿المجيد﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بخفض الدال، وقرأ الباقون برفعها. النشر: ٢/٤٤٠.

(٣) ﴿محفوظ﴾ قرأ نافع برفع الظاء وقرأ الباقون بخفضها. النشر ٢/٤٤٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن
كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ
دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨)
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١)
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)

سُورَةُ الأَعْلَى — ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حزب

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ
(٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا
تَنسَىٰ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠)
وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا
وَلَا يَحْيَىٰ (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥)

سورة الطارق

﴿وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ﴾ هذه السماء التي أقسم الله بها هي المعروفة، وقيل: أراد المطر؛ لأن العرب قد تسميه سماء، وهذا بعيد، والطارق في اللغة ما يطرق أي يجيء ليلا، وقد فسره الله هنا بأنه النجم الثاقب، وهو يطلع ليلا، ومعنى الثاقب المضيء أو المرتفع، فقيل: أراد جنس النجوم، وقيل: الثريا؛ لأنه الذي تطلق عليه العرب النجم، وقيل: زحل؛ لأنه أرفع النجوم إذ هو في السماء السابعة.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ هذا جواب القسم ومعناه عند الجمهور أن كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب أعمالها يعني الملائكة الحفظة، وروي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «**أن لكل نفس حفظة**[1] **من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل، ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الآفات والشياطين**» وإن صح هذا الحديث فهو المعمول عليه، وقرئ[2] لما عليها بتخفيف الميم وعلى هذا تكون إن مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد وما زائدة، وقرئ لما بالتشديد وعلى هذا تكون إن نافية ولما بمعنى الإيجاب بعد النفي.

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ حذف ألف ما لأنها استفهامية وجوابها خلق من

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٤٣٧.

(٢) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة ﴿لما عليها﴾ بتشديد الميم والباقون بتخفيفها. التيسير، ص: ١٣٩.

ماء دافق، وسمى المني ماء دافقا من الدفق بمعنى الدفع، فقيل: معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق في الحقيقة، قال سيبويه هو على النسب أي ذو دفق، وقال ابن عطية: يصح أن يكون الماء دافقا لأن بعضه يدفع بعضا، ومقصود الآية إثبات الحشر، فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده، ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى كل نفس بأعمالها.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ الضمير في يخرج للماء، وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون للإنسان وهذا بعيد جدا، والترائب عظام الصدر واحدها تريبة، وقيل: هي الأطراف كاليدين والرجلين، وقيل: هي عصارة القلب ومنها يكون الولد، وقيل: هي الأضلاع التي أسفل الصلب والأول هو الصحيح المعروف في اللغة، ولذلك قال ابن عباس[1] هي موضع القلادة ما بين ثديي المرأة، ويعني صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها، وقيل: أراد صلب الرجل وترائب المرأة.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ الضمير في إنه لله تعالى، وفي ﴿رَجْعِهِۦ﴾ للإنسان، والمعنى: أن الله قادر على رجع الإنسان حيا بعد موته، والمراد إثبات البعث وقيل: إن المعنى رده ماء كما كان أول مرة، وقيل: رده من الكبر إلى الشباب، وقيل: الضمير في رجعه للماء الدافق، والمعنى: رده في الإحليل، أو في الصلب، وهذا كله ضعيف بعيد، والقول الأول هو الصحيح المشهور.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ يعني يوم القيامة، والسرائر جمع سريرة وهي ما أسر العبد في قلبه من العقائد والنيات، وما أخفى من الأعمال، وبلاؤها هو تعرفها والاطلاع عليها، وروي: عن النبي ﷺ: أن السرائر: الإيمان، والصلاة، والزكاة، والغسل من الجنابة، وهذه معظمها، فلذلك خصها بالذكر. والعامل في يوم قوله: ﴿رَجْعِهِۦ﴾ أي يرجعه يوم تبلى السرائر، واعترض بالفصل بينهما، وأجيب

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٤١٥/١٠، والطبري في جامع البيان: ٣٥٤/٢٤.

بقوة المصدر في العمل، وقيل: العامل قادر واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم، وهذا لا يلزم؛ لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم، وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنى، تقديره: يرجعه يوم تبلى السرائر، وهذا كله على المعنى الصحيح في رجعه، وأما على الأقوال الأخر فالعامل في يوم مضمر تقديره: اذكر.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ الضمير للإنسان ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له أخبره الله أنه يعدمها يوم القيامة.

﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ المراد بالرجع عند الجمهور المطر وسماه رجعا بالمصدر لأنه يرجع كل عام، أو لأنه يرجع إلى الأرض، وقيل: الرجع السحاب الذي فيه المطر، وقيل: هو مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يعني ما تصدع عنه الأرض من النبات، وقيل: يعني ما في الأرض من الشقاق والخنادق وشبهها.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ الضمير للقرآن؛ لأن سياق الكلام يقتضيه والفصل معناه الذي فصل بين الحق والباطل، كما قيل له: فرقان، والهزل: اللهو، يعني أنه جد كله.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ الضمير لكفار قريش، وكيدهم هو ما دبروه في شأن رسول الله ﷺ من الإضرار به وإبطال أمره. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب للمشاكلة بين الفعلين.

﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم، أو بالدعاء عليهم وهذا منسوخ بالسيف ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ أي إمهالا يسيرا قليلا، يعني إلى قتلهم يوم بدر، أو إلى الدار الآخرة، وجعله يسيرا؛ لأن كل آت قريب ولفظ رويدا هذا صفة لمصدر محذوف، وقد تقع بمعنى الأمر بالتساهل، كقولك: رويدا يا فلان، وكرر الأمر في قوله: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ وخالف بينه وبين لفظ مهل لزيادة التسكين والتصبير، قاله الزمخشري.

سورة الأعلى جل جلاله

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ التسبيح في اللغة التنزيه وذكر الاسم هنا يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد المسمى ويكون الاسم صلة كالزائد، ومعنى الكلام سبح ربك أي نزهه عما لا يليق به، وقد يتخرج ذلك على قول من قال إن الاسم هو المسمى.

والآخر: أن يكون الاسم مقصودا بالذكر، ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه:

الأول: تنزيه أسماء الله تعالى عن المعاني الباطلة، كالتشبيه والتعطيل.

الثاني: تنزيه أسماء الله عن أن يسمى بها صنم أو وثن.

الثالث: تنزيه أسماء الله عن أن تذكر في حال الغفلة دون خشوع.

الرابع: أن المراد قول سبحان الله، ولما كان التسبيح باللسان لا بد فيه من ذكر الاسم، أوقع التسبيح على الاسم وهذا القول هو الصحيح ويؤيده ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ هذه الآية، قال: «سبحان ربي الأعلى» وأنها لما نزلت قال[1]: «اجعلوها في سجودكم» فدل ذلك على أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب ولا بد في التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالى فلذلك قال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ مع أن التسبيح في الحقيقة إنما هو لله تعالى، لا لاسمه، وإنما ذكر الاسم لأنه هو الذي يوصل به إلى التسبيح باللسان، وعلى هذا يكون موافقا في المعنى لقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ لأن معناه نزه الله بذكر اسمه، ويؤيد هذا: ما روي: عن ابن عباس[2] أن معنى سبح صل باسم ربك، أي صل واذكر في

---

(١) صحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (٦٧٠).

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٤٤٠.

الصلاة اسم ربك، والأعلى يحتمل أن يكون صفة للرب، أو للاسم، والأول أظهر.

﴿الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ حذف مفعول خلق وسوى لقصد الإجمال الذي يفيد العموم، والمراد خلق كل شيء فسواه، أي أتقن خلقته، وانظر ما ذكرنا في قوله: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾.

﴿وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قدر بالتشديد يحتمل أن يكون من القدر والقضاء أو من التقدير والموازنة بين الأشياء، وقرئ[1] بالتخفيف، فيحتمل أن يكون من القدرة أو التقدير، وحذف المفعول ليفيد العموم، فإن كان من التقدير، فالمعنى: قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به، وقيل: هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل، وقيل: هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدي، وقيل: هدى الناس للخير والشر، والبهائم للمراتع، وهذه الأقوال أمثلة، والأول أعم وأرجح فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب، وقال الفراء: المعنى هدى وأضل واكتفى بالواحدة لدلالتها على الأخرى، وهذا بعيد.

﴿وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ المرعى هو النبات الذي ترعاه البهائم، والغثاء هو النبات اليابس المحتطم، وأحوى معناه أسود وهو صفة لغثاء، والمعنى: أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد خضرته غثاء أسود؛ لأن الغثاء إذا قدم تعفن واسود، وقيل: إن أحوى حال من المرعى، ومعناه الأخضر الذي يضرب إلى السواد، وتقديره: الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، وفي هذا القول تكلف.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام لأنه كان أميا لا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من القرآن، وقيل: معنى الآية كقوله:

---

(١) ﴿قدر فهدى﴾ قرأ الكسائيُّ بتخفيف الدال، والباقون بالتشديد. السبعة في القراءات، ص: ٦٨٠.

﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ الآية فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفا أن ينساه، فضمن الله له أن لا ينساه، وقيل: فلا تنسى نهي عن النسيان، وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في قدرة البشر، فالمراد الأمر بتعاهده حتى لا ينساه، وهذا بعيد لإثبات الألف في تنسى.

﴿إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه لا تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه، كقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾.

والآخر: أنه لا ينسى شيئا، ولكن قال: إلا ما شاء الله تعظيما لله بإسناد الأمر إليه، كقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَآءَ﴾ على بعض الأقوال، وعبر الزمخشري عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنى النفي، والأول أظهر فإن النسيان جائز على النبي ﷺ فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن، أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره، ومن هذا قول النبي ﷺ حين سمع قراءة عباد بن بشير: «رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد نسيتها»[1].

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ عطف على سنقرؤك ومعناه نوفقك للأمور المرضية التي توجب لك السعادة، وقيل: معناه للشريعة اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام «دين الله يسر»[2] أي سهل لا حرج فيه.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ المراد بهذا الشرط توبيخ الكفار الذين لا تنفعهم الذكرى، واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم كقولك: قد أوصيتك لو سمعت، وقيل: المعنى ذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع، واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه، وهذا بعيد، وليس عليه الرونق الذي على الأول.

---

(١) في الصحيحين وغيرهما... سمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا» البخاري رقم: (٤٧٥٠)، ومسلم الحديث رقم: (١٨٧٤) وزاد عباد بن عبد الله عن عائشة: تهجد النبي ﷺ في بيتي فسمع صوت عباد يصلي في المسجد فقال: يا عائشة أصوت عباد هذا؟. قلت: نعم، قال: اللهم ارحم عبادا. البخاري ٢٥١٢.

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ». البخاري، باب الدين يسر، رقم: (٣٩).

﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ﴾ أي من يخاف الله. ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ يعني الكافر، وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة، والضمير المفعول للذكرى.

﴿ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ هي نار جهنم وسماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا، وقيل: سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم، فإنها تتفاضل وبعضها أكبر من بعض، وكلا القولين صحيح إلا أن الأول أظهر ويؤيده قول رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم»(١).

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة هنيئة، وعطف هذه الجملة بثم لأن هذه الحالة أشد من صلي النار، فكأنها بعده في الشدة.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصي، أو بمعنى الطهارة للصلاة، أو بمعنى أداء الزكاة، وعلى هذا قال جماعة إنها يوم الفطر، والمعنى أدى زكاة الفطر.

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ في طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام، وصلى صلاة العيد، وقد روي(٢): هذا عن النبي ﷺ، وقيل: المراد أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الإشارة إلى ما ذكر من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، أو إلى ما تضمنته السورة، أو إلى القرآن بجملته، والمعنى: أنه ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت في هذا الكتاب.

---

(١) في صحيح مسلم: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالُوا وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» مسلم الحديث رقم: (٧٣٤٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٨٧٥٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، والترمذي الحديث رقم: (٢٥٨٩).

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٤٤٢.

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ
نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ
لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ
فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ
﴿١٦﴾ • أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ
كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ
كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ
بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

سورة الغاشية

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر، وقيل: هل بمعنى قد وهذا ضعيف.

﴿الْغَاشِيَةِ﴾ هي القيامة لأنها تغشى جميع الخلق، وقيل: هي النار من قوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد ذلك قسمين: أهل الشقاوة وأهل السعادة.

﴿خَاشِعَةٌ﴾ أي ذليلة.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ هو من النصب بمعنى التعب، وفي المراد بهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الكفار، ويحتمل على هذا أن يكون عملهم ونصبهم في الدنيا لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها، أو يكون في الآخرة فيعملون فيها عملا يتعبون فيه من جر السلاسل والأغلال وشبه ذلك، ويكون زيادة في عذابهم.

الثاني: أنها في الرهبان الذين يجتهدون في العبادة ولا تقبل منهم لأنهم على غير الإسلام، وبهذا تأولها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)] وبكى رحمة لراهب نصراني رآه مجتهدا، فعاملة ناصبة على هذا في الدنيا، وناصبة إشارة إلى اجتهادهم في العمل، أو إلى أنه لا ينفعهم فليس لهم منه إلا النصب.

الثالث: أنها في القدرية، وقد روي[(٢)]: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر القدرية فبكى، وقال: إن فيهم المجتهد.

(١) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز: ٥/٤٤٣.

(٢) المحرر الوجيز المصدر السابق

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أي شديدة الحر ومنه حميم آن ووزن آنية هنا فاعلة بخلاف آنية من فضة فإن وزنه أفعله.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ في الضريع أربعة أقوال:

أحدها: أنه شوك يقال له الشبرِق وهو سم قاتل، وهذا أرجح الأقوال؛ لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: الضريع: شوك في النار[1].

الثاني: أنه الزقوم لقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾.

الثالث: أنه نبات أخضر منتن ينبت في البحر وهذا ضعيف.

الرابع: أنه واد في جهنم وهذا ضعيف؛ لأن ما يجرى في الوادي ليس بطعام إنما هو شراب، ولله در من قال: الضريع طعام أهل النار، فإنه أعم وأسلم من عهدة التعيين، واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به، وقيل: هو بمعنى مضرع للبدن أي مضعف، وقيل: إن العرب لا تعرف هذا اللفظ.

فإن قيل: كيف قال هنا ليس لهم طعام إلا من ضريع، وقال في الحاقة: ولا طعام إلا من غسلين؟ فالجواب: أن الضريع لقوم والغسلين لقوم أو يكون أحدهما في حال والآخر في حال.

﴿لاَّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ هذه الجملة صفة لضريع، أو لطعام نفي عنه منفعة الطعام وهي التسمين وإزالة الجوع.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أي متنعمة في الجنة أو يظهر عليها نضرة النعيم.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي راضية في الآخرة لأجل سعيها وهو عملها في الدنيا.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ يحتمل أن يكون من علو المكان أو من علو المقدار أو الوجهين.

---

(١) لم أجده مسندا، وأورده الثعالبي في تفسيره: ٤/٤٠٨، وقال: وهذا إن صح فلا يعدل عنه..

﴿لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةٌ﴾ هو من لغو الكلام ومعناه الفحش وما يكره فيحتمل أن يريد كلمة لاغية، أو جماعة لاغية.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يحتمل أن يريد جنس العيون أو واحدة شرفها بالتعيين.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ قد ذكرنا أكوابا ومعنى موضوعة: حاضرة معدة بشرابها، وفي قوله: ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾ وموضوعة مطابقة.

﴿وَنَمَارِقُ﴾ جمع نمرقة وهي الوسادة.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ هي بسط فاخرة، وقيل: هي الطنافس واحدها زربية. ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ أي متفرقة، وذلك عبارة عن كثرتها، وقيل: مبسوطة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ﴾ حض على النظر في خلقتها لما فيها من العجائب في قوتها، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها، وغير ذلك، وقيل: أراد بالإبل السحاب وهذا بعيد، وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال، والصحيح أن المراد الحيوان المعروف، وإنما ذكره لما فيه من العجائب، ولاعتناء العرب به إذ كانت معايشهم في الغالب منه، وهو أكثر المواشي في بلادهم.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي قاهر متسلط وهذا من المنسوخ بالسيف.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ استثناء منقطع معناه: لكن من تولى. ﴿وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ﴾ وقيل: هو استثناء من مفعول فذكر، والمعنى: ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه، فهو على هذا متصل، وقيل: هو استثناء من قوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي لا تسلط إلا على من تولى وكفر، وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه، وهذا بعيد؛ لأن السورة مكية والموادعة بمكة ثابتة.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي رجوعهم، والآية تهديد.

سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا
يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ
رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي
الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي
الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ
(١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ
(١٤) فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ (١٥) فَيَقُولُ رَبِّي
أَكْرَمَنِ (١٦) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ (١٧) فَيَقُولُ
رَبِّي أَهَانَنِ (١٨) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٩) وَلَا تَحُضُّونَ
عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٢٠) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (٢١)
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٢) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا
دَكًّا (٢٣) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٤) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ
بِجَهَنَّمَ (٢٥) يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٦)

﴿وَالفَجْرِ﴾ أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم، كما أقسم بالصبح، وقيل: أراد صلاة الفجر، وقيل: أراد النهار كله، وقيل: فجر يوم الجمعة، وقيل: فجر يوم النحر، وقيل: فجر ذي الحجة، ولا دليل على هذه التخصيصات، وقيل: أراد انفجار العيون من الحجارة، وهذا بعيد، والأول أظهر وأشهر.

﴿وَلَيَالٍ عَشرٍ﴾ هي عشر ذي الحجة عند الجمهور، وقيل: العشر الأول من المحرم وفيها عاشوراء، وقيل: العشر الأواخر من رمضان، وقيل: العشر الأول منه.

﴿وَالشَّفْعِ وَالوَتْرِ﴾ روي(١) عن النبي ﷺ: أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة، وروي عنه عليه الصلاة والسلام: أنها الصلوات منها شفع ووتر، وقيل: الشفع التنفل بالصلاة مثنى مثنى والوتر الركعة الواحدة المعروفة، وقيل: الشفع العالم والوتر الله لأنه واحد، وقيل: الشفع آدم وحواء والوتر الله تعالى، وقيل: الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام، وقيل: الشفع أبواب الجنة لأنها ثمانية، والوتر أبواب النار لأنها سبعة، وقيل: الشفع قران الحج والوتر إفراده، وقيل: المراد الأعداد منها شفع ووتر فهذه عشرة أقوال وقرئ(٢) الوتر بفتح الواو وكسرها وهما لغتان.

﴿وَالَّيلِ إِذَا يَسرِ﴾ أي إذا يذهب فهو كقوله: ﴿وَالَّيلِ إِذ أَدبَرَ﴾، وقيل: أراد

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٥/٤٤٧.

(٢) قال الداني: قرأ حمزة والكسائي ﴿والوتر﴾ بكسر الواو، والباقون بفتحها. التيسير، ص: ١٤٠.

يسرى فيه، فهو على هذا كقولهم: ليله قائم، والمراد على هذا ليلة جمع؛ لأنها التي يسرى فيها، والأول أشهر وأظهر.

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها، والحجر هنا: هو العقل كأنه يقول: إن هذا لقسم عظيم عند ذوى العقول، وجواب القسم محذوف، وهو ليأخذن الله الكفار، ويدل على ذلك ما ذكره بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون.

﴿إِرَمَ﴾ هي قبيلة عاد سميت باسم أحد أجدادها، كما يقال: هاشم لبني هاشم، وإعرابه بدل من عاد، أو عطف بيان، وفائدته أن المراد عاد الأولى فإن عادا الثانية لا يسمون بهذا الاسم، وقيل: إرم اسم مدينتهم فهو على حذف مضاف تقديره: بعاد عاد إرم، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير[(١)] بعاد أرم على الإضافة من غير تنوين عاد، وامتنع ﴿إِرَمَ﴾ من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث. ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ من قال إرم قبيلة قال: العماد أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر لأنهم كانوا أهل عمود، وقال ابن عباس[(٢)] ذلك كناية عن طول أبدانهم، ومن قال: إرم مدينة فالعماد الحجارة التي بنيت بها، وقيل: القصور والأبراج.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ صفة للقبيلة لأنهم كانوا أعظم الناس أجساما يقال كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع، أو صفة للمدينة وهذا أظهر لقوله في البلاد ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا وروي: أنها بناها شداد بن عاد في ثلاثمائة عام، وكان عمره تسعمائة عام، وجعل قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أنواع الشجر والأنهار الجارية، وروي: أنه سمع ذكر الجنة فأراد أن يعمل مثلها، فلما أتمها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم

(١) قال ابن عطية: وقرأ ابن الزبير: «أرم ذات العماد» بفتح الهمزة وكسر الراء، وهي لغة في المدينة. المحرر الوجيز: ٥/٤٤٩.

(٢) تفسير البحر المحيط: ٨/٤٦٤، والمحرر الوجيز الموضع السابق.

الله بصيحة، وكانت هذه المدينة باليمن وروي: أن بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية، وقيل: هي دمشق، وقيل: الإسكندرية، وهذا ضعيف.

﴿جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ أي نقبوه ونحتوا فيه بيوتا والوادي ما بين الجبلين وإن لم يكن فيه ماء، وقيل: أراد وادي القرى ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ ذكر في سورة داود.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَادِ﴾ صفة لعاد وثمود وفرعون، ويجوز أن يكون منصوبا على الذم أو خبر ابتداء مضمر.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ استعارة السوط للعذاب لأنه يقتضي من التكرار مالا يقتضيه السيف وغيره قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا إذ هو أهون من عذاب الآخرة، كما أن السوط أهون من القتل.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان، ورقيب على كل إنسان، وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار، وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم، والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه، والإنسان هنا جنس، وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة، وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة، وذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال في: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ وأنكر عليه قوله حين الخير: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ وقوله حين الشر: ﴿رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ﴾ ويتعلق بالآية سؤالان: السؤال الأول: لم أنكر الله على الإنسان قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ و﴿رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ﴾؟ والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الإنسان يقول: ربي أكرمني على وجه الفخر بذلك والكبر، لا على وجه الشكر، ويقول: ربي أهانن على وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك، فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر.

والآخر: أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة، وتضييقه إهانة، وليس الأمر كذلك، فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضيقه على أوليائه، فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة، وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن، وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا لأنه لا يصدق بالآخرة ويرى أن الدنيا هي الغاية، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك.

السؤال الثاني: إن قيل: قد قال الله ﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾ فأثبت إكرامه فكيف أنكر عليه قوله ربي أكرمن؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام، وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر، أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا في معنى الإنكار.

الثاني: أنه أنكر عليه قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ إذا اعتقد أن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام على وجه التفضل والإنعام كقول قارون: إنما أوتيته على علم عندي.

الثالث: أن الإنكار إنما هو لقوله: ﴿رَبِّىٓ أَهَانَنِ﴾ لا لقوله ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ فإن قوله ربي أكرمني اعتراف بنعمة الله، وقوله: ﴿رَبِّىٓ أَهَانَنِ﴾ شكاية من فعل الله.

﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ أي ضيقه وقرئ[1] بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد وفي التشديد مبالغة، وقيل: معنى التشديد جعله على قدر معلوم.

---

(١) ﴿فقدر﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر بتشديد الدال، وقرأ الباقون بتخفيفها. النشر: ٢/٤٤١.

﴿كَلَّا﴾ زجر عما أنكر من قول الإنسان. ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ هذا ذم لما ذكر من الأعمال القبيحة، ومعنى هذا الإضراب ببل كأنه أنكر على الإنسان ما تقدم، ثم قال بل تفعلون ما هو شر من ذلك، وهو: أن لا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده، قال رسول الله ﷺ[1]: «أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم».

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ الحض على الأمر هو الترغيب فيه ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو كأنه ذم لترك طعام المسكين والطعام هنا بمعنى الإطعام وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: لا تحضون على بذل طعام المسكين، وقرئ[2] تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها بمعنى لا يحض بعضكم بعضا.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ التراث هو ما يورث عن الميت من المال، والتاء فيه بدل من الواو، واللم: الجمع واللف، والتقدير: أكلا ذا لم وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره؛ لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيرا بل ينفرد به الرجال.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي شديدا كثيرا، وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه.

﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي سويت جبالها. ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أي دكا بعد دك كما تقول: تعلمت العلم بابا بابا.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ تأويله عند المتأولين جاء أمره وسلطانه، وقال المنذر بن

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي الحديث رقم: (١١٠٣٧)، والمعجم الكبير للطبراني بلفظ: «إن أحب» الحديث رقم: (١٣٤٣٤).

(٢) قال ابن الجزري: وأثبت الألف بعد الحاء في ﴿تحاضون﴾ أبو جعفر والكوفيون ويمدون للساكن. النشر: ٢/٤٤١.

سعيد: معناه ظهوره للخلق هنالك، وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل. ﴿وَالْمَلَكُ﴾ هو اسم جنس، فإنه روي: أن الملائكة كلهم يكونون صفوفا حول الأرض. ﴿صَفّاً صَفّاً﴾ أي صفا بعد صف قد أحدقوا بالجن والإنس.

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(١).

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ يومئذ بدل من إذا دكت ويتذكر هو العامل وهو جواب إذا دكت، والمعنى: أن الإنسان يتذكر يوم القيامة لأعماله في الدنيا ويندم على تفريطه وعصيانه، والإنسان هنا جنس، وقيل: يعني عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ هذا على حذف تقديره: أنى له الانتفاع بالذكرى كما تقول ندم حين لم تنفعه الندامة.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه يريد الحياة في الآخرة فالمعنى: يا ليتني قدمت عملا صالحا للآخرة.

والآخر: أنه يريد الحياة الدنيا، فالمعنى: يا ليتني قدمت عملا صالحا وقت حياتي فاللام على هذا كقوله كتبت لعشر من الشهر.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ من قرأ بكسر الذال من يعذب(٢) والثاء من يوثق فالضمير في عذابه ووثاقه لله تعالى والمعنى أن الله يتولى عذاب الكفار ولا

---

(١) مسلم الحديث رقم: (٧٣٤٣)، والترمذي الحديث رقم: (٢٥٧٣)، والمستدرك الحديث رقم: (٨٧٥٨).

(٢) ﴿لَّا يُعَذَّبُ﴾، ﴿وَلَا يُوثَقُ﴾ قرأ يعقوب والكسائي بفتح الذال والثاء، وقرأ الباقون بكسرهما. النشر: ٢/٤٤١.

يكله إلى أحد، ومن قرأ بالفتح فالضمير للإنسان أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق أحد مثل وثاقه وهذه قراءة الكسائي، وروي أن أبا عمرو رجع إليها وهي قراءة حسنة وقد رويت عن رسول الله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ أي الموقنة يقينا قد اطمأنت به بحيث لا يتطرق إليها شك في الإيمان وقيل: المطمئنة التي لا تخاف حينئذ ويؤيد هذا قراءة أبي بن كعب[١]: (يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة).

﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، وقيل: عند البعث، وقيل: عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار، والأول أرجح؛ لما روي: أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: له يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك[٢]. ﴿رَاضِيَةً﴾ معناه راضية بما أعطاها الله أو راضية عن الله، ومعنى المرضية: مرضية عند الله، أو أرضاها الله بما أعطاها.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ أي ادخلي في جملة عبادي الصالحين، وقرئ[٣] «فادخلي في عبدي» بالتوحيد معناه ادخلي في جسده، وهو خطاب للنفس ونزلت هذه الآية في حمزة، وقيل: في خبيب بن عدي، الذي صلبه الكفار بمكة، ولفظها يعم كل نفس مطمئنة.

*** *** ***

---

(١) قال الطبري في جامع البيان: وُذكر أن ذلك في قراءة أُبيّ ﴿يا أيّتها النّفْسُ الآمِنَةُ﴾ ٢٤/٤٢٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٤٥٣.

(٣) قرأ أبي «في عبدي» المحرر الوجيز: ٥/٤٥٤.

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٨﴾
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٩﴾ يَٰأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٣٠﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ
رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٣١﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٢﴾

سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربع
• لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا
وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسِبُ أَن لَّن يَقْدِرَ
عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسِبُ أَن لَّمْ يَرَهُ
أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ
النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ
رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ
مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ
وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

سورة الشمس

سورة البلد

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ أراد مكة باتفاق، وأقسم بها تشريفا لها ولا زائدة.

﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده، وفي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى أنت حال بهذا البلد أي ساكن لأن السورة نزلت والنبي ﷺ بمكة.

والآخر: أن معنى حل تستحل حرمتك ويؤذيك الكفار مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر، وعلى هذا قيل: لا أقسم يعني: لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية.

الثالث: أن معنى حل حلال يجوز لك في هذا البلد ما شئت من قتلك الكفار وغير ذلك مما لا يجوز لغيرك، وهذا هو الأظهر لقوله ﷺ[1]: «**إن هذا البلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض لم يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدي، وإنما أحل لي ساعة من نهار**» يعني يوم فتح مكة، وفي ذلك اليوم أمر عليه الصلاة والسلام بقتل ابن خطل[2] وهو متعلق بأستار الكعبة.

فإن قيل: إن السورة مكية وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة؟ **فالجواب**:

---

(١) معناه في صحيح ابن حبان الحديث رقم: (٣٧٢٠)، وسنن النسائي الحديث رقم: (٢٨٧٥)، ومسند الإمام أحمد الحديث رقم: (٢٨٩٨)، وسنن البيهقي الحديث رقم: (١١٨٩٨).

(٢) البخاري الحديث رقم (٤٠٣٥) ومسلم الحديث رقم (٣٣٧٤) وغيرهما.

أن هذا وعد بفتح مكة كما تقول لمن تعده بالكرامة أنت مكرم يعني فيما يستقبل، وقيل: إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح وهذا ضعيف.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه أراد آدم وجميع ولده. الثاني: نوح وولده. الثالث: إبراهيم وولده. الرابع: سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وولده. الخامس: جنس كل والد ومولود، وإنما قال ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ولم يقل ومن ولد إشارة إلى تعظيم المولود كقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قاله الزمخشري.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة، قال بعضهم: لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم، وأصل الكبد من قولك: كبد الرجل فهو أكبد إذا وجعت كبده، وقيل: معنى في كبد واقفا منتصب القامة وهذا ضعيف، والإنسان على هذين القولين جنس، وقيل: الإنسان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾ على هذا في السماء وهذا ضعيف والأول هو الصحيح.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه.

والآخر: أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه، فعلى الأول نزلت في جنس الإنسان الكافر، وعلى الثاني نزلت في رجل معين وهو أبو الأشد، رجل من قريش كان شديد القوة، وقيل: عمرو بن عبد ود، وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة وقتله علي بن أبي طالب.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي كثيرا وقرئ[1] لبدا بضم اللام وكسرها،

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ مجاهد ﴿لبدا﴾ بضمهما وذلك جمع لبدة أو جمع لبود بفتح اللام وقرأ أبو جعفر يزيد ﴿لبدا﴾ بضم اللام وفتح الباء وشدها فيكون مفردا نحو زمل، ويكون جمع لابد، وقد روي عن أبي جعفر ﴿لبدا﴾ بسكون الباء والمعنى في هذه القراءات كلها: مالا كثيرا متلبدا=

وهو جمع لبدة بالضم والكسر بمعنى الكثرة، ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة فإنه أنفق مالا في إفساد أمر رسول الله ﷺ، وقيل: في الحرث بن عامر بن نوفل، وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات فقال: لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمدا.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ يحتمل أن يكون هذا تكذيبا له في قوله أهلكت مالا لبدا، أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي طريقي الخير والشر فهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد، وقيل: يعني ثديي الأم.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ الاقتحام الدخول بشدة ومشقة، والعقبة عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد، وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل؛ لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس، وقيل: هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال، ولا هنا تخصيص بمعنى هلا، وقيل: هي دعاء، وقيل: هي نافية واعترض هذا القول بأن لا النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها، وأجاب الزمخشري بأنها مكررة في المعنى، والتقدير: فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكينا، وقال الزجاج: قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يدل على التكرار لأن التقدير فلا اقتحم العقبة ولا آمن.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ تعظيم للعقبة، ثم فسرها بفك الرقبة وهو إعتاقها وبالإطعام، وقرئ[1] فك رقبة بضم الكاف وخفض الرقبة وهو على هذا تفسير

= بعضه فوق بعض، من التكاثف والكثرة. المحرر الوجيز: ٥/٤٥٥، وقال ابن الجزري في النشر٢/٤٠١: واختلفوا في (مالا لبدا) فقرأ أبو جعفر بتشديد الباء، وقرأ الباقون بتخفيفها.

(١) ﴿فك رقبة أو إطعام﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿فك﴾ بفتح الكاف ﴿رقبة﴾ بالنصب ﴿أو أطعم﴾ بفتح الهمزة والميم من غير تنوين ولا ألف قبلها. وقرأ الباقون: برفع ﴿فك﴾ وخفض ﴿رقبة﴾، ﴿إطعام﴾ بكسر الهمزة ورفع الميم مع التنوين وألف قبلها. النشر: ٢/٤٤١.

للعقبة وبفتح الكاف ونصب الرقبة وهو تفسير لاقتحم وفك الرقبة هو عتقها قال رسول الله ﷺ[١]: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار»، وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: «دلني على عمل أنجو به فقال: فك الرقبة وأعتق النسمة، فقال الأعرابي أليس هذا واحدا؟ فقال رسول الله ﷺ: لا إعتاق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها»[٢] وأما فك أساري المسلمين من أيدي الكافرين فإنه أعظم أجرا من العتق؛ لأنه واجب ولو استغرقت فيه أموال المسلمين، ولكنه لا يجزئ في الكفارات عن عتق رقبة.

﴿أَوْ إِطْعَامٌ﴾ من قرأ فك بالرفع قرأ إطعام فعطف مصدرا على مصدر ومن قرأ[٣] فك بالفتح قرأ أطعم بفتح الهمزة والميم، فعطف فعلا على فعل. ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي مجاعة، يقال: سغب الرجل إذا جاع.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي ذا قرابة ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي ذا حاجة، يقال: ترب الرجل إذا افتقر وهو مأخوذ من الصدقة بالتراب، وروي: عن النبي ﷺ أنه الذي مأواه المزابل.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ثم هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان، وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام، ولا يصح أن يكون للترتيب في الزمان؛ لأنه لا يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام، ولا يقبل عمل إلا من

---

(١) مسلم الحديث رقم: (٣٨٧٠)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٤٣٠٨)، وشرح السنة للبغوي: ٥/١٣٨، والسنن الكبرى للنسائي الحديث رقم: (٤٨٧٤)، وسنن الترمذي الحديث رقم: (١٥٤١).

(٢) شرح السنة للبغوي: ٥/١٤١، وشعب الإيمان للبيهقي الحديث رقم: (٤٣٣٥)، وشرح مشكل الآثار للطحاوي الحديث رقم: (٢٣٠٢).

(٣) ﴿فك رقبة أو إطعام﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿فك﴾ بفتح الكاف ﴿رقبة﴾ بالنصب ﴿أو أطعم﴾ بفتح الهمزة والميم من غير تنوين ولا ألف قبلها، وقرأ الباقون برفع ﴿فك﴾ وخفض ﴿رقبة﴾، ﴿إطعام﴾ بكسر الهمزة ورفع الميم مع التنوين وألف قبلها. النشر ٢/٤٤١.

مؤمن ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾ أي وصى بعضهم بعضا بالصبر على قضاء الله، وكأن هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفار. ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي وصى بعضهم بعضا برحمة المساكين وغيرهم، وقيل: الرحمة كل ما يؤدي إلى رحمة الله.

﴿الْمَيْمَنَةِ﴾ جهة اليمين و﴿الْمَشْـَٔمَةِ﴾ جهة الشمال، وروي: أن الميمنة عن يمين العرش، ويحتمل أن يكونا من اليمن والشؤم.

﴿نَارٌ مُّوصَدَةٌ﴾ أي مطبقة مغلقة يقال أوصدت الباب إذا أغلقته وفيه لغتان الهمزة وترك الهمزة.

*** *** ***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا
﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا
طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴿١٤﴾ فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٥﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٦﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ
﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ
﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ
عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

سورة الشمس

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ الضحى ارتفاع الضوء وكماله والضحاء بالفتح والمد بعد ذلك إلى الزوال، وقيل: الضحى النهار كله والأول هو المعروف في اللغة.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ أي تبعها وفي اتباعه لها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يتبعها في كثرة الضوء لأنه أضوء الكواكب بعد الشمس ولا سيما ليلة البدر.

والآخر: أنه يتبعها في طلوعه لأنه يطلع بعد غروبها وذلك في النصف الأول من الشهر.

والثالث: أن تبعه لها: أخذه من نورها، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أي كشفها وأظهرها، وضمير المفعول للشهر، وضمير الفاعل للنهار؛ لأن الشمس تنجلي بالنهار، فكأنه هو الذي جلاها، وقيل: الضمير الفاعل لله، وقيل: الضمير المفعول للظلمة أو الأرض أو الدنيا، وهذا كله بعيد؛ لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي يغطيها وضمير المفعول للشمس وضمير الفاعل لليل على الأصح.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ قيل: إن ما في قوله: وما بناها، وما طحاها، وما سواها، موصولة بمعنى من والمراد الله تعالى، وقيل: إنها مصدرية كأنه قال:

والسماء وبنيانها وضعف الزمخشري ذلك بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ فإن المراد الله باتفاق وهذا القول يؤدي إلى فساد النظم، وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق. فإن قيل: لم عدل عن من إلى قوله ما في قول من جعلها موصولة؟ فالجواب: أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية كأنه قال: والقادر الذي بناها.

﴿طَحَاهَا﴾ أي مدها. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها، فإن قيل: لم نكر النفس؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد الجنس كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾.

والآخر: أنه أراد نفس آدم والأول هو المختار.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي عرفها طريق الفجور والتقوى وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين، ويحتمل أن تكون الواو بمعنى أو كقوله: ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ هذا جواب القسم عند الجمهور، وقال الزمخشري: الجواب محذوف تقديره: ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم النبي ﷺ، كما دمدم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام، قال: وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ على سبيل الاستطراد وهذا بعيد، والفاعل بزكاها ضمير يعود على من والمعنى قد أفلح من زكى نفسه أي طهرها من الذنوب والعيوب، وقيل: الفاعل ضمير الله تعالى، والأول أظهر.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ أي حقرها بالكفر والمعاصي وأصله دسس بمعنى أخفى فكأنه أخفى نفسه لما حقرها وأبدل من السين الأخيرة حرف علة كقولهم: قصيت أظفاري وأصله قصصت.

﴿بِطَغْوَاهَا﴾ هو مصدر بمعنى الطغيان قلبت فيه الياء واوا على لغة من

يقول: طغيت، والباء الخافضة كقولك: كتبت بالقلم، أو سببية، والمعنى بسبب طغيانها، وقال ابن عباس[1] معناه كذبت ثمود بعذابها، ويؤيده قوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾.

﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ العامل في إذ كذبت أو طغواها ومعنى انبعث خرج لعقر الناقة بسرعة ونشاط وأشقاها هو الذي عقر الناقة وهو أحيمر ثمود واسمه قدار بن سالف ويحتمل أن يكون أشقاها واقعا على جماعة لأن أفعل التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع والأول أظهر وأشهر.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني صالحا عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره احفظوا ناقة الله أو احذروا ناقة الله وسقياها شربها من الماء.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ نسب العقر إلى جماعة لأنهم اتفقوا عليه وباشره واحد منهم.

﴿فَدَمْدَمَ﴾ عبارة عن إنزال العذاب بهم وفيه تهويل. ﴿بِذَنْبِهِمْ﴾ أي بسبب ذنبهم وهو التكذيب أو عقر الناقة. ﴿فَسَوَّاهَا﴾ قال ابن عطية معناه فسوى القبيلة في الهلاك لم يفلت أحد منهم وقال الزمخشري الضمير للدمدمة أي سواها بينهم.

﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ضمير الفاعل لله تعالى والضمير في عقباها للدمدمة والتسوية وهو الهلاك أي لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم وفي ذلك احتقار لهم، وقيل: إن ضمير الفاعل لصالح وهذا بعيد، وقرئ[2] فلا يخاف بالفاء وبالواو، وقيل في القراءة بالواو أن الفاعل أشقاها والجملة في موضع الحال أي انبعث ولم يخف عقبى فعلته وهذا بعيد.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) المحرر الوجيز: ٥/٤٦٠.

(٢) قرأ نافع وابن عامر ﴿فلا يخاف﴾ بالفاء والباقون بالواو. التيسير، ص: ١٤٠.

سورة الليل

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي يغطي وحذف المفعول وهو الشمس لقوله (والليل إذا يغشاها) أو النهار لقوله يغشى الليل النهار أو كل شيء يستره الليل.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي ظهر وتبين والنهار من طلوع الشمس، واليوم من طلوع الفجر.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ما بمعنى من والمراد بها الله تعالى وعدل عن من لقصد الوصف كأنه قال: والقادر الذي خلق الذكر والأنثى، وقيل: هي مصدرية، وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ والذكر والأنثى[1].

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا جواب القسم ومعناه إن عملكم مختلف فمنه حسنات ومنه سيئات وشتى جمع شتيت.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ أي أعطى ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك، أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء واتقى الله.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي بالخصلة الحسنة وهي الإسلام ولذلك عبر عنها بعضهم بأنها لا إله إلا الله أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة، وقيل: يعني الأجر والثواب على الإطلاق، وقيل: يعني الخلف على المنفق.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي نهيئه للطريقة اليسرى وهي فعل الخيرات وترك السيئات، وضد ذلك تيسيره للعسرى ومنه قوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[2] أي يهيئه الله لما قدر له ويسهل عليه فعل الخير أو الشر.

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ علي بن أبي طالب، وابن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، وسمعها من النبي ﷺ وعلقمة وأصحاب عبد الله «والذكر والأنثى» وسقط عندهم «وما خلق» المحرر الوجيز: ٥/٤٦٢.

(٢) رواه البخاري الحديث رقم: (٤٩٤٩) ومسلم الحديث رقم: (٦٩٠٣) وغيرهما.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ أي بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق فيحتمل الوجهين؛ لأنه في مقابلة أعطى كما أن استغنى في مقابلة اتقى، وكذلك كذب بالحسنى في مقابلة صدق بالحسنى ونيسره للعسرى في مقابلة نيسره لليسرى، ومعنى استغنى استغنى عن الله فلم يطعه واستغنى بالدنيا عن الآخرة، ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق لأنه أنفق ماله في مرضات الله، وكان يشتري من أسلم من العبيد فيعتقهم، وقيل: نزلت في أبي الدحداح، وهذا ضعيف؛ لأنها مكية وإنما أسلم أبو الدحداح بالمدينة، وقيل: إن آية الذم نزلت في أبي سفيان بن حرب، وهذا ضعيف لقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ هذا نفي أو استفهام بمعنى الإنكار واختلف في معنى تردى على أربعة أقوال: الأول تردى أي هلك فهو مشتق من الردى وهو الموت، أو تردى أي سقط في القبر، أو سقط في جهنم، أو تردى بأكفانه من الرداء.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي بيان الخير والشر وليس المراد الإرشاد عند الأشعرية خلافا للمعتزلة.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ﴾ خطاب من الله أو من النبي ﷺ على تقدير قل.

﴿لَا يَصْلَىٰهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ استدل المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ وتأولها الناس بثلاثة أوجه:

أحدها: أن المعنى لا يصلاها صلي خلود إلا الأشقى.

والآخر: أنه أراد نارا مخصوصة.

الثالث: أنه أراد بالأشقى كافرا معينا وهو: أبو جهل، وأمية ابن خلف،

لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ
تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَى (ترتيبها ٩٣ – آياتها ١١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى
﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ (ترتيبها ٩٤ – آياتها ٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ربع

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ
ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ
الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

وقابل به الأتقى وهو أبو بكر الصديق، فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لا مخرج الإخبار على العموم.

﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ من أداء الزكاة أو من الزكاة أي يصير زكيا عند الله، أو يتطهر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من يؤتي ماله، أو حال من الضمير.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ أي لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم، بل يفعله ابتداء خالصا لوجه الله، وقيل: المعنى لا يقصد جزاء من أحد في المستقبل على ما يفعل، والأول أظهر ويؤيده ما روي[١]: أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما أعتق بلالا قالت قريش: كان لبلال عنده يد متقدمة فنفى الله قولهم.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ استثناء منقطع. ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وعد بأن يرضيه الله في الآخرة.

*** *** ***

(١) الطبري في جامع البيان ٢٤/٤٨٠.

سورة والضحى

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ذكر في الشمس وضحاها.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ فيه أربعة أقوال: إذا أقبل، وإذا أدبر، وإذا أظلم، وإذا سكن، أي استقر واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات، ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح، وطرف ساج أي ساكن غير مضطرب النظر، وهذا أقرب في الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ بتشديد الدال من الوداع، وقرئ[1] بتخفيفها بمعنى ما تركك والوداع مبالغة في الترك. ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي ما أبغضبك وحذف ضمير المفعول من قلى وآوى وهدى وأغنى اختصارا لظهور المعنى ولموافقة رؤوس الآي، وسبب الآية[2] أن رسول الله ﷺ أبطأ عليه الوحي فقالت قريش: إن محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت الآية تكذيبا لهم، وقيل: رمى عليه الصلاة والسلام بحجر في أصبعه فدميت فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت امرأة: ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه فنزلت الآية.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ أي الدار الآخرة خير لك من الدنيا قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله بعد نزول هذه السورة ويريد بالأولى حاله قبل نزولها، وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ روي: أن النبي ﷺ قال لما نزلت: إذا لا أرضى أن يبقى واحد من أمتي في النار، قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن،

(١) قال ابن عطية : (دعك) بشد الدال من التوديع وقرا عروة بن الزبير وابنه هشام ﴿ودعك﴾ بتخفيف الدال من التوديع، وقرأ عروة بن الزبير وابنه هشام ﴿ودعك﴾ بتخفيف الدال بمعنى ترك المحرر الوجيز ٥/٤٦٤.

(٢) البخاري الحديث رقم: (١٠٧٣)، ومسلم الحديث رقم: (٤٧٥٧).

وقال ابن عباس[١]: رضاه أن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم، وقيل: رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره، والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه الله في الآخرة وكل ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَـَاوَىٰ﴾ عدد الله نعمه عليه فيما مضى من عمره ليقيس عليه ما يستقبل فتطيب نفسه ويقوى رجاؤه، ووجد في هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين وهي بمعنى علم، فالمعنى: ألم تكن يتيما فآواك وذلك أن والده ﷺ توفي وتركه في بطن أمه، ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام، وقيل: ثمانية، فكفله جده عبد المطلب ثم مات وتركه ابن اثني عشر عاما، فكفله عمه أبو طالب، وقيل: لجعفر الصادق لم نشأ النبي ﷺ يتيما؟ فقال: لئلا يكون عليه حق لمخلوق.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلاً فَهَدَىٰ﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: وجدك ضالا عن معرفة الشريعة فهداك إليها، فالضلال عبارة عن التوقيف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله، فهو كقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِے مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ﴾ وهذا هو الأظهر وهو الذي اختاره ابن عطية وغيره، ومعناه أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله، ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به لأنه كان معصوما من ذلك قبل النبوءة وبعدها.

والثاني: وجدك في قوم ضلال فكأنك واحد منهم، وإن لم تكن تعبد ما يعبدون وهذا قريب من الأول.

والثالث: وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها وهذا ضعيف لأن السورة نزلت قبل الهجرة.

الرابع: وجدك خامل الذكر لا تعرف فهدى الناس إليك وهداهم بك، وهذا بعيد عن المعنى المقصود.

الخامس: أنه من الضلال عن الطريق وذلك أنه ﷺ ضل في بعض

---

(١) تفسير البحر المحيط: ٨/٤٨١.

شعب مكة وهو صغير فرده الله إلى جده، وقيل: بل ضل من مرضعته حليمة فرده الله إليها، وقيل: بل ضل في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب.

السادس: أنه بمعنى الضلال من المحبة أي وجدك محبا لله فهداك إليه ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ أي محبتك ليوسف وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير.

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ العائل الفقير، يقال: عال الرجل فهو عائل إذا كان محتاجا، وأعال فهو معيل إذا كثر عياله، وهذا الفقر والغنى هو في المال وغناؤه ﷺ هو أن أعطاه الله الكفاف، وقيل: هو رضاه بما أعطاه الله وقيل: المعنى وجدك فقيرا إليه فأغناك به.

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضعفه، أو لا تقهره بالمنع من مصالحه ووجوه القهر كثيرة والنهي يعم جميعها.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ النهر هو الانتهار والزجر، والنهي عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى. ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾، ويحتمل السائل أن يريد به سائل الطعام والمال وهذا هو الأظهر، والسائل عن العلم والدين وفي قوله تقهر وتنهر لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قيل معناه بث القرآن وبلغ الرسالة، والصحيح أنه عموم في جميع النعم، قال رسول الله ﷺ[1]: «التحدث بالنعم شكر» ولذلك كان بعض السلف يقول: لقد أعطاني الله كذا ولقد صليت البارحة كذا، وهذا إنما يجوز إذا كان على وجه الشكر، أو ليقتدى به، فأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز، وانظر كيف ذكر الله في هذه السورة ثلاث نعم، ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا، فقابل قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ بقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ.

تَقْهَرْ﴾ وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلاً فَهَدَىٰ﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ على قول من قال إنه السائل عن العلم، وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على القول الآخر، وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ على القول الأظهر، وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على القول الآخر.

سورة ألم نشرح

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ هذا توقيف معناه إثبات شرح صدره ﷺ وتعديد ما ذكر بعده من النعم وشرح صدره ﷺ هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة، وقيل: هو شق جبريل لصدره في صغره أو في وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: قول الجمهور أن الوزر الذنوب، ووضعها هو غفرانها فهو كقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء، أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوءة.

الثاني: أن الوزر هو أثقال النبوة وتكاليفها ووضعها على هذا هو إعانته عليها وتمهيد عذره بعد ما بلغ الرسالة.

الثالث: أن الوزر هو تحيره قبل النبوءة إذ كان يرى أن قومه على ضلال ولم يأته من الله أمر واضح فوضعه على هذا هو بالنبوة والهدى للشريعة.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدته عليه، قال الحارث المحاسبي: إنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل وهي صغائر مغفورة لهم لهمهم بها وتحسرهم عليها فهي ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله وهي خفيفة عند

الله وهذا كما جاء في الأثر[(١)]: «إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه» واشتقاق أنقض ظهرك من نقض البنيان وغيره أو من النقيض وهو الصوت فكأنه يسمع لظهره نقيض كنقيض ما يحمل عليه شيء ثقيل.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي نوهنا باسمك وجعلناه شهيرا في المشارق والمغارب، وقيل: معناه اقتران ذكره بذكر الله في الأذان والخطب والتشهد وفي مواضع من القرآن، وقد روي في هذا حديث أن الله قال له: «إذا ذكرتُ ذكرتَ معي»[(٢)] فإن قيل: لم قال ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾ و﴿لَكَ صَدْرَكَ﴾ مع أن المعنى مستقل دون ذلك؟ فالجواب: أن قوله لك يدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هذا وعد لما يسر بعد العسر، وإنما ذكره بلفظ مع التي تقتضي المقاربة ليدل على قرب اليسر من العسر، فإن قيل: ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله؟ فالجواب: أنه ﷺ كان بمكة هو وأصحابه في عسر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال، ووعده الله باليسر وقد تقدم تعديد النعم تسلية وتأنيسا لتطيب نفسه، ويقوى رجاؤه كأنه يقول: إن الذي أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدل لك هذا العسر بيسر قريب، ولذلك كرر إن مع العسر يسرا مبالغة، وقال ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين»[(٣)]، وقد روي ذلك عن عمر[(٤)] وابن مسعود[(٥)]، وتأويله أن العسر المذكور في هذه السورة واحد لأن الألف واللام

---

(١) رواه البخاري بلفظ قريب من هذا، الحديث رقم: (٥٩٤٩) ورواه غيره.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٤٤٥، والطبري في جامع البيان: ٢٤/٤٩٥ ابن كثير: ٨/٤٣٠، وصححه ابن حبان من حديث أبي سعيد رفعه «أتاني جبريل فقال: يقول ربك: أتدري كيف رفعتُ ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: «إذا ذكرتُ ذكرتَ معي» فتح الباري: ٨/٧١٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في جامع العلوم والحكم، ص: ١٩٧، والطبري في جامع البيان: ٢٤/٤٩٥.

(٤) رواه مالك في الموطإ الحديث رقم: (١٦٢١)، وشعب الإيمان للبيهقي الحديث رقم: (١٠٠١٠).

(٥) قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم أخرجه ابن أبي الدنيا ص: ١٩٧.

سُورَةُ التِّينِ — ترتيبها ٩٥ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا
يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)

سُورَةُ الْعَلَقِ — ترتيبها ٩٦ — آياتها ٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ
الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا
لَئِن لَّمْ يَنتَهِ (١٥) لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٦) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٧) فَلْيَدْعُ
نَادِيَهُ (١٨) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٩) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (٢٠)

للعهد، كقولك: جاءني رجل فأكرمت الرجل واليسر اثنان لتنكيره وقيل: إن اليسر الأول في الدنيا، والثاني في ا لآخرة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ هو من النصب بمعنى التعب، والمعنى: إذا فرغت من أمر فاجتهد في آخر، ثم اختلف في تعيين الأمرين فقيل: إذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل، وقيل: إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، وقيل: إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ قدم الجار والمجرور ليدل على الحصر أي لا ترغب إلا إلى ربك وحده.

سورة التين

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾: فيها قولان:

الأول: أنه التين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر أقسم الله بهما لفضيلتهما على سائر الثمار روي[1]: أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تينا فقال: لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس، وقال ﷺ[2]: نعم السواك الزيتون فإنه من

---

(١) تفسير الثعالبي رقم: (٢٥٢١)، والمحرر الوجيز: ٥/٤٧٠، واللباب: ٢٠/٤٠٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١١٠، والمحرر الوجيز: ٥/٤٧٠.

الشجرة المباركة هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي.

القول الثاني: أنهما موضعان ثم اختلف فيهما فقيل هما جبلان بالشام أحدهما بدمشق ينبت فيه التين والآخر بإيلياء ينبت فيه الزيتون فكأنه قال ومنابت التين والزيتون وقيل التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس، وقيل: التين مسجد نوح، والزيتون مسجد إبراهيم، والأظهر أنهما الموضعان من الشام، وهما: اللذان كان فيهما مولد عيسى ومسكنه، وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلم عليه موسى، والبلد الذي بعث منه محمد ﷺ، فتكون الآية نظير ما في التوراة: أن الله تعالى جاء من طور سيناء وطلع من ساعد وهو موضع عيسى، وظهر من جبال باران وهي مكة، وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بالشام، وأضافه الله إلى سينين ومعنى سينين مبارك فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقيل: معناه ذو الشجر واحدها سينينة قاله الأخفش، وقال الزمخشري: ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكر بالواو والياء، وأن يلزم الياء وتحريك النون بحركات الإعراب.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ هو مكة باتفاق والأمين من الأمانة أو من الأمن لقوله: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة، وأسفل سافلين الضعف والهرم والخرف فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ وقوله: ﴿جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بعد هذا غير متصل بما قبله والاستثناء على هذا القول منقطع، بمعنى لكن؛ لأنه خارج عن معنى الكلام الأول.

والآخر: أن حسن التقويم الفطرة على الإيمان، وأسفل سافلين الكفر أو تشويه الصورة في النار، والاستثناء على هذا متصل لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يردوا أسفل سافلين. ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ، والدين شريعته، والمعنى: أي شيء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوءتك.

والآخر: أنه خطاب للإنسان الكافر والدين على هذا الشريعة أو الجزاء الأخروى، ومعنى يكذبك على هذا يجعلك كاذبا لأن من أنكر الحق فهو كاذب، والمعنى: أي شيء يجعلك كاذبا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم ثم ردك أسفل سافلين، ولا شك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا فلأى شيء تكذب بالبعث والجزاء؟.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون، وكان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين[1].

*** *** ***

(١) وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» الدر المنثور: ٨/٣٦٤.

سورة العلق

نزل صدرها بغار حراء وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة في الحديث[1] الذي ذكرناه في أول الكتاب.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أو متبركا باسم ربك، وموضع باسم ربك نصب على الحال ولذا كان تقديره مفتتحا فيحتمل أن يريد: ابتدئ القراءة بقول: بسم الله الرحمن الرحيم، أو يريد الابتداء باسم الله مطلقا.

والوجه الثاني: أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو باسم ربك الذي خلق فيكون باسم ربك مفعولا وهو المقروء.

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ حذف المفعول لقصد العموم كأنه قال: الذي خلق كل شيء ثم خصص خلقة الإنسان لما فيه من العجائب والعبر، ويحتمل أنه أراد الذي خلق الإنسان كما قال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ ثم فسره بقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ والعلق جمع علقة وهي النطفة من الدم والمراد بالإنسان هنا جنس بني آدم، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة بخلاف قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾؛ لأنه أراد كل واحد على حدته، ولم يدخل آدم في الإنسان هنا لأنه لم يخلق من علقة وإنما خلق من طين.

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ كرر الأمر بالقراءة تأكيدا والواو للحال، والمقصود تأنيس النبي ﷺ كأنه يقول: افعل ما أمرت به فإن ربك كريم، وصيغة أفعل للمبالغة.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ هذا تفسير للأكرم فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة،

---

(١) تقدم تخريجه.

وخص من التعليمات الكتابة بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا، وقرأ ابن الزبير[١]: علم الخط بالقلم.

﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتابة لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق، وقيل: إن الإنسان هنا سيدنا محمد ﷺ، والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ في عداوة النبي ﷺ، وكلا هنا يحتمل أن تكون زجرا لأبي جهل أو بمعنى حقا أو استفتاحا.

﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ في موضع المفعول من أجله أي يطغى من أجل غناه والرؤية هنا بمعنى العلم بدليل إعمال الفعل في الضمير ولا يكون ذلك إلا في أفعال القلوب، والمعنى: رأى نفسه استغنى واستغنى هو المفعول الثاني.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ اتفق المفسرون أن العبد الذي صلى هو سيدنا محمد ﷺ، وأن الذي نهاه أبو جهل لعنه الله، وسبب الآية[٢] أن أبا جهل جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي في المسجد الحرام، فهم بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة، وروي: أنه قال: لئن رأيته يصلي لأطأن عنقه، فجاءه وهو يصلي ثم انصرف عنه مرعوبا. فقيل له: ما هذا؟ فقال: لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا.

﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ أرأيت في الموضع الذي قبله والذي بعده بمعنى أخبرني فكأنه سؤال يفتقر إلى جواب، وفيها معنى التعجيب

---

(١) لم أجدها مسندة وهي في بعض كتب التفسير. انظر الكشاف: ٤/٧٨٢.

(٢) ابن أبي حاتم ١٢/٤٣٢ والطبري ٢٤/٥٢٣ وابن كثير ٤/٦٤٦.

والتوقيف، والخطاب فيها يحتمل أن يكون للنبي ﷺ أو لكل مخاطب من غير تعيين، وهي تتعدى إلى مفعولين، وجاءت بعدها إن الشرطية في موضعين، وهما: قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وقوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فيحتاج إلى الكلام في مفعول أرأيت في المواضع الثلاثة وفي جواب الشرطين وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال، وهي (إن كان على الهدى) و(أمر بالتقوى) و(كذب وتولى) على من تعود هذه الضمائر، فقال الزمخشري: إن قوله الذي ينهى هو المفعول الأول لقوله: أرأيت الأولى، وأن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول الثاني، وكررت أرأيت بعد ذلك للتأكيد فهي زائدة لا تحتاج إلى مفعول، وإن قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ هو جواب قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فهو في المعنى جواب للشرطين معا، وأن الضمير في قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ الذي نهى عن الصلاة وهو أبو جهل، وكذلك الضمير في قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ وتقدير الكلام على هذا: أخبرني عن الذي ينهى عبدا إذا صلى إن كان هذا الناهي على الهدى أو كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى جميع أحواله، من هداه وضلاله، وتكذيبه ونهيه عن الصلاة، وغير ذلك فمقصود الآية تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه، وخالفه ابن عطية في الضمائر، فقال: إن الضمير في قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ للعبد الذي صلى، وأن الضمير في قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ للذي نهى عن الصلاة، وخالفه أيضا، في جعله: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ الثانية مكررة للتأكيد، وقال: إنها في المواضع الثلاثة توقيف، وأن جوابه في المواضع الثلاثة قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ فإنه يصلح مع كل واحد منها ولكنه جاء في آخر الكلام اختصارا، وخالفهما أيضا الغزنوي في الجواب، فقال: إن جواب قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ محذوف فقال إن تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب، والضمير على هذا يعود على العبد الذي صلى وفاقا لابن عطية.

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ۝ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ أوعد أبا جهل إن لم ينته عن كفره

وطغيانه أن يؤخذ بناصيته فيلقى في النار، والناصية مقدم الرأس فهو كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ والسفع هنا الجذب والقبض على الشيء، وقيل: هو الإحراق من قولك: سفعته النار، وأكد لنسفعا باللام والنون الخفيفة وكتبت في المصحف بالألف مراعاة للوقف، ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجر إلى القليب.

﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أبدل ناصية من الناصية ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزا والكاذب الخاطئ في الحقيقة صاحبها والخاطئ الذي يفعل الذنب متعمدا والمخطئ الذي يفعله بغير قصد.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ النادي والندي المجلس الذي يجتمع فيه الناس وكان أبو جهل قد قال: أيتوعدني محمد فوالله ما بالوادي أعظم ناديا مني فنزلت الآية تهديدا وتعجيزا له والمعنى: فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدروا على ذلك، ثم أوعده بأن يدعو له زبانية جهنم وهم الملائكة الموكلون بالعذاب والزبانية في اللغة الشرط واحدهم زبنية، وقيل: زبنى وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال[١]: **«لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا»**.

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ أي تقرب إلى الله بالسجود كما قال رسول الله ﷺ[٢]: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء»** وهذا موضع سجدة عند الشافعي[٣] وليست عند مالك من عزائم السجود[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي الحديث رقم: (٣٣٤٩)، وسنن النسائي الحديث رقم: (١١٦٨٤)، والمسند الحديث رقم: (٣٠٤٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه الحديث ر قم: (١١١١)، وابن حبان الحديث رقم: (١٩٢٨)، وسنن النسائي الحديث رقم: (١١٣٦).

(٣) عن ابن بن مسعود أنه قال: عزائم السجود أربع: ألم تنزيل، وحم السجدة، واقرأ باسم ربك الذي خلق، والنجم. هكذا رواه الجماعة عن شعبة. سنن البيهقي الحديث رقم: (٣٥٣٢).

(٤) الموطأ من رواية محمد بن الحسن: ٢/٢٥.

سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
(٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)

سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢)
فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ
مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ
(٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي
نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)

سورة القدر

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولا، وهي أنها: ليلة إحدى وعشرين من رمضان، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين، فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر من رمضان، على قول من ابتدأ عدتها من أول العشر، وقد ابتدأ بعضهم عدتها من آخر الشهر، فجعل ليالي الأوتار ليلة ثلاثين؛ لأنها الأولى، وليلة ثمان وعشرين؛ لأنها الثانية، وليلة ست وعشرين؛ لأنها الخامسة، وليلة أربع وعشرين؛ لأنها السابعة، وليلة اثنين وعشرين؛ لأنها التاسعة، فهذه خمسة أقوال أخر، فتلك عشرة أقوال.

والقول الحادي عشر: أنها تدور في العشر الأواخر ولا تثبت في ليلة واحدة منه.

الثاني عشر: أنها مخفية في رمضان كله، وهذا ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم[1]: «التمسوها في العشر الأواخر».

الثالث عشر: أنها مخفية في العام كله.

الرابع عشر: أنها ليلة النصف من شعبان وهذان القولان باطلان لأن الله تعالى

(١) البخاري الحديث رقم: (١٩١٧)، ومسلم الحديث رقم: (٢٨٢٢)، وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (٢١٨٣).

قال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَـٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ فدل ذلك على أن ليلة القدر في رمضان.

القول الخامس عشر: أنها رفعت بعد النبي ﷺ، وهذا ضعيف.

القول السادس عشر: أنها ليلة سبعة عشر من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة، وأرجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة، خرجها مسلم[(١)] وغيره والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَـٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ الضمير في أنزلناه للقرآن دل على ذلك سياق الكلام وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته.

والثاني: أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات.

والثالث: أن الله أسند إنزاله إلى نفسه وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان:

أحدهما: أنه ابتدأ إنزاله فيها.

والآخر: أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة، وقيل: المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وذكرها وهذا ضعيف، وسميت ليلة القدر من تقدير الأمور فيها، أو من القدر بمعنى الشرف، ويترجح الأول بقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ هذا تعظيم لها. قال بعضهم كل ما قال فيه ما أدراك فقد علمه النبي ﷺ وما قال فيه ما يدريك فإنه لا يعلمه.

(١) البخاري الحديث رقم: (١٩١٤)، ومسلم الحديث رقم: (٢٨٢٦).

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ معناه أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر قال بعضهم يعني في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال[1]: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» وسبب الآية أن رسول الله ﷺ ذكر رجلا ممن تقدم عبد الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها خيرا من العبادة في تلك المدة الطويلة، وروي[2]: أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عوتب حين بايع معاوية فقال: إن رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر فاهتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير من ملك بني أمية ألف شهر، ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية بالمشرق ألف شهر.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ الروح هنا جبريل عليه السلام، وقيل: صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة، وتنزلهم هو إلى الأرض، وقيل: إلى السماء الدنيا وهو تعظيم لليلة القدر ورحمة للمؤمنين القائمين فيها. ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ هذا متعلق بما قبله، والمعنى أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل

---

(١) البخاري الحديث رقم: (١٨٠٢)، والمسند الحديث رقم: (٨٥٧٦)، وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (١٨٩٤)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٢٥٤٣)، وسنن النسائي الحديث رقم: (٢١٩٣).

(٢) أخرج الترمذي وضعفه وابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن يوسف بن مازن الرؤاسي قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال: سودت وجوه المؤمنين فقال: لا تؤنبني رحمك الله فإن النبي ﷺ رأى بني أمية يخطبون على منبره فساءه ذلك فنزلت إنا أعطيناك الكوثر سورة الكوثر الآية: ١ يا محمد يعني نهرا في الجنة ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [سورة القدر آية ١ ـ ٣] يملكها بعدك بنو أمية يا محمد: قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما. الدر المنثور: ٨/٥٧٠، والمحرر الوجيز: ٥/٤٧٧.

كل أمر يقضي الله في ذلك العام فإنه روى: أن الله يعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك ليمتثلوا ذلك في العام كله، وقيل: على هذا المعنى أن من بمعنى الباء أي ينزلون بكل أمر، وهذا ضعيف، وقيل: إن المجرور يتعلق بما بعده، والمعنى أنها سلام من كل أمر أي سلامة من الآفات، قال مجاهد(١): لا يصيب أحد فيها داء، والأظهر أن الكلام تم عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ واختلف في معنى سلام فقيل: إنه من السلامة، وقيل: إنه من التحية لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها، وكذلك اختلف في إعرابه، فقيل: سلام هي مبتدأ وخبر، وهذا يصح سواء جعلناه متصلا مع ما قبله أو منقطعا عنه، وقيل: سلام خبر مبتدأ مضمر، تقديره: أمرها سلام، أو القول فيها سلام، وهي مبتدأ خبرها ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أي هي دائمة إلى طلوع الفجر، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب، وقال ابن عباس(٢) إن قوله هي إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات السورة.

سورة لم يكن

ذكر الله الكفار ثم قسمهم إلى صنفين أهل الكتاب والمشركين، وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيهم البينة، وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله ﷺ، ومعنى منفكين منفصلين، ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال:

أحدها: أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة لتقوم

(١) وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد في قوله: سلام هي قال: سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يعمل فيها أذى. الدر المنثور: ٨/٥٧٠.

(٢) قال ابن عطية: وذهب من يقول بانتهاء الكلام في قوله «سلام» إلى أن قوله «هي» إنما هذا إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين من الشهر؛ إذ هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات السورة وذكر هذا الغرض ابن بكير وأبو بكر الوراق والنقاش عن ابن عباس. المحرر الوجيز: ٥/٤٧٨.

عليهم الحجة.

الثاني: لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوءة سيدنا محمد ﷺ حتى بعثه الله.

الثالث: اختاره ابن عطية وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى يبعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة.

الرابع: وهو الأظهر عندي أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم سيدنا محمد ﷺ فقامت عليهم الحجة لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا، فلما بعثه الله لم يبق لهم عذر ولا حجة فمنفكين على هذا كقولك: لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا.

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني سيدنا محمدا ﷺ، وإعرابه بدل من البينة، أو خبر ابتداء مضمر. ﴿يَتْلُواْ صُحُفاً مُّطَهَّرَةً﴾ يعني القرآن في صحفه.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي قيمة بالحق مستقيمة المعاني، ووزن قيمة فيعلة وفيه مبالغة، قال ابن عطية: هذا على حذف مضاف تقديره: فيها أحكام كتب، ولا يحتاج إلى هذا الحذف لأن الكتب بمعنى المكتوبات.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي ما اختلفوا في نبوءة سيدنا محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق، ويحتمل أن يريد تفرقهم في دينهم، كقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾، وإنما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوءة سيدنا محمد ﷺ بما يجدون في كتبهم من ذكره.

﴿وَمَا أُمِرُوٓاْ﴾ الآية معناها ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله ولكنهم حرفوا وبدلوا، ويحتمل أن يكون المعنى ما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله فلأي شيء ينكرونه ويكفرون به؟ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء وهو بعيد؛ لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك، أو ترك الرياء وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال، وضد

الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلي وضد الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفي وهو الرياء[١]، قال رسول الله ﷺ: «الرياء الشرك الأصغر»، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه تعالى يقول[٢]: «**أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه**».

واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع: مأمورات، ومنهيات، ومباحات، فأما المأمورات: فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث لا يشوبها بنية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول، وإن كانت النية لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك، فالعمل رياء محض مردود، وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدتها ولم يكن له أجر في تركها، وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر، وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك، فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر، وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر، فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله، مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة، ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام. ﴿حُنَفَآءَ﴾ جمع حنيف وقد ذكر. ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ تقديره: الملة القيمة، أو الجماعة القيمة، وقد فسرنا القيمة، ومعناه أن الذي أمروا به من عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام فلأي شيء لا يدخلون فيه؟.

﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ الخلق لأن الله برأهم وأوجدهم بعد العدم، وقرئ[٣] بالهمز وهو الأصل وبالياء وهو تخفيف من المهموز وهو أكثر استعمالا عند العرب.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وفي المستدرك: عن شداد بن أوس رضي‌الله عنه، قال: كنا نعد على عهد رسول الله ﷺ أن الرياء الشرك الأصغر، الحديث رقم ٧٩٣٧: قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٢) مسلم الحديث رقم: (٧٦٦٦)، وصحيح ابن حبان رقم: (٩٦٢) النسائي الحديث رقم: (١٠٦٣١).

(٣) ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾، و﴿خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ قرأهما نافع وابن ذكوان بهمزة مفتوحة بعد الياء. وقرأ الباقون بغير همز مشددة الياء في الحرفين. النشر: ١/٤٦١.

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ (ترتيبها ٩٩) (آياتها ٨)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا
﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ
أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ (ترتيبها ١٠٠) (آياتها ١١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا
﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ ربع

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة فرضاهم عن الله في الدنيا هو الرضا بقضائه والرضا بدينه، قال رسول الله ﷺ[1]: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا» ورضاهم عنه في الآخرة وهو رضاهم بما أعطاهم الله فيها أو رضا الله عنهم لما ورد في الحديث أن الله يقول: «يا أهل الجنة هل تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: يا ربنا وأي شيء نريد وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين؟ فيقول: عندي أفضل من ذلك وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبدا»[2]. ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي لمن خافه وهذا دليل على فضل الخوف قال رسول الله ﷺ:[3] خوف الله رأس كل حكمة.

سورة الزلزلة

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي حركت واهتزت. ﴿زِلْزَالَهَا﴾ مصدر وإنما أضيف إليها تهويلا كأنه يقول الزلزلة التي تليق بها على عظم جرمها.

(١) مسلم الحديث رقم: (١٦٠)، وسنن الترمذي الحديث رقم: (٢٦٢٣)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (١٦٩٤).

(٢) البخاري الحديث رقم: (٦١٨٣)، ومسلم الحديث رقم: (٢٨٢٩)، والترمذي الحديث رقم: (٢٥٥٥).

(٣) لم أجده.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني الموتى الذين في جوفها وذلك عند النفخة الثانية في الصور، وقيل: هي الكنوز وهذا ضعيف؛ لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾ أي يتعجب من شأنها فيحتمل أن يريد جنس الإنسان أو الكافر خاصة؛ لأنه الذي يرى حينئذ ما لا يظن.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ هذه عبارة عما يحدث الله فيها من الأهوال فهو مجاز وحديثها بلسان الحال، وقيل: هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة، وتحدث يتعدى إلى مفعولين حذف الأول منهما، والتقدير: تحدث الخلق أخبارها، وانتزع بعض المحدثين من قوله ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ أن قول المحدث حدثنا وأخبرنا سواء، وهذه الجملة هي جواب ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و﴿تُحَدِّثُ﴾ هو العامل في إذا ويومئذ بدل من إذا، ويجوز أن يكون العامل في إذا مضمر وتحدث عامل في يومئذ.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ الباء سببية متعلقة بتحدث أي تحدث بسبب أن الله أوحى لها، ويحتمل أن يكون بأن الله أوحى لها بدلا من إخبارها وهذا كما تقول: حدثت كذا وحدثت بكذا، والمعنى على هذا: تحدث بحديث الوحي لها، وهذا الوحي يحتمل أن يكون إلهاما أو كلاما بواسطة الملائكة ولها بمعنى إليها، وقيل معناه: أوحى إلى الملائكة من أجلها وهذا بعيد.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معنى أشتاتا مختلفين في أحوالهم وواحد الأشتات شت، وصدر الناس هو انصرافهم من موضع وردهم، فقيل: الورد هو الدفن في القبور، والصدر هو القيام للبعث، وقيل: الورد القيام للحشر، والصدر الانصراف إلى الجنة والنار، وهذا أظهر، وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتا.

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ المثقال هو الوزن والذرة هي النملة الصغيرة والرؤية هنا ليست برؤية بصر وإنما هي عبارة عن الجزاء، وذكر الله مثقال الذرة تنبيها على ما هو أكثر منه من طريق الأولى كأنه قال: من يعمل قليلا أو كثيرا، وهذه الآية هي في المؤمنين لأن الكافر لا يجازى في الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه، واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لا يخلد مؤمن في النار؛ لأنه إذا خلد لم ير ثوابا على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات وروي عن عائشة[١] أنها تصدقت بحبة عنب فقيل لها في ذلك فقالت كم فيها من مثقال ذرة، وسمع رجلا هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال[٢]: «حسبي الله لا أبالي أن أسمع غيرها».

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ هذا على عمومه في حق الكافر وأما المؤمنون فلا يجازون بذنوبهم إلا بستة شروط وهي أن تكون ذنوبهم كبائر وأن يموتوا قبل التوبة منها وأن لا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها، وأن لا يشفع فيهم وأن لا يكون ممن استحق المغفرة بعمل كأهل بدر وأن لا يعفو الله عنهم فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

سورة العاديات

اختلف في العاديات والموريات والمغيرات هل يراد بها الخيل أو الإبل؟ وعلى القول بأنها الخيل اختلف: هل يعني خيل المجاهدين، أو الخيل على الإطلاق؟ وعلى القول بأنها الإبل اختلف: هل يعني إبل غزوة بدر، أو إبل المجاهدين مطلقا، أو إبل الحجاج، أو الإبل على الإطلاق؟ ومعنى العاديات التي تعدو في مشيها، والضبح هو تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهال وهو مصدر منصوب على تقدير يضبحن ضبحا، أو هو مصدر في موضع الحال تقديره

(١) تفسير النيسابوري: ٢/٣٤٦.

(٢) لم أجده.

العاديات في حال ضبحها والموريات من قولك: أوريت النار إذا أوقدتها، والقدح هو صك الحجارة فيخرج منها شعلة نار وذلك عند ضرب الأرض لأرجل الخيل أو الإبل، وإعراب قدحا كإعراب صبحا، والمغيرات من قولك: أغارت الخيل إذا خرجت للإغارة على الأعداء، وصبحا ظرف زمان لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعاً﴾ هذه الجملة معطوفة على العاديات وما بعده لأنه في تقدير التي تعدو والنقع الغبار، والضمير المجرور للوقت المذكور وهو الصبح فالباء ظرفية أو لكان الذي يقتضيه المعنى فالباء أيضا ظرفية أو للعدو وهو المصدر الذي يقتضيه العاديات فالباء سببية ومعنى أثرن حركن والضمير الفاعل للإبل أو للخيل أي حركن الغبار عند مشيهن.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعاً﴾ معنى وسطن توسطن وجمعا اختلف: هل المراد به جمع من الناس أو المزدلفة لأن اسمها جمع والضمير المجرور للوقت أو للمكان أو للعدو أو للنقع.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ هذا جواب القسم، والكنود: الكفور للنعمة، فالتقدير: إن الإنسان لنعمة ربه لكفور، والإنسان جنس، وقيل: الكنود العاصي، وقال بعض الصوفية: الكنود هو الذي يعبد الله على عوض.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ الضمير للإنسان أي هو شاهد على نفسه بكنوده، وقيل: هو لله تعالى على معنى التهديد، والأول أرجح؛ لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق، فيجري الكلام على نسق واحد.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ الخير هنا المال كقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْراً﴾ والمعنى: أن الإنسان شديد الحب للمال فهو ذم لحبه والحرص عليه، وقيل: الشديد البخيل، والمعنى على هذا: أنه بخيل من أجل حب المال، والأول أظهر.

﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ أي بحث عند ذلك عبارة عن البعث.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي جمع ما في الصحف وأظهر محصلا، أو ميز خيره من شره.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ الضمير في ربهم وبهم يعود على الإنسان لأنه يراد به الجنس، وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أن هذه الجملة معمول ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ فكان الأصل أن تفتح إن ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها.

والثاني: أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول أفلا يعلم محذوفا ويكون الفاعل ضميرا يعود على الإنسان، والتقدير: أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور، وهذا هو الذي قاله ابن عطية، ويحتمل عندي أن يكون فاعل أفلا يعلم ضميرا يعود على الله، والمفعول محذوف والتقدير: أفلا يعلم الله أعمال الإنسان إذا بعثر ما في القبور، ثم استأنف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ على وجه التأكيد أو البيان للمعنى المتقدم، والعامل في إذا بعثر على هذا الوجه هو أفلا يعلم، والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطية هو المفعول المحذوف، وإذا هنا ظرفية بمعنى حين ووقت، وليست بشرطية والعامل في يومئذ خبير، وإنما خص ذلك بيوم القيامة لأنه يوم الجزاء بقصد التهديد مع أن الله خبير على الإطلاق.

سورة القارعة

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بهولها، وقيل: هي النفخة في الصور لأنها تقرع الأسماع. ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ مبتدأ وخبر في موضع خبر القارعة والمراد به تعظيم شأنها وكذلك ﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ

آياتها ١١ — ترتيبها ١٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٣﴾
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا
مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٥﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٦﴾
وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٧﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٨﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿٩﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١٠﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

آياتها ٨ — ترتيبها ١٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا
سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ
تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ العامل في الظرف محذوف دل عليه القارعة تقديره: تقرع في يوم والفراش هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح والمبثوث هو المنتشر المتفرق شبه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذلتهم ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم في جهنم كما يتساقط الفراش في المصباح، قال بعض العلماء: الناس في أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث؛ لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام، ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر، فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة، وقيل: الفراش هنا الجراد الصغير وهو ضعيف.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ العهن هو الصوف، وقيل: الصوف الأحمر، وقيل: الصوف الملون ألوانا شبه الله الجبال يوم القيامة به لأنها تنسف فتصير لينة، وعلى القول بأنه الملون يكون التشبيه أيضا من طريق اختلاف ألوان الجبال، لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء.

﴿مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ هو جمع ميزان أو جمع موزون وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور، وقال قوم هو عبارة عن العدل.

﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ معناه ذات رضا عند سيبويه، وثقل الموازين بكثرة الحسنات، وخفتها بقلتها ولا يخف ميزان مؤمن خفة موبقة؛ لأن الإيمان يوزن فيه.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الهاوية جهنم سميت بذلك لأن الناس يهوون فيها، أي يسقطون وأمه معناه مأواه كقولك: المدينة أم فلان، أي مسكنه على التشبيه بالأم الوالدة لأنها مأوى الولد ومرجعه.

الثاني: أن الأم هي الوالدة وهاوية ساقطة وذلك عبارة عن هلاكه كقولك: أمه ثكلى إذا هلك.

الثالث: أن المعنى أم رأسه هاوية في جهنم، أي ساقطة فيها لأنه يطرح فيها منكوسا، وروي[1]: أن رسول الله ﷺ قال لرجل: لا أم لك، فقال يا رسول الله: تدعوني إلى الهدى وتقول لي لا أم لك، فقال رسول الله ﷺ إنما أردت: لا نار لك قال الله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ وهذا يؤيد القول الأول.

﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ الهاء للسكت، والضمير لجهنم على القول بأنها الهاوية وهو للفعلة والخصلة التي يراد بها العذاب على القول الثاني والثالث، والمقصود تعظيمها ثم فسرها بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

سورة التكاثر

﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ ومعنى ألهاكم شغلكم والتكاثر المباهاة بكثرة المال والأولاد وأن يقول هؤلاء نحن أكثر ويقول هؤلاء نحن أكثر ولما قرأها النبي ﷺ قال[2]: «يقول ابن آدم مالي مالي وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت».

---

(١) تفسير الثعالبي: ٤/٤٣٨، والمحرر الوجيز: ٥/٤٨٨.

(٢) مسلم الحديث رقم: (٧٦٠٩)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٣٣٢٧)، وسنن النسائي الحديث رقم: (٣٦١٥).

﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه حتى متم فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها.

الثاني: أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابر فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها لأن بعض العرب تفاخر بآبائها الموتى فالمعنى ألهاكم التكاثر حتى بلغتم فيه إلى ذكر الموتى.

الثالث: أن معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم فيقال هذا قبر فلان ليشهر ذكره ويعظم قدره.

﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ زجر وتهديد ثم كرره للتأكيد وعطفه بثم إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول، وقيل: كلا سوف تعلمون في القبور ثم كلا سوف تعلمون يوم القيامة، وقيل: الأول تهديد للكفار والثاني تهديد للمؤمنين، وحذف معمول تعلمون، وتقديره: تعلمون ما يحل بكم، أو تعلمون أن القرآن حق، أو تعلمون أنكم كنتم على خطإ في اشتغالكم بالدنيا، وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله.

﴿لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ جواب لو محذوف تقديره: لو تعلمون لازدجرتم واستعددتم للآخرة، فينبغي الوقف على اليقين، ومعمول لو تعلمون محذوف أيضا، وعلم اليقين مصدر ومعنى علم اليقين: العلم الذي لا يشك فيه، قال بعضهم: هو من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك: دار الآخرة، وقال الزمخشري معناه: علم الأمور التي تتيقنونها بالمشاهدة.

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ هذا جواب قسم محذوف وهو تفسير لمفعول لو تعلمون تقديره: لو تعلمون عاقبة أمركم ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم، والتفسير بعد الإبهام يدل على التهويل والتعظيم، والخطاب لجميع الناس فهو كقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وقيل: للكفار خاصة، فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾

هذا تأكيد للرؤية المتقدمة، وعطفه بثم للتهويل والتفخيم، والعين هنا من قولك: عين الشيء نفسه وذاته، أي لترونها الرؤية التي هي نفس اليقين.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا، فقيل: النعيم الأمن والصحة، وقيل: الطعام والشراب، وهذه أمثلة، والصواب العموم في كل ما يتلذذ به، قال رسول الله ﷺ[1]: «بيت يكنك، وخرقة تواريك، وكسرة تشد قلبك، وما سوى ذلك فهو نعيم» وقال ﷺ[2]: «كل نعيم فمسؤول عنه إلا نعيم في سبيل الله» وأكل ﷺ يوما مع أصحابه رطبا وشربوا عليه ماء فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه»[3].

سورة العصر

﴿وَالْعَصْرِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها قال رسول الله ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»[4].

---

(١) لم أجده مسندا.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٤٩٠.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٤/٥٨٦.

(٤) البخاري الحديث رقم: (٥٢٧)، ومسلم الحديث رقم: (٦٢٦)، وأبو داود الحديث رقم: (٤١٤)، والترمذي الحديث رقم: (١٧٥)، والنسائي الحديث رقم: (٥١٢).

الثاني: أنه العشي أقسم به كما أقسم بالضحى ويؤيد هذا قول أبي بن كعب سألت رسول الله ﷺ عن العصر فقال[1]: أقسم ربكم بآخر النهار.

والثالث: أنه الزمان.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ الإنسان جنس، ولذلك استثنى منه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فهو استثناء متصل.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي وصى بعضهم بعضا بالحق وبالصبر، فالحق هو الإسلام وما يتضمنه، وفيه إشارة إلى كذب الكفار، وفي الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذاية الكفار لهم بمكة.

سورة الهمزة

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ هو على الجملة الذي يعيب الناس ويأكل أعراضهم، واشتقاقه من الهمز واللمز، وصيغة فعلة للمبالغة، واختلف في الفرق بين الكلمتين، فقيل: الهمز في الحضور، واللمز في الغيبة، وقيل: بالعكس، وقيل: الهمز باليد والعين واللمز باللسان، وقيل: هما سواء، ونزلت السورة في الأخنس بن شريق؛ لأنه كان كثير الوقيعة في الناس، وقيل: في أمية بن خلف، وقيل: في الوليد بن المغيرة، ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه الصفات.

﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص، فمنعه من الخيرات، وقيل: معناه استعده وادخره عدة لحوادث الدهر.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أي يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده في الدنيا، وقيل: يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد.

---

(١) اللباب: ٤٨٦/٢٠، والمحرر الوجيز: ٤٩٠/٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٨٠/٢٠.

﴿كَلَّا﴾ رد عليه فيما ظنه. ﴿لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ هذا جواب قسم محذوف، والحطمة هي جهنم وإنما سميت حطمة لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهبه، وقد عظمها بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ثم فسرها بأنها: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ أي تبلغ القلوب بإحراقها، قال ابن عطية: يحتمل أن يكون المعنى: أنها تطلع على ما في القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها.

﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ مغلقة. ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ العمد جمع عمود، وهو عند سيبويه اسم جمع وقرئ[1] عمد بضمتين، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب، والممددة الطويلة وفي المعنى قولان:

أحدهما: أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مدت على أبوابها عمد تشديدا في الإغلاق والثقاف، كما تثقف أبواب البيوت بالعمد، وهو على هذا متعلق بمؤصدة.

والآخر: أنهم موثوقون مغلولون في العمد، فالمجرور على هذا في موضع خبر مبتدإ مضمر تقديره: هم موثوقون في عمد.

سورة الفيل

نزلت هذه السورة منبهة على العبرة في قصة الفيل التي وقعت في عام مولد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنها تدل على كرامة الله للكعبة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم، فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به، وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه، وقد ذكرت القصة في كتب السير وغيرها.

(١) ﴿عمد﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر: بضم العين والميم، وقرأ الباقون بفتحهما، واتفقوا على قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ [سورة لقمان آية ٩] أنه بفتح العين والميم؛ لأنه جمع عماد وهو البناء، كإهاب وأهب وإدام، ولهذا قيل في تفسيره: هو بناء محكم مستطيل يمنع المرتفع أن يميل. النشر: ٢/٤٤٤.

واختصارها: أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتا باليمن، وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة، فذهب أعرابي وأحدث في البيت فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة، فاحتفل في جموعه وركب الفيل وقصد مكة، فلما وصل قريبا منها فر أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة، وأخذ لعبد المطلب مائتي بعير فكلمه فيها فقال له: كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في الكعبة؟ وقد جئت لهدمها وهي شرفك وشرف قومك، فقال له: أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه فبرك الفيل بذي الغميس[١] ولم يتوجه إلى مكة فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هرول وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضعوه بالحديد، فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيورا سودا، وقيل: خضرا عند كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه، فرمتهم الطيور بالحجارة، فكان الحجر يقتل من وقع عليه، وروي: أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره، ووقع في سائرهم الجدري والأسقام وانصرفوا فماتوا في الطريق متفرقين في المراحل، وتقطع أبرهة أنملة أنملة.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ معناه ألم تعلم وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر والجملة معمول ألم تر ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي إبطال وتخسير.

﴿أَبَابِيلَ﴾ معناه جماعات شيئا بعد شيء، قال الزمخشري: واحدها أبلة وقال جمهور الناس: هو جمع لا واحد له من لفظه.

﴿بِحِجَارَةٍ﴾ روي: أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحمصة قال ابن عباس[٢]: إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفتين من هذه الحجارة، وأنها كانت

---

(١) قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: وسار حتى نزل خارج مكة ليلاً بمكان يقال له المُغَمَّس (كمعظم) موضع قرب مكة في طريق الطائف، أو ذو الغميس (لم أر ضبطه). التحرير والتنوير: ٣٠/٥٤٦.

(٢) اللباب: ٢٠/٤٩٨، وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم عن أبي صالح أنه رأى عند أم هانئ بنت أبي طالب من تلك الحجارة نحوا من قفيز مخططة بحمرة كأنها جزع ظفار مكتوب في الحجر اسمه واسم أبيه. الدر المنثور: ٨/٦٣٣.

مخططة بحمرة، وروي: أنه كان على كل حجر اسم من يقع عليه مكتوبا ﴿سِجِّيلٍ﴾ قد ذكر.

سورة قريش — ترتيبها ١٠٦ — آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

سورة الماعون — ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سورة الكوثر — ترتيبها ١٠٨ — آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ العصف ورق الزرع وتبنه والمراد أنهم صاروا رميما وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه:

الأول: أنه شبههم بالتين إذا أكلته الدواب ثم راثته، فجمع التلف والخسة، ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن.

الثاني: أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود.

الثالث: أنه أراد كعصف مأكول زرعه وبقي هو لا شيء.

سورة قريش

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ قريش هم حي من عرب الحجاز، الذين هم من ذرية معد بن عدنان، إلا أنه لا يقال قرشي إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة، وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت، نحو: بني هاشم، وبني أمية، وبني مخزوم، وغيرهم، وإنما سميت القبيلة قريشا لتقرشهم، والتقرش التكسب، وكانوا تجارا، وعن معاوية: أنه سأل ابن عباس: لم سميت قريش قريشا؟ قال[1]: بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى. وكانوا ساكنين بمكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة، رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في

(١) الكشاف: ٩٢/١، والمحرر الوجيز: ٤٧٧/٥.

الصيف إلى الشام، وقيل: كانت الرحلتان جميعا إلى الشام، وقيل: كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل فيقيمون بها، ويرحلون في الشتاء إلى مكة لسكناهم بها، والإيلاف مصدر، من قولك: آلفت المكان إذا ألفته، وقيل: هو منقول منه بالهمزة، يقال: ألف الرجل الشيء وآلفه إياه غيره، فالمعنى على القول الأول: أن قريشا ألفوا رحلة الشتاء والصيف، وعلى الثاني: أن الله ألفهم الرحلتين واختلف في تعلق قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يتعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ﴾ والمعنى فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين فإن ذلك نعمة من الله عليهم.

الثاني: أنه يتعلق بمحذوف تقديره: أعجبوا لإيلاف قريش.

الثالث: أنه يتعلق بسورة الفيل، والمعنى: أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش، فهو يتعلق بقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أو بما قبله من الأفعال ويؤيد هذا أن السورتين في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة لا فصل بينهما، وقد قرأهما عمر في ركعة واحدة من المغرب وذكر الله الإيلاف أو لا مطلقا ثم أبدل منه الإيلاف المقيد بالرحلتين تعظيما للأمر ونصب رحلة لأنه مفعول بإيلافهم، وقال: رحلة وأراد رحلتين فهو كقول الشاعر[1]:

❊ كلوا في بعض بطنكم تعفوا ❊

﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ هذا إقامة حجة عليهم بملاطفة واستدعاء لهم وتذكير بالنعم والبيت هو المسجد الحرام.

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين فقد روي: أنهم كانوا قبل ذلك في شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف، ويحتمل أن

(١) وهو بتمامه:

(كلوا في بعض بطنكم تعفوا   فإن زمانكم زمن خميص)

يريد إطعامهم على الإطلاق فقد كان أهل مكة ساكنين بواد غير ذي زرع ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو قوله: ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾.

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ يحتمل أن يريد آمنهم من خوف أصحاب الفيل، ويحتمل أن يريد آمنهم في بلدهم بدعوة إبراهيم في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ وقد فسرناه في موضعه، أو يعني آمنهم في أسفارهم لأنهم كانوا في رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم وقيل: آمنهم من الجذام فلا يرى بمكة مجذوم، قال الزمخشري: التنكير في جوع وخوف لشدتهما.

سورة الماعون

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ قيل: إن هذا نزل في أبي جهل وأبي سفيان بن حرب، وقيل: هو مطلق، والدين هنا الملة أو الجزاء.

﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي يدفعه بعنف وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن إطعامه والإحسان إليه، أو عن ماله وحقوقه وهذا أشد والذي لا يحض على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى، وهذه الجملة هي جواب أرأيت؛ لأن معناها أخبرني، فكأنه سؤال وجواب، والمعنى: انظر الذي كذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة، وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات، فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قيل: إن هذا نزل في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، والسورة على هذا نصفها مكي ونصفها مدني قاله أبو زيد السهيلي: وذلك أن ذكر أبي جهل وغيره من الكفار أكثر ما جاء في السور المكية، وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها إنما هو من صفة الذين كانوا

بالمدينة لاسيما على قول من قال: إنها في عبد الله بن أبي، وقيل: إنها مكية كلها وهو الأشهر، ونزل آخرها على هذا في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان، وقيل: مدنية والسهو عن الصلاة هو تركها أو تأخيرها تهاونا بها، وقد سئل رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون، قال: الذين يؤخرونها عن وقتها، وقال عطاء بن يسار[1]: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل في صلاتهم.

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ هو من الرياء أي صلاتهم رياء للناس لا لله.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ وصف لهم بالبخل وقلة المنفعة للناس، وفي الماعون أربعة أقوال:

الأول: أنه الزكاة. الثاني: أنه المال بلغة قريش. الثالث: أنه الماء.

الرابع: أنه ما يتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقص وسئل رسول الله ﷺ ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ فقال: الماء، والنار، والملح، وزاد في بعض الطرق: الإبرة، والخميرة.

سورة الكوثر

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ والكوثر بناء مبالغة من الكثرة وفي تفسيره سبعة أقوال:

الأول: حوض النبي ﷺ.

الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس[2] وتبعه سعيد بن جبير فإن قيل: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله،

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٤٩٦، والثعالبي: ٤/٤٤٤، وفي ابن كثير: عطاء بن دينار: ٨/٤٩٣.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٤٩٦.

فالمعنى: أنه على العموم.

الثالث: أن الكوثر القرآن.

الرابع: أنه كثرة الأصحاب والأتباع.

الخامس: أنه التوحيد.

السادس: أنه الشفاعة.

السابع: أنه نور وضعه الله في قلبه ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله»[(١)] وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فيه خمسة أقوال:

الأول: أنه أمره بالصلاة على الإطلاق، وبنحر الهدي والضحايا.

الثاني: أنه ﷺ كان يضحي قبل صلاة العيد فأمره أن يصلي ثم ينحر، فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة.

الثالث: أن الكفار يصلون مكاء وتصدية وينحرون للأصنام، فقال الله لنبيه ﷺ: صل لربك وحده وانحر له، أي لوجهه لا لغيره فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص.

الرابع: أن معنى انحر ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر.

الخامس: أن معناه ارفع يديك عند نحرك في افتتاح الصلاة.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الشانئ: هو المبغض وهو من الشنآن بمعنى العداوة

---

(١) أخرجه مسلم بلفظ (فإنه نهر وعدنيه ربي) الحديث رقم: (٤٠٠).

سُورَةُ الكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ
عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ
عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ
إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

سُورَةُ المَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا
كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ
حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل، وقيل: في أبي جهل على وجه الرد عليه إذ قال: إن محمدا أبتر، أي لا ولد له ذكر، فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته، فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد؛ لأنه مبتور من رحمة الله، أي مقطوع عنها، ولأنه لا يذكر إذا ذكر إلا باللعنة، بخلاف النبي ﷺ، فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر، مرفوع على المنابر والصوامع، مقرون بذكر الله، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كوالدهم.

سورة الكافرون

سبب هذه السورة أن قوما من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم، قالوا: يا محمد اتبع ديننا ونتبع دينك، اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال: معاذ الله أن نشرك بالله شيئا ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم[(١)]، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «من قرأها فقد برئ من الشرك»[(٢)].

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم، فإن قيل: لم كرر هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾؟ فالجواب من وجهين:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٤٩٧.

(٢) رواه الإمام أحمد كما في تفسير ابن كثير: ٨/٥٠٧.

أحدهما: قاله الزمخشري وهو أن قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ يريد في الزمان المستقبل وقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ يريد به فيما مضى أي ما كنت قط عابدا ما عبدتم فيما سلف، فكيف تطلبون ذلك مني الآن؟

الثاني: قاله ابن عطية، وهو أن قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة، قال: ولا أنا عابد ما عبدتم، أي أبدا ما عشت؛ لأن لا النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال، فقوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ لا يحتمل أن يريد به الحال، ويحتمل عندي أن يكون قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ يراد به في المستقبل على حسب ما تقتضيه لا من الاستقبال، ويكون قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ يريد به في الحال، فيحصل من المجموع نفي عبادته للأصنام في الحال والاستقبال، ومعنى الحال في قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ ثم أظهر من معنى المضي الذي قاله الزمخشري، ومن معنى الاستقبال، فإن قولك: ما زيد بقائم بنفي الجملة الاسمية يقتضي الحال.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ هذا إخبار أن هؤلاء الكفار لا يعبدون الله كما قيل لنوح: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ إلا أن هذا في حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر، وقد روي: أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف وأبي بن خلف وابن الحجاج وكلهم ماتوا كفارا، فإن قيل: لم قال ما أعبد بما دون من التي هي موضوعة لمن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ذلك لمناسبة قوله لا أعبد ما تعبدون فإن هذا واقع على الأصنام التي لا تعقل ثم جعل ما أعبد على طريقته لتناسب اللفظ.

الثاني: أنه أراد الصفة كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، قاله الزمخشري.

الثالث: أن ما مصدرية والتقدير: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي، وهذا ضعيف، فإن قيل: لم كرر هذا المعنى واللفظ، فقال بعد ذلك: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ مرة أخرى؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: قول الزمخشري وهو أن الأول في المستقبل والثاني فيما مضى.

والآخر: قاله ابن عطية، وهو أن الأول في الحال والثاني في الاستقبال فهو حتم عليهم أن لا يؤمنوا أبدا.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي لكم شرككم ولي توحيدي وهذه براءة منهم وفيها مسالمة منسوخة بالسيف.

سورة النصر

سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن معنى هذه السورة فقالوا: «إن الله أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بمحضرهم: يا عبد الله، ما تقول أنت؟ قال: هو أجل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح، فقال عمر[1]: ما أعلم منها إلا ما علمت»، وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره، ويؤيده قول عائشة إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول[2]: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني أستغفرك يتأول القرآن» أي هذه السورة وقال لها مرة ما أراه إلا حضور أجلي، وقال ابن عمر: نزلت هذه السورة بمعنى أيام التشريق في حجة الوداع وعاش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدها ثمانين يوما أو نحوها وقال ابن مسعود هذه السورة تسمى سورة التوديع[3].

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ يعني بالفتح فتح مكة والطائف وغيرهما من

(١) صحيح البخاري الحديث رقم: (٣٤٢٨)، وسنن الترمذي الحديث رقم: (٣٣٦٢).
(٢) البخاري الحديث رقم: (٤٦٨٤)، ومسلم الحديث رقم: (١١١٣).
(٣) لم أجده مسندا وهو في كتب التفسير انظر تفسير السراج المنير ٤/٤٤٢ وروح المعاني ٣٠/٢٥٥.

البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ وقال ابن عباس: إن النصر صلح الحديبية والفتح فتح مكة، وقيل: النصر إسلام أهل اليمن والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوءة.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي جماعات وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير فقد روي: أن رسول ﷺ كان معه في فتح مكة عشرة آلاف، وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفا، وقال أبو عمر بن عبد البر: لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر[1]، وقد قيل: إن عدد المسلمين عند موته مائة ألف وأربعة عشر ألفا.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى بحمد ربك فيما تقدم، فإن قيل: لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح وعند اقتراب أجله؟ فالجواب: أنه أمر بالتسبيح والحمد ليكون شكرا على النصر والفتح وظهور الإسلام، وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زادا للآخرة وعدة للقاء الله.

سورة أبي لهب

سببها[2]: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صعد رسول الله ﷺ على الصفا فنادى بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال لهم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ثم أنذرهم عموما وخصوصا، فقال له أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا؟ فنزلت السورة.

---

(١) والمراد والله أعلم عرب عبدة الأوثان، وأما نصارى بني تغلب فما أراهم أسلموا قط في حياة رسول الله ﷺ، لكن أعطوا الجزية. المحرر الوجيز ٥/٤٩٩.

(٢) أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ذات يوم على الصفا فنادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ إلى آخرها. البخاري الحديث رقم: (٤٨٠١).

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ معنى تبت خسرت والتباب هو الخسران، وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، وهو عم رسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس عداوة له، فإن قيل: لم ذكره الله بكنيته دون اسمه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر وغيره، ويقال إنه كنى بأبي لهب لتلهب وجهه جمالا.

الثاني: أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية.

الثالث: أنه لما كان من أهل النار واللهب كناه أبا لهب وليناسب ذلك قوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية يراد بها النفي، وماله هو رأس ماله وما كسب أولاده الربح أو ماله ما ورث وما كسب هو ما اكتسبه لنفسه، وقيل: ماله جميع ماله، وما كسب أولاده.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافرا.

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان وعمة معاوية وفي وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال:

أحدها: أنها كانت تحمل حطبا وشوكا فتلقيه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه.

الثاني: أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة، يقال فلان يحمل الحطب بين الناس أي يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم.

الثالث: أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به.

الرابع: أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ الجيد العنق، والمسد الليف، وقيل: الحبل

سُورَةُ الإخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن
شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾
مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي
صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

المقتول وفي المراد به ثلاثة أقوال:

الأول: أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول وفي ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها.

والآخر: أن حالها في جهنم يكون كذلك أي يكون في عنقها حبل.

الثالث: أنها كانت لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنها على عداوة محمد فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بتبرجها، ويحتمل قوله: وامرأته وما بعده وجوها من الإعراب يختلف الوقف باختلافها وهي أن يكون امرأته مبتدءا وحمالة الحطب خبره، أو يكون حمالة الحطب نعت والخبر في جيدها حبل من مسد، أو يكون امرأته معطوفا على الضمير في يصلى وحمالة الحطب نعت أو خبر ابتداء مضمر.

سورة الإخلاص

سبب نزول هذه السورة أن اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه، فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها فارتعد رسول الله ﷺ حتى خر مغشيا عليه ونزل عليه جبريل عليه السلام بهذه السورة، وقيل: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: أنسب لنا ربك فنزلت، وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية. وعلى الرواية الثانية تكون مكية، واختلف في معنى قوله ﷺ[1]: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»، فقيل: إن ذلك في الثواب أي

(١) مسلم الحديث رقم: (١٩٢٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٠٠)، والسنن الكبرى للنسائي الحديث رقم: (١٠٥٢٠).

لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن، وقيل: إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم وذلك أن علوم القرآن ثلاثة توحيد وأحكام وقصص وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث، ويؤيده أن في بعض روايات الحديث إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن، وخرج النسائي أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقرؤها فقال: «أما هذا فقد غفر له»[(١)]، وفي رواية أنه قال: «وجبت له الجنة»، وخرج مسلم «أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة قل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: أخبروه أن الله يحبه»[(٢)] وفي رواية خرجها الترمذي أنه ﷺ قال للرجل: «حبك إياها أدخلك الجنة»[(٣)] وخرج الترمذي أن رسول الله ﷺ قال[(٤)]: «من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين».

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن والذي يراد به التعظيم والتفخيم وإعرابه مبتدأ وخبره الجملة التي بعده وهي المفسرة له والله مبتدأ وأحد خبره وقيل الله هو الخبر وأحد بدل منه وقيل الله بدل وأحد هو الخبر وأحد له معنيان:

أحدهما: أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب كقولك ما

---

(١) سنن النسائي، الحديث رقم (٨٠٢٨).

(٢) البخاري الحديث رقم: (٦٩٤٠)، ومسلم الحديث رقم: (٨١٣)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٧٩٣).

(٣) وانظر المسند الحديث رقم: (١٢٤٥٥)، وسنن الدارمي الحديث رقم: (٣٤٣٥)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (١٩٢).

(٤) في المعجم الكبير للطبراني مرفوعا «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ، ثُمَّ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَكُلَّمَا قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُ سَنَةٍ». الحديث رقم: (١٧٦٩٢).

جاءني أحد، وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما موضعه قوله ولم يكن له كفوا أحد.

والآخر: أن يكون بمعنى واحد وأصله وحد بواو ثم أبدل من الواو همزة وهذا هو المراد هنا.

واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى:

الأول: أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد.

والثاني: أنه واحد لا نظير ولا شريك له، كما تقول فلان واحد عصره أي لا نظير له.

والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض، والأظهر أن المراد في السورة نفي الشريك لقصد الرد على المشركين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ قال الزمخشري: أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء.

قلت: وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك في القرآن كثير جدا، وأوضحها أربعة براهين:

الأول: قوله ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق جميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكا له.

والثاني: قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

والثالث: قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

والرابع: قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وقد فسرنا هذه الآيات في مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ في معنى الصمد ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه السيد الذي يصمد إليه في الأمور، أي يلجأ إليه

والآخر: أنه الذي لا يأكل ولا يشرب، فهو كقوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.

والثالث: أنه الذي لا جوف له، والأول هو المراد هنا على الأظهر ورجحه ابن عطية بأن الله موجد الموجودات وبه قوامها، فهي مفتقرة إليه أي تصمد إليه إذ لا تقوم بأنفسها، ورجحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير بورود معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله تعالى، كقوله في مريم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ ثم أعقبه بقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وكذلك هنا ذكره مع قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيكون برهانا على نفي الولد، قال الزمخشري: صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مصمود إليه في الحوائج.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ هذا رد على كل من جعل لله ولدا، فمنهم النصارى في قولهم: عيسى ابن الله، واليهود في قولهم: عزيز ابن الله، والعرب في قولهم: الملائكة بنات الله، وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد وأوضحها أربعة أقوال:

الأول: أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن أن يكون له ولد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ فوصفهما بصفة الحدوث لينفي عنهما صفة القدم، فتبطل مقالة الكفار.

والثاني: أن الوالد إنما يتخذ ولدا للحاجة إليه، والله لا يفتقر إلى شيء فلا يتخذ ولدا، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾.

الثالث: أن جميع الخلق عباد الله والعبودية تنافي البنوة وإلى هذا أشار بقوله: تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾.

الرابع: أنه لا يكون ولد إلا لمن له زوجة، والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَاحِبَةٌ﴾.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ هذا رد على الذين قالوا: انسب لنا ربك، وذلك أن كل مولود محدث والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده، القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره، فلا يمكن أن يكون مولودا تعالى عن ذلك.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الكفؤ هو النظير والمماثل، قال الزمخشري: يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفيا للصاحبة وهذا بعيد، والأول هو الصحيح، ومعناه: أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل، ويجوز في كفؤا ضم الفاء وإسكانها مع ضم الكاف وقد قرئ[1] بالوجهين، ويجوز أيضا كسر الكاف وإسكان الفاء، ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد، ويجوز فيه الهمزة والتسهيل وانتصب كفؤا على أنه خبر كان وأحد اسمها، قال ابن عطية: ويجوز أن يكون كفؤا حالا لكونه كان صفة للنكرة فقدم عليها، فإن قيل: لم قدم المجرور وهو له، على اسم كان وخبرها، وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه قدم للاعتناء به والتعظيم لأنه ضمير الله تعالى، وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى.

والآخر: أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته، فإنه ليس المقصود نفي الكفؤ مطلقا، إنما المقصود نفي الكفؤ عن الله تعالى، فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يحرز هذا المعنى فقدم. فإن قيل: إن قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يقتضي نفي الولد والكفؤ، فلم نص على ذلك بعده؟ فالجواب: أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم ما تقدم، كقوله تعالى:

---

(١) أسكن الفاء من ﴿كفوا﴾ حمزة وخلف يعقوب. النشر: ٢/٢٤٦.

﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ ويفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا:

أحدهما: الاعتناء ولا شك أن نفي الولد والكفؤ عن الله ينبغي الاعتناء به للرد على من قال: خلاف ذلك من الكفار.

والآخر: الإيضاح والبيان، فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه، فنص على هذا بيانا وإيضاحا للمعنى، ومبالغة في الرد على الكفار، وتأكيدا لإقامة الحجة عليهم.

سورة الفلق

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ تقدم معنى أعوذ في التعوذ، ومعنى رب في اللغات والفاتحة، وفي الفلق ثلاثة أقوال:

الأول: أنه الصبح، ومنه: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ قال الزمخشري: هو فعل بمعنى مفعول.

الثاني: أنه كل ما يفلقه الله، كفلق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوى، وغير ذلك.

الثالث: أنه جب في جهنم، وقد روي[1] هذا عن رسول الله ﷺ.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ هذا عموم في جميع المخلوقات، وشرهم على أنواع كثيرة أعاذنا الله منها، وما هنا موصولة، أو موصوفة، أو مصدرية.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ فيه ثمانية أقوال:

الأول: أنه الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ وهذا قول

(١) لم أجده وهو منسوب لبعض المفسرين.

الأكثرين وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن، ولذلك قيل في المثل: «الليل أخفى للويل».

الثاني: أنه القمر خرج النسائي أن رسول الله ﷺ: رأى القمر، فقال[١]: «يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإنه الغاسق إذا وقب» ووقوبه على هذا: كسوفه؛ لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد، وبمعنى الدخول، فالمعنى: إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به.

الثالث: أنه الشمس إذا غربت، والوقوب على هذا المعنى: الظلمة أو الدخول.

الرابع: أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل وهذا قريب من الذي قبله.

الخامس: أن الغاسق سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده وروي: أن رسول الله ﷺ قال النجم هو الغاسق فيحتمل أن يريد الثريا.

السادس: أنه الذكر إذا قام حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس.

السابع: قال الزمخشري يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات، ووقبه ضربه.

الثامن: أنه إبليس حكى ذلك السهيلي.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾ النفث شبه النفخ دون تفل وريق قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر، وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك، وحكى ابن عطية[٢] أنه

---

(١) في الدر المنثور: وأخرج أحمد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه عن عائشة قالت: «نظر رسول الله ﷺ يوما إلى القمر لما طلع فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا الغاسق إذا وقب» ٨/٦٨٩، وفي مجموع الفتاوى لابن تيمية: وقد روى الترمذي والنسائي عن عائشة، أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال: (يا عائشة، تعوذي بالله من شره، فإنه الغاسق إذا وقب) ٥/٤٨٩.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٥٠٤.

حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان (وهي أولاد الإبل) فمنعها بذلك رضاع أمهاتها، فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فرضع في الحين، قال الزمخشري: إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن ائتمن في ذلك.

والثاني: أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن.

والثالث: أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن، والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره: النساء النفاثات، أو الجماعة النفاثات، أو النفوس النفاثات، والأول أرجح؛ لأنه روي: أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي، وكن ساحرات سحرن هن وأبوهن[١] رسول الله ﷺ وعقدن له إحدى عشر عقدة، فأنزل الله المعوذتين إحدى عشر آية بعدد العقد وشفى الله رسوله ﷺ، **فإن قيل**: لم عرف النفاثات بالألف واللام ونكر ما قبله، وهو غاسق وما بعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه؟ **فالجواب**: أنه عرف النفاثات ليفيد العموم؛ لأن كل نفاثة شريرة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرهما في بعض دون بعض.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا، قال رسول الله ﷺ[٢]: **«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»** وقال بعض العلماء: الحسد أول معصية عصي الله بها في السماء والأرض، أما في السماء: فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض: فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد، ثم إن الحسد على درجات:

الأولى: أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل

---

(١) هذه الحادثة معروفة مروية في الصحاح البخاري الحديث رقم: (٥٤٣٠)، ومسلم الحديث رقم: (١٧٦٥١)، وغيرهما.

(٢) أخرجه ابن مردويه عن أبي هريرة. الدر المنثور: ٦٩١/٨.

إليه، بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به.

الثانية: أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه.

الثالثة: أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره، وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة.

والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات:

أحدها: اكتساب الذنوب؛ لأن الحسد حرام.

الثانية: سوء الأدب مع الله تعالى، فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله.

الثالثة: تألم قلبه من كثرة همه وغمه، فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود في نعمة والحاسد في كرب ونقمة، ولله در القائل:

وإني لأرحم حسادي لفرط ما ... ضمت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار

وقال آخر(١):

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم إن الحسود لا تزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكي كأنه مظلوم ولقد صدق القائل(٢):

---

(١) البيت لبشار بن برد: ديوان الحماسة: ١/١٥٣.

(٢) في موسوعة الشعر الإسلامي: كتب ابن المبارك الى علي بن بسر المروزي هذه الأبيات:

كل العداوة قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

فإن في القلب منها عقدة عقدت ... وليس يفتحها راق الى الأبد

إلا الإله فإن يرحم تحلّ به ... وإن أباه فلا ترجوه من أحد

كـل العـداوة قـد ترجـى إزالتهـا إلا عـداوة مـن عـاداك مـن حسـد

وقال حكيم الشعراء[١]:

وأظلـم خلـق الله مـن بـات حاسـدا لمـن بـات فـي نعمائـه يتقلـب

قال ابن عطية: قال بعض الحذاق: هذه السورة خمس آيات وهي مراد الناس بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين: الخمسة على عينك.

فإن قيل: لم قال إذا وقب وإذا حسد فقيد بإذا التي تقتضي تخصيص بعض الأوقات؟ فالجواب: أن شر الحاسد ومضرته إنما تقع إذا أمضى حسده، فحينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين، فإن عين الحسود قاتلة، وأما إذا لم يمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا ينجو منهن أحد الحسد والظن والطيرة»[٢]، فمخرجه من الحسد أن لا يبغي، ومخرجه من الظن أن لا يحقق، ومخرجه من الطيرة ألا يرجع[٣]، فلهذا خصه بقوله ﴿إِذَا حَسَدَ﴾، وكذلك الشر المخوف في الليل إنما هو إذا أظلم فلذلك خصه بقوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ فإن قيل: إن قوله من شر ما خلق عموم يدخل تحته كل ما ذكر بعده فلأي شيء ذكر ما بعده؟ فالجواب: أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم، ولقد تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهود رسول الله ﷺ وشدة حسدهم له.

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبيء: وهو من قصيدة مطلعها:

أغالـب فيـك الشـوق والشـوق أغلـب وأعجب من ذا الهجر والوصـل أعجـب

موسوعة الشعر الإسلامي، ص: ١٢٠.

(٢) كنز العمال الحديث رقم: (٤٣٧٨٩)، وتخريج أحاديث الإحياء: ٣/١٥٥، وكشف الخفاء الحديث رقم: (٢٢٠٨).

(٣) جاء في الأثر: فى الإنسان ثلاثة الطيرة والظن والحسد فمخرجه من الطيرة أن لا يرجع ومخرجه من الظن أن لا يحقق ومخرجه من الحسد أن لا يبغي (البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٦٣، رقم: ١١٧٣).

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ إن قيل: لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شيء؟ فالجواب أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فخصهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا التعويذ والمقصودون هنا دون غيرهم.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ هذا عطف بيان، فإن قيل: لم قدم وصفه تعالى برب ثم بملك، ثم بإله؟ فالجواب: أن هذا على الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس، فيقال: فلان رب الدار وشبه ذلك، فبدأ به لاشتراك معناه، وأما الملك: فلا يوصف به إلا أحد من الناس وهم الملوك، ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس، فلذلك جاء به بعد الرب، وأما الإله فهو أعلى من الملك ولذلك لا يدعى الملوك أنهم آلهة، فإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير فلذلك ختم به، فإن قيل: لما أظهر المضاف إليه وهو الناس في المرة الثانية والثالثة فهلا أضمره في المرتين لتقديم ذكره في قوله: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أو هلا اكتفى بإظهاره في المرة الثانية؟ فالجواب: أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان، وهو الإظهار دون الإضمار، وقصد أيضا الاعتناء بالمكرر ذكره كقول الشاعر(١):

لا أرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيءٌ نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَى وَالفَقِيرَا

﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي، فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر في قول ابن عطية، والوسواس من أسماء الشيطان، ويحتمل أن يكون مصدرا وصف به الموسوس على وجه المبالغة كعدل وصوم، أو على حذف مضاف تقديره: ذي الوسواس، وقال الزمخشري: إنما المصدر وسواس بالكسر.

---

(١) البيت للشاعر عدي بن زيد العبادي. المحرر الوجيز: ٥/٥٩٥، والطبري: ٧/٩٩، وشعراء الجاهلية: ٤٦٨، وسيبويه: ١/ ٣٠، وخزانة الأدب: ١/ ١٨٣، ٢/ ٥٣٤، ٤/ ٥٥٢.

﴿الْخَنَّاسِ﴾ معناه الراجع على عقبه المستمر أحيانا وذلك متمكن في الشيطان، فإنه يوسوس فإذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد عنه، ثم رجع إليه عند الغفلة عن الذكر، وهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك.

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة منها: إفساد الإيمان، والتشكيك في العقائد، فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي، فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات، فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها، فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله، ومن ذلك: أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال، وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء:

واحدها: الإكثار من ذكر الله.

وثانيها: الإكثار من الاستعاذة بالله منه، ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة.

وثالثها: مخالفته والعزم على عصيانه.

فإن قيل: لم قال: ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ولم يقل: في قلوب الناس؟ **فالجواب:** أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة، وأنها غير حالة في القلب بل هي محومة في الصدر حول القلب.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هذا بيان لجنس الوسواس، وإنه يكون من الجن ومن الناس، ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد به من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة، فإنه شيطان كما قال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ أو يريد به نفس الإنسان إذ تأمره بالسوء، فإنها أمارة بالسوء، والأول أظهر، وقيل: إن الناس معطوف على الوسواس كأنه قال: أعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس، وليس الناس على هذا ممن يوسوس، والأول أظهر وأشهر.

فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين؟ وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: لما كان القرآن أعظم نعم الله تعالى على عباده، والنعم مظنة الحسد، فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله.

الثاني: يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما؛ لأن رسول الله ﷺ قال فيهما: أنزلت على آيات لم ير مثلهن قط، كما قال في فاتحة الكتاب: «لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها»[١] فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم ير مثلهما، ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها.

الوجه الثالث: يظهر لي أيضا أنه: لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين؛ ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعن آخر ما يقرأ من القراءة، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء، وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره، وبالله التوفيق لا رب غيره[٢].

(كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بعون الله وتوفيقه، فله الحمد كما هو أهله، فالخير بيده كله، ليس للعبد إلا إحسانه وطوله ورحمته وفضله، وأنا أرغب إليه كما أعانني بفضله على هذا الكتاب، أن يجعله موجبا لدخولي الجنة من غير حساب ولا عتاب، بحرمة القرآن العظيم، وشفاعة محمد رسوله المصطفى الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وكان تمام تقييده في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الثاني عام تسعة وثلاثين وسبع مائة، والحمد لله رب العالمين)[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) هنا انتهى الموجود في المطبوعات.

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعات، وهو مثبت في كل النسخ المخطوطة عندنا.

الفهارس العامة

* فهرس الأحاديث القدسية والنبوية والآثار
* فهرس الأعلام
* فهرس الموضوعات

فهرس الأحاديث القدسية والنبوية والآثار

الحديث أو الأثر	الصفحة
«أنا جليس من ذكرني»	٢٥٠
«أبغض المباح إلى الله الطلاق»	١١٧٣
«اتخذوا إيمانهم»	١٥١٠
«أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله»	١٧٥٨
«اتقوا السبع الموبقات: الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات»	٤١٨
«اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال عليه السلام: اجعلوها في سجودكم»	١٤٨٨
«أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم»	١٧١٠
«أخبروه أن الله يحبه»	١٧٦٥
«أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»	٨٥١
«إذا أكل فكل»	٤٨١
«إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة»	١٤٨٥
«إذا ذكرت ذكرت معي»	١٧٢٨
«إذا نودي للصلاة فلا تأتونها وأنتم تسعون»	١٥٣٧
«استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا	١١٢
«استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم»	١٦٤٢
«أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون والمنافقون»	٥٣٤

الحديث أو الأثر	الصفحة
«أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون»	٨٣٨
«أطلقت نساءك»	٤٤٠
«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»	١٤٢٧
«أعلمكم بالله أشدكم له خشية»	١٢١١
«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»	١٧٠
«أعوذ بوجهك»	٥٥٦
«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة	٣٦٨، ٥٨٦
«افترقت اليهود والنصارى»	٤٤
«أفضل ما قلت أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله»	١٨٠
«اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة»	١١٣
«اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه»	١١١
«اقرأ ما تيسر من القرآن»	١٧٧
«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء»	١٧٣٥
«أقول كما قال أخي عيسى: ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾»	٢٤٥
«ألا إن القوة الرمي»	٦٦٩
«ألا أنبئكم بخير أعمالكم قالوا: بلى، قال: ذكر الله»	١١٣٥
«ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم	٢٤٩
«ألا نجامع النساء في المحيض خلافا لليهود؟»	٢٨٨
«الاثنان فما فوقهما جماعة»	٤٠١
«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»	٣٩٤

الحديث أو الأثر	الصفحة
«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»	١٢٨
«الإسلام يجب ما قبله»	١٢٩٤
«البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»	١٠٢٥
«التثبت من الله والعجلة من الشيطان»	١٤١٣
«التحدث بالنعم شكر»	١٧٢٦
«التحدث بالنعمة شكر»	١٧٨
«التمسوا الغنى في النكاح»	١٠٤٠
«التمسوها في العشر الأواخر»	١٧٣٦
«الجمعة واجبة على كل مسلم في جماعة إلا أربعة	١٥٣٨
«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»	١٧٧١
«الخلافة بعدي ثلاثون سنة»	١٠٤٩
«الدعاء هو العبادة»	١٣١٠
«الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»	١٧٥٠
«الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»	٩٣، ١٠٢٤
«الضرار في الوصية من الكبائر»	٤٠٤
«الظن أكذب الحديث»	١٤١٦
«العجماء جرحها جبار»	٩٧٠
«الغراب، والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور»	٥٢٠
«الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره، قيل: يا رسول الله وإن كان حقا، قال إذا قلت باطلا فذلك بهتان»	١٤١٧
«الفرقتان في أمتي»	١٤٧٤
«الفرقتان من أمتي»	١٤٧٨

الحديث أو الأثر	الصفحة
«الفضل المبتغى عيادة مريض أو صلة صديق أو اتباع جنازة»	١٥٣٩
«الله سماكم المسلمين»	١٠٠٣
«الله نور السموات والأرض»	١٠٤٢
«الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم»	١٢٢٩
«اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا»	٦٠٦
«اللهم اشدد وطأتك على مضر»	١٦١٩
«اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم»	٣٤٣
«اللهم أيده بروح القدس»	٢٢٦
«اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»	١١٨٣
«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»	٨٣
«اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني بما لا أملك»	٤٦٢
«ألم تر آيات أنزلت علي لم ير مثلهن قط: قل أعوذ برب الفلق	١١٤
«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»	١١١
«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»	١٦٦٧
«المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا»	٤١٧
«المتسابان ما قالا فهو على البادئ»	٤٩٣
«الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»	١٤٢٥
«إلي عباد الله وهم يفرون»	٣٧٧
«أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه؟ قال: نعم، قالوا: فحسبنا إذا. فهذا من المتشابه الذي اتبعوه»	٣٣٨

الحديث أو الأثر	الصفحة
«أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»	٥١٦
«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة»	٦٧٧
«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»	٦٦٥
«أمرت أن أقاتل الناس»	٤٣
«أمسكني في نسائك ولا تقسم لي، وقد وهبت يومي لعائشة»	٤٦١
«امضوا هذا أول الحشر وأنا على الأثر»	١٥١١
«آمنوا وجاهدوا»	١٥٣٤
«إن إبراهيم حرم مكة»	١١٠٧
«إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، منهم الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر»	١٣١٣
«أن الدعاء عند قراءتها مستجاب»	١٤٨٨
«أن الرحمن في الدنيا والرحيم في الآخرة»	١٥٦
«أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة»	١٦٩٢
«إن الله أمر رسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بمحضرهم: يا عبد الله، ما تقول أنت؟ قال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح، فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما علمت»	١٧٦١
«إن الله أمسك جرية الماء عن الحوت فصار مثل الطاق وبقي موضع سلوكه في الماء فارغا من الماء فسار مثل السرب»	٩٠٣
«إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها»	٣٣٢

الحديث أو الأثر	الصفحة
«إن الله تعالى يقول لأهل الجنة، أتريدون شيئا أزيدكم فيقولون يا ربنا أي شيء تزيدنا؟ فيقول: رضواني فلا أسخط عليكم أبدا»	٦٩٤
«إن الله تعالى يقول: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكوكب كذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»	١٤٨٥
«إن الله حيي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا»	٢٠٣
«إن الله خيرني فاخترت»	٦٩٦
«إن الله كتب عليكم الحج فحجوا، فقالوا يا رسول الله أفي كل عام؟ فسكت، فأعادوا، قال: لا، ولو قلت نعم لوجبت»	٥٢٤
«إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض، وفيه: إن رحمتي سبقت غضبي»	٥٤١
«إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»	١٤٩٦
«إن الله يدنى العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه، فيقول: فعلت كذا وكذا ويعدد عليه ذنوبه ثم يقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»	١٦٨٦
«إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين»	١١٢
«إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه»	١٤٤٠
«إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»	٤٠٥

الحديث أو الأثر	الصفحة
«إن الله يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، يقول العبد الحمد لله رب العالمين»	١٧٣
«إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه»	١٧٢٨
«أن النساء لما بايعن رسول الله ﷺ هذه المبايعة ، فقررهن على أن لا يسرقن ، قالت هند بنت عتبة ، وهي امرأة أبي سفيان بن حرب: يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل شحيح ، فهل علي إن أخذت من ماله بغير إذنه؟ فقال لها خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»	١٥٣٠
«إن أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا»	٨٩٩
«أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل ، فقالوا إنه آدر ، فاغتسل موسى يوما وحده وجعل ثيابه على حجر ، ففر الحجر بثيابه واتبعه موسى وهو يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر ، فمر في أتباعه على ملإ من بني إسرائيل فرأوه سليما مما قالوا»	١١٨٦
«أن بينهما أربعين عاما»	١٦٦٠
«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»	٣٩٤، ١٤٦٩
«إن رحمتي سبقت غضبي»	٥٤١
«أن رسول الله ﷺ كان يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين»	١٧٤
«إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه فأنزل الله هذه القصة»	٤٤٠
«أن رسول الله ﷺ مسح على ناصيته»	٤٨٥
«أن رسول الله ﷺ يستأذن في الشفاعة فيقال له اشفع تشفع»	٢١٤

الحديث أو الأثر	الصفحة
«إن سبأ أبو عشرة من القبائل فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة»	١١٩٤
«إن في التوراة الرجم، فأنكروا ذلك، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرؤوها فجعل أحدهم يده على آية الرجم، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع فإذا آية الرجم، فأمر رسول الله ﷺ باليهودي واليهودية فرجما»	٤٩٨
«إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وظل ممدود وماء مسكوب﴾ »	١٤٧٧
«أن كل ما أديت زكاته فليس بكنز، وما لم تؤد زكاته فهو كنز»	٦٨٤
«أن لا يمس القرآن إلا طاهر»	١٤٨٤
«أن لكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل، ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الآفات والشياطين»	١٦٩٦
«إن للشيطان لمة وللملك لمة»	٦٥١
«إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة»	٦٤٣، ١٥٢١
«إن مقعد الملكين على الشفتين قلمهما اللسان ومدادهما الريق»	١٤٢٤
«إن من الشعر لحكمة»	١٢٢٨
«أن من عوقب في الدنيا على ذنب لم يعاقب عليه في الآخرة»	١٠٣٢
«إن نبينا ﷺ قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون وراهنهم على عشر قلاص إلى ثلاث سنين، وذلك قبل أن يحرم القمار»	١١٤٠
«إن هذا البلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض لم يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدي، وإنما أحل لي ساعة من نهار»	١٧١٣
«أنا ابن الذبيحين»	١٢٤٤

الحديث أو الأثر	الصفحة
«أنا أحدهم»	١٥٣٩
«أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه»	١٧٤١
«أنا المنذر وأنت يا علي الهادي»	٧٨٨
«أنا دعوة أبي إبراهيم»	٢٤٢
«أنا سيد ولد آدم»	٣١٢
«أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم»	٢٤٨
«أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني»	٢٥٠
«أنا فئة لكل مسلم»	٦٦٠
«أنا من أشراط الساعة»	١٣٨٨
«أنت ومالك لأبيك»	١٠٥٢
«أنتم من آدم وآدم من التراب»	١٤١٧
«أنزلت علي سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، ثم قال: الحمد لله رب العالمين »	١٧٣
«إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، وكان قدامة قد شربها، واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه، فقال عمر: أخطأت التأويل»	٥١٨
«انكحي من شئت»	١٥٥٤
«إنما ذلك العرض»	١٦٨٦
«إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»	٢٦٩
«إنما ذلك كما قال لقمان لابنه ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾»	٥٦٢

الحديث أو الأثر	الصفحة
«إنها تنجي من عذاب القبر»	١٥٦٧
«إنهم أول من تسعر بهم النار»	٧٣٥
«إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا علي، قال علي: فما نسيت بعد ذلك شيئا سمعته»	١٥٨٦
«إني قتلت نفسا لم أومر بقتلها»	١١١٠
«إني لا أعلم الغيب إلا ما علمني الله»	١١٠٢
«إني لأحب أن يغفر الله لي، ثم رد النفقة إلى مسطح»	١٠٣٣
«إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم»	١٥٥٣
«إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»	٦٥١
«أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل»	١٢٩٨
«أي الأعمال أفضل؟ قال: ذكر الله، قيل الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دما لكان الذاكر أفضل منه»	٢٤٩
«بعثت أنا والساعة كهاتين»	١٣٨٩، ١٤٥٦
«بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»	١٥٧٥
«بيت يكنك، وخرقة تواريك، وكسرة تشد قلبك، وما سوى ذلك فهو نعيم»	١٧٥٠
«بينما جبريل قاعدا عند النبي ﷺ، سمع نقيضا من فوقه	١١٢
«ثلاث لا ينجو منهن أحد الحسد والظن والطيرة»	١٧٧٣

الحديث أو الأثر	الصفحة
«ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي»	١٤٩٩
«ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب ثم آمن بمحمد ﷺ، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها»	١١١٨
«جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ	٦٣
«جعلت لي الأرض مسجدا»	٥٩٨
«جنتان من ذهب آنيتهما وكل ما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما»	١٤٧٠
«جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما»	١٦٤٥
«حتى تستأذنوا»	١٠٣٥
«حسبنا الله ونعم الوكيل»	٣٨٥
«حسبي الله لا أبالي أن أسمع غيرها»	١٧٤٤
«حسنات الأبرار سيئات المقربين»	١٢٦٣
«حطب جهنم»	٩٧٤
«خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»	١٥٣١
«خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»	١٤٧٤
«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»	١١٢
«خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه ولم يعد ذلك طلاقا»	١١٦٨
«دعوة أخي يونس ذي النون ما دعا بها مكروب إلا استجيب له»	٩٧٢

الحديث أو الأثر	الصفحة
«دلني على عمل أنجو به فقال: فك الرقبة وأعتق النسمة، فقال الأعرابي أليس هذا واحدا؟ فقال رسول الله ﷺ: لا»	١٧١٦
«دين الله يسر»	٤٨٦
«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا»	١٧٤٢
«رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه»	٣٩٢
«رحم الله المحلقين ثلاثا»، ثم قال في المرة الأخيرة «والمقصرين»	١٤٠٦
«رفع عن أمتي الخطأ والنسيان»	٣٣٤
«زاغت»	١٥٦٢
«زملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾»	٦٤
«زملوني، زملوني»	٦٤
«سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له»	١٢١٢
«سال سيل»	١٥٩٢
«سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم»	٥٢٦
«سبحان ربي الأعلى»	١٤٨٨
«سبحان ربي العظيم»	١٤٨٨
«سبحانك اللهم بلى»	١٦٣٨
«سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني أستغفرك يتأول القرآن»	١٧٦١
«سمن كلبك يأكلك»	٦٩٥، ١٥٤٣
«سن رسول الله ﷺ السعي بين الصفا والمروة وليس لأحد تركه»	٢٥٤

الحديث أو الأثر	الصفحة
«سنوا بهم سنة أهل الكتاب»	٦٨٢، ١٥٢٩
«شاهت الوجوه»	٦٨٠
«شراء المغنيات وبيعهن حرام»	١١٥٠
«شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»	٣٠٤
«صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي»	١٤٧٦
«صلة الرحم تزيد في العمر»	١٢٠٧
«صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة ولا في آخرها»	١٧٤
«عفا الله عن الزكاة في الخيل»	٥٢٥
«على مثل الشمس فاشهدوا»	١٥٩٦
«غره جهله»	١٦٧٦
«فامضوا إلى ذكر الله»	١٥٣٧
«فإن أكل منه فلا تأكل»	٤٨٠
«فذلكم الرباط»	٣٩٢
«فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»	١٥٠٧
«فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا»	١٥٠٨
«فطلقوهن في قبل عدتهن»	١٥٤٩
«فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟»	١٤٤٩
«فقال له رسول الله ﷺ: زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل، فجعل القلاص مائة والأجل تسعة أعوام، وجعل معه أبي بن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر الله به، أخذ أبو بكر	١١٤٠

الحديث أو الأثر	الصفحة
القلاص من ذرية أبي بن خلف إذ كان قد مات، وجاء بها إلى النبي ﷺ، فقال له: تصدق بها»	
«فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبوا عليه، فنزلت الآية»	٣٤٥
«في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ: إن الله عنده علم الساعة إلى آخر السورة»	١١٠٢
«قتال المسلم كفر»	١٤١٤
«قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب وحصى ورمى بها وجوه الكفار فانهزموا»	٦٦٠
«قد زوجتكها على ما معك من القرآن»	١١١٣
«قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»	١١٤، ١٧٦٤
«قم أبا تراب»	١٦١٥
«قولوا سمعنا وأطعنا»	٣٣٢
«كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»	٦٤١
«كادت أم موسى أن تقول وإبناه، وتخرج صائحة على وجهها»	١١٠٩
«كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة»	٢١٤
«كان خلق رسول الله ﷺ القرآن»	١٥٧٥
«كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»	٨٩٢
«كان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقه سنة، وما بقي جعله في السلاح والكراع عدة في سبيل الله»	١٥١٤
«كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل فمن وافق خطه فذاك»	١٣٧٦
«كانت الأولى من موسى نسيانا»	٩٠٦
«كل جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب»	١٤٢١

الحديث أو الأثر	الصفحة
«كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا، أو الرجل يقتل المؤمن متعمدا»	٤٤٨
«كل ربا كان في الجاهلية موضوع»	٣٢٥
«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه»	١١٤٤
«كل نعيم فمسؤول عنه إلا نعيم في سبيل الله»	١٧٥٠
«كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل»	٤٩٢
«لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير، لا ألفين أحدكم على رقبته فرس، لا ألفين أحدكم على رقبته رقاع، لا ألفين أحدكم على رقبته صامت، لا ألفين أحكَم على رقبته إنسان، فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك»	٣٨٢
«لا تجعلوا بيوتكم مقابر»	١١٣
«لا تخبر بذلك فيكذبك قومك»	٨٥٤
«لا تخيروا بين الأنبياء»	٣١١
«لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا وأنتم باكون مخافة أن يصيبكم مثل الذي أصابهم»	٦١٠
«لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم»	٩٣
«لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد، حتى يلقي فيها الجبار قدمه»	١٤٢٦
«لا تزني الحرة»	١٥٣١
«لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»	١٤٩١

الحديث أو الأثر	الصفحة
«لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم»	١١٣٦
«لا تفضلوني على يونس بن متى»	٣١٢
«لا ، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»	٢٩٥
«لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد»	١٦٩٢
«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»	١٧٧
«لا فكرة في الرب»	١٤٥٢
«لا وصية لوارث»	٢٦٥
«لا يحج بعد هذا العام مشرك»	٢٣٥
«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زنى بعد إحصان ، أو كفر بعد إيمان ، أو قتل نفس بغير نفس»	٥٨٤
«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس أخرى»	٥٨٥
«لا يحل دم امرئ مسلم»	٤٣
«لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»	١٠٥٢
«لا يدخل الجنة نمام»	١٥٧٧
«لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها»	١٤٠١
«لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقا رضي منها آخر»	٤٠٧
«لا يقتل حر بعبد»	٢٦٤
«لا يقم أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا»	١٥٠٧
«لا يقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت»	١٤٨٠

الحديث أو الأثر	الصفحة
«لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها»	١٠٠٤
«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى»	٦٠٥
«لأزيدن على السبعين»	١٥٤٤
«لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»	٧٠٥
«لتشد عليها إزارها ثم شأنك بأعلاها»	٢٨٨
«لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل، ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون»	٤٩٠
«لعل رسول الله ﷺ أخذها»	٣٨٢
«لعلك يؤذيك هوام رأسك احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو أنسك بشاة»	٢٧٤
«لعن فيه الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله»	٤٥٩
«لقبل عدتهن ورويت»	١٥٤٩
«لقد كانت الحجارة سومت في السماء على المنفضين»	١٥٣٩
«لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة»	٣١٨
«لكل نبيء حواري وإن حواري الزبير»	٣٥٥
«لكن ابتدعوها»	١٤٩٨
«لم يجعل لي رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنى»	١٥٥٦
«لم يكن لقمان نبيئا ولكن كان عبدا أحسن اليقين، أحب الله فأحبه فمن عليه بالحكمة»	١١٥٠
«لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها»	١٧٧٦
«لن يغلب عسر يسرين»	١٧٢٨
«لها السكنى والنفقة»	١٥٥٦

الحديث أو الأثر	الصفحة
«لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا»	١٧٣٥
«لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء»	١٥٣٥
«لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية لشدتها عليه»	١١٧٣
«لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر»	٦٧٢
«لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي، وأنا العاقب فلا نبي بعدي»	١٥٣٣
«ليس لك عليه نفقة»	١٥٥٦
«ليس هذا بزمان هذه الآية، قولوا الحق ما قبل منكم، فإذا رد عليكم فعليكم أنفسكم»	٥٢٧
«مؤمنوا أمتي شهداء»	١٤٩٥
«ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية»	١٢٩٣
«ما على الأرض مؤمن بالله غيري وغيرك»	١٥٢٥
«ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول ولد ملك أو مات ملك، فقال رسول الله ﷺ: ليس الأمر كذلك»	١٦٠٨
«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد»	١٥٩٣
«ما من مولود إلا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها»	١٧١
«ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه»	٣٤٩
«ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان»	٣٦

الحديث أو الأثر	الصفحة
«ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية»	١٦٥٦
«ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك، فنزلت الآية موافقة لقول عمر، فقوله: يقتضي معك النصرة»	١٥٦٣
«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة»	١١١
«مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك»	١٥٤٩
«مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه»	١٦٦٥
«مستقرها تحت العرش»	١٢٢٢
«مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية»	١١٥٢
«من أثر فرس الرسول»	٩٤٧
«من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله»	١٤١٨
«من أصاب ذنبا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة»	٤٤٨
«من أصابته مصيبة فقال إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها أخلف الله له خيرا مما أصابه قالت أم سلمة فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك فأبدلني الله به رسول الله ﷺ»	٢٥٣
«من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار»	١٧١٦
«من ترك الصلاة فقد كفر»	٣٦٦
«من حاسب نفسه في الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة»	١٦٨٦
«من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»	٢٧٨

الحديث أو الأثر	الصفحة
«من حدث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله»	١٢٦٢
«من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»	١١٤
«من حلف على سلعة بعد صلاة العصر...»	٥٢٨
«من زعم أن محمدا يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله»	١١٠١
«من سلم علي قريبا سمعته، ومن سلم علي بعيدا أبلغته، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»	١١٨٣
«من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر»	١٢١٣
«من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين»	١٥٥٨
«من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ»	٨٥
«من قال لا إله إلا الله، فليقل الحمد لله رب العالمين»	١٣١١
«من قال: لا إله إلا الله كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة»	١٧٩
«من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»	١٧٣٨
«من قتل دون نفسه أو ماله فهو شهيد»	١٤١٤
«من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا»	١٤٧٢
«من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين»	١٧٦٥
«من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»	١١٣
«من قرأها فقد برئ من الشرك»	١٧٥٩
«من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»	١٤٠٧
«من لم يسأل الله يغضب عليه»	١٣١٣
«من نوقش الحساب عذب»	١٦٨٦

الحديث أو الأثر	الصفحة
«من يستغفرني فأغفر له»	١٤٣٢ ،٣٤٣
«منة»	١٣٧٠
«ناركم هذه التي توقدون جزءا من سبعين جزءا من نار جهنم»	١٧٠٢
«نحن معاشر الأنبياء لا نورث»	٩١٦
«نصرت بالرعب»	٣٧٦
«نعم، صلي أمك»	١٥٢٦
«نفسي نفسي»	١٠٢٩ ،٩٣٠
«هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي»	٦٤٢
«هذا أهون، فقضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال، إلى يوم القيامة»	٥٥٦
«هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه، وعن شماله، ثم قال: هذه كلها سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»	٥٨٥
«هذا من النعيم الذي تسألون عنه»	١٧٥٠
«هذه الآية لكم، وقد تقدم مثلها لقوم موسى»	٦٤٤
«هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة قواهم الله بأربعة سواهم»	١٥٨٧
«هو شجر الموز وحكى ابن عطية هذا عن علي بن أبي طالب وابن عباس، وقرأ علي بن أبي طالب وطلع منضود بالعين، فقيل له: إنما هو وطلح بالحاء، فقال: ما للطلح والجنة؟ فقيل له: أنصلحها في المصحف؟ فقال: المصحف اليوم لا يغير»	١٤٧٦
«هي ألا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تفروا يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا في السبت»	٨٧٩

الحديث أو الأثر	الصفحة
«هي في الأزواج الذين يمسكون المرأة ويسيئون عشرتها حتى تفتدي بصداقها»	٤٠٦
«والخير كله بيديك، والشر ليس إليك»	٤٣٩
«والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم»	٨٥١
«والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية»	٧٠٥
«والله ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي»	١٣٨٠
«وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»	١٤٨٥
«وجاءت سكرة الحق بالموت»	١٤٢٤
«وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»	٩٥٣
«وقالوا لبثوا في كهفهم»	٨٩٣
«وكان النبي ﷺ إذا سأله أحد فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه حياء منه»	٨٦١
«وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا»	١٦٢٢
«وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة»	٦٣٥
«وكانت مساكنهم بين الشام واليمن»	١١٩٣
«ولو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا»	٦٠٤
«ومن عنده»	٧٩٨
«ويلك إن لم أعدل فمن يعدل»	٦٩٠
«يأتون ما أتوا»	١٠١٢
«يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به	١١٤
«يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»	١٧١١

الحديث أو الأثر	الصفحة
«يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟	١١٣
«يا أهل الجنة هل تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: يا ربنا وأي شيء نريد وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين؟ فيقول: عندي أفضل من ذلك وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبدا»	١٤٤٢
«يا أيها الناس انصرفوا فإن الله قد عصمني وترك الاحتراس»	٥١١
«يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق لا تجزي بالسيئة السيئة، ولكن تعفو وتصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به عيونا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا»	٦٢٨
«يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإنه الغاسق إذا وقب»	١٧٧٠
«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»	٦١٣
«يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»	٤١٠
«يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا، ثم قرأ ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾»	٩٧٦
«يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وذلك خمسمائة سنة»	٩٩٦
«يرحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد»	٧٤٨
«يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»	١٥٠٨
«يعجب ربك من شاب ليس له صبوة»	١٢٣٤
«يقول ابن آدم مالي مالي وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»	١٧٤٨

الحديث أو الأثر	الصفحة
«يقول الله تعالى يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني ويكذبني وليس له أن يكذبني أما شتمه إياي فقوله: إن لي صاحبة وولدا، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني»	١١٨٤
«ينادي مناد يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع القمر من كان يعبد القمر، ويتبع كل أحد ما كان يعبد، ثم تبقى هذه الأمة وغبرات من أهل الكتاب معهم منافقوهم، فيقال لهم: ما شأنكم؟ فيقولون: ننتظر ربنا، قال: فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، قال: فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربنا، ويخرون للسجود، فيسجد كل مؤمن، وترجع أصلاب المنافقين عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا»	١٥٨١

❊❊ ❊❊ ❊❊

فهرس الأعلام

أبا بكر الصديق ٥٠٦، ٦٧٥، ٦٨٦، ١٣٣٨، ١٥٦١، ١٧٢٣، ١٧١٢
أبا جهل ٦٤٣، ١٢٤٠، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٦٣٧، ١٧٣٣، ١٧٣٤
أبا سفيان ٣٨٤، ١٥٣١
أبا طلحة ٥٨٠
أبا عمرو ١٧١٢
أبا موسى الأشعري ٥٠٦
أبا هريرة ١١٩٦، ١٦٠٨
ابن أبي الأحوص الفهري ٢٨
ابن الزبير ٤١١، ٤٤٩، ٩٤١، ١٧٠٧، ١٧٣٣
ابن الشاط الأنصاري ٢٩
ابن الطيب ١٢٩٦، ١٤٨٥
ابن العربي ٩٠، ٢٨٩، ٢٩٨، ٢٩٩، ٤٤٥
ابن الفرس ٢٩٨، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٦٧٩
ابن القاسم ٢٩٩، ٣٠١، ٤١٤، ٤٨٠، ٤٩٥
ابن الكماد ٢٩
ابن الماجشون ١٥٤٠، ١٥٦٠
ابن المواز ٣٩٢، ٤١٢
ابن أم مكتوم ٤٥٠، ١٦٦٥، ١٦٦٦
ابن حنبل ٣٢٨، ٤٥٣، ١٤٨٤
ابن خطل ١٧١٣
ابن رشد ٤٤٨
ابن سلمون ٢٩
ابن سيرين ٦٥، ٤٨٣، ٦٧٠
ابن عامر ٢٣٣، ٢٤٧، ٣٠٧، ٣١٧، ٣٣٣، ٣٤٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٤٣٥، ٥٠٣، ٥٤٦، ٥٥٤، ٥٦٣، ٥٦٨، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٨٧، ٦٠٦، ٦٢٥، ٦٣٨، ٦٧٨، ٨٤٠، ٨٤٧، ٨٩٣، ٨٩٧، ٩٠٩، ٩٨٩، ١٠١١، ١٠١٦، ١٠٤٢، ١٠٤٤، ١٢١٦، ١٢٢١، ١٢٩٦، ١٣٣٧، ١٣٤٩، ١٣٧١، ١٤٧١، ١٥٩٨، ١٦٠٦، ١٦٥٧
ابن عباس ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ١١٢، ١٣٦، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٣، ١٩٥، ٢١٤، ٢١٩،

٢٢٩، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦،
٢٤٧، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٦،
٢٨٥، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٨، ٣٠٣،
٣٠٨، ٣١٠، ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٢،
٣٢٣، ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٨،
٣٣٩، ٣٤٥، ٣٦٦، ٣٧٣، ٣٧٥،
٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٨٩،
٣٩٠، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠١،
٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤١١،
٤١٣، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٧،
٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٤٠،
٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٥٢،
٤٥٣، ٤٥٦، ٤٦٤، ٤٦٩، ٤٨١،
٤٨٢، ٤٨٥، ٤٩٥، ٥٠٠،
٥٠٢، ٥٠٩، ٥١٢، ٥١٧، ٥٢١،
٥٢٣، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠،
٥٣٤، ٥٣٥، ٥٤٠، ٥٤٥،
٥٧٦، ٥٨٢، ٥٩٥، ٥٩٨، ٦٠١،
٦٠٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦٢٤، ٦٣٩،
٦٤٠، ٦٤١، ٦٦١، ٦٦٤، ٦٧٢،
٦٨٣، ٦٨٩، ٧٠٨، ٧١٠، ٧١١،
٧٢٨، ٧٣٩، ٧٧٨، ٨٠٤، ٨٢٢،
٨٣٨، ٨٤٤، ٨٦٠، ٨٧٣، ٨٨٤،
٨٨٥، ٨٨٨، ٨٩٠، ٨٩٢، ٨٩٦،
٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩١٠،
٩١٧، ٩١٨، ٩٢٥، ٩٢٨، ٩٥٥،
٩٥٦، ٩٦٩، ٩٧٦، ٩٨٦، ٩٨٨،
٩٩٣، ١٠٠٣، ١٠١١، ١٠٣٢،
١٠٣٣، ١٠٣٥، ١٠٣٧، ١٠٣٨،
١٠٤٢، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٢،
١٠٦١، ١٠٦٥، ١٠٦٨، ١٠٧٦،
١٠٩٢، ١٠٩٤، ١١٠٠، ١١٠٥،
١١٠٧، ١١٠٩، ١١٥٥، ١١٦٠،
١١٦٦، ١١٧٧، ١١٧٩، ١١٨٠،
١١٨٤، ١١٩١، ١١٩٤، ١٢٠٦،
١٢١٢، ١٢١٥، ١٢١٧، ١٢٣٠،
١٢٣٧، ١٢٤٤، ١٢٤٩، ١٢٥٨،
١٢٦٠، ١٢٦٢، ١٢٧٠، ١٢٧٧،
١٢٨٠، ١٢٨٦، ١٢٩٣، ١٢٩٧،
١٣٠٠، ١٣١١، ١٣٢٦، ١٣٣١،
١٣٣٥، ١٣٣٩، ١٣٥٣، ١٣٥٦،
١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٤، ١٣٦٥،
١٣٧٠، ١٣٧٤، ١٣٨٠، ١٤٢١،
١٤٢٨، ١٤٣٨، ١٤٤٠، ١٤٥٥،
١٤٦٣، ١٤٧٣، ١٤٧٦، ١٤٧٧،
١٤٨٢، ١٤٨٥، ١٤٨٨، ١٤٩٣،
١٤٩٩، ١٥٠٨، ١٥٣٢، ١٥٣٩،
١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢،

١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٦٠، ١٥٦٣، ١٥٦٥، ١٥٧١، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٨٤، ١٥٨٧، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٦٠٤، ١٦٠٩، ١٦٢٩، ١٦٣١، ١٦٣٥، ١٦٤٣، ١٦٥٥، ١٦٦٥، ١٦٦٨، ١٦٦٩، ١٦٧١، ١٦٧٢، ١٦٧٣، ١٦٧٩، ١٦٨٢، ١٦٩٧، ١٦٩٩، ١٧٠٧، ١٧٢٠، ١٧٢٥، ١٧٣٩، ١٧٥٣، ١٧٥٤، ١٧٥٧، ١٧٦١، ١٧٦٢، ١٧٧٠

ابن عبد البر ٢٦

ابن عبد الحكم ٢٦١

ابن عطية ٣٦، ٤٨، ٨٦، ٩٠، ٩١، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٧٨، ٢٨٤، ٣٠٧، ٣١٤، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٣٩، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٦٢، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٧، ٤٥٠، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٥، ٥٢٠، ٥٢٦، ٥٣٠، ٥٣٢، ٥٤٦، ٥٥٩، ٥٦٦، ٥٧٢، ٥٧٤، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٨، ٥٩٥، ٦١٢، ٦١٩، ٦٢٤، ٦٢٧، ٦٥٠، ٦٥٥، ٦٧٠، ٦٧٦، ٧٠٦، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٣، ٧٢٠، ٧٢٧، ٧٢٩، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٤٠، ٧٤٨، ٧٥٨، ٧٧١، ٧٧٦، ٧٧٨، ٧٨١، ٧٩٣، ٧٩٥، ٧٩٨، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٩، ٨٤١، ٨٤٦، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦٣، ٨٧٠، ٨٧٥، ٨٨٥، ٨٩٠، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٥، ٩٠٣، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩١٠، ٩١٥، ٩١٨، ٩٢٣، ٩٢٨، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٦، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٦١، ٩٦٤، ٩٦٦، ٩٧٠، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٤، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ١٠٠٢، ١٠٠٩، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٣٠، ١٠٤٢، ١٠٤٦، ١٠٥٢، ١٠٥٤، ١٠٦٤، ١٠٦٨، ١٠٧٤، ١٠٩٢، ١٠٩٩، ١١٠٥، ١١٠٩، ١١٢٢، ١١٣٨، ١١٥٢، ١١٦٠، ١١٧٠، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٧، ١١٨٩، ١١٩٤، ١١٩٧، ١٢٠٦، ١٢١١، ١٢١٧، ١٢٢٣، ١٢٢٦،

١٢٣٣، ١٢٥٨، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٥، ١٢٧٢، ١٢٧٤، ١٢٧٧، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٦، ١٢٩٠، ١٢٩٢، ١٢٩٥، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣١١، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٦، ١٣١٨، ١٣٢٧، ١٣٤٠، ١٣٤٨، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٦، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٣، ١٣٧٩، ١٣٨٣، ١٣٨٧، ١٣٨٩، ١٣٩٨، ١٤٠١، ١٤٠٧، ١٤١٣، ١٤١٧، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٧، ١٤٣٠، ١٤٣٣، ١٤٤٩، ١٤٥٢، ١٤٦٥، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٧٠، ١٤٧٦، ١٤٨٥، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٩١، ١٤٩٤، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٥٠٥، ١٥٠٩، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٣٠، ١٥٣٢، ١٥٣٧، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤٦، ١٥٥٨، ١٥٦٧، ١٥٧٢، ١٥٧٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩١، ١٥٩٣، ١٥٩٩، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٦، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٢، ١٦٢٦، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٤٠، ١٦٤٥، ١٦٤٨، ١٦٥٧، ١٦٥٩، ١٦٦٥، ١٦٦٩، ١٦٧٠، ١٦٧٢، ١٦٧٣، ١٦٧٩، ١٦٨٠، ١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٩، ١٦٩٧، ١٧٠٧، ١٧٠٨، ١٧١٤، ١٧٢٠، ١٧٢١، ١٧٢٤، ١٧٢٥، ١٧٣٤، ١٧٣٩، ١٧٤٠، ١٧٤٦، ١٧٥٢، ١٧٦٠، ١٧٦١، ١٧٦٥، ١٧٦٧، ١٧٦٨، ١٧٧٠، ١٧٧٣، ١٧٧٤

ابن عمر ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٥، ٣٣٣، ٣٦٣، ٣٦٦، ٤٥٣، ٧٢٣، ٨٣٧، ١٢٩٣، ١٢٩٧، ١٤٨٤، ١٥٤٩، ١٧٦١

ابن قتيبة٦٦١، ١٢٨٧، ١٥٠٣، ١٥٠٤

ابن محيصن ٧٤، ٧٥، ١٠٠، ١٣١٨، ١٥٨٨

ابن مسعود ٨٦، ٨٧، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠١، ٢١٧، ٢٤٩، ٣٠٥، ٣١٨، ٣٧٧، ٣٨٦، ٤١٨، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٧٠، ٤٩٠، ٥٠٧، ٦١٨، ٦٤١، ٦٥٨، ٧٤٨، ٨٢٩، ٨٤٢، ٨٥٠، ٨٦٠، ٨٨٧، ٨٩٢، ٩٠٨، ٩٤٧،

١٠٤٠، ١٠٥١، ١٢١٢، ١٢١٧، ١٢٢٢، ١٢٣٤، ١٢٤٥، ١٢٧٢، ١٢٨٠، ١٣١٩، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٩٠، ١٤٢٤، ١٤٤٩، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٧٢، ١٤٩٨، ١٥٠٠، ١٥١٦، ١٥٢٢، ١٥٣٤، ١٥٣٧، ١٥٦٢، ١٥٨٠، ١٧٢١، ١٧٢٨، ١٧٦١
ابن وهب ٤١٧، ٤٣٤، ١٢٨٥، ١٤٩٦
أبو الأسود الدؤلي ٦٧
أبو الأشد ١٧١٤
أبو الحسن الأشعري ٦٤٣
أبو الحسن بن الجياب ٢٨
أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الخدامي ٣٦
أبو الدحداح ٣٠٧، ١٧٢٢
أبو السنابل بن بعكك ١٥٥٤
أبو العالية ٨٨، ٤٠٥
أبو القاسم السبتي الغرناطي ٢٩
أبو القاسم السهيلي ١٨٥
أبو المعالي ٤٠٥، ٦٨٣
أبو أيوب الأنصاري ٢٧٣
أبو بكر ٤٣٥، ٥٠٦، ٦٧١، ٦٨١، ٦٩٥، ١٠٣٣، ١٢٩٠، ١٣٣٨، ١٤١١، ١٥٦٣، ١٦٦٩
أبو بكر الصديق ١٨٥، ٥٠٦، ٥٢٣، ٦٣٥، ٦٧٧، ٦٨٦، ٧٠٧، ١١٤٠، ١٢٨٥، ١٢٨٩، ١٣٢٠، ١٤٠٠، ١٤٢٤، ١٤٩٧، ١٥١٠، ١٥٦٠، ١٧٢٣
أبو بكر القلاص ١١٤٠
أبو بكر النقاش ٨٨
أبو بكر بن أبي قحافة ٦٣٥
أبو بكر بن الطيب ١٢٧٧
أبو بكر بن العربي ٩٠
أبو ثور ٢٩٧، ٣٠٦
أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير٣٣
أبو جعفر المنصور ١٣٢٦
أبو جعفر بن الزبير ٢٢٩، ٢٤١، ٥٣٦، ٥٦٩، ٦٣٦، ٨٦٨، ١٧٢٦، ١٧٦٧، ١٧٧٦
أبو جهل ٥٧٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٥٦، ٦٦١، ٦٦٣، ٦٧٨، ٨٣٩، ٨٥٧، ٨٧٠، ١٠٦٦، ١١٢٠، ١٢١٦، ١٢٧٥، ١٣٢٠، ١٣٢٢، ١٥٧٢، ١٥٧٧، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٣٧، ١٧٢٢، ١٧٣٣، ١٧٣٤، ١٧٣٥، ١٧٦٠

أبو جهينة ١٦٧٩
أبو حنيفة ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٤، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٢٧، ٣٦٦، ٣٩٨، ٤٠٨، ٤١٢، ٤١٩، ٤٢١، ٤٥٣، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٣، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢١، ٥٢٢، ٦٦٦، ٦٧٣، ٦٨١، ٩٧٠، ٩٨٧، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٨، ١٠٣٧، ١٣٨٤، ١٤٨٤، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٤٠، ١٥٦٠، ١٦٨٧
أبو داود ١٠٤، ١١٢، ٢١٤، ٢٦٤، ٢٩٠، ٣١٣، ٣٤٠، ٣٦٨، ٣٨٨، ٣٩٩، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٩٥، ٥٠٠، ٥٠١، ٥١٨، ٥٢٩، ٦٤٣، ٦٧٤، ٨٥٢، ٩١٣، ١٠٠٢، ١٠٥٢، ١١٣٦، ١١٨٣، ١٢٧٢، ١٣١٠، ١٤١٤، ١٤١٧، ١٤٤٨، ١٥٠٧، ١٥٣٨، ١٥٥٦
أبو ذر ٣٦٤، ٦٨٤
أبو زيد السهيلي ١٧٥٦
أبو سعيد الخدري ٣٨٩
أبو سفيان ٣٧٨، ٣٨٥، ٣٨٦، ٦٦٧، ١٧٢٢
أبو سفيان بن حرب ٦٧٨، ١١٨٨
أبو سلمة ٢٥٣، ٦٤١، ١٥٥٤
أبو صالح ٨٨، ١٥٧٥
أبو طالب ٥٤٥، ١٢٥٦، ١٧٢٥
أبو طلحة ٣٦٣
أبو عامر الراهب ٧٠٣
أبو عبد الرحمن السلمي ٧٨، ٨٥
أبو عبد الله بن رشيد ٥٣٦
أبو عبيدة بن الجراح ١٥١٠
أبو علي الفارسي ٨٩، ٥٢٨، ٧٦٤، ٨٥٩، ١٤١٧، ١٤٩٨
أبو عمر بن عبد البر ١٧٦٢
أبو عمرو ١٠١، ٢٨٥، ٧٦٥، ١٠١٨، ١٤٩٧، ١٥٤٤
أبو عمرو الداني ٨٩
أبو لهب ١٢٨٦، ١٧٦٢، ١٧٦٣
أبو محمد بن الفرس ١٥١٥، ١٥٣٧
أبو محمد بن قتيبة ٨٩
أبو موسى الأشعري ٥٢٩
أبو هريرة ١٧٣، ٣٢٣، ٩٠٦، ١٤٨٠، ١٥٥٤
أبو يوسف ٤٥٣
أبي الحسن الكيا ٧٦
أبي الحسن علي بن عثمان المريني ٢٣

أبي الدحداح ٣٠٧، ١٧٢٢
أبي الدرداء ١١٤، ١١٣٥، ١٥٧٥
أبي أمامة الباهلي ١١١، ١١٣
أبي أيوب الأنصاري ١٠٣١
أبي بكر ١٧٤، ٤٨٣، ٦٣٥، ٦٨٦، ٨٩٥، ٩٩٢، ١٠٤٩، ١٣٢١، ١٣٣٨، ١٣٨٠، ١٧٦٣
أبي بكر الصديق ٦٥، ٦٧، ٢٩٠، ٣٣٩، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٥٩، ١٠٣٣، ١١٦٨، ١١٨٢، ١٣٣٨، ١٣٨٠، ١٥٢٦، ١٦٦٩، ١٧٢٢
أبي بكر بن العربي ٧٦
أبي بن خلف ٩٢٦، ١٠٦١، ١١٤٠، ١١٦٠، ١٢٢٩
أبي بن كعب ٨٦، ١١٣، ٤٦٩، ٦٥٥، ١٠٠٣، ١٢٢٦، ١٤٩٤، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٧١٢، ١٧٥١، ١٧٥٥
أبي ثعلبة الخشني ٥٢٦
أبي جعفر النحاس ٨٩
أبي جعفر بن الزبير ٤٨، ٩١، ٧٢٥، ٩٩٠
أبي جندل بن سهيل ٨٢٩
أبي جهل ١٩٠، ٥٤٨، ٧٩٣، ٧٩٤، ٨٢١، ٩٨٠، ٩٨٢، ٩٩٨، ١١٣٠، ١٥٨٩، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٨٤، ١٧٣٣، ١٧٥٦، ١٧٥٩
أبي حذيفة بن المغيرة ٧١٣
أبي حنيفة ٨٤، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٧، ٢٦٤، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٢، ٣٢٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٥٢١، ٦٠٤، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٣٩، ١١٧٨، ١٥٠٤، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٧
أبي داود ٦٥، ١١٣، ١١٤، ١٧٠، ١٧٥، ٣٨٨، ٤٢٥، ٥٢٩، ٩٦٩، ١٠٠٢، ١٠٠٤، ١٠٥٢، ١١٠٥، ١٣٧٦، ١٤٠٦، ١٥٣٣، ١٥٤٠، ١٦١٧
أبي ذر ١٢٢٢، ١٢٨٥، ١٣١٣، ١٤١٤
أبي سعيد الخدري ٦٤، ١٧٠، ٢٦٩، ٣١١، ١١٧١، ١٢١٨
أبي سفيان ٣٧٨، ٦٦٥، ١٤٠٧، ١٧٦٣
أبي سفيان بن حرب ٦٦٥، ١٥٣١، ١٧٢٢
أبي سلمة ١٥٥٤، ١٦٢٤، ١٦٨٩

أبي سلمة ابن عبد الأسد ١٦٨٧
أبي صالح ٣١٨، ٤٣٣، ١٧٥٣
أبي طالب ٨٩، ٣٠١، ٧٠٥، ٩١٥، ٩٧٤، ١١١٩، ١١٣٨، ١١٧٧، ١٢٥٦، ١٢٦١، ١٢٨٤، ١٤٢٩، ١٤٧٣، ١٤٨٥، ١٦٢٩، ١٧١٤، ١٧٢٦، ١٧٥٣
أبي عبد الرحمن السلمي ١٠٤٢
أبي عبد الله بن الكماد ١٥٢١
أبي عقيل ٦٧، ٦٩٦
أبي علي الفارسي ٨٩
أبي علي بن أبى الأحوص ١٥٢٢
أبي عمر يوسف بن عبد البر ٩
أبي عمرو الداني ١٧٤
أبي قبيس ٩٨٨
أبي لبابة ٦٦٢، ٧٠٠
أبي لهب ١٧٦٣
أبي محمد عبدالمنعم بن عبدالرحيم ٧٦
أبي مسعود الأنصاري ١١٣
أبي موسى الأشعري ١١١
أبي هريرة ٨٨، ١١٣، ٢٢١، ٢٩٠، ٣١٢، ٣١٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٤٢٦، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٨، ٦٤١، ٦٤٤، ٨٢٠، ٨٥٢، ٨٩٩، ١١٨٦،
١٢١٣، ١٢٦٩، ١٤١٦، ١٤٣٢، ١٤٣٨، ١٤٨٠، ١٥١٧، ١٥٧٨، ١٦٢٣، ١٦٨٩، ١٧٣١، ١٧٧١
أبي ياسر بن أخطب ٣٣٨، ٥٠٨
أبي يوسف ٨٤
أسامة بن زيد ٤٤٩
أسد بن خزيمة ١٤١٨
إسماعيل القاضي ٧٦
آسية ١١٠٨، ١١٧٠، ١٥٦٣، ١٥٦٥
أسيد بن حضير ٢٨٧، ٤٨٣
آصف بن برخيا ١٠٩٦
الأخنس بن شريق ٢٧٩، ٥٤٨، ٩٨٢، ١٣٦٠، ١٥٧٧، ١٧٥١
الأسود بن المطلب ٨٢١، ١٧٦٠
الأسود بن عبد يغوث ٥٤٠، ٨٢١، ١٣٦٠، ١٥٧٧
الأقرع بن حابس ١٤١١
البخاري ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٨٣، ٨٦، ٨٨، ٩٣، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ٢١٤، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٨، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣،

٣٣١، ٣٣٢، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٩، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٠، ٤١١، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٩، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩٠، ٤٩٩، ٥٠١، ٥١٦، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٢٤، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٤١، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٦٢، ٥٦٧، ٥٨٠، ٥٨٤، ٥٩٨، ٦٠٥، ٦١٠، ٦٢٨، ٦٣٢، ٦٣٥، ٦٤١، ٦٤٣، ٦٥١، ٦٦١، ٦٦٣، ٦٦٥، ٦٧٥، ٦٨٢، ٦٨٤، ٦٩٠، ٦٩٤، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٢٣، ٧٤٨، ٧٥٤، ٨٠٩، ٨٢٠، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٤٣، ٨٥١، ٨٥٤، ٨٨٢، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٦، ٩٠٨، ٩١٤، ٩١٦، ٩١٩، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٣٢، ٩٥٣، ٩٦٦، ٩٧٠، ٩٨٦، ١٠١٦، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٧، ١٠٢٩، ١٠٣٣، ١٠٣٧، ١٠٤٠، ١٠٦٢، ١٠٧٨، ١٠٨٦، ١١٠٢، ١١٠٧، ١١١٠، ١١١٨، ١١١٩، ١١٣٦، ١١٤٤، ١١٥٤، ١١٦٨، ١١٨٠، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٦، ١١٩٦، ١١٩٧، ١٢٠٧، ١٢١٣، ١٢٢٢، ١٢٦٣، ١٢٦٩، ١٢٨٩، ١٢٩٨، ١٣٣٩، ١٣٦٤، ١٣٧٨، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩٧، ١٤٠٦، ١٤١٠، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٦، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٤٩، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٧٠، ١٤٧٤، ١٤٧٧، ١٤٨٥، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٧، ١٤٩٩، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٩، ١٥١٧، ١٥٢١، ١٥٢٣، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٣١، ١٥٣٣، ١٥٣٥، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٥، ١٥٦٠، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٨٢، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٣٣، ١٦٣٥، ١٦٤٥، ١٦٦٧، ١٦٧٠، ١٦٨٦، ١٦٨٩، ١٧٠١، ١٧١٣، ١٧٢٤، ١٧٣٦، ١٧٣٧، ١٧٣٨، ١٧٤٢، ١٧٥٠، ١٧٦١، ١٧٦٢، ١٧٦٥، ١٧٧١

الثعالبي ٨٨، ١٤٤٧، ١٥٨٩
الجحدري ١١٦٩، ١٢٦٢، ١٣٧٠
الجد بن قيس ٦٨٨، ٦٨٩
الجلاس بن سويد ٦٩٤
الحارث بن زيد ٣٤٥، ٤٤٤
الحارث بن عامر بن نوفل ١١١٩
الحارث بن عوف ٣٥٨
الحارث بن كعب ٩٤٢، ٩٥٥، ١٥٢٦
الحجاج بن يوسف ٦٧
الحرث بن سويد ٣٦٢
الحرث بن عامر بن نوفل ١٧١٥
الحسن البصري ٨٧، ٣٠٠، ٦٠٤، ١٥٨٩
الحسن بن أبي الحسن ٨٧
الحسن بن دينار ١٦٥٦
الحسن بن علي ١٣٣٩
الحسن بن علي بن أبي طالب ١٧٣٨
الزبير ٣٥٥، ٤٣٤، ٦٦٢، ١٢٨٥، ١٤١٤، ١٥٢٣
الزمخشري ٤٩، ٩١، ٩٢، ١٩٣، ٢٠٢، ٢١٨، ٢٢١، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣١٠، ٣١٦، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٦، ٣٨٦، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٩، ٤١٦، ٤٥٥، ٤٦٩، ٤٧٤، ٤٨٩، ٥٠٠، ٥٠٣، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣٢، ٥٣٧، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٧٦، ٥٨٠، ٦٠٤، ٦١٣، ٦١٤، ٦٢١، ٦٢٦، ٦٣٦، ٦٤٠، ٦٥٤، ٦٦٠، ٦٦٣، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٩٢، ٦٩٤، ٧١٥، ٧٢٠، ٧٢٢، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٤٠، ٧٤٢، ٧٤٤، ٧٥٢، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨١٧، ٨٢٥، ٨٣٢، ٨٥٠، ٨٧٠، ٨٧٩، ٨٨٣، ٨٨٦، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٤، ٨٩٩، ٩٠٣، ٩٠٥، ٩٠٧، ٩٢١، ٩٢٨، ٩٣٢، ٩٣٥، ٩٤٣، ٩٤٩، ٩٥٢، ٩٥٨، ٩٦١، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٧٠، ٩٨١، ٩٨٤، ٩٨٦، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٨، ١٠٠٠، ١٠٠٣، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠١٠، ١٠٢٠، ١٠٣٢، ١٠٣٩، ١٠٥٠، ١٠٥٤، ١٠٥٦، ١٠٧٩، ١٠٨٣، ١٠٨٦، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩٩، ١١٠١، ١١٠٢، ١١١٣، ١١٧٨، ١١٨٨، ١١٩٧، ١٢٠٧، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٧،

١٢٢٢، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٥٠، ١٢٥٢، ١٢٥٨، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٧٧، ١٢٨٣، ١٢٨٠، ١٢٨٦، ١٢٩٢، ١٢٩٦، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٧، ١٣١٣، ١٣١٦، ١٣١٨، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٥، ١٣٣٧، ١٣٤٦، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٦، ١٣٧١، ١٣٧٩، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٩٣، ١٤١٧، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٣٠، ١٤٤٠، ١٤٥٠، ١٤٥٩، ١٤٦٨، ١٤٧٠، ١٤٧٦، ١٤٧٨، ١٤٩٨، ١٥٠٥، ١٥١١، ١٥٢١، ١٥٢٤، ١٥٣٤، ١٥٤٠، ١٥٤٢، ١٥٤٦، ١٥٥٢، ١٥٥٨، ١٥٦٠، ١٥٦٥، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٤، ١٥٧٦، ١٥٨١، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٩١، ١٥٩٩، ١٦٠١، ١٦٠٤، ١٦٠٦، ١٦٠٩، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦٢٠، ١٦٢٦، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٦، ١٦٣٩، ١٦٤٣، ١٦٤٥، ١٦٤٩، ١٦٥٤، ١٦٥٧، ١٦٥٩، ١٦٦٠، ١٦٦٣، ١٦٦٦، ١٦٦٩، ١٦٧٠، ١٦٧٣، ١٦٧٦، ١٦٧٩، ١٦٨٤، ١٦٨٦، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٨، ١٧٠١، ١٧٠٨، ١٧١٤، ١٧١٥، ١٧١٩، ١٧٢٠، ١٧٣٠، ١٧٣٤، ١٧٤٩، ١٧٥٣، ١٧٥٦، ١٧٦٠، ١٧٦١، ١٧٦٦، ١٧٦٧، ١٧٦٨، ١٧٦٩، ١٧٧٠، ١٧٧٤

السدي ٨٧، ٢٤٥، ٣٠٩، ٣١٦، ٣٨٩، ٤١٣، ٤١٦، ٤٧٥، ٥٣٥، ٥٤٧، ٥٤٨، ١١٠٠، ١٦٦٨، ١٦٧٩

السهيلي ٤٩، ١٨٥، ٢٤٢، ٢٩٦، ٣٥٨، ٤٢٨، ٤٤٣، ٤٥٦، ٤٧٥، ٥١٥، ٥٤٥، ٥٧٥، ٦٧٠، ٧٢٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٩٧٣، ١١٦٣، ١٦١٥، ١٦٢٣، ١٦٧٤، ١٧٧٠

الشافعي ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٨، ١٩١، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٦٦، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٢، ٤١٧، ٤٢٤، ٤٢٥،

٤٢٦، ٤٢٨، ٤٤٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٦، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٠، ٥٠٣، ٥١٦، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٨، ٦٣٥، ٦٦٦، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٩١، ٨٩٢، ٩٦٩، ١٠٠٢، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٣٧، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١١١٤، ١١٨٣، ١١٩٦، ١٢٢٨، ١٣٨٤، ١٤٥٥، ١٤٨٤، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٤٠، ١٥٤٩، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٧، ١٦٣٠، ١٦٨٢، ١٦٨٩، ١٧٣٥

الشعبي ٥٢٩، ٧٥٩، ١١٧٤، ١١٧٧، ١٢٦١، ١٣٨٤، ١٤٣٣، ١٤٨٤، ١٤٩٩، ١٥٥٠

الضحاك ٨٧، ١٢٢٧

الطبري ٤٩، ٧٦، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٥، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٣، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٢، ٥١٦، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥،

٥٣٨، ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٤، ٥٦٤، ٥٦٦، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٧، ٥٩٥، ٦٠١، ٦٠٢، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٢، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٥٤، ٦٥٦، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٩، ٦٧٢، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨٢، ٦٩٣، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٨، ٧١١، ٧١٣، ٧٢٦، ٧٣٢، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٥٩، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٨، ٧٨٣، ٧٨٨، ٨٠٧، ٨١٥، ٨٢٤، ٨٣٦، ٨٣٨، ٨٤٣، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٥٥، ٨٦٦، ٨٨٢، ٨٨٤، ٨٨٧، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩٤٨، ٩٥٣، ٩٦٩، ٩٨٦، ٩٨٨، ١٠٠٣، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٨، ١٠٤٠، ١٠٤٢، ١٠٥١، ١١٠٢، ١١٥٦، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٩١، ١٢١٢، ١٢١٧، ١٢٤٥، ١٢٥٦، ١٢٥٨، ١٢٦٠، ١٢٦٢، ١٢٧٠، ١٢٨٥، ١٢٩٧، ١٣٠٠، ١٣٠٨، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣٢٠، ١٣٢٦، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٥، ١٣٥١، ١٣٦١، ١٣٦٥، ١٣٧٤، ١٣٧٨، ١٣٩٠، ١٤١٨، ١٤٢١، ١٤٢٤، ١٤٣٣، ١٤٥٦، ١٤٨٥، ١٥٠١، ١٥٣٩، ١٥٤٧، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٩، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٧١، ١٥٧٥، ١٥٨٧، ١٦٠٤، ١٦١٧، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٨، ١٦٥٦، ١٦٦٤، ١٦٦٩، ١٦٧٢، ١٦٩٠، ١٧١٢، ١٧٢٣

العاصي بن وائل ٥٤٠، ٨٢١، ٩٢٩، ١٢٢٩، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٧٥٩، ١٧٦٠

العباس بن عبد المطلب ٦٧٩، ١١١٩

الغزنوي ٤٩، ٩١، ٩٢، ٩٦١، ١٠٠٩، ١٧٣٤

الفارسي ٤٢٩، ٥٢٩، ٥٣٧، ٥٥٩، ٥٧٢

الفضيل بن عياض ١٣٧٢، ١٣٩٢، ١٤٩٣

الكسائي ٩٩، ١٣٥، ١٨٠، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٨٩، ٣٠٣، ٣١٧، ٣٣٣، ٣٤٠، ٣٥٠، ٤١٥، ٤٤٨، ٤٥٠،

٤٨٥، ٥٠١، ٥٠٧، ٥١٢، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٧٥، ٦٠٧، ٧٤٢، ٧٧٧، ٧٧٨، ٨٠٨، ١٢٢٤، ١٢٨٧، ١٥٦٢، ١٦٨٣، ١٧٠٠، ١٧١٢
الليث بن سعد ١٥٥٠
المالقي ٢٩
الماوردي ٤٩، ٨٨، ٥٨١، ١٣٦٦
المفضل ٨٨
المقداد ١٥٢٣
النجاشي ٣٩١، ٥١٥، ٧٩٦، ١١١٨
النسائي ٤٣، ٦٤، ١٧٩، ١٨٠، ٢٢٦، ٢٩٠، ٣٢٢، ٣٤٣، ٣٦٢، ٤٣٨، ٤٨٥، ٥١٥، ٥٨٥، ٦٤١، ١٠١٦، ١١١٤، ١٢٧٢، ١٣٣٩، ١٤١٤، ١٤٨٤، ١٥٦٢، ١٦٢٢، ١٧١٣، ١٧٣٥، ١٧٣٨، ١٧٤١، ١٧٤٨، ١٧٦٥، ١٧٧٠
النضر بن الحارث ٥٤٠، ٥٤٥، ٦٦٣، ٨٢٦، ٨٥٧، ٩٠٠، ٩٨٠، ٩٨٢، ١٠٥٥، ١١٥٠، ١١٥٢، ١٣٧٠
النضر بن الحرث ٥٦٤، ١٥٩٢
النعمان بن عمرو ٣٤٥
النواس بن سمعان ١١٤، ١٨٢
الوليد بن المغيرة ٥٧٢، ٨٢١، ٨٦٦، ١١٣٠، ١٣٢٤، ١٣٥٠، ١٤٥٢، ١٥٠٤، ١٥٧٧، ١٦٢٥، ١٦٤٦، ١٦٦٥، ١٧٠٢، ١٧١٥، ١٧٥١، ١٧٥٩
الوليد بن الوليد ١٢٩٣
الوليد بن عقبة ١٤١٢
الوليد بن عقبة بن أبي معيط ١٤١٢
الوليد بن مصعب ٢١٥
أم جميل بنت حرب بن أمية ١٧٦٣
أم حبيبة بنت أبي سفيان ١١٦٨، ١٥٢٦
أم شريك الأنصارية ١١٧٧
أم شريك العامرية ١١٧٧
أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط ١١٧٢، ١٥٢٧، ١٥٢٨
أمية بن أبي الصلت ٦٤١
أمية بن خلف ٤٥١، ٦٦٨، ٦٧٨، ٨٢١، ٩٢٦، ١٠٦١، ١٢٢٩، ١٢٧٥، ١٦٦٥، ١٧١١، ١٧٢٢، ١٧٥١، ١٧٥٩، ١٧٦٠
أمية بن ياسر ٢٣٤
أميمة بنت بشر ١٥٢٨
أنس ١٧٤، ١١٨١
أنس بن النضر ١١٦٦

أنس بن مالك ١٠٤٠، ١١٦٦
أوس بن الصامت ١٥٠١
أوس بن قبطي ١١٦٤
بكر بن وائل ٥٠٥
بلال ٢٨١، ٥٥٢، ٨٤٦، ٨٩٤، ١٠٨٠، ١٢٧٥، ١٣٧٨، ١٧٢٣
بلعم بن باعوراء ٦٤١
بلقيس بنت شراحيل ١٠٩٣
تنبل بن الحارث ٦٩٢
ثابت بن قيس ٢٩٤، ٤٣٥
ثعلبة بن حاطب ٦٩٥
جابر بن عبد الله ٦٤، ٢٩٦، ٣٧١، ٤٠٠، ١٣٨١، ١٥٣٩
جبلة بن الأيهم ٥٠٥
جعفر الصادق ٦٠٤، ٦٥٠، ١٧٢٥
جعفر بن أبي طالب ٥١٥
جعفر بن محمد ١٤٦٦
جميل بن معمر ١١٦٠
جهجاه بن سعيد ١٥٤٣
حاطب بن أبي بلتعة ١٥٢٣
حبيب بن عمير ١٣٥٠
حذيفة ٣٥٨، ١٣٢٦، ١٣٦٤
حذيفة بن اليمان ٦٥
حسان بن الدحداحة ١٥٢٨
حسان بن ثابت ١٠٣٠، ١٠٨٨
حفصة ٦٥، ٦٦، ١١٦٨، ١٥٥١، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣
حمزة ٩٩، ١٧٠، ٨٥١، ٨٥٢، ١١٢٠، ١٢٨٦، ١٢٩٣، ١٥٧٢، ١٦٨٠، ١٧١٢
حمزة بن عبد المطلب ٢٨٤، ٧٩٢، ٨٥١، ٩٨٦، ١١٦٦
حويطب بن عبد العزى ١٠٤٠
حيي بن أخطب ١٩٠، ٢٣٣، ٣٨٧، ٤٢٢، ٤٣١
خالد بن الوليد ١٤٠٣، ١٤٥٠
خالد بن حزام ٤٥١
خباب ٥٥٣، ٨٩٤
خبيب بن عدي ١٧١٢
خولة بنت ثعلبة ١٥٠١
خولة بنت حكيم ١٥٠١
خولة بنت خويلد ١٥٠١
دحية بن خليفة الكلبي ١٥٣٩
رافع بن حارثة ٥١٢
ربطة بنت سعد ٨٤٣
رفاعة بن زيد بن التابوت ٤٢٢
رؤبة بن العجاج ٨٣١

روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم ١١٤٠
ريان بن الوليد ٧٦٧
زيد بن أرقم ٣٠٥، ١٥٤٤
زيد بن أسلم ٦٣٣
زيد بن ثابت ٦٦، ٨٦، ٤٠١، ٤٤٢، ٤٤٧، ١٥٩٢، ١٦١٨
زيد بن حارثة ٢٨٧، ٤٤٩، ١١٦١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤
زيد بن حارثة الكلبي ٤١١، ١١٧٢
زيد بن محمد ٤١١، ١١٦١
زينب بنت جحش ٤١١، ١١٦٨، ١١٧٢، ١١٨٠، ١٥٥٩، ١٥٦٠
زينب بنت خزيمة أم المساكين ١١٧٧
سالم بن عبد الله ٣٣٢، ٦٣٤
سالم بن عوف ٧٠٢
سام ١٢٤١
سام بن نوح ٣٥٤
سبأ بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان ١٠٩٣
سبيعة الأسلمية ١٥٢٨، ١٥٥٤
سراقة بن مالك ٦٦٨
سعد بن أبي وقاص ٤٠٣، ١١٢٩، ١١٥١، ١٤١٤
سعد بن الربيع ٣٩٩، ١٢٦٣
سعد بن عبادة ٦٥٦، ١٠٢٥، ١٤١٣
سعد بن معاذ ٢٨٧، ٦٥٦، ١١٦٧
سعيد ابن جبير ٥٢٤، ٥٤٤
سعيد بن العاص بن أمية ٦٦
سعيد بن المسيب ٢٤٨، ٢٧٠، ٢٩٥، ٤٠٨، ٦٦٣، ١٤٣٨
سعيد بن جبير ٦٤، ٨٧، ٢٤٨، ٢٧٠، ٣٣٣، ٣٨٩، ٤٤٦، ٤٧٠، ٥٣٢، ٦٦٥، ٧١١، ٧٩٨، ٨٦٠، ٩٠٨، ٩٢٨، ١٦٣٥، ١٧٥٧
سلام بن مشكم ٥١٢، ٦٨٣
سلمان الفارسي ٤٦٢، ١٥٣٥
سودة بنت زمعة ٤٦١، ١١٦٨، ١٥٥٩
شداد بن عاد ١٧٠٧
شريح بن ضبيعة ٤٧٥
شمخا بنت أنوش ١٦٠٤
شهر بن حوشب ٦٣٠
شيبة بن ربيعة ٨٢١
صفوان بن المعطل ١٠٣٠
صفية بنت حيي ١١٦٨، ١١٨٤
صهيب ٢٨٠، ٢٨١، ٥٥٣، ٨٤٦، ٨٩٤، ١٠٨٠، ١٢٧٥، ١٣٧٨
ضمرة بن القيس ٤٥١

طلحة ٦٦٢، ٦٧٩، ٨٩٣، ١٠٨٣، ١١٣٨، ١١٦٦، ١٢٨٥، ١٤١٤
طلحة ابن عبد الملك الأيلي ٩
طلحة بن شيبة ٦٧٩
طلحة بن عبيد الله ١١٨٢
طليحة بن خويلد ٥٠٥
عاصم ١٠، ١٥، ٩٩، ١٨٠، ٢٢٥، ٢٨٦، ٣٠٧، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٦١، ٣٨١، ٤١٧، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٦٦، ٦٠٦، ٨٢٩، ٨٦٣، ٩٤١، ٩٦٩، ٩٩٣، ١٠١١، ١٠٩٣، ١١١٤، ١١٤٨، ١١٦٦، ١١٧٤، ١١٨٠، ١١٩١، ١٢٢٥، ١٢٧٤، ١٢٧٨، ١٣٦٢، ١٣٧١، ١٥٠٢، ١٥٠٧، ١٥٦٦، ١٦٩٦
عامر بن الأضبط ٤٤٩
عامر بن الطفيل ٧٩٠
عائشة ١٨، ٤٤، ٦٣، ٦٤، ٨٥، ٨٨، ٩٣، ١١١، ٢٥٤، ٢٦٩، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٣، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٥٢، ٣٩٦، ٤٥٢، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٧٠، ٤٨٣، ٥١٢، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٥٩، ٨٩٢، ٩٤٢، ١٠١٢، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٧، ١٠٤٢، ١١٠١، ١١٦٨، ١١٧٠، ١١٧٣، ١١٧٦، ١١٨١، ١١٨٢، ١٢١٠، ١٢١٢، ١٢٨٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٤١٤، ١٤٤٨، ١٤٨٧، ١٥٠١، ١٥٠٦، ١٥٢٧، ١٥٣٠، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٧٥، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٧، ١٦٢٤، ١٦٦٤، ١٦٨٦، ١٧٠١، ١٧٣٢، ١٧٤٤، ١٧٦١، ١٧٧٠
عباد بن بشر ٢٨٧، ٢٨٨
عبادة بن الصامت ٦٥٥، ١٥٠١
عبد الدار ٦٤٧، ٦٦١
عبد الرحمن بن الحارث ٦٦
عبد الرحمن بن عوف ٣١٨، ٤٥٥، ٦٩٦، ١٢٨٥
عبد الرزاق ٨٨، ١١١، ١١٢، ١٧٠، ١٧١، ١٨٠، ٢٦٦، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٢٣، ٣٣٩، ٣٩٦، ٤١٠، ٤١٨، ٤٥١، ٤٥٣، ٥٢٧، ٥٣٥، ٦٥٠، ٦٥٨، ٦٦٩، ٦٨٢، ٨٢٩، ٨٤٢، ٨٤٤، ٨٤٦، ٨٥٠، ٨٩٠، ٨٩٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٣٨، ١٠٤١، ١٠٤٤، ١٤١١، ١٥٤٩

عبد العزى ٦٤٧، ١٧٦٣
عبد الله بن سلام ٤٧٠
عبد الله بن أبي ٣٧٨، ٣٨٣، ٥٠٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ١٤١٤، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٧٥٧
عبد الله بن أبي ابن سلول ١٩١، ٣٧٨، ٣٨٣، ٥٠٣، ٥٠٤، ٦٨٨، ٦٩٥، ٦٩٧، ١٠٣٠، ١١٦٠، ١٤١٣، ١٥١٨، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٧٥٦
عبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة ٨٧٧
عبد الله بن التامر ١٦٩٣
عبد الله بن الزبير ٦٦، ٢٧٥
عبد الله بن الصيف ٣٥٨
عبد الله بن المبارك ١٤٩٤
عبد الله بن أم مكتوم ١٦٦٥، ١٦٦٦
عبد الله بن جحش ٢٨٤
عبد الله بن حذافة ٤٣٣، ٥٢٤
عبد الله بن رواحة ١٤١٤
عبد الله بن سلام ٢٤٧، ٣٦٩، ٣٩١، ٤٩٨، ٥١١، ٦٣٨، ٧٢٨، ٧٩٦، ٧٩٨، ١٠٨٤، ١١٣٦، ١١٣٧، ١٣٧٨
عبد الله بن عباس ٨٣
عبد الله بن عبيد بن عمير ١٣٧٠
عبد الله بن عمر ٥٣٤، ١٣٧٠، ١٦٨٠
عبد الله بن عمرو بن العاص ٨٦، ٦٤١
عبد الله بن عمرو بن حزام ٣٨٣
عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ١٠٤٢
عبد الله بن مسعود ٨٥، ٨٦، ٨٧، ١١٢، ٣٠٧، ٣٤٦، ٣٦٦، ٣٧٧، ٥٢٧، ٥٥٣، ١٢١٧، ١٣٠٨، ١٣٦٤، ١٣٨٩، ١٤٩٨، ١٥١٦، ١٥٢٢، ١٥٥٥، ١٧٢١
عبد الله بن مغفل المزني ٦٩٩
عبد الملك بن مروان ٦٧
عبد بن حميد ٨٨، ٨٤٦، ٨٩٤، ٩١٧، ١٧٣٩
عبد مناف ٦٤٧، ١٤١٨
عبيد بن عمير ١٥٦٠
عبيدة بن الحارث ٩٨٦
عتاب بن أسيد ٣٢٦
عتاب بن قيس ٦٩٢
عتبة بن ربيعة ٦٧٨، ٨٢١، ٩٨٦، ١٢٧٥، ١٣٥٠، ١٦٤٦، ١٦٦٥، ١٧٠٢، ١٧٠٨، ١٧١١
عثمان ٦٦، ١٧٤، ٣١٨، ٤٥٢، ٦٩٥، ٨٩٥، ٩٩٢، ١٠٤٩، ١٢٨٥، ١٣٣٨، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٩، ١٥٣٧، ١٥٤٩

عثمان بن طلحة ٤٣٣
عثمان بن عفان ٦٦، ٦٧، ٨٥، ١٠٠، ١١٢، ٦٧٤، ١١٥٧، ١٢٨٥، ١٢٩٥، ١٣٢٢، ١٣٣٨، ١٤٠١، ١٤٧٢، ١٤٩٠
عدي بن حاتم ٤٧٩، ٤٨٠
عدي بن زيد ٣٥٨
عروة بن الزبير ٣٣٩
عزيز بن عمير ١٥١٠
عطاء بن دينار ٣١٣، ١٧٥٧
عطاء بن يسار ١٧٥٧
عقبة بن أبي معيط ١٠٦١، ١١٧٢
عقبة بن عامر ١١٤
عكرمة ٦٤، ٨٧، ٢٨٠، ٣٤٦، ٤٤٦، ٤٧٥، ٤٨٣، ٥٠٩، ٥٥٣، ٥٥٤، ٦٠٦، ٧٨٩، ١١٩٦، ١٣٣٩، ١٣٥٩، ١٣٦٥، ١٤٢٤، ١٤٥٥، ١٤٧٧، ١٦٠٨
علقمة ٨٧، ٤٨٤، ١٣٨٤، ١٧٢١
علي ٨٩٥، ٩٩٢، ١٠٤٩
علي بن أبي طالب ٦٥، ٨٦، ٢٧٠، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٦٥، ٣٧٥، ٤١٠، ٤١١، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٦٤، ٥٠٦، ٥٢٩، ٥٣٢، ٦١٨، ٦٦٢، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٩، ٧٣٥، ٨٢٩، ٩٣١، ٩٤٨، ١٠٢٤، ١٠٤٢، ١١٥٨، ١٢٤٥، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٨٦، ١٢٩٣، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٦٤، ١٣٨٠، ١٤٠٩، ١٤٢٨، ١٤٧٦، ١٥٠٩، ١٥٢٣، ١٥٥٤، ١٥٦٣، ١٥٨٦، ١٦٤١، ١٦٨٤، ١٦٩٢، ١٧٢١
علي بن أبي طلحة ٨٨، ٢٩٢
علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ١٤٠٨
عمار ٣٥٨
عمار بن ياسر ٤٣٥، ٥٥٣، ٥٧٢، ٦٦٢، ٨٣٩، ٨٤٦، ١٠٠٤، ١٠٨٠، ١١٢٨، ١٣٢٢، ١٣٣٩، ١٥٣٩
عمر ١٧٤، ٢٤٠، ٤٣٥، ٤٤٠، ٥١٨، ٦٣٢، ٦٣٤، ٦٧١، ٦٩٥، ٦٩٦، ٨٩٥، ٩٩٢، ١١٨١، ١٢٠٧، ١٢١٢، ١٣٣٨، ١٣٨١، ١٣٩٧، ١٤٠٦، ١٤١١، ١٤٨٥، ١٥١٥، ١٥٢٤، ١٥٤٩، ١٥٦١، ١٥٦٣، ١٦٧٣، ١٦٧٦، ١٧٢٨، ١٧٥٥

عمر بن الخطاب ٦٥ ، ٨٦ ، ١١٢ ، ٢٤٧ ، ٢٦٨ ، ٢٨٨ ، ٣٣٠ ، ٣٩٨ ، ٤٠٨ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٢ ، ٥٠٥ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٥٤ ، ٥٧٢ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ ، ٦٦٠ ، ٦٨٥ ، ٨٣١ ، ١٠٤٠ ، ١٠٦٨ ، ١١٦٨ ، ١١٨١ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٣ ، ١٣٢١ ، ١٣٣٨ ، ١٣٧١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٢٨ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥٢٤ ، ١٥٢٨ ، ١٥٢٩ ، ١٥٣٧ ، ١٥٤٣ ، ١٥٥٠ ، ١٥٥٤ ، ١٥٥٦ ، ١٥٥٩ ، ١٥٦٤ ، ١٥٦٠ ، ١٦٠١ ، ١٦٦٩ ، ١٧٠٣ ، ١٧٦١
عمرو بن العاص ٤١٧ ، ٦٣٤ ، ١٢٩٤
عمرو بن عبد ود ١٧١٤
عمرو بن عوف ٧٠٢ ، ٧٠٣
عوف بن مالك الأشجعي ١٥٤٧ ، ١٥٥٢
عياش بن أبي ربيعة ١١٣٠ ، ١٢٩٣ ، ١٥٧٨
عياش بن ربيعة ٤٤٤ ، ١٢٩٣
عيسى ابن مريم ١٨٤ ، ٣٥٣ ، ٥٠٨ ، ٥٣٦ ، ٦٣٢ ، ٦٨٤ ، ٩١٣ ، ٩٢٢ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٨٧
عيينة بن حصين الفزاري ٨٩٤
غنم بن عوف ٧٠٢
غورث بن الحارث ٤٨٧
فاطمة بنت قيس ١٥٥٥
فروة بن عمر الجذامي ٦٣٢
قتادة ٨٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٣٠٠ ، ٨٩٦ ، ١٢٧٩ ، ١٣٦١ ، ١٤٢٤ ، ١٤٦٧ ، ١٥٥٦ ، ١٥٦٩
قدار بن سالف ١٧٢٠
قصي بن كلاب ٦٤٧ ، ١٣٦٧
قيس بن الفاكه ٤٥١
قيس بن الوليد بن المغيرة ٤٥١ ، ٦٦٨
كردم ٤٢٢
كعب ١٢١٢
كعب بن الأشرف ١٩٠ ، ٢٨٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ١٠٤٨
كعب بن عجرة ٢٧٤ ، ١١٨٣
كعب بن مالك ٧٠٦
مالك ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩١ ، ٢٠٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،

٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٥٣، ٣٦٦، ٣٧٨، ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٧٣، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٩٥، ٤٩٧، ٥٠١، ٥٠٣، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٨، ٥٦٣، ٥٧٧، ٦٠٣، ٦٣٥، ٦٥٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٧٣، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٩١، ٦٩٤، ٧٥٨، ٨١٤، ٨٤٧، ٨٥١، ٨٦٣، ٨٩٢، ٩٥٩، ٩٦٩، ٩٨٧، ٩٨٩، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٣٤، ١٠٣٦، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١١٠٧، ١١١٤، ١١٥٦، ١١٦٨، ١١٧٨، ١١٨٠، ١١٨٣، ١٢١٠، ١٢٥٤، ١٢٥٧، ١٢٦٥، ١٢٧٢، ١٣٨٤، ١٣٨٧، ١٤١٤، ١٤٣٢، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٨، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥١٥، ١٥١٨، ١٥٢٩، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤٧، ١٥٤٩، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٧، ١٥٦٠، ١٥٧٥، ١٦١٧، ١٦٦٥، ١٦٨٢، ١٦٨٩، ١٧٠١، ١٧٢٨، ١٧٣٥، ١٧٤٨

مالك بن الصيف ٦٨٣

مالك بن الضيف ٢٣٠

مالك بن أنس ٧٥، ٩٩، ٣٣٩، ٦٠٣، ١٤٠٣

مالك بن دعر ٧٥٩

مالك بن دينار ١٣٥٨

مجاهد ٤٩، ٨٥، ٨٧، ٢٧٣، ٣١٤، ٣٣٩، ٤١١، ٤١٣، ٤١٦، ٤٩٢، ٤٩٤، ٥١٩، ٦٢٢، ٦٦١، ٦٦٧، ٦٩٦، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠٤، ٧١٣، ٧٢٥، ٨٢٩، ٨٣٦، ٨٤٣، ٨٥٩، ١٠٥٨، ١١٣٠، ١١٣٨، ١١٩٢، ١٣١٢، ١٤١٠، ١٥٠٩، ١٥٦٦، ١٦١٩، ١٦٤٤، ١٦٦١، ١٧١٤، ١٧٣٩

محلم بن جثامة ٤٤٨

محمد بن جرير الطبري ٨٨

محمد بن سحنون ١٢٥٤
محمد بن عبد الملك بن علي القيسي ٤٢
مدلج بن كنانة ٤٤٣
مرثد بن سعيد ٦٠٨
مرداس بن نهيك ٤٤٩
مروان بن الحكم ١٣٨٠
مريم بنت عمران ٩٧٣، ١١٧٠، ١٥٦٣
مسطح بن أثاثة ١٠٣٠
مسلم ٣٧، ٤٦، ٦٤، ٦٦، ٨٩، ٩٣، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١٢٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٠، ٢٠٢، ٢٨٠، ٢٨٨، ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٨٩، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤١١، ٤١٢، ٤١٥، ٤١٧، ٤٢٧، ٤٣٩، ٤٥٢، ٤٦٢، ٤٨٤، ٤٩٣، ٥٠٠، ٥٠١، ٥١٨، ٥٢٨، ٥٤١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٩٧، ٥٩٩، ٦٠٥، ٦١٠، ٦٦٩، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٩، ٦٨٠، ٧٠٣، ٧١٦، ٧٢٣، ٧٣٥، ٨٠٩، ٨٩٢، ٩٢٢، ٩٣٤، ٩٥٣، ١٠٣٥، ١٠٤١، ١٠٦٢، ١١٠٥، ١١٢٩، ١١٤٤، ١١٥٤، ١١٥٧، ١١٦٨، ١٢١٠، ١٢١٨، ١٢٩٤، ١٣٣٩، ١٣٧٦، ١٣٩٩، ١٤١٧، ١٤٢١، ١٤٣٨، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٧٠، ١٤٨٤، ١٤٩٦، ١٥٠٧، ١٥٣٧، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٦٣، ١٥٧٥، ١٥٩٣، ١٦٠٨، ١٦١٧، ١٦٢٢، ١٦٣٠، ١٦٤٢، ١٦٧٢، ١٦٩٢، ١٦٩٣، ١٧٠٢، ١٧١١، ١٧١٦، ١٧٣٥، ١٧٣٧، ١٧٤١، ١٧٤٢، ١٧٤٨، ١٧٥٨، ١٧٦٤، ١٧٦٥
مسيلمة الكذاب ٦٥، ٥٠٥، ١٠٦٧
مصعب بن الريان ٧٦٧
مصعب بن عمير ٢٨٧، ١٥١٠
معاذ ٣٥٨
معتب بن قشير ٣٧٨، ١١٦٣
معقل بن يسار ٢٩٦
مقيس بن صبابة ٤٤٦
مكي بن أبي طالب ٤٩
منذر بن سعيد ٢٥٩، ١٤٠١، ١٧١١
منذر بن سعيد البلوطي ٨٩
ميمونة بنت الحارث ١١٧٧
ميمونة بنت الحارث الهلالية ١١٦٨
نافع ١٠، ١٤، ١٥، ٣٧، ٧٥، ٨٨، ٩٩، ١٣٥، ١٧٠، ١٩٢، ٢٣٨،

٢٤٠، ٢٥٩، ٢٩٠، ٣٠٨، ٣٢٦، ٣٨٦، ٤٠١، ٤٨٥، ٥٠٨، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٦١، ٥٧٢، ٥٩٩، ٦١٥، ٧٦١، ٧٨٦، ٨١٠، ٨١٦، ٨٢٦، ٨٣٧، ٨٥٩، ٨٧٧، ٨٩٦، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٥، ٩٩٣، ١٠١٥، ١٠٢٨، ١٠٤٣، ١١١٥، ١١٥٦، ١١٦٣، ١١٨٩، ١١٩٢، ١٢٢٧، ١٢٤٨، ١٢٧٣، ١٣٠٥، ١٣٤٢، ١٣٨١، ١٤١٨، ١٤٤١، ١٤٥٤، ١٤٧٩، ١٥٦٦، ١٦١١، ١٦٢٨، ١٦٤٤، ١٦٩٥، ١٧٢٠، ١٧٤١

نعيم بن مسعود ٣٨٥

هدد بن يدد ٩٠٨

هرقل ٦٣٢، ٦٣٣

هشام بن عبد الملك ١٥٣٧

هشام بن العاص ١٢٩٣

هند بنت عتبة ١٥٣٠

وديعة بن ثابت ٦٩٣

وهب بن منبه ٣٠٨، ٣٠٩، ١٠٩٦

يحي بن يعمر ٦٧

يزيد بن القعقاع ١٠٠

يعقوب ٧٤، ١٥٩، ٤٤٣، ٧٤٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٢، ٧٧٤، ٧٧٨، ١٤١٠، ١٦٥٠

يعقوب الخضرمي ١٠٠

يعقوب بن إسحاق ٩١٦

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ١١٨

يعلى بن أمية ٤٥٢

يوسف بن يعقوب ١٣٠٦

يوشع بن نون ٩٠٢

يونس بن متى ٣١٢

***   ***   ***

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
سورة الفتح	١٣٩٧
سورة الحجرات	١٤١٠
سورة ق	١٤٢٠
سورة الذاريات	١٤٢٩
سورة الطور	١٤٣٩
سورة النجم	١٤٤٤
سورة القمر	١٤٥٤
سورة الرحمن عز وجل	١٤٦٣
سورة الواقعة	١٤٧٠
سورة الحديد	١٤٨٩
سورة المجادلة	١٥٠١
سورة الحشر	١٥١١
سورة الممتحنة	١٥٢٣
سورة الحواريين	١٥٣٢
سورة الجمعة	١٥٣٥
سورة المنافقون	١٥٤٢

الموضوع	الصفحة
سورة التغابن	١٥٤٥
سورة الطلاق	١٥٤٨
سورة التحريم	١٥٥٩
سورة الملك	١٥٦٧
سورة القلم	١٥٧٤
سورة الحاقة	١٥٨٤
سورة المعارج	١٥٩٢
سورة نوح عليه السلام	١٥٩٩
سورة الجن	١٦٠٦
سورة المزمل	١٦١٤
سورة المدثر	١٦٢٣
سورة القيامة	١٦٣٢
سورة الإنسان	١٦٣٩
سورة المرسلات	١٦٤٨
سورة النبإ:	١٦٥٣
سورة النازعات	١٦٥٩
سورة عبس	١٦٦٥
سورة التكوير	١٦٧١
سورة الانفطار	١٦٧٦
سورة المطففين	١٦٧٩
سورة الانشقاق	١٦٨٥

الموضوع	الصفحة
سورة البروج	١٦٩٠
سورة الطارق	١٦٩٦
سورة الأعلى جل جلاله	١٦٩٩
سورة الغاشية	١٧٠٣
سورة الفجر	١٧٠٦
سورة البلد	١٧١٣
سورة الشمس	١٧١٨
سورة الليل	١٧٢١
سورة والضحى	١٧٢٤
سورة ألم نشرح	١٧٢٧
سورة التين	١٧٢٩
سورة العلق	١٧٣٢
سورة القدر	١٧٣٦
سورة لم يكن	١٧٣٩
سورة الزلزلة	١٧٤٢
سورة العاديات	١٧٤٤
سورة القارعة	١٧٤٦
سورة التكاثر	١٧٤٨
سورة العصر	١٧٥٠
سورة الهمزة	١٧٥١
سورة الفيل	١٧٥٠

الموضوع	الصفحة
سورة قريش	١٧٥٤
سورة الماعون	١٧٥٦
سورة الكوثر	١٧٥٧
سورة الكافرون	١٧٥٩
سورة النصر	١٧٦١
سورة أبي لهب	١٧٦٢
سورة الإخلاص	١٧٦٤
سورة الفلق	١٧٦٩
سورة الناس	١٧٧٤

الفهارس العامة

فهرس الأحاديث القدسية والنبوية والآثار	١٧٧٩
فهرس الأعلام	١٨٠٣
فهرس الموضوعات	١٨٢٦

*** *** ***